

المشاع
عفا الله عنه

شرح

كتاب الزم نبيك

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَتْ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبْطِ وَالِاسْتِيعَابِ . بَحِثْ تَلَوَتْ
فِي هَذَا الشَّيْءِ جَمِيعُ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مَعْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

لِلجَنَّةِ الْأَوَّلِ

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فهذا شرح ديوان المتنبي أخرجهُ بعد شرح ديوان حسان
الذي أخرجته في العام الماضي ، ورآه القراء وعرفوا من مقدمته ما كابدت فيه

أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي
الكندى الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب
إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي القبيلة — بضم الجيم وسكون
العين — وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد
ابن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان . نشأ بالكوفة — كما ترى — ويقال : إن أباه
كان سقاء بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ، ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا
أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْحَيَاةِ

قدم الشام في صباه ، وجال في أقطاره ، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية
الساوة ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب
الأخشيدي — فأسرّه وتفرق أصحابه وحبس طويلا ؛ ثم استأبته وأطلقه ، ومن ثم
سمى المتنبي ؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان — سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة —
وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوي — كلام في
مجلس من مجالس سيف الدولة ، فوثب ابن خالويه على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح
كان معه ، فشجه ، وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، ففضض ، وفارق سيف الدولة ،

وفي الحق : إني لم أعان في المتنبي ما عانيتُ في حسان — على بُعد ما بينهما —
وذلك أن المتنبي ربُّ المعاني الدقاق — كما قال — فلذهن في شعره جولان
وما دام هناك ذهنٌ يلف ، وذوقٌ يستدق ، وملكةٌ بيانية ، وبصرٌ
بمذاهب الشعر : أمكن إدراك ما يتراعى إليه مثل المتنبي ، ولو بشيء من

وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومدح كافور الأخشيدي ، وكان
يقف بين يدي كافور ، وفي رجليه خفان ، وفي وسطه سيف ومنطقة ، ويركب
بحاجبين من مماليكه ، وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه كافور هجاء وفارقه
ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى ،
فلم يلحق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تغالية في شعره وسموه
بنفسه ، خافه ، وعوتب فيه ، فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم
أما يدعى المملوك مع كافور ؟ لحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق
يفشاه في علته ، فلما أبل انقطع عنه ، فكتب إليه : وصلتني - وصلك الله - معتلا
وقطعتني مبلا ، فان رأيت أن لا تشب العلة لي ، ولا تكدر الصحة علي - فقلت
إن شاء الله . ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه
الديلمي ، فأجزل جائزته . (وكذلك مدح ابن العميد) ولما رجع من عند عضد الدولة
قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمانية خلون منه - عرض له فاتك بن الجهلي
الأسدي في عنة من أصحابه ، وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل
المتنبي وابنه محمد وغلामه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية ،
وقيل جبال الصافية - من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول - وذلك
يوم الأربعاء لست بقين - وقيل ثلاث بقين ، وقيل لليلتين بقيتا - من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قل : رثاه أبوه القاسم مظفر بن علي الطبرسي بقوله :

لا رعى الله سِرْبَ هَذَا الزَّمانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ اللِّسانِ
مَا رَأَى النَّاسَ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يَرَى لِيَكْرِ الزَّمانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءٍ ذِي سُلْطانِ
هُوَ فِي شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
داه ملخصا من ابن خلكان ،

الجهل الذئب ، والتعب المريح ، ذلك إلى أن المتنبي مخدوم ، وشروحه متوافرة ، ومادته زاخرة ، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا لينا ، لا إرهاق فيه لخاطر ، ولا إعناء لرؤية . وهنا قد يبدو لك أن تقول : وإذا كان المتنبي مخدوماً وشروحه متوافرة - كما تزعم - فعلام هذا الشرح وما حاجتنا إليه ؟ فعلى رسلك

شيء من أخلاقه وشماله

حدث علي بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة ، وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن . . . أما هذه الأخيرة - وهى أنه ما قرأ القرآن - فإن أظن الراوى يريد أنه ما قرأ القرآن تهجداً وتعبداً ، وإلا فإن مثل المتنبي في فضله وأدبه ودهائه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ! وأى قيمة لأديب لم يقرأ القرآن ؟ ! وقال ابن قزوين : كان المتنبي رجلاً ذاهية من اللسان ، شجاعاً ، حافظاً للآداب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه إلا بخله وشره على المال . .

أقول : وهذا بخل المتنبي هو على الحقيقة بما استتبعه طاحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والحمد والعلاء . وقد سئل في ذلك فقال : إن للبخل سبباً ، وذلك أنى أذكر - وقد وردت في صحابى من الكوفة إلى بغداد - فأتخلفت خمسة دراهم في جانب منديل ، وخرجت أمشى في أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع القاكهة ، فرأيت خمس بطيخات باكرة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التى معى ، فتقدمت إليه وقلت : بكم هذه الخمس بطاطيخ ؟ . . فقال - بغير أكثر - اذهب ، فليس هذا من أكلك ؛ فهاست معى وقلت : أيها الرجل : دع ما يعيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ؛ فلشدة ما جبنى به ما استلمت أن أعاطبه في المساومة ، فوفقت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الحان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال : يا مولاي : ها بطيخ باكرة بإجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟ فقال : بخمسة دراهم ، فقال : بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ودعا له ، وعاد إلى دكانه

يا هذا . فالتنبي وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثيرة قلة . . ذلك أن المتنبي وإن كان من حسن حفظه أن شَرَحَهُ وعلق عليه ، ونقده وتمصب له وعليه ، نَيَّفَ وخمسون أديباً ، بَيَّنَّ أنَّ المتداول من شروحه إنما هو العُكْبَرى والواحدى واليازجى حَسْبُ : أمّا الواحدى : فَلَا تَهْ لَمْ يُطَبِّعْ إِلَّا فى أَوْرَبِهِ وفى الهند فقط ، كانت لذلك نسخه قليلة التداول فى أيدى الناطقين بالضاد لِنَدَرَتِهِ وغلاء ثمنه ، ومن ثَمَّ كان فى حكم غير المتداول . ثم هو - الواحدى - وَمِثْلُهُ العُكْبَرى كلاهما موضوعٌ ذلكَ الوَضْعَ الخلق البالى العقيم - بَعَثَةُ الأبيات وإثبات البيت ثم شرحه ، وهكذا دَوَّالِيكَ - وَضَعٌ لا يَتَّفِقُ ومزاج هذا الجليل ، ولا سيما من يبتغى حفظ الديوان واستظهاره ، هذا إلى التحريف الكثير الذى أَلَمَ بالواحدى والعُكْبَرى معاً ، وهنا لا يسع المرء إلا أن يأسَفَ كل الأسف وتتقطع نفسه حَسَرَاتٍ جَرَاءَ

مسروراً بما فعل ؛ فقلت : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولا ! ! فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار ...

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور ، وكان ذا طلاح وزهو وكبرياء ، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخا وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الخاتمي وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء : داء جنون العظمة . . . وكثيراً ما يصيب هذا الداء التواضع والعبرين حولك أن تجعله علة ، ولك أن تجعله معلولاً . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطيبه النساء . . . وكان لا يشرب الخمر . . . وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة ، وكان عظيماً ، وكان عبقرى ، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم ، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين : شأن كل عبقرى عظيم ، والله أعلم . .

ذلك الداء الخبيث العياء الذى ألمّ - ولا يزال يُلمّ - بالمطبوعات العربية - داء التصحيف والتحريف - حتى لا يكاد يسلم منه كتاب عربى ، فذهب بحال التواليف وشوّه خلقها وصار بها إلى حيث تنبوعها الأحداق ، وتتجافى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر . ولست أدرى : ما مصدر هذا الداء ، ولأمن تقع عليه تبعه هذا الجرم : هل هو النسخ ؟ - بل الماسخ - [ولقد حاولت - أخيراً - أن أنسخ رسالة فى سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية ، وكلفت أحد النساخين فى تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نقل الكراسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل مانسخ على الأصل ، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ، ووجدت مانسخ منه ضفتنا على إباله . . . فما كان إلا أن انصرفت نفسى عن المسألة برمتها] . . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه ؟ !

ولقد لقيت الألقى فى تصحيح « بروفات » - أو تجارب - المتنبي ، ومن قبله حسان ، حتى لا أكون مغالياً إذا قلت : إن الجهد الذى يبذل فى سبيل التأليف أهون على المرء من الجهد الذى يقاسى فى سبيل التصحيح .

وتصور مقدار ما يعرف الإنسان من المفضل والامتعاض حين يرى الكتاب - بعد هذا العناء الذى يبذل فى التصحيح - لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يفتن إلى الخطأ المطبعى أثناء التصحيح ويمرّ به مرّاً ، وعذره فى ذلك واضح : وهو أنه إنما يقرأ ما فى ذهنه ، لا ما هو بين عينيه ؛ ومن هنا كان له - للمؤلف - هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وإن كان عذره فى ذلك قائماً . . .

أقول : إن عيب الواحدى والمكبرى هو ما ذكرت : وضع لا يتفق وروح العصر ، وتحريف كثير شائع فى الكتابين ، ذلك إلى هفوات تلحق كلاً على حدّته ، وقصور أو تقصير أو إقصار يلمّ بساحته ؛ فإذا أردت أن تجتزئ

بالعكبرى - مثلاً - وتستغني به عن غيره فإنه لا يفتنى كل الغناء ، وكذلك الواحدى .
 ويَزِيدُ الواحدى على العكبرى أنه لا يتحمل بتفسير المفردات ولا بالإعراب ، وبأنه
 لا يفسر كثيراً من الآيات ، فكأنه موضوع للفتن . ولذا لا يأتى الشادين . أما
 اليازجى أو اليازجيان - الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم - فهما - على فضلهما
 الذى لا ينكر ، وعلى ما طنطن به الثانى فى ذيل الشرح ، مما قد يخرج منه القارىء
 وهو مفعم يقيناً بأن هذا الشرح هو سيد الشروح ، وهو وحده الشرح الذى
 طَبَّقَ المنفصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية ، أقول : إنهما - على الرغم من
 ذلك - يَصْدُقُ عليهما قول الواحدى فى ابن جنى : وأما ابن جنى فإنه من الكبار
 فى صناعة الإعراب والتصريف ، والحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه
 إذا تكلم فى المعانى تبلد حمارة ، وَلَجَّ به عثارة . . . نعم ، وحسبك أن ترجع إلى
 ما قالاه - أى اليازجيان - فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته :

لَحَا اللهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ
 فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلَمٌ فِيهَا مُعَذِّبٌ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى إن من لاهم له لا يخلو فيها من
 العذاب ، فما الظن بصاحب الموم ؟ ! ولست أدرى : كيف لم يفتننا إلى معنى هذا
 البيت وهو من الوضوح والجلال - كما ترى - ؟ . . . على أنهما - فى شرحهما
 عامة ، لافى شرح هذا البيت - لم يجيدا عن الواحدى والعكبرى قِيدَ أُنْمَلَةٍ ؛ فهما
 عمدتاها ، وعليهما معولها ، فإذا حاولا أن يتفصّيا منها ، ويستقلّا بالشرح
 دونهما ، ويأتيا بشيء من عندهما : زلت قدماهما ، وكباجواداهما ، أو تبلد حماراهما .
 ووقعا فى مثل ما وقعا فى هذا البيت . . .

ذلك : إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قصر فيه ومَرَضَ
 ولم يتعرض لشرح المعانى ، وإنما اقتصر على شرح المفردات ، وإلى أنهما

- اليازجين - تركا كثيراً من شعر المتنبي الذي يريان فيه خشكاً لوجه الأدب ، وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلاً ، وهذه منزلة من المزايا قد وفيناها حقها في هذا الشرح ...

على أننا لا نبخس الناس أشياءهم ، ولا ننكر خصائص الطبائع البشرية وما قد يعرفوها الخطرة بعد الخطرة : من الفتور والانتكاس ، وانفلاق الذهن ، وتبدل الحس ، وإظلام البصيرة ، وغرور الروح ، وخمود الذكاء ، حتى لقد يخفى أحياناً على العليم الأملئ وجه الصواب وهو منه على حبل الذراع وطرف التمام - كما يقولون - فيمتسف الطريق ، ويتخبط تخبط العشواء ...

وهذا ابن جني - الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة ، بل فيلسوف اللغة العربية ، العليم بخصائصها ، الطب البصير بدقائقها - تراه في شرحه على المتنبي على الرغم من ذلك ، ومن أنه كان معاصراً للمتنبي - متعصباً له محامياً عنه ، وكان إذا سأل المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول : اسألوا الشارح - يعني ابن جني - . وكان ابن جني يراجع المتنبي في كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذي يغزوه . ورغم ذلك تراه في كثير من المواضع - كما قال الواحدى - وقد تبدل حماره ، وبلغ به عثاره .

وهكذا تتبعنا جميع من تعرض للمتنبي بالشرح أو النقد - كابن فورج ، والعروصى ، والتبريزى ، وابن وكيع ، وابن القطاع ، وابن الأفلح - فوجدت لهم جميعاً بجانب حسناتهم سيئات ، وإلى سدادهم زلات وهفوات .

وهذا حقاً من غريب طبائع البشر ؛ فسبحان من تفرد بالكمال ! !
ولقد وجدت ذلك من نفسى : مع أن الطريق معبد ، والمادة متوافرة ؛ فقد أكون - فى بعض الأوقات - مستعجاً ، نشيطاً ، مهزوزاً . مُرْهَفَ الطَّلْع . مَصْقُولَ الذهن ، صافى الحس ، منبسط النفس ؛ فأشرح ما أشرح - من قوافى المتنبي - فأتى بما أَرْضَى به عن نفسى ، ويعزوفى له من الطرب ما يستخفى ، وأكون

في أوقات أخرى متقبض النفس ، مظلم الحس ، مغلق الذهن ، قدما ، بليداً ، لا أكاد أذهنُ شيئاً ، وأكون مضطراً إلى العمل ؛ فأشرح - وأنا على هذه الحال - بعض الأبيات ، ثم أعود في وقت أكون فيه على جام من نفسى إلى ما شرحت ، وأنظر ماذا قلت ، فأدهش : كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم ؟ وأنهم نفسى ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئاً من هذا نَدَّ به القلم ...

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات ، وأن هذا ينزع في تفكيره نزعة لغوية ، وذلك نزعة نحوية ، وذلك نزعة فلسفية منطقية ، وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخیل ، وأن هذا أصبح تمييزاً من ذاك ، وأنفذ بصيرة ، وأبعد مدارك ، وأصنى نفساً ، وألطف حساً ، وأكثر ألمعية ، إذا أذنت أذناه شيئاً شاء ما ذهنه . فإذا هم أراغوا تأويل بيت من أبيات المعاني الدقاق : تشعبت آراؤهم ، وذهب كلٌّ في تأويله مذهباً قد يباين مذهب الآخر ، تبعاً لتباين قرائحهم ومحصولاتهم ، كما قال المتنبي :

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

وإليك شيئاً يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح في تأويلاتهم لمثل شعر أبي الطيب . ذلك أن المتنبي كان رجلاً ما كرراً باقعة داهية ، فكان من دهائه يعمد إلى بعض المعاني التى سبق إليها فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويعمىها على الناظر فيها ويريفها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطنَ إلى أن غيره أبو عذر هذا المعنى ، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام ؛ لأن تلك طريقته - كما سنبينه - فيجىء البيت متنافر اللحمة ملتاث التعبير ، لا يشف ظاهره عن باطنه ، ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لكأنه ضرب من الرثق ، فيظن بعض الشراح أن هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكده ذهنه ، ويجهد فكره ، ويسافر في طلب المعنى أميالاً وهو لا يفوت أطراف بنائه ، وينضى إليه رواحله ذهنه وهو على حبل ذراعه ، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب ، كما قال المتنبي :

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّبْعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ

وهناك شيئاً يرجع إليه ذلك التعقيد الذي نراه في بعض شعر المتنبي . هو أن أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة في حاب ، وتقع عينه عليهم أنى ذهب - في الشام وفي مصر وفي بغداد وفي فارس - وكانوا له بالمرصاد يتلصسون له الهفوة والمأخذ ، وكان كثير - ممن يمدحهم كذلك - شعراء أدباء - وناهيك بسيف الدولة وابن العميد - فكان لذلك كله - يحتمش لكثير من قصائده ويتعمل لها ، وينتطس في ألفاظه ومعانيه ، ويحتفل ، ويمعن في الاحتفال إلى ما وراء طبعه ؛ فيجىء بعض نظمه كزاً جافاً مقدماً حُرْمَ طُلُوة الطبع ورويقه ، وفقد نصف الجمال الشعري .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفتن إليه أحد ، أو فطنوا إليه ولم يصِفوه ، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذي هو به أليق ، ذلك أن المتنبي - للأسباب التي أساقناها ، ولسبب آخر سنبينه - تراه في أكثر شعره ينقصه التعبير الشعري ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه في الصنعة والاحتفال بالمعنى - وهو أبو تمام .

وإني لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهى : إنما حبيب أبو تمام كالتقاضى العدل : يضع اللفظ موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتحرى في كلامه ، ويتخرج خوفاً على دينه ، وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، كالشجاع الجرىء : يهجم ما يريد ، ولا يبالي ما تلقى ولا حيث وقع ٥١ .

فأنت - إذا نظرت إلى أبي تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة ، وترى المعانى الدقاق وترى الصنعة - من الجناس والمطابقة وما إليهما - وترى - مع ذلك كله -

التعبير الشعري : أى ترى النصاعة والإشراق ، ووضوح المعالم ، واطراد النظام ، وتساق الأغراض ، وإحكام الأداء ، والروعة ، والجمال ، والروح القوى الذى يطالعك من بين فقره ، ومن هنا يفضل أبو تمام : أبا الطيب .

قال ابن الأثير : وهؤلاء الثلاثة — أبو تمام ، والبحتري ، والمتنبي — هم لات الشعر ، وعُزَاه ، ومَنَاتُهُ ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ؛ وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام : فإنه رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شُهد له بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برز فيه على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقيب ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره برائضه ، أطاعته أَعْنَةُ الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، نَحْذِ مِنْهُ فى ذلك قولـه حكيم ، وتعلَّمْ ، ففوق كل ذى علم عليم .

وأما أبو عبادَةَ البحتري : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر ففنى ، ولقد حاز طَرَفِي الرقة والجرالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف فى حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ، مع قربهِ إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، وورق فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي : فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه

خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأنماً ، ولا منه مثلاً : وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، واللاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بمنذر تاركه ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى إليه عيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنْ الْكَرَامَ بَأْسَخَاهُمْ يَدَا خَتَمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفِيدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمَدَ الصَّمِّ

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة : خمس في الغاية التي افرد بها دون غيره ، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه ، غيره وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس في الغاية المتفجرة التي لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولولم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هي التي ألبسته لباس الملام ، وجعلت عرضه غرضاً لسهم الأقوام ، ^١ كلام ابن الأثير .

وقد آن لنا أن نقول : إن هذا الذي يعاب على أبي الطيب ويظن أنه يتخونه ويشينه : هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق .. فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد ، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر ؛ فمن ثم يختلف الشعراء ويمتاز واحد من واحد وتبين طريقة من طريقة وإن تواردوا جميعاً على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول .

ولقد يأتي مائة شاعر بالمعنى الذي لا يختلف في الطبيعة ولا في السياق ولا في الفهم ،

فيدرونه في مائة بيت تكون في مائة ديوان ، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ، وصناعاتهم في أخذه مختلفة ، وترام قد تناولوه بوجوه كثيرة مُتحقق فيه عمل أمرجتهم ، وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجري به في طرق حوادثهم ، كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ^(١) فهو مع هذا قوى ، ومع الآخر جبار ، ومع الثالث ضعيف ، ومع رابع متهالك ؛ وتارة بدين ، وأخرى هزيل ، وثالثة بينهما ، وهكذا . ولولا ذلك لم يكن الكلام إلا تكراراً ؛ وبطل فيه عمل العقل ، وأصبح رثاً بالياً ؛ وزهبع الذاهبين الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر إلا إقامة الوزن ، ولو كان هذا للنسخ لقب الشاعر من الأرض ، ولم تعد للبيان صناعة ، ولا بقيت في القرائح مادة إلهية من الإلهام .

وشأن المتنبي كالشأن في نوابغ الدنيا : فالشاعر النابغة لا يهر بإرادته ، ولا ينبغ بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها ، وإنما هو يولد مُهيئاً بقوى لا تكون إلا فيه وفي أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ - كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد ، أو الذهب على النحاس - ثم تتفاوت هذه القوى في النوابغ ؛ فتتنوع وتباین ، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثم يجتمع لكل منهم شخصية ؛ ويستقل منها بطريقة ومذهب ؛ فإذا تناول معنى من المعاني تناوله على طريقته : فإما حذف منه ، وإما زاد فيه ، وإما غير قلبه ، وإما صبّ على حدوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه ، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقته حسب . فكثيراً ما يقرأ النابغة كلاماً لغيره ، أو يتأمل خاطراً ، أو يشهد أمراً ؛ فإذا كل ذلك قد أوحى إليه وانعكس على مرآة ذهنه بعمان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان

(١) ومن هنا لا ينبغي لك أن تظن حين ترى في شرحنا هذا مثل قولنا — بعد شرح بعض الآيات — : إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر إليه : أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء ، وإنما هو التوليد الذي هو من خصائص النوابغ : وإنما ذكرنا هذه الاشباه والنظائر : هو لتري كيف يكون التوليد . واتخاذ ما يحلو . .

بسبيله وجها من الشبه - لا قريباً ولا بعيداً - وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق ، وهو بعدُ لم يتعمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً ، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدرى ما هي ولا أين هي ؟

وكما يُختار النبي يُختار النابغة - وليس كل الناس أنبياء ، ولا كلهم نوابغ - ولا يصنع النبي أكثر من أن يتلقى عن الوحي ، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهي تكون فيه هو وحده بمقام الملك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين ، على حين تكون في سواه بمقام الإنسان من الناس ، فالرجل الذكي أشبه بإنسانين : أحدهما هو ، والآخر بصيرته ، وهو بذلك أقوى من غيره ، ولكن النابغة - وبصيرته أشبه بإنسان وملك ، أو إنسان وشيطان - فهو دائماً أقوى من القوة ، وهو دائماً متصل بشيء فوق الإنسانية .

وإذا تقرر هذا : فليس للنابغة اختيار فيما يأتي به ، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتبهاً له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبي يأتي أحياناً بالتعقيد المستكره واللفظ المتكلف ، وتراه يتعسف ويتخطب ويُسِف ، ومع ذلك لا ينفي مثل هذا من شعره ولا يحذفه ، وهو قادر على أن يُغْفَى عنه وليس في حاجة إليه ، ولكنه بعض طريقته التي انطبع عليها ، فلا يستطيع حين يحينه الردىء أن يجعله جيداً ، وليس إلا أن يأخذه كما هو ، لأنه هو الذي انبثق له عن الجيد ، كما تضرع النار من مادة . فإذا هي سُكِل ودخان ، ثم تضرعها من مادة أخرى فإذا هي لمب صاف يتألق ؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجيء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معاً .

وهذا سر لم يقن به إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبي ، فاشدّد يدك عليه ، وادرس المتنبي على هذه الطريقة ، فستجده نابغة في جوده ورديته ، وستجده لا يستطيع غير

المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضاً ، لأنه كذلك ألهم ، وعلى ذلك ركب طبعه ، وكان ظلامه ظلاماً لتسطع فيه النجوم .

أما الإفاضة في ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك ، فلا يأتي فيها أحد بمجديد ... وقد أصبح المتنبي - دون غيره من شعراء العربية - كأنه في غير حاجة إلى الترجمة ، إذ هو كالمقطعة من تاريخ الأدب ، فالكلام عنه متداول مشهور ، وهذا بعض ما اختص به ؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ، ولكنك لا تحتاج من أبي الطيب إلا إلى شعره ، وترى شعره ترجمة روحه ، ولذلك اجتزأنا في هذه الكلمة ببيان سره الشعري ، ثم أنت - بعد ذلك - في حقيقة الرجل : أى شعره وشرح شعره الذى تقدمه إليك ...

وبعد ؛ فأما هذا الشرح فلا يلقيْن في رُوعك أنه بدع في الشروح ، وأنه شيء مبتكر جديد ، وهل غادر الشُّراحُ مِنْ مَرَدَمٍ ؟ وإنما كل مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، أو بعد أن خلصت من عَكْرِها خلاص الخمر من نسجِ الفِدام - كما يقول أبو الطيب - وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأى شرح من شروح المتنبي على حدته ، فليس يغنى عنه شرح ، ولكنه هو - بحمد الله - يغنى عن سائر الشروح ؛ فهو كما يقول أبو الطيب :

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

عبد الرحمن البرقرفى

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ

٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

« أما بعد » فلما أُمضيتُ النية - سنة ١٣٤٩ هـ - سنة ١٩٣٠ م - على أن أضع شرحاً على ديوان أبي الطيب المتنبي ، وأخذتُ في معالجة هذا العمل - وكان الناشرُ إذ ذاك يُحْفِزُنِي حَفْزاً ، ولا يكاد يُبْلغُنِي رَفَقاً ، وكان يتناول مني « أصول » هذا الشرح دِراكاً « أولاً بأول » ويقدمه إلى المطبعة نيتاً لم تنضِجْهُ نار التثبت والروية ، وأخيراً تمثل بالطبع ولم يمس على وضعه وطبعه أكثر من عشرة أشهر - لما حدث هذا طَفِقْتُ أَقْلَبُ النظر في هذا الكتاب وَأَعِيدُ الكَرَّةَ ، الخطرة بعد الخطرة ، وكما أنعمت النظر في الشرح بدا لي ما يسوء ويكبد ، ويحز في الكبد ، من أخطاء مطبعية ، وتقصير في شرح بعض الأبيات ، وهنات من هذا القبيل ، شأن كل عمل لم يُتَرَيَّثْ فيه ، ولم يُوفَّ حَقَّهُ من الأناة والتحقيق فلم يك مني إلا أن صححت النسخة التي بين يدي ، وتناولتها بالتنقيح والتهديب ، والحذف والزيادة ، وتداركت جميع المآخذ ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه ، طبع على هذه النسخة .

وما زلت على هذه الحال مستمعاً بالصبر حتى نَفِدَتْ نسخ هذه « الطبعة » ، ولم يك بُدٌّ من إعادة طبع هذا الديوان ، فكانت فرصة جميلة مؤاتية أحييت ميَّة الأمل ، وحفزتني إلى استئناف العمل ، فكان أن وَجَّهْتُ عَزِيمَتِي إلى التوسع في هذا الشرح وجعله شرحاً وافياً من كل نواحيه ، شرحاً أورد فيه جميع تفاسير الشراح ، وأقوال النقاد ، وأستوعب مزايا كل الشروح ؛ وليس ذلك أثراً مني (٢٢ - المتنبي)

واستبدادا بالمتنبى . . ولكنه حب الكمال ، وما يسمونه المثل الأعلى . . . فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق ، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية ، وبعضهم قد جعل وَكَّدَهُ الإعراب وما يتعلق بالآيات من جهة النحو والتصريف ، وآخرين قصرُوا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر . بَيَّنَّا أَنَّ هذه الأشباه - ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العُكْبَرِيُّ ، ومن قبله الإمامان : أبو الفتح بن جنى ، والواحدى تحتاج - هي الأخرى - إلى الشرح والتفسير . . . ورأيت فى بعض عبارات القدامى من الشراح غموضاً يحتمل أن يوضح أو يستبدل به غيره ، مما يؤلم أذهان هذا الجيل . . فكان كلُّ أولئك مما حفزنى إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح . . فكان أن أوردتُ فيه جميع تفاسير الشراح - من متقدمين ومتأخرين - وأقوال نقدة المتنبى - من متعصبين له ومتعصبين عليه - وأكثرت من إيراد الشواهد ، والأشباه والنظائر ، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه . ومن عبارات الشراح ، فضلاً عن تصحيح الأخطاء التى ألت بالشرح الأول ، حتى أربى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة ، وحتى صار هذا الشرح شرحاً للمتنبى ، وشرحاً لشروح المتنبى . . .

على أننى لا أدعى أن الكمال الذى نَشَدْتُ قد تحقّق ، وحسبى أنى لم آل جهداً ، ولم أدخر وسعاً ، وإن كان جُهد المقلِّ ، وغاية المستطيع ؛ ورحم الله العباد الأصفهائى حين يقول : إني رأيت أنه لا يكتب لإنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

« وأما بعد » فلمناسبة هذا الشرح الجديد ، والاحتشاد فيه ، والعمل على جملة مغنياً عما عداه : رأيت أن أتبسّط شيئاً فى سيرة المتنبى - ولا سيما ما كان منها عوناً على معرفة المناسبات والظروف التى قيلت فيها قوافيه - وكذلك رأيت أن أترجم

شرح المتنبي ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح ، وإتماماً للفائدة جمعت أمثال المتنبي
وَحِكْمَهُ وَالْحَقَّتْهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ .

وإنما نترأى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب - ديوان المتنبي وشرحه
ومقدماته - كفيلاً بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي .

وإني أسأله - سبحانه - أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين ،
ويُضْفِي عليه من القبول ما يُعَمُّ به انتفاع المتأدين ، إنه سبحانه بذلك كفيل
وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد الرحمن البرقوقي

١٣٥٧ هـ - سنة ١٩٣٨ م

سيرة المتنبى •

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي البكندى الكوفى ، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى . . الخ ، كما روى الخطيب وابن خلكان ، وروى بعض المؤرخين : أحمد بن محمد . . الخ .

وجعفى جد المتنبى : هو جعفى بن سعد العشيرة من مدحج من كهلان من قحطان ، وكندة التى ينسب إليها ، محلة بالكوفة ، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ .

وكان والد المتنبى يعرف بمبدان السقاء ، يسقى الماء لأهل المحلة ، أما جدته لأمه فهى همدانية صحيحة النسب ، وكانت من صاحبات النساء الكوفيات وكان جيرانهم بالكوفة من أشرف العلويين ، وكان لأبى الطيب منهم خلطاء وأصدقاء .

ولم يذكر المتنبى فى شعره نسبه أو قبياته ، ولا أشار إلى والده أو جده ، وإنما ذكر جدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، فى أشعار منها :

أُمْنَسِي السُّكُونُ وَحَضْرَمُونَا ووالدتي وكندة والسبيعا

وقد روى الخطيب عن على بن الحسن عن أبيه قال : « سألت المتنبى عن نسبه فما اعترف لى به وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوى البوادي وحدى ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطائلة بينه وبين

قام بتلخيص هذا الفصل : هلال شتا ؛ وعدهته فى هذا التلخيص : كتاب دكرى ذ المتنبى ، للدكتور عبد الوهاب عزام .

القبيلة التي أنسب إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني .

على أن المتنبي قد دافع عن نسبه هذا ، في القصيدة التي مطلعها :
لا تحسبوا ربكم ولا طلله أولَ حَيٍّ فراقكم قتله
وإن يكن لم يذكره ، وإنما أشاد بأباه له عظام ، في قصيدته هذه ، وفي مواضع أخرى من شعره ، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته .
ولم يكن المتنبي يُعنى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي ، لا يفخر بقبيلة ، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها ، قال في إحدى قصائد الصبا :

لا بقوى شرفت بل شرفوا بي وبفسي نفرت لا بمجدودي
وقال في رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما

ويقول بعض مؤرخي الأدب العربي : إن بعض شعر المتنبي قد يدل على عصبية يمانية ، فأكثر ممدوحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية ، مدح شجاع ابن محمد الأزدي ، وعلى بن أحمد الطائي ، وغيرهم ، ومدح التنوخيين في اللاذقية . وقال للحسين بن إسحق التنوخي يمدحه - بعد أن هاجم بعض الناس ونسب الهجاء إلى المتنبي - :

أبت لك ذمتي نخوة يمنية ونفس بها في مازق أبدا ترمي

على أن ذلك الذي يكتم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب ، والذي يختلف المؤرخون في تسمية آبائه ، ليس ذا نسب نابه على كل حال ، ثم إن خلط كندة التي ولد بها المتنبي ، بكندة القبيلة ، شيء يحقق خمول نسب شاعرنا الكبير وتفاوته ، وهو - على الرغم من كل أولئك عربي قح ، حريق في عروبه ، فلا يعيبه أن كان من بيت فقير .

أسرته :

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المنبى كان سقّاء ، وقد جهّاه ابن لنكك البصرى لما سمع بقدميه بغداد راجعاً من مصر فقال :

لكن بغداد جاء الفيت ساكنها نعالهم في قفا السقاء تزدحم
وقال شاعر آخر :

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً
علش حيناً يبيع في الكوفة الما وحيناً يبيع ماء الحيا

وروى أن والد المنبى سافر به إلى الشام ، وتنقل به بين حضرها وبأديتها ومدرها ووبرها ، وردده في القبائل .

على أن الثابت الذى ينطق بأن والد المنبى لم يكن رجلاً نابه الشأن - كما يرجح الرواة - أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

أما ولادة المنبى ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجح أنها ماتت في حدثته قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها ، وهى التى تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لها واحترامه الفخم . قال إبان اعتقاله :

يبدى أيها الأمير الأريب لالشيء إلا لآنى غريب
ولأمّ لها إذا ذكرتنى دم قلب فى دمع عين يذوب

وتلك هى جدته التى أخبرنا فى شعره - كما أخبرنا الرواة - أنها ماتت فرحاً بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤنسة . وإنك لو اجد أثرها البليغ فى حياته وسيرته ولامس ثورة نفسه وحزنه عليها فى قصيدته التى مطلعها :

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً فما بطشها جهلاً ولا كفها حِلماً

وأجمع رواية أخبار المتنبي على أن مولده كان في محلة كندة ، إحدى محلات الكوفة ، سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة ، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا النزر الذي لا ينقع غلة ، جاء في الإيضاح أنه « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف الطويلين ، فكان يتعلم دروس العربية شمرأ ولفة وإعرايا » وكان - إلى جانب ذلك - يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم ، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحبه للعلم والأدب ، وقد لزم الأدباء والعلماء وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

ومما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ في المتنبي ، وهي أن أحد الوراقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يوماً ، فجاءه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما ملّ صاحب الكتاب ذلك استعجله قائلاً : يا هذا لقد عطفتني هن يبعه ، فإن كنت تبني حفظه في هذه الفترة القصيرة ، فذلك بميد عليك . قال المتنبي : فإن كنت حفظته فإلى عليك ؟ قال الرجل : أصطيك . قال الوراق : فأسكت الكتاب أراجع صفحاته والفلان يتلوما به حتى انتهى إلى آخره ، ثم استلبه فجمله في كفه ومضى لشأنه .

وروى أن المتنبي صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة هرباً صرماً ، أما مدة إقامته فيها فهي أكثر من سنتين ، قال العلوي : إنه أقام في البادية سنين ، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين . ويرجح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، حينما أغار القرامطة على الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلثمائة عندما عاود القرامطة الغارة وهزموا جيش الخلافة ، وقد كان لذلك أثرٌ بيّنٌ في نفس المتنبي فاض في بعض أحاديثه وأشعاره .

وقد رحل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد . جاء في «الصبح المتنبي» : أن أبا الطيب قال : «وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد» وإن لم يذكر المؤرخون موعد ذهابه إلى بغداد ، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلثمائة فقد جاء في النجوم الزاهرة في حوادث تلك السنة : أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل أهلها إلى بغداد . فليس بعيداً أن تكون هجرة المتنبي إلى بغداد مع الراحلين إليها من أهل الكوفة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المتنبي قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك مرة أو مرات .

وبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبي ، ومن روايات المؤرخين ، أن ثقافة الشاعر العربي لم تكن جماع ما تلقاه في كتّاب الكوفة ، وما أفاده من مصاحبة الأعراب في البادية ، وما تعلمه في بغداد لحسب ، بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى العلماء وصاحبهم ، فدرس على السكري ونفطويه وابن دستويه ، ولقى كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه ، ولقى بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي ، وأبا عمران موسى ، وأنه «طلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حدائته حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره ، وطاول شعراء وقته» .

رحلته إلى الشام :

وكانت رحلة أبي الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، كما يقول المعري في رسالة الغفران : وفي دائرة المعارف الإسلامية : أنه رحل إلى بغداد سنة ست عشرة وثلثمائة ، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام ، ويقول بعض شراح الديوان : إن القصيدة التي مطلعها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر في رأس عين ، وأرجأ قولها إلى أن لقي سيف الدولة

بأنطاكية ، ولا ريب أن مزور الشاعر برأس عين كان في إبان ذهابه إلى الشام ، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ فإن صح هذا ، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثمانى عشرة سنة .

وقد وضع الواحدى في شرحه القصيدة التى أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا والبين جَارَ على ضعفى وما عدلا

فى القصائد الشامية ، أى أنها وما بعدها إلى الكافوريات ، قيلت فى الشام ، أما ما قبلها ، فقيل فى العراق ، وليس ما قبلها بكثير .

ولم يبد شاعرنا الكبير حناناً إلى وطنه العراق ، الذى سلخ فيه ثمانى عشر سنة من عمره ، وإنما ذكره فى بعض قصائده ، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التى حلَّ فيها فاتى خيراً وصحابة ، ويبدو أن وطنه ذلك قد نبأ به ، وضاق بأماله وأحلامه وطموحه .

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكثه به وقوله الشعر ، إلا فى طلب الجدد والسؤدد ورفع الشان ، ولا ندرى أسافر إليها وحده ، أم سافر فى صحبة والده ؟ .

وجدير بنا ، قبل أن نمضى فى ترجمة شاعرنا إبان إقامته فى الشام - أن نلغ إلى الحالة السياسية بها فى هذه الفترة ، لما لها من أثر كبير فى حياة الشاعر وسيرته .

فلقد كانت الشام - على عهد المتنبي - مقسمة بين الأخشيدي وابن رائق ، ثم بين الأخشيدي وسيف الدولة . وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسي . وقد ولى محمد بن طنج على الرملة ، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وكانت حلب فى أيدي ولاية يرسلون من بغداد ، ثم ولى محمد بن طنج مصر أيضاً ثم غزل عنها ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى عهد الرازي بالله العباسي عظم أمير ابن طنج ، فأعيدت ولايته على مصر ،

وامتد ساططانه على الشام كلها ، وخلع طاعة الخليفة ؛ فأرسل إليه ابن رائق ، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب ، ثم دمشق ، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة ، فسير جيشاً يقوده كافور إلى الشام ، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب ، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها ، وفي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة استولى سيف الدولة على حلب ، وبقي الأخشيديون في دمشق .

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومي ، والحسين بن عبد الله بن طنج ، وهو ابن أخي الأخشيد ، وطاهر العلوي ، قال في مساور القصيدتين اللتين مطلعاها :

جَلَّا كَابِي فَلَيْكُ التَّبْرِيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْحُ
(و)

أَسَاوِرُ أَمِّ قَرْنِ شَمْسٍ هَذَا أَمِّ لَيْثٍ غَابَ يَقْدُمُ الْأَسْتَازَا
ويعنى الشاعر بلفظة «الأسْتَازَا» : كافوراً .

وكانت طريق أبي الطيب إلى الشام هي طريق الجزيرة ، فمر برأس عين واتمى إلى مَنبِج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية في الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابي المنبجي — وهي القصيدة التي أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى في مَنبِج وطرابلس وغيرها من بلاد الشام الشمالية .

ولا نحب أن نمضي قُدُماً في سيرة الشاعر ، دون أن نقف بحادثة ادعائه النبوة ، وهي الحادثة التي أثرت أكبر التأثير في صوغ سيرته في كتب الأدب ، لنعلم أحقاً كان ذلك أم كذباً ؟ فإن كان كذباً فلماذا لقب بالمنبجي ؟ .

لا جدال في أن أبا الطيب سجن بالشام في أيام شبابه ، فقد أجمع على ذلك

رواة سيرته جميعهم - كما أنبأ به في شعره - أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بعضهم مع بعض ، وما اختلف فيه أبو الطيب ، مع رواة سيرته ، ويقول الخطيب البغدادي : إن أبا الطيب « لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى حسنى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ، ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهرًا طويلا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ويقول أيضا رواية عن حَاقٍ يتحدثون : « إنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيديّة ، فقاتله وأسرّه ، وشرّد من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبسًا طويلا فاعتل وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره ؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام .

ويروى للمعري في رسالة الغفران : أنه لما حصل في بني عدى ، وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له سقود تبيينوا دعواهم : ههنا ناقة صعبة ، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة في الإبل فتحيل ، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتكرت برهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشى المسحة ، وأنه ورد الحلة وهو راكب عليها ، فمجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وروى كذلك : أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب اقبلت على يده سكين الأقلام ، فخرجه جرحًا مفرطًا ، فقتل عليها أبو الطيب من ريقه وشدها عليها ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعد له أيامًا وليالي ، فقبل الكاتب ذلك وبرى الجرح ، فصاروا يعتقدون فيه النبوة ، ويقولون : إنه كعبي الأموات .

وفي الصبح النبى : أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلاثمائة

فأكرمه معاذ ثم قال له : والله إنك لكتاب خطير تصلح لمناذمة ملك كبير . فقال : ويحك ! أتدرى ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه - وهو مائة وأربع عشرة عبرة - ثم أراه معجزة ، ففزع المطر عن بقعة وقف فيها ، فأصاب المطر ما حولها ولم تصبها قطرة ، فبايعه معاذ ، وعمت بيعته كل مدينة في الشام ، ثم إنه لما شاع ذكره ، وخرج بأرض سليمة من عمل حمص قبض عليه ابن على الهاشمي ، وأمر النجار بأن يجعل في رجله وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف ، وقد كتب أبو الطيب من حبسه إلى الوالي :

يبدى أيها الأمير الأريب الخ

تلك بعض الروايات التي ألصقت بأبي الطيب دعوى النبوة ، وهي روايات واضحة الكذب واهية الأسانيد ، فأما أولها فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحاماً تسبقها وتمقبها دعوى العلوية ، فكأنما صح في ذهن جبهة الرواة أنه تنبأ لجمعوا في رواياتهم مصداق ما سمعوه وصح في أذهانهم ، وأما الثانية فهي رواية عن خلق يتحدثون ، وهذه مقطوع بطلانها مقضى بكذبها ، فأحاديث الخلق دائماً مزوقة الجوانب موشاة الحواشي ، بالكذب القصصى الشيق ، وأما رواية المعري فهي حديث خرافة أيضاً ، لا تقرر شيئاً ، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به ، وذلك شيء بعيد الحدوث ، بل مستحيله أيضاً ؛ فلو أن المتنبي تنبأ فعلاً فمن المقطوع به أن أحداً من الناس لم يؤمن بنبوته ، وأما رواية معاذ فمناطقة بالكذب الصريح والتلفيق البين . لأن فيه قرآناً ومعجزات وتصديقاً بدعوته ، وحديثاً مفككاً يناقض أوله آخره .

والذى يسهل على التصديق ويدخل في نطاق الواقع من أيسر سبيل أن أبا الطيب لقب بالمتنبي لبعض أبيات من شعره ، ولتعاليه وتعاضله ، ففي الديوان قطعة جاء قبها « وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهد من تهوره فقال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك في الهيجا مقامي .
وليس في هذه القطعة إلا المخاطرة ومصالوة الخطوب في سبيل ما يطمح إليه
من المجد والسؤدد ، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات
التي حفلت بها الرواية السابقة .

ويقول الثعالبي : إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته أنه دعا قوماً من رائيي نبله ،
على الحدائثة في سنه ، والفضاضة من عوده ؛ وحين كاد يتم أمر دعوته ، تأذى خبره
إلى وإلى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده .

وهذه رواية معقولة مقنعة مسيرة للمنطق والصدق . وقد روى الثعالبي بعد
ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه وحسن كلامه »
وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ ، وما لا كتبه
الأسن من خرافة قصصية مشوقة .

وروى الخطيب عن التنوخي : « فأما أنا فسألته بالأهواز سنة ٣٥٤ هـ عند
اجتيازها بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا عن معنى التنبؤ ، لأنني أردت
أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابني بجواب مغالط لي وهو أن قال : هذا
شيء كان في الحدائثة » .

ويقول ابن جنى في شرحه : « وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان في صباه
ونكذبوا عليه ، وقالوا له : قد اتقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ
بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، وضيق عليه ، فكتب إليه يمدحه » .

أما رأى ابن جنى في تلقيه بالتنبؤ فهو قوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وذلك رأى يتميل إلى الأخذ به . فواضح من قصيدته في الاعتقال ومطلعها :

أَيَا خَدَدَ اللَّهِ وَرَدَ الْخُدُودِ وَقَدْ قُدُّوَدَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ
إن التهمة التي ألصقت بالمتنبى لم تكن ادعاء النبوة ، وإنما كانت دعوى
أخرى تكشف عنها العقيدة ، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها ، وهي
اتهمه « بالعدوان على العالمين » أى بالخروج على السلطان .

ويصح كذلك أن يكون سبب تسميته بالمتنبى ذلك البيت :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبى ، وفى أيامنا
هذه من أمثال ذلك كثير فى الصحف والمجلات ، فإذا أطلق عليه هذا اللقب
وذاع وسرى فى الناس ، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع
أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب ،
ويسندون فيها إليه ادعاء النبوة .

ونعود إلى سيرة المتنبى فنقول :

كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، أو فى السنة التى بعدها ، ويؤخذ ذلك
من أنه قال فى قصيدته التى أرسلها من سجنه إلى الوالى يمدحه :

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخُرَشْنِيَّ كُشَاءَ أَحْسَ زَيْبِرِ الْأَسْوَدِ

والخرشنى هو : بدر الخرشنى والى حلب من قبل الخليفة العباسى ؛ وثابت
فى كتب التاريخ أن الأخشيد استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلثمائة
بعد أن تركها الخرشنى إلى بغداد ، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح
الخرشنى إلى بغداد ، قبل استيلاء الأخشيد على حلب ؛ فيكون سجنه فى هذه السنة
أو فى التى تليها .

ولقد ثبت أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير

مستقر على حال ، يقصد المملوحين ، فيضيون أمله ، فتشور نفسه ، وتتحكم
كبرياؤه ، ثم يعود فيكبت النفس الأبية ، ويمسك كبرياه بيده ، وتلجته
الحاجة الملحة إلى معاودة المدح . وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلا
بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدي
نائب ابن رائق في طبرية ، ومساور بن محمد الرومي وإلى حلب ؛ وقد لزم
التوخيين وابن عمار زمنا . وأكثر البلاد نصيبا من مدائحه : منبج ،
وأنطاكية ، واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك في طرابلس ، وطرسوس ،
وجبل جرش ودمشق ، والرملة .

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه ، يعرب فيها عن مطامحه
وينفخ ويشور . وهي القصائد التي أبحاث عن آماله وأوخت عن أحلام
نفسه الكبيرة .

ولم يفد أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر ، على كثرة ما بالغ واحتفل .
روى ياقوت في معجم الأدباء : أن المتنبي لما مدح محمد بن زريق
الطرسوسي بقصيدته :

هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجْتُ رَسِيئًا نَمَّ أَقْنِيَتْ وَمَا شَفِيَتْ نَيْسِيَا
وصله عليها بعشرة دراهم . فقليل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو
أم قبيح ، ولكن أزيده لقولك هذا عشرة دراهم ، فكانت صلته عليها عشرين
درهما . وروى الثعالبي : أن عليا بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب ديناراً
حينما مدحه بقصيدته :

بأبي الشمس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا
فسميت القصيدة الدينارية ، وروى كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة

والخسة من الدراهم ، ولكن الذى لا ريب فيه ، أن كبار المدوحين أعطوه عطاء
ضخماً ، يلاثم شعره ومكاته .

ولقد كان المتنبي فى عهده هذا ، يبنى المجد والسؤدد ، ويهتج بالملك ، ويبنى
صروح الآمال الجسام . قال فى صباه :

ومن يبيع ما أبغى من المجد والعلى تساوى الخبايا عنده والمقاتل
وعند ما لاه معاذ الاذق على توعده قال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفي عنك فى الهيجا مقامى

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة
إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك فى شعره فى غير
موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه المريضة ، لام
نفسه وأنها تأنيبا .

والذى يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر
الآمال وطلب المجد والسؤدد ، فى أول قصائده التى يمدح بها كما كان الشعراء
يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك فى قصيدته التى مدح بها على
ابن إبراهيم التنوخى والتى مطلعها :

أحاد أم سداس فى أحاد ليلتنا للنوطة بالتناد

وكذلك فى قصيدته التى مدح بها المفيث بن على بن بشر العجلي ، والتى
مطلعها :

فؤاد ما تسليه للدام وعمر مثل ما تهب للثام

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس
أنه تواعد بقتل المدوحين أيضاً ، وذلك فى قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله
الخصيبى .

وفي شعر المتنبي : أنه حارب في سبيل غايته ، وعارك وقتل ، ولا ندرى متى حارب
ومن قتل ، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح :
ومن يجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والاسطان ، الذي وسع صدره هذه
الآمال الكبار ، كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً ، يقول في إحدى
قصائده صباه :

أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التأكيد
ضاق صدرى وطال في طلب الرزق قياى وقل عنه قمودى
ويقول بعض القصيدة الدينارية :

اغتمنى الدنيا فلما جتها مستقيماً مطرت على مصائبها
ويقول التتالي : إن أبا الطيب كان يحشم نفسه أسفراً أبعد من آماله ،
لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد ، وكان من وفرة مالا في سبيل غايته من
مشقة ، وشح مالتى من مكافأة ، وطول ما عانى ونصب ، يكره الدنيا ومن
فيها ، ويخالها بناسها حرباً عايه ، وليس يغيب عن ذهن ماقاله في تحقير الناس ، من
شعر ممن في الذم . قال :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد
إلى آخر الأبيات .

وليس يخفى أنه كان متعاليًا على الناس ، شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه
على أهل زمانه ، ونحسبه كان محققاً في ذلك ، وإلا لما حفل الناس به
إلى يومنا هذا ، ولما سعى إليه المدحون بدل أن يسعى إليهم . يقول في إحدى
قصائده صباه :

إن أكن معجباً فمعجب عجيب لم يحذق فوق نفسه من مزيد
إلى آخر ما هو من هذا القبيل .

ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يُسنى نفسه بالقول
(٣٢ - المتنبي ١)

دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى الشيخ المجتهد ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص ، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا ، وأوغل في سنى الرجولة الحكيمة ، فتركزت آماله في عقله الباطن ، وراح يعمل على تحقيقها في هدوء ويقين وثقة بالنجاح ، وقد استمر يُمنّي النفس ، ويسيطر أمامها سبيل الأمل الباسم الخلاب ، حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله . فأب صامتاً محتملاً يشكو نفسه مظل الزمان ، ولا يشكو لبني الإنسان ، فهو يرام دونه بكثير .

تلك كانت حالة الشاعر في بلاد الشام ، منذ ألقى بها عصا التسيار ، حتى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه في شكوى الزمان ، قد سار ذكره ونبه شأنه ، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد ، حتى رغب في مدائحهم الأمراء والحاكمين ، فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طنج إلى الرملة ليمدحه - وهو أخو الأخشيدي كما قدمنا - ثم تيسر له سبيل الاتصال بأبي العشائر بن حمدان ، فهد له الوصول إلى سيف الدولة على بن حمدان ، الذي هيا له السمادة والمجد ، وأعاناه على الدخول في زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الأيام خير معين .

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طنج في شعبان سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها ، فامتنع الشاعر عليه ، فأقسم ألا يبرحه ، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يحف ، ثم ركب مع الرسول ، فدخل على ابن طنج فأنشده إياها وهي :

أنا لاثمي إن كنت وقت اللوأم علمت بما بي بين تلك المعالم .

وكان هذا أول شعر المتنبي أجيز عليه إجازة كبيرة . جاء في الإيضاح : « أن المتنبي حدث بأنه أعطى من أجلها ألف دينار ، وقد أقام الشاعر مدة عند ابن طنج ، وفي الديوان غير هذه القصيدة : أرجوزة قصيرة ، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة

أكثرها بيتان ، وقد قيلت قطعتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ ، حين مر الشاعر بالرملة قاصداً مصر وهما قوله :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى وقليل لك المديح الكثير

و

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

ومدح أبو الطيب في الرملة أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى ، وفي شرح المعرى وشروح أخرى : أن ابن طفج سأل الشاعر مدح أبي القاسم مرات عدة ، وألح عليه في ذلك كثيراً فكان يمتنع ، ثم سأله الأمير قصيدة في أبي القاسم بدل قصيدة كان يريد لها لنفسه فرضى أبو الطيب ؛ ولما ذهب الشاعر إلى أبي القاسم ومعه حاشية ، وجده في فريق من أشراف قومه يجلس على سريريه ، وقد نزل لأبي الطيب عن سريريه ولقيه بعيداً ، وأقبل عليه يتحدث ويؤنس ويجلسه على سريريه ، ثم يجلس هو بين يديه ، وقد كان ذلك بدعاً في المدح حقاً ، فلم يسمع أحد قبـل أبي الطيب أن شاعراً جلس المدوح بين يديده ، وهذه القصيدة هي :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب وردوا رقادي فهو لحظ الحباب

ويحمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غلبَ العباسيون على أمرهم ، وأصبح الخلفاء في أيدي القواد والأمرء ، نشأت في قبائل العرب أربع دول : هي بنو حمدان بالموصل وحلب (٣١٧ — ٣٩٤ هـ) وبنو مرداس ، وبنو السيب ، وبنو مريد ، وإنما يعيننا من هذه الدول دولة بني حمدان التغلبيين ، التي أنجبت سيف الدولة الحمداني ، وتنسب هذه العشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بني تغلب ، وهو ابن حمدون بن الحارث

ابن لقمان بن راشد ، يقول المتنبي :

وحدان حمدون ، وحمدون حارث وحارث لقمان ، ولقمان راشد

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠ ، وولى أمراؤهم ولايات كثيرة ، وكان على سيف الدولة الحمداني يملك واسطاً وما حولها ، ثم أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام ، واستولى على حلب وحصص سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة كما تقدم وكانت له وقائع مع الأخشيديين ، وقد استولى على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد ، ثم غلب عليهما ، فأصطاح مع الأخشيديين على أن تكون له حلب ولهم دمشق ، وتزوج بنت الأخشيد ، واستمر له الملك ولذريته حتى أخذه الفاطميون .

وفي تاريخه : أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب ، فكانت له معهم وقائع قبل أن يملك حلب ، فلما استقر له الملك وبسط يده على المدائن كان عليه أن يحصى خمار ملكه ، وأن يناضل عن بني دينه ولفته ، وأن يقيم عرشه على السيوف المسلطة والدماء المراقبة ، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عاماً شوكة وخازة في جسم الروم ، وسيفاً مشهوراً يزود عن العروبة والإسلام . لم تمض منها سنة واحدة إلا كان له فيها حروب ونضال ، فقدّر له النصر مرات عدة ، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩ حتى قارب القسطنطينية وقدّر له كذلك أن يلتقى الهزائم المرة ، وكان شر هزائمه واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب ، فذبحوا فيها وقتلوا تقتيلاً ، ونهبوا دار الأمير وخرّبوها .

على أن سيف الدولة - الذي أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين وخسين وثلثمائة - لم يقعه ذلك عن حرب الروم ، فتأثر منهم واتصر عليهم في السنة التالية .

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعاً في انتصاره وهزيمته معاً ، ماضى

العزيمة ، عظيم البلاء ، وقد توفى في حلب سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ودفن في ميفارقين .

وأضاف فتي الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرمًا وسماحة بالغة ، فكان مقصد العلماء والأدباء والشعراء ، وقبلة آمالم ومحط رحالم ، فيروى أنه لم يجتمع بيباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع بيبابه من شيوخ الشعر والفحول الأدب والعلم .

ومن قصده من الشعراء - غير أبي الطيب - أبو فراس ، وأبو العباس النامي ، وعلى بن عبد الله الناشئ ، والسرى الرقاء ، وكثيرون غيرهم ، وبلغت مدائحه عشرات الألوف من الأبيات ، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجمعوها في كتاب ، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضًا منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي ، وأهداه أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني فأعطاه ألف دينار ، ولجأ إليه كذلك الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابي وعاش في كنفه ، وكان سخاؤه يشمل من بعد عنه ، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع ، وتقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد .

و بارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصداً أنطاكية ، ماراً ببيطبك ، وكان فيها على ابن عسكر ، فخلع عليه ، وسأله أن يقيم عنده ، فمدحه بأربعة أبيات ورحل إلى أنطاكية فمدح فيها أبا العشائر بالقصيدة التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى ، وأنشأ في أنطاكية كذلك أرجوزة أولها :

ما للمروج الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

وذلك عند ما شهد الناج يكسو أديم الأرض ويفشى الربا والوهاد .

وأثناء إقامته في أنطاكية ، أغار عليها بانس المؤنسي - قائد الأخشيديين -

وفوجيء أبو العشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب ، فقال المتنبي قصيدته :

إذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
ثم رجع أبو العشائر إلى أنطاكية ، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة ،
فلما سمع بقدمه خرج يقصده ، فلما غدا بطرابلس أراد إسحاق بن كيغلغ
على مدحه - وكان جاهلا - وكان بعض الناس قد أغروه به ، وقالوا : إنما يترك
مدحك استصفاً لك ، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح
أحدًا إلى مدة ، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضى المدّة ، فهجاه أبو الطيب بقصيدة
أملأها على من يثق به ، ولما ذاب الثلج عن لبنان خرج إلى دمشق ، واتبعه
ابن كيغلغ خيلاً ورجلاً فأهجمزم ، ثم ظهرت القصيدة ، وقد أقذع فيها المتنبي
وأخش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة .
ولما بلغ الشاعر أنطاكية ، لقي أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثمانى قطع .

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى بمدوحه الكبير ، وأن يمتزج تاريخهما
على مر العصور والأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان والياً على أنطاكية
من قبل سيف الدولة ، فلما قدم الأمير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ،
قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح
الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض
بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت مما تميز به المتنبي على الشعراء
جميعاً ، ومما أوحى به إليه نفسه الطموح التي لا تقبل الهوان ، فقد تموّد
أن يتخذ من مدحيه أصدقاء له وصحاباً . وكان سيف الدولة سميح النفس
كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقاً صدوقاً ، وأن يكون
هو له نعم الصاحب أيضاً ، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بآثره ،
ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هو الأمير العربي الذي يحسد

بدرره النوالى وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذى يبنى مصاحبته شاعر
اللفظ والبيان ، قال المتنبي :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجد كلانا رب المعانى الدقاق

وقال :

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه فإنك معطيه وإنى ناظم
وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات ، نظم فيها اثنى عشر وخمسمائة
وألف بيت ، فى ثمانٍ وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع
عشرة قصيدة فى وصف وقائعه مع الروم ، وأربع فى وقائعه مع العرب ، وخمس عشرة
فى المدح المجرد عن وصف الوقائع ، وخمس فى الرثاء ، ومن القطع اثنتان فى حوادث
الروم ، والباقي فى مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا قصيدة :

ذكر الصبا ومراتع الأرام جلبت حمى قبل يوم حمى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ، وألحقها
بمدائح سيف الدولة ، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها فى ذلك
التاريخ ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصديق ذلك ،
مرتكناً على أسباب وجيهة ، يراها القارىء فى كتابه عن المتنبي الذى اعتمدنا عليه
فى تلخيص هذه السيرة .

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين ، وعزاه عن أخيه بأخرى ،
وذلك بعد أن رجع إلى العراق .

وكان سيف الدولة يقد على شاعره أئماً إغداق ، ويكرمه ويبالغ فى العطف
عليه وإكبار شأنه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير
ذلك عطايا أخرى ومكافآت . قال المتنبي قطعه :

موقع الخليل من نذاك طفيف ولو أن الجياد فيها ألوف

حين سأله الأمير عن فرس يرسله إليه ، وقال قطعتة :
اخترت دهماً تين يا مطر ومن له في الفضائل الخير
حين خيرته في فرسين ، إحداها دهماً والأخرى كيت ، وقال قطعتة :
فعلت بنا فعل السماء بأرضه خلع الأمير وحقه لم نقضه
في خلع أنفذهما إليه ، وقال قطعتة :
أيا رامياً يُضَيّ فؤاد مرامه تربى عداه ريشها لسهامه
وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير في معرة النعمان ، وجاء في الشروح ذكر
لهذا إجماعاً منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما .
وينطلق شعر المتنبي في سيف الدولة ، بالنبطة والرضا ، ويفيض بالشكر
الأوفر ، يقول :

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه
وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الكريم ، وطاب له زمانه ، فسكت عن
حديث الثورة والقتل الذي غمر شعره الأول وفاض في كل قصائده إلا قليلاً ، وكان
يصحبه في أغلب حروبه ، فتسكن من وصفها وصف الشاهد كما بين في الديوان .
ثم . . . ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين ، وأن يتم ما خطه
في أم الكتاب . . . وذلك بعد ثمانى سنوات لبثها الشاعر في كنف الأمير كانت
أولى قصائده مدحه فيها :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت آخر قصيدة في سنة خمس وأربعين
وثلثمائة وهى .

عقبى اليمين على عقبى الوجى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم
وأما سبب فرقة الصديقين فهو حشد أكل قلوب شعراء سيف الدولة
والمحيطين به غير أبي الطيب ، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعاً بالشاعر

للمتعالى الذى لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستعجلها أشهراً طويلاً .
أجل : فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كثر ينشدون الخير والنعمة ، وكانت
شمس المتنبي غالباً على شمسهم ؛ فلا غرو أن ينقموا عليه ويحسدوه ، سيما وهو
المتكبر للمتعالى ، الضارب فى ذرى الأنفة والكبرياء ، الفخور بشعره ، والمتفرد
وحده برضى الأمير وإيثاره . وذلك الشاعر الذى يقول :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول

لا يستطيع أن يلقى من شاعر آخر حباً أو وفاء أو إخلاصاً .
على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينقمون عليه كذلك ويحسدون مكانته
عند الأمير وعظمته بين الناس . قال المتنبي :

أزل حسد الحساد غنى بكيتهم فأنت الذى صيرتهم لى حسداً
ولا مراة فى أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبى الطيب فبيتوا له المكائد
وناصبوه العداة ، يقول الشاعر العملاق :

وفى كل يوم تحت ضنبى شويعر ضيف يقاوينى قصير يطاول
ويقول غير ذلك كثيراً بين يديك فى صفحات الديوان .

هذ ، وكان سيف الدولة مفرماً بشعر أبى الطيب ، يود أن يسمع كل يوم قصيدة
له فى مدحه ، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد فى كل سنة أو خمساً غير القطع ،
فكان الأمير ينضبط عليه . فنحن نرى فى الديوان قصيدة قيلت فى جمادى الآخرة
سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة ، وبين
التاريخين زهاء خمسة أشهر ، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر
فى اثنتين عن تأخير مدحه :

وجاء فى الصبح النبى : أن أبا فراس قال للأمير : « إن هذا المتشوق كثير
الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن
أن تعقد مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » .

وفي شرح ابن جنى : « وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه ،
وأكثر أذاه ، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما
لا يحب ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء ، فيزيد ذلك في غيظ سيف
الدولة . . الخ »

وقويت النفرة بين الرجاين ، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة :

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن يجسسى وحالى عنده ألم
وقد اضطرب المجلس عند إنشاده هذه القصيدة ، وثار حاشية الأمير مطالبة
بدمه ، فرخص الأمير في ذلك ، حتى كاد الشاعر يهلك . يقول الشاعر
في السامري - وهو أحد كتّاب الأمير ، وكان قد طالب بدمه - :
أسامري ضحكة كل راء فطنت وكنت أغبي الأغبياء
إلى آخر الأبيات .

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقي عناء كبيراً من رجال سيف الدولة : وقد
أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئاً ، وأرسل أبو العشار
جماعة من غلامه وقتت في سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى
وفي ذلك يقول :

ومنسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حنيف

ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستخفياً فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير ،
فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء ، وكتب الشاعر الأبيات :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا

فداه الوري أمضى السيوف مضارباً

ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يوماً ودخل على الأمير
نفلع عليه ورحب به وسأله عن حاله ، فقال : رأيت الموت عندك أحب
من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله بقاءك ؛ ثم ركب الشاعر وأتبعه

الأمير هدايا فقال القصيدة :

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل
دعا قلباه قبل الركب والإبل

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك ، فقد أشار إليه في القصيدة :
دروع لملك الروم هذى الرسائل يرُدُّ بها عن نفسه ويشاغل
وتبرم في قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب
وقد صرح الشاعر بكل ما في نفسه بعد أن رحل إلى كافور ، وفي قصائده التي
مدحه بها تعريض بسيف الدولة والمحدثين ، يراه القارىء واضحاً في الديوان ؛ من
ذلك قوله لكافور :

حيبتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكُن أنت وافيًا
على أنه لم يشأ أن يخفى ذلك عن سيف الدولة نفسه ، فقد صارحه به في
القصيدة التي أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته ، وذلك بعد أن مدحه
بقصيدتين ، وهى :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعا لأمر أمير العرب
من أجل ذلك فارق المتنبي سيف الدولة ، ولو أنه من المعقول أيضاً أن تكون
آماله الواسعة في السلطان هى التي حملته إلى مصر ، يبنى ما عثر عليه في رحاب بنى
حمدان . ويقول ابن جنى : إن المتنبي قد اعترف بأن قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم
كانت وداعاً . . . وياله من وداع .

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المتنبي بعد مبارحته إياه ستكون مصر ، فقد استأذنه الشاعر في الرحيل إلى إقطاعه فأذن له ، وكان أبو الطيب يبيت في نفسه أمراً : أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة ، وأن ينشد بابا آخر غير بابيه . جاء في شرح المعري « فأجمع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلداً يأوى إليه أولى من دمشق ، لأن حصص من عمل سيف الدولة » وقال في الصبح المنبى ما يقارب ذلك . وواضح من هذا أن المتنبي لم يرض أن يستأذن سيف الدولة في الرحيل خوف ألا يأذن له ، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له . وقد يكون المتنبي أوجس خيفة من بطش الأمير ، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذي عرض بفدرة - بعد - في إحدى الكافوريات وسار المتنبي من حلب إلى دمشق ، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمداني إلى مملكة أبي المسك كافور الإخشيدي . وقد لبث الشاعر في دمشق مدة ، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر ؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث في دمشق متسلكتاً لا يريد الذهاب إلى كافور ، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب ، وهم بذلك يضعون مقدمة للهجاء المرة الذي هجا به الشاعر كافوراً بعد أن مدحه خير مديح . . ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصداً أبا المسك كافوراً دون غيره ، ولذلك يروى أن والي كافور على دمشق أراده على مدحه - لما كان نازلاً ببلده - فلم يرض ذلك . وثابت أن أبا الطيب - لما نزل الرملة في طريقه إلى مصر ، ولقي فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طنج - لم يقل فيه مدحاً ، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما ، وهما :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى وقليل لك المدح الكثير

(و)

ماذا الوداع وداع الوامق الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

وكن قد مدحه من قبل ، ويفلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحداً قبل كافور وهو في طريقه إليه ، وأنه كان سائراً إلى هناك عن عمد ، ونية مبيتة وأمر محزوم .

فأما كافور الأخشيدي هذا ، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه في لحظة خاطفة ، وهو تاريخ لا نخل القارىء إلا عالمًا به .

هو مولى أسود كان لمحمد بن طفج الأخشيد ، ومحمد بن طفج كان والياً من قبل المقتدر بالله العباسي على دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، ثم ضم إليه الراضى بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ولقبه بعد ذلك « الأخشيد » واستتب الأمر له ولذريته في مصر إلى عهد الفاطميين .

ويقول صاحب النجوم الزهراء : إن الأخشيد اشترى كافوراً بثمانية عشر ديناراً من بعض رؤساء مصر ، وأعتقه ، ثم رقاها حتى جعله من كبار القواد ، لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير . ولما أضحى كافور قائد الجيوش الأخشيدي حارب ابن رائق ، ثم سيف الدولة في الشام ، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره في مدحه لمساور بن محمد .

وعند ما توفى الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر . وقد ظن سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق ، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة ، ولكن كافوراً - وكان الحاكم الفعلى - سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب ، ثم اصطالحا ، فأخذ سيف الدولة حلب ، وأخذ أنوجور دمشق . وتوفى أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، فاجتهد كافور في أن يبقى الأمر لبني الأخشيد ، ونجح في ذلك ، إذ نال من الخليفة المنيع لله تولى لعل بن الأخشيد مكان أخيه ، على أن على بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وبقيت مصر أياماً بغير أمير - وكان أمرها في يد كافور - فاتفق أعيانها على تأميره ،

فأصبح بذلك هو السلطان - اسماً وفعلاً - حتى توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن حكم مصر وقسماً من الشام اثنتين وعشرين سنة .

وكان كافور الأخشيدي داهية في السياسة ، شجاعاً حكيماً ، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً ، ويقال : إنه هو الذى أخر غزو جيوش المعز لمصر حتى مات ، نغلى لها السبيل ، وإن حرّمه وكياسته جعلت منه سياسياً قديراً ، وداهية خطيراً ، وكان له - إلى هذا - بصير بالعرية والأدب ، وكان محباً للعلماء والأدباء ، يقرب الشعراء ويمجّزهم ، وكان ديناً متواضعاً ، سخياً كثير المبرات والخلم والعطايا والصدقات .

ولا بأس من أن نقول إن كافوراً الذى عرفه التاريخ السياسى ، غير كافور الذى عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب ؛ فن هؤلاء من صورته فى أقبح الصور ، متأثراً بما لطخه به أبو الطيب من صفات أدوّعها كل نقمة وبفضاء ؛ فن الخير أن نعرف الرجل على حقيقته ، ولا ننكر عليه مكائده وفطنته وكفايته ، لنسير فى سيرة شاعرنا - بعد ذلك - سير المحاييد غير المحابى أو المتجنّى .

وقدم أبو الطيب مصر فى جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها فى ذى الحجة سنة خمسين وثلثمائة ؛ وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته :

كنى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنساي أن يكن أمانياً
وختم مدائحه بقصيدة أنشدّها سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها أربعة أشهر وثلث سنين مدح فيها التنبى كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت ، وهو ربيع ما مدح به سيف الدولة .

وكانت بنية أبي الطيب من ذهابه إلى أبي المسك ، أن يقطعه ضيعة أو إمارة ، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب ، وأملة تبخر وطواه الهواء - وسبيين كل ذلك بعد - وظاهر في مدائح أبي الطيب الأولى لكافور ، أنه لم يكن كارها لمدحه ولا مسوقا إليه عن رهبة أو مثلها ، فهو يكشف في أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذي غدر به ، وهو سيف الدولة ، وعن أمله الواسع في صديقه الجديد كافور ، وقد رضى الوقوف بين يديه مبالغة في تعظيمه وإبتغاء معوته . ولن ننسى أن نقول إن كافوراً عندما نزل أبو الطيب في مصر أخلى له داراً وكفله وأضافه وخلع عليه . وفي هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بنى حمدان في مواضع مختلفة ، وأطنب في مدح أبي المسك ، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يخفيها ، يقول :

إذا كسب الناس المال بالندى فإنك تعطي في ندادك المعاليا
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا
وفي الشهر التالي قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنئ بها كافوراً بدار بناها ، وهي التي أولها :

إنما التهنئات للأكفاء ولن يدنى من البعداء
وأنا منك لا يهنئ عضو بالمرات سائر الأعضاء
وتلك كانت طريقة المتنبي في المدح ، لا يفضل نفسه والإشادة بها ، وإشراكها مع المدوح فيما يفتقد عليه من صفات طيبات .
وفي هذه القصيدة يقول الشاعر :

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء
ويقول المعري : « ولما أنشد أبو الطيب حلف ليلفغه جميع ما في نفسه ، وإنه لا كذب ما يكون إذا حلف » .

ثم بعد شهرين ، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته :
من الجآذِر في زى الأعارب حمر الحلى والمطايا والجلأيب
وفيها يقول أيضاً :

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمتن على آثار موهوب
ثم أنشد الشاعر كافوراً فى عيد الأنهى قصيدته الرابعة :
أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

وفيها بين الشاعر عن آلام نفسه ، لأنه قصر عما ينتفیه ، وبدأ بالشكوى الخفية
والبيننة من مطل أبى المسك . ولا ريب أن كافوراً كان قد وعد الشاعر فطلا
بولاية ، فهو هنا يستنجزه وعده ويسأله أن يجره فيقول :
ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق القول وعده

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة ، وكان فرس
المتنبى قد جرح فحزن عليه . فتبين كافور ذلك وأرسل له فرساً أدهم ،
وأول القصيدة :

فراق ومن فارقت غير مذم وأُمّ ومن يَمْتُ خير ميم
وفى هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة ، وذكر الحمدانيين بالخير ،
كأنما ضاق بكافور روعده ، وفى آخرها يقول :

ولو كنت أدرى كم حياى قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ثم قال : الشاعر بعد ذلك قصيدة حكمة مدح فيها كافوراً ، وذلك إثر شقاق
قال بين أبى المسك وبين الأمير أنوجوز انتهى بالصلح .

على أن حال أبى الطيب لا يطيب لها أن تسير فى طريق واحدة أو تستقر
على وتيرة ، فها هو يمل انتظار بغيته ، ويطلق الكيل فلا يستطيع اصطبارا

وها هو يقول - بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستائة دينار ذهباً صلى أن تلميه عن رجائه - قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وذلك في عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، أى بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين ، وفي هذه القصيدة - كما بين من الديوان - يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافوراً ، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بنى حمدان ، ثم يحتجها بمدح كافور لعله بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها .

وهنا أخذت النفرة بين الرجلين مظهرًا واضحًا ، فقد سكت الشاعر عن المديح ، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وإن ولا متمهل ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده ، وذلك أن كافوراً كان قد ولى شبيباً العقيلي الخارجى عمان والبلقاء وما يليها ، فخرج على كافور وسار إلى دمشق في جيش كثيف ودخل المدينة ، وفي غمرة من المهرج والمرج ألنى شبيب ميتاً ، فارتاع جيشه ، وهرب جنده وتفرقوا ، ولم يعرف الناس كيف مات ، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا في شعره فقال قصيدته التي مطلعها :

عدوك منموم بكل لسان وإن كان من أعدائك القمران

وذلك في جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وإنك لو اجد - من قراءة القصيدة - أن الشاعر الذى سكت عن مدح أبى المسك ثمانية أشهر ، ثم تقيه في هذه القصيدة ، لم يكن مادحاً ، وإنما كان كمن يقصد الهجاء وكأنما أراد أن يؤبّن القتل ويرثيه بدل أن يقتبط لمقتله .

ثم انقطع المتنبي بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبى المسك سنة وأربعة أشهر ، وأصاحبه في أثناء ذلك حُصًى فقال قصيدته :

(٤٢ - المتنبي ١)

ملومكما يحل عن الملام ووقع فعّاله فوق الكلام
وقد عرض فيها بكافور وبخله ومنعه عن الرحيل عن مصر ، وأعجب بها أهل
مصر برغم أنها ساءت كافوراً لما بلفتته .

وفي أثناء ذلك أيضاً اتصل المتنبي بأبي شجاع فاتك الملقب بالجنون ، وقد كان
روميا وأسروربي في فلسطين ، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه
صاحبه ، فكان معه في عدة الممالك ، كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد المهمة ،
ويقول المعري : إنه كان في أيام كافور مقبياً بالقيوم ، أنفة من الأسود وحياء من
الناس أن يركب معه ، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها ، وأن
أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكا كان يسأل عنه ويراسله بالسلام ،
وأنه لما لقي أبا الطيب في الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها
هدايا بعدها ، ويقول ابن خلكان : إن القيوم كان أقطاعاً لفاتك ، وإن أبا الطيب
كان يسمع بكرمه وشجاعته ، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور ، ثم استأذن
كافوراً في مدحه فأذن له ، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك
والأستاذ كافور .

ويظهر أن الشاعر لم يرغب في مدح فاتك مع ما بينه وبين كافور من المنافسة-
إلا ليأسه من أبي المسك ، وقد مدح أبو الطيب فاتكا في جمادى الثانية سنة
ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال
وفي هذه القصيدة تعريض بكافور .

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور ، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهراً كاملة ،
وبعد أن قال قصيدة الحمى التي تقدم ذكرها ، وبعد أن تعرض لكافور في مدح
فاتك ، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبي الطيب إلى مدح كافور كانت خارجة

عن إرادته ، فقد طالبه كافور بذلك فلم يستطع إلا إجابته ، وقد يكون تطلع كافور إلى مدح الشاعر قد أحيأ في نفسه الرجاء فعاد يلقي آخر سهم ، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب ، وأما القصيدة فهي :

مُنَى كُن لِي إِنْ الْبَيَاضُ خَضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله ، وعن وعد كافور له في غالب أبياتها ، ويمدحه فيها باثني عشر بيتاً .

ثم بقى أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنة وشهرين دون أن يمدح كافوراً فإما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لثلا يوحشه ، وكان الشاعر ضيف كافور مدة مقامه في مصر ، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه .

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبي في كافور ، أنه لم يكن يبغى منه مالا نخسب ، بالفا ما بلغت قيمة ذلك المال ، وإنما كان يبغى ضيعة أو ولاية كما تقدم ، يقول :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشَفْلُكَ يَسْلُبُ

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافور فوق ما أعطاه ، ألوفاً مؤلفة ، ونخسب أن كافوراً لم يدبر بذهنه أن يقطعه هذا الذي يريد ، وإن كان يعده ويمطله فذلك شيء من التلطف والمداجاة ، وقال بعض الشراح : إنه قال لأبي الطيب : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فن يطيقك؟ » ولا نخاله قال ذلك ، وإن كان من السهل أن يفكر فيه ، ويقول بعض الشراح أيضاً : إن كافوراً كان ينوى إقطاعه ما يريد ، وقد حلف له بذلك ، ولكن أموراً بدرت من الشاعر لم تلق رضاه ، منها أنه ذكر سواده في قصائده ، وكان كافور يكره ذلك غاية الكراهة ، ولا نظن ذلك سبباً

معقولا ، فقد ذكر الشاعر سواد المملوح في مواضع طرب لما كافور واحتزّ لها
وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه ، فلو أدرك منه امتعاضاً من هذا لما كرهه
في قصائده بعد ذلك .

وليس بعيداً أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه في طلبه ومداومته على
التذكير بالوعد في لغة يصح أن تسمى توبيخاً وتأنيباً ، فصح في عزمه ألا ينيله طلبته ،
ثم إن تمادى الشاعر في أشباه ذلك ، وراثته لشبيب في القصيدة التي تقدم ذكرها ،
وتعريضه بكافور في قصيدة الحمى ، ومدحه لقاتك - كل أولئك كان سبباً في أن
يخيب أمل الشاعر في بيته ، وأن يحمل بينه وبينها سداً ، وكانت صراحة التنبؤ
وعلو نفسه ، يأيان له إلا أن يقول ما يحول بخاطره ، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال ،
داخلاً في نطاق التوبيخ ، لا الاستعطاف والطلب الدليل .

ومما كان له أثرين في خيبة الشاعر في أمه في كافور ، أنه لم يشأ أن يمدح
الوزير ابن الفرات ، كما مدحه شعراء آخرون ، ليكون له عوناً يساعده على بلوغ
غايته ومبتغاه ، وكان الوزير ابن الفرات هذا ، وزيراً خطيراً من أسرة وزراء ومحدثاً
أديباً ميالاً لأهل العلم والأدب .

وكان أبو الطيب في آخر مقامه بمصر ، يود الرحيل ويبغى الفكاك من ذلك
النطاق المضروب ، فلقد طللنا ردد ذلك في قصائده ، وقد طللنا تبرم بمطل كافور
وضاق به ذرعاً . . ولكن كافوراً كان يمسكه عن الرحيل ويضع حوله العيون .

وليس خافياً أن كافوراً - لما نزل الشاعر بمصر - أنزله داراً ، وأغدق
عليه من ماله وأغرقه في عطائه ، وقد حسب أن ذلك يكفيه ، فلما طالبه
الشاعر بولاية أو ضيعة ، وعده إجابة طلبه ، ثم خاف كافور الشاعر ، حين
أدرك علو نفسه ، ولمس بُعد أمانيه ، وعلم ما حبل به ماضيه من حبس وأدواء

النبوة وما إلى ذلك ، وقد أدرك القارىء أن الشاعر بدأ يستعجل الوعد ، ويندد بالمطالة ، بعد بقائه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير ، وأدرك كذلك أنه سكت عن مديح كافور - بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة - سنة وشهرين ، وأنه ذكر الرحيل في شعره مراراً عدة ، كأنما كان كافور يحرص على ألا يفوته ، ابتغاء مدحه من ناحية ، واتقاء هجوه من أخرى . . . بل إنه لمن الثابت أن كافوراً منعه عن الرحيل منعاً ، ففى هجاء الشاعر له من بعد ما ينطق بذلك فى صراحة وبيان ، وجاء فى شرح المعرى وشروح أخرى : أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه فى المسير إلى الرملة ليتنجز مآلاً بها ، وأراد أن يعرف رأيه فى مسيره فأجابه : لا ، والله ، أطال الله بقاءك ، لا تكلفك المسير ، ولكن نفذ رسولا يأتيك به ، فلما قرأ الجواب قال : آياته التى أولها :

آخلف لا تكلفنى مسيراً إلى بلد أحاول فيه مالا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذى لقيه بمصر ، ولم يطق بعده اصطباراً ، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع ، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبى شجاع فاتك ، الذى اتخذه صديقاً مؤناً طوال مدة بقائه بمصر بعد سكوته عن مديح كافور ، وكانت وفاة فاتك فى شوال سنة خمسين وثلثمائة ، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبر لرحيله ، جاء فى شرح المعرى وشروح أخرى « وقد أعد كل ما يحتاج إليه على صرا الأيام فى لطف ورفق ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة فى المقام ، وطال عليهم التحفظ ، فخرج ودفن الرماح فى الرمل ، وحمل الماء على الإبل فى الليل من النيل لعشر ليال ، وتزود لمشرين » .

وفى ليلة عيد الأنهى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التى مطلعها :

عيد بأية حال علت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وقد هجا فيها كافوراً هجاء مرأ ، وعرض يامساكه إياه عن الرحيل .
وقد اتهم أبو الطيب غفلة كافور وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن ،
وهم بأخذ طريقه التي بَيَّت سلوكها . ولما اجتاز أبو الطيب بلبس نزل على عبد
العزیز بن يوسف القيسي فأضافه وأكرمه وسيره . وقد كتب إليه الشاعر أبياته
التي أولها :

جزى عرباً أمست بلبس ربهما بمسعاتها تقرُّ بذاك عيونها
وكان الشاعر يعرف عبد العزیز من قبل ، وله فيه أبياته الثلاثة التي أولها :
لئن مر بالفسطاط عيشى فقد حلا بعبد العزیز المـاجد الطرفین
ولا ريب في أن كافوراً ثار لما بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد ،
ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله وتوجس خيفة من هجائه المر الذي سوف
يلحق بعضه بمضاً . ويقول بعض الرواة : إن كافوراً أتبع الشاعر بالخليل والرجل ،
وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطرق .

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجدة الطبر حتى خرج إلى مساء يعرف
بنحل بعد أيام ، فلقى عنده في الليل ركبا وخيلا صادرة عن كافور فأخذهم
وتركهم ، ولما قرب من النقاب رأى رائدين لبني سليم على قلوبين ، فركب
الخليل وطردهما حتى أخذهما ، فذكر له أن أهلها أرسلوهما رائدين ، فلما
أمنهما استبقاهما ورد عليهما متاعهما . وسار معهما حتى توسط بيوت بني سليم
آخر الليل ، فأكرمه ملاعب بن أبي النجم وذبح له ، ثم غدا فصار إلى النقع فنزل
ببادية من معن وسُنُبُس ، وهناك أكرمه عفيف المعنى وذبح له . ثم غدا من عنده
فسار يومه وبعض ليلته ، وعند الصباح دخل حِسَى . وهي أرض طيبة خصبة ،
وبها جبال شاهقة .

وكان بنو فزارة شاتين بها ، فنزل الشاعر بقوم من عدى فزارة ، وطالب له
المقام فلبث شهراً . ثم ظهر له فساد عبيده - وكان كافور قد كتب لمن حوله

من العرب ووعدهم - فأنفذ رسولا إلى فتى من بنى فزارة ثم من بنى مازن ،
وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار . ثم سار إليه في الليل ، والقوم لا يعلمون
رحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس
الصوان فتوقف ، وأنفذ رسولا إلى عرب بين يديه . وأراد أحد عبيده أن
يخونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف ، وأمر الفلمان فقطعوه ، وفي ذلك العبد
قال أبو الطيب :

أعددت للغادرين أسيافاً . . . الخ
ويقول ارتجالاً في هجاء وردان :
إن تك طيء كانت لثاماً فالأثمهم ربيعة أو بنوه
إلى آخر الأبيات .

وكان رسول أبي الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التي طلبها ،
فسار على بركة الله إلى دومة الجندل ، وذلك لإشفاقه من أن تكون
عليه عيون بحسنى تعلم أنه يريد البياض . وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث
ليال ، ولما توسط الشاعر بسيطة - وهي أرض بقرب الكوفة - رأى بعض
عبيده ثوراً ، فقال : هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامه ، فقال : هذه نخلة ،
فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدى حيارى
إلى آخر الأبيات .

وورد العقدة بعد ليال ، واجتاز بيني جعفر بن كلاب وهم بالبرية فبات فيهم ،
ثم دخل الكوفة في شهر ربيع الثانى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .
ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق المعهودة ، فقد سار
« على الحلال والأحياء والمنافوز الجاهيل والمناهل الأواجن » كما يقول صاحب

الإيضاح ، وهو بذلك يؤيد ما ادعى في شعره من الجرأة والدربة على الأسفار بالليل والنهار .

وكانت أولى قصائد الشاعر في الكوفة هي التي أولها :
ألا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدبي

وقد عدد فيها المواضع التي مر بها في سيره ، ونجر ، وهما كافوراً .. وقد استغرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر . وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة .

ولم يستطع الشاعر - وقد بارح الديار المصرية - أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك ، ولا أن يحمر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده ، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نعمة على كافور وكرامة وبغضاء . وقد رثى فاتك في ثلاث قصائد .
أنشأ أولها بعد خروجه من مصر وأولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والسمع بينهما عصى طبع
وأنشأ ثانيتهما في الكوفة ، وقد أخرج تقاحة من الند عليها اسم فاتك ، وأولها :
يذكرني فاتكا حلمه وشيء من الند فيه اسمه
وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخسين وثلثمائة ، بعد خروجه من بغداد ، وأولها :
حتم نحن نساوي النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم

وشاء الشاعر أن يهجو كافوراً أقذع الهجاء ، وأن يطلق من صدره جنوة مشتعلة من النعمة البالغة ، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغي ، ولأنه وعده فأخلفه ، ولأنه حبسه عن الرحيل ، ولأنه - في كل ذلك - أهله لثماته الأعداء والحاسدين .

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد - تضمنت أغراضاً أخرى - هجاء كافور

وهى قصيدة العيد التى تقدم ذكرها ، والقصيدة التى وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة ، والقصيدة العينية التى رثى بها فاتكا ، وقد تقدم ذكرها أيضاً . ثم ضمن هجاءه كذلك ، القطعة التى رثى بها فاتكا حين أذكرته به تفاحة الند .

وخصص الشاعر غير ذلك - لهجاء كافور - ست قطع فيها أربع وأربعون بيتاً . منها القطعة التى أولها :
أريك الرضا لو أخفت النفس خلفاً وما أنا عن نفسى ولا عنك راضياً
ومنها القطعة التى أولها :

أنوك من عبد ومن عرسه من سلط العبد على نفسه
ومنها القطعة التى أولها :

أسودَ أما القلب منه فضيق نخيب وأما بطنه فرحيب
وقد نظمت فى شوال سنة خمسين وثلثمائة .
ومنها القطعة التى أولها :

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفاً لأوسعناه إحساناً
وقد نظمت حينها بالرحيل عن مصر .

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب فى أيدى بنى بويه ، وقد نشأت دولة بنى بويه هذه فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، فتعاون الإخوة الثلاثة : على والحسن وأحمد على التسلط فى فارس والعراق . واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلاثين وثلثمائة . فنحهم الخليفة المستكن بالله الولاية على مابأيديهم ، ولقب علياً عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأحمد معز الدولة : وبقى ملك بنى بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة .

ولم يكدمعز الدولة يملك في العراق أساييع ، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه وولى مكانه الخليفة المطيع ، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدي الخلفاء إلى أيدي البويهيين . وكان ذلك إيذاناً بالخراب والدمار وانتشار الظلم والظلمة والفوضى الآخذة بالعنان .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلاء معز الدولة عليها وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها وشاركه في الحرب والدفاع عنها .

وكان يلي الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلب . وكان أديباً شاعراً اجتمع حوله أدباء ، منهم القاضي التنوخي ، وأبو الفرج الأصفهاني وشعراء منهم السري الرفاء ، وكان جواداً مسرفاً كلفاً باللهو والمجون .

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين - وكانت إقامته بالكوفة - وقد سافر في أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد . ثم قدمها بعد في طريقه إلى فارس . ولا ندرى ما فعله بالكوفة إلا ما يحصل بقوله الشعر . ففي جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجراً ضبة بن يزيد العيني ، ويروى أن ابن يزيد العيني هذا جاء من سفاح ، يفدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب . وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه السير معهم ، فدخل العبد الحصن وأخذ يشتمهم أيما من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب ويشتمه . وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه ، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لوسبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح فخطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال . . الخ .

وفي هذه القصيدة أفذع المتنبي غاية الإفذاع . وفاض حقه فغمر القصيدة وأفعمها .

وجاء في شرح ابن جني : أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة ، وقال الواحدى مثل ذلك .

ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل ، ومدح قائد الجيش الذى قدم من بغداد لصدة غارة الأعراب من بني كلاب على الكوفة . وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام ، فلما حضر جيش بغداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن الكوفة ، فنزل القائد وأنفذ إلى أبي الطيب ثياباً نفيسة من ديباج وخز ، فأنشده هذه القصيدة في الميدان وهما على فرسيهما ، وذلك في ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين ، وأول القصيدة :

كدعواك كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدري بما فيه من جهل

وخرج أبو الطيب من الكوفة - قبل أن يبرحها إلى فارس - في شعبان سنة اثنتين وخمسين ، قاصداً بغداد ، وفيها لقي الوزير المهلبى ، ويرجح أنه أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان ، أو قبل ذلك بقليل ، وقد نزل فيها بدار على بن حمزة البصرى اللغوى الذى روى ديوانه ، وبقي ضيفه إلى أن رحل عنها ، ولم يطل فيها مقامه .

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى .

وقد زار أبو الطيب المهلبى وجلس معه مرتين ، ولكنه لم يمدحه ، ولا هو مدح معز الدولة ، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبى ، وأن يتخذة سيلاً إلى معز الدولة ، وإنما صده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه في السخف واستهتاره واستيلاء أهل الخلاعة عليه . وقد أغرى المهلبى بالمتنبى شاعراً ماجناً هو ابن حجاج فطلق بلجام دابته وقد تكأ كأ الناس عليه وأخذ ينشده :

يا شيخ أهل العلم فينا ومن يلزم أهل العلم توقيره

فلم يحفل به المتنبي وانصرف إلى منزله .
وقد كان الوزير المهلبى راغباً في مدح أبي الطيب ، مفيظاً مُحَنِّقاً من إغفاله إياه ،
وقد روى أنه أحضر على بن يوسف البقال فأنشده في حضرة المتنبي ، فقال المتنبي :
« ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال » .
ولما كان الوزير المهلبى وسيلة الشاعر إلى معز الدولة ، فإن الشاعر لم يجد
إلى معز الدولة من سبيل ، ولم يمدحه تبعاً لذلك .

ولم يشأ المهلبى أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه ، فأغرى به جماعة من
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، ومنهم ابن الحجاج ،
وابن سكرة الهاشمي ، والحاتمي . فلم يجبه المتنبي ولا حفل بهم ، وقيل له في ذلك ،
فقال : إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الداء المضالاً
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأً به الماء الزلالاً

وقولي :

أفي كل يوم تحت ضنبي شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول

إلى آخر الأبيات .

وقولي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فعي الشهادة لي بأني كامل

ومما كان بين أبي الطيب وبين أعوان المهلبى ما حكاه الحاتمي من مناظرته
لأبي الطيب ببغداد ، ولا ريب أن الحاتمي كذب في ذلك على خصمه وبالغ في دعواه
إرضاء للمهلبى ، وقد قال ياقوت عن الحاتمي هذا : إنه كان مبغضاً لأهل العلم ،
وفي الفترة التي أقامها الشاعر ببغداد ، قرى عليه ديوانه وسمعه جماعة ، منهم على بن
حمزة البصري ، وابن جني ، والقاضي أبو الحسن الحمالي .

وشاء الله أن يعلود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربي
الجليل سيف الدولة بن حمدان ، فإنه لما سمع سيف الدولة بمخرج أبي الطيب
من مصر مهاجماً كافوراً ، وبلوغه الكوفة ، كاتبه معرضاً برجوعه إلى حلب
ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة . فأجابه أبو الطيب في شوال سنة اثنتين وخمسين
بقصيدته التي مطلعها :

مالنا كنا جو يا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول

وفيها يبين حزن الشاعر ، ومعاودته مدح الأمير المهام . وقد قالها لما
بلته خروج سيف الدولة - وهو مريض - للقاء الروم ورجوعهم عن
غزو طرسوس .

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى في جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين
وورد العراق خبرها ، فقال الشاعر في شعبان قصيدته :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر في نفس سيف الدولة ، فأرسل إلى الشاعر هدية
ومالا وأماناً بخطه وكتاباً يستدعيه ، فكتب أبو الطيب في ذى الحجة سنة ثلاث
 وخمسين قصيدته التي مطلعها :

فهمت الكتاب أبرا الكتب فسمعا لأمر أمير العرب

وبعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبث فيها عاود الذهاب إلى بزاز ، في
طريقه إلى فارس قاصداً ابن العميد ، وقد بارح بزاز للمرة الثانية في صفر
سنة أربع وخمسين ، وذلك بعد مبارحته لها في المرة الأولى سنة وخمسة
أشهر . وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخي . وبلغ أرتجان في الشهر
نفسه . فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ؛ فضرب
يده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض يتصلون بي وقصبت رب هذه
للدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته

إلى ابن العميد ودخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب خارج البلد ، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله . فركب واستركب من لقيه في الطريق ، فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد ، فدخل على أبي الفضل بن العميد فسلم له ، وطرح له كرسي عليه وسادة ديباج . وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب .

وقد أفرد أبو الفضل له داراً نزلها ، وكان يغشى أبا الفضل كل يوم ويؤاكله . وابن العميد هذا - كما لا يخفى - هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد - وزير عضد الدولة ، وقد كان أبو الفضل ناقماً على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه ، وكان يريد أن يخمل ذكره ، حتى إنه ليروى أن بعض أصحابه دخل عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجده واجماً - وكانت أخته قد ماتت - فظنه واجداً لأجلها ، فسأله الخبر ، فقال : إنه ليفيظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخمل ذكره ، وقد ورد عليّ نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبي ليدعوه ، ولكن الذى لاريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه ، فذلك كان أملاً من آماله وأمنية من أمنياته المسولات .

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتمجب من حفظه وغزارة علمه . ومدحه الشاعر بثلاث قصائد ، كانت أولها القصيدة التى مطلعها :

بادِهواك صبرت أم لم تصبرا وبكالك مالم يجر دمعك أو جرى
وكانت ثانيها القصيدة التى مدحه بها فى النوروز وهى التى أولها :

جاءَ نِيرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ وَوَرَّتْ بِالَّذِي أَرَادَ زِنَادُهُ
وفيهما يتواضع الشاعر ويتحذر ، كأنما أحس بأنه يخاطب بها أديباً كبيراً متميزاً
على غيره من المدوحين :

وبعد هذه القصيدة - وقبل القصيدة الثالثة - قطعتان قال الشاعر إحداها حين
ورد ، كتاب من أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد وأولها :
بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد
وثانيتها قالها يعصف مجرة رآها عند ابن العميد وأولها :

أحب امرئ حبَّ الأنفس وأطيب ما شمه معطسٌ
ثم تأتي بعد ذلك القصيدة الثالثة ، التي يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد
وهي التي مطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حمرة الخد
وما كاد المتنبي - بعد قصيدة الوداع - يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى
جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة في طلب المتنبي ، فأنبأه ابن العميد به فقال :
مالى وللدليم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل منى ، ويصلك بأضعاف
ما وصلتك به ، فأجاب : بأنى ملقى من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد ،
وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النورين ويعطوننى عرضاً فانياً ، ولى ضجرات واختيارات
فيموقوننى عن مرادى فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فكتب ابن
العميد عضد الدولة بهذا الحديث ، فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام
والظمن .

وكان عضد الدولة بصيراً بالأدب ، له شعر جيد ، وكانت دولة بنى بويه عامة دولة
للأدب العربى ، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبى .

وسار المتنبي من أَرَّجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد
الدولة بأبى عمر الصباغ أخى صاحب كتاب حقائق الآداب ، ثم دخل البلد فأنزل

داراً مفروشة ، ولما نفذ غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فتوسط الدار
واتهى إلى قرب السرير قبل الأرض واستوى قائماً ، وقال : شكرت مطية
حملتنى إليك ، وأملا وقف بى عليك .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه
القصائد هى :

أَوْهٍ يَدِيلُ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذَكَرَاهَا
وهى التى يعزى بها عضد الدولة فى وفاة عمته - وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية
القصائد هى التى أولها :

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيْسِ مِنَ الزَّمَانِ
وفىها يحمن الشاعر إلى العربية التى افتقدها فى فارس فما وجد لها أثراً .
ووصل عضد الدولة الشاعر صلات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتى ألف درهم ،
ولما استأذنه فى المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير - وقد ظهر
أثر ذلك فى شعر المتنبى .

وأقام أبو الطيب فى شيراز زهاء ثلاثة أشهر ، وقرىء عليه ديوانه ، ثم أنشد
قصيدة الوداع فى شعبان سنة أربع وخمسين ، وفىها يطلب فى شكر الأمير ، ويرغب
فى الرجوع إليه ، ويحمن إلى أهله ، ثم يتوقع أن شرأ سيصيبه فى طريقه ، وهى القصيدة
التي أولها :

فِدَايَ لَكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا صِلَاكَ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ

وكان خروج أبى الطيب من شيراز ، فى الثامن من شعبان ، قاصداً ببغداد
فالكوفة ، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلتماته حتى بلغ الأهواز ، فقطع
بذلك واحداً وخمسين فرسخاً ، ثم سار خمسين فرسخاً أخرى حتى بلغ واسط
ونزل بها ، وبين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، كان على الشاعر أن

يحتازها قبل أن يصل مدينة السلام ، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها في الروايات التي وردت عن مقتل أبي الطيب : النعمانية ، ودير العاقول ، والصافية ؛ فأما النعمانية فهي في وسط الطريق ، وهي قائمة اليوم على الشاطئ الغربي من دجلة ، وإلى الجنوب الشرق من « دير العاقول » وعلى مقربة منه دير قنّى أو (قنة) وهو يبعد عن الشاطئ قليلا ، وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخا . وأمام دير العاقول « الصافية » وهي على فرسخين جنوب شرقى دير العاقول .

وسار أبو الطيب من واسط قاصداً بغداد في طريقه إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان ، وفي ذلك اليوم كتب عنه على بن حمزة البصرى - على روايته - القصيدتين الأخيرتين في شعره .

وبلغ جبّـل بعد أن قطع زهاء سبعة عشر فرسخاً ، فنزل عند أبي نصر الجبّلى ، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فرج جرايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقى من دير العاقول ، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخاً ، وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدى خال ضبة بن يزيد الذى هجاه أبو الطيب ، وكان فاتك في نيف وثلاثين فارساً راحمين وناشين ، ولا ريب أنه كان يتربص لأبى الطيب ، لينتقم لابن أخته ضبة ، وليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روى أنه ومن معه كانوا ممن يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبى الطيب ابنه محمد وغلّمانه ، وقد وصفهم من قبل في قصيدة رثاء فاتك الميمنية ، وفي قصيدة توديع ابن العميد ، ولا شك أن غلّمانه هؤلاء كانوا أقل عدداً من عدوهم .

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح : إنهم « قتلوا كل من معه » وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبا نصر قال : « ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلّمانه وذهبت دماؤهم هدراً » .
(م ٥ - المتنبى ١)

ومن المرجح أن اليوم الذى أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جنى بقصيدة أولها :
غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد رى دوحة الكتب^(١)
ورثاه أبو القاسم المظفر بن على الطلبسى بأربعة أبيات رواها الثعالبي في اليتيمة وأولها :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان
ورثاه ثابت بن هارون الرقى النصرانى ، وحرّض عضد الدولة على عقاب من قتلوه بقصيدة أولها :
الدهم أخبث والليل أنكد من أن تعيش لأهلها يا أحمد

وقبل أن نختتم سيرة المتنبى ، نقول : إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ولكننا لا ندرى متى تزوج ، وكان له عيال حنّ إليهم فى شعره وتشوق للقائهم ، وقد ورد فى أخبار المتنبى ذكر لابنه محمد ، ولم يرد ذكر لغيره ، ويرجح أن زوجه كانت من الشام .

ذلكم كان أبو الطيب المتنبى ، الشاعر الذى خُلد مع فنه الخالد وشعره الشاعر ، ولا ريب أن القارىء أدرك من مجل سيرته ما كان يدين به من خلق واضح الحدود ، بيّن المعالم ، فقد كان الشاعر - كما يبين فى شعره - متكبراً

(١) انظر ترجمة ابن جنى .

أيّاً معجباً بعيد الهمة ، وكان شجاعاً عظيم الإقدام ، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته ، فجعلته متعالياً عن شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وكان كذلك صادق القول صريحه ، قال على بن حمزة :
إنه لم يكذب قط ، ومن آثار هذا أنه كان بنفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر .

وكان أبو الطيب عدا ذلك ، حاقداً على الناس ، يحقرهم ، ويطوى كشمه لهم على المودة والصفينة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ، ثم قصوره عن بلوغ أمله ، على أنه - برغم هذا - كان وفياً لأصدقائه محباً لهم متأسياً لفراقهم ، جازعاً لموتهم ، ثم كان في كل هذا حزين الطبع ، ثائراً ، يتنزى قلبه الماء وحسرة على ما أمل وفشل .

ومما أثر عن المتنبي أنه كان بخيلاً ، حريصاً على المال ليلبغ به غايته ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة .

ولا نحسب الشاعر - ولم تسعده الحال في حياته على تحقيق مراده - إلا بالنآ المبالغ في مماته ، وواجداً فوق ما أمل وأراد ، وكفاه خلوداً أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم ، الباقي بقاء الضاد .

ترجمة المتنبي

« بقلم أحد معاصريه »

وقد استحسننا - لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة ، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني - أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي . قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب « إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جني لديوان المتنبي ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو من عصر ابن جني ، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال : « وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئته ومفتريه ، وما دل عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومقدمه على الملك - نصر الله وجهه - بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعت مقتله بين ديرقنة ، والنعمانية واقتسام عقائله وصفاليه . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بكيندة بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رواء ونساج .

واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية^(١) شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ في خير حاضرة ، وقال الشعر صبيّاً ، ثم وقع إلى خير بادية - بادية اللاذقية ، وحصل في بيوت العرب ، فادعى الفضول الذي نزل به ، فنى خبره إلى أمير بعض أطرافها - فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسم به ، في كلمته التي يقول فيها :

فمالك تقبلُ زورَ الكلام وقدرُ الشهادةِ قدرُ الشهود
وفي جود كُفك ما جُذت لي بنفسى ولو كنتُ أشقى نُمود

(١) كذا في الأصل ويحمل أن تكون « العربية » .

وقد هجاه شعراءه وقته ، فقال الضبي :

الزَّمْ مقالَ الشعرِ تَحْظُ بِقَرْبَةٍ وعن النبوة ، لا أبالك ، فانتزع
ترجيح دما قد كنت توجبُ سفكه إن التمتع بالحياة كمن ربح
فأجابه المتنبي :

أمرى إلى فإن سمحتُ بمهجة كرمتُ على فإن مثلى من سمح
وهجاه غيره فقال :

أطلتَ يا أيها الشقي دَمَك بالهذيان الذي ملأت فك
أقسمتُ لو أقسم الأميرُ على قتلك قبل العشاء ما ظلمك
فأجابه المتنبي :

همك في أمرٍ تقلب في عين دوائر من صلبه قلبك
وهمت في انتضاء ذى شطب أقد يوما بحده أدمك
فأخسَ كلييا واقعد على ذنب وأظل بما بين أليتيك فك
وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صفه وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل
بالكوفة من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره
فتلون ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره فإنما يقظات العين كاللحم
مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تمتّع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأمل كرمى تحت الرجام
فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك وللنام
مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فإنا بالنا نفاق ما لابد من شربه

فهذه الأرواح من جَوِّه وهذه الأجسام من تَرْبِه
مذهب الفضائية . وقوله في أبي الفضل بن العميد :
فإن يكن المهديُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فهذا ، وإلا فالهدي ذَا ، فما المهدي
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ : تَخَلَّدُ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرُكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْمَعْطَبِ
فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية . والإنسان
إذا خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله عزَّ وجلَّ إلى حوله وقوَّته ، وجد
في الضلالات مجالا واسعا ، وفي البدع والجهالات مناديجَ وفُسحا . ثم جئنا
إلى حديثه واتِّجاعه ، ومفارقتة الكوفة أصلا ، وتطوافه في أطراف الشام ،
واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضرِّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة
ما يوصل به ، حتى إنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد — وكان لقي المتنبّي
دفعات في حال عسره ويسره — أَنَّ المتنبّي قد مدَّح بدون العشرة والخمسة من الدراهم
وأَنشد في قوله مصداقا لحكايته :

انصُرْ بِمُجْدُوكَ أَفْظَاظًا تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
قَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحِلُ وَذَا الْوَدَاعُ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبّي يقول : أوَّلَ شعر قلته وابتضت
أيامى بعده ، قولي :

أَنَا لَا نَمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَوَائِمِ

علمتُ بما بي بين تلك المعالم
فإني أُعْطِيتُ بِهَا بِدَمَشْقَ مِائَةِ دِينَارٍ . . . ثُمَّ اتَّصَلَ بِأَبِي الْعِشَائِرِ ، فَأَقَامَ
مَا أَقَامَ ثُمَّ أَهْدَاهُ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، فَاشْتَرَطَ أَنَّهُ لَا يَنْشُدُ إِلَّا قَاعِدًا وَعَلَى الْوَحْدَةِ ، فَاسْتَحْمَلُوهُ
وَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ شَعْرَهُ حَكَمَ لَهُ بِالْفَضْلِ ، وَعَدَّ مَا طَلَبَهُ اسْتِحْقَاقًا .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس . . . وأخبرني الحلبي أنه قيل للمتنبي : معنى بيتك هذا أخذه من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جاذبة ، وربما وقع حافر على حافر . وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، ويستصحبهما في أسفاره ويحكما ، فلما قتل توزعت دفاتره ، فوقع ديوان البحري إلى بعض من درس عليّ ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه . وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وَلايَةً لِّخُودُكَ يَكْسُونِي وَشُفْلُكَ يَسْلُبُ
يَلْتَمِسُ وَلايَةَ صَيْدَاءَ . فَأَجَابَهُ : لَسْتُ أَجْسُرُ عَلَى تَوَلِيَّتِكَ صَيْدَاءَ ، لِأَنَّكَ
عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، تَحَدِّثُ نَفْسَكَ بِمَا تَحَدِّثُ ؛ فَإِنَّ وَلِيَّتَكَ صَيْدَاءَ ، فَن
يَطْلِقُكَ ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لكافور :
فَارْمِ بِي حَيْثَا أَرَدْتَ فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ آدِمِي الرِّوَاءَ
وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَانِ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ
ليس قول ممتدح ولا منتجع ، إنما هو قول مضاد ! فأجاب المتنبي إلى أن قال :
هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :
يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى قِصْدَ الْقَنَاءِ وَصَرَاعِي رِجَالِي فِي وَغَى أَنَا حَاضِرُهُ
وأحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا ذُرَا عَقْدَاتِ الْأَجْرَعِ الْمُتَوَادِرِ

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : في إسناء الجائزة ، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ، وتأثّل حالاً في جنبته بعد أن كان حويّلة . وكان سيف الدولة يستحبُّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله ، وكان

مَلَقَى مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، يَشْكُوها أَبَدًا ؛ وَبِهَا فَارَقَهُ حَيْثُ أُنْشِدَهُ :
وَمَا اسْتَفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وآخِرُهَا :

بَأَى لَفْظَ يَقُولُ الشَّعِيرَ زِعْنِفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا نَجْمٌ
وَقَالَ فِي أُخْرَى :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهَوْ بِلُحْيَةٍ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ !
فَلَمَّا انْتَهَتْ مَدَّتُهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَقْطَاعِهِ ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَامْتَدَّ
بِاسْطِغْنَانِهِ إِلَى دِمَشْقَ ، إِلَى أَنْ قَصَدَ مَصْرَ فَأَلَمَ بِكَافُورٍ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَقَامَ مَا أَقَامَ ، إِلَّا
أَنْ أَوَّلَ شَعْرَهُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى نَدَمِهِ لِفِرَاقِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ :
كُنِيَ بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْمَنَاسِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
حَتَّى اتَّبَعِي إِلَى قَوْلِهِ :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارَكَ غَيْرُهُ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاكِيَا
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَوْلَدِينَ بِبَغْدَادَ ، وَخَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ يَتَوَزَّرُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ . أَنْ
سَيْفِ الدَّوْلَةِ رَسَمَ لِي التَّوْقِيعَ إِلَى دِيْوَانِ الْبَرِّ بِإِخْرَاجِ الْحَالِ فِيمَا وَصَلَ بِهِ الْمُتَنَبِّيُّ ،
فَخَرَجَتْ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي مَدَّةِ أَرْبَعِ سَنِينَ .

ثُمَّ لَمَّا أُنْشِدَ الثَّانِيَةَ كَافُورًا خَرَجَتْ مُوجَّهَةً يَشْتَاكُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ . وَأَوَّلُهَا :

فِرَاقٌ ، وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرُ مَنْمَمٍ وَأُمٌّ ، وَمَنْ يَمَّتْ خَيْرُ مُيَمَّمٍ

وَأَقَامَ عَلَى كَرِهِ بِمَصْرَ إِلَى أَنْ وَرَدَ فَاتَكَ غَلَامُ الْأَخْشِيدِيِّ مِنَ الْيَوْمِ - وَهِيَ
وَبَيْتُهُ ، فَنَبَتْ بِهِ وَاجْتَوَاهَا - وَقَادُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَدْخَلِهِ إِلَى مَصْرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ
جَنْبِيَّةٍ مُنْعَلَةٍ بِالذَّهَبِ ؛ فَسَمَاءُ أَهْلِ مَصْرَ بِفَاتِكَ الْجَنُونِ . فَلَقِيَهُ الْمُتَنَبِّيُّ فِي الْمِيدَانِ
عَلَى رِقَبَةٍ مِنْ كَافُورٍ فَقَالَ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائزه ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ،
ثم مضى فأتك لسيله ، فرثاه المتنبي وذم كافوراً :

أيموتُ مثل أبي شجاعٍ فأتكِ ويعيشُ حاسدُهُ الخِصِي الأوكعُ !

فاحتال بعده في الخلاص من كافور ، فاتهم الفرصة في العيد — وكان رسم
السلطان أن يستقبل العيد بيوم ، وتمدّ فيه الخلع والحلانات وأنواع المبار ، لرابطة
جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق ، وثاني اليوم يذكر له من قبل ومن ردّ
واستزاد — فاهتبل المتنبي غفلة كافور ، ودفن رماحه برّاً ، وسار ليلته وحمل بفاله
وجماله وهو لا يالو سيراً وسرّى هذه الليلة مسافة أيام ؛ حتى وقع في تيه بني إسرائيل ؛
إلى أن جازه على الحلال والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن ، ونزل
الكوفة ، وقال يقصّ حاله :

ألا ، كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدني

وفيها يقول :

ضربتُ بها التيه ضربَ القِما ر : إماماً لهذا ، وإما لهذا

ثم مدح بالكوفة دليّ بن لشكروّز ، وأنشده في الميدان ؛ فحمله على فرس
بمركب ذهب .

وكان السبب في قصّده ، أبا الفضل بن العميد — على ما أخبرني أبو عليّ بن شبيب
القاشاني — وكان أحد تلامذتي ، ودرس عليّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزّر
للأصبهيد بالجليل وأبوه أبو القاسم توزر لوشمكير بمرجان — عن العلوي العباسي نديم
أبي الفضل بن العميد الذي يقول فيه :

أبلغ رسالاتي الشريف ، وقلّ له : قدك انتدأريت في الفلواء

إن المعروف المطوّق الشاشي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته في كافور :

* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب *

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ، وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة

المتنبى إلى أبى الفضل ، وزعم أنه رسوله ، فوصله أبو الفضل بألفى درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبى ببغداد ، فقال : رجل يعطى لحامل شعري هذا ، فما تكون صلتها ؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الرىّ خرجتين إلى أَرْجَان ، يجنبى بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم . فمما حديثه إلى المتنبى بمحصله بأَرْجَان ، فلما حصل المتنبى ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلبى ، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعد خليفته دونه ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ، فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرَفْتُ مكانها جُرَامًا ومَلَكُومًا وبَذَرًا فالعمرا
وقال المتنبى : هو جُرَابًا ، وهذه أمكنة قتلتها علما وإنما الخطأ وقع من النقلة !
فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه في كتابه جراما ، بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة ، وتفرق المجلس عن هذه الجلسة ، ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل وإنما صدّه ما سمعه من تماديه في السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ؛ وكان المتنبى مرَّ النفس صعبَ الشكيمة حادًا مجدًّا فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن الحجاج حتى علقَ لجامَ دابته في صينية الكرخ وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومن يلزم أهلَ العلمِ توقيرُهُ
فصبر عليه المتنبى ساكنًا ساكتًا ، إلى أن نَجَزَها ، ثم خلى عنان دابته ، وانصرف المتنبى إلى منزله ، وقد تيقن استقرارَ أبى الفضل ابن العميد بأَرْجَان وانتظاره له فاستمدَّ للسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن على بن حمزة البصرى قال : كنت مع المتنبى لما ورد أَرْجَان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون لى ، وقصدتُ

ربّ هذه المدرة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيّب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيلولة ، وهو مضطجع في دسّته - فثار من مضجعه واستنبتته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمع كثير ، فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستويّاً ، وطرح له كرسى عليه تحدة ديباج ، وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقاً إليك يا أبا الطيّب ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشذّ عنه ، وأخرج من كه عُقيب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

* بادِ هواك صبرتَ أو لم تصبرا *

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيف غشاؤه فضة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تمب السفر كان يعشى أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أזורك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلمهم النبروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي : كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه ، فلم يُحرّ جواباً ، إلى أن حضره النبروز وأنشده مهتئاً ومعتذراً فقال :

هل لمُذرى إلى الهمام أبي الفضل قبولٌ ، سواد عيني مدادةٌ

فأخبرني البديهيّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قروود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون ، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجواد زمان الديلم وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أَقْلَامٌ بِكَفِّكَ أَمْ رِمَاحٌ وَعِزُّهُمْ ذَاكَ، أَمْ أَجَلٌ مُتَاحٌ

فقال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار ، وكذلك أبو الفضل البلعمي وزير بخارى أعطى المطراني الشاعر على قصيدته التي أولها :

* لَا شُرْبَ إِلَّا بِسِرِّ النَّأْيِ وَالْعُودِ *

خمسـة عشر ألف دينار ، وكذلك خلف صاحب سجستان ، أعطى أبا بكر الحنبلي خمسـة آلاف دينار على كلمة فيه ، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه ، وكان يأتيه علوي من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جاريًا على التأييد ، فأتاه وهو في بعض الثغور ، فقال للخازن : أطلق له ما في الخزانة ، فبلغ أربعين ألف دينار ، فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار ، إشفاقاً من خلل يقع على عسكره في الحرب ، وأخبرني بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب ، فأنشده في طريقه :

أَنْتَ عَلَيٌّ وَهَذِهِ حَلَبُ قَدْ فَتَى الزَّادُ وَاتَّهَى الطَّلَبُ

فأطلق له ألف دينار ، وتعرض سائل لأبي علي بن إلياس وهو في موكبه فأمر له بخمسمائة دينار ، فجاءه الخازن بالدواة والبياض ، فوقع بألفي دينار ؛ فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو علي : الكلام ربح ، والخط شهادة ، ولا يجوز أن يشهد علي بدون هذا . . . ثم إن أبا الطيب المتنبي لما ودّع أبا الفضل بن العميد ، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه ، فمرّقه ابن العميد فقال المتنبي : مالي وللديلم ؟ فقال أبو الفضل عضد الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به ، فأجاب بأني مكنت من هؤلاء الملوك : أقصد الواحد بعد الواحد ، وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النيرين ، ويعطونني عَرَضاً فانياً ، ولي ضجرات واختيارات ، فيعوقوني عن مرادى ، فأحتاج

إلى مفارقتهم على أقبح الوجود ! فكتاب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث .
 فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام والظن . فسار المتنبي من أرجان ، فلما
 كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ أخى
 أبي محمد الأبهري صاحب كتاب حقائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشده
 فقال المتنبي : الناس يتناشدون فاسمعه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس
 العالي . فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها :

الأكل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي

ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة ، ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة
 فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتا من كلمته وهي :

فلما أحننا ركزنا الرما ح حول مكارمنا والعلما

وبشنا نقبل أسيفنا ونمسحها من دماء العدا

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنى الفتى

وأنى وفيت وأنى آيت وأنى عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هوناً ، يتهددنا المتنبي ! ...

ثم لما نفص غبار السفر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ؛ فلما توسط الدار
 انتهى إلى قرب السرير مصالحة ، فقتل الأرض واستوى قائماً وقال : شكرت
 مطية حملتني إليك ، وأملاً وقف بي عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من
 مصر ، وعن على بن حذان ، فذكره وانصرف وما أنشده . فبعد أيام حضر السباط
 وقام بيده درج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغاني الشعب طيبا في المغاني

فلما أنشدها وفرغوا من السباط ، حل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب
 في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب

بالجروح - وكان اشترى له بخمسين ألف شاة - وبذرة دراهمها عدلية ، ورداء حشوه ديباج رومي مفصل ، وعمامة قومت بخمسمائة دينار ، ونصلا هندياً مرصع النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل حدث يحدث قصيدة ، إلى أن حدث يوم نثر الورد . فدخل عليه والمالك على السرير في قبة يحسّر البصر في ملاحظتها . والأتراك ينثرون الورد ، فقتل المتنبي بين يديه وقال : ما خدمت عيني قاي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما أنك صيرت نثره ديمًا
كأنما مأنح الهواء به بحر حوى مثل مائه عَنَّا

فحمل على فرس بمركب ، وألبس خِلعة ملكية ، وبذرة بين يديه محمولة . وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ المنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ، فقال : كنت حاضره ، وقام ابنه يلتبس أجرة الفسّال ، فأخذ المتنبي إليه النظر بتحديد فقال : ما للصلوك والغسال ! يحتاج الصلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ، ويُنعل فرسه ، ويفسل ثيابه ؟ ثم ملأ يده قطيعات بلفت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفایتين بن أبي الفضل - وكان من أجواد زمان الديلم ، فرق في يوم واحد بشبذيز قرميسين ، ألفين وخمسمائة قطعة لإبريسم - ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوقه إلى نظرته فأجابه المتنبي :

يكتب الأنام كتاب وَرَدَ فدت يد كاتبه كل يد

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الآيات سورة يدرسها ، ويحكم المتنبي بالفضل على أهل زمانه . . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي :

لوارد شعر كذوب البرد أتنا به خاطر قد جمد
فأقبل بمضغه بعضنا وهم السنانير أكل الغد

وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من عفوه المقتصد
ولو وليَ النقد أمثاله لظلت خفافيشنا تنتقد

فاستخف أبو الفتح به وجره برجله ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان ، والأمير
أبو سالم ديسم بن شاد كويه على الإمرة ، فاتصل به وحظى عنده على غاية الإكرام .
وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيد شعره بالغرب فأخبر المتنبي به فقال
الشعر على قدر البقاع

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابر حواشيه
وقوف . فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس
مولانا سوى أحد الطائنين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما
فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره . ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأنقاله
وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز . وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف
بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى ، وورد علينا المتنبي
ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبل مسّها في الطريق ،
وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة فحضرتُ أنا وقلت : قد أقت للشيخ
نُزلاً . فقال المتنبي : إن كان تمّ فآتيه . ثم جاءه فأتك الأسد بجمع وقال : قدم
الشيخ في هذه الديار وشرّفها بشعره ، والطريق بينه وبين دَيْرْقَنَة خَشِنٌ قد
احتوشته الصمّالكة ، وبنو أسدٍ يسبّرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة
ويبر كل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أبقى الله يدي هذا الأدم
وذباب الجراز الذى أنا متقلّده فإني لا أفكر في مخلوق ! فقام فأتك ونفض ثوبه
وجمع من رُتوت الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج حسواً ، سبعين رجلاً
ورصد له ، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان في صحبته ،
وحمل فأتك على المتنبي وطعنه في يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا

أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقتع خلفه الفرس أحدُهم وجزَّ رأسه ، وصبّوا أمواله
يتقاسمونها بطرُطورة :

وقال بعض من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسيّة ، وإنما كان سيف الدولة
سلمه إلى النخاسين والرواضِ بحلب ، فاستجراً على الركض والخضر فأما استعمال
السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من
(الفريب المصنف) سوى حرف واحد هو في (كتاب الجهرة) وهو قوله :

يَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْمُقَدُّ^(١)

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونمت الخليل
والحرب من خصائصه ؛ وما كان يرادّ طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل الساقط
الردى كما يقبل النادر البدع ، وفي متن شعره وفي ، وفي ألفاظه تعقيد وتعويض
أه كلامه مع بعض اختصار .

(١) من بيت هذا نصه :

وَأَمْضَى كَمَا يَمْضَى السَّنَانُ لِطَيْتِي وَأَطْوَى كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْمُقَدُّ

شرح المتنبي

وإليك تراجم بعض شرح المتنبي ، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح . . . وقولنا هنا : « شرح المتنبي » إنما هو ضرب من التسامح ؛ لأن منهم من لم يضع شرحا بالمعنى المتعارف ، أى أنهم لم يضعوا شروحا تامة كاملة ، وإنما تصدّوا لشرح بعض مشكلات الأبيات . أو لنقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقت المتنبي ، مثل أبى السعادات بن الشجرى ، وابن فورّجه ، وأبى الفضل العروضى . وابن وكيع ، والصاحب ابن عباد ، وأبى بكر الخوارزمى . ولم تتبسط فى هذه التراجم . ولم نهج فيها منهجا تحليليا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتمتع بأسمائهم فى هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المخطوط ، ومن ثم لم نعد أن نسرّد لك فى هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له وتاريخ وفاته وطرقا من أخباره وسيرته وتواليقه ومكاته العلمية وآراء الناس فيه .

ابن جنى

أظننى فى غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جنى هو أول من شرح المتنبي ، فله بذلك فضل سبق ، ومن ثمّ كان حقيقا بأن نبدا بترجمته . . .

جاء فى معجم الأدباء لياقوت زوى وفیات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه :
أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى : كان أبوه جنى مملوكا روميا لسلیمان ابن فهد بن أحد الأزدى الموصلى - أقول : فهو إذن من أبناء يونان ، لامن (٦٢ - المتنبي ١)

أبناء عدنان . . وبعبارة أخرى : هو من أبناء الموالى ، شأنه شأن أكثر حملة العلم ،
ونوابغ الشعراء والأدباء في الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله :

فَإِنْ أَصْبَحَ بَلَا نَسَبٍ فَعَلِمِي فِي الْوَرَى نَسَبِي
عَلَى أَنِّي أَوَّلُ إِلَى قُرُومٍ سَادَةٍ نُجِبَ
قِيَامِرَةٌ إِذَا تَقَطُّوا أَرَمَ الدَّهْرُ ذُو الْخُطْبِ^(١)
أَوَّلَاكَ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمْ كَفَى شَرْقًا دُعَاةَ نَبِي

ولد ابن جنى بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة ، وتوفى يوم الجمعة لليلتين
بقيتا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . وكان أبو الفتح مُتَمَتِّعًا بإحدى عينيه ، وما أظرفه
حين يقول لأحد أصدقائه :

صَدُودُكَ عَنِّي وَلَا ذَنْبَ لِي دَلِيلٌ عَلَى نَبِيَّةٍ فَاسِدَةٍ
فَقَدْ وَحْيَاتِكَ مِمَّا بَكَيْتُ خَشِيتُ عَلَى عَيْنِي الْوَاحِدَةِ
وَلَوْلَا خَفَافَةُ الْأَ أَرَاكَ لِمَا كَانَ فِي تَرْكِهَا فَائِدَةٍ

وَحَدَّثُوا أَنَّهُ صَحَبَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ^(٢) أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي

(١) أرم الرجل إرماما : سكت ، ويقال كله فسا ترمرم : أى مارد جوابا
وما ترمرم فلان بحرف : أى ما نطق ، وفي حديث عائشة رضی الله عنها : كان لآل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج - أى رسول الله - لعب - أى
الوحش - وجاء وذهب ، فإذا جاء ربح ولم يترمرم مادام في البيت : أى سكن ولم يتحرك
(٢) كان أبو علي الفارسي إمام وقته في علم النحو ولد سنة ٢٨٨ هـ وتوفى سنة ٣٧٧
هـ ببغداد : وأقام بحلب عند سيف الدولة ، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١ هـ وجرت بينه
وبين أبي الطيب المتنبى مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن
بويه ، وحظي لديه وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي في النحو
وقد صنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو . يحكى أنه كان يوما في ميدان
شيراز يسير عضد الدولة فقال له : لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا؟

صحبتة له : أن أبا علي اجتاز بالموصل ، فر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقرىء النحو وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي : تَزَبَّيْتِ وَأَنْتِ حَصْرِمٌ . . . فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علي الفارسي ، فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف ، فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله ، وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه ؛ فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد ، فأخذ عنه كثير من أعلام العلماء . . . وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبّي كثيراً وينظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره ، أنفةً واستكباراً لنفسه ، وكان المتنبّي يقول في أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . . . وسئل المتنبّي بشيراز عن قوله :

وكان ابناً عُدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأْخُذُ حُرُوفِ انِّيْسِيَانِ^(١)

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره . . . وكان لابن جني من الولد عليّ وعالٍ وعلاء ، وكلهم أدباء فضلاء قد خرّجهم والدهم وحسن خطوطهم ، فهم معدودون في الصحيحى الضبط وحسن الخط . . . ولابن جني شعر - ولكنه كسائر شعر العلماء - فنه :

فقال أبو علي : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعتَه وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع أبو علي وقال له : هذا الجواب ميداني . . . ولما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه . . . وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . . . (١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان . انظر القصيدة التي مطلعها :

مغانِي الشَّعْبِ طِيًّا فِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرِّيِّعِ مِنَ الزَّمَانِ

غَرَالٌ غَيْرُ وَحْشِيٍّ حَكِي الْوَحْشِيُّ مُقْلَتُهُ
رَأَاهُ الْوَرْدُ يَجْنِي الْوَرَّ دَ فَاسْتَكْسَاهُ حُلَّتُهُ
وَشَمَّ بِأَنْفِهِ الرِّيحَا نَ فَاسْتَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ
وَذَاقَتْ رِيحَهُ الصَّبَا ٤ فَاخْتَلَسَتْ نَكْهَتَهُ^(١)

وقال الباخريزي في دمية القصر : ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ،
وشرح المشكلات ، ماله ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض ، أو يسبق ذلك
الجريض^(٢) حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها :

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوْدَتْ نَفْرَةَ الْأَدَبِ
وَصَوَّحَتْ بِمَدْرِيٍّ دَوْحَةَ السُّكْبِ^(٣)
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ فِي الْجُلَى إِذَا انْشَعَبَتْ
قَلْبًا جَمِيعًا وَعَزَمًا غَيْرَ مُنْشَعِبٍ^(٤)
وَقَدْ حَلَبْتَ لَمَرِي الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ
تَمْطُو بِهَيْئِهِ لَأَوَانٍ وَلَا نَصِيبٍ^(٥)

(١) الصبأ من أسماء الخمر ، والنكهة رائحة الفم .

(٢) الرقيق الذي يغص به

(٣) صوح النبات ينس وتشقق ، والدوحة الشجرة العظيمة .

(٤) الجلى الأمر العظيم وجمعها جلال مثل كبرى وكبر ، وقلب جميع ورأى جميع
ويجتمع : شديد غير منتشر ، ومنشعب متفرق .

(٥) يقال حلب الدهر أشطره ، مارس الأيام وخبرها ، والمطر الجد والنجا .
في السير ، ووان : متمهل ، ونصيب : تمب .

مَنْ لِلْهَوَاجِلِ يُخَيِّ مَيْتَ أَرْسُومِهَا
 بِكُلِّ جَائِلَةٍ التَّصْدِيرِ وَالْحَقْبِ ^(١)
 قَبَاءَ خَوْصَاءَ مُحَمَّدٍ عَلَانَتِهَا
 تَنْبُو عَرِيكَتُهَا بِالْحِلْسِ وَالْقَتَبِ ^(٢)
 أَمْ مَنْ لِيَبِضِ الظُّبَا تَوَ كَأُنْهَنَ دَمٌ
 أَمْ مَنْ لِسُفْرِ الْقَنَا وَالزَّغْفِ وَالْيَلْبِ ^(٣)
 أَمْ لِلْجَحَافِلِ يَذُكِي جَمْرَ جَاحِمَا
 حَتَّى يَقْرُبَهَا مِنْ جَاحِمِ أَلَّهَبِ ^(٤)
 أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لَتَعْمُرُهَا
 بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْأَمْثَالِ وَالْخُطَبِ
 أَمْ لِلصَّوَاهِلِ مُحَمَّرًا سَرَابِلَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا غَرَبَتْ مَعْرُوفَةُ الشُّهْبِ ^(٥)
 أَمْ لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاءِ عَاطِفَةٌ
 يُوَاصِلُ الْكَرَّ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ ^(٦)

-
- (١) الهواجل : الصحراوات ، وجائلة التصدير والحقب : أى ناقة هذه صفتها
 ويقال صدر بعيره إذا شده بحبل من حزامه إلى كركرته ، والحقب : حبل يشده الرجل
 فى بطنه .
 (٢) القباء من الخيل : الخيصة البطن . والأقب الضامر البطن : والحوصاء الغائرة
 العينين ، والحلس : كساء تجلجل به الدابة يوضع تحت البرذعة .
 (٣) القبا : أطراف السيوف ، والتوكاف مصدر وكف يستعمل فى السمع والمطر .
 إذا نزل ، وسمر القنا : الرماح ، والزغف : الدروع ، واليلب : الدروع اليمانية
 (٤) الجحفل الجيش العظيم .
 (٥) محمراً سراويلها : فالسراويل : الثياب . يقول : مضرجة بالدماء
 (٦) المناهل موارد الماء . والتقرب : طلب الماء ليلاً .

أَمْ لِلْقَاسِطِ تَعَمُّ الْحُزُونُ بِهَا
 أَمْ مَنْ لِيَضْمِ الْهَزْبِ الضَّيْفِ الْحَرْبِ^(١)
 أَمْ لِلْمُلُوكِ يَحْكِيهَا وَيُلْبِسُهَا حَتَّى تَمَاسُ فِي أَبْرَادِهَا الْقُشْبِ^(٢)
 بَاتَتْ وَسَادَى أَطْرَابُ تَوَرُّفِي لَمَّا غَدَوْتُ لَقَى فِي قَبْضَةِ الثُّوبِ^(٣)
 عُمِرْتُ خِدْنَ الْمَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّصْلِ لَمْ يَدْنِسْ يَوْمًا وَلَمْ يُصَبِّ
 فَأَذْهَبَ عَلَيْكَ سَلَامُ الْمَجْدِ مَا قَلِقْتُ
 خُوصُ الرَّاكِبِ بِالْأَكْوَارِ وَالشُّعْبِ

ومن شعر ابن جني :

رَأَيْتُ مَحَاسِنَ ضَحِكَ الرَّيِّعِ أَطَالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابِ
 وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لَيْتِي فَلَمْ لَا أَبْكِي رَيِّعَ الشَّبَابِ
 أَأَشْرَبُ فِي الْكَاسِ - كَلَّا وَحَاشَا - لِأَبْصَرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابِ

ومنه :

تَحَبَّبْتُ أَوْ تَذَرَّعْتُ أَوْ تَأَبَّى فَلَا وَاللَّهِ لَا أَزْدَادُ حُبًّا
 أَخَذْتُ بِبَعْضِ حُبِّكَ كُلِّ قَلْبِي فَإِنْ رُمْتُ الْمَزِيدَ فَهَاتِ قَلْبًا

قال ياقوت : وقرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي : قال لنا

(١) القاسطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد فوق الرأس في حومة الوغى ، والضمم العض أو النهش ، والهزبر الضيفم الحرب : الأسد .

(٢) تماس : بمجنف إحدى التامين . أى تماس وتغافل

(٣) اللقى ، الشئ الملقى في الطريق ونحوه .

أبوزكريا : رأيت بخط ابن جنى : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الرويانى عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستانى قال : قرأ على أعرابى « طَيْبِيْ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّآبٍ » فقلت « طُوبَى » فقال « طَيْبِيْ » فقلت ثانياً « طُوبَى » فقال « طَيْبِيْ » فلما طال على قلت : « طُوطُو » فقال الأعرابى « طِي طِي » أما ترى إلى هذه النحيظة ما أبقاها وأشدَّ محافظة هذا البدوى عليها حتى أنه استكره على تركها فأبى إلا إخلاداً إليها ! ونحو ذلك قال عمرو الكلبي وقد أنشد بعض أهل الأدب :

بانت نعيمةٌ والدنيا مفارقةٌ وحال من دونها غيرانُ مزعوجُ
فقليل له : لا يقال مزعوجُ ، إنما يقال مُزَعَجُ ، فجفا ذلك عليه ، وقال يهبجو النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوم هذا الذى ابتدعوا
إن قلت قافية بكرأ يكون بها	بيت خلاف الذى قاسوه أو ذرعوا
قالوا كَلَنْتَ وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وَحَرَّضُوا بين عبد الله من حُحِي	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طُبِعوا
ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضي أرض لا تُشَبُّ بها	نار الجحوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جنى : وعلى نحو ذلك فحضرني قديماً بالموصل أعرابى عَقِيلِيْ جَوَثِيْ تَمِيْعِيْ ، يقال له محمدُ بنُ العَسَافِ الشَّجَرِيْ ، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً - شَفَقَا بفصاحته والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه فى إيقاظ طبعه واقتداح زَنْدٍ فِطْنَتِهِ : كيف تقول : « أكرم أخوك أباك » فقال كذاك ، فقلت له : أفتقول : « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول

« أبوك » أبدأ فقلت : فكيف تقول « أكرمنى أبوك » فقال كذاك ، قلت : أَلَسْتَ تَزْعُمُ أنك لا تقول « أبوك » أبدأ ؟ فقال « إيش هذا ؟ اختلفت جهتا الكلام » فهل قوله اختلفت جهتا الكلام . إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان فى الأول مفعولاً ! فانظر إلى قيام معانى هذا الأمر فى أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم .

أخبرنى أبو على عن أبى بكر عن أبى العباس قال : سمعت عمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير يقرأ : « وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ » فقلت له : ما أردت ؟ قال أردت سابقَ النهار ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن أى أقوى وأفصح ، فى هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها : أنهم قد يراعون من معانيهم ما ينسبه إليهم ونحمله عليهم ، والثانى : أنهم قد ينطقون بالشئ وفى أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث : أنهم قد ينطقون بالشئ وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ، أى أقوى وأعرب .

قال ابن جنى : وسألت الشجرى صاحبنا ، هذا الذى قد مضى ذكره ، قلت له : كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً ؟ » فقال : كذلك ، فقلت : فكيف تقول « اليوم إن زيدا قائم ؟ » فأبأها ألبتة ، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها ، لأنها إنما تأتى أبدأ مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها قلت له يوماً ولا بن عمٍّ له يقال له غصن — وكان أصغر منه سنّاً وألين لساناً : كيف تحقران « حمراء » فقالا : حميراء ، قلت : فصغراء قالوا : « صغبراء » قلت : « فسوداء » قالوا : « سويداء » واستمرت بهما فى نحو هذا ، فلما استويا عليه دست بين ذلك « علباء » فقلت « فعلباء » فأسرع ابن عمه على طريقته فقال : « عليباء » وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً

فقال له: « عَلَيَّي » وأشتم الفتحة دائماً للحركة في الوقف ، وتلك عادة . . . قال ابن جنى : فسألته يوماً : يا أبا عبد الله ، كيف تجمع مُحرَّنجماً - وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله : يكسّر فيقول حَراجم أم يصححُ فيقول محرَّنجماتٌ فذهب هو مذهباً غير ذين فقال : « وإيش فرقه حتى أجمعه ؟ وصدّق ، وذلك أن المحرَّنجم هو المجتمع : يقولها ماراً على شكيمته غير مُحسّسٍ لما أريده منه والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا : إذا أنت مررت بإبل محرَّنجمةٍ وأخرى مُحَرَّنجمةً ، وأخرى محرَّنجمة . تقول : مررت بإبل ماذا ؟ فقال - وقد أحس الموضع - « يا هذا هكذا أقول : مررت بإبل محرَّنجماتٍ » وأقام على التصحيح ألبته استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة المُصَّاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيها لاسيما إذا كان فيها زيادة والزيادة قد تُعتدُّ في كثير من المواضع اعتداد الأصول حتى إنها لتلزم لزومها نحو : كوكب ، وحوشب^(١) ، وضَيون^(٢) ، وهزَبران^(٣) ، ودودرى^(٤) ، وقرنفل ، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصفاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاجه وتقارب أجزائه مانع منه ويعين الله فيما يليه على المعتقد للنوى فيه بقدرته ، وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال : سراحين ، قلت : فدكاناً ، قال : دكاكين قلت : فقرطاناً ، قال : قراطين ، قلت : فعثمان ، قال : عثمانون ، قلت : هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأبأها ألبته وقال : « إيش ذا ؟ أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لفته ؟ والله لا أقولها أبداً . . . استوحش من تكسير العلم لكثراً له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو : سكران وغضبان ...

(١) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر (٢) السنور الذكر أو دوية تشبهه (٣) يقال : رجل هزبر وهزبران ، أى حديد وثاب (٤) الذي يذهب ويحى من غير حاجة .

ونكتفى بهذا المقدار من التعريف بأبي الفتح بن جنى شارح المتنبي ، وإذا أردت الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج ١٢ طبعة فريد الرفاعي .

الواحدى

وهذا الإمام أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى أحد شراح المتنبي هو - كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما - الإمام المصنف المفسر النحوى أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق صباه ، وأيام شبابه فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، وتلمذ لأبى الفضل العروضى^(١) ، وقرأ النحو على أبى الحسن الضرير القهندزى ، ولازم مجالس الثعلبى^(٢) فى تحصيل التفسير . . . ثم أخذ فى التصنيف ، وقعد للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محل الإفادة ، وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بنير ما يليق بماضيهم . قال الحسن بن المظفر النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى هو الذى قيل فيه :

قد جمع العالم فى واحد عالمنا المعروف بالواحدى

(١) سيمر بك فى هذه الترجمة

(٢) قال ابن خلكان : أبو إسحاق أحمد بن محمد لإبراهيم الثعالى النيسابورى المفسر المشهور : كان أوحده زمانه فى علم التفسير وكان يقال له الثعالى والثعالى وهو لقب له وليس بنسب ، توفى سنة ٤٢٧ هـ وهو - طبعا - غير الثعالى صاحب يتيمة الدهر

قال ومن غرر شعره :

أيا قادمًا من طوس أهلا ومرحبًا بقيت على الأيام ما هبت الصبا
لعمري لئن أحيا قدومك مدنفًا بحبك صبا في هواك مُعذِّبا
يَظَلُّ أسيرَ الوجدِ نهبَ صبايةٍ ويمسى على بحرِ الفضا مُتَقَلِّبا
فكم زفرةٍ قد جَهِتَها لو زفرتها على سدِّ ذى القرنين أمسى مُذَوِّبا
وكم لوعةٍ فاسيتُ يومَ تركتني ألا حظ منك البدر حين تغيبا
وعادَ النهارُ الطلق أسودَ مُظْلِمًا وعادَ سنا الإصباح بعدك غَيْبًا
وأصبح حُسن الصبرِ عني ظاعنا وحدد نحوى البينُ نابًا ومُخْلِبا
فأنسيم لو أبصرتَ طرفي هاكيا لشاهدتَ دمعًا بالدماءِ مُخَضِّبا
مسالكُ لهُوٍ سدها الوجدُ والجوى وروضُ سُروِرٍ عادَ بعدك مُجْدِبا
فداؤك رُوحى يا ابنَ أكرمِ والِدٍ ويامن فواذى غيرِ حبيبٍ قد أبى
وأنشدله :

شوهت الدنيا وأبدت عوارها
وضاقت على الأرض بالرحب والسعة
وأظلم في عيني ضياءُ نهارها
لتوديع من قد بان عني بأربعة
فواذى وعيشى والمسرة والكرى
فإن عاد عاد الكل والأنس والدعة

وقال أبو الحسن الواحدى فى مقدمة البسيط : وأظننى لم آل جهداً
فى أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمنا هذا وتسعه سنو عمري
على قلة أعدادها ، فقد وفق الله - وله الحمد - حتى اقتبست كل ما احتجت

إليه في هذا الباب من مَظَانِّه ، وأخذته من معادِنه ، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله ^(١) . وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخْبِجِى ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ؛ وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابى شيخى — رحمه الله — يوماً وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى تأتبه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعنى الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى — قلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد ، وإذا لم أجزم الأدب بمجد وتعب ، لم أرم فى غرض التفسير من مكشَب ، ثم لم أُغِيبَ زيارته فى يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام .

(١) جاء فى بغية الوعاة : أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك النمشلى الأديب أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى : هو شيخ أهل الأدب فى عصره ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى والطائفة ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى .. إلى أن قال : جاز السبعين فى خدمة الكتب وأنفق عمره فى مطالعة العلوم وتدريس مؤدى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦ .

وأما النحو فإني لما كنت في ميلة صباى وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضير ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضائق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرس في ، وتوسم الخير لدى ، فتجرد لتخريجي ، وصرف وكده إلى تأديبي ، ولم يدخر عني شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه ، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشككة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل ، وخصني بكتابيه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي ، وكان واحد دهره ، وبقعة عصره ، في علم النحو ، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه في معرفة الإعراب . ولقد صحبتته مدة في مقامه عندنا حتى استزف غرر ما عنده .

وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران ، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري ، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي ، وكنا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم ، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حفظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه^(١) وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير ، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله وكان خير العلماء

(١) هو أبو علي الفارسي .

بل بحرم ، ونجم الفضلاء ، بل بدرهم ، وزين الأئمة بل نغرم ، وأوحد الأمة بل صدرهم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذى زفت به المطايا فى السهل والأوعار وسارت به الفلك فى البحار ، وهبت هبوب الريح فى الأقطار .

فسارَ مَسِيرَ الشمسِ فى كلِّ بلدةٍ
وهبَ هُبوبَ الرِّيحِ فى البرِّ والبحرِ

وأصفت عليه كافة الأمة على اختلاف نحليهم ، وأقرؤوا له بالفضيلة فى تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فن أدركه وصحبه علم أنه منقطع القرين ، ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ليستدل بها على أنه كان بحراً لا ينزف وعمراً لا يسر ، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، منها تفسيره الكبير وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن وغيرها ، ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطأتها طال الخطب وملّ الناظر ، وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب أرجو أن يمدنى الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نقت على غيرى إمامه ، ونعت عليه إغفاله ، لا يدع لمن تأمله حارة فى صدره حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين ، إلى نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكون المتأمل مرتاضاً فى صنعة الأدب والنحو ، مهتدياً بطرق الحجاج ، مارحاً فى سلوك المنهاج ، فأما الجذع المرخى من المقتبس ، والريّض الكز من المبتدئين ، فإنه مع هذا الكتاب كراول غلقاً ضاع عنه المفتاح ، ومنخبط فى ظلماء ليل خانة المصباح :

يُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَأْبَى كَعَيْنَيْنِ يُرِيدُ نِكَاحَ بَكْرٍ
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مُجَالَةٌ الْوَقْتِ ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَانِ ،
وَتَذَكُّرَةٌ يَسْتَصْحِبُهَا الرَّجُلُ حَيْثُ حَلَّ وَارْتَحَلَ وَإِنْ أُنْسِيَ الْأَجَلَ ،

وَأَرْخَى الْعِطُولُ ، وَأَنْظَرَنِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَتَّى يَتَلَفَعَ بِالْمَشِيبِ الْعِذَارُ أُرْدَفْتَهُ
بِكِتَابٍ أَنْضَجُهُ بِنَارِ الزَّوِيَةِ ، وَأَرَدَّدَهُ عَلَى رُوقِ الْفِكْرَةِ ، وَأَضْمَنَهُ عَجَائِبَ
مَا كَتَبْتَهُ ، وَلَطَائِفَ مَا جَمَعْتَهُ ، وَعَلَى اللَّهِ الْمَعُولُ فِي تَيْسِيرِ مَا رُمْتُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلَّمَا
قَعَدْتُ أَوْ قُتُّ .

ابن فورجه

قال ياقوت - ونقله السيوطي في بنية الوعاة - : هو محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فورجه - بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم - البروجردى ، أديب فاضل مصنف ، له كتاب الفتح على أبي الفتح ، والتبجني على ابن جني ، يرد فيه على أبي الفتح بن جني في شرح شعر المتنبي ، ومولده في ذى الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، ومن شعره :

أَيُّهَا الْقَاتِلِي بَعِينِيهِ رَفَقَا إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ ذَا مِنْ قَلَاكَ
أَكْثَرَ اللَّائِمُونَ فِيكَ عِتَابِي أَنَا وَاللَّائِمُونَ فِيكَ فِدَاكَ
إِنْ لِي غَيْرَةٌ عَلَيْكَ مِنْ أَسْمَى إِنَّهُ دَائِمًا يَقْبَلُ فَاكَ
هَذَا وَقَدْ ضَبَطَهُ ابْنُ شَاكِرٍ صَاحِبُ فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ . هَكَذَا : ابْنُ فَوْزَجَةَ فَقَالَ :
بِضَمِّ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَفَتْحِ الزَّايِ وَتَشْدِيدِ الْجِيمِ .

ابن القطاع الصقلي

قال ابن خلكان : هو أبو القاسم علي بن جعفر ... إلى آخر النسب قال : كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة . وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال ، أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية ، وإن كان ذلك قد سبقه إليه . وله كتاب أبنية الأسماء ، جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدرّة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب لمح الملح ، جمع فيه خلقاً من شعراء الأندلس . وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الإجادة ، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسائة وبالع أهل مصر في إكرامه ، وكان ينسب إلى التسهل في الرواية ومن شعره في ألثغ :

وشادِنِ في لسانه عُقْدٌ حَلَّتْ عَقُودِي وأوهنت جَلْدِي
عابوه جهلاً بها فقلت لم أما تَمِيعُهم بالنَفْثِ في العَدِ
وله من قصيدة :

فلا تُنْفِدين العمر في طلب الصبا ولا تشقّين يوماً بِسُفْدِي ولا نعم
ولا تندبن أطلال مية باللوى ولا تسفنن ماء الشؤون على رَسَمِ
فإن قُصَّارِي المرء إدراك حاجة ومن شعره في غلام اسمه حمزة :

يا من رمى النار في فؤادي وأنبط العين بالكاء
إِسْمُكَ تصحيفه بقلبي وفي ثناياك برء دأى
أُرْدُدُ سلامي فإن نفسي لم يبق منها سوى النماء

وارفق بصب أتى ذليلاً قد مزج اليأس بالرجاء

أنهكه في الهوى التجنى فصار في رقة الهواء

وله شعر كثير ، وتوفي بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمه

الله تعالى .

ابن الإفيلي

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفيلي^(١) إماماً من أئمة النحو واللغة ، ترجمه ابن خلكان في بضعة أسطر ، وذكره ابن بسام عرضاً كذلك ، قال في بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له في رسالة التوابع والزواج إذ قال ابن شهيد : وأما أبو القاسم الإفيلي فإنه من نفسى مكين ، وحببه بفؤادى دخيل ، على أنه متعامل على ، ومنتسب إلى . . . فقال ابن بسام قفلا عن ابن حيان المؤرخ : كان ابن الإفيلي الذى به عرض قد بذأ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربى والضبط لغريب اللغة في أشعار الجاهلية والإسلام والمشاركة في بعض معانيها ، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه ، راكباً رأسه في الخطأ البين إذا أنشب فيه ، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه ، وعديم علم العروض ومعرفة مع احتياجه إليه وكال صناعته به ، فلم يكن له رسوخ فيه ، وكان لحق الفتنة البربرية ومضى الناس من حائر وظاعن ، فازدلف إلى الأمراء الكاثنين بقرطبة من آل سحود إلى أن نال الجلاء ؛ واستكتبه محمد بن

(١) الإفيلي - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء - المشتاة من تحتها وبعدها لام ثانية، هذه النسبة إلى الإفيليل وهى قرية بالشام كان أصله منها ،

(٧٢ - المتنبي ١)

عبد الرحمن المستكنى بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه نائياً عن البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم يَجْرَ في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه ، وما بلغنى أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا شَرَحَه ديوان المتنبي لاغير ، ولحقته تهمة في دينه أيام هشام الروانى في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم والسامى والحار وغيرهم ، وطلب ابن الإفيلى وسجن بالمطيق ، ثم أطلق وقال ابن خلكان : كان متصدراً بالأندلس لإقراء الأدب ، وكان حافظاً للأشعار ذا سكر للأخبار وأيام الناس ، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة ، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ، صادق اللهجة ، حسن الغيب ، صافى الضمير ، وكانت ولادته في شوال سنة ٣٥٢ ، وتوفى يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ ، ودفن في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة .

الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبى الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانى . قال ابن خلكان : كان نادرة الدهر وأهجرة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبى الحسين أحمد بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجمل في اللغة ، وأخذ عن أبى الفضل بن العميد وغيرهما ، وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه : ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بالغايات في المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همه قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدُ وضمي يقصر عن أيسر فواضله ومساغيه ... ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج من وكرها ، ورضع أفلايق درّها ، وورثها عن آبائه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه :

وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ مَوْصُولَةً الْإِسْنَادَ بِالْإِسْنَادِ
يُرْوَى عَنْ الْعَبَّاسِ عَبْسَادَ وَزَا رْتَهُ وَإِسْمَاعِيلَ عَنْ عِبَادٍ
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لَقِبَ بِالصَّاحِبِ مِنَ الْوُزَرَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ يَصْحَبُ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ
فَقِيلَ لَهُ صَاحِبُ ابْنِ الْعَمِيدِ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا اللَّقْبُ لَمَّا تَوَلَّى الْوِزَارَةَ وَبَقِيَ
حَلَمًا عَلَيْهِ .

وذكر أبو إسحاق الصّابي في كتاب التاجي : أنه إنما قيل له الصاحب لأنه
صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب
واشتهر به ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده ، وكان أولا وزير مؤيد الدولة
أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد أبي الفتح علي
بن أبي الفضل بن العميد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين
وثلاثمائة بمرجان استولى على مملكته أخوه نضر الدولة أبو الحسن علي فأقر الصاحب
على وزارته ، وكان مبجلا عنده ومعظما نافذ الأمر ، وأنشده أبو القاسم الزعفراني
يوما أبياتا نونية من جملتها :

أَيَا مَنْ عَطَايَاهُ تُهْدِي الْفَنَى إِلَى رَاحَتِي مَنْ نَأَى أَوْدُنَا
كَسَوْتَ الْمُقِيمِينَ وَالزَّائِرِينَ كَيْسَى لَمْ نَحْلَمْ مِثْلَهَا مِمَّا كُنَّا
وَحَاشِيَةُ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي صُنُوفٍ مِنَ الْخَزْإِ إِلَّا أَنَا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار من بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له : احلني
أيها الأمير ، فأمر له بناق و فرس وبغل و حمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله
سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لمحتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخزْءِ بِحَبَّةٍ
و قميص ، وعمامة ، ودُرّاعة ، وسراويل ، ومنديل ، ومطرف ، ورداء ، وكساء ،

وجورب ، وكيس ، ولو علنا لباساً آخر يتخذ من الماز لأعطيناكم ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بِمُرِّ الدَّاءِ ، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلة مترجمة بالضرايين ، فوقع تحتها : في حديد بارد ، وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت إلينا ؛ وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فقال الصاحب : إخسوا فيها ولا تكلمون ، ونواذره كثيرة ، وصنف في اللغة كتاباً سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات رتبته على حروف المعجم أكثر فيه الألفاظ وقيل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الأعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته ، وله رسائل بديعة ونظم جيد فنه قوله :

وَشَادِنِ جَمَالَهُ تَقَصَّرُ عَنْهُ صِفَتِي
أَهْوَى لِتَقْبِيلِ يَدِي قَلْتُ قَبْلَ شَفَتِي

وله في رقة الخمر :

رَقَّ الرَّجَاجُ وَرَاقَتْ الْخَمْرُ وَنَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي : أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه : أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جل ، فما الظن بما يليق بها من التحمل ؟ وأخباره كثيرة .

قال ابن خلكان : وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ست وعشرين وثلثمائة بأصطخر وقيل بالطالقان ، وتوفي ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ثم نقل إلى أصبهان رحمه الله تعالى ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزبه وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصبهاني : رأيت في المنام قاتلا يقول لي لِمَ لَمْ تَرِثَ الصَّاحِبَ مَعَ فَضْلِكَ وَشَمْرَكَ ؟ قُلْتُ أَتَجَمَّنِي كَثْرَةُ مَحَاسِنِهِ فَلَمْ أَذِرْ بِمَا أَبْدَأُ مِنْهَا ؟ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَقْصِرَ وَقَدْ ظَنَنْتُ بِي الْإِسْتِيفَاءَ لَهَا ، قَالَ أَجَزَ مَا أَقُولُهُ قُلْتُ قُلْ ، قَالَ :

• ثَوَى الْجُودَ وَالْكَافِيَ مَعًا فِي خَفِيرَةٍ •

قُلْتُ : • لِيَأْنِسَ كُلُّ مَنْهَا بِأَخِيهِ •

فَقَالَ : • هَا أَصْطَلَجَا حَتَيْنٍ ثُمَّ تَعَانَقَا •

قُلْتُ : • ضَجِيعِينَ فِي لَحْدِ بِيَابِ دَزْبِهِ •

فَقَالَ : • إِذَا ارْتَحَلَ الثَّائِبُونَ عَنْ مُسْتَقَرِّمِ •

قُلْتُ : • أَقْلَمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ •

ذكر هذا البياسي في حاشيته ، ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب ، فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الرى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه نحر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى نحر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ، وورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله :

أَبْعَدَ ابْنُ عِبَادَ يَهْشُ إِلَى الشَّرِّ أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَأْخُ جَوَادُ

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمَوْتِهِ فَمَا لَهَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد نخر الدولة ووالد عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبي ، وتوفى نخر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، والطلاقى - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف - وبعد الألف الثانية نون : هذه النسبة إلى الطالقان ، وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوین ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوین ، لا طالقان خراسان .

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - وهو كما قال ابن خلكان - ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ - قال ابن خلكان : كان أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير ، وكان إماماً في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره . ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بآر جان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه : قل للصاحب على الباب أحد الأدباء ، وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول ، فدخل عليه فعرفه وانبطط له ، وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ، وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه فن ذلك قوله :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا
مُقِيمًا وَإِنْ أَصْرْتَ زُرْتَ لِمَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ
أَغْبَى وَإِنْ زَادَ الضَّيَاءُ أَقْلَمَا
ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ يُحَاوِلُ صَرْفَ الرِّاحِ يَشْرِبُهَا
وَلَا يَفُكُّ لِمَا يَلْقَاهُ قِرْطَاسًا
الْكَاثُ وَالْكَيْسُ لَمْ يُقْضَ امْتِلَاؤُهُمَا
فَقَرَّغِ الْكَيْسَ حَتَّى تَمْلَأَ الْكَاثَا
وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :
أَبُو بَكْرٍ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ
مَوَدَّتُهُ إِذَا دَامَتْ لَيْلٌ فَمِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ
وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ، ومات بها في منتصف شهر رمضان
سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه : أنه توفي سنة ثلاث
وتسعين وثلثمائة ، وكان قد فارق الصاحب بن عباد غير راض فعمل فيه :
لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عِبَادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ يَدَاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أَخْجَلَ الدِّيَمَا
فَإِنَّهُ خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا
فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشده :

أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ خُرَاسَانَ قَافِلٍ أَمَاتَ خَوَارِزْمِيكُمْ قِيلَ لِي نَعَمْ
فَقُلْتُ اكْتُبُوا بِالْجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ

العميدى

« صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي »

قال ياقوت : أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدى : أديب نحوى لفوى مصنف ، سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعيد العميدى : له أديبات . . . مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، قال : وكان العميدى يتولى ديوان الترتيب ، وعزل عنه — كما ذكر الروذبارى — فى سنة ثلاث عشرة فى أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر فى أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولى الدولة بن خيران الكاتب فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلى فى جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة . قال : وله تصانيف فى الأدب ، منها : كتاب تنقيح البلاغة فى عشرة مجلدات ، رأيت به بدمشق فى خزانة الملك المعظم وعليه خطه ، وقد قرئ عليه فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكتاب الإرشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنشور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ، كتاب القوافى كبير .

قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال : أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى لنفسه :

إذا ما ضاق صدرى لم أجدلى مقرأ عبادة إلا القرآنة
لئن لم يرحم المولى اجتهادى وقلة ناصرى لم ألق رافة

ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو - كما قال ابن خلكان والشعلبي - أبو محمد الحسن ابن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التنيسي . . . شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب يَبَيِّن فيه سرقات أبي الطيب ، سماه المنصف ، وكان في لسانه عجمة ، ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق فما يصبو إليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء وقد يُسَلِّي عن الولد العقوق
وله أيضاً :

إن كان قد بعد اللقاء فودّنا باق ونحن على النوى أحباب
كم قاطع للوصل يؤمن وده ومواصل بوداده يرتاب
وله أيضاً :

لقد شمت بقلبي لا فرّج الله عنه
كم لنته في هواه فقال لا بد منه
وقد ألمّ بهذا المعنى بعضهم فقال :
لا رعى الله عزمة ضمنت لي سلوة القلب والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول لا بد منه
ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستمر جلدًا على هجرانهم فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعًا وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد
ابن مقلد القضاى الشيزرى المدرس كان بتربة الإمام الشافعى رضى الله عنه
بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همى بالبحول وصددت عن الرتب العاليه
وما جهلت طعم طيب العلا ولكنها تؤثر العافيه
فأنشدنى لنفسه على البديهية :

بقدر الصعود يكون المبوط فإياك والرتب العاليه
وكن فى مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك فى العافيه
ولابن وكيع أيضاً :

أبصره عاذلى عليه ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لى : لو هويت هذا ما لامك الناس فى هواه
قل لى إلى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواء
فظل من حيث ليس يدرى يأمر بالحب من نهاه

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين
محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيى ، فأنشدنى لنفسه فى المعنى :

لو رأى وجه حبيبي عاذلى لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن فى التورية ،
ولابن وكيع كل معنى حسن ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى
الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تنيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى
فى القبة التى بنيت له بها رحمه الله تعالى . وو كيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، وهو لقب جدّه أبى بكر محمد بن خلف
وكان نائباً فى الحكم بالأهواز لميدان الجواليقى ، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من

أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، منها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المسكايل والموازين وغير ذلك ، وله شعر ك شعر العلماء ، وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بمسكر مكرم رحمه الله تعالى ؛ والتنيسى بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط .

الخطيب التبريزي

هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ، قال ابن خلكان : كانت له معرفة تامة بالأدب ، من النحو واللغة وغيرهما ، قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري . وأبى القاسم عبد الله بن علي الرقي ، وأبى محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبى القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادى وأبى القاسم عبد الله بن علي وغيرهم ، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد ابن سهل الأندلسي وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له ؛ وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون

المقرئ يقول : أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان يَمْرُضُ الطريقة ، وذكر عنه أشياء . ثم قال : وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال ، ولكن كان ثقة في اللغة وما كان يتقله ، وصنف في الأدب كتباً كثيرة مفيدة : منها شرح الحاشية وكتاب شرح ديوان المتنبي ، وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري ، وشرح المعاني السبع وشرح المفضليات ، وله تهذيب غريب الحديث ، وتهذيب إصلاح المنطق ، وله في النحومقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود ، وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي ، وكتاب في إعراب القرآن سماه الملخص رأيته في أربعة مجلدات وشروحه لكتاب الحاشية ثلاث أكبر وأوسط وأصغر ، وله غير ذلك من التأليف ، ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد ، وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري : أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهرى في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلب ، وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ، وكان الخطيب قد دخل مصر في عنوان شبابه قرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى المات .

وكان يَرَوِي عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن محيرز البغدادى جملة من شعره ، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشهر أشعاره :

خليلى ما أحلى صبوحي بدجلة وأطيب منه بالمرأة غبوق

شربت على الماءين من ماء كرمه فكانا كبدرا ذائب وعقيق
على قرى أفق وأرض تقابلا فمن شائق حلوهوى ومشوق
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقيني ويشرب ريقى
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى فقال نعم هذا أخى وشقيقى
وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الأخير منها يستمد من معنى
قول أبى بكر محمد بن عيسى الدائى المعروف بابن البانة الأندلسى فى مدح المتمد
ابن عباد صاحب إشبيلية من جملة قصيدة طويلة :

سألت أخاه البحر عنه فقال لى شقيقى إلا أنه الساكن العذب
ما كفاه أنه جملة شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال : الساكن العذب والبحر
مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هذه القصيدة :
بكت عند توديعى فما علم الركب أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وإنى لخطي : نجوم الدياجى لا يقال لها سرب
وهى قصيدة طويلة . وللخطيب أيضاً :

فمن يَسَام من الأسفار يوما فإنى قد سئمت من المقام
أقنا بالعراق على رجال لثام ينتمون إلى لثام
وقال الخطيب : كتب إلى العميد الفياض :

قل ليحيى بن على والأفاويل فنون
غير أنى لست من يكذب فيها ويخون
أنت عين الفضل إن مد إلى الفضل عيون
أنت من عز به الفضل وقد كاد يهون
فقت من كان واتعبت لعمري من يكون
قد مضى فيك قران ومضى قبل قرون
وإذا قيس بك الكل فصحو ودجون

وإذا فقتش عنهم فالأحاديث شجون
 قد سمعنا ورأينا فسهول وحزون
 ووزنًا بك من كما ن فقليل وقبون
 أين شيبان وأزْد كل ما زال ظنون
 إنك الأصل ومن دو نك في العلم غصون
 إنك البحر وأعيا ن ذوى الفضل عيون
 ليس كالسيف وإن حلل في الحكم جنون
 ليس كالقدح الملقى ليس كالبيت الحُجون
 ليس كجلْد وإن آ نَسَ هزلٌ ومجون
 ليس في الحسن سواء أبدأ بيض وجون
 ليس كالأبكار في اللطف وإن راققتك عُون
 قلت للحساد كونوا كيف شئتم أن تكونوا
 سبق الزائد بالفضل فعزُّوا أو فمُونوا
 دُمتَ ما خالف في الحدَّ حرَّاكٌ وسكون
 وتلقاك المني ما قرَّ بالطير الوُكون
 إنَّ وُدِّي لك عما يصمُّ الوُدَّ مَصُونُ
 ليس لي فيه ظهور تتنافى أو بطون
 بل لقلبي فيك صَبُّ بالمصافاة يكون
 غلق الرهن وقد تفلسق في الحب رهون
 ومن الناس أمين في هواء وخوون

وقال ابن الجواليقي : قال لنال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى

العميد الفياض المذكور هذه الأبيات :

قل للعميد أخى العلا الفياض أنا قطرة من بحرك الفياض

شرفتني ورفعت ذكرى بالذى ألبستني من الثنا الفضاض
 ألبستني حل القريض تفضلا فرفلت منها في علا ورياض
 إني أتيتك بالحصى عن لؤلؤ أبرزته من خاطر مرتاض
 وبخاطري عن مثل ذاك توقف ما إن يكاد يجود بالاباض
 العارض البحر الغطاميط جدول أم درة تنقاس بالرضاض
 يا قارس النظم الرصع جوهرا والنثر يكشف غمة الأمراض
 يرى به الفرض البعيد وقد غدا فكري يقصر عن مدى الأغراض
 لا تلزمي من ثنائك موجيا حقا فلت لحقه بالقاض
 فلقد عجزت عن القريض وربما أعرضت عنه أيما إعراض
 أنم على يسط عذري إني أقررت عند نذاك بالإفراض

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين
 بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز
 رحمه الله تعالى ، وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء
 المهملة وبعد الألف ميم .

المكبرى

أما الإمام المُكَبَّرِي فهو أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن
 أبي البقاء عبد الله بن الحسين المكبرى الأصل البغدادي المولد والدار الفقيه
 الحنظلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير الملقب بحب الدين ، أخذ النحو عن
 أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من
 أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة

طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرها ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي ، وديوان المتنبي ، وله كتاب إعراب القرآن الكريم في مجلدين وكتاب إعراب الحديث لطيف ، وكتاب شرح اللّمع لابن جني وكتاب الباب في علل النحو وكتاب إعراب شعر الحماسة ، وشرح المفصل للزمخشري شرحاً مستوفى ، وشرح الخطب النبائية والمقامات الحريرية وصنف في النحو والحساب ، واشتغل عليه خلق كثير واتفقوا به واشتهر اسمه في البلاد وهو حيّ وبعد صيته وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسة وتوفي ليلة الأحد ثلث شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستائة ببغداد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . والعكبري بضم العين المهمة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عكبرا وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

ابن الشجري

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادى . قال ابن خلكان : كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلماً من الأدب صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب الأمالى ، وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين مجلساً ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سَنَحَ له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن

الخشب والتمس فيه سماعه عليه ، فلم يحبه إلى ذلك ، فعاداه وردّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ فردّ عليه في ردّه وبين وجوه غلطه وجمعه كتاباً وسماه الاتصّار ، وهو على صغر حجمه مفيد جداً وسممه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه المحاسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف : ما انفق لفظه واختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جنى ، وشرح التصريف اللوكنى ، وكان حسن الكلام حلّ الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي ، وأبي على محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما . وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم على بن طراد الزيني وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء : أن العلامة أبا القاسم محموداً الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري فضيئنا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي .

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر أنظر
ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذننى بأحسن مما قدرأى بصرى

وهذان البيتان منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هانيء الأندلسي وينسبان
(٨٢ — المتنبي ١)

إلى غيره أيضاً ؛ قال ابن الأنباري : فقال العلامة الزنجشري : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخليل قال له : يا زيدا وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت دون ما وصف لي ، غيرك ؛ قال ابن الأنباري : فخرجنا من عنده ونحن نعجب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزنجشري بالحديث وهو رجل أعجمي ؟ وكان ابن الشجري نقيب الطالبين بالكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جبير وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
يأسدرة الوادي الذي إن ضله	ساري هداه نشره المتفاح
هل عائد قبل المات لمغم	عيش تقضى في ظلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة	لما دعى مضى الصباية طامح
شط المزار به وبؤى منزلا	بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه	قمر يحف به ظلام جامع
وإذا العيون تساهته لحاظها	لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد سررنا بالعقيق فشاقتنا	فيه مراتع للمها ومسارح
ظلنا به نبكي فكم من مضمهر	وجدا أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما	تلك العراض المقفرات نواضح
يا صاحبي تأملا حيتما	وسقى دياركما المليك الرايح
أدعى بدت لميونا أم رب رب	أم خرّد أكفاهن رواجح
أم هذه مقل الصوار رنت لنا	خلل البراقع أم قنا وصفايح
لم يبق جارحة وقد واجهتنا	إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسراهوى	ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة	ما أثرت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه لتستدل به على طريقته فيه ؛ ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهود وهل مكذب قول الوشاة جحود
وحتى متى تُفنى شئونك بالبكا وقد حَدَّ حَدّاً للبُكاء لبَّيدُ
ولمى وإن خَفَّتْ قَنَائِي كَبْرَةً لذو مِرَّةٍ في الثَّائبات جليد

وفيه إشارة إلى أبيات لبيد بن ربيعة العامري وهي :

تمنى ابتئى أبى يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مُعَصَّر
فَقُومُوا فَتَوَحَّأْ بِالَّذِي تَعْلَمَانَهُ وَلَا تَحْمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحَامَا شَعْر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان العهد ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظَعَنُوا فَكَانَ بَكَاءُ حَوْلٍ بَعْدَهُمْ ثم اِرْعَوَيْتِ وَذَاكَ حَكَمَ لَبِيدُ
وقال الشريف أبو السعادات المذكور ، أنشدنى أبو إسماعيل الحسين الطغرائى لنفسه :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً فكن عبداً لملكه مطيعاً
وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تهواه فاتركها جميعاً
هما سببان من ملك وترك يتيلان الفقى الشرف الرفيعاً
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين عاش بها وضيعاً

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن حكيم البغدادي الحرابي الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

ياسيدى والذى يُعِيذك من نَظَمَ قَرِيضٍ يَصْدَا بِهِ الْفِكْرُ
مالك من جدك النبی سوى أنك ما ينبی لك الشعر

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من القند في داره بالكرك من بغداد رحمه الله تعالى . والشجرة بفتح الشين المعجمة والجيم وبعبدا راء : هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ؛ وشجرة أيضاً اسم رجل قد سمت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما ، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ؟ والله أعلم .

القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قال ياقوت : كان أريباً أديباً كلاملاً ، مات بالرعي يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالرعي حينئذ ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين ، وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر ، وأخوه إذ ذاك فقيه منظر ، وأبو الحسن قد ناهض الحلم ، فسمعاً الحديث الكبير ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكر في الدنيا^(١) . وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها ، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار

(١) يريد إلى أن مات ،

ابن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير
مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض ، راجلين ، ووقع الاختيار بموته على أبي موسى
عيسى بن أحمد الديلمي ، فاستدعى من قزوين وولى قضاء القضاة بالرى
وله يقول صاحب بن عباد ؛ وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار على
قاضي الرى :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدعنا وهذى الكتب نحسب صدورنا
فإنهم لا يرتضون مجيئنا بجزع إذا نفلت أنت شذورها^(١)

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا
ذكره فى كتبه تبخى به^(٢) وشمخ بأنه بالانتماء إليه . وطوف فى صباه البلاد
وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره . وله
رسائل مدونة ، وأشعار مفضنة ، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة ؛
ومن شعره :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه
الورد قد أينع فى وجنتى قلت : فى بالثم يجنيه

ومنه :

يقولون لى فىك اقتباس وإنما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم
ومازلت منحازاً بمرضى جانبنا
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى
وما كل برقى لاح لى يستغزنى
وأوارجلانى موقف اللل أحجبا
ومن أكرمه غرة النفس أكرما
من الهم أعتد الصيانة ممفا
ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولا كل أهل الأرض أرضاء منعميا

(١) الجرع : الحرر الباني .

(٢) أى قال : بخ بخ .

ولم أقضِ حق العلم إن كان كلاماً بدا طمعٌ صَيَّرَهُ لِي سُلْماً
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لا قيت لكن لأخدم ما
أشقى به غرساً وأجنيه ذلةً؟ إذن فابتياعُ الجهل قد كان أحزماً
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس تعظماً
ولكن أذلوه جهاراً ودنسوا بحياء بالأطماع حتى تجهما
ومنه :

وقالوا : اضطرب في الأرض فالرزق واسع
فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حرّة يُعْنِي ولم يك لي كسب فمن أين أرزق ؟
ومنه :

أحبُّ اسمه من أجله وسميَّه ويتبعه في كل أخلاقه قلبي
ويجتاز بالقوم العدا فأحبه وكلهم طاولي الضمير على حربي
ومنه :

قد برّح الشوق بمشتاك فأؤله أحسن أخلاق
لأنجفه وارع له حقه فإنه خاتم عشاق
وللقاضى عدة تصانيف منها : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب تهذيب التاريخ
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل
نيسابور :

أيا قاضياً قد دنت كُتبه وإن أصبحت داره شاحطة
كتاب الوساطة في حسنه لعقد معاليك كالواسطة
ومن شعره :

وماتطعمت لذة العيش حتى صرتُ للبيت والكتاب جالسا
ليس شيء أعز عندي من العلم مـ فلم أبتغي سواه أنيسا !!

إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً
ومن سائر شعره قوله :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقاً
على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها
عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر
فإن فعلتَ كُنتَ الغنيَّ وإن أبت

فكل متويع بعدها واسع العذر
وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي
ابن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار صاحب وذلك قبيل العيد فجاءني
رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديتُ عطراً مثلاً طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه
قال وسمعته يقول : إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه لي بمرجان أكثر
مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بي وتواضعه لي ؛
فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدد من فعلك الحسن
فالعزيز مطلوب ومكتسب وأعزه مانيل في الوطن
ثم قال : قد فرغت من هذا المعنى في العينية فقلت : لعل مولانا يريد قولي :
وشيدتُ مجدى بين قومي فلم أقل ألا ليت قومي يعلمون صنيعي
فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : « ياليت قومي يعلمون »
بما غفر لي ربِّي وجعلني من المكرمين » قال الثعالبي : القاضي أبو الحسن
علي بن عبد العزيز ، حصة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان

حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحترى : وينظم عقد الإقتان ، والإحسان في كل ما يتعاطاه ، « وأنشد بيت صاحب المقدم ذكره » وقد كان في صباه خاف الخضر في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء عِلْمًا ، وفي الكمال علمًا ، ثم عرج على حضرة صاحب فائق بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلا بعيداً في رفقته ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصْد ، وفَرَائِدَ أتت من فَرْدٍ ، وما منها إلا صوب العقل ، وفوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته ، من الولاية والمُطَلَّة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى .

وعرض على أبو نصر المصمعي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب ، في معنى القاضى أبي الحسن نسخته بعد التصيد والتشبيب : قد تقدم من وصنى للقاضى أبي الحسن على بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتيبى ما أعلم أنى لم أُوَدِّ فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه منى : فالموقع الذى تخطبه هذه المحاسن وتوجهه هذه المناقب ، وعادته معى ألا يفارقنى مقياً وظاعناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصوير المقام كالإلمام . فطالبنى مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإنَّ عَنَّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المتاد من فضله ، ليمجّل انكفاؤه إلى بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من

بَذَرَةٍ^(١) إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها ، فإن رأى الأمير أن يحمل من حظوظ الجسيمة عنده تعهد القاضى أبى الحسن بما يجعل رده فإنى ما غاب كالمُضِلِّ الناشد ، وإذا عاد كالغائم الواجد ، مل إن شاء الله .

ولما عمل الصاحب رسالته المروقة في إظهار مسلوى المتنبي ، عمل القاضى أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأحرب عن تبهره في الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح .

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما ، ومن شعره :

أَنْتَ عَلَى خَدَيَّ مِنْ وَرْدِكَ أَوْدَعُ فَمَنْ يَقْطَعُهُ مِنْ خَدِّكَ
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَ مِنْ قَدِّكَ
وَقُلْ لِمِنيكَ — بِنَفْسِي هَا — يَخْفَتَانِ السِّقْمَ عَنْ عَبْدِكَ

وله :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَسْرُ بِمِنْ دَنَا مَخَافَةَ نَائِي أَوْ حِذَارِ صُدُودِ
قَدْ جَمَلْتُ نَفْسِي تَقُولُ لِمَقْلِي
وَقَدْ قَرَّبُوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي
فَلَيْسَ قَرِيبًا مَنْ يُخَافُ بِمَادُهُ وَلَا مَنْ يُرَجَّى قُرْبُهُ بِبَعِيدِ
وله يستطرد :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنِ ظَالِمٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمٍ ؟

(١) الخفارة في الطريق .

يفعل بالإخوان أحداته فعل الهوى بالذنب الهائم
كأنما أصبح يرميهم عن جفن مولاى أبى القاسم
وقال يذكر بغداد ويتشوقها :

يانسيم الجنوب بالله بلغ
قل لأحبابه فذاكم فؤاد
بنتم فالرقاد عندى سهاد
فعلى الكرخ فالقطيعة فالش
يا ديار السرور لازال يبكى
رب عيش صحبته فيك غص
فى ليال كأنهن أمان
وكان الأوقات فيها كنوس
زمن مسعد ولف وصول
كل أنس ولذة وسرور
ما يقول المقيم المستهام
ليس يسر ومقلة لا تنام
مد نأيتم والعيش عندى لئام
ط فباب الشعير منى السلام
بك فى مضحك الرياض غمام
وجفون الخطوب عنى نيام
من زمان كأنه أحلام
دائرات وأنهن مدام
ومنى يستلذها الأوهام
بعد ما بنتم على حرام

وله فى ذلك :

سقى جانبي بغداد أخلاف مزنة
فلى منهما قلب شجاني اشتياقه
سأغفر للأيام كل عظيمة
لئن قربت بعد البعاد مزارها

وله فى ذلك :

أراجعة تلك الليالى كمهدا
وصحبة أحباب لبست لفقدم
إذا لاح لى من نحو بغداد بارق
وإن أخلقتها الغاديات رعوها
إلى الوصل أم لا يرتجى لى رجوعها ؟
ثياب حداد يستجد خلعها
تجافت جفونى واستطير هجوعها !
تكلف تصديق النمام دموعها

سقى جانبي بفداد كل غمامة
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت
بها تسكن النفس النفور ويفتدي
يحن إليها كل قلب كأنما
فكل ليالى عيشها زمن الصبا
وكل فصول الدهر فيها ربيعها
يحاكى دموع المستهام هومها
لواظها ألا يداوى صريعها
بأنس من قلب المقيم نزعها
يشاد بحبات القلوب ربوعها

وله في ذلك :

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت
في كل يوم لعيني ما يؤرقها
ما زال يبعدني عنه وأتبعه
حتى أوت لي النوى من طول جفوته
وما البعاد دهاني بل خلاقه
لولا التحمل لم أنفك أندبه
دياره وأراني لست أصبحه
من ذكره ولقلبي ما يعذبه
ويستمر على ظلي وأعتبه
وسهلت لي سيلا كنت أربه
ولا الفراق شجاني بل تجنبه

وله في التخلص :

أو ما اثنت عن الوداع بلوعة
ومدامع تجري فتحسب أن في
ملأت حشاك صباة وغليلا ؟
آماقهن بنات إسماعيل

وله من قصيدة في الأمير شمس المعلى قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شموهم
تلقين أطراف السجوف بمشرق
فما سرن إلا بين دمع مضيع
كان فزادى قرن قابوس راعه
وقنا لتوديع الفريق المغرب
لهن وأعطاف الخلدور بمغرب
ولا فن إلا بين قلب معذب
تلاعبه بالفيلى المتناشب

وله في الصاحب من قصيدة :

وما بال هذا الدهر يطوى جوامحي على نفس محزون وقلب كئيب
تقسمي الأيام قسمة جائر على نفرة من حالها وشحوب
كأنني في مكف الوزير رغبة تقسم في جدوى أغرّ وهوب

وله من قصيدة في الصاحب :

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
سبقت بأفراد المعاني وألفت خواطرك الألفاظ بعد شراحها
وإن نحن حاولنا اختراع بديعة حصلنا على مسروقها ومعادها

وله في الصاحب من قصيدة ينهته بالبرء من المرض :

بك الدهر يبدي ظله ويطيب ويقطع عما ساءنا ويتوب
ونحمد آثار الزمان وربما ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
أقوى كل يوم للمكارم روعة لها في قلوب المكرمات وجيب ؟
تقسمت العلياء جسمك كله فن أين فيه للسقام نصيب ؟
إذا أليّت نفس الوزير تأملت لها أنفس تحيا بها وقلوب
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه حياتي وفي وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ولكنه في المكرمات ندوب
فلا تجزعن تلك السماء تغيبت وعما قليل تبدى فصوصب
تهلل وجه المجد وابسم الندى وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
فلا زالت الدنيا بملكك طلبة ولا زال فيها من ظلالك طيب

وله :

على مهجتي تجنى الحوادث والدهر فأما اصطباري فهو ممتنع وعمر
كأنني ألاق كل يوم ينوبني بذنب وما ذنبي سوى أنني حر
فإن لم يكن هند الزمان سوى الذي أصيب به ذرعا ففندي له الصبر

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الفنى
وبينى وبين المال بايان حرما
إذا قيل : هذا اليسر عاينت دوننا
إذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم
وماذا على مثل إذا خضعت له
وله :

سقى الفيت أو دمي - وقلّ كلاما -
بحيث استرقّ الدّعصُ وانبسط النقي
أكثر من أوصافها وهي واحد
وفي ذلك الخلد للكلّ ظبية
إذا خطرات الريح بين سجوفها
تلقت بأنشاء النصف لحاظنا
أفي مثل هذا اليوم يمرح طرفه
ومدت لإسبال السجوف بنانها
لها أربما ، جور الهوى بينها عدل
وحيث تنهى الحيف وانقطع الرمل
ولكن أرى أسماءها في في تحلو
لكل فؤاد عند أجفانها ذحل
أباحث لطف العين ما حطّر البخل
وقالت لأخرى : ما لمستهر عقل ؟
وأعداؤنا حولٌ وحسادنا قُبل ؟
ففازلنا عنها الشماثل والشكل

أبي العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارئ هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء
أبا العلاء المعري ، وهو أعرف من أن يعرف ، وقد أحاط المتأدبون بسيرته
وعبقريته علماء ؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ ،
وأنه وضع شرحاً لشعر المتنبي وسمّاه اللامع العززي . واختصر ديوان أبي تمام
وشرحه وسمّاه ذكرى حبيب ، وديوان ~~المتنبي~~ ~~المتنبي~~ ، وسمّاه « عيث الوليد » وديوان
المتنبي ، وسمّاه معجز أحمد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما أخذهم
من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الاختصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم .
قال ابن خلكان : وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأبوزكريا
التبريزي - أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له - وغيرهما ، والله أعلم .

« أمثال المتنبي وحكمه »

انظر أمثال المتنبي وحكمه في ذيل الجزء الرابع
من هذا الديوان

قافية الحمزة

قال - وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبي ذر مهمل بن محمد الكاتب (*) :-

أَلْقَابُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ ^(١)
فَوَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْصِيَنَّكَ فِي الْهَوَى قَسَمًا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ ^(٢)
أُحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ^(٣)

(*) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور . وكان شيخ سيف الدولة :

يَا لَا يَمْنِي كَفَّ الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي أَضْنَاهُ طُولُ سَقَامِهِ وَشَقَائِهِ
إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سَقَامَهُ وَأَعِنِّهِ مُلْتَمِسًا لِأَمْرِ شِفَائِهِ
حَتَّى يُقَالَ بَأَنَّكَ الْخُلُءُ الَّذِي يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخَائِهِ
أَوْ لَا ، فَدَعَهُ فَمَا بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ طُولِ الْمَلَامِ فَلَسْتَ مِنْ نَصَحَائِهِ
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِمَنْ عَصَيْتُ عَوَاضِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقْبَائِهِ
الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَمِيرَةٍ وَجْهِهِ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِهِ

(١) الضمير في مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود إلى القلب ، وإضافة الجفن إلى القلب لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعا . والمراد بمائه ذمومه يقول : القلب أدرى منك أيها اللام بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتصق بشقائه في البكاء ويأمر الجفن به * وإن شقائي عبرة مهراقة * والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الأكبر وأنت أيها العذول خليك بأن تمصى ولا اكتراث لنهيك .

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطمعتك أيها اللام فيه .

(٣) الاستفهام في أحبه إنكارى . يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهي عن حبه لأن الملامة معناها النهي عن حبه . وقد ناقض بذلك قول أبي الشيص :

(٩ - انتهى ١)

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ
دَعِ مَا بَرَآكَ صَفَفْتَ عَنْ إِخْفَانِهِ (١)
مَا الْخَلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بِقَلْبِهِ
وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ (٢)
إِنَّ الْمَعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى
أُولَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ (٣)

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْسُ لِي الْلَوْمُ
وقال الواحدى : معنى قوله إن الملامة فيه من أعدائه أن صاحب الملامة أى اللائم
هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ، ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا
تكلف لا موجب له . فالتنبي يقول إن اللوم من أعداء حبيبه ، فلا يجمع بينه وبين حبه
إياه ، أى أنه لا يصنى للوم اللوام ولا يقبله .

(١) وقولهم عطف على اللحاة ، والوشاة جمع واش ، وهو الغمام ، لأنه يشى الكذب
أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب . واللحاة جمع لاح وهو العاذل أى اللائم . يقول :
ليس هناك إلا واش أو لاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانها ،
والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائلين إذا لم يطق كتمانها كان عن تركه أعجز . يعنى :
إننى وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أننى لا أتركه .

(٢) الخل والخليل الصديق ، والطرف العين ، وسوى إذا قصرته كسرتة وإذا
مددته فتحته . يقول : ليس الصديق إلا من لا فرق بينى وبينه فاذا وددت فكأنى أود
بقبله وإذا نظرت فكأنى أنظر بعينه . والمعنى صديقك من واقفك فى كل شئ فيود
ما وددت ويرى ما ترى أو تقول : ما خلى إلا الذى يبلغ الغاية من المودة فكأنه يود
بقلبى . وقال بعضهم : المعنى : ليس لك خليل إلا نفسك . وهو كقوله :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خَلِّى وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ

(٣) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . والإخاء الأخوة . وربها أى صاحبها
والضمير للصبابة . يقول : إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ويخلصه منها مستعينا على
ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذكر ما يسوؤه وكان أجدر فى إعائته بأن يرحمه ويرئى لحاله ويؤاخيه
فى بلواه أو تقول : إن الذى يعين على صاحب الصبابة بإيراد الحزن عليه بلومه إياه أولى
بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى . وهذا
فى عراض قول أبى ذر المتقدم

إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سِقَامَهُ

مَهْلًا فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَقُّفًا فَالْتَمَعُ مِنْ أَعْضَائِهِ ^(١)
وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَازَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةً بِسَهَادِهِ وَبُكَائِهِ ^(٢)

وجعل إirاده الحزن عليه عوناً على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم : عتابك السيف ، وحديثك الضرب . وقال الواحدى : يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى بمدح رجلا .

تَصَيَّفَتْهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ ^(١) قَائِدًا
أى أعطانى مع ما كنت أقاسيه من الزمانه قائدا يقودنى .

(١) يقول . دع اللوم أيها اللائم فإنى سقيم واللوم يزيدنى سقما على سقم وتُرفق فى لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقما .

(٢) هب أى احسب ، والكرى التعاس والسهاد الارق . قال ابن جنى . المعنى اجعل ملامتك إياه فى التذاذكها كالنوم فى لذائذه فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أى لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلنزل ملامتك إياه . وقال الواحدى تعقيا على ماذهب إليه ابن جنى : هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامة كاستلذاذك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فانه ليس بألذ من النوم أى فإن جاز ألا تنام جاز ألا تعذل « وأما بعد » فى الحق أن البيت من مشكلات الآيات ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح . قال بعض المحققين . وذلك أن تفسير ابن جنى قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يقال : إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوليه من صدر البيت فلم يبق له دخل فيها يليه . وبقى قوله مطرودة حالا عن الملامة وإن شئت جعلته خبرا عن ضميرها محذوفا أى وهى مطرودة وعلى كليهما يكون فى معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا فى معنى جملة طلبية وقول الواحدى وهو مطرود أى النوم مقتضاه جعل مطرودة حالا عن الكرى والكرى مذكر لأنه مصدر كرى ولفظ مطرودة مؤنث فلا يصح كونها حالا

(١) الزمانه . العاهة .

لَا تَعْدُلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاقِهِ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ ^(١)
 إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ ^(٢)
 وَالْعَشِقُ كَالْمَعْشُوقِ يَمُذَّبُ قُرْبُهُ لِلْمُبْتَلَى وَيُنَالُ مِنْ حَوَائِهِ ^(٣)
 لَوْ قُلْتَ لِلدَّنْفِ الْحَزِينَ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ لَاغْزَرَتُهُ بِفِدَائِهِ ^(٤)
 وَفِي الْأَمِيرِ هَوَى الْعُمَيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بَيَاسِهِ وَسَخَائِهِ ^(٥)

عنه . على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جنى أو نومه في قول الواحدى مطرودا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه ، وما أرى التنبى إلا أنه قد غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤث على حد الهدى مثلا ، أو أراد أن يقول مطرودا فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن لأن القام يقتضى أن يكون قوله مطرودة جاريا على الكرى كما هو تفسير الواحدى ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جنى أى احسب ملامتك لذينة عند العاشق كمنامه ، والنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء ، أى فلتكن ملامتك كذلك .

(١) لا : ناهية . ويروى لاتعذر فتكون نافية . يقول : لا تلم العاشق حتى تحب مثل ما يجب وهذا من قول البحترى .

إذا شئت أن لا تعدل الدهر عاشقا على كمدٍ من لوعة التبين فأعشيتي
 (٢) مضرجا في الموضعين نصب على الحال ، والمضرج الملطخ بالدم من ضربت الثوب إذا صبغته بالحمرة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالقتول تهويلا لأمر الهوى يقول : إن القتل إنما هو باستنزاف الدم ، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات .

(٣) المبتلى العاشق الذي امتحن بالحب ، والحوباء النفس . والواو في قوله وينال واو الحال . يقول إن العشق حلو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أى ينلفها . أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب .

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم . وأغرته أى بعثته على الغيرة ، وقوله بفدائه أى بفدائك إياه فأضاف المصدر إلى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت مابك من برج الهوى بى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم ما يلاقيه .
 (٥) وفى أى وقاه الله ، والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من

يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظَرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فَوَائِدِهِ وَعَزَائِهِ ^(١)
 إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ ^(٢)
 فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَّصِلًا وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ ^(٣)
 مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سِمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنَدِهِ وَوَفَائِهِ ^(٤)

الهوى لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والأمير وإن كان من الشجاعة والجلود بحيث يدفع كل أمر شديد يبد أن الهوى اللطيف من ذلك .

(١) يستأسر أى الهوى أى يحمله فى الأسر ، والبطل ، الشجاع ، والكمى لابس السلاح ، والعزاء التجلد يقول : إن الهوى بأسر البطل الشجاع المستلهم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فوائده والعزاء سبيلا . وهذا ينظر إلى قول جرير .

يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَضْفُفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا
 (٢) النوائب الشدائد ، وسامعها سيف الدولة . والأكفاء جمع كفء وهو القرن والنظير . يقول : إني دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها لأنك فوق الشدائد وأشد بطشا منها .

(٣) المتواصل الذى له صلصلة وحفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فأحطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول إلى وحيثنى بذلك منه ، وهذا قريب من قول أبى نواس :

تَفَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظُلِّ جَنَاحِهِ فَقَمَّيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
 (٤) ضمير تكون للسيف أى بأن تكون السيوف سميحا ، أى مثل سميها وتقول : من له بكذا أى من يتكفل له به أو من يضمنه له ونحو ذلك . وفرند السيف جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار استعاره هنا للممدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه ، وهذا كقوله .

* تظن سيوف الهند أصلك أصلها *

طَبَعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعُ مِنْ آبَائِهِ^(١)
واستزاده سيف الدولة فقال أيضاً :

عَذَلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ^(٢)

(١) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود إلى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور في موضع نصب خبر كان وعلى مبتدأ والمطبوع صفة له ومن آبائه في موضع رفع خبر ، والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبي الهيجاء بن حمدان التغلبي . يقول : إن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها الذي صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المرق له في الكرم فإنه ينزع إلى أصله في المجد والفعال ، فهي وإن شاركت في الاسم تخالفه في الأصل وشتان ما بينهما .

(٢) يعني بالتائه نفسه . وعذل العوازل مبتدأ وحول قلب التائه خبر والعذل اللوم والعوازل جمع عاذلة أما العاذل فجمعه عذال وعذل ، والتائه التحير وسوداء القلب وسويداؤه العلقة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد ، يقول : إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه ، وإذا لا يصل اللوم إلى قلبي وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم .

تَغَافَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سرور

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي ، وليس هناك لأنه لا يقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبي يتيه على عذلهم ، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : ليس بمستحسن ، هذا وقد قال العكبرى : عيب على أبي الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريح^(١) لأن الهاء في القافية أصلية وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة في حرف الهاء لجهلهم القوافي وقد جعلها ابن جنس والخطيب التبريزي في أول حرف الهمزة فاعتدنا بفعلهما والقوافي خمس يجمعهما مكبرف كل حرف لقافية ، وهى متكوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر

(١) التصريح تنقية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب . قال العلماء : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قالوا : وإنما وقع التصريح في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصيدة وإما قصة .

ومترادف ، فالتكاوس^(١) أربع حركات بين ساكنين كقوله .

* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرَ *^(٢)

والتدارك^(٣) حركتان بين ساكنان كما في هذه القصيدة والمتراكب^(٤) ثلاث حركات بين ساكنين كقول المتنبي :

* بِمِ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ *

والتواتر^(٥) حركة واحدة بين ساكنين كقوله - أى التنبي - :

(١) مأخوذ من تكاوس النبت والشجر التف وتراكب لكثرة الحركات فيه كأنها التف .

(٢) هو للعجاج . والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر العظم بنفسه . وقد جمع العجاج في هذا بين التمدي واللازم .

(٣) قال ابن سيده والتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين وهى متفاعِلن ومستعملن ومتفاعِلن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل ، فاللام في فعل ساكنة ، وفعل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل ساكنة والواو من فعول ساكنةسمى بذلك لتوالى حركتين فيها ، وذلك أن الحركات من آلات الوصل وأماراته فكان بعض الحركات أدرك بعضها ولم يعقه عنه اعتراض الساكن بين المتحركين .

(٤) للتراكب كل قافية نالت فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين وهى مفاعِلتن ومفتعلتن وفعلن لأن في فعلن نونا ساكنة وآخر الحرف الذى قبل فعلن نون ساكنة وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة والواو في فعول ساكنة .

(٥) التواتر كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعِلتن وفاعِلتن وفعلتن ومفعولن وفعلن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فل وإياه عنى أبو الأسود بقوله :

وقافية حذاء سهل رويها كسرد الصناعات ليس فيها تواتر
أى ليس فيها توقف ولا فتور .

يَشْكُو التَّلَامُ إِلَى اللَّوَائِمِ حَرَّهُ^(١) وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرْحَانِهِ^(٢)
وَبِمُهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكُ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَانِهِ^(٣)

* صِلَةُ الْمَجْرِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ *

والمترادف^(١) اجتماع ما كنين كقوله - أى التنبي :-

لَا تَحْسُنِ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَشُورَةُ الضَّفِيرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ

أقول : وهذا كله من المكبرى لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظناً منه أنها هي التي قالها التنبي باديء ذي بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبي ذر ، ولكن الذي تحقق لدينا هو أن التنبي قال الأبيات السابقة أولاً ثم أزدفها بهذه الأبيات التالية وإذن ينهار هذا المأخذ الذي توركه بعضهم على التنبي وانهار معه الدفاع عنه .

(١) البرءاء الشدة وتباريع الشوق توجهه . وتقول : لقيت منه برءاء بارحاً أى شدة وأذى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرءاء . يقول : إن اللوم يشكو حرارة قلبي إلى اللوائيم كأنه يقول لمن : لا تبغثنى إليه لآنى أخشى برءاء قلبه وإذا انتفى أعرض اللوم عن قلبي خشية أن تلتفحه ناره يعنى بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطبق أن يصل إلى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب . فالضمير في حره وبرءاءه للقلب في البيت السابق . وليس يخفى ما في هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل .

(٢) الباء في بمهجتي للتفدية ، والمملك يجوز فيه الرفع والنصب ، إذ لك أن تجعل بمهجتي خبراً مقدماً والمملك مبتدأ ولك أن تجعل المملك مفعولاً لفعل محذوف تقديره أفدى ويريد بالمملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله : يا عاذلي يا من يعذلني فليس لك أن

(١) المترادف كل قافية اجتمع في آخرها ساكنان وهى متفاعلان ومستفعالان ومفاعلان ومفتعلان وفاعلتان وفعلتان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل وفعل ، سمي بذلك لأن غالب العادة في أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد رويًا مقيداً كان أو وصلاً أو خروجاً فلما اجتمع في هذه القافية ساكنان مترادفان كان أحد الساكنين ردف الآخر ولا حقاً به .

إِنْ كَانَ تَدَّ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ^(١)
 الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرْنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ ^(٢)
 أَيْنَ الثَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثٍ خِلَالِهِ مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ ^(٣)
 مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَمَجَزَنْ عَنْ نَظَرَائِهِ ^(٤)

تقول كان ينبغي أن يقول يا عاذلي لأنه قال العواذل في الأول ، إذ المراد كما قلنا يامن يعاذلي ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وهذا اقتضاب عدل به عن النسب إلى الدبيح . يقول : إني يالأمي أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد لوما منك فلم أتركه وآت غيره وأسخطت لوامى جميعا فى سبيل مرضاته .

(١) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستولى حبه عليها مادام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته وقال بعضهم : أراد بالهائم الأفلالك التى تنسب إليها السعود والنحوس أى أن ذلك يجرى على مقادير مشيئته لأنه يجعل أصحابه فى السعود ، وأعداءه فى النحوس .

(٢) والنصر من قرنائِهِ ، أى أنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه لأنه يعرف بسيف الدولة .

(٣) الحلال جمع خلة وهى الخصلة ، والإباء أن يأبى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس والنصر والسيف ، يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائِهِ ؟ أى أنه أشد إباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء السيف من مضائه ؟

(٤) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الأبيات فإن الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف إلى مثل هذا القلو ، والتنبى كثيراً ما يلجأ فى شعره إلى الإفراط ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الشعراء .

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي ، وكان قوم قد هَجَوْهُ ، وغزوا الهجاء
إلى أبي الطيب فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه :

أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقَ إِخَايَ وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ لَمَانِي ^(١)
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عَلَمِي بَأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ ^(٢)
وَأَكْرَهُ مِنْ دُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ ^(٣)
وَمَا أُرْبِتَ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِي فَكَيْفَ مَلَلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ ^(٤)
وَمَا اسْتَفْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدْيَحِي فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهَجَاءِ ^(٥)
وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ أَيْعَمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ ^(٦)

(١) الاستفهام للتعجب وإسحاق مصروف للضرورة والإخاء المصادقة وتحسب تفتح عنه وتكسر أى تظن والماء والإناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتتكر مؤاخاتي إياك وتظن أن ما هجيت به صادر مني ؟

(٢) الهجر : القبيح من الكلام ، ويقال : هجر الرجل إذا هذى وأصله ما يقوله المهوم إذا نالت منه الحمى ؛ يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علمي أنك خير الناس ، وهذا مبالغة .

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير في البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت أكره طعما على العدو من طرف السيف وأتقذ فيما تريد من الأمور من القضاء ، وهذا من مبالغات المتنبي المعروفة .

(٤) ما حرف نفي وأربت زادت ، والسن العمر ، ومللت سئمت . يقول : وما زادت سنى على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك إذ أنى بتعرضي لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة .

(٥) وما عطف على ما قبله ، واستفرت استوفيت ، يقول : ولم أستوف إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائك بل أنا باستقامتها أولى مني بالأخذ في الهجاء .

(٦) يقول : وقدر أنى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعلك لا ينبغي على أحد كضياء الشمس ، وهل يعمى العالمون عن الضياء .

تَطِيعُ الْخَالِيسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمْ فِدَائِي ^(١)
وَهَاجِي نَفْسِهِ مَنْ لَمْ يُعَيِّزْ كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمْ الْهَرَاءُ ^(٢)
وَأَنْ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فْتَمْدِلَ بِي أَقْلٌ مِنَ الْهَبَاءِ ^(٣)

(١) مرة لغة في امرؤ . يقول : تصنى إلى الحساد وتنزل على تهتهم إياي بهجائك وأنت أسمى من أن يهجوهم مثل لآني فداء له لماله من الأيادي ، أما هؤلاء الحساد فهم فداء لي لآني أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب السراح أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دعاية جعلت وصفا لمرة وهو نكرة على تقدير محذوف ، أي مستحق لأن أسأل الله أن يحطني فداءه على حد قول الراجز :

مَا زِلْتُ أَسْمَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبُ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظُّلَامُ وَاخْتَلَطَ ^(*)

* جَاءُوا بِضِيحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّنْبَ قَطْ *

أي جاءوا بضيق يقول : من رآه هل رأيت الذنوب قط .

بشعر السمرقندي

(٢) من لم يميز مبتدأ مؤخر وهاجي نفسه خبر مقدم ، والهراء الكلام الساقط الذي لا خير فيه . قال ذو الرمة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطَقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ

يقول : إن من لم يفرق بين كلامي وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من ألا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك .

(٣) أن تراني مؤول بمصدر اسم أن ، ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعديل عطف على تراني وأقل صفة لموصوف محذوف أي شيئا أقل من الهباء ، وعدله به ساواه وأقل أخس ، والهباء ما يرى في شعاع الشمس من دق الغبار قل الشاعر :

بَرَّانِي الْهَوَى بَرَّى اللَّدَى وَأَذَابَنِي صَدُودُكَ حَتَّى صَرْتُ أَنْحَلَ مِنْ أَمْسٍ

فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ النَّرِّ فِي أَلْقِ الشَّمْسِ

يقول : من العجب أن تراني وتعرفني ثم تسوى بيني وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء .

* الضيغ اللبن المخلوط شبه لون الضيغ بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيغ .

وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّنا^(١)

وقال يمدح أبا علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف (*)

أَمِنْ أَزْدِيَّارِكُ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ^(٢)

(١) سهيل نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر للوت والزنا عد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم يموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسداً لي .

(*) قال بعض أفاضلنا المعاصرين في فصل من كتاب له ماملخصه « هذه القصيدة تتبشأ بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا علي الأوراجي من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان . . . وأكبر الظن أن الأوراجي هذا كان متصلاً بعمل من أعمال ابن رائق قريبا من بدر بن عمار في طبرية أو بعيداً عنه بعض الشيء في دمشق . فأقبل المتنبي من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيد حتى انتهى إلى صاحبه هذا فدحه بقصيدتين أحدهما هذه المزمية ، والأخرى أرجوزة طردية « انظر الأرجوزة التي يقول في مطلعها .

ومنزّل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات المهطل

وللمزمية فيما أرى مكانة خاصة من شعر المتنبي فهي القصيدة الوحيدة التي يعتمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي ليرضى بمدوحه الذي كان يذهب مذهب التصوف وهي من هذه الجهة قيمة لأنها تبين عن علم المتنبي — في الخامسة والعشرين من عمره — بمذاهب المتصوفة في الكلام ومنهجهم في الرمز والإيماء ولأنها تظهر لنا الشاعر الفتي وقد ملك ناصية الفن حقاً ؛ إلى أن قال : ولست أدري أكان الأوراجي هذا قريباً أم بعيداً من بدر بن عمار ولكن المتنبي أقام معه حيناً على كل حال كما تدل على ذلك طرديته ثم اتصل من طريق الأوراجي هذا فيما أرى ببدر فلا تسل عن فرحته وابتهاج نفسه بالنقطة والرضى اه ملخصاً .

(٢) أمن فعل والرقباء فاعل ، وازديارك مفعول مقدم وإذ تعليلية وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما ومن في من الظلام للبدل ويروى : إذ

قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةٌ^(١)

حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر ، أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ، وقال آخرون ضياء مبتدأ وحيث كنت من الظلام خبره وإذ مضافة إلى هذه الجملة ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية . . . والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : إن الرقباء قد أمنوا أن تزورين ليلا لأنك إذا زرتنى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام وإذا ذاك تفتضحين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة المسكوك :

بَابِي مَنْ زَارَنِي مُكْتَتِمًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ وَاشٍ فَرِعًا
طَارِقًا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَعًا
رَصَدَ انْخِلَوةً حَتَّى أَمْكَنْتُ وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَمَا
كَابَدَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

(١) قلق مبتدأ وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به ، والواو فى وهى مسك وهى ذكاء للحال . والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها والمسك طيب من دم دابة كالظبي تدعى غزال المسك ، وهتكها أى اتهاكها ، وذكاء اسم للشمس لا ينصرف . يقول : إن المليحة مسك فإذا تحركت انتهك سترها وانفضح بتضوع رائحتها ، وهى شمس فإذا سارت ليلا رآها الناس . ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قل البحرى :

وَحَاوَلْنِ كَيْتَمَانَ التَّرَحُّلِ فِي الدُّجَى فَمَنْ بِهِنَ الْمِسْكِ حِينَ تَضَوَّعَا
وقال :

وَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَلَشَيْئًا وَجَرَسُ الْخَلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيًا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة :

ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنِقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْخَلِيِّ وَمَا يَفُوحُ مِنْ عَرَقِ كَالْعَبْرِ الْعَبْقِ

أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عَلَيْهِ فَبِهِ عَلَى خَفَاءُ^(١)
وَشَكَيْتَنِي فَقَدْ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ^(٢)

هَبِ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتَرُهُ وَالْحَلَى تَنْزَعُهُ مَا الشَّانُ فِي الْعَرَقِ
هذا وقد قال ابن فوزه : الهتك مصدر متعد ولو اتى بمصدر لازم بأن قال
انتهاكها لكان أقرب إلى الفهم ولكنه راعى الوزن . قال : وقوله وهى مسك زيادة
على كثير من الشعراء إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذى استعملته بل جعل المسك
نفسها فكأنه من قول امرئ القيس :

* وجدت بها طيبا وإن لم تَعْلَيْبِ *

وقول الآخر :

دُرَّةٌ كَيْفَا أُدِيرَتْ أَضَاءَتْ وَمِشَمٌّ مِنْ حَيْثَا شَمٌّ فَاحَا

ومثله قول بشار :

وتوق الطيب لَيْلَنَا إِنَّهُ وَاشِ إِذَا سَطَمَا

(١) أسفى على أسفى مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ ، وبه من فيه جار ومجرور خبره
والأسف الحزن ، والدله الذى أذهب المشق عقله وأذهله . يقول : إننى آسف على أن
شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبى يعنى : إننى أحزن لذهاب
عقلى لما لقيت فى هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى إنما يدرك
باللب وليس لى الآن لب ، أو تقول : إنه كان يتأسف على زمان وصالحها فلما أمعت فى
المجر ذهب ليه حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ يأسف على ذلك الأسف لأنه كان إذ ذاك
عاقلا أما الآن فلا عقل له .

(٢) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد . يقول : إنما أشكو عدم السقم
لأن السقم إنما كان حين كانت لى أعضاء يعروها السقام فأحسه بأعضائى فإذا طاحت
الأعضاء من جراء الجهد الذى أدركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم ، وهذا
المعنى أوضحه البسى بقوله :

وَلَوْ أَبْقَى فِرَاقَكَ لِي فُؤَادًا وَجَفْنَا كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ مُسَاهِدِي
وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِفَيْرِ جَفْنِي كَمَا لَا وَجَدَ إِلَّا بِالْفُؤَادِ

مَثَلْتُ عَيْنَكَ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجَلَاءَهُ (١)
نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرُبَّمَا تَنْدُقُ فِيهِ الصَّفْدَةُ السَّمَرَاءُ (٢)
أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَارَوْحَتِ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجُوزَاءُ (٣)

« وأما بعد » فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب المذهب المتصوفة ومن ثم تراه يهيج منهمجهم في العبارة والتفكير وبالحرى ما يشبه أن يكون رمزاً وغموضاً .

(١) جراحة مفعول ثانٍ لمثلت أو تميز . وقوله : فتشابهها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهها حملاً على المعنى كأنه قال فتشابه الأمان كما قال .

إن الساحة والمروءة ضمناً قبراً بمرور على الطريق الواضح ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة يقول : لما نظرت إلى صورت في قلبي مثال عينك جرحاً واسعاً فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .
(٢) نفذت أى العين والسابري الدرع المحكمة الدقيقة النسج نسبة إلى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرية ، قال ذو الرمة :

لجاءت بسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

والصعدة القناة التي تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابري الدرع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبي فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . وإذا كان المراد بالسابري الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت إلى قلبي فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلى السكاني من الشجاعة والشجاع موق والاول أظهر .

(٣) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتعاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلاً فى الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها والجوزاء من أبراج الفلك ، يقول : إذا زوحت لم يدر على إزالتي عن موضعي كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت فى علو المنطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال إن الجوزاء بيت عطارى فيكون المعنى : منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يولده فيها البراعة والنطق .

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى النَّبِيِّ فَعَاذِرُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَّاهُ^(١)
شَيْمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكَّكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاهُ^(٢)

(١) النبي : الغافل القليل الفطنة ، وقوله فعاذر : أى فأننا عاذر فهو خبر عن محذوف ، والمقلة : العين ، يقول : إذا خفي مكانى على النبي فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأننا عاذر له لأنه كالأعمى الذى لا يرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك النبي الجاهل . وهذا المعنى ينظر إلى قول ذى الرمة يمدح عمر بن هبيرة :

حَتَّى بَهَرَّتْ فَمَا تَخْنِي عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا^(١)

(٢) صدرى يريد أصدرى ، غذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الفلاة سميت كذلك لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد ، والشيمة العادة وشككه حمله على الشك ، وأفصى من الفضاء وهو الاتساع ، يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبى فترمى بطول الأسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفصى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناقى وتجلى وصبرى على المشقات والأسفار ، وهذا المعنى هو الظاهر وهو ما ذهب إليه ابن جنى ، ولكن الواحدى كما قال العكبرى نقلا عنه لم يرتضه ، قال : هذا إنما يصح لو لم يكن فى البيت بها ، وإذا رددت الكناية « أى الضمير فى بها » إلى الليالى بطل ما قل لأن المعنى : صدرى باليالى وحوادثها وماتورده على من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع من البيداء وناقى تشاهد ما أقاسى من السفر وصبرى عليه فيقع لها الشك فى أن صدرى أوسع أم البيداء وعلى هذا أفصى أفعل كما يقال أوسع ، وقال قوم : إن الكناية تعود على الناقة ومعنى أفصى بها أى أدى بها إلى الهزال صدرى أم البيداء ؟ فمرة تقول : أى الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد

(١) قبله :

مازلت فى درجات الأمر مرتقيا تنمى وتسمو بك الفرغان من مضرا
قال ابن برى : الذى أورده الجوهري وقد بهرت وصوابه حتى بهرت أى علوت
كل من يفاخره فظهرت عليه ، وقوله على أحد : أحد ههنا بمعنى واحد لأن أحدا
المستعمل بعد النفي فى قولك : ما أحد فى الدار لا يصح استعماله فى الواحد .

فَتَبَيْتُ نُسَيْدُ مُسَيْدًا فِي نَيْبَا إِسَادَهَا فِي التَّمَهَةِ الْإِنْضَاءُ^(١)
أَنْسَاعُهَا تَمْقُوطَةٌ وَخِيفُهَا مَنَكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ^(٢)

الطلب لما أتعبني بالسفر ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي وتودي بي إلى الهزال وعلى هذا أفنى فعل ويجوز أن يكون اسما وإن عادت الكناية إلى الناقة . والمعنى أن ناقتي قوية نجية يضن بثلاثها وهي ترى إتمامي إياها واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدري أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاك أم البيداء ؟ أي لولا أن له صدرا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكى . قل الواحدى : والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى اللالي « هذا » وتشبيه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء .
قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهله بلد
وقل البحرى :

كريم إذا ضاق الزمان فإنه يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب
(١) الإسَاد إيمان السير أو سير الليل خاصة والني الشحم والسمن والإنضاء مصدر أنضاه ينضيه إذا هزله والمهمه الصحراء ومسدا حال من ضمير تشد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء وأسأدا مأخوذ من مطلق عامله مسدا وتقدير البيت تبئت هذه الناقة تشد مسدا الإنضاء في نيبا إسأدا مثل إسأدا في المهمه يقول : تبئت ناقتي تسير سائرا في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء . وهذا للمعنى ينظر إلى قول أبي تمام .

رَعْنَةُ الْفَيَافَى بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ سَابِكُهُ
(٢) الأنواع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرجل ، والمغط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت ، وخفافها منكوحة أى مثقوبة بالحصى وكفى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحة أى مدمية من الحصى واستمرار النكاح لوطئها الأرض وإدماء الحصى إياها . وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التي لم تقتض . ومن طريق ما ذكره الشراح هنا ما أورده العكبرى قال : قال الشيخ أبو محمد عبد النعم بن صالح النحوى عند قراءتي عليه هذا الديوان ومذوّلت إلى هذا البيت : سألتى لللك الكامل أبو العالى محمد بن أبي بكر
(١٠ - التتى ١)

يَتَلَوْنَ الْحَرِيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَأَيَّتَلَوْنَ الْحَرِيبَةَ^(١)
 بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي قَسِيٍّ مِثْلُهُ شَمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ^(٢)
 وَعِقَابُ لُبْنَانَ وَكَيْفَ يَقْطَعُهَا وَهُوَ الشَّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ^(٣)

ابن أيوب ملك البطار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله وطريقها عذراء
 قُطِعَتْ لَهُ : يريد أنها صعبة لم تسلك ، فقال لي : هذا يدل على أن المدوح لا يعرف ولا له
 ذكر ولا نائل لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق والمدوح إذا كان له عطاء وذكر
 ويعرفه القصد ، كانت الطريق إليه لا تقطع . . . ولقد أحسن في هذا النقد .

(١) الحريت الدليل صمى خريتا لاهتدائه في الطرق الخفية كخريت الإبرة كأنه
 يعرف كل حجب في الصحراء ، والتوى الهلاك ، والحرباء دوية على شكل سام أبرص
 ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مخططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف
 دارت وتلون ألوانا بحر الشمس . يقول : إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل
 فيها خوف الهلاك كما يتلون الحرباء ويشير لونه فهو يدور يمينا وشمالا لطلب الطريق
 وفي هذا للمنى يقول هدية :

يَظَلُّ بِهَا الْهَادِي يَقْلِبُ طَرَفَهُ مِنَ الْمَوْلِ يَدْعُو وَيُلْهِهُ وَهْوَ لَاهِفٌ

ويقول الظرماع :

إِذَا اجْتَابَهَا الْحَرِيتُ قَالَ لِنَفْسِهِ أَتَمَّاكَ بِرَحْلِي حَائِنٌ بَعْدَ حَائِنٍ

(٢) شَمُّ الْجِبَالِ : يدل من « قوله مثله » ، ونصب مثلهن على الحال لأنه نعت
 للسكررة المرفوعة قدم عليها فنصب على الحال كقولك : فيها قائما رجل ، وكقول
 ذي الرمة :

وَحَمَّتِ الْعَوَالِي وَالْقَنَا مُسْتَظِلَّةً ظِلِبَاءُ أَعَارَشَهَا الْعِيُونَ الْجَادِرُ

يقول بيني وبين هذا المدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهذه الجبال .

(٣) وعقاب عطف على شَمُّ الجبال ، وعقاب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب من
 الجبل والباء في بقطمها متعلقة بمحذوف تقديره : وكيف أقوم بقطمها أو كيف الظن
 مثلا : وكيف استفهام في للمنى الإنكارى ، وواو « وهو الشتاء » للحال والضمير ضمير الشأن

لَبَسَ الثَّلُوجُ بِهَا عَلَى مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بِيَاضِهَا سَوْدَاهُ^(١)
وَكَذَا الْكَرِيمِ إِذَا أَقَامَ بَيْلَدَةً . سَالَ النَّصَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ^(٢)
جَدَّ الْقَطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَنْبَجْسِ الْأَنْوَاءَ^(٣)

يقول : وكذلك يني وبينه عقاب جبل لبنان وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء
وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها ؟

(١) لبس الشيء ولبسه عماه ، قال تعالى : « وللبنا عليهم ما يلبسون » والضمير
في بها للعقاب والضمير في كأنها للثلوج أو للمسالك وباء بياضها متعلقة بمعنى كأن أى
القشيب ، يقول : إن الثلوج في هذه الجبال أخذت على طرق فلم أهد لكثرة بياضها
فكأنها سودت اسوداد الليل إذ ضلت فيها لأن الأسود لا يهتدى فيه ، وهذا معنى حسن
كما ترى .

(٢) النصارى الذهب ، والنصار أيضا الخالص من كل شيء ، وقام الماء جمد ومعنى
هذا البيت متصل بالذي قبله لأنه يقول يابض الثلوج يعنى قمام مقام السواد ، واليباض إذا
عمل عمل السواد فقد قضى العادة كذلك الكريم إذا أقام بيلدة قضت العادة فيكون
الذهب سائلا والماء جامدا ، وإعنا قال هذا لأنه أتاه في الشتاء عند جمود الماء . يقول :
إن الكريم إذا أقام بيلدة أعطى المال وتحرق في الكرم حتى لكان المال ماء سائل
فما رأى للماء هذا الكرم وقف متبلدا متبلدا جامدا ، وهو تخيل بديع .

١٣. الأنواء فلعل رأته ويجوز أن ترتفع الأنواء برأت وبهت وتبجس على التنازع
ولعل ترى يود على اقطار ، ويروى بدل ترى رأى : أى اقطار ولكن ترى أحسن
لأن اقطار مؤنثة ، والقطار جمع قطر ، وقطر جمع قطرة وهى المطر ، وبهت
دهشت وتحيرت ، وتبجس تنجس ، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع
وقبه من الشرق وهى منازل اشمس والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون : سقينا بنوء
كذا . ويريد بجمود القطر الثلوج يقول : إن المطر جمد لما رأى كرم هذا للمدوح
ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتحيرت ودهشت ولم تنجس فلم تأت بمطر استظلما لما
بأته وخجلا من جوده .

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٍ حَتَّى كَانَ مِدَادُهُ الْأَهْوَاءَ ^(١)
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَانَ مَغْنِيهِ الْأَقْدَاءَ ^(٢)
مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءَ ^(٣)
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوَائِي جَوْلَةٌ فِي قَلْبِهِ وَلَاؤُذَنُهُ إِصْفَاءَ ^(٤)
وإِغَارَةً فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّمَا فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيَنْتَقِ شَهْبَاءَ ^(٥)

(١) اللداد الحبر ، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صبوة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفاً به واقتناءً بحسنه ، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجلود يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهوى الناس إلى خطه ، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أى أن كتبه تقوم مقام الجيوش لأن الناس يتقاعنن إليه غريزة وطبعاً ، ولعل الأقرب أن الناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يهاتفون على كل ما يكتبه لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم : المكتبة نصف المشاهدة .

(٢) قرة العين كناية عن السرور ، قرت عينه بردت ، ودمع الفرح بارد والأقضاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه والمغيب الغيبة ، يقول : كل عين تسر بقربه ورؤيته وتأذى بغيته فكان غيبته قذى للعين .

(٣) من بمعنى الذى خير ضمير محذوف يرجع إلى المدحوح وتقدير البيت : هو الذى يهتدى فى الفعل إلى ما لا يهتدى الشعراء إليه فى القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود إلى من ، والشعراء فاعل يهتدى ، يقول : إنما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفاله من للكارم والسامع النظام فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحسكوا ما فعله .

(٤) القافية القصيدة لأن بعضها يقفو بعضاً أى يتبعه أو تسمية للكل باسم البعض ، يقول : إن الشعراء توارد عليه بالمدائح بالتوالى فهو لا ينفك عن الإصغاء جبا للشعر وارتياحاً إلى إعطاء الشعراء .

(٥) إغارة عطف على جولة ، وما احتواه أى جمعه واقتناه من مال والفيلق الكنية من الجيش أتمه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التى غلب بياضها على سوادها ، بمعنى صافية الحديد ، يقول : وللقوائى كل يوم إغارة على ماله حتى لكان كل بيت كنيئة تنهب ما احتواه .

مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤْمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ^(١)
وَنَدِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَبِضِدِّهَا تَقْبِيْنُ الْأَشْيَاءَ^(٢)

(١) من بمعنى الذي خير مبتداً محذوف تقديره هو الذي يظلم الخ. والثلثم الحسب
الأصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والأكفاء النظراء
والأمثال ، يقول : إن اللثام يحاولون التشبه به حسداً له وهم لا يقدرُونَ على ذلك
فكانه ظلمهم ، إذ كلهم أن مماثلوه ولكنهم لم يستطيعوا ، قال الواحدى ما معناه :
ليس في هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ في المدح أن يقول : السكراء بدل اللؤماء على أن
مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من اللؤماء ولا يقدرُونَ أن يكونوا ، مثله بما لا يليق
بذهبه في إشاره البالغة. وروى الخوارزمي نظم بالنون ، وقال : إذا كلفنا اللثام أن يكونوا
أكفاء له فقد ظلمناهم في تكليفهم ما لا يطيقون .

(٢) ذامه كذمه ، وقوله ونديمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمي في روايته
البيت السابق من نظم بالنون ، يقول المتنبي : ونحن نذم اللثام ولولاهم ما عرفنا فضله
لأن الأشياء إنما تتبين بأضدادها فلو كان الناس كلهم كراماً لم يعرف فضله ، وهذا
المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار :

وَكَنَّ جَوَارِي الْحَيِّ مَا دَمَتْ فِيهِمْ قِبَاحًا فَلَا غَبْتِ صِرْنٍ مِلَاحًا
وقال أبو تمام :

وَلَيْسَ يَعْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّى يُصَابَ بِنَايٍ أَوْ يَهْجُرَ إِنْ
وقال :

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَأَكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
وقال :

سَمِعَتْ وَنَهْنَاهَا عَلَى اسْتِنْمَاجِهَا مَا حَسَلَتْ مِنْ نَفْسَةٍ وَجَمَالٍ
وَكَذَاكَ لَمْ تَفْرِطْ كِتَابَةً عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالٍ
وقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا أَفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا خَلَائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيِّبَ
وَحُسْنُ دَرَارِي السُّكَا كَأَنْ تُرَى طَوَّالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَنِيْبِ

مَنْ نَفَعَهُ فِي أَنْ يَهَاجَ وَضَرَهُ فِي تَرْكِهِ لَوْ تَطَّنُ الْأَعْدَاءُ^(١)
 فَالْسَّلَامُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ^(٢)
 يُعْطَى فَيُغْطَى مِنْ لَهْيِ يَدِهِ اللَّهُ وَتُرَى بِرُؤْيَا رَأْيِهِ الْآرَاءُ^(٣)
 مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقَوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ^(٤)

يد أن التني صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه
 (١) من بمعنى الذي بدل من الأول يقول : وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستاروه
 للحرب استباح أموالهم وحرعهم فانتفع بذلك وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلو غطن
 أعداؤه لهذا منه لساووه فتسبوا إلى مضرتهم .

(٢) السلم بفتح السين وكسرهما ضد الحرب ، والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره
 للمال لأنه موطن القوة ، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد
 الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : إنه في
 الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم وبذلك يكون السلم سبباً في نقص أمواله
 والحرب سبباً في توافرها ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) المعنى العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي في الأصل القنصة من الجبوب
 يلقيها الطاحن في فم الرحي فشبهت العطية بها ، يقول : إنه يعطى عفاته العطاء الجزل
 الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولاً وهو من جودة الرأي
 وسداده بحيث إذا نظر الناس إلى رأيه تعلموا منه سداد الآراء .

(٤) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما
 فكأنه السراء والضراء ولكن مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفاضله تصدر
 عن عزم جميع ورأى مستحصد والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدّة مترتب على
 المعنى الأول وأصل هذا المعنى للبيد :

مُفَرِّقٌ مَرَّةً عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَذْنَيْنِ حُلُوٌّ كَالسَّلَامِ

« مقرر أي مر » وقال النابغة الجعدي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعْدَايَا

وَكَاَنَّهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتُهُ مُمَثِّلًا لَوْفُودِهِ مَا شَاءُوا^(١)
يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاةُ^(٢)
أَحْذِ عِفَاتَكَ لَا فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ فَلَتَرَكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَاةِ^(٣)
لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةِ إِلَّا إِذَا شَقِيتَ بِكَ الْأَحْيَاءُ^(٤)

وأخذه السيب بن علس قال :
هُمُ الرِّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحُلُهُمْ وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِمُ
وقال علاثة :

وكنتم قديماً في الحروب وغيرها ميامين للأدنى لأعدائكم نُكْدُ
(١) ما ، في الشطرين موصولة وهي في الأول خبر كان ، وممثلاً منصوب على الحال
يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغامهم وسجدهم على الحمد حال مثله لمن
يفقد عليه رجاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه .
(٢) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستعطاء ، يقول
يا من روحه معطى له من العفاة إذ ليس يطلبها منه أحد منهم ، فكأنهم قد جادوا بها
عليه ، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه في الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه
وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده .

ولو لم يكن في كفه غير رُوحِهِ لجلدَ بها فليتنق الله سائلُهُ
(٣) هذا البيت إتمام معنى البيت قبله وتأكيده والعفاة جمع عاف وهو طالب
المعروف وقوله لا فُجِعْتَ بتقديم دعاء له واللام في قوله فلتترك لأم الابتداء ، يقول : اشكر
هذا لعفاتك لا أجمعك الله بتقديم لأنك تحب العطاء والسؤال . ويروى لا فُجِعْتَ بخمضم
أى لا قطع الله شكرهم عنك .

(٤) اضطربت أقوال الشراح في هذا البيت ، فذهب للمرى والواحدى إلى أن المعنى :
لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شق الأحياء بفضبك وتلك أيام
فإذا غضبت عليهم وقتلتهم عصفت بهم فزدت في الأموات زيادة ظاهرة ونقص الأحياء
نقصاً يئناً ، وإليك نص عبارة أبي العلاء : شقوا به أى بقتله أيام وأن الأحياء إذا
شقيت بك كثر الأموات وتلك الكثرة تؤدي إلى القلة ، إما لأن الأحياء يقولون بمن

وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحَنَاءُ^(١)
لَمْ تُسَمَّ يَاهَرُونَ إِلَّا بَعْدَ مَا أَوْ تَرَعَتْ وَتَارَعَتْ اِسْمُكَ الْأَسْمَاءُ^(٢)
فَقَدَوْتَ وَاسْمُكَ فَيْكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءٌ^(٣)

موت منهم وإما لأن اللبت يقل في نفسه ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقدك
أى لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات للمدوح ، يقول : إنك نعمة على
الأحياء وقصدك شقاء لهم ، وهذا على حد قول القائل :

لَتَمُرَّكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالٍ وَلَا شَاءَ تَمُوتُ وَلَا يَبْعُرُ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ شَخْصٍ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

ومنه قول الآخر :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكًا مَعْلُوكًا وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدِمًا

ويكون قوله : كثرة قلة ، معناه أنك وإن كنت قليلا فى العدد فانت كثير فى

القدر والشرف

(١) الشحنةاء العداوة ، قال ابن جنى : يريد ، لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك
فيضمرك لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشقق قلبه فبات خوفا
وجزعا ، وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى : ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من
الغل والحسد أى أنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشقق قلبه فإذا أضمر لك العداوة
انشقق قلبه وبأن أنه عدو لك ، والمعنى بعبارة أخرى : لا يضمرك القلب أمرا يتصدع به
وينشقق حتى تحمل عداوتك فيه . فإذا جلت ضائق بها وانشقق عنها لشدة ما ناله من
الخوف والجزع .

(٢) اقترعت تسامعت ، يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به
افتخارا بك وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء ، وقال للمرى : أراد
بالاسم الصيت .

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشاوك . أى لم يشارك اسمك فيك
اسما آخر إذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى ماله سواء قد تساوا
فى الأخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعطاء . هذا قول الواحدى وغيره . وقال

لَعَمَّتْ حَتَّى الْمَدْنُ مِنْكَ مِلَاءً وَلَقِيتُ حَتَّى ذَا النِّسَاءِ لِقَاءً^(١)
وَبُلِّدَتْ حَتَّى كِدْتَ تَبْخُلُ حَائِلًا لِلنُّنْهَى وَمِنْ السُّرُورِ بُكَاءً^(٢)
أَبْدَأْتَ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرِفُ بَدْوَهُ وَأَعَدْتَ حَتَّى أَنْكَرَ الْإِبْدَاءَ^(٣)
فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاهُ^(٤)
فَإِذَا سُلِّتَ قَلًا لِأَنَّكَ مُخَوِّجٌ وَإِذَا كُنِيتَ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاءُ^(٥)

المعري : يريد بالاسم المصيبة أى لم يشركك فى صيتك أحد ، يقال . فلان قد ظهر اسمه فى اناس أى صيته قد كره لا يشاركه فيه أحد وإنما مالك الناس فيه سواء غنيهم وفقيرهم (١) اللام فى لعمت واقعة فى جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها والمدن جمع مدينة وملاء جمع ملأى ومنك متعلق بملاء وقت تجاوزت وذا انتهاء أى هذا انتهاء واللقاء الحقيق الحسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء اثنين عليك حتى أصبح هذا الثناء بعد حقيرا فى جانب ما تستحقه وهذا البيت يسمى مصرعا لأنه قفى فيه للصراع الأول كما يفعل فى أول القصائد .

(٢) حائلا متحولا ، والنهى أى لأجل الانتهاء ، ومن السرور خبر وبكاء مبتدأ والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تتحول عن آخره حين تهايت إليه وتعود إلى البخل إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء .

٣ أبداً أحدثت وجدوت وأعدت كررت ، ومنك متعلق يعرف أو يدؤه ، يقول : أحدثت من الكرم ما لا يعرف ابتداءه إلا منك لعظم ما أتيت به ثم أتيت ذلك من الزيادة فيه بما عفى على الأول وأنساه لأنك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول .

(٤) ناكب : عادل ، يقال . نكب عن الطريق إذا عدل عنه ، وبك متعلقة بناكب أو بتقصير ، وبراه برى يقع على الجمع والواحد والذكر والمؤنث ، يقول : إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذوته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برى من أن يستزيدك لأنك فى الغاية منه .

(٥) الوشى فى الأصل النخبة والمراد هنا دلت ، والآلاء النعم والعطايا وكتمت

وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِسْكَيبَ رَفْعَةٍ لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءً^(١)
وَإِذَا مَطَرْتَ فَلَا لِنَاكَ مُجِدِّبٍ يُسْقِي الْخَصِيبُ وَيُمْطِرُ الدَّأْمَاءُ^(٢)
لَمْ تَحْكُ نَاثِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حَمَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرُّحَضَاءُ^(٣)

حييت ، يقول . إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال ولكن فلك
لكي تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكي يتشرفوا بسؤالك ، كما قال أبو تمام
ما زلتُ مُنتظراً أُعْجوبة زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤْلاً لَا يَحْتَاجُ شَرْفًا
وَإِذَا كُنْتُ أَى حَيِّتْ عَنْ أَنْظَارِ النَّاسِ دَلَّتْ عَلَيْكَ نَعْمَكَ وَصَنَائِعَكَ قَصْدُ
إِلَيْكَ الْعَفَاةِ كَمَا قَالَ :

مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يَحْجَبْهُ لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَاضِرٍ
(١) الرفعة الاسم من الارتفاع والشكر عرفان الإحسان . وإن شئت قلت مقابلة
النعمة بالقول والفعل والنية فيثنى على النعم بلسانه ويذيب نفسه في طاعته ويعتقد أنه
موليها . وللشاكرين خبر مقدم وثناء مبتدأ ومؤخر وعلى الإله متعلق بثناء ، يقول : ولقد
بلغت من الرفعة غاية لا يزيد بها مدح ممدوح ولكن تمدح لتعجز العفاة وليعد الشاعر في
جملة مداحك كلشاكركم الله تعالى يثنى عليه ليستحق أجراً ومثوبة لا أنه سبحانه
محتاج إلى ثنائه .

(٢) الجذب المثل ضد الحصب . والدأماء البحر على فعلاء قال الأنوف الأودى
والليل كالدأماء مُسْتَشْعِرٌ مِنْ دُونِهِ لَوْ نَا كُلُّونِ السُّدُوسِ^(١)
يقول : إذا مطرت فليس ذلك لإجذاب محلك ولكن كما يطر المكان الخصيب
والبحر وما غير محتاجين إلى المطر ومن هذا المعنى قول الجري .

وَالْبَحْرُ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
(٣) النائل العطاء ، والسحاب جمع سحابة وجمع السحاب سحب فيكون سحب
جمع الجمع قال تعالى . «حق إذا أقلت سحاباً ثقالاً» والرحضاء العرق أثر الحمى يقول :
ليست تحكي السحاب بمائها عطائك للتابع فإنه أكثر من مائها وأغزر ولكنها حمت
حسدا لك ، فما ينصب من مطرها إنما هو عرق حماها وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

(١) السدوس : الطيلسان

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَبَسَ فِيهِ حَيَاةُ^(١)
 فَبِأَيِّمَا قَدِيمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْفُتْلَا أَدُمُ الْهَيْلَالِ لِأَخْمَصِيكَ حِدَاةُ^(٢)
 وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةُ^(٣) وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاةُ^(٤)
 لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي مِنْكَ هُوَ عَقَمْتَ بِمَوْلِدٍ تَسْلِمُهَا حَوَاةُ^(٥)

إن السحابَ لتستحي إذا نظرتُ إلى نَدَاكَ فقاسَتهُ بما فيها
 قال البديعون . وفي هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد عللها
 بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء المدوح ، ومن هذا الباب قول بعضهم .

رَأَى الزَّنُّ مَا تُعْطِي فَضْمٌ عَلَى الْأَسَى فَوَادَا كَأَنَّ الْبَرْقَ فِيهِ لَهِيْبُ
 (١) يقول : لا حاجة إلى الشمس مع ضياءك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة
 وقلة حياء منها ، واستعار للشمس وجها للمشاكلة .

(٢) الأدم . جمع آدم وهو ظاهر كل شيء ، والأخمس باطن القدم ومارِق من
 أسفلها وتجاهي عن الأرض وقيل خصر القدم وقد يراد بها انقدم كلها وقوله فبأيما قدم .
 استفهام معناه التعجب وما زائدة . يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ
 أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نلأ لقدميه . يعني أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ
 تستحق أن يكون الهلال نلأ لها

(٣) الحمام . الموت يدعو له ، يقول : ليسكن الزمان وقاية لك من عواديهِ أي
 لئلا لك الزمان بها دونك ولجئت للموت فداء لك من نفسه . وكل هذا كما ترى مبالغة
 في الدعاء .

(٤) اللذ : لفة في الذي وتسكن الواو من هو ضرورة ، أو على لفة ، والعقم عدم الولد
 يقول : لو لم تكن من هذا الوري الذي كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله
 لكنت حواء في حكم العقيم التي لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد ، والشرط الأول
 ردى . ولكن الثاني جميل على أنه يلاحظ أن النبي يخاطب — كما أسلفنا — رجلا يذهب
 مذهب الصوفية .

وغنى المغنى فى دار الأمير أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُفَنِّى بِأَخَيْرِ مَنْ تَحْتَ ذِي السَّمَاءِ ^(١)

شَغَلَتْ قَلْبِي بِلَحْظِ عَيْنِي إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْفَنَاءِ ^(٢)

وبنى كافور داراً يلازها الجامع الأعلى على البركة ، وطالب أبا الطيب

بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِيشَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدْنِي مِنْ الْبَعْدَاءِ ^(٣)

وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِى عُضْوٌ بِالسَّرَاتِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ ^(٤)

مُسْتَقِلٌ لَكَ الدِّيارَ وَلَوْ كَأَن نَحْنُومًا آجِرُهُ هَذَا الْبِنَاءِ ^(٥)

وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَسْوَاحِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ ^(٦)

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تَهْنِى بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ ^(٧)

(١) و (٢) الاستهتام للتعجب ، وذى السماء أى هذه السماء ، يقول : لا أدرى

ما يقول هذا التهنيد لأن قلبى وجوارحى مشتتة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن

غناء هذا التلقى

(٣) و (٤) يدنى من الدنو أى يقترب ، وأنا منك مبتداً وخبر ، ولا يهين عضو

كلام مستأنف يقول : إنما يهين الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا

منك ، أى أنا وأنت كإنسان واحد وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتكرت فى ذلك

جميع أعضائه فلم يهين بعضها بضا . قال الواحدى : وهذا طريق التثنية يدعى لنفسه

المساهمة والكفاءة مع المدوحين فى كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى

لم احتمل ذلك منه ؟

(٥) و (٦) مستقل خبر مبتداً محذوف . أى أنا مستقل ، ويروى أستقل والآجر .

الطوب المشوى ، ويخر . من خري الماء . يقول : أنا أستقل لك الديار وإن بنيت

بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة ، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك .

(٧) محلة أى منزلة تميز ، وأن تهين ، فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر أى من أن تهين

وَلَكَّ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا بَنَرَ حُ بَيْنَ الْقَبَرَاءِ وَالْخَضَرَاءِ ^(١)
وَبَسَاتِينُكَ الْجِيَادُ وَمَا تَخْلِلُ مِنْ سَمَرِيَّةٍ سَمَرَاءِ ^(٢)
إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعَلِيَاءِ ^(٣)
وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي أَنْسَلَخَتْ عَنْهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ ^(٤)
وَبِمَا أَثَرَتْ صَوَارِمُهُ إِلَيْهِ عَنِ لَهْ فِي جَوَاجِمِ الْأَعْدَاءِ ^(٥)
وَبِمِسْكَ يَكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمِسْكِ وَلَكِنَّهُ أَرْبِجُ النَّشَاءِ ^(٦)
لَا بِمَا يَبْتَنِي الْخَوَاضِرُ فِي الرِّبِّ عَفٍ وَمَا يَطْبِي قُلُوبَ النَّسَاءِ ^(٧)

(١) و (٢) القبراء : الأرض . والخضراء : السماء . وفي الحديث : ما أقلت القبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر . والسمرية . الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تنها بمكان والبلاء كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزعتك إنما هي الخيل وما تحمله من الرماح فهي بساتينك . جل الرماح على الخيل كالجل على الشجر .

(٣) يقول : إنما غفره بما يبتنى من العلياء ، لا بما يبتنى من الدور كما قال :

بَنَى الْبِنَاءَ لَنَا مُجَدِّدًا وَمَكْرُمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْآجُرِّ وَالطِّينِ

قالوا : والعلياء إذا فتحت عينها مدت ، وإذا ضمت قصرت .

(٤) و (٥) وبأيامه . عطف على قوله بما يبتنى ، وكذلك قوله وبما أثرت ، وأنسلخت مضت ؛ والهيجاء الحرب ؛ والصوارم السيوف . يقول : إنما غر أبي المسك بما يبتنى من العلياء وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادي ، ولم يكن له إذ ذاك دار إلا ساحة الحرب ، وبها شاد عزه وعلياءه .

(٦) وبمسك . عطف كذلك على بما يبتنى . ويكنى به صفة مسك ، وليس بالمسك صفة أخرى ؛ والأربيج فوحن الطيب . يقول : وإنما يفخر بالمسك الذي يكنى به والذي ليس هو المسك المعروف ، وإنما هو كناية عن طيب النشاء والذكر الجميل والصيت الحسن . « هذا » وهو معلوم أن كافور الأخشيدي كان يقال له أبو المسك .

(٧) يبتنى الخواضر . أى أهل الخواضر ، جمع حاضرة ، خلاف البادية . والريف .

نَزَلَتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالْمَنَاءِ (١)
 حَلَّ فِي مَنبِتِ الرِّيحِ مِنْهَا مَنبِتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ (٢)
 تَفْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ يَنْفُسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَهِ (٣)
 إِنَّ فِي تَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَفَضِيلُهُ يُرَى بِكُلِّ ضِيَاءِ (٤)
 إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ (٥)

المكان الحصب الكثير الزرع والحضرة . وطبي . يستعمل . قال كبير .

لَهُ نَقْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ تَوَسَّطَ الْجَالِسِ شَمْتِ

« يعنى كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح . والعمل يسكون العين مؤتة ؛
 ولكن كثيرا فتحها لا تفتح ما قبلها . أى إن حركتها حركة إبلع » يقول المتن :
 إنما يفتخر أبو الماسك بما تقدم من ابتناء العليا وقتله الأعسداء وطيب التناء . لا بما
 يبتنى المتحضر من المنازل ولا بالمسك الذى يستعمل قلوب النماء

(١) السنا ، المقصور : الضوء والنور . والمدود الثرف والرفعة ؛ يقول : إن هذه
 الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفة ونورا ، فكأنك أنزلت الدار
 في دار أجمل منها وأجل : أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك .

(٢) الرياحين : جمع ريحانة ، والريحان كل نبت طيب الريح من
 أنواع الشوم ؛ والآلاء : النعم ، والمعنى ظاهر .

(٣) ذرت الشمس : بدت أول طاعها . قال الواحدي : يريد أنه في سواده مشرق
 فهو بإشراقه في سواده يفضح الشمس ، يجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس
 ذكرا . أو يريد : تناءه من العيوب ، ويقال للشهور : منير ولتنق من العيوب منير ؛
 ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى .

(٤) أخبر أنه أراد بإنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته وتقاؤه عما يلج به . وأن
 ذلك الضياء أتم من كل ضياء ، فهو يرى : أى يستبين بكل ضياء .

(٥) القباء : الثوب ، يقول : إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لياضه وإنما المولى
 عليه يياض النفس وتقاؤها من العيوب ، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بن
 الحساس :

كَرَّمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَاةٍ فِي بَهَاءٍ وَقُدْرَةٍ فِي وَقَاءٍ^(١)
 مَنِ لَبِيسِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْنُ نَ بِلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ^(٢)
 فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَا نِ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللَّقَاءِ^(٣)
 يَا رَجَاءَ الْعَمِيقِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي
 وَلَقَدْ أَفْنَيْتَ الْمَقَاوِزَ خَيْسِلِي قَبْلَ أَنْ نَلْشَقِي وَزَادِي وَمَائِي^(٤)
 فَارَمَ بِي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَأَنِي أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرَّوَاهِ^(٥)
 وَفَوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ^(٦)

إِنْ كُنْتَ عَبْدًا فَفَسِّ حُرَّةً كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَيْضُ الْخُلُقِ

(١) أَي لَكَ كَرَمٌ فِي شَجَاعَةِ الْح. يقول : إِنَّكَ كَرِيمٌ شَجَاعٌ ، ذَكَى الطَّبَعُ ، بِهِ
 الْمُنْظَرُ ، فَوَقْدَرَهُ عَلَى مَا تَرِيدُ ، وَافٍ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ فَمَا تَقُولُ .
 (٢) وَالسَّحْنَاءُ : السَّحْنَةُ أَي الْمُنْظَرُ وَالْمِهْيَةُ ، وَالْأَعْيَانُ : مِنْ جُمُوعِ الْعَيْنِ
 كَطِيرٍ وَأَطْيَارٍ ؛ وَفِي أَكْثَرِ الْكَلَامِ عَيُونٌ وَأَعْيُنٌ . يَقُولُ : إِنَّ الْمُلُوكَ الْبَيْضَ الْأَلْوَانَ
 يَبْدُونَ أَنْ تَبْدُلَ أَلْوَانَهُمْ بِلَوْنِكَ وَسَحْنَاتِهِمْ بِسَحْنَتِكَ لِيَرَاهُمْ أَهْلُ الْحَرْبِ بِالْعَمِيقِ الْخِ
 رُونِكَ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْأَسْوَدَ مِهْيَبٌ فِي الْحَرْبِ وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ أَثَرُ الْخَوْفِ وَلَكِنْ مِنْ
 يَكْفُلُ لَهُمْ هَذِهِ الْأَمْنِيَّةُ ؟

(٤) الْمَقَاوِزُ : الصَّحْرَاوَاتُ الْمُهْلِكَةُ ؛ وَصِمَتْ مَفَازَةً عَلَى سَبِيلِ الْقَاتِلِ بِالسَّلَامَةِ كَمَا
 قِيلَ لِلدِّيْعِ مَلِيمٌ . يَقُولُ : لَقَدْ أَفْنَيْتَ الْمَقَاوِزَ — الَّتِي جِئْتُهَا إِلَيْكَ — خَيْلِي وَزَادِي
 وَمَائِي . يَدَّكِرُ طَوْلَ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ صَمَدٌ إِلَيْهِ مِنْ شَقَةِ بَيْدَةٍ :

(٥) وَالرَّوَاهُ : الْمُنْظَرُ وَالشَّارَةُ . يَقُولُ : اسْتَكْفَنِي مَا شِئْتُ مِنْ أَيِّ أَمْرٍ
 عَظِيمٍ تَقْضِي بِي إِلَيْهِ فَإِنْ قَلْبِي قَلْبُ الْأَسَدِ شَجَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ آدَمِي الصُّورَةِ وَفَوَادِي فَوَادِ
 الْمُلُوكِ عَزَمًا وَرَأْيًا وَدَهَاءً وَإِنْ كَانَ لِسَانِي لِسَانُ شَاعِرٍ . قِيلَ : إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ يَقْصِدُ بِهَذَا
 التَّعْرِيفِ إِلَى حُلُبِ وَلَايَةِ مَنْ كَافُورٌ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ لَمَّا أُنْشِدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَقْسَمَ لَهُ أَنْ
 يَلْفَنَهُ مَا فِي نَفْسِهِ .

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقي في طريقه ويهجو كافورا:

ألا كل ماشيّة الخيزلي فدا كل ماشيّة الهيزلي^(١)
وكل نجاة بحاوية خوف وما بي حسن المشي^(٢)

(١) الخيزلي : مشية للنساء فيها استرخاء وثقل وتفكك ، قال الفرزدق :

حَوَارِيَّةٌ تَمْشِي الصُّحَى مُرَجَّحَةً وَتَمْشِي الْمَشَى الْخَيْزَلِي رِخْوَةً الْيَدِ^(١)

والهيزلي : ضرب من مشي الخيل فيه جد وسرعة ، من قولهم أهدب الظلم إذا أسرع . يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلي كل فرس تمشي الهيزلي : يريد أنه ليس من أهل الفزل والعشق والتشبب بالنساء وإنما هو من أهل السفر . ومن ثم كان مولها بالخيول ، وهذا من قول أبي تمام :

يَرَى بِالسَّكَابِ الرُّودَ طَلْمَةً نَائِرٍ وَبِالْعَرْمَسِ الْوَجَاءَ غُرَّةَ آسِ^(٢)

(٢) وكل : عطف على كل ماشية الهيزلي . والنجاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبا قالوا: ولا يوصف بذلك البعير . وبحاوية : منسوبة إلى بحاوة وهي أرض بالنوبة تعرف نوبها بالسرعة ، وقيل : قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطبراني :

بِحَاوِيَّةٍ لَمْ تُسْتَدْرَ حَوْلَ مَشِيرٍ وَلَمْ يَتَخَوَّنْ دَرَاهِضُ آفِنٍ^(٣)

(١) حوارية يريد الشديدة البياض النقية ، ومرجحة : يريد سميكة ثقيلة فإذا مشت تقيأت في مشيتها . ورخوة اليد : أي مرسلتها ومن أمثال العرب : أرخ يدك واسترخ

إن الزناد من مرخ ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام

(٢) السكاب : الجارية الناهد : والرود : الشابة الحسنه الشباب ، والعرمس : الناقة

الصلبة ، والوجاء : الناقة العظيمة الوجتين أو العظيمة :

(٣) المثبر : مثال المجلس الموضع الذي تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة

وأكثر ما يقال في الإبل : ومثبر الناقة أيضا حيث تنحر وتتخون : تنقص ، والآفن :

الذي يحلب الناقة في غير وقت الحلب ، أو الذي يستخرج جميع ما في ضرعها ، والبر

اللبن ، وضب الناقة : حلبها بالكف .

قالوا : وكان أهل بجاية هذه يتطاردون على النوق في الحروب وغيرها ، وكانت النوق تنمطف معهم كيما أرادوا ، فإذا وقعت الحرب في رمية عطف الناقة إليها فأخذها ، وإن وقعت في غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت فوقهم تنمطف معهم حيث أرادوا .

حكى ابن جنى عن المتنبي قال : يرى الرجل من أهل بجاية بالحربة فإذا وقعت في الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها .
ويقال : خنف البعير في مشيه إذا سار قلب خف يده إلى وحشيه وناقة خوف قال الأعشى :

وَأَذَرْتُ بِرِجْلَيْهَا النَّفْيَ وَرَاجَعْتُ
يَدَاهَا خِنَافًا كَيْتًا غَيْرَ أَحْرَدًا^(١)

وقال في الصحاح : خنف البعير يخنف خنفا وخنافا . لوى أنته من الزمام ، والخناف الذي يميل رأسه إلى الزمام ويفعل ذلك من نشاطه ومنه قول أبي وجزة :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَيْسُ النَّجَائِبُ تَفْتَلِي
بِالْقَوْمِ عَاصِفَةً خَوَافٍ فِي الْبَرَى^(٢)

والخوف من الإبل اللينة اليدين في السير وللشي جمع مشية كسدره وسدر يقول : لا أنظر إلى حسن مشي النساء وما بي شهوة إلى ذلك وإنما نزاعى وميل إلى كل ناقة خفيفة المشي ، أو تقول : إن قوله وما بي حسن للشي كلالاستدراك على قوله خوف أى لست أصفها بالخنف استحسانا لمشيتها لأنى لست أنظر إلى حسن المشي ولكنى أستعين بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالى .

(١) يقال بعير أحرد وناقة حرداء ، وذلك أن يسترخى عصب إحدى يديه من عقله أو يكون خلقه حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير واغلت الدابة فى سيرها ارتفعت فجاوزت حسن السير .

وَلَكِنَّهُنَّ حَبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى^(١)
 ضَرَبْتُ بِهَا التِّيَةَ ضَرْبَ الْقِمَا رِيًّا لِهَذَا وَإِمَّا لِهَذَا^(٢)
 إِذَا فَرَعْتُ قَدَمَهَا الْجِيَادُ وَيِيضُ السُّيُوفِ وَسُمُرُ الْقَنَا^(٣)
 فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكَبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غَنَى^(٤)
 وَأَمْسَتْ تُخَضِّرُنَا بِالنَّقَا بِي وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى^(٥)

(١) العداة : الأعداء ، والميط : الدفع . يقول : لست آبه للشئ سواء أكان مشى نساء أم مشى إبل ، ولكن ولوعى بالإبل إنما هو لأنها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك ، وبها تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

(٢) اتية : هناتيه بنى إسرائيل ، وهو الذى بين القارم وأيلة ، وهو الذى سلكه حين هرب من مصر إلى العراق ، والإشارة إلى الفوز والهلاك . يقول : ضربت بها الفلاة مخاطرًا كما يضرب المقامر بالسهم وهو لا يدري ما يقسم له من غم أو غرم ، كذلك أنا سلكت بناقى انقمار ملقيا بنفسى بين الفوز وبين الهلاك . فالعاقبة إما هذا وإما هذا .

(٣) قدمتها : أى تقدمتها . وقوله ييض السيوف وسمر القنا ، من المقابلة الجميلة ، يقول : إذا فزعته هذه الناقة تقدمتها الخيل — لأنهم كانوا يحبون الخيل ويركبون الإبل ، فاذا لاقوا الأعداء ركبوا الخيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيف والرمح للذود عنها .

(٤) نخل : ماء معروف ، يقول : فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبانها — يعنى نفسه وأصحابه — غنى عن العالم : أى عن خفارة أحد ، لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يبالون الظما .

(٥) النقاب : موضع يتشعب منه طريقان ، طريق إلى وادى المياه ، وطريق إلى وادى القرى . ونامن تخيرنا مفعول أول ، ووادى المياه : مفعول ثان ، وأسكن الياء ضرورة ، يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير ، إما إلى وادى المياه ، وإما إلى وادى القرى ، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم فقالت : إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر ؛ وهذا على المجاز والاتساع ، قال العكبرى : وقيل

وَقُلْنَا لَهَا أَينَ أَرْضُ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتُرْبَانَ هَا^(١)
وَهَبْتَ بِحَسْمَى هُبُوبَ الدُّبُو رِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا^(٢)
رَوَاىِ السِّكْفَافِ وَكَبَدَ الْوَهَادِ وَجَارِ الْبُؤَيْرَةِ وَادِى الْغَضَى^(٣)
وَجَابَتْ بِسَيْطَةِ جَوْبِ الرِّدَا ءِ بَيْنَ النِّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا^(٤)

فى التخيير تأويلان : أحدهما أن الهوادى من الحيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفت إليهما لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما ، وهذا كأنه تخيير ؛ والثانى : أنه على سبيل المجاز ، كما قيل :

* يشكو إلى جلى طول الشرى *

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما أراد صار إلى حال يشتكى من مثلها .

(١) تربان هنا : موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ ؛ وها : حرف تنبيه ، يقول : وقُلْنَا للإبل أين أرض العراق ؟ — لأننا كنا نريدها — فقالت — ونحن بتربان — هاهى ذه : أى دانية ، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة الترامية ليست فى نظرها شيئاً مذكوراً ، وقال ابن جنى : تربان من أرض العراق .

(٢) هبت : أى الإبل ، يريد نشطت فى سيرها ، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة لأنها أقبلت من الغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا ، لأن الدبور تهب من الغرب ، والصبا تقابلها من مطلع الشمس ، وحسمى : موضع بالبادية ، يقول : وهبت فى هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق .

(٣) رواى : أى قواصد ، حال من ضمير النوق ، وأسكن الباء ضرورة ؛ وهذه كلها أسماء مواضع ، ووادى الغضى : بدل من جار البويرة ، يقول : إن وادى الغضى جار للبويرة قريب منها .

(٤) بسيطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد ، وجابت : قطعت والمها : بقر الوحش ، يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء ، سائرة بين النعام والمها ، لأنها مواضع خالية من الأناسى ، ومن ثم تألفها الوحوش .

إِلَى عُقْدَةِ الْجُوفِ حَتَّى شَفَتْ بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى^(١)
وَلَا حَ لَهَا صَوْرٌ وَالصَّبَاحُ وَلَا حَ الشَّفُورُ لَهَا وَالضُّحَى^(٢)
وَمَسَى الْجُمَيْيِّ دِثْدَاؤُهَا وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا^(٣)
فَيَالِكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكُشٍ أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِيَ الصَّوَى^(٤)
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى^(٥)

(١) عقدة الجوف : مكان معروف . والجراوى : منهل . قال الشاعر :

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِيِّ شَافِيًا صَدَاىَ وَإِنْ رَوَى غَلِيلَ الرَّاكِبِ
والصدى : العطش . يقول : جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجوف حتى شفت
عطشها بماء الجراوى .

(٢) قال الواحدى : صور اسم ماء ، والصحيح أنه صورى . ذكر ذلك أبو عمرو
الجرى ، والشفور : موضع بالسجوة قال العكبرى : هو موضع بالعراق ، تقول العرب :
إذا وردت شفورا فقد أعرت ؛ ثم قال : وهو مشتق من قولهم بلاد شافرة ، إذا لم
يكن لها من يحميها ، والصبح والضحي : إما منصوبان على معنى العية ، وإما مرفوعان
على أنهما معطوفان على ما قبلهما ، يقول : وظهر لها صور مع وقت الصباح ، وظهر لها
الشفور مع وقت الضحي .

(٣) الجمي والأضارع والدنا : مواضع . والدثداء : سير سريع أرفع من الحجب
يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجمي ، وفي الفداة بلغ الأضارع والدنا .
(٤) أعكش : موضع قرب الكوفة ، وأحم وخنى : صلتان لليلة ، وليلا تميز ؛
ويالك تعجب ، والأحم : الشديد السواد ، والصوى : أعلام من حجارة تنصب في
الطريق ليهتدى بها ؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد
وخفيت أعلام الطريق .

(٥) الرهيمه : موضع قرب الكوفة . والجوز في الأصل : الوسط ؛ والمراد به هنا
صدر الليل لقوله : وباقية أكثر ؛ والضمير في الموضعين لليل ، يقول : وردنا هذا المكان
صدر الليل وباقية أكثر مما مضى منه ، وقال بعضهم : ضمير جوزه لأعكش ، والرهمه

فَلَمَّا أَتَيْنَا رَكْرَكْنَا الرُّمَّا حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْمَلَا^(١)
وَبَنَيْنَا نُقْبَلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا^(٢)
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى^(٣)
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا^(٤)
وَمَا كَلُّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَفَى وَلَا كَلُّ مَنْ سِمَ خَسَفًا أَبَى^(٥)

ماء وسط أعكش : أى وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « أعكش » وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه . وقال الخطيب التبريزي : بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل ؛ لأنه يوم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة فى النصفين ، وليس الأمر كذلك ولكنه جعل ثلث الليل الثانى كالوسط وهو الجوز ثم قال : وباقيه أكثر ، كأنه ورد ، والثلث الثانى الذى كالوسط ، وهو الجوز قد مضى ربه وبقى ثلاثة أرباعه ؛ وهذا أبين وأوضح ، ويجوز أن يكون الضمير فى باقيه ليل أو للجوز .

(١) يقول : لما ألقينا عصا التسيار واستقر بنا النوى فى السكوفة وأنحنا ركابنا بها وركرنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مراكوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا فى الطريق وظفرونا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلا فظفرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأننا نزلنا عليها .

(٢) يقول : بننا قبل أسيافا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك فجدير بها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس . ويروى بدل بننا ثبنا ، أى رجنا قبل الح .
(٣) تعلم مصر : أى أهل مصر . والعواصم : بلاد قصبها إنطاكية ، وهى من حلب إلى حماه . وآل فى الفتى للاستفراق . أى الكامل الفتوة .

(٤) وفيت ، أى لسيف الدولة إذ رجع إليه ، أو تقول : وفيت أى بماقلته من أنى سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر . وأبيت . أى ضم كافور ؛ وعتوت . أى تجبرت على من تجبر على .

(٥) سامه الأمر : كلفه إياه أو أكرهه عليه . والخسف : الضيم والذل ؛ وسامه خسفا : أذله .

وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأَى يَصْدَعُ صَمَّ الصَّفَا^(١)
وَمَنْ يَكُ قَلْبُ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى^(٢)
وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخَطَا^(٣)
وَنَامَ الْخَوِيدُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى^(٤)
وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا يَنْنَا مَهَامِهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى^(٥)
لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصَى أَنَّ الرُّؤُوسَ مَقَرُّ النَّهَى^(٦)
فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ الثَّغْمَ كُلَّهَا فِي الْخَصَى^(٧)

(١) يصدع صم الصفا . يشق الحجارة القوية وينفذ فيها ، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأي والعزم والأناة . يقول : لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الأحداث والكروب ، ولو تضاممت تضام الصخر . (٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال : توى ماله إذا هلك واستعار للتوى قلبا ليقابل بين قلبه وقلب التوى يقول : ومن له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويغوص شدائده حتى يصل إلى العز . (٣) يقول : وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه ؛ وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه . وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا . جمع الخطوة - بضم الخاء - وهي ما بين القدمين

(٤) الخويدم : صغير خادم ، يريد كافورا . والكرى : النوم والنعاس . يقول : نام كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده ، وكان قبل ذلك نائما غفلة وعمى ولم يك نائما النوم المعروف ، وهذا كقول الآخر :

وَحَبَّرَنِي الْبَوَّابُ أَنْكَ نَائِمٌ وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

(٥) مهامه : اسم كان ؛ وبيننا خبرها ؛ يقول : ولما كنت قريبا منه كان بيني وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه ، وبذلك كنت كأنتى بعيد عنه ؛ لأن الجاهل لا يزداد علما بالشيء وإن قرب منه

(٦) و (٧) انتهى : العقول ، جمع نهية ، سميت العقول كذلك لأنها تنهى عن كل

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَاءِ^(١)
 بِهَا تَنْبِطُ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَائِ^(٢)
 وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ يَنْصِفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَذْرُ الدُّجَى^(٣)
 وَشِعْرُهُ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرَكَدَنَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى^(٤)

ما هو قبيح يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الحصى ، فإنه لما خصى ذهب عقله وحق .

(١) يتجرب مما رأى بمصر من العجائب التي تستدعي الضحك ، ثم قال : لكن ذلك الضحك كالبكاء ، كما قالوا : وشر البلية ما يضحك .

(٢) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبطى واحد النبط ، وهم جيل من العمم ينزلون البطائح بين العراقيين ، قال المعري :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْغَبِيطُ
 اسْتَنْبَطَ الْعَرَبُ فِي الْمَوَاحِي بِمَدَكَ وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

والسواد سواد العراق ؛ والفلا : جمع فلاة ، والمراد بها البادية ؛ وأهل البادية هم العرب . قال الواحدى : يريد بالنبطى السوادى أبا انفضل بن حنزابه وزير كافور ، وقيل : أبا بكر المادرائى النسابة ، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٣) المشفر فى الأصل شفة البعير ، يقول : وبمصر أسود - يريد كافورا - عظيم الشفة حتى لكأنها قدر نصفه ، يموهون عليه ويشبهونه بالبدر ، والبدر هو ماهو جمالا وإشراقا ، والأسود هو ما هو قبحا وإظلاما ؛ ومع ذلك يصدقهم ويتعجبون بتكذابهم .

(٤) الكركدن بتشديد الدال والعامة - كما فى القاموس - تشدد النون : هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة ، قصير القوائم ، كثيف الجلد ، طى أُنقه قرن واحد ؛ ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى الرميس ، يقول : ورب شعر مدحت به هذا الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والخير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقبه به وأحتال لأجلب ماله من وجه آخر .

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَذْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجَوَ الْوَرَى^(١)
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَضْنَانِهِمْ قَائِمًا بِزِقٍ رِيَّاحٍ فَلَا^(٢)
وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَكَوهُ فَتَا أَوْ هَدَى^(٣)
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٤)

وعاب قوم عليه علو الخيام ، فقال^(*) :

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ^(٥)
وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثَّرِيَّاءِ وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلِسَّمَاءِ^(٦)

(١) قال ابن جني : إذا كانت طباعته تنافى طباع الناس كلهم سفلا ثم مدح فذلك جهولهم ؛ لأن فيه إرغامهم ومدحا لمن ينافى طباعهم . وقال غيره : يعنى لم يكن ذلك الشعر مدحا له ولكنه في الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجوني إلى مثله .

(٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لا اعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد ، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بزق ريح - يعنى كافورا - وينقادوا إليه ويعظموه فذلك ما لم أره إلا في مصر وأهلها - والزق أسود ، وإذا كان مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه

(٣) تلك : أى الأصنام ، وذا : أى زق الرياح ، أى كافور

(٤) هذا هو بيت القصيد ، يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا وإعجابا وذهابا بها خفيت عليه عيوبه ، فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستبجوا منه ما استحسن ، وإنه لبلاء عظيم . . .

* كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الشراب فقيل له : إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة :

كَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالا :

(٥) و (٦) يقول : إن الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت ؛ وإنى أبى ذلك كل الإباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسما

وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ^(١)
تَنْفَسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرُ^(٢) فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْمَوَاءِ^(٣)
وقال يهجو السامري^(*) :

أَسَامِرِيَّ ضُحْكَةً كُلُّ رَأَى فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْنَى الْأَغْيَاءِ^(٤)

فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا ؛ فكيف أسلم بأن تكون الحيام فوقك ؟ يريد أن ريتك فوق كل شيء ؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرًا :

(١) يقول : لما زيلت الشام وفارقتها أوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجلال الذي كانت تشتمل به بمقامك فيها ؛ فلما غادرتها غادرها جلالها وأنسها .

(٢) يقول : إذا تنفست والعواصم على عشر ليالي منك عرف أهلها والقيمون بها طيب نفسك في الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي عينة :

تَطِيبُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنَفَّسْتَ كَأَنَّ فَتَيْتَ الْمِسْكَ فِي دُورِنَا هَبًا

وتنفس — بحذف إحدى التائين — أى تنفّس ، والعواصم بلاد منها حلب وفسرين وإنطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تمص أهلها بما عليها من الأسوار . وقوله منك عشر : أى على مسيرة عشر ليال .
* أنشد المتنبي سيف الدولة يوما قوله :

واحرّ قلباه ممن قلبه شميم

وانصرف ؛ فاضطرب المجلس ؛ وكان فيه بنطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال لسيف الدولة : ألقه فأخذ لك رأسه ؟ فقال المتنبي هذه الأبيات يهجو بها .

(٣) يقول : يا سامري يا من يضحك منه كل من رآه كيف فطنت إلى ما أنشدته وأنت أغنى الأغنياء ، والسامري نسبة إلى سامري بلد بناء المعتصم قرب بغداد ، وكان لما أخذ في بناءه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها ، فقيل سر من رأى ، ثم حرف اللفظان على ألسنة العامة سامرا وسمرى والضحكة : الذى يضحك منه ، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك .

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ^(١)
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سِتْنِي فِي هَبَاءِ^(٢)

(١) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدري أنك كذلك أحقر من أن تهجى ، لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يروونه أهلاً حتى للهجاء .

(٢) المحال : ما عدل به عن وجهه يقول : وكيف يخطر لي أن أهجوك وما فكرت قبلك في باطل حتى أكثرته ، أى ماهجوت قبلك مثلك ولا حاك في صدري ذلك ، وهل يليق بمثلى أن يجرب سيفه في قطع الهباء ؟ ! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

أما الهجاء فدقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمدحُ فيكَ كما علمت جليلُ
فلأذهبْ فأنت طليقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عِزَّتِكَ بِهِ وَأَنْتَ ذليلُ

وقول الآخر :

قَلَّ كَيْفَ شِئْتُ وَأَنْى تَشَا وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِذْ شِمَالَا
نَجَا بِكَ لَوْمُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا

وقول بعضهم :

إِنِّى لَا كَرُمَ نَفْسِي أَنْ أُكَلِّفَهَا هَجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُومُ أَحَدُ
مَاذَا يَقُولُ لِمَنْ كَانَ هَاجِيَهُمْ لَا يَبْلُغُ النَّاسُ مَا فِيهِمْ وَإِنْ جَهَدُوا

قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف

بالشديين :

لَعَنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عُجَابٍ ^(١)
حَالَةً ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابٍ ^(٢)

وزاد المطر فقال :

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابٍ ^(٣)
وَمَا يَنْفَكُ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا وَلَا يَنْفَكُ غَيْثُكَ فِي أَنْسَابٍ ^(٤)
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْعَوَادِي مُسَايِرَةَ الْأَحْبَاءِ الطُّرَابِ ^(٥)
تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ وَتَفْجِزُ عَنْ خِلَافِكَ الْعِذَابِ ^(٦)

(١) و (٢) يقول : ترى عيناى منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه . وذلك أنى

أرى سيفاً يحمل سيفاً وسحاباً يطره سحاب ، والحالة التى يحمل بها السيف ، والحسام الأول هو السيف ، والثانى هو سيف الدولة .

(٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض ويخلق يرث ويلى . يقول : أنت أفضل من

السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التى كساها بها الغيث وهى نبات الأرض تبلى - وذلك عند هيجه - ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبا به فأنت خالده وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب ينقاد ويلين لهم كما قال البحرى :

أَشْرَقْنَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطُبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ
فَجَلَّ الصَّخْرَ يَكَادُ يَجْرَى لِيْنَهُ بِرُطُوبَةِ الزَّمَانِ .

(٥) و (٦) السوارى السحب السارية ليلا ، والعوادي السحب المنتشرة

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفَرِ أَغْتَرِضُ الدِّمَى فَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ ^(١)
فقال :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلَا حَرْبٍ ^(٢)

نهارا . والطراب جمع طروب ، وهو الذى يطرب ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله ، والخلائق ، الأخلاق . يقول : إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كي تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة .

(١) غداة النفر يريد غداة تفرق الجميع من منى ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذى ينفر الناس فيه من منى قال بعضهم .

أما والذى حَجَّ الْمَلِثُونَ بَيْتَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ وَالنَّحْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْفَمْرِ حُبًّا وَأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامَتُهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْفَمْرِ
وَهَلْ يَأْتُمْنِي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّتْ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ
وَسَكَنْتُ مَا بِي مِنْ كَلَالٍ وَمِنْ كَرَمَى وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلَا فَتْرِ
وأعترض : أستقبل ، والدنى : جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان .

(٢) فدينك دعاء ؛ والخطاب للحبيب ، وأهدى نادى بإسقاط حرف النداء قال الواحدي : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده ومنه الحديث : واهدوا هدى عمار . أى أقصدوا قصده وسيروا سيرته . يقول : يا أقصد الناس سهما إلى قلبي يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تحطئه ، ويا أقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى الزال ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التمييز وأهدى من الهداية ، وإليك ما قال العلامة الكبرى النحوى الكوفى فى تعليقاته على هذا البيت قال : أفضل إذا كان للتفضيل فبينه وبين أفضل التعجب مناسبة وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة كما يمتنع أن يقال : ما أحمره أى ما أشد حمرة

تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فِي أَهْلِ الْهَوَى
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخَلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ^(١)
وَإِنِّي لَمَنْعُ الْقَاتِلِ فِي الْوَعَى
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْقَاتِلِ فِي الْحُبِّ^(٢)

وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية، فعل بفتح العين، وفعل بكسرها، وفعل بضمها ولا يبنى إلا من فعل قد سمي فاعله ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال ما أضرب أخاك لأنه مأخوذ من ضرب أخوك ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذي ضربه أخوك؛ وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش^(١) إذا تقدمت فيكون اسما منصوباً على التمييز فيكون أفعل من فعل له فاعل ويكون الفعل للسهم ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فهما منصوب بفعل مضمر يدل عليه أهدى لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولاً وكذلك أفعل الذي للتفضيل وعلى ذلك حمل قوله :

أَكْرَهُ وَأَتَمَّى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا فِي اللَّقَاءِ الْقَوَانِسَ^(٢)

فنصب القوانس بفعل مضمر تم الكلام عند قوله وأضرب منا ثم أضمر فعلاً نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس فيكون من جنس الكلام .

(١) الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول : إن للهوى أحكاماً تخالف سائر الأحكام لأن الخلف في الوعد غير جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب * وكل ما يفعل المحبوب محبوب *

(٢) يقول : إني من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلى في الحرب ولكني مع ذلك يصاب مقتلى في الحب فلست أستطيع اللطاع عن هوى في ميدان الهوى وهذا من قول أبي تمام :

(١) يقال هدت الإبل والوحش والحيل تهدي إذا تقدمت وهاديات الوحش

أوائلها وهي هوائها

(٢) القوانس : جمع قونس مقدم البيضة من السلاح

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أَصَابَ الْحُدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ^(١)

« وقال يعزیه عن عبده يمالك التركي وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة :

لَا يُحْزِنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنِّي سَأُحْذِ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ^(٢)

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعِيُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ^(٣)

كَمْ مِنْ دَمٍ يَفْجِزُ الْجَيْشَ اللَّهُمَّ إِذَا بَانُوا تَحَسَّكُمُ فِيهِ الْعِرْمَسُ الْأَجْدُ

« جيش لهام : كثير يلتم كل شيء ، والعرمس الناقة الصلبة الشديدة ، والأجد بضم الهمزة والجرم الناقة القوية الموثقة الخلق . يريد أبو تمام الناقة التي تحمل الحبيب ، والمراد الحبيب نفسه »

(١) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرا ملك قلوب الناس بأهون سعى فقلوه أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه سهل عليه ما يشق على غيره

(٢) قوله لا يحزن . دعاء له . يقول . لا أحزن الله . الأمير فإن حزنه يستتبع حزني أشاركتي إياه في أحواله فلا أصابه الله يحزن لثلاث أحزن : والمعنى واضح وجميل . ومن ثم كان قد صاحب هذا البيت - بقوله . لا أدري لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق - في غير موضعه . ويجوز في يحزن الجزم بلا والرفع على أنه خبر وضع موضع الإنشاء ، ورواية سأخذ هي رواية ابن جني وعليها مضينا ، وفي رواية : لآخذ .

(٣) يقول : لا أبكاك الله لأنك إذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا لحزنك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكي بعيونهم ويحزن بقلوبهم . وفي البيت حذف لا يخفى ، فهو من قيل * علفتها تبنًا وماء باردا * قال الواحدى : ولك أن تجعل الباء في بعيون للتعدية أى أبكأها . والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم كما قال يزيد المهلبى :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعًا فِي سُرُورِكُمْ فَلَهُنَا إِذْ حَزَيْتُمْ غَيْرُ انْصَافٍ

وَأَمْنِي وَإِنْ كَانَ الدِّفِينُ حَبِيبَهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي^(١)
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاهِ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبٍ
سَبَقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعِنَا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَذُحُوبٍ^(٢)
تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْعَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ^(٣)
وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرِ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ^(٤)

(١) الدفين المدفون ، وحبيب حبيبي مبتدأ مؤخر ، وحبيب إلى قلبي خبر مقدم ،
والجملته خبر إنى يقول : إنى أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذى يحبه حبيبا
إلى قلبي وإن كان غريبا منى .

(٢) يقول : لقد سبقنا غيرنا إلى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا
لنصت بنا الدنيا وضائق علينا الأرض حتى لا نستطيع الذهاب والرجاء لشدة الزحام
وإنما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر . وجيئة مصدر جاء يجيء مجيئا
وجيئة وكذلك الذهوب .

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم إلى قوم فيتملكها الحى تملك السالب ويتخلى
عنها الميت تخلى المسلوب ؛ وعبرة الواحدى : يريد بالآتى الوارث بعد الموت وبالماضى
الموروث أى أن الذى تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله . والميت كأنه مسلوب
سلب ما كان فى يده وهذا المعنى — كما قال العكبرى — مأخوذ من قولهم إنما فى أيديكم
أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الأولون .

(٤) شعوب من أسماء النية وهى معرفة لا تنصرف ولا تدخلها الألف واللام، سميت
كذلك لأنها تشعب أى تفرق . يقول : لولا الموت لم يكن لهذه المعانى فضل وذلك أن
الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف
عليه من إقدامه فى الحرب وإذن لا يحمى على شجاعته ، وكذلك لا فضل للجواد على
البخل . والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الأحوال
فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس . ويهون البوس .

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبِ حَيَاةِ أَمْرِي خَاتَمُهُ بَعْدَ مَسِيْبِ (١)
لَأَبْقَى يَمَّاكَ فِي حَشَايَ صَبَابَةً إِلَى كُلِّ تَرْكِي النَّجَارِ جَلِيْبِ (٢)
وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكِي وَلَا كُلُّ جَفْنٍ ضَمِيْقٍ بِنَجِيْبِ (٣)
لَيْنُ ظَهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَاَبَةٌ لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيْبِ (٤)
وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلُّ يَوْمٍ تَنَاضُلٍ وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلُّ يَوْمٍ رُكُوبِ (٥)

(١) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضي وبمعنى الباقي ، والمراد هنا الأول . يقول :
إن الحياة لابد من أن تغدر بصاحبها فهي لا محالة وإن طالت مفارقتها ولكن أوطاها له
تلك التي تصعبه إلى وقت المشيب فلا تزياله حتى يطول استمتاعه ويستوفي لذة العيش
ولكنها مع ذلك إلى انقضاء . وقال الخطيب التبريزي : يريد أن الدنيا تغترم الشباب
لقلة الوفاء فإذا أبقتهم كان قصارها أن تفنهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها ؛ وهو
تفسير حسن .

(٢) لأبقى . جواب قسم محذوف . أي والله لقد أبقى ؛ وعماك اسم مملوك سيف
الدولة وهو تركي ؛ والنجار الأضل ، وجلب مجلوب من بلد إلى آخر . يقول . لقد أبقى
يماك بموته في قلبي صباة وميلا إلى كل تركي أي إلى كل من هو من جنسه

(٣) النجيب الكريم « ضد اللثيم » والفاضل النفيس في نوعه . يقول : إن يماك
ترك في قلبي هذا الليل إلى جنسه لذلك الشبه الذي بينه وبينهم وإن لم يكن كل من أشبهه
في الصورة يشبهه في الخلق والنجابة ، فالبيت كالاستدراك على البيت السابق ، فهو يقول
في الأول : إنه يحب لأجله الترك لأنه منهم والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون
ثم قال : إنه ليس كل تركي مباركا ولا كل تركي نجيا كالمرئي وإذن فهو يحبهم لأنهم يشبهونه
في الصورة وإن لم يشبهوه في الخلق والنجابة .

(٤) و (٥) القضيْب السيف القاطع وقيل : اللطيف الدقيق ، والتناضل الترامي
بالسهم . قال المكبري : في الحرب وغيرها وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب
بسهامهم رمي بعضهم بعضا وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم لينظروا أيهم أحسن رميا ؛
والطرف الفرس الكريم . يقول : إنه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمي
وقت الزوال وكان فارسا يحسن الركوب للغارة والطمعان ومن ثم حزنه عليه السيوف
والقسي والحيل فلا عجب إذ حزننا نحن عليه . واللام في قوله لأن ظهرت لام القسم

يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلَى بِمَادَةٍ وَتَدْعُو لِأَمْرِ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبٍ ^(١)
وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبْدَتَيْنِ أَدِيبٍ ^(٢)
فَإِنْ يَكُنِ الْعَلَقَ النَّفِيسَ قَدَّتْهُ فَمِنْ كَفٍّ مِتْلَافٍ أَغْرَ وَهُوبٍ ^(٣)
كَأَنَّ الرَّدَى عَادَ عَلَى كُلِّ مَا جِدَ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ بَحْدَهُ بِعُيُوبٍ ^(٤)

دخلت على حرف الشرط وآتى بجواب القسم ولم يأت بجواب الشرط ، ومثله كثير في القرآن الكريم ، وفي الشعر .

(١) وتدعو عطف على يخل ، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة . يقول : إنه يشق على يمالك أن يغير عاداته في خدمتك وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك .
(٢) ذي لبدين أى أشده واللبدة الشعر المترابط على كتف الأسد . يقول : وكنت إذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أمداً وفقى أدبياً أى إنه كان جامعاً بين الأدب في الخدمة وقوة الأمد لدى الناس ، وانتهاء في كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمتكلم وعلى الفتح للمخاطب .

(٣) العاق هو النفيس من كل شيء ، وهو خبر يكن وجلة قدته حال ؛ والتلاف الذى يتلف أمواله سخاء وجوداً والأغر الشريف يقول : فإن يكن يمالك العلق النفيس قد قدته فإنما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالي بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالتاء فهو على الخطأ لسيف الدولة ويكون العلق منصوباً على الاشتغال أو بفعل مضمر دل عليه قوله قدته ، والتقدير ، فإن تكن قدت العلق النفيس .

(٤) الردى الموت ، وعاد ظالم ممتد . ولتراد بالماجد — وهو التكميل الشرف — سيف الدولة ، وعوذه علق عليه العوذة وهى الرقية يتقى بها السوء . يقول : إن الشريف لا يسلم من حدثان البحر ونوائبه حتى يحصل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك ، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب ، وهذا كقول الشاعر :

شَخَصَ الْأَنْأَمُ إِلَى كَالِكَ فَاسْتَعِذُّ مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ
وقول الآخر :

قد قلت حين تكاملت وغدت أفضأله زينا من الزين
ما كان أخوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين
« كان زائدة ، وذا الكمال . أى هذا الكمال » .

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا
وَلَلَّتْكَ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ
وَإِنَّ الَّذِي أَمْسَتْ نِزَارٌ هَبِيدُهُ
كَفَى بِصَفَاءِ الْوَدِّ رَقًا لِمِثْلِهِ
غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبٍ^(١)
إِذَا جَعَلَ الْإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبٍ^(٢)
غَنَى عَنْ أَسْتِعْبَادِهِ لَغْرِيبٍ^(٣)
وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلْيَبِيبِ^(٤)
أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلٍ مُثِيبٍ^(٥) فَمَوْضَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَجْرُ إِنَّهُ

(١) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساءته بالثبوت إلى سابق إحسانه ، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسوء أخرى . يقول : ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إساءته بتفرقه بيننا فإحسانه عرفنا إساءته . والآيدى : النعم
(٢) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمه يقول : وإذا أن الدهر شاب إحسانه بالإساءة فلم يتم إحسانه بتربيته وتمهده وإعماجه فترك المحسن إحسانه أجل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل ، وهذا كقوله :
أَبْدَأُ نَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا فَيَالَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا

واللام في قوله وللتك لأم الابتداء ، وربيب تام من رب عمله أصلحه ونماه وآتمه .
(٣) يقول : إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركي ، وخس نزار لأنه أبو القبائل الأشراف كقرش وغير قرش ؛ فالمراد بنزار سائر العرب .

(٤) الباء في قوله بصفاء وبالقرب زائمة ، وصفاء والقرب في محل رفع بكفى ، والرق العبودية ، واليبيب المائل . يقول : إن سيف الدولة استبد العرب بمصافاته إياهم وإقباله عليهم بالود ومثله إذا صافى إنسانا استرقه بكثرة الإحسان إليه . وإن لم ييته كما يتتاع العبد ، وهذا هو الرق والاستعباد

(٥) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من عااك فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى ، أو تقول فإن سيف الدولة أجل عبد ثلب من الله فمضير إنه إما عائد على الأجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولا من الإثابة .

فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَ النَّجِيعُ نَحْوَرَهَا يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ عَصِيبُ^(١)
يَعَافُ خَيْسَامَ الرِّيطِ فِي غَزَوَاتِهِ فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ^(٢)
عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعًا بِشَقُّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ^(٣)
فَرُبَّ كَيْتِبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَيْتِبِ^(٤)

(١) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجلة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل ، والنجيع الدم ، وضنك صفة موصوف محذوف أى فى يوم ضيق المقام فالضنك الضيق وعصيب أى شديد واعصوب اليوم والشر اشتد . ويوم عصيب وعصيب شديد وليلة عصيب كذلك ولم يقولوا عصيبة ، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واعتد عليهم ويقال لأمناء الشاة إذا طويت وجمعت ثم جلست فى حوية من حوايا بطنها عصب واحدها عصيب والعصيب أيضاً الرثة تعصب بالأمناء فتشوى قال حميد بن ثور يصف نساء نشأن بالبادية :

أولئك لم يذرين ماسمك القرى ولا عصب فيها رثات العمارس^(١)
يقول : إن سيف الدولة أجل مثاب لأنه إذا بلت السماء نحر الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى مثل ذلك اليوم .

(٢) الریط جمع ریطة وهى اللادة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفتين ، وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره ، والحلم جمع خيمة يقول : إنه يكره الاستغلال بالحيام للتخذة من النسيج وإنما يستغل بغبار الحروب .

(٣) الإسعاد الإعانة . يقول : إن كانت إعانتنا إليك على هذه الرزية نالقة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب وهذا من قول حبيب :

شق جيوباً من رجال لو اسطأ عوا لشقوا ما وراء الجيوب
وجيب القصيص ما اتعج منه على النحر .

(٤) يقول : ليس بالسكاه يعلم الحزن ، قرب محزون عصى السمع فلا يبكى ورب بك

(١) العمارس جمع عمروس والعمروس والطمروس الحروف والصب جمع عصيب وهو ما عرفت .

تَسْبَلْ . يَفْكُرْ فِي أُمْنِكَ فَإِنَّمَا بَكَيتَ فَكَانَ الضُّحْكُ بِمَدِّ قَرِيبٍ ^(١)
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا يُخْبِثُ ثَنَتْ فَاسْتَدَّ بَرْنَهُ بِطَيْبٍ ^(٢)

تنسكب دموعه وليس يحزون . قال العكبري : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو علي في آخر تكملة إيضاحه :

وما كلُّ ذِي لُبٍّ يَوْمِيكَ نُصَحَهُ وما كلُّ مُوْتٍ نُصَحَهُ بَلِيبٍ
(١) في أيك بفتح الباء كما رواها ابن جني ، يريد في أبويك ، وهي لغة للعرب صحيحة فإن بعض العرب يقول في ثنية أب أبان كما قالوا أبوان وفي الإضافة أيك وإذا جمعت بالواو والتون قالوا : أبون ، قال الشاعر :

فَلَسَا تَيْنِ أَصَوَاتِنَا بَكَيْنَ وَفَدَيْنَا بِالْأَيْنَا ^(٣)

وعلى هذا قرأ بعضهم : إله أيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . يريد جمع أب أي أينك لحذف التون للإضافة يقول : تسل عن هذا المفقود بالتفكير في مصابك بأبويك قد يكتئب لفقدها ثم ضحكك بعد ذلك بمدينة وكذلك حزنك لأجل هذا المصاب سينهب عن قريب . وعجاجة بعض الشراح : تفكر في آباءك الذين ذهبوا فكل أحد سينهب كذهابهم فلا يجب الحزن . وفي معناه :

فَقَضَى لِلْسُومِ عَازِلَتِي فَإِنِّي سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْسَابِي
« يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود » ومثله قول لبيد :

فَإِن أَنْتَ لَمْ يَنْفَعَكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لِمَلِكٍ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ
(٢) للصاب هنا مصدر كالإصابة ، والمراد هنا بالحث الجزع وبالطيب الصبر ، ويقال بات فلان خبيث النفس : أي ثقيلها كره الحال وفي حديث هرقل : فأصبح يوما وهو خبيث النفس ، أي ثقيلها كره الحال ومنه الحديث : لا يقولن أحدكم خبيث نفس ، أي ثقلت وغثت كأنه كره اسم الحث وفاعل ثنت يعود على النفس أي صرفت الحث ، أو تقول ثنت أي اثنت يقول :

(١) يصف نساء سيبين فوفد عليهن من قومهن من يفادين فبكين إليهم وفدينهم بأبائهن سرورا بوفودهم عليهن .

وَلِلَّوَّاجِدِ الْمَكْرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ
فَدَتْكَ نَفْسُ الْخَاسِدِينَ فَإِنَّهَا
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا
سُكُونُ عَزَاهُ أَوْ سُكُونُ لُغُوبِ^(١)
فَلَمْ تَجْزِ فِي آفَاكِهِ بِغُرُوبِ^(٢)
مُصَدَّبَةٍ فِي حَضَرِهِ وَمَغِيبِ
وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْنِي لَهَا بِضَرِيبِ^(٣)

إذا استقبل الكريم إصابة الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعله أن الجزع لا يفيد. قال المكبرى : وهذا من قول الحكيم : من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع لعله أنه من كونها فهان عليه ذلك ليجز الكل عن دفع ذلك .

(١) الواجد المحزون ، والزفرة تصيد النفس بعد مده ، واللغوب الإعياء . يقول : لا بد للمحزون من سكون فلما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء ، فالعاقل من يتعزى ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

أَتَصْبِرُ لِلْبَلَاءِ عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُؤْجِرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَ الْبَهَائِمِ

ويقول محمود الوراق .

إذا أنت لم تَسْلُ اصْطِبَاراً وَحِسْبَةً سَلَوْتَ عَلَى الْإِيَامِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ

(٢) كم هنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الخبر . وغروب جمع غرب وهو السمع يقول : كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك ، والغائب عن قرب كالغائب الذي طال عليه العهد . قال الخطيب : وهذا للمعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويمالك قد رآه وعرفه ورثاه . أقول : وقد الخطيب واضح وفي محله كما ترى .

(٣) من يحسد مبتدا مؤخر ، وفي تعب خبر مقدم ، ونورها بدل من الشمس أو مفعول ثانٍ ليحسد ، وأسكن الياء من يأتي ضرورة . وأكثر ما يكون ذلك في الياء والواو . والضريب النظير يقول : مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتي للشمس بنظير وهذا في تعب لازب لأنه يعالج الحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس .

وقال يمدحه ويذكر بناء مَرَعَشَ سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رِبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْقَرْبَا^(١)
وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا فَوَإِذَا لِمِرفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَا^(٢)
نَزَلْنَا عَنْ الْأَكْوَارِ نَفْسِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا^(٣)
نَذِمُ السَّحَابَ الْفَرْقُ فِي فِعْلِهَا بِهِ وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبَا^(٤)
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا^(٥)

(١) يخاطب ربيع الحبيب ويدعو له . وقوله من ربيع تميز ، ومن زائدة ، والربيع المنزل متى كان وبأى مكان كان ، أما المربع ومثله المربع والمربع فهو للوضع الذى ينزل فيه أيام الربيع يقول : فديناك أيها الربيع من أحداث الدهر ونوائبه برغم أنك زدتنا وجدا بما جئت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس يخرج منك ويهود إليك وكنت له كالشرق حين يظهر وكالغرب حين يختبئ .

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا إلى إدراك الأشياء ، ويدع روى بالياء وبالتاء ، فمن روى بالياء فهو على لفظ من ، ومن روى بالتاء حمله على المعنى لأن التصود بمن ، امرأة .

(٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البعير ، وأن نلم مؤول بمصدر مجرور بمن محذوفة صلة كرامة أى كرامة عن أن نلم بركبانا ، ونلم نزل يقول : لما أتينا هذا الربيع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن نزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله :

حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ أَجَابَ دُثُورُهُ يَوْمَ الْعَقِيقِ سَوَّالَ دَمْعِ سَائِلِ

نَحْنُ وَنَزَلَ وَهُوَ أَعْظَمُ حَرَمَةٍ مِنْ أَنْ يُذَالَ بِرَاكِبٍ أَوْ نَاعِلِ

(٤) السحاب جمع ، ومن ثم جاز وصفه بالقر : أى البيض : وإنما قال القر لأنها كثيرة الماء يقول : نذم السحاب لأنها عفت الربيع وغيرت معاله بما ينهل منها من المطر وإذا طلعت عليه أعرضنا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتعفيتنا الرسوم وفعلها بها ما فعلت .

(٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربيع ولا حق

وَكَيْفَ التَّذَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ يَمُدْ ذَلِكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَا^(٥)
ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًا كَانَ لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبَا^(١)

لنا في هذا الظم من صعب الدنيا وطال امتراسه بها تعلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن إليه من صفاتها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغن بالأمس ، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها .

(١) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستشق ذلك النسيم الذي كنت أجده من قبل : يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال ، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب — والضحي قال الجوهري : مقصور تؤنث وتذكر ، فمن أنت ذهب إلى أنه جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتفر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحي إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه . وقال ابن برى : ضحي مصروف على كل حال ، قال الجوهري : وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ثم ذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، وقيل : الضحي من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار .

(٢) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأنى قطعت بالوثوب ، ووثب قفز وطفز ، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبا : أى وصل إليه دفعة واحدة . قال ابن جنى : يريد قصر أوقات السرور ، ومن بدع ما قيل في قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد :

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لَمَّا صَنَعْتَ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا

فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

والشعراء أبدآ يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو ، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب :

وَفَتَانَةٌ الْعَيْنَيْنِ قَتَالَةٌ الْهَوَىٰ إِذَا نَفَعَتْ شَيْخًا رَوَّاعُهَا شَبَابًا^(١)
لَمَّا بَشَرُ الدَّرَّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّبُهَاتُ^(٢)

ليلي وليلي نفي نومي اختلافهما حتى لقد تركاني في الهوى مثلاً
يجودُ بالطولِ ليلي كلما نخلت بالطول ليلي وإن جادت به بخلا
وفي هذا البيت من الجنس الذي ترى ما يعجز عنه . وقال البحرى :
فَلَا تَذْكُرْ أَعْدَاءَ عَهْدِ التَّصَابِي فَإِنَّهُ تَقْضَىٰ وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ الْمَعْصَرُ
وما أبدع ما يقول الرضى :

يَا لَيْلَةَ كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا أَنْ يَفْتَرَّ فِيهَا الْعَشِيُّ بِالسَّحَرِ
وقال بعضهم :

ظَلَّلْنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمَ مِثْلِ سَالِفَةِ الذَّبَابِ
شبهه في القصر بندق الذباب ، ومثله لجرير :

وَيَوْمَ كَأْبَهُمُ الْقَطَاةُ مَزِينٍ إِلَىٰ صِبَاهُ غَالِبٍ لِي بِأَطْلُهُ
وما أحسن قول إبراهيم بن العباس :

لَيْلَةُ كَادَ يَلْتَقِي طَرَفَاهَا قَصْرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ
ويقول متمم بن نويرة :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ تَنْبِتْ لَيْلَةٌ مَعَا

(١) النفع تضوع رائحة الطيب يقال نفع الطيب ونفحت رائحة الطيب وعدى
النفع على المعنى كأنه قال إذا أصابت روائحها شيخاً شب ، وفاتنة عطف على وصلا في
البيت قبله : أى وذكرت به فتانة يقول : وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها إذا
نفعت روائحها شيخاً تصابي وعاد شاباً وهذا مثل قول الصنوبري :

بِلَفْظٍ لَوْ بَدَأَ لِخَلِيفٍ شَيْبٍ لِفَارَقِهِ وَعَادَ إِلَىٰ شَبَابِهِ

(٢) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد ، والدَّرَّ اللَّائِيءُ العظام ، والشهب الدرارى
من النجوم ؛ يقول : إن لونها مثل لون الدر الذي تقلده ، وهى كالدر حسناً وجالاً ،
وقلائدها كدرارى النجوم ولم أرقبها بدراً قلد النجوم .

فَمَا شَوْقٍ مَا أَتَيْتُ وَيَا لِي مِنَ النُّوَى وَيَا دَمْعَ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبَ مَا أَصْبَى ^(١)
لَقَدْ لَمِبَ الْبَيْنُ الْمَشْتَبَهَ وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضُّبَّ ^(٢)
وَمَنْ تَكُنِ الْأَسَدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبًا ^(٣)

(١) ويالى : يروى ويالى بالموحدة ، والنوى البعد . يقول : فياشوقى ما أبهاك فلست تنفد ويا من لى بمعنى من ظلم الفراق ويادعى ما أجراك وياقلبي ما أفساك وأشوقك وقد حذف كما ترى يا آت الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفاً لأن الكسرة تدل عليها ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبذية على الضم على أنها مفردة أى غير مضافة إلى ياء التكميل وحذف الكاف للنسوبة من أتى وأجرى وأصبى للمخاطبة التى قبلها بالدعاء . وقوله ويالى استغناء قال العكبرى قوله ويالى يحتمل أن يكون أراد اللام المفتوحة التى للاعتناء كأنه استغاث بنفسه من النوى ، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التى للمستغاث من أجله كأنه قال : يا قوم اعجبوا لى من النوى .

(٢) البين البعد ، والمشت الفرق ، والضرب حيوان من الزحلات معروف يضرب به المثل فى الحيرة ، يقال : أحير من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدى إليه عند أوجه يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا أهتدى إلى وجه وليس إلى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل إن المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لأنه لا يحتاج إلى الساء أبداً فكذا لم يزودنى الفراق شيئاً أى أنه لم يودع حبيته وفارقها من غير وداع ولا لقاء فيكون التوديع زاداً كما قال بعضهم :

زَوَّدَ الْأَحْبَابُ لِلْأَحْبَابِ ضُحًى وَالتَّزَامَا

وَسُلَيْمَى زَوَّدَنِي يَوْمَ تَوَدَّيْ السَّقَامَا

وقال ابن فوزه : يريد زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه لما أوفى إلى العود إليه والاجتماع مع الحبيب والضرب يوصف بالضلال وقلة الاهتداء وعجالة الواحدى يجوز أن يكون المعنى أن الضب مكانه المفازة فلا يتزود إذا انتقل منها بقوله : أنا فى البين مقيم إقامة الضب فى المفازة وليس من عادة المقيم أن يتزود فالسير والبين كأنهما منزل لا لنى إياها .

(٣) الضواري المضرة واللولعة بالصيد . يقول : من كان من نسل الشيطان وكان أباه كالأسود كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود وإذن يكون الليل له نهراً فلا تعوقه

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِ الْعَلَا
فَرُبَّ غُلَامٍ عَلمَ الْمَجْدَ نَفْسَهُ
كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا^(٢)
إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلْكَةٍ
كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفُ وَالسَّكْفُ وَالْقَلْبَا^(٣)
تُهَابُ سُيُوفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا^(٤)

الظلمة عن بلوغه مآربه . وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهراً ، قال ابن جني : قوله
يكن ليله صباحاً من قول الآخر :

فَبَادِرِ اللَّيْلَ وَلَدَّاتِهِ فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ

(١) كأنه يعتذر من الغضب الذي ذكر في البيت السابق . يقول : إذا أدركت معالي
الأمر فلست أبالي بعد إدراكها . كان ما يحصل في يدي إرثاً أم كسباً فالتراث المال
الموروث : قال بعض الشراح : وكان الوجه أن يقول إرثاً كان لأن الهمة لا يليها إلا
المسئول عنه فأخبره لإقامة الوزن .

(٢) قرب غلام يعني نفسه يقول : إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له
من يعلّمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالد الأبطال بشجاعته وحذقه ،
ويروى * كتعليم سيف الدولة الدولة الضربا * أى كما علم أهل دولته الطعان والنزال .
والرواية الأولى أظهر ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي ، وقيل لا يكون إلا
بالآباء والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبت وامتلات بطونها علها
وأعجدها راعيها ويقال من هذا أعجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره ، ولما كان من أساس
المجد كثرة المسائر والمسامي كان مأخوذاً من ذلك .

(٣) يقال : كفيته الأمر أعنته عليه وقت به دونه ، وقد استكفاني أمره فكفيته
وعدها هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : إن الدولة إذا استعانت به في أية
 مهمة أو نازلة كفها وبلفت به وحده ما تريد فكان سيفاً لها على أعدائها وكفا تضرب
بها وقلبا تفتح به الأهوال ؛ قال العكبري : يريد بهذا أن يفضل على سيف الحديد فإنه
لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب ، وسيف الدولة يعمل بنفسه .

(٤) يقول : إن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها
 فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟ أى تقطع بنفسها دون
استعانة بغيرها ، وسيف الدولة عربي نزاری ، فيكون أحق بالخوف منه .

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحَدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْبًا^(١)
وَيَخْشَى عُجَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَيْنَ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا^(٢)
عَلِيمٌ بِأَمْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللَّسَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتَبَا^(٣)
فَبُورِكَتَ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودَنَا بِهِ تُنْفِثُ الدِّيَاجَ وَالْوَشَى وَالْعَصْبَا^(٤)
وَمِنْ وَاهِبٍ جَزَلًا وَمِنْ زَاجِرٍ هَلَا وَمِنْ هَاتِكَ دِرْعَاوَمِينَ نَاطِرٍ قُصْبَا^(٥)
هَنِيئًا لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمْ وَأَنْتَ حِزْبُ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبًا^(٦)

(١) يقول : إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترئ أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه .

(٢) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويغشى يغطي وعب زخر وتدفق وقد سمى القوس الشديد الجرى والنهر الشديد الجريان يعبوا من ذلك يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد .

(٣) التي جمع لثة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات ، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره ، وله في ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبتهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجرى على خاطره .

(٤) يقال : بورك وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والخفاء ومن غيث تميز والدياج فارسي معرب وهو الثوب الذي سدها ولحمته حرير والوشى الثوب فيه ألوان شتى والعصب ضرب من برود اليمن يقول : إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا .

(٥) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل والقصب المني والجمع أqvab ؛ وفي الحديث : الذي يتخطف رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه في النار قيل اسم للأعماء كلها ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء يقول : وبورك من رجل يهب المطاء جزلا ويزجر الخيل يستحثها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الأعماء فينثرها .

(٦) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيئًا وأصله ثبت رأيك هنيئًا لهم لحذف الفعل وأقيم الحال « هنيئًا » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنهم حسن رأيك فيهم وأنت صرت لهم حزبا — أى أعوانا وأنصاراً — في حال أنك حزب الله .

وَأَنْتَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَبَّنْهُ
فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ
مَرَابَاكَ تَتَرَى وَالِدُ الْمُسْتَقِ هَارِبُ
أَنَّى مَرَعَشًا يَسْتَقْرِيبُ الْبَغْدَ مُقْبِلًا
فَإِنْ شَكَ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبًا^(١)
وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجُدْبَا^(٢)
وَأَصْحَابَهُ قَتَلَى وَأَمْوَالَهُ نُهَبَى^(٣)
وَأُدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا^(٤)
وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيَّتُهُ رُحْبَا^(٥)
كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءُ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَّا

(١) وأنت عطف على وأنت حزب الله في البيت السابق والضمير في فيها وفي بساحتها للأرض وأرجعه إلى غير مذكور على حد قوله تعالى « كل من عليها فان » ورعت أفرغت وربب الدهر صروفه وحوادثه . يقول : هنيئاً لأهل الثغر أنت صرت لهم حزبا وأنت فعلت في الأرض أفصلاً أفرغت الدهر وصروفه ، فإن شك الدهر في قولى فليحدث في الأرض خطبا . يعنى أن الناس آمنون من تصارييف الدهر فليس في استطاعته أن يمسم بسوء هية لك .

(٢) عنهم : أى عن أهل الثغر . والجذب : القحط .

(٣) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش سميت كذلك قيل لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السرى أى النفيس وقيل لأنهم ينفذون سرا وخفية وتترى متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى « ثم أرسلنا رسلا تترى » وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة قال الجوهري تترى فيها لقتان تلتون ولا تلتون فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد ومن نونها جعلها ملحقة والمراد هنا الذى يخلف بعضها بعضا ونهى أى منهوبة والمستق اسم لقائد الروم .

(٤) مرعش حصن من أعمال ملطية ؛ يقول : آتى الدمشق هذا الثغر مهزوزاً نشيطاً مبتهجا يجد البعيد قرياً فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب جيداً خوفاً وذعراً أن تدركه ، قال العكبرى : ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى :

والله ما جئكم زائراً إلا رأيت الأرض تطوى لي
ولا اثنى عزيمى عن بابكم إلا تمثرت بأذلي

(٥) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاذ جينا يترك أعداءه ويخيم

وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللَّقَانِ وَقُوفُهُ صُدُورَ الْعَوَالِي وَالطُّهْمَةِ الْقَبَا^(١)
مَضَى بَعْدَ مَا التَفَّ الرَّمَا حَانَ سَاعَةٌ كَمَا يَتَلَقَّى الْهَذَبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهَذْبَا^(٢)
وَلَسِكَتُهُ وَلَّى وَلِلطَّنِّ سَوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجُنْبَا^(٣)
وَحَلَّى الْمَذَارِيَّ وَالْبَطَارِيْقَ وَالْقُرَى وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَائِنَ وَالصُّلْبَا^(٤)

عن اللقاء وينكس على عقبه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغنم سوى الرعب : أى
أن الممستق قد مرعوباً فكان الرعب له بمنزلة الغنيمة لغيره .

(١) اللقان تمر ميلاد الروم « الأناضول » والعوالى من الرماح ما دخل في السنان
إلى ثلثه والحيل للطمحة التامة الخلق والقب جمع أقب وهو الضامر البطن ووقوفه فاعل
رد ؛ قال الواحدى : كان الممستق قد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم . يقول :
فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والحيل الحسان الضامرة .

(٢) يريد بالرمحين رماح الفريقين فنى الجمع كما قال أبو النجم :

• بين رماحين مالك ونهشل

والهذب : أشجار العيين ، يقول : انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط
الأهداب الأعلى والأسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم :

بِأَ التَّقِينَا بِحَمْدِ رَبِّي إِلَّا مِثْلَ مَا تَلْتَقِي جُفُونُ السَّلِيمِ

(٣) السورة الحدة يقول : ولكه انهزم ولطمن في أصحابه حدة إذا تذكرها
لمس جنبه قائلا : هل أصابه شيء منه ؟ أى أنه انهزم مدهوشا مرعوبا لا يدرى ما حاله
وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشعراء : إنه هرب وبقي من دهشه لا يدرى
ما يصنع فكان يمس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الدهول والفرع وهذا من
قول أبي نواس :

إِذَا تَفَكَّرْتُ فِي مَسْوَئِي لَهُ مَسَّيْتُ رَأْسِي هَلْ طَارَ عَنْ بَدَنِي

(٤) المذارى جمع عذارى وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم
قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرايين جمع
قريان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام
على لنة تميم يقول : إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى .

أَرَى كُلَّنَا يَبْنِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًا^(١)
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الثَّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحُرِّيَا^(٢)
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبًا^(٣)

(١) المستهام الذى ملك عليه العشق أمره فهم على وجهه ، والصبابة رقة الشوق : يقول : كل منا يطلب الحياة عاشقا لها محبا حريصا عليها .

(٢) يقول : كل من الجبان والشجاع سواء فى حب النفس وإن اختلف فعلهما فالجبان حباً لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع إنما أقدم على الحرب دفاعاً عن نفسه وذوداً عن مهجته لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان فى ذلك بقاؤه كما قال الحماسى — الحصين بن الحمام — :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
وتقول الحسناء .

نُهِنَ النَّفْسُ وَهَوْنَ النَّفْسُ يَوْمَ الْكُرْبَةِ أَبْقَى لَهَا

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل الردة — : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب لا يحام حوله ، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حى كما قال جيب :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عُقْبًا صَالِحًا وَمَضُوا يَمْدُونَ الثَّنَاءَ خَسِلُودًا

وإما أنه إذا استشهد صار حياً كما قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » قال العكبرى : وهذا البيت من الحكمة ، قال الحكميم : النفس للتجوهرة تأبى مقارنة الدل كل الإباء وترى فناءها فى طلب العز حياتها : والنفس الدنيئة على الضد من ذلك ، وروى بدل النفس الحرب .

(٣) قال الواحدى . يقول : إن الرجلين ليفعلان فعلاً واحداً فيرزق أحدهما بذلك الفعل ويحرم الثانى حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم ومثاله ذلك أن يحضر الحرب اثنان ينفهم أحدهما ويحرم الآخر لحضور الحرب إحسان من الغائب ذنب للمحروم وكلاهما فعل فعلاً واحداً وكذلك مسافران مثلاً سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر فيعد السفر من الراجح إحساناً يحمد عليه ومن الخاسر ذنباً يلام عليه وهذا كما أنشده ابن الأعرابى :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المني من حيث يحرم صاحبه
وفي هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ
وأثره في تصرفات الناس مالا سبيل إلى إنكاره ونورد هنا بعضاً مما قاله الشعراء مما
يتصل بهذا الباب وهو باب واسع جداً . قال ربهين الحبسين :

لا تَطْلُبَنَّ بِالْأَلَةِ لَكَ رُتْبَةً قَلَمُ الْبَالِغِ بَغِيرَ حَظٍّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السَّمَاكَانِ السَّمَاءَ كَلَامَهَا هَذَا لَهُ رُوحٌ وَهَذَا أُغْزَلُ
وقال :

سَيَطْلُبُنِي رِزْقِي الَّذِي لَوْ طَلَبْتُهُ لَمَا زَادَ وَالْدُّنْيَا حُظُوظُ وَإِقْبَالُ
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ أَقْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى مَكَارِمُ لَا تُكْرِى وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ
« الجد هنا الحظ والعم الجماعة . وتكرى من أكرى الزاد إذا نقص ، واقتري
كذب والخال الخيلة » . ويقول أبو تمام :

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْدَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ^(١)
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الْحِجَا إِذَنْ هَلَكْتَ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبِهَائِمُ
ويقول أبو إسحاق الصابي :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً فَأَجَبْتَ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحْدَقُ
فَلَا تَتَقَدَّرْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ بِهِ لَهَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ
لَخَيْثُ يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقُ
وقال الإمام الشافعي :

لَوْ أَنَّ بِالْحَلِيلِ الْفَتَى لَوْ جَدْتَنِي بِنَجُومِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ تَعْلَقُ
لَكِنَّ مِنْ رُزْقِ الْحِجَا حُرْمَ الْفَتَى ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَى تَفْرُقُ

(١) أكدى الرجل خاب ولم يظفر بشيء وأصله من حافر البئر ينتهى إلى كدية
أى صخرة صلبة — فلم يمكنه الحفر فتركه .

فَأَضَحَّتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْنِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبُ وَالتُّرَابُ^(١)
تَصُدُّ الرِّيحَ الْهَوِجُ عَنْهَا خَافَةً وَتَنْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّ^(٢)

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنْ تَحْرُومًا أَنِي مَاءٌ لِيَشْرَبَهُ فَفَاضَ فَصَدَّقَ
أَوْ أَنْ مَحْظُوفًا غَدًا فِي كَفِّهِ عُدَّ فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْهِ فَخَفَّقَ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ بُوُسُ اللَّيْبِ وَطِيبَ عَيْشِ الْأَنْحَقِ
وَالْإِشَارَةُ فِي قَوْلِ التَّنْبِي هَذَا وَلِذَا لِلْمَرْوُوقِ وَالْمَحْرُومِ الْمَقْهُومِينَ مِنْ قَوْلِهِ
وَيُخْتَلَفُ الرِّزْقَانِ .

(١) فَأَضَحَّتْ أَيُّ قَلْعَةٍ مَرَعَشٍ يَقُولُ — كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْخَطِيبِ وَتَابَعَهُ جَمَاعَةٌ
مِنَ الشَّرَاحِ — : إِنْ هَذِهِ الْقَلْعَةُ لَمَلُوهَا فِي الْجَوِّ كَأَنَّهَا ابْتَدَتْ بِهَا مِنَ الْجَوِّ فَأَسْتِ هُنَاكَ
فَنَشَقَّتْ الْكَوَاكِبُ وَالتُّرَابُ : يَعْنِي الَّذِي ارْتَفَعَ مِنْهَا إِلَى الْجَوِّ حَوَالِيهَا فَكَأَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ أَسْفَلَ
فِي السَّمَاءِ وَأَطَى حَائِطَهَا إِلَى الْأَرْضِ وَرَوَى ابْنُ جَنِّي مِنْ فَوْقِ رِفْعِ الْقَافِ وَبَدَّوهُ بِالرُّفْعِ
أَيْضًا جَعَلَ فَوْقَ مَعْرِفَةٍ وَبَنَاءٍ كَقَبْلِ وَبَعْدٍ وَأَرَادَ فَوْقَهُ فَلَمَّا حَذَفَ الْمَاءُ بَنَاءَ كَقَبْلِ وَبَعْدِ
وَرَفَعَ بَدَّوهُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ : عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ جَنِّي لَا يَسْتَقِيمُ لَفْظُ الْبَيْتِ وَلَا
مَعْنَاهُ لِأَنَّهُ — أَيُّ التَّنْبِي — يَقُولُ : أَضَحَّتْ هَذِهِ الْقَلْعَةُ — يَعْنِي مَرَعَشًا — كَأَنَّ سُورَهَا
مِنْ فَوْقِ بَدْنِهِ أَيُّ مِنْ أَطَى ابْتِدَائِهِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبُ بَعْلُوهُ فِي السَّمَاءِ وَشَقَّ التُّرَابُ
بِرُسُوخِهِ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ كَقَوْلِ السَّمَوَالِ :

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مِنْ نَجِيرِهِ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَالْيَلِ

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَاءِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يَرَامُ طَوِيلٌ

(٢) تَصُدُّ تَعْرِضُ وَالْمَوْجُ جَمْعُ هَوِجَاءٍ وَهِيَ الرِّيحُ الْحَمَاءُ الَّتِي تَارَةً تَأْتِي مِنْ هُنَا
وَتَارَةً تَأْتِي مِنْ هُنَا وَعَنْهَا مُتَعَلِّقٌ بِتَصَدُّ وَخَافَةٍ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ وَأَنْ تَلْقُطَ فِي مَوْضِعٍ
نَسَبَ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الْجُرِّ أَيُّ مِنْ أَنْ تَلْقُطَ : يَقُولُ : إِنْ الرِّيحُ الْهَوِجُ تَعْرِضُ عَنْهَا
خَافَةً أَنْ تَعْبِزَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى أَعْلَاهَا وَكَذَلِكَ الطَّيْرُ تَحْسُ مِنْ نَفْسِهَا الْعَبْزَ عَنِ
الْإِرْتِقَاءِ إِلَيْهَا وَالتَّقَاطُ الْحَبُّ مِنْ ذَرَايَا وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ الْجَرَجَانِيُّ : يَرِيدُ أَنَّ
الرِّيحَ لَا تَدْنُو مِنْهَا خَوْفًا مِنْ تَثْقِيفِ سِيَاسَتِهِ وَالطَّيْرُ لَا تَقَعُ عَلَيْهَا خَشْيَةً أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهَا

وَتَرَدَّى الْجِيَادُ الْجُرُودُ فَوْقَ جِبَالِهَا وَقَدْ نَدَفَ الصَّنْبُرُ فِي طَرَقِهَا الْمُطْبَا^(١)
كُنِيَ عَجَبًا أَنْ يَمَجَّبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرَعَشًا تَبَا لَأَرَاهِمُ تَبَا^(٢)

إذا هي التقطت الحب ما توجه حال التناول من دون إذن ، وهذا المعنى منقول من قول حبيب :

فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انتقامِهِ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارُبُهُ
وهو كقول الآخر :

وكانت لا تطير الطير فيها ولا يسرى بها للجن سارى
(١) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بموافرها ،
والجرد انقصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم ، والصنبر السحاب البارد الريح
في غيم وأيضاً اسم اليوم الثانى من أيام العجوز قالوا وهى سبعة أيام وأنشدوا لابن أحرر
وقيل لابن شبل الأعرابي :

كسَحَ الشَّتَاءُ بِسَبْعَةِ غُرٍ أَيَّامَ شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْرِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا وَتَمَضَتْ صِنْ وَصَنْبُرٌ مَعَ الْوَبْرِ
وَبَأَمِيرٍ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمُعَلَّلٍ وَمُطْفِئِ الْجُمْرِ
ذَهَبَ الشَّتَاءُ مُؤَلِّيًا هَرَبًا وَأَتَتْكَ وَافِدَةٌ مِنَ النَّجْرِ^(١)

يقال إن عجوزاً كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم في يوم من هذه الأيام
فقتله البرد . والمطب القطن والمطب مثله كسر وعسر .
قال الشاعر :

كَأَنَّهُ فِي ذُرَى عَمَائِهِمْ مُوضَعٌ مِنْ مَنَادِفِ الْمُطَبِ
يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذى كأنه
قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه .

(٢) أن يعجب فاعل كنى وعجبا تمييز وتبا : أى خسرا وهلاكاً . يقول : من العجب

(١) السكسح شدة اللز ، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جله تابجاً له ومذهبا به والسهلة
العجوز . والنجر : الحر . وكل شهر في صميم الحر ناجر للمطش الذى يسبه
(١٣ — انتهى ١)

وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ اللَّحْدُورَ وَاسْتَنْصَبَ الصَّغْبَا^(١)
لَأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَا وَتَمَتَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْمَضْبَا^(٢)
وَلَمْ تَتَفَرَّقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ يَتْرَكِ الشَّامُ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا^(٣)
وَلَكِنْ تَقَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمٍ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا^(٤)
وَجَيْشٌ يُنْقَى كُلُّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيقٌ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُصْنَا رَطْبًا^(٥)

أن يجب الناس عن بني هذه القلعة وتباً لأرائهم حين لم يدركوا أنه بقدر طي كل ما يقصد إليه فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد ؟

(١) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية منزلة يمتاز بها عما سواه إذا كان يخشى ما يخشاه غيره أو كان ممن يستصعب الصعب ؟ إنما ينفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يخشى شيئاً ولا يتصعب عليه أمرهما كان .

(٢) الصارم الغضب : السيف القاطع يقول : إن الخلافة ما أعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم ، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد .

(٣) يقول : إن أعداءه لم يخيموا عن لقائه وانهزموا أمامه رحمة له وإشفاقاً ولم يجلوا عن الشام حجة له ورغباً ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا المعنى كقول مروان بن أبي حفصة :

وما أحجم الأعداء عَنْكَ بَقِيَّةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْعَمًا

(٤) قوله غير كريمة حال أى نفي هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة كريم اثناء الخ والمراد نفي أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حبا له وإنما تقام عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم اثناء ما سبه أحد لأنه لا يفعل ما يسيب عليه ولا سب أحدا لأدبه وكرمه . والثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أثنى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب في المدح ويروى الثنا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد طي إضمار محذوف أى تقاهها منه رجل كريم الثنا الخ .

(٥) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والحريق الريح الشديدة كأنها الإعصار يقول : وتقاهها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثرة كآنه جبل

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُفَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجَبًا^(١)
فَمَنْ كَانَ يُرِضِي اللّٰوْمَ وَالْكَفْرَ مُلْكُهُ
فَهَذَا الَّذِي يُرِضِي الْمَكَارِمَ وَالرَّبَّ^(٢)

آخر قصار به الجبل جبلين وهذا معنى قوله : يثني كل طود ، ثم قال : وهو مع هذه
لكثرة والكثافة إذا لاقى عدواً كان لشدة كأنه عاصف من الريح لقي غصنا رطباً
فصف به وحطه وعبارة السراج أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين لكثرت
له صلصلة تسع كالريح الحريق إذا مرت بنصف رطب قال الشاعر :

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالٍ

وهذه العبارة من النصوص بحيث تحتاج هي الأخرى إلى شرح . . .

(١) مفاراه أى إغاراته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء
حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت إغاراته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى
لا يراها ، وقد أخذ هذا المعنى الجبل الحيمس يعنى فقال :

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ أَرْضِ رَبِيهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ عَجَاجَةٍ مُصَدِّمٍ^(١)

(٢) بقوله : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على
حكمها ويصل ما يقتضيه فهذا يرضى الكلام بعبوده ومخائنه ويرضى الله بجهاده
في سبيله . وقال الشريف بن العجوى في أماليه : الإشارة في قوله فهذا إلى الملك لا إلى
المدح لأنهم : أحدهما أنه لو أراد المدح لقال فأتى الذى ترضى لأن الخطاب
في مثل هذا أمدح والآخر أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له لأن الإرضاء الأول مسند
إلى الملك فوجب أن يكون الإرضاء الثانى كذلك لأن وجه الإشارة إليه أن قوله ملكه
قد دل عليه كما توجهت الإشارة في الضمير إلى الصبر من قوله تعالى « ولئن صبر وغفر
إن ذلك » لدلالة صبر عليه وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامي :

مِ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مِ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةَ الْأُولَى

(١) رجل مصدم: محرب. من التصادم

وقال فيما كان يجري بينهما من معاتبة مستعجلاً (*) :

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول في المقابلة يرضى المكارم والإيمان ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم ولكن لما اضطرتة القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك في غاية الحسن لأن المراد في الحقيقة إرضاء أهله وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى.

(*) مستعجلاً : مستعجلاً . قال الواحدى : لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجاله في طريقه ليخاطبوه فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه ونعى ذلك إلى أبي العتاش فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا ياب سيف الدولة وجاء رسوله إلى أبي الطيب فسار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه وتقدمت فرسه الحيل وعبرت قطرة كانت بين يديه واجتمعهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فانتزع أبو الطيب السهم ورمى به واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم ثم كر عليهم بعد أن فنى النشاب فضرب أحدهم قطع الوتر وبعض القوس وأسرع السيف إلى ذراعه فوقفوا عنه واشتغلوا بالمضروب فسار وتركهم فلما يشوامنه قال له أحدهم في آخر الليلة نحن غلمان أبي العتاش ولذلك قال : ومتسبب عندي إلى من أحبه . . ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به وعند ذلك قال هذه الآيات وجاء في الصبح للنبي ما يأتي : قال أبو فراس الحمداني يوماً لسيف الدولة : ان هذا المتشدد — يعنى للتنبى — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان التنبى غائباً وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فداء الورى أمضى السيوف مضارباً

الآيات — قال : فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — ففرج للتنبى من عنده متخيراً وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالوا في الوقعة في حق للتنبى واقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي أولها

• • • • •
* وَاَحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَبِيحًا *

ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مَالِي أَكْتَمَ حَبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدْعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمِّ

إِلَى أَنْ قَالَ :

قَدْ زَرْتَهُ وَسَيْوْفَ الْهِنْدِ مَغْمَدَةً وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسَّيْوْفَ دَمَ
فَهْمِ جَمَاعَةٍ بَقَلَتْهُ فِي حَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لَشْدَةِ إِدْلَالِهِ وَإِعْرَاضِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ عَنْهُ
فَلَمَّا وَصَلَ فِي إِنْشَادِهِ إِلَى قَوْلِهِ :

يَا أَعْدِلْ النَّاسَ إِلَّا فِي مَعَامِلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

قَالَ أَبُو فِرَاسٍ قَدْ مَسَخَتْ قَوْلَ دَعْبِلٍ وَادْعِيَّتِهِ وَهُوَ :

وَلَسْتُ أَرْجُو اتِّصَافًا مِنْكَ مَا ذَرَفَتْ عَيْنِي دُمُوعًا وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

فَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

أَعْيِذْهَا نَظَرَاتِ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمِينَ شَحْمَهُ وَرَمَ
فَعَلِمَ أَبُو فِرَاسٍ أَنَّهُ يَعْنِيهِ فَقَالَ وَمَنْ أَنْتَ يَا دَعْبِلُ كُنْدَةٌ حَتَّى تَأْخُذَ أَعْرَاضَ أَهْلِ الْأَمِيرِ
فِي مَجْلِسِهِ ؟ فَاسْتَمَرَ الْمُتَنَبِّيُّ فِي إِنْشَادِهِ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَالَ :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا بِأَنْتَى خَيْرٍ مِنْ تَسْمَى بِهِ قَدَمُ

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتَ كَلَامِي مِنْ بِهِ صَمَمُ

فَزَادَ ذَلِكَ أَبَا فِرَاسٍ غِيظًا وَقَالَ قَدْ سَرَقْتَ هَذَا مِنْ عَمْرُو بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الْعَبْدِ

حَيْث يَقُولُ :

أَوْضَحْتَ مِنْ طَرَقِ الْأَدَابِ مَا اشْتَكَلَتْ دَهْرًا وَأَعْظَمْتَ إِغْرَابًا وَإِبْدَاعًا

حَتَّى فَتَحْتَ بِأَعْجَازٍ خَصَصْتَ بِهِ لِلْعَمَى وَالْعَمِّ أَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

الْخِيلَ وَاللَّيْلَ وَالْبِيدَاءَ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفَ وَالرَّمْحَ وَالْقُرْطَاسَ وَالْقَلَمَ

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير إذا وضعت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الأمير بما سرقت من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من قول المهيم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العباني :

أعاذلتي كم مهمسه قد قطعته أليف وحوش ما كنا غير هائب
أنا ابن الفلا والطن والضرب والشرى وجرى المذاكى والقنا والقواضب
حليم وقور في السلال وهيبى لما فى قلوب الناس بطش الكتاب
قال التنبى :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
فقال أبو فراس وهذا سرقة من قول مقل الجبل :

إذا لم أميز بين نور وظلمة بعينى فاليمينان زور وباطل
ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة الكلى :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء
وخبر سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه
بالدواة التي بين يديه فقال للتنبى في الحال :

إن كان سرکم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
قال أبو فراس وهذا أخذه من قول بشار :

إذا رضيتم بأن نجحنى وسرکم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر
ومثله قول ابن الرومی :

إذا ما الفجائم أكسبنى رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قال أبو فراس وأعجبه بيت التنبى ورضى عنه في الحال
وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال التنبى :

جاءت دنائيرك مختومة عاجلة ألفاً على ألف
أشبهها فملاك في فيلق قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا فِدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا^(١)
وَمَا لِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَافًى لَا اشْتَقُّهَا وَسَبَابًا^(٢)
وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ أَحَادِثُ فِيهَا بَذَرَهَا وَالْكَوَاكِبُ^(٣)
حَنَانِيكَ مَسْئُولًا وَكَبِينِكَ دَاعِيًا وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا^(٤)

(١) فداه الوري : دءاء . وعاتباً حال ، وأمضى السيف خبر مبتدأ محذوف : أى هو أمضى السيف مضارباً ، أو تقول إنه منصوب على المدح ومضارباً تمييزاً ومضارب السيف حدودها . يقول : ما لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ غَضَبَانِ ؟ أى لم غضب ؟ وما سبب غضبه ؟ فلست أعرف لى ذنباً يوجب ذلك ، ثم دعا له ، ثم قال لا سيف أمضى منه مضرباً .

(٢) التنايف جمع تنوفة وهى المفاضة ، والسباب جمع سبب وهى الفلاة القفر . يقول : مالى إذا اشتقت إليه أبصرت بينى وبينه فلوأت بعيدة مَرَامِيَةِ الأطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه ؟

(٣) أراد بالسماء مجلسه ، جعله كالسمااء روضة له وجعله كالبدر ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكواكب ؛ وعبرة الخطيب التبريزى : شبه مجلسه بالسمااء وجعله بدرأ وحوله كواكب ، فهو كقوله أيضاً :

أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ ظَلَعْتَ كَوْكَبَهَا خَصَالًا

(٤) حنانيك كلمة موضوعة موضع المصدر استعملت مثناة كأنه خانان بعد حنان أى تمننا بعد تمنن ، ومثلها لييك من لب به إذا لزمه ، وحسبى وحسبك خبران مبتدأهما محذوفان : أى وأنت حسبى وأنا حسبك والنصبون كلها على الحال وقيل : على التمييز . يقول : تمنن على تمننا بعد تمنن إذا كنت مسئولا ولك الإجابة إذا كنت داعياً وكفى بى موهوباً : أى إني أشكر من يهينى وأشيد بذكره وكفى بك واهباً ، أى : أنك أشرف الواهبين ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك .

أَهَذَا جَزَاءُ الصَّدَقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا
 أَهَذَا جَزَاءُ الْكَذِبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا^(١)
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
 تَحَا الذَّنْبَ كُلَّ الْخَوْرِ مَنْ جَاءَ تَائِبًا^(٢)
 وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهب وفيها سيف غير مذهب فأمر

بإذهابه :

أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيَةُ النَّجِيعِ وَالْفَضْبُ^(٣)

(١) قال الواحدى : أى إن كنت صادقاً فى مديحك فليس ماتعاملنى به جزاء لصدقى . وإن كنت كاذباً فليس هذا جزاء الكاذبين ، لأنى إن كذبت قد تجملت لك فى انقول فتجمل لى أنت أيضاً فى المعاملة .

(٢) يقول : إن كان ذنبى ذنباً ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده محو ؛ وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(٣) الذى صرح عن التنبى : وخاضيه — على التثنية — وهو عطف على ما : أى وأحسن خاضيه ، والنجيع الدم . يقول : إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما الدم ، وهناك خضبان الصناعة والغضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا صناعة الصيقل ، وخضبه بالدم إنما يكون بسبب الغضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن الخاضبين الغضب ، وروى : وخاضيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب قال ابن جنى : وخاضيه عطف على ما ، وجمع الخاضبين جمع تصحيح لأنه أراد من يعقل ومالا يعقل كقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمضى على بطنه » الآية : كأنه خلط الجميع وكفى عنهم بما يكفى به عمن يعقل : وذكر الغضب مجازاً وأراد صاحبه . وقال ابن فورجه : خفض خاضيه على القسم أى وحق خاضيه وجعل الغضب خضاباً للحديد لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الغضب يحمر منه الإنسان ، وهذا كقولك أحسن ما يخضب الحدود الحمرية والحجل لأن الحجل يصبغ الحمر ، فلما كانت الحمرية تابعة للحجل جمعتهما تأكيذاً ؛ كذلك لما كان النجيع تابعا للغضب جمعتهما وهو يريد للدم وحده ويكون الغضب تأكيذاً للنجيع : أتى به للقافية .

فَلَا تَشِينَنَّهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ^(١)

وتشكى سيف الدولة من دمل فقال فيه :

أَيَذْرَى مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وَهَلْ تَرَقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخُلُوبُ^(٢)
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هَيْبَةٍ كُلِّ دَاءٍ فَقُرْبُ أَقْلَهَا مِنْهُ عَجِيبُ^(٣)
يُجَمِّشُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ اللَّقَةِ الْخَبِيبُ^(٤)
وَكَيْفَ تَعْلِكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَيِّبُ^(٥)

(١) شأنه عابه ، والنضار الذهب . يقول : لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إسمائه — ذهبت سقايته أى ماؤه .

(٢) أراه : أفزعته وأوقع به شيئاً يشك في عاقبته : أخيراً يكون أم شراً ؟ يقول : هل يدرى هذا الدمل أى الناس قد ألقى ؟ وهذا استمهام تعجب واستعظام ، ثم قال متعجباً : وهل رقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك ؟ جملته كالملك لمع قدره ورفعة شأنه .

(٣) الضمير في أكلها يعود إلى كل داء : كما في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » أو تقول إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى : أى أقل الأدوية يقول : إن جسمك لا ينبغي أن تنال منه الأدوية ، فمن العجب أن يقربك أقل الأدوية . وجعل للأدواء همة مجازاً .

(٤) التجميش : شبه المغازلة والملاعبة بين الحبيبين ؛ قال أبو العباس ثعلب : قيل للمغازلة تجميش من الجش وهو الكلام الخفى وقيل من الجش الذى هو ضرب من الحب لجشها بأطراف الأصابع ؛ واللقة : الهبة ، وأصلها ومق . يقول : إن الذى ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لحبه إياك وتعلقه بك لأنك جماله وأمثل أهله ، وقد يكون الحب سبباً لإيذاء المحبوب .

(٥) يقول : أنت طيب الدنيا الذى تشفى أدواءها فتقوم للمعوج وتطرد الظلم والغيث والفساد فكيف تملك وأنت طيبها ؟

وَكَيْفَ تَنْوُبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءِ وَأَنْتَ الْمُسْتَفَاتُ لِمَا يَنْوُبُ^(١)
 مَلِيتُ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَّ- صَبِيبُ^(٢)
 وَأَنْتَ الْمَلِكُ تُمْرِضُهُ الْخَشَايَا لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ^(٣)
 وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعَثِيرَهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبُ^(٤)
 مُجْلَعَةٌ لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي وَلِلشُّعْرِ الْمُنَاحِرُ وَالْجَنُوبُ^(٥)

(١) يقول : وكيف تلم بك الشكوى وبك يستفات مما ينوب من نوائب الدهر فتفتت وترفع الشكوى ؟

(٢) و (٣) مقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، يفتح ويضم . وصيب : مصبوب ويقال ماء صيب وصب كما تقول ماء سكب وماء غور ، قال دكين بن رجاء :

تَنْضَعُ ذِفْرَاهُ بِمَاءِ صَبٍّ مِثْلَ الْكُحَيْلِ أَوْ عَقِيدِ الرَّبِّ^(١)
 والخشاي جمع حشية معدولة عن المحشوة وهى الفرش المحشوة . يقول : لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء وبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا فى ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الإقامة يوماً واحداً لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب .

(٤) الضمير فى تراها للخيل وإن لم يحجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها ؛ والعشير مثال درهم الغبار ، والجنيب الذى تقوده إلى جنبك . يقول : ما بك مرض غير نزعك إلى ملاقاته العدو بخيل يتبع الغبار قوائمه كأنه جنب تقوده ، أى أنك انقطعت عن ذلك فقال منك جبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه .
 (٥) مجلعة حال ثانية للخيل والحال الأولى جملة وعثيرها لأرجلها جنب ، ومجلعة

(١) الذفرى الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان والكحيل النفط الذى تطلى به الإبل الجرباء ، ورب السمن والزيت : ثقله الأسود ، وعقيدته ما غلظ منه .

قَرَطَهَا الْأَعْنَةَ رَاجِعَاتٍ فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبْتَ قَرِيبٌ^(١)
أَذَا دَلَهُ هَذَا بَقَرَاطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرِفْ لِصَاحِبِهِ ضَرْبٌ^(٢)
يَسْتَفِ الدَّوْلَةَ الْوُضَاءُ تُمْنِي جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَنْيَبُ^(٣)

مصممة ماضية شديدة الأقدام ؛ و يروى محجلة ، و على هاتين الروايتين يكون لها خبرا مقدما عما بعده ؛ و يروى الخوارزمي محجلة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها ؛ و الصمر الرماح ؛ و للناهر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق ؛ و الجنوب جمع جنب وهو ما يلى الإبط إلى الكشح . يقول : وما بك مرض غير أن ترى الخيل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعادى تطؤها و تحتاحها و أحلت للرماح حناجرهم و جنوبهم تنفذ فيها .

(١) الأعنة جمع عنان سير اللجام ، و قرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قذاله للحضر^(٤) فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الأعنة لترجع إلى بلاد الأعادى فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها لسرعتها .

(٢) الهزمة للاستفهام المحض أو للتقرير ، و ذا اسم إشارة ، و هذا زل . و الضريب النظير ، و بقرط الطبيب اليونانى المشهور . يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب إلى حد أن فيها شفاء وأنه لو قعد عنها يوما فخير ومرض — أهذا داء مضل لم يهتد إليه بقرط و ليس لصاحبه نظير لأنه لا يعرف أحد يمرض لترك الحرب ، و يروى إذا داء على أن إذا أداة شرط و داء فاعل للفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده أى إذا خفى داء أو إذا أعزل داء و نحو ذلك ؛ و قوله فلم يعرف جواب إذا . و الفاء زائدة على مذهب البصريين ، فيكون الفعل بعدها مستقبلا . يقول: الداء الذى لم يذكره بقرط لا نظير لصاحبه بين الناس لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء و يروى إذا داء — بجر داء — على أن الهزمة للنساء و ذا بمعنى صاحب : أى يا صاحب الداء الذى هذه صفته .

(٣) الوضاء ضم الواو و تشديد الضاد : الشديد الوضاءة ؛ أى الحسن من صيغ البالغة كحسان و كبار . يقول : إنه ينظر منه إلى شمس لا تنيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس .

(١) القذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ، و الحضر : الجرى .

فَاغْزُو مِنْ غَزَا وَبِهِ اقْتَدَارِي وَأَرْمِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ
وَالْحُسَادِ عُدْرُ أَنْ يَشْحُوا عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا^(١)
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ^(٢)
وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب
معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالفبارات والخمرات فأوقع بهم وملك
الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة - وأنشده إياها في
جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

بَغِيرِكَ رَاعِيًا عَيْثَ الذَّائِبُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ^(٣)
وَتَمَلِّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ^(٤)
وَمَا تَرَكَوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ^(٥)

(١) أن يشحوا أى فى أن يشحوا : أى أنى أعذر الحساد فى شحمهم ؛ أى بخلمهم
بالنظر إليه .

(٢) يقول : إن القلوب تحسد العيون على نظر المدح فإذا حسده على ذلك أحد
فهو معذور .

(٣) راعيا وصارما منصوبان على التمييز ، وأصل العبث اللعب ، ويقال عبث به إذا
ابتذله واستباح حرمة ، والصارم السيف القاطع ، والضراب بمعنى المضاربة ؛ شبه
بالراعى وشبه هؤلاء الثأثرين بالذئاب . يقول : إن الذئاب تعبت بغيرك فى حال رعيه
وسياسته وبلم الضراب غيرك فى حال قطعه : أى إذا كنت أنت الراعى لم تعبت الذئاب
بسوامك وإذا كنت أنت الصارم لم يملك الضرب ؛ والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيك
لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفا منك .

(٤) طرأ أى جميعا نصب على الحال . يقول : أنت تملك أنفوس الإنس والجن جميعا
فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بنى كلاب — أن تملك أنفسها ؟

(٥) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله ، ويعاف يمقت ويتحاشى ، والورد
ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب : للحال . يعتذر لهم يقول : إنما تركوك

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاءِ حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تُفَنِّشَهُ السَّحَابُ^(١)
فَبِتْ لَيَالِيَا لَا نَوْمَ فِيهَا تَحْبُ بِكَ الْمُسَوِّمَةُ الْعِرَابُ^(٢)
يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ^(٣)
وَتَسْأَلُ عَنْهُمْ الْفُلُوتُ حَتَّى أَجَابَكَ بِمَعْضُهَا وَهُمْ الْجَوَابُ^(٤)
فَقَاتَلَ عَنْ حَرَمِيهِمْ وَفَرَّوْا نَدَى كَفَيْكَ وَالنَّسَبُ الْقُرَابُ^(٥)

وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لا عصيانا وعمردا عليك لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك .

(١) يقول : تقيت أمواه البادية في طلبهم حتى خشي السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء .

(٢) خب الفرس أسرع ؛ وقيل : الحجب أن ينقل الفرس أيامه جميعاً وأياسره جميعاً وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ؛ والمسومة الخيل المعلقة بعلامات تعرف بها : وقال أبو زيد في قوله تعالى « والخيول المسومة » : الخيل المسومة ، المرسله وعليها ركبتها وهو من قولك سومت فلاناً إذا خلطه وسومه ، أى وما يريد والعراب العريية . يقول تعدو بك الخيل العرية المعلقة في طلبهم لاتعرف النوم .

(٣) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف . شبهه - وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير - بعقاب تهز جناحها وتحركهما لدى طيرانها .

(٤) الفلوات الصحاوى ، جعل طلبه لإمام في الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب . وإنما لاستعارة رائمة . يقول : ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في إحداها .

(٥) ندى كفيك فاعل قاتل ، والواو من وفروا للحال : أى والحال أنهم قد فروا وأصل الحرم ما يحمله الرجل ويذود عنه ؛ والمراد هنا النساء ، والقراب القريب . يقول : إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحرم وحات دون سبيه وصنته فكان جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم .

وَحَفِظْتُكَ فِيهِمْ سَلَفِي مَعَدَّةً وَأَنْتَهُمُ الْعَشَائِرُ وَالصَّحَابُ^(١)
 تُكَفِّفُ عَنْهُمْ صُمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُهُنِهِمُ الشَّعَابُ^(٢)
 وَأَسْقَطْتَ الْأُجْنَةَ فِي الْوَلَايَا وَأَجْهَضْتَ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ^(٣)
 وَعَمَرُوا فِي مَيَّامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكُفِّبَ فِي مَيَّاسِرِهِمْ كِمَابُ^(٤)

(١) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سافى معد — يريد ربيعة ومضر لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تطلب وبنو كلاب يتنحون إلى مضر لأنهم من قبيل ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرهم وأنهم أصطابك .

(٢) تكفف تكف ، والصم الصلاب ، والعوالي صدور الرملح ، وشرقت غصت والظعن جمع ظئنة وهي المرأة ما دامت في الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظئنة وإن لم تكن في هودج . والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل . يقول : إنك تكف عنهم الرماح إشفافا عليهم وقد فروا وغصت بظعناتهم شعاب الجبال .

(٣) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه ، والولاي جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يحمل تحت البرذعة وقيل كل ما ولي ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية ، وأجهضت أسقطت والحوائل جمع حائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ والسقاب جمع سقب الذكر منها . يقول : لشدة فزعهم والهول الذي ألم بهم أجهضت النساء في البراذع : أي على ظهور الإبل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا وإناثا .

(٤) عمرو قبيلة منهم ذهب ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا . يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمرو عمورا وكذلك كعبا ؛ وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك :

رَأَيْتُ الشَّعْبَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كَعَابًا^(١)

(١) يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذي رأى منهم قبلا على حديثه فلذلك قال صاروا كعابا .

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَهَا وَخَاذَلَهَا قُرَيْظُ وَالضَّبَابُ^(١)
 إِذَا مَا سِرَتْ فِي آثَارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتْ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ^(٢)
 فَمَدَّنَ كَمَا أَخَذَنَ مُعَكَّرَمَاتٍ عَلَيْهِنَّ الْقَسَالِيدُ وَالْمَلَابُ^(٣)

(١) هؤلاء بطون بنى كلاب ، وأنت أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة . يقول :
 إنهم لما اتهموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم .
 (٢) قال ابن جني : التخاذل التأخر ، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان :
 أى لما سرت وراءهم تأخرت رموسهم لإدراكك إياهم وإن كانت في الواقع قد أسرع
 واستبعد العروضي هذا للمنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف
 فيقطعها ويفصل بينهما فتساقط فكان كل واحد منهما خذل صاحبه . وقال الواحدى :
 الذى أراه غير هذا ، يقول : إن الرءوس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفاً
 منك فلا يبق بينهما تعاون . وهذا للمنى أرادهم الخوارزمي فقال :

وكنيت إذا نهدت لفزو قوم وأوجبت المياسة أن يبيدوا
 تبرأت الحياة إليك منهم وجاء إليك يعتذر الحديد
 وطلقت الجماجم كل نخذ وأنكر صحبة العنق الوريد

وعبارة بعض الشراح إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من
 سيفك وكذلك عند المكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صبيغ الفرار بنفسه ويترك الآخر .
 (٣) للملاب : ضرب من الطيب ، فارسي معرب . قال الجوهري : كالخلوق ، قال
 جرير يهجو نساء بنى تميم :

ولو وَطِئَتْ نِسَاءُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى تَبْرَاكِ أَخْبَثْنَ التَّرَابِ
 تَطَلَّى وَهِيَ سَيِّئَةُ الْمَرْءِ بَضْنُ الْوَبْرِ تَحَسَّبُهُ مَلَابِ^(١)

يقول : لما ظفرت بنى كلاب أخدت نساءهم إلى أما كنهن مكرمات مصونات من
 من الابتذال ، عليهن قلائدهن وطيهن لم يضع منهن شيء فالضمير في عدن وما بعده

(١) تبراك : ماء لبنى العنبر ، والصن بالكسر : بول الوبير ينثر للأقوية وهو
 متن جداً .

يُثَبِّنَكَ بِالَّذِي أُوتِيتَ شُكْرًا وَأَيُّنَ مِنَ الَّذِي تُؤَلِّي الثَّوَابَ^(١)
وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْئًا وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابٌ^(٢)
وَلَا فِي قَدْحِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ أَغْتَرَابٌ^(٣)
وَكَيْفَ يَتِمُّ بِأَسْكَ فِي أَنْاسٍ تُصَيِّبُهُمْ قِيَوْمُكَ الْمَصَابُ^(٤)

يعود على النساء وإن يجر لهن ذكر اعتمادا على ما ذكر في البيت : فقاتل عن حريمهم وفروا . . . البيت .

(١) أثابه كافأه ، وأوليت أنعمت . يقول : إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ .

(٢) يقول : ليس في مصيرهن إليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن يكرامن لياهن كأنهن عند أهلهن وأزواجهن .

(٣) القرعة الوجه . يقول : لا غربة عليهن إذا زأينك ؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن .

(٤) البأس الشدة ؛ والمصاب مصدر ميمي بمعنى الإصابة . يقول لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك فيلصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا : قال قيس ابن زهير العبسي :

فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيْلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
وقال الحماسي — الحارث بن ويلة الجرمي — :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمَيْمَ * أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصَيِّبُنِي سَهْمِي
وَلَنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَنْ سَطَوْتُ لَأَوْهِنُ عَظْمِي^(١)
وقال العديلي :

وَإِنِّي وَإِنْ عَادِيَتَهُمْ أَوْ جَفَوْتَهُمْ لَتَأْلَمَ مَا عَلَّ أَوْ كَبَادَهُمْ كَبْدِي
وقال النخعي :

فَإِنَّكَ — حِينَ تَبْلُغُهُمْ أَذَاةً وَإِنْ ظَلَمُوا — لَتَحْتَرِقَ الضَّمِيرُ

(١) أميم : مرخم أميمة ، وهو منادى وأخى مفعول قتلوا .

تَرْفُقْ أَيُّهَا اللَّوَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ^(١)
وَلَهُمْ عَيْدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدْعُو لِجَادِئَةٍ أَجَابُوا^(٢)
وَعَيْنُ الْمَخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا^(٣)

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتاباً لأن الصفع عن الجاني يجعله عبداً لك * وما قتل الأحرار كالغفو عنهم *
(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب ، تقول أخطأ بخطيء إذا سلك سبيل الخطأ ؛ أما الخطأ بكسر الحاء فهو الذنب ؛ تقول خطأ بخطأ خطأ وخطأة كقطة ؛ والاسم الخطيئة كقضية ؛ ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أو واو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للدلالة للألحاق ولاهما من نفس الكلمة فإنك قلبت المزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول في مقروء مقروء وفي خيء خيء بتشديد الواو والياء ؛ وجمع الخطيئة خطايا . وكأن الأصل خطائي بهمزة على فاعل فلما اجتمعت الميزتان قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة واستقلت والجمع ثقيل وهو مع ذلك معتل فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت المزة الأولى ياء لحفاؤها بين الألفين . وقال أبو عبيدة : خطيء وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لفتان ؛ قال امرؤ القيس :

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْتُ كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَّاحِلًا^(١)

وقال غيره : الخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخطيء من تمسكنا لا يبنى وتخطأه وتخطأه أي أخطأه ؛ قال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أَيْلَانَا خُلِّقِي جَابِرًا بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلْ^(٢)
تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءُهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَتَجَلَّ

(١) خطئ أي أخطأ ، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه جبر شيئا ، خلف عليها امرأة القيس وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بجى من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وكاهل بطن من بني أسد ، والحلال السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة .
(٢) الحلقة الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء .

(١٤ - التبي ١)

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَكُمُ عِقَابٌ^(١)
 وَمَا جَهِلْتَ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ^(٢)
 وَكَمْ ذَنْبٌ مُؤَلَّدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بُعْدٌ مُؤَلَّدُهُ اقْتِرَابٌ^(٣)
 وَجُزْمٌ جَرَّةٌ سُفْهَاءُ قَوْمٍ وَحَلٌّ بَغْيٌ جَارِمِهِ الْعَذَابُ^(٤)

يقول : إن كانوا عخطين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع »
 ما قبلها وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك . يعتذر عنهم إلى سيف الدولة .
 (١) يقول : أنت الذي بك بقاءهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم قد هجرتهم الحياة
 ولا عتاب أكثر من هجر الحياة .

(٢) أيديك نعمك والبوادي خلاف المدن ؛ يريد أهل البوادي ، والبوادي : فاعل
 جهلت ؛ وأيديك مفعوله ، وقال العكبري : سألت شيخنا أبا محمد عبد النعم النحوي
 عند قراءته عليه عن هذا البيت وقلت له يجوز أن يكون البوادي نعتاً للأبادي والبوادي
 في نصف البيت ، فكأنه عن الوقف وهو موضع وقف ، كقولك أجبت الداعي ؛
 وقد يوقف على قوله تعالى « يومئذ يبعثون الداعي » بالسكون ، ويكون فاعل جهلت
 مضمرّاً فيها . فقال لي : أنت مقرأ وقد قست ، ومع هذا أنت حق^(١) ، فصوب
 ما قلت ؛ ويكون البوادي على هذا : السابقات التي بدت إليهم . يقول : إنهم لم يحلوا
 بحياتك سوابق نعمك ، ولكن قد يغني الصواب على المرء فيأتي غيره .

(٣) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالاً ، وقد يكون
 البعد سببه القرب . يعتذر عنهم : أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك
 بما صار ذنباً وجناية منهم .

(٤) الجرم : الذنب ؛ والسفه : خفة الحلم أو تقيضه . يقول : وكم جرم جناه سفيه
 فنزل العذاب بغيره ؟ وهذا المعنى قد طرقة الشعراء كثيراً قال :

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَحْنِيهَا رِجَالٌ وَيَصْنَلِي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءٌ
 وقال :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن الفتى بآبن عم السوء مأخوذ

(١) لعله يريد الحق بمعنى المستقصى في السؤال .

قَالُوا هَابُوا بِحُرْمَتِهِمْ عَلَيَّا فَقَدْ يَرْجُو عَلَيَّا مَنْ يَهَابُ^(١)
وَأَنْ يَكُ سَيْفَ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودٌ قَيْسٍ وَالثَّيَابُ^(٢)
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبْتُوْا وَأَثْوَا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا^(٣)

وقال النابغة :

وَحَمَلَتْنِي ذَنْبَ أَمْرِيهِ وَتَرَكْتُهُ كَذِي الْعُرَى يُسْكُو غَيْرُهُ وَهُوَ رَائِعُ^(١)
وقال البحري :

نصد حيله أن نراك بأعين جنى الذنب عاصيها فلم مطيعها
وأروع الجميع — وفيه المثل الأعلى — قوله جل شأنه : « واتحوا فتنة لا يصيب
الذين ظلموا منكم خسة » .
(١) علي : اسم سيف الدولة . يقول : إن ظفوه بسبب جرمهم فقه يرجي الفخر عنده
كما يهاب ، لأنه جواد مهيب .
(٢) يقول : إن يك سيف الدولة من تطلب لا من قيس فهو ولي نعمتهم ؛ لأن
جلودهم نبئت بإحسانه إليهم ، واكتست بما خلع عليهم من ثياب .
(٣) الرباب : غيم يضرب إلى السواد ؛ يرى كأنه دون السحاب ؛ قال عبد الرحمن
ابن حسان :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُورِينَ السَّحَابِ نَعْلُمُ تَمَلُّقَ بِالْأَرْجُلِ
وَأَثْوَا : تقووا وكثروا ، من أث النبات : كثروا ونف ، وهو أثيث ، وقال كنفك
شعر أثيث ، وامرأة أثينة : كثيرة اللحم ، ونسوة أثاث ، قال رؤبة :
وَمِنْ هَوَايَ الرَّجُحِ الْأَثَاثُ تَمِيلُهَا أَجْزَاؤُهَا الْأَوَاثُ
« الرجح : جمع رجاح ، وهي الثغلة العجيذة ، والأواث : اللينات : فكان
الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . يقول : إنهم نشأوا في نعمته وقروا وعزوا

(٢) المر : قروح مثل القواء ، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل
منها مثل الماء الأصفر فسكوى الصباح لثلا تعديها للراض .

وَتَحْتَ لَوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصَّعَابُ (١)
وَلَوْ غَيْرَ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمْ ضَبَابُ (٢)
وَلَأَقَى دُونَ نَابِهِمْ طَعَانًا يُبْلَقُ عِنْدَهُ الذُّنْبُ الْغَرَابُ (٣)
وَحَيْلًا تَقْتَنِذِي رِيحَ الْوَاوِي وَيَكْنِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ (٤)

بإحسانه كالنبات الذي نما بماء السحاب ، فاستعار السحاب للاخسان ، والنبات
للمحسن إليه .

(١) يقول : باتساعهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم وانقاد لهم من العرب
من لا يتقاد لأحد :

(٢) قال الواحدى : يذكر قوتهم وشوكتهم ، وأن غير سيف الدولة لو أتاها لما
ظفر بهم ، وكفى بالشموس عن النساء وبالضباب عن الحمامة دونهم : لأن الضباب يستر
الشمس ويحول دون النظر إليها . قال : ويجوز أن يكون هذا مثلاً معناه لو غزاهم
غيره لكان له ما يشغله بما يلقى قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم : أى أنه كان يستقبله
من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم ؛ فجعل الضباب مثلاً للرعا ،
والشموس مثلاً للسادة ، وقال ابن الإفلح : يريد شمس كل يوم يقاتلهم فيه .

(٣) ولأق : عطف على ثناء ، والثانى : جمع ثابة : كآى وآية ، وهى حجارة
تجعل حول البيت يأوى إليها الراعى ليلاً ، وفيها مبارك الإبل ومرابض الغنم . يقول :
لو غزاهم غيره لثناء ضباب عن شمسهم وللاقى دون وصوله إلى هذه الحجارة حرباً يكثر
فيها القتل حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلباً للحوم اقتل ، فكيف له بالوصول إلى
استباحة حريمهم ؟ وقد تورك بعضهم على التنبي أن الذئب لا يأكل إلا ما اقترسه ، بخلاف
الضبع والكلب ؛ وأشد في ذلك :

ولكل سيدٍ معشرٍ في قومه دُعْرٌ يُدْنِسُ عِرْضَهُ وَيُعِيبُ
لولا سواه تجزرت أوصاله عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْهُ الذِّيبُ
« الدعر : الحائض الذى يعيب أصحابه » .

(٤) وخيلاً : عطف على طعانا . والواوى : جمع مومة ، وهى اللقازة يقول : وكان
يلاقى خيلاً تعودت قطع اللقاز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها
السراب لأنها هراب مضرة معودة قلة العلف والماء .

وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ^(١)
وَلَا آسَلُ أَجَنٍّ وَلَا نَهَارٌ وَلَا خَيْلٌ حَمَلَنَ وَلَا رِكَابٌ^(٢)
رَمَيْتَهُمْ بِيَحْرٍ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبَابٌ^(٣)
فَسَّاهُمْ وَبُسَطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسَطَهُمْ تُرَابٌ^(٤)
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ فَنَاءٌ كَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِصَابٌ^(٥)
بَنُو قَتْلَى أَيْكَ بِأَرْضٍ نَجْدٍ وَمَنْ أَتْبَقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ^(٦)
عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِغَارًا وَفِي أَعْنَاقٍ أَكْثَرِهِمْ سِخَابٌ^(٧)

(١) رب كل شيء : مالكه ، ويقال أسرى إذا سار ليلا ، وسرى إذا سار نهاراً وقيل هما لفتان تستعملان بمعنى واحد . يقول : إنك سرت إليهم فما نفعم الوقوف في ديارهم للذود والدفاع ، ولا الذهب للهرب ، لأنهم إن وقفوا قتلوا ، وإن هربوا أدركوا .

(٢) الركاب : الإبل . يقول : ولم ينفعهم ليل يسترون تحته ، ولا نهار يكشفونك فيه ، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب ، فهم لميتك تلدوا حارثين حين طلبتهم فلم ينج بهم شيء من ذلك .

(٣) العباب : معظم الماء وكثرته ، جل جيشه بحرأ من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه . ثم جعلهم يموجون خلفهم في سيرهم ، فكأنهم بحر يمد عبابه وراءهم .

(٤) يقول : طردهم ليلاً وهم يقرعون الحرير آمنون فيبتهم وقتلهم حتى جدلوا على على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير ؛ وقال للمرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيئاً يقدون عليه سوى التراب .

(٥) يقول : وصار الرجال كالنساء ، ذلاً واستخذاءً واثقيداً .

(٦) بنو : خبر مبتدأ محذوف : أي هم بنو قتلَى أَيْكَ ؛ ومن أتقى : عطف عليه ، وفاعل أتقى : ضمير يعود على أَيْكَ : يشير إلى ما كان من أبى الهيجاء والد سيف الدولة مع بني كلاب ، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم في أرض نجد وقتك بهم . فهو لاء هم أبناء أولئك وبقيتهم .

(٧) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان ،

وَكُلُّكُمْ أُنَى مَا نَى أَبِيهِ فَعَلَّ كَلُّكُمْ عَجَابٌ^(١)
كَذَا فَلَيْسَ مِنْ طَلَبِ الْأَعَادِي وَمِثْلُ سُرَاكَ فَلَيْكُنِ الطَّلَابُ^(٢)

وجمعها سخب . يقول : إن أباك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب فاشوا عتقاء سيفه .

(١) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه ، فهم تقيوا آباءهم في التمرد والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك في الفرو والفران ؛ ففطهم حين عصوك عجيب ، إذ لم يجربوا بآبائهم ؛ وفطك أيضاً عجيب إذ صفت عنهم وأجبت على باقيهم وآتى ما نى فلان أى فعل فعله وأخذ إخذه ، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال ، وفلان لثيم الفعال ، ولك أن تكسر الفاء على أنه جمع فعل .

(٢) يقول : مثل هذا الفعل فليعمل من يطلب الأعادي ، وليكن طلابه مثل هذا السرى الذي سرت حق بلغت مرادك ، فقله كذا في موضع نصب بقوله فليس ، والفاء إنما تعطف أو تكون جواباً . فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليحلوا أن الخبر وضع في غير موضعه ، وبنس الكوفيين تأول أخاك فاضرب : أنه منصوب بفعل مضمر تقديره أقصد أخاك فاضرب ، وهذا يحسن في المفعول ، وأما في الخبر فيعد . . وقوله مثل سراك نصب لأنه خبر فليكن .

وقال يرئى أخت سيف الدولة ، وقد توفيت بميافارقين وورد خبرها إلى الكوفة
فكتب أبو الطيب بهذه المزية إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة :

- (١) يَا أختَ خَيْرِ أَيْخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ آبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)
(٢) أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَكَ لِلْعَرَبِ (٢)
(٣) لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْحَزُونَ مَنْطِقَهُ وَدَمَعُهُ وَهَمَا فِي قُبْضَةِ الطَّرِبِ (٣)

(١) نصب كناية على الصدر ، كأنه قال كنت كناية . يقول : يا أخت سيف الدولة
ويا بنت أبي الهيجاء ، وهو المراد بأشرف النسب ، فكفى عن ذلك ، يريد أن نسبها
من أشرف الأنساب ، فإذا كنت بهما عرفت لأنهما خير الناس : فإذا قلت يا أخت
خير أخت ويا بنت خير أب عرفت .

(٢) مؤبنة : حال من الياء في تسمى : أى حال كونك مؤبنة : أى مريئة من
التأبين ، وهو الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك
يعرفك بما فيك من المحاسن والحمد التي ليست في غيرك ، وهذا يخفى عن تسميتك ،
كما قال أبو نواس :

فهي إذا سُمِّيتْ لَقَدْ وُصِفَتْ فيجمعُ الاسمُ مَعْنَيْنِ مَعًا

(٣) الطرب : صفة من الطرب ، وهو خفة تمرى عند شدة الفرح أو الحزن والهم .
قال النابغة الجعدي في الهم :

سَأَلْتَنِي أَمْسَى عَنْ جَارَتِي وَإِذَا مَا هَمِّي فَوَالْبِ سَأَلْ
سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَايِسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدُّغْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ
وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِزْرِمِ طَرَبَ الْوَالِهَ أَوْ كَالْخَتَبِلِ

« الواله : اتناكل ، والختبل : الذي اختبل عقله : أى جن » يقول المتنبي : من استخفه
الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما ، لأنهما إذا ذاك يكونان في قبضة الطرب
أى الحزن - يصرهما كما يشاء .

- (٤) غَدَرْتَ يَا مَوْتَ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدٍ
 بَيْنَ أَصَابَتِ وَكَمْ أَسَكَّتْ مِنْ لَجَبٍ (١)
 وَكَمْ صَحَبَتْ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلَتْ فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ تَخْبِ (٢)
 طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَيْرٌ فَرَزْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ (٣)
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرَفْتُ بِاللَّدْمِغِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي (٤)

(١) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ؛ وجيش لجب عرمرم : أى ذوجلبة وكثرة ، وبجر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه ، وأصله كل صوت عاك يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تغنى به العدد الكثير وتهلك الجيوش وتسكت ضجيجهم ، وإذا كان عونك على الإفناء كان من حَقِّك أن ترعى ذمته ولا تتجهم بأخته ، وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير ، وسكت لجبهم وترددهم في خدمتها ، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها ، فكأنهم ماتوا . قال الواحدى : وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأخسر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلکوا بهلاكه . هذا معنى : كم أفنيت من عدد ؛ وهذا كقول القائل :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه ببيان قوم تهدما
 وكقول ابن المقفع :

وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير
 وتقتلنى فتقتل بى كريماً يموت بموته بشر كثير

(٢) يقول : وكَمْ صَحَبَتْ أَخَاهَا يَا مَوْتَ فِي غَزَوَاتِهِ وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَمَكِّنَكَ مِنْ إِهْلَاكِ مَنْ أَرَدْتَ فَأَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ وَمَكَّنَكَ بَسِيْفِهِ عَنْ أَرَدْتَ ؛ وَهَذَا كَقَوْلِهِ الْآخَى فِي قَافِيَةِ اللَّامِ :

شريك المنايا والنفوس غنيمَة فكل ممات لم يمته غلول

(٣) الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءنى يقول : لما جاءنى هذا النى وطوى الجزيرة حتى ورد على فى الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعلت بهذا الرجاء .

(٤) يقول : حتى إذا صبح الخبر ولم يبق رجاء فى أن يكون كذبا غصصت بالدمع

- (٨) تَمَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسِنَهَا
وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ (١)
كَانَ فَسَلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاقِبَهَا (٢)
وَلَمْ تَرُدِّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَّةٍ (٣)
أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مَذْنُومَتٍ (٤)
يُظَنُّ أَنَّ فَوَادِي غَيْرَ مُنْتَهَبٍ (٥)
دِيَارَ بَكْرِ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ (٦)
وَلَمْ تُفِثْ دَاعِيَا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (٧)
فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي حَلَبِ (٨)
وَأَنْ دَمَعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبِ (٩)

لفظة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد الدمع يشرق بي : أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشيء الذى ينفس به فى القلة . والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه . وحصل المعنى : كاد الدمع لإحاطته بي أن يكون كأنه غص بي .

(١) لم يلحق الباء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة ، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لفة تميم — والبريد : كلمة فارسية أصلها بريدته دم : أى محذوف الدنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، ثم سمي الرسول الذى يركب دواب البريد بريدآ . يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة فى الأفواه ، وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ، ورجفت أيدي الكتاب فى كتابته .

(٢) فسله : كناية عن اسم الرثية ؛ وهو خولة . يقول : مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر ، والتي كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها .

(٣) بالويل : متعلق بداعيا ؛ وتولية : أى ذهاب وإدبار : مصدر ولى ، والويل : الهلاك ، والحرب : ذهاب المال ، حرب الرجل ، سلب ماله ، والداعي بالويل والحرب الذى يصيح : واويلاه ، واحزباه . يقول : ولقد كانت ترد حياة الملوف بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتفيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب .

(٤) يقول : طال ليل أهل العراق منذ أتاها نعيمها حزنا عليها ، فكيف ليل أخيها سيف الدولة فى حلب ؟ قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل ، وفيه سباجة . . .

(٥) أراد : أيلظن ، غذف حرف الاستفهام ، والضمير لسيف الدولة ، ويروى بالتاء على الخطاب . يقول : أظن أنى غير حزين .

- (١٣) بَلَى وَحُرْمَةٌ مِّنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِّحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْفُضَّادِ وَالْأَدَبِ (١)
 (١٤) وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْزُوثٍ خَلَّاتِهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْزُوثَةٌ النَّشَبِ (٢)
 (١٥) وَهَمَّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ (٣)
 (١٦) يَفْلَحَنَّ حِينَ تَحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَفْلَحُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّشَبِ (٤)

(١) بلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام . يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الأمور ، فقوله وحرمة الخ : قسم .

(٢) ومن مضت : عطف على من كانت - في البيت السابق - . والخلائق : جمع خليفة بمعنى الخلق ، والنشب : المال . يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها ، لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثا

(٣) أترابها : لدااتها ونظيراتها في العمر : جمع ترب - بكسر التاء - للذكر والمؤنث . يقول : همها منذ صباها منصب في العلا وتدير الملك بينها أقرانها مهمن في اللهو واللعب ، وهذا من قول حمزة بن يفيص :

فهمكُ فيها جسام الأمور وهم لدااتك أن يلعبوا

(٤) النشب : قيل هو تعزيز أطراف الأسنان ، وقيل صفاؤها وتقاؤها وقيل تفلجها ، وقيل طيب نكهتها ، وقال الجرمي : سمعت الأصمعي يقول : النشب برد الفم والأسنان ، فقلت إن أصحابنا يقولون هو حديثها حين تطلع ، فيراد بذلك حديثها وطراوتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتسكت ، فقال : ما هو إلا بردها ، وقول ذي الرمة

لمياه في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

يؤيد قول الأصمعي ، لأن اللثة لا تكون فيها حدة . يقول : إن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها من النشب إلا الله لأنه لم يذقه أحد ، قال الواحدي : وأساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء في مرثيئهن . قال ابن جني : كان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جدا وفي معنى بيت المتنبي

لا والذي تسجد الجباه له مالي بما ضم ثوبها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

(١٧) مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرَقَهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ (١)
(١٨) إِذَا رَأَى وَرَآهَا رَأْسَ لَا يَبِ رَأَى الْقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرُّتَبِ (٢)

(١) مفرقها : موضع افتراق الشعر من الرأس ؛ وهو مبتدأ خبره مسرة قال ابن جني : وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره : الميتة حسرة في قلوب البيض واليلب إلى أن قال : والأجود أن يجعل مفرقها خبر للسرة ، أو مسرة خبره ، والجملة خبر مبتدأ محذوف : أي وهي مسرة في قلوب الطيب مفرقها ، وهي حسرة في قلوب البيض واليلب ، واليلب : اللدود الجمانية تتخذ من الجلود ، أو جلود يغرز بعضها إلى بعض تلبس على الرموس خاصة تحت البيض ؛ واحدها يلبة ، قال عمرو بن كلثوم :

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِيُّ وَأَسْيَافٌ يَقْنُنُ وَيُنْحَنِنُنَا

قال الجوهري : ويقال اليلب ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل للبدق يلب . قال الشاعر :

عليهم كل سائفة دِلاص وفي أيديهم اليلبُ المِدار

قال : واليلب في الأصل ذلك الجلد قال أبو دهل الجحى :

دِرْعِي دِلاصٌ شَكُّهَا شَكُّ عَجَبٍ وَجَوْبُهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَيْرِ الْيَلْبِ

«عجبها : أي ترسها وجوب قاتر : أي ترس حسن التقدير ، والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة من حديد . يقول : إن الطيب يسر باستعمالها إياه والبيض واليلب يتحصران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال ، واستعار لهما قلوبا مجازاً لوصفهما بالمسرة والحسرة .

(٢) القانع : جمع مقنع ومقنعة ، وهو ما تقنع به المرأة رأسها ، وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابس ورآها ، فضمير رأى للبيض واليلب ، وأفرد الضمير لأنهما مترادفان ، فكأنهما شيء واحد . يقول : إذا رأى البيض رأس لابس ورأى هذه المرأة وهي تلبس للقانع رأى القانع أعلى رتبة منه فازداد حسرة على تركها إياه وحرمانه ذلك .

(١٩)

وَأِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْتَى لَقَدْ خُلِقْتَ

كَرِيمَةً غَيْرَ أَنْتَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ^(١)

(٢٠)

وَأِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْقُلُبَاءُ عَنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي الْخُمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ^(٢)

(٢١)

فَلَيْتَ طَالَعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبْ^(٣)

(٢٢)

وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا فِدَاهُ عَيْنَ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَتُوبْ^(٤)

(٢٣)

فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشَبَّهًا وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ^(٥)

(١) الحسب : شرف الآباء أو الفعال الصالح : أى شرف الفعل وأنشد ثعلب .

* وَرُبَّ حَسِيبٍ الْأَصْلُ غَيْرُ حَسِيبٍ *

أى له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو . يقول : إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنتى .

(٢) تغلب : قبيلة سيف الدولة . والغلباء : فى الأصل الغليظة الرقبة . والمراد العريضة الألية الممتعة ، وعبرة الواحدى : الغلباء : الغلاظ القلوب ، نعمهم بخلط الرقبة لأنهم لا يذلون لأحد ولا ينفادون له . يقول : هى وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالمرز والنعة — يد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تهاز به عنهم وتفضلهم ، كالخمر أصلها العنب ، ولكن فى الخمر من المزايما ليس فى العنب ، ومن ثم تفضله ، وهذا مثل قوله : فإن المسك بعض دم الغزال .

(٣) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال : ليت طالعتهما — وهى شمس النهار — غائبة وليت غابتهما — وهى المرئية — لم تغب . يقول : إن فى حياتها منافع جمة ، فليتها بقيت وقعدنا الشمس .

(٤) آب : رجع . يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرئية التى غابت ولم ترجع .

(٥) الهندية : السيوف ، والقضب : جمع قضيب ، وهو اللطيف الدقيق من السيوف . يقول . ليس لها شبيه ، لا من النساء ولا من الرجال .

(٢٤) وَلَا ذَكْرَتْ جَبِيلًا مِنْ صَنَائِعِهَا
 (٢٥) قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَيْهَا
 (٢٦) وَلَا رَأَيْتِ عُيُونَ الْإِنْسِ تَذَرُكُهَا
 (٢٧) وَهَلْ سَمِعْتَ سَلَامًا لِي أَلَمْ يَهَا
 (٢٨) وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ
 (١) إِلَّا بَكَيْتُ وَلَا وَدُّ بِلَا سَبَبٍ (١)
 (٢) فَمَا قَنَعَتْ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ (٢)
 (٣) فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أُعْيُنَ الشُّهْبِ (٣)
 (٤) فَقَدْ أَطْلَتْ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ كُتُبِ (٤)
 (٥) وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَائِنَا الْغَيْبِ (٥)

(١) الصنائع : جمع صنعة ، وهى الإحسان واليد . يقول : إذا ذكرت صنائعها بكيت لحبى إياها ، وسبب محبتي هو صنائعها لدى وإحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكأى لود أو سبب سوى صنائعها التى أولت ، فهى تذكرنى فأبكي .

(٢) يقول : كانت محبوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأحبت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها ، فكأن الأرض لم تنفع بما حولها من الحجاب حتى حجبها بنفسها .

(٣) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها ، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن ؟

(٤) قال الواحدى : يقول للأرض : هل سمعت سلاماً لى أتاها ؟ يريد أنه يحجز إليها السلام والدعاء وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها ثم قال : وقد أطلت التائبين والمرثية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لأنها ماتت على بعد منه ، ولك أن تقول : إن المعنى بعبارة أخرى : هل سمعتى يا أرض أسلم عليها ؟ أى هل رأيتى قريباً منها فحسدتى على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب ؟ قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى معنى هذا البيت ، فجعل الاستفهام فيه إنكاراً وقال . يقول : قد أطلت السلام عليها وأنا بعيد عنها ، فهل سمعت يا أرض سلامى قريباً منها ؟

(٥) التيب : جمع غالب ، مثل خدم وخادم . يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا للمدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الفائين ؟ وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق : أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما ، فكيف يبلغها بعد موتها ؟ والظاهر أن الكلام على عمومته ، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعرض بسيف الدولة ، وأن يقصر سلامه دونه .

- (٢٩) يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا
 وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْعَمَ الشُّجْبِ (١)
 وَأَكْرَمَ النَّاسِ لَا مُسْتَنْتَبِياً أَحَدًا مِنْ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النَّجْبِ (٢)
 قَدْ كَانَ قَاتَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ (٣)
 وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَنْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ (٤)

(١) أولى القلوب بها : هو قلب أخيها — أى سيف الدولة — والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب ، وصاحبه هو سيف الدولة . يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنعم السحب : أى أن عطاءه أهناً لأنه بغير أذى ، والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواعقه .

(٢) وأكرم الناس : عطف على أنعم السحب ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من كل شئ . ورجل نجيب : أى كريم فاضل بين النجاية ، والنجبة مثال الحمزة النجيب ، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم ، وأنجب الرجل : أى ولد ولداً نجيباً . قال الأعشى :

أَنْجَبَ أَرْمَانَ وَالِدَاءُ بِهِ إِذْ تَجَلَّاهُ فَنَعَمَ مَا نَجَسَلَا

« وسيمر بك شرح هذا البيت فى موضع آخر » وامرأة منجبة ومنجاب : أى تله النجباء يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحدًا سوى آبائك الكرام . قال العكبرى : وهذا لفظ منكسر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم . أقول : وهى إحدى مبالغات التنبي القبيحة .

(٣) لا يريد بالشخصين : أخيه . ماتت إحداهما — وهى الصغرى — وبقيت الكبرى ، فكانت كدردى بذهب ، جعل العكبرى كالدر ، والصغرى كالذهب .

(٤) المتروك : هو الدر ، والتارك : الدهر . يقول : وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها . لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته . وهذا البيت الذى قبله كأنهما من قول الأعرابي :

وَقَاتَمَنِي دَهْرِي بَنَى مَشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

٣٣ مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا

كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ^(١)

٣٤ جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْأُحْزَانِ مَغْفِرَةً

فَحَزَنٌ كُلُّ أَحَى حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ^(٢)

٣٥ وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نَفُوسَكُمْ بِمَا يَهْتِنُ وَلَا يَسْخُونُ بِالسَّلْبِ^(٣)

٣٦ حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمْ مَحَلٌّ سُمِرَ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ^(٤)

٣٧ فَلَا تَتَلَكَّ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنِ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْقَرَبِ^(٥)

(١) الورد : إتيان الإبل الماء ، والقرب : سير الليل لورد الغد ، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء . فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجّلوا نحوه ، فذلك الليلة ليلة القرب . يقول : إن أحليهما كانا متقاربين جداً حتى إن المدة التي بينهما كانت تقصرها كأنها المدة التي بين الورد والقرب ؛ وهي ليلة .
(٢) يقول : غفر الله لك أحزانك لأن الحزن للصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يحجر بمراد الإنسان ، والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٣) يسخون : أى النفوس ، ووزنه يغلطن ، فالواو لام الفعل ، والنون علامة الإخمار وجمع التأنيت ، وهو مثل « إلا أن ينفون » أى النساء ، وىروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور — والسلب : ما يؤخذ من القتل من ثياب وسلاح ، وفى الحديث الصحيح : من قتل قتيلاً فله سلبه . يقول : إنما تحزن لأن الدهر سلبك المروية وأنتم قوم أهل غزاة وأتنة ، تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهراً ، وهذا المعنى كقول القائل :

لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ

(٤) القنا : عيدان الرماح . يقول : أنتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب ، وكذلك أنتم تفضلون سائر الملوك .

(٥) النبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال تتخذ منه القسي ، والقرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار . يدعو له يقول : لا أصابتك الليالى بسوء ، فإنها تطلب القوى بالضعيف .

وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ ۚ
وَلَمَّا أَحَسَّ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا
وَمَا قَضَىٰ أَحَدٌ مِنْهَا لُبَاتَهَا
تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا أَتَّفَاقَ لَهُمْ
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً
فَإِنَّهُمْ يَصِدْنَ الصَّقَرَ بِالْخَرْبِ (١)
وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِي الْحَالَتَيْنِ بِالْمَجَبِ (٢)
وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُخْتَسَبٍ (٣)
وَلَا أَتَىٰ أَرْبٌ إِلَّا إِلَىٰ أَرْبٍ (٤)
إِلَّا عَلَىٰ شَجَبٍ وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ (٥)
وَقِيلَ تَشْرِكُ جِئِمَ الْمَرْءِ فِي الْمَطَبِ (٦)

٣٨

٣٩

٤٠

٤١

٤٢

٤٣

(١) الحرب ذكر الجباري (١) وجمعه خربان ، يدعو له أن لا تعين الليالي من عاداه
فإنهم يصدن القوى بالضعيف ، وهو بسبب من معنى البيت السابق .
(٢) يقول : إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجئتك بفقدته إذا استردته وقد أرينك
العجب حيث سررتك بها ثم فجئتك بفقدتها فكانت سببا للسرور والفتنة ، وهذا عجب
أن يكون شيء واحد سببا للسرور والفتنة .
(٣) يقول : قد يجسب الإنسان أن المحن قد تناهت فلم به شيء لم يكن في حبابه ،
وإذن لا تؤمن فجعات الدهر .
(٤) اللبابة : الحاجة ؛ والأرب : الغرض ، فهما متقاربان ، يقول : لم يقض أحد
حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضي ، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب
آخر ، وذلك كما يقول أمية بن أبي الصلت :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

(٥) و (٦) الشجب : الهلاك ، والخلف : الاختلاف ، والمراد بالنفس : الروح .
يقول : جرى خلف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا على الهلاك : أي أن منتهى كل
حيوان أن يموت فيهلك ، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك : ففريق يقول : إن الروح تسلم
من الهلاك ولا تنفك بقاء الأجسام — وهؤلاء هم القرون بالث — وفريق يذهب
إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم .

(١) الجباري : طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقا ، وهو أنواع كثيرة ،
ويضرب به المثل في البلاء فيقال : أبله من الجباري ؛ قيل : لأنه إذا غر عشه ذهل
وحضن يفض غيره .

(٢٤) وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ^(١)

وأنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه الأبيات وأنفذها إليه في ميفارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة^(٢) :

فَهَنْتُ الْكِتَابَ أَبْرَّ الْكُتُبِ قَسَمًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ^(٣)
وَطَوَّعًا لَهُ وَأَبْتَهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبَ^(٤)
وَمَا عَاقَى غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ وَإِنْ الْوِشَايَاتِ طُرُقُ الْكَذِبِ^(٥)

(١) للهجة : الروح . يقول : من فكر في الدنيا وأنه مفارقتها البتة أتعبه هذا الفكر لما يجد في ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ؛ ثم رأى في الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه ، فبرى نفسه بين حالين من التعب والعجز .

(٢) هذه القصيدة من المتقارب ، وتقطعها فصول أربع مرات ، دخله القصر فصار فصول فصول فصول فصول ، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سنادات توجيه ، وهو المخالفة في حركة ما قبل الروى المقيد ، ومن الناس من لا يعمده سناداً اكتفاء باتفاق الروى .

(٣) (٤) سما وطوعا وابتهاجا : ثلاثتها مصادر دلت على أفعالها : أى سمعت أمرك سما ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابك ابتهاجا ، والابتهاج : الفرح يقال بهج بالشيء وله - بالكسر - بهاجة وابتهج : سر به وفرح . قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرُ مِنْهُ لِلْبَيْلَى خِرْقُ

يقول : إني سامع لأمرك ، مطيع له ، مبتهج بكتابك بيد أن فعلى في طاعتك لا يبلغ ما يجب ، إذا أننى قصرت بتخلفي عن الهوى إليك .

(٥) الوشاة . جمع واش ، وهو النمام . يقول : لم يمنعني من النهوض إليك غير خوفي الوشاة ، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البريء .

(١٥ - المتن ١)

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ يَبْنَسَا وَالتَّحْبَبُ^(١)
 وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبُ^(٢)
 وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجَيْنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذَّهَبُ^(٣)
 فَيَقَاقَ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاءُ وَيَنْضَبُ مِنْهُ الْبَطِيُّ الْفَضْبُ^(٤)
 وَمَا لَأَقْنِي بَلَدٌ بَعْدَ كُمْ وَلَا أَعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نِعْمَايَ رَبِّ^(٥)

(١) وتكثير قوم وتقليلهم : أى تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا ، والتقريب ضرب من العدو : يقال قرب الفرس : إذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ، والتحبب : السرعة ، وقيل هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه فى العدو يقول : وعاقبى أيضاً خوف تكثير قوم معائبي وتقليلهم مناقبي وسعيهم بيننا بالفساد .

(٢) يقول : إنه كان يصنى إليهم ويسمع منهم ، بيد أن قلبه كان على أية حال مع بعضه فى ذلك شرفه ، فعد إصغاءه إليهم نصرا لهم . ونزاعه إليه نصرا له .

(٣) و (٤) اللجين : الفضة ، والأناء : الحلم والرفق والتثبت ، وبعد الأناء كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . وقوله فيقلق : جواب النفي فى البيت الأول ، والضmir فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت : أى فيقلق من قولى هذا . يقول إننى لم أنقصك مما تستحق من المدح شيئا كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب : أى لم أهلك فتسخر على ولم آت فى حقك ما يوجب أن ينزعج لمثلك فى بعد أناته وبطء غضبه .

(٥) لا قنى : أمسكنى وحبنى ، يقال منه : فلان لا يليق ببلد ، أى ما يمتسك ولا يليقه بلد : أى لا يعسكه . قال الأصمى للرشيد : ما ألاقنى أرض حتى أتيتك يا أمير المؤمنين : أى ما ثبت بها ، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم : أى ما يحتبس ، وما يليق هو درهما : أى ما يحبسه ولا يلصق به . قال الشاعر :

كفأك كفٌ ما تليق درهما وأخرى تعط بالسيف الدما

ورب نعمى : صاحب نعمتى ، ووقف على الباء من قوله رب - وهى موضع نصب - ضرورة للقافية ، وخففها - وحكمها التشديد - لوقوعها روياء . يقول : ما أخذت عوضا منك ، ولا أمسكنى بلد بعدكم ، ولا أعجبنى ، ولا لى مستقر إلا عندكم . إذ لا أصيب

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَمَا دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْقَبَّ (١)
وَمَا قِئْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ فَدَعِ ذِكْرَ بَعْضِ بَيْنِ فِي حَلَبِ (٢)
وَلَوْ كُنْتُ سَمَيْتُهُمْ بِأَسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا أَنْخَشَبِ (٣)
أَفِي الرَّأْيِ يُشَبِّهُ أُمَ فِي السَّخَا أُمَ فِي الشَّجَاعَةِ أُمَ فِي الْأَدَبِ (٤)
مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ الْقَبِّ كَرِيمُ الْجُرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ (٥)
أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى فَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ (٦)

مثلكم ، وكيف آخذ عوضاً ممن أنعم علي ؟ وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلا كا

(١) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم للإنسان والحف للبعير ، والحافر للفرس والبغل والجمار ، والقب والقبب : للبقر والديك ماتدلى تحت حنكهما . جعل الجواد مثلاً لسيف الدولة ، والثور مثلاً لمن لقي بعده من الملوك ؛ وهذا كقول خدّاش بن زهير :

ولا أكون كمن ألقى رحالته على الجمار وخلي صهوة الفرس

قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢) و (٣) بمن في حلب . متعلق بقست ، وقوله فدع ذكر بعض : معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلاً أن أقس به بعضهم ، ولو أنا شبهتهم به سميتهم سيوفاً . كما يسمى هو سيف الدولة - لكانوا سيوفاً من خشب ، وكان هو سيفاً من حديد : يعني أن مدحه إياه حقيقة ، ومدحه إياهم مجازاً ، إذا لا شبه بينهم وبينه .

(٤) هذا استفهام إنكار يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك في شيء من ذلك .

(٥) مبارك الاسم ، لأن اسمه على . وهو مشتق من العلو . محبوب مطلوب ، ولأنه سمى على بن أبي طالب ، وهو من هو ؟ وأغر اللقب ، لأنه سيف الدولة ، وقد اشتهر هذا اللقب فهو أغر : أي متعالم مشهور أبلغ . وكريم الجرشي : أي النفس ؛ وشريف النسب . لأنه من ربيعة ، وهم كرام أشراف . وكلمة الجرشي : من قبيح ألفاظ المتنبي .

(٦) أخو الحرب : أي عرفت به وعرف بها فصار لها أخاً ؛ وقناه : فاعل سبي : أي رماحه . يقول : هو أخو الحرب وصاحبها ، فإذا أعطى أحداً خادماً فهو مما سباه

إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسِرُّ بِمَا لَا يَهَبُ^(١)
وَأَنْتَى لَا تُنْبِعُ تَذْكَارَهُ صَلَاةَ الْإِلَهِ وَسَقَى السُّحْبُ^(٢)
وَأَنْتَى عَلَيْهِ بِآلَانِهِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبُ^(٣)
وَلَمَّا فَارَقْتَنِي أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُذْرَانِهَا مَا نَضَبُ^(٤)
أَيَا سَيْفَ رَبِّكَ لَا خَلْفَهُ وَيَا ذَا الْكَارِمِ لَا ذَا الشُّطْبِ^(٥)

بنفسه ، لا مما اشتراه ، لأن ماله كله جميعاً من سبائه ؛ وإذا خلع على إنسان ثوباً فهو مما صلبه من أعدائه . يريد كثرة نكاته في الأعداء .
(١) فتى : فاعل حازه من باب التجريد . يقول : إذا جمع مالا لا يسر منه بما يدخر ، ولكن بما يهب ، وهذا كقول البحري :

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَخِيلُ وَلَا يَحِبُّ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ^(٢)
يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين ، فقلت له صلى الله عليه وسقى أرضه السحاب ؛ والصلاة من الله الرحمة ، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ؛ ولكن الشعراء يدينهم البالغة وتعظيم الممدوح ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وقد قال ابن الرقاق :

صلى الإله على امرئ ودَّعَتْهُ وَأَتَمَّ نَعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقال الراعي :

صلى على عَزَّةِ الرَّحْمَنِ وابْنَتِهَا لَيْلَى وَصلى على جاراتها الأخرى^(٣)
يقول : أنتى عليه بما وصل إلى وإلى غيرى من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والمحبة : أقرب محلته أم جدت .

(٤) الغدران : جمع غدير ، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل : من غادره تركه ، قال الخطيب التبريزي : سمى الغدير غديراً لمعنيين : أحدهما لأن الغيث تركه ، والثاني لأنه يندر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة . ونضب الماء . غار في الأرض وجد . وما : من قوله ما نضب : نافية . يقول : إذا كان به قد انقطع عني فإن ما سبق إلى منه باق كالغدران تبقى بعد المطر .

(٥) الشطب — بضم الشين والطاء ، وفتح الطاء — جمع شطبة وهي الطرائق

وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِي رُنْبَةٍ رُنْبَةً^(١)
وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِيئَةً وَأَضْرَبَ مَنْ بِحْسَامٍ ضَرْبَ^(٢)
بِذَا أَلْفَظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتُ وَاللَّهَامُ تَحْتَ الْقُضْبِ^(٣)
وَقَدْ يَتَسَوَّاهُ مِنَ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَمَعَيْنٌ تُعُورُ وَقَنْبٌ يَجِبُ^(٤)
وَعَرَّ الدُّمُسْتَقَ قَوْلُ الْعَدَاةِ أَنَّ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصَبُ^(٥)
وَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلَهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ^(٦)

التي في متن السيف ؛ وسيف مشطب ومشطوب : فيه طرائق ، وكذلك ثوب مشطب .
يقول : لست ميلا كسائر السيوف . فأنت سيف الله لاسيف الناس . وأنت صاحب
المكارم لاسيف فيه طرائق من سيوف الحديد .

(١) و (٢) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب : منصوبة على النداء المضاف ، والخطية :
الرماح . يقول : يا أبعد الناس همّة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم قطعاً كلا
منهم المزة التي يستحقها ، ويا أطعن من مس رحا . وأضرب من ضرب بسيف .

(٣) قوله بذأ : أي بأطعن وأضرب ، والثغور : مواضع المخافة من فروج البلدان ؛
والهام : الرؤوس ، والقضب : السيوف القواطع . يقول إن أهل الثغور نادوك بقولهم
يا أطعن من طعن بخطية ، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف
الروم تكاد تطيرها .

(٤) غارت العين : دخلت في الرأس : أي من شدة الرعب ، والوجب خفقان
القلب . يقول : إنك أجبتهم حين نادوك وقد يتسوا من الحياة ، فهم في خوف ورعب
واضطراب حتى أتقذتهم .

(٥) الدمستق : قائد الروم ، والعداة : جمع عاد بمعنى عدو ، والثقل : الشديد
المرض ، والوصب : المرض . يقول إنما اجتراً الدمستق على أهل الثغور لأنه اغتر بما
أرجف به الأعداء من أنك مريض لا تستطيع إغايتهم :

(٦) يقول : وما كان ينبغي للدمستق أن يقتل لأن سيف الدولة إذا هم بالعارة وهو
عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته .

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّبَبِ قِصَارَ الْعُسْبِ^(١)
تَغَيَّبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغَيَّبْ^(٢)
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهِ إِذَا لَمْ تَخْطَ الْقَنَا أَوْ تَنْسِبْ^(٣)
فَفَرَّقَ مَذْنَبَهُمْ بِالْجَيْشِ وَأَخْفَتِ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبِ^(٤)
فَأَخْبَتْ بِهِ طَالِبًا قَهْرَهُمْ وَأَخْبَتْ بِهِ تَارِكًا مَا مَلَبَّ^(٥)
فَأَيَّتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللَّقَاءِ وَجِثَتْ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبِ^(٦)

(١) أَتَاهُمْ : أى المستق ، وبأوسع : أى بغير أوسع ، وطوال وقصار منصوبان على الحال ؛ والسبب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والسبب جمع عسيب ، وهو منبت الذنب . يقول : أَتَاهُمُ الدَّمَسْتُقُ بغير موضعهما من الأرض أوسع من أرض الروم ؛ وصف عسكر الروم بالكثرة . ثم وصف خيلهم بأنها من جياذ الخيل ، لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه ، مما يستحب في الخيل .

(٢) يقول : إذا علا جيشه الشواهيق — أى الجبال العالية — غطاها لكثرتها فغابت فيه ، وإذا تخلل جوانبها ظهرت صفاراً بالإضافة إليه وإلى سعة وانتشاره حولها .
(٣) تخط — بخذف إحدى التاءين — أى تتخطى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غصن الهواء بها فلا تجد الرياح منفذاً إلا أن تتخطى الرماح : أى تكون أعلى طريقاً منها أو تنب من فوقها .

(٤) اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها . يقول : أَتَاهُمُ مِنَ الْجَيْشِ بِمَا عَمَّ بِلَادَهُمْ فَكَأَنَّهُمْ أَغْرَقَتْهَا ، وَأَخْفَى أَصْوَاتَهُمْ بِأَصْوَاتِ جَيْشِهِ لِكَثْرَتِهَا وَارْتِفَاعِهَا .

(٥) أخبت به : صيغة تعجب : أى ما أخبته في الحالين ، ويروى الثاني ؛ وأخبت به تاركا ، من الخينة ؛ وطالبا وتاركا : حالان . يقول : ما أخبته حين يحاول قتله لأنه استدبر في ذلك سيف الدولة خسة منه وجبناً ، وما أخيه إذ ترك هذه المحاولة وولى هارباً يطلب النجاة .

(٦) يقول : لما كنت بعيداً عن أهل النخور أَتَاهُمُ فَقَاتَلَهُمْ بِالْمُبَارَزةِ ، فلما جئت جعل الحرب موضع القتال : أى حمى نفسه بالحرب ، فكأتما قاتلهم به كي ينجو .

وَكَاُنُوا لَهُ الْفَخْرَ كَمَا أَتَى وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ كَمَا ذَهَبَ^(١)
 سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَآيَاهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْفَوْتِ قَبْلَ الْعَطَبِ^(٢)
 فَخَرُّوا نَحْلَالَتِهِمْ سُجْدًا وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ^(٣)
 وَكَمْ ذُذَّتْ عَنْهُمْ رَدَى بِالرَّدَى وَكَشَفَتْ مِنْ كَرْبٍ بِالْكَرْبِ^(٤)
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدَّ يَعُدُّ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُقْتَصِبِ^(٥)

(١) يقول : إنه كان يفخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم ، فلما ارتد عنهم هارباً كنت عذراً له في ارتداده لأنه لا يقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر .

(٢) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغثتهم قبل أن يعطبوا ، وإعما ينفع الفوت إذا كان قبل العطب والهلاك ، أما بعد ذلك فلا قيمة للفوت ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام :

وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَلَمًا إِذَا مَا سَمَاءَ الْيَوْمِ طَالَ انْهَارُهَا
 وقول البحري :

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْغِيثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَائِهِ

(٣) الصلب : جمع صليب ، وهو ذلك الذي يتخذهُ السَّيْحُونَ في يَوْتِهِمْ وَيَعْمَهُمْ عَلَى شَكْلِ الْمَصْلُوبِ . يقول : أما أُنْقِذْتُمْ وَفَرَّ الدِّمَسْتُقُ سَجَدُوا لِلَّهِ شُكْرًا ، وَلَوْ لَمْ تَنْقُذْهُمْ لَسَجَدُوا لَصَلْبَانِ الْأَعْدَاءِ خَوْفًا مِنْهُمْ .

(٤) يقول : كم دُفِيت عنهم الهلاك يا هلاكك من بنى هلاكهم ؟ وكم كُشِفَتْ عَنْهُمْ الْكَرْبُ بِالْكَرْبِ الَّتِي أَنْزَلْتَهَا بِأَعْدَائِهِمْ ؟

(٥) المتعصب : أى التَّوَجُّعُ الذي يعتصب التَّاجُ برأسه . يقول : وقد زعم الروم أن الدِّمَسْتُقَ سَيَعُودُ وَمَعَهُ الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ ، وَعَبَّرَ عَنْ عَجْءِ الْمَلِكِ بِالْعُودِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ قَصْدَهُمْ - لِلشَّكَاكَةِ بَيْنَ الْفَعْلَيْنِ ، عَلَى أَنَّ عَادَ قَدِيرٌ أَدْبَاهَا الْإِتْيَانُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ كَمَا قَالَ :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً إِلَى فَقْدِ عَادَتِ لَهُنْ ذُنُوبُ
 أَيْ أَتَتْ .

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَمْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلِبَ^(١)
لِيُدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لِرَّجَالٍ لِهَذَا الْعَجَبِ^(٢)
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الشَّرِكِينَ إِمَّا لِعِجْزٍ وَإِمَّا رَهَبٍ^(٣)
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبِ^(٤)
كَأَنَّكَ وَخُدَّكَ وَحَدَّثَهُ وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بَابْنٍ وَأَبٍ^(٥)
فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ كَيْبٌ^(٦)
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جَنِيهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبٍ^(٧)
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ أَضْمَفَ حَظٍّ بِأَفْوَى سَبَبٍ^(٨)

(١) يقول : إن المستحق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصرة على المسلمين وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته .

(٢) عنهما : صلة يدفع . يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهم ، ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ؟ ولام فيا للرجال : مفتوحة ، لأنها للمستغاث به ، ولام لهذا : لام التعجب ، وهي مكسورة ، أنشد سييويه لقيس بن ذريح :

تَكْنَفْنِي الْوِشَاءُ فَأَرْجُو فِي النَّاسِ لِلْوِشَى الطَّاعِ

(٣) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا الشركين واجتمعوا معهم وتركوا قتالهم ، وذلك : إما محجراً عنهم ، أو خوفاً منهم .

(٤) يقول : وأنت مع الله في جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه ، وقد جانبت غيرك من المهادنين والمواعين .

(٥) يقول : كأنك وحدك الموحده تعالى ، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب .

(٦) ظهرت عليهم : ظفرت بهم وغلبتهم ، وكشب كآبة : حزن وظهرفيه الانكسار يقول : ليت الحاسد الذي يكتب لظفرك بالروم يقتل بسيوفك .

(٧) و (٨) أراد بالشكاة : المرض الذي يشكوه ، وقوله تجزى به : أى بالحب أو البغض ، على أن الواو في قوله وحب : بمعنى أو . ولك أن ترجع الضمير إلى البغض

وقال في صباه ارجع لا وقد عذله أبو سعيد المجيمري (*) على تركه لقاء الملوك :

أَبَا سَعِيدٍ جَنَّبِ الْمَتَابَا فَرُبَّ رَأْيٍ خَطَأٍ صَوَابَا^(١)
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحَجَابَا وَأُسْتَوْفَقُوا لِرَدَّنَا الْبَوَابَا^(٢)
وَأِنْ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا وَالذَّابِلَاتِ الشُّمْرُ وَالْعَرَابَا
يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحَجَابَا^(٣)

والحب جميعا ، لأن كليهما من أفعال القلب ، فكأنهما شيء واحد . والسبب : الوسيلة ، يقول : ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد وليتك تجزى من أبضك ينضه ومن أجلك بهبه كي أنال نصيبا من الحب ، إذ لو جزيقتي على حب لك - وهو أقوى سبب ، لأن حب إياك أكثر من حب غيره - نلت منك أقل حظ ، يشكو إعراضه عنه وأنه أقل الناس حظا منه مع أنه أشد حبا له . وعبرة ابن جني : لو تناهيت في جزائك إياي على حب إياك لكان ضعيفا بالإضافة إلى قوة حب لك قال أبو الفضل العروضي : وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه ولن هو دونه فكيف ينسب التنبي سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه ؟ وهذا الذي لاحظته العروضي لم يوفق فيه .

* هو أبو سعيد النبجي من بني المجيمر ، قبيلة بمنج من طيء .

(١) رأي خطأ : يروي راء خطأ ، وذلك على حد قولهم : ضارب عمرو وضارب عمرا ويروي بدل هذين * فرب رأى أخطأ الصوابا * يقول : أبعد عني يا أبا سعيد عتابك فلا تماثني ، لأنك ترى الخطأ في زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك :
(٢) فإنهم : أي الملوك .

(٣) القرضاب : السيف القاطع ؛ والذابلات : الرماح اللينة ؛ والعراة الخيل العربية . يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذي أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك ؛ وهذا بعض ما يشف عن طموح التنبي وآماله السكار

وقال في صباه ارجعوا لبعض الكلابيين وهم على شراب :

لَأَحْبَبِّي أَنْ يَمْلَأُوا بِالصَّافِيَاتِ أَلَا كُوبًا^(١)
وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا^(٢) وَعَلَى أَنْ لَا أَشْرَبَا
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تِ الْمُسِمَعَاتِ فَأَطْرَبَا^(٣)

وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخى وينفى الشامة عن بنى عمه (*) :

لَأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ يَوْتِرُ نَطَالِبُ^(٤)

(١) الصافيات : جمع صافية ، وهى الخمر ؛ والأكوب جمع كوب ، وهو القدح لا عروة له .

(٢) أى يجودوا بالشراب

(٣) الباترات . السيوف اقواطع ؛ يريد : أنه لا يطرب إلا على صليل السيوف ؛ وهذا أيضا إحدى هنواته التى تدل على بعد هيمته ، ولا سيما إذا لوحظ أنه مما قله فى صباه ، مثل الأبيات التى قبلها .

* لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبي بأبيات مطلعها :

إنى لأعلم والليبيب خبير

وستأتى ، ثم استزاده بنوعم المبت فقال هذه الأبيات :

غاضت أنامله وهن بحور

وستمر بك ، ثم سأله أن ينفى الثلاثة عنهم فقال :

الآل إبراهيم بعد محمد إلا حنين دأىم وزفير

وترأها فى قافية الراء ، ثم سأله زيادة فى نفي الشامة عنهم فقال هذه الأبيات التى

نحن بصددها

(٤) اللام فى قوله لأى : حشو ورفر لتقوية العامل ، على حد قوله تعالى « إن كنتم

للزُّبَيَّا تَعْبُرُونَ » أى أى صرُوفِ الدهر نعاب ؛ والوتر : التأثر . يشكو الدهر يقول :

إن صرُوفِ الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة ، فلا يمكن معاتبتها ولا طلب التأثر منها .

مَفَى مَنْ قَدَدْنَا صَبْرُنَا عِنْدَ فَقْدِهِ
 وَقَدْ كَانَ يُعْطَى الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَارِبٌ^(١)
 يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ^(٢)
 فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا أَنْفَلَنَ ضَرَائِبُ^(٣)
 طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالْقُمُودُ مَشَارِقُ لَهْنٍ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ^(٤)

(١) العازب : البعيد ، يقول : إنه كان في حياته إذا فقد الناس الصبر في الشدائد
 بينهم ويحسن إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ، وقد روى يعطى - بفتح
 الطاء - فيكون معناه أنه كان يصبر في المواطن التي كان يصعب فيها الصبر .
 (٢) العجاجة : الغبار ؛ والاسنة : أطراف الرمح . جعل الغبار المرتفع في الهواء
 معاء ، وجعل الأسنة لامة فيها كالسكاك ، وهذا من قول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا كَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا بِنَجُومِهَا سَيْوُفًا وَنَقَعًا يَقْبِضُ الطَّرْفُ أَقْنَمًا
 وَقَالَ آخَرُ :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجُومَ سَمَائِهَا

(٣) تسفر : تنجلي ، ومضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف وطبته وانفلن :
 انفلن ؛ والضرائب : جمع ضريبة ، وهي الشيء المضروب بالسيف يقول : إن هذه
 العجاجة تنجلي عنه ، وقد تلت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة
 لاضاربة ، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيْوْفَهُمْ بِهِنَ فُلُوكَ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وفي هذا البيت - بيت النابغة - من البديع تأكيد الدح بما يشبه الدم

(٤) الهامات : الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت من أعماقها كالشمس في بريقها
 ثم غربت في رؤوس المضروبين ، فصارت رؤوسهم مغارب لها ، وهذا من قول أبي نواس
 في الحمر :

طَالَمَاتْ مَعَ الشَّقَاةِ حَلِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِعَتْ فِي مُصِيبَةٍ وَلَمْ يَكُنْهَا حَتَّى قَفَّتْهَا مَصَائِبُ^(١)
 رَثَى ابْنُ أَبِي نَافِعٍ غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ^(٢)
 وَعَرَّضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلَّا فَزَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاضِبُ^(٣)
 أَلَيْسَ عَجَبِيًّا أَنَّ بَيْنَ ابْنِ أَبِي لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدْبُ الْعُقَارِبُ^(٤)
 إِلَّا إِمَامًا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ^(٥)

(١) شتى : متفرقة ؛ وقفتها : تبعها . يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وإنما هي لعظمها كأنها مصائب شتى ، ولم يكن ذلك حتى تبعها مصائب أخرى ، وهى اتهام للتسدين إيانا بأننا شامتون بموته .

(٢) قوله غير ذى رحم له : يروى ، غير ذى رحم لنا . يقول : إن هناك أجنبياً لا يمت إليه أو إلينا بأصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالثماتة ونحن أقرباؤه ، فموته إنما يحزننا نحن لا غيرنا .

(٣) عرض أنا شامتون : أى عرض فى مرثيته بأننا شامتون ، والتعرض الإشارة إلى الغرض من غير تصريح ، والعارضان : جانباً اللحية ؛ والقواضب السيوف القاطعة . وقال الواحدى : قوله ، وإلا فزارت يحوز أن يكون من كلام المعرض حكى عنه ما قال كأنه قال : هم شامتون بموته ، وإلا فزارتنى السيوف : أى قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول ، فيكون هذا تأكيداً لما ذكر من ثماتهم ؛ ويحوز أن يكون من كلام الذين ينفون الثماتة عن أنفسهم . يقول : إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف ، فيكون هذا تأكيداً لنفى الثماتة ، وأن الأمر ليس على ما ذكر .

(٤) أن بين بنى أب : أى أنه بين بنى أب ، فاسم إن هو ضمير الشأن ، والنجل : الولد ، وديب العقارب : كناية عن الخيعة . يقول : أليس عجيباً أن تدب عقارب يهودى بين بنى أب أى إخوة فيوقع بينهم العداوة ؟ يريد هذا الذى كان يمتى بينهم بالخيعة ، وجعله ابن رجل يهودى مبالغة فى أجنبيته عنهم ويريد بوصفه يهودى أنه خبيث دساس .

(٥) يقول : برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت ، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب ، وهذا من قول أبى تمام .

كُفِّ قَتْلُ مُحَمَّدٍ شَاهِدٌ أَنَّ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلٌ

وقال يمدح المفيث بن علي بن بشر العجلي :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا لِأَهْلِهِ وَشَقَى أُنَى وَلَا كَرَبَا^(١)
حُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَتَى الْفِرَاقُ لَنَا مِنَ الْقَوْلِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا^(٢)
سَقَيْتُهُ عِبْرَاتٍ ظَنَنْهَا مَطْرًا سَوَائِلًا مِنْ جُفُونِ ظَنَنْهَا سُحْبَا^(٣)
دَارُ الْمَلَمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهْدَدُنِي لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذِبَا^(٤)

هذا وقال العكبري — تعليقاً على قوله : أن ليس — : أن هي الخففة من الثقل ، ولا تدخل إلا على الاسم ؛ ولا تدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز لدخولها على الأسماء ، كقوله تعالى « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » تقديره : أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ؛ وكقوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » تقديره : أنه سيكون ؛ فلا بد من حرف يحجز بينها وبين الفعل ؛ وقد دخلت هنا على ليس — وهي فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال ؛ ولأنها غير متصرفه كتصرف الأفعال ؛ ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ماسعى » .

(١) أنى : أى كيف وأنى بمعنى كيف كثير . قال تعالى : « أنى يحيي هذه الله بعد موتها » . وكرب : من أفعال المقاربة ، تقول كرب أن يفعل كذا : أى كاد وقارب ؛ يقول : إنه بكى فى أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه بما ألم به من وجد ، ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكأى قضى ما يجب وشفى ما فى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضى ، يريد أنه قاصر عن ذلك . وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع ؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال ، وهو كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قول زهير :

قِفْ بِالْدَّيَارِ الَّتِي لَمْ يَقِفْهَا الْقِدَمُ بَلَى وَغَيَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
(٢) عاج بالمكان : وقف به . يقول : غطفنا على هذا الربع لزوره فأذهب ما كان بقى من غمونا بعد الفراق بتجديده ذكرى الأحبة فضلاً عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق .

(٣) يقول : سقيت هذا الربع دموعاً سوائل ظننا مطراً من جفون ظننا سحبا .
(٤) دار الملم لها طيف : أى هذا الربع هو دار التى ألم طيف لها ، فدار : خبر

نَأَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَتَأَى جَشَّتُهُ فَنَبَا قَبَلْتُهُ فَأَبَى ^(١)
 هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتَ يَتَنَا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنْبًا ^(٢)
 مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا ^(٣)

مبتدأ محذوف ، والألف واللام — فى الملم — بمعنى التى ؛ وطيف : فاعل ملم ولها حال
 مقدمة من قوله طيف . يقول : إن هذا الربيع هو دار المرأة التى زارنى لها طيف .
 أوعدنى ليلا . أى هددنى بالحجر فما صدقت عينى لأنها رأت خيالا لأن ذلك كان رؤيا ،
 ولا كذب الطيف فى تهديده لأنه هجرنى بعد ذلك ، إذ لم أتم بعدها .

(١) نَأَيْتُهُ بَاعَدْتُهُ : ويروى أَنَأَيْتُهُ : أى أَبْعَدْتُهُ ؛ ودنا : قرب ، وجشته : غازلته
 وداعيته ، ونبا : تحافى وتباعد ؛ وأدْنَيْتُهُ أَنَا : دفعته عن نفسى ؛ وفى المثل :

الصدق ينبى عنك لا الوعيد

أى أن الصدق يدفع عنك الغائلة فى الحرب دون التهديد ؛ ونبا السيف : إذا لم يعمل
 فى الضريبة ؛ ونبا بصرى عن النبىء ونبا به منزله : إذا لم يوافقه ؛ وأبى : امتنع ، يقول :
 كلما أردت من هذا الطيف شيئا قابلنى بضده ، وهذا قريب من قوله :

* صدت وعلمت الصدود خيالها *

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لقلبة الهوى عليه ؛ والطنب : جبل الحباء
 والسرادق ونحوهما ، قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبى بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن
 سكن بيتا لم يتعب فى إقامته ولا مد أطنابه . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال :
 اتخذت بيتا من قلبى فزنته ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد .

(٣) يقول : هى مظلومة القد — إذا شبه بالنفسن ، لأنه أحسن منه — وهى
 مظلومة الريق — إذا شبه بالعلل لأنه أحلى منه ؛ والضرب — وهو العسل الأبيض
 الغليظ — يذكر ويؤث ؛ قال أبو ذؤيب الهذلى فى تأنيته :

وما ضَرَبَ بِيضَاءُ يَأْوِي مَلِيكُهَا إِلَى طُنْفٍ أَعْيَا بَرَّاقٍ وَنَازِلٍ
 بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِثَّ طَارِقًا وَأَشْهَى إِذَا نَامَتْ كَلَابُ الْأَسَافِلِ ^(١)

(١) يَأْوِي مَلِيكُهَا : أى يعسوبها ؛ ويعسوب النحل : أميره ؛ والطنف : حيد يندر

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا^(١)
 كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا^(٢)
 مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْبِنَهَا فَقُلْتُ لَهَا
 مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا^(٣)
 فَاسْتَضَحَكَ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُعِيثِ يُرَى
 لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عِجْلِ إِذَا أَنْتَسَبَا^(٤)

(١) الحلة : الثوب ؛ ومطلوبا : منصوب على الحال أو التمييز . يقول ؛ إنها لأنها ولين حديثها تطمع العاشق في نفسها ، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطابه لمعقتها وصياتها ؛ ومثل هذا قول بعضهم :

يُحْسِنَ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَهِنُ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ^(١)
 (٢) يعي : يعجز ، والضمير في قابضه للشعاع ؛ وشعاعها فاعل يعي ، والطرف : النظر ؛ ومقتربا : حال . شبهها بشعاع الشمس في قربها من الطرف وبعده عن القبض عليه ؛ وهذا كما يقول ابن عينية :
 وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدٌ
 ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تَغِيبَ لَيْلَهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعِينِ نَجْمُهَا
 تَرَاهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا
 وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَرَّ الْفَوَادَ عَزَاءً جَمِيلًا
 فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّفُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولُ
 (٣) و (٤) القرب : المساوى لغيره في العمر ؛ ويقال للذة ؛ والشادن : من الظباء

من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل ؛ وقوله كلاب الأسافل : يريد أسافل الحمى لأن مواشيهم لا تبث معهم ؛ فرعاتها وأصحابها لا ينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بحلبها .

جَاءَتْ بِأَشْجَعٍ مِّنْ يُسْتَعَى وَأَشْمَحَ مِّنْ
أَعْطَى وَأَبْلَغَ مِّنْ أَمَلَى وَمَنْ كَتَبَا^(١)
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُقْعَدٍ لَمْ تَشَى
أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أَخْرَسٍ خَطَبَا^(٢)
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا أُحْتَجَبَا^(٣)

الذي قوى وترعرع واستنقى عن أمه ؛ يريد به المحبوبة ؛ واستضحك : بمعنى ضحك ،
والغيث : اسم المدوح ، وكالغيث : أى أنا كالغيث ، والليث : الأسد ، والشرى : موضع
تكثر فيه الأسود ، وعجل : قبيلة المدوح . يقول : مرث بن أبي نضلة تربيها قتل لها : أنت
من الظباء وترباك من العرب ، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فضحكت
ثم قالت : لا تعجب من ذلك فإنى كالغيث : تراه من الأسود ، وهو مع ذلك من عجل ؟
وكذلك أنا : ترائى من الظباء وأنا عريية . وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن
التخلص ، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية
للملامة بينهما .

(١) أى جارت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه : وقيل جاءت هذه القبيلة
التي هي عجل بمن هذه أوصافه .

(٢) يقول : إن خاطره لتوقده لو كان في زمن^(١) لشي ، أو في جاهل لصحا من
جهله وصار عالما . أو في أخرس لقد رعى على النطق .

(٣) يقول في الشطر الأول : إذا ظهر للناس حجب هيبته عيونهم عن النظر إليه
لشدة هيبته ، وهذا كقول الفرزدق :

يُبْفِضِي حَيَاءً وَيُبْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَنِسُ

(١) الزمن ذو الزمالة : أى العاهة ، وهو هنا في معنى التمتع .

يَاضُ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً
وَدُرُّ لَفْظِ يُرِيكَ الدَّرَّ تَحْشَلِبَا^(١)
وَسَيْفُ عَزَمِ تَرُدُّ السَّيْفَ هِبْتُهُ رَطْبُ الْفِرَارِ مِنَ التَّامُورِ مُخْتَضِبَا^(٢)

وقوله أيضاً :

وَإِذَا الرُّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابَ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ^(١)
ويقول أبو نواس :

إِن الْعِيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ لِهَيْبَةٍ فَإِذَا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكُوسَ نَاطِرٍ
ويقول في الشطر الثاني : إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورأها
فلم تستطع حجب ، وهذا كقول القائل :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ نَلُوءِ هَيْبَاتٍ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
وقال ابن جني : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابها قريب لما فيه من التواضع
فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا ؛ والآخر أنه وإن احتجب فهو كلا
محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور . وعبرة الخطيب : الذي أراده المتنبي أن حسنه
وبهائه لا يعجبه شيء ، والبيت الذي يليه يشهد له

(١) الحالك : الشديد السواد ؛ والمخشب : خرز أبيض يشبه الدار ، والعرب
تسميه الخضض ؛ أما المخشب فهي كلمة بنية . يقول : إن نور وجهه يغلب نور الشمس
حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق
كأنه خرز .

(٢) هبته : مضاهة ؛ والفرار : الحد ؛ والتأمور : دم القلب . قال أوس بن حجر .

أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي سُجَيْمٍ أَوْ لَجُوا أَيْبَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ
« أى مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبي : إن مضاء عزمه يصير السيْف رطب
الحد من دم الأعداء .

(١) خضع : جمع خضوع أى خاضع ونواكس جمع شاذ ويروى منكسى : نواكسى أى
مطاطئ رؤسهم منكسى أبحارهم إجلالاً له وهيبة وللنحو بين فى نواكس كلام طريف فانظره
(١٦ — المتنبي ١)

عُمِرُ الْعَدُوُّ إِذَا لَقَاهُ فِي رَهْجٍ أَقْلٌ مِنْ عُمَرٍ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبًا^(١)
تَوَقَّهُ قَمَتِي مَا شِئْتَ تَبْلُوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَبًا^(٢)
تَحْلُو مَذَاقَتَهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا^(٣)

(١) الرهج : الغبار ، وأرهج الغبار : أثاره . يقول : إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء .
وفال ابن القطاع : يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهيه ؛ وليس يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال ، وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لا يتيقنان . وقوله إذ وهبا : أي إذا أراد أن يهب .
(٢) تبلوه : أراد أن تبلوه ، لحذف أن وبقي عملها . قال العكبري : تبلوه : اتصب بإضمار أن ، وهو على مذهبنا ، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة ، وأبى ذلك البصريون ؛ وحجتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود : « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله » فأعمل أن مقدرة ؛ وحجتنا أيضا قول عامر بن الطفيل :
* وَنَهَنَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْسَلَهُ *

فنصب أفعله بأن المقدرة . والنشب : المال . يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء ، فإن أردت اختباره فكن عدوه أو مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإباداة والإفناء ، وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظْلِمُ الْمَالَ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءُ ظِلَامًا
وما أحلى قول أبي نواس :

لَيْتَ مِنْ كَانَ عَدُوِّي كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَالًا

(٣) حالت : تغيرت ، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا . يقول : هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فأضنت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ؛ يعني أن فيه حلاوة لأولياته ومرارة لأعدائه ، وفي الماء يروى في البحر قال العكبري : وأراد بالبحر ههنا العذب ، قال الله تعالى « مرج البحرين » يريد الملح والعذب ؛ وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل : البحر . هذا وفي البيت تصريح ، وهو ما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا .

وَتَنْبِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ
وَتَحْسُدُ أَنْخِلُ مِنْهَا أَيُّهَا رَكِبًا^(١)

(١) القبطه والحسد : كلاهما بمعنى التنى ، بيد أن القبطه أن تمنى مثل حال المنيوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تمنى مثل نعمته على أن تتحول عنه ؛ فالقبطه أخف . تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغبط هو كقولك منعته فامتنع ، وحبسته فاحتبس . قال حريث بن جبلة العذري :
وينا المرء في الأحياء مُقْبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
وغبطت الكباش أغبطه غبطا : إذا جسست إلیته لتنظر أبه طرق أم لا؟^(٢) وغبط الشاة والناقة : جسما لينظر منهما من هزالها . قال رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قوما من سليم :

إِذَا تَجَلَّيْتَ غَلَاَقًا^(٣) لَتَعْرِفَهَا لَاحَتْ مِنَ اللَّوْمِ فِي أَعْنَاقِهَا الْكُتُبُ
إِنِّي وَأَنْتَ ابْنُ غَلَاَقٍ لَتَقْرَيْنِي

كغايط الكلب يئغي الطَّرَقَ في الذَّنْبِ

وقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ قال : لا ، إلا كما يضر العضاة الخبط ، أراد صلوات الله عليه أن الغبط لا يضر ضرر الحسد ، وأن ما يلحق الغايط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاء من خبط ورقها الذي هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الخبط ورقها : فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الإثم . وأصل الحسد : القشر ؛ وأصل الغبط : الجس ؛ والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، وإذا خبط ورقها استخلف دون يدي الأصل ، وضمير منها : للأرض ، وضمير به : لحيث حل الذي يقع مفعولا به لتببط ، وضمير منها الثانية : للخليل ، وأيها : مفعول تحسد يقول : إن الأرض تببط بعضها البعض الذي يحل فيه ، والخليل يحسد بعضها البعض الذي يركبه . قال ابن جني : وجعل القبطه للأرض لأنها وإن كثرت بقاها فهي كالكان الواحد لاتصال بعضها ببعض

(١) الطرق : — الشحم أو السمن .

(٢) غلاق : — كشداد رجل أبو حى .

وَلَا يَرُدُّ فِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجِبَا^(١)
وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ أَفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا^(٢)
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكُلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا^(٣)

والجمل ليست كذلك لأنها متفرقة فاستعمل لها الحسد ، والبيت مأخوذ من قول
أبي تمام :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةُ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
(١) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب : المختلط الأصوات . يقول : إنه جواد
هجاع لا يستطيع أن يرد سائله ، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم .
(٢) قوله من قبل يصطحبا : أراد من قبل أن يصطحبا ، فحذف أن وأبقى عملها ،
يقول : إذا اتقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابها ، فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين
وقال الواحدى : يجوز نصب الدينار وصاحبه ويكون معناه كلما لقي المدوح الدينار
مصاحباه ، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر فى هذا المعنى :

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبْقَى دِرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفَ فِيهَا وَلَا خَرْقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دِرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طَرُقِ الْمُرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ لِلْمَضْرُوبِ صُرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخْلِدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمِرُقُ
(٣) المجتدى : السائل ، ونعيب الغراب : صياحه ، والبين : الفراق يقول : هذا

المال كان غراب البين يرقبه ، فكما جاء مجتد صاح فيه ففترق ثمنه ، وعبرة الواحدى
إن ماله يرقبه غراب البين ، فإذا جاء السائل فرق المدوح ماله ، فكان غراب البين
نعيب فى مال المدوح بالتفريق ، وما ذكر من رقبة الغراب ونميه بيان ومثال لتفريقه
المال عند مجئ السائل ، والأصل فى هذا أن العرب تقول : غراب البين إذا صاح فى
ديار قوم ففترقوا ، أما ما قاله ابن جنى من أن المعنى : كما أن غراب البين لا يفتر عن الصياح . كذلك
هذا لا يفتر عن العطاء : فهو بعيد ، ومن الذى قال إن الغراب لا يفتر عن الصياح ؟
هذا وقالوا إنما حسنت الإضافة فى غراب البين لأنه اسم مشترك يقع على أشياء ، فمنها
غراب الفأس : أى حدها . قال الشماخ يصف رجلا قطع نبعة :

بَحْرٌ عَجَابُهُ لَمْ تَبْقَ فِي سَمَرٍ وَلَا عَجَائِبُ بَحْرِ بَدَهَا حَجَبًا^(١)
لَا يُفْنِغُ ابْنٌ عَلِيَّ نَيْلٍ مَنْزِلَةٍ يَشْكُو مُحَاوِلَهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعْبَا^(٢)
هَزَّ اللِّوَاءُ بَنُو عِجْلِ بِهِ فَفَدَا رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلُّهُمْ ذَنْبًا^(٣)

فَانْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غُرَابِهَا عَدُوٌّ لَأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

« أَى أَمَالِ عَلَى النِّبْجَةِ فَأَسَا ذَاتَ حَدِّ ، غُرَابِهَا — أَى حَدِّهَا — مُشَارِزُ : أَى مُعَادِ أَوْسِيءِ الْخَلْقِ ، وَالْمُشَارِزَةُ هِيَ الْمُشَارَسَةُ ، وَمِنْهَا الْغُرَابُ : قَذَالُ الرَّأْسِ يُقَالُ شَابَ غُرَابُهُ : أَى شَعَرَ قَذَالَهُ . وَالْغُرَابَانِ مِنَ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ حُرْفَا الْوَرَكَيْنِ الْأَيْسَرِ وَالْأَيْمَنِ اللَّذَانِ فَوْقَ الذَّنْبِ حَيْثُ اتَّقَى رَأْسَا الْوَرَكِ الْيَمْنَى وَالْيُسْرَى ، قَالَ الرَّاجِزُ .

يَا عَجَبًا لِلْمَجَبِّ الْمَجَابِ خَمْسَةُ غُرَبَانِ عَلَى غُرَابِ

(١) السمر : المسامرة ، وهو حديث الليل ، وأصله أنهم كانوا يسمرون في ظل القمر ، وأصل السمر : ظل القمر ، والسمرَةُ مأخوذة من هذا ، وسمر يسمر سمرًا وسمورًا لم ينم : وهو سامر ، وهم السمار ، والسامرُ أيضًا السمار ، وهم القوم يسمرون . قال الأزهري : وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهي جمع ، فمنها الحامل والسامر والباقر والحاضر ، والحامل للابل ويكون فيها الذكور والإناث ، والسامر : الجماعة من الحى يسمرون ليلا ، والحاضر الحى النزول على الماء ، والباقر : البقر فيها الفحول والإناث ، قالوا : والسامر أيضا : الموضع الذى يجتمعون للسمر فيه ، وأنشدوا :

• وَسَامِرٌ طَالُ فِيهِ اللَّهْوُ وَالسَّمَرُ •

وابنا سمر الليل والنهار لأنه يسمر فيهما . يقول : هو بحر له عجائب في باب الفضل والشجاعة لأنها كيهما عجائب البحار ولا ما يتحدث به السمار ، إذ هي بالقياس إليها كالشئ المؤلف لغرابة ما يبدو منه ويتحدث عنه ، وعبرة ابنى جنى : تشاغل الناس بالتعجب من فضائل هذا الرجل عن عجائب الأسفار والبحار

(٢) ههاولها : أى طالباها ، وأصله طلب الشئ بالحيلة . يقول : لا يقنع المدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالباها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها ، إذ هو دائما يطمح إلى ما يجيز عنه الطالبون .

(٣) اللواء الراية ، وبنو عجل : قبيلة المدوح . يقول : حركوا اللواء باسمه — أى

التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا
وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صُمِبَا^(١)
مُبْتَزِّي خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مُتَّخِذِي
هَامِ الْكِمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَابًا^(٢)

جعلوه سيدهم وقائدهم — فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه ، فصار سيدهم وصاروا هم به مادة الناس ، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس ، وصار الناس أذنانا لهم وتبعوا .

(١) نصب التاركين على المدح بإضمار أعنى أو أمدح . يقول : إنهم — بعد همتهم — يتركون ما هان من الأمور وسهل وجوده ، ويرومون الصعب الشاق منها ، وفي هذا يقول الطهوي :

وَلَا يَرْعَوْنَ أَكْنَافَ الْمُؤِنَا إِذَا حُلُّوا وَلَا رَوْضَ الْمُدُونِ^(١)

(٢) البيض : السيوف ، والهام : الرؤوس ، والكمأة : الأبطال المدجون في السلاح والعذب : جمع عذبة وهي الريش الملق في طرف الرمح . يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطمن أو ضرب : إما لئلا تلتهم دونها ، أو لحذقهم بالضرب ، فتكون لها بمنزلة البراقع . والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتعافيف . وعبرة أبي الفضل العروضي : أن سيوفهم مكان البراقع لحيلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم . وقوله متخذى هام الكمأة : معناه أنهم يأخذون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم ، فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التي تطلق بالرمح . وقال جرير في هذا المعنى :

كَأَنَّ رُءُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا

غَدَاةَ الْوَغَى تَيْجَانُ كَسْرَى وَقِصْرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانًا الْقَنَا الذُّبُلِ

(١) الهدون : الدعة والسكون .

إِنَّ النَّبِيَّةَ لَوْ لَاقَتْهُمْ وَقَفَتْ خَرَقَاءَ تَتَبِعُهُمُ الْإِفْدَامَ وَالْمَرْبَا^(١)
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتَّبِعُهَا فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّبُهَا^(٢)
مَحَامِدُ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَتَمَلَّأَهَا فَالَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضَبَا^(٣)
مَكَارِمُ لَكَ فَتَ الْعَالَمِينَ بِهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرِ قَائِتٍ طَلَبَا^(٤)

وقال أبو تمام :

أَبْدَلَتْ أَرْوُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهِهِ مِنْ

قَنَا الظَّهْمُورِ قَنَا الْخَطِيئُ مَدْعِمَا

مِنْ كُلِّ ذِي لِمَةٍ غَطَتْ ضِفَائِرُهَا صَدَرَ الْقَنَاةِ قَدْ كَادَتْ تُرَى عِلْمَا

(١) الخرقاء : الحقاء ، مؤنث الأخرق . يقول : لولاقتهم النية يوم الوغى للبط بالارض خوفا وفزعا لا يتجه لها رأى فى السلامة فهى تنهم الإقدام وتنهم الحرب خشية الإدراك : أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْوَعٍ تَرْتَاعُ الْمُنُونُ لَهُ إِذَا تَجَرَّدَ لَانِكْسُ وَلَا حَذِرُ

وقال أيضاً :

شَوْسٌ إِذَا خَفَقَتْ عُقَابُ لَوَاهِمِمْ خَلَّتْ قُلُوبُ الْمَوْتِ مِنْهَا تَحْقِيقُ

(٢) الشهب : الكواكب . يقول : إن لم مراتب عالية علت فى السماء فصارى أطل من الكواكب ، لأن الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها .

(٣) نزفت : استنفدت ، وآل : عاد ورجع ؟ ونضب : جف . قال الواحدى : جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نزفا وجعل الشعر — لكونه مقتضى — مزوفا . يقول : لم تمتلئ هذه المحامد من شعرى : أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعرى ، ولا شعرى فنى ، فأنا أبدا أمدحهم : ويان ذلك أن لم محامد استخرجت شعرى لينظم تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامد وكثرة مدائمه لم يعنى أنه سيعود إلى استيفاء مديحهم ، وجعل الشعر كالماء ينزف ، واستغرق محامد فى الشعر كلثها بالماء ، ولما جعل الشعر . كالماء جعل فناءه نضوبا .

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع

إدراك أمر قائم ؟

لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةِ اخْتَلَفْتَ إِلَى الْخَبِيرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَاً^(١)
 فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَاً^(٢)
 أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوِي شَرِقتُ بِهَا لَوَاقَهَا لَبَكِّي مَا عَاشَ وَأَنْتَحَبَاً^(٣)
 وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِيَّ أَخَا وَالشَّرِيفَ أَبَا^(٤)
 بَكْلًا أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُنْتَسِمًا حَتَّى كَانَ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَاً^(٥)
 قُحَّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرَجِهِ مَرَحًا بِالْقَرْوِ أَوْ طَرَبَاً^(٦)

(١) و (٢) اختلفت : ترددت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان : القصاد الذين صعدوا إلى المدحوخ فأبوا بالهبات والعطايا ، ولا ألوى لا أعرج . يقول : لما أقمت بأنطاكية جاءتني ركبان الطاعة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فها عشت أن سرت نحوك لا أعرج في سيري ولا أقف ، حتى وصلت إليك محمولا على راحلتين من فقرى الذى يحفزنى إلى بابك طلبا لجذواك وأدبى الذى تسببت به إليك .

(٣) شرقت : غصت ، وضمير ذاقها : للزمن . وقوله ما عاش . أى ما بقى وامتد . والانتحاب : رفع الصوت وتردده بالبكاء . يقول : أذاقنى الدهر من الفقر والغربة شيئا لو ذاقه هو لبكى وانتحب مدة حياته ولم يستطع عليه صبرا لأنه الغاية فى الشدة ، فكيف أصبر أنا عليه ؟

(٤) عمرت : عشت ، والسهمري : الرمح ، والشرفى : السيف ، كنى بهذه القربات عن ملازمة هذه الذكورات . يقول : إن عشت وتنفس بى العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبى . هذا ويقال عمر الرجل بكسر الميم يعمر عمرآ وعمارة وعمرأ ، وعمر — بالفتح — يعمر ويعمر : أى عاش وبقي زمانا طويلا ومنه قولهم : أطال الله عمرك وعمركوما وإن كانا مصدرين بمعنى ، إلا أنه استعمل فى القسم أحدهما وهو المفتوح .

(٥) و (٦) الأشعث : المفبر من طول السفر ولقاء الحروب ؛ والقح : الخالص : أى العربى الخالص النسب ؛ وقح : نعت لأشعث ، والرح : النشاط . يقول : للازمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمى بنفسه فى التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهاك عليها ، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب ؛ وروى ابن حنبل عن صهيل الخيل

فَالْمَوْتُ أَعْدَرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالْدُّنْيَا لِيَنَّ غَلْبًا^(١)

صهيل الجرد - جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر - وذلك مما يحمد في الخيل، ويروى بدل مرحا بالغزو : مرحا بالعز . ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام :
مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحَتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
وقول البحتري :

مُسْتَرْسِعِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا وَفَرٌّ بِأَرْضِ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ

(١) يقول : الموت أعذر لي من أن أعيش ذليلا ، فإذا قتلت في طلب المالى قام الموت بعذري ، والصبر أجمل ، لأن الجزع عادة اللثام ، والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه فأنا أسافر وأضطرب في مناكب الأرض ؛ والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقرداره ، قل العكبرى : وهذه الأبيات التي أتى بها في آخر القصيدة خارجة عما هو فيه لأنه يمدح رجلا ، ويذكر أنه قد قصده وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة ، وقد جاء يستجدي منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد . . . وأين أبو الطيب والملوك ؟ رحم الله امرأ عرف قدره . . . ولقد أحسن ابن دريد فيما قال :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخطي
وقد غاب عن العكبرى - رحمه الله - خلائق التنبي وأنه لا يمدح الناس إلا لمدح نفسه وبنوه بما تنطوى عليه من الطامع والآمال الكبار والنزاع إلى الطعن والنزال .

وقال يمدح على بن منصور الحاجب *

بأبي الشَّمْسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبًا^(١)
الْمُنْهَبَاتُ قُلُوبَنَا وَعُقُولُنَا وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا^(٢)
النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْحَيَا تِ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا^(٣)
حَاوِلُنْ تَفْدِيَتِي وَخَفِنْ مُرَاقِبَا فَوَضَعْنِ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا^(٤)

* قيل: إنه لم يحزه على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ، ولذلك سميت بالدينارية .
(١) الباء للتفدية ؛ والشمس : إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير :
الشمس مفديات بأبي ؛ وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير : أفدى
الشمس بأبي ؛ والجناحات : المائلات ؛ والجلاب : جمع جلباب ، وهو ما يلتحف
به من الثياب ، وأصله جلابيب : قال تعالى « يدنين عليهن من جلابيبهن » لحذف الياء
ضرورة ، كنى بالشمس عن النساء ، وبغروبهن . عن بعدهن . وعبرة الواحدي :
لما سمهن شموماً كنى عن بعدهن بالغروب ، لأن بعد الشمس عن العيون لا يكون إلا
بالغروب ، وقد بين في آخر البيت أن الشمس : النساء الحسنات ؛ إذ قال : اللابسات الخ .
وقال ابن جني : غبن عنك في الحدور .

(٢) المنهبات : اسم فاعل ، وجناتهن : مفعول أول ؛ وقلوبنا : مفعول ثان ،
وعقولنا : عطف عليه ؛ والناهبات : صفة لوجناتهن ؛ ولك أن ترفع وجناتهن على أنها
فاعل المنهبات : أي اللاتي أنهبت وجناتهن قلوبنا ، فيكون قد اقترع على مفعول واحد ؛
ويقال أنهبت الشيء إذا جمته نهباله . يقول : اللواتي جعلن قلوبنا وعقولنا نهبال لوجناتهن
يسبينها بحسنهن ، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب : أي الرجل الشجاع المغوار
الذي ينهب الناس . بعد أن أبلى البلاء الحسن في الحرب ، وهذا من قول أبي تمام :

سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحَسَنِ عَنْ حُرٍّ أَوْجُهُ تَغْلُ لِبَّ السَّالِيهَا سَوَالِبَا

(٣) الناعمات : أي اللينات الفاضل ، والقاتلات : أي بهجرهن ، والحيات :
بوصلهن ، والمبديات : أي المظهرات من الدلال عجائب ، والدلال : جرة المرأة على
الرجل في تكسر وتفتيح .

(٤) الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : حاولن أن يقلن لي تفديك بأنفسنا
فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب . وقال ابن جني : أشرن

وَبَسَمَنَ عَنْ بَرْدٍ خَشِيتُ أَذِيهِ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَ^(١)
يَا حَبْدًا الْمُتَحَمِّلُونَ وَحَبْدًا وَإِ لَثَمْتُ بِهِ الْفَزَالَهَ كَاعِبًا^(٢)
كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصًا مِنْ بَعْدِ مَا أَنْشَبَنِي فِي عَجَالًا^(٣)

إلى من بعيد ولم يحبرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة . جعل ابن جني هذه الإشارة تحية وتسليما ، وقال الواحدى : طلبن أن يقلن تفديك بأنفسنا وخفن الرقيب ، فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة : أى أنفسنا تفديك ؛ وهذا أولى من قول ابن جني لذكر التفدية فى البيت ، ولم يقل حاولن تسليمى ؛ لأن الإشارة بالسلام لا تكون بوضع اليد على الصدر . وقال ابن فورجه : وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضع أيديهن فوق ترائهن تسكيناً للقلوب من الوجيب . قال الواحدى : وليس كما قال — ابن فورجه — ، وصدر البيت ينقض ما قبله . هذا وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى :

أَضْحَى بِجَانِبِي مُجَانِبَةَ الْعِدَا وَيَبِيتُ وَهُوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمٌ
وَيَمُرُّ بِي خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَفْظُهُ شَتْمٌ وَحَشْوٌ لِحَاضِهِ تَسْلِيمٌ
(١) أراد بالبرد : أسنانهن التى تشبه البرد فى نقائها ، وقوله خشيت أذيه : أى أن أذيه . يقول : إني كنت أخاف على ثورهن أن تذوب من حرارة أنفاسي ، فلما رحلن ذبت أنا من شوق إليهن ، ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

وضاحكٍ عن بَرْدٍ مُشْرِقٍ أَبَا حَنِيهٍ دُونَ جُلَاسِي
فكَلَّمَا قَبْلَهُ خِفْتُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ نِيرَانِ أَنْفَاسِي
وقول بعضهم :

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي مَنْ لَوْ جَرَى نَفْسِي عَلَيْهِ لَذَابَا
(٢) التحملون : المرتحلون ؛ والمراد بالغزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف ، والكاعب : الذى بدا ثديها للنهود . يقول : قبات غزالة فى صورة كاعب من النساء .
(٣) الخطوب : الأمور الثقالة ، وتخلصا : مفعول الرجاء ، أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف ، أنشد سيويه :

أَوْ حَدَّثَنِي وَوَجَدَنَ حُزُنًا وَاحِدًا مُتَّاهِيًا فَعَجَلَنَهُ لِي صَاحِبًا^(١)
وَنَصَبَنِي غَرَضَ الرِّمَاءِ تُصِيبُنِي مَحْنٌ أَحَدٌ مِنَ الشُّيُوفِ مَضَارِبًا^(٢)
أُظْمِتَنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا^(٣)
وَحُيِّتُ مِنْ خُوصِ الرُّكَّابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَدَدَوْتُ أُمُشِي رَاكِبًا^(٤)
حَالٌ مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا^(٥)

ضعيفُ النِّكَايَةِ أعداءه يَحَالُ الْفِرَارُ يُرَاحِي الْأَجَلَ^(١)

وَأَنْشَبَ : عَلَنَ ، وَالْخَالِبُ : جَمْعُ الْخَلْبِ — بِكَسْرِ الِيمِ — وَهُوَ السَّيْفُ وَجَوَارِحُ
الطَّيْرِ بِمِزَلَةِ الظُّفْرِ لِلإِنْسَانِ يَقُولُ : كَيْفَ أَرْجُو التَّخْلُصَ مِنَ الْخَطُوبِ بَعْدَ أَنْ نَالَتْ مَتَى
وَتَقْدَّرَ فِي حَكْمِهَا ؟

(١) أَوْحَدَنِي : أَيْ الْخَطُوبِ — أَيْ صِيرَنِي وَاحِدًا . يَقُولُ : تَرَكْتُ الْخَطُوبَ
وَحِيدًا بَعْدَ أَنْ فَرَقْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَحْبَةِ ، وَجَعَلْتَ صَاحِبِي بَدَمَ مَا أَجِدُهُ مِنَ الْحُزَنِ الْتَاهِي
الَّذِي هُوَ وَاحِدُ الْأَحْزَانِ ، وَهُوَ حُزْنُ الْفِرَاقِ .

(٢) الْغَرَضُ : الْمَدْفُوعُ بِرُمِي بِالسَّهْمِ ؛ وَمَضَارِبُ : تَمْيِيزُ جَمْعِ مَضْرَبٍ — بِفَتْحِ الرَّاءِ
وَكِسْرِهَا — حَدَّ السَّيْفِ . يَقُولُ : إِنْ الْخَطُوبُ نَصَبَتْ هَذَا لِلْمَحْنِ .

(٣) أُظْمِتَنِي مِنَ الظُّلْمَةِ : الْمَطَشُ : فَأَصْلُهَا أَظْمَأْتَنِي ، فَأَبْدَلَ الْهَمْزَةَ أَلْفًا ثُمَّ حَذَفَهَا .
يَقُولُ : كَانَ حَظِّي مِنَ الدُّنْيَا الْحَرَمَانِ . فَلَمَّا التَّمَسْتُ عَطَاءَهَا أَفْرَغَتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبَ .

(٤) قَوْلُهُ مِنَ خُوصِ الرُّكَّابِ : أَيْ بَدَلًا مِنْ خُوصِ الرُّكَّابِ ، وَالْخُوصُ جَمْعُ الْخُوصَاءِ ،
وَهِيَ النَّاقَةُ الْفَائِرَةُ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْجَهْدِ وَالْإِعْيَاءِ ، وَالرُّكَّابُ : الْإِبِلُ ، وَالْدَارِشُ : ضَرْبٌ
مِنَ السَّخَنِيَّانِ ، وَهُوَ جِلْدُ أَسْوَدَ : يَقُولُ أَعْطَيْتُ عَوْضًا مِنَ الْإِبِلِ خُفَا أَسْوَدَ ، فَأَنَا
رَاكِبٌ مَاشٍ .

(٥) حَالٌ : خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ : أَيْ هَذِهِ حَالٌ ، وَيُرْوَى حَالًا — بِالنَّصْبِ — عَلَى

(١) يَهْجُو رَجُلًا يَقُولُ : هُوَ ضَعِيفٌ عَنْ أَنْ يَنْكِيَ أَعْدَاءَهُ وَجِبَانٌ عَنْ أَنْ يَثْبِتَ لِقَرْنِهِ
وَلَكِنَّهُ يُلْجَأُ إِلَى الْفِرَارِ وَيَخَالُهُ مُؤَخَّرًا لِأَجَلِهِ .

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبًا^(١)
يَسْتَصْفِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لَوْفِدِهِ وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكُنِي شَارِبًا^(٢)
كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لَظَنَكَ كَاذِبًا^(٣)

إضمار عامل محذوف : أى أشكو أو أذم . يقول : إن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافاها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان ، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلى ومثل هذا لأبى تمام قال :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فَقَدْ يَرَى بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَى مِنْهَا تَائِبٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

عَصَبٌ إِذَا هَزَهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ تَجَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
(١) السنان : نصل الرمح ، والبنان فى الأصل : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا الكف ، ويتباريان : يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه . ودما : تميز أو منصوب على نزع الخافض : أى فى دم ، والعرف : المروف والمراد به الجود ، والساكب : المنسكب . يقول : إن سنان رمحہ يقطر دما من الأعداء ، وكفه تسكب جوداً على الأولياء . وهذا من قول البحرى :

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا وَنَجِيمًا
(٢) الخطر : الأمر الخطير : أى العظيم . يقول : إنه يستصفر الشيء العظيم لمن يقصده ويتبعج إليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكنى شاربا . ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر :

فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ مَاحْبُوتٍ مِنَ اللَّهِآ زَرَرًا وَأَصْفَرَ مَا شَكَرْتُ جَزِيلًا
(٣) كرما : مفعول مطلق : أى كرم كرما ، أو مفعول له عامله . يظن فى البيت قبله يقول : لو حدثته بما يصنع من الأفعال الجسام لظنك كاذبا لخروج تلك الأفعال عن طوق القدرة . قال الواحدى — ناقدًا — : وقد أساء فى هذا ، لأنه جعله يستعظم فعله وفضده بمدح ، وإنما يحسن أن يستعظم غيره مافعل كما قال أبو تمام .

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبُ تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ تُكَذِّبُ
وَقَالَ الْبَحْرَى :

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسَالِمًا وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِبًا^(١)
 فَالْمَوْتُ تُعْرِفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ لَمْ تَلَقْ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبًا^(٢)
 إِنْ تَلَقَهُ لَا تَلَقْ إِلَّا قَسْطَلًا أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبًا^(٣)
 أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا^(٤)

وَحَدِيثٌ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطُ حُسْنِهِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، ومسالما ومحاربا : حالان . يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت : أى لا تحاول أن تعرفها بالقتال ، فإنك إن قاتلته قتلت ، وقد ضرب البيت التالى مثالا لذلك .
 (٢) يقول : فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة ، إذ لم نجد مخلوقا مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت ، وإذن فالموت إن عرف بالمشاهدة أهلك ألتة ، وكذلك شجاعة المدوح ، وقوله خلقا : أى مخلوقا ، مفعول أول لتلق ، وآيا : مفعول ثان .
 (٣) انقسطل هنا : غبار الحرب ؛ وهو انقسطل ، وانقسطال وانقسطول والقسطلان والقسطل — بالصاد — كاه . الغبار الساطع . وقال الجوهري : القسطال لغة فيه كأنه محدود منه مع قلة فلال في غير المضاعف ؛ وأشد أبو مالك لأوس بن حجر يرئى رجلا :
 وَلَنِعَمَ رِفْدُ الْقَوْمِ يَنْتَظِرُونَهُ وَلَنِمَ حَشْوُ الدِّرْعِ وَالسِّرْبَالِ
 وَلَنِمَ مَأْوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا وَالْخَيْلُ خَارِجَةٌ مِنَ الْقَسْطَالِ

وقال آخر :

* كَأَنَّهُ قَسْطَالٌ رِيحُ ذِي رَهَجٍ *

الجحفل : الجيش العظيم . يقول : إنه لا ينفك عن هذه الأشياء

(٤) تبين لأحوال الناس معه . يقول : فلا ترى إلا هاربا من جيشه ، أو طالبا رفته ، أو راغبا في إحسانه ، أو راهبا من بأسه ، أو هالكا بسيفه ، أو نادبا على قتيل له من الأسرى الذين أسرم . وقال الواحدى : ويجوز أن تكون هذه أحوال المدوح : أى تلقاه هاربا من الدنيا ، وطالبا للعلی ، وراغبا فى المكارم ، وراهبا من الله تعالى . وهالكا : أى مهلكا — كما قال العجاج :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِيًا^(١)
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبًا^(٢)
وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْخَلْدِيدُ سَوَادَهَا زَنْجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالًا شَائِبًا^(٣)

وَمَهْمَهُ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجًا^(١)

ونادبا : من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى .
(١) و (٢) العواسل : الرماح ، والقواضب : السيوف ، والجنايب : جمع الجنيبة ،
وهى التى تقاد إلى جنب الفارس . يقول : عمت جنوده السهل والجبل ، فإذا نظرت إلى
الجبال رأيتها رماحا وسيوفا ، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنايب :
أى غصت بهما .

(٣) وعجاجة . بالنصب . عطف على ما تقدم : أى ورأيت عجاجة ، أو
بالجر على إضمار رب ، والعجاجة : الفبار ، وتبسم - بحذف إحدى التائين - أى تبسم ،
والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا ، وقال ابن الأعرابي :
القذال : مادون القمحدوة إلى قصاص الشعر ، قال الأزهري : اقمحدوة ما أشرف على
القفا من عظم الرأس ، والهامة فوقها ، والقذال دونها مما يلي المقد ، ويقال : القذالان
ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال ، والزنج - بفتح الزاى وكسرهما - جيل من
السودان ، وهم الزنوج يقول : إن بريق الأسلحة فى سواد الفبار يشبه تبسم الزنج أو شيب
القذال ، ولحمود الوراق :

حتى تبدى الصبح يتلو الدجى كالحليشى افتر للضحك
ولأبى نواس :

لما تبدى الصبح من حجابهِ كطلعةِ الأشمط من جلابهِ
وهذا التشبيه متداول كثير فى الشعر :

(١) تمامه : هائلة أهواله من أدلجا . قال فى اللسان : هالك بمعنى مهلك لغة تميم
كما يقال : ليل غاض أى مغض ، وقال الأصمى فى قوله ، هالك من تعرجا : أى هالك
المتعرجين إن لم يهذبوا فى السير : أى من تعرض فيه هلك .

فَكَأَنَّكَ كَيْسَى النَّهَارُ بِهَا دُجَى لَيْلٍ وَأَطْلَمْتَ الرِّمَاحُ كَوَاكِبًا^(١)
 قَدْ عَسْكَرْتَ مَعَهَا الرِّزَايَا عَسْكَرًا وَتَكْتَبَتْ فِيهَا الرِّجَالُ كِتَابًا^(٢)
 أَسَدٌ فَرَانِسُهَا الْأَسُودُ يَقُودُهَا أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأَسُودُ ثَمَالًا
 فِي رُبْتَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا فَسَمَوْهُ عَلَى الْحَاجِبِ^(٣)
 وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذَّرًا وَدَعَوْهُ مِنْ غَضَبِ الثُّفُوسِ الْفَاصِبِ
 هَذَا الَّذِي أَفْنَى الثُّنَّارَ مَوَاهِبًا وَعِدَاهُ قِتْلًا وَالزَّمَانَ تَجَارِبًا^(٤)
 وَغَيْبُ الْمَذَالِ فِيمَا أَمَلُوا مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِبًا^(٥)

(١) شبه بياض الحديد في ظلمة العجاجة بكواكب في ليل . يقول : كأن النهار البس تلك العجاجة ظلمة ليل ، وكأن الرماح أطلعت من أسرتها كواكب ، وأطلعت هي كواكب في تلك الظلمة . فقله : أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح ، وإما بصيغة المجهول لما كلة قوله كسى ، وهذا المعنى من قول صريع الغواني :
 فِي عَسْكَرٍ شَرِيقِ الْأَرْضِ الْفَضَاءُ بِهِ كَاللَّيْلِ أَنْجَمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْلُ
 وقول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَمْسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلُ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ
 (٢) عسكرت : تجمعت ، وتكتبت : تجمعت كتاب ، والكتائب : جمع كتيبة .
 الفرقة من الجيش - وعسكرا وكتائب : حالان . يقول : إن المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالمدو ، وتكاثر فيها رجال المدوح حتى صارت كتائب .
 (٣) هذا مثل قول ابن الرومي :

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَاءُ صَاعِدًا دَرَى كَيْفَ يَرَقَى فِي الْعَالَى وَيَصْمَدُ
 وقوله على : أراد عليا ، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين ، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام في الحاجب : ومثلا كثير ، وذلك كقراءة من قرأ « قل هو الله أحد »
 الله « بغير تنوين ، حذفه لا لتقاء الساكنين .

(٤) الثنار : الذهب ، ومواهبها وما بعده : تميز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعطاء ، والأعداء بالقتل ، والزمان بالتجارب : أى أنه حصل له من التجارب ما يعرف به ما يأتي فيما يستقبل من الزمان ، فكأنه أفنى الزمان لأنه لا يحدث عليه شيئا لا يعرفه .
 (٥) وغيب : عطف على « هذا الذي أفنى » في البيت قبله ، وذكر السكف وإن كان

هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبًا^(١)
كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ يَهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا^(٢)
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْقَى لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَفْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

الأصح تأنيثها - على معنى الضو ، أو على إرادة السائل : أى لا يرد سائلا ، أو للراد خائبا صاحبها . وبعد : فإن أكثر ما استعمل العرب الكف مؤثثة على أنها بمعنى اليد ، فهم يقولون هذه كف واحدة ، وقال بشر بن أبى خازم :

لَهُ كَفَانٌ كَفٌّ كَفٌّ ضُرٌّ وَكَفٌّ فَوَاضِلٌ خَصِلٌ نَدَاها
وقال الأعشى :

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وَآخَرَى إِذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ
وقالت الحنساء :

فَمَا بَلَغَتْ كَفُّ أَمْرِي مُتَنَاوِلٍ بِهَا الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فَيْكَ أَفْضَلُ
أما قول الأعشى :

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبًا
فانه أراد الضو ، وقيل هو حال من ضمير يضم ، أو من هاء كَشْحِهِ .

(١) أبصرت - بناء للتكلم - بمعنى التنبى نفسه ، ويروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروایتين : حال من فاعل أبصرت ، ومثل : يجوز فيه الرفع والنصب ، فالرفع قال ابن جنى : هذا مبتدأ أول ، والذى : مبتدأ ثان ، ومثل : خبر الذى ، والجملة خبر هذا ، والمآل على هذا من الجملة التى هى خبر عنه الماء فى منه . والنصب يحمل هذا ابتداء ، والذى : خبره ، ونصب مثل أبصرت . يقول : إنه يرى عطاءه حينما كان حضره أو غاب عنه ، ومثله لأبى تمام :

شَهِدْتُ جَسِيَّاتِ الثَّلَا وَهُوَ غَائِبٌ وَلَوْ كَانَ أَيْضًا حَاضِرًا كَانَ غَائِبًا

(٢) الثاقب : اللقىء . يقول : حينما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس - قريبهم (١٧ - للتنبى ١)

أُمُهَجْنُ الْكُرْمَاءِ وَالزَّرَى بِهِمْ وَتَرَوْكَ كُلَّ كَرِيمٍ قَوْمٍ عَاتِبًا^(١)

وبعدهم - كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد ، والبيتان التاليان في معنى هذا البيت : يريد أنه عام النفع ، ومثل هذا لأبي تمام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالُ قَرِيبِ النُّورِ نَائِي مَنَازِلِهِ
وللبحتري :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْغُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ
وله أيضا :

عَطَاءُ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ قَمَرِيبُ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِقُ
وقال العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ ثَبَتَ الْإِشْرَاقُ فِي كُلِّ بَلَدٍ

(١) أمهجن : أى يا مهجن ، فالهمزة للنداء ، وهجته : قبحه ، قال صاحب اللسان : المهجنة من الكلام ما يعيبك ، والمهجين : العربى ابن الأمة لأنه معيب ، ولهذه المناسبة نقول : إن المهجنة فى الناس والحيل إنما تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك : كان الولد هجينا . قال الراجز :

الْعَبْدُ وَالْمُهَجِّنُ وَالْفَلَنْقَسُ ثَلَاثَةٌ فَأَيُّهُمْ تَلَسُّ

والأقواف : من قبل الأب ، أو الذى أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك . روى الرواة أن روح بن زنباع كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت - وكانت شاعرة - :

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرِييَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَنَفْلُ

فَإِنْ تُنَجِّتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قَبْلِ الْفَحْلِ

وأزرى به : عابه ، قال فى اللسان : الإزراء : التهاون بالشئ ، يقال أزريت به : إذا قصرت به ، وحقرته ، وهوته ، وزريت عليه ، وزرى عليه زريا ، وزراية ، ومزرية ، ومزارة ، وزريانا : عابه وعاتبه . قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى عُمَرٍ قَدْ قَلَّتْ فِيهِ غَيْرَ مَا تَقْلَمُ

وقال الآخر :

وَأِنِّى عَلَى لَيْلَى لَزَارٍ وَإِنِّى عَلَى ذَاكَ فَمَا يَبْنَا مُسْتَدِيمُهَا

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدَّتْ مَنَاقِبَا وَجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنْ مَنَاقِبَا^(١)
كَبَيْتِكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّائِبَا إِنَّا لَنَخْشِرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِبَا^(٢)
تَذِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ وَهَجُومُ غَيْرٍ لَا يَخَافُ عَوَاقِبَا^(٣)

أى عاتب ساخط غير راض، وزرى عليه عمله : إذا عابه وعنفه ، وترك مبالغته في تارك ، وهو مضاف لكل - الذى هو مفعوله الأول - وعابها مفعول ثان ، وروى عابها . يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركهم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت ، أو تركتهم عاتبين لك حسدا .

(١) شادوا : بنوا ورفعوا ، وتشيد البناء : إحكامه ورفعته ، والبناء للشيد بالشديد المطول ، أما الشيد فهو : اللبن بالشيد ، والشيد كل ما طلى به الحائط من جص أو بلاط . قال عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلَسًا فَلَطِيرٍ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ

هذا ما عليه أكثر أهل اللغة ، ومنهم من يجعل للشيد وللشيد بمعنى ، وما يتفرع عن هذه المادة قولهم : أشاد بذكره : أى نوه به ورفع قدره ، وقال أبو عمرو : أشدت بالئى : عرفته . والمناقب : المفاخر ، والمثالب : المخازى والمعايب . يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب ، وهذا كقول أبى تمام :

مَحَاسِنُ مِنْ تَجَدَّدَتْ مَتَى يَقْرَنُوا بِهَا مَحَاسِنُ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ

(٢) ليك : أى إجابة لك بعد إجابة ، ونصبه على المصدر ، وغيط الحاسدين : منادى ، والراتب : الثابت القيم ، ونحبر : نشاهد ونعلم . قال الواحدي : أظهر الإجابة إشارة إلى أنه ببناء مناد . أى كأن المدح يناديه بلسان كرمه للتبويه به . وسماه غيط الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك . قال الخطيب : وصرح البيت لا تنقله من المدح إلى الإجابة .

(٣) تدير : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك تدير . وروى تدير وهجوم : منصوبين ، على أن تدير بدل من عجائب - فى البيت السابق - وهجوم : عطف عليه . وخنك : جمع حنكة ، وهى الخبرة والتجربة ، وضده الغر : أى الذى لم يجرب الأمور ولا يفكر فى العواقب . يقول : إنك تدبر ملكك تدير مجرب مختبر مفكر فى العواقب . وإذا

وَعَظَاهُ مَالٌ لَوْ عَادَاهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتُهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبًا^(١)
خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَ^(٢)
فَلَقَدْ دَهَشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ مَا يَدْهَشُ الْمَلِكَ الْخَفِيفُ الْكَاتِبَ^(٣)

هجت في الوغى هجت هجوم النمر : أى أنك تفعل كلا في موضعه ، فتدبر الملك تدبير
مجرّب بصير بأعقاب الأمور ، وتقدم في الحرب إقدام النمر ؛ وهذا من قول أبى تمام :
وَمَجْرَبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَاسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَهُمْ أَغَارُ
وقوله :

كَهْلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّدَاتِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْفَطْرِيفَا
وقال البحرى :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرٍّ وَاعْتِرَاضُ مَجْرِبٍ
(١) وعطاء : عطف على تدبير ؛ وعداء : تجاوزه . يقول : إذا لم يأتك طالب
أتفتت مالك في البحث عن طالب تعطيه .

(٢) أسطيعه : هو أستطيعه ، وبهما جاء التثنيّل الحكيم . يقول : إني إنما أثنى
عليك بقدر ما أستطيع ، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه ، لأنه فوق طاقتي ، فاعذرنى
في ذلك ، ثم بين عذره في البيت التالى . وقد قصر أبو الطيب الثناء في قوله ثنائى - وهو
ممدود - ضرورة . قال العكبرى : حكى ابن سعد عن أبى الطيب - وهو على بن سعد ،
وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات ، لأن ذلك قديم الوفاة . توفى بعد المائتين ،
وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلثمائة - قال سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت ممدوداً
في شعرى إلا هذا الموضع - خذ من ثنائى - وذلك أنه رأى بخط أبى الفتح - ابن جنى - :
* وقد فارقت دارك واصطفاك *

بكسر الطاء - هذا وقد قال أهل اللغة : إن الثناء ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم
أى أنه يستعمل في الخير والشر ، وأنشدوا :

أُثْنِي عَلَىَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَثَلِ رِيحِ الْجَوْرِبِ
وخصى بعضهم به اللدح .

(٣) دهش : تخير ، ومثله شدة . قال صاحب اللسان : دهش دهشا ، فهو دهش

وقال يمدح بدر بن عمار ارتجالاً وهو على الشراب والفاكهة والرجس حوله :
 إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابٌ هَطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ^(١)
 إِنَّمَا بَدْرٌ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابٌ^(٢)
 مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حِدَتَهُ جُهْدَهَا الْأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ^(٣)

ودعش فهو مدهوش ، وحكرها بضمهم وأدهشه الله وأدهشه الأمر ودعش الرجل — بالكسر — دهشاً : تهيّر ويقال : دعش وشه ، والله العاليه : دهش ، على فعل ، وللك الحفيظ : هو الموكل بالإنسان يكتب حسنه وسياته . يقول : لقد تهيّرت أمام أفعالك فلا أقدر أن أحسبها وأتّى بها ، وأقل من ذلك ما يهيّر الملك للموكل بك ، لأنه لم ير مثله من غيرك ، ولأنه لكثرة يجرى عن كتابته .
 (١) يقول : هو تفاع ضرار ، مثله في ذلك مثل السحاب الذي ينهل بالمطر وتنفض منه الصواعق ، فيه حياة لقوم ، وهلاك لآخرين . قال الواحدي : هذه الأيات مضطربة الوزن ، وهي من الرمل ، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن ، وهو في الأصل في المائرة ، ولكن لم يستعمل العروض هنا إلا مخدوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد :
 مِثْلَ سَحْقِ الْبَرْدِ عَفَّ بِمَذَكِ الْقَطْرِ مَفْنَاهُ وَتَأْوِيْبُ الشَّمَالِ^(١)
 غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن ، لأنه مصرع ، فبعت عروضه ضربه .
 (٢) جمل هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صاروا إياها كالشيء الواحد ، على حد قول الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَمَتْ حَتَّى إِذَا دَكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
 « تصف الخنساء وحشية تطلب ولدها مقبلة ومدبرة ، فجعلها إقبالا وإدبارا لكثرتها منها »

(٣) الطرف — بفتح الطاء — العين ؛ والجهد — بالضم — الطاقة ، أما بالفتح فهو المشقة ، وقيل هما لفتان : كالشهد والشهد ، والأيدى : فاعل حمدته . يقول : إنه لا يجيل رفه إلا على إحسان وإسادة ، فله في كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدي جهدها لأنه

(١) السحق : الثوب الخلق الذي انسحق وبلى ؛ كأنه بعد من الانتفاع به

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَزْجُو الذَّنَابُ^(١)
 فَلَهُ هَيْبَةٌ مَنْ لَا يُتَرَجَّى وَلَهُ جُودٌ مُرْجَى لَا يَهَابُ^(٢)
 طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَخْدَاقِ شَزْرُ^(٣)
 وَعَجَّاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ^(٤)
 بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْمَوَلِ الَّذِي لَيْسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ^(٥)
 بِأَبَى رِيحِكَ لَا تَزْجِسُنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ^(٥)

يملؤها بالعطاء ، وذهب اليازجى إلى أن الطرف بكسر الطاء - أى الفرس الكريم .
 قل : يقول التنابى : إنه ما أجال فرسه في الحرب إلا ملأ أيدي أوليائه من الغنائم فحمدته
 جهدها ؛ وضرب رقاب أعدائه فدمته . . .

(١) يقول : لا يقتل أعدايه ليستريح منهم لأنه أمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهجمه
 بقاؤهم ، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم القتلى ، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية
 أن يخلف رجاء الذئاب ، وهو لم يتود أن يخيب راجيا ؛ وهذا كقول مسلم :
 قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

(٢) يقول : إنه مهيب كل الهية ، وجواد غاية في الجود ، فإنه يهاب هية من لا يرجى
 العفو عنده ، وبجود جود سمع كريم يرجى إحسانه ولا تخشى مهايته .

(٣) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والعجاج : الغبار ، والنقاب : ما تستر
 به المرأة وجهها . يصفه بالحق في الطعن . يقول : إنه يصيب أحداق الفرسان والجو
 مظلم بغبار الحرب الذى كأنه نقاب للشمس يسترها ، وهذا كقوله :

* يضع السنان بحيث شاء محاولا *

(٤) يقول : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذى لا خلاص لمن
 وقع فيه

(٥) بأبى : تفدية . قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح الزجس « الذى
 بين يديه » وحديثه ألد من الشراب ، وليس هذا بما يمدح به الرجال : أى وإنما يخاطب
 بمثله المحبوب . .

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَزْتَ سَبْقًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ^(١)

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب :

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْجِيُّ عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ
تَشْكِي الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وَتَرْشِفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ؟^(٢)
وَأَوْهَمُ أَنَّ فِي الشُّطْرَنْجِ مَمًى وَفِيكَ تَأْمَلِي وَلَكَ انْتِصَابِي^(٣)

(١) برز : بذ وسبق ، وسبقا : مفعول مطلق ، كأنه قال إن سبقت سبقا ، والعراب : الخيل العربية . يقول : ليس بمستكر أن تسبق الناس وتبذم لأنك أهل ذلك ، كما أن كرام الخيل لا تدفع عن السبق . هذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن السبق العراب ، كما تقول هند غير مصروفة ، ولكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العراب جنس غير مدفوع . قال ابن جني : كان يجوز له أن يقول غير هذا ويقول : لا تدفع عن السبق العراب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا ، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة ؛ وقد يترن البيت بأن يقول :

* قط لا يدفع عن سبق عراب *

أقول : وابن قط لا يدفع عن سبق عراب من غير مدفوع عن السبق العراب ؟ ولكنه النحو والنحويون .

(٢) تشكى — بحذف إحدى التائين — أي تشكى ؛ وإليه : متعلق بتشكى ، والضمير في غيبته وفي إليه : للسحاب ؛ والرشف : المص ، وأصله أن تستقي مافي الإناء حتى لا تدع فيه شيئا ، والرضاب : الريق . يريد بيان ما ذكره في البيت السابق من العجائب . يقول : إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها ، وعند لقائه ترشف مائه كما يرشف العاشق ريق الممشوق .

(٣) يقول : إني أنما أتأمل في محاسنك لافي الشطرنج ، وأنتصب جالسا لأراك لا لأراه . والشطرنج فارسي معرب من شدرنج ، ومضاه — كما قال العكبري — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا . وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جرد حل : وهو الضخم من الإبل : هذا وقد قال ابن جني : إن هذه الأبيات لم أقرأها عليه ، وشعره عندي أجود منها ، وقال غيره هي مقروءة عليه بمصر وبشداد .

سَأْمِضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبِي لَيْتَنِي وَغَدًا لِإِيَابِي^(١)

وقال في لعبة أحضرت مجلس بدر على صبورة جارية وأديرته فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات :

يَاذَا الْمَالِي وَمَعْدِنَ الْأَدَبِ سَيِّدَنَا وَأَبْنَى سَيِّدِ الْعَرَبِ
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجَزَةٍ وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبْ^(٢)
أَهْدِهِ قَابِلَتِكَ رَاقِصَةً أَمْ رَفَعَتْ رِجْلَهَا مِنْ التَّصَبُّ؟

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرم التميمي ، وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه ، وكان له وكيل يتعرض للشعر ، فأغذته إلى أبي الطيب ينأشده ، فنقلاه وأجلسه في مجلسه ، ثم كتب إلى عليّ يقول :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَاقٌ ضُرُوبًا فَأَعْذَرُهُمْ أَشْفَهُمْ حَبِيبًا^(٣)
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟^(٤)

(١) يقول: إني سأمضي وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود إليك .

(٢) بكل معجزة : أى بكل مسألة يعجز الناس عن يانها والإجابة عليها ، فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبري : هذه أبيات رديئة عملها ارتجالاً في معان ليست هناك .

(٣) الضروب : الشكول والأصناف ؛ وأشفههم : أفضلهم . يقول : شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها ، وأحقهم بأن يعذر في العشق والحب من كان محبوبه أفضل ، وهذا كالتفديد للبيت التالي . هذا وقد ذهب بعض التراج إلى أن ضروباً : حال ، كأنه قال : الناس عشاق مختلفين في عشقهم . ولكن الأجود أن يكون منصوباً بوقوع الفعل عليه وهو العشق : أى ضروب الناس يعشقون ضروباً .

(٤) السكن : ما تسكن نفسك إليه وتهواه . يقول : فالذي أحبه أنا وتسكن إليه نفسي هو قتل أعدائي ، فهل من زيارة لهذا الحبيب ؟ أى هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفي قلبي كما يشفي قلب المحب زورته الحبيب ؟

تَنْظُرُ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ ، وَالنَّيْمِيَا^(١)
 وَقَدْ لَبَسَتْ دِمَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ حِدَادًا لَمْ تَشُقْ لَهَا جُيُوبًا^(٢)
 أَدَمْنَا طَنَمَهُمُ وَالْقَتْلَ حَتَّى خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمُ الْكُمُوبَا^(٣)
 كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمَا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمُ الْحَلِييَا^(٤)
 فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالزَّرِيَا^(٥)
 يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا فَتَى تَرْمِي الْحُرُوبُ بِهِ الْحُرُوبَا^(٦)

(١) ترد : أى تردد : والصراصر : جمع صرصرة ، وهو صوت النسر والبازي ونحوهما ، والنميب : صوت الغراب . يقول : هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتل فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينب الغراب ؟ جل صياح الطيور المبتعدة على القتل كأنه حديث يتحدثن به .

(٢) وقد لبست : أى الطير ؛ وعليهم : متعلق بحدادا ؛ والحداد : الثياب السود تلبس عند اللصية ؛ والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق اقميص ؛ وعند العامة : كيس يخط في جانب الثوب من الداخل ويحمل فيه من الخارج . يقول : إن هذه الطير تغوص في دماء القتل فتلتطخ بها وتنجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتل . يبدأنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تعمل ربات الحداد . هذا وقد روى دماؤهم — بالرفع — فيكون للمنى أن الدماء اسودت على القتل ، فكأنها لبست ثوبا غير ما كانت تلبس من الحرمة .

(٣) الكموب : جمع كعب ، وهو ما بين الأنوبتين من القناة . يقول : لم نزل نطنعنهم حتى كسرنا كموب الرماح فيهم فاختلطت في أبدانهم بعظامهم .

(٤) و (٥) القحوف : جمع قحف — بكسر القاف — وهو العظم الذى فوق الدماغ ؛ والججمة : العظم الذى فيه الدماغ ؛ والتريب : عظم الصدر ، والجمع : اثرائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : كأن خيلنا كانت في صفها تسقى اللبن في أحفاف رؤوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدرهم ونحن عليها لاتفر منهم ... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها .

(٦) الشوى من الحيل : قوائمها . يقال : فرس عبل الشوى ، والشوى من الآدميين اليدان والرجلان ؛ وقبل اليدان والرجلان والرأس ، وكل ما ليس مقتلا ؛ ومن هذا

شَدِيدُ الْخُزُونَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أُمُّ أُصَيْبًا^(١)
أَعَزَمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَثُوبًا؟^(٢)
كَأَنَّ الْفَجَرَ حَبٌّ مُسْتَزَارٌ يُرَاعَى مِنْ دُجْنَتِهِ رَقِيْبًا^(٣)

قولهم : رماء فأشواه : أى أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، قال الهذلى :
فإن من القول التى لا شوى لها إذا زلّ عن ظهر اللسان انفلأها
« أى إن من القول كلمة لا تنشوى ولكن تقتل » وقال الفراء فى قوله تعالى
« كلا إنها لظى » نزاعة للشوى — : الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع
وقحف الرأس : ويقال لجلدة الرأس شواة ، وقد توسعوا فى الشوى فاستعملوه فى كل
من أخطأ غرضا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل — وقد رويت خضبت — بالبناء
للمعلوم ، والضمير للخليل — ، يقول : إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت
قوائمها بالدم — ففى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلمها فرغ من حرب :
خاض حربا أخرى .

(١) الخنزوانة فى الأصل : ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمع لها بأنفه ، واستعيرت
للكبر . وتتمر . صار كالتمر غضبا . وقوله أصاب ، أى أصاب — بهمزة التسوية —
يقول : إذا غضب على أعدائه وقتلهم لا يبالي أقتلهم أم قتلوه .
(٢) الهمزة فى أعزى : النداء ، ويفرق : يخاف ، ويثوب : يرجع ، يقول .
— مخاطبا عزمه — انظر يا عزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الانتقام فأخبر
خشية أن يصاب فى جملة أعدائى ؟ وعبرة ابن فورجه : أراد : لعظم ما عزمت عليه
ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذى قتت به ، كأن الصبح يفرق من عزمى ، ويغشى أن
يصبه بمكروه ، فهو يتأخر ولا يثوب .

(٣) الحب : المحبوب : ويراعى : يراقب وينتظر ، والدجنة الظلمة ، والدجنة من
النعم المطبق تطبيقا والريان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال : يوم دجن ويوم دجنة
— وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة ، — والدجنة : الظلمة جمعها دجن
ودجنات ، والداجنة : المطرة المطبقة نحو : الديمة ، والضمير فى دجنته : ليل . شبه الفجر
بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيقا فتأخر زيارته خوف
الرقب — يريد طول الليل ، وأن الفجر ليس يطلع ، فكأنه حبيب يخاف رقيقا .

كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلَّى عَلَيْهِ وَقَدْ حُذِيتْ قَوَائِمُهُ الْجُبُوبُ^(١)
كَأَنَّ أَلْجَوْ قَاسَى مَا أَقَاسَى فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبُ^(٢)
كَأَنَّ دُجَاهُ يَحْذِيهَا سُهَادِي فَلَيْسَ تَغِيْبُ إِلَّا أَنْ يَغِيْبَا^(٣)
أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي
أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبُ^(٤)

(١) الجيوب : وجه الأرض ومنها ، من سهل أو حزن أو جبل ، وقيل الأرض الغليظة ، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، ولا يجمع . والحلى : مازين به من الذهب والفضة وغيرها ، وجمعها حلى : مثل ثدى وثدى ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى . قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون الحلى جمعا وتكون الواحدة حلية كهدية وهدي ؛ وحذيت قوائمه الجيوب : أى جعل الجيوب حذاء لقوائمه . يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تتأرقه ، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى ثقل الأرض على قوائمه .

(٢) الشحوب : تغير اللون من هزال ونحوه ، والضмир من سواده ليل ، ومن فيه : للجو . يقول : كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا : أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى مادفت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، والسهاد : السهر . يقول : إن سهاده يطول والليل يطول معه ، فكأن سهاده يجذب ظلمة الليل ، فهى لا تنقضى إلا بانقضائه ، وسهاده لا ينقضى ، وكذلك ظلمة الليل .

(٤) يقول : إني أقلب أجفاني فى ذلك الليل ، ولكثرة تقلبي إياها كأتى أعد على الدهر ذنوبه ، فكأن أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لاتكاد تنفى . كذلك تقلبي أجفاني كثير لا يفتى ، فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفاني فى ذلك الليل وأنا أرى نجومه كأتى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد . وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن :

أَنَا أَحْصَى فِيكَ النُّجُومَ وَلَكِنْ لِدُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصِيٍّ

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَادِي مَشُوبًا^(١)
وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا^(٢)
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْخَدَنَانِ حَتَّى لَوْ اُنْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبًا^(٣)
وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ اُمْتَلَيْنَا إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ اُخْطُوبًا^(٤)
مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا^(٥)
وَتَرْتَعُ دُونَ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِينَا فَمَا فَارَقْتُهَا إِلَّا جَدِيدًا^(٦)
إِلَى ذِي شَيْمَةٍ شَفَعْتُ فَوَّادِي فَلَوْلَاهُ لَقُلْتُ بِهَا النَّسِيبًا^(٧)

(١) بلحظ حسادى أى بلحظى حسادى . يقول : ليس لى وإن طال بأطول من نهار يشوبه - أى يخالطه - أن أنظر فيه إلى حسادى وأعدائى .
(٢) يقول : إذا كان لحسادى نصيب مئ فى الحياة وشاركونى فيها وعاشوا كما أعيش فليس للوت بأبغض إلى من تلك الحياة : أى أنه لا تحوله الحياة حتى يقتل حساده .
(٣) الخدنان : حوادث الدهر ونوبه ؛ ويقال : انتسب الرجل إلى فلان : إذا نسب نفسه إليه ؛ والنقيب : الخير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ما أصابنى من نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها .
(٤) يقول : لما أعوزتنا الإبل وقصدناها لقلة ذات اليد أدتني المحن والشدائد إلى المدوح ، فكانت مطايا ركنها إلى .

(٥) و (٦) رمت الإبل : رعت فى بحبوحة وخصب ؛ والجذب : ضد الخصب ؛ ومكان جديب : لا نبات فيه . يقول : إن الخطوب مطايا لا يبنى أحد ركوبها ، وهى لا ترعى نبات الأرض ، إنما ترعانا وتنازل منا . لما فارقتها عند وصولى إليك إلا جديداً لأنها رعتنى وأنت على فلم ترك منى شيئاً .

(٧) الشيمة : الخلق ؛ وتقول : شفقتى جبا وشفقتى ؛ والمعنى تيمنى وبلغت منى ، وشفقتى : من شفاف القلب ، وهو غلافه ، أو سويداؤه . والنسيب : التشبيب بالنساء فى الشعر . يقول : إن أخلاق المدوح شفقتى بحسبها . فلو لا مهابته واحتشامه لغزلت بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه .

تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ وَإِنْ لَمْ تُشَبِّهِ الرَّشَّاءَ الرَّبِيَّاءَ^(١)
عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبًا^(٢)
وَشَيْخٌ فِي الشَّابِّ وَلَيْسَ شَيْخًا يُسَمَّى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَاءَ^(٣)
قَسَا فَلَأَسْدُ تَفْرَعُ مِنْ قَوَاهُ وَرَقٌّ فَتَحْنُ تَفْرَعُ أَنْ يَذُوبًا^(٤)
أَشَدُّ مِنَ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ بَطْشًا وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبًا^(٥)
وَقَالُوا ذَاكَ أَرَمَى مَنْ رَأَيْنَا فَقُلْتُ رَأَيْتُمْ الْفَرَضَ الْقَرِيْبًا^(٦)

(١) الضمير في هواها : للشيمة ؛ والرشاء : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ؛ والربيب : المربي . يقول : إن كل نفس تمسق أخلاقه كما أعشقها أنا . فهي محبوبة إلى كل إنسان ، وإن لم يكن بينها وبين الرشاء شبه ، لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التي تشبه بها الحسان .

(٢) عجيب : خبر مبتدأ محذوف يعود إلى المدحوع ؛ وعجيبا : خبر ما العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب في الزمان ، وليس ما يأتي من آل سيار عجيبا ، لأنهم الناية في المجد والكرم .

(٣) وليس شيخا إلخ : أي ليس كل من بلغ الشيب يسمى شيخا ؛ فشيوخا : مفعول ثان مقدم ليسمى ؛ وكل : يجوز أن يكون اسم ليس ، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع . يقول : هومع أنه شاب — في حكمة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ؛ ورب إنسان غيره بلغ للشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه .

(٤) قوله من قواه : يروى من يديه . يقول : قسا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلسه قد رزق طبعا وكرمًا حتى لتخاف أن يذوب ؛ ويقال فلان يذوب ظرفا : إذا لان جانبه ، واحلوت شيمته .

(٥) الهوج : جمع هوجاء : وهي الشديدة العصف في حق وطيش . والبطش : الأخذ بقوة ؛ والندى : الجود ؛ وبطشا وهبوبا : نصبا على التميز ؛ وقال آخرون : هما مصدران وقعا موقع الحال . يقول : هو لدى الوغى أشد بطشا من هوج الرياح ، ولدى الجود أسرع منها في العطاء .

(٦) الفرض : الهدف يرمى بالسهم . يقول : إن الناس يقولون : إنه أرمى من رأيناه

وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا^(١)
 إِذَا نُسِكتْ كِنَانَتُهُ اسْتَبْنَا بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نَدُوبَا^(٢)
 يُصِيبُ بِيَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَا تَصَلَتْ قَضِيْبَا^(٣)
 بِكُلِّ مُقَوِّمٍ لَمْ يَنْصَحِ أَمْرًا لَهُ حَقٌّ ظَنَّنَاهُ كَيْبَا^(٤)
 يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ وَبَيْنَ رَمِيهِ الْهَدَفَ أَلْمِيَا^(٥)

رمى السهام ، قلت : إنكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه . فكيف لو رأيتموه
 يرمى الغرض البعيد ؟

(١) الرمايا : جمع رمية ، اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد . يقول :
 إنه صائب الفكرة فهو يرمى المنيات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره ، فكيف لا يصيب
 الحسات بسهامه ؟

(٢) و (٣) الكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام ؛ ونسكت : قلبت على رأسها
 لينثر ما فيها ؛ واستبنا : تبينا ورأينا : والندوب في الأصل : آثار الجروح ؛ والمراد هنا
 مطلق الأثر ؛ والأفواق : جمع فوق ، وهو موضع الوتر من السهم . يقول : إذا نثرت
 كِنَانَتُهُ وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثاراً في نصوله لسرعة رميه ورميه إياها
 على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضاً من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها
 فوق السابق ، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لاتصل بعضها ببعض وصارت مستوية
 كالقضيْب . وكان الوجه أن يقول : بأفوقها لأنصلها ندوبا بدليل البيت الثاني ، ولأن
 النصال إذ ذاك لا تقابل ، اللهم إلا إذا كان يريد بالأنصل : السهام ، لا الحديد بخصوصه .
 (٤) بكل مقوم : بدل من قوله ببعضها : أي يصيب بكل سهم هذه صفته . يقول :
 إن سهمه يتجه كيف شاء ، فكأنه عاقل يأمره فيطيع .

(٥) النزع : جذب الوتر للرمى ؛ وضمير منه : للسهم ؛ والرمى المرمى ، فهو فيعل
 بمعنى مفعول ؛ والهدف : بدل من رميه . يقول : إذا جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه
 نارا بين القوس والهدف ، وذلك أن حفيف السهم في سرعة صوره يشبه حفيف النار
 في التهاها ؛ والعرب إذا وصفت شيئاً بالسرعة شبهته بالنار ؛ ومنه قول العجاج يصف
 سرعة مشي الحمار والأتان :

أَلَسْتَ ابْنَ الْأَوَّلَى سَعِدُوا وَاسَادُوا وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرًا إِلَّا نَجِيًّا^(١)
وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالْحَزْمِ هَوْنًا وَصَادَ الْوَحْشَ تَمْلَهُمْ دَيْبِيًّا^(٢)
وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرَابِ طِيًّا^(٣)
أَيًّا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ وَعَادَ زَمَانُهُ السَّالِي قَسِيًّا^(٤)

كأنما يستضمرمان العرجا^(١)

(١) الأولى بمعنى الدين : والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك ، وسعدوا ؛ من السعادة ؛ والنجيب : الكريم .

(٢) يقول : وأنت ابن الذين أدرکوا بحزمهم ما طلبوا في رفق وأناة وتؤدة فأدرکوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب . وجعل الوحش مثلاً للمطلوب البعيد ؛ ودبيب النمل مثلاً لرفقهم ولطف تأنيهم .

(٣) يقول : إن الطيب الذى يتسوع من الرياض ليس لها في الحقيقة ولكنه شيء أفادته من دفن آباءه في التراب ، وهذا من قول أبي تمام :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فِطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

(٤) الضمير في زمانه : للمجد ، والقشيب الجديد ، قال ابن جني : معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : إن روح مجد آباءه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور ، وتجدد زمانه بعد انقضائه ، وقال آخرون : معناه يا من عاد به روح المجد في المجد ، أى أن المجد كان ميتاً فعاد به حياً وعاد الزمان الذى كان بالياً جديداً به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال :

سألت الندى والمجد حيّان أتما وهل عشتما من بعد آل محمد

فقلا نعم متنا جميعاً وضمنا ضريحاً وأحياناً ديس بن مزيد

(١) العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار ، ولهبه شديد الحرارة ، ويبالغ بحمته فيقال : كأن لحيته ضرام عرفة .

تَبِمَنَى وَكَلِّكَ مَادِحًا لِي وَأُنْشِدَنِي مِنَ الشَّعْرِ الْغَرِيْبِ^(١)
فَاجْرَكَ إِلَهُهُ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَ إِلَى السَّيِّحِ بِهِ طَبِيبًا^(٢)
وَلَسْتُ بِمُنْكَرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أَدِيًّا^(٣)
فَلَا زَالَ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا^(٤)
لَا صَبِيحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا^(٥)

(١) تبمنى قصدنى ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كرم بن الفضل رحمه الله
قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين العامى للقلب بالمشوق
قال : كنت عند للتنبى فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات :

فَوَادَى قَدْ انْصَدَعَ وَضُرْسَى قَدْ انْقَلَعَ
وَالْيَالِ عَقْلَى قَدْ انْهَوَى وَمَا رَجَعَ
يَا حَبَّ ظُبَى غَنَجَ كَالْبَدْرِ لَمَّا أَنْ طَلَعَ
رَأَيْتُهُ فِي بَيْتِهِ مِنْ كَوَّةٍ قَدْ اطْلَعَ
فَقُلْتُ تَهْ تَهْ تَهْ وَتَهْ قَالُوا لِي مَرَّ يَالْكَعْ
هَاتِ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ
وَضَعْ بِكَفَى وَفَى جِئِى أَدْعُكَ أَنْ تَضَعْ

فهذا الذى عناه للتنبى بقوله : وأنشدنى من الشعر الغريب .

(٢) آجره الله : أثابه ؛ جعل نفسه كالسيح ؛ وهذا الشاعر كليل قد جاء ليدأوى
السيح الذى يحى الموت ويبرئ الأكمة والأبرص ، وإذا فلا حاجة به إلى طبيب ؛ ولا سيما
إذا كان الطبيب عليلا .

(٣) جعله شمسا لشرفه وعموم منفعة ، يدعوه بأن لا تزال دياره مشرقات بنوره
وبأن لا يشرف على الغروب : أى لا يموت .

(٤) لأصبح : تعليل للدعاء السابق : يقول : أنا آمن عليك من العيوب فإنها
لا تضرىك ، ولكن الذى أخشاه أن نرزا فىك ، فأنا أدعو الله أن يريك الرزايا لأصبح
آمنا فىك المذورين معا .

وقال يصف مجلسين لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن طنج ، قد انزوى أحدهما
عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه :

لِلجَلْسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَ الْأَدَبَا^(١)
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا، مَالٍ ذَارِهًا وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا، مَالٍ ذَارِهًا^(٢)
فَلَمْ يَهَابْكَ مَا لَا حِسَّ يَرُدُّهُ إِنِّي لَأَنْصِرُ مِنْ شَأْنِهِمَا عَجَبًا^(٣)

وقال وقد استقل في القبة ونظر إلى السحاب :

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا فَقُلْتُ لَيْتَكَ إِنْ مَعِيَ السَّحَابَا^(٤)
فَإِسْمُ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكِ الْمَرْجَى فَأَسْكَتَ بَعْدَ مَا عَزَمَ أَنْسِكَابَا^(٥)
وأشار إليه طاهر العلوي بمسك وأبو محمد حاضر قتل :

الطَّيْبُ مِمَّا غَنِيَتْ عَنْهُ كَفَى بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طَيِّبًا
يَبْنِي بِهِ رَبُّنَا لِلْمَالِ كَمَا بِكُمْ يَنْفِرُ الذُّنُوبَا^(٦)

(١) و (٢) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن
الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسن الأدب تميزا فإنك إذا صعدت إلى
أحدهما جلست عليه مال الآخر عنه هية لك .

(٣) يقول : إذا كان مالا حس له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره ؟

(٤) و (٥) قفلا : رجنا ، وإليك بمعنى اكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا
نظر إليه يرجو المطر ، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله قسم — البيت
— يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة
في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقرا إلى سقيه ، ثم قال : إنه لما قال ذلك للسحاب
أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده .

(٦) ضمير به للأمر . والخطاب في بك لمطاهر العلوي ، وهو من نسل الزهراء كريمة
سيدتنا رسول الله عليه وسلم ، ومن ثم قال : كما بك ينفر الذنوبا .

(١٨ — الثاني)

وقال وقد استحسّن عين باز في مجلسه :

أَيَا مَا أَحْيَيْسِنَهَا مُثْلَةً وَلَوْلَا الْمَلَاَحَةُ لَمْ أَعْجَبِ^(١)
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيَّهَا سُوَيْدَاهُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ^(٢)
إِذَا نَظَرَ الْبَاَزُ فِي عِطْفِهِ كَسْتُهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنَكِبِ^(٣)

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى^(*) :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَّ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
وَرَدُّوا رُقَادِي فَهَوَّ لِحَظُ الْخَبَائِبِ^(٤)

(١) التصغير في ما أحيسنها : مبالغة في الاستحسان ؛ وقوله لم أعجب : أى لم أقل ما أحيسنها : أى لولا حسنها لم أقل ذلك .

(٢) خلوقية : نسبة إلى الخلق ضرب من الطيب أصفر اللون — وفي خلوقها : خبر مقدم ، وسويداء : مبتدأ مؤخر يقول : هذه القطة صفراء مثل لون الخلق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

(٣) يقول : إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا .
* قالوا : إن الأمير أبا محمد بن طنج لم يزل يسأل المتنبي أن يخلص أبا القاسم طاهراً العلوى بقصيدة من شعره وأنه قد اشتى ذلك ، وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه ؛ فقال أبو محمد : عزمت أن أسألك قصيدة تنظمها في فاجلها فيه .
وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفى : فسررت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبى الطيب فركب معنا حق دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريرته والتقاء مسلما عليه ؛ ثم أخذه يده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلا .
ثم أنشد أبو الطيب غزل على — للوقت — خلعا نفيسة . قال على بن القاسم الكاتب : كنت حاضرا هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعرا جلس المدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبى الطيب ؛ فإني رأيت هذا التريف قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى التى بداندباها للنهود ، والخبائب : جمع خبيبة ولحظ الخبائب أى رؤيتهن . قول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظن الأجرة فليس هناك

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْهِمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غِيَابٍ^(١)
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هَذَبٍ بِحَاجِبٍ^(٢)
وَأُخْسَبُ أَنِّي لَوْ هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ
لَفَارَقْتُهُ وَالْأَمْرُ أَخْبَثُ صَاحِبٍ^(٣)

صباح إلا بردهن ، وقد نفي عن الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن ، والمعنى ردوهن على حق يرتد صباحى ورقادى .

(١) مدهمة: شديدة السواد ، والنياهب : الظلمات ، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره في البيت السابق . يقول : لما رحلت لم أبصر بعدكم شيئا : أى بكيت حتى عميت ، فأض نهارى ليلا حالك السواد . وعبرة الواحدى : يريد أن جفونه مختومة بعدهن لم تنفتح ، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الأول : أى غلب عنى الكواعب فغاب صباحى بعدهن ، لأن الدنيا تنظم فى عين المهزون ، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومي وقد قدتهم منذ فارقت الرقاد . رالعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر .

(٢) بعيدة : بدل من مقلة — فى البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهى خبر ابتداء محذوف أى هى بعيدة ، والهدب : الشعر النابت على أشجار العين ولكن المراد بأعلى كل هذب : ما نبت على الجفن الأعلى فهو عام قد خصص . ونس عبارة الواحدى : إذا حمل قوله كل هذب على العموم فالحاجب ههنا بمعنى المانع لأننا إذا حملنا الحاجب على المهود كان مغمضا لأن هذب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض ، وإذا حملنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام : وإن حملنا الحاجب المهود حملنا قوله كل هذب على التخصيص ، وإن كان اللفظ عاما ، وهذا مثل قول الآخر :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّمَا قَفَاهُ إِلَى صُلْبِي بِخَيْطٍ مُخَيَّطٍ
يقول : إن عينيه لا تطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكان أعلى أهدابها قد عقدت بالحاجبين ، وهذا مثل قول بشار بن برد :

جَفَتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
(٣) يقول : إن الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لواصلتمونى : يعنى أن

فَيَاكَلَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبِّي مِنْ الْبُؤْسِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ ^(١)
 أَرَاكَ ظَنَنْتَ السَّلَكَ جِسْمِي فَمَقَّتِهِ عَلَيْكَ بِدْرَةٌ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ ^(٢)
 وَلَوْ قَلَمَ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ مِنْ الشُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ ^(٣)

من أهواء يعد عني ، ومن أجتوبه يقرب مني لسوء صحة الدهر إياي ، فقله لفارقه :
 أي لفارقت الفراق مضطراً بحكم الدهر — وفي هذا يقول بعضهم :

أَرَى مَا أَشْتَهِي يَفْرُؤُنِي وَمَا لَا أَشْتَهِي إِلَيَّ يَأْتِي
 وَمَنْ أَهْوَاءُ يُبْخِضُنِي عِنَاداً وَمَنْ أَشْنَاءُ يَشْبَثُ فِي لَهَائِي
 كَأَنَّ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِثَأْرِ فَلَيْسَ بِسُرٍّ إِلَّا وَقَائِي

وقال المكبري : قوله لفارقه : كان الوجه أن يقول لفارقتي ، لكنه قلبه لأن من
 فارقك قد فارقته ، وهذا من باب القلب . ثم قال : وكان حقه أن يقول أخبت
 الأصحاب لأنه أراد خبت من يصبه ؛ وإذا كان اسم الفاعل في مثل هذا يجوز فيه
 الإفراد والجمع كقوله تعالى « ولا تكونوا أول كافرين » أي أول من يكفر :
 وأنشد الفراء :

وَإِذَا هُمْ طَمِعُوا فَأَلَامُ طَاعِمِهِ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيعِ
 فَأَتَى الْأَمْرَيْنِ جِمَا :

(١) يقول : ليت أحبتي وأصلوني مواصلة المصائب ، وليت المصائب بعدت
 عني بدم . يعني أن المصائب ملازمة له فهو يتعنى أن تكون أحبته كذلك وهذا كما
 قال أيضاً :

ليت الحبيب الماحري هَجَرَ الكرى من غير جرم وأصلى صلة الضنا
 (٢) أراك أظنك ، والسلك الحيط الذي ينظم فيه الدر وغيره ، وقوله عليك بدر
 يريد بدر عليك تقدم الجار والمجرور ، والترايب موضع القلادة من الصدر يقول :
 أظنك حسبك السلك الذي في قلادتك جسمي لمشابهة إياه في الدقة خلعت بينه وبين
 ترايبك بالدر للنظوم فيه كالأيلامس صدرك ، أي أن ولوعك بمشاقق حملك على منافرة
 كل ما يشاكلني ، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصاله وهو من معاني التنبؤ البديعة .
 (٣) يقول : لشدة متعنى نعلت حتى لم يبق لي جنان يحس به فلو ألقيت في شق

تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ ^(١)
وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَى مُحَجَّلِي يَطُولُ اسْتِغَايَ بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ ^(٢)
يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً وَتُقَوِّعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ ^(٣)
كَثِيرُ حَيَاةِ اللَّزْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ ^(٤)

قلم ، لم يتخير بي خط كاتب ، وهذا من مبالغات الشعراء ، وقد اقتنوا في هذا المعنى كل الاقتنان فمن ذلك قول بعضهم :

ذُبْتُ مِنَ الْوَجْدِ فَلَوَزَجَ بِي فِي مُقَلَّةِ الْوَسْطَانِ لَمْ يَنْتَبِهْ
وقول الآخر :

فَأَسْتَبِقِ مَا أَجَبْتَنِي لِي فَلَمَّاعِي يَوْمًا أَقِيكَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ
مِنْ مُنْهَجَةٍ ذَابَتْ أَسَى فُلُوتَانِهَا فِي الْعَيْنِ لَمْ تَنْصَحْ مِنَ الْإِغْثَاءِ

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر ، والذى خوفته به هو الهلاك ؛ وتقدير اللفظ : تخوفنى بشئ دون الذى أمرت به : أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت ، لأن فيها عارا ، والعار شر من البوار ؛ والضمير فى تخوفنى . للحبيبة ، أو العاذلة : وعبلرة ابن جنى : تخوفنى الهلاك وهو عندى دون العار الذى أمرتنى بارتكابه .

(٢) يقول : لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعادى فأسمع بعده صياح النوادب عليهم ؛ والأغر فى الأصل : الذى فى وجهه بياض ، والمحجل : قال أبو عبيدة : المحجل من الحجل أن تكون قوائمه الأربع أيضا يبلغ البياض منها ثلث الوطيف أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين ، المرقوين — وأغر محجل كما ترى من صفات الحجل — استعارها لليوم ؛ يريد يوما مشهورا يمتاز عن الأيام كما يمتاز الفرس بالفرقة والتحصيل .

(٣) العوالى : صدور الرماح ؛ أى الأسنة ؛ والقواضب : السيوف القواطع يقول : مثلى إذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف : يريد أنه يتوصل إليه وإن كان دونه حروب وأهوال .

(٤) كثير : مبتدأ ، ومثل : خبر أول ؛ ويزول : خبر ثان ؛ يحث على الشجاعة

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى
عُضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ ^(١)
أَتَانِي وَعِيدُ الْأَدْعِيَاءِ وَأَنْتَهُمْ أَعَدُّوْا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ ^(٢)
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَخَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ ^(٣)

والإقدام وينهى عن الجبن . يقول : إن طول العمر وقصره سيان لأن نهاية كل منهما الزوال ، وما بقى من العيش لا حق بما ذهب فهو في حكمه ، وإذن لا وجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومي :

رَأَيْتُ طَوِيلَ الْعُمُرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مُنْقَضًا إِلَى غَايَةِ تَرَى
قَالَ الْعَكْبَرِيُّ : وهذا من كلام الحكماء . قال الحكميم : أواخر حركات الفلك كأوائلها وناشئ العالم كلاشيه في الحقيقة لا في الحس :

(١) إليك : اسم فعل بمعنى كفى . يقول : كفى عني فإنني لست ممن إذا خشي الهلاك صبر على الدل والهوان . جعل الأفاعي مثلا للهلاك لأنها تقتل بسما دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للدل والهوان لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر ، فيكون أطول عذابا ، وأمر آلاما وإليك كلمات الشراح . قال ابن جني : لست ممن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان ، فشبه الأفاعي بالعظيمة والعقارب بالدل . وقال الواحدى : جعل عض الأفاعي لكونه قاتلا مثلا للهلاك وجعل لسع العقارب مثلا للعار لأنه لا يقتل قال ابن فورجه تعليقا على هذا : من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى ، إنما يريد أن العار أيضا يؤدي الإنسان ذا المجد إلى الهلاك لتعير الناس إياه بل هو أشد لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة فجعل الأفاعي مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار .

(٢) الأدعياء جمع دعى وهو المنتسب إلى غير أب يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوءا وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب .

(٣) يقول : لو كانوا قد صدقوا في دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم في الوعيد أيضا فخذرتهم ، ولكنهم إذ كذبوا في نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدي صادقا ؟

إِلَى لَمْعَرَى قَصْدُ كُلِّ عَجِيْبَةٍ
بَأَى بِلَادٍ لَمْ أَجِرْ ذَوَاتِي
كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ
فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرْدَنْ فِنَاءَهُ
فَتَى عَاسَتْهُ نَفْسُهُ وَجَدُوهُ
كَأَنِّي عَجِيْبٌ فِي عُيُونِ الْمَجَابِ (١)
وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأْ رَكَابِي (٢)
فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٣)
وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وَرُودَ الْمَشَارِبِ (٤)
قِرَاعَ الْأَعَادِي وَأَبْذَالَ الرَّغَائِبِ (٥)

(١) يعرض بالذين توعدوه . يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فأني لا أزال أتعثر بالمعائب حتى لكأنها بذلك تتعجب من صبري وأنا في وعلو همي فهي تيمنى وتنسل إلى من كل حذب .

(٢) ذؤابة النمل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه ، ويروى بدل ذؤابتى ذؤاتي ، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول : إنني لم أدع موضعاً من الأرض إلا جولت فيه .

(٣) الكور : الرجل ، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوي الذي قال فيه المتنبي هذه القصيدة . وهذا البيت من أبدع ما قيل في حسن التخلص . يقول : كما أن مواهب المدوح لم تدع مكاناً إلا أنه كذلك أنا لم أدع مكاناً إلا أتيت ، فكأنني امتطيت ظهور مواهبه .

(٤) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب المدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هي العادة — أن يردّها الشاربون ولكنها هي ترد الشاربين ، فقوله يردن أي المواهب وهو من ورود الماء ، والفناء الساحة والنزل ، والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود : مفعول مطلق ليردن مضاف إلى مفعوله . وعجالة الخطيب التبريزي : كأنهم قد وردن عليه ورود الناس المشارب لينتفعوا بها : يعني أن هذه منفعة للخلق الذي ترد إليه كما ينفع الماء وارده . وقريب من معنى البيت قول القائل

إذا سألوا شكرتهم عليه وإن سكتوا سألتهم السؤال

(٥) الابتذال : مثل البذل ؛ والرغائب : جمع رغبة ، وهي الشيء المرغوب فيه . يقول : إن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان ؛ والأعادي : يروى العوالي ، وهي صدور الرماح .

فَقَدْ غَيَّبَ الشَّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ ^(١)
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ أَغْزَاهُ أَمْحَاهُ مِنْ خُطُوطِ الرِّوَابِجِ ^(٢)
أَنَاسَ إِذَا لَاقُوا عِدَى فَكَأَنَّمَا سِلَاحُ الَّذِي لَاقُوا غُبَارُ السَّلَاحِ ^(٣)

(١) الشهاد : جمع شاهد ، بمعنى حاضر . يقول : إنه غيب عن وطنه كل من ليس من دينه السفر لأن سخاءه يدعوم إليه ، وردهم إلى الأوطان بعد أن غمهم بنصه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره .

(٢) الندى : مبتدأ ، وأعن : خبر ؛ وأصل البنان : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا : الأكف . وقد روى بدل في بنانهم : في أكفهم ؛ والمدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج على ابن أبي طالب ، ومن ثم قال : كذا الفاطميون . يقول : إن الجود لا يفارقهم حتى إن خطوط الروابج قد يمكن أن تمحى منها والجود لا يمحي من أكفهم ، وهذا وثقت فرق بين الفاطميين وبين العلويين ؛ فالفاطميون هم أولاد فاطمة من ولدها الحسن والحسين ، فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين ؛ وأما العلويون فهم من ولد على يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن علي وعمر بن علي ومحمد بن علي بن الحنفية ، والروابج : واحدها راجبة ، وهي مفاصل أصول الأصابع التي تلى الأنامل وقيل : هي بواطن مفاصل أصول الأصابع وقيل هي ظهور السلايات وقيل هي ما بين البراجم من السلايات وقيل هي مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاجع التي تلى الكف ؛ وقال ابن الأعرابي : الراجبة البقعة للمساء بين البراجم ، والبراجم الشنجات في مفاصل الأصابع في كل أصبع ثلاث برجات إلا الإبهام .

(٣) السلاهب : جمع سلهب ، وهو الفرس الطويل . يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يباؤون به ولا يكثرثون ، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم ؛ وخص السلاهب لأنها أسرع وغبارها رقيق وألطف . وقال الواحدى : يجوز أن يكون السلاهب خيل المدوحين ويقال : فرس مسلح أى ماض ، ولذا قال الجوهري : السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهب ، وإذا قيد اجلعب ، وإذا اتصب اتلاب . . « اسلهب : امتد ، واجلعب انبسط ولم يتقبض : واتلاب : أقام صدره ورأسه »

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِسِيَّ فَجَحَّتْهَا دَوَايِ الْهُوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ^(١)
أَوْلَيْكَ أَحَلَّى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُحُورِ الشَّبَابِ^(٢)
نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا أَبْنَهُ بَيَوَاتِرِ مِنَ الْفِعْلِ لَا قَلَّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ^(٣)
وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِي أَتَى أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ^(٤)

(١) الضمير في نواصيها : السلاهب ؛ وهي جمع ناصية ، مقدم شعر الرأس ؛ ومنه نواصي الناس أى أشرافهم . قالت أم قبيس الضبية :

وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتُ الْغَائِبِينَ بِهِ فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٍ
وَجَحَّتْهَا : أى جئن القسي : أى بلغت السلاهب القسي ؛ والهوادي الأعناق .

ودواي : حال ؛ وأسكن الياء ضرورة . يقول : إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تثن حتى وصلت إليهم ، وقد رميت أعناقها دون أعطانها وأعجازها لأنها صممت على الإقدام لا تنحرف يمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها وصلت سائر أعضائها ، وفي سبيل هذا المعنى يقول بعضهم :

شَكَرْتُ جِيَادَكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا فِي الْحَرِّ بَيْنَ بَرِاقِعٍ وَجِلَالِ

فجزتكم صبراً في الوغى حتى اشتت جرحى الصدور سواكم الأ كفال

(٢) الشباب : جمع شببية ، وهو أيضاً جمع شبة : مثل ضرة وضرائر ؛ أما الشابة فجمعها شواب . تقول : نسوة شباب وشواب ، قال الراجز :

مَجَازًا يَطْلُبْنَ شَيْئًا ذَاهِبًا يَخْضِعْنَ بِالْخَنَاءِ شَيْئًا شَائِبًا

• يَقْلُنَ كَنَّا عَرَّةَ شَبَابِهَا •

يقول : هم أحلى في القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها ، وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

(٣) يريد بلى : على بن أبى طالب كرم الله وجهه . لأن المدوح علوى ؛ والبواتر : السيوف القواطع : والفل ؛ التلم والمضارب : جمع مضرب ، حد السيف . يقول : أتيت من الفعال ما عززت به فعال أليك ، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له ، وقد سلمت أفعالك من الصوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول في مضاربها .

(٤) التهامي : يريد به سيدنا رسول الله . قال ابن جني : قد أكثر الناس القول

في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا . ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر وردائه . يقول المتنبي : إن أبهر آيات النبي أنه أبوك ، وكونه أباك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين . أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة - على رواية إحدى بدل أجدى - وروى بعضهم البيت هكذا

وأكبر آيات التهامي آية

أبوك : يعني أن علي بن أبي طالب أبا المدح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله ؛ وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة . وقال العروضي : هذا بيت حسن المعنى ، مستقيم اللفظ ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في الشعر لم أبعد عن الصواب ؛ ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم ؛ ومعنى البيت : إن كفار قريش كانوا يقولون إن محمدا صنوبر - أي منفرد أبتر لا عقب له - فإذا مات استرحنا منه ، فأُنزل الله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - أي الكثير ، ولست بأبتر كما قالوا ؛ ما شئت لك : فهو الأبتر فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي وآية لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك أجدى مالكم من مناقب ، ثم قال : فلن قيل : الأنساب إنما تتحد بالآباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر :

بَنُونَا بَنُو أَبْنَانَا - وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ (١)

قلنا : هذا خلاف حكم القرآن العزيز ، قال تعالى « ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - ويحيى وعيسى » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامي ؛ فإن الله أنزل في التوراة على موسى : إني باعث نبيا من تهامة من ولد إسماعيل في آخر الزمان ؛ وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات أخر ، فأنكر اليهود نبوته . فقال صلى الله عليه وسلم : أنا النبي التهامي الأمي الأبطلحي ، فلا أدري كيف تمموا على المتنبي لفظة افتخر النبي بها .

(١) قيل إنه للفردق ؛ وبنونا خبر مقدم ؛ وبنو أبناتنا مبتدأ مؤخر أي أن بني أبناتنا مثل بنينا .

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسَبِ كَأَصْلِهِ
فَمَاذَا الَّذِي تُفْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ^(١)
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدِ وَلَا بَعَدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ^(٢)

(١) النسب : ذو النسب الشريف ، والمنصب : الأصول . يقول : إذا لم تكن نفس النسب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كريم . يعني : إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيراً ما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال :
وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَةٍ
وقال أبو يعقوب الحريري :
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِمَحَادِثٍ مِنْ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ
وقال البحرى :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَقِ حَسَبًا حَتَّى يَرَى فِي فَعَالِهِ حَسَبُهُ

(٢) الأشباه : جمع شبه بمعنى شبيهه والبيت كالتثنية لما ذكره في البيت السابق . يقول : إن صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول ؛ فإذا ادعى قوم نسباً وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب ، وكذلك القول في الأقارب وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الأعداء . وإليك عبارة الواحدى : لم أجد في هذا البيت ياناً شافياً ولا تفسيراً مقنعاً وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيراً للبيت والذي يصح في تفسيره أنه يقول : الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب في النسب والأشباه من الأقارب لا يبعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضاً كقوله :

* الناس ما لم يروك أشباه *

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه : فعنى البيت : لم يقرب شبه قوم أباعد أى لا يتقاربون في الشبه ولا يشبه بعضهم بعضاً ولا يبعد شبه قوم أقارب ؛ يريد أنهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه . أقول وهذا لعمرى من الواحدى غريب : وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب ؛ وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد .

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ^(١)
يَقُولُونَ تَأْيِيدُ الْكَوَاكِبِ فِي الْوَرَى

فَمَا بَالُهُ تَأْيِيدُهُ فِي الْكَوَاكِبِ^(٢)

عَلَّا كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ^(٣)
وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُذْرِكَ مَالَهُ يَذْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ^(٤)

(١) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداء على بن أبي طالب رضي الله عنه . يقول :
إذا لم يكن العلوي تقياً ورعاً كطاهر — وهو المدحوح — كان حجة لأعداء أبي تراب ،
لأنهم يستدلون بتقصه على نقص أبيه : وهذا من قوله عليه السلام الولد سر أبيه ، وفي
المثل من أشبه أباه فما ظلم وقل بعضهم ؛

شريف أصله أصل شريف ولكن فعله غير الحيد
كأن الله لم يخلقه إلا لتنمطف القلوب على يزيد

(٢) يقول : إن الناس تقول : إن الكواكب تؤثر في الخلق — يريد ما يذهب
إليه النجمون من السعد والنحس — ولكن المدحوح يؤثر في الكواكب ، إذ يحمل
النحوس بحكم النجوم سعيداً بما يفيض عليه من نعمته ؛ وكذلك يحمل السعيد بحكم النجوم منحوساً
بما ينزله به من نعمته ، فلا يستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد . وقال ابن فورجه :
تأثيره في الكواكب إثارته الغبار حتى لا تظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر
الكواكب بالنهار . هذا ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ محذوف الخبر
تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أي
قوله في الوری :

(٣) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والذلول النقادة التي تذلل لراكبها .
يقول : إنه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له انقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به إلى كل
غاية قصدها . هذا ومن روى علا فعلاً ماضياً نصب به كتد ؛ ومن خفض كتد على
الجاره فهي متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد .

(٤) يقول : خلق به أن يسبق الناس في سبيل المعالي وهو لا يتكلف لذلك جهداً ،
ويدرك ما لم يدركوه من غير ما طلب وسى ؛ يعني أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طبعه

وَيُحْدِثُ عَرَانِينَ لِلْمُلُوكِ وَلِأَهْلِهَا
يَدُّ لِلزَّيْمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
لِتَقْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ^(٢)
هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ
وَشِبْهُهُمَا شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ^(٣)
يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ
بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِأَيَّامٍ^(٤)

الله عليه من الفضل وعلو المعة ، وهذا مالا يكتسب ويدرك بالسي والاجتهاد . هذا
وقد قال الفراء : حق لك أن تفعل ذلك وحق وإني لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق
قلت لك وإذا قلت حق قلت عليك ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك
(١) العرانيين : الأنوف ، وعرانين : مفعول ثان ليحدثي ؛ والمفعول الأول : نائب
فاعل يحدثي - ألقى يهود على المدحوح . يقول : وجدير به أن تجعل عرانيين الملوك أحذية
له يطرؤها بقدميه ، ولو هو فعل ذلك لكنت في أجل المراتب لأنها تتصرف بوطأته .
(٢) يد : خبر مقدم ؛ والجمع : مبتدأ مؤخر ؛ واليد : النعمة ؛ ومعنى البيت مأخوذ
من قول أبي تمام :

إذا العيسُ لا قَتَّ بي أباً ذَلْفَ فَقَدْ تَقَطَّعَ ما بيني وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
(٣) هو ابن رسول الله لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ، وابن
وصيه لأنه ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ، وسيدنا علي هو وصي سيدنا رسول الله . وقوله
وشبههما : أي وهو شبههما ، وقوله شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ : كلام مستأنف . يقول : شبهته
بهما بعد تجربتي واختباري إياه ، فليس تشبيهي عبثاً .
(٤) اسم أن محنوف هو ضمير الشأن ؛ وما الأولى : نافية بمعنى ليس ، والثانية :
بمعنى الذي ، والتقدير : يرى أنه ليس الذي ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالنق
ونحوه بأقتل له مما ظهر لظمن غائب . يقول : إنه يرى العيب أشد من القتل ، وهذا من قول
أبي تمام :

فَقَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ^(١) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعِيوبَ الْمُقَاتِلُ
وقال ابن جني : ما الأولى زائدة ، والثانية بمعنى الذي ؛ واسم أن مضر فيها .

(١) الفرصة : لحمة عند تنفض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب وها
فرستان ترتعدان عند الفرع .

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكَتَائِبِ^(١)
لَمَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَغَلَتْ فُؤَادَهُ
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشَ مُحَارِبِ^(٢)
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً
سَقَاهَا الْحَجَى سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِ^(٣)

(١) تعز : يروى تسل ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الفرقة من الجيش .
يقول : تأس أيها المال الذي أباده المدوح ، فليست وحدك المباد على يده ، ولك الأسوة
بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسراً .

(٢) يقول : لملكك أيهذا المباد شغلت فؤاد المدوح يوماً ما عن السخاء بفتنتك
أو أطمعت الأعداء في محاربتة رغبة فيك ، فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك . كأنه
يلتمس للمال ذنباً عند المدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو .

(٣) الحديقة : الروضة قد أحرق بها حاجز ، والمراد بها هنا : القصيدة ، والحجى :
العقل ؛ جعل العقل ساقياً لها ، لأن المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل ، فجعل العقل
ساقياً كما تسقى السحاب . وقوله : سقى الرياض السحاب : أراد سقى السحاب الرياض ،
فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال وقد جاء كثيراً في
الشعر - كقول أبي حية الفيمري :

كَأَخْطُ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيَّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ^(١)
وقول حمزة الخثعمية تَرْمِي ابْنِهَا :
هَمَّا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَحَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْؤَةَ فَدَعَاهُمَا^(٢)

(١) يقول : إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الكتاب الذي كتبه ماهر
حاذق في الكتابة ؛ وخص اليهودي لأنه من أهل الكتاب ، وقيل : المراد التشبيه
في عدم الانتظام . وقوله يقارب : أي يدنى الكتابة بعضها من بعض ؛ ويزيل : أي
يلعد ما بينها . وكف : مضاف إلى يهودي ، وفصل بينهما يوماً ، وهو الشاهد .
(٢) من أبيات في باب الرثاء من حماسة أبي تمام . فصل بين المضاف والمضاف

فَحَيِّتَ خَيْرَ ابْنٍ تَخْلِدُ أَبَـبَـهَا لَا شَرَفَ بَيْتٍ فِي لُؤَى بْنِ غَالِبٍ^(١)

وقول جرير :

تَسْقِي امْتِيحًا تَدَى السَّوَاكَ رِيْقَتِهَا كَمَا تَضَعْنَ مَاءَ الْمُرْنَةِ الرَّصَفِ^(٢)
وقول الأعشى في كلمة يمدح بها سلامة ذا فائش :
أُنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَفَعِمَ مَا نَجَلَا^(٣)

(١) خير أب : منادى ، أو حال ، وبها : أى بالحديقة المعنى بها القصيدة ؛ وكان من عاداتهم أن يحبوا بالزهور والرياحين ؛ ويجوز أن يكون الضمير في بها : للأرض ؛ وإن لم تذكر ؛ قال الخطيب التبريزي : إذا كان الضمير للأرض كان أمدح . ويعنى بخير ابن : الممدوح ، وبخير أب : سيدنا رسول الله ، وبأشرف بيت : هاشم بن عبد مناف ، إذ أن بيته أشرف ولد لؤى بن غالب .

إليه بقوله : في الحرب ، يعنى أنهما كانا غوثا لمن لا غوث له ؛ ونبوة السيف كلاله ، والمراد هنا : الشدة .

(١) وقوله :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا
كَأَنَّهَا مُرْنَةٌ غَرَّاهُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدَفُ
والامتياع : الاستياع ؛ والندى : البلل ؛ والمرنة : السحابة البيضاء ، والرصف : جمع رصفة - حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، وماؤها أرق وأصفى من غيره وامتياحا ظرف : أى وقت امتياح أو حال . أى ممتاحة ، والسواك : مفعول أول لتسقى ، وندى : مفعول ثان مضاف إلى ريقها ؛ وقد فصل بينهما بالسواك .

(٢) أنجب الرجل . ولد ولدًا أنجبًا ، ونجلاه : ولده ، ووالده : فاعل أنجب وأيام : ظرف لأنجب ؛ وبه : متملق بأنجب ؛ وأيام : مضاف إلى إذ ؛ وقد فصل بينهما بقوله : أيام ، وبه .

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة : وهي من محاسن شعره :

مَنِ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ^(١)
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شُكَّا فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَاكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيبِ^(٢)

(١) من : استفهام ، والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء في حسن العيون . والأعارب : جمع أعراب ، وهم سكان الحيام والوبر . وقوله في زى : حال من الجاذر ؛ والعامل فيها معنى الاستفهام ؛ وحمر الحلى : حال بعد حال والجلابيب : جمع جلباب - اللعفة تلبسها المرأة فوق ثيابها - قالت جنوب أخت عمرو ذى الكلب تربيته ، وكان قد قتل :

تَمْشِي النَّسُورُ إِلَيْهِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ مَشَى الْمَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَايِبُ^(١)

يقول : من هؤلاء النسوة ، الشبهات بالجاذر : وهن في زى الأعارب ، ومتحليات بالذهب الأحمر ، ومتحليات النياق الحمر ، ومشمطات في اثياب الحمراء - - - - - يعنى أنهن من نساء الملوك ، لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب .

(٢) شكا : مفعول لأجله : يقول - - - - - مخاطبا نفسه - : إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك في معرفتهن ، فمن الذى امتحكك بالسهر والعذاب ؟ يعنى أنهن دهنك بمجهن حتى صرت مسهدا معذبا ، فكيف لا تعرفهن ؟ وإنما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجاذر حتى كأنهن جاذر لا نساء ؛ وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعْءَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ^(١)

(١) قوله وهي لاهية : يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه لكونه ميتا ، فهي تمشي إليه مشى المذارى .

(١) جلاجل : روى حلاحل - ملحاء للضمومة - وقال ابن برى : روت الرواة هذا البيت في كتاب سيويه : جلاجل - بضم الجيم لا غير -

لَا تَجْزِي بِي بَضَى بَعْدَهَا بَقْرٌ
تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ^(١)
سَوَائِرِ رَبِّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْمُونٍ وَمَضْرُوبِ^(٢)
وَرَبِّمَا وَخَدَتِ أَيْدِي اللَّطَى بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ^(٣)

(١) المراد بالبقر : النساء التي وصفها : يدعو لمن يقول : لا جزيني مقابل الضنا الذي حل بي بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزين دموعي دموعا مثلها : يعني لا أورشن الله السقام بعدى كما أورشني بعدهن ، وإن كن قد بكين للفراق كما بكيت لفراقهن . قوله لا تجزني : دعاء مجزوم بالدعاء ، لأنه بلفظ النهي ؛ فحكه في الجزم حكم النهي كقول مالك بن الرب من كلمة يرى بها نفسه :

يَقُولُونَ لَا تَبْعِدْهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا^(١)

والباء في قوله بضنى : للمقابلة ، وبى : صفة لضنى : أى ضنى حال بي أو واقع بي ، وبقر : فاعل تجزني : أى لا تجزني بقر بضنى حل بي ضنى يحل بهن ؛ وبعدها : أى بعد فراقها والهاء : راجعة إلى قوله بقر ، وإن كانت متأخرة ، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم ؛ فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية به التقديم ، وقوله : تجزى دموعي الخ صفة لبقر ؛ وقوله مسكوبا : بدل من دموعي : أى تجزى دموعي مسكوبا منها بمسكوب من دموعها ، وتصيره يقر ههنا : غير لائق .

(٢) سوائر : أى هن سوائر ، والهوادج : مراكب النساء على الإبل . يقول : إنهن من قومهن في عز ومنعة ، فمن تصدى لمن طعن أو ضرب ، فسارت هوداجهن ما بين مطمون ومضروب .

(٣) الوخذ : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو في المشى . والنجيع الدم . يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان . يريد أنهن في منعة ، دونهن طعان وضراب و قتال ، فالبيت في معنى البيت السابق .

(١) الاستفهام : في قوله : وأين الخ بمعنى النفي ، ولذا وقعت «إلا» بعده .

(١٩ — المتنبي ١)

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ
 أَذَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ^(١)
 أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْفَتِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِبِي^(٢)
 قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِمِهِمَا
 وَخَالَفُواهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ^(٣)
 جِيرَانِهَا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الْأَصَاحِبِ^(٤)
 فَوَادُ كُلِّ حُبِّ فِي بُيُوتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أَخِيذٍ لِلَّيْلِ مَحْرُوبِ^(٥)

- (١) يصف جرأته في زيارة الجباب بعد أن ذكر منتهين يقول - مخاطبا نفسه - كم قد زرتهم زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها ، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى . وقوله : وقد رقدوا ، جملة معترضة بين أذى ومن زورة الذيب .
- (٢) جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات : الزيارة والانشاء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولوى وبى . وأنفى : أى أعود ، وأغراء به : ضرا به وحضه عليه . يقول : أزورهم والليل لى شفيع لأنه يستترى عنهم ، وأنصرف وكأن الصبح يغربى بى ، إذ يشهرنى ويدلم على مكافى . وهذا البيت - كما ترى - من معجزات المتنبي .
- (٣) يقول : إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش في سكنى البرارى وخالفوها في أن لهم خياما ، يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الإقامة ؛ أما الوحش فلا خيام لها ، يريد أنهم ممن يسكنون البادية ، والمرايع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح ؛ والتقويض : الهدم ؛ والتطنيب : شد الخيام بالأطناب .
- (٤) يقول : هم جيران الوحوش ، بيد أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها ، وقوله وهم شر الجوار : أى وجوارهم شر الجوار - على حد قوله تعالى « ولكن البر من آمن بالله » والأصاحب : جمع أصحاب ؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب .
- (٥) أخيد : أى مأخوذ ؛ والهروب : الذى ذهب كل ماله . يقول : إن فيهم الجمال والشجاعة : فمساؤهم ينهب القلوب ، ورجالهم ينهبون الأموال وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال - أى بالسقاء - وأموال الأعداء .

مَا أَوْجَهُ الْحَضِرَ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجَهُ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ^(١)
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطَرُّيَةٍ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ^(٢)
أَيْنَ الْمَعِزُّ مِنَ الْآرَامِ نَاطِرَةٌ وَغَيْرُ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ^(٣)

(١) الرعايب : جمع رعبية ، وهى المرأة التارة السمينه : والضمير فى به : للحضر
يقول : ليست الأوجه للمستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو يفضل نساء البدو على نساء
الحضر ، وبين السبب فى البيت التالى .

(٢) الحضارة - بكسر الحاء ، أو فتحها - الإقامة بالحضر ؛ والبدواة : الإقامة فى
البدو ؛ والتطرية : للعاجلة . تقول : طرى الطيب : خلطه بالأطوايه ، وطرى الطعام :
خلطه بالتوابل . يذكر السبب فى تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : إن حسن
أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والعلاج أما حسن البدويات فهو خلقه ، لا يعرفن
التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .

(٣) المعيز : اسم لجماعة العز - كالكلب والعبيد - قال العكبرى : المعيز : اسم
للمعزى ، وهو خلان الضأن ، وهو اسم جنس ، تقول العز والمعيز والأمعوز ، وواحد
العز : ماعز : مثل صعب . وصاحب ؛ والأنثى ماعزة وهى العز والجمع ماعز .
والعز بالفتح والعز بسكون العين لفتان فصيحان قرأ أهل الكوفة . ونافع بسكون العين ،
وقرأ الباقر بفتحها . وقال سيويه : معزى منون مصروف ، لأن الألف لللاحق -
لا للتأنيث - وهو ملحق بדרهم على فاعل ، لأن الألف للملحقة تجرى مجرى ما هو من
نفس الكلمة ، يدل على ذلك قولهم : معيز وأريط - فى تصغيرى معزى وأزطى - فى
قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا
الألف ياء ، كما لم يقلبوها فى تصغير جلى وأخرى . وقال اللراء : للمعزى مؤنة وقال
بعضهم : مذكرة ، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تنون للمعزى فى النكرة ، والآرام :
لطبائى الخالصة البياض . وقوله ناظرة حال : أى فى حال نظرهن وامتداد أعناقهن ، أو
فى حال إقبالهن . وقال بعض الشعراء : ناظرة : تميز ، وليست اسم فاعل ، والتقدير
من حسن الآرام عيوننا . شبه نساء الحضر بالمعيز ، ونساء البدو بالآرام . يقول : أين
تقع المعيز من الطبائى فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة ؟ فالطبائى تفضلها حيواناً
وغير حيوان .

أَفْدَى فِلَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا
مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَنْغَ الْحَوَاجِبِ ^(١)
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْ ذَا كَهْنٍ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ ^(٢)
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَبَسَتْ مُمَوَّهَةً
تَرَكَتْ لَوْنٌ مَشِيبِي غَيْرَ مَحْضُوبٍ ^(٣)

(١) يريد بظباء الفلاة : البدويات نساء الأعراب . ومضغ الكلام : ترك إبطائه ، كأن التكلم يعض شيئا : يقول : هن فصحات مبيئات ، لا يعضن كلامهن غنجا وتغشا كنساء الحضر ، ولا يعضن حواجهن طلبا للزينة مثلهن ، والحواجيب : جمع حاجب أشجع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق :

* نَفَى الدَّانِيَرِ تَنْقَادَ الصِّيَارِفِ ^(١)

(٢) مائلة : شاخصة ؛ ويروى مائلة ، والأولى أظهر . والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . يقول : وليست البدويات كالحضر يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكنهن من تحتها وصقلن عراقيبهن .

(٣) أصل التموه : الطلى بماء الذهب أو الفضة ، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير . وقوله : من هوى ، متعلق بقوله تركت . يقول : ومن أجل أني لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت ياض شيبي دون خضاب : أي لم أموه شيبي كما لم يموهن حسنهن .

(١) صدره :

* تَنَفَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ *

يصف ناقة تسرع في الهواجر فيقول إن يديها لشدة رفعها الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصايل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفي رديتها عن جيدها وخص المهاجرة لتعذر السير فيها والشاهد في الصياريف وروى بدل الدنانير الدراهم فيكون الشاهد في الصياريف والدراهم

وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ
رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبٍ^(١)
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ
مِنِّي بِحِلْيَةِ الَّذِي أُعْطَتْ وَتَجَرَّبِي^(٢)
فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَا نَسِئُهُ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ^(٣)
تَرْعَرَعَ الْمَلِكُ الْأَسَازُ مَكْهَلًا قَبْلَ الْكُتْهَالِ أَدِيًا قَبْلَ تَأْدِيبِ^(٤)

(١) رغب عن الشيء : زهد فيه . والضمير في قوله : وعادته ، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى . يقول : ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجل شعر رأسي مكذوبا : أي مسودا بالخطاب ، إذ هو غير لونه . قوله : ومن هوى ، متعلق برغبت ، ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس : عن شعر في الوجه .
(٢) يقول : إن حدثان الدهر ونوائبه أخفت مني الشباب وأعطتني الحلم والتجارب ، فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت : أي ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والأناة . وهذا من قول علي بن جبلة :
وَأَرَى اللَّيَالِيَ مَا طَوَّتْ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي
وقول ابن المعتز :

وَمَا يُفْتَقَصُّ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يُرَدُّ فِي نَهَايَا وَالْبَاهِيَا
(٣) الحدأة : حدأة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث إياه . يقول : إن حدأة السن لا تحول دون الحلم ، فالمرء قد يكون حليما في الشباب كما يكون حليما في الشيب — كما قال أبو تمام :

حَلَمْتُ زَعَمْتُ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
(٤) ترعرع الصبي : نشأ وشب ، والأساذ : لقب كافور ؛ وهي كلمة فارسية ، من معانيها : اللطم ، والدبر ، والعالم . يريد التنبي أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق ، وفيه من البديع حسن التخلص . يقول : إن كافورا نشأ على الاكتهال — أي حلم الكهول — قبل أن يكهل سنا ، وعلى الأدب قبل أن يؤدب : أي أنه ترعرع على ذلك

مَجْرَبًا فَمِمَّا مِنْ قَبْلِ تَجْرِبَةٍ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبٍ^(١)
 حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَآآتٍ وَتَشْيِيبٍ^(٢)
 يُدَبِّرُ الْمَلِكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالْتُّوبِ^(٣)
 إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَّاحُ النَّكْبُ مِنْ بَلَدٍ
 فَمَا تَهْبُ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبٍ^(٤)

طبعاً دون أن يفيد من كر الغداة ومن العشي، وهذا دليل على أن الحداثة ليست بمناعة من حلم.

(١) قال صاحب اللسان: رجل مجرب كمضرس — بالفتح — جرب في الأمور وعرف ما عنده، كأن الأمور جربته وأحكته؛ ومجرب — بالكسر — عرف الأمور وجربها. ثم قال: إلا أن العرب تكلمت به بالفتح. يقول المتنبي: نشأ كافور مجرباً قبل أن يجرب — لما جيل عليه من الفهم — مهذباً قبل أن يهذب — بما طبع عليه من الكرم — ففها وكرما: مفعول لها.

(٢) التشيب في الأصل: ذكر أيام الشباب: وهو يكون في ابتداء القصاد، ثم سمي ابتداء كل أمر تشييباً، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب، ويريد بنهاية الدنيا: الملك، لأنه لا شيء إلا والملك فوقه يقول: إن كافوراً أصاب الغاية القصوى من دنياه وهو الملك، ومع ذلك لا تزال همته في بداية أمرها: أي أنه بعيد مرتقى المهمة.

(٣) يريد فسحة رقعة ملكه وتراعى حدودها إلى هذه الأطراف، لا أنها داخلة في مملكته، لأن كافوراً لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول — ولا النوب، إنما مملكته تحد بهذه البلاد؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام لحسب.

(٤) يقول: إنه لهيبته وعظمه في النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الموجه في بلاده هبت مستوية رزينة مرتبة إعظاماً له وإجلالا، والرياح مثل أراد به البالغة في إعظام الناس إياه وتسكهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له. وعبرة الخطيب اتبريزي: يعظم أمره وسياسته، ولم يرد الرياح بعينها، بل يريد أن الناس له هائبون، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هية له. فالضمير في أتنها: يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب: جمع نكباء، وهي الرياح تهب في غير استواء.

وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَمَّا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ^(١)
يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينٌ خَائِمٌ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبِ^(٢)
يَحِطُّ كُلُّ طَوِيلٍ الرُّمَحِ حَامِلُهُ
مِنْ سَرَجٍ كُلُّ طَوِيلٍ الْبَاعِ يَغُوبُ^(٣)
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانِ يَغُوبُ^(٤)
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبِ^(٥)

(١) هذا البيت في معنى الذى سبقه . يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه ، وكل هذا مبالغة .

(٢) طلس الكتاب : طنسه ومجاه ، كطرسه . يقول : إن أمره يمثل مطاع في بلاده حتى لو كتب مكتوباً بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هي عادتهم إذ ذاك — ثم انمحي كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم يمثل أمره بمجرد رؤية الخاتم إعظماً وإجلالاً . وخاتم : يقال بفتح التاء وكسرها ، وفيه خاتام وخيتام .

(٣) يحط : ينزل ويضع ، وحامله : فاعل يحط ، والضمير في حامله : يعود إلى الخاتم ، واليعبوب : الفرس السريع الجرى . يقول : إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى : أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظماً فنزل عن فرسه ، وللعنى أنه نافذ الأمر مطاع ، وعبارة الواحدى : لم يعرف ابن جنى هذا . فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه ومرة : يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء ؛ وللعنى : يريد تفادى أمره واتساع قدرته ، وقال ابن القطاع : الهاء يعود على كافور : أى إذا رآه الأبطال انحطوا .

(٤) يقول : إنه يسر ويتهيج إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده

(٥) يقول : إنه لا يرد السائل أياً كان ، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجدية نالت مطلوبها ، فكانتها غزته بجيش لا يئلب .

أَوْ حَارَبْتُهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبٍ^(١)
 أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَفْصَى كِتَابِيهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتُ بِمَرْهُوبٍ^(٢)
 قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ
 إِلَى غُيُوثٍ يَدِينُ وَالشَّائِبِ^(٣)
 إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدُّوَلَاتُ رَاحَتَهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ^(٤)

- (١) التقدمة : التقدم ؛ والتجيب : الحرب . قال صاحب اللسان : التجيب النصار ، وجب الرجل تجيباً إذا فر وعرد ، وفي الحديث : التمسك بطاعة الله إذا جيب الناس عنها كالكار بعد الفار : أى إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها . يقال جيب الرجل . إذا مضى مسرعاً فاراً من شيء . يقول : إذا قصدته أعداؤه محاربين ، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يبدىهم الإقدام لأنهم لا يقدرُونَ عليه ولا الحرب لأنه يدركهم لاهالة .
- (٢) أضرت : من الضراوة ، وهى الدربة والعادة ، تقول : ضرى فلان بكذا : لزمه واعتاده ، وضراه ، بكذا : ألهمه به ؛ وفى الأثر : إن للنعم ضراوة كضراوة الحمر : أى إن له عادة طلابة لأكله كمادة الحمر مع شاربها ، ويريد بأقصى كتابه الجبناء الذين لا يشهدون اقتال ؛ والحمام : اللوت . يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجالة لقاء الموت وجراتهم عليه فليس للوت مرهوباً عندهم .
- (٣) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر ؛ وأل فى الشائب تقوم مقام الضمير : أى إلى غيوث يديه وشأبيهما . يعرض التنبي - فيما يظهر - بسيف الدولة ، يقول ؛ يلومنى الناس على هجرى الغيث - يعنى سيف الدولة - وهم واهمون فى هذا اللوم ؛ لأننى تركت غيثاً إلى غيوث : أى أننى فارقت كريماً إلى من هو أكرم ... وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لا تعطر فيقول : لا منى الناس فى هجرى بلاد الغيث ، فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تصف من ابن فورجه ، بدليل البيت التالى .
- (٤) يقول : إني هجرت إلى من يعطى القطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالن . وهذا تعريض بين سيف الدولة . والدولت : جمع دولة وهو ما يتداول ، فيكون مرة لهذا ومرة لتلك ؛ فتطلق على المال والغلبة ؛ والمراد هنا : المال الجزل أو الولايات والممالك .

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبٍ^(١)
 بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غَرِيبٍ^(٢)
 وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرَى وَتَقَرِّبٍ^(٣)
 لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَقْدِرُ بِي وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الْأَنَابِيبِ^(٤)
 فَتَنَ الْمَالِكِ حَتَّى قَالَ قَاتِلُهَا مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِيبِ^(٥)

(١) راعه : خوفه وأفرعه ؛ وبه : صلة مغدور ؛ والموفور : الذي لم يصب في ماله ولم يؤخذ منه شيء ، والمنكوب : ضده . يقول إنه لا يضر بأحد كي يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحفه أو يسلب ماله ليفزع به الموفور الذي لم ينكب . يعنى أنه حسن السيرة في رعيته ، عادل لا يظلم أحداً بحال .

(٢) يقول : لا يضر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وإنما يروع صاحب جيش صاحب جيش آخر يصرعه على الأرض : أى ينكل بصاحب جيش ليحتر به صاحب جيش آخر ، وهو - أى كافور - في جيش أسود النبار قد علاه سواد الحديد . وبلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله ، ويجدله أى يصرعه على الجدالة وهى الأرض - وحيلة يجدله : صفة لدى جيش ؛ وذامثله : مفعول يروع ذا جيش ، مثل جيشه . وقوله في أم : أى في جيش أم النقع : أى أسود النبار ؛ والغريب : الشديد السواد ، ومعنى جيش غريب : أسود الحديد . وقال ابن جنى : إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويحذره .

(٣) يقول : إني وجدت ما في الخيل من عدو وجرى أنفع الأشياء التى ادخرتها لأنها حملتني إلى كافور وأخرجتني من بين الفادرين بي كما بين ذلك في البيت التالى . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

(٤) : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدربى - يريد الناس - وفى لى بحملها إياى عن موطن النذر إلى كافور ؛ وكذلك وفى لى الرماح لأنى استظهرت بها على الوصول إلى مصر . فصم الأنابيب . الرماح ، والصم . الصلاب ، والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين العقدتين من الرمح وما شاكلة .

(٥) يقول : إن خيلنا قطعت المفاوز وفاتها حتى لو كان لها - أى للمفاوز - قاتل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل إذ جابتنا بسرعة وذلت الصعب منا ونجت من عوائلنا ،

تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبَسِ ثَوْبٍ وَمَا كَوَّلٍ وَمَشْرُوبٍ^(١)

فالمراد بالمهالك: الفاوز ، والجرد : القصيرة الشعر ، وذلك بحمد في الخيل، والسراحيب: جمع سرحوب ، وهو الفرس الطويل . وعبرة ابن جني : ضجت للفاوز من سرعة خيل وقوتها ، وقال ابن فورجه : إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها الفاوز ، وإنما تفهم الأمور المهلكة : يعني أن هذه الخيل لم يعلق بها شيء من الهلاك حتى تصبى المهالك من نجاتها بسلامتها منها .

(١) تهوى : أى تسرع ؛ وقوله بمنجرد : يعني نفسه ، والنجرد : الجاد في الأمور الماضية فيها لا يرد شيء ؛ وقوله ليست مذاهبه : أى ليست رحلاته للبس ثوب أو ليست أسفاره لهذا . يقول : إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لثل كسوة أو طعام ، وإنما طلبته المعالي . وهذا كقوله :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْمَى لِجِدِّ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَذْرِكُ الْجَدَّ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي^(١)
وقال حاتم الطائي :

لَحَا اللَّهُ صُعُوكًا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنْ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى كَبُوسًا وَمَطْعَمًا^(٢)
وقال آخر :

وَلَيْسَ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِشَرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشَرْبِ غَبُوقٍ
وَلَكِنْ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لَضَرْ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ

(١) ما - في قوله ما أسى - مصدرية ومجد مؤنل قديم له أصل ، والثائل اتخاذ أصل مال ، وقيل المؤنل : المجموع وقيل : المستمر المثبت
(٢) لحاه الله : قبجه وأهلكه . من لحوت العود ، إذا قشرته ، والصعلوك : الفقير الذي لا مال له ، وصعاليك العرب : ذووباتها .

يَرَى النُّجُومَ بِعَيْنَيْ مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبٍ^(١)
 حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ
 تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحْجُوبٍ^(٢)
 فِي جِسْمٍ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ
 خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَايِبِ^(٣)
 فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِلْقَنَاءِ وَإِلَادِ الْجَى وَتَأْوِيهِ^(٤)

(١) السلب : الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة . يقول : إنه لطموحه وبعد همته يطمع في إدراك النجوم ، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه ، شأن المسلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه .

(٢) يقول : حق ، وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يتناولون أنفسهم للناس — يريد أنه وإن كان محجبا فإن نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه ، ويجوز أن يريد بالنفس همته ، وأنها محتجبة عن الناس لا يبلغها كل أحد ، بدليل قوله في البيت التالي : في جسم أروع ، وما أبدع قول أبي تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصُوعِكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تَرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
 وقوله يقول مسلم :

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفَرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ

(٣) في جسم : صفة لنفس — في البيت السابق — أوحال منها ، والأروع هنا : الشهم الذكي الفؤاد وفي غير هذا الموضع الذي يروعك حسنه ؛ والخلائق : الأخلاق . يقول : إذا نظر إلى أخلاق الناس وما هي عليه من الحسة والدناءة : ضحك منها هزوا واستصغارا ، لأنه أسمى منهم نفسا وعقلا .

(٤) له : أى لكافور ؛ ولها أى للخيل ، والإدلاج : سير أول الليل ، والتأويب : سير عامة النهار . يقول : إني أحمذك وأحمد خيلي ورماحي وإدلاجي وتأويبي إذ بلغتني إليك — كما ذكر في البيت التالي .

وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَّغْتَنِي بِهَا كُلَّ مَطْلُوبٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَائِي بِتَسْمِيَةٍ
فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيَبٍ ^(١)
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبُّوبٍ ^(٢)

(١) الفاني : المستغنى . يقول : أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به ، فلم يحتاج معه إلى وصف أو ذكر لقب ، وهذا كما يروى ، أن رؤبة بن العجاج أتى البكري النسابة فقال : من أنت ؟ قال : أنا رؤبة بن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت ، فقال رؤبة يفتخر بذلك :

وقد رفع العجاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي
(٢) الضمير — في قوله به — يرجع إلى الحبيب ، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن ، وهذا أبلغ . يقول : إني أحبك وأنت حبيب لى ، وإني أعود بك من أن لا تحبني ، لأن من نكده الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنْ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ

وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (*) :

أَغْلِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ ^(١)

أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَيْضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ ^(٢)

* قالوا : إن كافوراً كان قد تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار ، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد ، وينفذ إليه قوماً يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن التنبئ لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً ، فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها .

(١) يقول : إن بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك ، والغلبة للشوق : إذ هو يغلب صبرى ، وإنى أعجب من هذا المجر لتراخيه وطوله ، على أن الوصل لو واقفنا كان أعجب منه لأن من شيم الأيام التفريق . وقال الواحدى : الأغلب الغليظ الرقة الذى لا يطاق ولا يغالب ، فكأنه قال : إن الشوق صعب شديد ممتنع .

(٢) تنائى تفاعل ، من النأى . وهو البعد ، يقال نأى وأنأته على أفعل ؛ ولكنه نقله إلى فاعل ، كما يقال أبعدته وبعادته وروى الواحدى تنأى بالتشديد يقول : إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه ، أفلا يغلط مرة فيبعد البغض ويدنى الحبيب ؟ وجعل ذلك غلطاً من الدهر ، لأنه خلاف ما يأتى به الدهر ؛ وأصل هذا المعنى من قول مضرس :

لَعَمْرُكَ إِنِّى بِالْخَلِيلِ الَّذِى لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٌ لِمُفْجَعٍ

وإِنِّى بِالْمَوْلَى الَّذِى لَيْسَ نَافِعِى وَلَا ضَائِرِى فَقْدَانَهُ لِمُتَعِّ

ويقول الطرماح :

يُفَرِّقُ مِنَا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ وَيَجْمَعُ مِنَا الدَّهْرُ بَيْنَ الضَّغَائِنِ

ويقول الآخر :

عَجِبْتُ لِنُطْوِجِ النَّوَى مِنْ أَحِبِّهِ وَإِدْنَاءِ مَنْ لَا يُسْتَلَذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال المحدث :

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبْفِضُنِى عِنَاداً وَمَنْ أَشْنَاهُ شِصْ فِي لَهَاتِى

وَلِلَّهِ سَرِيرِي مَا أَقْلَ تَنِيَّةَ عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَالِي وَغُرْبِي^(١)
 عَشِيَّةَ أَحْنَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أُتَجَبَّ^(٢)
 وَكَمْ لِفِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(٣)
 وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحْجَبِ^(٤)

(١) التنية التلبث والتحك قال الشاعر :

فَ بِالْأَبْيَارِ وَتُوقَ زَائِرُ وَتَأَى إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ

وتنية : منصوبة على التميز ، وأراد ما أقله تنية ، لحذف لصيق اللقار والحدالي : موضع بالشام ، وغرب : جبل هناك معروف ، والحدالي : مبتدأ وشرقي : ظرف خبره ، وأصله شرقيي — ثلاث ياءات — لحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتجرب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيري وأقل لبنة عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرقي : يعني عند رحيله من حلب .

(٢) يريد بأحنى الناس به : سيف الدولة . وعشية : بدل من عشية في البيت السابق — وأحنى : أفضل تفضيل — من حنى به حفاوة : إذا بالغ في إكرامه وإلطائه — يقول : إن سيف الدولة كان أحنى الناس بي جفوته وغادرت ، وكانت أهدى طريق هي التي أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر . قال ابن جني : كان يترك القصد ويتصف خوفاً على نفسه .

(٣) المانوية : أصحاب ماني — القائل بالنور والظلمة ؛ وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون وليس الأمر على ما زعموا وقد بين تلك النعمة في البيت التالي .

(٤) الردى : الهلاك ؛ والسرى : السير ليلاً ، يقول : إن ظلام الليل وقاك فائلة الأعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلاً فلا يصرونك وزارك فيه المحبوب آتياً لم يخش الرقيب إذ حبه عن عيونه وقال ابن فورجه : الطيف قد يزور نهاراً ، فيكون كقول ابن المعتز :

لَا تَلْقَ إِلَّا لَيْلِي مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَاد

هذا وقد ذكر شر النور في البيت التالي

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أَرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقَرُّبُ^(١)
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَغَرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبُ^(٢)
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجَى عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذَهَبُ^(٣)
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءِ أُذُنِي عِنَانَهُ فَيَطْفَأُ وَأَرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ^(٤)
وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأُنْزِلُ عَنْهُ مِثْلُهُ حِينَ أَرْكَبُ^(٥)

(١) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفاً من الأعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من السكين وآمن على نفسي . فالواو واو رب ؛ وكنته : أى كنت فيه ، وأيان بمعنى متى

(٢) يقول : إنه كان في مسيره يراعى أذنى فرسه يحفظ نفسه بهما ، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئاً من جسد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً . ثم وصف فرسه فقال : كأنه في سواده قطعة من الليل وكأن النمرة في وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه ، وهذا من قول أبي داود :

وَلَهَا جَبْهَةٌ تَلَأُلَا كَالشَّمْسِ رَى أَضَاءَتْ وَغَمَّ مِنْهَا النُّجُومُ

والنمرة : البياض في جبهة الفرس وباق : حال من الليل ، وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين ؛ وقوله كوكب : أى كوكب - من كواكبه - أى كواكب الليل .

(٣) الإهاب : الجلد ؛ والرحيب : الواسع . يقول : إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب ، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى ؛ إذا لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيراً ، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مديديه ، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مديديه ، وإذا فنى إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجىء وتذهب على صدره الرحيب .

(٤) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إلى يجذبه وثب وطنى مرحاً ونشاطاً ، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه . فالمراد بطفيان الفرس : شدة النشاط والروح ، والعنان : سير اللجام .

(٥) قفبه : أتبعه ، ومثله حال من الضمير في عنه ، وحين أركب : حال من الضمير

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ
وَأِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مِّنْ لَا يُجْرِبُ^(١)
إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغِيبٌ^(٢)
لِّمَا لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا مُنَاحًا لِّرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلَمٌ فِيهَا مُعَذِّبٌ^(٣)
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَقَتَّبُ^(٤)
وَبِى مَا يَذُودُ الشُّعْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنْ قَلْبِي يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ قُلُّبٌ^(٥)

في مثله . يقول : إذا طردت به وحشا لحقه فصرعته - قتلته - وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لئب ولم ينقص من جريه ونشاطه شيء ، مثل ما كان حين الركوب كما قال ابن المعتز

تَخَالُ آخِرُهُ فِي الشَّدِّ أَوَّلُهُ وَفِيهِ عَذْوٌ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورٌ

(١) يقول : إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة في عين من لم يجرب ، فبال تجربة تعرف الكوادر من السوابق ، كما أن الصديق يعرف بالتجربة ماعنده من صدق الود أو مذقه ، وحاصل للمعنى أن الجياد من الخيل قليلة ، كما أن الصديق الذى يستحق الصداقة قليل .

(٢) الشيات : الألوان - جمع شية - يقول : إن مزايا الخيل فيها وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها ، فإذا لم ترم منها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها .

(٣) لحاه الله : دعاء عليه : أى قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت العود إذا قشرته ، ومنأخا : نصب على التمييز . يذم الدنيا ويدعو عليها . يقول : بشئ المنزل الدنيا ، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها .

(٤) يقول : ليتنى أعلم هل تخلو لى قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغنى المراد وأنال منه ما أطلب فأترك الشكاية ؟

(٥) يذود : يدفع ويطرد ؛ وأقله : فاعل يذود ؛ وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور . روي أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال فى مرضه الذى مات فيه لا بنيه : إنكم لتبكيان حولاً قلباً إن سلم من هول المطلاع . يقول المتنبي : إن

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَذَحَهُ
وَلَمَّا لَمْ أَشَأْ تُنْبِئِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ^(١)
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانُ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمِّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَقَرَّبُ^(٢)
فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْئَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
وَنَادِرَةً أَخِيَانٍ يَرْضَى وَيَنْضَبُ^(٣)

بى من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أقله يمنع الشعر ويلهى الخاطر عنه ولكن قلبى حسن التقلب للأمر ؛ فلا يضيق بنوازل الدهر ولا تخدمها خطراته ، وقوله يا ابنه القوم فان العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت ستمهم ، وإنما قال يا ابنه القوم إشارة إلى كثرة أهلها ، وقال ابن جنى : هو كناية عن قولهم يا ابنه الكرام .
(١) يقول : إن خلائق كافور من الظهور وانباهاة بحيث تنبئ عنه لها هو إلا أن تلى على فأكتب ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت إذ لم أت بشيء من عندى ، وإنما هى أخلاقه تلى على . وقد أخذ الصاحب بن عباد هذا المعنى فقال :

وما هذه إلا وليدة ليلة ينور لها شعر الوليد وينضب
على أنها إملاء مجدك ليس لى سوى أنه يُبليّ عليّ وأكتبُ
(٢) يمم قصد يقول : إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آنسه ببطايه وتفقد إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم ؛ وفي هذا المعنى يقول الأول :

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المحل
فأزال بى إكرامهم وافتقارهم وإلطانهم حتى حبتهم أهلى
ويقول أبو تمام :

هم رهط من أمسى بعيداً رهطه وبنو أبى رجل بغير بنى أب
(٣) يقول : إن أفضاله مفعمة غنلا وحكمة ونوادير غريبة ترى ذلك له فى حال رضاه وغضبه لا يخلو منها فى حال وكل من نظر إلى أفضاله استشف منها العقل والساد وأصالة الرأى . والنادرة : الشيء النادر القريب ، ورواها ابن جنى بلدرة : أى بديهة .
(٢٠ — التى ١)

إِذَا ضَرَبْتَ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفَّهُ
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ^(١)
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبَثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ^(٢)
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالَهُ
فَإِنِّي أَغْنَى مِنْذُ حِينَ وَتَشْرَبُ^(٣)
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي زَمَانِنَا وَتَنْفِسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّكَ تَطْلُبُ^(٤)

(١) يقول : إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فإذا نظرت إلى مضاء سيفه وأثره في الوعى استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع ، لا أن كفه يستظهر بالسيف لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضى في يد الضيف لا يؤثر شيئاً — كما قال البحرى :

فَلَا تُفْلِنُ بِالسَّيْفِ كُلِّ غَلَاةٍ

لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ — لَا السَّيْفَ — يَقْطَعُ^(١)

(٢) يقول : إن جوده أفضل من جود السحاب لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم تنضب لأنه يعطى الجزيل الذى لا ينفد ، أو لأنه يوالى هباته ويمدها بغيرها . أما ماء السحاب فهو إذا مكث في الأرض وأقام حيناً نضب وذهب في الأرض وجف مكانه ، وقوله على اللبث : أى مع اللبث : حال من عطاياه ؛ وللبث : المكث ؛ ونضب الماء : ذهب في الأرض .

(٣) يعرض المتنبي بتقاضى ما يؤمل . يقول : إني أغنى منذ حين : أى أطربك بدمي ، وأنت تشرب على غنائى : أى تلتذ صماع مديحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ، فهل في الكأس فضلة أشربها ؟ أى هلا أعطيتنى ما يتوقمه مثلى من مثلك ؟ يعرض بطلب ولاية — كما صرح بذلك بعد .

(٤) يقول : إنك إذ تعطينى تعطينى على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه ، وأنا إنما أطلب ما توجه همتك ويقتضيه كرمك .

(١) قوله فلا تغلين بالسيف : يقال غالى بالشئ وأغلى به إذا اشتراه بضمن غال ؛ وغالى به وغلاه : سام فأبسط وجاوز الحد .

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ^(١)
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلُّ حَبِيبَةٍ حِذَائِي وَأُبْكِي مَنْ أَحَبُّ وَأَنْدُبُ^(٢)
أَحْنُ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمَشَاقِقِ عَنَقَاءَهُ مُغْرِبُ^(٣)
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمُنْكَ أَوْهُمْ
فَإِنَّكَ أَهْلِي فِي فُؤَادِي وَأَغْدَبُ^(٤)

(١) ناطق به كذا: أسنده إليه؛ والضيفة: ما نسميه الآن «عزبة». يقول: إذا لم تقطعني ضيعة أو تفوض إلى ولاية فإن ما تكسوني إياه بجودك — أى ما يحسنه جودك من آمال — تسلبني إياه باشتغالك عن تحقيق تلك الآمال.

(٢) يقول: أرى كل الناس في هذا العيد فرحين مبتهجين يضاחקون من يحبون أمامي؛ أما أنا ففعل العكس منهم: أبكى من أحب وأنديه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عني. يقصد المتنبي أن يرى الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألفاق التي يلاقيها من جراء اغترابه.

(٣) العنقاء المغرب قيل: العقاب، وقيل: طائر ضخم ليس بالعقاب؛ وقيل: كلة لا أصل لها: كالغول، وقال ابن الكلبي: كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمع، مصمده في السماء ميل فكان يثابه طائفة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، وكانت تقع منقضة، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغرباً، لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية «وليدة» ترعرعت، وضمتها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحيها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم. فدعا عليها. فسلط الله عليها آفة فهلكت. فضربتها العرب مثلاً في أشعارها: يقولون ألوت به العنقاء للمغرب، وطارت به العنقاء: يريدون هلاكه أو ذهابه إلى حيث لا يرجع. قال:

ولولا سليمان الخليفة حلقت به من يد الحجاج عنقاء مغرباً

ومغرب — من أغرب في البلاد: ذهب وأبعد. يذكر المتنبي تشوقه إلى أهله، وبعد ما بينه وبينهم. بحيث لا يرجو لقاءهم.

(٤) يقول: إني أوتر لقاءك على لقاءهم حين لا يتيسر لقاءكم معاً لأنك أحب

إلى منهم.

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلَّى الْجَمِيلَ مُحِبٌّ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ^(١)
يُرِيدُ بِكَ الْحَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسُمُرُ أَمْوَالٍ وَالْحَدِيدُ الْمَذْرَبُ^(٢)
وَدُونَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا
إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطُّفْلُ أَشِيبُ^(٣)
إِذَا طَلَبُوا جَزَاكَ أَعْطَاوْا وَحُكِّمُوا
وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيَّبُوا^(٤)

(١) أولاء جيلا : صنعه إليه . يقول : إنما أحببتك وآثرتك على أهلى لما أسديت
إلى من الجميل ، وطابت لى الإقامة بساحتك لما أقيمت فيها من العز كما قال البحترى :
وَأَحَبُّ أَوْطَانِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى أَرْضٌ يُنَالُ بِهَا كَرِيمُ الْمَطْلَبِ
ومعنى بيت المتنبنى مبنى على ما ذكره فى عجز البيت السابق .
(٢) والحديد المذرب : أى الحديد ، ومنه لسان ذرب : أى حاد - يريد السيف -
يقول إن الحساد يريدون بك السوء ، فلا ينالون ما يبتغون ، لأن الله يدفعه عنك ثم
الرماح والسيف .

(٣) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون - من الثبات الأمر عليك -
أحوال أى أحوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ، ولو هم تخلصوا
منها إلى الموت لبقيت أنت وشاب أطفالهم لشدة ما يقاسون . وقد روى الجماعة بدل إلى
الموت : إلى الشيب . قال الواحدى : أى دون الذى يطلب الحساد - من زوال
ملكك وفساد أمرك - الموت وهو قوله ما لو تخلصوا منه - أى الموت - أى أنهم
يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم لشدة
ما يرون وصعوبة ما يلحقهم وما يقاسون منك . وقال ابن جنى : دون ما يريدون من
السوء للموت الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب طفلهم ، ولكنهم لا يتخلصون
من الموت إلى الشيب بل يقتلهم .

(٤) يقول : إذا طلبوا عطايك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل
ما يقرحون ، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى آتاك الله فإنهم لا يدركونه ،
لأنه لا ينال بالاكتمساب ، وإنما ذلك شئ آثره الله به . وعبرة ابن جنى : إن راموا
فضلك منتهى منه . قال ابن فورجه - معقبا على عبارة ابن الفتح : كيف يقدر الإنسان

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَمْحُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ^(١)
وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نِعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ^(٢)
وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمَلِكِ مُرْضِعاً وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبٌ^(٣)
وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ وَمَالَكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِيَّ مَخْلَبُ^(٤)
لَقِيتَ الْفَنَاءَ عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ
إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرُبُ^(٥)

أن يمنع آخر من أن يكون في مثل فضله ؟ وإنما الله القادر على ذلك . وقد أتى به المتنبي على ما لم يسم فاعله فأحسن .

(١) يقول : لست تؤذي من يغلب وشع ، فلو كانت العلى توهب لوهبتها ، ولكنها لا توهب . والأصل في هذا المتن قول الأول :

وإن يَتَقَسِّمَ مَالِي بَيْنِي وَنِسْوَتِي فلن يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَضْلِي
ولله قول أبي تمام :

فَانْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيَمِكَ نَفْعَةً إن كانتِ الْأَخْلَاقُ بِمَا يُوهَبُ^(١)
(٢) يقول : إن هؤلاء الحاسدين يتقلبون في نعمائك ، فما كان ينبغي لهم أن يحسدوك ، لأن أشد الظالمين ظمناً من قلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة .

(٣) ذو الملك : هو علي بن الأخشيد صاحب مصر الذي رباه كافور بعد أبيه . يقول : أنت الذي ربّيته وقت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مريض ، فكنت له أباً وكنت له أمّاً . قوله ربيت ذا الملك : أي صاحب هذا الملك : قالوا : ولو قال المتنبي وأنت الذي ربّي لكان أحسن ، ولكنه قال ربيت كما قال كثير :

وأنت التي حبّيت كل قصيرة إلى وما تدري بذاك القصائر
(٤) يقول : وكنت لدى الملك كالأسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذي هو لك بمنزلة الحلب للأسد يحمي أشباله به ؛ والعرين : الأجمة ، والشبل : ولد الأسد ، والهندواني : السيف الهندي ، والحلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .
(٥) يقول . ذبت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه ، حمية له وحفاظاً وكرماً

(١) الحيم : الخلق وقيل سعة الخلق ، والحيم الأصل

وَقَدْ يَتْرُكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَهَيَّبُ^(١)
 وَمَا عَدِمَ اللَّافُوكَ بَأْسًا وَشِدَّةً وَلَسَكِنَّ مَنْ لَا قُوَا أَشَدُّ وَأَنْجَبُ^(٢)
 ثَنَاهُمْ وَبَرَقُ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقُ^(٣)
 عَلَيْهِمْ وَبَرَقُ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ خُلْبُ^(٤)
 سَلَتْ سُيُوفًا عَلَّتْ كُلَّ خَاطِبِ
 عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ^(٥)

لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب في الحرب من العار إلى الموت : أى تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وتمتاز « تختار » ذلك على الهزيمة . فالتقى : الرماح . والهيجا : الحرب — تمد وتقصير ،

(١) يقول : إن الموت قد يترك الشجاع للقدام الذى لا يهابه ولا يباله ، ويلقى نفسه إلى التهلكة ، وقد يدرك الجبان الحياة الذى يهاب الموت ويخشاه . فالضمير في يترك : للموت . ويخترم : أى يهلك .

(٢) يقول : وإن الذين يلاقونك في الحرب لم يعدموا بأسا وشدة : أى هم شجعان أشداء ، بيد أنك أشد منهم وأنجب ، ومن ثم تبطش بهم . ومثل هذا لفر ابن الحارث :

سَقِينَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

(٣) البيض - بالكسر - السيوف ، وبالفتح : جمع يضة ، وهى الخوذة من حديد . والبرق الخلب : الكاذب الذى لا مطرفه يقول : لقد هزمتهم وصرفتهم عنك وسيوفك تفرع خوذهم ، فكان لكل من السيوف والخوذ برق في الآخر ، غير أن برق السيوف في الخوذ صادق لأنها تقطع الجناح فتسيل دماؤهم بعده ، أما برق الخوذ في السيوف ، فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر . وعجاجة ابن جنى : يريد أن لمع السيوف صادق لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض ، وبرق البيض - الخوذ - لا يصدق على السيوف لأنه لا أثر للمع البيض في السيوف ، فشبّه بالبرق الخلب الذى لا مطرفه ، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذى فيه المطر :

(٤) العود هنا : النبر . قال ابن جنى : يقول ، لما رأى الناس ماصنت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم وربة ورهة . وقال بعض الشعراء :

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ^(١)
وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِثُّكَ قَدْرُهُ مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ^(٢)
وَمَا طَرَبَى كَمَا رَأَيْتُكَ بِدَعَا لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ^(٣)
وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ^(٤)

يريد أن سيفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك في الدعاء : يعنى أنك أخذت البلاد بسيفك ،
فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك : أى يدعو لك .

(١) تناهى - بحذف إحدى التائين - أى تتناهى . يقول : إنك فى غنى عن
الأنساب التى يذكرها النسابون لغيرك ، لأن المكرمات تنتهى إليك وتعزى - إذ
كنت أصلاً لها - إليك ؛ وحسبك هذا شرفاً يغنيك محموده عن النسب . وليلحظ أن
هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصوداً للمتنبى الداهية ، وقد يكون غير مقصود ،
ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ، ولا سيما الملوك ، لأنه أشبه بنى النسب
عنه . على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر :

خَلَاتِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مُجْدٍ مُؤْتَلٍ
وقوله عما ينسب الناس ، فالناس : فاعل ينسب ؛ والتقدير عما ينسبه الناس : أى
عن النسب الذى ينسبه الناس .

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه ، لأنك فوق كل أحد . قال
التبريزى : هذا سخرية منه وقد كان المتنبى يقول لو قبلت مدحى فيه كان هجاء .
(٣) فأطرب : عطف على أرجو . يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لائى
كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء به
لأنه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على وؤية القرد وكل ما يستملح
ويضحك منه . . . قال ابن جني : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت
على أن جعلت الرجل أبازنة - وهى كنية القرد - فضحك !

(٤) يقول : إن شعري وهمي يلوماني على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى
عليك ، فكانت أذنبت بمدحى غيرك ، فكنت أهلاً لأن الألم . وهذا المعنى من
قول أبى تمام :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَتَحِي سَوَاكَ بِأَمَالِي فَجَحِيثُكَ تَائِبًا

وقال الواحدى : المصراع الأول هجاء صريح لولا الثانى . قال الخطيب التبريزى :

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ
أَقْتَنُ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيُنْهَبُ^(١)
فَشَرْقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ
وَعَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْعَرَبِ مَغْرِبٌ^(٢)
إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ
جِدَارٌ مُمَلًى أَوْ خَبَاءٌ مُطَنَّبٌ^(٣)

ليس في البيت جهاء ومعناه أن همته عدته كيف قنع بغيره ؛ والقوافي لم صرفها في مدح غيره ؛ وشهد له بذلك بقية البيت . أقول : إن الخطيب لم يقل شيئا ؛ ومالا حظه الواحدى صحيح .

(١) يقول : ولكنه طال طريق إليك ، لجيت كثيرا من البلدان حتى وصلت إليك وكنت في غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس ، فكان شعري لذلك كأنه ينهب نهبا . يتندر التنبي إلى كافور عن مدح غيره .

(٢) يقول : فشرق كلامي حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك ، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب . وهذا من قول أبي تمام :

فَفَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
(٣) مطنّب : أى مشدود الأطناب . يقول : إذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب . يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضر سكان الدر ، والبدو سكان الوبر . وهذا كقوله :

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ مِنْ مَقَوَلِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا

وقال يمدحه ، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهي آخر ما أنشده ، ولم يلقه بعدها :

مَنْ كُنَّ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ^(١)

(١) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ، ومنى : خبر مقدم ، وكنى لي : وصف لمنى ؛ وللى : جمع منية ؛ والقرون : صفائر الشعر ، قالقيس : وهل مالت عليك قرون ليلي كليل الأحصانة في نداها

يقول : إن مشيبي هذا وكون البياض خضاباً لي يخفى به سواد شعري منى كانت لي قديماً : يعنى أنه كان يتمتع بالشيب من قديم ليخفى شبابه بايضاض شعره لأنه أوفر وأجل في العين . وجمع المنى نظراً إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى ، فصارت كل مرة منية ، وسمى البياض بالشيب خضاباً لإخفاء السواد به ، كما أن السواد الذى يخفى البياض يسمى خضاباً .

(هذا) . ولا علينا في أن نورد هنا تحقيقاً نحويًا للعلامة العكبرى لمناسبة إعراب

* منى كنى لي أن البياض خضاب *

قال العكبرى :

منى نكرة وهى مبتدأ ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بمجملتها تتضمن اسماً معرفة ، كقولك امرأة خاطبتنى ، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك رجل خلفك ؛ وإنما منع الابتداء بالنكرة لأن النفس تتنبه بالمعرفة على طلب الفائدة ، وإذا كان الخبر عنه مجهولاً كان الخبر حقيقاً باطراح الإصفاء إلى خبره لأنه لا يعرف من أخبر عنه وشرط الكلام إذا كان الابتداء نكرة أن يتضمن الخبر اسماً معرفاً أو أن يتقدم الخبر : كقولك لزيد مال ؛ لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها ، وهذا موجود ههنا لأنك وضعت زيدا مجروراً لتخبر عنه بأن له مالا قد استقر ، فقولك لزيد مال في تقدير زيد ذو مال ، فالابتداء الذى هو مال هو الخبر في الحقيقة ، ولزيد هو المبتدأ فى المعنى ، وقوله كنى لي مفيد ، لأن فى ضمن الخبر ضمير للتكلم ، وهو أعرف المعارف ؛ ولو قال منى كنى لرجل لم يحصل بذلك فائدة لخلوه من اسم معروف وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب ؛ فالرفع على إضمار ابتداء

كأنه قال إحداهن أن البياض لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شيبته بقوله ليالى عند البيض وأما النصب فلي إضمار تمنيت لدلالة منى عليه كما أضمر تتبع في قوله تعالى « قل بل ملة إبراهيم » وإذا قيل إن التنى مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن الثقلة لأنها للتحقيق ، فهي أشبه باليقين ، وإنما يقع التنى وما شاكلة على أن الخفيفة لأنها تخلص الفعل للاستقبال ، فهي أشبه بالطمع والرجاء والتنى من حيث تعلقت هذه المعاني بما يتوقع ، ومنه قول لبيد :

تنى ابتئى أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^(١)

قيل لا يتمتع وقوع التنى على أن الثقلة ، كما لم يتمتع وقوع وددت عليها ووددت وتمنيت بمعنى واحد . وفي التزليل : « وتودون أن غير ذات الشوكة » الآية ويجوز أن يكون منى : منصوبة نصب الظروف ؛ والجملة التى هى كن وأن واسمها وخبرها نعت لها ، فتطلق أن بما قبلها كأنه قال فى منى كن لى أى فى جملة منى ، كما قالوا : أحقا أنك ذاهب وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ، وإذا أردت معنى الظرفية فى منى فلك فى أن مذهبان : فذهب سيويه والافخش والكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله غدا الرحيل وأحقاً أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، وإذا كان هذا مذهب سيويه ومن معه فالنية تقارب الظن ، فيحسن أن تقول أكبر منى أنك ذاهب ، فتصعب أكبر بتقدير فى ، وأنشد :

أحقاً بنى أبناء سلمى بن جندل تهذؤكم ليأى وسط المجالس^(٢)

(١) من أبيات لبيد قالها قرب وفاته وبعد

فقوماً فقولاً بالذى تعلمانه ولا تخمشاً وجهاً ولا تحلقاً شعر
وقولاً هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان عهداً ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلى ، وهو من أبيات راجعها وراجع سببها فى الأغاني وفى خزائن الأدب فى شواهد المبتدأ والخبر . وبنى منادى مضاف لما

لَيْلِي عِنْدَ الْبَيْضِ فَوَدَّأَيْ فِتْنَةً وَفَخَرُّ ذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ^(١)
فَكَيْفَ أَذْمُ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي
وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ^(٢)
جَلَّ اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ
كَمَا أَنْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَلَابٌ^(٣)

والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء ، ويخبر عنه بالظرف المتقدم حكاه عنه سيويه قال : وزعم الخليل أن التهديد هنا بمنزلة الرحيل في غد وأن أن بمنزلة وموضعها كوضعه .

(١) البيض : النساء ، والفودان جانباً الرأس ؛ والعب : هو العيب . يقول : إن تمنى الشيب كان في الليالي التي كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة لحسن شعره وسواده ، ولكن يفخرن بوصل ؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندي ، لأنني ممن يعفت عن النساء ويرغب عن صالحهن .

• وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيَّةُ أَنْزَقُ •

وقوله ليالي : منصوب بفعل مضمر دل عليه منى كأنه قال تمتت ذلك ليالي فوداي عند النساء فتنة وليالي مضاف إلى الجملة بعده ، وقد فصل بالظرف وهو قبيح
(٢) يقول : فكيف أذم الشيب اليوم ، وقد كنت آتمناه وأشتهيه ؛ وكيف أدعو لنفسي وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوته : يعني لا ينبغي أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء . وقد سمت في هذا سمت ابن الرومي في قوله :

هِيَ الْأَعْيُنُ الْمُجَلُّ الَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ
فَالْكَ تَأْسَى الْآنَ لِمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلَتْ مَرْمِيَّ سِوَاكَ تَعَمَّدُ
(٣) جلا : زال وانكشف — من قولهم جلا القوم عن منازلهم : إذا ارتحلوا .

وانجباب : انكشف ، والاضباب : ما يصعد من الأرض إلى السماء ، مثل الدخان : الواحد ضبابة ؛ ويقال أضب يوماً : أي صعد فيه الضباب يقول : إن يياض الشيب كان

بعده ، وتجد في الحزنة تحميها وأفا لهذا الموضوع الذي تعرض له الإمام المكي فرأجه إن شئت

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ
 وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْدِ مِنْهُ حِرَابٌ^(١)
 لَمَا ظَفَرَتْ إِنْ كُلَّ ظَفَرٍ أَعْدَهُ
 وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابٌ^(٢)
 يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا
 وَأَبْلَغُ أَقْصَى الْمُنْصَرِ وَهِيَ كَعَابٌ^(٣)
 وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُجْبَتِي
 إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ^(٤)
 غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِيزُنِي
 إِلَى بَلَدٍ سَأَفَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ^(٥)

كأنه كامن في السواد ، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف ، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير : كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في ضوئه .
 (١) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ، ولو أن الشرات البيض في وجهه كانت حرايا . والماء في قوله منه : للجسم .
 (٢) يقول : إن كل ظفرى ولم يبق في فمى ناب من الكبر ، فحق لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها ، قال العكبرى : قوله أعده في موضع جزم ، جواب الشرط ، واختار سيبويه في المضاعف الرفع في موضع الجزم
 (٣) غيرها استثناء ، والكعاب : الحارية يبدو ثديها للنهود . يقول : إن نفسى شابة أبدا لا يغيرها الدهر ، وإن تغير جسمى .
 (٤) يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بى أصحابى وكنت لهم كالنجم الذى يهتدى به ، يريد أنه خريت خيرا بالفلوات . والصحبة : اسم جمع بمعنى الأصحاب ، وروى تهتدى صحيق به .
 (٥) يستغنى : يستغنى ويحركنى . يقول : إنى غير مولع بالأوطان وجميع البلاد عندى سواء ، فإذا غادرت وطناء لم يستغنى حب الرجوع إليه .

وَعَنْ ذَمْلَانَ الْمَيْسِ إِنْ سَاحَتْ بِهِ وَإِلَّا فَنِي أَسْكَوَارِهِنَّ عُقَابٌ^(١)
وَأَصْدَى فَلَا أَبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةٌ وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَقْمَلَاتِ لُعَابٌ^(٢)
وَلِلسَّرْمِيِّ مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ^(٣)
وَلِلْخُودِ مِثْنَى سَاعَةٍ ثُمَّ بَيْنَنَا
فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْقَاءِ تُجَلِّبُ^(٤)

(١) التملان : ضرب من السير ؛ والميس : الإبل . وقوله : إن ساحت به ، كلام مستأنف وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره : سرت عليها ؛ والأسكار : جمع كور ، وهو الرحل . والعقاب : الطائر المعروف . يقول : وأنا غني كذلك عن سير الإبل ، فإن سمحت به سرت عليها ، وإلا فإنني كالعقاب : أجوب الفياقي دون أن أحتاج إلى ما يعملني

(٢) اليعملات : النياق النجبة الممثلة للطبوعة على العمل ؛ ولعاب الشمس : ما يراه للسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : وأعطش في الفياقي الحارة التي يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الإبل ، فلا أبدى حاجتي إلى الماء تصبرا وتجهداً وحزماً، وهذا من قول أبي تمام :

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَرْراً إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

(٣) النديم : الذي ينادمك ويجالسك على الشراب . يقول : إنه كتوم للأسرار يضع السر حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلفه في البدن كما قال مسكين الدارمي :

يُظَلُّونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسَرْمٌ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَنَ الرِّجَالُ انْصِدَاعُهَا

وقد نظر التنبي في هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

تَغْلُفُ حُبٌّ عِثْمَةٌ فِي فَوَادِي وَبَادِيَةٍ مَعَ انْخِلَافِي يَسِيرُ

تَغْلُفُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ . وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ

(٤) الخود من النساء : الشابة الناعمة . وتجلب : تقطع . يقول : إنما أصعب

للرأة قدرا يسيرا ثم أسافر عنها ، فيكون بيني وبينها فلاة أقطعها إلى غير لقاءها . أو تقول : ثم أبتعد عنها ، وأمن في الابتعاد .

وَمَا الْمَشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسُهُ فَيَصَابُ^(١)
وَعَبِيرُ فُؤَادِي لِلنَّوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ^(٢)
تَرَكَنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بَيْنَ لِمَابٍ^(٣)
نُصْرَفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرٍ قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِ مِنْهُ كِمَابُ^(٤)

(١) الغرة : المرور . يقول : إن عشق النساء غرورهن وطمع في وصلهن إذا وقعا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ويرى قصاب — بضمير النفس — فيكون اللعن : إن دواعي العشق تقع أولا في القلب ، ثم تتقاد النفس لهوى القلب ، لأنه يشتهوها ويطلبها على رشدتها .

(٢) النوانى : الحسان ؛ والرمية الطريدة التي ترمى . يقول : إن قلبي لا تصفيه النساء بسهام الحافظين إذلا أسبو إليهن ، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الحمر ومعاقرتها فبناني ليست مطايا للزجاج : أى لا أحمل كأس الحمر يدي . ويرى للرخاخ — جمع رخ — فيكون اللعن : ولست ممن يلعب الشرطج . قال ابن فورجه : يرد على هذه الرواية : البنان ركاب القندح وأما الرخ فالبنان راكبة له في حال حملة ، وأيضا فإنه كلمة أعجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء ، والتزده عن شرب الحمر أليق بالتزده عن الفول من اللعب بالشرطج

(٣) اللعب : الملاعبة ومنه حديث جابر : مالك وللعذارى ولعابها ؟ والتلاعب — بالفتح — اللعب ، صيغة تدل على تكثير المصدر . ويقال رجل تلعبه — بكسر التاء — وتلاعب وتلعبه : كثير اللعب . يقول : تركنا شهواتنا للرمح : أى لالذة لنا إلا فيها ، يريد أنه فطم نفسه عن الملاهي ، وقصرها على الجد في طعان الأعداء .

(٤) نصرفه : أى القنا ؛ والحوادر : الخيل الفلاظ السمان . وتروى حوادر — بالحاء المعجمة — أى كأنها أصابها الحذر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حوادر — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعنى خيلا تحذر الطعن لأنها معودة ومن ثم تميل عنه . والكماط : العقد بين أنابيب الرمح . يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح وننقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كماط من القنا ؛ وهذا من قول الجاهلي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِجٍ
وَحَيْرٌ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ^(١)
وَبَحْرٌ أَبُو الْمَسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُبابٌ^(٢)
تَجَاوَزَ قَدْرَ اللَّذِجِ حَتَّى كَانَتْهُ بِأَحْسَنِ مَا يُنْفَى عَلَيْهِ يُعَابٌ^(٣)

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَلِيلُ شَمَسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَا بَنَانِيَا
هذا ورواية حواضر هي رواية ابن جني ، وقد تقدما بعض الشراح بقوله : كيف
يصنفها بالحدرد وقد وصفها بانكسار الرماح فيها ؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية
بقوله : يجوز على رواية ابن جني هذه أن يكون حواضر أى تميل عن الطمن وتحدرد
بكثرة ما قد طوعن عليها ، فقد عرفت كيف تحيد عن الطمن . وقوله انقصت فهن
من الطمن كعاب ، يجوز أن يكون في أول ما طوعن عليها وهي في غرة من الطمن
فلما كثر الطمان عليها وألفته طارت تحدرد وتبطله بميلها عنه . ويجوز أن يكون المراد
تحدرد الطمن وتحيد عنه . ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونها يصيبها من الطمن قليل
وتسلم لحدرها من طمن كثير .

(١) الدني : جمع دنيا ، والسابج : الفرس السريع الجري يقول : إن سرج الفرس
هو أعز مكان لأنه يمتطي لطلب المعالي أو محاربة الاعداء لدفع شرهم ، أو للهرب من
الضيم واحتمال الدل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر
ولا يحتاج في مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آذابه وكل ما يحتويه والله قول القائل :

مَا تَطَلَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْنِي جَلِيسًا
(٢) بحر : خبر مقدم ، وأبو المسك : مبتدأ مؤخر . والخضم : صفة له ، والخضم :
الكثير للماء ، وزخر البحر : طمى وامتد ، والعباب كثرة اللوج وارتفاعه . يقول .
وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جوداً وعطاء ، وهذا كقول الشاعر :

دَعَانِي إِلَى عَمْرِ جُودِهِ وَقَوْلِ الْعَشِيرَةِ بِحَرِ خَضَمِ

وروى : وبحر أبي المسك ، على أن بحر : مبتدأ مضاف إلى أبي المسك والخضم خبره :
أى أن بحر المسك هو البحر الخضم . وروى ابن جني وبحر . بالجر - عطفا على جليس :
أى وخير بحر أبو المسك .

(٣) يقول : هو فوق كل مدح يثنى عليه به ، فإذا بالفت في حسن الثناء عليه استحق

وْغَالِبَهُ الْأَعْدَاءُ ثُمَّ عَنَّا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بَيْضَ الشُّيُوفِ رِقَابُ^(١)
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّى أَبَا الْمُسْكَ بِذِلَّةٍ إِذَا لَمْ تَصْنِ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابُ^(٢)

قدره فوق ذلك ، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه ، وهذا كقول البحري :

جل عن مذهب المدح قد كاد يكون المدح فيه هجاء
وقال ابن جني : هذا من المدح الذي كاد أن يقلب لإفراطه هجوا ، وهذا ضد قول أبي نواس :

وكلهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندى بالذى عابوا

(١) عوا : خضعوا وذلوا : قال تعالى : وعنت الوجوه للحي القيوم « من العنوة » وهي القهر . يقول : وحاول الأعداء غلبه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا كارقاب إذا غلبت السيوف آضت مغلوبة

(٢) بذلة : تمييز ؛ اسم من الابتذال ؛ وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول : وأكتر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الأبدان شيء من الثياب إلا الحديد : أي إبان اشتداد الوغي وتكاثر الجيش عليه يعني أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى الحرب بالدرع والحديد . فالحديد مستثنى مقدم من الثياب . وهذا كما قال الأعشى :

وإذا تكون كتيبة ملومة شهباء يخشى الذائدون نهالها

كنت القدم غير لابس جنة بالسيف تضرب موعلا أبطالها^(١)

هذا ، وقد ذهب ابن جني إلى غير ما أوردناه قال : إذا لبست الأبطال الثياب فوق الحديد خشية واستظهاراً ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلا للطنم فجعل الثياب كما ترى تصون الحديد . قال العروضي يرد عليه : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ؛ وإنما التني جعل الصون للحديد لا للثياب . يريد إذا لم يصن انثياب إلا الحديد يعني الدروع ، وإنما يريد التني لانه المستثنى وأنشد بيت الكهيت .

ومالي إلا آل أحمد شيمة ومالي إلا مذهب الحق مذهب

(١) كتيبة ملومة مجتمعة : وشهباء لما فيها من يياض السلاح والحديد ، ونهالها عطاشها ، والجنة ما وراراك من السلاح ، وأبطالها مفعول تضرب ، وموعلا : حال . ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها . وسيأتي شرح البيتين .

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامَ ضِرَابٌ^(١)
وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى قَضَاءَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غِضَابٌ^(٢)
يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَقْضِهَا نَائِلٌ وَعِقَابٌ^(٣)
أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَيِّفَمٍ وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاهُنَّ كِلَابٌ^(٤)

ومعنى البيت : أكثر ما يليق هذا المدوح في الحرب بإذلا نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال ، وذلك لشجاعته وإقدامه ، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع . . . وهذا الذى قاله العروضى هو الذى قلناه .

(١) يقول : وأوسع ما يكون صدرا إذا حى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب . ققوله وأوسع : مبتدأ ؛ وقوله وخلفه رماء : جملة حالية قامت مقام خبر أوسع ، والرماء : الرمي ، والضراب : الضرب ؛ ولكنهما تدلان على المفاعلة ، والأمام : منصوب على الظرفية ؛ وقال ابن جني : المعنى : أوسع ما يكون صدرا إذا تقدم في أول السكتية يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورام . فجعل ابن جني الرماء من أصحاب المدوح ، وليس في هذا مدح ، لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمى ويطن من أصحابه فصدرة واسع وقلبه مطمئن ، وإنما أراد - كما قلنا - خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه . يعنى : إذا كان في مأزق متضايق في الحرب ، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضيق صدره وإنما تراه أوسع ما يكون صدرا .

(٢) يقول : إذا أراد أمرا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرُونَ على خلافه وقد استقادوا له : أى أعطوه مقادتهم . فهما أبرم أمرا نفذ وإن غاضبهم فيه .

(٣) النائل : العطاء . يقول : لو لم يطمعه الناس رغبة في عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالا لما اختصه الله به من الفضل

(٤) يقول : أنت أسد قوة وبطشا ، وهمتك همه الأسود - والأسد موصوف بجوار الهمة ، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر :

وكانوا كأنفِ الليثِ لا شَمَّ مرغما ولا نالَ قط الصيدَ حتى يُعْمَرَا^(١)

(١) أى أنه لا يطمع إلا بما صاده بنفسه .

وقد قال أبو تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

ثم قال المتنبي - وأراد ما عداه من الملوك - : وكم من أسد دنىء النفس ساقط الهمة ؟ أى كم من ملك يشبه الأسد في قوة بطشه ولكن روحه روح كلب ؟ هذا وللعلامة العكبرى هنا كلمة في النادى أوردتها لمناسبة إعرابه «أيا أسدا» رأينا أن نوردها لنفسها ولأننا أخذنا على أنفسنا أن لا نقفل شيئا مما أوردته جميع السراخ . قال العكبرى : أيا أسداً : هو نداء منكر ينتصب بفعل مضمر ، ولو رفع ونون لكان أجود ؛ لأنه خصصه ؛ والنكرات إذا خصصت كان حكمها في النداء كحكم المفرد العلم : قال الله تعالى « يا أيها أولي معه » فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد ؛ والطير من رفعه جملا عطفها على الجبال ، ومن نصبه - وهو المشهور - فله ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون عطفها على موضع الجبال لأنها في موضع نصب ؛ الثاني : أن تكون الواو بمعنى مع ؛ الثالث : أن يكون مفعولا عطفها على ما قبله وهو قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلا » ؛ واختلف البصريون وأصحابنا الكوفيون في النادى ؛ فقال البصريون : هو مبنى على الضم وموضعه نصب ، لانه مفعول . وقال أصحابنا : بل هو معرب مرفوع بغير تنوين ، وحجتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض ووجدناه مفعولا في المعنى ولم نخفئه لثلاث يشبهه بالمضاف إلى ياء التكلم ؛ ولم نصبه لثلاث يشبهه مالا ينصرف فرفعناه بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برفع صحيح فرق . وأما المضاف فنصبناه لأننا وجدنا أكثر الكلام منصوبا لحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالا من غيره . وحجة البصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبنى - وإن كان يجب في الأصل أن يكون معربا - أنه أشبه كاف الخطاب ، وهى مبنية فكذلك ما أشبهها من هذه الأوجه ، فوجب أن يكون مبنيا ؛ ووجه آخر : وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن الأصل في قولك : يا زيد ، يا إياك ، ويا أنت . لأن النادى لما كان مخاطبا كان ينبغى أن يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم المخاطب ، فيقال يا إياك ؛ ويا أنت ، فلما وقع الاسم النادى موقع الخطاب : وجب أن يكون مبنيا ؛ كما أن اسم الخطاب مبنى . قالوا وبنينا على الضم لوجهين ، أحدهما : أنه لا يغلو إما أن يبنى على الفتح أو على الكسر أو الضم ، بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، وبطل أن يبنى على الكسر

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلُكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيُهَابُ^(١)
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقُّ يَلْطُهُ وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُهُ وَطَالَ عِتَابُهُ^(٢)
وَقَدْ تَحْدِثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً وَتَنْمِيرُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يِيَابُ^(٣)

لأنه كان يلتبس بالضاف إلى النفس ، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم ؛ والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقاً بينه وبين المضاف إليه لأنه إن كان مضافاً إلى النفس كان مكسوراً ، وإن كان مضافاً إلى غيرها كان منصوباً ، فبنى على الضم لئلا يلتبس بالضاف ، وقلنا إنه مفعول لأنه في موضع نصب لأن تقدير يازيد أدعو زيداً ، وألهى زيداً ، فلما قامت «يا» مقام أدعو : عملت عمله ، فدلّت على أنها قامت مقامه من وجهين : أحدهما أنها تدخلها الإمامة نحو يازيده والإمالة لا تدخل الحروف ، وإنما تدخل الاسم والفعل . والثاني أن لام الجر تعلق بها نحو يازيد وبالعمر ، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر ، فلم تكن قد قامت مقام الفعل : لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ، لأن الحرف لا يتعلق بالحرف .

(١) يقول : إن الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترى . على أن يتصك حقا ، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك . يعنى : لا تجحفك الأيام شيئا لمنعتك .

(٢) يَلْطُهُ : يحجده ويمطّل به ومنه قول يحيى بن يعمر في رواية : أنشأت تلطها : أى تمنحها حقها من المهر ، ويروى تطلها وأصله لطلطت حقه إذا جودته وربما قالوا تلطيت حقه لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طاءات فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قالوا من اللعاع تلّيت^(١) . ويقال ألطه على أى أعانه أو حمّله على أن يلط حتى . يقال : مالك تعينه على لطلته . وأعبه : أزال عتبه أى أرضاه . يقول : لنا عند الدهر حق يحجده ويماطل في قضائه ، وقد طال عتابنا له ، فلم يزل عتبنا : أى لم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة : العادة والخلق ، وتنمر : مطاوع عمرت السكان : إذا صيرته عامراً أهلاً ، والياب : الخالى ليس به أحد . يقول : إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك ، إذ أنها ترضى المعائب وتسالم أهل الفضل ، فلا يلحفهم منها سوء لزولهم في كنفك وجوارك وهذا خلاف عاداتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والأوقات تصير عامرة لهم : بأن يدركوا

(١) اللعاع : هو المندباء ؛ بقل معروف يؤكل ، وتلى اللعاع : أكله

وَلَا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ^(١)
أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبَعَادِ يُشَابُ^(٢)
وَهَلْ نَافِيءٌ أَنْ تَرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا
وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابٌ^(٣)
أَقِلُّ سَلَامِي حُبًّا مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابٌ^(٤)
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فُطَانَةٌ سُكُوتِي يَبَيِّنُ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ^(٥)

مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسعف : يعنى إن أظفرتنى الأيام بمطلوبى لديك
فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك وإجلالا

(١) القرب : قرب السيف وهو عمده . يقول : إنما الملك في الحقيقة والواقع
هو أنت ، لا ذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته بعلو همتك وسداد رأيك ، فهو
بالمقاييس إليك نافلة وفضلة ، وكأنه قرب وأنت فيه السيف والزية كلها للسيف
لا للقرب . ويروى بدل قوله كأنك سيف : كأنك نصل .

(٢) و (٣) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور ، وضمير كان : يعود إلى
القرب ، ويشاب : يمزج ويخلط ، يقول : إن عيني قريرة بقربك وأنا مبتهيج بذلك لأننى
بلغت ما كنت أود من لقاءك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعد ، لأننى لم أنل منك
ما كنت أرجوه من الصنعة إلى ، وهل ينفعنى أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محبوب
عنى ؟ وهذا كلام بديع يفزو التنبى به — وبما بعده — الإشارة إلى ما يتوقعه من كافور
من الحصول على ولاية من الولايات .

(٤) حب : مفعول له ، كأنه قال : لحب ماخف عنكم . يقول : لإيثارى التخفيف
عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الإجابة : هذا ولك
أن تصب يكون : على إعمال كى ، وتكون ما : زائدة ، وأنت ترفعها على أنها لا تعمل ،
وتكون ما : مصدرية .

(٥) يقول : إن فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث
تدركها دون أن أذكرها ، فسكوتى عنها يقوم مقام الإفصاح عنها . وهذا كما يقول أمية
ابن أبى الصلت :

وَمَا أَنَا بِالْبَاقِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوَى يُبْنِي عَلَيْهِ ثَوَابٌ^(١)
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَازِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ^(٢)

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَبَاؤُكَ إِنْ شِئِمَّتْكَ الْحِبَاهُ^(١)
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرَّةَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ
ويقول أبو تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضَيْتُهُ بِقَرِّكَ التَّقَامِي
ويقول أبو بكر الخوارزمي :

وَإِذَا طَلَبْتُ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
فَإِذَا رَأَاكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي حَمَلْتَهُ وَمَكَائَتُهُ مَلَزُومُ

(١) يريد أن يستدرك على نفسه ، يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حي إياك ، لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضعيف . قوله ضعيف : خبر مقدم ، وهوى : مبتدأ مؤخر ، ثم ذكر السبب في البيت التالي . هذا : والرشوة ؛ ضم الراء ، وفتحها ، وكسرهما ، والجمع رشى ، ورشى . قال سيويه من العرب من يقول : رشوة ورشى ، ومنهم من يقول : رشوة ورشى ، والأصل : رشى ، وأكثر العرب يقول : رشى . ورشاه يرشوه رشواً : أعطاه الرشوة ، وارثى منه رشوة : إذا أخذها . قال البرد : الرشوة مأخوذة من رشا الفرج إذا مد رأسه إلى أمه لئزقه . وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث : لمن اتقه الرأشى والرشى والرائش : الرشوة ، والرشوة الوصلة إلى الحاجة بالمصانة ، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء ؛ فالرائش من يعطى الذي يعينه على الباطل ، والمترشى : الآخذ ، والرائش : الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا .

(٢) يقول : وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللائى يلتنى على قصدى إليك أنى كنت مصيباً في هواك ، وأنتك تفضل على وتبغنى ما أرجيه منك .

(١) الحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه وبكرمه به ، أو هو العطاء بلامن ولاجزاء ويروى حباؤك إن شيمتك الحياء .

وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرُّوْا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَنَرْتُ وَخَابُوا^(١)
 جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْتَ وَاحِدٌ وَأَنْتَ كَيْتٌ وَالْمُلُوكُ ذُبَابٌ^(٢)
 وَأَنْتَ إِنْ قُوِيْتَ صَحَفَ قَارِيءٌ ذُبَابًا وَلَمْ يَخْطِئْ فَقَالَ ذُبَابٌ^(٣)
 وَإِنْ مَدَّيْحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ^(٤)

(١) يقول : وأردت أن أعلم الذين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك أني قد ظفرت بقصدي إليك ، وأنهم أخفقوا بدولهم عنك إلى سواك . وهذا كقول البحترى :

وأشهدُ أني في اختيارِيك دُونَهُمْ مُوَدِّي إِلَى حَظِّي وَمُتَّبِعِ رُشْدِي
 والتشريق والتغريب في البيت تمثيل أراد به تحقيق الخالفة ، ولعله أراد به الحقيقة .
 (٢) يقول : إن الخلاف جارٍ في كل شيء إلا في أنك واحد ممتاز عن الأشكال ؛ وفي أنك أسد ، والملوك بالقياس إليك ذباب ، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :
 لو أن إجماعنا في فضل سُودَدِهِ في الدينِ لم يَخْتَلِفْ في الأمةِ اثنان
 ويقول البحترى :

وأرى الناسَ مجمعينَ عَلَى فضلكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ
 فالخلف بمعنى الاختلاف وأنك واحد بدل اشتغال من الكاف في قوله فيك .
 (٣) يقول : إذا صحف القاريء لدى هذه المقايسة لفظ الذباب — المذكورة في البيت السابق — فقال وإنك ليت والملوك ذباب : لم يخطيء ولم يعد الصواب في هذا التصحيف ، لأن من عدلك من الملوك كذلك .
 (٤) الكذاب : الكذب ، يقال كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً .
 قال الشاعر :

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا والمرء ينفعه كِذَابُهُ

وأنشدوا :

نادت حليمة بالوداعِ وَأَذَنْتِ أهل الصفاء وودعت بكذاب
 ورجل كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكذبة مثال همزة وكذابان

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَلِمَالُ هَيْنٍ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بِلَدَةٍ وَصِحابُ^(١)
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ^(٢)

وكيذبان وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبان وكذب وكذب . قال الشاعر :

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنْتَى قَدْ بَعَثَكَ بِوَصَالِ غَايَةِ قَعْلٍ كُذُّبُ^(١)
والكذب : جمع كاذب ، مثل رَأَى ورَكَع . قال أبو داود الرؤاسي :

مَتَى يَقُلْ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلُهُ إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثُ الْكَذْبِ الْوَلَعَةُ
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْعَدُهُمْ شَرًّا وَأَسْمَحَهُمْ كَفًّا لِمَنْ مُنِعَهُ
لَا يَحْسُدُ النَّاسَ فَضَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا تَشَوَّهَ نَفْسُ الْحَسَدِ الْجُشْمَةُ

« الولعة جمع والع وهو الكاذب » يقول : إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن
بعضه يكون كذبا : أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه وهذا كقول أبي تمام :

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِ حَقِّ فَلَمْ آتَمْ وَلَمْ أَتَحَوَّبْ^(١)
وَلَوْ امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِيقُ

عَنَى لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبْ

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدي وكل أهل أهلي : أى لولاك لم أقم بمصر
وكنت لا أزال مهاجراً في الأرض أتقل من بلد إلى بلد ومن ناس إلى ناس ، لأن جميع
البلاد وجميع الناس لدى سواء .

(٢) يقول : ولكنك جميع الدنيا الحبيبة إلى والى انصبت عليها آمالي ، فإن

(١) الرواية قد بعته - يعنى جملة - وقبله :

قَدْ طَالَ إِيضَاعِي الْخَدَمَ لَا أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلِي فِي مَعْدٍ يَخْطُبُ
حَتَّى تَأْوِبَتِ الْبُيُوتُ عَشِيَةً فَحَطَطْتُ عَنْهُ كُورَهُ يَتَثَاقَبُ

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنْتَى قَدْ بَعَثَكَ الخ .

(٢) فلان يتحوب من كذا : أى يترك الحوب ، وهو الإنم ، كيتاثم : أى :

يترك الإنم .

وصرة في صباه رجلين قد قتلا جرذاً وأبرزاه يُعجبان الناس من كبره فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَفِيرُ أَسِيرَ الْمَنَابَا صَرِيحَ الْقَطْبِ^(١)
رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ وَتَلَاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ^(٢)
كَلَّا الرَّجُلَيْنِ أَتَلَا قَتْلَهُ فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلْبِ^(٣)
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ فَإِنَّ بِهِ عَصَةً فِي الذَّنْبِ

حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهاباً إليك ، وكذلك الدنيا : من أراد السفر عنها سافر إليها ، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها . فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة . وقوله فما عنك : أى فمالى ذهاب عنك إلا إليك . وأورد العكبرى حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ ، وإلى : خبر ، وقال ابن جني : التقدير هى إلى حبيبة . يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف . وقال : إن العنى يريد أنك السلطان ، والسلطان هو الدنيا ، يعنى أنت جميع الدنيا ، فإن ذهبت عنك عدت إليك ، فإن الحى لا بد له من الدنيا . وهذا قريب مما قلناه .

(١) الجرذ : ضرب من الفأر ، والمستفير : الذى يطلب الفارة على ما فى البيوت وغيرها .

(٢) تلاه صرعا ، يقال تله يتله تلا فهو متلول ، وتليل : صرعه ، قال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين » أى صرعه كما تقول كبه لوجهه . يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر ، وصرعاه لوجهه ، كما تفعل العرب بالقتيل .

(٣) اتلا : تولى وباشر ، وغل : خان من الغلول : الحيانة فى المغام ، والسلب ، ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما ، وحره جيده . يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأيكما انفراد يجيد سلبه وخانه فى ذلك ، وهذا كله من باب التهكم والسخرية ولمناسبة كلا وكلتا تقول : ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فهما تثنية لفظية ومعنوية فأصل « كلا » كل ، خففت اللام وزيدت الألف للتثنية ؛ وزيدت التاء فى كلتا للتأنيث ، والألف فهما كالألف فى قولك الزيدان ، وحذفت نون التثنية منهما للزومهما الإضافة وذهب البصريون إلى أن فهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية والألف فهما كألف رحا

وعصا . وحجة الكوفيين النقل والقياس ؛ فالنقل قول الشاعر :

فِي كِلْتَا رِجْلَيْهَا سُلَامَى زَائِدَةٌ كِلْتَا هَا قَدْ قُرْنَتْ بِوَاحِدَةٍ^(١)

فإفراده كلت يدل على أن كلتا تشية ؛ والقياس أنها تنقلب إلى الياء جرأ ونسبا إذا أضيفت إلى الضمير ، نحو : رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كليتهما ، ومردت بكليتهما ، فلو كانت الألف في آخرهما كألف عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفاها نحو رأيت عصاهما ومردت برحاهما . فلما انقلبت الألف فيهما انقلب ألف الزيدان دل على أن تشيتهما لفظية ومعنوية ، وحجة البصريين : أن الضمير يعود إليهما تارة مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ؛ فرد الضمير مفرداً كقوله تعالى « كِلْتَا الْجَبْتَيْنِ آتَتْهُمَا كِلَاهُمَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّكِمْ لِيُحَدِّثَ بِهِنَا أَمثالاً لِمَا كُنَّ يَفْعَلُونَ » وكقول جرير :

كِلَا يَوْمَىْ أَمَامَةِ يَوْمٍ صَدَّةٌ وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إِلَّا لِمَامَا

فقال يوم بالإفراد ، وأما رد الضمير مثنى حملا على المعنى فكقول الفرزدق :

كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ الْجُرَى بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَمَا وَكَلَا أَنْفِيهِمَا رَابِى^(٢)

(١) قيل : إن هذا البيت من رجز يصف به نعامه ، فضمير رجلها يرجع إلى النعام ، والسلا مى : عظم في فرسن البعير وعظامه صفار طول أصبع أو أقل في اليد والرجل ، والجمع سلاميات ، والفرسن للبعير بمنزلة الحافر للفرس ، والضمير في كلتاها : للرجلين ، والمصراع الثانى : تأكيد للأول ، وقوله قرنت بواحدة : أى من السلا مىات .
(٢) من أبيات الفرزدق في جرير ؛ وكان جرير روج بنته أم غيلان من عبيدة ابن أخى امرأته وكان منقوص العضد فغلبها منه أى طلقها فقال الفرزدق :

مَا كَانَ ذَنْبُ الَّتِي أَقْبَلْتَ تَعْتَلُّهَا حَتَّى اقْتَحَمَتْ بِهَا أُسْكُفَةَ الْبَابِ

كِلَاهُمَا

يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها دون القلوص ودون البكر والنا ب

تعتلها : تجذبها جذبا عنيفا ، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفي رواية : ما بال لومكها أى لومك إياها ، والأسكفة ، عتبة الباب : أى حتى أدخلتها عتبة بابك ، وكلاهما أى كل من ابنة جرير وزوجها ؛ وجد الجرى : أى اشتد ، وأقلما : أى أقلما

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتي (*):

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً . وَأُمُّهُ الطَّرْطُبَةُ^(١)

فقال : قد أقلما حملا على المعنى - وقال رابى حملا على اللفظ - وقالوا : الدليل على أن فيهما إفراداً لفظياً أنك تضيفهما إلى الثنية . فتقول : جاءنى كلا أخويك ، ورأيت كليهما ؛ وكذلك حكم كلتا في المضر والمظهر ، فلو كانت الثنية منهما لفظية لما جاز إضافتهما إلى الثنية لأن التثنية لا يضاف إلى نفسه ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للثنية أنها تعال في قراءة حمزة والكسائى . وإذا أردت التوسع في هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب * كان ضبة هذا فيمن كان مع الخارجي الذي نجم في بني كلاب وهو المشار إليه في القصيدة التى مدح بها دلب بن لشكروز بالكوفة - وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوماً من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته - أم ضبة - وفسقوا بها ، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب في جماعة من أشرف الكوفة ، فامتنع منهم ، وأقبل يحاهر بشتهم ، فأرادوا أن يحيوه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبي إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها - أقول : ولولا أن يقال إننا تصرفنا في الديوان وأن هذا الديوان أدركه الحداج - إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبي فيسيء الناس بنا الظن - لما أثبتنا هذه الأبيات التى ينبو بها السمع .

(١) يقول : ما أنصف القوم هذا الرجل إذ ضلوا بأبيه وأمه ما فعلوا ، والطرطبة : القصيرة الضخمة ، وقيل المسترخية الثديين أو الطويلة الثديين قال الشاعر :

لَيْسَتْ بِقَتَاتٍ سَهْلَةً وَلَا بِطَرْطُبَةٍ لَهَا هُلبٌ^(١)

عن الجرى ؛ ورابى من الربو وهو النفس العالى المتابع ، وهذا تمثيل يقول : إن بنت جرير وزوجها قد افترقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهما كفرسين جدا في الجرى ووقفا قبل الوصول إلى الغاية :

(١) القتاة النجوم من التت وهو النجمة والكذب الميأ ، ويقال للفارغ النشط الفرح سهلاً ، وروى عن عمر أنه قال ، إنى لأكره أن أرى أحداً سهلاً لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة . وكل فارغ سهلاً ، والهاب ما غلظ من الشعر .

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاغُوا أَلَامَ غُلَّةٍ^(١)
 فَلَا يَمْنُ مَاتَ فَضْرٌ وَلَا يَمْنُ نِيكَ رَغْبَةٍ^(٢)
 وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا حَسْبَهُ^(٣)
 وَحِيلَةَ لَكَ حَتَّى عُدِرْتَ لَوْ كُنْتَ تَبِيهَ^(٤)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَةٌ^(٥)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَذْرِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّةٌ^(٦)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَا رِإْنِ أُمَّكَ قَعْبَةٌ^(٧)
 وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبَةٍ
 مَا ضَرَّهَا مِنْ أُنَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُنْبُهُ

(١) يقال بالك الحمار الأتان : نزا عليها ، والظبة : النعابة جلهم كالخير في غشياتها بفحش .

(٢) يقول : فلا يغر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها .

(٣) يقول : وإِنَّمَا قُلْتُ مَا أَصْفُوكَ رَحْمَةً بِكَ لِمَا أَصَابَكَ مِنَ الْقَدِّ وَالْعَارِ لَا حِجَةَ لَكَ وَغَيْرَ عَلَيْكَ . يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالثأمة ، وليلحظ أن ضبة هذا من النباء بحيث لم ير للتنبى بدا من أن يسلك معه هذا السلك ، قد صرح باسمه . . . وإيضاً كان يكنى أن يقول ما أنصف الناس ضبة وأمه الطرطبة ، ولا يقول بعد ذلك : وإِنَّمَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا حِجَةَ .

(٤) تيه بكسر التاء - مضارع ، وبه : بمعنى أبه وبالي واكثرث ، وتروى لو كنت تنبه . أى تعطن . يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يذرك الناس فيما أم بك إذا سمعوا قولى هذا وعرفوا أنك مظلوم .

(٥) و(٦) و(٧) مافى الآيات الثلاثة استفهام إنكارى ، وهى فى البيتين الأولين : ضمير الشأن ، والسبة : العار يسب به ، والقعبة : البنى ، والفاسدة الفاجرة . وهذا من أبى الطيب استهزاء واستهجان لضبة . يقول : لا يعلق بك من قتل أهلك عار ، إِنَّمَا ذَلِكَ ضَرْبَةٌ وَقَتٌ بِأَيْكَ فَمَاتَ مِنْهَا ، والندرسبة تسب به ، فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من لجور أمك .

وَلَمْ يَنْكِهَا وَلَكِنْ يَلُومُ ضَبَّةَ قَوْمٍ وَعَلْبَهُ يَتَشَشَّى
عِجَانُهَا نَاكَ زُبَّةٌ (١) وَلَا يَلُومُونَ قَلْبَهُ
وَيُلْزِمُ الْجَنْسَ ذَنْبَهُ لَوْ أَبْصَرَ الْجَذْعَ شَيْئًا
أَحَبَّ فِي الْجَذْعِ صَلْبُهُ (٢) يَا أَطِيبَ النَّاسِ نَفْسًا
وَأَلْيَنَ النَّاسِ رُكْبَةً (٣) وَأَخْبَثَ النَّاسِ أَصْلًا
فِي أَخْبَثِ الْأَرْضِ تَرْبَةً تَبِيعُ أَلْفًا بِجَبَّةٍ
لِمَزِيْمٍ وَهِيَ جَبَّةٌ (٤) وَمَا عَلَى مَنْ بِهِ الدَّاءُ
مِنْ لِقَاءِ الْأُطِيبَةِ (٥) وَلَيْسَ بَيْنَ هَلُوكٍ
وَحُرْقٍ غَيْرُ خُطْبَةٍ (٦) يَا قَاتِلًا كُلَّ ضَيْفٍ
غَنَاهُ ضَيْحٌ وَعَلْبُهُ (٧)

(١) العجبان : ما بين القبل والدبر . يقول : إنها عجوز كبيرة مهزولة تصيب بعجانها متاع من أتاها فتصكه .
(٢) هذا كناية عن الأير . يقول : لجه ذلك يجب أن يكون مصلوباً في ذلك الجذع .
(٣) يقول : إنه سمح القياد يلين لمن راوده وقد أملت ركبته لكثرة البروك عليها .
(٤) يريد بالفعول : الذين يفعلون بها ، فجعلها تجمعهم وتضمهم كما تضم الجعبة السهام .
(٥) يقول : إن الذين يأتونه كالأطباء له ، ومن كان به داء فعالجه بدوائه لم يجب به . يهون عليه ما يسبه به من الأمر القبيح استعجالاً له .

(٦) الهلوك : البنى الفاجرة . يقول : إن الفاجرة كالجرة المخطوبة إلى أهلها لافرق بينهما إلا الاستحلال بالخطبة .

(٧) غناه : هو غناؤه ، قصصره : أى يكفيه ضيحه وعلبة ، والضيح : اللبن الممزوج بالماء ، والعلبة : قدح من جلد يشرب فيه اللبن . يقول : إنه لشحه ولؤمه إذا نزل به ضيف قتله ليتخلص من قراءه ؛ ولو كان هذا الضيف صلوفاً : يكتفى بقليل من الضيحه في علة . ويجوز أن يكون المعنى أنه لما طبع عليه من الغدر يقتل كل من ألم به ، ولو كان صلوفاً لآمال معه يطعم فيه

وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنَبَهُ^(١)
 كَذَا خَلِقَتْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُفَالِبُ رَبَّهُ^(٢)
 وَمَنْ يُفَالِي بِذِمَّةٍ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهُ
 أَمَا تَرَى الْخَلِيلَ فِي النَّخْلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَةٍ^(٣)
 عَلَى نِسَائِكَ تَجَلُّو فَعُولَهَا مُنْذُ سَنَبِهِ^(٤)
 وَهَنْ حَوْلَكَ يَنْظُرُ نَ وَالْأَحْيَاحُ رَطْبَهُ^(٥)
 وَكُلُّ غُرْمُولٍ بَغْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُذَن قُنْبَهُ^(٦)
 فَسَلْ فُؤَادَكَ يَا ضَبَّ أَيْنَ خَلَفَ عُجْبَهُ^(٧)
 وَإِنْ يَخُنْكَ لَعْمَرِي لَطَالَمَا خَانَ صَحْبَهُ^(٨)
 وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رُغْبَهُ^(٩)

(١) وخوف : عطف على قاتلا - في البيت السابق - أى ويا خوف كل رفيق الخ .
 يقول : هو من الصدر بحيث إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نل .
 (٢) يقول : إن الله خلقه مجبولا على الصدر والسفال ، ومن ثم لا يزال على ما جبله
 الله عليه لا يستطيع الناس تهذيبه ، لأن الله جل شأنه لا يغالب .
 (٣) و (٤) السرية : الجماعة من الخيل ، وفحولها : كناية عن غرمولها . والسنبه :
 الحين والقطعة من الزمان .

(٥) الأحيراح : تصغير أحراج - جمع حر ، وأصله حرج - الفرج
 (٦) القتب : وعاء القضب من ذوات الحافر .
 (٧) ضب : ترخيم ضبة . يقول : أسأل فؤادك يا ضبة أين ترك ما كان فيه من
 العجب والكبر ؟ يعنى حين احتبأ وامتنع منهم بالحصن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .
 (٨) و (٩) يقول : إن خانك فؤادك - أى خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك
 على الإقدام علينا خوفا ورهبا - فلست أول من خان قلبه ، لأنه تعود خيانة
 أصحابه .

مَا كُنْتُ إِلَّا ذُبَابًا نَفَثْتَ عَنَّا مِذْبَةً^(١)
وَكُنْتُ تَفْخَرُ تِيهَا فَصِرْتَ تَفْصِرُ رَهْبَةً
وَإِنْ بَعْدَنَا قَلِيلًا سَحَلْتَ رُمَحًا وَحَرَبَةً^(٢)
وَقُلْتَ لَيْتَ يَكُنِّي عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ^(٣)
إِنْ أَوْحَشْتَكَ الْمَعَالِي فَأَيُّهَا دَارُ غُرَبَةٍ^(٤)
أَوْ آتَسْتَكَ الْمَخَازِي فَأَيُّهَا لَكَ نِسْبَةٍ^(٥)
وَلَمَّا عَرَفْتَ مُرَادِي تَكَشَّفْتَ عَنْكَ كُرْبَةٍ^(٦)
وَلَمَّا جَهِلْتَ مُرَادِي فَأَيُّهُ بِكَ أَشْبَهُ^(٧)

(١) يقول : إنك حين اختبأت وتحصنت منا جينا ما كنت إلا ذباباً طردناه بمذبقتنا
فهرب ، وروى «عنه» بدل عنا ، والضمير في عنه وفي فيه : يرجع إلى العجب : يعنى
كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنت كالذباب يقتل بالمذبة . وذهب ابن جنى إلى
أن الضمير يعود إلى القلب فقال : يريد بقيت بلا قلب .
(٢) يقول : وإذا بعدنا عنك فأمنت . عاودك العجب فحملت السلاح ، وهذا
مثل قوله :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب العطن وحده والنزلاً

(٣) العنان : سير اللجام ، والجرداء من الحيل : القصيرة الشعر ؛ والشطبة : الطويلة .
(٤) و (٥) يقول : إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك ، لأنك غريب عنها ،
أما المخازي فإنك تتأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقرباة .
(٦) يقول : إن مرادى أن أنه إلى ما فيك من القدر والشع ، فإن عرفت مرادى
هذا : سررت بما قلت ، لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعثت من خلاك
وقال ابن جنى يقول : أنت مع ما أوضحته من ههناك غير عارف به لجهلك فإذا عرفت
أنه ههنا زالت عنك كربة لمعرفتك إياه . . وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما
قال الواحدى .

(٧) فان الجهل بك أشبه لأنك لست بمن يفهم .

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بِعَمَّتِهِ وقد توفيت ببغداد :

آخِرُ مَا لِلْمَلِكُ مُعْزَى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَرُ فِي قَلْبِهِ ^(١)
لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ ^(٢)
لَوْ دَرَّتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ لَأَسْتَحْيَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتَبِهِ ^(٣)
لَعَلَّمَا تَحَسَّبُ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ ^(٤)
وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارُهُ لَهُ لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ ^(٥)
وَأَنَّ جَدَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ ^(٦)

(١) هذا خبر معناه الدعاء . يقول : جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده . والملك تخفيف الملك . وهذا ، مبتدأ مؤخر وآخر : خبر مقدم .
(٢) جزعا : مفعول له ، عامله أثر ، والأنف الحمية والاستنكاف ، وشابه خالطه .
يقول : لم يؤثر هذا الحادث في قلبه لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع ، ولكنه أخذته الحمية والأتفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماء ويستبيح حريمه ويغتصبه من يعزى عليه

(٣) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزها من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها ، وقيل : إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته ، ولو علمت لما عرضت لشيء من أسبابه . وقد دل البيت التالي على ذلك .

(٤) يستندر عن الأيام . يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت في بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسقط عليها .

(٥) الذرى : الكنف ، والعضب : السيف القاطع . يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمته لما كانت ببغداد ولم تكن بمحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها .

(٦) يقول : ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده ، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده : يعنى أن عمته لما كانت في غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته ومن ثم اجترات عليها ولم ترع حقه . ويروى : وأن حد الرء — بالحاء — فيكون المعنى أن حريمه وطنه ، فمن لم يكن مستوطنا معه لم يكن من عشيرته .

أَخَافُ أَنْ تَفْطَنَ أَعْدَاؤُهُ فَيَجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ ^(١)
 لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ ^(٢)
 يَنْتَسِي بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ ^(٣)
 نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَافُ مَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ ^(٤)
 تَبْخَلُ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ مِ مِنْ كُنْبِهِ ^(٥)

(١) أجفل : أسرع في الحرب ، يقول : إني أخاف - إذ قلت هذا - أن تفتن أعداؤه إلى أن الأيام لا ترزأ كل من كان في حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفا من الأيام وطلبا للسلامة بحصولهم في ذمته واشتغالهم بعزه .

(٢) يقول : لا بد للإنسان من اضطجاع في القبر لا يتقلب معه المضطجع أى يبقى كذلك أبد الدهر ، ولو قال لن - بدل لا - لكان أحسن ؛ لأن لن تدل على التأييد .

(٣) يقول : ينسى الإنسان تلك الضجة تبه وإعجابه بنفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره : أى ينسى تلك الضجة كل ما لاقاه في حياته وفي مماته .

(٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه ؛ فما بالنا نكره ما لا بد منه ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَتَوَّا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لَتَبَقَى
 وأصله قول متم بن نويرة :

فَعَدَدْتُ آبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى فدعوتهم فعددت أن لم يسموا
 وَلَقَدْ حَلِطْتُ وَلَا حَالَةَ أَنْتَى للحادثات فصل ترانى أجزع ؟

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزبه عن أبيه : «أما بعد» فإننا أناس من أهل الآخرة ، أسكننا في الدنيا أمواتاً آباء أموات ، وأبناء أموات فالعجب لمت يكتب إلى ميت يعزبه عن ميت والسلام .

(٥) يقول : إننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها بما كسب الزمان لا من كسبنا نحن ، وقد قسر ذلك في البيت التالى ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان تناشؤ الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعا ف رجوعها إلى أما كتبها .

فَهَذِهِ الْأَذْوَاحُ مِنْ جَوْهَرٍ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبَةٍ (١)
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي يَنْسِبُهُ لَمْ يَنْسِبِهِ (٢)
لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ فَسَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ (٣)
يَمُوتُ رَاغِي الضَّانِ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةً جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ (٤)
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُصْرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ (٥)
وَعَايَةُ الْفَرْطِ فِي سِلِّهِ كَفَايَةُ الْفَرْطِ فِي حَرْبِهِ (٦)

(١) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف - هو الروح - وجوهر كثيف - هو البدن - فجعل اللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب . قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره ، « هذا » ؛ وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه ، لأن هذا إنما هو تفسير لشعر المتنبي حسب .

(٢) يقول : لو فكر العاشق الاستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأقلع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه . ولك أن تجعل هذا مطرداً في كل معنى من معاني الحياة فتقول : لو فكر الحريص التهاك على جمع المال في منتهى ذلك وأن مصير هذا للمال إلى الزوال أو أنه ماثت عنه لا محالة : لما تهالك على جمعه ، وهلم . قال العسكري : وهو من قول الحكيم : النظر في عواقب الأشياء يزيد في حقارتها ؛ والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق .

(٣) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وهذا مثل : معناه . أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال : كالشمس من رآها طالعة لم يشك في غروبها .

(٤) قوله : في جهله وفي طبه ، حالان . يقول : إن الموت حتم على رقاب العباد لا ينجو منه إنسان : أكان شريفاً أم وضيعاً ، عاقلاً أم جاهلاً . فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٥) السرب : النفس . يقول : وربما زاد راعي الضأن عمراً على عمر جالينوس ، وكان آمناً على نفسه منه ؛ لأن الطبيب لعله وتقديره لضروب الأدوية وارتباط الأسباب بالسيئات يبقى دائماً قلقاً خائفاً كثير الوسواس .

(٦) يقول : من بالغ في السلم والوعدة كمن بالغ في الحرب والمعادة والتعريض بالخطر

فَلَا قَصَى حَاجَتُهُ طَالِبٌ فَوَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ (١)
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ (٢)
 وَكَانَ مِنْ عَدَدِ إِحْسَانِهِ كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ (٣)
 يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعَلَى عَيْشَهُ وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ (٤)
 يَحْسِبُهُ دَافِنُهُ وَخَسَدُهُ وَتَجَدُّهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ (٥)
 وَيُظْهِرُ التَّذَكُّيرُ فِي ذِكْرِهِ وَيُسْتَرُّ التَّائِيثُ فِي حُجْبِهِ (٦)

كلاهما إلى الموت . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : آخر إفراط التوقى أول موارد الخوف ؛ ويقال أفرط : إذا أسرف وجاوز الحد ؛ وفراط بتشديد الراء : قصر . وفي الحديث « لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً » .

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يهرب الموت ، يعني إذا كان لا متدوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان ؟ بحث على الشجاعة والإقدام ، ويدعو على الهياة الجبان . والضمير في رعبه : للفؤاد :

(٢) هذا ضرب من الملح الذي يشبه الدم ، يقول : أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه : أي لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده ؛ يعني للرؤية عممة عند الدولة .

(٣) يقول : وكان يكره ذكر إحسانه تناسياً للمعروف ، فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف في سبه .

(٤) يقول : إنه كان يحب أن يعيش لكسب للعالي لا لحب العيش : فالضمير في عيشه : للرئى ، والتقدير : يريد عيشه من حب العلى ، ولا يريد العيش من حب العيش .

(٥) يقول : إن الذي يدفنه يظن أنه يدفنه وحده ، وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التي هي أصحابه لا تفارقه .

(٦) يقول : إنها في حبها وخدرها أنثى على الحقيقة ، وليس ثم إلا الصون والعفاف وما إليهما عما هو شيمة المخدرات ، أما إذا ذكرت أفعالها ومسايعها — من طلب للعالي وإيثار المعروف وإغاثة للملهوف — فهناك التذكير حقاً ، لأن مثل هذه الأفعال إنما هي من شيم الرجال .

أُخْتُ أَبِي خَيْرٍ أَمِيرٍ دَعَا فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبَّ^(١)
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لَبَّ^(٢)
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَانَتْهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ^(٣)
فَخَرًّا لِدهْرِ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمُنْجِبٌ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ^(٤)
إِنَّ الْأَمْسَى الْقِرْنُ فَلَا تُخَيِّهِ وَسَيُفَكَّ الصِّبْرُ فَلَا تُفْنِيهِ^(٥)

(١) أخت : خبر مبتدأ محذوف : أى هى أخت ، ولبه : أحبيه ، يقول : هى أخت
ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه ، فقال الجيش للرمح
أحبيه : أى يدعو الجيش فيحبه بالسلاح . ويجوز أن يكون للمنى : أن عضد الدولة
خير أمير دعاه جيش فقال للقنا لب الجيش . يعنى أنه يجب الصارخ ويثبت للستيث .

(٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لها للكل بالقلب
واللب — أى العقل — فجعل اللب مثاله والقلب مثلاً لأبيه ، والقلب ، وإن كان
أبا اللب — أى مصدره — إلا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة
أفضل من أبيه ركن الدولة ، وإن كان ركن الدولة أباه : قال ابن جنى : لولا حذف
المتنبي ماجراً على هذا .

(٣) النور : الزهر ؛ والقضب : جمع قضيب . يقول : إن أبناء عضد الدولة زين
لآبائهم ، وليسوا بزین له هو ، لاستغنائهم بمزية علائهم عن أن يزين بأبنائهم : يعنى أن أبناءك
يزينون آبائك كما يزين النور القضب .

(٤) غفراً : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، واللام فى قوله لدهر : لبيان الفاعلية ؛
كما فى قولهم : تباً لزيد ؛ وللتعجب : الذى يله التجباء : وعقب الرجل : أولاده . يقول :
ليفتخر الدهر بكونك من أهله ، وليفخر أبوك الذى صار منجياً بكونك من عقبه .

(٥) الأسمى هنا : الحزن ، وهو مقصور مفتوح ، والقرن : من قارنك ومائلك فى
السن أو القوة والشجاعة ؛ وبنا السيف : إذا لم يقطع ويحل فى الضربة . يقول : إن
الحزن — أى حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه بإعائته
على نفسك : وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نايًا كليلًا . أى
لا تضعه فيغلبك الحزن .

مَا كَانَ عِنْدِي أَنْ بَذَرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ الْفَقُودُ مِنْ شُهِبِهِ ^(١)
 حَاشَاكَ أَنْ تَضُمَّ عَنْ حَمَلٍ مَا
 تَحْمِلُ السَّائِرُ فِي كُتُبِهِ ^(٢)
 وَقَدْ حَمَلَتِ الثَّقَلُ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنْ سَعْبِهِ ^(٣)
 يَدْخُلُ صَبْرُ الْمَرْءِ فِي مَذْهِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ ^(٤)
 مِثْلُكَ يَنْبِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غُرْبِهِ ^(٥)
 إِنَّمَا لِإِبْقَاءِهِ عَلَى فَضْلِهِ إِنَّمَا لِنَسْلِيمِهِ إِلَى رَبِّهِ ^(٦)

(١) جملة كالبدر ، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر . يقول : ما كان ينبغي أن تتم للفقد أحدم لأن البدر يستغنى بنوره عن الكواكب .

(٢) أراد بالسائر : الذي حمل إليه الكتاب بوفاتها . يقول : حاشاك أن تضف عن حمل ما أطاق حمله الرسول : أى إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأت أشد إطاقة له ، قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالعة ، وإنما أراد تسكينه فتوصل إلى ذلك من كل وجه :

(٣) يقول : إنك قد حمات الثقل من الأمور قبل هذا الحادث فأغثت قوتك عن جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل الثقل إذا هجز عن حمله جره على الأرض ، كما قال عتاب بن ورقاء :

وَجَرَهُ إِذْ كُلَّ عَنْ حَمَلِهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَفْظِهِ عَلَى شَفَا

واللغى : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تهجز عن حمل هذا الرزء .

(٤) الإشفاق : الخوف والجزع ، والثلب ، الدم — ثلبه : فمه وعابه . يقول : إن الصبر مما يمدح به الإنسان والجزع مما يعاب به . يريد : أن يحسن الصبر لديه ليرغب فيه ، ويقبح الجزع ليجتنبهه .

(٥) الصوب : القصد والناحية ؛ والغرب : مجرى الدمع . يقول : مثلك يقدر على صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ؛ ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره .

(٦) إيماء : لئمة فى إيماء . يقول : يصل ذلك إيماء إبقاء على فضله لتلايضيع فضله بالجزع ، وإيماء لتسليم الأمر إلى الله ، ورعا وتقوى .

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَخْفِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهٍ^(١)

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي :

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ أَبْنَا لِفَيْرِ أَبٍ
مُمِّ امْتَحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبٍ
سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَنْمِيَةً
مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْمَقْلِ لَا الذَّهَبِ^(٢)
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَبِكَ بِهِ
يَا أَيُّهَا اللَّقْبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ^(٣)

-
- (١) يقول : لم أعن بقولي : مثلك يثنى الحزن عن صوبه — إنساناً آخر غيرك . لأنك الفرد الذي لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر في الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف إليه كقوله تعالى : « ليس كمثل شيء » — يريد إنما أردت نفسك لا غيرك .
- (٢) هذا البيت جواب لما في البيت الأول . يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به : سميت اليوم بالذهبي : أي أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل ، لا من الذهب : أي إنما قيل لك الذهبي لنهاب عقلك .
- (٣) وبك : هي وبلك ، حذف اللام لكسرة الاستعمال . يقول : إن الذي لقبك به هو ملقب بك : أي أنت شين وعار للقبك ، فلقبك ملق على لقب — أي على عار وخزي — قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به ، وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التي أولها :

لقد أصبح الجرذ المستغفر أسير المنايا سريع العطب

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي ، وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض
حِصَى مُنْصَرَفَه من مصر ؛ فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب ، فجعلوا يسرقون له
من أمتعه ؛ فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه
وأمر النملان فأجهزوا عليه :

لَمَّا اللَّهُ وَرَدَانَا وَأَمَّا أَنْتَ بِهِ
لَهُ كَسَبُ خَنْزِيرٍ وَخَرْطُومٌ ثَعْلَبٌ^(١)
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةً
عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ^(٢)
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَنٍ عِزِّهِ
فَيَأْلُومَ إِنْسَانَ وَيَأْلُومَ مَكْسَبَ^(٣)
أَهَذَا اللَّذِيًّا بِنْتُ وَرَدَانَ بِنْتُهُ
هُمَا الطَّالِبَانِ الرُّزْقَ مِنْ شَرِّ مَطْلَبٍ^(٤)

(١) الخنزير يأكل العذرة ، وكذلك بنات وردان ، وهي دويبة كريهة الريح .
تألف الأماكن العذرة في البيوت - ولاتفاق الاسمين جملة كالخنزير في أكل العذرة ،
ويريد بقوله : له خرطوم ثعلب ، أنه نأى الوجه . فوجهه خرطوم الثعلب ، وهو أنه
ولم ؛ ولجاء الله . قبحه ولنه .

(٢) يقول : إن غدره بي دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه : يعنى
أنهما كانا غادرين ، والغدر موروث له . لا عن كلاله ؛ وأحسن من هذا ما رواه
ابن جني .

* على أنه فيه من الأم بالأب *

أى أن غدره بي دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رشده .

(٣) الممن : الفرج - قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسباً له .

(٤) يقول - تجاهلا واستهزاء - : أهذا هو الذى تنسب إليه بنت وردان -

لَقَدْ كُنْتُ أَنِنِي الْفَدْرَ عَنْ تَوْسٍ طَيِّءٍ
فَلَا تَعْذِلَانِي رَبِّ صِدْقٍ مُكْذَبٍ^(١)

هذه الحشرة الحفيرة القذرة ؟ - ثم قال : هو وهي يتمسك الرزق من شر مطلب : هي تطلبه من الحشوش - أما كني العذرة - وهو يطلبه من هن عرسه . والذيا : تصغير الذي (٣) التوس والسوس : الأصل . يقول : لقد كنت أقول أن طيئاً لا تعذر وأن آباءهم ليسوا بخدارين ، فلا تلوماني إن قلت : إن هذا قد غدر لأنه ليس من الأصل الذي يدعى إليه من طيء . وقوله : رب صدق مكذب : يعني أنه كان صادقاً في نفي الغدر عن طيء . وإن كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيء . يريد أنه صادق ، وأن وردان ليس من طيء .

قافية التاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا
فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ^(١)

(١) الحلة : الحاجة والفقر ، ويقال : في الدعاء للبيت : اللهم اسدد خلته : أى الثمة التى ترك . وأصله من التخلل بين الشيئين . قال الأصمى : يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله ، واسدد خلته : يراد الفرجة التى ترك بعده من الخلل الذى أبقاه فى أموره ، وفى المثل . الحلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرة . ورجل محل ومخل وأخل وخليل : معدم فقير ؛ قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالى ولا حرم

يعنى بالخليل المحتاج الفقير المحتل الحال ، والحرم : الممنوع ، وقوله : من حيث يخفى مكانها يريد : من حيث لا يدركها لحاظ غيره ، وقد أدمج فى هذه الكلمة نزاهة نفسه وصيانة عرضه . وقوله : فكانت قذى عينيه : أبرع كلمة فى معنى الاهتمام بالحاجة ، وتجلت انكشفت وزالت ، والقذى : ما يقع فى العين من غبار ونحوه ، والبيت لعبد الله ابن الزبير الأسدى وقبله :

سأشكرُ عمرًا ما تراخت منيتي أيا دى لم تمنن وإن هى جلت

فنى غيرُ محبوبٍ الفنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النمل زلت^(١)
قيل أنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يوما ، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوباً رثاً - وهذا هو مغزى قوله : رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فدعى وكيله وقال

(١) قوله سأشكر : فإن العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيداً ولا تريد التنفيس فيه ، ولم تمنن : لم يتبعها من ؛ وزلت نعله : يريد زلت قدمه فى مزلق الدهر فلا يجد مركباً بقيه مصرع السوء .

وسأله إجازته ، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالاً :

لَنَا مَلِكٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هُمُ تَمَاتُ لَحْيٌ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتٍ ^(١)
وَيَكْثُرُ أَنْ تَقْذَى بَشْيُهُ جُفُونُهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتْ ^(٢)
جَزَى اللَّهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَتَيْفِي وَدَوْلَتِي ^(٣)

وقال في صباه عند وداعه بعض الأمراء :

أَنْصُرْ بِجُودِكَ الْفَاطِمَةَ تَرَكَتُ بِهَا

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتًا ^(٤)

اقترض لنا مالا ، فقال: هيات . ما يعطينا التجار شيئاً . قال: فأرجعهم ماشاءوا ، فاقترض له عشرة آلاف درهم . فوجه بها إليه مع تحت ثياب فقال هذه الأبيات .
(١) هم : مبتدأ ، ومات : خبر ، ويطعم : يذوق . يقول : لنا ملك لا يذوق النوم ، إذ ليس بصاحب لهو ، وإنما هم الحرب والجدود ؛ فميت بقتاله الأعداء ، ويحيى بنوالة الأولياء .

(٢) هذا كارد على قوله : فكانت قذى عينه . يقول : هو أكبر من أن تقذه جفونه — أى يتأذى بشيء — فمضى رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها : أى أن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئاً يتأذى به .

(٣) حذف مفعول جزى للتعميم : أى جزاء عن كل خير ، ونداء : أى جوده ، والغمر : الكثير ، وماء غمر : كثير مفرق ، ويقال رجل غمر الرداء وغمر الخلق : أى واسع الخلق كثير المعروف سخى ، وإن كان رداؤه صغيراً قال كثير :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِحْضُكُتَهُ رِقَابَ الْمَالِ

وكله على المثل :

(٤) مكبوتاً ذليلاً . قال الجوهري : الكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أى صرفه وأذله ، وكبته : أى صرعه لوجهه . وفي القرآن الكريم « كبتوا كما كبت الدين من قبلهم » . وفيه أيضاً « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » وقال الفراء : كبتوا أى غيظوا وأحزنوا يوم الحندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم . قال الأزهرى : وقال

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحَلِي وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا^(١)

وقال مرتجلا يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي :

فَدَنَّاكَ الْخَلِيلُ وَهِيَ مَسُومَاتٌ وَبِيضُ الْمِنْدِ وَهِيَ مَجَرَّدَاتٌ^(٢)

وَصَفْتُكَ فِي قَوَافٍ سَائِرَاتٍ وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتٌ^(٣)

أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهُمٌ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاتٌ^(٤)

من احتج للفراء : أصل الكبت : الكبد ، قلبت الدال تاء — أخذاً من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكان الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها. ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . يقول : انصر بغطايك قصائدني التي مدحتك بها والتي غاظت أعداءك في الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيده منها .

(١) نظرتك : أي انتظرتك ؛ والمرتحل : الارتحال . يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالي عنك ، وهذا وقت وداعي إياك فاختر : إما أن تجود فتكون أهلاً للمدح ، أو تمنع وتحمي فتكون أهلاً للذم . وهذا كقول أحمد بن أبي فنن :

حَانَ الرَّحِيلُ قَدْ أَوْلَيْنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَخْدُوجُ مَا كُنَّا إِلَى زَادِ

(٢) مسومات : معلمات بعلامات تعرف بها . يقول : فدتك الخيل والسيوف في الحرب حتى تفنى هي وتبقى أنت ، إذ يبقى الخير لنا ما بقيت .

(٣) فاعل كثرت : ضمير انقوافي ، وفاعل بقيت : صفات . يقول : لقد وصلتك بقصائد كثيرة ، يد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أحط بها .

(٤) أفاعيل : جمع أفعال ، جمع فعل ، والدم : السود ، والشيات : جمع شية ، وهي لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال الناس من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود : أو هي — أفعالهم — تزين بفعلك تزين الأدم بالغرة والتحجيل — كمال يقول أبو تمام :

قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّعُوا فِيهِ وَغُودِرَ وَهْوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :

سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرِمْتُ ذَوَاتِهَا ذَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا^(١)
أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقَلَّتِي بَشْرًا رَأَيْتُ أَرْقَى مِنْ عِبْرَاتِهَا^(٢)
يَسْتَأْقُ عَيْسَهُمْ أَنِ بِنِي خَلْفَهَا تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجَرَ حُدَاتِهَا^(٣)
وَكَانَهَا شَجَرٌ بَدَتْ لِكِنِّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا^(٤)

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضاً :

حقى لو أن الليالي صُورَتْ لَفَدَتْ أفعاله الغرُّ في آذَانِهَا شَفَا^(١)

(١) السرب : القطيع من الظباء والقطا وما إليهما ، والمراد هنا : جماعة النساء ، وسرب : خبر مبتدأ مخوف : أى الذى اشتاقه أو أصفه مثلاً ، وذواتها : صواحبها . يقول : إن هذا السرب قد حرمت رباه محاسنه لما حيل بينى وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته — أى محاسنه — لا تزال نصب عيني وطى ذكر منى ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أى أشخاص النساء — بعيدة عني .

(٢) أوفى : أى السرب : أى أشرف ، والبشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . يقول : إن هذا السرب أشرف على — لما سار — من مكان عال ، أو علا هوادجه للمسير ، فكان بصرى إذا وقع على بشرته رأى شيئاً أرق وألطف من دموع اللقطة ، ولك أن تجعل الضمير فى عبراتها : للبشر . ويراد بالعبرات : العرق الذى يسيل من البشرة ، ويكون المراد أنهم عرقن من الجهد والإعياء ، وروى الخوارزمى : نشراً ، وهو ما ارتفع من الأرض . يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيتَه لطول البعد كأنه سراب ؛ والسراب أرق من العبرات . ويكون الضمير للقلقة .

(٣) يستاق : يسوق . والعيس : الإبل ، والحداد الذين يسوقون الإبل . يقول : إن الإبل كانت تسمع أنينى خلفها فتسرع فى سيرها لأنها تظن زفراتى أصوات الحداة تزجرها لتسرع ، فسائقها — على الحقيقة — أنينى وزفراتى .

(٤) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن .

(١) الشنف كفلس — وحرکه ضرورة — ما يعلق فى أعلى الأذن

لَا سِرَتْ مِنْ إِبْلِ لَوَائِي قَوْفَهَا لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَذْمَعِي سِمَاتِهَا^(١)
وَحَمَلْتُ مَا حَمَلَتْ مِنْ هَذِي لَمَّا وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ حَسَرَاتِهَا^(٢)
إِنِّي عَلَى شَفْنِي بِمَا فِي خُرْهَا لَأَعِفُّ عَمَّا فِي سَرَاوِيلَاتِهَا^(٣)

يقول : كَانَ هذه الإبل شجر ، يَدُ أَيِّ جَنِبِ المَوْتِ مِنْ ثَمَرَاتِهَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ سَبَبَ فِرَاقِ أَحِبَّتِهِ ، وَرَوَى ابْنُ جَنَى : بَلَوْتُ اللَّرَّ مِنْ ثَمَرَاتِهَا . وَبَلَوْتُ : اخْتَبَرْتُ وَذُقْتُ وَهَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ اللَّرَّ مِنْ ثَمَرِهِ

(١) لَا سِرَتْ : دَعَاءٌ ، وَمِنْ إِبْلِ . تَمْيِيزٌ : وَقَوْلُهُ لَمَحَتْ : مِنْ المَوْتِ : وَاللَّامُ : جَوَابُ لَوَ . وَالْمَدَامُ فِي الْأَصْلِ : مَجْرَى الدَّمْعِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا : الدَّمْعُ وَالسَّمَاتُ : جَمْعُ سَمَةٍ ، وَهِيَ أَثَرُ السَّكِيِّ عَلَى الْجِلْدِ . يَدْعُو عَلَى الْإِبْلِ أَنْ لَا تَسِيرَ لِأَنَّهَا فَرَقَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَحِبُّ ، ثُمَّ قَالَ : وَلَوْ كُنْتُ مِنْ رِكَابِ هَذِهِ الْإِبْلِ لَكَانَتْ حَرَارَةُ دَمِي تَمْحُو آثَارَ وَسْمِهَا ، وَقَوْلُهُ : لَوَائِي : حَرَكَةُ الْوَاوِ السَّاكِنَةِ مِنْ لَوٍ بِحَرَكَةِ الْحُمُوزِ وَحَذْفِهَا وَهُوَ كَثِيرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي كَلَامِهِمْ .

(٢) الْمَا : بَقَرُ الْوَحْشِ ، وَالْمُرَادُ : الْفَسَاءُ لِلشَّبِيهَاتِ بِهَا لِحَسَنِ عِيُونِهِنَّ . وَهَذَا دَعَاءٌ أَيْضًا . يَدْعُو أَنْ يَكُونَ حَامِلًا مَا حَمَلَتْهُ هَذِهِ الْإِبِلُ مِنَ الْجَائِبِ ، وَأَنْ تَحْمِلَ الْإِبِلُ مَا حَمَلَهُ هُوَ مِنْ حَسَرَاتِ فِرَاقِهِنَّ .

(٣) الْحَجَرُ : جَمْعُ حَجَارٍ . وَهُوَ مَا تَقَطَّى بِهِ الْمَرَأَةُ رَأْسَهَا ، وَالسَّرَاوِيلَاتُ : جَمْعُ سَرَاوِيلٍ ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ ، وَهُوَ ذَلِكَ اللَّبَاسُ الَّذِي يَسْتُرُ النِّصْفَ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجَسْمِ . وَقَالَ سَيُوبَةُ : سَرَاوِيلٌ وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ أَعْجَمِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ ، فَأَشْبَهَتْ مِنْ كَلَامِهِمْ مَا لَا يَنْصَرَفُ فِي مَعْرِفَةٍ وَلَا فِكْرَةٍ ، فَهِيَ مُصْرُوفَةٌ فِي النِّكَرَةِ ، وَإِنْ سَمِيتُ بِهَا رِجَالًا لَمْ تَنْصَرَفْ ، وَكَذَلِكَ إِنْ حَقَرْتُهَا اسْمَ رَجُلٍ ، لِأَنَّهَا مُؤَنَّثَةٌ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ مِثْلَ عَنَاقٍ وَمِنْ النِّحْوِيِّينَ مَنْ لَا يَنْصَرَفُ فِي النِّكَرَةِ . وَيَزْعَمُ أَنَّهَا جَمْعُ سَرَوَالٍ وَسَرَوَالَةٍ ، وَيَنْشُدُ :

عَلَيْهِ مِنَ اللُّؤْمِ سِرْوَالَةٌ فَلَيْسَ يَرِقُّ لِمُسْتَقْطِفٍ^(١)

(١) قِيلَ : إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ مُصْنُوعٌ وَقِيلَ قَائِلُهُ مَجْهُولٌ : قَالَ السِّيرَافِيُّ : سِرْوَالَةٌ : لَفَةٌ فِي السَّرَاوِيلِ . وَقَوْلُهُ مِنَ اللُّؤْمِ : كَانَ فِي الْأَصْلِ صِفَةً لِسِرْوَالَةٍ . فَلَمَّا قَدَّمَ عَلَيْهِ صَارَ حَالًا مِنْهُ وَاللُّؤْمُ : شَحُّ النَّفْسِ وَدِنَاءَةُ الْآبَاءِ .

وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالْأُبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا^(١)

ويحتج في ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف اثور الوحشي :

أَيَّ دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٍّ فِي سِرَاوِيلَ رَامِحٍ^(٢)

قال صاحب ابن عباد : كان الشعراء يصفون للآزر تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ؛ حتى تخطى هذا الشاعر للطبوع . . . إلى التصريح . . . وكثير من العهر عندى أحسن من هذا العفاف . قال بعضهم : هذا مما عابه الأصحاب على المتنبي . . . ، وإنما قال المتنبي عما في سرايلاتها ؛ جمع سربال ، وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي . يريد المتنبي : إن مع حي لو جهن أعف عن أبدانهم ، ومثله لفظويه — أحد أئمة النحو وتليذ ثلث — :

أَهْوَى النِّسَاءَ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهَا وليس لي في خَنَا مَا بَيْنَنَا وَمَا سَرُّهُ
وما أروع قول الجاس بن الأحنف :

لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظَرِ

(١) كل مليحة : فاعل ترى ، والفتوة وما عطف عليها : مفعول أول ترى ؛ وضراتها : مفعول ثان . والفتوة : الكرم والسخاء ، والروءة والمروءة الإنسانية ، والأبوة هنا الأئمة وعزة النفس والأبوة أيضاً : الآباء — مثل العمومة والحوالة — وكان الأصمعي يروي قول أبي ذؤيب :

لَوْ كَانَ مِدْحَةٌ حَتَّى أَنْشَرْتُ أَحَدًا أَحَبُّ أَبَوَتِكَ الشَّمِ الْأَمَادِيحِ
وغیره برويہ .

• أَحْيَا أَبَا كُن بِالْمِلَى الْأَمَادِيحِ

يقول : إن هذه المعاني تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنها ضرائر لمن ، وقد زاد ذلك تبياناً في البيت التالي .

(٢) الضمير في دونها : لأشياء ، ودون : بمعنى قدام ؛ وذب الرياد : اثور الوحشي ؛ قال القائل : يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر في موضع ؛ ومنه قيل للثور الوحشي : ذب الرياد . شبه الشاعر ما على قوائم اثور الوحشي من الشعر بالسراويل — وهو من لباس الفرس — ولذا شبهه بفتى فارسي أو شبه قرنه بالرمح ، ولذا قال رامح .

هُنَّ الثَّلَاثُ الْمَانِمَاتِي لَدِّي فِي خَلَوَتِي لَا انْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا^(١)
وَمَطَالِبِ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا ثَبَّتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ أَتِهَا^(٢)
وَمَقَانِبِ بِمَقَانِبِ غَادَرْتُهَا أَقْوَاتَ وَخَشِي كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا^(٣)
أَقْبَلْتُهَا غَرَّرَ الْجِيَادُ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا^(٤)
الْثَّابِتِينَ فَرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّمَنُ فِي لَبَاتِهَا^(٥)

(١) يقول : إن الفتوة وما بعدها هي التي تكفه عن لذاته في خلوته لاخوفه من عواقب هذه اللذة : يعني أنه لو لم يكن للذة عواقب آتية يخشاها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والروءة والأفئدة . قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهرة ترك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً أقول : وفيه شيخ المعة إذ يقول : - وإن كان أعجب وتفعّل النفس الجميل لأنه خير وأفضل لأجل ثوابها

(٢) الواو : واو رب ، والجنان القلب . يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبي هو هو على حاله لم يتغير كأنني لم آتيتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالى بالأخطار .

(٣) المقاب : جمع مقنب - الطائفة من الخيل تجتمع للفارة ، وغادرتها : تركتها ، وأقوات : مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبي فتركته قوتاً للوحوش التي كانت قوتاً له ، يصيدها ويذبحها ويأكلها ، وجمع الوحش على عادة العرب في أكلهم مادب ودرج .

(٤) أقبلتها : أي المقاب التي أهلكها : يقال أقبلته الشيء : أي وجهته إليه وجعلته قبالة مما يليه ، والفرر : جمع غرة ، وهي البياض يكون في وجه الفرس ، والأيدى هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم للمدوحين ، ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً . وقد جرت العادة في جمع يد النعمة بالأيدي وفي يد العضو بالأيدي ، ولكن التنبي وضع هذه مكان تلك في موضعين : أحدهما هذا البيت . . . وقال ابن القطاع - في قوله أقبلتها غرر الجياد : جعلتها تقبل غرر جيادها التي أوصلتهم إلى أعدائهم وشفّت صدورهم منهم كأنها أيدي بني عمران المعتادة التقييل ، ويقال أقبلت الرجل يد فلان : أي جعلته يقبلها . وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحدق بركوب الخيل ، يقول : إنهم يثبتون في ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم في معمرة الحرب والطمعن متتابع في لباتها ،

الْعَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أُمَاتِهَا^(١)
فَكَأَنَّمَا تُنْجَتُ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا^(٢)

وفروسة أى — أى حذقا — تمييز ، والتابطين : فى موضع خفض على النعت أو البدل من بنى عمران ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح ؛ ومن روى والطنن — بالرفع — فالواو واو الحال ، ومن رواه بالخفض فمعناه يشبتون فى ظهورها ثبوت الطمن ؛ والتقدير: كبلودها وكالطنن : واللبات جمع لبة ، وهى النحر .

(١) كان الوجه أن يقول والراكب جدودهم أماتها : أى والذين ركب جدودهم أماتها ، إلا أن هذا على لغة من يقول : قاموا إخوانك وذها أخواك ، والأمات : جمع أم لما لا يقل ، وتجمع للعائل أمهات ، هذا هو الغالب ، ويجوز العكس . قال الواحدى : والذى يذكره الناس فى معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها ، لأنها من تتأبجهم تناسلت عندهم ، فجود المدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل ؛ وسباق الأيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لاخل المدوحين بنى عمران — وهو قوله : أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى ، إلا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل المدوحين فإنهم يقودون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فورجه : والذى عندي أنه يصف معرفتهم بالخيول ولا يعرفها إلا من طال مراقبته لها ، والخيول تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه . ولم يوضح ما وقع به الإشكال ، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم جنس فى قوله : غرر الجياد أراد جياد نفسه ، وفيما بعده أراد جياد المدوحين . والجياد هم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أماتها : يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل ، يعنى أنهم عريقون فى الفروسية طالما ركبو الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمهاتها . ويشبه هذا قول شيخ المعرة :

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرفُ العربُ زجر الشاء والعكر
« العكر : جمع عكرة : القطعة من الإبل : أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل » .

(١) هجبت — بالبهاء للمجهول — ولدت ، قال الأزهري: يقال تنجت الناقة إذا ولدت فى متوجة ؛ وأتجت إذا حملت ، فهى تتوج ، ولا يقال متج ، وتنجت الناقة : إذا ولدتها ؛ والناجم للإبل كإلقابها للنساء ، وعبرة الجوهرى فى الصحاح : تنجت الناقة على

إِنَّ الْكِرَامَ يَلَا كِرَامَ مِنْهُمْ مِثْلُ الْقُلُوبِ يَلَا سُوَيْدَاوَاتِهَا^(١)
تِلْكَ النَّفُوسُ النَّالِيَاتُ عَلَى الْمَلَى وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا^(٢)
سَقَيْتَ مَنَابِتَهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى يَبْدَى أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا^(٣)

مالم يسم فاعله تنبت ، وقد تنبت أهلها : تنجا . قال الكمي :

وقال المذمرُ لِلنَّاسِجِينَ مَتَى ذُمِّرْتَ قَبْلِي الْأَرْجُلُ^(١)

والتنوج من الخيل وجميع الحافر الحامل ، وقد أُنبت . وبضمهم يقول : تنبت ، وهو قليل ؛ أما ابن الأعرابي فقد قال تنبت الفرس والناقة : ولدت وأُنبت : دنا ولادها ، كلاهما فعل مالم يسم فاعله - ولم أسمع تنبت ولا أُنبت على صيغة فعل الفاعل . والصهوة : مقعد الفارس . يقول : كأن الخيل ولدت تحتم قاعة مستعدة للجري ؛ وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الخيل .

(١) السويداوات جمع سويداء - حبة القلب - يقول . إن الكرام من الخيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالقلب دون سوداء . وقال بعض الشراح : يعنى أنهم زبدة الكرم ولبابه . فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

(٢) يقول : إنهم يغلبون الناس على الملى فيحرزونها دونهم ، والمجد يغلبهم على شهواتهم ؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة في بني آدم خشية العيب والشين .

(٣) أراد بمنابت هذه النفوس : آباء المدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك للنبات : يعنى أن نفسه أشرف هذه النفوس . ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض ، وجعل النبات يسقى للنبات على عكس العادة تفننا وإغرابا في الصنعة . يقول : إن آباء المدوحين الذين أحيوا الناس بمجودهم قد حي مجدهم بمجود هذا المدوح الذي هو خير آبائهم . وروى بدل يبدى : بندى - بالنون - وعبرة ابن جني : لا أزال لله ظله عن أهله وذويه . قال ابن فورجه : ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم ، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعظاته .

(١) المذمر : الذي يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكر جنيتها أم أنثى ؟ متى بذلك لأنه تلمس المذمر فيعرف ما هو . والمذمر : هو الكاهل والصق وما حوله إلى الذفرى . وهو الذى يذمره المذمر . يقول الكمي : إن التذمير إنما هو في الأعناق لا في الأرجل .

رَعَدُ الْفَوَارِسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا^(١)
لَا خَلْقَ أَنْتُمْحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ
بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا^(٢)

كان قويا كالقارح من الخيل . وقال ابن القطاع : المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات ورائك : أى ليست مما يكون خلفك فتطردك .

(١) الرعد : جمع رعدة ، والعسلان : الاهتزاز والاضطراب ؛ والقنوات - جمع قناة - الرمح . يقول : إن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريا من الاهتزاز في رماحهم .

(٢) راء : مقلوب رأى ، كما قالوا : ناء ونأى . يقول ليس أحد أسمع منك إلا من كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهيه نفسك ، إذ لو سألك إياها لجدت بها ، فكان تركها لك جودا عليك بها ، وهذا من قول أبى تمام :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله

وإليك تحفة نحوية للعلامة العكبرى أوردها لمناسبة قول المتنبي : لا خلق : قال العكبرى : ذهب البصريون إلى النكرة التى مع لا مبنية على الافتتح كقولك لا رجل فى الدار ، وتقديره : لا من رجل ، فلما حذف «من» من اللفظ وركبت مع لا : تضمنت معنى الحرف ، فوجب أن يبنى ، وبنيت على حركة لأن لها حالة تمكن قبل البناء ، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات . وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا ، وحجتنا أنه اكتفى بها عن الفعل ، لأن التقدير فى قولك : لا رجل فى الدار ، أى لا أجد رجلا ، فاكثفوا بلا : من الفعل العامل ، كقولك : إن قتلت وإلا فلا ؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم ؛ فلما اكتفوا بلا من الفعل العامل : نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة ، ووجه آخر : أن «لا» تكون بمعنى غير : كقولك زيد لا عاقل ولا جاهل : أى غير عاقل وغير جاهل ، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس» ووجه آخر : إنما أعملوها نصب لأنهم لما أولوها بالنكرة - من شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها ، نصبوا بها من غير تنوين لما حدث فيها من التغير . كما رفعوا النادى بغير تنوين لما حدث فيه من التغير . . . ويقال : هات يا رجل ، بكسر التاء أى

غَلَّتِ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ تَرْتِيلُكَ الشُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا^(١)
 كَرَّمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَائِلًا
 وَبَيَّنَ عِتْقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا^(٢)
 أَغْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلِّ نِلْتَهُ
 لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا^(٣)

أعطى ، وللاثنين هاتيا : مثل آتيا ، وللجمع هاتوا ، وللرأهاتيا بالياء وللمرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاطين . وتقول هات لا هاتيت وهات ، إن كانت بك مهاتاة ، وما أهاتيك . كما تقول ما أعاطيك ، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها . وقال الخليل : أصل هات من آتى يؤاتى . قلبت الألف هاء .

(١) غلت : هو غلظ ، يقال فى الحساب خاصة . والعشور : جمع عشر - بفتح العين - الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل : التبيين فى القراءة وبآية : متعلق بظلت ؛ وترتيلك : مبتدأ ؛ ومن آياتها : خبره ؛ والجملة استئنافية . يقول إن الذى عد أعشار القرآن قد غلظ وفاته آية لم يعدها ، وهى ترتيلك للسرور ، فإن هذا الترتيل معجزة فى الإتقان وحسن الأداء : فهو آية من الآيات ينبى أن تلحق بآيات التنزيل فيزيد آية إلى آياته ، ومعجزة إلى معجزاته .

(٢) مائلا : ظاهرا : والعنق : الكرم ؛ وعنتت الفرس تعنق وعنتت عتقا : سبقت الخيل فنجت ، وفرس عاتق : سابق ، ورجل متاق الوسيقة إذا طرد طريدة سبق بها وأنجاها ، وفرس متاق الوسيقة . قال الأصمى : وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها . قال أبو المثلث يرثى صخرا :

حامى الحقيقة نسال الوديقة معتاق الوسيقة لانكس ولا وانى

« الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الطارد » يقول : من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك ، كما أن الفرس الكريم إذا سهل عرف عتقه بصيله . وإنما يعرف كرمه من كلامه ؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالإحسان وما إلى ذلك مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه .

(٣) أعيا الشيء : أعجز طالبه . والهالة ، الدائرة حول القمر . يقول : لقد بلغت مكانا عليا من المجد والشرف ، فأنت فيه كالقمر فى علو المنزلة وهولك كالهالة . فلست تزايله ،

لَا نَعْدُلُ الرَّضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ
 أَنْتَ الرَّجَالِ وَشَائِقٌ عِلَاتِهَا^(١)
 فَإِذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقَتْهَا فَأَصَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتِهَا^(٢)
 وَمَنَازِلُ الْحَيِّ الْجُسُومُ قُلْنَا مَا عُذِرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا^(٣)
 أَعْجَبَتْهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمُلِ الْأَعْضَاءَ لَا لِأَذَاتِهَا^(٤)

كما أن القمر لا يزال حاله . قال النراج : وجمع القمر - وإن كان في المعنى واحداً - باعتبار ظهوره في كل شهر ، فحسن الجمع .

(١) شائقة : حمله على الشوق ، وشائق : خبر مقدم ، وأنت : مبتدأ مؤخر ، والرجال مفعول شائق ، والتقدير : أنت شائق الرجال وعلاقتها . يقول : لأنوم المرض الذي ألم بك ، لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاقتها : يعني أن المرض الذي بك لا يلام على إسمائه بك . فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاقتها أيضاً ، فهي تزورك مثلهم وتنقل إليك عنهم شوقاً إليك . قال العكبري : وقد كان المدوح مريضاً حين مدحه المتنبى بهذه القصيدة .

(٢) المضاف : مصدر بمعنى الإضافة : يقول : إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاقتها فجاءت قبلها شوقاً فأصفت حالات الرجال - أي علاقتها المذكورة - قبل أن تضيفهم ، لأنها وصلت إليك قبلهم . ويروي بدل سبقتها - بالنون - سبقتها - بالياء - يعني إذا أراد الرجال سفراً إليك : سبقتها بإضافة أحوالها قبل إصافتك إياها : يريد إقامة العذر للمرض الذي نزل به . وقال ابن القطاع : معناه إذا نوت الرجال سفراً إليك أعددت لها أموراً ، فكأنك ضيفت أحوالها قبل نزولها بك .

(٣) خيراتها . جمع خيرة مؤنث خير أي أفضل ، والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل على الأجسام ، فإذا تركت جسمك - الذي هو أفضل الأجسام - وألمت بغيره فما عذرهما في ذلك ؟ « هذا » ويقال حمى وحمى . قال الضباب بن سبيع لعمرى لقد برّ الصّباب بنوه وبمض البنين حمّة وسُعَالُ

(٤) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأيت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك لتأمل أعضائك المشتعلة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والأذاة : مصدر

- وَبَذَلَتْ مَا عَشِقْتُهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حَتَّى بَذَلَتْ لِهَذِهِ صِحَّتَهَا^(١)
 حَقُّ الْكُؤَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ
 وَتَقُودَكَ الْأَسَادُ مِنْ غَائِبَاتِهَا^(٢)
 وَالْجِنُّ مِنْ سُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ فُلُوتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وَكُنَاتِهَا^(٣)
 ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً
 كُنْتُ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْبِيَائِهَا^(٤)
 فِي النَّاسِ أُمِثْلَةٌ تَدُورُ حَيَاتُهَا كَمَا تَهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا^(٥)

أذى ، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله : أى لتأمل الأعضاء لا لتأذى بها الأعضاء .

(١) لهذه : أى للحى ، والضمير فى صحتها للنفس . يقول : إنك بذلت كل ما أحبته نفسك ، حتى بذلت لهذه الحى صحتك . يريد أنه جواد يجود بكل شيء بحبه .

(٢) من عل : من فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لأنها شريكتك فى العلو ، وكذلك الأساد لأنها تشبهك فى الشجاعة .

(٣) والجن : عطف على الأساد . يقول : إن جميع هذه الأجناس تتألم لعلتك ، لعموم نفعك ، فلو قدرت على عيادتك لجاءت إليك عائدة . والسترات : جمع سترة ، والوكنات : جمع وكنة ، عش الطائر . زاد الجوهري فى جبل أو جدار : والوكر مثله ، وقال الأصمى : الوكنة والوكن : مأوى الطائر فى عش ، والوكر - البراء - ما كان فى غير عش . وقال أبو عمرو ابن العلاء : الوكنة والأكنة - بالضم - مواقع الطير حيثما وقفت على حائط أو عود أو شجر ؛ وتوكن : تمكن ، ووكن انطائر : دخل فى الوكن ووكن يفضه : حضنه .

(٤) يقول : قد استأثرت - دون سائر الناس - بالنائب والمحمد . فكنت منهم بمنزلة البيت البديع البشكر الفرد من القصيدة .

(٥) أمثلة : جمع مثال - أى صور ، وتدور صفة لأمثلة . وحياتها : مبتدأ . وكماتها : خبره . يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس فى الحقيقة تدور بين الوجود والعدم ، وحياتها كماتها : فى أنه لا غناء فيها ولا نفع ، ومماتها كحياتها : فى عدم اللبالة به .

هَبْتُ النِّكَاحَ حِذَارَ نَسْلِ مِثْلِهَا
 حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَاءِ بَنَاتِهَا^(١)
 فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ
 مَلَكَ الْبَرِيَّةِ لَأَسْتَقِلَّ هِبَاتِهَا^(٢)
 مُسْتَرْخَصٌ نَظَرُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ
 نَظَرْتُ وَعَثْرَةُ رِجْلِهِ بِدِيَاتِهَا^(٣)

-
- (١) يقول : خفت - إن تزوجت - أن يكون لى نسل مثل هذه الأمثلة ، فتركت البنات موفورة على الأمهات ، لم أتزوج واحدة منهن .
- (٢) يقول : لو كانت الخليقة ملكاً له ثم وهبها لاستقل ذلك بالقياس إلى كرمه . ومن روى وهب البرية : كان المعنى أنه لو عم البرايا بالهبات لاستقلها . والبرية : الخلق تقول : براء الله يبروه براء أى خلقه . ويجمع على البرايا والبريات : من البرى . وهو التراب . هذا . إذا لم يهمز ، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز : أخذه من براء الله الخلق يبرؤم : أى خلقهم ، ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .
- (٣) نظر : مبتدأ مؤخر ؛ ومسترخص ، خبره مقدم ولك أن تجعل مسترخص خبر مبتدأ محذوف ، ونظر فاعل مسترخص وعثرة رجله : روى بدلها غير رجله : أى غبار رجله . والديات : جمع دية فمن دم القتل . يقول : لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التى بها لكان رخيصاً ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصاً أيضاً : أى أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق .

قافية الجيم

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد صف الجيش في منزل يعرف بالسنبوس وركب
قاصداً سمندو :

لَهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أَجِيحُ^(١)
تَبَيَّتْ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ وَتَسْلَمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ^(٢)

(١) الأريح : الرائحة الطيبة ؛ والأجيج اشتعال النار وتلهبها : أجت النار توج
وتنج أجيجا. وكذلك اتجت : على افعلت ، وتأجت ؛ وقد أججها تأججاً ، وأجج
بينهم الشر أوقده ؛ والأجوج : المضيء . قاله ابن العلاء ، وأنشد لأبي ذؤيب يصف برقاً :

يُضِيءُ سَنَاهُ رَاتِقًا مُتَكَشَفًا أَغَرَ كِمِصْبَاحِ الْيَهُودِ أَجُوجُ^(١)

يقول : سيكون لهذا اليوم — الذي سرت فيه للحرب — أنباء طيبة تسر الأولياء ،
ونار حرب يضطرم لهيها على الأعداء ، وعبرة ابن جني : يأتي خبر طيب يسر المسلمين
ويسوء المشركين .

(٢) الحواصن : العقيقات ؛ وتروى الحواصن — أى النساء الريات لأطفالهن —
وتروى : الحواضر — أى نساء أهل الحضر — يقول : إن نار هذه الحرب
تأمن بها النساء من السبي ، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر
عليهم ، فالضمير في مسالكها : للجميع ؛ والحجيج : الحجاج : جمع حاج ، ومثله غاز
وغزى وناج ونجى ، وناد وندى — للقوم يتناجون ويحتمون في مجلس — وللعادين
على أقدامهم عدى ، والضمير في بها : للنار ومن روى به : فالضمير للأجيج .

(١) يصف سبحانه متابعا ؛ والهاء في سناه : تعود على السحاب ، وذلك أن
البرقة إذا برقت انكشف السحاب ؛ وراتقا : حال من الهاء في سناه ، ورواه الأصمعي
راتق متكشف ، فجعل الراق : البرق .

فَلَا زَالَتْ عُدَانُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَائِسَ أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمَهِيجُ^(١)
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُمَيَّاتٌ وَأَنْتَ بَغِيرِ سَيِّفِكَ لَا تَمِيجُ^(٢)
وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُنْفَرُ مِنْ يَمِينِهِ
إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمُوجُ^(٣)

(١) المهيج : الذى هاجه غيره ؛ وفرائس : خبر زالت . لما ذكر الأسد استعار له
الفرصة فقال : لا زالت عدانك أيها الأسد فرائس لك في حيثما كانت .

(٢) لا تميج : لا تبالى . وكان أبو الطيب مع سيف الدولة في بلاد الروم . فلما
صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً ، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف
يدبر رجلاً ، فحرفه وجاء إليه وسأله وأنشد . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من
خولك وأنت لا تبالى إلا بسيفك . يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتبعيته ، وأنه شجاع
لا يبا إلا بسيفه ، هذا . ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأتهم تعبأ ، وقد يترك المصنف
عبأهم تعبأ : أى رتبهم في مواضعهم وحياتهم للحرب ؛ وقد قلنا : لا تميج بمعنى لا تبالى .
قال صاحب اللسان : الميج شبه الاكثر ، وأنشد :

وَمَا رَأَيْتُ بِهَا شَيْئًا أَعِيجُ بِهِ إِلَّا الثَّمَامَ وَالْأَمَاقَ النَّارَ

قال ابن سيده : ما عاج قوله عيماً وعيجوجة : لم يكثر له أو لم يصدق ؛ وما عاج
بالدواء عيماً : أى ما انتفع ، وما أعيج من كلامه شئ : أى ما أعجب به ؛ وبزأسد
يقولون ما أعوج بكلامه : أى ما ألفت إليه ؛ أخذوه من عجت الناقة . ويقال : ما عجت بخبر
فلان ، ولا أعيج به : أى لم أشتف به ولم أستيقنه . قال ابن العلاء : العجاج الرجوع إلى
ما كنت عليه .

(٣) يسجو : يسكن تموجه ، قال تعالى « والليل إذا سجا » أى سكن بالناس ، ومنه
البحر الساجى ، قال الأعشى :

فَإِذَا ذَبْنَا أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكَ وَبَحْرُكَ سَاجَ لَا يُوَارِي الدَّهَامَا^(١)
وليلة ساجية : إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مظلمة .

(١) الدهامص والدعاميص : جمع دهموص : دوية صغيرة تقوص في الماء ، وكثيراً
ما تكون في المستنقعات .

بأرض تَهْلِكُ الْأَشْوَاطُ فِيهَا
 إِذَا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجِ^(١)
 تَحَاوِلُ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ فِيهَا
 فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْمَلُوجِ^(٢)
 أَبَالْقَمَرَاتِ تُوْعِدُنَا النَّصَارَى وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجِ^(٣)
 وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلَتْهُ صَدُوقُ إِذَا لَاقَى وَغَارَتْهُ الْجُجُوجِ^(٤)
 نَعُوذُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ بَأْسًا وَيَكْثُرُ بِالْذُّعَاءِ لَهُ الضَّجِيجِ^(٥)

قال الحارثي :

يا حبيذا القمراء والليل الساج وطُرقٌ مثلُ مُلاء النساج
 وامرأة ساجية : فاترة الطرف . وهو معنى حسن في النساء ؛ وناقاة سجعاء : ساكنة
 عند الحلب ؛ وسجى الليث غطاءه ، والمتسجى : التغطى ، من الليل الساجي ، لأنه يغطي
 بظلامه وسكونه . يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك ؟ وضرب
 هذا مثلاً له إشاراً يدير رمحاً بيده ؛ فشبهه بالبحر المائج .
 (١) الشوط : الطلق من العدو ، قال في اللسان : الشوط الجري مرة إلى غاية ؛
 والجمع أشواط . وقد عدا شوطاً : أى طلقاً ؛ والفروج : ما بين قوائم الفرس . يقول :
 عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير ، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطلوها
 (٢) تحاول : تطلب ، والضمير للخطاب ، والضمير من فيها للأرض ؛ والملاج : الجافي
 الغليظ من كفار الصميم . يقول : تريد أن تأخذ نفس ملك الروم في هذه الأرض
 فتفديه أصحاب الملاج إذ تفنيهم وتستأصلهم .
 (٣) القمرات : الشدائد . يقول : أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لا تقارقهما ؟
 كما لا تقارق النجوم منازلها .
 (٤) لج في الأمر لججاً ولججاً : تهادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . يقول :
 وفينا سيف الدولة الذي إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، ماجين وما خام عن اللقاء
 وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت ، فلا يثنى حتى يستأصلهم ويصف بهم .
 (٥) الأعيان : العيون ، جمع عين ، قال يزيد بن عبد اللذان :

رَضِينَا وَالْأُمْسَقُ غَيْرُ رَاضٍ
بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ^(١)
فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ رُزْنَا تَمْنَدُو
وَإِنْ يُخْجِمُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ^(٢)

ولكننى أغدو على مفاضة دِلاص كَأَعْيَانِ الْجِرَادِ الْمُنْظَمِ^(١)
وبأسا : أى شدة وشجاعة ، وهو مفعول له - أى لبأسه - كما تقول نعوذه بالله
حسنا : أى لحسنه . وقال ابن جنى : بأسا أى خوفا - من قولهم لا بأس عليك - وهو
أصح فى التركيب ، إلا أن الأول أليق بالمعنى : يقول : نعوذ للمدوح بالله من أن تصيبه
العيون لدى رؤية بأسه ، لأننا لا نخاف عليه غير ذلك .

(١) الـدمستق : قائد جيش الروم ؛ والقواضب : السيوف القواطع والوشيج :
عيدان الرماح ، ووشجت العروق والأغصان . اشتبكت ؛ والواشجة الرحم المشتبكة ،
وقد وشجت به قرابة فلان ، والاسم الوشيج . يقول : رضىنا بما حكمت به السيوف
والرماح فى الحرب ، ولكن الـدمستق لم يرض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر
فرضينا ، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض . هذا : والأوجه أن يكون الـدمستق
مبتدأ ، خبره : غير راض ، والجملة حال ، وبما حكم : متعلق برضىنا .

(٢) تمندو : قلعة بالروم يقال هى المروقة اليوم بيلغراد ؛ والخليج : خليج
القسطنطينية . يقول : فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلادهم ، وإن هرب وخام عن
لقاتنا لحقناه إلى الخليج .

(١) مفاضة دلاص : يريد درعا .

قافية الحاء

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه فظن أنه عاتب عليه :

أَذْنَىٰ أُبْنِسَامٍ مِنْكَ تَحْيَا الْقَرَاحُ
وَتَقْوَىٰ مِنَ الْجَنَاحِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحُ ^(١)
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ ^(٢)
وَقَدْ تَقَبَّلُ الْمَذَرَ الْخَفِيَّ تَكْرُمًا
فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفًا وَهُوَ وَاضِحٌ ^(٣)

(١) القَرَاحُ : الطباع - يقال فلان جيد الطبيعة : إذا كان ذكي الطبع ؛ وجيد القريحة : إذا كان له نظر وفهم ومعرفة ؛ وقيل القريحة : خالص الفريزة - من قولهم ماء قراح : أى خالص - وقريحة البئر : أول ما يخرج من مائها ؛ ورجل قراحان : إذا لم يصبه جدري ولا طاعون يراد خالص الجسد . والجوارح : الأعضاء - اليدان والرجلان والعينان والاثم والأذن - وسميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب ، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر . قال تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » أى كسبتم . وقال « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » أى اكتسبوها . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحي طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم ، لأنه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لأنه كان معتلا .

(٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضاؤها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه ؟

(٣) تكرمها : مفعول لأجله ، وواقفا : حال من عذرى . يقول : إنك لكرمك تقبل العذر الخفى . فما بال عذرى واقفا لا يلتفت إليه وهو واضح ؟

وَأِنْ مُحَالًا - إِذْ بِكَ الْعَيْشُ - أَنْ أَرَى
وَجِسْمُكَ مُقْتَلٌ وَجِسْمِي صَالِحٌ^(١) :
وَمَا كَانَ تَرْكِي الشُّفْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ
تَقَصَّرَ عَنِ وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَذَامُحِ
وَقَالَ فِي صَبَاهِ وَقَدْ بُلِّغَ عَنْ قَوْمٍ كَلَامًا :

أَنَا عَيْنُ الْمَسُودِ الْجَحْجَاحِ هَيَجَّتْنِي كَلَابُكُمْ بِالنَّبَاحِ^(٢)
أَيَكُونُ الْمِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحٍ^(٣)

(١) يقول : إذا كان عيشنا بك فمن المحال أن تقتل ولا أشارك في علك . وهذا
من قول أبي تمام :

وإن يحدِ عِلَّةٌ نَعْمُ بها حتى تَرَانَا نُعَادُ فِي مَرَضِهِ
قال العكبري : قوله إن محالا : جعل اسم إن نكرة للضرورة لأنها تدخل على
الابتداء والخبر ، ولا يجوز أن يكون الابتداء نكرة إلا في مواضع ليست هذه منها .
(٢) للسود : الذي جعله قومه سيذا . والسيد : الكريم . ولا توصف به المرأة ؛
وجمع الجحجاح بججاجح ، قال الشاعر :

ماذا يبدر فالتقنقل من مَرَاذِبِ جَجَاحِجِ
وإن شئت ججاجيح ، وإن شئت ججاججة ، والماء عوض من الياء المحذوفة لا بد
منها أو من الياء ، ولا يجتمعان . ويظهر أن الجمع في الحقيقة : ججاجيح ، لا الججاجح ،
وإنما حذفت الياء من البيت - ماذا يبدر الخ - ضرورة قوله ابن بري . يقول : أنا نفس
الججاجح - السيد الكريم - أثارتنى وأغضبتني سفهاؤكم بسفها . ولما سماهم كلاباً
سمى كلامهم نباحا . ويروى - بدل هيجتني - هجتني : أي تسبتي إلى المهجة . يدل
على ذلك البيت التالي .

(٣) الميجان : الرجل الكريم الحسب النقي ، وامرأة هجان : كريمة من نسوة هجان
وهي الكريمة الحسب التي لم ترق فيها الإمامة تعريفا . وقول على كرم الله وجهه :
هذا جنائى وهيجانه فيه إذ كل جان يده إلى فيه
معناه : خياره وخالسه ، وأنشد أبو الهيثم :

جَهْلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُمُوسُ الرِّمَاحِ^(١)

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرِّشْلِ الْأَغْنُ الشَّيْحُ^(٢)

وإذا قيل من هِجَانٍ قَرِيشٍ كُنتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهَيجَانُ
وكل ذلك مأخوذ من الإبل ؛ والهيجان من الإبل : البيض الكرام . قال عمرو ابن
كثوم في معلقته :

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءُ بَكْرِ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا
« يصف امرأة يقول : تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد
بعد ، بيضاء اللون ، فقوله : لم تقرأ جنينا : أى لم تضم في رحمها ولدا » .
قال أهل اللغة : يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع ؛ يقال : بعير هجان وناقة هجان ،
وربما قالوا : هجان . قال ابن أحرر :

كَأَنَّ عَلَى الْجِمَالِ أَوَانَ خَفَتْ هِجَانٌ مِنْ نِجَاجِ أَوَارِعِنَا
والصرح : الخالص النسب . يقول : إن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم
وغير خالص النسب : يعنى أن هجو الهاجى لا يؤثر فيه : لأنه ذكر في البيت الأول
شكواه من السفهاء واللثام ، وذكر في هذا البيت أن سفهم لا يقدر في نسبه ولا يغيره .
(١) يقول : إن أولئك المائبين قد جهلوا قدرى ونسبى وأصلى ، فإن عشت قليلا
عرفتهم الرماح نسبى ، إذ يرون غنائى وحسن بلائى . يتوعددهم ويهددهم بالقتل . وهجارة
الواحدى : يحتفل أنه أراد إذا طاعنتهم ورأوا حسن بلائى استدلوا بذلك على كرم نسبى .
(٢) الجلل : الأمر العظيم ؛ وجللا : خبر «فليك» مقدم . والتبريح : الجهد والشدة ،
والرشا : ولد الظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة ، وهو من أوصاف الظباء . والشيح
نبات طيب الرائحة . يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ما حل بى وإلا فلا ! ثم قال :
أتظنون غداء من فعل بى هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء ؟ إنما غداؤه
قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم :

يَرَعَى الْقُلُوبَ وَتَرْتَعَى السِّفْزِلَانُ فِي الْبِيدَاءِ شَيْحَهُ

هذا : - وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ما أورده . قال العكبري : يريد أن من كان في شدة فليك كما أنا - تعظيما لما هو فيه من الشدة - وتم الكلام هنا ، ثم استأنف قولاً آخر متعباً من حسن الشبه أي كأنه ظني في حسنه ، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس :

فمينالك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

وقوله أغذاء : هو استفهام معناه الإنكار ، يريد أن الرشا الذي يهواه إنس لا وحش فيغذى بالشيخ ، وقال ابن جني : الصراغان متباينان ، فذلك أفرد كل واحد بمعنى ، وقال أصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة ليدل به على ولوه وشغفه عن تقويم خطابه ؛ كقول جرّان العود :

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي دُونَ بَرْدَعِي وَالْقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ بِالْبَيْنِ مَشْغُولٌ
ثُمَّ اغْتَرَزْتُ عَلَى نِضْوَى لَأُبْعَثَهُ إِثْرَ الْحُمُولِ الْفَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولٌ^(١)

(١) جاء في اللسان والقاموس وشرحه : جرّان العود شاعر من نعيم قال الجوهري : واسمه المستورد ، وقد غلظه الأصاغي . وقال : إنما اسمه عامر بن الحارث - وهو شاعر إسلامي - ولقب بذلك لقوله .

عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فَالتَّحِيْتُ جَرَّانَهُ وَالْكَيْسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ

خُذْ حَذَرًا يَا خُلَّتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلَحُ

يخاطب امرأته . وأراد بجرّان العود - والعود البعير المسن - سوطاً قدّم من جلد عنق عود نحره ، وهو أصلب ما يكون ، ليضرب به امرأته ، وكاتنا قد نشرنا عليه . والجرّان . باطن العنق الذي يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام ، والتّحيت أخذت ؛ والكيس ، حسن الثأني في الأمور ، وبإخلاق يروي يا جارتني ؛ وقوله فإنني الخ : يقول : فإنني رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب ، وقوله يوم ارتحلت الخ فالبرذعة المجلس الذي يلتقي تحت الرحل ، ويكنى عن الزوجة بالبرذعة ، ومستوهل . فازع ، واغترزت . وضعت رجل في الفرز ، وهو الركاب . والنضو . البعير الذي أنضاه السفر ، والحمول . الإبل ، ومعقول : أي لم يحلل عقاله دهشاً .

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ؛ وفي كلامه ما يدل على ولعه بما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير :

* قف بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقِدَمُ

ثم قال :

* بلى وغيّرها الأرواحُ والديمُ *

وقال القاضى الجرجاني : بين الصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبرّحه بين أن الذى أورثه ذلك هو الرشا الذى شكله على شكل الغزلان فى غذائه . وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العكبرى قال : قوله : فليك : حذف النون لسكونها وسكون اثناء فى التبرّح ، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى « ولم تك شيئا » وقوله :

لم يَكْ شىء يا إلهى قبلكما

لأنها قد ضارعت بالخروج والسكون والفتنة حروف المد حذفت كما تحذفن وهى هنا فى قول المتنبي قوية بالحركة ، لأن سيلها أن تحرك ، فكان ينبغى أن لا يحذفها ، لكنه لم يعتد بالحركة فى النون لما كانت غير لازمة ضرورة ؛ ومثله :

لم يَكْ الحق سوى أن هاجَهُ رَسَم دار قد تعفَى بالسرَرِ^(١)

وقد حذفت النون من لكن فى الشعر ضرورة ، أنشد سيويوه .

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أُسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَلُوكُ ذَا فَضْلٍ^(٢)

(١) جاء فى لسان العرب أنه للحسن بن عرفة ، جاهلى ، والسرر لعله يريد الموضع الذى هو على أربعة أميال من مكة قال أبو ذؤيب :

بَآئِهِ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَابُ وَبَيْنَ الْحُحُونِ وَبَيْنَ السَّرَرِ

(٢) للنجاشى الشاعر وقوله :

وَمَاءٌ قَدِيمٌ الْعَهْدِ بِالْوَرْدِ آجِنٌ يُخَالِ رُضَابًا أَوْ سَلَاةً مِنَ الْعَسَلِ
لَقِيتُ عَلَيْهِ الذُّبَّ يَعْوَى كَأَنَّهُ ضَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ

لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشَّمُولُ وَغَادَرَتْ
صَنَامًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ (١)
مَا بِالْهُ لَأَحْظَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُوَادِي لِلْجُرُوحِ (٢)

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبريع. وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا، لأن من قال في بني الحرث بلعارت لم يقل في بني النجار بنجار... والأغن الذي في صوته غنة، وهو صوت من الحيشوم، والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه، وواد أغن: كثير العشب لأنه إذا كان كذلك أله الذباب، وفي أصواته غنة؛ ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غناء، وأما قولهم: واد مغن: فهو الذي صار فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد مغضب معشب؛ وأغن السقاء: إذا امتلأ ماء.

(١) الشمول: الخمر. يقول: إن الخمر رنحته قتيل في مشيته وزادت في حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح. وفي هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن: ظَلَلْنَا بِأَيْدِينَا نَتَمَتِّعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنَّا أَقْدَامِنَا الْخمرُ ثَارَهَا وقد جرت عادتهم بأن يشبهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصورها أبدعوا في تجميلها واقتوا في تزويقها حتى صاروها كأنها الجمال مائلا. ويروي بذلك - وغادرت - وجردت: أي صيرته بحيث يجرد منه صنم لحسنه. هذا: وإنما سميت الخمر شمولا؛ قيل لأنها تشمل بريحتها الناس؛ وقيل شبهت بالنمال من الريح لأنها تعصف باللب كما تعصف النمال. (٢) يقول: إن فؤادي هو المجرع بنظري إليه، فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادي هو الأثمد بذلك؟ وفي هذا المعنى يقول كشاجم:

فقلت له يا ذئب هل لك في أخ يواسي بلا منّ عليك ولا يُجَلّ
فقال هداك الله للرشد إنما دعوت لما لم يأت به سبع قبلي
فلست بآتيه..... (البيت)

والعسل: جمع عسل كأعسال. والضليع: القوى الشديد؛ والمعوج، والضروب في ضلعه، والظاهر أن هذا هو المراد.

وَرَمَى وَمَا رَمَتَا يَدَاهُ فَصَابَنِي سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسَّهَامُ تُرْمَعُ^(١)
قُرْبَ الْمَزَارِ وَلَا مَزَارَ وَإِنَّمَا يَنْدُو الْجَنَانُ فَتَلْتَقَى وَيَرُوحُ^(٢)
وَفَشَتِ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفْنَا تَعْرِضُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ^(٣)

أَرَاهُ يُدْمَى خَدَهُ وَهُوَ جَارِحِي بِعَيْنَيْهِ وَالْمَجْرُوحُ أَوْلَى بَأْنِ يَدَمِي
وقوله تضرجت : أى تلطخت بالدم . يريد احمرت خبلا ، وأصله من اضرج : إذا
انشق ، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم ؛ وفي الضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة
يصف نساء :

• ضَرَجْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرْمَةٍ •

أى شققن . وتضرج اثوب الثوب : انشق ، وتقول : تكاد تضرج من اللد . أى
تنشق ؛ ومنه اضرجت له الطريق : أى انست ؛ واضرج ما بين القوم : تباعدوا بينهم ،
وتضرجت عن البقل لفاثته : إذا انتحلت .

(١) كان الوجه أن يقول : ومارمت يدها ولكنه على لغة من يقول قما أخواك ،
وصابه : لغة فى أصابه ؛ يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهم للروفة تقتل
فترج ، وإنما يعذب من أصابه .

(٢) المزار الأول : مكان الزيارة ، والثانى : مصدر بمعنى الزيارة . والجنان : القلب .
يقول : إن دارك أيها الحبيب قريبة منى ، ولكن لاصيل إلى الزيارة خشية الرقاء ،
وإنما تتلاقى بالقلوب ، فيندو قلبى إليك وروح أى أذكرك فامثلك فى قلبى ؛ فكأننا قد
التقينا . كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِنِّ لَمْ نَلْتَقِ
ومثله لأبى الطيب :

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلْقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلْقَى

(٣) السرائر : بمعنى الأسرار المكتومة . وشفه : أغله . يقول : إن كتمان الهوى
اقتصارنا فيه على التعريض قد أسقمنا وهزلنا ، فذلك هزالنا البادى على ما تجبه الضلوع من
الوجد ، فقام ذلك مقام التصريح .

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْجُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحٌ ^(١)
وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا
حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينِ قَبِيحٌ ^(٢)
فَيْدٌ مُسَلَّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ
وَحَشَى يَذُوبُ وَمَذْمَعٌ مَنُفُوحٌ ^(٣)
يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِي لِأَنْبَرِي
شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنْوَحُ ^(٤)

(١) الجمول : الأجمال على الإبل ، ويريد بها الإبل التي حملتها ، والطلوح : جمع طلح ، وهو شجر أسفله دقيق وأغلاه كالقبة ، تشبه به الإبل عليها الهوداج . يقول : لما تفرقت الجمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحزناً .
(٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق ، فصار الصبر الجميل عنها قبيحاً . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :
وقد كان يذمى لابسُ الصبر حازماً فأصبح يدعى حازماً حين يجزعُ
ويقول الصبي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات ومنه أخذ أخذ أبو تمام :
والصبر يُحمدُ في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم
وقوله حسن العزاء الخ : تقديره حسن العزاء قبيح ، وقد جلين : أى المحاسن : فأفحم بين المبتدأ والخبر جملة فعلية .

(٣) المراد بالذمع : الدمع . يصف حال الوداع . يقول : لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا ، فهناك يدتشر بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حزناً على الفراق ، ودمع مصبوب .

(٤) يجد : من الوجد . وقوله ولو كوجدى : أى ولو كان وجده كوجدى لأنبرى الخ والأراك : شجر معروف . يقول : إن الحمام يحزن عند فراق إلفه ، ولو كان وجده كوجدى لرق له الشجر وانبعث يكي معوينوح رحمة ورقة ؛ وقوله : لأنبرى ، يريد لاندفع وأخذ . ويقال : برى له يبرى برىا وأنبرى : عرض له : وباراه عارضه ، وباريت فلاناً مباراة : إذا كنت تفعل مثل مايفعل .

وَأَمَقُّ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَاصِيهِ

فِي عَرْضِهِ لِأَنَّاخَ وَفِي طَلِيحٍ^(١)

نَازَعَتْهُ قُلُوصَ الرَّكَّابِ وَرَكَبُهَا خَوْفَ الْهَلَاكِ حُدَّاهُمُ النَّسِيحُ^(٢)

لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا جُشِّمَتْ خَطَرًا وَرُدَّ نَصِيحُ^(٣)

(١) وأمق : الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والأمق : المكان الطويل . والوخد . ضرب من السير ؛ وخذت هنا . أسرع . والطيح : المني ، يقال طلع البعير أعيا : فهو طليح ، وأطلحته أنا وطلحته : حسرته ، ويقال ناقة طليح أسفار . إذا جهدها السير وهزها ؛ وإبل طلع وطلائح ، والطلع - بالكسر - المني من الإبل ، يستوى فيه الذكر والأنثى ، والجمع أطلاق . قال الحطيئة يصف إبلا وراعيا :

إِذَا نَامَ طَلِيحٌ أَشَمَّتْ الرَّأْسَ خَلْفَهَا هِدَاهُ لَهَا أَنْفَاسُهَا وَزَفِيرُهَا

« يقول الحطيئة . إن هذه الإبل تنفس من البطنة تنفساً شديداً فيقول . إذا نام راعيا عنها وندت تنفست ، فوقع عليها وإن بعدت » يقول : لو أسرع ريح الشمال في ذلك المهمة وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب وزل والشمال معية ، وإذا كانت الشمال تعي فيه فكيف الإنسان أو الناقة ؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لأن العرض أقل من الطول .

(٢) القلوص - جمع قلووس - الناقة الفتية . والركاب الإبل . يقول : خاصمت هذا المهمة على الإبل ، فهو يأنى إلا أن ينال منها ويصف بها بطوله ومشقته ، وأنا أنى إلا أن أستبقها لمسيرى . ثم قال : وكان ركاب هذه الإبل - لحوفهم الهلاك - يسبحون الله ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حذاء للابل مكان الغناء الذي تهدى به . وقل ابن جني : نازعته أخذت منه - من الأمق . أى المهمة - بقطي إياه وأعطيته ما نال من الركاب ؛ قل الواحدى : ليس المنى على ما قال ابن جني ؛ لأن المتنازع فيها هي القلوص ، فالبلد يفتنيها ويأخذ منها وهو يستبقها . والمنى . إني أحب إبقاءها ، والأمق يحب إفناءها بالمتازعة فيها كقول الأعشى :

* نَازَعْتُهُمْ قُصْبَ الرِّيحَانِ مُتَكِنًا *

أى أخذت منهم وأعطيتهم ، وهم أخذوا منى وأعطوني .

(١) جشمت : كلفت . يقول : لولا المدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر ، ولا رددنا

الناصح الذي كان ينصح لنا وينهانا عن ركوب هذه الأهوال . وإليك درة نحوية
للعلمة المكبري ، قال : لولا الأمير : الأمير مرتفع بالابتداء عند البصريين ، وعندنا
أن الاسم مرفوع بها ، لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ذكر لرفع الاسم كما تقول
لولا زيد لجئت ، تقديره لو لم يمنعني ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا لا على
لو فصارا بمنزلة حرف واحد . كقولهم : أما أنت منطلقاً انطلقت معك . تقديره إن كنت
منطلقاً انطلقت معك . قال الشاعر :

أبا خراشة أما أنت ذا نقر فإن قومي لم تأسكلهم الضيع^(١)

أي إن كنت ذا نقر ، حذف الفعل وزاد «أما» عوضاً عنه ، والذي يدل على أنها عوض
عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين الموض والموض ، وكقولهم
أمالا فافعل هذا ، تقديره إن لم تفعل ما يلزمك فافعل هذا ، حذف الفعل لكثرة
الاستعمال وزيدت ما على أن عوضاً عنه فصارت بمنزلة حرف واحد . ويجوز إسمائها لأنها
صارت عوضاً عن الفعل ، كما أمالوا بلى ويا في النداء ، والشواهد كثيرة على أن الفعل
بعدها محذوف ، واكتفى الاسم بلولا ، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون
الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك : لولا أن زيدا منعني ، قل الله تعالى :

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمي الصحابي ، وأبو خراشة كنية خفاف بن نديبة ،
ونديبة أمه - وهو صحابي جليل وأحد فرسان قيس وشعرائها ، وهو ابن عم الحنساء .
وبعد البيت :

والسلم تأخذ منها ما رزيت به والحرب يكفيك من أنقامها جرُع
وتقر الرجل رهطه ، ويقال لمدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد بالضبع
السنة المجدية ، وأصله أن الناس إذا أجدبوا ضمفوا عن الانتصار وسقطت قوام فئات
فيهم الضباع والذئاب فأكلتهم . يقول : يا أبا خراشة إن كنت عزيزاً بقوم كثيراً لم
فإن قومي ليسوا بأذلاء ، ثم قال : إن السلم أنت فيها وادع تال من مطالبك ما تريد ،
أما الحرب فإنها على العكس من السلم ، وأراد بأنقامها : أوائلها يحرصه على الصلح
ويثبطه عن الحرب .

وَمَتَّى وَنَتْ وَأَبُو الْمَظْفَرِ أُمَّهَا فَاتَّاحَ لِي وَلَهَا الْحِمَامَ مُتَبِعٌ^(١)
شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بِرُوقِهِ وَحَرَى يَجُودُ وَمَا مَرَّتُهُ الرِّيحُ^(٢)

« فلولا أنه كان من السبعين » ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تكسر ، فلما فتحت دل على صحة قولنا . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا : أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان محتصاً و « لولا » يختص بالاسم دون الفعل ، وقد يختص بالفعل والاسم . قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكٌ لِي قَدْ حَدَّثْتَهُمْ لَوْلَا حُدِّدْتُ وَلَا عُذِرِي بِمَحْدُودٍ^(١)
ونحن نقول : إن هذا البيت على معنى لولا أنى حدثت ، فصارت مختصة بالاسم دون الفعل .

(١) ضمير ونت : للابل أى تواتت وقرت ؛ وأما قصدها : أى مقصودها وقوله فاتَّاح لى الخ دعاء وأتاح الله الشيء قدره . يقول : إذا تواتت الإبل فى سيرها وهذا المدح مقصودها فالمت خير لى ولها . يعنى : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .
(٢) شمنا : فعل وفاعل ، وبروقه : مقعوله ، وما حجب السماء . جملة مترضة وشام البرق : نظر إليه يرجو المطر . وقوله : وحرى ، أى وشمنا سحاباً حرى أن يجود : أى

(١) أورد عبد القادر البغدادي هذا البيت فى آيات هذانصها :
قالت أمامة لما جئت زائرهما هَلَا رَمَيْتَ بِيَعِضِ الْأَسْهَمِ الشُّودِ
لَا دَرَّ دَرَكٌ لِي قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِّدْتُ وَلَا عُذِرِي لِمَحْدُودِ
إِذْهُمْ كَرَّجَلِ الدَّبِي لَا دَرَّ دَرَهُمْ يَفْزُونَ كُلَّ طُوالِ الْمَشْيِ مَحْدُودِ
فَمَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجِيدِ
قال قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمي الصحابي ؛ وقيل للجموح - أحد بنى ظفر من سليم بن منصور - وحددت أى حرمت ومنعت ؛ وقد حد الرجل عن الرزق : إذا منع منه ، وهو محدود . يقول : قد رميت واجتهدت فى قتالهم ولكنى حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . والعذرى : اسم بمعنى اللعذرة ، والرجل : القطعة من الجراد والدبى : أصغر الجراد ، والطوال : الطويل .

مَرْجُوٌّ مَنفَعَةٌ مَخُوفٌ أَذِيَّةٌ مَغْبُوقٌ كَأْسٌ مَحَامِدٍ مَضْبُوحٌ^(١)
 حَنِقٌ عَلَى بَدْرِ اللَّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسَى صَفُوحٌ^(٢)
 لَوْ فَرَّقَ الْكَرَمُ الْمَفْرَقُ مَالَهُ
 فِي النَّاسِ لَمْ يَكْ فِي الزَّمَانِ شَحِيحٌ^(٣)
 أَلَفَتْ مَسَامِعُهُ اللَّامَ وَغَادَرَتْ سِمَةً عَلَى أَنْفِ الثَّامِ تَلُوحٌ^(٤)

جديرا به أن يجود — أى يمطر — . ومرتته الريح : استدرته وأصله في الناقة يمسح
 ضرعها لئدر . يقول : شتما بروق للمدوح : أى رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها الغيم ،
 ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود : أى بالمطرو وإن لم تمره الريح . يفضل على السحاب
 لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح ، أما المدوح
 فليس كذلك .

(١) المغبوق : الذى يسقى بالعنى ؛ والمصبوح : الذى يسقى صباحا . يقول : إنه يحمّد
 في كل وقت ، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقا وصبوحا .
 (٢) البدر : جمع بدرة ، وهى عشر آلاف درهم . واللجين : الفضة . والمعنى ظاهر .
 (٣) يقول : لو فرق في الناس كرمه الذى يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء .
 وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه :

أَقُولُ إِذْ سَأَلُونِي عَنْ سَمَاحَتِهِ وَلَسْتُ تُمِّنُ يُطِيلُ الْقَوْلَ إِنْ مَدَحَا
 لَوْ أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ جُودٍ تَقَسَّمَهُ أَوْلَادُ آدَمَ عَادُوا كُلُّهُمْ سُمَحَا
 وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ — وَإِنْ كَانَ مِنْ بَابٍ آخَرَ — :
 لَوْ قَسَمَ اللَّهُ جُزْءًا مِنْ مَحَاسِنِهِ فِي النَّاسِ طَرَأَ لَتَمَّ الْحَسَنُ فِي النَّاسِ
 وَيَقُولُ أَبُو تَمَامٍ :

لَوْ اقْتَسِمَتْ أَخْلَاقُهُ الْفُرُ لَمْ تَجِدْ مَعِيًّا وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبَا
 (٤) يقول : إن مسامحه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود ، فلم يبال به
 ومضى على سخائه ، وروى ابن جنى : ألفت — من الألفة — أى أن مسامحه — لكثرة
 ما سمعت اللوم — ألفته واعتادته فصار شيئا مألوفا لا قيمة له عنده ، وغيره بمن أطاعوا
 التلثم وأصفت مسامعهم إليه صاروا لثاما يرى عليهم أثر اللوم كما ترى السمة على الأنف .

هَذَا الَّذِي خَلَّتِ الْقُرُونُ وَذَكَرُهُ
وَحَدِيثُهُ فِي كُتُبِهَا مَشْرُوحٌ^(١)
أَلْبَابُنَا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابُنَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحٌ^(٢)
يَفْشَى الطَّمَانُ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ
مَكْسُورَةٌ وَمِنْ الْكَمَاءِ صَحِيحٌ^(٣)

(١) المراد بخلت ههنا : تخلو ؛ وآتى بالماضي : للتحقيق — على حد قوله تعالى « آتى أمر الله » — يقول : هذا الذي تمضي القرون والأدهار ويبقى ذكره ويخلد في الكتب والأسفار . قال الواحدى : المعنى : أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم ، وهو المعنى بذلك ؛ إذ الحقيقة منها له ، فذكره إذا في الكتب مشروح . « هذا » : وقوله وذكره وحديثه إلخ . قال العكبرى : قال ذكره وحديث مشروح ولم يقل مشروحان لأن الذكر والحديث واحد ، وقيل هما جملتان : حذف الأولى لدلالة الثانية عليها ، وهذا مثل قوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ، وهذا مذهب سيويه ، وأنشد :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ^(١)
وذهب البرد إلى أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وتقديره : والله أحق أن يرضوه ورسوله . وقال قوم : بل الضمير عائد على المذكور ، كقول رؤبة :
فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلُّيعُ الْبَهَقِ^(٢)
أى كأن المذكور :

(٢) الألباب : العقول ؛ والنوال : العطاء . والمعنى ظاهر .
(٣) يقول : يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح .

(١) لقيس ابن الحطيم [راجع معاهد التنصيص ج ١ ص ٦٧] .
(٢) من أرجوزته التي مطلعها :

وَقَاتِمُ الْأَحْمَاقِ خَاوِيُ الْمُخْتَرِقِ *

[راجع أرجوز العرب للبكرى ، « وخزانة الأدب » للبغدادى ج ١ ص ٩٠] .

وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدَّمَاءِ مَجَاسِدُ وَقَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحٌ^(١)
يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْبَطُوحُ^(٢)
قَمَقِيلٌ حُبٌّ مُحِبٌّ فَرِحَ بِهِ وَمَقِيلٌ غَنِيظٌ عَدُوٌّ مَقْرُوحٌ^(٣)
يُخْنِي الْمَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَمَرَ يَبُوحُ^(٤)

وهذا من قول الفرزدق :

بأيدى رجالٍ لم يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ ولم تكثرُ القتلى بها حينَ سُلَّتِ
« أى لم يخدموها إلا بعد أن كثرت بها القتلى »^(١) قال الواحدي : وقوله مكسورة
حشو : أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح ، لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب
مكسورة ، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص ، والسكاة : جمع كى : الشجاع التسمى
أى التخطى بسلاحه ؛ إذ أنه كى نفسه : أى سترها بالدرع وخلافه .

(١) المجاسد : جمع الجسد ، وهو المصبوغ بالجساد : أى الزعفران ؛ والمسوح : جمع
مسح ، وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت
الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالغيار فكان عليها مسوحا .
(٢) رب الجواد : فاعل يخطو ، يعنى الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى ،
فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ، ويخلف وراءه فارسا مبطلوحا - أى قتيلاً أيضاً -
ومجوز أن يكون المراد برب الجواد : للندوح .

(٣) القيل : القام . المستقر ؛ قال تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن
مقلا » وقال ابن رواحة :

اليوم نصر بكم على تنزيله ضرباً يزِيلُ الهامَ عَنْ مَقِيلِهِ

« الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس ؛ ومقيله : موضعه ، مستعار من موضع
القائلة » ومقيل الحب ، ومقيل الغيظ : القلب . يقول : إن قلب محبة فرح به مبتهج ،
وقلب عدوه مقروح مكتئب .

(٤) فاعل يخنى ضمير العدو ، يقول : إن عدوه يخنى العدو خوفاً منه . يد أن

(١) قال اللبرد : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله : لم يشيموا لم
يخدموا ولم تكثر القتلى ، أى لم يخدموا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلت .

يَا ابْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابْنِهِ شَرْقًا وَلَا كَالْجُدِّ ضَمَّ ضَرْيَحٌ^(١)
نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُئِلَ النَّدَى
هَوْلٌ إِذَا اخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحٌ^(٢)

العداوة لا تخفى ، لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما بقلبه من العداوة . قال ابن الرومي :

تَحْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جِنٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
« لا جن : لا خفاء » وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص انثقي :
تَكَاشِرُنِي كَرَاهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي^(١)
وقال الآخر :

خَلِيلِي لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ
(١) البرد : شكل من الثياب . والكاف - من قوله كانه - بمعنى مثل : صفة لموصوف محذوف ، هو مفعول ضم : أى ما ضم برد أحداً مثل ابنه ولا ضم قبر مثل الجد . وشرفاً : تمييز . والضريح : القبر كله ؛ وقيل الشق في وسط القبر ، واللحد في جانبه ، وسمى كذلك لأنه يشق في الأرض شقاً ، وكل ماشق فقد ضرح . قال ذو الرمة :
ضَرَحْنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرَّةٍ وَعَنْ أَعْيُنٍ قَتَلْنَا كُلَّ مُقْتَلٍ
يقول : ليس في الأحياء مثلك شرفاً ، ولا في الأموات مثل جد أهلك في الشرف .
(٢) المسيح : العرق ؛ مسمى مسيحاً لأنه يمسح إذا صب . قال الراجز :

يَا رَيْيَهَا وَقَدْ بَدَأَ مَسِيحِي وَابْتَلَى ثَوْبَايَ مِنَ النَّضِيحِ
« ياريها : يروى ناديتها » وقوله : هول ، أى وهول . فهو عطف على سيل . وكان الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح ، ولكنه قال اختلطاً - على لغة من يقول : قاما أخواك - يقول : أنت سيل عند العطاء : أى مثل المطر ، وهول عند القتال إذا سالت السماء وامتزجت بالعرق .

(١) مطلع أبيات جيدة في بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه - [أمالي القالي ج ١ ص ٦٨ - والحزانة ج ٣ ص ١١٨ سلفية] وفي الأغاني : ودوى صدره مرض وضمن

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ
أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللَّوْحُ ^(١)
وَحَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
مَا كَانَ أَنْذَرُ قَوْمَ نُوحٍ ^(٢)
عَجَزُ بَحْرٍ فَاقَهُ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ ^(٣)
إِنَّ الْقَرِيضَ شَجَرٌ بَعْطَفِي عَائِدٌ
مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَدُوحُ ^(٤)

(١) الغيث : السحاب فيه مطر . واللوح : الهواء بين السماء والأرض .
والعنى ظاهر .

(٢) يقول : لو كنت غيثا لحشيت منك الطوفان الذى أنذر به نوح قومه . بقوله
وحشيت : عطف على قوله ضاق - فى البيت قبله - .

(٣) يقول : من العجز أن يقاسى الحر الفاقة مع وجود رزق الإله ، وبابك الذى
لا يحجب عنه طالب : يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس ، فمن لم يصمد إليك
ملتسماً الرزق فذلك لعجزه ، كما قال أبو تمام :
خَابَ أَمْرُؤُا بِحَسِّ الْحَوَادِثِ رِزْقُهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَعْدُ الْأَسْعَدِ
وما أجمل قول بعضهم :

وَعَجَزُ بَدَى أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بَعِيشَتُهُ وَسُعُ هَذِي الْبِلَادِ
وعجز : خبر مقدم عن فاقة ، وبحر : متعلق بفاقة ، والضمير فى وراءه : للحر ؛
قال العكبرى : عجز ابتداء ، وقد تفيد النكرة ؛ وخبره : فاقة ، فالباء ، متعلقة بفاقة ؛
ويحوز أن تكون فاقة ابتداء ، والخبر عجز مقدم عليه ، وتقديره فاقة بحر عجز ؛ فعلى
هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها ؛ وقيل : بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه
العنى ، تقديره : القعود عن قصدك عجز بحر ؛ وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره :
به فاقة . قال : ووراءه أى قدامه ، قال تعالى « وكان وراءهم ملك » أى قدامهم -
من الأضداد .

(٤) شج : حزين . والعطف : الجانب . وبعطفى : متعلق بعائد ، وعائد : لاجيء ،

وَذِكْرِي رَائِحَةَ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا تَبْنِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ^(١)
جُهْدُ الْمَقِلِّ فَكَثِيفُ بَابِنِ كَرِيمَةٍ تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانُ فَصِيحُ^(٢)

والقريض : الشعر ؛ ويقال : قرضت الشعر أقرضه : إذا قلته ، ومنه قول عبيد بن الأبرص :
حال الجريض دون القريض ؛ « الجريض : النقص ، قاله للنعمان بن المنذر حين أراد
قتله فقال له أنشدني من قولك » وقوله سواءك : فسواك إذا فتحت مدت ، وإن كسرت
قصرت . يقول : إن الشعر لاجيء إلى مستعير بي من أن أمدح به غيرك ؛ إذ لا يستحقه
أحد سواك .

(١) الحيا : المطر . يقول : إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ،
تحاول أن تثني على المطر الذي أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أثنت على المطر .
وهذا من قول ابن الرومي يصف روضة :

شَكَرْتُ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْءِ مَيِّئٌ نَمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ^(١)
فَقِي تَبْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فِي الْبِلَادِ
مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَلْدِ شَوْمَ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
وأخذه السرى الرفاء فقال :

وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا فَأَثْنْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

(٢) جهد المقل : أى ذلك جهد المقل . والجهد : الطاقة والوسع ، والمقل الذى
قلت ذات يده : وتوليته : تعطيه . يقول : إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق ،
فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؛ أى أننى لا أغادر شعرك
والثناء عليك . والجهد - بالفتح والضم - قال العكبرى ؛ وقال الفراء بالضم ، الطاقة ،
وحبته قراءة الجمهور : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » . والجهد - بالفتح - من
قولهم أجهد جهده فى الأمر : أى ابلغ غايتك ، ولا يقال أجهد جهده - بالضم - والجهد
بالفتح - المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدا : إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ،
وأجهد فى كذا : أى جد فيه وبالغ .

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ؛ والولى المطر يأتي
بعد الوسمى ويليه . والعهاد : جمع عهد ، وهو مطر بعد مطر .

وقال يصف لعبة على صورة جارية :

جَارِيَةٌ مَا لِحُسْمِهَا رُوحٌ بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحٌ^(١)
فِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا لِكُلِّ طَيْبٍ مِنْ طَيْبِهَا رِيحٌ^(٢)
سَأَشْرَبُ الْكَأْسَ عَنْ إِشَارَتِهَا وَدَمْعُ عَيْنِي فِي اتِّخُدِّ مَسْفُوحٌ^(٣)

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال :

يُقَاتِلُنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ^(٤)

(١) التباريح : الشدائد . يقول : إن القلوب تحبها للطف صورتها . وجارية - كما قال العكبري - ابتداء ، وروح اسم ما المشبهة بليس ؛ والجار والمجرور الخبر . وقوله تباريح : ابتداء خبره المقدم عليه : وهو الجار والمجرور ، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار ، ومن حبا : يتعلق بالابتداء .

(٢) يقول : إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة ؛ لأنها أطيب الأشياء ريحا .

(٣) يقول : إنني سأشرب الكأس امتثالا لإشارتها ، برغم أني أكره الخمر : ومن ثم سيسيل دمي على خدي استنشاعا للخمر .

(٤) منصرفي : مصدر ميمي بمعنى انصرافي . قال الواحدي : إن الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الأمير وإطالة البث فيه ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع وجعل ذلك قتالا . ثم قال : وإذا انصرفت فقد أعتته على نفسي . ويجوز أن يكون المعنى : إن الليل برده ندماء وتفريقه جلساء يعمل على الخلو به ، فأنصرافي أَمْضَى سلاح له وأعون على مراده . وقال العكبري — في قوله منصرفي — يريد انصرافي ، وإذا زاد الفعل على الثلاثي استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان ، وإذا كان متعديا ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول ، فالمنصرف يقع على المصدر ، والموضع الذي ينصرف عنه ، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك ، وانصرف فعل لا يتعدى إلى مفعول فلو بني مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها — مما هو على أربعة أو أكثر — استوت فيه الأشياء الأربعة المصدر

لَأَنِّي كُلَّمَا فَارَقْتُ طَرَفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَنَفِي وَالصَّبَاحِ^(١)

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء ، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل ، فقال بعض الجلساء ذلك وجرع منه ، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طنج ارتجالا :

أَبَاعْتُ كُلَّ مَكْرُمَةٍ طُمُوحٍ وَفَارِسَ كُلِّ سَلَمَةٍ سُبُوحِ^(٢)

والزمان والسكان والمفعول ، يقال جبل مجتذب وعجيب من مجتذبى جلك أى اجتذابى وهذا مجتذب جلك أى الموضع الذى يجذب فيه والوقت الذى كان فيه الاجتذاب .

(١) البيت تعليل لقوله : ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأنى كلما فارقت عيني ، ولم أرك ، لم أتم من شوقى إلى لقاءك ، فطال ليلى وبعد ما بين جفنى والصبح : هذا ؛ ويجوز رفع بين على إخراجها عن الطرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد . قال العكبرى : ويجوز أن يكون فاعلا يبعد ؛ كقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَثْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالَيْهَا جَرُورِ^(١)

ويجوز نصبه على الطرفية وتقدير المبتدأ محذوفاً : أى بعيد ما بين جفنى ؛ قال الواحدى : ولو قال بين عيني الصباح لكان أظهر ، لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجن .

(٢) الباعث : الهوى — من بعث الله الميت : إذا نشره — والطموح : الجروح ، وهى العريضة المتنتعة . والسلبية : الطويلة من الخيل : والسبوح : التى تسبح فى جريها . يقول : يا عبي كل مكرومة تستصحب على غيرك ، ويا فارس الخيل الشديداً الجرى .

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الخيل الطويل الشديد القتل التى يستقى به وتشد به الخيل ؛ والجال : كل ناحية من نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها ؛ والجورور البئر البعيدة القمر ، وبين : قال ابن منظور : البين ههنا الوصل ، قال لأن البين فى كلام العرب من الأضداد ؛ إذ يكون بمعنى الفارقة ويكون الوصل كما فى هذا البيت

وَمَا عَيْنَ كُلِّ نَجْلَاءٍ غَمُوسٍ وَعَامِىَ كُلُّ عَذَالٍ نَصِيحٍ^(١)
 سَقَانِىَ اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ^(٢)
 وَأَرْسَلَ أَبُو الْعِشَاءِ بَازِيًا عَلَى حَجَلَةٍ فَأَخَذَهَا فَقَالَ الْمُنْبِي :
 وَطَائِرِي تَتَّبِعُهُمَا الْمَنَآيَا عَلَى آثَارِهَا زَجَلُ الْجَنَاحِ^(٣)
 كَأَنَّ الرَّيْشَ مِنْهُ فِي سِهَامٍ عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمُ مِنْ رِيَّاحٍ^(٤)

(١) النجلاء : الواسعة ، والغموس : التى تغمس المطعون فى الدم . يقول : إنه كان يطمئن كل طئنة واسعة تغمس صاحبها المطعون فى الدم ، ويعصى كل من يعذله فى الجود والإقدام .

(٢) يقول : أمكننى الله من الأعداء حتى أهرق دماهم وآتى عليهم ، والعرب تقول شربنا دم بنى فلان يريدون قتلناهم وأرسلنا دماءهم على الأرض كلاماً . هذا : وسقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » وقال جل شأنه « وسقام ربهم شراباً طهوراً » .

(٣) المراد بالطائرة : الحجلة ، والحجلة : واحدة الحجل ؛ طائر فى حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش فى الصرود العالية يستطاب لظه . والرجل ذو الصوت ؛ وأراد بالزجل : جناح البازي — يعنى خفيف جناحيه فى الطيران . قال العكبرى : من رفع زجل يكون الكلام تاماً فى النصف الأول ؛ ويرتفع على لابتداء ؛ والخبر ، الجار والمجرور وهو متعلق بالاستقرار وقال الواحدى : من نصبه نصبه على الحال إذا جمل المنيا البازي لأنه سبب منيا الطير ، وتتبعها هى تتبعها . ورواها العكبرى تتبعها وقال : يقال تبعته وأتبعته وتتبعته . ثم قال : تبعته القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فمضيت معهم وكذلك أتبعتم وهو أفتلعت وأتبعته القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقهم وأتبعته غيرى يقال : أتبعته الشيء فتبعه ، وقال الأخفش : تبعته وأتبعته بمعنى . مثل ، ردفته وأردفته .

(٤) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها ، وجعل جسده جسماً من رياح لسرعة انقضاضه على الصيد ، فالضمير منه : يعود على زجل الجناح ، وفى سهام متعلق بمحذوف تقديره ظهر فى سهام ، وعلى جسد : فى موضع الصفة ، ومن رياح : متعلق بتجسم .

كَانَ رُؤُوسَ أَفْلَامٍ غِلَاطٍ مَسْحَنَ بَرِيشٍ جُوجُورَ الصَّحَاحِ^(١)
فَأَقْمَصَهَا بِحَجْنٍ تَحْتَ صُفْرِ لَهَا فِئْلُ الْأَسْنَةِ وَالصَّفَاحِ^(٢)
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَوْتٍ وَإِنْ حَرَصَ النَّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ^(٣)

(١) الجُوجُورُ: الصدر . شبه سواد صدره بآثار مسح رؤوس أفلام جبر غلاظ في ثوب أبيض ؛ وروى ابن جني : غلاظا — نصباً على النعت للرؤوس — وهو أجود ، لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الجبر عريضاً ؛ والصحاح : جمع صحيح ، وروى الصحاح — بفتح الصاد — على النعت للجوجور أو للریش على اللفظ لا المعنى .

(٢) أقمصها : قتلها قتلا وحياً سريعاً . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج — يريد محالبه — والصفر : أصابعه ؛ والأسنة : نصال الرماح ؛ والصفايح : السيوف ، يريد أن البازي قتل هذه الحجة قتلاً سريعاً . هذا : ويقال مات فلان قصاً إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وضربه فأقصه أى قتله مكانه ، وأقصه بالرمح وقصه : طعنه طعناً وحياً . والقصاص داء يأخذ النعم ليلبشها أن تموت ؛ وفي الحديث : من أشراط الساعة موتان يكون في الناس كقصاص النعم . والحجن : بالتحريك الاعوجاج ، وصقر أحجن الخالب : معوجها ، والحجن : الصولجان لاعوجاجه .

(٣) لكل حي : خبر مقدم ، ويوم موت : مبتدأ مؤخر ، والفلاح : البقاء والفوز والنجاة ، والفلاح السحور ومنه : حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور لأنه به بقاء الصوم ، وحى على الفلاح أى أقبل على النجاة .

قافية الدال

وقال يمدح سيف الدولة ، ويرثى ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ،
وقد توفى في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

مَا سَدِكَتْ عِلَّةً بِمَوْرُودٍ أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدَ^(١)
يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ^(٢)
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ اللَّمَاتِ عَلَى غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ^(٣)
بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ وَصَرْبِهِ أَرْؤُسِ الصَّنَادِيدِ^(٤)

(١) سدك الشيء بالشيء : لزمه ؛ والعلة : المرض ؛ والمورود المضموم في لغة أهل
الحمن وقد وردته الحمى فهو مورود قل ذو الرمة :

* كَأَنَّنِي مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَوْرُودِ *

والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت ، ويقال : أكل الرطب موردة ، أى محمة
وقال أعرابي لآخر : ما أمار إفراق المورود ؟ فقال : الرضاء . ويروى بمولود .
يقول : ما لزم علة مورودا أكرم من هذا الرجل .

(٢) أصدق المواعيد : الموت . يقول : إنه يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع
أخو حروب ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذْ نَ لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدْقِ الْخَزَنِ
(٣) القود : الطوال من الخيل . يقول : مثله في شجاعته وملايسته الحروب ينكر

موته على غير السروج : أى في غير الحروب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو
يحتضر : ليس في جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا ذا أموت
موت الحمار ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدده في
الحرب ، وبعد ضربه رؤس الأبطال . وتعثر الرماح بصدده : إصابتها إياه ، وجعله

وَحَوْضِهِ نَعْمَرُ كُلَّ مَهْلَكَةٍ لِلذَّمْرِ فِيهَا فُؤَادُ رَعْدِيدٍ^(١)
فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مُصِيرٌ وَإِنْ بَكَيْنَا فَفَيْرٌ مَرْدُودٍ^(٢)
وَإِنْ جَزَعْنَا لَهُ فَلَا حَاجِبَ
ذَا الْجَزْرِ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَقْهُودٍ^(٣)

مطمونا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاته بالرمح ، وجعله ضاربا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه . والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع ، ومنه الصناديد من الأمور وهي الشدائد والدواهي ، وكان الحسن يقول : نعوذ بالله من صناديد القدر — أى من دواهي ونوائبه العظام القوالب — ومن جنون العمل — وهو الإعجاب — ومن ملغ الباطل ، وهو التبحر فيه .

(١) النصر : الكثير ، والمراد هنا أصعب مواضع الحروب ، والذمر : الشجاع والرعيد : الجبان . يقول : وجد حوضه كل حومة في الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان .

(٢) صبر : جمع صبور . يقول : فإن صبرنا على قتله فإن الصبر عادة لنا وإن بكينا لم يردده علينا البكاء ، فلا تقع في البكاء ولا غناء . وإن شئت قلت : فخير مردود . أى لم يرد علينا البكاء : أى لا نصاب به ، لاستحقاقه ذلك وشدة الفجعة به .

(٣) شبه بالبحر وشبه موته بالجزر . يقول : وإن جزعنا لموته فلا حجب ، لأن مثل هذا الجزر لم يعد في البحر إذ المهود في البحر إذا جزر أن يتراجع مأوه حسب ، ولكن لم يعد فيه أن يجزر حتى ينضب ويحف . وللعنى : قد تقع للصاب ، ولكن لم تمهد مثل هذه المصيبة ، وهذا كقول أعشى باهلة :

فَإِنْ جَزَعْنَا فَمِثْلُ الشَّرِّ أَجْزَعْنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعِشَرُ مُصِيرٍ
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ قَال :

فَلَمَّا صَبَرْتُ فَأَنْتَ كَوَكَبُ مُنْشَرٍ صَبَرُوا وَإِنْ تَجَزَّعَ فَفَيْرٌ مُنْهَدٍ
وَأَخَذَهُ الْحَرَمِيُّ قَال :

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ دَمَا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ
(٢٥٠ — التتمة ١)

أَيْنَ الْمَبَاتِ الَّتِي يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْوَاحِدِ^(١)
 سَالِمُ أَهْلِ الْوَدَادِ بَعْدَهُمْ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ^(٢)
 فَمَا تَرْجَى النَّفْسُ مِنْ زَمَنِ
 أَحْمَدُ حَالِهِ غَيْرُ مُحَمَّدٍ^(٣)
 إِنَّ نَيْوَبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي
 أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهُا عُودِي^(٤)
 وَفِي مَا قَارَعَ الْخَطُوبَ وَمَا آتَنِي بِالْمَصَائِبِ الشُّودِ^(٥)

(١) الزرافات : الجماعات ؛ والمراد بالواحد : الأفراد ، كأنه أخذها من مواحيد الجبال ، وهى أكبات منفردات كل واحدة باثثة عن الأخرى . يقول : إن العطاء انقطع بعوته وانقطع ما كان يعطى الجماعات والأفراد من المبات .
 (٢) يقول : إن الذى يسلم من القوم التحايين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم ، لا ليخلد ، لأنه يتبعهم ، وإن تأخر أجله عن آجالهم .
 (٣) قال ابن جني : أحمد حاله أن يبقى بعد صديقه وذلك غير محمود لتعجل الحزن : خلفاء الموت والحياة ، أى وإذا كانت الحياة - وهى أحمد حالى الزمان - غير محمودة لأنها تقطع بالحزن على الراجلين ، فماذا ترجى من الزمان ؟ وقال الواحدى : أى لارضاء عند زمان أحمد حاله البقاء وهو غير محمود لأن محبته بلاء ومؤجله فناء ، وإن شئت قلت أحمد حاله البقاء ، ومن بقى شاب ، والشيب مكروه مذموم . فيكون كما قال محمود الوراق :

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مَدَّ الْبَقَاءُ لَهُ وَسَاعَدَتْ نَفْسُهُ فِيهِ أَمَانِيهَا
 أَبْقَى الْبَقَاءُ لَهُ فِي نَفْسِهِ شُغْلًا مِمَّا يُرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبَلَا فِيهَا

(٤) عجم العود : عضة ليعرف أصلب هو أم رخو ؟ وعجبت عوده : بلوت أمره وخبرت حاله . قال :

أَبَى عُودُكَ الْمَجُومُ إِلَّا صِلَابَةً وَكَفَّاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسَالُ

يقول : قد طالبت صبحى للزمان ، وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه .
 (٥) يقول : فى من الجلادة والبصر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهينى ، ومن

مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَفَانَكَ يَا سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَغْمُودٍ^(١)
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ طُرّاً يَا أَصِيدَ الصَّيْدِ^(٢)
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشُرُهُ وَقَعُ قَنَا الْخَطُّ فِي اللَّغَادِيدِ^(٣)
وَرَمَيْكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ
رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَنْهِيدِ^(٤)

طول إلفق للحن ما نفى عنى الجزع وصيرنى آنس بالمصائب . وعلى هذا يكون : وما آنسى
عطفا على ما قارع ويجوز — كما قال العكبرى — أن تكون ما — فى وما آنسى —
تعبيراً . وعبرة الواحدى : فى ما يقارع الخطوب ويؤنس بالمصائب العظام ، وهو علمه
بثواب المصابين كما قال صلى الله عليه وسلم « ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم
قرضت بالمقاريض . . . لما يرون من ثواب أهل البلاء » . والذى آنسه بالمصائب رأيه
الذى يريه المخرج منها . . . والخطوب جمع خطب : الشدة تلقى الإنسان . والمصيبة
إذا عظمت قيل : مصيبة سوداء .

(١) يقول : لما استفانك وهو فى أسر بنى كلاب أغثته واستنقذه من أيديهم ولم
تكن سيفاً مغموداً عنه .

(٢) يا أصيد الصيد ، يا ملك الملوك . وأصل الصيد : داء يأخذ البعير فى عنقه
فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، واستعمل فى الملك والرجل العظيم صاحب
النخوة ، وأصيد أفضل وصف لا أفضل تفضيل والصيد جمعه قال العكبرى : وأصيد
الصيد ههنا بمعنى ملك الملوك ولا يكون هنا أعظمهم صيداً . لأن ذلك يفتح كما يفتح
أعور العور أى أشد هم عوراً ، لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفضل ولأما أفضل .

(٣) اللغاديد : لحمت بين الحنك وصفحة العنق ، وأنشره : أحياء ، قال تعالى « ثم
إذا شاء أنشره ، وقنا الخط : الرماح والخط : موضع بالجماعة تنسب إليه الرماح وجعل
أسره قبل ذلك موتاً قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى
إياه ، فأنشرته من ذلك الموت بطعن الرماح فى لغاديد الأعداء حتى استنقذته منهم .

(٤) يقول : وأنشره سيرك ليلا بجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ،
فكانك رميت عيونهم بالسر ، ورميت الليل بالجنود إذ سرت فيه بجنودك ، فقوله :
ورميك ، عطف على وقع القنا .

فَصَلِّبْنَهُمْ رِيعَالَهَا شُرَبًا (١)
تَحْمِيلُ أَعْمَادُهَا الْفِدَاءَ لَمْ تَحْمِلْ (٢)
وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِيرِ السَّيِّدِ (٣)
أَفْنَى الْحَيَاةِ الَّتِي وَهَبَتْ لَهُ (٤)
سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ (٥)
يَنْ ثَبَاتٍ إِلَى عَبَادِيدِ (١)
فَانْتَقَدُوا الضَّرْبَ كَالْأَخَادِيدِ (٢)
وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِيرِ السَّيِّدِ (٣)
فِي شَرَفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ (٤)
مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ (٥)

(١) الماء — في ريعالها — كناية عن الخيل ، وإن لم تذكر ، والزعال : جمع رعلة القطعة من الخيل ، والضمير للجنود ، والشرب : جمع شارب ، وهو الضامر . والثبات : جمع ثبة ، وهي الجماعة ، والعباديد : الفرق ، ولا واحد لها من لفظها . يقول : انصبت عليهم الخيل صباحا زراطلت ووجدانا .

(٢) انتقد الدرام : قبضا ، والأخاديد : جمع أخدود ، وهو الشق في الأرض ، كنى بما تحمل الأعماد عن السيوف : أى حملوا إليهم السيوف في الأعماد وجعلوها فداء . لأنهم استنفذوه بها ، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضاً كما تقبض الدرام والدنانير التي تدفع عادة في الفداء . يعنى : إن فداء أبى وائل كان ضرباً أثر فيه تأثير الأخدود في الأرض : أى نالتهم جراح واسعة كأنها الأخاديد .

(٣) الفراش : عظام رفاق تلى خف الرأس ، والهام : الرؤوس . والسيد : الدب . يقول : إن هذا الضرب يقع في عظام رؤوسهم فتستنشق الدئاب والوحوش منه رائحة تدلها فتأتى لأكل لحومهم .

(٤) يقول : إن الحياة التي وهبها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفناها في بناء الشرف والسيادة شاكرًا لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التي أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة ، وشاكرًا : حال من ضمير أفنى ، والتسويد : مصدر سوده أى جملة سيدياً .

(٥) النجود : المكروب ؛ ويقال استنجدنى فأنجذته : أى استعان بى فأعنته ، واستنجد الرجل أى قوى بعد ضعف أو مرض ، ويقال للرجل إذا ضرى بالرجل واجترأ عليه بعد هيئته إياه : قد استنجد عليه ، وكان المرئى قد أصابته جراحة في الحرب فبقى فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروباً لتلك الجراحة ، وهو مع ذلك عون للمكروب .

ثُمَّ غَدَا قَيْدَهُ الْحَمَامُ وَمَا تَخْلَصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودٍ^(١)
لَا يَنْقُصُ أَلْهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ مِنْهُ عَلَى مُضَيِّقُ الْبَيْدِ^(٢)
تَهَبُ فِي ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ هُبُوبٌ أَرْوَاحَهَا الْمَرَاوِدِ^(٣)
أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْ أَسْمِهِ كَتَبَتْ سَنَابِكَ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ^(٤)
مَهْمَا يُعَزُّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ^(٥)

(١) الحمام : الموت ، والصنفود : القيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا أسيراً للموت . ومن قيد بالموت وصفده لم يتخلص منه : هذا ، وجملة قيده الحمام : مبتدأ وخبر في موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو ، وروى قده الحمام ، والقيد : الغل والقيد ، وروى قده الحمام أى غدا الحمام قده .

(٢) يقول : من هلك من عشيرتك لا ينقص به عدلك لأن الغلوات تضيق بأتباعك ومن معك من الجيوش : ومن — في قوله من عدد — زائدة ، وعدد : مفعول ينقص ومنه على : مبتدأ وخبر صفة لعدد ، وعلى هو سيف النولة .
(٣) الضمير — في ظهرها — للبيد ، وأرواحها : رياحها ، والمراد : الرياح تجيء وتذهب . قال ذو الرمة :

يَا دَارَ مَيَّةَ لَمْ يَتْرَكْ بِهَا عِلْمًا تَقَادُمُ الْعَهْدِ وَالْهُجُجُ الْمَرَاوِدُ

يقول : إن جيوشه تطلع على الغلوات وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه كثيرة فهي تم البيد كما تمها الرياح عند هبوبها ، وهذا على حد قوله :

إِذَا سَارَ فِي مَهْمَةٍ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ

(٤) أراد بأول حرف من اسمه : العين ، لأن اسمه على . والسنبك : طرف الحافر ، والجلاميد : الصخور . يقول : إن حوافر الخيل لشدة وقمها على الصخور كانت تطبع فيها أثراً يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه .

(٥) يقول : مهما عزاه معز بهذا البيت ، فلا عزاء بجوده وشجاعته : أى لا تقدهما فالفتى : فاعل يعز ، والأمير : منصوب بوقوع العزاء عليه ، وتقديره : مهما يعز معز الأمير ، والضمير في به : للبيت . وروى — يعز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى ، والفتى : نائب فاعل يعز البننى لما لم يسم فاعله .

وَمِنْ مُنَّانَا بَقَاؤُهُ أَبَدًا حَتَّى يُعْزَى بِكُلِّ مَوْلُودٍ^(١)

وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنة ، ويذكر الواقعة :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ
وَإِنْ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّي لَمَاجِدُ^(٢)
يَرُدُّ يَدَا عَنْ نَوْبِهَا وَهَوَّ قَادِرُ
وَيَنْصِي الْمَوَى فِي طَيْفِهَا وَهَوَّ رَاقِدُ^(٣)

(١) يقول : أمنيئت أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم قال ابن جني : وهذا دعاء حسن ، كما يقال للعزى : جملك الله وارث الجماعة ، وهو أجود في المعنى من قولهم : لا أعاد الله إليك مصيبة أبداً .

(٢) الخود : المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : إن اللواتي يعذلن هذه المرأة - التي هي صاحبة الخال على خدها - في لأجل محبتها إياي هن حواسد لها على ، لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد .

(٣) يرد : أى الضجيع ، والطيف : الخيال في النوم . يقول : إننى أعف عنها مع كوني قادراً على ترك المغاف ، وقد صار ذلك سبباً لى حتى صرت أعف عن طيفها أيضاً إذا زارنى في نومي . يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء ، كما قال هذبة :

وَلَمَّا لَأَخْلَى لِلْفَتَاةِ فِرَاشَهَا وَأَصْرِمُ ذَاتِ الدَّلِّ وَالْقَلْبُ آلِفُ
قال ابن جني : لو قدر على أن يقول موضع قادر : يقظان أو مستيقظ لكان أجود في الصناعة ، ولكنه لم يقدر . قال أبو الفضل العروصى : هذا النقد - نقد ابن جني - غير جيد ، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر : لم يزد على معنى واحد ، وهو الكف في حالة النوم واليقظة ، وإذا قال قادر : زاد في المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة ، ولو أن رجلاً ترك المحارم من غير قدرة لم يأنم ولم يؤجر ، وإذا تركها مع القدرة صار مأجوراً . قال : والعجب من أبى الفتح يقصر فيها فرض على نفسه من التفسير ويخطئ ثم يتكافى النقد ، وقال في قوله وهو راقد : إن الراقد قادر أيضاً

مَتَى يَشْتَنِى مِنْ لَاعِجِ الشُّوقِ فِي الْحَشَى
 مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدٌ^(١)
 إِذَا كُنْتَ تَحْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ
 فَلَمْ تَتَصَبَّأَكَ الْحَسَنُ الْخَرَائِدُ^(٢)
 أَلَحَّ عَلَى السُّنَمِ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوْدُ^(٣)

أن يتحرك في نومه ويصيح ، وليس هذا بشيء ، ولم يقله أحد ، والقدرة على الشيء أن يفعله متى شاء ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ، والنائم لا يوصف بهذا ولا الغشى عليه ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مرید ، وأما عصيانه الهوى في طيفها فليس باختيار منه في النوم ، ولكنه يقول لشدة مائتة في طبعي وغريزتي صرت في النوم كالجارى على عادتي .

(١) اللاعج : المحرق ، يقال : هوى لاعج ، لحرقه الفؤاد من الحب ، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا ، استحر في القلب ؛ ولعجه الضرب ، ألمه وأحرق جلده ، قال عبد مناف بن ربح الهذلي .

ماذا يَغْيِرُ ابْنَتِي رُبْعٌ عَوِيْلُهُمَا لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لَنْ رَقْدَا
 إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامْتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا يَسْبِتُ يَلْعَجُ الْجِلْدَا
 « يغير : ينفق ؛ أى لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً ، والسبت : جلود البقر المدبوعة واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره » والحشا : ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله في قربه : حال من فاعل متباعد . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه نأى عنها بفافه ؛ وعبرة ابن جني : يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتنعت ؟

(٢) تصبأك ، تدعوك إلى الصبوة ، والخرائد ، الحيات . ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان مادام يخشى العار في الخلوة بهن . يقول : إذا كنت في الخلوة بهن تنأى عنهن وتنف ، فمالك ولعشق الحسان والزراع إلهن ؟

(١) ألح عليه : لازمه . ويقال : ألح عليه بالمسألة ، وألح الرجل على غريمه في التقاضى إذا واظب ؛ وسحاب ملحاح : دائم ، وألح السحاب بالمكان : أقام به مثل ألح ؛ وألحت

مَرَزْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمَمَتِ
 جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَاهِدِ^(١)
 وَمَا تُنْكِرُ الدَّمَاهُ مِنْ رَسْمِ مَنَزِلٍ
 سَقَتَهَا ضَرْبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَايِدُ^(٢)
 أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَانَتْهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ^(٣)

الناقة وألح الجمل : إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس ؛ وكله من اللزوق .
 والعوائد : جمع عائدة ، وهي التي تعود المريض . يقول : لارمى السم فلا يفارقني حتى
 لقد ألفتني ، وقد ملني طيبي وعوائدي لشدة ما بي من السم .

(١) يقال : فرس جواد للذكر والأنثى . والمحممة : دون الصهيل ، كالتمنع .
 وشجاء يشجوه : إذا أحزنه ؛ وأشجاء إذا غصه . والمعاهد جمع معهد ، وهو الموضع
 الذي عهدت به شيئا ، وتسمى ديار الأجرة : معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب
 فحممت جوادى حينئذ إنها عرقها . ثم استقممت متعبا فقال : وهل الديار تشجى
 المعبوات كما تشجى الإنسان ؟ ! وقد أخذ أبو الحسن التهامي هذا وزج
 عليه فقال :

بَكَيْتُ فَحَمَمْتُ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِيَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا
 ثُمَّ زَادَ السَّرَى الرَّفَاءَ عَلَى هَذَا فَقَالَ :

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَتُرْزِمُ نَاقَتِي وَتَصْهَلُ أَفْرَاسِي وَيَدْعُو حَمَامُهَا
 (٢) ما : استفهام إنكارى والفرس الدهاء : السوداء . والضرب : اللبن الخائر
 يعلب من عدة لقاح . والشول : النياق التي بعد عيدها بالتاج لجف لبنها . والوليدة :
 الجارية التي تخدم . نفى التعجب ورجع عنه . يقول : كيف تنكر الفرس الدهاء رسم
 منزل أقامت به تسقى الولائد فيه لبن النياق فألفتني ؟ وقال الواحدى : « ما » ههنا نفى .
 (٣) عن كونه : أى عن حصوله . يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالي
 تدافنى عنه وتحول بينى وبينه ، فكانت تلك تطاردنى عن الوصول إليه ، وأنا
 أطاردها عن حيلولتها بينى وبينه .

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ^(١)
وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(٢)
تَثْنَى عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ^(٣)
مَحْرَمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلٍ عَلَى الْقَنَا مُحَلَّةٌ لَبَّاتُهَا وَالْقَلَائِدُ^(٤)

(١) وحيد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا وحيد؛ ويروى وحيدا - على أنه حال من ضمير أم - يقول: إن مطلوبي عظيم، ومن ثم لا أجد من يساعدنني على ما أطلب، لأن المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه، والخلان: جمع خليل: كـرغيف ورغفان (٢) الغمرة: الشدة « والسبوح: الفرس التي كأنها تسبح في جريها، يقول: وتعينني على توارد الصمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها وفي الشطر الثاني من كثرة التكرار - وهو قوله لها منها عليها - ما قد يعاب به ولها خبر مقدم عن شواهد؛ والجملة: صفة؛ وعليها: متعلق بشواهد؛ ومنها: حال، (٣) المراود: جمع مرود، وهو حديدة تدور في اللجام - من راد يرود: إذا ذهب وجاء. يقول: إن هذه السبوح - اللين مفاصلها - تميل مع الرماح كيفما اتجهت شبه مفاصلها في سرعة استدارتها - إذا لوى عنانها لدى الطعان - يسبح المروود بدور مع حلقاته كيفما أدبرت، كما قال كشاجم:

وَإِذَا عَطَفَتْ بِهِ عَلَى مَوْرُودِهِ لِتُسْدِيرِهِ فَكَأَنَّهُ يَرْكَارُ^(١)

وهنا قال الواحدي: أخطأ القاضى - يريد القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني - في هذا البيت، وزعم أن هذا من القلوب، وقال: إنما يصح المعنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراود؛ وعنده أن الزود مثل المكحلة، شبه الرماح في مفاصلها بالليل في الجفن يفعل فيها كما يفعل الليل في العين، وهذا فاسد، لأنه يخص الفاصل، وليس كل الطعن في الفاصل لأنه قال تثنى على قدر الطعان، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالليل في الجفن فلا حاجة إلى تشبيهها.

(٤) اللبات: أعالى الصدور. ومحلة القلائد: أي مواضع القلائد من الأعناق.

(١) البركار والبيكار: آلة ذات ساقين لرسم الدوائر - البرجل -

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ^(١)
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كِفَةً
عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ^(٢)
خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ^(٣)
فَلَا تَعَجَّبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ^(٤)

يقول : إنه يغوض الحرب فتتال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تتال من أعجازها لأنه لا يهرب منها .

(١) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسبق في يدي — موارد مهلكة لا يصدر وأردها حيا ما لم يكن جلدا شجاعا مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني : من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعا جلدا ، هلك . هذا : والواو في والمهند : والحوال ، والمهند : السيف الهندى ، أو السيف المشجود .

(٢) يقول : إن قوة الضرب إنما تتكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب : لم تقو بقوة الساعد وقوله : على حالة : صلة يحمل .

(٣) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعراً . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم : وإذن : فهو الشاعر في الحقيقة ، أما غيره فهو شاعر باتحال شعره . وعبارة الواحدى : يريد كثرة من يرى من الشعراء المدعين وأن له التحقيق باسم الشاعر لأنه هو الذى يأتي بالقصائد لا هم . قال ابن جني : لو قال : فكلم منهم الدعوى ومنى القصائد لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم .

(٤) في هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظير — وإن كاله أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق :

وقد تلتقى الأسماء في الناس والكفى كثيراً ولكن فرّقوا في الخلائق

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبِيعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِ
وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ^(١)
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ^(٢)
أَحَقُّهُمْ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلَى وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ^(٣)

(١) انتضى السيف سله وجرده . يقول . إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضي وتغمد ، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه وما آثره الله به من الشجاعة والأفة ، ويغمد ما تعود من العفو والإحسان . هذا : وكما يقال : انتضى السيف . يقال : نضاه أيضاً ، ونضا الحضاب : ذهب لونه ونصل ، ونضوت البلاد : قطعها . قال تأبط شراً ولكنني أروى من الخمر هامتي وأنضوا الفلأ بالشاحب أنثشل^(١)
(٢) يقول : لما رأيت الناس دونه في المنزلة تيقنت أن الدهر ناقد لم يعطى كلا على قدر ما يستحقه ، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر ، لأن الدهر يرفع من لا يستحق ، ويحط من يستحق ، فهو على العكس مما قال المتنبي .

(٣) الطلى : الأعناق ، وهذا كالشرح لما ذكره في البيت السابق يقول : إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة : من كان ضارباً للأعناق - أى شجاعاً - وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب . وعبارة بعض الشراح : لا يستحق أن يحمل سيفاً إلا من يضرب به الأعناق : وقوله وبالأمن : يروى وبالأمر : أى يتولى أمور الناس ، أو بمنصب الإمارة . هذا : وقد أسلفنا أن الطلى : الأعناق ، وقيل : أصول الأعناق . الواحدة طلية ، ويقال الطلاء أيضاً ، وأطلى الرجل والبحير إطلاء فهو مطل : مالت عنقه للموت أو لغيره قال :

وسائلة تسائل عن أبيها فقلت لها وقعت على الخبير

تركت أباك قد أطلى ومالت عليه القشمان من النور

وفي الحديث « ما أطلى نبي قط » أى مامال إلى هواه وأصله من ميل الطلاء أى

(١) يعنى بالمتششل الرجل المتخذ لقليل اللحم الخفيف ، والشاحب - على هذا - يريد به صاحب ، وقيل : يريد به السيف . قال الأصمى : هو سيف يقطر منه الدم ، والشاحب : الذى أخلق جفنه .

وَأَشَقُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلَهَا بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدٌ^(١)
 شَنَنْتُ بِهَا الْفَارَاتِ حَتَّى تَرَكَتَهَا وَجَفَنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدٌ^(٢)
 مُحَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعَى كَانَهَا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ^(٣)
 تَنْكَسُّهُمْ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالَهُمْ وَتَطْفُنُ فِيهِمْ وَالرِّمَاحُ الْمَسْكَائِدُ^(٤)

الأعناق إلى أحد الشقين ؛ والطلاء : ما طبع من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب تسمى الحمر : الطلاء . يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بينها . وفي الحديث : « سيشرّب ناس من أمى الحمر يسمونها بغير اسمها » يريد أنهم يشربون النبيذ للسكر الطبوخ ، ويسمونه طلاء تخرجاً من أن يسموه خمرأ . والطلاء : القطران ، وكل ما طليت به ، والطلا : الولد من ذوات النطف والحف والجمع أطلاء .

(١) يقول : إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم ، وشقاؤها إنما هو بهذا : أى بكونك تضرب الطلى ولا تكثر لغمرات الحروب ، ومع هذا فهم كلهم معترفون بعبدك ولا يمحذون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام .

(٢) شن الفارة : صبا عليهم وفرقها من كل وجه ؛ والفرنجة : قرية بأقصى بلاد الروم . يقول : صبيت الفارة على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعاً حتى بات الذى فى أقصى بلادهم لا ينام خوفاً وإن كان بعيداً عنك .

(٣) يقول : إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مغلقة — أى مطلية بالخلوق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران — وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض ، وإن لم يسجدوا حقيقة . فقوله : محضبة — بالرفع — خبر ابتداء محذوف ، ومن نصبه جعله حالا من الضمير فى تركتها . والقوم صرعى : يروى والخليل صرعى ، وصرعى : جمع صريع : أى طريح ، ومساجد : خبر كان ، والجملة المعترضة : حال .

(٤) يقول : تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها ، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة . وتأتى عليهم بكيدك : يعنى أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح . ولك أن تقول والسابقات جبالهم : أى أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأنها الجبال يستعصمون بها فتكسهم عنها . وعبرة الواحدى : تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين ؛ ونكسه : قلبه ، والسابقات : الخيول .

وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكَدَى
 كَمَا سَكَنَتْ بَطْنُ التُّرَابِ الْأَسَاوِدُ^(١)
 وَتُضْحِي الْحُصُونُ الشَّمَخَرَاتُ فِي الدُّرَى
 وَخَيْلُكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَائِدُ^(٢)
 عَصَفَنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسَقَنَهُمْ^(٣) بِهَنْزِيْطٍ حَتَّى أَيْضَ بِالسَّيِّ آمِدُ^(٤)
 وَالْحَقْنُ بِالصَّفَصِ سَابُورَ فَانْهَوَى وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ^(٥)

(١) الهبر : تقطيع اللحم ؛ والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة . وأصلها فى البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها لصلابتها ، فيقال : أكدى أى انقطع ، قال تعالى « وأعطى قليلا وأكدى » قيل أى وقطع القليل ؛ وقيل أمسك عن العطية وقطع ، قالوا : وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حبر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر . والأساود : الحيات العظيمة : يقول : وتعمن فى تقطيعهم بالسيوف وقد اكتمنوا تحت الصخور وفى المغاور والكهوف كما تكن الحيات فى التراب .

(٢) الشمخرات : المرتفعات . والدرى : أعلى الجبال . يقول : وتضحي الحصون العالية الشائعة فى رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق وروى ابن جنى : القلائد - بالتحريف -

(٣) اللقان : وهزيط من بلاد الروم ، وآمد : بلد بالثور مما يلى الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأنت عليهم هلاكا يوم أغرت عليهم بهذا السكان وساقهم أسارى حتى أبيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجوارى والفلان ، فالضمير فى عصفت للخيل ، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان .

(٤) الصفصا وسابور : حصان منيعان للروم ، وانهى : هوى وسقط . يقول : وألحقن - أى الخيل - أحد الحصنين بالآخر فى التخريب حتى سقط مثله ، وهلك أهل الحصنين وحجارتها ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رمادا ، فجعل ذلك هلاكا وقوله : وانهى . قال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفل إنما يبنى مما التلاى منه تمتد ، وهذا غير تمتد ؛ وفى الفصيح من الكلام : هوى قال تعالى « والنجم إذا هوى » .

وَعَلَسَ فِي الْوَادِي بَيْنَ مُشَيْعٍ^(١) مُبَارَكُ مَا تَحْتَ اللَّثَامِينَ عَابِدُ^(٢)
 فَتَى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتَهُ^(٣) تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ^(٤)
 أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سِوْفُهُ رِقَابَهُمْ إِلَّا وَسِيحَانُ جَامِدُ^(٥)
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا لَمْ يَشْفَتْنَاهَا وَالْثُدَى النَّوَاهِدُ^(٦)
 تُبْكِي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مَلَقِيَّاتٌ كَوَاسِدُ^(٧)

(١) غلس : سار غلسا ، أى آخر الليل ؛ وبين : أى بالخیل ، والمشيع : الجرىء
 المقدام ، وما تحت اللثامين : الوجه ، واللثام : ما يكون على الوجه . والتلثم عادة العرب
 في أسفارها ؛ وعنى باللثام الثانى : ما يرسله على الوجه من حلق العقر . ومبارك الوجه
 عابد لله ، هو سيف الدولة .

(٢) يقول : إنه يمتنى أن تكون البلاد أوسع مما هى والزمان أطول . لأن
 الأوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمه وجيوشه ؛ وهذا
 كقوله الآتى :

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ مِلَّةُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا
 فَإِنْ أُنِىَ حَظُّهَا بِأَزْمَنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جنى : يشتهى طول البلاد والزمان ليظهر ما عنده من الفضل والكمال
 وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده : أى تضيق عن همته .

(٣) أغب فلان القوم وغب عنهم : إذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما ، وسيحان .
 نهر يلاذ الروم ، وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه
 رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم .

(٤) الظبا - جمع ظبة - حد السيف . واللمى : سمرة فى الشفة تستملح . ونهد
 الثدى : ارتفع . يقول : إنه عصف بالروم وآتى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ، فقد
 حمها المعنى النسوى من حد السيف ، وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

فَمَا أَبْقَيْتَ إِلَّا مُحْطَفَاتٍ حَمَى الْإِخْطَافُ مِنْهَا وَالنُّهْدُ
 « الإخطاف : الضمور » .

(٥) البطاريق : قواد الروم . يقول : إنه أسر بنات البطاريق فهم سيكون عليهن

بِذَا قَصَّتِ الْإِيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ^(١)
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ^(٢)
وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَأَخِرَ وَأَنَّ فُؤَادًا رُغْتَهُ لَكَ حَامِدُ^(٣)
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ^(٤)
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنَّتِ الدُّنْيَا بَأَنَّكَ خَالِدُ^(٥)

ليلا ، وهن لدينا في دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن ، وبكاه : بمعنى بكاه والتشديد للمبالغة .

(١) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لَشَيْءٍ حَيًّا حَتَّى تُلَاقِيَهُ لَأَخَرٍ قَاتِلًا

وهو معنى قديم ، ولكن التنبؤ صاغه أبدع صياغة وأوجز .

(٢) موموق : محبوب . والمقة : الهبة ، وفيهم : صلة موموق ، وعلى : بمعنى مع ، والشاكد : المعطى ، شكده يشكده ويشكده شكدا : أعطاه أو منحه ، والإقدام : الشجاعة . يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيم شيئا ، وذلك من شرف الشجاعة لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله .

(٣) يقول : ومن شرف الإقدام أن الدم الذي تسفكه يفخر بأنه سفك يديك ، وأن القلب الذي تخفيه يحمذك إعجابا بشجاعتك ، كما يقول القائل :

فَإِنْ كُنْتُ مُقْتُولًا فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٤) يقول : إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم ، لأنه لا خفاء بهما ، بيد أنه إنما يسلك طريقهما من قاداته نفسه إليهما وكان مطبوعا عليهما . يعني أنك أنت محبوب عليهما ، ومن ثم تفودك نفسك إليهما .

(٥) قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مدح موجه — أي ذو وجهين — وذلك أنه مدحه في المصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لوعشته لكأن الدنيا مهنة يقاتك فيها خالداً ، وهذا هو الوجه الثاني في المدح — أنه جملة جمالا للدنيا تنها الدنيا يقاته فيها ، ولو قال : ما لو عشته لبقيت خالداً : لم يكن المدح موجها . وقال الربيعي : المدح في هذا من وجوه :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاهُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ^(١)
وَأَنْتَ أَبُو الْمِجَاءِ ابْنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَتَهُ تَشَابَهُ مَوْلُودَ كَرِيمٍ وَوَالِدُ^(٢)
وَحَمْدَانَ حَمْدُونَ وَحَمْدُونَ حَارِثٌ وَحَارِثٌ لَقْمَانٌ وَلَقْمَانٌ رَاشِدُ^(٣)

أحدها : أنه وصفه بنهب الأعمار لا الأموال . الثاني : أنه كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمالهم خلد في الدنيا . الثالث : أنه جل خلوده صلاحاً لأهل الدنيا بقوله لهنت الدنيا . الرابع : أن قتلاه لم يكن ظالماً في قتلهم لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه ، فذلك قال لهنت الدنيا : أى أهل الدنيا ، وقال ابن جني : لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لا يمحوه الزمان .

(١) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ؛ ولكن الضارب بك هو الله ، وأنت للدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها .

(٢) أبو الميجاء : كنية عبد الله بن حمدان ، والد سيف الدولة . والميجاء : الحرب تمد وتقصّر . يقول : يا ابن أبي الميجاء أنت أبو الميجاء . يريد قوة الشبه بينهما ، حتى كأنه هو . وذلك قوله * تشابه مولود كريم ووالد *

(٣) هؤلاء آباء سيف الدولة . يقول : أنت تشبه أباك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه . الخ ، أى أن كل واحد من آبائك يشبه أباه في كرمه وسائر محاسنه ، وقد عاب صاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الأسامي في الشعر ، كقول الشاعر :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَتْ غُرُوشُهُمْ بِقَتِيلَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

واحتذى هذا الفاضل حذوم فقال : وأنت أبو الميجاء - البيتين - وهذا من الحكمة التي ذكر أرسطو وأفلاطون لهذا الحلف الصالح . قال ابن فورجة أما سبك البيت فأحسن سبك : يريد أنت تشبه أباك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه . فأنت أبوك إذ كان فيك أخلاقه ، وأبوك أبوه — إلى آخر الآباء — فليت شعري : ما الذي استقبحه ؟ فإن استقبح قوله : وحمدان حمدون : فليس في حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف صنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آباؤه ؟ وبس : فله علامة المكبري هنا كلمة لمناسبة ترك للتبني صرف حمدون ثبتها هنا — حسباً شرطنا على أنفسنا في هذا التمرح — قال المكبري الكوفي : ترك صرف حمدون وحارث ضرورة ، وهو جائز عندنا ، غير جائز عند بعض البصريين ، وواقنا الأخفش وابن برهان

والفارسي ، وحبشنا : إجماعنا على جواز صرف مالا ينصرف في الشعر ضرورة ، فلذلك جوزنا ترك صرف ما ينصرف في الشعر ، وقد جاء كثيراً في أشعارهم . قال الأخطل : —

طَلَبَ الْأَزَارِقَ بِالْكَتَائِبِ إِذْ هَوَتْ بِشَبِيبٍ غَائِلَةُ النِّفْسِ غَدُورٌ^(١)

فترك صرف شبيب ، وهو منصرف ، وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه :

نَصَرُوا كَيْبَهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ بِحُسْنِ يَوْمٍ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالُ^(٢)

فلم يصرف حينئذ ، وهو مصروف ؛ وقال الفرزدق :

إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوخٍ قَصِيدَةً بِهَا جَرَبٌ عُدْتُ عَلَى يَزُوبَرَا^(٣)

فترك صرف زوبر وهو منصرف ، وقال الآخر :

وَالِ ابْنِ أُمِّ أَنَاسٍ أَرْحَلُ نَاقِي عَمْرٍو قَتْلِبُحُ حَاجِي أَوْ تَرْحِفُ^(٤)

(١) من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج ،

وبين شبيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الخوارج — وفاعل طلب : يعود

على سفيان المذكور ، والأزارق : مفعول ؛ وغائلة : فاعل هوت ؛ وغدور :

بدل من غائلة .

(٢) تواكل الأبطال : أي تخاذلهم وانكالمهم على غيرهم .

(٣) يروي هذا البيت لابن أحرر ، هكذا :

• وَإِنْ قَالَ غَاوٍ مِنْ مَعْدَةٍ قَصِيدَةٍ •

ويقال أخذ الشيء بزوبره : أي بحميمه فلم يدع منه شيئاً ، فهو يقول : نسبت إلى

بكلها ولم أقلها ، وقيل بزوبرا : أي كذباً وزوراً .

(٤) بعده :

مَلِكٌ إِذَا تَزَلَّ الْوُفُودُ بِبَابِهِ عَرَفَ أَمْوَارِدَ مَرْبَدٍ لَا يُنْزَفُ ،

وقد صححنا هذين البيتين على كتاب سيويه ، وشرح شواهد الإمام الشنتمري

الأندلسي . وقد نسبهما صاحب اللسان لبشر بن أبي خازم ، وأخطأ النساج فورد في

اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة . وورد في سيويه أناس — بالتثنية — وهو

خطأ . وعمرو : بدل من ابن أم أناس ، وملك : بدل من عمرو ؛ وترحف — يقال

(٢٦ — الثاني ١)

= وعمرو هو ابن حجر الكندي - فترك صرف أناس ، وهو منصرف وأم أناس هي بنت ذهل بن عتيان ، وقال الآخر :

أؤملُ أن أعيشَ وأن يومي بأولَ أو بأهـونَ أو جُبَارِ
أو الثاني دُبَارَ فإن يفتنى فمؤنسَ أو عروبةَ أو شِيَارِ

فترك صرف مؤنس ودبار ، وهما مصروفان ، فهذه أسماء الأيام في الجاهلية : أول : الأحد ، وأهون : الاثنين ، وجبار : الثلاثاء ، ودبار : الأربعاء ، ومؤنس : الخميس ، وعروبة : الجمعة ، وشيار : السبت ، وقول الآخر :

قالت أُمَيْمَةُ ما لثابت شاخصاً عارى الأشاجع ناحلاً كالنصل^(١)

فترك : صرف ثابت ، وهو مصروف ، وقول العباس بن مرداس السلي :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في جمع^(٢)

وهذه الرواية جاء في الصحيحين ، وليس بعد الصحيحين شيء يرجع إليه ؛ وقول الآخر :

وقائلة ما بال دؤمر بعدنا صحاً قلبه عن آل ليلى وعن هـندٍ

فترك صرف دؤمر ، وشواهدنا كثيرة ، وأما القياس فاذا جاز حذف الواو التحركة للضرورة كبيت الكتاب :

أزحف البعير أعيا فجر فرسه — ما قابل الحافر — بمدح عمرو بن هند الملك ، وأم أناس بعض جداته ؛ والموارد : مناهل النساء المورودة . شبه بها عطايه ، وجهه كالبحر المزد لسكرته جوده ، ومعنى يرف : يستفد ماؤه .

(١) الأشاجع : مفاصل الأصابع ، واحدها أشجع . وعارى الأشاجع : أى خفيف اللحم ، وقيل : الأشاجع رؤوس الأصابع : وقيل : عصبها . والنصل : السيف .

(٢) من أبيات لا بن مرداس . يعاتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أعطى رجالاً من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطاه ؛ ومنهم عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس : [راجع سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٤٠ التجارية ، والخزائن ج ١ ص ١٤٥ ط السلفية]

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلُّهَا وَسَائِرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ^(١)
أَحْبُكَ يَأْسُ الرِّمَانِ وَبَذَرَهُ وَإِنْ لَأَمْنِي فِيكَ الشَّعَى وَالْفِرَاقُ^(٢)
وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدٌ^(٣)

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَلَّ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ^(١)

فجواز حذف النون للضرورة أولى ، والواو من هو متحركة ، والتتوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك ، ولهذا الذي ذكرناه ، وصحته ، واقفنا أبو على وأبو القاسم بن برهان ، ولم ينكره أبو بكر بن السراج . وحجة البصريين أن الأصل في الأسماء : الصرف . فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف .

(١) الزوائد من الأسمان : التي تنبت خلف الأضراس . يقول : إن هؤلاء الذين ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب ، تمتع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك فهم بمنزلة الزوائد ، لا حاجة للخلافة بهم .

(٢) السهى : نجم خفي من بنات نكش الصغرى ؛ ومنه الثل — أريها السهى وترى القمر — والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ، فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما . جعله بين الملوك كالشمس والبدر ، وغيره من الملوك كالنجوم الخفية ؛ يقول : إني أميل إليك بهوى وإن لأمنى في ذلك من لا يبلغ منزلتك . وعبرة ابن جني : جعله بالنسبة إلى أعدائه كالشمس والقمر إلى السهى والفرقدين .

(٣) الباهر : البارع قال ذو الرمة .

(١) قال الإمام الشنتمرى شارح شواهد سيويه — : يصف الشاعر بغيراً ضل عن صاحبه فيش منه وجعل يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً ييشر به — وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن . والملاط ماولى العضد من الجنب . ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافى عضديه عن كركرته صدره أو زوره — وأبعد له من أن يصيه ناكث أو ماسح أو ضئب ؛ وهذه كلها آفات وأعراض تلحقه إذا حك بعضده كركرته — ومعنى يشرى : يبيع . وهو من الأضداد .

فَإِنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالْقَلْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ^(١)

وقد بهزت فلا تخفى على أحدٍ إلا على أكرم لا يعرف القمرا^(١)
وعيش بارد : رغد هنيء يقول : إن ذاك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك
لا لطيب العيش عندك ؛ إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور
فضلك فلا يستحق الحب ، وعبرة ابن جني : محقق لك لفضلك لا للخير الذي
أصيبه عندك .

(١) الجهل : الحق . قال العكبري : يريد : أنا أحبك بعقل فينتفع بي ؛ وغيرى
يحبك بجهل فلا ينتفع به . ثم قال : ولو قال المتنبي بالعلم صالح ، لكان أمدح وأحسن
في صناعة الشعر ، لأن الجهل ضد العلم والعقل ضد الحق :

(١) تقدم أنه من أبيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هيرة . وقبله :
مَا زِلْتُ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مَرْتَقِيًا تَنْبِي وَتَسْمُوكُ الْفُرْعَانَ مِنْ مُضَرًّا
[وروى : حتى بهرت] .

انتهى الجزء الأول ، ويليه - بنون الله وتوفيقه - الجزء الثاني وأوله :
وقال يمدح سيف الدولة بميد الأضخى الخ
لكل امرئ من دهره ماتعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

فهرست الجزء الأول

صفحة

- ١٥٦ ماذا يقول الذي يغنى ... ذى السماء
١٥٦ إنما التهتات للأكفاء
١٦٠ ألاكل ماشية الحيزلى
١٦٨ لقد نسبوا الحيام إلى علاء
١٦٩ أسامرى ضحكة كل راء

قافية الباء

- ١٧١ لمينى كل يومنك حظ ... عجاب
١٧١ تحف الأرض من هذا الرباب
١٧٢ فدينك أهدى الناس سها إلى قلبى
١٧٤ لا يحزن الله الأمير فإنى ... بنصيب
١٨٢ فدينك من ربع وإن زدتنا كربا
١٩٩ ألا مالسيف الدولة اليوم عاتبا
٢٠٠ أحسن ما يحضب الحديد به والنضب
٢٠١ أيدرى ما أراك من يرب
٢٠٤ بغيرك راعيا عبث الذئاب
٢١٥ يا أخت خير أئح يا بنت خير أب
٢٢٥ فهمت الكتاب أبر الكتب
٢٣٣ أبا سعيد جنب العتاب
٢٣٤ لأحق أن علاؤا ... الأكوبا
٢٣٤ لأى صروف الدهر فيه نعاب
٢٣٧ دمع جرى قفضى فى الربيع ماوجبا
٢٥٠ بأبى الشموس الجانحات غواربا

صفحة

- ٣ مقدمة الطبعة الأولى
١٧ » » الثانية
٢٠ سيرة المتنبي
٦٨ ترجمة المتنبي بقلم أحد معاصريه
٨١ شراح المتنبي — ابن جنى
٩٠ الواحدى
٩٥ ابن فورجه
٩٦ ابن القطار الصقلى
٩٧ ابن الإفللى
٩٨ الصاحب ابن عباد
١٠٢ أبو بكر الخوارزمى
١٠٤ العميدى — صاحب الإبانة عن
سرفات المتنبي
١٠٥ ابن وكيع
١٠٧ الخطيب التبريزى
١١١ العسكري
١١٢ ابن الشجرى
١١٦ القاضى الجرجانى
١٢٦ أبو العلاء المعرى

قافية الهمة

- ١٢٩ القلب أعلم يا عدول بدائه
١٣٤ عدل العواذل حول قلب انتائه
١٣٨ أتسكر يا ابن إسحاق إخائى
١٤٠ أمن ازديارك فى الدجى الرقباء

صفحة

- ٣٤٥ أنصربجودك ألفاظا تركت بها مكبوتا
٣٤٦ فدتك الحيل وهى مسومات
٣٤٧ سرب محاسنه حرمت ذواتها

قافية الجيم

- ٣٥٩ لهذا اليوم جد غد أريج

قافية الحاء

- ٣٦٣ بأذى ابتسام منك تحيا القرائح
٣٦٤ أنا عين السود الجحاح
٣٦٥ جلا كما بى فليك التبريح
٣٨٠ جارية ما لجسمها روح
٣٨٠ يقاتنى عليك الليل جدا. السلاح
٣٨١ أباعث كل مكreme طموح
٣٨٢ وطائرة تقبعا للنايا ... الجناح

قافية الدال

- ٣٨٤ ماسدكت علة بمورود
٣٩٠ عواذل ذات الحال فى حواسد

صفحة

- ٢٦١ إنما بدر بن عمار سحاب
٢٦٣ ألم ترأيها الملك المرجى... السحاب
٢٦٤ ياذا للعالي ومعدن الأدب
٢٦٤ ضروب الناس عشاق ضروبا
٢٧٣ المجلسان على التميز بينهما. الأدبا
٢٧٣ تعرض لى السحاب وقد قفلنا. السحابا
٢٧٣ الطيب مما غنيت عنه... طيبا
٢٧٤ أيا ما أحيسنها مقلة... أعجب
٢٧٤ أعيدوا صباحى فمرو عند الكواعب
٢٨٨ من الجآذر فى رى الأرعاب
٣٠١ أغلب فيك الشوق والشوق أغلب
٣١٣ متى كن لى أن البياض خضاب
٣٢٨ لقد أصبح الجرذ الستير. العطف
٣٣٠ ما أنصف القوم ضبه
٣٣٥ آخر ما لللك معزى به
٣٤١ لما نسبت فكنت ابنا لغير أب
٣٤٢ لحا الله وردانا وأما أنت به. ثعلب

قافية التاء

- ٣٤٥ لنا ملك لا يعظم النوم هم. لميت

شرح ديوان المتنبي

وَصَّعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَمَّا نَتُّ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالْبَسْطِ وَالِاسْتِيْقَابِ . بِحَيْثُ تَلَا فُتْ
فِي هَذَا الشَّرْحِ بِمَجْمُوعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحْتُ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنَّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُفِيدًا عَنْ مَجْمُوعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثاني

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح سيف الدولة ويهنته بعيد الأنهى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ،
أنشده إياها في ميدانه بحلب وهما على فرسيهما :

يَكْلُ أَمْرِي مِنْ دَفَرِهِ مَا تَعَوَّدَا
وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّمُنُ فِي الْمِدَا^(١)
وَأَنْ يُكَذِّبَ الْإِرْجَافَ عَنْهُ بَضْدُهُ وَيُخْسِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا^(٢)
وَرُبُّ مُرِيدٍ ضَرُّهُ ضَرٌّ نَفْسُهُ وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشُ أَهْدَى وَمَا هَدَى^(٣)
وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَفْرِفِ اللَّهُ سَاعَةً رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَّهَدَا^(٤)

(١) يقول : كل امرئ يعمل باداته ، وما تعودت وتربى عليه ، لا يتكلفه ، وعادة
هذا المدوح أن يفرز أعداءه ويقتلهم ويظعنهم برحمة ، جعله سيفاً ووصفه بالطمن ،
فكانه جعله سيفاً ورعاً .

(٢) وأن يكذب : عطف على الطمن - في البيت السابق - ويمسى : عطف على
يكذب ، وسكن الياء ضرورة . والإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة التي يكون معها
اضطراب في الناس . يقول : وعادته أن يكذب إرجاف عاداته عنه ضد إرجافهم ؛ فهم
يرجعون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وقلبه ، وهم ينوون معارضته فيتحرشون
به فيكون ذلك سبب ظفرهم بهم ، إذ يمتلك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان . ويروى
بدل « تنوى » تحوى : أى أنه أملك لما في أيديهم منهم ، لأنه متى أراد احتواء .

(٣) ضره : مصدر ، وهو مفعول مرید . يقول : ورب عبدو أراد أن يضره فضر
نفسه بتحرشه به ، وقاد إليه الجيش بنية الإيقاع به ، فكان الجيش غنيمة له ، فكانه
أهدى إليه هدية وذل بذلك عن القصد . قوله أهدى : من الهدية ، وما هدى : من
الهداية . وعبرة العكبرى : رب قاصد أن يضره فعاد الضرر عليه ، ورب هاد : أى
قائد إليه الجيش ليهديه الطريق فأصله بقصده له ، فصار مهدياً إليه - من الهدية - لأنه
يضم الجيش فيكون غنيمة له ، فيكون الهادى مضلاً ومهدياً إليه ليضمه .

(٤) يقول : ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف في يده . فأمن وآتى
بكلمة الشهادة : إما خوفاً منه ، وإما ظناً بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه
وكمال وصفه .

هُوَ الْبَحْرُ غُصْنٌ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِناً عَلَى الدَّرِّ وَأَحْذَرُهُ إِذَا كَانَ مُزْبِداً^(١)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَفْشُرُ بِالْفَتَى وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّداً^(٢)
تَنْظُلُ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تَفَارِقُهُ هَلَكِي وَتَلْقَاهُ سُجَّداً^(٣)
وَتُخْجِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا يُخْجِي التَّبَسُّمُ وَالْجُداً^(٤)

(١) يقول : إنه نفاع ضرار ، فمن جاءه مسالماً ظفر بإحسانه ، ومن جاء مغاضباً عرض نفسه للتهلكة ، مثله في ذلك مثل البحر : إذا سكن البحر أمكن ركوبه والنوص على ما فيه من الجواهر ، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه . وعبرة الخطيب التبريزي : لا تأته وهو غضبان .

(٢) يقال عثر الدهر بفلان : نسكه . يقول : إن البحر يثر براكه - أي يهلكه عن غير قصد وعمد ، أما المدحوح فإنه يهلك أعداءه متعمداً . وهذا للمعنى قريب من قوله في إحدى قوافيه السابقة :

وَيُخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَمَنْ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَابَا
وقال ابن جني : للمعنى : لينس إغناء البحر من يفتيه عن قصد ، وهذا يفتي من يفتيه عن تعمد . قال : ويثر : قد يأتي في الخير والشر ، فرد عليه الواحدى : وقال فيه خطأ من وجهين ، لأن العرب لا تقول عثر الدهر بفلان إلا إذا أسابه بنسكة . ومعنى يثر بالفتى : يهلكه من غير قصد ، لأن العثر بالشيء لا يكون عن قصد ، فهو يقول : البحر يفرق عن غير قصد ، وهذا يهلك أعداءه عن قصد وتعمد . وليس يمكن أن تحمل عثرة البحر بالفتى على إغنائه .

(٣) يقول : من تمرّد عليه وفارقه من الملوك هلك ، ومن سألهم منهم خضع له وسجد ، لأنه سيدهم .

(٤) الصوارم : السيوف ؛ والقنا : الرماح ؛ والجدا - مقصوراً - العطاء . يقول : إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مال الأعداء ثم يفتيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة ، وهذا كما قال أبو تمام :

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَسِرُوا مَالَ مَقْشَرٍ

أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ

ذَكَى تَظْنِيهِ طَلِيْعَةً عَيْنِهِ
وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَضْعَاتِ بِخَيْلِهِ
لِذَلِكَ سَمَّى ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ
سَرِيَتْ إِلَى جِيحَانٍ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ
يَرَى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدًا^(١)
فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَا وَرَدًا^(٢)
مَمَاتًا وَسَمَاءُ الدُّمُسْتَقِ مَوْلِدًا^(٣)
ثَلَاثًا لَقَدْ أَذْنَاكَ رَكُضٌ وَأَبْعَدًا^(٤)

(١) التظنى : أصله التظنن ، قبلت النون الثانية ياء ، ومعناه الظن ، وطليلة الجيش
الريشة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو ؛ والضمير - في قوله ماترى غدا - للعين .
يقول : إنه من الذكاء والنفاذ وثقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشيء قبل أن تراه عينه ،
كالطليلة تتقدم أمام الجيش ؛ ثم أوضح فقال : يرى قلبه في يومه بظنه ماتراه عينه غدا .
وهذا من قول أوس بن حجر :

الْأَمْسِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وعبارة ابن جني : هو لصحة ذكائه وصحة ظنه إذا ظن شيئا رآه بعينه لا محالة
(٢) يقول : إنه يصل بخيله إلى الغابات البعيدة التي يتعذر الوصول إليها حتى لو كان
قرن الشمس - وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها - ماء لبلغه وأورده خيله ، شجاعة
واقداما . وهذا مبالغة .

(٣) لذلك : أى لأجل ماقلته في البيت السابق ، ويومه : أى اليوم الذى أسر
فيه ، والضمير فى سماء : إلى اليوم . يقول : لكون سيف الدولة على ماوصفت من
الشجاعة والإقدام وما إليهما لم يثن حتى أدرك الدمستق وابنه ، ففر الدمستق جريحا
وأخذ ابنه أسيرا ، ومن ثم سمى الابن ذلك اليوم مماتًا ، لأنه وقد أسر يثنس فيه من
الحياة ، وسمى أبوه هذا اليوم مولداً لأنه نجح فيه من أخطار اللنية فصار كيوم ولدته أمه .
والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتاً للابن حياة للأب .

(٤) جيحان : نهر يلاذ الروم : وآمد : بلد بالشعر . يقول : بلغت جيحان من
آمد فى ثلاث ليال - وهى مسافة بعيدة لا تقطع فى مثل هذه المدة - وبذلك أذناك
الركض من جيحان - على بعده من محل قيامك - وأبعدك عن آمد - على قرب عهدك
بمغادرتها - وعبارة ابن جني : أذناك سيرك إلى النهر وأبعدك من آمد ، قال
الواحدى ناقدا : وهذا - أى كلام ابن جني - لا يفيد معنى ، لأن كل من سار ، هذا
وصفه ، ولكنه يريد : وصلت إلى جيحان بسيرك ثلاثاً من أرض آمد ، وهذه مبالغة

قَوْلِي وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيُوشَهُ جَمِيعًا وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا^(١)
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرَفِهِ وَأَبْصَرَ سَيِّفَ اللَّهِ مِنْكَ مَجْرَدًا^(٢)
وَمَا طَلَبْتَ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ وَلَكِنْ قُسْطَنْطِينَ كَانَ لَهُ الْفِدَا^(٣)
فَأَصْبَحَ يَحْتَابُ الْمُسُوحَ خَفَافَةً وَقَدْ كَانَ يَحْتَابُ الدَّلَاصَ الْمُسَرَّدَا^(٤)
وَيَمْشِي بِدِ الْعَكَازِ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشَى أَشْقَرَ أَجْرَدَا^(٥)
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكَرَّ وَجْهَهُ جَرِيحًا وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا^(٦)

لا يقطعها أحد يسير في ثلاثة أيام ، ويفهم من هذا أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد في ثلاث ليال على ما بينهما من البعد .

(١) يقول : فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى في يدك ؛ ولم يك ذلك إعطاء منه يتنقى أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهرا وعجزا .

(٢) عرضت : ظهرت واعترضت ؛ والطرف العين . وقوله : منك تجريد يقول : للاراك كنت قيد عينه لعظمك في نفسه فشغلها بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك وحلت بذلك بينه وبين الحياة فصار في حكم الميت في تخاذل الحواس ، لأنه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورا مجردا عليه .

(٣) الأسنة : نصال الرماح ؛ وقسطنطين : هو ابن الدمستق . يقول : إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق ، ولكن ابنه كان فداء له ، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه ، فانهزم الدمستق ذلك ونجا بنفسه .

(٤) المسوح : ثياب تنسج من الشعر . ويحتابها : يقطعها ويدخل فيها ؛ والدلاص : الدرع البراقة الصافية ؛ والمسرود : المنظوم للنسوج بعضه في بعض ، يقول : إنه ترك الحرب خوفا منك وترهب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع .

(٥) العكاز : عصا في طرفها زج ، يقول : وصار يمشي في دير الرهبان على العكاز تائبا من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشى الحيل السراع - لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الحيل - بعد أن يش ونال منه الهم . والأجرد : القصير الشعر .

(٦) غادر : ترك ؛ والكر : عطف القرن على قرنه في الحرب ؛ والنقع : غبار الخوافر ؛ يقول : إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كر الفرسان - في الطعن والضرب -

فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلَيَّ تَرَهَّبُ تَرَهَّبَتِ الْأَمْلَاقُ مَتْنِي وَمَوْحِدًا^(١)
وَكُلُّ أَمْرِي فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ بَعْدَهَا
يُعِيدُ لَهُ نَوْبًا مِنَ الشَّرِّ أَسْوَدًا^(٢)
هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدُ لِنَ سَمِي وَضَحَى وَعِيدًا^(٣)

وجهه جريها ، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش ، يعنى أنه اضطر إلى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والأدواء .

(١) الأملاك : الملوك : يقول : إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحدًا واحدًا . « هذا » وقوله وموحدًا — بفتح الحاء — هو أحد ما جاء من مفعل المعتل الفاء مفتوح العين .

(٢) بعدها : أى بعد فطة المستق ؛ ويروى بعده ، فيكون الضمير له . يقول : لو كان ينجى من على ترهب لكان كل امرئ من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه .

(٣) سَمِي : أى ذكر اسم الله ، يعنى عند ذبح الضحايا ، يقول : لهنك العيد الذى أنت عيده : أى تحمل فيه محل العيد فى القلوب — إذ أن العيد مما يتهيج به الناس ، فكذلك هذا العيد يتهيج بك ، كما قال :

جاء نَوْرُوزَنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ

ثم قال :

وَأَنْتَ عِيدُ لِنَ سَمِي وَضَحَى وَعِيدُ

أى أنت عيد لكل مسلم . هذا : وقد قال ابن جنى : ارتفع العيد بفعل محذوف ، وأصله: ثبت العيد هنيئاً لك ، لحذف الفعل وأقام الحال مقامه ، فرفض العيد كما يرفضه الفعل . وهذا هو الصحيح ؛ وانتصب هنيئاً عند قوم ؛ على مذهب قولهم : ثبت لك هنيئاً — وقيل: بل هو اسم وضع موضع المصدر . كأنه قيل : هناك هنيئاً ، وربما وضعوا اسم الفاعل فى هذا الموضع ، كما روى عن بعض نساء العرب وهى ترقص ابناً لها :

قُمْ قَائِمًا قُمْ قَائِمًا لَقِيتَ عَبْدًا نَائِمًا
وَعُشْرَاءَ رَائِمًا وَأَمَّةَ مُرَاغِمًا

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لِبَسِّكَ بَعْدَهُ تَسْلَمُ مَحْرُوقًا وَتُعْطَى مُجَدَّدًا^(١)
فَذَا الْيَوْمَ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى
كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا^(٢)

[ناقة رائم عاطفة على ولدها وعبد مراغم مضطرب على مواله . تريد : قم قياما]
(١) اللبس : ما يلبس ، استعاره للأعياد ، فأجراها مجرى اللبوسات . يقول :
لا زلت تلبس الأعياد التكررة عليك في الدهر ، فإذا مضى عيد أذاك عيد بعده جديد ،
فصار الماضي خلقا واتقادا جديدا . هذا : والأعياد جمع عيد . قال الجوهري : إنما جمع
أعياد بالياء للزومها في الواحد . وقيل للفرق بين أعواد الخشب وبينه ؛ وسمى العيد
عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وعيد المسلمون : شهدوا عيدهم ، والعيد ؛ ما اعتادك
من هم أو شوق أو فرح ونحوه . قال الشاعر :

* والقلب يعتاده من حُبها عيد
وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك :

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَتَمُّودًا إِذَا أَقُولُ حَمًّا يَمْتَادُهُ عِيدًا^(١)
كَأَنِّي يَوْمَ أَمْسَى مَا تَكَلَّمَنِي ذُو بُغْيَةٍ يَلْتَنِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانٍ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لَنَا شَبَةَ الْعَيْنِينَ وَالْجِيدَا
(٢) وبديع قول أبي تمام في هذا المعنى :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ كَانَ أَيَّامُهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمْعُ

قال ابن جنى في شرحه هذا البيت - بيت المتنبي - : في البيت نظر ، وهو أنه خص
العيد وحده - دون الأيام - بما ذكر من الشرف وكان ينبغي أن تكون أيامه كلها
كذلك لأن جميعها مشتمل عليه ثم قال : والجواب : أن العيد قد اجتمع فيه أمران :
أحدهما - وهو الأظهر - اشتتاله على سيف الدولة والآخر كونه عيداً : فصار له مزية على
غيره مما ليس بعيد . قال العكبري بعد أن أورد كلام ابن جنى . هذا : ويجوز أن يقال

(١) قوله يعتاده عيداً فعيداً في موضع الحال تقديره يعتاده السكر عائداً ، ففي قوله
يعتاده ضمير السكر دل عليه قوله صحا ، وقوله : شبه العينين والجيدا ، أراد وشبه الجيد
لخفف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ التَّيْنَ أُخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا^(١)
فَيَا عَجَبًا مِنْ دَائِلٍ أَنْتَ سَيِّفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفَرَتِي مَا تَقْلَدُ^(٢)

إنما جله في الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام. وقال أهل التفسير في قوله تعالى « يوم الحج الأكبر » قيل هو يوم النحر ؛ ومنه الأثر : أن يهوديا قال لعمري الخطاب رضى الله عنه : لو علينا معشر اليهود نزلت : « اليوم أكلت لكم دينكم » لا تخذناه عيداً ، فقال عمر . إني لأعلم أى يوم نزلت وفي أى ساعة نزلت . . . يوم النحر . . . وهو عندنا من أشرف الأيام . . . فلهذا خص النبي هذا اليوم بالشرف في الأيام كشرفه - أى المدوح - في الورى .

(١) هو : ضمير الشأن ؛ والجد : الحظ والبخت . يقول : إن الجد له فعله حتى في التساوين ، مثل العين والعين . واليوم واليوم : قدى العينين تفاضلان . فصح إحداها وتسم الأخرى ، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة ؛ وترى اليوم يسود اليوم ، وكلاهما ضوء فمس . يعنى : أن يوم العيد كسائر الأيام في الصورة ، ولكن الجد مازه من سائر الأيام فجعله يوم فرح وسرور ؛ وفي هذا للمنى يقول أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تَثْرَى كَمَا تَثْرَى الرِّجَالُ وَتُعْدِمُ
حِظَّ تَعَاوُرُهُ الْبَقَاعَ لَوَقْتَهُ وَادِّ بِهِ صِفْرًا وَآخِرُ مُقْعَمٍ

[ترا الرجل يثرى : فهو ثر ، وأثرى يثرى : فهو مثر]

(٢) الدائل : صاحب الدولة . أخرجه مخرج تامر ولابن ، يريد به الخليفة وشفرتا السيف . حده ، يقول : أما يخشى الخليفة - وقد تقلدك سيفاً له - أن تكون سيفاً عليه ، فلا يأمن جانبك ؟ ولا يخفى ما في هذا البيت وما بعده من التعريض الذى خفى سببه . وقال ابن القطاع : صف هذا البيت فروى دائل - بالذال للمهلة - من الدولة ، ولا معنى للدولة فيه ، والصحيح بالذال للمجعة ، وهو الرجل التقليد سيفه المتبخر في مشيته . والدائل : السيف الطويل أيضاً ، وكذلك الفرس الطويل الذنب ؛ فإن كان قصيراً وذنبه طويل قيل ذيل الذنب . والدائل : الدرع الطويلة . قال النابغة :

وَكُلُّ صَمُوتٍ ثَلَاثَةٌ تُبْعِيَّةٌ وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ دَائِلٍ^(١)

(١) الصموت : الدرع التى إذا صبت لم يسمع لها صوت : والثلة : الدرع الساجنة

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ بَازًا لِيَصِيدَهُ تَصِيدُهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصِيدُ^(١)

والذائل : الطويل من كل شيء .

(١) الضرغام : الأسد . يقول : من اتخذ الأسد بازاً يصيد به آتى عليه الأسد فصاده . وقد ضرب هذا مثلاً للمعنى السابق . يعنى أنك فوق من تضاف إليه . وفى هذا المعنى يقول دعبل :

فَكَانَ كَالْكَلْبِ ضَرَّاهُ مُكَلَّبُهُ لِيَصِيدَهُ فَنَدَا يَصْطَادُ كَلَابَهُ
ومن هذا الباب البيت المشهور :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي^(١)

هذا : وقوله تصيده الضرغام رواها ابن جني : يصيره الضرغام . قال ابن جني : قلت له - أى للتنبي - جعلت من شرطاً صريحاً ، فهلا جعلتها بمنزلة الذى ولم تضمن الصلة معنى الشرط حتى لا تتركب الضرورة ، كقوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » الآية . فقال : هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وأنا جئت بلفظ الشرط لأنه أبلغ وأردت الفاء - فى يصيره - ثم حذفها . . . والذى قاله جائز ، والوجه الذى قلت له أولى . وسيبويه يرى فى هذا التقديم والتأخير ، فتقديره على مذهبه : يصير الضرغام من يجعله بازاً فيما تصيده ؛ واكتفى بهذا القول عن جواب الشرط ومثله :

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ

والتقدير : أنك تصرع إن يصرع أخوك . انتهى كلام ابن جني ؛ وقال العكبرى : وأما قول المتنبي : أردت الفاء ثم حذفها ، فجائز حسن قد جاء فى الكلام الفصح ومنه الحديث : قال سعد بن مالك : مرضت عام الفتح فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الواسعة ، وتبعية ، نسبة إلى تبع - أحد ملوك اليمن - وقوله ونسج سليم : يعنى سليمان ابن داود عليهما السلام ، والقضاء من الدروع : التى فرغ من عملها وأحكمت .
(٢) استد : استقام . قال الأصمى : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء ؛ قال ابن برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم وبعده :

فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينُكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلَّتْ مِنْكَ حَامِلَةُ الْبَنَانِ

رَأَيْتُكَ تَحْضِرُ الْحِلْمَ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمَهْدَى (١)
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَ (٢)
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا (٣)
وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْمَلَا
مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى (٤)
وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً كَمَا قُتِلَتْهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَنَحْدًا (٥)

قلت يارسول الله : إن لي مالا وليس لي من يرثني إلا ابنة لي فأصدق بنصف مالي ؟
قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، واثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير
من أن تذرهم عالة يتكفون الناس * التقدير : فهو خير ، لحذف الفاء .

(١) المهدى : السيف ، يقول : رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز
ولا تقصير ، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم .

(٢) الحر : الكريم ، ضد اللئيم ؛ والكاف - من قوله كالعفو - اسم بمنزلة مثل
فاعل قتل ، ومن لك بالحر أى من تكفل لك به ونحوه ، واليد : النعمة ؛ ويحفظ :
يروى يعرف : أى يقدر العفو عنه . يقول : إن العفو عن الكرام قتل لهم ، فمن صفح
عن حر استرقه بهذا الصفح . فيذل له وينقاد ، كما قال بعضهم :

غُلَّ يَدًا مُطْلَقَهَا وَاسْتَرْقَ رَقَبَةً مُمْتَقَهَا

ثم قال : ومن يتكفل لك بالكريم الذى يحفظ النعمة ويراعى حقها ؟

(٣) هذا البيت تأكيد لما سبقه . يقول : إن الكريم يقدر الإكرام حق قدره ،
فإذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك ، أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتوا
وجرأة عليك .

(٤) بالعلی : متعلق بمضر . يقول : ينبغي أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق ، فمن
استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء ، ومن قتل
هذا أضر بعلاه وهدم أركان دولته .

(٥) المهدى : الأصل ؛ والنصوبات - فى البيت - تمييز . يقول : أنت أعرف

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَأُ^(١)

بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان ، لأنك فوق كل أحد في الرأي والحكمة ، كما أنك فوقهم بالحال — إذ كنت أميراً — وبالنفوس — إذ كنت أعلام همه — وبالأصل — إذ كنت من أصل شريف .

(١) بدا : ظهر . يقول : إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه فهي تتناول ما ظهر لها منه ، فتجول فيه ، وتترك ما خفي منه لرأيك ، لأنه لا تصل إليه ، وتقف دونه — يشير إلى تصرفاته مع الخليفة — وهذا المعنى هو الأظهر والأوجه والانسب بما تقدم هذا البيت من الآيات ؛ ولكن أئمة الشراح قد اعتسفوا ، وصرفوا النظر عن الآيات التي تقدمت ، ففسروا البيت كأنه قائم بنفسه ... قال بعضهم : إن ما ابتدعه من المكارم يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها ، ويتركون ما خفي وقال آخرون : إن للمتقين بسيف الدولة في المكارم ، يأخذون ويتركون ما خفي . أقول : ولو أراد ذلك لما أتى بالأفكار ، ولقال : يدق على الكرام . وقال ابن جني : هذا البيت مثل قول عمار الكلابي :

ما كلُّ قولِي مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
قال ابن فورجه : عمار الكلابي محدث لحنه ، وقد أدرك زماننا ، وهو رجل بدوي أمي لحانة ، وهذا البيت من آيات أولها :

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلتُ قافيةً بكرةً يكونُ لها	معنى خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنَتَ وهـ هذا ليس مُنتصباً	وذاك خفضٌ وهذا ليس يرتفعُ
وحَرَضُوا بين عبدِ الله من حُقي	وبين زيدٍ فطالَ الضربُ والوجعُ
قلتُ واحدةً فيها جوابهمُ	وكثرةُ القولِ بالإيجازِ تنقطعُ
ما كلُّ قولِي مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
حتى يصيرَ إلى القومِ الذين غَدُوا	بما غُذيتُ بهِ والقولُ مجتمعُ
فيرفوا منه معنى ما أُوهُ بهِ	حتى كأنى وهم في لفظهِ شرعُ
كم بينَ قومٍ قد احتالوا لمنطقيهم	وبينَ قومٍ على أعراهم طبعوا

أَرْلَ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدًا^(١)
 إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُقْعَدًا^(٢)
 وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِي حَمَلْتَهُ فَرَزَيْنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدًا^(٣)

وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَايَنَةً وَبَيْنَ قَوْمٍ حَكَمُوا بِمَعْضِ الَّذِي سَمِعُوا
 إِنِّي غُذِيتُ بِأَرْضٍ لَا تُشَبُّ بِهَا نَارُ الْجَوْسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبَيْعُ

قد نقله أبو الطيب إلى اللدح ، وأقام دقة صنيعه في اقتناء الكارم مقام دقة معنى الشعر ، وأقول : وكل هذا بعيد عن غرض المتنبي كما قلت .

(١) الكبت : الإذلال . يقول : أنت الذي غمرتني بنعمك حتى صرت محسدا ونجم
 لي حساد يحسدونني ويقصدونني بالسوء فأكفي شرم بإذلالهم ورد كيدهم في تحورهم ،
 وإعراضك عنهم ، ومعنى المصراع الثاني من قوله أبي الجوربة العبدى :
 فَمَا زِلْتَ تُعْطِينِي وَمَالِي حَاسِدٌ مِنَ النَّاسِ حَتَّى صِرْتُ أَرْجَى وَأَحْسَدُ
 وقال بعده أبو نواس :

دَعْنِي أَكْثَرُ حَاسِدِي بِرِخْلَةٍ إِلَى يَدِي فِيهِ انْخِصِبُ أَمِيرُ
 وقال البحتري :

وَالْبَسْتَنِي الثَّمَنِي الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي عَلَى فَأُضْحَى نَارِحَ الْوَدِّ أَجْنِبَا

(٢) فيهم : متعلق برأيك ؛ والهوام : الرؤس . يقول : إذا قوى ساعدى حسن رأيك
 فيهم بأن آنست منك إعراضا عنهم ، كان ذلك خذلانا أى خذلان لهم ، فلو ضربتهم إذ
 ذاك بسيفي وهو في غممه لقطع وأصمى ، وروى بدل فيهم : في يدي ، وبدل بسيف .
 بنصل ، فيكون المعنى : أنك إذا كنت حسن الرأي في ، فما أبالي بالحساد ، والقليل من
 إنكارك عليهم يكفيني ؛ وهذا من قول أبي تمام :

يَسُوهُ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهُوَ مُقْعَدٌ وَيَفْضَحُ مِنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرَ مَقْعَدٍ

(٣) السمهري : الريح . ومعروضا . أى محمولا بالعرض ، وذلك يكون حين لا يقصد
 به الطعن : ومسددا : موجها إلى اللطعون . يقول : أنا زين لك في السلم . أمدحك
 وأشيد بذكرك ، وشجى لا يتزعج في حلق أعدائك ، أذود عنك وأنافع بلساني وأكيد

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَلَائِدِي
 إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَضْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً^(١)
 فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشْعِراً وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مُغَرِّداً^(٢)
 أَجِزَنِي إِذَا أَنْشَدْتَ شِعْراً فَأَنْمَأَ بِشِعْرِي أَنْتَاكَ لِلْمَذْحُونِ مُرْدِّداً^(٣)

أعداءك بقوارع لساني . فأنا لك كالرمح : إن حملته بالعرض كان زينا لك ، وإن حملته مسدداً راع أعداءك .

(١) جعل شعره في حسنه كالقلائد التي يتقلدها ، يقول : إن الدهر من رِوَاةٍ شعري لأن الناس جميعا يروونه ويتناشدونه في كل وقت ، فكان الدهر كله إنسان ينشد شعري ، ويروي بدل قلائدي : قصائدي .

(٢) يقول : إن شعري ينشط الكسلان إذا سمعه ، فيسير على سماع شعري مجداً مشيحاً ، وإذا سمعه من لا يغني استراح إليه وطرب وغنى به مغرداً ، وللرأى أن شعره سار في الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رِوَاةٍ الشعر . والتغريد : رفع الصوت للتطريب . أو تقول : إن شعره لحسنه أولع الناس بحفظه وروايته ، فسيروا في الآفاق من لا يربم مكانه ، وغنى به من لاعادة له بالفناء لشدة طربه به واهتزازة .

(٣) يقول : إذا أنشدك شاعراً فأجعل جائزته لي ، لأن الذي أنشدت إنما هو شعري أنتاك به المادحون يرددونه عليك . يعني أنهم يسلخون معاني أشعاري فيك ، ويأخذون ألفاظي فيأتون بها إليك . كما قال بشار :

إِذَا أَنْشَدَ سَمَادٌ قُلَّ أَحْسَنَ بَشَارُ

وقال أبو هفان :

إِذَا أَنْشَدَ كَمِ شِعْراً فَقُولُوا أَحْسَنَ النَّاسُ

وقال أبو تمام في غير هذا المعنى :

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ رِسْوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ مُرْدِّدَ

هذا : والجائزة العطية ، ويقال أصل الجوائز : أن قطن بن عبد عوف من بني هلال ابن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فرز به الأحنف في جيشه غازياً إلى خراسان فوقف لهم على قطرة . فقال أجيروهم ، فجعل ينسب الرجل ، فيعطيه على قدر حسبه . قال الشاعر :

وَدُعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَأَنْتِي
 أَنَا الصَّائِحُ الْمَخِيءُ وَالْآخِرُ الصَّادِي ^(١)
 تَرَكْتُ الشَّرِيَّ خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَمْتُ أَفْرَاسِي بِنُفْعَاكَ عَسْجَدًا ^(٢)
 وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدًا ^(٣)
 إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغَنَى وَكُنْتُ عَلَى بَعْدٍ جَعَلْتُكَ مَوْعِدًا ^(٤)

فِدَى لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هِلَالٍ عَلَى عِلَاتِهِمْ أَهْلِي وَمَالِي
 هُمْ سَخَّوْا الْجَوَازِ فِي مَعْدَةٍ فَصَارَتْ سُنَّةً أُخْرَى لِلْيَالِي

وقال بعض أهل اللغة : أصل ذلك أن أميراً واقف عدوا بينهما نهر ، فقال : من جاز هذا النهر فله كذا ، فكلما جاز منهم واحد أخذ جائزة ، وقيل : إنما سميت جائزة لأنها تجوز لصاحبها ؛ من قولك : هذا يجوز وهذا يمتنع .
 (١) الصدى : الصوت الذى يحيك من الجبل وغيره ، كأنه يحكى قولك وصياحك ، وهذا مثل . يقول : لا تحفل بشعر غير شعري ، فإن شعري هو الأصل ، وغيرى كالصدي له .
 (٢) السرى : سير الليل ؛ والصعد : الذهب . يقول : لقد أثريت بما توالى على من نعمائك ، حتى لو شئت لآخذت لحلى نعال الذهب ؛ ومن ثم تركت السير إليك لغيري من المعوزين القترين ، ليسيروا إليك كما سرت ، ويحفظوا كما حظيت .
 (٣) فى ذراك : فى كنفك . يقول : إنما أقت عندك جبالك ، لأنك قيدتني بإحسانك وهذا كما قال أبو تمام :

وَتَرَكِي سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتِبَاطًا بَدُلْ عَلَى مُوَاقَفَةِ الْوُرُودِ
 وقال أيضا :

هَمِي مُعَلِّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا مَفْلُوَةٌ - إِنْ الْوَفَاءُ إِسَارُهَا
 (٤) يقول : إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيداً عنه ؛ وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك ، وعبرة الواحدى : الدهر يحيل عليك ، فن اقترح عليه الغنى يشير عليه بإتيانك ، ومن هذا قول أبي تمام :

شَكُوتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ حَالِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدٍ الْحَمِيدِ

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة :

فَارَقْتُكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذَى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ^(١)
إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ^(٢)

(١ و ٢) ما — من قوله فإذا ما كان — اسم موصول بمعنى الذي ، مبتدأ وخبره :
يد — في آخر البيت — وأذى : خبر كان . يقول : غادرتكم فإذا جفاؤكم الذي كنت
أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده . وعبرة ابن جني — وثقلها
الواحدى — : الأذى بعثى على مفارقتكم ، فصار الأذى يداً لأنه كان سبباً
للفرقه . ثم قال المتنبي : إذا تذكرت الحال التي كانت بيننا فتشوقت إليكم ذكرت ذلك
الجفاء فأعان قلبي على الشوق فلا يغلبه شوق إليكم . هذا هو ما ذهب إليه ابن جني
والواحدى ، ولكن الإمام العروضى قال : إن هذا غلط ، وإنما معنى البيت الأول :
ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحساناً إلى جنب ما ألقاه من غيركم ، وذلك كما
قال الآخر :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا هَجَرْتُهُ وَجَرَبْتُ أَنْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ
ثم قال : إذا تذكرت ما بيني وبينكم من صفاء المودة أعاننى ذلك على مقاومة
الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالمودة .

وقال في سباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :
 أَهْلًا بَدَارَ سَبَاكَ أَغْيَدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا^(١)
 ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا^(٢)

(١) سباه : أسره بحبه ؛ والأغيد : الاناعم التثني لنا ؛ والمراد : الحبيبة . وذكر طي
 معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تمس ، أو الحية . لما دعا
 للدار — التي سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قال : أبعد شيء فارقك جوارى
 هذه الدار الناعمات الأبرار ؛ قوله : أهلا ، منصوب بمضمر ؛ والتقدير : جعل الله أهلا
 بتلك الدار : أي جعلها عامرة بالأهل ، وهو في الحقيقة دعاء لها بالسقيا لأن عادة الشعراء
 إذا وقفوا على ديار أحبابهم حيوها بالسلام ودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل ، كقول جرير :
 سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ رَبَابُهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مِّنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ^(١)

« أي من أجل حب من حل بالرمل » وقوله أبعد : روى أبعد ؟ — طي أنه
 استفهام — ويكون المعنى : أبعد ما بان عنك خردها ولم زدك عند رحيلها زاداً تدعو
 لها ، وروى أبعد — بالنصب — طي أنه حال من الأغيد ، والعامل في الحال : سباك .
 يريد سباك أبعد ما بان عنك : أي أنه أسرك بحبه ، وهو على البعد منك . قال الواحدى
 والرواية الصحيحة أبعد ما بان . أقول : وهي التي أثبتناها في هذا الديوان .

(٢) ظلت : أصله ظلت ، فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً ؛ وحلب الكبد : غشاؤها
 ويدها : مبتدأ ؛ والخبر : الظرف المقدم عليه ، والجملة : نعت آخر لكبد . وقال العكبري
 يدها ارتفعت بنضيجة ، إذ أنها تعمل عمل الفعل ، كما تقول : مررت بامرأة كريمة
 جارتها ، ثم قال : وجعل البدنضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعا على الكبد ،
 فأنضجت بما فيها من الحرارة ؛ فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمى الشيء باسم
 غيره إذا طالت صلبته إياه ، كما قالوا لفناء الدار : العذرة^(٢) وإذا جاز تسميته باسم
 ما يصحبه كانت الإضافة أهون . يقول : ظلت بتلك الدار تثني على كبدك التي أنضجتها
 حرارة الوجد واصما يدك فوقها ، والمخزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد في كبده من
 حرارة الوجد ، كأنه يخاف أن تنشق كما قال الحماسي :

(١) الجون : السحاب الأسود ، والرباب . ما كان دون السحاب ، ومستهل : منهل .
 (٢) العذرة : الغائط . قال اللغويون : إنما سمى فناء الدار عذرة لأنها كانت تلقى

بأفنية الدار

يَا حَادِي عِيرَهَا وَأَحْسِنِي أَوْجَدُ مَتَا قُبِيلَ أَقْدَهَا^(١)

وَأَذْكُرُ أَلَامَ الْحَمَى نَمَ أَنْتَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا^(٢)
وقال الآخر :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يَحْشَوْا مُذْرِكَا وَضَمُّوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ
(١) العير : الإبل التي تحمل عليها الميرة ، و يروى عيسها : وهي كرام الإبل ، وقوله
قُبِيلَ أَقْدَهَا : أراد قُبِيلَ أَنْ أَقْدَهَا ، فلما حذف أَنْ : عاد الفعل إلى الرفع كبيت
الكتاب — كتاب سيويه — :

* أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ أَخْضَرَ الْوَعَى^(٢) *

(١) للصمة بن عبد الله القشيري من أبيات جميلة أولها :
حَفَنْتَ إِلَى رَبِّيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَرَارِكَ مِنْ رَبِّيَا وَشَقْبَا كَمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَتَمَّعَا
قَفَا وَدَعَا تَجَدَّأً وَمَنْ حَلَّ بِالْحَمَى وَقَلَّ لِنَجْدٍ هَفَدْنَا أَنْ يُودَعَا
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضَ مَا أَطْلَبَ الرُّبَا وَمَا أَحْسَنَ لِلْمُصْطَافِ وَالْمُتْرَبَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَشَرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَمْحَنَنَّ نَزْعَا
بَكَّتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتَهَا عَنْ الْجَهْلِ بِمَدِّ الْحِلْمِ أَسْبَلْتَا مَعَا
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَمَى حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْأَصْفَاءِ لَيْتَا وَأَخَذَا
وَأَذْكُرُ أَلَامَ الْحَمَى [البيت]
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ هِينِكَ تَدْمَعَا
الشعب : الحمى ؛ والبشر : جبل ، وأعرض : أبدى عرضه وجانبه ، وبنات الشوق
نوازعه . ونزعا جمع نازع أى مشتاق ، والبيت صفحة العنق ، والأخدع : عرق فيها .
(٢) صدر بيت لطرفة بن العبد من مطلقته ، وعجزه :

* وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِيِي *

وبعده :

قِنَا قَلِيلًا بِهَا عَلَى فَلَا أَقْلَ مِنْ نَظَرٍ أَزُودُهَا^(١)

وقوله راحسبني إلخ : جملة اعتراضية . دعا الحاديين ، ثم ترك ما دعاهما له فذكره في البيت التالي ، وآتى بهذه الجملة المعترضة الجميلة . قال المكبري : نادى الحاديين ، وحذف ما ناداهما له ؛ وذكره فيما بعد البيت ، وهذا مما يسمى الاعتراض : اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته ، ولو كان كلاما ليس من قصته وشأنه فسد ، وإذا كان منه كان جائزاً . كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث جمّة أسنة قومٍ لا ضِعافٍ ولا عُزَلٍ

فصل بين الفعل والفاعل بما هو من نصته ، لان إدراك الأسنة من جملة الحوادث .

(١) يقول — للحاديين اللذين يعدوان عيها أو عيسها — : احبسها على قليلا لأنظر إليها وأزود منها نظرة فلا شيء أقل منها . وقريب من هذا المعنى قول ذي الرمة :

وإن لم يكن إلا معرج ساعة قليلاً فإني نافع على قليلها^(٢)

وروى بعضهم أقل — بالرفع — على أن « لا » بمنزلة ليس ، كيبت الكتاب :

من فرّ عن يبرائها فأنا ابن قيسٍ لا براح^(٣)

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرهما بما ملكت يدي

[يقول طرفه : بأمن يلومني على حضور الحزب لئلا أقتل ، وعلى أن أتق مالى في اللذات : ما أنت بخلدى إن نزلت على حكمك ، وإذن دعني أسبق الموت بالتمتع باتفاق مالى ... يعني أن الموت لا يدم منه ، فلا معنى للبخل وترك اللذات] .

(١) قبله :

ألمأ على الدار التي لو وجدتها بها أهلها ما كان وحشاً مقيماً

ألمأ : إزلاً ، ووحشاً موحشاً ، والقليل : النوم في الظهيرة ؛ والمرج : التعريج وهو الإقامة . وقليلها : مبتدأ ؛ ونافع : خبره . والمعنى ظاهر .

(٢) من أبيات لسعد بن مالك — شاعر جاهلي من شعراء الحماسة — وأول الأبيات :

يا بؤس للحرب التي وسعت أراهم فاستراحوا

وبعد :

والحرب لا يبق لي حيا حيمها التخيل والمزاح

فَفِي فُؤَادِ الْحَبِّ نَارُ جَوَى أَحْرَهُ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا^(١)
شَابَ مِنَ الْحَجَرِ فَرَقٌ لِنَتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ أَسْوَدُهَا^(٢)
بَانُوا بِخُرُوعِهَا لَهَا كَفَلْ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُعَمِّدُهَا^(٣)

يريد : ليس عندى براح .

(١) عنى بالحب : نفسه ، والجوى : الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن ، والجحيم : النار العظيمة الشديدة التوقد . وكل نار توقد على نار : جحيم ؛ وجحت النار : اضطربت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها ؛ ومكان جاحم : شديد ؛ قال الأعشى :

يُعَمِّدُونَ لِلْمِيجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَاسِ وَالْمَوْتِ جَاحِمُ
يقول : إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم ؟

(٢) اللمة من الشعر : ما ألم بالنكب . وجاوز شعمة الأذن ، ويسمى الشعر القليل في الرأس : وفرة ، فإذا كثر عن ذلك : قيل جمة ، فإذا ألم بالنكب : قيل لمة . والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس . والدقمس : الحرير الأبيض ؛ وأسودها . مسودها يقول : لعظم ما ألم به من هجر الحبيب أبيض شعره حتى صار ما كان أسود من لته أبيض .

(٣) الخروعجة : الشابة اللينة النظيرة ؛ وقوله يكاد : يريد قرب من ذلك ، وكاد : فعل وضع لمقاربة الفعل ، وإثباته نفي في المعنى ، فأراد : قرب من ذلك ولم يفعل . قال الثعوبون . كدت أفعل : معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل : معناه فعلت بعد إبطاء . يقول : ذهبوا بأمرأة ناعمة إذا قامت يكاد ردقها يقعدا لكثرة ما عليه من

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَفَّاحُ

يَا بُوْسَ لِلْحَرْبِ - يقول : يَا بُوْسَ الْحَرْبِ ، ومعنى وضعت أراهم حطهم وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر في هذه الحرب فاستراحوا من مكابذتها كالنساء . وقوله : فَأَنَا ابْنُ قَيْسِ أَيْ أَنَا المشهور في النجدة لما سمعت ؛ والبراح : مصدر برح الشيء براحا ، إذا زال من مكانه والجاحم : المكان الشديد الحر ، والتخيل : التكبر ، من الخلاء . يقول : إنها تزيل نخوة النخو ، وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون عن الخلاء ويغتنال للتشبع ، فلذا جرب فلم يحمدا افتضح وسقط ؛ والمراح - بكسر الميم - النشاط .

رَبِّحِيْلَةً أَسْتَمِرُّ مُقَبَّلَهَا سَبَخَلَةً أَيْبَضُ مُجَرَّدَهَا^(١)
يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةً أَضْلَهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدَهَا^(٢)
لَيْسَ يُحِيكَ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدَهَا^(٣)

اللحم . وهم يصنون المرأة بفعل العبيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيراً ؛ قال ذو الرمة :

تَنَوُّهُ بِأَخْرَاجِهَا قَلَالِيًا قِيلُمُهَا وَغَشِيِ الْمَوَيِّنَا عَنْ قَرِيبٍ فَتَبَهَّرُ^(١)
ويقول أبو العتاهية :

بَدَّتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارٍ أَنْطَى تُجَاهِدُ يَالْمَشَى أَكْفَالُهَا
وقال أبو دلالة :

وَقَدْ حَاوَلْتُ نَحْوِي الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ فَأَتَقَلَّمَا عَنْ ذَلِكَ الْكُفْلُ النَّهْدُ

(١) الرحلة والسبعة : من نعوت النساء ، وهي الجسيمة الطويلة العظيمة . والمقبل موضع التقييل ، وهو الشفة ، وتحمد فيها السمرة . قال ذو الرمة :

لَمِيَاءٌ فِي شَفَتَيْهَا مُحْمَرَةٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبُ

والمجرد : ما تعرى من الثوب ، وهو الأطراف وصفها بسمرة الشفة وياض اللون ، وخص المجرد لأنه إذا ابيض المجرد - الذي تصيبه الريح والشمس ، وهو الذي يظهر للرائين - كان سائر بدننا - الذي لا تصيبه الريح ولا الشمس - أشد يابضاً .

(٢) الفتنة : الجماعة ، يريد العاشقين . يقول : يا من يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قوما أضلهم الله في الهوى حتى تهلكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم ، فكيف ترشدهم بعد ذلك ؟ أي أنهم لا يصنون إلى لومك ، لما بهم من ضلال العشق .

(٣) أحاك فيه النوى وحاك : أثر . يقول : إن لومك لا يؤثر فيهم أقربها منك في تقديرك أبدها عنك في الواقع : أي أن الذي تظنه ينجم فيه لومك هو الأبعد عما تظن :

(١) قوله : تنوء بأخراها يقول : إن أخراها - وهي عجزتها - تنيش : أي تسقطها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها في أردافها ، ومن ثم كان قيامها إذا هي قامت ، بعد لأي أي بعد مشقة وجهد وإبطاء .

بِشْرِ اللَّيَالِي سَهَرْتُ مِنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ بِرَقْدُهَا^(١)

(١) يذم الليالي التي لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذي يرقد الليالي ساليا لا يجد من أسباب السهر ما كان يجده هو . وابن الخلى من الشجى ؟ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وإليك ما أورده العكبري في شرح هذا البيت قال : المقصود بالدم محذوف ، وهو
نكرة موصوفة بسهرت ، والمعاند إليه من صفته محذوف أيضاً ، والتقدير ليل سهرت
فيها ؛ ومثله في الكتاب العزيز (ومن آياته يريكم) تقديره آية يريكم بها البرق خواها ، وقد
جاء في الشعر حذف النكرة المبرورة الموصوفة بالجملة في قول الراجز :

مَالِكٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٌ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةٌ الْوَتَرُ

• تَرْمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ^(١) •

يريد بكفي رجل خذفه وهو ينويه ؛ وقوله من طربي : مفعول له ، وهو بمعنى اللام ،
كما تقول جئت من أجلك ولأجلك ، وأكرمته لخافة شره ومن مخافة شره ؛ وشوقا :
يحتمل أن يكون مفعولا لأجله عمل فيه طربي فيكون الشوق علة للطرب ، والطرب علة
للسهر ، ولا يعمل سهرت في قوله شوقا لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا
بماطف ، كقولك أفتت سهرا وخوفا ، وسرت طربا وشوقا . ويحتمل أن ينصب بمحذوف
كأنه قل شقت شوقا ، وشاقتي انتذكر شوقا ، وشقت فعل مالم يسم فاعله ، كما يقول المملوك
قد بمت ، أى باعنى مالكي ، وكقول الجارية — وقد سئلت عن الطر — غثنا ماشئنا :
أى أغثنا الله ، وقوله : إلى من ، يتعلق بالشوق لأنه أقرب المذكور إليها ، وإن شئت
علته بالطرب إذا نصبت شوقا بالطرب ، وإن نصبت به بالمحذوف لم تعلقه بالطرب ، لأنك
تفصل بشوق وهو أجنبى من الطرب وصلته ، وكان الوجه أن يقول : يرقد فيها ، كما تقول

(١) قوس كبداء : غليظة القبض تملأ الكف . وقوله ترمى . يروى جادت من الجودة
وقل ابن جني : روي أيضاً بفتح ميم «من» أى بكفى من هو فى الرمي من أرمى البشر ،
وكان على هذا زائفة . وعلى هذا لا شاهد فيه .

يوم الجمعة خرجت فيه . ولا تقول خرجته إلا على سبيل التوسع في الظرف لجمله مفعولا به على السمة كقوله :

* ويوم شهدناه سُلَيًّا وعامراً^(١) *

ففي البيت أربعة حذف : حذف المقصود بالدم — وهو ليال — وحذف من سهرت فيها ، وحذف الضمير من سهرت ؛ فكأنه يقول سهرتها . والرابع حذف من يرقد فيها . وروى سهرت وسهرت — بالراء والبدال — وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا : السهر — بالراء — في كل شيء ، وبالبدال للدبع والعاشق . واستدلوا بقول النابغة :

* يُسَهِّدُ مِنْ نَوْمِ الْمَشَاءِ سَلِيمُهَا^(٢) *

وبقول الأعشى :

* وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهِّداً^(٣)

(١) عجزه :

قَلِيلٌ سِوَى الطُّغْنِ النَّهَالِ نَوَافِلُهُ *

شهدناه : أى شهدنا فيه ؛ وسليم وعامر قيلتان من قيس غيلان ؛ والنوافل هنا : النغائم يقول : يوم لم يغم فيه إلا النفوس لما أوليناها من كثرة الطغن والنهال المرتوية بالدم . وأصل النهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والطغن هنا جمع طغنة :

(٢) عجزه :

* لِحَلِيِّ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهَا قِمَاقِمُ *

يقال فلان يسهد : أى لا يترك أن ينام .

(٣) صدره :

* أَلَمْ تَفْتَمِّضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا *

وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبمعه :

وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَا

وقوله: بش: اختلف أصحابنا والبصريون في نعم وبش، فقال أصحابنا هما اسمان، وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وواقفهم من أصحابنا: علي بن حمزة المقرئ. حجتنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول ما زيد بنعم الرجل. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه:

أَلَسْتُ بِنِعَمٍ الْجَارُ يُؤَلِّفُ بِيَدَتَهُ لَذَى الْعَرَفِ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَمُعْدِمًا^(١)
وحكى عن بعض قصحاء العرب أنه قال: نعم السير على بش العير، وقال الفراء: إن أعرابيا بشر بأننى قليل له نعم المولود مولودتك، قتال: والله ما بى بنعم الولد، نصرها بكاء وبرها سرقة. فدخل حرف الجر عليهما دل على أنها اسمان. وحجة أخرى: أن حرف النداء يدخل عليهما وهو لا يدخل إلا على الأسماء في قولهم: يا نعم المولى ويانعم النصير: ولا يجوز أن يقال المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه: يا الله نعم المولى. فحذف النادى لدلالة حرف النداء عليه، كما يحذف حرف النداء لدلالة النادى عليه، فإن قيل ذلك، فجوابنا: النادى إنما يقدر محذوفا إذا ولى حرف النداء فعل أمر. وما جرى مجراه، كقراءة علي بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج «ألا يا اسجدوا» نديره: يا هؤلاء اسجدوا. وكقول ذى الرمة:

أَلَا يَا أَسْلَمَى دَارِمَى عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِمَجْرَعَاتِكَ الْقَطَرِ^(٢)
وكقول الآخر:

أَمْسَلَمْ يَا أَسْمَعَ يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا جَبِلَ الْأَرْضِ^(٣)

إلى آخر الأبيات. وقوله ليلة أرمدنا: يريد ليلة أرمدنا — أى عيناه — أى أصحابها رمد، وهورج العين، والسليم: الملدوغ، والمسهد: الذى منع النوم، والحلة: الصداقة ومهدد: اسم امرأة.

(١) قوله يولف بيته لذى العرف: أى يجعله مألفاً لذى العرف أكان غنياً أم فقيراً.

(٢) مى: هى محبوبته، وعلى: بمعنى مع، ومنهلاً: منصّباً، والجرعاء: مؤنث الأجرع: الموضع المختلط ترابه بالخصى؛ والقطر: المطر. يدعو لها بالخصب.

(٣) هذا البيت لأبى نخيلة يمدح به مسلمة بن عبد الملك. وقد أورده القالى على الوجه الآتى:

أراد يهَذَا : وشواهد كثيرة ، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر ، لأن النادى مخاطب ، والأمور أيضاً مخاطب ، فحذفوا الأول من مخاطبين اكتفاء بالثانى ، ولاخلاف أنه نعم المولى خبر ؛ فيجب أن لا يقدر النادى محذوفاً ، فدل على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر ، أو ما جرى مجراه من الطلب والنهى ، ولذلك لا يكاد يوجد فى كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء الخبر فى قوله تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » شفعه الأمر — وهو استمعوا له — فلما كان الأمر والنداء جملتى خطاب جاز أن يحذف النادى من الجملة الأولى ، وليس كذلك فإنعم المولى ، لأن نعم : خبر ، فلا يجوز أن يقدر النادى محذوفاً ، ودليل آخر على أنها اسمان ، أنها لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، لأنك لا تقول : نعم الرجل غداً ولا أمس ولا بشس الرجل غداً أو أمس ، ودليل آخر : أنها غير متصرفين ، والتصرف من خصائص الأفعال ودليل آخر : أنها لم يكونا ضليعين حاضيين لأنه يجوز دخول اللام عليها فى خبر أن ، تقول إن زيدا نعم الرجل وعمرأ لبس الغلام . وهذه اللام لا تدخل على الماضى ، وهى تدخل على الاسم ، وعلى الفعل المضارع ، فدل على أنها اسمان . ودليل آخر : أنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل وليس فى أفعال العرب فاعل ، فدل على أنها اسمان . وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف . وحجة أخرى : اتصالها بتاء التأنيث الساكنة التى لا يقلبها أحد فى الوقف هاء كما قلبوها فى رحمة وشجرة ، وذلك قولهم نعمت الجارية ، وهذه التاء يختص بها للفعل الماضى .

أَسْلَمَ إِنْى يَا ابْنَ كَلٍّ خَلِيفَةً وَيَا فَارِسَ الْمَيْجَا وَيَا قَمَرَ الْأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ اللَّتْقِ

وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضَى
وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَرَأَيْتُكَ زَائِراً عَلَى لِحَافٍ سَابِغِ الطُّولِ وَالْعَرَضِ
وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِى وَمَا سَكَانَ خَامِلاً
وَلَكِنْ بِنَفْسِ الدَّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وإذن لا شاهد فيه :

أَحْيَيْتَهَا. وَالدَّمُوعُ تُنَجِّدُنِي شَوْوْنَهَا وَالظَّلَامُ يُنَجِّدُهَا^(١)
لَا نَاقِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسَّوْطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا^(٢)

(١) إحياء الليل : سهره ، وأنجده : أعانه ؛ والشئون : قبائل الرأس ، وهى مجارى الدموع ، والضمير فى أحيتها وينجدها : لىالى ، والضمير فى شونها الدموع . يقول : كان الدموع من الشئون إمداد ، وللىالى من الظلام إمداد ، يعنى أن تلك اللىالى طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن يكون الضمير فى ينجدها عائدا إلى الشئون ، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع الموموم على العاشق وفى اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء . يبين هذا قول قيس المجنون :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَزْرَارُ الْقَمِيصِ الْبَنَاتِ^(١)
(٢) الرهان : السباق ، وأجهد الدابة وجهدها : حملها فى السير فوق طاقتها يقول : إن نائقى — ويريد نعله — لا تقبل الرديف — وهو الذى يرتد فى خلف الراكب — وإذا راكنت عليها لم أجدها بالسوط ؛ وهذا كما قال فى قافية قد تقدمت :

وَحُبِّيْتُ مِنْ خَوْصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمِّي رَاكِبًا
وهذا الذى من قول أبى نواس :

إِلَيْكَ أَبَا الْمُبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَطَيْتَا الْحَضْرَى الْمَلْسَنَا
فَلَا تُصَلِّمْ تَعْرِفُ حَنِينًا إِلَى طَلَا وَلَمْ تَذَرِ مَا قَرَعَ الْفَنِيْقُ وَلَا الْهِنَا^(٢)
ومثله قول الآخر :

رَوَّاحِلُنَا سِتٌّ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نُجْنِبُهُنَّ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ

(١) أراد بالأطفال : الأحزان المتولدة عن الحب . والبناثق : جمع بنية ، وهى طوق اثوب الذى يضم النحر وما حوله ، وإذا أنشد البيت :

* كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَاتِ

كما هو فى أصله ، فالبناثق : العرى التى تدخل فيها الأزرار :

(٢) نعل حضرمى : إذا كان ملسنا وهو الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والطلا : الولد من ذوات الظلف ، وانقرع : الجرب ، والفنيق ، الفعل المكرم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهناء : امطران . تقول هنأت البعير : إذا طليته بالهناء وهو امطران .

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زَمَامُهَا وَالشُّوعُ مِقْوَدُهَا^(١)
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَسْبِقُهُ تَحْتِي مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا^(٢)
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرَدُهَا^(٣)

(١) الشراك : سيرانعل ؛ والكور : رحل الناقة ؛ والمشفر من الناقة : بمنزلة الشفة من الإنسان ؛ وزمام النعل : ما تشد إليه شسوعها ، وهى السور التى تكون بين خلال الاصابع ، والمقود : الحبل الذى تقاد به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة ، وزمامها بمنزلة للمشفر لها ، والشسوع بمنزلة المقود .

(٢) عصف الرياح : شدة هبوبها ومن روى بضم العين فهو جمع عصفوف يقال ربح عاصف وعصفوف : بمعنى ، والجمع عصف . ويريد بقوله تأيدها : تأنيها وتأييدها . يقول : أهون سيرناقى — يعنى نعله — يسبق أشد سير الرياح . يصف المتنبي نفسه بأنه شديد العدو منتعلا ، وقال الواحدى فى قوله تأييدها : التأيد تفعل من الأيد ، وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا ، وإنما أراد التعلل من الاتئاد وهو الترفق واللين ، ولم يحسن بناء التعلل منه ، وحقه تأودها ، وقال ابن القطاع : يقال آد الشيء يئيد أيدياً : إذا قوى . ولو قال تأودها لكان قد بالغ ، وآد الشيء يئود أوداً : إذا أنقل . وفى كلام العرب ما آذك فهو لى آند : أى ما أنقلك فهو لى منقل ، فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها . وهذا غاية المبالغة ، وكذلك لو قال : تأودها لكان أيضاً قد بالغ ، فالتؤد والتؤيد الترفق . يقال : وأد يئد وأدا . والتاء — فى التؤدة — مبدلة من واو ، مثل تخمة ، فيكون المعنى : أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها ؛ وهذا هو المبالغة . وقيل : إن التأيد فى بعض اللغات الترفق ، وأنشد الحليل فى ذلك :

تَأْيِدٌ عَلَى هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

أى ترفق :

(٣) فى مثل ظهر المجن : أى يسبقها تأييدها فى مفازة مثل ظهر المجن . فمثل نعت للحدوف : أى فى مفازة أو فلاة ، والمجن : الترس ، ومتصل نعت سبى لمفازة المخذوفة . وقرددها : فاعل متصل ، وتروى متصل — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ مؤخر ، وهو قرددها ، والقردد : الأرض المرتفعة الغليظة أو أرض فيها نجاد ووهاد . قال ابن جنى شبه الأرض بظهر المجن لما كانت خالية من النبات ، وظهر المجن نأتى ، وبطنه لاطىء .

مُرْتِمَاتٌ يَنَّا إِلَى ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ غِيْطَانَهَا وَقَدْ فَدَّهَا^(١)
إِلَى فَتَى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَهْلَكَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا^(٢)
لَهُ أَيْدٍ إِلَى سَابِقَةٍ أَعَدَّ مِنْهَا وَلَا أَعَدَّهَا^(٣)

فهو كالصعود والحدور أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر الحن يتصل ما ارتفع منها بأما كن منخفضة مثل بطن الحن : يعنى أنها ذات جبال ووهاد .

(١) مرتميات : خبر مقدم ، وغيطانها : مبتدأ مؤخر ؛ وتروى مرتميات — بالنصب — صفة لمفازة ، وغيطانها ، فاعل مرتميات : والغيطان ؛ جمع غائط ، وهو الطمئن من الأرض . والفدغ : الأرض النليظة المرتفعة . يقول : إن هذه المفاوز غيطانها وفدغها ترمينا إلى المدوح بقطنا إياها بالسير ، فكأنها تلقينا إليه ،

(٢) إلى فتى : بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح : ينزع من الطمون من الملعون . وأهلها : سقاها . وموردها — بضم الميم — على أنه اسم فاعل — وهو المدوح — فاعل أهلها ؛ ويروى بفتح الميم على معنى المصدر ، فيكون المعنى أهلها في القلوب ورودها : يعنى أنها وردت قلوب الأعداء ؛ والأولى أجود . يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء . وعبرة الواحدى : يرجها ويردها وقد سقاها بموضع ورودها في قلوب الأعداء دماءهم .

(٣) الأيادى : النعم ، وإلى : صلة سابقة ، أو صلة الأيادى مضمنة معنى الإحسان ، كأنه قال : له إحسان إلى ، لأنه يقال لك عندى يد ، ولا يقال لك إلى يد ، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ : قال تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » والمعنى لطف بي . وقوله أعد منها : يريد أى غذى نعمته ، وريبب إحسانه ، بنفسى من جملة نعمه ؛ فأنا أعد منها ، وقال ابن جنى : أنا بعضها ، كما قال الحماسى :

لَا تَلْتَنِي بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ أَيْدِيكَ

يريد أنه وهب له نفسه ؛ وتروى : أعد منها : أى أنه يعد بعض أليديه ، ولا يأتى على جميعها عدا لكثرتها ، وهو قوله ولا أعددها . كأن هذا من قوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » أى لا تعدوا جميعها . ومن قوله تعالى « وأحصى كل شيء عددا » .

يُعْطَى فَلَا مَطْلَةَ يُكَدِّرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةً يُنَكِّدُهَا^(١)
خَيْرٌ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَجْدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا^(٢)

(١) الضمير في بها : للمطلة ، وفي يكدرها وينكدها : للأيدى ؛ و يروى مطله ومنه ، وبه بدل بها . يقول : إنه لا يمتل قبل العطاء ولا يمن بده . وينكدها : أى ينقصها ويقلل خيرها ؛ وكان يقال : المنة تهدم الصنيعة ؛ وقد مدح المولى جل وعز قوما فقال : « ثم لا يتبون ما أتفقوا منا ولا أذى » وقال الشاعر :

أَفْسَدْتُ بِالْمَنِّ مَا قَدَّمْتُ مِنْ حَسَنٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أُعْطِيَ يَمْنَانٍ
وعبرة العكبرى : يقول : له أيد لا يكدرها مظل ولا ينكدها من ؛ ولم يرد أن له مطلا لا يكدرها ، ومنا لا ينكدها ، وإنما أراد انتقاء المظل والمن عنه البتة ، ومن هذا قول امرئ القيس :

• عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ

لم يرد أن فيه منارا لا يهتدى به ، ولكنه نفى أن يكون به منار . والمعنى : لا منار يهتدى به . ومثله قوله الآخر في وصف مغارة :

لَا تَفْزَعُ الْأَرْنبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

لم يرد أن بها أربنا لم يفرع ولا ضبا ، ولكنه نفى أن يكون فيها حيوان . وعبرة الواحدى : يعطى فلا مطله بالأيدى يكدرها : أى أنه لا يمتل إذا وعد إحسانا ، ولا يمن بما يعطى فينكده .

(٢) يقول : إن أباه خير قريش ، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو خيرهم أباً ، لأنه ليس فهم أحد أبوه أفضل من أبى المدوح . والنائى : العطاء ، وأباً ونظراً : منصوبان على التمييز ؛ والمراد بقريش : القبيلة ، ومن ثم قال : أبجدها وأجودها والمجد قيل هو الأخذ من الشرف والسود : ما يكتنى ، وقال ابن السكيت : الشرف والمجد يكونان بالآباء ، يقال رجل شريف ملحد : أى له آباء متقدمون في الشرف . قال : والحسب والكرم^(١) يكونان في الرجل ، وإن لم يكن له آباء لهم شرف ، فأجودها : أسخطها .

(١) المراد بالكرم هنا : ضد الثؤم .

أَطْعَمَهَا بِالْقَنَاءِ أَصْرَبَهَا بِالسَّيْفِ جَجَجَاحُهَا مُسَوِّدَهَا^(١)
 أَفْرَسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا بَاعًا وَمِنَوَارُهَا وَسَيِّدُهَا^(٢)
 تَاجُ لَوْيٍّ بَنٍ غَالِبٍ وَبِهِ سَمَّا لَهَا فَرْعُهَا وَتَحْتُهَا^(٣)
 شَمْسُ ضُحَاهَا هَلَالٌ لَيْلَتِهَا دُرٌّ تَقَاصِيرُهَا زَبَرٌ جَدُهَا^(٤)
 يَالَيْتَ بِي ضَرْبَةً أُتِيحَ لَهَا كَمَا أُتِيحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا^(٥)

(١) الجججاح : السيد الشريف ، وقد تقدم الكلام عليه ، والسود : الذى سوده قومه . قال الواحدى : ذكر القنأة والسياف والطعن والضرب تأكيداً للكلام ، كما قال تعالى « يطير بجناحيه » وكما يقال : مشيت برجلي ، ولكنه بمعنى (٢) فارساً : حال . أى هو أفرسها إذا ركب فرسه ، وأكد الكلام بذكر الحال لأن أفرس يكون من الفرس والفراصة . وطول الباع مما يمدح به الكرام . يقال فلان طويل الباع : إذا امتدت يده بالكرم . ويقال للثيم : ضيق الباع ؛ والغوار : للكثير الغارة .

(٣) لوى : أبو قريش . يقول : هو لهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون ويتزينون ، وبه علا فرعهم وأصولهم : أى الأبناء والآباء ، والحد : الأصل ؛ وقوله لها : أتى بها ليقيم الوزن ، أو ليؤكد الإضافة ، وإلا فقوله سما فرعها : كلام تام حسن .

(٤) انتقاصير : القلائد التى تعلق على القصرة ؛ والقصرة : اصل العنق ، مفردتها : تقصار وتقصارة . يقول : هو فيها بينهم كالشمس فى النهار ، والهلل فى الليل ، والهرم والزبرجد فى القلادة . أى هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه زينتهم وغرهم ، قال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أحسنهم لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى وهلال ليلتها ، لأنهم يعتمدون عليه ، ويتطلعون إليه ، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها . يريد أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه :

(٥) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه فى بعض الحروب ، قال العكبرى كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر السكوفة وهو شاب دون العشرين قتل منهم جماعة وجرح فى وجهه فكسسته الضربة حسناً ، يقال : ليت الضربة التى قدر لها محمدنا — يعنى الممدوح — كما قدرت الضربة له ، كانت بى : أى

أَثَرَ فِيهَا وَفَى الْحَدِيدِ وَمَا أَثَرَ فِي وَجْهِهِ مُهَنْدُهَا^(١)
فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيَّنَّهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا^(٢)

ليتفى كنت فداءه من تلك الضربة فوقعت بى دونه . ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون للممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح ، فتمنى أبو الطيب رتبته فى الشجاعة ، وأضاف محمداً إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحد فأكثر حتى صار هو محمداً بها .

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردهما عن قصدهما ، فذلك تأثيره فيهما . وقوله : وما أثر فى وجهه مهندها : أى لم يشنه ولم يجه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاً ، وإنما زاده حسناً ، لأن الضربة على الوجه شعار للغوار ، والعرب يقتخرون بذلك . قال الحصين بن الحمام المرى :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ^(١)
والظعن والضرب فى الظهر عندهم مسبة وفضيحة . قال الشاعر :

وَلَكِنَّمَا يَحْزَى أَمْرُؤُا يَكْلُمُ اسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرَّمَّاحُ هَوِينَا
ولك أن تقول : إنه أثر فى الضربة والسيف ضعفا بإرعاش يد الضارب لهيته واستعظام الإقدام عليه ، فلم يؤثر السيف فى وجهه أثر يعتد به ، أو لم يصرفه عن المضى فى القتال :

(٢) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصرها فى وجهه ، وحسنتها بجهة الجراحات ، إذ لم تصب موضعاً كريماً مثل هذا . وقوله : بمثله يريد به ، والثلث : صلة ، تقول مثلى لا يفعل هذا ، أى أنا لا أفعله . قال الشاعر :

يَا عَاذِلِي دَغْنِي مِنْ مِثْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ

(١) الكلوم : الجروح ، وقيل البيت :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا
وبعده :

نَفَلْتُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَكْرَمًا

وَأَيُّقِنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا^(١)

معناه أنا لا أقبل منك ، ومن هذا قوله تعالى « ليس كمثل شيء » والنبطة حسن الحال ، أو هي النعمة والسرور . تقول غبطته بما نال أغبطه غبطاً وغبطة فاغبط هو ، كقولك منعته فامتنع وجبسته فاحتبس ؛ قال حريث بن جبلة الهذلي :
وَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ^(٢)
قال الجوهري : أنشدته مغتبط — بكسر الباء — أى مغبوط ، أى والاسم النبطة وهي حسن الحال .

(١) الضمير في قلبه : يعود إما إلى الزارع — أى الضارب — أى زرعها بمكر في قلبه ، وإما إلى المدحوح : أى أن الضارب قد زرع هذه العداوة في قلبه . يقول : إن هذه الضربة جاءت مماكرة وغدراً ، لا سواحجة وكفاحاً ، وأن ضاربها قد بذل بذراً خبيثاً لا بد حاصده : أى ملاق جزاءه عليه من المدحوح .

(١) قلبه :

فَاسْتَقْدِرَ اللَّهُ خَيْرًا وَأَرْضَيْنِ بِهِ فِينَمَا الْمُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وبسده :

يَبْكِي عَلَيْهِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَهْتَفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورٌ
حَتَّى كَأَن لَّمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهُ وَالْدَهْرُ أَيْتَمًا حَالِ دَهَارِيرُ

[قوله استقدر الله خيراً : أى اطلب منه أن يقدر لك خيراً . وقوله : فبينما العسر فالعسر مبتدأ ، وخبره محذوف ، تقديره : فبينما العسر كأن أو حاضر . إذ دارت مياسير ؛ أى حدثت وحدثت ، والمياسير : جمع ميسور ؛ والرمس : القبر ، والأعاصير : جمع إعصار وهي الريح تهب بشدة . وقوله : كأن لم يكن إلا تذكرة ، فيكون تامة ، وتذكره فاعل بها ، واسم كأن . مضمر ، تقديره كأنه لم يكن إلا تذكرة ، والهاء — في تذكره — على الهاء المقدرة ، والدهر : مبتدأ ، ودهارير : خبره ، وأيتما حال : ظرف ، والعامل فيه : ما في دهاريير من معنى الشدة . وقولهم : دهر دهاريير أى شديد كقولهم : ليلة ليلاء . وقيل : الدهاريير ، جمع الدهور ، أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم . وقال الزعنفري : الدهاريير : تصارييف الدهر ونوائيه ، مشتق من لفظ الدهر ، ليس له واحد من لفظه ، كمبايد] .

أَصْبَحَ حُسَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا^(١)
تَبْكِي عَلَى الْأَنْصِلِ الْقُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا^(٢)
لَعَلَّهَا أَنَهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُفْعِدُهَا^(٣)
أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا^(٤)

(١) الواو — في وأنفسهم — واو الحال . يقول : إنه رمى حاده بالقيم المقعد . فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفاً منه وذعراً ، وهذا كما قال :

أَبْدَى الْقِدَاةُ بَكَ السَّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمَقِيمُ الْمَقْعَدُ
(٢) و (٣) يقول : إذا أنذر القمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكت القمود على السيوف لعلها أن السيوف للذكورة متعمد في دماء الأعداء حتى تلتطخ بها وتصير كأنها دم ، وأن للمدح يجعل الرقاب غموداً لها بدلا منها . وهذا المعنى تعاورة الشراء من قديم . قال عنترة :

وَمَا تَذَرِي جُرْيَةَ أَنْ تَنْبِلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَجِيدُ^(١)
وقال حسان :

وَنَحْنُ إِذَا مَا عَصَنَّا السِّیُوفَ جَعَلْنَا الْجَاهِمَ أَغَادَهَا
وقال الحماسي :

تَنَابَرُ هُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ^(٢)
ويقول ابن الرومي :

كَسَاهُمُ الْعِزُّ إِنْ عَرَوْا مَنَاصِلَهُمْ فَمَا لَهَا غَيْرَ هَامِ الصَّيْدِ أَجْفَانُ
(٤) يقول : أطلق الأنصل فذمها العدو خوفاً وجزأ منها ، وحدها الصديق لحسن بلائها في العدو .

(١) الجفيرة : الكنانة والجبعة التي تجعل فيها السهام .

(٢) قبله :

وإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسْيَافُنَا إِذَا مَا اضْطَبَحْنَ يَوْمَ سَفُوكِ

(اضطبحن : شربن وقت الغداة ، وجعل اليوم سفوكاً لأن السفك يقع فيه . وقوله

(٣ — ٢) المتني

تَنْقَدِحُ لِلنَّارِ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبَّ مَاءَ الرَّقَابِ يُخَمِّدُهَا (١)
إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مَهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا (٢)
قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا (٣)
وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخَ مَعْدَةٍ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا (٤)

(١) يقول : إنها من شدة الضرب تهوى إلى الأرض فتندح منها النار فيخمدها ما ينصب من السماء عليها .

(٢) الهمام هنا : الملك العظيم ، والمهجة : الروح ، ونشد الضالة : طلبها ليعرف مكانها يقول : إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله ، فأعما سيفوفه هي التي تطلب مهجته منها ، لأن سيوف المدوح قوادل الملوك ؛ أو تقول : إن سيوف المدوح هي التي تثار له ، و يروى بدل تنشدها : منشدها اسم مكان : أى أن سيوفه هي المكان الذي تطلب مهجة المقتول منه ، لأن سيوفه - كما قلنا - قوادل الملوك ؛ و يروى فأطرافهن ينشدها - بنصب أطرافهن - وينشدها - بالياء الثناة التحية - أى ينشدها في أطرافهن .

(٣) الخليفة : الخلائق والخلق . يقول : إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لي أنك أودهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما . وقال الواحدى : يجوز أن يكون على التقديم والتأخير : أى أوجدها لي : أى أوجدها إلى إحساناً وإفضالا ، ولا يكون في هذا كثير مدح ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لي والقول يضر كثيرا ، كقوله تعالى « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل مننا » أى ويقولان : ربنا تقبل .

(٤) وأنت : مخففة من أنك ضرورة ، والمحتلم : الغلام بلغ مبلغ الرجال ، وهو حال من التاء في كنت ، وشيخ معد : خبر كان ، والضمير في أمردها : لمعد ؛ وقوله : وأنت أمردها : عطف على الحال : أى عتلتا أمرد . يقول : وأنت بالأمس حين كنت غلاما أمرد كنت شيخ معد يرجعون إلى رأيك ، فكيف اليوم مع علو السن ووفور العقل ؟ هذا : وهامى ذه طرفة نغومة للعلامة العكبرى قال : قوله وأنت : أراد أنك بالتشديد ، تخفف ضرورة مع الضمير ، كقول الآخر :

منابرهن : أراد أنها إذ تنتضى فكانها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم . يقول : إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبح من دم الأبطال في يوم سفوك للدماء بهذه الحالة)

فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي طَلَّاقَكَ لَمْ أَبْغَلْ وَأَنْتَ صَدِيقٌ^(١)
وإنما يحسن التخفيف مع الظاهر كقوله :

وَصَدَّرْتُ مُشْرِقُ النُّعْرِ كَانَ تَذْيَاهُ حَقَّانَ^(٢)

لأن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها ، وإذا خففت مع الظهور فتمثلها في مقدر ، وهو ضمير الشأن ، ويرفع بعدها الجملة خبراً عنها ، تقول : علمت أن زيد قائم ، ومنه « وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين » و « أن لعنة » : في قراء نافع وعاصم وأبي عمرو وقبل ، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذي دخلها وحذف اسمها : أن يليها ما يجوز أن يليها وهي مثقلة فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف : السين ، وسوف ، ولا ، وقد ؛ فتقول : علمت أن سيقوم ، وسوف يقوم ، وأن لا يقوم ، وقد يقوم ، قال تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » قال جرير :

زَعِمَ الْفَرْدُوقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرِيضًا أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرِيضَ^(٣)

(١) بعده :

فَمَارِدٌ تَزْوِيحٍ عَلَيْهِ شَهَادَةٌ وَلَا رُدٌّ مِنْ بَعْدِ الْحَرَارِ حَقِيقُ

ويراى قواذك - بدل طلاقك - وصديق : فعيل للواحد والجمع والمؤنث ، والحرار مصدر حر بحر من باب تمب : أي صار حراً ، والمراد بالرخاء : قيل لزوم العقد ، والرخاء السعة : أي وقت إمكانه ، ولم أبخل : أي به : أي بل كنت أجيبك إليه . وقوله فما رد الخ : أي لو سألتني ذلك في وقت يقبله ، وهو ما قبل العقد لمعت ، ولكنه في وقت لا يقبله ، وهو بعد لزوم العقد لأنه لا يرد تزويج بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة ، كما لا يرد بعد العتق حقيق إلى الرق .

(٢) مشرق : مضى ، والنحر موضع القلادة من الصدر ؛ وحقان : تثنية حق ، وهو الوعاء المنحوت من العاج وغيره . يقول : إن هذا الصدر مضى أعلاه ، وكأن الثدين فيه حقان في الاستدارة والصغر .

(٣) مربع - بكسر الميم - لقب وعوة أبي سعيد راوى جرير ، وكان الفوزدق قد حلف لقتله ، ومطلع القصيدة :

بِأَنَّ الْخَلِيطُ بِرَأْمَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَلَامًا رَفَعُوا لِبَيْنِ تَجَزَعُ

فَكَمْ وَكَمْ نِيْمَةٌ مَجْلَلَةٌ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلِدُهَا^(١).

وقال أمية بن أبي الصلت :

وقد علمنا لو أن العِلمَ ينفعنا أن سوف يُتبع أولانا بأخرانا
وأما قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » جاء بغير حرف من هذه الحروف
الأربع ، فذلك لأن ليس صيغة في الفعلية لعدم تصرفها ؛ وقد جعلها أبو علي حرفاً زمانياً ،
ثم رجع عن ذلك . وقوله محتمل : حال ، والعامل في الحال : كان ، قال أبو الفتح وجماعة
من أهل الصناعة : من جعل كان لا تعمل في الأحوال : فغير مأخوذ بكلامه ، لأن
الحال فصلة في الخبر منكورة ، فرائحة الفعل تعمل فيها لما ظنك بكان ، وهي فعل
متصرف يعمل الرفع والنصب في الاسم الظاهر والضمير ، وليست كان في نصبها الأحوال
بأسوأ حالا من حروف التنبيه والإشارة ؛ قال الشريف ابن المشجري : قال للمري : كان
لا تعمل في الحال ، ويجعل العامل في الحال وأنت بالأمس : أي الفعل للضمير الذي عمل
في قوله وأنت بالأمس قال : وهذا سهو من قائله ، لأنك إذا علقت قوله بالأمس
بمحذوف ، فلا بد أن يكون بالأمس خبراً لأن أو لكان ، لأن الظرف لا يتعلق
بمحذوف ، إلا أن يكون خبراً أو صفة أو حالا أو صلة ؛ ولا يجوز أن يكون خبراً لأن
ولا لكان ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث ولا صفات ولا صلات
ولا أحوالاً لها ، فإذا استحال أن يتعلق بالأمس بمحذوف علته بكان ، وأعملت كان
في محتمل . وقوله : شيخ معد : خبر كان .

(١) مجللة : شاملة من جلال المطر الأرض : طبقها ؛ وربيتها : تهديتها بأن قربتها
بأمثالها ؛ وكان منك مبدؤها : أي ابتدأها ، أي أنك ابتدأتني بالصنيعة ثم ربيتها فلم
تكن واحدة تنسى على طول العهد ، بل متعددة متوافرة . وقوله قصة : قال العسكري
رويت - نصبا وسجرا - : فمن نصب أراد الاستئمان ، ومن جر أراد الخبر ، وهذا
الأجود ، لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله .

وآخرها :

ورأيت نَبْلَكَ يا فَرَزْدَقَ قَصَّرَتْ

ورأيت قَوْسَكَ ليس فيها مِزْنَعُ

وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةٌ سَمَّحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا^(١)
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنْزِلِي تَرُدُّدُهَا^(٢)
أَقْرَ جِلْدِي بِهَا عَلَى فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى لَمَاتِ أَجَدُّهَا^(٣)
فَقَدْ بَهَا لَا عَدِثُهَا أَبَدًا
خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعْوَدُهَا^(٤)

-
- (١) سمحت بها : أى قضيتهالى ؛ وموعدها : أى موعد قضائها : أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى . يريد قصر الوعد وسرعة الإنجاز . وقال الخطيب التبريزى هو من كلام الصوفية ، وهذا يدل على أنه كان متصرفا فى أفانين الكلام .
- (٢) المكربة : ما يكرم به الإنسان من بر والطفه ، يريد بها هنا ثيابا أهدها إليه ، ولذلك يقول فى البيت التالى : أقر جلدى بها على . وقوله على قدم البر : استعارة جميلة بارعة . وقال الواحدى : قوله على قدم البر : أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاما للمدوح . ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق ، وتردها : أى تعيدها إلى وتكررها على . ويروى تردها على الصدر .
- (٣) أى اعترف جلدى بها لظهورها على . فكانته باكتسائه بها ناطق مقرر ، كما قال الناشء الأكبر :

لَوْلَمْ يَبُحْ بِالشُّكْرِ لَفُظِي نَحْبَرْتُ يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشَمَائِلِي
(٤) أعودها : أكرها عوداً . يطلب منه إعادة العطية .

وقال أيضاً في صباه :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلْتُ شَهِيدٍ
بِإِيَّاسِ الطَّلِي وَوَزِدِ الْخُدُودِ^(١)
وَعُيُونِ الْمَهَا وَلَا كَمُيُونٍ فَتَكَتَ بِالْمَتِيمِ الْمَعْمُودِ^(٢)

(١) الطلا : الأعناق ؛ وشهيد : صفة لقتيل . وأصل الشهيد : من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم توسع فيه فأطلق على من مات غرقاً أو حرقاً وما إليهما . وجعل اللحن من قتله الحب شهيداً ، وقد رووا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من عشق ففح ثم مات مات شهيداً » هذا : وقد قال العكبري : كم : كلمة موضوعة للعدد ؛ وذهب أصحابنا إلى أنها مركبة ، وذهب البصريون إلى أنها مفردة ، حببنا أن أصلها ما زيدت عليها الكاف لأن العرب تصل الحرف في أوله وآخره ، فلما وصلته من أوله نحو هذا ، ومما وصلته في آخره نحو « إما تريني ما يوعدون » فكذلك كم : زادوا الكاف على ما ، فصارتا كلمة واحدة ، وكان الأصل أن يقال في كم مالك ؟ : كما مالك ؟ إلا أنه حذف الألف لكثرة الاستعمال ، ونظير « كم » لم ، لأن الأصل في لم : ما ، فزيدت عليها اللام ، فصارتا كلمة واحدة ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وسكنت للميم ، فقال : لم . فقلت ؟ وزيادة الكاف كثيرة . قال الله تعالى « ليس كمثل شيء » أى ليس مثله . وحكى عن بعض العرب أنه قيل له : كيف تصنعون الأقط ؟ قال كهن ، قال الراجز .

* لَوَاحِقَ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْتَقَقَ *

أى الملق وهو الطول ؛ ووجه البصريين أن الأصل هو الإفراد ، والتركيب فرع ، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الأصل اقتصر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل ، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتمدة .

(٢) المهَا : جمع مهاة ، وهى بقر الوحش ، تشبه عيون النساء بعيونها فى حسنهما وسعتها . فتَكَتَ : قتلت بغتة ، والمتيم : الذى استعبده الحب ؛ والمعمود : الذى أضناه الحب وأوجعه ، وعنى بالمتيم العمود : نفسه ، يقول : كم قتيل قتل بعين أحبته التى هى كعيون المهَا ، وليست تلك العيون التى قتله كالعيون التى قتلتى وتَكَتَ بى فإنها لا تشبه بغيرها ؟

دَرَّ دَرَّ الصَّبَا أَيْامَ تَجْرِيرِ ذُبُولِي بَدَارِ أُمْلَةٍ عُودِي^(١)
عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ^(٢)
رَامِيَاتٍ بِأَسْنَمِهِمْ رِيَشَهَا الْهَدَى بُ تَشْقُ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ^(٣)

(١) البر : اللبن ؛ ويقال لمن يدعى له : در دره : أى كثر خيره ، لأن الخير فى ذلك عند العرب . ويقال لمن يدعى عليه لادر دره . وأيام : منادى ؛ وتجريرو الذى يول : كتابة عن النشاط واللهو لأن النشاط أو النشوان يحرق ذيله ولا يرفعه . ودار أملة : موضع بظهر الكوفة . يتحنن أن تعود هذه الأيام له .

(٢) قوله عمر ك الله : قال العكبرى - نقلا عن الجوهرى صاحب الصحاح - وكثيرا ما يعتمد عليه - هو مصدر ، يقال : أطال الله عمر ك وعمر ك - بالفتح والضم - وهما وإن كانا مصدرين بمعنى : إلا أنه استعمل أحدهما فى القسم - وهو المفتوح - فإذا أدخلت عليه اللام رفعت بالابتداء - فقلت لعمر الله ، واللام لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوف ؛ والتقدير لعمر الله قسى ، فإن لم تأت باللام نصبت نصب المصادر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمر ك الله ما فعلت كذا ، ومعنى لعمر الله وعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه ، وإذا قلت عمر ك الله فكأنك قلت بتعمير ك الله : أى بإقرارك له بالبقاء . وقول عمر بن أبى ربيعة :

أَيُّهَا الْمَنْكُحُ الثَّرِيَا سُهَيْلَا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

يريد : سألت الله أن يطيل عمر ك ، لأنه لم يرد القسم بذلك ، وسهيل توربة ، وكذلك الثريا ، وهما رجل وامرأة ، ولم يرد التجمين ، وهو فى قول المتنبي مصدر ، معناه : سألت الله أن يعمر ك تعميرا . . . يخاطب المتنبي صاحبه وشبه النساء بالبدور .

(٣) راميات : صفة لبدور - فى البيت السابق - والمراد بالأسهم : العيون . والهدب الشعر الذى على أشعار الأجفان ، شبهه بريش السهم . يقول : إن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلود . بخلاف الأسهم المعروفة . قال كثير :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيَشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يُصِيبْ

ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحٌ

وقال جميل :

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ يَدٌ وَنَمَرَ الْعُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ

يَتَرَشَّفَنَّ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ^(١)

بَأَوْشَكَ قَتْلَا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي نَوَافِدَ لَمْ تُعَلِّمْ لَهْنُ خُرُوقِ^(٢)
(١) رشف الريق وترشفه : مصه . وقوله أحلى من التوحيد : أى كلمة التوحيد .
ويروى حلاوة التوحيد : أى هن فيه كحلالة التوحيد . قال ابن جنى : يروى أن المتنبي
أنشده هكذا : هن فيه حلاوة التوحيد . وقالوا - للتخلص من هذه المبالغة المفرطة -
إن التوحيد نوع من عمر العراق . . والوجه أن يقال إن مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ في
مذهب الشعراء ؛ على أن أفعل قد لا يراد به تفضيل الأول على الثانى في كل المواضع ،
وهنا مثلاً قد يراد أن هذا الترشف بلغ المبالغ في الحلاوة حتى ليشبه حلاوة كلمة التوحيد ،
وقد جاء مثل هذا كثيراً في كلام العرب ، وعبرة الواحدي : كنى بمصن ريقى لحبهن
إيائى ، فكانت الرشفات في فمى أحلى من كلمة التوحيد ، وهى لا إله إلا الله ، وهذا
إفراط وتجاوز حد ؛ وقال ابن القطاع ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة أفعل من كذا
توجب تفضيل الأول على الثانى في جميع المواضع ، وذلك غلط ، والصحيح أن أفعل

(١) بين هذين البيتين بيتان هما :

لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمْ نِظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِي فَتِيقُ
عَلَى نَبْعَةِ زَوْرَاءَ أَيْمًا خِطَامُهَا فَمَتْنٌ وَأَيْمًا عُودُهَا فِعِيقُ
صاب السهم نحو الرمية يصوب فهو صائب إذا قصد ولم يجر ، والتابل : ذو النبل وعمر
العقدتين ؛ يريد وترا أحكت عقدتا طرفيه ، وأصل المر : الحبل الشديد القتل . وقوله
من خوافى النسـ : يريد ريش السهم ، وريش النسـ أجود للسهم من ريش كل طائر ،
والحم جمع أحم ، وهو الأسود ، وجعلها نظائر في مقاديرها لأن ذلك أقصد للسهم .
وقوله كنصل الزاعى : أى كنصل الرمح الزاعى . قال الأصمى : الزاعى هر الذى إذا
هر فكأن كعوبه يجرى بعضها بعض للينه وتثنيه ، من قولهم : من يزعب بحمله إذا
مر به مرآ سهلا . وقوله فتيق : يريد حاداً رقيقاً . وقوله على نبعة : يريد قوساً ، وأكرم
القسى ما كان من النبع - شجر معروف - وقوله بأوشك قتلانك : أى بأسرع . وزوراء
أى معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافاً كان سهمها أمضى . وأيما : يريد أما ،
وخطام القوس : وترها ، ومتن : أى ذو صلابة وقوة . وقوله وأيما : عودها فتيق
يصف كرم هذه القوس وعقتها .

كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرْقَ مِنْ الْخُمْسِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجَلْمُودِ^(١)

يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه : أحدها أن يكون الأول من جنس الثاني ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة في انفضل لا مجازا ، وذلك كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهذا السيف أصرم من هذا . والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني ، ومعتلا للحاق به ، وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل ، نحو قولك : الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ؛ وبیت المتنبي من هذا القبيل : أى يترشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد . والثالث : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريبا منه ، والثاني دون الأول ، فهذا يكون على الإخبار المحض ، نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر ، والأسد أجراً من النمر . والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة ، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض ، والترض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني ، نحو قولك : زيد أشجع من الأسد وأمضى من السيف . والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جدا ، فيكون هذا على المبالغة المحضة ، نحو قامته أتم من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس ، وجاء في الحديث : « ما أقلت النبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لمجة من أبى ذر » ذهب من لا يعرف معانى الكلام إلى أن أبذر أصدق العالم أجمع ، وليس الأمر كذلك ، وإنما نبى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصديق ، ولم ينب أن يكون في الناس مثله في الصديق ، ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت . وروى الأكثر : أحلى من التوحيد ؛ ومن روى حلاوة التوحيد أراد هى عندى مثل حلاوة التوحيد ، فحذف المضاف ورفع .

(١) الخمصانة — بفتح الخاء وضمها : الضامرة البطن . وعنى برقتها : نومتها وصفاء لونها ؛ وقوله بقلب الخ : أى مع قلب أصلب من الحجر . يقول : أجسامهن ناعمة وقلوبهن قاسية . وقوله كل : قال البسكري : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في يترشفن ، وعلى هذا يرفع أرق : حملا على كل . ويجوز نصبه ، وهو في موضع خفض نمتا لخمصانة ، ويجوز نصب كل حملا على التعت لبدورا ، فيكون بدل تبين .

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّما ضُرِبَ الْعَنْبَرُ فِيهِ بِمَاءٍ وَزِدْ وَعُودٌ^(١)
 حَالِكٌ كَالْعُدَافِ جَثْلٌ دَجُوجِيٌّ أَثِيثٌ جَفَدٌ بِلَا تَجْعِيدٍ^(٢)
 تَحْمِيلُ الْمِسْكِ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيحُ وَتَفَرُّ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودٍ^(٣)
 جَمَعَتْ بَيْنَ جَنْمِ أَحْمَدَ وَالسَّقَمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالْتَسْهِيدِ^(٤)
 هَذِهِ مُنْجَتِي لَدَيْكَ لِحْنِي فَأَقْصِي مِنِّ عَذَابَهَا أَوْ فَرِّدِي^(٥)
 أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنَى بَطْلٌ صِيدَ بِتَضْفِيفِ طُرُقٍ وَبِجِيدٍ^(٦)

(١) ذات : صفة أخرى لمصانة ؛ والفرع : شعر الرأس . وضرب : خلط ، وقوله
 وعود ؛ - في آخر البيت - متعلق بمحذوف : أى ودخن بعود ، لأن ماء العود لا طيب
 له ، وإنما تفوح رائحته بالاحتراق ؛ وهذا مثل قولهم :

* عَلَقْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا *

قال الشريف بن الشجرى فى أماليه : قوله وعود : برى ودخان عود ، لأن العود
 لا ماء له . يقول المتنبي : إن شعرها طيب الرائحة ، فكأنه خلط بهذه الأنواع من
 الطيب .

(٢) حالك : نعت فرع : والحالك : الشديد السواد . والعداف : الغراب الأسود .
 والجثل : الكثير الملتف ؛ والدجوجى : المظلم ؛ والأثيث : الكثيف ؛ وقوله جعد بلا
 تجعيد : أى خلق جعدا من غير أن يجعد .

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة . وتفر : تبسم ، وعن شبيب : أى عن
 شعر شبيب ، والشنب : البياض والبريق وتحزير أطراف الأسنان ، وقيل طيب نكمتها ؛
 وقيل تفلجها ؛ والبرود : البارد . ويروى عن شتيت ، وشعر شتيت : مفرق مفلج ،
 يقول : إنها طيبة الريح فكان الريح إذا مرت بها تحمل المسك من غداورها .
 (٤) أحمد : يعنى نفسه ؛ والتسديد : السهر . يقول : جمعت بين جسمى والسقام وبين
 جفونى والسهاد .

(٥) المهجة : دم القلب ، وتوضع موضع الروح ؛ والحين : الهلاك . يقول : هذه
 روحى أسلمها إليك ، ولكن لأجل هلاكى ، فإن شئت فأقصى من عذابها بالوصل ،
 وإن شئت زديها عذاباً بالمعبر . وقال العكبرى : إن جعل هذه إشارة : فديك يتعلق
 بمعنى الإشارة ، وإن جعلها نداء - بحذف النداء - كان متعلقا بالاستمرار .

(٦) أهل : مبتدأ ؛ وبطل : خبره . أى يستحق ما بى من الضنى بطل الخ والطرة :

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعَنْقُودِ^(١)
فَاسْتَقْنِيهَا فِدَى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي^(٢)
شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنَحْوِي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي^(٣)

شعر الجبهة ؛ وتصنيفها : تسويتها — وهذا البيت كالعلة لما قال في البيت السابق . يقول :
افعل ما شئت فأني أهل لذلك ومستحق له ، لأن الرجل الشجاع إذا صادته المرأة بتصنيف
طرتها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به . ويحتمل أنه إنما قال هذا كالتشفي من نفسه
واللائم لها على هذا العشق . وقال ابن القطاع : قوله أهل مابي الخ : معناه أنا أهل مابي
وحقيق به وأنا بطل صيد وعبرة ابن جني : أنا أهل ذلك وحقيق بحسن ما رأيت وأنا
بطل صيد الخ .

(١) دم العنقود : الخمر ؛ وروى : أبنه العنقود . قال الواحدى : وليس الأمر على
ما قاله ، لأن شرب الخمر لا يخل ، إلا أن يريد بدم العنقود : الضير ، أو مالا يسكر من
للطبوح . . . أقول : إن مثل هذا إنما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء ، وكلام المتن سائق في
منهيب الشراء ، وهو من قبيل قول أبي نواس :

فِي مَجْلِسِ ضَحِكَ السُّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

أى حلت الخمر المحرمة . والمعنى — ان المجال بلغ من البهجة والراح والانبساط الغاية
التي لا بعدها . قال العكبرى : وسيت الخمر دما لأنها تسيل من العنقود كما يسيل دم المقتول
وقال : قوله ما خلا : إذا قلت جاء القوم ما خلا زيدا : فليس إلا النصب ، وإذا قلت جاء
القوم خلا زيد : كان الجر لا غير ، وقال ابن جني : إذا أسقطت «ما» جررت ، وكان أقوى
من النصب ، لاحتماله إياه .

(٢) طارفي وتليدي : معطوفان على نفسى ؛ وقوله من غزال : تخصيص له بالفداء
من جملة الغزلان ؛ ومثله أفيديك من رجل . والطارف — ومثله الطريف — ما استحدث
عندك من مال ؛ والتاليد — ومثله التليد — ما كان عن إرث الآباء . يقول : اسقني
الخمر فأنا أفيديك بنفسى وما أملك . قال العكبرى : أنت الضمير في اسقنيها ؛ لأنه أراد
بالدم الخمر ، وذكر ضمير عينيك ، والأفعال بعد ، لقوله من غزال على لفظه لا معناه ،
لأن المراد بالغزال المعشوقة وتقدير الكلام : فدى لعينيك من غزال نفسى وطارفي وتليدي
(٣) شيب رأسى : مبتدأ ، وما بعده : عطوف عليه ؛ وشهودى خبره ، وعلى هواك :

متعلق بشهودى . وهذا من قول الآخر :

أَيَّ يَوْمٍ سَرَزْتَنِي بِوَصَالٍ لَمْ تَرْغَبِي ثَلَاثَةَ يَوْمٍ بِصُدُودٍ (١)
 مَا مُقَامِي بِأَرْضٍ نَحْلَةً إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ (٢)
 مَقَرَّشِي صَهْوَةً الْحِصَانِ وَلَكِنْ قَبِيعِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ (٣)
 لِأُمَّةٍ فَاضَةٍ أَضَاءَ دِلَاسٌ أَخْكَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدَ (٤)
 أَنْ فَضْلِي إِذَا قَبِيعْتُ مِنَ الدَّهْرِ بِعَيْشٍ مُعْجَلٍ التَّنْكِيدِ (٥)
 ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
 قِرِّي قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُودِي (٦)

أَوْ مَا كَفَاكَ تَغْيِيرِي وَنَحُولُ جَسِي شَاهِدَا

(١) أي منصوب على الظرفية : أي في أي يوم . وراعه : أفزعته . يقول : لم تمرني يوما بالوصال إلا رعتني ثلاثة أيام بالصد والإعراض . وقال العسكري : أي نصب ، وهو استفهام خرج مخرج النفي ، كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك : أي يوم أكرمتني قط .
 (٢) المقام بمعنى الإقامة ؛ ونحلة : قرية لبني كلب قرب بلبك . يقول : إن أهل هذه القرية أعداء لي ، كما كانت اليهود أعداء للسيد المسيح . قال الواحدي : وبهذا البيت لقب بالثني ، لتشبيهه نفسه بالسيد المسيح في هذا البيت ، وبصالح عليه السلام فيما بعده .
 (٣) المفرش : موضع الفراش . ومقرشي الخ : في موضع الحال ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . والحصان : الفرس الفحل . والمسرودة : الدرع المنسوجة من الحديد . يقول : إنني شجاع ، مكاني ظهر الفرس ، وثيابي الدروع : أي أنني أبدأ بهذه القرية على هذه الحالة تيقظا وتأهباً .

(٤) لأمة : درع ملثمة الصنعة ، بدل من قوله مسرودة : وفاضة : سائفة ؛ يقال درع فاضة : أي تفيض على جسم لابسها فتعمره . والأضاة : الغدير ؛ شبه الدرع به لبريقها وصفائها ؛ والدلاس : البراقة اللينة للساء ؛ ودرع دلاس وأدرع دلاس ، الواحد والجمع على لفظ واحد ، وداود : هو سيدنا داود ، أول من عمل الدرع ، كما قال جل شأنه : «وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ» . يقول : قبضي لأمة محكمة النسيج من صنع داود الخ .

(٥) يقول : إذا قنعت من الدهر بعيش قد عجل لي نكده وأبطأ على خبره ، فأين فضلي ؟ يعني إذن لا فضل لي ، فكانه قد خفي فليس يرى . ثم قال - في البيت الثاني - : لقد تبعت في طلب الرزق ولم أحصل من ذلك بطائل ، ومن ثم ضاق صدري لكثرة ما نصبت وطال سفرى وقل قمودى عن السفر .

أَبَدًا أَفْطَحُ الْبِلَادَ وَتَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سُودٍ^(١)
وَلَمَّسْتُ مُؤَمِّلٌ بَفَضَ مَا أَبْلَغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدٍ^(٢)
لِسِرِّي لِبَاسُهُ خَشِنُ الْقَطَنِ وَمَرَوِيٌّ مَرَوٍ لَيْسُ الْقُرُودِ^(٣)
عِشْ عَزِيزًا أَوْ مِتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَمَنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ^(٤)

(١) يقول : إنه طموح ، بعيد الهمة ؛ دائب السى وإن قل حظه من الرزق كما قال أبو تمام :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدْتُ أَلْفَ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضٌ
وقال الآخر :

وَلِي هَمَّةٌ فَوْقَ نَجْمِ السَّمَاءِ وَلَكِنْ حَالِي تَحْتَ الثَّرَى
فَلَوْ سَاعَدَتْ هَمَّتِي حَالَتِي لَكُنْتُ تَرَى غَيْرَ مَا قَدْ تَرَى

(٢) يقول : لعل العزيز الحميد وتعالى مبلغى فوق ما أرجوه ، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه . أو تقول : إن الكلام على القلب : أى لعل بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه . وعبرة الواحدى يقول : لعل راج بعض ما أؤمله بلطف الله ؛ ثم قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن المرجر محبوب ، والمكروه لا يكون مرجوا . بل يكون محذورا ، فهو يقول : لعل راج بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله : أى ليس جميع ما أبلغه مكروها ، بل بضه مرجو ومحبوب . وقال ابن القطائع : أؤخذ في قوله ولعل مؤمل الخ ؛ إذ كيف يؤمل بعض ما يبلغ ؛ وإعنا وجه الكلام أن يقول : ولعل أبلغ بعض ما أؤمل ، وليس كذلك ، بل المعنى : ولعل أبلغ آمالى ، وأزيد عليها حتى يكون ما أؤمله بعض ما أبلغه وقيل معناه : أنا أؤمل أكثر ما أطلب ، فلعل بالغ بعض ما أؤمله ، لأن ما أؤمله بعض ما أبلغه أو لأن ما أؤمله لا يبلغ إليه أحد .

(٣) السرى : للباقد الشريف . وللروى : ثياب رقاق تنسج بمرو - وهى بله بغارس - يقول : لعل بالغ بعض ما أؤمله بلطف الله لسرى - يعنى نفسه - يتكشف في لباسه قلبه القطن الحشن - والعرب تمدح بخشونة اللبس والطعم ، وتيب الترف والنعيم أما الثياب الرقيقة فهى لبس اللثام - وىروى بسرى : أى أبلغه بإقدام هذا السرى وهمة .
(٤) البنود : الأعلام الكبيرة ، وخفق البنود : اضطرابها . يقول : إما أن تعيش عزيزاً ممتناً من الأعداء ، أو تموت موت الكرام في الحرب ، لأن القتل في الحرب يدل على شجاعة للقتول ، والقتل خير من العيش في ذل .

فَرُّهُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْفَيْظِ وَأَشْفَى لِفِلِّ صَدْرِ الْخُودِ^(١)
لَا كَمَا قَدْ حَيَّتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ قَبِيدٍ^(٢)
فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطْفِي وَذَرِ الذَّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ^(٣)
يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يُفَجِّرُ عَنْ قَطْعِ بَحْنِ الْمَوْتِ^(٤)
وَيُوقِي الْفَتَى الْخَشْوَ وَيَذْخُو ضَنْ فِي مَاءِ لَبَةِ الصَّنَدِيدِ^(٥)
لَا يَقْوِي شَرَفُ بَلِّ شَرَفُوبِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِمَجْدُودِي^(٦)

(١) الغل : الحقد . يقول : إذهاب الفيظ بالرماح أكثر من إذهابه بالسلم ، وأشفى لغل صدر الخود من أعدائه . وقال العسكري : تقول ذهبت بالفيظ ولا تقول ذهبت بل أذهت ، والوجه أن يقول أشد إذهاباً لفيظ ، لأن أفل لا يبنى من الإفعال إلا في ضرورة الشعر . ولكنه جاء على حذف الزوائد ؛ ولو قال بالفيظ لاستغنى .

(٢) يقول : عش عزيزاً أو مت في الحرب كريماً ولا تمس كما عشت إلى الآن ذمياً لا تستطيع أن تصطع الناس فيحمدوك ؛ فإذا أنت مت وجدوا مثلك كثيراً فلا يتقدونك ولا يكثرئون لموتك ، لأنهم إنما يبالغون من له إقدام وشجاعة وأفاعيل يذكرونها . . . هذا ؛ ويقال حي يحيى حياة وحى - بالإدغام - وقوله تعالى «ويحيى من حي بينة» قال الفراء : كتابها على الإدغام بياء واحدة هي أكثر القراءات .

(٣) لطفى : من أسماء جهنم وهي معرفة لا تنصرف ، والكلام كله مبالغة في طلب العز والبعد من الذل ، وإلا فلا عز في جهنم ولا ذل في الجنة .

(٤) الخنق : خرقه قنق بها الرأس وتشد تحت الحنك . يقول : قد يقتل العاجز الجبان ، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء ، فلياك والعجز والجبن حبا للبقاء .

(٥) الخش : الجري . على الليل والدخال في الأمور والحروب ؛ وخوض : بالغ في الخوض . واللبنة : أعلى الصدر ؛ وماؤها : دمه ، والصنديد : السيد الشجاع . والبيت تسكته لما ذكره في البيت السابق . يقول : كما أن العاجز الجبان قد يقتل بسلم الشجاع المقاتل وقد خاض في الحروب حتى غاص في دماء الصناديد ، بحث على الإقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله .

(٦) هذا كما قال القائل :

نَفْسُ عِصَامٍ سُدَّتْ عِصَامًا وَعَلَّتَتْهُ الْكَرَّةُ وَالْإِقْدَامُ

وَبِهِمْ فَخَرُّ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّأ
 دَ وَمَوْذُ الْجَانِ وَعَوْتُ الطَّرِيدِ (١)
 إِنْ أَكُنْ مُنْجَبًا فَمُنْجَبٌ عَجِيبٌ
 لَمْ يَجِدْ قَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ (٢)

وَصِيرَتْهُ مَلِكًا مُهَامَاً حَتَّى عَدَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا (٣)

وقال عامر بن الطفيل :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفارسها المشهور في كل مَوَكِبٍ
 فما سودتني عامرٌ عَنْ وِرَاثَةِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَتَمَّوْبَامَ وَلَا أَبِ
 وَلَكِنِّي أَتَمَّي حَمَاهَا وَأَتَمَّي أَذَاهَا وَأُرَمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبِ (٤)
 قال الواحدى : لو اقتصر للثني على هذا البيت لكان الأُم الناس نسا . لكنه
 قال بعده البيت التالى .

(١) كل من نطق الضاد : العرب ، لأن الضاد لا توجد في غير العربية . يقول :
 على أنه بقوى نغر العرب جميعا ، وبهم عوذ الجاني : أى أن من نجى جناية وخاف على
 نفسه لجأ إلى قومي ليأمن على نفسه ، وبهم غوث الطريد - وهو الذى نفي وطرد - أى
 أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه .

(٢) للمعجب : الذى يحب نفسه . والعجيب : الذى يحب غيره . يقول : إن
 كنت منجيبا بنفسى فهذا المعجب صادر من رجل عجيب لا يرى لأحد منزلة يمتاز بها عليه ،
 فليس عجبى إذا بمنكر .

(١) عصام : هو حاجب الثمان بن اللندر ، وهو عصام بن شهر الجرمي ، وفي المثل
 كن عصاميا ولا تكن عظاميا . يريدون به قول عصام هذا ، والمعطامى . الذى يفتخر
 بأبائه ويتكلم على مجدهم .
 (٢) أممو : من السمو ، وهو العلو والارتفاع ؛ وقوله بمنكب : يريد أرمى من
 رماها بجماعة رؤساء من الفوارس ، والمنكب : رأس العرفاء . وقيل أعوان العرفاء
 من النكبة ، وهى العرافة .

أَنَا تَرْبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِ وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحُسُودِ^(١)
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَذَارِكُهَا اللَّهُ هُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي شُعُودِ^(٢)

(١) رب الإنسان : من ولد معه في وقت ، والندى : الجود ، والسمام : جمع سم .
يقول : أنا أخو الجود ولدنا معا ، وأنا رب القوافي ومبدعها ، إذ لم أسبق إلى مثلها ،
وأنا قاتل أعدائي كما يقتل السم ، وأنا غيظ حسادي ، لأنهم يتمنون مكاني فلا يدركونه
فيقتاظون .

(٢) تداركها الله : جملة معترضة ، وهي إما دعاء لها : أي تداركهم الله بالإصلاح ونجائهم
من لؤمهم ، أو دعاء عليهم : أي أدركهم الله بالإهلاك لأنجو منهم . هذا ونمود قبيلة من
العرب الأول واختلف القراء في إعرابه في كتاب الله : فمنهم من صرفه : ومنهم من
لم يصرفه ، فمن صرفه : ذهب إلى الحى لأنه اسم عربي مذكر سمى بمذكر ؛ ومن لم
يصرفه : ذهب به إلى القبيلة ، وهي مؤنثة .

وأهدى إليه عبيد الله بن خلكان - من خراسان - هدية فيها سمك من سكر ولوز في غسل ، فرد إليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعفران :

أَقْصِرْ فَلَسْتَ بِزَائِدِي وَدَا
بَلَّغَ لَدَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَا^(١)
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا
فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً خَمَدَا^(٢)
جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهِيَ فَارِغَةٌ
مَشْنَى بِهِ وَتُظْلِمُهَا فَرَدَا^(٣)
تَأْبَى خَلَاقُكَ الَّتِي شَرَفَتْ
أَنْ لَا تَحْنُ وَتَذْكُرُ الْعَهْدَا^(٤)

(١) أقصر عن الشيء : إذا كف عنه وهو قادر عليه ، وقصر عنه : إذا عجز عنه ، وقصر فيه : إذا لم يبلغ ، والضمير في بلغ : للرد ، والجملة استئناف . يقول : إن ودي إليك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لا يقبل الزيادة ، فكف عن البر فإنك لا تزيدني بذلك ودا . وهذا من قول ذي الرمة :

وما زال يملو حُبُّ مَيَّةٍ عِنْدَنَا وَبَرَدَادُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ مَا يَزِيدُهَا

(٢) أرسلتها أى الجامة . ومملوءة حمدا : يريد ما كتبه إليه على جوانبها .

(٣) طفع الإناء : امتلأ . وتطفح : حال : أى طافحة : ومشنى : حال أخرى ، والضمير في به : للحمد ، أى الأبيات التى عليها يقول : جاءتلك الجامة طافحة بالحمد وإن كانت فارغة مما كان فيها ، وقد شفعتها بالحمد - لأنه كتب هذه الأبيات على جوانبها - فصارت بذلك شيئين لا شيئاً واحداً كما تظنها .

(٤) الخلائق : ما خلق عليه الإنسان . يقول : إن أخلاقك الشريفة تأبى عليك أن لا تشاق إلى أوليائك وتذكر عهودهم ؛ قال العكبرى : قوله أن لا تحن : أن هاهنا هى الخففة من الثقلية ، ودخلت لاتنصل بينها وبين الفعل ، فلماذا رفع تحن وتذكر ؛ ومثله قراءة أبى عمرو وحمة والكسائى فى قوله تعالى « وحسبوا ألا تكون فتنة » بالرفع ، (٤ - التنتي ٢)

لَوْ كُنْتُ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهْرًا
كُنْتُ الرَّيِّعَ وَكَانَتْ الْوَرْدَا^(١)

* *

وروى جماعة هذا الحرف — أن لا تحن وتذكر — بالنصب ، وجعلوا أن هي الناصبة ، ولم يعتدوا بلا ، كقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم .

(١) اسم كانت : ضمير الحلائق . يقول : لو كنت زمانا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد : أى أنك بين الرجال كالربيع بين الأزمنة ، وأخلاقك بمنزلة الورد من الأزهار . هذا : والعصر ، والعصر ، والعصر ، والعصر : الدهر . قال امرؤ القيس فى العصر :

الْأَعْمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَمِينٌ مَن كَانَ فِي الْمَصْرِ اخْلَى
والجمع : أعصر وأعصار وعصر وعصور . قال العجاج :

* وَالْمَصْرِ قَبْلَ هَذِهِ الْمَصُورِ *^(١)

والمصراع : الليل والنهار . قال حميد بن ثور :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا — أَنْ يَدْرَكَمَا تَابِعَا^(٢)

(١) أول هذا الرجز :

جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي

العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيعذر فيه : أى لا تستنكرى ما أحاوله معذورا فيه . وسيرى عطف يان له ، أو بدل منه . وجارى : منادى مرخم : أى بإجارية . (راجع الرجز فى أراجيز العرب للبكرى) .

(٢) قبله :

أرى بضرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلم

أى أن الصحة والسلامة مؤديتان إلى الهرم ، وهو الداء الذى لا دواء له .

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي :

الْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدُكُمْ غَدُ^(١)

(١) يقول ـ مخاطباً أحبته ـ : اليوم ألقاكم مودعا ، فمتى يكون اللقاء بعد هذا الفراق ؟ ثم استأنف فقال : هيهات ـ أى بعدما أطلب ـ ليس لهذا اليوم ـ يوم لقائكم للوداع ـ غد : أى لا أطمع فى أن أعيش بعد فراقكم ، فلا غدى بعد هذا اليوم . وأين ، وإن كانت سؤالا عن المكان : إلا أن المراد بها هنا ما يراد بمضى : أى السؤال عن الزمان . وهيهات : كلمة تبعيد ؛ قال جرير :

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌ بِالْعَقِيقِ نُحَاوِلُهُ^(١)
والثناء مفتوحة ، مثل كيف ، وأصلها هيهاء ؛ وكذلك وقف عليها أحمد البرى عن ابن كثير والكسائى بالهاء رداها إلى الأصل وقد كسرها جماعة من العرب ؛ قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلاداً حتى صارت فى القفار :

يُصْبِحُنَ بِالْقَفْرِ أَتَاوِيَاتٍ مُفْتَرَضَاتٍ غَيْرَ عَرْضِيَّاتٍ

* هَيْهَاتَ مِنْ مُصْبِحِهَا هَيْهَاتَ^(٢)

وقد أبدلوا الهاء الأولى منهازمة فقالوا أيهات كهراق وأراق ؛ قال الشاعر :

* أَيِهَاتَ مِنْكَ الْحَيَاةُ أَيِهَاتَا *

وقال الجوهري فى صحاحه : قال الكسائى من كسر التاء وقف عليها بالهاء ، ومن فتحها وقف عليها بالتاء ، وإن شاء بالهاء ، قل أبو محمد عبدالله بن برى النحوى فى أخذه على الجوهري : قال أبو على الفارسى : من فتح التاء وقف بالهاء ، لأنه اسم مفرد ، ومن كسر وقف عليها بالتاء ، لأنه جمع لهيات المفتوحة وقال الاخفش : يجوز فى هيات أن تكون جماعة ، فتكون التاء التى فيها تاء الجمع التى للتأنيث ، ولا يجوز ذلك فى اللات .

(١) نحاوله : يروى نواصله ، والعقيق . اسم واد بالمدينة ، والحل : الصديق .

وهيات : اسم فعل بمعنى بعد .

(٢) يقال رجل أتاوى : إذا كان غريباً فى غير بلاده . فقوله يصبحن أتاويات : أى

غريبة من صواحبه لتقدمهن وسبقهن ، ومعتزبات : أى نشيطة لم يكسلهن السفر ، غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن .

الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَبًا مِنْ بَيْنِكُمْ وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ لَا تَبْعُدُوا^(١)
 إِنَّ الَّتِي سَفَكَتْ دَمِي بِجَفُونِهَا لَمْ تَذَرِ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَتَقَلَّدُ^(٢)
 قَالَتْ وَقَدَرَاتٍ أَصْفَرِ أَرَى مَنْ بِهِ وَتَهَدَّتْ فَأَجِيتُهَا الْمُتَهَدُّ^(٣)
 فَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بَيَاضَهَا لَوْ نِي كَمَا صَبَغَ اللَّجَيْنَ الْمَسْجِدَ^(٤)

والعزى ؛ لأن لات وكيت لا يكون مثلها جماعة ، لأن التاء لاتراد في الجماعة إلا مع الألف ؛ فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقى الاسم على حرف واحد .

(١) المِخْلَبُ : للمفترس من السباع وجوارح الطير ، واستعاره للموت لأنه يهلكه الحيوان كأنه يفتسه . يقول : إذ ترمعون الفراق فإن الموت سيدركني قبل أن تفارقوني فرعاً من البين . والحياة تكون عنى أبعد منكم . وقوله لا تبعدوا : دعاء لهم : أى لا بعدتم عنى ولا فارقتمنى أبداً ، ومن رواه يفتح العين فهو من البعد - بفتحين - بمعنى الهلاك : أى لا تهتككم ولا لجعت بكم . قال تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود » أما بضم العين فهو من البعد - بمعنى البين والفراق - وقوله مِخْلَبًا : يروى مطلباً ، ومعناه أطلب الموت قبل فراقكم : أى لو غيرت بينها لطلبت الموت ولم أطلب فراقكم .

(٢) يقول : إن التي عصفت بي وأنت على وقتلتني عيونها لم تدر أن دمي في عنقها وأنها بامتى ياتم قتلى . يقال تقلد الإثم ونحوه : أى لزمته تبعته . وتقلد الأمر : أخذه في عنقه ، وأصله من القلادة ، ومنه تقليد القضاة القضاء : أى جعله في أعناقهم . وكذلك تقليد الولاية .

(٣) يقول : لما رأيت اصفرار وجهي - وجداً بفراقها - قالت من به ؟ أى من فعل به هذا الذي أراه ؟ أو من الطالب به ؟ وتهدت : أى علاصدها لشدة تنفسها ، وزفرت استعظاما لما رأته - فأجيتها وقلت : الذي فعل بي هذا - أو الطالب بي - هو المتهد أى أنت . وقال العكبري : يجوز أن يكون قالت : جواباً لظرف محذوف : أى لما رأيت اصفراري قالت ؛ ويجوز أن يكون خبر إن - في البيت قبله - ويكون عبر البيت : لم تدر الخ - جملة في موضع نصب على الحال .

(٤) اللجين : الفضة ؛ والمسجد : الذهب ؛ وقوله : وقد صبغ الحياء بياضها لوني غدى الصبغ إلى مفعولين ، لأنه يضمن معنى الإحالة ؛ كأنه قال : أحال الحياء بياضها لوني . يقول : إنها استحيت فاصفر لونها ، كأنها فضة قد منها ذهب . قال الواحدي : إن الحياء لا يصفر اللون بل يحمره . ولكن هذا الحياء كان مختلطاً بالحروف ، لأنها خافت

فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَرِّ الدُّجَى مُتَأَوِّدًا غُصْنَ بَيْ يَتَأَوَّدُ^(١)
عَدْوِيَّةً بَدْوِيَّةً مِنْ دُونِهَا سَلَبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوَقَّدُ^(٢)
وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ وَذَوَابِلٌ وَتَوَعَّدُ وَتَهْدُدُ^(٣)
أَبْلَتْ مَوَدَّتَهَا اللَّيَالِي بَعْدَنَا وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهُوَ مُقَيَّدُ^(٤)

الفضيحة على نفسها ، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشارها خوف ما جنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة .

(١) قرن الشمس : أول ما يدومها وهو أصفر ، وقرن الشمس : مفعول أول لرأيت ؛ والمفعول الثاني : الظرف بعده ؛ ومتأودا : أى متايلا ، حال من قر ؛ وغصن : مبتدأ ؛ ويتأود : خبره ؛ والضمير في به : للقمر ؛ والجملة : بدل من متأودا : أى حال كونه متأودا يتأود به غصن ؛ ويجوز أن يكون غصن : فاعل متأودا ، ويتأود : نعت لغصن : أى حال كونه متأودا به غصن يتأود . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة في ياضها كالشمس إذا حلت في القمر الذي يميل به غصن قامتها : يعنى أن قامتها تتأيل بوجهها في حال مشيتها . وقال ابن جني : قد جمعت بين حسن الشمس والقمر ، وجعل قامتها غصنا متايلا شبيها بالقضيب لاعتداله وتمايله وتثنيه . يريد كانت كالقمر في ياضها فلما اصفرت خيلا صارت الصفرة في ياضها كقرن الشمس .

(٢) عدوية : أى من بنى عدى ، وبدوية : نسبة إلى البادية ، أو البدو - على غير قياس - وعدوية : خبر مبتدأ محذوف : أى هي عدوية ؛ أو قاتلتى عدوية ، ومن دونها : خبر مقدم ، وسلب النفوس : مبتدأ مؤخر . يقول : إنها من قومها في منعة ، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب ، فمن حاول الوصول إليها صلى بنار الحرب . (٣) وهواجل الخ : عطف على سلب النفوس - في البيت السابق - والهواجل : جمع هوجل ؛ وهو اللعازة لا أعلام بها والصواهل : الخيل والناصل : السيوف ، والذوابل : الرماح . يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء ، قال العسكري : والهواجل أيضاً التوق ويجوز أن يريد بها التوق ، ليكون أليق بالبيت ، لأن ذكر التوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل .

(٤) أبلت : من البلى ، ومشى عليها : أى على مودتها . يقول : آبلها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا . وقوله ومشى عليها الدهر وهو مقيد : مبالغة في الإبادة : أى وطشها وطأ تقيلا كوطء القيد ، وذلك أن القيد لا يقدر على خفة الشئ ورفع الرجلين ، فهو يطأ

بَرَحْتَ يَأْمَرُضَ الْجَفُونَ بِمَرَضٍ مَرَضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعَيْدَ الْمَوَدِّ^(١)
فَلَهُ بَنُو عَيْدِ الْقَزِيزِ بْنِ الرِّضَا وَلِكُلِّ رَكْبٍ عَيْسُهُمْ وَالْفَدَفْدُ^(٢)

وطأ ثقيلا . وقال ابن جني : هذا مثل واستعارة ، وذلك أن المقيد يتقارب خطوه ، فهو يريد أن الدهر دب إليها فقيرها . قال الواحدى : وهذا فاسد بقوله عليها ، ولو أراد ما قال : لقال ومشى إليها الدهر ، كما قال أبو تمام :

فِي أَحْسَنِ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُورِ الْبِعَادِ

(١) برح به الأمر وأبرح به : جهده واشتد عليه . وأراد بالمرض : نفسه . والعود الذين يزورون المريض خاصة ، يقول : لقد برحت به الجفون الذوابل ، واشتد عليه ما يلاقيه من جراء حبها حتى مرض طبيبه وزواره - حين هالهم مرضه - رحمة له ورثاء لحاله . وقد ذهب ابن جني إلى أن المعنى : برحت : تجاوزت الحد ، وعنى بالمرض : جفنها ، ومرض الطبيب وعيد العود مثل : أى تجاوزت يامرض الجفون الحد حتى أحوجت إلى طبيب وعود ، يبالغ في شدة مرض جفنها . . . قال ابن فورجة - يتقده - : أبرح جنى في التعسف ، ومن الذى جعل مرض الجفون متناها ، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح ، كقول أبي نواس :

ضَعِيفَةٌ كَرُّ اللَّحْظِ تَحْسَبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمٍ
ولو أراد تباينه لقال تحسبها في برسام^(١) ، أو تزع روح . . إلى أن قل والدليل على كون المرض هو التنفي : قوله بعد :

❖ فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْقَزِيزِ بْنِ الرِّضَا ❖

وقوله يَأْمَرُضَ الْجَفُونَ : يروى يامرض الجفون - بكسر الراء - وهو قليل في الاستعمال ، إنما يقولون فلان مريض ، والقياس لا يمنع من قولك : رجل مرض كسقم قل الأعشى :

يَقْضَى بِهَا الْمَرْءُ حَاجَاتِهِ وَيَشْفَى عَلَيْهَا الْفُؤَادُ السَّقِيمَ

(٢) فله : أى للمرض المذكور - وهو التنفي - والعيس : كرام الإبل ، والفدقد : المنفازة . يقول : إن هؤلاء الممدوحين هم الذين ينتجعهم ويلبغ بهم آماله ، بينما سائر الناس من الراكبين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم إلا الإبل والصحراء : أى لا يحصلون من سفرهم على شيء سوى التعب وجوب الطريق . وقال ابن جني : يريد أنه

(١) البرسام : التهاب الصدر .

مَنْ فِي الْأَنْامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تَقُلْ
مَنْ فِيكَ شَأْمٌ سِوَى شَجَاعٍ يُفْصَدُ^(١)
أَعْطَى فَقُلْتُ لَجُودِهِ مَا يُقْتَتَى وَسَطًا فَقُلْتُ لِسَيْفِهِ مَا يُؤْلَدُ^(٢)

اختار هؤلاء القوم دون الناس وترك المقاصد لمن يريدونها من الركبان . وقال ابن القطاع : يريد أنهم يجودون على كل أحد فكانهم يعطون لكل ركب ركابهم وأرضهم .
(١) من : استفهام ، معناه الإنكار ؛ وشأم : أى ياشأم . يقول : ليس في الخلق كلهم كريم يصمد إليه غير شجاع ، ولا تفل : من فيك ياشأم ؟ أى لا تخص الشأم وحدها بهذا الكلام ، لأنه ليس أوحدها حسب ، بل هو أوجد جميع الخلق وتقدير الكلام : من في الأنام من الكرام يقصد سوى شجاع ، ولا تفل ياشأم من فيك ، فإنه أوجد الدنيا كلها ، لا واحد الشأم ، ووجه آخر : أن معناه الاستفهام ، وقد حذف منه الفعل ، كأنه قال : قل باسمع من في الأنام من الكرام ؟ ولا تفل ذلك للشأم ، لأنه قد علم أنه ليس من يقصد إلا هذا المدوح . هذا : والشأم تذكر وتؤنث . قال ابن برى : شاهد التأنيث قول جواس بن القمطل :

جِئْتُمُ مِنَ الْبِلَدِ الْبَعِيدِ نِيَاظُهُ وَالشَّامُ تُنْكَرُ كَهَامَا وَفَتَاهَا
(كهلها وفَتَاها : بدل من الشأم) وشاهد التذكير قول الآخر :

يَقُولُونَ إِنَّ الشَّامَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ فَمَنْ لِي إِنْ لَمْ آتِ بِمَخْلُودٍ ؟
وقال ابن جني : الشأم مذكر ، وأجاز تأنيثه في الشعر ، والنسبة إليها شأى ، وشأم على فعال ، ولا تفل شأم ، وما جاء في ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد ، وشاهد شأم في النسبة قول أبي الدرداء ميسرة :

فَهَاتِنَاكَ النَّجْمُومُ وَهَنْ خُرْسٍ يَنْحُنُّ عَلَى مُعَاوِيَةَ الشَّامِ
وامرأة شامية ، وشامية - مخففة .

(٢) لجوده : خبر مقدم ، وما يقتنى : مبتدأ مؤخر ، وكذا سيفه مايولد ويقتنى : من القنية والادخار ، وسطا : قهر ، والسطو : القهر بالبطش . يقول : لما أخذ في العطاء أكثر حتى قلت في نفسي : إنه سيعطى جميع ما يقتنيه الناس ، ولما سطى على الأعداء أكثر اقتتل حتى قلت : إنه سيقتل كل مولود ، فتكون المقتنيات جميعاً لجوده ، والنسل كله لسيفه قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أعطى فقلت لجوده محاطبا : لا يقتنى أحد مالا

وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصَّفَاتُ لِأَنَّهَا أَلْفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبَعْدُ (١)
 فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ كُلِّ مَفْصِلَةٍ يَذْمُنُ مِنْهُ مَا الْأُسْنَةُ تَحْمَدُ (٢)
 نَقَمٌ عَلَى نَقَمِ الزَّمَانِ يَصُوبُهَا نَعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تَجْحَدُ (٣)
 فِي شَأْنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ (٤)

لأنهم يستغنون بك عن الجمع والادخار ، وسطا قللت لسيفه : انقطع النسل ، فقد أفنيت العباد . ووجه آخر : أعطى قللت : جميع ما يقتنى الناس من جوده وهباته ، وسطا قللت لسيفه ما يولد بمد هذا : يشير إلى إبقائه على من أبقى مع اقتداره على الإفاء ، فخلطهم طلقاء وعقائد . قال ابن جني : ظاهره وباطنه : هباء — يعنى المصراع الثانى — وأحسن منه قول أبى تمام :

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ إِنَّ لَمْ تَتَّبْ أَنَّهُ لِلْسَيْفِ مَا تَلِدُ
 فخلطه على المشركة وما ولدت ، واحتاط بأن قال إن لم تتب ؛ وأبو الطيب قاله على الإطلاق على العلماء والأشراف والملوك — فكانه هما الرجل وجمعه . يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل .

(١) يقول : إن أوصاف المادحين له حارت ، كيف تحصى فضائله : لأنها وجدت طرائق المدوح ومسالكه التى تحمد وينوه بها بعيدة على الأوصاف ، لا تدركها .
 (٢) المترك : ساحة القتال ؛ والمفرية : المشقوقة . يقول : إنه يقطع كلى أعدائه ، فالكلى تدم منه ما تحمده الأُسنة ، وهو الإصابة فى البطن وجودة الشق ، والكلى تدم هذا لأنه مناف للرحمة ، والأُسنة تحمده لأنه بذلك أحسن استخدامها . وقال الواحدى : الناس يرون الكللى مشقوقة فيذمون له إذا لا رحمة له ، ويرون الأُسنة منكسرة فيحمدونه لشجاعته ، فأضاف الحمد والدم إلى الكللى والأُسنة لأنهما السبب :

(٣) نعم : مبتدأ ، خبره : نعم ، وعلى — الأولى — متعلقة بصبا : والجملة نعت نعم ، وعلى — الثانية — متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم : يقول : إن النعم التى يصبا المدوح على الأعداء — مضافة إلى نعم الزمان — هى نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التى لا تنجده ، يعنى اعتزاز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الفنائم بنسبتهم .

(٤) الشأن : الحال والأمر ، والبنان : الأنامل ، والجنان : القلب . يقول : فى أحواله كلها إذا تفقدتها عجب ، لأنها لم تكمل فى أحد سواء ، فأبى خصاله رأيت حمدتها .

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبَرِ خِضَابُهُ مَوْتُ فَرِيصٍ الْمَوْتُ مِنْهُ تُرْعَدُ^(١)
 مَا مَنَبِجٌ مُذْ غَبَتَ إِلَّا مُفْلَةٌ سَهَدَتْ وَوَجْهَكَ نَوْمُهَا وَالْإِئْتِدُ^(٢)
 فَالْلَيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضُ وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلَتْ عَنْهَا أَسْوَدُ^(٣)
 مَا زِلْتَ تَذْنُو وَهِيَ تَعْلُو عِزَّةً حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الْفَرْقَدُ^(٤)
 أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ^(٥)

(١) أسد : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هو أسد ، ودم الأسد : مبتدأ ، وخضابه : خبر ، وموت - كذلك - خبر مبتدأ محذوف : أى هو موت ، والجملة بعده نعت له ، والهزبر : الشديد ؛ والفريص : جمع فريصة ، وهى لمة عند الكنف تضطرب عند الخوف . يقول : هو شجاع يطلع بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لأعدائه ، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائضه .

(٢) الإئتمد : نوع من الكحل . يقول : ليست منبج - وهى بلد المدوح ، وعلى مرحلتين من حلب - مذ غبت عنها إلا كالقطة الساهدة ، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل - وهما اللذان تصلح بهما العين - يعنى أن صلاح منبج بحضورك .

(٣) هذا من قول أبى تمام :

وَكَاثَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا أَبْيَضُ فَأَضَحَّتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا أَسْوَدُ

(٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ؛ فهما فرقدان ؛ قال قائلهم :

وَكُلُّ أَحْ مَفَارِقِهِ أَخُوهُ لَعَنَرُ أَيْبِكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

يقول : مازلت تقرب من هذا البلد ، وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار ثراه فوق الفرقدين رفعة وعلاوا .

(٥) أرض : خبر عن محذوف : أى هى أرض ؛ وسواها : مبتدأ ، خبره مثلها . وقال بعض الشراح : خبره لها شرف ، والضمير فى لها : يرجع إلى سواها ، ومثلها : نعت شرف ، وهو على حذف مضاف : أى مثل شرفها . يقول : هى أرض لها شرف ، وسواها لها شرف مثل شرفها ، لو وجد فيها مثلك : أى إنما شرفها بك ؛ فلو وجد مثلك فى غيرها لسواها هذا الغير فى الشرف .

أَبْدَى الْعِدَاءُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ
فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمَقِيمُ الْمُقْعِدُ^(١)
قَطَعْتَهُمْ حَسِداً أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ
فَتَقَطَّعُوا حَسِداً لِيْنِ لَا يَحْسُدُ^(٢)
حَتَّى أَنْتَنُوا وَلَوْ أَنَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ
فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الْجِلْدُ^(٣)
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مِنْ حَوْلِهِمْ
لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هَذَا السَّيِّدُ^(٤)
بَقِيَتْ جُمُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا
وَبَقِيَتْ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُفْرَدُ^(٥)

(١) يقول : إن أعداءك أظهروا السرور بقدمك خوفا منك لا ابتهاجا بك ،
وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم : أى يزعمهم ويقلقهم .
(٢) قطعتم حسدا : أى أنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدكم إياك ، فكانك قطعتم
أرباباً . وقوله أراهم ما بهم : أى أراهم الحسد ما بهم من التقصير عنك والنقص دونك ،
فقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد فيحسده ، ولأن الحسد
ليس من أخلاقه . فقوله حسدا : هو تمييز ؛ وفاعل أراهم : ضمير الحسد .
(٣) اثنتوا : رجعوا ؛ والجلد : الصخر ، والهجرة : نصف النهار عند اشتداد
الحر وحماة القيظ ؛ وقيل شدة الحر . يقول : حق انصرفوا عنك وعن مباهااتك
عالمين بتخلفهم عنك وفي قلوبهم من حرارة الحسد والوجدة مالمو كان في هاجرة لذاب
الحجر . وقوله ولوان : حرك الساكن وأسقط الهمزة كقراءة ورش . « ومن
اظلم » ونحوه .

(٤) العليج - فى الأصل - حمار الوحش السمين القوى ، أطلقوه على الغليظ الضخم
الجافى من كفار العجم ؛ والمراد هنا : قواد الروم . يقول : لما نظروا إليك ورأوا
هيبتك وأنتك سيد القوم ، لم يروا من حولهم من ساداتهم : أى لم يخطر لهم سيد من
ساداتهم على بال ، أوقد شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك ؛ فصاروا كأنهم لا يرون
أحدا سواك ممن حولهم ، ورأوا منك مادهم على سيادتك ، فقانونا هذا هو السيد .
لا سواء من ساداتهم .

(٥) هذا البيت مترتب على ما قبله . يقول : إنك كنت وحدك مثلهم جميعا ، لأنك
وحدهم اغترقت أعينهم وشغلتها عن غيرك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك ، بحيث لو
فقدوا كنت كل من بذلك المكان ، فأنت مفردا مثلهم جميعاً . وهذا المعنى ينظر لقول
أبى نواس :

لَهْفَانِ يَسْتَوِي بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى
لَوْ لَمْ يُنْهِنِكَ الْحَجَى وَالشَّوْدُ^(١)
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا
فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْأَوْحَدُ^(٢)
وَصُنِ الْحَسَامَ وَلَا تَذِلْهُ فَإِنَّهُ يَشْكُو يَمِينَكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ^(٣)

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وعبارة الواحدى : المعنى أنهم لصغرهم في جنبك كأنهم لا وجود لهم : وإذا قدوا
كنت أنت كل من بذلك المكان ، ثم حقق هذا المعنى بالمصراع الثانى ، وأتى بكاف
التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ، ومعنى لا وجوداً :

(١) لهفان : حال من التاء في بقيت بينهم ؛ وأصل اللفف : حرارة الجوف من
شدة وكرب ونحو ذلك . والمراد باللففان هنا : الملتئذ غضباً . ويستوى : يستعمل ،
من الوباء ، وأصله يستوى ، تخفف للضرورة . والورى : فاعل يستوى ، والحجى :
العقل ؛ والسؤدد : السيادة . ونهيه : كفه ورده . من النهى . يقول : بقيت غضبان
حتى استوى الناس الغضب الذى بك : أى ظنوه وباء مهلكاً لهم ، لو لم ينهك سؤددك
وحملك عن إهلاكهم .

(٢) يقول : كن في أى موضع شئت من البلاد ، فإننا نتجمع ونصمد إليك ، فإن
الارض التى تعدو وروح عليها واحدة ليس هناك أرض غيرها ، وأنت أو حدها لا نظير
لك فيها ، وأذن لا مندوحة عن السفر إليك وإن طال ، لعدم وجود غيرك ممن يستأهل
أن يصمد إليه . وقال ابن جنى : فالأرض واحدة : أى ليس علينا للسفر مشقة لإلغنا إياه
قال العروضى : ليت شعرى : أى مدح للممدوح فى أن يألف التنبى السفر .

(٣) الإذالة : الامتهان والابتذال ؛ وصنه استره . والجماجم : جمع جمجمة ؛ وهى
قحف الرأس . يقول : لقد أكثرت من القتل ، فأغمد سيفك وكفى ما حصل ، فإن
سيفك يشكو يدك من كثرة ضربها به ؛ والجماجم التى حطمتها . تشهد له . وقال ابن جنى
صنه فإنه به يدرك الثأر ، وتحمى به الدمار . قال ابن فورجه : كيف أمن أن يقول
ما أذنته إلا لإدراك الثأر ، وإحساء الدمار ؟ وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبى

يَبْسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُنْمَدٌ^(١)
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ^(٢)
 مَا شَارَكْتُهُ مَنِيَّةً فِي مُهْجَةٍ إِلَّا وَشَفَرْتُهُ عَلَى يَدَيْهَا يَدٌ^(٣)
 إِنَّ الرِّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا حُلْفَاءُ طَى غَوْرُوا أَوْ أُتَجِدُوا^(٤)
 صِيحٌ يَا لِحُلْمَةِ تَحْنَبِكَ وَإِنَّمَا أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنَدٌ^(٥)

الطيب ، وإعما المعنى : أكثرت القتل فحسبك وأغمد سيفك ، فقال : من سيفك ، وإعما
 يريد أغمده .

(١) النجيع الدم . يقول : إن الدم حمد على سيفك حتى صار كالغمد له ، فيرى وهو
 مجرد كأنه منمد . . وهذا من قول البحري :

سُلبوا وأشرفت الدماء عليهم مُحَمَّرَةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا
 ومن قول الآخر :

وفرقت بين ابني هُشيمٍ بَطْنَةً لما عاندُ يكسو السليبَ لِإِزَارًا^(١)
 (٢) ريان - بالنصب - حال ، العامل فيه ببس ؛ وبالرفع : خبر مبتدأ محذوف .
 يقول : سيفك ريان فلو مع ما سقيته من دماء قلوب الأعداء لجرى منه بحر مزيد .
 يعنى أنك أكثرت به القتل .

(٣) النية : الموت ؛ والمهجة : الروح ؛ وشفرته حده . يقول : لم يشترك سيفه والنية
 في سفك دم إلا كان سيفه يبدأ ليد للنية : أى أنها تستعين به كما يستعين العامل بيده في
 العمل . وعبرة ابن جني : يعنى أن لسيفه الأثر الأقوى الأظهر في القتل .

(٤) الرزايا : جمع رزية ؛ وهى المصيبة . والقنا : الزماح ؛ والحلفاء : جمع الحليف
 وهو الصديق المحالف . وغوروا : تزلوا الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وأتجدوا :
 تزلوا النجد ، وهو الأرض المرتفعة . يقول : إن هذه الأشياء لا تفارقهم أينما تنفوا
 ويمموا : أى أنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم ، وعطايا لأوليائهم ، كما قال
 أبو تمام :

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ
 (٥) جلهمة : اسم طيء . وطىء لقب له . واللام : لام الاستغاثة . والواو - فى

(١) عند العرق : ضال فلم يكذب بقاء ، وهو عرق عثد . ودم غناد يسيل جانبا

مِنْ كُلِّ أَكْثَرٍ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ قَلْبًا وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِي أَجُودٌ^(١)

وإنما - للحال ، وأشفار العين : منابت الأهداب . يقول : إذا صحت يا جليهمة أسرع إليك وأحدث بك ، فهابك كل أحد ، حتى إذا نظرت إلى أي إنسان بعينيك فكأنك أشرعت إليه رماحا وسللت عليه سيوفا . ققامت أشفار عينيك مقام الدابل - الرمح - والهند - السيف . وقال الواحدى : كان الأستاذ أبو بكر يقول : يريد أنهم يتسارعون إليك ويملاؤن الدنيا عليك رماحاً وسيوفا . . هذا كلامه . وتحقيقه : حيثما يقع بصرك رأيت الرماح والسيوف فتصلاً من كثرتها عينيك ، وتحيط بعينيك إحاطة الأشفار بها ؛ وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

وإذا دُعوا لِنَزَالِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ سَتَرُوا شَعَاعَ الشَّمْسِ بِالْخِرْصَانِ
[الخِرْصَان : الرماح ؛ والخِرْصَان : الدروع] وقال سلامة بن جندل :

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحَ قَرْعٌ كَلَنَ الْمُصْرَاخُ لَهُ قَرْعَ الظَّنَائِبِ

« يقول سلامة : إذا أتانا مستتب كانت إغاثته الجدى نصرته ، يقال : قرع لذلك الأمر غلبته : إذا جد فيه . والظنبوب : هو طرف العظم اليابس من الساق ؛ فالشاعر حل قرع الصوت على ساق الخف في زجر الفرس قرعا للظنبوب »

(١) الجود : المطر الغزير ؛ والغواذى : السحاب المنتشرة صباحا . يقول - يصف رجال جليمة - : من كل رجل أكر قلبا من الجبال - يريد قوة قلبه وشدة - وأجود من مطر السحاب . وقوله أجود : خير مبتدأ محذوف : أى وهو أجود من جود الغواذى وقلبا : تمييز . هذا : وتهامة اسم مكة . وقال الجوهري : تهامة ، بلد : والنسبة إليها تهامى وتهام ، إذا فتحت التاء لم تشدد . كما قالوا يمان وشأم ، إلا أن الألف فى تهام من لفظها والألف فى يمان وشأم عوض من ياء النسبة قال ابن أحرر :

وَكُنَّا كَأَبْنَى سُبَاتٍ تَقَرَّقَا سَيَّوَى ثُمَّ كَانَا مُنْجِدًا وَتَهَامِيَا

وَأَلْقَى التَّهَامِي مِنْهَا بِلَاطَانِي وَأَحْلَطَ هَذَا لَا أَرِيْمُ مَكَانِيَا^(١)

وقوم تهامون : كما قالوا يمانون . وقال سيويه : من الناس من يقول تهامى ويمانى وشامى - بالفتح - مع التشديد ؛ وقد قلنا : الجود : المطر الغزير تقول : جاد المطر

(١) السبات : الدهر ، ولطاته : ثقله ، وأحلط هذا : أى أقام ، أو خلف مجتهداً ،

وَلَا أَرِيْمُ مَكَانِيَا : لَا أَبْرَحُهُ .

يَلْقَاكَ مُرْتَدِيًا بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطَّلَى وَالْأَكْبَدُ^(١)
 حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلَاهُمْ وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْخَلِيقَةُ أُعْبِدُ^(٢)
 أَنَّى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ^(٣)
 يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يَحِيطُ بِوَصْفِكَ
 أَيُحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَفْنَى^(٤)

يجود جودا فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب ، وقد جادت الأرض فهي مجودة : أى أصابها مطر جود : قال الراجز :

أَرْعَيْتَهَا كَرَمَ عُودٍ عُودَا الصِّلَّ وَالصَّنْصِلَّ وَالْيَعْنِيْدَا
 وَالْخَازِبَازِ السِّنْمَ الْمَجُودَا بَحِيْثُ يَدْعُو عَامِرُ مَسْعُودَا

الصل : نبت ، وكذلك الخازباز ، والصنصل ، واليعنيد : شجر ونبت سئم مرتفع وهو الذى خرجت سمنته ، رهو ما يعلو رأسه كالسنبل ، وعامر ومسعود : راعيان (١) بأحمر : أى بسيف أحمر . والباء متعلقة بيلقاك ، أو بمرتدياً ؛ ومن دم : صفة أحمر ، وخضرة السيف : لون فرده ، والطلّى : الأعناق . يقول : يلقاك كل منهم متقلدا سيفاً قد تلتطخ بدم الأعناق والأكباد ، فأحمر واستترت خضرته ، وذهبت بها الطلّى والأكبد . هذا : والأكبد : جمع كبد ؛ وقيل هو على هذا الجمع جمع كبد كعبد وأعبد وجمع كبد - بكسر الباء : أكباد وكبود كوتد وأوتاد .

(٢) يقول : حتى يشير الناس إليك فيقولوا هذا مولى طيء : أى رئيسهم وسيدهم ، وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم . ويروى بدل « حتى » أى هم حتى يشير الخلق إليك بأنك سيدهم وهم سادوا الناس .

(٣) وأبوك : مبتدأ ، ومحمد - خبره ، والثقلان أنت : جملة معترضة : يقول : كيف يكون آدم أباً الورى وأبوك محمد الطائى وأنت الثقلان . أى أنك جميع الإنس والجن ، جمع الله فيك ما فرقه فيهما من الفضل والكمال . روى أن أباً تمام قال لابن أبى داود - لما اعتذر إليه - أنت جميع الناس . ولا طاقة لى بنضب جميع الناس ؛ فقال له : ما أحسن هذا المعنى ! فمن أين أخذته . قال من قول أبى نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

(٤) ينفى : ينفى : قال ابن جنى : لو اتفق له أن يقول ما ينفى بما لا ينفى ، أو ما ينفى

وقال وقد وثى به قوم إلى السلطان فحبسه فكتب إليه من الحبس :
 أَيَا خَدَدَ اللَّهُ وَرَدَّ أُنْدُودٍ وَقَدْ قُدُودَ الْحَسَانِ الْقُدُودِ^(١)
 فَهَنْ أَسْلَنَ دَمَا مُقْلَبِي وَعَذَّبَنَ قَلْبِي بِطُولِ الصَّدُودِ^(٢)

بملا ينفد : لكان أحسن في صناعة الشعر ، وقد أتى بالمعنى مع اختلاف اللفظ ، وهو حسن جيد ، لأن ينفد : بمعنى ينفى .

(١) التخديد . الشق ، والتقد . القطع طولا . والحسان القدود ، إضافة لفظية ، مثل الحسن الوجه . يدعو على ورد الحدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع قدود الحسان القدود ؛ قال ابن جني . وهو دعاء على التعجب والاستحسان ، كقول جميل .

رمى الله في عيني بُشِينَةً بالقذى وفي المرء من أنيابها بالقوادح^(١)
 قال الواحدى . وهذا المذهب بعيد من قول أبي الطيب ، لأنه أخرجه في معرض المجازاة لما ذكر فيها بعد . يريد جزاءه من الله جزاء بما صنع من بالتخديد والتقد قال . وهنا مذهب ثالث ، وهو إيماء دعا على تلك المحاسن لأنها تيمته ، فإذا زالت زال وجده بها ، وحصلت له السلوة ، كما قال أبو حفص الشهرزورى .

دعوت على ثفره بالقلح وفي شعر طرته بالجلح^(٢)
 لعل غرامي به أن يقل فقد برحت بي تلك الملح
 قال العكبرى : والذي ذكره ابن جني أحسن ، لأن الحب لا يدعو على محبوه أبدا ، والذي أنشده الواحدى للشهرزورى ليس هو مما صدر عن حب : لأن الحب الصادق يقف عند المعاني لا عند المحاسن .

(٢) يقول : من أبكين عيني حتى بضت دما : وعذبني قلبي بنار الصد وهو عذاب

(١) يقال . قد أسرع في أسنانه القوادح . جمع قلدحة ، وهى الجرائم التى تأكل السن ، أو سواد يظهر في الأسنان .

(٢) القلح صفرة في الأسنان ، ووضغ يركبها ، والجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس .

وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ قَتَى مُدْنَفٍ وَكَمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدٍ^(١)
فَوَاحِشَرَتَا مَا أَمَرَ الْفِرَاقَ وَأَغْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكَبُودِ^(٢)

— لو علمت — أليم . هذا : ولك أن تجعل دما : مفعولا ثانيا لأسلن ومقلق مفعولا
أول ، ولك أن تجعله تمييزا مقدما ، قال العكبري النحوي الكوفي : وهذا جائز
عندنا ، وعند المازني والبرد من البصريين ، ومنعه باقيهم كقولك تصيب عرقا زيد
حجبتنا نقل وقياس ، أما النقل فقول الشاعر :

أَتَهْجُرَ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطْلُبُ^(١)

تقديره : وما كان الشأن والقصة تطيب سلمي نفساً ، فدل على جوازه ، وأما القياس
فإن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، ألا ترى
أن الفعل إذا كان متصرفاً — نحو ضرب زيد عمرا — يجوز تقديم معموله عليه ، فتقول :
عمرا ضرب زيد ؟ وحجة البصريين أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك أنه فاعل
في المعنى . فإذا قلت : تصيب زيد عرقاً فالتصيب هو العرق ، وكذلك لو قلت حسن زيد
غلاما : لم يكن زيد حظ في الفعل من جهة المعنى ، بل التفاعل في المعنى هو الغلام فلما
كان هو الفاعل في المعنى لم يجوز تقديمه .

(١) يقول : كم للهوى من شاب نال منه المرض كل الليل ، وكم للفراق من قتيل
شهيد ! يعني أن الحب يسقم ، والفراق يقتل ، وقال بعض الشراح : كم للفراق من قتيل
قد عف عن الحنا ، فكان موته لذلك شهادة ، هذا : والدنف : المرض الملازم الخامر
ورجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال : دنف لم
يشنه ولم يجمعه ولم يؤثته ، كأنه وصف بالمصدر ، ومن كسر ثنى وجمع وأنت : فقال رجل
دنف — بالكسر — ورجلان دنفان ، ورجال أدناف ، وامرأة دنفة ، ونسوة دنفات
وقد دنف المريض — بالكسر — أى ثقل ، وأدنف ، مثله ؛ وأدنفه ، يتعدى
ولا يتعدى ؛ والشهيد — في الأصل — من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم اتسع فيه
فأطلق على كل من يقتل مأجوراً .

(٢) الكبود : جمع كبد .

(١) للمخبل السعدي ، وسلي جاءت ليلى في بعض الدواوين ، والرواية الصحيحة

في البيت وما كان نفس بالفراق تطيب .

وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْمَاشِقِينَ وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ الْقَمِيدِ^(١)
وَأَلْمَجَ نَفْسِي لِغَيْرِ أَتْلَحَا بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالنُّهُودِ^(٢)
فَكَانَتْ وَكَنَّ فِدَاءَ الْأَمِيرِ وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِي مَزِيدِ^(٣)
لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوُعُودِ^(٤)
فَأَنْجَسُ أَمْوَالِهِ فِي النَّحُوسِ وَأَنْجَسُ سُؤْلِهِ فِي الشُّعُودِ^(٥)

(١) أغرى من غرى بالشيء : إذا أولع به . والصبابة : رقة الشوق ، والعميد : كالممود الذي أضناه العشق وهذه .

(٢) ألمج بالشيء يلهج لهجا : أولع به ؛ والحنا : الفحش ، وكلام خن ، وكلة خنية ؛ وقد خنى عليه - بالكسر - وأخنى عليه في منطقه : أخفى . قال أبو ذؤيب :

وَلَا تَخْنُوا عَلَيَّ وَلَا تَشْطُوا بِقَوْلِ الْفَخْرِ إِنْ الْفَخْرُ حُوبُ

(لا تشطوا : لا تبعدوا ولا تجوروا ؛ يقال : شط وأشط ؛ والحبوب : الهلاك والإثم والوحشة) وقوله بحب : متعلق بألمج ؛ واللمى : سمة في الشفة . يقول : ما أولع نفسي بحب السمر الشفاء ، الناهدات ، لغير الفحش والفجور .

(٣) كانت : أى نفسى - المذكور . في البيت السابق - واسم كن : يعود على ذوات اللمى ، وفي مزيد : خبر زال . يدعو للمدوح ، يقول : كانت نفسى وأجباى اللامى وصفتهن ، فداء له ، ولا زال في مزيد من النعم .

(٤) يقول : لا وعيد عنده للأعداء - وإنما يناجزهم بالسيف - ولا وعد عنده للأولياء - وإنما يبادرهم بالسيف والعطاء ، فهو يجعل ما ينوى فعله ، علما منه بما تؤول إليه الأمور ، وإقداما منه على مطالبه ، وإذن حال سيفه بينه وبين الوعيد وحال سيئه - بحصوله عاجلا - بينه وبين الوعود . هذا : والوعيد التهديد ، وهو يستعمل في الشر خاصة . والوعور : جمع وعد . وهو - وإن كان يستعمل الخير والشر : إلا أن المراد به هنا : الخير .

(٥) تفرع على عجز البيت السابق . يقول : إن أمواله في نحوس لأنه يفرقها ويسخو بها ، وسؤاله في شعود لأنه يذل أمواله لهم فيتنعمون بها ، ويتألون منه ما يقترون عليه ، وهذا كما يقول أبو تمام :

طَلَمْتُ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْحَسَ مَطْلَعِ

وَعِدَّتْ عَلَى الْأَمْوَالِ وَهِيَ سُودُ

(هـ النبي ٢)

وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ (١)
رَمَى حَلَبًا بِنَوَاصِي الْخَيْلِ وَسُمِرَ يُرْقَنَ دِمًا فِي الصَّعِيدِ (٢)
وَبَيْضِ مُسَافِرَةٍ مَا يُقَمِّنَ لَافِي الرِّقَابِ وَلَا فِي النُّمُودِ (٣)
يَقْدَنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرٍ الْقَدِيدِ (٤)
قَوْلِي بِأَشْبَاعِهِ انْخَرَشْنِي كَشَاءِ أَحْسَنَ بَرَارِ الْأُسُودِ (٥)
يُرُونَ مِنَ الذَّغْرِ صَوْتَ الرِّيحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفَقَ الْبُنُودِ (٦)

(١) يقول : إني إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التي لا ينجو منها أحد ، فأما أعداؤه فإنهم لا يصلون إليه بسوء فلو لم يكن خوفي عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود .
(٢) النواصي : جمع ناصية ، وهي شعر مقدم الرأس ؛ والسمر : الرماح والصعيد : وجه الأرض . يعني : أنه وجه إليها الجيش ورماحاً تريق دماء أعدائه على الأرض . وفي رواية : بنواصي الجياد .

(٣) البيض : السيوف . يقول : إنه لكثرة حروبه وغزواته لا تزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الأجنان - النمود - ومن الأجنان إلى الرقاب ، فليست لسيوفه إقامة في شيء من ذلك ، ولهذا جعلها مسافرة .

(٤) يقدن : أي الرماح والجياد والسيوف .

(٥) ولي : أدبر ؛ وأشباع الرجل : أتباعه ومشايخه الذين يطيعونه ؛ والشاء : جمع شاة ، وإنما قال أحسن على لفظه ، لأمعناه ، فلفظه الواحد ، وزئير الأسد صوته ، والخرشني هو بدر الخرشن ، أحد قواد الدولة العباسية ، وقد كان والياً لحلب ، وهو منسوب إلى خرشنة - بلد من بلاد الروم - يقول أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغتم حين تسمع صوت الأسد .

(٦) يرون - بضم الياء - أي يظنون ويخيل إليهم ؛ والضمير : للخرشني وأتباعه ؛ والذعر : الخوف والفرع ؛ وصوت الرياح : مفعول أول ؛ وصهيل الجياد : مفعول ثان ؛ والبُود : الرايات ، وخفقتها : اضطرابها . يقول : إنهم لشدة خوفهم - وهم هاربون - كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيل المدوح وراءهم وخفق راياتهم . وهذا من قول جرير :

مَا زِلْتُ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكْرَهُ عَلَيْكُمْ وَرِجَالاً

فَمَنْ كَالْأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الْأَمِيرِ أَوْ مَنْ كَأَبَائِهِ وَالْجُدُودِ^(١)
 سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْمُهُودِ^(٢)
 أَمَّا لِكَ رَقِيٍّ وَمَنْ شَأْنُهُ هَبَاتُ اللَّجَيْنِ وَعَتَقُ الْعَبِيدِ^(٣)
 دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ^(٤)
 دَعْوَتِكَ لَمَّا بَرَّانِي الْبَلَاءُ وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقْلُ الْخُلْدِيدِ^(٥)
 وَقَدْ كَانَتْ مَشِيهُمَا فِي النَّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشِيهُمَا فِي الْقِيُودِ
 وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفَلٍ فَهَذَا أَنَا فِي مَحْفَلٍ مِنْ قُرُودِ^(٦)

(١) من : استفهام معناه الإنكار . يقول : لا أحد مثله ولا مثل آبائه وجدوده .
 وقال ابن بنت الأمير لأن جده لأنه كان أميراً أيضاً : يعنى أن الإمارة انحدرت إليه
 من أبويه .

(٢) يقول : إنهم ورثوا المجد والسؤدد والجود عن آبائهم فحكم لهم بالمجد والجود
 والسؤدد وهم صغار على ما عهد من أجدادهم وآبائهم . هذا : والمعالي : جمع معلاة .
 وهي كسب الشرف . قال ابن برى : ويقال في واحدة المعالي : معلوه ، والصبيبة : جمع
 صبي ؛ والمهود : جمع مهد ؛ وهو مضجع الطفل .

(٣) الرق العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ؛ والعنق الحرية ، وهو
 اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . يقول : يامن يملك نفسى عبودية ويا من شأنه
 أن يهب الفضة ويعتق العبيد : دعوتك إلى آخر ما يلى ، وقوله ومن شأنه - بفتح الميم -
 اسم بمعنى الذى ، وشأنه : مبتدأ ، خبره : هبات . ورواها ابن جنى ، ومن شأنه ، جعلها
 جارا ومجرورا : فيكون خبرا مقدما ، وهبات : مبتدأ مؤخر .

(٤) الوريد : عرق في العنق يضرب مثلا في شدة القرب ، يقال : هو أقرب إليه
 من جبل الوريد .

(٥) البلاء : الامتحان ، والغم يلى الجسم ، وبراء : هزله وأخله ؛ وأوهنه :
 أضعفه والبلاء يروى البلى : أى الفناء .

(٦) المحفل : الجماعة يجتمعون في موضع ، وعنى بالقرود : المسجونين معه من
 اللصوص وأصحاب الجنايات الشقي الشكول . يقول : كنت أجالس أهل الفضل فصرت
 أجالس أوباش الناس .

تُعَجِّلُ فِي وُجُوبِ الْحُدُودِ وَحَدَى قُبَيْلِ وُجُوبِ الشُّجُودِ ^(١)
 وَقِيلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِينَ بَيْنَ وَلَادِي وَبَيْنَ الْقُودِ ^(٢)
 فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ وَقَدَرُ الشَّهَادَةِ قَدَرُ الشُّهُودِ ^(٣)
 فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَقْبَلَنَّ بِمَحَكِ الْيَهُودِ ^(٤)
 وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْنِ بَعِيدِ ^(٥)
 وَفِي جُودِ كَفِّكَ مَا جَدْتُ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثَمُودِ ^(٦)

(١) تعجل : أى أتسجل ؟ . فهو استفهام إنكارى - على تقدير الهمة - ويحتمل أن يكون خبراً ، والحدود : جمع الحد ، وهو العقوبة . وحدى : عطف على وجوب . يقول إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب على الصلاة بعد ، فكيف أحد ؟ قال ابن جنى : وليس يريد أنه فى الحقيقة صبي غير بالغ ، وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالى ، ألا ترى أن من كان صبيّاً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف ؟

(٢) عدوت - من العدوان - أى البنى . والولاد : الولادة . يقول : ادعى على الناس - وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدى بعد - أنى جرت وخرجت على الناس ...

يعنى أن الناس مفترون . يدفع بهذا عن نفسه الظنة .

(٣) يقول : إن الناس إنما شهدوا على زوراً فلم تقبل شهادتهم ، وقدر الشهادة على قدر الشاهد : إن كان الشاهد عدلاً : قبلت شهادته ، وإن كان من السفلة السقاط : ردت .

(٤) الكاشح : العدو الذى يضمر العداوة فى كسحه . ويقال ما عبأت به : أى ما باليت . وقوله بمحك اليهود : أى لجأهم ، وروى بمخل : وهو الكيد والسعاية . قال ابن جنى : جعل خصومه يهوداً ولم يكونوا فى الحقيقة يهوداً ..

(٥) دعوى - فى الموضعين - مضافة إلى الجملة المحكية ، والشأ والشوط والمسافة والغاية ، والباء متعلقة بفارقاً . يقول : إن بين دعوى من يقول : أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول : فعلت كذا ، بونا بعيداً فافرق بينهما لأنهم إنما ادعوا على أنى أردت أن أفعل ولم يدعوا على أنى فعلت ، وبينهما فرق ظاهر ، وكانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد .

(٦) ما - من قوله ما جدت لى - مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر وفى جود كفيك : خبر مقدم وأشقى ثمود : هو «قدار» عاقر ناقة صالح . يقول : إن جودك لى بنفسى هو فى جملة عطايا كفيك .

ونام أبو بكر الطائي وهو ينشد فقال :

إِنَّ الْقَوَافِي لَمْ تُنِكَ وَإِنَّمَا
مَحَقَّتْكَ حَتَّى صِرْتَ مَا لَا يُوجَدُ^(١)
فَكَانَ أَذْنُكَ فَوْكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وَكَأَنَّهَا مِمَّا سَكِرْتَ الْمُرْقَدُ^(٢)

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :

مُحَمَّدُ بْنُ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدًا
— إِذَا فَقَدْ نَاكَ يُعْطَى قَبْلَ أَنْ يَعِدَا
وَقَدْ قَصَّ دُنُوكَ وَالتَّرْحَالُ مُقْتَرَبٌ
وَالدَّارُ شَاسِعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا^(٣)
فَخَلَّ كَفِّكَ تَهْنِي وَاثْنِ وَابِلَهَا
إِذَا اكْتَفَيْتُ وَإِلَّا أَغْرَقَ الْبَلَدَا^(٤)

(١) يقول : إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا ، ولكن السبب أنك حسدتنى على شعري ، فمحققتك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم .

(٢) المرقد : ما إذا شربه الإنسان غلبه النوم . يقول : حين سمعت شعري ، نمت فكان ما سمعت منه بأذنك مرقد شربته بفيك ؛ وقوله مما سكرت : أى من أجل سكرتك : أى خدرتك وتفتركت : فما ؛ مصدرية .

(٣) الترحال ؛ الرحيل ؛ والشسوع ؛ البعد ؛ ونفد ؛ فرغ .

(٤) همى الماء ؛ سال ، وثناه صرفه ورده ، والوابل ؛ المطر الغزير ؛ يقول : أطلق يديك هامية بالعطاء ، واصرف عني معظم مطرها إذا اكتفيت ، يعنى أن فى قليل عطائها غناء وكفاية ، ولا حاجة إلى كثيرها الذى هو كالوابل يفرق البلد .

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحرى :

ما الشوقُ مُقْتَنِمًا مِنِّي بذا الكمدِ حَتَّى أَكُونَ بِلاَ قَلْبٍ وَلَا كَبِدٍ ^(١)
ولا الدِّيارُ الَّتِي كَانَ الحَبِيبُ بِهَا تَشْكُو إِلَيَّ وَلَا أَشْكُو إِلَيَّ أَحَدٍ ^(٢)

(١) الكمد : الحزن مع الهم : يقول : إن شوقى إلى الأحبة لا يقنع منى بهذا الحزن الذى أنا فيه حتى يحرق كبدى ويوله عقلى فأصير مجنوناً ذاهب العقل .

(٢) اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت : فقال بعض الشراح : يعنى أن دار الحبيب لا تشكو إلى إذ لا نطق لها ، ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبق بها ساكن ومن شأن المحزون أن يتأسى بسمع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه ، لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب . وقال ابن جنى : المعنى لم يبق فى فضل للشكوى ، ولا فى الديار لأن الزمان أبلاها ، قال ابن فورجه : ذهب ابن جنى إلى أن تقدير الكلام : ولا الديار تشكو إلى ، وقد علم أن الديار كلما كانت أشد دثوراً وبلى : كانت أشكى ، لما تلاقى من الوحشة بفراق الأحبة ، فكيف جعل الديار لا فضل فيها للشكوى ؟ وشكواها ليست بحقيقة وإنما هى مجازية ، وإنما تكون على ما ذكر لو أن شكواها حقيقة وكانت تقصر عنها لضعفها وبلاها ، كما يصح ذلك فى العاشق ، كقول البيهقي .

لم يبقَ لى رَمَقٌ أَشْكُو إِلَيْكَ بِهِ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ
وأيضاً لو كان كما ادعى لم يكن لعطف هذه الجملة على قوله « ما الشوق ، مقتنماً » معنى .
وإما عطفها عليها دل على أنها منها ؛ وإنما يعنى : لا الشوق يقنع منى بهذا الكمد ، ولا الديار التى كان الحبيب بها تقنع منى به . وتم الكلام بقوله : الحبيب بها ، ثم ابتدأ فقال هذه الديار تشكو إلى وحشتها بفراق أهلها ، ولا أنا أشكو إلى أحد : إما لجلدى ، أو لأنى كتوم لأسرازى ، فيكون قد نظر إلى قول القائل :

فإِنِّى مِثْلُ مَا تَجْدِينَ وَجَدِّى وَلَكِنِّى أَسِيرٌ وَتُغْلِبُنِينَا

قال الواحدى : يمكن توجيه المعنى من غير أن يتم الكلام فى الصراع الأول ، وهو أن يكون : ولا تقنع الديار التى كان الحبيب بها يشكو إلى : أى يطلعنى على أمره ، وأنا لا أفنى سرى ، على رواية يشكو - بالياء - ومن روى بالتاء كانت الديار الشاكية : يريد بلسان الحال مادفت إليه من الوحشة والخلاء ، فتشكو : يريد به الحال لا الاستقبال ولا أشكو إلى أحد ، لأنه ليس بها غيرى .

ما زالَ كُلُّ هَزِيمٍ الْوَدْقِ يُنْجِلُهُما
وَالشَّقْمُ يُنْجِلُنِي حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي ^(١)
وَكُلَّمَا فَاضَ دَمْعِي غَاضَ مُصْطَبِرِي ^(٢)
فَأَيْنَ مِنْ زَفَرَاتِي مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ^(٣)
لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا ^(٤)
وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ ^(٥)

(١) الودق : المطر ، وهزيم الودق ؛ يريد سبحانه هزيم الودق ، وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم عن مائه : ويقال غيث هزيم ومنهزم ، وأكثر ما يستعملان في صفة السحاب . وهو الذي لرعده صوت : يقال سمعت هزيمة الرعد ، ولا يستعمل في صفة الودق . وفي معنى البيت يقول محمد بن بكار الموصلي :

يَا مَنْزِلًا ضَنْ بِالْإِسْلَامِ سَقَيْتَ صَوْبًا مِنَ الْغَمَامِ
مَا تَرَكَ الْمَرْءُ مِنْكَ إِلَّا مَا تَرَكَ السَّقْمُ مِنْ عِظَامِي

ويقول ابن وهب :

لَيْسَا إِلِيلِي فَكأنمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْيَةِ مِثْلَ مَا أَجَدَا

وقال البحتري :

حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أَعْبَاءَ إِلِيلِي حَتَّى كَأَنَّ نَحْوَهُنَّ نَحْوِي

(٢) غاض : نقص ؛ والمصطبر : الاصطبار ؛ والجلد : القوة والصبر . يقول : كأن دموعي جارية من جلدي ، لأنني كلما بكيت نقص صبري ، فكان دموعي من صبري .
(٣) الزفرات : الأنفاس الحادة ؛ وكلف به : أولع ؛ ومن زفراتي : متعلق بمعنى أين ، تقديره : أبعد حبيبي من زفراتي أم قريب ؟ . يقول : أين من عشقته وأولعت به من معرفة ما بي من الشوق إليه والحسرة على فراقه ؟ وأين تقع من صولتك أيها الممدوح صولة الأسد ؟ أنكر أن يعرف الحبيب حاله ، وأن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح ، وفيه من البديع حسن التخلص .

(٤) يقول : لما رجعت كفتك - وقد وضعت الدنيا وأهلها في الكفة الأخرى - علمت أن الرزانة للفضل ، لا للأشخاص : أي إذا رجع الواحد على الكثير كان ذلك الكثير قليلا بالمقياس إلى ذلك الواحد الراجح . قال البحتري :

مَا دَارَ فِي خَلَدِ الْإِيَّامِ لِي فَرَحٌ أبا عُبَادَةَ حَتَّى دُرَّتْ فِي خَلْدِي ^(١)
 مَلَكٌ إِذَا امْتَلَأَتْ مَالاً خَزَائِنُهُ أَذَاقَهَا طَعْمَ مُكَلِّ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ ^(٢)
 مَا صِيَ الْجَنَانِ يُرِيدُ الْحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدٍ ^(٣)
 مَاذَا الْبَهَاءُ وَلَاذَا الثَّوْرُ مِنْ بَشَرٍ وَلَا السَّمَاحُ الَّذِي فِيهِ سَمَاحُ يَدٍ ^(٤)

ولم أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتتْ لدى المجدِ حتى عُدَّ أَلْفُ بَوَاحِدٍ
 (١) الخلد : البال والروع . يقول . لم يقع في قلب الأيام أن تسرنى حتى وقعت
 أنت في قلبي أن أصمد إليك . والمعنى : ما أقبلت على الدنيا حتى أملتك وقصدتك . وهذا
 ينظر إلى قول الآخر :

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسَلْمَى لَزَمَانٍ بِهِمْ بِالْإِحْسَانِ
 (٢) الشكل : فقد الأم ولدها . جعل الجزائن كالأم ، والمال كالولد . يقول : إذا
 امتلأت خزائنه بالمال فرق بينه وبينها ، فكأنها أم فقدت ولدها ؛ وهذا كقول
 أبي نواس :

إِلَى فَتَى أُمِّ مَالِهِ أَبْدَأَ تَسْعَى بِحَيِّبٍ فِي النَّاسِ مَشْقُوقِ
 (٣) الماضى : النافذ ؛ والجنان : القلب ؛ والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
 فيه بالثقة . يقول : إن حزمه في الأمور يريه في يومه ما يكون بعد الغد ، فيرى قلبه
 ما تراه عينه بعد غد : يعنى أنه يفتن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر :
 الْأَلْمِيءُ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
 ويقول أبو تمام :

وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظَّنُّونِ جَلِيَّةٌ حَقٌّ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونُ ^(١)
 ولقد كرر المتنبي هذا المعنى في شعره . والمراد بهذا كله : صحة الحدس وجودة الظن .
 (٤) ماذا : أى ليس هذا البهاء ولا هذا النور الخ . فماذا : مركبة من ما النافية وذا
 الإشارية ؛ والبهاء : الحسن ؛ وسماح : من رفعه فهو على جعل «ما» تيمية ؛ ومن رواء
 بالنصب جعله خبرا لما ، وهى مشبهة بليس . يقول : أنت أجل من أن تكون بشراً ،

(١) من مدحة له فى الواثق . . ولذلك : أى لأننا كنا رأينا فيه الخلافة وتفرسناها فيه .

أَيُّ الْأَكْفِ تُبَارِي الْغَيْثَ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعُدْ^(١)
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مُضَرٍ
 حَتَّى تَبَخَّرَ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْ أَدَدٍ^(٢)
 قَوْمٌ إِذَا أَمْطَرَتْ مَوْتًا سُيُوفُهُمْ
 حَسِبَتْهَا سُحْبًا جَادَتْ عَلَى بَلَدٍ^(٣)
 لَمْ أَجِرْ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ
 إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبَدِ^(٤)

لأن ما نشاهده فيك من الحسن والنور لا يكون في بشر ، وليس سماحك سماح يد ، وإنما هو سماح غيث وبحر . وكل هذا مبالة ، وفي معناه :

يَجْلُ عَنِ التَّشْبِيهِ لَا الْكُفَّ بَلَّةٌ وَلَا هُوَ ضَرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مَخْذُمٌ
 (١) باراه : عارضه وفعل مثل فعله . وقوله ما اتفقا : ما : مصدرية : أي مدة اتفاقهما ؛ وقد وقعت الجملة موقع الحال ، وضمير الثاني : يرجع إلى أي الأكف والغيث ؛ يقول : أي كف سوى كف هذا المدوح تبارى الغيث في الجود ما اتفقا ما طرين ، وإذا افترقا بإقلاع السحاب عادت الكف إلى عاداتها ولم يعد الغيث : يريد أن الغيث يمتطر ثم ينقطع ، وكفه تجود ولا ينقطع جودها ، فهي تزيد على الغيث . والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا ، أما الغيث فلا يعود عوده ، لأنه قد ينقطع زماناً طويلاً .
 (٢) مضر : هو ابن زرار بن معد بن عدنان . وتبحر . انتسب إلى بني بختر ؛ وهم حى من طيء من عرب اليمن . وأدد : ابن قحطان أبو اليمن : يقول : كنت أظن المجد مضرباً حتى شله المدوح إلى بني بختر ، فهو اليوم يبحتري أددى .
 (٣) يريد بالموت : الدم ، لأن سفوح الدم يسبب الموت ، وإذا أمطرت السيوف الدم فقد أمطرت الموت . شبهها - وهي تمطر الدم - بالسحب تجود بالمطر .
 (٤) يقول : لم أفكر في صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لا تنتهي كغاية الدهر .

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

أَحَادُ أُمِّ سُدَّاسٍ فِي أَحَادٍ لِيُئِيلَتَنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ^(١)

(١) أحاد : يريد أحاد ، خذف همزة الاستفهام للضرورة - وإن لم يكن بالفصح -
وأحاد من الأبنية التى سمعت عن العرب ، ومثلها ثناء ، وثلاث ، ورباع ، وقاسه المولدون
إلى العشرة ، قال الكميت :

فَلَمْ يَسْتَرِيثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرَّجَاءِ^(١) خِصَالًا عُشَارًا

(١) فوق الرجاء أى فوق الرجاء الذى كانوا يرجون أنك تبلغه

» من قصيدة للكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله .

رَجَوَكَ وَلَمْ يَبْلُغِ الْعُمُرَ سَنَكَ وَلَا نَبْتَ فَيْكَ اتْفَارًا

لَأُدْنَى خَسَا أَوْ زَكَ مِنْ سَنِكَ إِلَى أَرْبَعِ قَبَقُونَ^(١) اتْفَارًا

يقول : تبينوا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيداً أميراً
مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله ولا نبت فيك اتفارا أى أنفرت ولم
تنبت أسنانك بعد .

قال أهل اللغة : إذا سقطت روائح الصبي قيل ثغر فهو مشغور ، فإذا نبت قيل :
انفر ، وأصله انثغر ، فقبلت الثاء تاء ، ثم أدغمت .

وقوله : لأدنى خسا أوزكا ، فالخسا بفتح الحاء : الفرد « والزكا » بفتح الزاى :
الزوج و « خسارة » و « زكا » يونان ولا يونان .

والمعنى : أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة
أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للناس مادهم على ما رجوه منك
وتفرسوك عند كمال سنك .

وقوله : فبقون ، أى : انتظروك ، يقال : بقوت الشيء إذا انتظرتة .

واتظاراً منصوب بـ « بقون » لأنه فى معنى انتظروك انتظاراً ، ومعنى يستر يثوك
يحدونك راثاً أى بطيئاً ، من « الريث » وهو البطء .

ورميت زدت ، يقال رمى على الحسين وأرمى ، أى زاد .

يقول : لما نشأت نشء الرجال ، أسرعت فى بلوغ الغاية التى يطلبها طلاب المعالى ،
ولم يقنعك ذلك ، حتى زدت عليهم بشر خصال ، فقت السابقين وأياست الذين راموا أن
يكونوا لك لاحقين

ولا يستعمل أحاد في موضع الواحد ، فلا يقال هو أحاد - أى واحد - إنما يقولون جاءوا أحاد : أى واحداً واحداً ، وكذلك سداس. واللييلة : تصغير ليلة ، والمراد بالتصغير ههنا : التعظيم ، على حد قول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصغر منها الأنامل^(١)

(يعنى لبيد : الموت الذى هو أعظم الدواهي) والتنادى : يوم القيامة ، سمى كذلك لأن النداء يكثر في ذلك اليوم. قال الواحدى : أراد واحدة أمست في واحدة وست في واحدة - إذا جعلتها فيها كالشيء في الظرف ولم ترد الضرب الحسابى - سبع ، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعلها اسماً لليالى الدهر كلها لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر إلى آخر الدهر. يقول : هذه الليلة واحدة أم ليالى الدهر كلها جمعت في هذه الليلة الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وعبارة بعض الشراح : يقول : إن هذه الليلة منوطة بيوم القيامة ، فهي لطلوها بمنزلة ليالى الدهر كلها ، إلا أن كل واحدة من تلك الليالى طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال في ليلة - أى سبع ليال - يعنى أن ليلته دهر بلياليه ، وكل ليلة منه أسبوع ، وهى نهاية البالغة في الطول . وقال ابن جنى : يريد : ينادى أصحابه بما يهتم به ، ألا ترى إلى قوله :

• أفكر في معاقرة الناي •

وعلى هذا استطال الليلة التى عزم في صباحها على الحرب ، وهو قاً إلى ما عزم عليه ، وإنما حقر الليلة لعظم طولها ؟ ومنه قول الجباب بن المنذر الأنصارى .

(١) قبله :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم ألا كل ذى لب إلى الله وائل
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وقوله أنحب فيقضى ، فالتحب التذر . يقول : أشيء أوجه على نفسه فهو بسى في قضائه أم ضلال ؟ .

كَأَنَّ بَنَاتِ نَعَشٍ فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافِرَاتٍ فِي حِدَادٍ^(١)
أَفْكَرُ فِي مُعَاقَرَةِ النَّأْيَا وَقَوْدِ التَّخْلِيلِ مُشْرِقَةً لِمُهَادِي^(٢)

* أَنَا جُذَيْلُهَا الْحَكْلُكَ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ^(١)

أقول : وهذا البيت على غموضه وقبحه وأخطائه - لا يخرج عن معنى قوله :
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَانَ أَوَّلَ يَوْمِ الْحَشْرِ آخِرُهُ
(١) بنات نعش : كواكب معروفة . وقوله في دجاءها : حال من بنات نعش ، عاملها
معنى التشبيه ، والضمير في دجاءها : لقوله ليلتنا . والخرايد : العذارى لم يمسسن ، أو
الحيات الطويلات السكوت ؛ والسافرات : الكاشفات عن وجوههن ؛ والحداد : ثياب
سود تلبس عند الحزن ؛ وقوله في حداد متعلق بسافرات ، أو حال من الضمير للستر
فيها . شبه بنات نعش - وهى مضيئة في سواد الليل - بالحسان السافرات في اثياب السود
قال ابن جني : لما شبهن بيباض النجوم في سواد الليل كان حقّه أن يذكر جوارى أيضا .
والخرد ليس من البياض في شيء ، إلا أنه في الأمر الغالب إنما يكون للبعض دون السود
الآ ترى أن السود فيهن التبذل ؟ وأراد شيئا ، فذكر ما يصحبه مستدلا عليه ، فشبه
بنات نعش في ظلمة الليل بوجوه جوار سافرات في ثياب سود . قال الواحدى : ولعله
أراد أن الحياء يكون في البياض دون السود ، والبيت من قول ابن المعتز :

وَأَرَى الثَّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا خُرُودٌ تَبَدَّدَتْ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ

(٢) معاقرة للنأيا : أى ملازمتها ، وأن يكون معها في مقر دارها ، وهو للمرك ،
يعنى ملازمة الحروب ، ومشرفة المهادى : أى طوال الأعناق حال ، وهى نسكرة ، لأن
اسم التماثل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال : لم يعرف بالإضافة إلى المعرفة ، لأن الإضافة
فيه ينوى بها الاتصال . يقول : طالت على هذه الليلة مما أفكر في الحرب ، وقود الخيل
إلى الأغداء .

(١) الجذل ههنا : الأصل من الشجرة ، تحتك به الإبل فتشتق به : أى قد جرتنى
الأمر ، ولّى رأى وعلم يشتق بهما ، كما تشتق هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ والعذيق .
تصغير عذق - بالفتح - وهو النخلة ، والترجيب : إرفاد النخلة من جانب لجنبها من
السقوط : أى أن لى عشيرة تضدنى وتمعننى وترفدنى .

زَعِمُ لِقَنَا الْخَطِيءُ عَزَمِي بَسَفِكَ دَمَ الْخَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي ^(١)
إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفُ وَالتَّوَانِي وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي ^(٢)
وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي بِبَيْعِ الشُّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ ^(٣)
وَمَا مَاضِيَ الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادٍ ^(٤)
مَتَى لَحِظْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي فَقَدْ وَجَدْتُهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ ^(٥)

(١) زعيم : أى كفى ، خبر مقدم عن عزى . واقنا : الرماح . والخطي - النسب
إلى الخط - موضع بالجماعة ؛ وقوله دم الخواضر والبوادي : أى دم سكتنهما ، وهما جمع
حاضرة وبادية ، والحاضرة : اسم يقع على المدن والقرى والريف ، ومساواها البادية ، وهى
الصحراء . يقول : عزى كفى بسفك دم الناس جميعاً : حاضرم والباد .
(٢) التمادى فى الأمر : بلوغ مداه ، والتمادى فى التمادى : أن يتتابع تمارده . يقول :
إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالى وأقصر فى ذلك ؟ وإلى كم أتمادى فى التقصير تماذياً
متتابعاً ؟

(٣) كسد الشيء : لم ينفق لقلة الرغبة فيه . يقول : وإلى كم أشغل نفسى عن طلب
للمعالى بنظم الشعر فى مدح من لا قيمة عنده للشعر :
(٤) هذا كما قال :

* ولكن ما يمضى من العيش فانت *

يريد التحريض على طلب المعالى : أى أطلب الأهم فالأهم ، فإن أيامك لنهب عمرك .
وروى ابن حنبل بمستعاد - بدل بمستعاد .

(٥) يقول : متى رأت عيني بياض الشيب فى شعري فكأنى وجدته فى سوادها
كراهية له ، وإذا أبيض سواد العين عمى صاحبها ، فكأنه يقول الشيب كالمعى ؛ وعجابه
ابن جنى : كأن ما فى وجهه من الشيب ثابت فى عينيه ؛ وعجابه الخطيب التبريزى : إذا
لحظت بياض الشيب ، فكأنما لحظت به بياضاً فى العين ، ولا يمكنه أن يلحظ سواد
عينيه إلا فى المرأة ، ولولا أنه بين سواد العين للحل على سواد القلب لاحتماله ذلك . وهذا
من قول أبى دلف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيضاء قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي نَاضِرِ الْبَصَرِ
وَيَقُولُ أَبُو تَمَامَ :

لَهُ مَنظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

مَتَى مَا زِدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي أَرْضِي يَادِي (١)
 أَرْضِي أَنْ أَعِيشَ وَلَا أَكْفَى عَلَى مَا لِلْأَمِيرِ مِنَ الْأَيَادِي (٢)
 جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ (٣)
 فَلَمْ تَلَقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنَسِي وَفِيهَا قُوْتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ (٤)
 أَلَمْ يَكْ يَنْنَنَا بَلَدٌ بَعِيدٌ فَصَبَرَ طَوْلُهُ عَرْضَ النَّجَادِ (٥)
 وَأَبْعَدَ بُسْدَنَا بَعْدَ التَّدَانِي وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ (٦)

(١) يقول : إذا بلغ الشباب نهايته ، فزيادة العمر بعد ذلك وفور نقصان لما هناك من ضعف الشيخوخة ؛ وهو معنى بديع تعاوره الشعراء ، قال عبد الله بن طاهر :
 إذا ما زَادَ عُمرُكَ كَانَ نَقْصًا ونقصانُ الحياةِ مَعَ التَّامِّ
 وقال آخر :

إذا اتَّسَقَ الْهَلَالُ وَصَارَ بَدْرًا تَبَيَّنَتِ الْحَقَاقِ مِنَ الْهَلَالِ
 (٢) الأيادي : النعم . يقول : كيف أَرْضَى بِحَيَاتِي وَلَا أَجْزَى الْمَدُوحِ عَلَى مَا لِعِنْدِي
 من سالف النعم التي أسداها إلى ؟

(٣) المزاد : جمع مزادة ، وهي قربة الماء . يقول : إن إبلنا قد أضناها السير ، وهزلها
 حتى تركها كالمزاد التي كانت معنا ونقد ماؤها ، فجفت لطول السفر ، وعبارة ابن جني :
 يريد : قد هزلها وأضناها السير حتى صارت كالمزاد البالي ، لحذف الصفة ، قال ابن فورجه
 لا دليل على حذف الصفة ، وإنما أراد كالمزاد التي نعملها في مسيرنا إذ قد خلت من الماء
 والزاد لطول السفر . والألف واللام - في المزاد - للعهد ، والمعنى : إن المسير إليه أذهب
 لحوم المطايا ، وأفنى ما تزودنا من ماء وزاد ، فلم يبق من المطايا لحم ، ولا في المزاد زاد .
 (٤) العنس : الناقة الصلبة . والقراد : دويبة تلزق بالابل ونحوها - كالقمل
 للإنسان - يقول : لم تصل ناقتي إلى هذا المدوح إلا بعد أن أضناها السير حتى لم يترك
 فيها من الدم ما يقوت القراد :

(٥) الضمير في صير : للمسير . والنجاد : حمائل السيف ، والمراد بالبلد هنا : المفازة
 يقول : إن المسير أدنانى إليه حتى لم يبق بيني وبينه إلا مقدار عرض حمائل السيف .
 وهو غاية القرب ؛ والعرب تقدر في القرب : بقباب القوس وحمائل السيف .
 (٦) الضمير في الفعلين للمسير ، والمصدر الاول - في كل من الشطرين - مفعول به

فَلَا حِشَّةُ أَعْلَى مَحَلِّي وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ (١)
تَهَلَّلْ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَالَّتِي مَالَهُ قَبْلَ الْوَسَادِ (٢)
تَلُومُكَ لِي عَلَى لَفْزِ ذَنْبٍ لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ (٣)
وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هَبَاتِكَ أَنْ يُنْقَبَ بِالْجَوَادِ (٤)

والصدر الثاني : مفعول مطلق . يقول : إن السير أبعد ما كان بيننا من البعد ، فجعله كبعد التداني الذي كان بيننا ، وقرب قربنا ، فجعله مثل قرب البعاد الذي كان بيننا : أي قربني إليه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد ، فجعل البعد بعيداً عنى وجعل القرب قريباً منى . وحاصل المعنى : أننا كنا في غاية البعد فصرنا في غاية القرب . قال المكبرى : قال الحكيم أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام ، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام ، ثم قال المكبرى : وأخذت المعنى فقلت :

وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ قَلْبُهُ عِنْدَكَ نَازِحٌ وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَلْبُهُ بِكَ مُفْرَمٌ
(١) يقول : رفع منزلي في مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأتى به فوق السموات السبع . والشداد : التفتنة المحكمة الصنعة .
(٢) تهلل : تلاً وأوجه واستبشر برؤيى . والوساد : ما يتكا عليه . ومثل هذا قول الآخر :

إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقِ وَالْبُشْرِ
والمصراع الثاني من قول على بن جبلة :
أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَمْدِ مُبْتَدَأًا عَطِيَّةً كَافَاتٍ مَذْحِيٍّ وَلَمْ تَرْنِي
مَا شِئْتُ بَرَقَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيْقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجُدْوَى تَبَادَرْنِي
فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلْقِيحُ مَذِجٍ وَنَجْوَى شَاعِرٍ فَطِنِ
شُكْرٍ لَتَعْجِيلِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ مَنِّ عِنْدِي وَشُكْرٍ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(٣) زريت على العباد : أى حقرت أفعالهم ومناقهم بزيادتك عليهم .
(٤) هباتك . فاعل تجود ، وأن يلقب : مؤول بمصدر فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر . يقول : إن هباتك لا تجود على أحد بلقب الجواد لأنه لا يستحق هذا اللقب غيرك لأن جودك فوق كل جود .

كَأَنَّ سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخَشَّى إِذَا مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ اِرْتِدَادٍ^(١)
كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُمُونَ ، وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ^(٢)
وَقَدْ صُفِّتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَأَ يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ^(٣)

(١) حلت : تحولت وتغيرت . يقول : إنك تدين بالسخاء وتمتدده كما تدين بالإسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة ، فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة التي عقابها القتل ودخول النار . وهذا كقول أبي تمام :

مَضَوْا وَكَأَنَّمَا الْمَكْرُمَاتُ لَدَيْهِمْ - لِكثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِمْ - شَرَائِعِ
ثُمَّ قَلْبُهُ قَقَال :

كَرَّمُ تَدِينُ بِحُلُوهِ وَبِمُرِّهِ فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ
(٢) الهام : الرؤوس ، والهيجا : من أسماء الحرب ؛ تمد وتقصر ، وطبع السيف :
طرقه وعمله . جعل الرؤوس في الحرب كالعيون ، وجعل سيوفه كالرقاد يقول : إن
سيوفك لاتقع إلا على الهام ولا تهل إلا في الرؤوس : كالنوم محله في الجسد : العين . أو
تقول : إن سيوفك ألقت الرؤوس ألفة الرقاد للعين ، فلا تهل إلا فيها ، وعبرة الخطيب
البريزي : سيوفك كالرقاد ، فلا تمنع منه العيون ، بل تطأ عليها : حبت أم كرهت .
(٣) الأسنه : نصال الرماح . ويخطر : إما بضم الطاء على إرادة المموم ، وإما
بكسرها على إرادة الرماح . يقول : إن أسنتك لاتقع إلا في قلوب أعدائك ، كأنها
المموم لاهل لها غير القلوب ، والبيت منقول من قول أبي تمام :

كَأَنَّهُ كَانَ تَرَبَّ الْحَبِّ مُذْ زَمَنِ فَلَيْسَ يَحْجُبُهُ خِلْبٌ وَلَا كِبْدٌ^(١)
وفي معنى البيت يقول دجبل في سيدنا علي :

كَأَنَّ سِنَانَهُ أَبْدَأُ ضَمِيرٌ فَلَيْسَ لَهُ عَنِ الْقَلْبِ انْقِلَابُ
وَصَارِمُهُ كَبَيْعَتُهُ يَحْمُ فَوْضِعُهَا مِنَ النَّاسِ الرَّقَابُ^(٢)

(١) الخلب : حجاب القلب ، وقيل حجاب ما بين القلب والكبد ، ومنه قيل
للرجل الذي يحبه النساء إنه لخلب نساء : أي يحبه النساء .

(٢) خم — بضم الخاء ، وقيل بفتحها — موضع بالجلفة ، بين مكة والمدينة ،
قضبت فيه عين هناك .

وَيَوْمَ جَلَبَتَهَا شُعْتَ النَّوَاصِي مُعَقَّدَةَ السَّبَابِبِ لِلطَّرَادِ (١)
وَحَامَ بِهَا الْمَلَاكُ عَلَى أَنْاسٍ لَهُمْ بِاللَّادِقِيَّةِ بَنَى عَادِ (٢)
فَكَانَ الْغَرْبُ بَحْرًا مِنْ مِيَاهٍ وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ جِيَادِ (٣)
وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ
فَقُلْ يَمُوجُ بِالْبَيْضِ الْحِدَادِ (٤)

ويقول منصور النمرى :

وَكُنْ مَوْقِعَهُ بِمُجْمَعَةِ الْفَتَى سُكْرُ الْمَدَامَةِ أَوْ نُعَاسُ الْمَاجِعِ
ويقول مهمل :

الطَّاعِنُ الطَّمَنَةَ النُّجْلَاءُ تَحْسَبُهَا نَوْمًا أَنَاخَ بِحَفْنِ الْعَيْنِ يُغْفِيهَا
بِلَهْذَمٍ مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ صِفَتُهُ فَلَيْسَ يَنْفَكُ يَجْرَى فِي مَجَارِيهَا

(١) الضمير في جلبتها : للخيول ، وإن لم يجر لها ذكر . لدلالة القرائن عليها ؛
والأشعث : الغبر ، والنواصي : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس وجعلها شعث
النواصي لمواصلة السير عليها والحرب والغارة ؛ والسباب : شعر العرف والذنب . وهذا
الشعر يقعد عند الحرب ، كما قال :

عَقَدُوا النَّوَاصِيَ لِلطَّمَانِ فَلَا تَرَى فِي الْخَيْلِ - إِذْ يَمْدُونَ - إِلَّا أَنْزَاعًا

وقوله ويوم إلخ : أى أذكرك ذلك اليوم ، قال العكبرى : المعنى ويوم جلبت الخيل
للقتال مغبرة من كثرة الطراد عليها ، وقد عقدت نواصيها وأذانبها ، يومئذ ظفرت
بمطلوبك من الأعداء .

(٢) حام : دار ، من قولهم : حام الطير حول الماء : أى دار حوله ليشرب منه ؛
والباء في بها : متعلقة بحام والضمير : للخيول ، والبني الظلم : يقول : دار الهلاك
بخيالك على أناس بغوا باللاذقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم .

(٣) يقول : إن الأعداء وقعوا بين بحرَيْن : أحدهما من الجانب الغربى ، وهو بحر
الماء — لأن اللاذقية على ساحل البحر — والآخر من الجانب الشرقى ، وهو جيش
المدوح ، شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الأسلحة .

(٤) فيه : أى في بحر الجياد ، والبيض : السيوف ، والحداد : الرقاق ، يقول
اضطربت الأعلام في هذا البحر — بحر الجياد — وتحركت لك — لا عليك —
فظل ذلك البحر يموج ويتحرك بالسيوف .

لَقَسَّوْكَ بِأَكْبَدِ الْإِبِلِ الْأَبَايَا فَسَقْتَهُمْ وَحَدَّ السَّيْفِ حَادٍ^(١)
 وَقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ النَّعْيِ عَنْهُمْ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرِّشَادِ^(٢)
 فَمَا تَرَكَوْا الْإِمَارَةَ لِاخْتِيَارٍ وَلَا انْتَحَلَوْا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادٍ^(٣)
 وَلَا اسْتَفَلَوْا زُهْدًا فِي التَّعَالَى وَلَا انْقَادُوا سُورًا بِانْقِيَادٍ^(٤)
 وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فِي حَشَائِهِمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رَجُلِ الْجَرَادِ^(٥)
 وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمْ فَلَمَّا مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ^(٦)
 غَمَدَتِ صَوَارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبُوا مَحْمُوسَةً بِهَا نَحْوُ الْمَدَادِ^(٧)

(١) الأبايا : جمع الآية ، أى الآية الممتعة . يقول : لتوك عاصين غليظة أكبادهم
 كما كباد الإبل التى تأبى على أربابها ولا تنقاد لهم ، فذللتهم وسقمتهم أمامك كما تساق
 الإبل ، وحاديهم الذى يسوقهم هو حد سيفك ، والإبل توصف بغلظ الكبد كما قال :
 * لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

(٢) يقول : أخرجتهم من صلال العصية إلى رشد الطاعة . وفيه من البديع المقابلة
 بين النعى والرشاد .

(٣) استعمل الشيء : ادعاء . يقول : إنك اضطرتهم إلى ترك الإمارة فتركوها
 خوفاً ، وادعوا جبك ادعاء ، لا لأنهم يودونك حقيقة .

(٤) استفلوا من السفال : أى تسفلوا وانخطوا ؛ وانقادوا : أطاعوا .

(٥) هب : ثار واضطرب . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . والرجل من الجراد
 القطعة منه . يقول : إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك رغبة في فعله ولكن لأن ريح الخوف
 عصفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رجل الجراد .

(٦) يقول : ماتوا خوفاً منك قبل أوان موتهم ، فلما مننت بالعمو عنهم كان ذلك
 إحياء لهم قبل يوم البعث : وهذا منقول من قول أبى تمام .

مَعَادِ الْبُعْثِ مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ

نَدَى كَفَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادِي

(٧) الصوارم : السيوف القواطع . والمداد : الخبر ، بقول : سللت عليهم سيوفاً ،
 فلما عفوت عنهم أغمدتها ، ولو لم يتوبوا وينقادوا لك لهُونهم نحو المداد .

وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى
بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْعُكْرَمِ التَّلَادِ (١)
فَلَا تَقْرُوكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبُنَّ أَفْئِدَةً أُعَادِي (٢)
وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْنِي لِبَاكِ بَكَى مِنْهُ وَيَرَوَى وَهُوَ صَاد (٣)
فَإِنَّ الْجَرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادِ (٤)
وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادِ
وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادِ (٥)

(١) الطرّيف : المستحدث . وانتصف منه : استوى حقه ، والتلاد : القديم . يقول
إن الغضب الحادث وإن كان قويا نزاعا إلى الانتقام لا يغلب الكرم القديم الذى يقتضى
العفو والصفح ، فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

(٢) موال : جمع مولى ، وهو الولي والصديق . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك
اللؤدة والمحبة وقلوبهم تضمر لك العداوة ، يريد لا تغتر بذلك ، لأن تلك الألسنة الموالية
تقلبها أفئدة معادية .

(٣) رثى له يرثى : إذا رحم : وإنسدى : العطشان . يقول : كن قاسياً عليهم
كالموت لا يرحم الباكي من خوفه ؛ ويروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان
لحرصه على الإهلاك . وقال ابن جني : كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد ، أى لطلب
النفوس ؛ ومعنى يروى : ينال مالهو أدركه لروى ؛ وفي معناه :

* كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِىٌّ وَلَا شَيْعُ *

(٤) نفر الجرح : هاج وورم بعد البرء . وقوله إذا كان البناء على فساد : أى إذا
ثبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد . يقول : إنهم يطوون العداوة في أنفسهم إلى أن
تمكنهم الفرصة . وهذا من قول البحترى :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيِّبِ
قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : إذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد
أقرب إليه من الصلاح .

(٥) الجماد : الصخر ؛ والزناد : جمع زند ، وهو العود الذى تقدح بالنار .
يقول : إن العداوة تكمن في اللؤدة كمن النار في الزناد والماء في الجماد . كما قال
نصر بن سيار :

وَكَيْفَ يَبِيْتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ فَرَشْتَ لَجْنِبِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ^(١)
 يَرَى فِي النَّوْمِ رُمَحَكَ فِي كَلَاهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ^(٢)
 أَشْرْتَ أَبَا الْحَسَنِ بِمَذْحِ قَوْمِ
 نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ^(٣)
 وَظَنُّونِي مَدَحْتُهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمْ مُرَادِي^(٤)

وَإِنَّ النَّارَ بِالزَّنْدَيْنِ تَوْرِي وَإِنَّ الْفِعْلَ يَقْدُمُهُ الْكَلَامُ
 وكل هذا تحذير له من أعدائه ، أن لا يفعل عنهم ، وإن لم يكونوا أكفاء له .
 وعبرة ابن جني : الأشياء تكمن وتستتر ، فإذا استترت ظهرت .

(١) يريد بالجبان : عدوه ؛ والقناد : شجر له شوك . يقول : إن خوفه إياك
 يحول دون نومه ، كما لو فرشت له شوك القناد ، وعبرة بعض الشراح كيف يبيت عدوك
 مضطجعا . وكما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القناد ، من خوفك .
 يعني : أنه لا يزال متيقظا لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد لك ودفع خوفك عنه .
 (٢) يقول : لشدة ارتباعه وذعره يراك في نومه كأنك طعنت كليتيه برمحك ، فهو
 يخشى أن يرى ذلك في اليقظة ، كما قال أشجع السلمي :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ ضَوْءِ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سُيُوفُكَ الْأَحْلَامِ

ولقد قصر أبو الطيب في تعبيره عن اليقظة بالسهاد ، لأن السهاد امتناع النوم ليلا ،
 ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهدا .

(٣) و (٤) يقول : مدحت قوما أشرت على — يا أبا الحسين — بأن أمدحهم ،
 فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودوني شيئا ، وظنوا أني كنت أمدحهم وأثنى عليهم
 بذلك المديح ، مع أني إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء . وفي هذا المعنى
 يقول أبو نواس :

وَإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لِفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تَنْفَعِي

ويقول كثير :

مَتَى مَا أَقْلُ فِي آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فَمَا هِيَ إِلَّا لِابْنِ لَيْلَى الْمَكْرَمِ

وقد ذهب إليازجي — بعد أن اعترف بأن الرواية أشرت : بفتح الشين والثناء

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَعَادٍ
وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ^(١)
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتُ رِكَابِي
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ^(٢)

— إلى أن أظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء ، من الأشهر ، وهو الفرح بالشيء والاعتدار به ، كأنه يقول : إني اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً ، وهو حسن في ذاته ، إلا أنه يقتصر إلى ثبت .

(١) العدو الذهاب صباحاً ، ثم كثر حتى استعمل في مطلق الذهاب : أي وقت كان والفناء : الساحة والمزل . يقول : إني مرتحل عنك ، وقلبي مقيم عندك . قال العكبري وما أحسن ما قال عن فنائك ولم يقل عنك . وهذا كقول أبي تمام :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَعْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
(٢) يقول : حيثما توجهت فأنا محبك ، وحيثما كنت فأنا ضيفك ، لأنني إنما آكل مما أعطيتني وزودتني ، وهذا من قول أبي تمام :

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَرَيْنَ جَدِّكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وقال يمدح بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني ، وهو يومئذ يتولى حرب طبرية
من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨

أَحْلَمًا نَرَى أُمَّ زَمَانًا جَدِيدًا أُمُ الْخَلْقِ فِي شَخْصٍ حَتَّى أُعِيدَا^(١)
تَجَلَّى لَنَا فَأَضَاءَنَا بِهِ كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُوءًا^(٢)
رَأَيْنَا بَيِّدِرٍ وَأَبَاهُ يَبْذُرُ وَلُودًا وَبَذْرًا وَلِيدًا^(٣)

(١) أم الأولى : متصلة معادلة للهمزة على معنى أى ، كأنه قال : أى هذين نرى ؟
فهو الآن مدح وقوع أحدهما لا محالة ؛ فجرى ذلك مجرى قولك أزيداً ضربته أم عمرأ :
أى لست أشك فى ضربك أحدهما ، ولكن أيهما هو . وأم — الثانية — منقطعة ،
وهى للاضراب — بمعنى بل — مع الاستفهام ؛ والخلق : مبتدأ ؛ وجملة أعيدا : خبر
يتعجب من جمال زمان المدوح . يقول : أهذا الذى نراه حلم أم صار الزمان جديداً ؛
فهو غير ما نعهده ؟ وانقطع الاستفهام ثم قال : بل أعيد الخلق — الذين ماتوا من قبل
— فى شخص رجل حى — وهو المدوح — أى جمع فيه ما كان لهم من الفضائل
والكأرم وسائر المعاني المحمودة ، فكأنهم أعيدوا فى شخصه ، كما قال أبو نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

(٢) أضاء : يكون لازماً ومتعدياً . يقول : ظهر لنا هذا المدوح فسرنا به فى
الضوء : يعنى أعدتنا سعادته ، كالنجوم التى تسعد بروجها ،

(٣) ولوداً : أى والدآ ؛ ووليداً : أى مولوداً . يقول : رأينا برؤية بدر بن عمار
بدرأ مولوداً ، وبرؤية آبائه والدآ لبدر ؛ وعبارة الواحدى : رأينا برؤية بدر وآبائه
والدآ للقمر وقرأ مولوداً . جعله فى الضياء . والشهرة والعلو والحسن كالقمر ، والقمر
لا يكون مولوداً ولا والدآ ، فجعله كالقمر المولود وأباه كالوالد للقمر ، وعنى بالبدرين
الآخرين : قمرين ، ولو أراد بهما اسم المدوح : لم يكن فيه مدح ولا صفة . قال :
ويقال الإشارة فى هذا إلى أن المدوح فيه معانى البدور من الضوء والحسن والكمال
لا معانى بدر واحد . وعبارة ابن جنى : رأينا هذا المدوح وأباه قد ولد منه قمر فى
الحسن ، فكأنه قد صار للقمر والدآ ؛ ورأينا هذا المدوح قرأ وليداً ، والبدر
لا يكون والدآ ولا مولوداً حقيقة ، ولكنه أراد الإغراب وحسن الصنعة فكأنه قال
أنت قمر وأبوك أبو القمر .

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِي رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا الشُّجُودَ^(١)
 أَمِيرُ أَمِيرٍ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بِخَيْلٍ بَأْنٍ لَا يَجُودُ^(٢)
 يُحَدِّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهَا كَانَ لَهُ مِنْهُ قَلْبًا حَسُودًا^(٣)
 وَيُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَفِرَّ وَيَقْدِرُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَزِيدَ^(٤)

(١) يقول : رضينا أن نسجد له لا مستحقاه غاية الخضوع منا له ؛ فلم يرض ذلك ؛
 فتركنا ما رضينا له — وهو السجود — طلباً لرضاه .

(٢) أمير خبر مبتدأ محذوف أى هو أمير ؛ وأمير الثانى خبر مقدم والندى مبتدأ
 مؤخر . أى هو أمير ، الندى أمير عليه ، أى ملك عليه أمره فلا يعصيه ، أى لا يكون
 بخيلاً ألبتة ؛ ثم قال : وهو جواد بكل شئ إلا بأن يترك الجود ، فإنه لا يجود بهذا الترك
 والمصراع الأول من قول النمرى :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِيكَمَا فَإِذَا النَّدَى عَلَيْكَ — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — أَمِيرٌ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

إِلَّا إِنْ النَّدَى أَضْحَى أَمِيرًا عَلَى مَالِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ

(٣) يقول : لا يجب أن يمدحه أحد بحضرته تنزها عن ذلك المدح ، كأن له من
 نفسه قلباً يحسده ، فلا يجب إظهار فضله ومناقبه ، كما قال :

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ تَأْتِي النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتُكْرَهُ
 وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَكَاثِمًا نَافَسْتُ قَدْرَكَ حَظُهُ

وَحَسَدْتُ نَفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

اجتمع التنبي وأبو تمام في حسد النفس والقلب ؛ فأبو تمام يقول كأنك نافست
 قدرك وحسدت نفسك فطفقت تباهى في الشرف ، وتزيد على كل غاية تصل إليها ، وإن
 كنت مفرداً فيها ليس لك فيها شريك ؛ وأبو الطيب يقول : كأن قلبك يحسبك على
 فضائلك ، فهو يكره أن تشتغل بذكرها ، وهذا نوع آخر من المديح لكنهما اجتماعاً
 في حسد النفس والقلب .

(٤) يقول : يقدم على كل عظيم إلا على الفرار في الحرب ، فهو أهول عنده من كل

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ فَمَا تُعْطِي مِنْهُ نَجْدُهُ جُدُوداً^(١)
وَرُبُّهُمَا حَمَلَةٌ فِي الْوَعَى رَدَدْتَ بِهَا الذُّبْلَ السَّمْرَ سُوداً^(٢)
وَهَوْلٍ كَشَفْتَ وَنَضْلٍ قَصَفْتَ وَرُمَحٍ تَرَكْتَ مُبَاداً مُبِيداً^(٣)
وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلَا مَوْعِدٍ وَقِرْنٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْوَعِيدُ^(٤)

كل هول ؛ ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ما هو عليه من علو الشأن وجلال
القدر ، فإنه لا غاية له ورأه ، وهذا من قول أبي تمام :

فلو صورتَ نفسك لم تَرِدْهَا على ما فيك من كرم الطباع

(١) النوال : العطاء ؛ والجُدود : جمع جد ، وهو البخت والسعد . يقول : كأن
عطاءك مشتق من القضاء ، فإذا وصلت أحداً يبر سعد يبرك فصار برك حظاً له . قال
الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أن القضاء سعد ونحس ، ونوالك سعد كله ، فهو
أحد شقي القضاء .

(٢) التاء - في ربها - للتأنيث وما زائدة ، والذبل : جمع ذابل ؛ والذبل السمر :
الرماح . يقول : رب حملة لك على أعدائك في الحرب رددت بها رماحك السمر سوداً :
أى لطختها بالدماء حتى جفت عليها فاسودت ، والدم إذا جف اسود .

(٣) وهول : عطف على حملة . يقول : ورب هول كشفته عن صجك بنجدتك ،
ورب سيف كسرت به قوة ضربتك ، ورب رمح أثلفته بالطنن في الأضلاع وقد أثلف
نفس الملعون . فقوله مباداً مبيداً : حالان من الرمح ، ومثل هذا المعنى في السيف
قول البعيث :

وَأِنَّا لَنُعْطِي الْمَشْرِفِيَّةَ حَقَّهَا فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ
ويقول أبو تمام :

وَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ لَاقِي ضَرِيبةً فَتَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْتَنَى فَتَقَطَّعَهَا

(٤) القرن : الكفو في الحرب ، يقول رب مال وهبته بغير موعد ، بل تعطيه
ابتداء ؛ ورب كفؤ لك في الحرب : سبقت إليه من غير تهديد ، وهذا كقوله :

لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعْدِ

بِهَجْرٍ سِيُوفِكَ أَعْمَادَهَا تَمَتَّى الطَّلَى أَنْ تَكُونَ الْقُمُودَا^(١)
إِلَى الْهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ تَرَى صَدْرًا عَنْ وَرُودٍ وَرُودَا^(٢)
قَتَلْتَ نَفُوسَ الْعِدَا بِالْحَدِيدِ حَتَّى قَتَلْتَ بَيْنَ الْحَدِيدَا^(٣)
فَأَنْقَذْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ الْبَقَاءَ وَأَبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكَتِ الثُّغُودَا^(٤)
كَأَنَّكَ بِالْفَقْرِ تَبْنِي الْغِنَى
وَبِالْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ تَبْنِي الْخُلُودَا^(٥)

(١) الطلا : الأعناق ، والعمود : جمع غمد ، جفن السيف . يقول : إن سيوفك لأنها لاتقترب عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب - تبقى أبداً هاجرة أعمادها ، ومن ثم تسمى الاعناق أن تكون أعماداً لها حتى تنال من الهجر مانالت الأعماذ : أى حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبداً . وهو معنى دقيق رائع .

(٢) الهام : الرؤس يقول : إن سيوفه لاتعود إلى أعمادها أصلاً قد هجرتها إلى الرؤس لأنها أبداً تصدر عن رأس لترد رأساً غيره ، فيكون صدورها عما وردت عليه ورودا على مثله . قوله إلى الهام : متعلق بهجر في البيت السابق - أى بهجر سيوفك أعمادها إلى الهام ، ويكون البيت مضمناً . ولك أن تجعلها متعلقة بتصدر الواقعة حالا : أى صادرة عن مثل ما هجرت إليه : والصدر - فى الأصل - صدور الشاربة عن الماء بعد الرى ، والورود عكسه ؟ وصدرها وورودا : مفعولان ل ترى ، وورود : متعلق بصدر : (٣) يقول : مازلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بين : أى كسرتة وثلمته وهذا مثل قول أبى تمام :

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ وَاعْتَلَتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّمْرُ
(٤) أنقذت : أفنيت ؟ والنفود : الفناء ؛ والضمير فى عيشهن : لنفوس الأعداء وأفنيت بقاء نفوس الأعداء : أى أهلكهم بإحلال آجالهم ، وأبقيت نفود المال الذى تملك : أى أتلفتة حتى لم يبق منه إلا العدم . يقول : إنك أهلكك أعداءك وفرقت أموالك .

(٥) يقول : لإفراط سرورك بالعطاء وبذل المال كأنك تبني بذلك الغنى ؛ لأنك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه . فكأن الفقر عندك هو الغنى ، وكأن الموت فى الحرب خلود فلا تنفك تسعى إليه .

خَلَائِقُ تَهْدِي إِلَى رَبِّهَا وَآيَةُ تَجْدٍ أَرَاهَا الْعَبِيدَ^(١)
 مَهْدَبَةٌ حُلُوةٌ مَرَّةٌ حَقَرْنَا الْبَحَارَ بِهَا وَالْأُسُودَ^(٢)
 بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِهَا وَضَفُفُهَا
 تَقُولُ الظُّنُونُ وَتُنْضِي الْقَصِيدَ^(٣)
 فَأَنْتَ وَحِيدُ بَنِي آدَمَ وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدًا^(٤)



(١) فاعل أراها : ضمير يعود إلى الرب . يقول : هذه خلائق - يعني ما ذكر في الآيات السابقة - يستدل بها على قدرة خالقها ؛ إذ هي أخلاق عجيبة لا يقدر عليها إلا الله الواحد القادر ، وهي آية مجد أراها الله عباده حتى يستدلوا بها على المجد والعلاء أو تقول : هذه خلائق من الكرم والفضل والإقدام ومحاسن الشيم تدل على ربها : أي صاحبها ، وهو المدوح ، وتدعو إلى معرفته ؛ وآية مجد أراها العباد كي ينجوا منها .

(٢) يقول : هذه الخلائق مهذبة لا عيب فيها ، حلوة للأولياء بما تنبثق به عليهم من النعماء ، مرة على الأعداء بما تنصب عليهم من النعمة والأواء ؛ ولقد حقّرنا بها الأسود والبحار لأنك تربو عليهما في الشجاعة والسخاء .

وقال ابن جني : حلوة : فكل أحد يشقها ويستحسنها ، ومرة : لأن الوصول إليها صعب لبذل المال والمخاطرة بالنفس ، وحقّرنا البحار لإفراط سخائك والأسود لإفراط إقدامك .

(٣) بعيد : خبر مقدم ؛ ووصفها مبتدأ مؤخر ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وغالاه أهلكه . وأنضاه : هنّله . يقول . إن وصف أخلاقك بعيد مع قربها منا ، لأننا نراها ، ولكن لا نقدر على وصفها ؛ إذ أن الظنون تهلك دون إدراك غايتها ، ويهزل الشعر إعياء قبل الوصول إلى حقيقتها .

(٤) يقول : أنت وحيد لأنه وجد لك نظير قديماً ثم فقد ، وإنما لأنه لم يوجد لك نظير ألبتة في بني آدم . وعبرة الواحدى : لم تصر وحيداً ، لأنك فقدت نظيراً كان لك ، بل أنت وحيد لم تزل ، والوحدة لازمة لك ، فهي صفة لك ، وقال غيره : أنت وحيد بني آدم في كل خلائقك ، ولست بواجد لك نظيراً ، فلست مفرداً من قعدك للنظير ، فأنت غير منفك من هذه الحال : أي أنت وحيد لم تزل

وقال لما استعظم قوم ما قاله في آخر مرثية جدته :

يَسْتَغْظَمُونَ أَيْيَاتًا نَأَمْتُ بِهَا لَا تَحْسُدَنَّ عَلَيَّ أَنْ يَنَامَ الْأَسَدُ (١)
لَوْ أَنَّ نَمَّ قُلُوبًا يَفْقَهُونَ بِهَا أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدُ (٢)

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي :

أَقْلُ قَمَالِي بَلَّةً أَكْثَرُهُ مَجْدُ

وَذَا الْجَدُّ فِيهِ نِلْتُ أُمَّ لَمْ أَنْلَ جَدُّ (٣)

(١) آيات : تصغير آيات ، صغرها تحقيرا لها . ونَامَ الأسد زار : والأسد مفعول تحسدن ، ويعنى بالأسد نفسه . يقول : إنهم يستعظمون آياتا هي عندي حقيرة . ثم قال لا تحسدن الأسد على زاره .

(٢) ثم : بمعنى هناك ، والإشارة إلى حيث هم : أى لو أن لهم أو معهم قلوبا ، والضمير - في قوله تحتها - للآيات ، والحسد : مفعول أنساه . يقول : لو كان لهم قلوب يعقلون بها ما تضمنته آياتي من الوعيد لأنساهم الذعر منها الحسد .

(٣) الفعل هنا : مصدر فعل فعلا : كذهب ذهابا ؛ والفعل : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . وبه : اسم فعل بمعنى دع ، وأ كثره منصوب به ، والجـد - بالكسر - الاجتهاد ، وبالفتح : الحظ ؛ يقول : أقل فعلى مجد دع أكثره : أى إذا عرفت أن الأقل مجد ، أغناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . يعنى أنى لأفعل فعلا إلا ومهماى المجد ، فكل أفعالى - قليلها وكثيرها - إنما هي في سبيل المجد وهذا الجـد والإشاحة في سبيل المجد ، وترك التواني في ذلك يعد حظا لى سواء نلت مطلوبى أم لم أنل ، لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة ، وحسبى ذلك حظا . وعبرة الواحدى : معنى المصراع الأول من هذا البيت : أنى لا أفعل شيئا إلا ومنغزى المجد ، وإياه أطلب ولو صرح بالأقل لقال : نوى وأكلى وشربى للمجد ؛ ولو صرح بالأ أكثر لقال : تقريرى بنفسى وركوبى المهالك ؛ وشهودى الحرب كله مجد أى لأجل المجد وتحصيله . يقول : إذا عرفت كون الأقل مجدا أغناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . وقوله وذا الجـد ، معناه أن الجـد فى طلب المجد جد معجل ، لأن استعمال الجـد فى الأمور جد ، لأنه يستمر عادة باستعمال الجـد فى الأمور .

سَأَطْلُبُ حَتَّىٰ بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخٍ ۖ كَانَتْهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمَمُوا مُرْدٌ^(١)
 يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا^(٢)
 وَطَعْنُ كَانَ الطَّعْنُ لَا طَعْنَ عِنْدَهُ وَضَرْبٍ كَانَ النَّارُ مِنْ حَرِّهِ بَرْدٌ^(٣)
 إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِجٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَمِهَا شَهْدٌ^(٤)
 أَدُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلُهُ فَأَعْلَمُهُمْ قَدَمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغَدٌ^(٥)

(١) يقول : سأطلب حتى بالقاء ومشايخ . فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحام ، فكأنهم مرد والثام في الحرب عادة العرب ، لثلا تسقط عما عليهم . وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه ، وبالمشايع عن أصحابه . يعنى أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره ، وأراد أنهم محسكون مجربون ؛ ولذلك جعلهم مشايخ . هذا : والمشايع جمع شيخ ، وكذا مشيخة ومشيغة وأشياخ وشيوخ . والثام : ما يجعل على الوجه من فاضل العامة .

(٢) يقال وما بعده : نعت لمشايخ . ومراده بكونهم ثقالا : شدة وطأنهم على العدو ، أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالحفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة : أى أنهم — على قلتهم في العدد — يغنون غناء السواد الأعظم . وعبارة ابن جنى : وصفهم بالقلة ، لأنهم إذا انتصفوا من أعدائهم وغلبوهم في قلة عددهم فهو أغر لهم من الكثرة .

(٣) وطعن عطف على القنا . والضمير — فى عنده — يعود إلى الطعن الأول ، وجملة لا طعن عنده . فى موضع رفع خبر كان . يقول : وأطلب حتى بطعن شديد كأن كل طعن غيره بالقياس إليه لا شيء ، وبضرب حار كأن حر ، النار بالإضافة إليه برد ، وكل هذا مبالغة .

(٤) السابج : الفرس السريع الجرى . يقول : إنه مطاع فى قومه ، ففى شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب العسل : وقوله : فى فمها ، أراد : فى أفواهها ، فأوقع الواحد موقع الجمع .

(٥) صغر الأهل تحقيراً لهم . والقدم : العي فى ثقل وقلة فهم . والوغد : الأحمق الحسيس .

وَأَكْرَمَهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَمُهُمْ قِرْدٌ^(١)
وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَةٍ بَدُ^(٢)

(١) وأكرمهم كلب : أى خسة الكلب . وأبصرهم عم : أى أبصرهم بالأمر - من البصرة - أعمى القلب ، وأسهدهم فهد : أى أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد - وبه يضرب الثلث فى كثرة النوم . وفى حديث أم زرع : وصفت امرأة زوجها ، فقالت إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، تصف زوجها باللين والسكون إذا كان معها فى البيت ، شبهته بالفهد إذا خلا بها ، وبالأسد إذا رأى عدوه ؛ ثم قالت : ولا يسأل عما عهد كرمًا ، منه وحسن خلق . والقرد يضرب به الثلث فى الجبن والحذر ويقال : إن القرد لا ينام إلا وفى كفه حجر ، ولا ينام الليل حتى يجتمع إليه الكثير .

(٢) النكد : قلة الخير ، والمراد بالخر : للكريم - ضد اللثيم - يقول : من نكد الدنيا أن الكريم لا يجد مندوحة من إظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو ، ليأمن شره ويدفع غائلته .

قال ابن جنى : لو قال : مامن مناداته ، لكان أشبه ؛ والذي قاله أحسن فى اللفظ وأقوى فى المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده . وفى قوة المعنى : أن المداجى : المسائر للعداوة وقد يسائر للعداوة من لا يظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهل يعانى من ذلك أمرًا عظيمًا ؛ ونكدًا فى الحياة ، فهو أسوأ حالا من المداجى . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد بهذا السلطان الذى لا بد من صداقته بإخلاص القول والنية ، فبأيها أدخل منه الضرر ، وهذا الذى يقوله الخطيب أشبه بمذهب المتنبي . هذا : وقوله : أن يرى مؤول بمصدر مبتدأ خبره من نكد . وقوله بد : اسم «ما» المشبهة بليس ، ومن صداقته : خبر . قال العكبرى : وأراد مامن إظهار صداقته خذف المضاف . وفى الواحدى - بعد هذا البيت - هذان البيتان :

فإنك الدنيا متى أنت مقصّر
عن الخُرِّ حتى لا يكون له ضد
يروح ويفندو كارها لو صاله
وتضطره الأيام والزمن النكد
ولا يوجدان فى سائر نسخ الديوان .

بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرَوْ مِنْهَا مَلَالَةً

وَبِي عَنْ غَوَائِنِهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدًّا^(١)
خَلِيلَايَ دُونَ النَّاسِ حُزْنَ وَعَبْرَةً عَلَى فَقْدٍ مَنْ أَحْبَبْتُ مَا لَهَا فَقَدْ^(٢)
تَلَجَّ دُمُوعِي بِالْجَفُونِ كَأَنَّمَا جَفُونِي لَعْنَتِي كُلِّ بَاكِيةٍ خَدًّا^(٣)

(١) بقلبي : خبر مقدم عن ملالة ؛ والضمير في منها : للدنيا ؛ والغواني : جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بجمالها عن الزينة . يقول : لقد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظي منها ، لما أراه من قبيح صنعها ، من مثل الإساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه ، ومن ثم كان بقلبي منها ملالة ، وبني إعراض عن نساؤها ، وإن كنت من الشباب بحيث يرغب في وصالي ، والله أبو العلاء المعري حين يقول :

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطٍ حَيَاتِي لِفَرٍّ بَعْدُ مَا غَرَضَا^(١)

(٢) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس ؛ لأنهما يلزامانه ولا يفارقانه ، فكأنهما خليلان له . يقول : فقدت من كنت أحبه وصاحبي لفقده حزن وعبرة لست أقدمها . وقوله : دون الناس حال مقدمة عن النكرتين بعدها ، وعلى فقد : صلة الحزن ، أو العبرة على التنازع ، وجملة ما لهما فقد : صفة .

(٣) يقال لج به الحزن ونحوه : لزمه : فلم يزايله ، وروى تلج : من قولهم ألح السحاب بالمكان : إذا أقام به ، يقول : لا تغلج جفوني من الدموع فكأن جفوني خد كل باكية في الدنيا . يعني أن ما يسيل من جفونه مثل الذي يسيل على خد كل باكية ، يريد المبالغة في كثرة ما يجري من جفونه . ولعل الأقرب أن يكون المراد : لست أخلو من بكاء ودموع ، كما لا تغلج الدنيا من باكية تجري دموعها .

(١) غرضت : ضجرت وشممت . والغر : الذي لم يجرب الأمور ؛ وقبل البيت :

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبَابِهِ فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصَرُ الشَّبَابِ مَضَى
وَقَدْ تَعَوَّضْتُ مِنْ كُلِّ بَمِشْبِهِ فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصَّبَا عِوَضًا
وبعدا البيت وبعده :

جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِي فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضًا

وَأَمَّا كَتُمْنِي مِنَ الْمَاءِ نُفْبَةً ، وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرَّبْدُ^(١) ،
وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السَّانُ لِطَيْتِي ، وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ^(٢) ،
وَأَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَغْيِي ، وَكُلُّ أَعْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ مَالَهُ جُهْدُ^(٣) ،
وَأَرْحَمُ أَقْرَامًا مِنَ الْحَيِّ وَالْعَبَا ، وَأَعْذِرُ فِي بُغْيِي لِأَنَّهُمْ ضِدُّ^(٤) ،
وَيَمْنَسِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادِي لَهُ عِنْدِي تَضِيقُ بِهَا عِنْدُ^(٥)

(١) و (٢) النوبة : الجرعة من الماء . والربد : النعام : يقال ظليم أربد ونعامة ربداء . وذلك لما في لونها من الغيرة . يضرب بها المثل في الصبر على العطش ، والطية المكان الذي تطوى إليه المراحل ويتوى القصد إليه وأطوى : أجوع ومعناه أطوى بطن عن الزاد . والمجلحة : الذئب المصممة . يقال جلع الذئب على القوم : إذا حمل عليهم غير مبال ، وإنما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع . والعقد : جمع الأعقد ، وهو الذي في ذنبه عقدة ، وقيل : الذي انقعد لحمه ضمراً وهزالاً . يصف المتنبي نفسه بالجلد والمضاء والإشاحة في أموره ، وعدم إسفافه ، وقلة مبالاته بالشرب والطعم ، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التي لا يهتمها بر البدن والاحتفال به .

(٣) الغية : الاسم من الاغتيال ، وهو الوقوع في عرض الغائب ؛ والجهد : الطاقة يقول : إني أكبر نفسي أن أجازي عدوى بالاغتيال ، لأن ذلك طائفة من لا طاقة له بمواجهة عدوه ومحاربه . وقه قول أبياس ابن قتادة :

نَعَابُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

(٤) أصل الی : العجز عن الحجة ؛ والی في الكلام : الحصر . والعبا : العبادة . أي قلة الفطنة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل الی والعباء رحمتهم وأشفقت عليهم ، وإذا أبصرت عذرتهم ، لأنهم أضداد الی بسبب ما يبتلى من التباين ، والضد يفضض ضده .

هذا ومفعول أعذر - كما قال العكبري - محذوف ، والمفعول محذوف كثيراً كقوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) أي شيئاً .

(٥) الأيادي : النعم ؛ يقول : يمنعني من الانصراف إلى غيره ماله عندي من النعم التي يضيق لفظ عند عن أن يجعل ظرفاً لها لكثرتها وتوافرها إذ لا يسمعها مفهوم هذا اللفظ .

تَوَالَى بِلَا وَعْدٍ وَلَكِنْ قَبْلَهَا شَمَائِلُهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدٌ^(١)
 سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي
 إِلَى السَّيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللَّهُ لَا الْهِنْدُ^(٢)
 فَلَمَّا رَأَى مُقْبِلًا هَزَّ نَفْسَهُ إِلَى حُسَامٍ كُلِّ صَفْحٍ لَهُ حَدٌّ^(٣)

هذا ، وقال العكبري : رفع عند - وهي لاتستعمل إلا ظرفا - لأنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال : يضيق بها المكان ؛ وكقول الرجل لصاحبه ينازعه في الأمر : كذا عندي . فيقول الآخر : أولك عند ؟ أي أولك فهم ؟ لجعلها اسما ، وعند : أوسع من أخواتها الظروف لأن القائل إذا قال فوق وتحت ووراء وقدام فقد خص جهة من الجهات المذكورة ، وإذا قال : الخير عند فلان ، احتمل الكلام أن يكون في كل الجهات . قال : وقال يونس يوما في كلامه : عند ، فقال أبو عبيدة : أيقال عند ؟ فقال : نعم ، يقال عند وعند وعند وعند . وقال أبو عبيدة : ما كان عندي ذلك ، فقال له أولك عند ؟ وقال الطائي :

وما زال منشورا عَلَى نَوَالِهِ وَعندي حتى قد بقيتُ بِلَا عِنْدِ

(١) توالى - بحذف إحدى التاءين - أي توالى . ويرى : توالى . والضمير للأيدى ؛ وشمائله : أي أخلاقه ، اسم لكن ، وخبرها وعد . وفي البيت تقديم وتأخير وتحرير الكلام : ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد ، أي أن هذه النعم تتتابع منه ابتداء من غير أن يسبقها وعد ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وماله من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد .

(٢) صاحبي : بدل من السيف يقول . سرى إليه ومعى السيف يصحبني في طريق فكان مسرى سيفي إلى سيف آخر - يعني الممدوح - إلا أن سيفي مما طبعته - أي عملته - الهند ، أما هذا السيف فهو مما طبعه الله .

(٣) حسام - أي سيف قاطع - فاعل هز ؛ أو بدل من ضميره على جعل الفعل للممدوح ، وصفع السيف جانبه ، وله نعت صفع . يقول : لما رآني مقبلا عليه هز نفسه للقائي كما يهز السيف . وقوله كل صفح له حد ، من أحسن الكلام : أي كل وجه من صفحيه حد ينفذ في أعدائه ، فهو يقطع بصفحه كما يقطع بحده .

فَلَمْ أَرَقَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَهُ
وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تَعَانِقُهُ الْأُسْدُ^(١)
كَأَنَّ الْقَيْسِيَّ الْعَاصِيَّاتِ تَطْبِعُهُ هَوَىٰ أَوْ بِهَا فِي غَيْرِ أَنْمَلِهِ زُهْدُ^(٢)
يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمِيهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ^(٣)
وَيُنْفِذُهُ فِي الْقَعْدِ وَهُوَ مُضَيِّقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ وَاللَّيْلِ مُسَوِّدُ^(٤)
بِنَفْسِي الَّذِي لَا يُزِدْهُ بِحَدِيقَةٍ ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ^(٥)

(١) قال الواحدي : تحقيق الكلام : فلم أرقبلي من مشى نحوه رجل كالبحر في الجود ، وعانقه رجل كالأسد في الشجاعة .

(٢) أراد بالعاصات : القسي الشديدة التي تستعصى على النازع فلا يستطيع جذبها يقول : إنها تطبعه إذا جذبها حباً له أو زهداً في غير أنامله .

(٣) ويمكنه عطف على يصيب . يقول ، إن الإصابة لمساعدتها إياه تكاد تسبق رمية ، ويكاد السهم لا يقاذه له يرجع من طريقه إليه ؛ وهذا مبالغة في وصف اقتداره على الرمي .

(٤) وينفذه : عطف أيضاً على يصيب ؛ قال أبو العلاء : وإذا عطفته على «يكاد» ففيه سرف وفيه إغرابات التنبي في شعره ويقوى ذلك أيضاً أن يكون أراد به في الحقيقة يصيت عقد الشعرة ، والقعد : العقدة . يقول : ويكاد ينفذ سهمه في العقدة الضيقة من الشعرة السوداء في الليل المظلم ، وكل هذا من المبالغة التي تعدواها .

(٥) أزداه : استخفه : والذرائع : الوسائل . يقول : أفدى بنفسى الممدوح الذي هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لا يغتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بثق وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد واللوعة . وقال ابن جني : هذا هجو كأنه قال : بنفسى غيرك أيها الممدوح ، لأنني أزدريك بالخدعة وأسخر منك بهذا القول ، لأن هذا مما لا يجوز مثله . قال : وهذا مذهبه في أكثر شعره ، لأنه يطوى المدح على هجاء حذقا منه بصنعة الشعر ، كما كان يقول في كافور من أبيات ظاهرها مدح وباطنها هجاء : قال ابن فورجة - يرد على ابن جني - : إنما قل ذلك في مذائح كافور استهزاء به ، لأنه كان عبداً أسود لم يكن يفهم شيئاً ، ولم يفهم ما ينشده ، فأما علي بن محمد ابن سيار فمن صميم بني تميم ، عربي لم يزل يمدح وتتأبه الشعراء ، وليس في هذا البيت ما يدل (٧ - المتنبي ٢)

وَمَنْ بَعْدَهُ قَرُّهُ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنَى ، وَمَنْ عَرَضُهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدٌ (١)
وَيُضْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدِئًا بِهِ . وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذِمُّهُ حَمْدٌ (٢)

على أنه يعنى غيره بل يعنيه به . يقول : بنفسى أنت ، ووصفه وأتبع ذلك بأوصاف كثيرة على نسق واحد لو كان كلها وصفا لغيره كانت هذه القصيدة خالية من مدحه ، وليس في إنفاذ الرمى في عقدة من شعره في ليل مظلم أول محال ادعى للدوح ، وما هذا إلا هوس عرض له فقذفه .

(١) ومن عرضه حر : أى لا مغمز فيه عزيزة الحر ، ومن ماله عبد : أى ممتن مبذول في سبيل المجد . وفي البيت من الطباق مالا يخفى :

(٢) يقول : إنه يعطى المستحقين وذوى القدر قبل أن يسألوه ، ويمنع معروفه عن كل ساقط لثيم ؛ إذا ذم أحداً كان ذمه حمداً له لدلالة ذلك على أنه لا يشاكله . وعبارة ابن جنى : يصنع المعروف مع المستحقين ، ويعطى من له قدر ومن يزكو عنده المعروف ويمنعه من كل ساقط . إذا ذم أحداً فقد مدحه ، يصفه بالتيقظ ومعرفة ما يأتى وما يدع . قال ابن الشجرى - لما ذكر كلام ابن جنى هذا - : لا يخلو من أحد معنيين . أحدهما أنه يورى عن الذم الصريح بكلام يشبه المدح ، أو يريد أن يضع المدح الصريح موضع الذم . وليس يلحقه بهذين عيب ولا يستحق أن يحرم معروفاً ؛ والمعنى غير ما ذهب إليه ، وذلك أنه وصف المدوح بالتيقظ ومعرفة ما يأتى وما يدع فيضع الصنائع في مواضعها فيعطى ذوى الأقدار قبل أن يسألوه ، كما قيل : السخى من جاد بماله تبرعا ، وكف عن أموال الناس تورعا ، ويمنع ماله من كل ذىء : إذا ذمه الناس فقد مدحوه ، الذم له مقام المدح لغيره ، يعنى أنه يقل عن المدح والمجاء كما قال :

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتُ عَنِ الْمَجَاءِ

والذم : مضاف إلى المفعول ، والمفاعل محذوف ، والتقدير من ذم الناس إياه حمد ، كقوله تعالى «لقد ظلمك بسؤال نعجتك» أى بسؤاله ؛ وابن جنى ذهب إلى أن الذم مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف . ففسر على هذا التقدير ، فأفسد المعنى لأنه أراد من ذمه الناس حمد . ومن في قوله نكرة والجملة بعده نعت له فكأنه قال : من كل إنسان ذمه حمد ولا يجوز أن يكون بمعنى الذى لأن «كلا» لا يضاف إلى معرفة ، إلا أن يكون مما يصح تبيينه ، كقولك رأيت كل البلد ، ولا تقول لقيت كل الرجل الذى أكرمته ؛ فإن قلت : كل رجل أكرمته : حسن ذلك ، وصحت إضافته إلى المفرد النكرة ، كما تصح إضافته إلى الجمع المعرفة ، نحو لقيت كل الرجال الذين أكرمهم .

وَيَحْتَقِرُ الْحَسَادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ^(١)
وَتَأْمَنُهُ الْأَعْدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذَلِّهِ ،
وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الَّذِي يُذْنِبُ الْحَقْدُ^(٢)
فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرِمٍ أَقْضَى فَإِنَّكَ مَا الْوَرْدُ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ^(٣)

(١) يقول : إنه يحتقر حساده فيعرض لآعن عتبهم أو مؤاخذتهم حسب ، بل حتى عن أن يحرق ذكرهم له على لسان لأنهم لديه والعدم سواء . وعبارة بعض الشراح : يحتقر الحساد عن أن يتكلم فيهم ، وإذا لم يذكرهم كانوا كأنهم معدومون لم يخلقوا بعد ، لأن من لم تذكره لم يذكره الناس وذل قدره .

(٢) على قدر خبر مقدم ؛ والحقد : مبتدأ مؤخر . يقول إن أعداءه يأمنون جانبه لا لأنه ضعيف ذليل لا يستطيع إيذاءهم ، ولكن لأن الحقد يكون على قدر الذنب ، فإن كان حقيراً لم يحقد عليه ، وإذا لم يحقد عليه أمن الذنب : يعني أنه يحتقر أعداءه ولا يكثر لهم لأنهم ليسوا هناك ، وقال ابن جني : ليس يؤاخذ الذنب بقدر جرمه وإنما يؤاخذ على قدر الذنب ولا قدر عنده لمن أجرم ، فهو لا يعبأ بأحد من أعدائه ، لأنه أكبر قدراً من أن يعاقب أمثالهم .

(٣) يقول : إن كان جديك قد مات فإن فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كما الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته ؛ وقد أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال :

يُخَيِّ بِحُسْنِ فَعَالِهِ أَفْعَالِ وَالِدِهِ الْخُلَاحِلِ^(١)
كَالْوَرْدِ زَالَ وَمَاؤُهُ عَيْقُ الرِّوَامِخِ غَيْرُ زَائِلٍ

هذا : وقد كرر المتنبي تفضيل الفرع على الأصل في غير موضع فقال :

* فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ *

وقال :

فَإِنَّ الْمِسْكَ بَفَضْ دَمِ الْفَزَالِ *

(١) الخلاحل : السيد في عشيرته ، والشجاع والتام .

مَضَى وَبَنُوهُ وَأَنْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ^(١)
لَهُمْ أَوْجُهُ غُرٌّ وَأَيْدٍ كَرِيمَةٌ وَمَعْرِفَةٌ عِدٌّ وَالسِّنَّةُ لُدٌّ^(٢)

(١) يقول : مضى جديك وبنوه وبقيت وحدك منفردا بفضائلهم جميعا . فأنت واحد صورة ، جماعة معنى ، كالألف الذى هو واحد فى الصورة ، جمع فى المعنى . وفى هذا المعنى يقول البحرى :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتْ إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ كَقَبِيلَةٍ يُعَدُّ وَأَلْفٌ لَا يُعَدُّ بِوَاحِدٍ

هذا : وقد أنت ألف فى قوله جمعت على معنى الجماعة ، وعطف وبنوه على الضمير المرفوع . وهو مذهب الكوفيين . ومنه أهل النصرة . قال العكبرى النحوى السكوفى وحجتنا بحينه فى الكتاب العزيز ، وفى أشعار العرب : فى الكتاب العزيز « ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » أى فاستوى جبريل ومحمد - صلى الله عليه وسلم - فعطف وهو على الضمير المستكن فى استوى ، فدل على جوازه ؛ وفى الشعر قول عمر بن أبى ربيعة

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ زُهُرٌ تَهَادَى كَنْعَاجِ الْفَلَا تَمَسُّنَ رَمْلًا
فعطف على الضمير المرفوع فى أقبلت من غير تأكيد . وقال الآخر :

وَرَجَا الْأَخْيَاطُ فِي سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لَيْسَ أَلَا

فعطف على الضمير المستكن فى يكن من غير تأكيد ؛ وحجة البصريين أنه قد جاء فى الكتاب العزيز بالتوكيد نحو « امكن أنت وزوجك الجنة » ، و « اذهب أنت وربك » و « يراكم هو وقبيله » . وقالوا : لا يخلو إما أن يكون مقرا فى الفعل ، أو ملفوظا به ، فإن يك مقدرآ - نحو قمت قام وزيد - فكأنه قد عطف اسما على فعل وإن كان ملفوظا به - نحو قمت وزيد - فالتاء تنزل منزلة الجزء من الفعل ، فصار كعطف الاسم على الفعل .

(٢) لم : أى لآل سيار الذين انفرد المدوح بمناقبهم . والنمر : جمع أغر ، وهو الأبيض الشرق ، والعرب تتمدح ببياض الوجه ، وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب ، كما أنهم يكونون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه ؛ وأيد كريمة : أى بالعطاة ومعرفة عد : أى قديمة كثيرة لاتقطع مادتها كالماء العد : أى الغزير الذى لاتقطع

وَأَرْدِيَّةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاعَةٌ ، وَمَرْكُوزَةٌ مُنْمَرٌ وَمُقَرَّبَةٌ جُرْدٌ^(١)
وَمَا عِشْتَ مَا مَاتُوا وَلَا أَبَوَاهُمْ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ وَأَبْنُ طَابِخَةَ أَدُ^(٢)
قَبْتَضُ الَّذِي يَبْدُو الَّذِي أَنَا ذَاكِرٌ
وَبَقِضُ الَّذِي يَخْفَى عَلَى الَّذِي يَبْدُو^(٣)
أَلُومٌ بِهِ مَن لَّامَنِي فِي وَدَادِهِ
وَحَقٌّ تَخْلِيهِ أَنْتَلِقِي مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُ^(٤)

مادته . واللذ : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة . يريد السنة قوية في موطن الكلام
(١) خضرة الرداء : يكفى بها عن السيادة ، وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الألوان
لأن خضرة النبات تدل على الخصب وسعة العيش . والملك : السلطان ، يذكر ويؤنث
ولذا قال مطاعة . أو تقول : إنه أراد الملكة . ومركوزة سمر : أى رماح تركز في
الأرض وتنصب ، والمقربة : الخيل تربط قزينة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة
إليها أو للخل بها ، والجرد : القصار الشعر .

(٢) يقول : مادمت حياً فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم في النسب لأن جميع
محاسنهم موجودة فيك فهم حينئذ بك أحياء لأموات . فما الأولى : شرطية زمانية ، وما
الثانية : نافية . وكان الوجه أن يقول : لما ماتوا ، ولكنه حذف انفاء ضرورة كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا

وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

أراد فإله يشكرها . وتميم بن مر ، وأد بن طابخة : قيلتان مشهورتان من العرب ،
إليهما ينتسب المدوح . وتميم وماعطف عليه : بدل تفصيل .

(٣) يقول : إن الذى أذكركه وأشيد به من فضائله هو بعض ما يظهر لى والذى
يظهر لى هو بعض ما كان خافياً على ، يعنى أنه قد بقى من تلك انفضائل ما لم يعلمه ، وبقى
بما علمه ما لم يذكره . يريد كثرة فضائله . فبعض : فى الشطرين - خبر مقدم عن الموصول الثانى
(٤) يقول : من لامنى فى وده لمته بما وصفت من فضله فيبتين أنه خليف بمودتى .

لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء ، وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضاً . وحق
له كذا - بضم الحاء - إذا كان جديراً به ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطُرُقِهِ
 بَنِي اللَّؤْمِ حَتَّى يَنْعَبَرَ لِلْمَلِكِ الْجَعْدُ^(١)
 فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ الْعَلَى
 وَلَا فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ الْمَسْكُ وَالنَّدُ^(٢)

وودع صديقاً له يقال له أبو البهي فقال ارتجالاً عند مسيره عنه :

أَمَّا الْفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ هُوَ تَوَامِي لَوْ أَنَّ بَيْنَنَا يُولَدُ^(٣)

(١) كذا : أى كذا هو كما وصفت ، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه في طرق المجد ؛ وبني اللؤم : أى يابني اللؤم . والجعد الكريم . شبه بالثرى الجعد ، وهو اللين الندي ، وإذا قيل فلان جعد اليدى أو جعد الأنامل ؛ أرادوا أنه بخيل لثيم لا يفيض حبه . وأنكر الأصمعي الجعد بمعنى الكريم ، قال : زعموا أن الجعد : السخي ، وأنا لا أعرف ذلك ، وإنما الجعد : البخيل .
 (٢) يقول : ليس في طبائعكم أن تنازعوه العلى ، كما أنه ليس في طبع التراب أن يفوح بالمسك والند .

(٣) التوأم : ما يكون مع غيره في بطن واحد . فتلد المرأة اثنين ، أو الشاة أو غيرها ويقال للاثنين إذا ولدا في بطن : هما توأمان ؛ وفي التأنيث توأمة وتوأمتان ، والجمع توأم وتوأم . قال عنترة :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي مَرْحَةٍ يُحْذَى نَعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(١)

(١) مدح ممدوحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلاً : أى شجاعاً . الثاني : أنه جعله طويلاً شبهه بالسرحة - وهى الشجرة الكبيرة - الثالث أنه جعله شريفاً للبهه نعال السبت . الرابع أنه جعله تام الخلق نامياً ، لأن التوأم يكون أنقص خلقاً وخلقاً وقوة وعقلاً ، والسبت الجمل المدبوغ .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَنُطْبِعُهُ
لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَخْلُدُ^(١)
وَإِذَا الْجِيَادُ أَبَا الْبَيْتِ تَقَلَّنَا
عَنْكُمْ فَأَرَادُوا مَارَكِبَتِ الْأَجُودُ^(٢)
مَنْ خَصَّ بِالْذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي
مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ^(٣)

وقال يمدح الحسين بن علي الهمداني :

لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بَعْدُ
فَيَا لَيْتَنِي بَعْدَ وَيَا لَيْتَهُ وَجْدٌ^(٤)
أَسْرُهُ بِتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرُ مَا مَضَى
وَإِنْ كَانَ لَا يَنْبَغِي لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ^(٥)
سَهَادُ أَتَانَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا
رُقَادٌ وَقَلَامٌ رَعَى سَرُّبَكُمْ وَرَدُ^(٦)

يقول : أما الفراق فهو شيء أعهد من قديم ، حتى لو أنه مما يولد لقلت : هو توأمي : أي لا أملك من فراق حبيب ، فلو كان الفراق مولودا لحكمت بأنه توأمي . وقال الواحدى : يحوز أن يكون المعنى : حقيقة الفراق ما أعهد من فراقك ؛ يعنى إن وجد فراق هذا الحبيب ، فقد وجد فراق كل أحد ، حتى كأن الفراق فراقه هو : لا فراق غيره (١) يقول : لما علمنا أن خلودنا في هذه الدنيا محال : علمنا أن الفراق حتم علينا لازب ، فلا مندوحة لنا عن الاتقياد لحكمه : إن عاجلا وإن آجلا : وعبرة الواحدى : لما كنا نموت وتنفى ، علمنا أننا نتقاد للفراق .

(٢) أبا البهى : أى يا أبا البهى — وهى كنية الممدوح — يقول : إذا قللتا الخيل عنكم وباعدت ما يبتغا فإن أجودها حينئذ أردوها . لأنه يكون أسرع في إبعادنا عنكم . (٣) يقول : من يخص الفراق بالذم من بين سائر أشياء هذا الدهر ، فأنا الذى لأرى في الدهر شيئا محمودا : يعنى أن كل الأشياء مذمومة عندي لا أحسن الفراق دون غيره . (٤) يقول : لقد ضمني واشتمل على وجد بحبيب قد ضمه البعد واشتمل عليه ، فإلى تني بعد لأحوزه فأكون معه ، وبإليته وجد ليحوزنى ويتصل بى : أى فنجتمع ولا نفرق . (٥) الصلْد : الشديد الصلب . يقول إني أسر بأن الهوى يجدد لى ذكر ما مضى من أيام الوصال ولذاذتها ، وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم تأسفا عليه وحينئذ إليه .

(٦) فى العين وعندنا : صلة رقاد . والقلام : نبت من الحمض يكون فى السباخ . قال ابن البيطار فى مفرداته عن أبى حنيفة الدينورى القلام تسميه الأنباط قاقلى ، وهو من الحمض ، والناس يأكلونه مع اللبن ، والسرب — بالفتح المال الراعى ، وبالكسر : القطيع

مُثَلَّةٌ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ تَفَارِقِي ،
 وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَضْلِكَ الْوَعْدُ^(١)
 وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِي ، وَيَعْبَقُ فِي ثَوْبِي مِنْ رِيحِكَ الْنَدُّ^(٢)
 إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَفَتْ بِمَهْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ^(٣)
 وَإِنْ عَشِيقَتُكَ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً ،
 وَإِنْ فَرِغْتَ فَاذْهَبْ فَمَا فِرَ كَهَا قَصْدُ^(٤)

يقول : إن السهاد إذا كان لأجلكم لد في أعيننا كالرقاد ؛ وانقلام : الذي ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد ، يعنى : لحي إياكم أستلذ الألم ويحسن في عيني ما ليس بالحسن .
 (١) مثلة : خبر عن محذوف : أى هى - المخاطبة - مثلة ، يقول : أنت مصورة فى خاطرى حتى لكأنك حاضرة عندى لم تفارقينى ، وحتى كأن بأسى من وصلك وعدمنك بالوصل
 (٢) يقول : وحتى تكادى - لتخيلك حاضرة بجانبى - تمسحين مداامى بيدك فيعقب طيبك فى ثوبى . قال ابن جنى ، ومثله :

* لَيْتَنُ بَعُدْتُ عَنِّي لَقَدْ سَكَنْتُ قَلْبِي *

(٣) يقول : إذا غدرت الحسناء لم تعد سجاياها ؛ لأن شغفتها القدر ؛ وقد وفّت بالعهد : إذا غدرت ؛ لأن عهدها أن لا تنق على عهد ؛ فوفاؤها - إذن - غدر .
 (٤) فركت المرأة زوجها فركه فركا : أبغضته : فبى فارك وفروك ، وكذلك فركها زوجها ، والفرك - بكسر الفاء - البغض . قال رؤبة :

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْفَسْقِ وَلَمْ يُضْمَعْ بَيْنَ فِرْكِ وَعَشْقٍ

قال اللغويون : إن هذا الحرف يختص بالمرأة وزوجها ؛ ولم يسمع فى غير الزوجين .
 ورجل مفرك : لا يحظى عند النساء . وامرأة مفركة لا تحظى عند الرجال ، أنشد ابن الأعرابي :

مُفَرَّكَةٌ أَزْرَى بِهَا عِنْدَ زَوْجِهَا وَلَوْ لَوَطَّتْهُ هَيَّانَ مُخَالَفٍ^(١)

(١) مخالف : أى مخالف عن الجودة . يقول : لو لوطخته بالطيب ما كانت إلا مفركة لسوء خبرتها ، كأنه يقول : أزرى بها عند زوجها منظر هيان : أى يهاب ويفزع من

وَإِنْ حَقَّدَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضَى وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدٌ
كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا يَصِلُ بِهَا الْمَادَى وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ^(١)
وَلَكِنْ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصَّبَا يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ^(٢)
سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مَزْنٍ سَقْتَكُمْ مُكَافَأَةً يَفْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَفْدُو^(٣)

يقول : إن المرأة إذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال ؛ لأن النساء أرق طبعاً وأقل صبراً ؛ وإذا أبغضت : جاوزت الحد كذلك في البغض ، وفي هذه الحالة لا تطمع في تلافى بغضها ، واذهب وشأنك ، لأن بغضها ليس عن قصد منها وإنما هي مغلوقة على أمرها - وقال الواحدي : وإن شئت قلت : فاذهب في ذلك، الفرك .

(١) يقول : هذه هي أخلاق النساء ، يدأنهن مع ذلك يسحرن ألباب الرجال حتى يضل بهن من يهدى غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وعبرة ابن جني : يخلصن في أول الأمر فإذا تمكن من قلوب الرجال نكسن عن وصلهن ، وهذا كالتمهيد لما سيقتضيه عن نفسه في البيت التالي . كأنه يقول : وإن مع طبي بأخلاق النساء وتحذيري منهن لم أصن قلبي عن هواهن ووقت في شراكن .

(٢) قلنا : إن هذا كالاعتذار عن حبه إياهن بعد ما أبان مساوئ أخلاقهن . يقول : وسكن جبا خالط قلبه في زمن الصبا واستحكم فيه قبل أن تحكه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه ، لأنه قد ألفه حتى صار ديدناً له .

يزداد ويشتد على كره الغداة ومر العشى . وخامر : خالط .

(٣) يدعو للسحب التي سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها جود المدوح مكافأة لها على ما فعلت ، فيفدو إليها بالسقيا كما تفدو هي إليهم ، جعل المدوح يسقي السحاب لأنه أكثر منها ندى . وفي البيت من حسن التخلص ما لا يخفى . هذا : والمزن جمع مزنة وهي المطرة ؛ قال أوس بن حجر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مَزْنَةً وَغُفِرَ الظُّلُمَاتُ فِي السَّكَنَاتِ تَقَمُّعٌ^(١)

دنا منه ، أي أت منظر هذه المرأة شيء يتحاشى فهو يفرغ ؛ وقيل : إنما الهيمان المخالف هنا ابنه منها ، إذا نظر إلى ولده منها أبغضها ولو لطخته بالطيب .

(١) يقال : تقمعت الظبية : إذا لسعتها القمعة ودخلت في أنفها فحركت رأسها من ذلك ، والقمعة ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب ، وقيل : يركب رموس الدواب فيؤذيها

لَتَرَوِيَّ كَمَا تَرَوِي بِلَادًا سَكَنَتْهَا وَيَنْبِتُ فِيهَا فَوْقَكَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ^(١)
 بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ وَيَخْرُقُ مِنْ زَحَمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ^(٢)
 وَتُلْقِي وَمَا تَذْرى التَّنَانُ سِلَاحَهَا لِكَثْرَةِ إِيْمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو^(٣)
 ضَرْوبُ لِهَامِ الضَّارِبِ الْهَامِ فِي الْوَغَى خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللَّبْدُ^(٤)
 بَصِيرٌ بِأَخِذِ الْحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ وَلَوْ خَبَاتُهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الْأَسَدُ^(٥)
 بِتَأْمِيلِهِ يَنْفَى الْغَى قَبْلَ نَيْلِهِ وَبِالذَّعْرِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَنْدِ يَنْقُدُ^(٦)

واللزنة أيضاً : السحابة البيضاء ، وسقى وأسقى : لغتان فصيحتان .

(١) يقول : لترتوي السحاب بنداها كما تروى بلادك بمطرها ، وينبت فوقك الفخر والمجد ، لأن عطايك تورث المجد والشرف فتشرف السحاب بما تال من جدواه ، ويكون الفخر والمجد ثابتين فيها لما شربت من سقياء ، قاله ابن جني والواحدى والعكبرى .
 (٢) بمن : متعلقة بتروى ، أو ينبت : أى لتروى السحاب بهذا المدح أو ينبت به الفخر : أى بجوده أو بسببه ، والبرد : الثوب . يقول : إن الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم إليه لحسن منظره وجلالة قدره . ويكثر زحامهم حوائله حتى تتخرق ثيابهم . وزحم ، مصدر زحمه ، ومصدر زاحمه ، زحام .

(٣) يقول : لشغلم بالنظر إليه والإيماء نحوه . يقولون ما في أيديهم ولا يشعرون به ، قال الواحدى : كأن هذا مقتبس من قوله تعالى « فلما رأيته أكبرته وقطعن أيديهن »
 (٤) الهام : الرءوس . والوغى : الحرب والبلد : ما تحت السرج . يقول : إنه شجاع ضروب لرءوس الأبطال ميدان القتال ، خفيف مسرع إلى الوغى أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لا يشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبدته ثقيلًا .

(٥) يقول : إنه يتسبب إلى إحراز الحمد بكل الأسباب من إحسان وإقدام وما إليهما ، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره ، فلو لاح له الحمد في فكى الأسد لأحرزه حبا فيه .

(٦) النيل : العطاء ؛ والمهند : السيف الهندى ؛ وتأمله : متعلقة بيفى ؛ وبالذعر متعلق بينقد . يقول : إذا أمله الإنسان استغنى بذلك الأمل قبل أن يأخذ عطاءه . لأنه لا ينجب مؤملا . وإذا خافه إنسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه .

وَسَيُنْفِي لَأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسْلُهُ

لِيَضْرِبَ وَبِمَا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَمْدُ^(١)
وَرُمِحِي لَأَنْتَ الرَّمْحُ لَا مَا تَبْلُهُ نَجِيمًا وَلَوْلَا الْقَدَحُ لَمْ يُثَقِّبِ الزَّنْدُ^(٢)
مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمْ يُسَدُّوْنَ إِلَيْهِمْ بَأْنَ يُسَدُّوْا^(٣)
فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ شُكْرٌ عَلَى النَّدَى
وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ^(٤)
صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو^(٥)

(١) الواو في قوله وسيفي : للقسم ، وبما السيف منه : خبر مقدم عن الغمد ،
و المير في منه : يعود إلى ما . يقسم بسيفه تعظيما له ، يقول : إني أقسم بسيفي على أنك
إذا سللت سيفاً لضرب فأنت السيف في الحقيقة ، لاهو ، لأن مضاه إنما هو بك .
ولما جعله سيفاً جعل غمده من الحديد الذي السيف منه يعني الدرع ، والمعنى : إذا لبست
الدرع كنت فيه كالسيف ، وكان لك كالغمد . وعبرة ابن جني : لأنت السيف ، لا الذي
تسله الأعداء . أي أنت في الحقيقة سيف لا الذي يطبع من الحديد ، فإذا لبست الدرع
والجوشن كنت كالسيف ، وكانا لك كالغمد .

(٢) التجميع : الدم ، ونجماً : تميز ، والزند : ما يقتدح به ؛ ويثقب : يوري ناراً
يقول : وحق رمحي لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيئاً كما أنه لولا قدح
القادح لم يور الزند .

(٣) قوله من القاسمين : أي هو من القوم القاسمين . وأسدى إليه : أحسن ؛
وأسدى إليه معروفاً أخذه عنده . يقول : هو من القوم الذين يشكرونني على الأخذ
والقبول كما أشكرهم على الإنعام . إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم ع واذلك إحساناً
منه إليهم يستحق الشكر على حد قول زهير :

* كَأَنَّكَ تُعْضِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ *

(٤) جملاً ، شكرهم له على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له ، فهو يشكرهم على العطاء
وعلى الشكر الذي هو عطاء ثان . وفي هذا المعنى يقول أبو يعقوب الحريري :

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يُقَلِّدُ نِيهَا بَادِيًا وَيَمِيدُهَا

(٥) صيام : أي واقفة ، تقول صام الفرس : إذا وقف . يقول : إن خيلهم واقفة

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْدُولَةٌ لَوْفُودِهِمْ ، وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارٍ مِنْ لَمْ يَفِدْ وَفَدٌ^(١)
كَهَانَ عَطِيَّاتِ الْحَسَنِ عَسَاكَرٌ قَفِيهَا الْعَبْدَى وَالْمَطْهَمَةُ الْجُرْدُ^(٢)
أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَيْسَ الْعَلَا
رُؤْيُكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّمْعَ اتْلُدُ^(٣)
وَعَالَ فَضُولَ الدَّرْعِ مِنْ جَنَابَتِهَا عَلَى بَدَنٍ قَدْ الْقَنَاءَ لَهُ قَدْ^(٤)
وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدًا ، وَكَانَ تَغْذَا أَبَاؤُهُ وَهُمْ مُرْدُ^(٥)
مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي
مِنْ الْعَدَمِ مَنْ تَشَفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ^(٦)

بأبوابهم ؛ وهى كأنها تعدو فى قلوب أعدائهم لشدة خوفهم ، يعنى أنهم مخوفون وإن لم يقصدوا أحداً .

(١) الوفود : جمع وفد ، بمعنى زائر . يقول : إنهم غير محجوبين عمن يقصدهم من الوادين ، وأموالهم ترد على من لم يأتهم لأنهم يعيشونها إليهم ، فأموالهم مبدولة للحاضر والغائب .

(٢) العبدى : جمع عبد ؛ والمطهمة : الخيل الحسان التامة الخلق ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول : عطاياه كالعساكر فيها كل شيء ، حتى العبيد والخيل .

(٣) جعل المدوح قرأ وأباه شمساً ، يريد رفعهما وشهرتهما ، وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس . يقول : قد لبس العلى ثوباً ثم خاطبه وقال تمهل حتى ينبت الشعر فى وجهك : أى حتى تكبر ؛ يعنى أنه قد بلغ ما بلغ وهو صغير لم يبلغ حد الرجولية .

(٤) غالها : ذهب بها : أى رفعها من الأرض ؛ وفضول الدرع : ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة ، وهو جمع فضل ؛ وجناباتها : جوانبها ، والقناة : عود الرمح يقول : إنه من ذوى البسطة فى الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه ، وقده مع ذلك طويل معتدل كقعد القناة ، ليس بأقص ولا بأحدب .

(٥) أبكار المكارم : أى التى لم يسبقه أحد إليها . يقول : إنه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشئ أمرد ، وكذلك كان يفعل أباه .

(٦) من فى قوله من تشفى به : فاعل شفى : من باب وضع الظاهر موضع المضمرة أو بدل من ضميره ؛ جعل الدم — أى القمر — كالداء الذى يطلب له الشفاء ، وأن

حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا خَفَافَةً سِيرِي إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدُ^(١)
وَشَهْوَةً عَوْدٍ إِنَّ جُودَ يَمِينِهِ ثَنَاءً ثَنَاءً وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ^(٢)
فَلَا زِلْتُ أَلْقَى الْخَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا ، وَفِي يَدِهِمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِي الرِّفْدُ^(٣)

أبا الممدوح شفاه بجوده وعطائه وأن من نظر إليه — أى إلى أبي الممدوح — قرت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفى وهذا كما يقول ابن الرومي :
يَا رَمِدَ الْعَيْنِ قُمْ قِبَالَتَهُ فَدَاوِ بِاللَّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدَكَ

هذا : والعدم والعدم إذ ضمنت الأول : سكنت الثاني ، وإن فتحته فتحت الثاني :
كالسقم والسقم ، والرشد والرشد والحزن والحزن والرمد جمع رمة ، ورمد الرجل :
هاجت عينه فهو رمد وأرمد .

(١) حبانى : أعطانى ؛ والسوابق : الخيل ، ودونها : حال من السوابق . يقول :
أعطانى أثمان الخيل — أى المال الذى تشتري به الخيل السوابق — ولم يعطنى
الخيل عفاة أن أسير عليها وأفارقه ، لأن الخيل بجريها تعين على السفر والبعد فهى من
أسباب الفراق وأعوانه . وقوله : إنها ، لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستئناف
ويكون الكلام قد تم بسيرى ؛ وافتحها على تقدير اللام : أى حبانى بذلك لأنها .

(٢) شهوة : عطف على عفاة . وبها : صلة الجواد ، والضمير للأثمان أو لقوله
ثناء ؛ لأنها عطايا ثناء : أى مثنى مثنى . يقول : حبانى بأثمان السوابق شهوة عود منه إلى
حبانى مرة أخرى قبل انصرافى لأن جوده مثنى وإن كان هو فردا لانظير له .

(٣) بمثلها : أى بمثل أثمان الخيل ، أو بمثل عطايه المذكورة فى قوله : ثناء ثناء —
كما سبق — . يدعو لنفسه يقول : لازلت أثيراً لديه محظوظاً عنده ألتقى عطايه وألقى بها
حسادى فأفطر قلوبهم ، فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم . وىروى غيظ بدل غيظ : أى
فراغ من غاض الماء إذا نقص وجف والرفد — بالكسر — العطاء والصلة ، وبالفتح : المصدر
رفده رفده رفداً أعطاه ؛ ومنه الرفادة وهى شىء كانت قریش تترافد به فى الجاهلية
فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيماً أيام المرسوم فيشتركون
به للحاح العجز والطعام والزيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضى أيام
موسم الحج ، وكانت الرفادة والمقاية لبنى هاشم ؛ والسدانة واللواء لبنى عبد الدار ،
وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف ، وسمى هاشماً لشمه الثريد : والرافدان
دجلة وانهرات . قال الفرزدق يعاتب يزيد بن عبد الملك فى تقديم ابن المثنى عمر بن
هيرة الفزاري على العراق ويهجوهم .

وَعِنْدِي قَبَاطِيُّ الْهُمَامِ وَمَالُهُ وَعِنْدَهُمْ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ^(١)
يَرُومُونَ شَأْوِي فِي الْكَلَامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِ الْفَتَى فِيمَا خَلَا الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ^(٢)
فَهُمْ فِي جُوعٍ لَا يَرَاهَا ابْنُ دَايَةِ ، وَهُمْ فِي ضَجِيجٍ لَا يُحِسُّ بِهَا الْخَلْدُ^(٣)
وَمِنِّي أَسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيْبَةٍ ؛

فَجَازُوا بِتَرْكِ الدَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَمْدُ^(٤)

بَعَثَ إِلَى الْعِرَاقِ وَرَافِدَيْهِ فَرَارِيًّا أَحْذُ يَدِ الْقَمِيصِ^(١)

(١) القباطي : جمع قبطية . وهي ثياب بيض تعمل في مصر ؛ والجحد : إنكار الشيء مع العلم به . يقول : ولا زال عندي ثياب المدوح وماله ، وعند حاسدي إنكار ما ظفرت به من نعمته ؛ يقولون : لم يعطه ولم ينل جميع ما يدعى حسداً لي وسترأ لما فضلت به عليهم ، وقال ابن جني في معنى المصراع الأخير : هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا شيئاً حتى إذا قيل لهم : هل عندكم خير أوبر من هذا المدوح ؟ قالوا : لا ، فذلك هو الجحد وليس شيء .

(٢) الشأو : الغاية : يقول : إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايي في الشعر وهم بالقياس إلى كالتفرد بالقياس إلى الإنسان ، يحاكيه في جميع أفعاله ما خلا المنطق فإنه يعجز عنه وكذلك هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل كلامي .

(٣) ابن داية : هو الغراب ، يقع على داية البعير - الدبر - فينقرها قال الشاعر :

إِنْ ابْنُ دَايَةِ الْفِرَاقِ لَمْ يُولَعْ وَبِمَا كَرِهْتُ لِدَائِمُ التَّنْمَلَبِ

وهو يوصف بمدة البصر . والخلد : نوع من الفأر أعمى ، يضرب به المثل في قوة السمع . يقول : هم في جوع قليلة ، لا يصبرها الغراب مع حدة بصره ، ولا يسمع أصواتهم الخلد مع حدة سمعه . والمعنى أنهم غاية في الحقايرة ودقة الشأن ، حتى لو أن ذلك كان في أجسامهم ، ما رأى جموعهم الغراب ، أوفى أصواتهم ، ما سمعها الخلد .

(٤) قوله فجازوا : أمر من المجازاة . يقول : مني استفاد الناس كل شعر بارع رافع بديع واتحلوه . ثم انتفت إلى خطابهم وقال : فإن لم تجازوني بالحمد على تصاندي فليكن

(١) يصفه بالغلول وسرعة اليد . وقوله أخذ يد القميص : أراد أخذ اليد ، فأضاف إلى القميص حاجته ، وأراد خفة يده في السرقة . وقيل : إن الأخذ الملقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل العالي ، فحمله كالأخذ الذي لا شعر لذنبه .

وَجَدْتُ عَلِيًّا وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ
وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ وَأَسْتَوَى الْخُرُ وَالْعَبْدُ^(١)
وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ
وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعَقْدُ^(٢)

جزأئ مشكم ترك ذى ! يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم ينتقصونه ويصفون إناءه . وقال ابن جني : قوله لجازوا : هو كما تقول هذا الدرهم يجوز على خبث نقده : أى يتسامح به ، فغايته أن لا يذموا ، فأما أن يحمدا فلا ... قال العروضى - ينتقدم قضيت العجب ممن يخفى عليه مثل هذا ، ثم يدعى أنه أحكم سماع تفسيره منه ، وإنما يقول : الناس استفادوا منى كل شعر غريب وكلام بارع ، ثم رجع إلى الخطاب فقال : لجازونى على فوائدى بترك الذم إن لم يحمداونى عليها .

(١) على : أبو للمدوح ؛ وابنه : الحسين ، والضمير فى قومه : لعل ؛ يقول : هو وابنه خير قومه ، وقومه خير قوم فى الدنيا ، وبعد ذلك يستوى الأحرار والعبيد فى انحطاط الجميع عن منزلتهم ، وهذا كقول أبى تمام :

مُتَوَاطِئُ عَقَبَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَلَا وَالْمَجْدُ نُمَتْ نَسْتَوِي الْأَقْدَامُ
(٢) منهما : حال من مكانه ، وفى مكانه : خبر أصبح ، والضمير : للشعر ؛ يقول : وأصبح شعري من على وابنه فى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه ، لأنهما أهل لأن مدحا به فزاد حسنه ، كما أن العقد إذا حصل فى عنق الحسناء ازداد حسنه . وهذا كقوله أيضاً .

وقد أطال ثنائى طولن لابيهِ إن الثناء على التنبالِ تَنَبَالُ

[التنبال : القصير]

وساير أبا محمد بن طنج وهو لا يدرى أين يريد ؛ فلما دخل كفر ديس قال :

وَزِيَارَةٍ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ كَالْفُضِي فِي الْجَفْنِ الْمَسْدِ^(١)
مَعَجَتُ بِنَا فِيهَا الْجِيَا دُمَعَ الْأَمِيرُ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٢)
حَتَّى دَخَلْنَا جَنَّةً لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا مُحَمَّدٌ^(٣)
خَضِرَاءُ خَمْرَاءُ التَّرَا بِكَانَهَا فِي خَدِّ أَغِيدٍ^(٤)
أَحْبَبْتُ تَشْبِيهَا لَهَا فَوَجَدْتُهُ مَا لَيْسَ يُوجَدُ^(٥)
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْخَفَا ثِقِي فَمَنْ وَاحِدَةٍ لِأَوْحَدٍ^(٥)

* *

(١) المسد : الذى منع النوم لئلا هم . يقول : اتفقت لنا زيارة هذه القرية بئنة فكانت لطيبها كالنوم فى جفن الساهد .

(٢) المعج : أن يعتمد انفرس على إحدى عضادى العنان : مرة فى الشق الأيمن ، ومرة فى الشق الأيسر ، وقيل : ضرب من السير لين سهل ، قال الشاعر :

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدٍّ فَإِذَا وَنْتَ الْخَلِيلُ مِنَ الشَّدِّ مَعَجٍ

(٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بحضرة العذار على حمرة خد أغيد ، والأغيد الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف ، وهو من أوصاف الغلمان الحسان . قال الواحدى والفيدي لا ينبىء عن الحمرة ، لكنه أراد أغيد مورد الخلد حيث شبه الحضرة على الحمرة بما فى خده ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَةِ أَيْدَى جَوَارِ بَتْنِ نَاعِمَاتٍ

يريد أن أيدى الإبل انخضبت من الدم ، كما أن أيدى الجوارى الناعمات حمراء بالخصاب ، وليست النومة من الخضب فى شيء .

(٤) يقول : أحببت أن أشبهها بشيء فوجدت التشبيه معدوماً . ويجوز أن يراد بالتشبيه الشبه به : يقول : أردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود ، يريد أنها لا نظير لها .

(٥) أى هى واحدة فى الحسن لأوحد فى المجد .

وهم بالنهوض قائمه أبو محمد فقال :

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ وَغَدَاً بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَاً^(١)
مَالَ عَلَى الشَّرَابِ جِدَاً ، وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى^(٢)
فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي عِدَّتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَاً^(٣)

وأطلق أبو محمد الباشق على سماناة فأخذها فقال :

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَفْتَ الْمُرَادَاً ، وَفِي كُلِّ شَأٍ شَأَوْتَ الْعِبَادَاً^(٤)
فَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ ، وَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ سَادَاً^(٥)
كَانَ الشَّمَانِي إِذَا مَا رَأَتْكَ تَصِيدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَاً^(٦)

(١) الوغد : الرذل الدنيء الضعيف العقل ؛ والوغد : خادم القوم ، وقيل : الذي يخدم بطعام بطنه ، تقول منه : وغد الرجل - بضم الغين - ومنه الوغد : قذح من سهام الميسر لا نصيب له يقول : رأيت العاقل اثبت الرزين به رذلا دنيئاً أحقق ، وأجرار الملوك عبيداً ، يعنى شرفه وسيادته .

(٢) يقول : إن الشراب - شراب الراح - قد نال منه ، وأنه أراد النهوض فمنعه ، ثم قال : وأنت أعرف بكل شيء وأهدى الناس إلى الكرام .

(٣) رِفْدَاً : أى إنعاماً ، يريد : أنا أحمد لا أنصرف ، فإن تفضلت بانصرافي عدته منك عطية .

(٤) الشأو : الغاية ؛ وشأه : سبقه .

(٥) يقول : لم تدع من السيادة شيئاً يناله من لم يسد ، ولا شيئاً يذكر لمن ساد

(٦) السمانى : الطائر المعروف فى مصر بالسمان ، يكون واحداً ويكون جمعا ويقال فى الواحدة أيضاً سماناة . وتصيدا - بحذف إحدى التامين - أى تصيدها يقول : إن السمانى استسلمت للباشق ، فكأنها تشتهى أن تضاد لتفتخر بحصولها فى يدك .

(٨ - الخنفي ٢)

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال ، فأثارت الغلمان خَشْفًا ، فتلَقَّفَتْهُ الكلاب ،

فقال :

وَشَامِخٍ مِنَ الْجِبَالِ أَتَوَدِ فَرَدِ كَيْافُوحِ الْبَعِيرِ الْأَصِيدِ^(١)
يُسَارٍ مِنْ مَضْيِقِهِ وَالْجَلْدِ فِي مِثْلِ مَتْنِ الْمَسَدِ الْمُعْقَدِ^(٢)
زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدْ لِلصَّيْدِ وَالنَّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ^(٣)
بِكُلِّ مَسْقِي الدِّمَاءِ أَسْوَدِ مُعَاوِدِ مُقَوِّدِ مُقْلَدِ^(٤)
بِكُلِّ نَابٍ ذَرَبٍ مُحَدَّدِ عَلَى حِفَافِي حَنَكٍ كَالْمَبْرَدِ^(٥)
كَطَالِبِ الثَّارِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ يَقْتُلْ مَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدِي^(٦)

(١) وشامخ : أى ورب جبل شامخ : أى عال ؛ والأقود : المتقاد طولاً ، والأصيد : الملتوى العنق لداء ، والصيد : داء يصيب أعناق الإبل . يريد أن هذا الجبل مرتفع فى اعوجاج ، فشبهه يافوخ البعير الأصيد لعلوه واعوجاجه .

(٢) الجلد : الصخر . والسد : الجبل من ليف . يقول : إن السائر فى هذا الجبل يسير منه فى طريق ضيق ذى صخور ، قد تخرج واشتبك بعضه فى بعض فأشبه لذلك ما بين قوى الجبل المعقد .

(٣) لك أن تقرأ يعهد : بضم الياء - على المجهول - وبفتحها : على أنه من فعل الجبل . والمراد بالتمرد : طغيان النشاط . وقوله للصيد : بدل تفصيل من الأمر ، والنزهة : الابتعاد عن مجامع الناس ومواضع العمق وفساد الهواء . يقول : أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح مما لم يعهد فى مثله أو لم يعهده هو فى نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه .

(٤) أى زرناه بكل كلب يسقى دم ما يصيده ، أسود اللون ، تعود الصيد ومارسه كثيراً ، مقود : أى جعل له مقود يقاد به إلى الصيد ، مقلد من القلادة ، وهى الطوق يجعل فى العنق .

(٥) أى معاود للصيد بكل ناب ، أو تقول : يسطو بكل ناب ذرب : أى حاد ماض ، والحفافان : الجانبان ، شبه حنكه بالمبرد ، لما فيه من التضايرس والطرائق .

(٦) ودى القتل يديه : أعطى ديته ، وهى ثمن الدم . يقول : كأن له عند الصيد ثأراً يطلبه وإن لم يضطعن عليه ، فهو يقتل ما يقتله ولا دية عليه .

يَنْشُدُ مِنْ ذَا الْحِشْفِ مَا لَمْ يَفْقِدِ
 فَتَكَرَّ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدَى^(١)
 كَأَنَّهُ بَذَهُ عِذَارِ الْأَمْرِدِ فَلَمْ يَكْذُ إِلَّا لِحِتْفٍ يَهْتَدِي^(٢)
 وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى بَطْنٍ يَدٍ وَلَمْ يَدْعُ لِلشَّاعِرِ الْمَجُودِ^(٣)
 وَصَفَا لَهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْأَتَجِدِ الْمَلِكِ الْقَرْمِ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٤)
 الْقَانِصِ الْأَبْطَالِ بِالْمُهَنْدِ ذِي النُّعْمِ الْفَرَّ الْبَوَادِي الْعُودِ^(٥)
 إِذَا أَرَدْتُ عَزَّهَا لَمْ تُعَدِّ ،
 وَإِنْ ذَكَّرْتُ فَضْلَهُ لَمْ يَنْفَدِ^(٦)

- (١) الحشف : ولد الظبية . ونشد الضالة : طلبها وتعرف مكانها . وقوله : من أخضر أى من مكان أخضر . يقول : يطلب من هذا الحشف ضالة لم يفقدها من قبل ، فتار الحشف بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندى :
- (٢) و (٣) قوله كأنه الخ : شبه النبات الأخضر بشعر العارضين أول ما يبدو في خد أمرد . وقوله : فلم يكذ الخ يقول : لما ثار الحشف أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكذ يهتدى منها طريقا إلا كان فيها هلاكه لإدراك الكلب إياه ، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيها . وقال الواحدى : إنه لما يئس من القوت مد يديه لاطئا بالأرض .
- (٤) يقول : ولم يدع الكلب للشاعر وصفا يصفه به لدى الأمير ، لأنه لا يقدر أن يأتى بشئ أكثر مما رآه من أفعاله ، والقرم : السيد . وأصله من البحر للقرم ، وهو الذى لا يعمل عليه ولا يذل .
- (٥) سمى أخذه الأبطال بالسيف قصا : لمشاكلة للقام ؛ والفر : البيض ، والبوادي العود : أى التى تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة . ويحتمل أن تكون البوادي أصلها الحمز ، تخففها للوزن .
- (٦) لم تعدد : تزوى لم أعدد ؛ وينفد : يفرغ .

وقال ارتجالاً يودعه :

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِيدِ
 هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ^(١)
 إِذَا السَّحَابُ زَفَتَهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعًا
 فَلَا عَدَا الرَّمْلَةِ الْبَيْضَاءِ مِنْ بَلَدِ^(٢)
 وَيَا فِرَاقَ الْأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنَزَلُهُ
 إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْمًا فَلَا تَعُدِ^(٣)

(١) الوامق : الحب . يقول : ليس هذا الوداع وداع محب لحبيبه ، وإنما هو وداع روح لجسدها . وفي هذا المعنى يقول القائل :

أَتَتْ وَدْمُوعُهَا فِي الْخَدِّ تَحْكِي فَلَائِدُهَا وَقَدْ جَمَلَتْ تَقُولُ
 غَدَاةٌ غَدٍ تَحْتُ بِنَا الْمَطَايَا فَهَلْ لَكَ مِنْ وَدَاعٍ يَا خَلِيلُ
 قُلْتُ لَهَا : لِعَمْرِكَ لَا أَبَالِي أَقَامَ الْحَيَّ أُمَّ جَدِّ الرَّحِيلِ
 يَهْدِدُ بِالنَّوَى مَنْ كَانَ حَيًّا وَهَذَا أَقْبَلُ بَيْنَكُمْ قَتِيلُ

(٢) زفته : ساقته ؛ والرملة : بلد المدوح ؛ وعدا : جاوز ؛ ومن بلد : يميز ؛ ومن : زائدة . دعا له بالسقيا والخصب والبركة يقول : إذا أرسل إليه سحابا فلا جاوز بلادك .

(٣) منزله : فاعل الرحب . يقول : إن فارقتنا - أيها الفراق يوما - بأن اجتمعنا - فلا تفرقنا ثانية .

ودخل على أبي العشار الحسين بن علي بن حمدان يوماً فوجده على الشراب ،
وفي يده بطيخة من الندى غشاء من خيزران ، عليها قلادة لؤلؤ ، وعلى رأسها
عنبر قد أدير حولها ، فحياه بها وقال : أى شيء تشبه هذه ؟ فقال ارتجالاً :

وَبَيْتِي مِنْ خَيْرِ زُرَّانِ ضُمِّتْ بِطِيخَةٍ نَبَتَتْ بِنَارٍ فِي يَدٍ ^(١)
نَظَّمَ الْأَمِيرُ لَهَا قِلَادَةَ لَوْلُؤٍ كَغَمَالِهِ وَكَلَامِهِ فِي الشَّهِيدِ ^(٢)
كَالْكَاسِ بِأَشْرَها الْمِزَاجُ فَأَبْرَزَتْ
زَبَدًا يَدُورُ عَلَى شَرَابٍ أَسْوَدٍ ^(٣)

(١) البنية : البنية ، يريد الخيزران الذى اتخذ وعاء لهذه البطيخة ، ولما قال بطيخة
أثبت لها النبت على سبيل الترشيح ، إلا أنه جعل نبتها بنار في يد ؛ لأنها أديرت في
يد صانعها على النار حتى تمت صنعها .

(٢) شبه القلادة المنظومة في حسنها بفعله وكلامه الذى يتكلم به في مشهد من الناس
(٣) المزاج : الماء الذى يمزج به ؛ والزبد : ما يطفو على وجه الكأس ؛ جعل
الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله ممزوجاً ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التى عليها ؛
وقال ابن جني : هو تشبيه واقع ، وإن كان على شراب أسود ، وفي لفظه باليس في
لفظ الشراب الأصفر والأحمر ، إلا أنه شبه ما رأى بما أشبه . ألا ترى إلى قول القائل
في تشبيهه :

لو ترائى وفي يدي قدح الدُّوِّ شاب أبصرت بازياً وغزالاً ^(١)

(١) الدوشاب - كما في مفردات ابن الأثير - نبيذ القمر ؛ روى تقيويه عن أحمد
ابن حمدان ، قال : تذكرنا يوماً بحضرة الكنتى فقال : أفيكم من يحفظ في نبيذ
الدوشاب شيئاً ؟ فأنشدته قول ابن الرومي :

إذا أخذت حبّه ودنّسهُ ثم أجدت ضربه ومرّسهُ

ثم أطلت في الإناء حبسه شربت منه الباهل نفسهُ

قلل للكنتى : قبحه الله ما أشربه ! لقد شوقني في هذا اليوم إلى شرب الدوشاب

وقال فيها ارتجالاً أيضاً :

وَسَوْدَاءُ مَنْظُومٍ عَلَيْهَا لَآلِيٌ لَهَا صُورَةُ الْبَطِيخِ وَهِيَ مِنَ النَّدِّ^(١)
كَأَنَّ بَقَايَا غُصْبٍ فَوْقَ رَأْسِهَا
طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِي الشَّعْرِ الْجَمْدِ^(٢)

وعمل أبياتاً بديهاً ، فتمجّب أبو المثنى من سرعته فقال :

أَتُنْكِرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بَدِيهاً ، وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبَقَ الْجَوَادِ
أَرَاكِضُ مَعْرُصَاتِ الشَّعْرِ قَسراً فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطَّرَادِ^(٣)

• •

هذا : والكأس مؤنثة ، قال الله تعالى « بكأس من معين يضاء » وقال أمية ابن الصلت :

مَارْغَبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْيَا قَلِيلاً فَلَمُوتٌ لَاحِقُهَا
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غُرَاتِهِ بِوَاقِفِهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرماً لِلْمُوتِ كَأْسٌ وَالْمَرَّةُ ذَاتِهَا^(١)
وقيل : لا تسمى كأساً حتى يكون فيها الشراب .

(١) و (٢) رواعي : جمع راعية . وهو أول شعرة تبيض شيئاً . وروى الجوارزمي دواعي الشيب : يعني أوائله التي تدعو سائر الشعر إلى البياض . يقول : هذه البطيخة السوداء التي عليها لآلئ هي من الند . وكأن بقايا الغصن عليها أول الشيب في السواد ، يريد هي سوداء واللون أبيض ، فشبّه اللون بأول الشيب في الشعر الأسود . قال ابن جنى : الجعد الأسود لأن السواد أبداً يكون مع الجعودة . قال ابن فورجه : ليس كذلك لأن الزنج يشيون ولا تزول الجعودة ، وإنما آتى بالجعد للقافية .

(٣) أراكض : أطارد ، ومعروضات الشعر : أي عوصاته ، وهي التي لا يهتدى لوجهها والدبس : غسل التمر وعصارتها ؛ والرس : مصدر مرس التمر إذا دلكه في الماء حتى يتحات فيه .

(١) مات عبطة : أي شابا . وقيل : شابا صحيحاً

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ ، وَأَشْكُو إِلَيْهَا يَدْنَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ ^(١)
يُبَاعِدُنْ حَبًّا يَجْتَمِعُنْ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ بِحَبِّ يَجْتَمِعُنْ وَصَدَّهُ ^(٢)
أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ ^(٣)
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا تَكَلَّفُ شَيْءٌ فِي طِبَاعِكَ ضِدَّهُ ^(٤)

يصف نفسه بسرعة الحاطر وقوة البادرة ، وشبه الشعر بالصيد . يقول : إنه يطارد العويس من الشعر قياً خذه قهراً ، وأما من عداه من الشعراء فباق في مطاردته لم يدرك شيئاً .
(١) بيننا : فراقنا . يقول : أحب من الأيام الإنصاف وأن تجمع بيني وبين أحبي ، وذلك ما لا توده الأيام ، وأشكو إليها فراقنا وإنما هي جند الفراق ، لأنها سبب البعد والتفريق ، فكيف أرجى أن تصنى إلى شكائي ؟

(٢) يباعدن : أي يبعدن ؟ والحب : المحبوب : ووصله : وصدته ؛ معطوفان على الضمير في يجتمعن دون أن يأتي بتوكيد ، وهو جائز عند الكوفيين — كما أسلفنا — وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد لأتبعها يكونان فيها ، والظرف يتضمن الفعل ، وإذا تضمنه فقد لا يسه : فكانه اجتمع معه . يقول : إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب المقاطع ؟ يعني أن الأيام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود ، فكيف الطمع في حبيب صده موجود ؟

(٣) قال الواحدى : أى أن الدنيا قد أبت أن تديم لنا حبياً على الوصال فكيف أطلب منها حبياً تمنعه عن وصالنا ؟ وكيف أطلب منها أن ترده إلى الوصل بعد أن أعرض وهر ؟ وهذا كما قيل لبعضهم : قد ظهر نبي يحيى الأموات ، فقال : ما تريد هذا ، بل زريد أن يترك الأحياء فلا يميتهم ، وعبرة بعض الشراح : أى أن الدنيا لا تديم الحبيب الحاضر ، فكيف ترد الحبيب الغائب وهى سبب غيبته ؟ وقال ابن جني : إذا كان مافى يدك لا يبق عليك ، فما قد مضى أبعد من الرجوع إليك .

(٤) فعلت : نمت مفعول ، وتغيراً : تميز ، وتكلف : خبر أسرع . يقول : إن الدنيا لو أسعدتنا بقرب أحببتنا لما دام لنا ذلك لأن الدنيا بنيت على التغير والتثقل ، فإذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئاً هو ضد طباعه ، فليس إلا أن يدعه وشيكاً ويعود إلى طبيعه ، كما قال حاتم :

رعى الله عيساً فارقتنا وفوقها
بواديه ما بالقلوب كآته
مها كلها يولى بجفنيه خده^(١)
وقد رحلوا جيداً تنأثر عقده^(٢)
تفأوح منك الفانيات ورزده^(٣)
إذا سارت الأحداج فوق نباته

ومن يتدري ما ليس من خيم نفسه
ومثله قول الأعور الشني :
ومن يقتري خلقاً سوى خلق نفسه
وأدوم أخلاق الفقي ما تشابه ،
يدعه وتغلبه عليه الطبايع
وأقصر أفعال الرجال البدائع
ومثله :

يا أيها المتحلى غير شيمته إن التخلق يأتي دونه الخلق

(١) العيس : الإبل ، والمها : بقرة الوحش . تشبه بها النساء الحسان . ويولى - من
الولى - وهو المطر الذي يلى الوسمى . يدعو للإبل التي حملت الحبايب وذهبت بهن ، ثم
ذكر أنهن يكنن لأجل العراق فقال : كلها يولى - أى يطر - خده بجفنيه . جعل بكاءهن
كالمطر من جفونهن .

(٢) بواد : متعلق بفارقتنا - في البيت السابق - والضمير في رحلوا : لقوم الحبايب ،
والجيد ، العنق ، يقول : فارقتنا بواديه من الوجد والوحشة لفرأهم ما بالقلوب : أى
استوحش وتغير لارتحالهم ، فصار كأنه جيد تنأثر عقده ، يعنى أن الوادى كان متزيناً بهم
فلما ارتحلوا تعطل من الزينة وعبارة ابن جني : بقى الوادى مستوحشاً لرحيلهم عنه كالجيد
إذا سقط عقده وبه ما بالقلوب : أى قد قتله الوجد لفقدهم . قال : ويجوز أن يكون شبه
تفرق الحمولة والظن بدر تنأثر فتفرق ؛ وقال ابن القطاع - بعد أن أورد كلام ابن جني
هذا - يصف زهر الوادى وحسنه فتعوض بالمطل من الحلى .

(٣) الأحداج : مراكب النساء فوق الإبل كالهواذج : جمع حدج ، وهو جمع قلة ،
وجمع الكثرة حدوج ، وحدجت البعير أحدجه - بالكسر - حدجا : إذا شددت عليه
الحدج . قال الاعشى :

ألا قل لميثاء ما بالها اللبين تحدج أحمالها ؟
[ويروى : أحمالها - بالجيم - أى تشد عليها]

وَجَالٍ كَلَاخِدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُغَهَا
وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ^(١)

والرند : نبات من شجر البادية ، طيب الرائحة ، يشبه الآس . يقول : إذا سارت
مرا كبهن فوق نبات هذا الوادى وهو من الرند وهن قد تضمخن بالمسك - اختلطت
ريح الرند بريح المسك فتفوح الريحان ، قال ابن جنى : قال لى التنبى : لما قلت هذه القصيدة
وقلت : تفاح أخذ شعراء مصر هذه اللفظة فتداولوها بينهم قال ابن جنى : وهى لفظة
فصيحة مستحسنة . قال العكبرى : سألت شيخى بالحرم مكى بن ريان الماكسى عند قراءتى
عليه هذا الديوان سنة تسع وتسعين وخمسة : ما بال شعر التنبى فى كافور أجود من شعره
فى عضد الدولة وأبى الفضل ابن العميد ؟ فقال : كان التنبى يعمل الشعر للناس
لا للممدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء ، وكان
بمصر جماعة من الفضلاء ، والشعراء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ، وكذلك
كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء ، فكان يعمل
الشعر لأجلهم ولا يبالى بالممدوح ، والدليل على هذا ما قال أبو الفتح - ابن جنى - عنه
فى قوله : تفاح ، لأنه لما قالها أنكرها عليه قوم حتى حققوها ، فدل أنه كان يعمل الشعر
الجيد لمن يكون بالمكان من الفضلاء .

(١) غول الطريق : ما يقول سالكه ؛ أى يهلكه إنضاء . يقول : ورب حال هى
فى الصعوبة والامتناع وتعذر النال كإحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها ، وقبل
الوصول إليها بعد الطريق وما فيه من المهالك : يعنى أنه يطلب أحوال عظيمة . لا يقدر
على الوصول إليها كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الفانيات . وقال ابن جنى
ويجوز أن تكون الحال حسنة كإحدى هؤلاء العرائل فى الحسن . هذا : وإليك كلمة
على «رب» للعكبرى . قال : قوله وحال : أى ورب حال ؛ قال أصحابنا : واو رب تعمل
فى النكرة الحذف بنفسها : وإليه ذهب البرد : وقال البصريون : العمل لرب مقدرة ،
وحببتنا أنها نائبة عنها ، فلما نابت عملت الحذف بنفسها وكانت كواو انقسم لأنها نابت عن
الباء ؛ ويدل على أنها ليست خاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به . ونحن نرى
الشاعر يتدى بالواو فى أول القصيدة كقوله :

* وَبَلَدَ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسُ *

وَأَتَمَّبُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ ، وَقَصَرَ عَمَّا تَشْتَبَى النَّفْسُ وَجَدَهُ (١)
فَلَا يَنْحَلِلُ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلَّ بِمَجْدٍ كَأَنَّ بِالْمَالِ عَقْدَهُ (٢)
وَدَبَّرَهُ تَدِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدَهُ (٣)

ومثله كثير ، يدل على أنها ليست عاطفة ، وحجة البصريين على أن الواو واو عطف وحرف العطف لا يعمل شيئاً ، أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، وحرف العطف غير مختص ، فوجب أن يكون عاملاً ، وإذا لم يكن عاملاً وجب أن العامل «رب» مقدرة . ويدل على أن رب مضمرة أنه يجوز ظهورها معها نحو ورب بلدة .

(١) الم : الهمة ، والوجد : السعة . قال الواحدى : هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول أنا أتعب خلق الله لزيادة همى وقصور طاقى من الغنى عن مبلغ ما أم به ، وهذا مأخوذ مما فى الحديث : إن بعض العقلاء سئل عن أسوء الناس حالاً ؟ فقال : من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضائق مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد :
رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَةً وَمَا الْمُرُوءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً تَقَاعَدَ بِي عَمَّا يُبْنُوهُ بِأَنْبِي رِقَّةُ الْحَالِ

(٢) هذا نهى عن تبذير المال والإسراف فى إنفاقه ، يقول : لا يذهبن مالك كله فى طلب المجد ، لأن من المجد مالا ينعقد إلا بالمال ، فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذى كان ينعقد بالمال ، قال عبد الله بن معاوية :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أَوْرِ يُقْصَرُ دُونِ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي لِيَخْلِي ، وَلَا مَالِي يَبْلُغُنِي فَعَالِي
يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده ، وأبو الطيب يقول : يبنى أن تقتصد فى العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال فتنال العلى وتصل إلى الشرف ، ثم ضرب لهذا مثلاً بالبيت التالى .

(٣) يقول : دبر مالك تدبير من إذا خاض الوغى للطعان والزوال جعل المجد بمثابة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب ، يعنى أنه بالمجد تقاد الجيوش ، وبالمال ينفق عليها ، فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر ، كما أبان عن ذلك فى البيت التالى ،

فَلَا تَجِدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ، وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَمَرْكَوبُهُ رِجْلَاهُ وَالنُّوبُ جِلْدُهُ (١)
وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنَبَيْ مَالِهِ مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مَرَادٍ أَحَدُهُ (٢)
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرَبُّهُ فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ (٣)
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ عَلَيَّ مَرَاعِيهِ وَزَادِي رُبْدُهُ (٤)
وَأَمْضَى سِلَاحَ قَلْدِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ
رَجَاءَهُ أَبِي الْمَسْكِ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ (٥)

(١) يقول : في الناس من هودنىء الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالهدون منه ويمشى على قدميه عارياً ، فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء . واليسور : ما تيسر . وهو من المصادر التي جاءت على مفعول .

(٢) يقول : لكن لي قلباً ليس له غاية تنتهي عند مطلوب أجعل له حداً ، يعني أنني إذا جعلت حداً لطلوبي لا يرضى قلبي بذلك بل يطلب ما وراءه .

(٣) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق ، وتربه : تنميه وتنمعه . يقول : إن قلبي هذا يرى الجسم الذي هو فيه يترفه متمتعاً بلبس الثياب الرقيقة فيأبى ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعاً تهده بشقلها ، يعني أنه لا يرضى بالترف والنعيم وهو مغمور ويأبى إلا ركوب الصعاب في سبيل المجد والسيادة .

(٤) التهجير : السير وقت الهجرة ، وهي حر نصف النهار والمهمة : الفلاة الواسعة ؛ والربد : النعام الذي خالط سواده يباح . يقول : إن قلبي يكلفني التهجير والسير في كل فلاة بعيدة مترامية الأطراف ينفد فيها مامى من العليق والزاد فلا عليق لفرسى إلا أن يرتع في مراعيها ولا زاد لي إلا النعام أصيد فأكله .

(٥) يقول : وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياها مقاومة النوائب هو رجاؤه أبالمسك وقصده إياه ، يعني أن رجاءه كافوراً وقصده إياه هما اللذان هونا عليه مشقات الطريق وأخطاره فكأنه قاتل بهما هذه الأخطار والخاوف : فقوله : أمضى مبتدأ ، خبره رجاء ؛ ونفسه : مفعول أول لقلد ؛ والثاني : محذوف ، أى قلد نفسه إياه : وهذا المختص من أحسن المختص

هُمَا نَاصِرَا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ وَأُشْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ^(١)
 أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُغْذِيهِ وَلَدُهُ^(٢)
 فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ، وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ^(٣)
 نَجْمُهُ الْقَنَا ائْطَلَى حَوْلَ قَبَائِهِ ، وَتَرَدَّى بِنَاقُبِ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ^(٤)
 وَنَمْتَحِنُ النُّشَابَ فِي كُلِّ وَابِلٍ دَوَى الْقِسَى الْفَارِسِيَّةِ رَغْدُهُ^(٥)

(١) أسرة الرجل أهله الأدنون يقول إن جاء كافور وقصده ، هما ينصران على الزمان من خذله أنصاره فأصبح بغير ناصر ، وهما عشيرة من لا عشيرة له ، بهما يمز فيغيانه عن العشيرة .

(٢) الولد - بالضم - بمعنى الولد - بالفتح - يقع على الواحد والجمع قال الشاعر :
 فَلَيْتَ فَلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فَلَانًا كَانَ وَلَدَ حِمَارٍ
 يقول : إن كافوراً وهب له غلماناً وأنه منهم في عشيرة ، إذ يحفون به ويركبون معه ، وكافور له ولم كالوالد وهم له كالأولاد البررة يحدونه بأنفسهم .

(٣) الدر : اللبن يقول : إن بره عم الكبير والصغير ، فالذي يملكه الكبير حتى نفسه - أى حياته - من ماله ، لأنه إنما يغذى بنعائه ؛ ومهد الصغير واللبن الذي يرتضعه كذلك من ماله ، وكل ذلك لأنه ملك عظيم له الأمر والتصرف في كل شيء . وقال ابن جني : يهب للناس أنفسهم كما يهب لهم المال ، لأنه مالك الجميع : كبيرهم وصغيرهم .

(٤) القنا : الرماح ؛ والخطى : نسبة إلى الخط ، وهو موضع بالجماعة تقوم فيه الرماح وقبايه : خيامه . وتردى - من الرديان - وهو ضرب من العدو . والقب : الضامرة البطون ، جمع أقب ؛ والرباط : اسم لجماعة الخيل ؛ والجرد : : القصار الشعر . يقول تقوم - - يعنى نفسه ومن معه من الغلمان - - في خدمته أينما نزل ونصبت خيامه ، وتعدو بنا الخيل في صحبته أينما سار . وقوله وجرده : وحد الضمير ولم يقل وجردها لأن الرباط اسم واحد غير متكرر بمنزلة القوم والرهط .

(٥) نمتنح : نخبر ، والنشاب : السهام . والوابل : المطر الغزير . والقسى الفارسية أى للنسوبة إلى فارس ، يريد صنعة الصم . يقول : ونمتحن بين يديه الترابي بالسهام ونهمن منها في مثل الوابل لكثرتها ، وأصوات القسى في ذلك الوابل كالرعد : يعنى أنهم يترامون

فَلَا تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَرِينَهُ

فَإِنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ النَّاسِ أَسَدُهُ^(١)
سَبَائِكُ كَافُورٍ وَعَقِيَانُهُ الَّذِي بِصَمِّ الْقَنَا لَا يَصَالِأَيْعُ نَقْدُهُ^(٢)
بَلَاهَا حَوَالِيهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ وَجَرَبَهَا هَزْلُ الطَّرَادِ وَجِدُهُ^(٣)
أَبُو الْمِسْكِ لَا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِعُذْرِكَ حِقْدُهُ^(٤)
فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجُدِّ سَعِيهِ وَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالسَّيِّ جَدُّهُ^(٥)

بالسهم ويتلاعبون بالأسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماء ، كمادة الفرسان والشبان في الحرب .

(١) الثرى : الموضع الكثير الأسد ، وأصله مأسدة بجبل سلمى من بلاد طيء ؛ والعرين : الأجمة . وقوله : فَإِنَّ الَّذِي . رواها ابن جني : فَإِنَّ الْقَى ، لأنه أراد الفتة والجماعة . ولكن رواية الذي : أجود وأشهر . يقول : إن لم تكن مصر هي الثرى ولا عرينه ، فإن الناس الذين فيها هم أسود الثرى ، فالضهير في أسده : للثرى .

(٢) السبائك : جمع سبيكة ، وهي القطعة من فضة أو ذهب ذوبت وأفرغت في قالب ؛ والعقيان : الذهب . وصم القنا : أى الرماح الصلبة يقول : هؤلاء الناس - الذين ذكرهم - هم ذخائر كافور وعدته في مطالبه . فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره ، ولما جعلهم سبائك وعقيان ذكر أنه انتقدهم بالرماح - لا بالأصابع كما ينتقد الذهب - أى أنه امتحنهم بطعان الفرسان ، واصطفاهم بعد أن أبلوا في الحرب .

(٣) بلاها ؛ اختبرها ، وهزل الطراد : مردود إلى قوله وغيره ، وجده إلى العدو على طريق النشر الغير للرتب ، يقول : اختبرها الأعداء في الحرب حوالى كافور ، لكثرة ما حاربوا أعداءه . وشهدوا معه المعارك فصاروا مجريين بكثرة القتال ، واختبرها غير العدو في أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضا : أى جربت في حالتي الجد والهزل وتمرست بالقتال في سائر الأحوال .

(٤) يقول : إنه كثير العفو ، وإن عفوه أ ثر من ذنب المذنبين ، وإنه ليس بمحقود وإذا اعتذر إليه الجاني ذهب حقه .

(٥) الجد - هنا - السعد . يقول : إن السعى والسعادة قد اجتماعا له ، فإذا سعى فى أمر نصير السعد سعيه فيصير مجدودا فى ذلك السعى ويدرك ما يريد من سعيه ، وإذا

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي فَأَخْلَفْتَ طَيْبَهُ ، وَمَا ضَرَرَنِي لِمَا رَأَيْتُكَ فَقَدُهُ (١)
لَقَدْ شَبَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَهْوُهُ لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ (٢)
أَلَا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرُّهُ فَتَسْأَلُهُ وَاللَّيْلُ يُخْبِرُ بَرْدُهُ (٣)
وَلَيْتَكَ تَرَعَانِي وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أُنَى مِنْ حُسَامِكَ حَدُّهُ (٤)

حزفته السعادة إلى نيل مطلوب نهض إليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده ، وإذا اجتمع السعد والسعى لإنسان بلغ أقصى المبالغ .

(١) تولى : ولى ، وفقده فاعل ضر . يقول : ولى الصبا عنى وذهب ، فأخلفت على طيبه : أى جعلت له خلفا بما أجد من طيب أيامى عندك ، يعنى أنى مبتهج بك ابتهاجى بالشباب حتى لم يضرنى فقده مع رؤيتك .

(٢) هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق : يقول : إن الكهول بما يلاقونه فى ذراك من رغد العيش وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابا والرد عند غيرك صاروا شيئا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم . وقال ابن جنى : هذا تعريض بسيف الدولة ، أى صاروا عند غيرك بظلمه وسوء سيرته شيئا . ويجوز أن يكون هذا من المقلوب هجوا . يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من النذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان ، وأن للرد - وهم الشبان عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم - صاروا شيئا : أى موقرين توقير الشيوخ .

(٣) يذكر أنه قال فى مسيره إليه حر النهار وبرد الليل يقول : ليهما يخبران فتسألها عما قاسيت . هذا وقوله : والليل عطف على يوم وحره فاعل يخبر وكذا برده . وقوله فتسأله : نصبه ، لأنه جواب التخي . وقال العكبرى - لمناسبة حر النهار وبرد الليل - وهذا يكون فى أواخر أيام الصيف وأوائل الخريف لأن النهار يكون كريبا والليل بارداً . قال : وما أحسن ما جمع بعضهم الفصول الأربعة فقال :

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الْمَصِيفِ وَكَرَبُ الْخَرِيفِ وَبَرْدُ الشِّتَا
وَيُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَعَمَلُكَ لِلْخَيْرِ قُلْ لِي مَتَى
(٤) ترعانى - هنا - بمعنى ترانى وتراقبى ؛ وحيران : ماء بالشام على يوم من سلية ومعرض : أى ظاهر ، من أعرض الشيء : بدا للنظر ، ومنه :

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُضْلِتِينَا

وَأَنْتِ إِذَا بَاشَرْتِ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيدُ وَهَانَ أَشَدُّهُ^(١)
وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إِلَيْكَ فَلَمَّا لَحْتُ لِي لَاحَ فِرْدُؤُهُ^(٢)
يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتُ جَيْشًا وَرَبَّهُ أَمَامَكَ رَبُّ رَبِّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ^(٣)
وَأَلْقَى الْقَمَّ الضَّحَاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِي الْكَفِّ الْمُنْدَادِ عَهْدُهُ^(٤)
فَزَارَكَ مِنِّي مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ

وَفِي النَّاسِ إِلَّا فِيكَ وَخُذَكَ زُهْدُهُ^(٥)
يُخْلَفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ، وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ^(٦)

يقول : ليتك كنت تراني وأنا عند هذا الماء فترى جلدي وإشاحتي في السير فتعلم
أنى ماض في الأمور مضاء حد سيفك .

(١) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والإقدام . يقول : إنه إذا حاول أمرا تدانت
أباعده وهان أصعبه لعزمه وبعد همته .

(٢) يشتهون : يتشابهون ، ولى : متعلق يشتهبون . وإليك : متعلق بمحذوف حال
من ضمير التكميم قبله : أى وأنا قاصد إليك . يقول : ما زال أهل الدهر يتشابهون
عندى فى مسيرى إليك ، فلا أكاد أرى بينهم فرقا حتى ظهرت لى ، فإذا أنت فردهم
الذى لا يشبهه أحد منهم وهذا كتوبه :

* الناسُ ما لم يروك أشباهُ *

(٣) يقول : إذا رأيت جيشا وملكة فاستعظمته قيل لى : قدأمك ملك هذا الملك
الذى تراه عبده فكيف هو ؟ . قال الواحدى : وهذا كالتفسير البيت السابق فالذين
رآهم هم الذين اشتبهوا له والذى قيل له : رب هذا الجيش عبده ، هو الفرد الذى لاح له .
(٤) يقول : إذا لقيت إنسانا ضاحكا علمت أنه قريب عهده بكفك وأخذه عطاءك
فأثنى عنك مسرورا . فقوله بذى الكف . أى بهذه الكف وهى متعلقة بعهد ؛
وقريب : خبر مقدم ، وعهده : مبتدأ مؤخر ، وعبرة ابن جنى : لما قبل كفك كسته
الضحك لبركتها وسعادة من يصل إليها لأنك أغنيتك فكثر ضحكك .

(٥) من نكرة موصوفة والجملة بعدها نعت لها ، أى زارك منى رجل اشتياقه كله
إليك أنت — يعنى نفسه من باب التجريد — وزهده فى الناس كلهم إلا فىك وحدك
يعنى أنه زاهد فى قصد سواه .

(٦) يخلف : أى يترك خلفه ؛ والجهد : الطاقة والوسع . يقول : إن دار المدوح

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَلْتُ مِنْكَ فَرَّبِمَا شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرُ وَرَدُّهُ^(١)
وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ
نَظِيرُ فَعَالٍ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ^(٢)
فَكُنْ فِي أَصْطِنَاعِي مُخْسِنًا كَمُجَرَّبٍ
يَبِينُ لَكَ تَقَرُّبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ^(٣)

هى غاية القصاد ومنتهى المتجعين ، فمن لم يأتها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها ، فإذا
أناها علم أنه قد بلغ جهده الذى لا جهد بعده كما قال :

هى الغرض الأقصى وَرَوَيْتُكَ الْمُنَى

وعبارة المكبرى : غاية كل طالب مرتبة دارك ونهاية ما يأتيه مكتسب المجد ، أن
يقصدك . فمن لم يأت دارك فقد خلف غاية إذا أناها علم أن ذلك جهده فى ابتناء المجد
واكتساب المال .

(١) بماء : أى من ماء ، والورد : إتيان الماء . يقول : إن بلغت أملى فيك فلا عجب
فكم بلغت الممتع الذى لا يدرك من الأمور ، وجعل الماء الذى لا يرد الطير مثلاً للمتبع
من الأمور . قال الواحدى : وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعده الطريق إليه . قال ابن
ابن جنى : يمكن أن يقلب هذا هجاء ، ومعناه إن أخذت منك شيئاً على بخلك وامتناعك
من العطاء ، فكم قد وصلت إلى المستعصبات واستخرجت الأشياء المتعصاة ؟ ولعل التبي
يشير بما أمله منه إلى ما كان يطلبه من تفويض ولاية إليه ، وكان كافور قد وعده بذلك حياء
منه وهو لا يريد ، وقد سئل فى ذلك يوماً فقال : يا قوم إذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية ، أفلا
ترونها يدعى الملك ؟ فقال أبو الطيب ذلك . يشير إلى بعد هذا للأموال وصعوبة نيله .

(٢) الضمير — فى لأنه : ضمير الشأن . ووعده — فى آخر البيت — مبتدأ
مؤخر . ونظير : خبر مقدم . والفعال — هنا — الفعل . يقول : إن وعدك بمثابة
الفعل الذى يقع دون أن يتقدمه وعد لأن من كان صادق القول لا يرجع عن وعده .
فوعده نظير فعله : أى أنه إذا وعد ، فكأنه قد فعل .

(٣) اصطنعه : اختاره موضعاً لصنيعته : أى بره ومعروفه . والتقريب والشد :
ضربان من جرى الخيل . قال ابن جنى : أى جربى ليظهر لك صغير أمرى وكبيره ؟

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَأَبْلُهُ
 فَإِمَّا تُنْفِيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ (١)
 وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النَّجَادُ وَغَدُّهُ (٢)
 وَإِنَّكَ لَلشَّكُورُ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْبَشَاشَةُ رِفْدُهُ (٣)
 فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ
 فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِدُّهُ (٤)
 وَإِنِّي لِنِي بِحَجْرٍ مِنَ الْخَلِيرِ أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَهَا وَهِيَ مَدُّهُ (٥)

فإما اصطنتني وإما رفضتني ، فلا فضل بيني وبين غيره إذا لم تجربني . وقال الواحدى :
 جربني في اصطناعك إياي ليتبين لك أنى موضع للصنعة ، فبالجربة يعرف الفرس
 وأنواع جريه من التقريب والشد .

(١) فأبله : فاختبره . ويقال نفاه ؛ ونفاه : غففا ومشددا . وهذا مثل في معنى
 البيت السابق . يقول : إذا جربت السيف بأن لك صلاحه وفساده ، فأما ألقته لأنه
 كهام ، وإما أعدده للحرب لأنه حسام : يعنى جربني فإن وجدتني أهلا لما شئت فاصطنعني
 وإلا فارضني .

(٢) الصارم : السيف القاطع . والنجاد : حمالة السيف . وهذا تأكيد لما ذكره
 في البيتين السابقين ، يقول : إن السيف القاطع الهندي لا يظهر فضله على غيره من
 السيوف حتى يسلب ويضرب به ، وبذلك يعرف مضاه . وقد قلنا : إن المتنبي كان يطلب
 من كافور ولاية ، فهو يقول له : جربني لتعرف ما عندى من الكفاية ، وأنى أصلح لأن
 أكون واليا . وهذا من قول أبي تمام :

لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلخَطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسَّيْفَ لَا يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى

(٣) للشكور ، اللام فيه للتوكيد ، والرفد : العطاء . والضمير فيه : يرجع إلى المشكور
 يقول : أنت مشكور من جهتي على كل حال وإن لم ألق منك إلا بشاشة وجهك وطلاقة
 (٤) النوال : العطاء . والطرف : العين ، ونده : نظيره . يقول : نظرك إلى نظير
 كل عطاء منك أخذته أو سأخذه : أى أن نظرة منك لى تقوم مقام عطائك .

(٥) أصله عطايك : مبتدأ وخبر : وللد : زيادة الماء ، وهو ما قابل الجزر . يريد كثرة
 (٩ — المتنبي ٢)

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسَجِدِ اسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرِ اسْتَعِيدُهُ^(١)
يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ
وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ^(٢)
فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ، وَقَابَلَتْهُ إِلَّا وَوَجْهَكَ سَعْدُهُ^(٣)

ما يصل إليه من البر والصلوات . يقول : أنا في بحر من الخير ، وأصل هذا البحر عطايك ، وأنا أرجو زيادة عطايك ، فإنها زيادة ذلك البحر ، وهي مادته .
(١) المسجد : الذهب . يقول : لست أرغب من جهتك في ذهب ومال ، ولكن في غفر جديد — يعنى الولاية — وهذا كقوله الآتى :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَالِ وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وفى هذا المعنى يقول المهلبى :

يَا ذَا الْيَمِينِ لَمْ أَرْزُكَ وَلَمْ أَصْحَبْكَ مِنْ خَلَةٍ وَلَا عَدَمٍ
زَارَكَ بِي هِمَّةٌ مَنَازِعَةٌ إِلَى جَسِيمٍ مِنْ غَايَةِ الْهِمَمِ

ومثله :

لَمْ تَزِرْنِي أَبَا عَلَى سِنُو الْجَدِّ بِي وَعِنْدِي مِنَ الْكَفَافِ فَضُولُ
غَيْرِ أَى بَاغٍ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْجَلِيلِ يُبْنَى الْجَلِيلُ
وقال ابن الزيات :

لَمْ أُمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لَتَلْبَسَتِي التَّجْمِيلُ وَالْفُرَارُ
ويقول أبو تمام
وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
ويقول أيضا :

يَا رِبَمَا رَفَعَةً قَدْ كُنْتَ آمَلَهَا لَدَيْكَ لِافِضَّةٍ أَبْنَى وَلَا ذَهَبَا
(٢) يجود به : أى بالفخر . يقول : تجود به أنت ، وجودك فاضح لجود غيرك
زيادته عليه ، وأحمدك عليه أنا ، وحمدى يفضح حمد غيرى لأنه فوقه
(٣) يقول : إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله
السعد : يعنى أنك تسعد النحوس . وتطرده البوس ، وهذا كما يقول أبو تمام :

واتصل قوم من الفلماني بآبن الأخشيد مولى كافور وأرادوا أن يفسدوا الأمر
لـ كافور فطالبه بتسليمهم إليه فسلمهم بعد أن امتنع من ذلك مُدَيِّدَةً مما سبب
بنيها وحشة ، وبعد أن تسلمهم كافور ألقاهم في النيل ثم اصطالحا فقال :

حَسَمَ الصِّلَحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحَسَادِ^(١)
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسُ حَالٍ تَذْيِيرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ^(٢)
صَارَ مَا أَوْضَعَ الْمُخْبُونَ فِيهِ مِنْ حِطَابٍ زِيَادَةً فِي الْوِدَادِ^(٣)
وَكَلَامُ الْوُشَاةِ لَيْسَ عَلَى الْأَخْبَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ^(٤)
إِنَّمَا تُنْجِحُ الْمَقَالَةَ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَقَتْ هَوَى فِي الْفَوَادِ^(٥)

تَلَقَّى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَنَجِيئِهِ وَعَلَيْكَ مَسْحَةٌ بِنَفْسِهِ فَحُجِبَ^(١)

(١) يقول : انتهى الأعداء أن يبيع بينكما شر ، وأذاع الحساد ذلك ، ولكن
الصلح حسم — أي قطع — ما اشتبهوا وأذاعوه .

(٢) يقول : وحسم الصلح ما أرادته أنفس حمر تدبرك بينهم وبين ما أرادوه من إثارة
الشر فإ — من قوله ما بينها — زائدة ؛ وحال : اعترض .

(٣) أوضع الراكب بعيره : إذا حثه على السير السريع . والمخبون : الذين يحملون
مطيم على الحجب ، وهو ضرب من العدو ؛ ومن عتاب : بيان لما . يقول : صار سعى
من سعى بينكما في الفساد زيادة في الوداد ، لأن الود بعد العتاب أصفى ، وهذا المعنى
قريب من قول أبي نواس :

كَأَنَّمَا أَتُّنَّوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

(٤) على الأحباب : في موضع نصب خبرا لليس : واسمها : مستتر يعود على كلام .
وسلطانه على الأضداد : جملة استثنائية مبتدأ وخبر ؛ ولك أن تجعل سلطانه : اسم ليس
وعلى الأضداد : صلة سلطان ؛ وتقدير الكلام : وكلام الوشاة ليس له على الاحباب
السلطان الذي له على الأضداد . ومعنى البيت : إن كلام الوشاة لا يؤثر في الأجابة ،
إنما يؤثر في الأعداء .

(٥) يقول : إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول ، وكان
هذا تبرئة لابن مولاه من موافقة قلبه كلام الوشاة .

(١) يقول : إذا أثبت هذا المدوح تسعد برؤيته وتصير محبوبا عند الناس بإقباله
عليك وإن كنت بغيضا لديهم من قبل ؛ وفي رواية : ونجبه .

وَلَعَمْرِي لَقَدْ هُرْزَتْ بِمَا قِيلَ فَأَلْفَيْتَ أَوْثَقَ الْأَطْوَادِ (١)
وَأَشَارَتْ بِمَا أُبْنِيتَ رَجَالَهُ كُنْتُ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرْشَادِ (٢)
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمَشِيرُ وَلَمْ يَجْهَدْ وَيُشَوِّى الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ (٣)
نِلْتَ مَا لَا يُنَالُ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ وَصُنْتَ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَادِ (٤)
وَقَنَا الْخَلْطَ فِي مَرَاكِزِهَا حَوْزَ لَكَ وَالْمَرْهَفَاتُ فِي الْأَنْعَمَادِ (٥)
مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ سَاكِناً أَنْ رَأَيْهِ فِي الطَّرَادِ (٦)

(١) ألفت : أى وجدت ؛ وأوثق : أقوى ؛ والأطواد : الجبال . يقول : لقد حركت إلى الشر بما نقل إليك من الوشائات ، فكنت كأقوى الجبال : أى لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالخمعة ، يريدون بذلك الفساد .
(٢) يقول : أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك ، لأنك لم تجده من الرشاد ، وإنما وجدت الرشاد فى الأناة والمسالة ، وبذلك أرشدتهم إلى ما هو خير مما أشاروا به عليك ، فكنت أعرف منهم بما هو الأصلح :
(٣) أشوى يشوى : إذا أخطأ ، ورماء فأشواه : إذا لم يصب للمقتل .
قال الهذلى :

فَإِنْ مِنَ الْقَوْلِ التِّى لَا شَوَى لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاحُهَا (١)

يقول : قد يصيب المشير الذى لم يجتهد فى مشورته ، وقد يخطئ المجتهد فى مشورته بعد الاجتهاد ، يعنى أن الذين أعملوا الرأى قد أخطأوا حين أشاروا عليك بإظهار الخلاف ، وأنت أصبت الرأى عفا حين ملت إلى الصلح والمسالة ، فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم .

(٤) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح . يقول : أدركت بالصلح ما لا يدرك بالسيوف والرماح وحفظت الأرواح فلم ترق دما ولم تقتل نفساً وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور .

(٥) القنا : الرماح ؛ والخط : موضع تنسب إليه الرماح . وحوالك حال من مراكرها ، والمرهفات : السيوف المهددة . يقول : وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للطعن ، والسيوف مغمدة لم تسل للضرب .

(٦) يقول : لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته .

(١) يقول : إن من القول كلمة لا تشوى ولكن تقتل .

- فَقَدَىٰ رَأْيِكَ الَّذِي لَمْ تُفِدْهُ كُلُّ رَأْيٍ مُّسَلِّمٌ مُّسْتَفَادٌ ^(١)
 وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ لَمْ يُحَلِّمْ تَقَادُّمُ الْمِيلَادِ ^(٢)
 فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدَّتْ يَا كَا فُورٌ وَاقْتَدَتْ كُلَّ صَغْبِ الْقِيَادِ ^(٣)
 وَأَطَاعَ الَّذِي أَطَاعَكَ وَالطَّا عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقِ الْأَسَادِ ^(٤)
 إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا طِعُ أَخِي مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ ^(٥)
 لَا عَدَا الشَّرُّ مَنْ بَنَى لَكُمْ الشَّرَّ
 وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ ^(٦)
 أَنْتُمَا مَا اتَّفَقْتُمَا الْجَنَسُ وَالرُّوْحُ فَلَا أُحْتَجَّتُمَا إِلَى الْعُودِ ^(٧)

(١) يقول : يفدى رأيك الذي لم تستفده بتجربة وتعليم وإعماهو نتاج أناتك ووروثك كل رأي مستفاد بالتعليم ؛ وعبرة العكبري وسائر الشراح : يريد أن رأيك تلاد قديم — معك لم يفدك إياه أحد . إنما هو إلهام من الله . ففداه كل رأي مستفاد معلم

(٢) الحلم : الأناة والعقل . يقول : إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها الرء وفطر لم يفده بالسكبر وتقادم السن ، ومن ثم ليس الشيخ أولى ببودة الرأي من الشباب قال العكبري : وهذا من قول الحكم : بالغرزة يتعلق الأدب ، لا بتقادم السن .

(٣) يقول : بهذا الرأي الذي رأيت في هذا الحادث — وبمثله في غيره — مدت الناس واتحاد لك ما لا يتقادم لغيرك

(٤) يقول : وبمثل هذا الرأي أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسود بأسا وشجاعة فلم يعرفوا الطاعة والالتقياد لأحد قبلك لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود :

(٥) يقول : إنما أنت في تربيتك ابن الأخشيد وقومتك عليه كالوالد ، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأخى منه عليه . يريد : أنك وببيت ابن سيدك وأنت أشفق عليه من كل أحد .

(٦) عدا : جاوز . وبني : طلب ، وهذا دعاء . يقول : لاجاوز الشر من طلب لكما الشر ولاتمدى الفساد أهل الفساد : أى لازال في الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر ، ولافارق الفساد من حاول فساد ذات بينكما .

(٧) قوله ما اتفقتما : فإ : مصدرية زمانية : أى مدة اتفاقكما . يقول : مثلكما في اتفاقكما مثل الروح والجسد : إذا اتفاق صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والمواد

وإِذَا كَانَ فِي الْأَنْأَيْبِ خَلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصَّعَادِ^(١)
أَشْمَتَ الْخَلْفُ بِالشَّرَاةِ عِدَاهَا ، وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادٍ^(٢)

وإذا تنافرا فسد البدن . ثم قال : فلا احتجنا إلى العواد ، أى لا وقع بينكما خلاف ، وشر ، وبسبارة أخرى : أتأما مادمتما متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش بائتلافهما . وقوله : فلا احتجنا إلى العواد ؛ لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما بملة الداء الذى يختل به أمر البدن ويكون محوجا إلى عيادة الأطباء : أى فلا اختل أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشيرين .

(١) أنأياب الرمح : ما بين كل عقدتين . والخلف : الاختلاف . والبطيش - هنا - بمعنى الاضطراب ، والصعاد : جمع صعدة ، وهى قناة الرمح : أى إذا اختلفت أنأياب الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن . وهذا مثل : جعل الأنأياب مثلا للأتباع والصدور مثلا للرؤساء . يقول : إن اختلاف الخدم يؤدى إلى النزاع بين الرؤساء ، قال ابن جنى : لو قال فى رؤوس الصعاد لكان أولى ، لأن الطيش يكون فيها ، ولأنه أقرب إلى الرياسة بسبب العلو .

(٢) الشراة : الخوارج ؛ سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال فى دينه . ورب : فارس كسرى . وإياد : حى من معد قال أبو دوداد الأيادى :
فِي قُتُوِّ حَسَنٍ أَوْ جُهِمٍ مِنْ إِيَادٍ بَنِ نَزَارِ بْنِ مِضَرٍ^(١)

يريد التنبي أن يقول : إن الشقاق بين الجماعات قديماً أدى إلى شماتة أعدائهم بهم ، إذ سبب التنازع بينهم تمكن أعدائهم منهم كما كان من الخوارج ، لم يظفر بهم للمهلب بن أبى صفرة إلا بعد أن نزع الشيطان بينهم ، فقد قاتلهم المهلب نحو من ثلاثين شهراً فلم يقدر عليهم ، ثم وقع الخلف بينهم واقتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينبج إلا القليل . قال الصكبرى : لما كان الخوارج مجتمعين لم يقو المهلب عليهم فاحتال على نصال كان يتخذ لهم نصالاً مسمومة ، فكتب إليه المهلب : وصل ما بعثت لنا من النصال المحترمة للآجال وحمدنا فملك وشكرنا فضلك وسرفع ذكرك ونعلى قدرك إن شاء الله . وبعث الكتاب على يد من أعثرهم عليه ، فاختلفوا فى قتله ، فصوبته طائفة وخطأته أخرى ، فاقتلوا حتى قل عددهم وأما إياد فقد كانت يداً واحدة ثم تفرقت كلمتهم وتشبثوا بأرض الجزيرة فنهذ إليهم سابور ذو الأكتاف وأفنى منهم خلقاً كثيراً وتفرق سائرهم فى البلاد .

(١) قتو : جمع قى والفتى : الشاب ، والسخى والكريم .

وَتَوَلَّى بَنِي الْيَزِيدِيَّ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ^(١)
وَمُلُوكًا كَأَمْسٍ فِي الْقُرْبِ مِنَّا وَكَطَنَسِمٍ وَأُخْتَهَا فِي الْبَعَادِ^(٢)
بِكَمَا بَتَّ عَائِذَا فَيَكَمَا مِنْهُ وَمِنْ كَيْدٍ كُلِّ بَاغٍ وَعَادِ^(٣)
وَبُلْبَيْتِكُمَا الْأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفَرِّقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ^(٤)
أَوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أَشَقَى عَدُوًّا بِالَّذِي تَذْخُرَانِي مِنْ عِتَادِ^(٥)

(١) وتولى بنى اليزيدى : أى تولاهم الخلف : أى اختلفوا ؛ فضمير تولى ؛ للخلف وبنى اليزيدى : كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها فى خلافة المنصور وأخرجوا ابن رائق ، فعظم شأنهم وكانوا إخوة ثلاثة — أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين — ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم ، فما كان إلا أن خوى نجمهم ، وذهب ملكهم ، وهلكوا جميعاً .

(٢) وملوكا : عطف على بنى اليزيدى . وأخت طسم : جدیس ، وهما قبيلتان قديمتان بادتا محروب كانت بينهما . يقول : وتولى الخلف ملوكا قرب عهدهم منا كأمس وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجدیس ، فأهلكهم هذا الخلف .
(٣) بكما : قال الواحدى : أى لأجلكما : وقال العكبرى : متعلق بمحذوف تقديره بَتَّ عَائِذَا بالله أن يقع بكما . . . وفيكما : أى بينكما ؛ ومنه : أى من الخلف . والعادى الظالم ، يقال : عدا عليه : فهو عاد عدوًّا وعداء ، ومنه قوله تعالى « فیسبوا الله عدوًّا بغير علم » وأصله تجاوز الحد بالظلم . يقول : أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن كيد أهل البغى والعدوان الذين يريدون بكما سوء .

(٤) اللب العقل . والاصيلين : الراسخين أو الجيدین ؛ وصم الرماح : صلابها . والجیاد : الخيل . يقول : وأعوذ بما لكما من اللب الاصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين تقتلان ، فتحول الرماح التى هى جماعة واحدة فتصير جماعتين .

(٥) يقول : وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضاً بما تذرانه من السلاح ، فيصير الصديق الذى يشقى به عدوًّا ؛ لأن السلاح إنما يعد للأعداء لاللاصدقاء ، فإذا قتل به بعضكم بعضاً فقد صرتم أعداء . فالولى : الصديق ، والعتاد : العدة : أى الشيء الذى تعده لأمر ما وتبيته له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده : أى أهبطه وآلته . قال الجرهرى وربما سمو القدح الضخم عتادا ؛ وأنشد أبو عمرو :

فَكُلُّ هَنِيئًا ثُمَّ لَا تُزْمَلِ وَأَدْعُ هُدَيْتَ بِعِتَادِ جُنُبِلِ

هَلْ يَسْرُنَّ بَاقِيَا بَنَدَ مَاضٍ

مَا تَقُولُ الْقِدَاةُ فِي كُلِّ نَادٍ^(١)

مَنْعَ الْوُدِّ وَالرَّعَايَةِ وَالشُّوْءِ دُدُّ أَنْ تَبْلُغَا إِلَى الْأَحْقَادِ^(٢)

وَحُقُوقُ تَرْقُقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْبِ وَلَوْ ضُمْنَتْ قُلُوبَ الْجُمَادِ^(٣)

فَقَدَا الْمَلِكُ بَاهِرًا مِنْ رَأَاهُ شَاكِراً مَا أُتِيَتْمَا مِنْ سَدَادِ^(٤)

(الجنبل : قدح غليظ من خشب) .

(١) يقول : إذا اقتتلنا وأفنى أحكما الآخر فهل يسر منك أن يتحدث الأعداء في المحافل بغدره وتركه حرمة صاحبه ؟ وهذا استفهام إنكاري ، أى لا يسر الباقى منك ذلك . هذا : والعداة جمع عدو ، وكذلك العدى ، قال ابن السكيت : لم يأت فعل في النعوت إلا حرف واحد ، يقال هؤلاء قوم عدى ؛ وأنشد لسعد بن عمرو بن حسان :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدَى لَسْتَ مِنْهُمْ

فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ

(٢) الرعاية : حفظ العهود ؛ والسؤدد : السيادة ؛ والحدق : الضغن . يقول : إن ما بينكما من الود ورعاية الحقوق وما فيكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعكم من أن يحقد أحكما على صاحبه ويصر على عدائه إياه .

(٣) وحقوق . عطف على الود . يقول : ويمنع أن يحقد أحكما على صاحبه تلك الحقوق — حقوق الترية وقيام كافور بأمر ابن الأخشيد — وهو طفل — تلك الحقوق التى لو كانت فى قلب الجماد لرق بعضه لبعض .

(٤) يقول : باتفاقكما وتضافيكما آب إلى الملك بهاؤه وروثه ، ومن ثم شكر لكما حسن صنعكما وما كان منكما من صواب . « هذا » : ويقال بهره يهره بهرا : أى قهره وعلاه وغلبه ، وبهرت فلانة النساء غلبتهن حسنا ؛ وبهر القمر النجوم : غمرها بضوئه . قال ذو الرمة يمدح عمر بن هيرة :

مَا زِلْتَ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مُرْتَقِيًا تَنْمِي وَتَسْمُو بِكَ الْفُرْعَانُ مِنْ مُضَرٍّ

فِيهِ أَيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْخُلْسِ وَأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الْأَكْبَادِ^(١)
هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْفَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى وَالْأَيَادِي^(٢)

حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخَفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَةٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرُ^(١)
والسداد - بفتح السين - الصواب ؛ يقال : إنه لدو سداد في منطقته وتديره : أى
إصابة ؛ وكذلك في الرمي ، يقال : سد السهم يسد إذا استقام ، واستد الشيء : أى استقام قال :
أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي^(٢)
أما السداد - بكسر السين - فهو كل شيء سددت به خلا ، ولهذا سمى سداد
القارورة - بالكسر - وهو صمامها لأنه يسد رأسها ؛ وسداد الثغر - بالكسر - إذا
سد بالخليل والرجال . قال العرجي :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ قَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِهِيَّةٍ وَسِدَادٍ تُغَرِّ
قال الجوهري : وأما قولهم : فيه سداد من حرز وأصبت به سدادا من عيش : أى
ماتسد به الحلة : فيكسر ويفتح ، والكسر أفصح :

(١) فيه : أى في هذا الصلح ، أو تقول : أى فيما أتيتما من سداد ، وعلى الظفر
وعلى الأكباد : متعلقان بمحذوف ، والتقدير ثابتة . يقول : في هذا الصلح أو في هذا السداد
الذي أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو ، ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم تألما
بما فعلتما وحسرة على إخفاق مسعاهم ، وجعل هذا الظفر حلواً إذ لم ترق فيه الدماء .
(٢) الندى : الجود ؛ والأيدى : النعم . يقول : إن دولتكم دولة الأشياء التي
ذكرت فلا تمرضاها للخلاف .

(١) حق بهرت : أى علوت كل من يفاخرك فظهرت عليه ؛ وقد أورده
الجوهري : وقد بهرت ، قال ابن بري : وضوا به حق بهرت ، قال : وقوله على أحد :
أحد : ههنا بمعنى واحد ، لأن أحداً المستعمل بعد النفي - في قولك ما أحد في الدار -
لا يصح استعماله في الواجب « المثبت » .

(٢) قال ابن بري : رأيت هذا البيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عميس
حين رماه بسهم ، وبعده :

فَلَا ظَفَرْتَ يَمِينِكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلْتَ مِنْكَ حَامِلَةَ الْبَنَانِ
قال الأصمعي : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء .

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْسُ

سُ ، وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي أَرْزَادٍ^(١)
يَزَحْمُ الدَّهْرَ رُكْنَهَا عَنْ أَذَاهَا بَفَتْ مَارِدٍ عَلَى الْمُرَادِ^(٢)
مُتَلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِي أَبِي عَالِمٍ حَازِمٍ شَجَاعٍ جَوَادِ^(٣)
أَجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبِي الْمَسْكَ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْمِبْكَادِ^(٤)

(١) كسفت الشمس وكسفها الله : يتعدى ولا يتعدى ، قال جرير :
فالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
يعنى جرير : أنها طالعة تبكى عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها في
طلوعها خاشعة باكية لا نور فيها . وروى الليث هذا البيت :
الشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالَعَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
وقال : أراد ما طلع نجم وما طلع قمر ، وهذا كما تقول : لا أتيك مطر السماء : أى
ما مطرت السماء ، وطلوع الشمس : أى ما طلعت الشمس . وفى هذا سمع بعضهم ابن
الأعرابي يقول : تبكى عليك نجوم الليل والقمر : أى ما دامت النجوم والقمر . والمراد
بكسوف الدولة ما كان بينهما من الوحشة . يقول : كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف
الشمس مديدة ، ثم انجلى فمادت الدولة بعودة صفائهما وهى آتق وأجل كالشمس إذا
ذهب كسوفها عادت أجهى وأنور .

(٢) يعنى بـ « ركنها » : قوتها وسعادتتها . يقول : إن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن
أذاها بفتى مارد طى المراد — يعنى كافوراً — أى أنه لا ينقصد لمن تمرد
عليه وطنى ، وإنما يعصف به عصفا « هذا » والمارد من الرجال : العاقى الشديد ؛
وقد مررد يمررد مزودا ومرادة : فهو مارد ومريد ؛ والمريد : الشديد المرادة ، مثل السكير
وأصله من مرده الجن والشاطين . أو تقول : المارد الحبيث . قال تعالى : « من كل
شیطان مارد » والمراد : جمع مرید .

(٣) أى متلف للأموال بالعطاء ، ومعوضها بسيفه . وأبى ؛ أى أنوف عزيز النفس
بأبى الذل . وعالم : أى بتدبير الرعية وبالحرث . والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
فيه بالثقة . والجواد : السخى . يقول : يدفع الدهر عن أذاها بفتى هذه صفاته .
(٤) أجفل الناس : أسرعوا فى الهرب . يقول : أسرع الناس ذاهبين عن طريقه

كَيْفَ لَا يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لِسَلِيلٍ
ضَئِيقٍ عَنِ أَتِيهِ كُلِّ وَادٍ^(١)
وقال يهجو في يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة
خمين وثلاثمائة^(*) :
عِيدٌ بِأَيَّةٍ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ^(٢)

فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه ، وذلت له رقاب الناس فملكهم . قال ابن جني :
ولو انقلب لكان هجوا .

(١) الأتى : السيل ، يأتي من موضع بعيد إلى آخر . يقول : كيف لا يترك الطريق
لسيل يضيق عن مائه الوادى . ومتى كان الماء غالبا وضاق عنه بطن الوادى فكل موضع
أتى عليه صار طريقاً له . وهذا مثل . يقول : إن كافورا يظب غلبة السيل الأتى والسيل ،
لا يرد عن وجهه ، كذلك هو لا يعارضه أحد ، قال العكبرى : من روى ضيق - بالخفض -
جعله نعتا لسيل ، وهذا كقولك : مررت برجل حسن وجهه ، وهذه صفة سبية ؛ ومن
روى ضيق - بالرفع - فهي جملة ابتداء ، وخبر ، وهى فى موضع جر صفة لسيل ؛ وعن
أبيه : يتعلق بضيق .

أقام للثني بمصر - بعد أن قال قصيدته البائية - عاما لا يأتي كافورا ولكن يسير
معه فى الموكب لثلاثيوشه وتذهب ظنون كافور مذاهبا ، وفى الوقت نفسه يعمل فى
خفية على الرحيل عنه ؛ فأعد الإبل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة فى يوم عرفة قبل
رحيله بيوم واحد .

(٢) عيد : خبر مبتدأ محذوف : أى هذا عيد : وقوله : بما مضى ، أى بما مضى ؟
يقول : هذا اليوم الذى أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال : يا عيد بأية حال
عدت ؟ أى مع أية حال عدت على ؟ أو أية حال أعدتها على أبا الحال التى عهدتها من قبل ،
أم أحدث فىك أمر جديد ؟ . وقال العكبرى : الباء فى قوله : بأية ، يجوز أن تكون للتعدية
فيكون المعنى : أية حال : « هذا » والعيد : واحد الأعياد . قال الجوهري : وإنما
جمع بالياء - وأصله الواو - للزوم الياء فى الواحد ، ويقال للفرق بينه وبين أعواد
الحشب ، وهو من عاد يعود . قال ابن الأعرابى : سمى العيد عيدا لأنه يعود كل سنة
بفرح مجدد ، وأصل العيد : ما اعتادك من هم وشوق ونحوهما ؛ قال الشاعر :

أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْنِدَاهُ دُونَهُمْ
فَلَيْتَ دُونَكَ يَيْدًا دُونَهَا يَيْدٌ^(١)
لَوْلَا الْعَلَى لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا
وَجَنَاهُ حَرْفٌ وَلَا جَرْدَاهُ قَيْدُودٌ^(٢)
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْنَى مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْقَةِ الْغَيْدِ الْأَمَالِيدِ^(٣)

* والقلبُ يعتاده من حُبِّها عيد *

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك :
أُمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدًا
كَأَنْتِي يَوْمَ أُمْسَى مَا تَكَلَّمْنِي ذُو بُعْيَةٍ يَنْبَتْنِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِرْلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لِنَاسِنَةِ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدِ
والشاهد : في قوله : يعتاده عيداً ؛ ونصبه لأنه في موضع الحال ، تقديره : يعتاده السكر
عائداً ؛ وقد أسلفنا القول على ذلك :

(١) البيداء : الفلاة ، جمع ما يبد . سميت بذلك لأنها تبيد سالكيها . بتأسف على جد أحبته عنه
يقول : أما الأحبة فبعيدون عني ، فليتك أيها العيد كنت بعيداً عني وكان ما بيني وبينك
من البعد ضعف ما بيني وبين الأحبة ؛ يعني أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأحبة كما قال الآخر :
مَنْ سَرَّهُ الْعِيدُ الْجَدِيدُ فَمَا لَقِيتُ بِهِ الشُّرُورَا

كَانَ السُّرُورُ يَتِمُّ لِي لَوْ كَانَ أَحِبَابِي حُضُورَا

(٢) جاب المكان محبوبه : قطعه ؛ ووجناء : فاعل تجب ؛ والوجناء : الناقة الصلبة
الشديدة ، مشتقة من الوجين . التي هي الأرض الصلبة أو الحجارة . وقيل : هي العظيمة
الوجنتين . والضمير في بها : للوجناء ؛ والحرف : الضامرة . والبرداء : الفرس
القصير الشعر ؛ والقيدود : الطويلة ؛ وما — من قوله ما أجوب بها — اسم موصول في
موضع نصب : أي الفلاة التي أجوب . يقول : لولا طلب العلام لأفارق أحبي ، ولم
تقطع بي ناقة ولا فرس ما أجشمتها قطعه من الفلوات . وقال الواحدى : ما أجوب بها :
يعني الفلاة ، كناية عن المراحل .

(٣) العيد : جمع غيداء ، وهي الثنية لنا ، والأماليد : الناعمات المستويات القامات :

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي
 شَيْئًا تَنْيَمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدٌ^(١)
 يَا سَاقِيَّ أَخْمَرِي فِي كُثُوبِكَمَا أُمُّ فِي كُثُوبِكَمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدٌ^(٢)
 أَصْخَرُهُ أَنَا؟ مَالِي لَا تَحْرُكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ^(٣)
 إِذَا أَرَذْتُ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَاقِيَةً وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودٌ^(٤)

غلام أملود وحرارية أملودة : والأملود — في الأصل — الفصن الناعم: يقول: ولولا طلب العلى لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتي يشهن رونق السيف في بياض بشرتهن وتقائها. وقوله مضاجعة: روى معاينة، وهو تميز. (١) تيمه الحب: عبده وذلة؛ والجيد: العنق. يقول: إن الدهر بأحداثه ونوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلا ينزع إليها لأنه ترك اللهو والغزل وتجرد للجد والإشاحة والتشمير.

(٢) يقول — لساقيه —: أخرج ما تسقانه أمهم وسهاد؟ يعنى ما أشربه لا يزيدنى إلا هما وسهرا، لأن قلبى مغمم بالهموم فليس فيه موضع للطرب والرح. وذلك لأن أحبته بعيدون عنه؛ أو لأنه وافر اللب لا يؤثر فيه الشراب

(٣) اللدام: الحجر؛ والأغاريد: الأغاني. وقوله: لا تحركنى، حال من الياء فى مالى. يتعجب من حاله وأن الحجر والغناء لا يطربانه ولا يؤثران فيه حتى لكانه صخرة صماء لا يؤثر فيها الشراب والغناء « هذا » وأصل الفرد التطريب فى الصوت والغناء. وغرد الإنسان: رفع صوته وطرب، وكذلك الحمامة والمكاء والدينك والذباب، والفرد والتفريد أيضا صوت معه بحج، وقد جمعها امرؤ القيس فى قوله يصف حماماً:

يُفَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدُقَةٍ تَفَرَّدَ مَرِّجٍ النَّدَامَى الْمَطْرَبِ

وقال الأصمى: التفريد الصوت:

(٤) الكيت: الأحمر فيه سواد؛ يوصف به الذكر والؤنث، ويريد خمرآ كيت اللون. وفى رواية: كيت الحجر. يقول: إذا طلبت الحجر وجدتها، وإذا طلبت الحبيب لم أجده: يتشوق إلى أحبته يقول: إن الحجر لا تطيب إلا مع الحبيب. وحبيبي بعيد عنى فلا معنى إذن للشراب. وقال ابن جني: حبيب القلب عنده المجد، وإذا تشاغل بشرب الحجر فقد المعالى. ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس: أهله. لبعده عنهم والناسبة الكيت قال سيويه: سألت الخليل عن الكيت فقال: هو بمنزلة جميل — يعنى الذى

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودٌ^(١)
أُنْسِيتُ أَرْوَحَ مَثَرِ خَازِنَا وَيَدَا أَنَا الْفَنَى وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ^(٢)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَلُّفُهُمْ عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرَحَّالِ تَحْدُودُ^(٣)

هو الليل — وقال: إنما هي حمرة يخالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها — صفروها — لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما، فيقال له: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب، وإنما هذا كقولك: هو دوين ذاك.

(١) أعجبه: مبتدأ، خبره ما بعده وزواية الواحدى: وأعجبها: كأن الضمير للدنيا والتذكير أوجه. يشكو ما لقيه من تضاريف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أنى محسود بما أشكوه وما أنا بك منه — يعنى انتجاعه كافوراً وأقطاعه إليه — يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه. قال المكبرى: وهذا من قول الحكميم: استبصار العقلاء ضد لثقى الجهلاء فالجاهل يحسد العاقل على ما يكرهه. فالحال الذى يكرهه العاقل منها يحسده الجاهل عليها. ولقد نظمه أبو الطيب فأحسن، ومنه: رب مغبوط بدواء هو داؤه.

(٢) أروح: من الراحة. وخازنا ويذا: منصويان على التمييز. والثرى: الثنى. والثراء: المال. يقول: إننى من الأغنياء ذوى الثراء، ولكن خازنى ويذى فى راحة من تب حفظ المال، لأن أموالى إنما هى مواعيد كافور، وهى أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدى وخازنى. قال المكبرى: وهذا من قول الحكميم: لاغنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى،

(٣) يقول: إنهم كذابون: فلام يقرونه، ولاهم يتركونه يرحل عنهم. هذا؛ والقرى: قرى الضيف. تقول: قرى الضيف قرى، مثال قليته قلى وقراء: أحسنت إليه: إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت: ومحدود: أى ممنوع. تقول: حدثت فلانا عن الشر: أى منعت؛ ومنه قول النابغة:

إِلَّا سُلَيْمَانُ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدِدهَا عَنِ الْفَنَدِ
والحداد: البواب والسجان لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج. قال الشاعر:

يقول لى الحداد وهو يقودنى إلى السجن لا تفرع فما بك من بأس
وهذا أمر حد: أى منيع — لا يحل ارتكابه. ومن ذلك الحدود، لأنها تمنع الحدود عن المعاصى،

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْإِيْدِي وَجُودُهُمْ
 مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ^(١)
 مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نَفُوسِهِمْ
 إِلَّا وَفَى يَدِهِ مِنْ تَنْتَهَا عُودُ^(٢)
 مِنْ كُلِّ رِخْوٍ وَكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِحِي لَا فِي الرَّحَالِ وَلَا النِّسْوَانِ مَعْدُودُ^(٣)
 أَكْلًا أَغْثَالَ عَبْدُ الشُّوءِ سَيِّدُهُ
 أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ^(٤)

(١) يقول : إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف اليهود ، فإن الأجواد إنما جودهم بالمعطاء ، ثم دعا عليهم فقال : لا كانوا ولا كان جودهم ، وفي هذا اللحن يقول أبو تمام :

وأقل الأشياء محمول نفع - صحة القول والفعال مريض
 الضمير في جودهم ؛ للكذابين . وقوله : ولا الجود ، عطفه على الضمير للتصل
 للفصل بلا ، كما في قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » .

(٢) هذا مثل ، يقول : إن أرواحهم من النتن والقدارة خسة ولؤما بحيث إذا
 أراد اللوت قبضها لم يباشرها يده ، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

(٣) يريد أنه - أي كافورا - خصى هو والحصيان الذين كانوا معه . والوكاء :
 ما تشد به القرية ، ومعنى رخو وكاء البطن : أنه ضراط فساء لا يوكى على مافي بطنه من
 الريح . والمنفتق : الواسع الجلد لسكرة لحمه ، كأنه انتفق وانشق . وقوله : لا في الرجال
 أخ : أي لا هو معدود في الرجال ، إذ لا ذكر له ولا لحية ، ولا في النساء : إذ
 لا فرج له .

(٤) اغتاله ، قتله غيلة ، وأخذ به على غيلة . يشير إلى ما فعله كافور بالأخشيذ وقله
 إياه واستقلاله بملك مصر بعد ، يقول : أكل أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر
 وملكه أهلها عليهم واتخذوا له وأطاعوه . وهذا استفهام إنكار : أي لا ينبغي أن
 يكون الأمر هكذا .

صَارَ الْخَلِصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ^(١)
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَمَالِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفَنَّى الْعَنَاقِيدُ^(٢)
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٌ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودٌ^(٣)
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
 إِنَّ التَّيْبِدَ لَا تُجَاسُّ مَنَاجِيدُ^(٤)

(١) الآبقى : الهارب من سيده . ومستعبد : مذل . ومعبود : مطاع يقول : إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه مثله في الحيانة والتمرد على سيده ، فهو إمام الآبقين .

(٢) النواطير : جمع ناطور ، وهو في الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم ، قيل إنها عربية ، وقيل من كلام أهل السواد . قال ابن جنى : أقره المتنبي بالمهمل ، والمزوف بالمعجمة لأنه من نظرت ، وقيل ، هو بالعربية بالمعجمة - نواطير - وبالنبطية - بالمهمل - والمراد هنا بنواطير مصر : ساداتها وأشرافها ، وللمراد بجمالها : عبيدها وأراذلها ، وبالعناقيد : الأموال . وبشم فلان : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . يقول : لقد غفلت سادات مصر عن أراذلها حتى عاثوا في أموال الناس وأكلوا فوق الشبع . ثم قال وما تفنى العناقيد .. يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال ، وأنهم كلما نهبوا شيئاً جد لهم غيره ، فلا ينفكون يطلبون المزيد .

(٣) يقول : إن العبد لا يؤاخي الحر ، لما بينهما من التباين في الأخلاق ، ولو ولد العبد في ملك الحر ، وهذا إغراء لابن سيده . يريد أن كافوراً وإن أظهر له الود فليس له مصاف مجلس . فقوله : لو أنه . يريد : ولو أنه ، لحذف ، والجملة في موضع الحال وقوله في ثياب الحر : قال الواحدى : أى وإن ولد العبد في ملك الحر ؛ وطى هذا قال في الحر : للعبد ؛

(٤) المناكيد : جمع منكود ، وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان . قال بشار :

* الْحُرُّ يُلَحَّى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ *

وقال الحكم بن عبد الله الأسدي :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يَسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ نَحْمُودُ^(١)
وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقِدُوا
وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ^(٢)
وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمَنْقُوبَ مِشْفَرُهُ
تُطِيعُهُ ذِي الْمَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ^(٣)
جَوْعَانُ يَا كُلُّ مَنْ زَادَى وَيُمْسِكُنِي
لَكِنِّي يُقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ^(٤)

وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا يُرْضِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبًا
مِثْلُ الْحِمَارِ الْمَوْقِعِ الظُّهْرِ لَا يُحْسِنُ الْمَشْيَ إِلَّا إِذَا ضُرِبَ^(١)
(١) أَحْسَبُنِي : أى أَحْسَبَ نَفْسِي ، ويقال أساء به وأساء إليه ، قال كثير عزة :
* أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسَبُنِي لَا مَلُومَةٌ *

ويجوز أن يكون يسىء بى على معنى يهزأ بى ويسخر منى ، فعدهاء بالباء على اللامنى ،
لا على اللفظ ، يقول : ما كنت أظن أجلى يمتد بى إلى زمن يسىء إلى فيه شر الخليفة ،
وأزانى مع ذلك مضطراً إلى مدحه وحمده ، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى .

(٢) كناه بأبى البيضاء سخرية منه . يقول : ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى خلت
البلاد لمن شاءها ، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيته على عرش مصر .

(٣) المضاريط : جمع عضروط ، وهو الذى يخدم الناس بطعام بطنه ؛ والرعايد :
الجبان ، وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له فى عظم مشافره بالبعير الذى يشق مشفره للزمام ؛
والمشفر - فى الأصل - شفة البعير . يقول : ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر
يستغوى هؤلاء اللثام الأندال الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه . يريد بوصفهم
بالمضاريط الرعايد تقريرهم على طاعتهم إياه ، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك .

(٤) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه وشحه لا تسخو نفسه بشيء ولا يفيض حجرة .
وقوله : يا كل من زادى ، قال الواحدى : لهذا وجهان : أحدهما أن للتنبى آتاه بهدايا
والطاف ولم يكافئه عنها ، والآخر : أن للتنبى كان يأكل من خاص ماله عنده وينفق

(١) الموقع الظهر : الذى به آثار الدبر ، والدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة .

على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ، وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانته وخدمته ثم أخذه ولم يعطه شيئا . يقول : هو يمسكنى عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس إنه عظيم القدر يقصده النبي مادحا « هذا » وقوله جوعان . يقال جائع وجوعان ، وجمع جوعان جوعى ، وجياع ؛ وجمع جائع : جوع . وقوله عظيم القدر : خبر عن محذوف : أى هو عظيم القدر . وقوله لكى يقال : قال المكبرى الكوفى : كى حرف ناصب ، وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرفا خافضا ؛ وحجتنا أنها من عوامل الأفعال ، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف جر لأنه من عوامل الأسماء ؛ وعوامل الأسماء لا تكون من عوامل الأفعال . والدليل على أنها ليست حرف جر : دخول اللام عليها ؛ كقولك أتيتك لكى تكرمنى ، وهذه اللام عندهم حرف جر ، وحرف الجر لا يدخل على حرف الجر ؛ وأما قول الفائل :

فلا والله لا يُلَنِّى لما بى ولا للمأ بهم أبدا دواء^(١)

فمن الشاذ المصنوع الذى لا يرجع عليه ؛ وإذا قيل إنها تدخل على ما الاستفهامية كما يدخل عليها حرف الجر فى قوله : كيمه ، كما تقول : له - قلنا : به من « كيمه » ليس لكى فيه عمل ، وليس هو فى موضع خفض ، وإنما هو فى موضع نصب لأنها تقال عند ذكر كلام لا يفهم . كقولك : أقوم كى تقوم ، فيسمعه المخاطب ، ولم يفهم تقوم فيقول : كيمه ؟ أى كيمه . والتقدير كى تفعل ماذا ، تحذف تفعل ، فه فى موضع نصب على مذهب المصدر والتشبيه به ، وليس لكى فيه عمل . وحجة البصريين دخولها على ما الاستفهامية لدخول اللام عليها فيقولون كيمه : كما يقولون له ، وهى فى موضع جر ، لأن ألف ما الاستفهامية لا تحذف إلا إذا كانت فى موضع جر واتصل بها الحرف الجار : كقولهم : لم وبم وفيم ، وإذا وقعت فى صدر الكلام لا تحذف كقولك : ما تريد وما تصنع ؟ وذهب أصحابنا إلى أن لام كى هى الناصبة للفعل من غير تقدير أن ، نحو قولك جئتك لتكرمنى ؛ وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل أن مقدرة بعدها . وحجتنا أنها قامت مقامها . ولهذا تشتمل على معنى كى ، فكما تنصب كى الفعل فكذلك اللام . وحجة البصريين أن اللام

(١) من قصيدة لسلم بن معبد الوالى شاعر من شعراء الدولة الأموية .

يقول ، لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد

« أنظر القصيدة فى خزنة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٢٧٠ سلفية »

إِنَّ أَمْرًا أَمَّةً حُبْلَى تُدَبِّرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْقَيْنِ مَقْنُودٌ^(١)
وَيُلْمُهَا خُطَّةً وَيَلْمُ قَابِلَهَا لِمَثَلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^(٢)
وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعَمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قِنْدِيدٌ^(٣)
مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً
أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ^(٤)

من عوامل الأسماء ولا يجوز أن تكون من عوامل الأفعال ، فوجب أن يكون الفعل منصوباً بأن مقدرة لأنها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذي يحسن أن يدخل عليه حرف الجر . هذه حجة حسنة لهم .

(١) المستضام : الذي أدركه الضيم ، وهو الظلم . ورجل مقنود : جبان ضعيف الفؤاد ، مثل النخوب . والمقنود أيضاً : الذي لا فؤاد له ولا فعل ، والمقنود : الذي أصيب فؤاده بوجع . وسخين العين : محزون . جعل الأسود أمة لفقدانه آلة الرجال لأنه خصي ، وجعله حبلى لعظم بطنه . وهذا تعريض بابن سيده . يقول : إن الذي آل تديره إلى من هذه صفته لمظلوم مقنود سخين العين يرثى لحاله .

(٢) ويلها : كنهه يقال عند التعجب وأصلها : وى لأمرها ، ثم حذفت الهمزة ، واللام تكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها ، وإلقاء حركة الهمزة عليها وفي الحديث في قوله لأبي بصير . « ويله مسعر حرب » . . تعجباً من شجاعته وجراته وإقدامه . ومنه حديث طي : ويله كيلا غير ثمن لو أن له وعاء . أي يكيل العلوم الجمة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعياً . وهي - كما قلنا - كلمة تعجب . وينصب ما بعدها على التمييز . والخطبة : الأمر والشأن . والمهرية : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، بطن من قضاعة تنسب إليه الإبل . والقود : الطوال الظهور والأعناق . يقول : ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها ، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٣) القنديد : عصارة قصب السكر إذا جمد ، والحجر ، وقيل : القنديد ، عصير غنابيطخ ويجعل فيه أفواه من الطيب . يقول : عند هذه الحال - طاعة الأسود والاستخذاء له والزول على حكمه - يستلذ طعم الموت ، لأن الموت أيسر من ذلك الذل . ولذا الشيء : وجده لذيقاً .

(٤) البيض هنا : الكرام : أي يفض الأعراض . والصيد الملوكة . يقول : إن هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هي ، لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجداً ولا مكرمة .

أَمْ أَذْنُهُ فِي يَدَيِ النَّخَاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدَرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسَيْنِ مَرْدُودٌ^(١)
 أَوَّلَى اللِّثَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْمٍ وَبَعْضُ الْمَعْذِرِ تَفْنِيدٌ^(٢)
 وَذَلِكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةٌ
 عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخُصِيَّةُ الشُّودُ^(٣)

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، ويهينه بعيد النبروز ،
 ويصف سيفاً قلده إياه ، وفرساً حمله عليه ، وجائزة وصله بها ، وكان قد عاب قصيدته
 الرائية الآتية:

جَاءَ نَبْرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ ، وَوَرَّتْ بِاللَّيِّ أَرَادَ زِنَادُهُ^(٤)

(١) النخاس . يباع الرقيق . والفلس : قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها ،
 ودامية : حال . وبالفلسين : متعلق بمردود . وأذنه — بسكون الذال ، وضمها — لثنان .
 يقول : إنه مملوك اشترى بثمان ، إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر نخسته . وهذا غاية
 في التحقير لشأنه .

(٢) التفنيد : اللوم وتضعيف الرأي . وكويفير : تصغير كافور ، وللزاد : التحقير .
 يقول : هو أولى اللثام بأن يعذر على لومه لحب أصله وخسة قدره وعجزه عن الكرام ،
 وهذا العذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة . وقد صرح بعذره في البيت التالي .

(٣) الخصة : جمع خصى . يقول : إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف
 يقدر عليه اللثام . قال الواحدى . عرض في المصراع الأول بغيره من الملوك .

(٤) النبروز : أحد أعياد الفرس . قال في التاج : معرب نوروز ؛ فردته العرب
 إلى فيعول ، حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما . وهو أول يوم من السنة
 عند حلول الشمس في أول الحمل . والزناد : جمع زند ، وهو الخمر يقتدح به : وورى
 الزند إذا أخرج نارا ، وورى الزناد — كناية عن بلوغ المراد ؛ تقول العرب : ورت بفلان
 زنادى : أى أدركت به حاجتى ومرادى . يقول : جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده
 بمجيئه تيمنا بطلعتك ، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك ورآك .

هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَأْهَى مِنْكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْخَوْلِ زَادُهُ^(١)
يَنْتَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ نَاطِرُ أَنْتَ طَرْفُهُ وَرُقَادُهُ^(٢)
نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارَسٍ فِي سُورٍ ذَا الصَّبَاحِ الَّذِي نَرَى مِيلَادَهُ^(٣)
عَظَمَتُهُ مَمَالِكُ الْفَرَسِ حَتَّى كُلُّ أَيَّامٍ عَامِهِ حُسَادُهُ^(٤)
مَا لَبَسْنَا فِيهِ إِلَّا كَالِيلَ حَتَّى لَبَسْنَا تِلَاعَهُ وَوَهَادَهُ^(٥)

(١) زاده - آخر البيت - خبر هذه . يقول : هذه النظرة التي ظفر بها النيروز منك اليوم إنما يزودها إلى أو ان مثلها من العام القابل - أي أنها له كالزاد يعاش به : لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة في كل عام .

(٢) ناظر : فاعل ينتني ؛ والناظر : العين . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينتني عنك ناظره الذي أنت ضياؤه وطيه يفارقك على حزن وأسف . وقال ابن جني : إذا انصرف عنك هذا اليوم بآهائه خلف طرفه - أي بصره - ورقاده لديك بقي بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود إليك ؛ والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون ، فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانية .

(٣) في أرض فارس : حال من ضمير المتكلمين في الظرف بعده ، وهو خبر نحن وقوله : ذَا الصَّبَاحِ : مبتدأ ؛ وميلاده : خبر ؛ والجملة : صفة لسرور . يقول : نحن في سرور بأرض فارس ، وقد ولد هذا السرور في هذا الصباح - أي صباح عيد النيروز - لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون . وقوله : الَّذِي نَرَى ، يروي : الذي يرى .

(٤) يقول : إن ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم إياه عليها . وممالك : إما جمع ملك - مثل مشايخ وشيوخ - وإما على حذف مضاف : أي أهل ممالك الفرس .

(٥) أتلّاع : جمع تلعة ، وهي ما ارتفع من الأرض . والوهاد : جمع وهدة ، ما انخفض من الأرض . والأ كليل جمع كليل ، وهو في الأصل ما يجعل على الرأس كالنَّاج . قالوا : كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أ كليل من النبات والزهر فيضعوها على رؤوسهم . يقول المتنبي : ما لبسنا الأ كليل في هذا اليوم حتى كسيت الأرض - جبالها ووهادها - مثل الأ كليل من النبات والأ زهار . والإضافة في « تِلَاعَهُ وَوَهَادَهُ » : على معنى « في » ؛ والضمير : للنيروز . والبيت من قول أبي تمام :

عِنْدَ مَنْ لَا يُقَاسُ كِسْرَى أَبُو سَا سَانَ مُلْكًا بِهِ وَلَا أَوْلَادُهُ^(١)
مَرْبَى لِسَانُهُ ، فَلَسَنِي رَأْيُهُ ، فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهُ^(٢)
كَلِمًا قَالَ نَائِلٌ أَنَا مِنْهُ سَرَفٌ ، قَالَ آخَرٌ : ذَا أَفْتَعَادُهُ^(٣)

حَتَّى تَعَمَّ صَلُحُ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نَبْتِهِ وَتَأَزَّرَ الْأَهْضَامُ^(١)

وقال ابن جني : يريد - المتنبي - أن الصحراء قد تكامل زهرها فجعله كالأكاليل عليها .. قال العروضي - ناقدنا - كيف يصح ما قاله ابن جني وأبو الطيب يقول : مالمسبنا ولم يقل ما لبست الصحراء وما يشبه هذا مما يكون دليلاً على ما قال ابن جني . ولكن كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والأزهار فيجعلوها على رؤوسهم ، ثم أنشد بيت أبي تمام المتقدم ثم قال : وهذا البيت - بيت أبي تمام - سليم ، ووجه قول المتنبي أنه أراد حتى لبستها تلاعه والتحف بها وهاده ، فيكون من باب علفتها تبنا وماء بارداً . ومعنى البيت : أن النبات قد عم الأرض مرتفعها ومنخفضها ؛ وبيت أبي تمام أحسن سبكاً .

(١) يقول : إن ملك المدوح - ابن العميد - أعظم من ملك الأكَاسرة ، وكسرى : لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهن بن ساسان الأكبر . وكسرى : معرب خسرو ، ومعناه واسع الملك ؛ وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرهما ، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق :

إِذَا مَا رَأَوْهُ طَالَمَا سَجَدُوا لَهُ كَمَا سَجَدَتْ يَوْمًا لِكِسْرَى مَرَاذِبُهُ

(٢) يقول : هو عربي اللسان ، ورأيه رأى الفلاسفة ، لأنه حكيم ؛ وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان . والبيت - كما ترى - مركب من ثلاث جمل : كل جملة مبتدأ وخبر ، قدم فيها الخبر على المبتدأ .

(٣) النائل : العطاء ؛ والسرف : التبذير ؛ ومنه : حال مقدمة من سرف ، والاقتصاد ضد السرف . يقول : إنه كلما بالغ في العطاء - أي أعطى كثيراً - فقال ذلك العطاء البالغ الكثير : أنا سرف منه وتبذير ؛ أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول - أي هذا العطاء الأكثر - كان العطاء الأول اقتصاداً . وهذا تمثيل ، لأن العطاء لا يقول شيئاً ،

(١) الأهضام : جمع هضم ، وهو اللطم من الأرض .. جعل ما على الربا بمنزلة العمامة ، وما على الأهضام بمنزلة الإزار .

كَيْفَ يَرْتَدُّ مِنْكِي عَنْ سَمَاءِ وَالنَّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نَجَادُهُ^(١)
 قَلَدَنِي يَمِينُهُ بِحُسَامِ أَغْصَبَتْ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهُ^(٢)
 كُلُّنَا أُنْثَلَّ ضَاكِكْتُهُ إِيَّاهُ تَزَعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرَادَهُ^(٣)

ولكن يستدل بحاله ، فكأنه قائل . وملخص المعنى : أنه إذا استكثر الناس منه عطاء
 قل ذلك في جنب ما يتبعه ،

(١) النجاد : حمالة السيف . يقول : كيف أنكل عن مفاخرة ذى غر ؟ وكيف
 يقصر منكبي عن أن يزحم السماء علواً والنجاد الذى عليه — أى على منكبي — هو
 نجاده — أى نجاد المدوح — الذى بلغ بى أقصى الشرف ؟ يشير إلى السيف الذى قلده
 إياه : وملخص المعنى : أنه تشرف بتقلده سيفه حتى صار يماجد به كل ماجد .

(٢) أعقب الرجل : ترك عقباً ، أى ولداً ، يقول : قلدى سيفاً ماضياً لم تعقب أجداه
 منه — أى لم تلد من نوعه — إلا واحداً . يعنى هذا السيف نفسه وأراد بأجداد
 السيف معادن الحديد التى يستخرج منها ، وملخص المعنى : قلدى سيفاً لم يطبع مثله ،
 فلا نظير له .

(٣) إياة الشمس : ضوءها وشعاعها ونورها وحسناً ، قال طرفة بن العبد :

سَقَّتُهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لِثَانَتِهِ أُسِفَ وَلَمْ تَكْدِمِ عَلَيْهِ يَأْمِدُ^(١)

وكذلك الآياء — مفتوح الأول بالمد — والإيا — مكسور الأول ، بالقصر ، والآرآد
 جمع رآد ، وهو ارتفاع الضحى وروقه ، يقول : كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت
 فى صفحه إياة من الشمس كأنما تضاحكه ، ولشدة بريق الإياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها
 فتحسب الحسام شمساً أخرى قد التهمت هذه الإياة من أشعتها . يشير إلى أن شعاع هذا
 السيف يضاقى شعاع الشمس وأن الشمس تقرباً أن ضوءها كهضوته ، والضمير فى أنها : للإياة ،
 قال الواحدى وإنما جمع الأرآد مع توحيد الإياة حملاً على المعنى ، فإن عند كل سلة مضاحكة

(١) من معلقة طرفة . يقول : سقى ثغر محبوبته شعاع الشمس : أى كأن الشمس أعارته
 ضوءها ثم استثنى الثالث ، لأن اللة — وهى مغرز الأسنان — لا يستحب بريقها ، ثم
 قال : أسف : أى ذر الإآمد — وهو الكحل — على اللة ولم تكدم — أى تعض — بأسنانها
 على شيء يؤثر فيها ، ونساء العرب تذر الإآمد على الشفاه والثلاث فيكون ذلك أشد
 للنعان الأسنان .

مَثَلُهُ فِي جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْدِ فِي مِثْلِ أَثَرِهِ إِغْمَادُهُ^(١)
مُنْمَلٌ لَا مِنْ الْخَفَا ذَهَبًا يَحْمِلُ بَحْرًا فَرْنَدُهُ إِنْزَادُهُ^(٢)
يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَفَرَتَيْهِ إِلَّا بِدَادِهِ^(٣)

بينه وبين إياة الشمس . وقال العكبري : يجوز أن يكون أراد جمع رند ، وهو الترب ، قال كثير ولم يهمز :

وقد دَرَعُوها وهي ذاتُ مؤَصِّدٍ مَجُوبٍ وَلَمَّا يَلْبَسِ الدَّرْعَ رِنْدُها^(١)
(١) الأثر : الفرند ، وهو جوهر السيف . ومثله في جفنه : أى جعلوا غمد هذا السيف على مثاله . وذلك بأن غشوه فضة . وقوله : فى مثل أثره إغماده : يعنى أنه يغمد فى غمد عليه آثار كأثره - أى فرنده . وهو جوهر السيف - يقول : إن مانسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على متنه من الفرند ، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لا تنفقه العين إذا أغمد ، بل يكون كأنها ناظرة إليه : أى أنه لحسنه لا يود ماله أن يفقد منظره بإغماده ، ومن ثم مثله فى جفنه . وقال الواحدى : خشية الفقد : يريد أن الناس يقولون : إن هذا السيف عزيز ، فلعرزه وخوف فقده غشوا جفنه بالفضة . وقال ابن جنى : صونا للجفن من الصدا لئلا يأكله . . . وقال الخطيب التبريزى : إنما جعل غمده مشبها له فيقوم مقامه ، وفى معناه :

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم سرايلهم من مثلها والعائم
(٢) منعل : أى ملبس نعلا ، وهو ما يصاغ فى طرف الغمد . والخفا : يريد الخفاء - بالمد - وهو المثنى بلا نعل ؛ وذها : مفعول ثان للمعل ؛ والضمير فى فرنده : للسيف ؛ ومن إزاده : للبحر . يقول : إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للخفاء ، وهو يحمل من هذا السيف بحراً ، يعنى كثرة مائه ، ولما جعله بحرا جعل تجميع الفرند فيه بمنزلة الزبد « هذا » والسيف لا يوصف بالخفاء ، ولكن ذكره اقتنانا لإيهام لفظ النعل .

(٣) المدجج : اللغظى بالسلاح . والبداد : حشية تجعل فى جانب السرج ، وهما بدادان يقول : إذا ضرب به الفارس الملقع فى سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل ، وقطع السرج أيضا ، فلا يسلم منه إلا جانب السرج ، لأنحرافهما على الجانبين . وقوله : من شفرته - والحال

(١) المؤصد : صدر تلبسه الجارية - الوليدة - فإذا أدركت درعت ، وكل شئ قطع وسطه فهو مجوب ، ومنه سمي جيب القميص .

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَائِي فَاسْتَجَمَعَتْ أَحَادُهُ^(١)
وَتَقَلَّدَتْ شَامَةً فِي نَدَاهُ جِلْدُهَا مِنْفَسَاتُهُ وَعَتَادُهُ^(٢).

أن السيف إنما يقطع بشفرة واحدة - لأنه أراد بأى شفرته ضرب، عمل هذا العمل .
(١) يقول : إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدي المدوح في الضرب وشعري في وصفه ، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التي لانظير لها ؛ فلا سيف كهذا السيف ولا يد في الضرب به كيد المدوح ولا ثناء كثنائي .

(٢) الشامة : الحال - بثرة سوداء في الجسم حولها شعر . وقوله : في نداء ، أى في جملة نداء : أى جوده : والنفسات : الأشياء النفيسة ، جمع منفس ؛ والعتاد : العدة ؛ يقول : تقلدت سيفاً هو على نفاسته وجلالة قدره في جنب ما أهدانيه - من نقائس الخيل والثياب والأسلحة - يعد قليلاً كالشامة في الجلد . شبه السيف الذى قلده إياه بالشامة ، وسائر هداياه بالجلد الذى تكون فيه الشامة . وقد اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت اضطراباً أشفقنا عليهم منه ، لأنهم على أستاذيتهم ذهبوا في تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للتنبى على باله ، فضلاً أن البيت ينبو بمثلها . وإذا آيت إلا ذكرها فلإيكها . قال الواحدى : حكى أبو على بن فورجة عن أبي العلاء للمرى في هذا البيت قال : يعنى أن الغمد بما عليه من الحلى والذهب أنفس من السيف ، لأنه كان يحلى بكثير من الذهب ، فجعل الغمد جلداً ؛ إذ جعل السيف شامة . قال أبو على : والذى عندي أنه أراد بجلده ظاهره الذى عليه الفرند ، لأن أنفس ما فى السيف فرنده ، وبه يستدل عليه في الجودة . وقال أبو الفتح : يعنى أنه يلوح فيما أعطاه كاللوح الشامة في الجلد لحسنه ونفاسته . وقوله : جلدها منفساته وعتاده : أى ما يلى هذا السيف مما تقدم منه وتأخر كالجلد حول الشامة . وقال أبو الفضل العروضى منكرًا على أبي الفتح : ألم يجد التنبى مما يحسن في الجسد شيئاً فوق الشامة كالعين الحسناء لكنه أراد أن هذا السيف - على حسنه وكثرة قيمته - كالنقطة فيها أعطاه . ألا تراه يقول جلدها منفساته ؟ أى قدر هذا السيف وهو عظيم القيمة فما أعطاه كقدر الشامة في الجلد . قال الواحدى : وهؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم ، ولم يكشفوا عن معنى البيت ولا بينوه يانا يقف التأمل عليه ويقضى بالصواب ؛ ومعنى البيت : أنه جعل ذلك السيف شامة ، والشامة تكون في الجلد ، ولما ساء شامة سمى ما كان معه من الهدايا - التي كان السيف في جملتها - جلداً ؛ والكناية - في النفسات والعتاد - يعودان إلى المدوح ؛ وذلك أنه أهدى إليه أشياء نفيسة من الخيل والثياب والأسلحة ، فهو يقول هذا السيف في جملتها شامة في جلد ؛ قال : وقول ابن فورجة : هو س لاشيء . وقال ابن

فَرَسْتَنَا سَوَابِقُ كُنَّ فِيهِ فَارَقَتْ لَيْدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهُ^(١)
وَرَجَعَتْ رَاحَةً بِنَا لَا تَرَاهَا وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهُ^(٢)
هَلْ لِمُعْذِرِي عِنْدَ الْمُهْمَامِ أَبِي الْفَضْلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِي يَدَادُهُ^(٣)
أَنَا مِنْ شِدْقِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ مَكْرُمَاتُ الْمَلِكِ حَوَادُهُ^(٤)

القطع : يريد : أن السيف - على جلالة قدره وما عليه من الذهب - كالشامة في جنب
مأخذت منه . وقوله : جلدها ، يريد ما عليه من الفرند الذي من أجله يستمد وينال في
منه ، وقيل : يريد بجلده جفته وما عليه من الذهب والفضة والجوهر المكلل .

(١) كن فيه : أى كن في نداءه ؛ والبد : ما تحت السرج . يقول : كان في جملة
عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد إلى سروجنا فصيرتنا فرسانا وتعلمنا الطراد
بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة ، وقوله : فرستنا أى علمتنا الفروسية . وفارقت
لبده ؛ يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجي حين أعطاناها . وفيها طراد : أى وفيها
تقويمه وأدب طراد . وقال ابن جنى : أى قد صرت معه كواحد من حملته إذا سار إلى
موضع سرت معه وطاردت بين يديه ، فكأنه هو للمطارد عليه . . . وعلى هذا يكون معنى
فرستنا حملتنا حتى ضمرنا فرسانا . وقوله : وفيها طراد ، أى عليها . قال العروضي : كلام
ابن جنى كلام من لم ينتبه عن نومة الغفلة . وإنما يقول : فارقت هذه الخيل لبده ، وفيها
تأديبه وتقويمه ، ثم قال : والمعنى : إن الخيل السوابق التي كانت عنده بما أعطانا علمتنا
الفروسية . لأنها قد فارقت لبده حين أعطاناها . وفيها ماعله بطراد . وتأديبه

(٢) يقول : إن هذه الخيل التي أهداها إلينا لما انتقلت إلى دجيت أن تستريح من طول
كده إياها ، لكنها لا ترى ما ترجوه مادمنافي بلاده ، لأنها لا تزال تغزومه بنزوة . ونطارد
عليها مع إذا ركب للصيد ، وإنما تستريح إذا فارقتا خدمته ، ونحن لا نفارق خدمته وبلاده
قوله : وبلاذ ألح : جملة حالية من مبتدأ وخبر .

(٣) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ، ويعتذر عما فرط فيها بما يؤاخذ به .
يقول : هل يقبل عذري ؟ أو هل لديه قبول لعذري ؟ وقوله : سواد عيني مداده : جملة
استثنائية دعائية : أى جعل الله سواد عيني مدادا له . وإنما دعا له بذلك إشارة إلى أن ابن
العميد من أهل الأدب والعلم ، المشتغلين بالكتابة والتأليف . والداد : الخبر ، والهمام :
السيد الشجاع السخي .

(٤) المواد : جمع عائد ، وهو زائر المريض . يقول : أنا لشدة حيائي كالعليل ،

مَا كَفَانِي تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنْ عَلَاءُ حَتَّى ثَنَاهُ اُنْتِقَادُهُ (١)
إِنِّي أَصِيدُ الْبَزَاءَ وَلَكِنْ أَجَلُ النُّجُومِ لَا أَضْطَادُهُ (٢)
رُبَّ مَا لَا يُقَبَّرُ اللَّفْظُ عَنْهُ

وَالَّذِي يُضْمِرُ الْفَوَادُ اُعْتِقَادُهُ (٣)

مَا تَعَوَّذْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الْفَضْلَ وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ اُعْتِنَادُهُ (٤)

وهذا الذي أعلني تأتيني كل يوم كأنها عواد تعودني . وإنما كان شديد الحياء لأن ابن العميد قد شعره . ولذا جعله معلاله ؛ وقد شرح ذلك في الآيات التالية .

(١) عن علاء : متعلق بتقصير ؛ وثناه : صار ثانيه . والضمير : للتقصير ، يقول : ما كفاني تقصير شعري عن علاء وعجزى عن وصفه حتى شفهه بنقده ، فتقصير شعري ونقده هما سبب شدة حيائي .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل . من الصيد ، يقول : أنا في الشعراء كالبازي . الأصيد في البزاة ، ولكن البازي مها كان بارعاً في الصيد ليس في مكتته أن يبلغ النجوم فيصيدها ، يعني : أتى وإن كنت حاذقاً في الشعر وبالقائه الغاية التي لا بعدها فإن كلامي لا يبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه وقال ابن جني : لو استوي له أن يقول : أعلني النجوم — بدل أجل النجوم — لكان أليق ، وقال الواحدى : يريد بأجل النجوم زحلا ، جعل هذا مثلاً للمدوح .

(٣) يقول : رب أمر يعتقده القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبوغيه مبلغاً لا يحيط به الوصف ، وهذا اعتذار عن قصوره في وصفه ومدحه فما — من قوله رب ما — نكرة موصوفة بمعنى شيء ، أو أمر . وقوله : والذي الخ : حال ؛ والضمير من اعتقاده : يرجع إلى ما .

(٤) يقول : لم أتعود أن أمدح مثله ، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذوراً ؛ لأن عادتي لم تجر بمدح مثله ، والذي ورد عليه من الشعر شيء معتاد عنده لأنه لا يزال يمدح ، فهو أعلم الناس بالشعر . أو تقول : وهذا الذي أتاه — أى هذا الذى فعله من النقد — هو عادته لبصره بالشعر ونقده . قال الواحدى : وهذا يدل على تحرز أبى الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد في شعره تواضعه لابن العميد . وقال ابن جني : يريد لم أمدح مثله ، فلذلك قصرت عن وصفي له ، والذي أتاه من الكرم عادة له لم يتطبع به . قال الواحدى : وهذا الذى يقوله ابن جني ليس بشيء ، لأنه ليس في وصف كرمه ، وإنما يعتذر إليه في تقصيره .

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْفَرِيقِ كَظَرًا وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهُ^(١)
 لِلْنَدَى الْغَلْبُ إِنَّهُ فَاضٍ وَالشُّعْرُ عِمَادِي وَأَبْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهُ^(٢)
 نَالَ ظَنِّي الْأُمُورَ إِلَّا كَرِيمًا لَيْسَ لِي نُظْفُهُ وَلَا فِي آدُهُ^(٣)
 ظَالِمُ الْجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ سِيمَ أَنْ تَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادَهُ^(٤)
 غَمَرْتَنِي فَوَائِدُ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أَفَادَهُ^(٥)
 مَا سَمِعْنَا مِنْ أَحَبِّ الْعَطَايَا
 فَأَشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فَوَائِدُهُ^(٦)

(١) يقول : إن فائتي عدد بعض أوصافك فلم آت على جميعها ، كان عذري واضحا ، لأنني غرقت فيها لتوافر محامدك ، والفريق في البحر إن لم يستطع تعداد الأمواج كان عذره واضحا ، وتلخيص المعنى : أن فكري غرق في فضائلك ، فليس لي إلى استيفاء وصفها من سبيل . وقوله : أن يفوته : أي في أن يفوته ، وهو من صلة العذر ؛ والتعداد : العدد .

(٢) يقول : إن لجوده الغلبة فهو غالبني ؛ لأن عماده ابن العميد وعمادي الشعرو هو ناقده ، فكيف لي أن أغلبه بالشعر ؟ فالندى : الجود ؛ والضمير في عماده : للندي .
 (٣) الظن - ههنا - بمعنى العلم ؛ ويروى : طي ، وهو بمعنى العلم أيضا ، والآد : القوة . يقول : لقد قتلت الأمور علما ، غير أنني قاصر عن مدح كريم ليس لي فصاحته في الكلام ولا قوته في علم الشعر .

(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهي القرية . يقول : إن جوده ظالم ، وذلك أنه كلما صمد إليه ركب أغدق عليهم من عطاياه ما لا يطيقون حمله ، وهذا ظلم ، لأنه غير ممكن ، وهل يمكن حمل البحر في القرب ؟! فقوله : ظالم الجود ، من إضافة الوصف إلى فاعله . وسيم : كلف .

(٥) يقول : إنه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول ، ونبهه بذلك إلى ما كان غافلا عنه ، فكان حسن القول وصحة الكلام ، من جملة الفوائد التي أفادها منه .

(٦) يقول : لم نسمع قبله بجواد يحب الإعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملة عطاياه يريد : أن ما أفاده العلم هو نتاج عقله ونبات فكره ، فكأنه أعطاه عقله ؛ والفؤاد هنا : بمعنى العتل .

خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طَرًّا فِي مَكَانِ أَغْرَابِهِ أَكْرَادُهُ^(١)
وَأَحَقَّ الْغِيُوثِ نَفْسًا بِمَحْمَدٍ فِي زَمَانِ كُلِّ النَّفُوسِ جَرَادُهُ^(٢)
مِثْلَمَا أَخْدَتِ الثَّبُوتَ فِي الْعَا لَمْ وَالتَّبْعَ حِينَ شَاعَ فَسَادُهُ^(٣)
زَانَتِ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا لِعِ فِيهِ وَلَمْ يَشْنُهُ سَوَادُهُ^(٤)
كَثَرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نَهْدَى كَمَا أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهُ^(٥)
وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ فِينَهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهُ^(٦)

(١) يريد بأفصح الناس : المدوح . يقول : إنه أفصح العرب ، وهم أفصح الناس ،
يبد أنه في بلد أهله أكراد لا عرب . يريد أهل فارس . وروى ابن جني : أفضل
الناس ، وليس بشيء .

(٢) وأحق : عطف على أفصح . يقول : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيث بالحمد -
يعني المدوح - لمعوم صلاحه ، فأوجد هذا الغيث في زمان قد استشرى فيباد أهله
وشاع في الأرض ، فكانوا كالجراد . وقال ابن جني : جعله غيثاً وجعل الناس كلهم -
لا احتياجهم إليه - جراداً ، فإن الجراد حياته في الغيث والكلأ .

(٣) يقول : لما شاع الفساد في العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد : خلق الله ابن
العميد ليتدارك به ذلك الفساد ، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين . وهذا من قول الفرزدق :

بُعِثَتْ لِأَهْلِ الدِّينِ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لَأَنْتَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ
كَأَمْ بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ عَمْدًا عَلَى قَتَرَةٍ وَالنَّاسِ مِثْلُ الْبِهَامِ

قوله : والبعث ، أي بعث الرسل ، عطف على النبوة .

(٤) غرة القمر : طلعه وضوؤه . ويشنه : يعبه . لما ذكر عموم الفساد في الناس
والزمان : ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى إليه ، وأنه سبب لإصلاحه كالقمر يطلم فيجلو
سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد .

(٥) و (٦) يقول : كثر الفكر في كيف نهدي إليك شيئاً كما يهدي العبيد إلى
أربابها وكل ما عندنا من المال والخيول فن عندك وهبته وقدمته إلينا . قوله : إلى ربها
أي سيدها ؛ والضمير : لعباده . وعباده : أي عبيده ؛ والرئيس بدل من « ربها »
والنبي - إلى آخر البيت - حال . وفي البيت الثاني طى ونشر لا يعني . وهذا من
قول ابن الرومي :

فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهْرًا كُلُّ مِهْرٍ مِيدَانُهُ إِنْشَادُهُ (١)
عَدَدٌ عِشْتُهُ يَرَى الْجَنَسُ فِيهِ أَرْبَابًا لَا يَرَاهُ فِيمَا يَزَادُهُ (٢)
فَارْتَبَطَهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهُ (٣)

مِنْكَ يَا جَنَّةَ النِّعَمِ الْهَدَايَا أَفْهَدِي إِلَيْكَ مَا مِنْكَ يَهْدِي
(١) للمهارة : جمع مهر . يروى بالنصب على الحال ، لأن في المهر معنى الفتي والفرس إذا كان فتياً كانت الرغبة فيه أشد ، ويروى بالجر : على أنه بدل من أربعين ، أو يان لها . وقوله : كل مهر الخ ، نعت للمهارة : أى كل مهر منها . كنى بالمهارة عن آيات القصيدة لأنها أربعون بيتاً ، وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر في الميدان إذا جرى فيه عرف جريه يقول : فبعثنا إليك بأربعين بيتاً من الشعر ، ميدان كل بيت إنشاده : أى أنه إذا أنشد عرف قدره : كما أن للمهر إذا أجرى في الميدان عرف .
(٢) عدد : خبر مبتدأ محذوف : أى أن الأربعين هى عدد الخ : وقوله عشته : دعاؤه ، يدعو له بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه ؛ قال الواحدى . وكان ابن العميد في ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهر الثمانين ، وقوله : يرى الجسم فيه الخ : أى أن عدد الأربعين يرى الإنسان فيه من أرب العيش وحاجه مالا يراه في السنين التى زادها بعد ذلك : أى فلماذا اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتاً : وقاله ابن جني : الأربعون إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يبعد من أحواله في جسمه وتصرفه .

(٣) نَمَاهَا : أى ارتفع إليه نسبها ، فهو من نماء النسب : وعبر بذلك جرياً على عادة العرب في حفظ أنساب الحيل : لما سمى الأبيات مهارة عبر عن حفظها وإمسائها بالارتباط ليتجانس الكلام : يقول : فاحتفظ بها فإن القلب الذى صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جواده جواد كل مربوط : يعنى أن الشعر الذى يقوله أفضل من شعر سواه .

وورد عليه كتاب ابن العميد يتشوقه فقال ارتجالاً :

بِكُتِبِ الْأَنَامُ كِتَابٌ وَرَدَّ
فَدَتِ يَدَ كَاتِبِهِ كُلِّ يَدٍ^(١)
يَعْبُرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا ،
وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدُ^(٢)
فَأُخْرِقَ رَأْيِيهِ مَا رَأَى ،
وَأُبْرِقَ نَاقِدَهُ مَا انتَقَدُ^(٣)
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَاظَهُ
خَلَقْنَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْحَسَدَ^(٤)

(١) أى يفدى بكتب الأنام جميعاً هذا الكتاب الوارد على لأن شرفه وقدره عظيم وقوله : فدت الح : جملة دعائية .

(٢) يقول : إن ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذى لكاتبه عندنا ؛ أى أنا نشاق إليه كما يشاق هو إلينا ؛ ويذكر من شوقه إلينا ما نجد من الشوق إليه .

(٣) أخرق : أدهش وحير ؛ من خرق الظبي : دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ؛ وقد أخرقه الفزع فخرق وأبرق : حير ؛ تقول : برق بصره : تحير فلم يطرف قال ذو الرمة :

وَلَوْ أَنَّ لِقْمَانَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ
لَعَيْنَيْهِ سَافِرًا كَادَ يَبْرِقُ

يقول المتنبي : إن الذى رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه ، والذى انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته .

(٤) يقول : إن ألفاظه تحدث له الحسد فى القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه .

قَوْلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِينَ
كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدِ^(١)

(١) فرس الناطقين افترسهم : جعل إحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كالافتراس ، أى أنه وصل في غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليها من الدهش والحيرة إلى مثل ما يصل إليه الأسد إذا افترس فريسته : ولما وصفه بالافتراس جعله أسداً في الصراع الثاني ، لأن الافتراس من أفعال الأسد . قال الواحدى : ولو خرس المتنبي ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيراً له ، وكأنه لم يسمع قط وصف كلامه ! وأى موضع للاخراق والإبراق والفرس في وصف الألفاظ والكتب هلا احتذى على مثال قول البحرى يصف كلام ابن الزيات :

فِي نِظَامٍ مِنْ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ
وَبَدِيعٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّالُّ حَكٌّ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يُخْلِقُهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا الْقَوَافِي هَجَجَتْ شِعْرَ جَرُولٍ وَلَبِيدِ
حُزْنَ مُسْتَعْمِلِ الْكَلَامِ اخْتِيَاراً وَتَجَنَّبِ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره ؛ فقال عند مسيره مودعا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة :

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفَرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخُلْدِ^(١)
وَلَا لَيْلَةً قَصَرَتْهَا بِقَصُورَةٍ

أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُنْفِ حَبَّةِ الْعِقْدِ^(٢)
وَمَنْ لِي يَوْمٍ مِثْلَ يَوْمِ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(١) الحفر . الحياء . يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود ، ولا الذي غشيه عند ذلك من الحياء الذي ازدادت به حمرة وجهه . يعنى إن أنس لا أنس ذلك . وكثيراً ما يذكر الشعراء ماجرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع ، وذلك كما يقول أحدهم :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ قَوْلُهُمْ يَوْمَ وَدَّعْتُ وَقَدْ رُحِلَتْ أَجَالُنَا وَهِيَ وَقَفَتْ
أَأَنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا فَلَسْنَا وَحَقَّ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ نَصْدِفُ
فَقُلْتُ لَهَا حِفْظِي لِعَهْدِكَ مِثْلِي وَلَوْلَا حِفَاظُ الْعَهْدِ مَا كُنْتُ أَتْلِفُ

ومثله كثير ، وروى نسيت - بالبناء للمجهول - أى نسيت الحبيب .

(٢) القصورة والقصيرة : المحبوسة فى خدرها ، المنوعة من التصرف ؛ قال كثير :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَى وَمَا تَذَرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَى - شَرُّ النَّسَاءِ الْبَحَائِرُ

« البحر : القصير المجتمع الخلق » . يقول المتنبي : لا أنسى ليلة قصرت على لطيف

مجالسقى لهذه الخندرة ومعاتق إياها حتى طالت يدي فى جيدها مثل صبة العقد لجيدها .
فقوله صبة العقد : أى مثل صبة العقد ، فهو منصوب على الصدرية .

(٣) يقول : من يكفل بأن يكون لى يوم آخر مثل يوم الوداع وإن كرهته لأنى

قربت فيه من فراقهم . يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم ، وهم أبداً يتمنون مثل يوم

التوديع ، لأن المودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم كما قال الآخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فَإِنِّي أَشْتَهِيهِ لِعِلَّةِ التَّسْلِيمِ

(١١ - المتنبي ٢)

وَأَنْ لَا يَخْصُ الْفَقْدُ شَيْئًا فَإِنِّي
 قَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي^(١)
 تَمَنَّيَ بِلَدِّ الْمُسْتَهَامِ بِمِثْلِهِ ،
 وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فَتَيْلًا وَلَا يُجْدِي^(٢)
 وَغَيْظٌ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدِّ^(٣)

إن فيه أغنية لوداع وانتظار أغنية لقُدوم
 وَلَكُمْ فُرْقَةً وَغَيْبَةً شَهْرٍ هِيَ أَجْدَى مِنْ امْتِنَاعِ مُقِيمٍ
 (١) يقول : ومن لى بأن لا يكون الفقد فى ذلك اليوم خصوصاً بشيء دون شيء
 فإنى قدت فيه أحبى ولم أفقد بكأى ولا وجدى : يتمنى أن يكون الفقد عاماً شاملاً حتى
 يفقد البكاء والوجد أيضاً :

(٢) تمنى : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هذا تمنى ؛ والمستهام : الذى هيمه الحب وشرده ؛
 ويقال لى بلد ، والتذ يلى ، وتلذذت كذا التذ لى لذاً ولذادة ، وهو لذ ولذيد ؛ والقتيل
 ما يكون فى شق النواة ، وقيل هو ما تقتله بين أصبعيك من الوسع ، وهو نائب مفعول
 مطلق : أى لا يغنى غناء حقيراً مثل القليل : يقول : إن هذا الذى ذكرته هو تمنى
 لا حقيقة له ، ولكن المستهام يلى بالتمنى وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغنى عنه شيئاً : وفى
 معنى البيت يقول القائل :

أَمَانِي مِنْ لَيْلِي حَسَانًا كَأَمَّا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا
 مَتْنِي إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَتْنِي وَإِلَّا فَقَدْ عَشِنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا
 ويقول البحرى :

تَمَنَيْتُ لَيْلِي بَعْدَ قَوْتٍ وَإِنَّمَا تَمَنَيْتُ مِنْهَا خُطَّةً لَا أَنَا هُما
 ويقول الآخر :

وَأَعْلَمُ أَنْ وَصَلَكَ لَيْسَ يُرْجَى وَلَكِنْ لَا أَقْلَ مِنْ التَّمْنِي
 (٣) القد : سير يشد به الأسير : يقول : لى غيظ على الأيام يلىتهب فى الحشا التهاب
 النار ، ولكنه غيظ على مالا يكثر ولا يبالى بغيظى ، لأن الأيام لا تؤاتينى ولا تنزل
 على مرادى ، ومن ثم كان كغيظ الأسير على ما يشد به من القد :

فَإِمَّا تَرَبِّنِي لَا أَقِمْ بِيَلَدَةٍ ۖ فَاقَهُ غَمْدِي فِي دُلُوفِي وَفِي حَدِّي ^(١)
يَحُلُّ الْقَتْلَ يَوْمَ الطَّعَانِ بِعَقْوَتِي ۖ فَأَحْرِمُهُ عِرْصِي وَأَطْعِمُهُ جِلْدِي ^(٢)
تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
نَجَائِبُ لَا يُفَكِّرْنَ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ ^(٣)
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلْتَمِسُوا ۖ عَلَيْنَّ لَا خَوْفًا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ^(٤)
وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذُّنْبِ شَيْعَةً ۖ وَلَكِنَّهُ مِنْ شَيْعَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ ^(٥)

(١) الدلوق : سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده : يقول - معتذراً للحيبة من فراقه لها وقلة مقامه في البلدان ومواصلة السير والتطواف : - إن رأيتني منزحاً لا أقيم ليلة فإن ذلك لمضائي وبعد همي كالسيف الحاد إذا أغمد أكل غمده واندلق منه وقال ابن جني : الذي تربنه من شجوى وتغري إنما هو لمواصلة السير والتطواف في البلاد بعد همي ، كالسيف الحاد إذا أكثر سلّه وإغماره أكل جفته : قال الواحدى : وليس مما ذكره شيء في البيت ، لكنه ما هجس له في خاطره فتكلم به ، وإما - من فإما - هي إن الشرطية ، وما الزائدة :

(٢) العقوة : الساحة وما حول الدار والحلة ؛ يقال نزل : بعقوته : يقول . إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدى وجعلته وقاية لعرضى : يعنى أنه يؤثر وقوع الرماح في جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالحرب ؛ وهذا من قول الجاهلى :

أَخُو الْحَرْبِ أَمَّا جِلْدُهُ فَمَجْرَحٌ ۖ كَلِمٌ ، وَأَمَّا عِرْصُهُ فَسَلِيمٌ

(٣) النجائب : جمع نجيبة ، وهى الناقة الكريمة : وفكر فى الشيء وأفكر فيه ونمكر : بمعنى : يقول : إن هذه النجائب يمضين فى مصمات لا يلتفتن إلى نحس ولا سعد فتبدل على بمضيهن الأيام والمعاش والديار ، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب .

(٤) وأوجه : عطف على نجائب : وأراد بالفتيان : غلمانه الذين يسرون معه : يقول : تبدل أيامى نجائب وأوجه فتيان : أى أنا أبداً مسافر على هذه النجائب فى صحبة هؤلاء الفتيان الذين ألفوا الاسفار ، ومن ثم لا يبالون بالحر والبرد ، وإنما تلتسوا على وجوههم لشدة حياتهم ، لا اتقاء الحر والبرد ؛ والحياء شيمة الكرام .

(٥) الشيمة : الطبيعة والخلق والعادة . والاسد الورد : الذى فى لونه حمرة مثل

إِذَا لَمْ تُجْزِهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةً أَجَارَ الْقَنَا وَتَخَوَّفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ^(١)
يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِي تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى الْجِدِّ^(٢)
وَمَنْ يَصْحَبِ أَسْمَ ابْنَ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
يَسِرُّ بَيْنَ أُنْيَابِ الْأَسَاوِدِ وَالْأَسْدِ^(٣)
يَمُرُّ مِنَ الشَّمِّ أَوْحَى بِمَا جِزٍ ، وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَهِينَ عَلَى دُرْدِ^(٤)

الورد . يمدح الحياء ؛ يقول : إن الذئب المعروف بالحبث والنساي ليس الحياء من شيمته وإنما شيمته القحة ، ولكن الحياء شيمة الأسد ، وذلك أن في طبعه كرما وحياء ؛ يقال إن من واجبه وأحد النظر في وجهه استحياء منه ولم يفترسه ، وللعنى أن حياءم ليس بمزربهم ، كما أنه لا يزرى بالأسد حياؤه ، يصفهم بالإقدام مع فرط الحياء .

(١) يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث إذا مروا في أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماهم ولم يخافوا أهل تلك الناحية ثم قال : والخوف خير من الود : أى أن تخاف خير من أن تحب ، لأن من أطلعك خوفا منك أبلغ طاعة ممن يطعمك مودة ، كما تقول العرب : رهبوت خيرا من رحموت : أى لأن ترهب خير من أن ترحم . وقال ابن جني : إذا خافوا من عدو اعتصموا منه بالقنا ... قال ابن فوسيجه — ناقدا — : أين ذكر خوفهم العدو ، وأين ذكر الاعتصام ؟ وإنما يقول : إذا لم يمكنهم أن يجتازوا على ديار بالمودة حاربوا فيها وجازوها .

(٢) حاد عن الشيء : تباعد عنه وتجنبه . وتوفر على الشيء : صرف همه إليه . يقول إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك : أى الذى عمله اللهو من طراد وشراب وما إليهما ، ويأتون من توفر على الجد وترك اللهو : يعنى ابن العميد .

(٣) الأساود : الأفاعى . يقول : من جعل اسم ابن العميد صاحبا له في سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والأسود ، يعنى إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب إليه لم يتعرض له أحد هية له ورهبا . فالأساود والاسد مثل لمن تخشى غائلته . وعبارة الخطيب التبريزى : من نسب إليه في خدمة أو زيارة أو مدح فإنه ناج من المخافة لا يقدم عليه أحد . وفى الكلام حذف ، تقديره : يسر بين أنياب الحيات والأسود ناجيا سالما آمنا من المخافة .

(٤) الوحى : السريع . والدرد : جمع أردد ، وهو الذى ذهب أسنانه . وهذا البيت مرتب على الطوى والنشر ، وهو تقرير للبيت السابق . يقول : إن من يستصحب اسم ابن العميد لا يعمل فيه سم الأفاعى السريع ولا أنياب الأسود حتى لكأنها درد . ويمر

كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعَيْسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ فُجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءَ سَوَى الرَّغْدِ ^(١)
إِذَا مَا اسْتَجَبْنَ الْمَاءُ يَعْزِضُ نَفْسَهُ كَرِغْنٍ بَسَبَتْ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ ^(٢)

ويعر: في موضع الحال من قوله «يسر» أى يسر ماراً عابراً؛ ولك أن يجعل يمر بدل من يسر.

(١) يقول: يبركته أخصب الربيع وكثر مطره ورعده فأغنانا عن تحشم حداء الإبل في المسير إليه، لأن الرعد أغنى غناء الحداء. فالعيس: الإبل. وكفانا العيس، أى كفانا حدها. والحداء: سوق الإبل بالغناء وقوله: من بركاته - أى بركات المدوح - تعليل لكفى:

(٢) يعرض نفسه: حال؛ وكرعن: شربن؛ وأصله من إدخال أكارع الشاربة في الماء للشرب؛ والسبت: جلود البقر المدبوعة بالقرظ، تحذى منه النعال السبتية. يقول: إذا مرت هذه الإبل بالمياه التى غادرتها السيول فصارت لكترتها كأنها تعرض نفسها عليها، فأجابتها الإبل وأقبلت عليها للشرب كرعت منها بمشافر لينة كالسبت * وقد أهدق الورد - والمراد الزهر أياً كان - بذلك الماء، فصار كأنه إناء له. وقد روى البيت إذا ما استحين بدل إذا ما استجبن، وكرعن بشيب: بدل بسبت. واستحين: من الحياء، والشيب: صوت مشافر الإبل عند الشرب. قال في اللسان: والشيب - بالكسر - حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب. قال ذو الرمة - يصف إبلا تشرب في حوض مثلم، وأصوات مشافرها شيب شيب.

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُثَلَّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلَاحٍ ^(١)

* هم يشبهون للشعر بالسبت في لينة، قال طرفة بن العبد:

وَحَدَّ كَقَرطَانِ الشَّامِ وَمَشْفَرٍ كَسَبَتْ الْيَمَانِي قَدُهُ لَمْ يُحْرَدِ
لم يحرد: روى بالحاء المهمله، وعليها اقتصر الخطيب التبريزي. قال: أى لم يمل؛ يصف أنها شابة فتية، وذلك أن الهرمة والهرم تمل مشافرها: وروى لم يحرد - بالجيم - أى أن شعره عليه.

(١) من قصيدة لذى الرمة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم. وقبله.

كَأَنَّا أَرَادَتْ شُكْرَنَا الْأَرْضُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُخْلِنَا جَوْ هَبْطَنَاهُ مِنْ رَفْدٍ^(١)
لَنَا مَذْهَبُ الْعِبَادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ وَإِتْيَانِهِ نَبْغِي الرِّغَائِبَ بِالزَّهْدِ^(٢)
رَجَوْنَا الَّذِي يَرْجُونَ فِي كُلِّ جَنَّةٍ بِأَرْجَانِ حَتَّى مَا يُتَسَنَّا مِنْ الْخُلْدِ^(٣)

البصرة : حجارة رخوة إلى البياض ؛ والسلام - بكسر السين - الحجارة الصلبة «
(١) الجو - هنا - ما اتسع من الأودية ، كما جاء في قول طرفة :

خِلَالِكَ الْجَوِ قَبِيضِي وَاصْفَرِي

والرفد : العطاء : يقول : إن كل موضع نُزلناه في طريقنا إليه أصبنا به ماء وكلاً .
فكان الأرض أرادت أن نشكرها عنده تقرباً إليه .

(٢) الرغائب : جمع رغبة - الأمر للرغوب فيه . يقول : لنا في ترك غيره من الملوك
وقصدنا إليه ، مذهب الزهاد الذين يزهّدون في الدنيا لينالوا خيراً مما تركوا في الآخرة :
وذلك لأننا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه ، فنحن إنما نطلب الرغائب عنده
بزهّدنا في غيره .

(٣) يرجون : أي العباد ، وأرجان : صلة رجونا ، وأرجان هي أرجان - بتشديد

وَكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنَهْلٍ مَتَخَطِلٍ أَقْلٍ وَأَقْوَى فَالْجَمِ طَوَائِي
إِذَا مَا وَرَدْنَا لَمْ نَصَادِفْ بِجَوْفِهِ سِوَى وَارِدَاتٍ مِنْ قَطَا وَحَامٍ
إِذَا سَاقِيَانَا أَفْرَغَا فِي إِزَائِهِ عَلَى قُلُوصٍ بِالْمُقْفِرَاتِ حِيَامٍ
تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ الْبَيْتِ

يصف قطعه القفار على إبله ، و « العسف » الأخذ على غير هدي ، والضمير إلى
الإبل ، و « المنهل » للورد ، و « المتخطط » الذي تخطأه الناس فلم ينزلوه ، و « أقل »
أي لم يصبه المطر ، و « أقوى » خلا ، و « الجمام » جمع « جمّة » المكان الذي يجتمع
فيه ماء ، و « طوايى » مملوءة و « ساقيانا » أي اللذان يستقيان من البئر ، و « الإزاء »
مصب الماء في الحوض ، و « على قلوص » صلة أفرغا ، و « القلوص » جمع « قلووص »
التيقة الشابة ، و « الحيام » جمع « حوم » القطيع الضخم من الإبل ، وبالْمُقْفِرَاتِ صفة
قلوص ، و « تداعين » أي دعا بعض القلوص بعضاً ، و « الشيب » - كما قلنا - حكاية
أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصوت : شيب شيب ، جعل هذا الصوت مما
يدعوهم إلى الشرب ، و « التثلم » أراد : في حوض مثلم .

تَعْرِضُ لِلزَّوَارِ أَعْنَاقُ خَيْلِهِ تَعْرِضُ وَخَشِي خَائِفَاتٍ مِنَ الطَّرْدِ^(١)
وَتَلْقَى نَوَاصِيهَا أَلْمَايَا مُشِيحَةً وَرُودَ قَطَا صُمِّ تَشَايَحْنَ فِي وَرْدِ^(٢)

الراء - بلد بفارس ، يقيم فيه ابن العميد ، وخفف الراء للضرورة . يقول : رجونا أن ننال لمدية من النعيم ما يرجو العباد نيله في جنة الخلد ، وذلك أنه محقق رجاء من يرجوه ، ومن ثم نرجو بيلده ما يرجو العباد في الجنان حتى كدنا لا نياس من الخلود فيها ، لأنها كالجنة التي هي دار الخلود .

(١) تعرض - بحذف إحدى التاءين - أى تعرض : أى توليهم عرضها : أى جانبها . والمعنى : تعرض عنهم وتزور . يقول : إن خيله تزور عن زواره خوفاً ونفارا كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد ، وذلك لأنها تتوقع أن يهبها لهم ، وهي لا تبني مفارقتها . قال العسكري : ليس في هذا البيت حسن مدح ... ولو عكس المعنى وقال : إن خيله تفرح بازوار - كي يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقة الحروب - لكان أمدح . هذا : والطرد - بفتح الراء وسكونها - لفتان فصيحتان .

(٢) الشيخ : المجد السريع الحذر . قال ابن الإطابة :

وإقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةً الْبَطْلَ الْمُسَيِّحَ
وشاح الرجل : جد في الأمر ؛ قال أبو ذؤيب الهذلي يرثي رجلاً من بني عمه ، ويصف مواقفه في الحرب :

وَرَزَّغَتْهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّدُوا سِرَاعًا وَلَا حَتَّ أَوْجُهُ وَكُشُوحُ
بَدَرَتْ إِلَى أَوْلَاهُمْ فَسَبَقَتْهُمْ وَشَايَحَتْ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْحُ

وقال ابن الأعرابي الإشاحة ، الحذر . وأنشد لأوس بن حجر

فِي حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ أَمْرِ لَمَنْ قَدْ يَحَاوِلُ الْبِدَاعُ

« والإشاحة ؛ الحذر والخوف لمن حاول أن يدفع الموت ومحاولته دفعه بدعة »
قال : ولا يكون الحذر بغير جد مشيحا ، وأشاح بوجهه عن الشيء : نهاه وجد في الإعراض والورود والورد : إتيان الماء . يقول : وتلقى خيله المنايا في الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة في الورد . وجعلها صمما كي لا تسمع شيئا تشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها .

وَتَنْسَبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نَفُوسَهَا إِلَيْهِ وَيَنْسَبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الْهِنْدِ^(١)
إِذَا الشَّرْقَاءُ أَلْبِيضُ مَتَوًّا يَقْتَوِرُهُ أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الْأَبِ وَالْجَدِّ^(٢)

قال :

رِدِي رِدِي وَرَدَ قَطَاةٌ صَنَا كَدْرِيةُ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا
والتواصى . جمع ناصية ، شعر مقدم الرأس ، وتشايخن : تسارعن . وقوله : ورود :
مفعول مطلق لتلقى .

(١) يقول : إن أفعال سيوفه تنسب نفوسها إليه : أى أنها حصلت بقوته وأيده ،
وتنسب السيوف إلى الهند : أى أنها عملت فيها ، يعنى أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على
أنها حصلت بكف المدوح ، ودلت أيضاً على أنها حصلت بسيف هندي ، أى أنه اجتمع
فيها قوة الضارب وجودة النصل . فالضمير في نفوسها وفي ينسبن : عائد على الأفعال .
وقال ابن جنى : أفعال السيوف أشرف من السيوف ، وأفعالها تشبه بأفعاله في مضام وحدته
وتنسب السيوف إلى الهند : ألا ترى أنه يقال : سيف هندي وسيف يمان وفعل السيف
أشرف منه ؟ لذلك أنت أشرف من الهند . . . قال ابن فورجه : قد خلط ابن جنى حتى
لا أدرى أى أطراف كلامه أقرب إلى الحال ؟ ولم يجز ذكر التشبيه ، وإنما يقول : إنها
تنسب أفعالها إليه : أى تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لامن فعلنا ، وهذا كقوله :
إِذَا ضَرَبْتَ بِالسَّيْفِ فِي الْحَرْبِ كَفَهُ تَبَيَّنَتْ أَنَّ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَضْرِبُ
والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند . وهذا معنى لطيف ،
يقول : إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه ، لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف
أيضاً إلى الهند ، لأنها دلت على جودة ضربته وعمله ، فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت
على جودة السيف ، وليس في هذا البيت أنه أشرف من الهند .
(٢) البيض : السادة ، من قوله : فلان أبيض : أى نقي العرض كريم . وفلان يمت
إلى فلان بكذا : يتقرب به إليه . والقتو : الخدمة ، وقيل : حسن خدمة الملوك ، والقتوى :
الخدام ، والجمع : مقتوون ، قال عمرو بن كلثوم :

تَهْدِدُنَا وَتُوَعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأَمْلِكٍ مَقْتَوِينَ

يقول : إذا تقرب الأشراف إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسب الأب
والجد : أى أنهم يصيرون بخدمته ، أعز منهم بأبائهم وأمهاتهم .

فَتَى فَاتَتْ الْعَدُوَّ مِنَ النَّاسِ عَيْنَهُ فَمَا أَرَمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرَّمْدِ^(١)
وَحَافَتْهُمْ خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَوْضِعًا فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدَى^(٢)
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْشُورَةِ الْجَنْدِ^(٣)
إِذَا أَرْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ
كُتَائِبَ لَا يَرِدُ الصَّبَاحُ كَمَا تَرَدَّى^(٤)
وَمَبْثُوثَةً لَا تُتَقَى بِعَلِيَّةٍ وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغَوْرِ وَلَا يُجَدَّى^(٥)

(١) و (٢) العدو : أن يعدى الشيء الشيء فيصير مثله ؛ والرمد : جمع رمد وأرمد وهو المرض العين بالرمد . يقول : إن عينه فاتت العدو فلم يدها رمد غيرها . وهذا مثل ، يعنى : أنه تزه عن عمى الناس عن دقائق الكرم فلم يده هذا العمى النفسى ؛ أى لم تعده عيوب الناس على كثرتها ، فهو بصير بالمكرم طيب بها والناس عمى عنها ، ثم قال — فى البيت الثانى : هو أجل من سائر الناس خلقاً وأنبيل خلقاً ورتبة ، فهو أجل من أن يعديه الناس بشيء حتى يشاركونهم فى خلاصهم ، ومن أن يعديهم هو ؛ لأنه شأهم وفات طورهم إلى ما ليس فى مكنهم الوصول إليه من الأخلاق العالية النبيلة .

(٣) يقول : إنه يغير على أعدائه ألوان الليالى ، فإذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة يبريق أسلحة جيوشه التى هى منشورة الرايات — أى الأعلام — منصوره الجند ، وإذا كانت الليالى مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع — الغبار — وقال بعض الشراح : لكثرة عساكره إذا سارت بالليل أو قدت المشاعل ؛ إما للاستضاءة ، وإما لإحراق ديار الأعداء حينئذ تنجاب الظلمة .

(٤) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الخيل ؛ وردى يردى : أسرع من ردت الخيل ردياً وردياناً : رجعت الأرض بمخاوفها فى سيرها وعدوها . يقول : إن جيوشه إذا أتت الأعداء فى ديارهم قبل الصبح أسرعت إليهم إسراراً لا يسرعه الصبح فأتت عليهم — أهلكتهم — قبل أن ينبثق ضوؤه .

(٥) ومبثوثة : عطف على كتائب ، وهى الفارة التى تشن ؛ والغور : ما انخفض من الأرض ؛ والنجد : ما ارتفع .

يقول : ورأوا خيلاً متفرقة فى كل ناحية لا يستطيعون أن يتوقوها بالطلائع — وهى التى ترسل لتستطلع طلع العدو — لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم ، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الأرض أو مرتفع منها .

يَمْنُنَ إِذَا مَا عُدْنَ فِي مُتَقَادٍ مِنَ الْكُثْرِ غَانَ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحُشْدِ^(١)
 حَتَّى كُلُّ أَرْضٍ تُرْبَةٍ فِي غُبَارِهِ فَهَنْ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِي الْبَرْدِ^(٢)
 فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدَى مِنْ بَانَ هَذِيهِ قَهْذَا وَإِلَّا فَالْمَهْدَى ذَا فَمَا الْمَهْدَى^(٣)
 يُعَلِّقُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ وَيَجْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النِّقْدِ^(٤)

(١) يمنن : أى خيله ، من النوص ، وقوله : فى متقاد ، أى فى جيش يفقد بعضه بعضاً لكثرة واضطرابه ، كما قال الآخر :

• يجمع تضلُّ البُلُقَى فى حُجْرَاتِهِ •

قوله : من الكثر ، أى لأجل كثرة . وغان : أى مستغن ، والحشد : الجمع ، يقول : إذا عادت سراياه أو خيله إلى معسكره الذى بلغ من الكثرة وتراى الأطراف مبلغاً فقد فيه الشوق فلا يوجد ، والذى استغنى بعيد للمدوح عن أن يحشد إليه الثراء . إذا عادت إليه سراياه أو خيله بعد تفرقها فاصت وبانت صلتها بقياس إلى جمهرة للمسكر وتوافره وهذه الجيوش للكثرة كلها عبيد للمدوح ليسوا أو بأشأ أخلاطاً ، وروى بدل يمنن : يمنن . من غاض الماء : قصص . يعنى أن هذه السرايا إذا تفللت فى سائر جيشه غابت فيه لكثرة كالماء إذا غاض فى الأرض

(٢) حث : أى ذرت وملت وأطارت ، وقوله : فى غباره ، أى غبار المسكر المتفاد ، ومن : أى الترب . جمع التربة ، والطرائق : الخطوط ، والبرد : الثوب المخطط ، يقول : إن جيشه . لبعده غزواته وكثرة أسفاره . يمر بأمكنة مختلف ترابها فيثير تقع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير تخطوط البرد : منها أسود ، ومنها أحمر ، ومنها أبيض ، ومنها أصفر ، وهذا معنى حسن ،

(٣) المهدي : هو الذى يظهر آخر الزمان ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً كما هو معروف لدى المسلمين على خلاف فى ذلك . كما هو مبسوط فى مقدمة ابن خلدون ، فراجعها إن شئت . يقول : إن كان المهدي الموعود هو من ظهر سمته وصلاحه وهدهد : فهذا الذى نراه . أى للمدوح . هو المهدي الموعود ، وإن لم يكن هو الموعود فالذى نراه . من تقواه وحسن سيرته . هو المهدي كله ، فما معنى المهدي بعد هذا ؟

(٤) يعلنا أى يلهنا ويشاغطنا ، والنقد : خلاف الوعد : أى العتيد الحاضر ، يقول : إن الزمان يمدنا خروج المهدي فيعلنا بوعده طويل ونخدعنا عما عنده من النقد بالوعد ، يريد : أن للمدوح هو المهدي قدماً حاضراً ، وانتظار ظهوره خداع وتعليل .

هَلْ أَخْخِرُ شَيْءٌ لَيْسَ بِأَخْخِرٍ غَائِبٌ أَمْ الرُّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرُّشْدِ^(١)
 أَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كَيْدٍ^(٢)
 وَأَحْسَنَ مُنْعَمٍ جُلُوسًا وَرَكْبَةً عَلَى الْمَنْبَرِ الْعَالِيِ أَوْ الْفَرْسِ النَّهْدِ^(٣)
 تَفَضَّلَتِ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ يَتَنَنَّا فَلَمَّا حَمَدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ^(٤)
 جَمَلَنَ وَدَاعِي وَاحِدًا لثَلَاثَةً جَمَالَكَ وَالْعِلْمَ الْمُبْرَحَ وَالْعَجْدِ^(٥)

(١) الاستهزام هنا : إنكارى . وأم : بمعنى بل ، التى للاضراب . يقول : لا ينبغي أن يظن أن الخير والرشد المنتظرين من المهدي هما شيء آخر غير الخير والرشد الحاضرين لأن الشيء لا يغير نفسه ، وإذن : فالخير والرشد ماثلان في المدح ، وما ينتظر من المهدي ماثل فيه ، فلم لا يكون هو المهدي ؟ .

(٢) و (٣) أحزم : نصب ، على أنه منادى مضاف ، وهو أفضل تفضيل ، وكذلك ما بعده ؛ والحزم : سداد الرأي ؛ واللُب : العقل . وجلوساً : تمييز . والركبة : هيئة الركوب . يقول : يا أحزم ذوى العقل وأكرم ذوى الأيادى - النعم - وأشجع الشجعان وأرحم الراحمين وأحسن من نعم - لبس العمامة - وجلس على المنبر ، وأحسن الناس ركوباً على الفرس النهدي - الجسيم الحسن العالى - فقوله على المنبر العالى الخ : من باب الطي والنسر . وقال ابن جني : شبه ارتفاع مجلسه بالمنبر ، ولم يكن ذا منبر ولا خطيباً في الحقيقة . . . قال ابن فورجه : ظن ابن جني أن الخطبة عيب بالمدح ، وما ضر ابن العميد أن يدعي له للتنبي أنه يصعد المنبر ويخطب قومه كالحليفة في الناس ؟ !

(٤) يقول : حمدنا الأيام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد ، لأنها أحوجت إلى الرحيل والانصراف عنك ، ففعلول حمدنا : محذوف ، تقديره حمدناها ، أو حمدنا الأيام ، وقوله : بالجمع بيننا ، تعظيم لنفسه ، لأن معناه أن ابن العميد كان يحب الاجتماع معه ، كما كان للتنبي يجب ذلك . وكذلك قوله : حمدنا ، إذ جعل الحمد منهما ، فهو بذلك يعظم من حال نفسه .

(٥) يقول : إن الأيام جعلت وداعي لك وداعاً لثلاثة أشياء : هي جمالك والعلم والمبرح والمجد ، وكل واحد منها يعز على فراقه . هذا ؛ ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبي الطيب ، إنما يستعمل التبريح فما يشتد على الإنسان يقال : وجد مبرح مثلاً ، فلعلمه من قولهم برح الخفاء : أى انكشف ؛ أى العلم الذى يكشف عن الحقائق . أو تقول : العلم المبرح فراقى إياه .

وَقَدْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ الْمَنَى غَيْرَ أَنِّي يُعَيِّرُنِي أَهْلِي بِإِذْرَاكِهَا وَخَدِي^(١)
 وَكُلُّ شَرِيكِ فِي الشَّرُورِ بِمُصْبَحِي
 أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي^(٢)
 فَجَذُّ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَأَتَنِي مُخَلِّفٌ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَّلَهُ عِنْدِي^(٣)
 وَلَوْ فَارَقْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتَهَا لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ^(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهي الشيء الذي تتحناه . يقول : إنني أدركت عندك من المنى والسعادة ونيل المراد ما كنت آتياه ، ولكن إذا انقضت به واستأثرت دون أهلي ولم أرجع إليهم ، عيروني بذلك الأثرة والأنانية .
 (٢) قوله بمصباحي : متعلق بالسرور ، وهو مصدر بمعنى الإصباح . والضمير في قوله بعده وفي يري : راجع لسكل ؟ وفي مثله : راجع لمن — من قوله من لا يري . يقول : كل من شاركني في السرور بإصباحي عنده حين أعود إليه من أهلي وغيرهم ورأي ما أوتيته ، أرى منك اليوم يا ابن العميد جد مفارقتي إياه إنسانا لا يري هو مثله ، لأنه لا نظير لك في الدنيا ؛ يعني أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم به فإنه مع هذا السرور لا يزال منقصاً لفراق ابن العميد ، لأنه لا يري عندهم بعد عودته إليهم رجلا آخر مثله .

(٣) يقول : إنني أفارقك وأرتحل عنك وأخلف قلبي لديك لأنك أغدقت علي أفضالك فأسرت قلبي . وهذا معنى متداول .

(٤) يقول : لو فارقته نفسي حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معي لقلت إنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد ، لأنك أبرها مني .

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر هزيمة وهشودان :

أَزَارِرُ يَا خَيَالُ أَمْ عَائِدُ أَمْ عِنْدَ مَوْلَاكَ أَنَّنِي رَاقِدُ^(١)
لَيْسَ كَمَا ظَنَنْتُ غَشِيَةٌ عَرَضَتْ فَجَعَلْتَنِي فِي خِلَالِهَا قَاصِدُ^(٢)
عُدَّ وَأَعِدَّهَا فَجَبَّذَا تَلَفُ أَلَصَقَ تَذَنِّي بِتَذَنِّكَ النَّاهِدُ^(٣)
وَجَدْتُ فِيهِ بِمَا يَشِخُّ بِهِ مِنْ الشَّنِيتِ الْمَوْشَرِ الْبَارِدُ^(٤)
إِذَا خَيَالَاتُهُ أَطْفَنَ بَنًا أَضْحَكُهُ أَنَّنِي لَمَّا حَامِدُ^(٥)

(١) يقول - مخاطباً خيال محبوب - : أزأراً جئتني أيها الخيال أَمْ عائداً ؟ أى أنى مريض من الحب فأنا خالق منك بالعبادة ، ثم قال : أَمْ عند مولاك - أى صاحبك ، وهو الحبيب - الذى أرسلك إلى - أنى راقد ؟ أى أَمْ اعتقد مولاك أنى راقد فأرسلك إلى على هذا الاعتقاد ؟

(٢) قاصد : حال ، سكنه للضرورة ، واسم ليس : ضمير الشأن ؛ وغشية عرضت : جملة مستأنفة . يقول : ليس الأمر على ما ظن من أننى راقد حين زرتنى ، وإنما هى غشية - أى همة لارقدة - أدركتنى من الألم ، فجئتنى فى خلال تلك الغشية . يريد أنه لم يكن نائماً ، وإنما يزور الخيال النائم .

(٣) الناهد : الشاخص . يقول : عد أيها الخيال ثانية وأعد الغشية التى لحقتنى وإن كان فيها تلفى ، فجَبَّذَا تلف يكون سبباً لقربك ومعاقبتك . قال الواحدى : وكان من حقه أن يقول للغشية : عودى وأعيدى الخيال ، لأن الغشية كانت سبب زيارة الخيال ، لا الخيال سبب لحاق الغشية ؛ ولكنه قلب الكلام فى غير موضع القلب . وهذا بديع من الواحدى

(٤) جدت فيه : عطف على أَلَصَقَ فى البيت السابق والضمير : للتلف ؛ وثرشيت : مفرق مفلج ، والموشر : الذى فيه أثر : أى تهزىز . يقول : وجَبَّذَا هذا التلف الذى جدت فيه بما يرض به مولاك من تقبيل الثغر المفلج المحرز البارد الرقيق ، يريد أنه قبل الطيف وارتشف رضابه .

(٥) يقول : إذا أَلَمْتُ بنا خيالات الحبيب وزارتنا فخدمت زيارتها : أضحك الحبيب ذلك الحمد ، لأن الخيال فى الحقيقة ليس بشئ « هذا » والخيالات يجوز أن يكون جمع خيالة ؛ قال أبو تمام :

وَقَالَ إِنْ كَانَ قَدْ قَضَىٰ أَرْبَا مِثْلًا فَمَا بَالُ شَوْقِهِ زَائِدٌ^(١)
لَا أَجْحَدُ الْفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلْتُ مَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا وَلَا وَاَعِدْتُ^(٢)
لَا تَعْرِفُ الْعَيْنُ فَرْقَ بَيْنِهِمَا كُلُّ خِيَالٍ وَصَالُهُ نَافِذٌ^(٣)
يَا طِفْلَةَ الْكَفِّ عِبْلَةَ السَّاعِدِ عَلَى الْبَعِيرِ الْمُقْلِدِ الْوَاحِدِ^(٤)

فلست بنازل إلا أَلْتِ بِرَحْلِي أو خيالتها الكذوب^(١)
ويجوز أن يكون جمع خيال كجواب وجوابات ، والخيال والخيالة : ماتشه لك في
في البقطة والحلم من صورة ، أو الشخص والطيف .
(١) الأرب : الحاجة . يقول : وقال الحبيب : إذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة
الخيال فلم زاد شوقه إلينا ؟ وسكن « زائد » للقافية .
(٢) يقول : وعلى هذا لأجحد فضل الخيالات ، لأنها فعلت من الزيارة ما لم يفعله
الحبيب ، ولم يعد به ، فضلا أن يفعله .
(٣) نافذ : أى فان ذاهب ؛ قال الأسود بن يعفر الأيادي :

وَأَرَى النِّعَمَ وَكُلَّ مَا يُلَهِّي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَتَفَادٍ
يقول : إنه لافراق بين الحبيب وبين خياله ، لأن كلا منهما لا يدوم وصاله ، إذا
واصل لا يعتم أن يصرم فلا يبقى إلا خيالا : وقال ابن جني : لافرق بينها وبين خيالها ؛
لأن كل شيء إلى تقاد ما خلا الله وحده . . . قال ابن فورجه - وما أمر تقده - : هذه
موعظة وتذكرة ، وإنما يقول : هذه المرأة لو واصلت لم يدم الوصال ، كما أن خيالها
إذا وصل لم يدم ؛ وأما قوله كل خيال : فهو الذى غلط أبا الفتح وكلفه أن يورده ما أورده ،
وإنما عني بكل : كلا من اللذكورين ، كما تقول : خرج زيد وعمرو وكل راكب ؛ والكل
يستعمل فى الاثنين كما يستعمل فى الجمع ؛ ولما قال : لاتعرف العين فرق بينهما : علم أنه يشير بالكل
إليهما ، لا إلى جماعة غيرهما ، وأبو الطيب فى غزل وتشبيب ؛ فما معنى الموعظة هنا؟ ويقول
كل شيء فان إلا الله ؟ وما أقبح ذكر الموت والمواعظ فى الغزل والتشبيب « هذا » وقوله
فرق بينهما أراد لاتعرف العين فرقا بينهما . فأضاف على سلبخ بين عن الظرفية .
(٤) يخاطب حبيبته . والطفلة : الناعمة الرخصة . والعبل : الممتلئة . والبعير المتقلد

(١) وقيل : إنما أنث على إرادة المرأة .

زَيْدِي أَذَى مُهْجَتِي أَزْدَكِ هَوَى فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدٌ^(١)
 حَكَيْتَ يَا لَيْلُ فَرَعَهَا الْوَارِدُ فَأَخْكَ نَوَاهَا لِحْفَنِي السَّاهِدُ^(٢)
 طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا وَصَلَتْ حَتَّى كَلَّا كَمَا وَاحِدُ^(٣)
 مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَائِرَةٌ كَأَنَّهَا الْمُعْنَى مَا لَهَا قَائِدُ^(٤)
 أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمْ وَاجِدُ^(٥)

أى الذى عليه قلائد : أى من العهن - الصوف - والواحد : أى المسرع فى السير :
 والبيت مصرع ، قال العبرى : وهذا البيت ردىء لوقيل فى زماننا لهرب قائله من الحياء
 (١) يقول : إن أذاك مستحلى - لأن الحبيب يحلولى منه كل شئ . يصدر عنه ،
 قال : زيدنى أذى أزدك هوى وحباً لأن العاشق لا يحقد على محبوبه ، فإن حقد عليه
 شيئاً كان ذلك منه جهلاً وعدم معرفة بمقامات الهوى .

(٢) حكيت أشبهت ، أو مثلت ، والفزع : الشعر ؛ والوارد من الشعر : الطويل
 المترسل . والنوى : البعد . والساهد : الساهر . يقول : أشبهت باليل شعرها فى السواد
 فأشبه بعدها عنى : أى ابعد عنى كما بعدت ولا تطل على .

(٣) يقول : طال بكأى لأجلها وطلت - أيها الليل - حتى كلاً كما واحد فى الطول
 وروى ابن جنى تذكرة : أى الفزع .

(٤) حائرة : حال . وقوله : ما لها قائد : حال من العمى . يقول : لم حارت النجوم
 فلا تسرى لتغيب كأنها العمى ليس لها من يقودها ؟ يريد : طول الليل وأن النجوم كأنها
 واقفة . وهذا من قول بشار :

وَالنَّجْمُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحِيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ

(٥) أو عصبة : عطف على العمى . وواجد : غضبان . يقول : أو كأنها جماعة من
 ملوك النواحي قد غضب عليهم أبو شعاع فبقوا حيارى رهبة وفرقا . وفى هذا البيت من
 البديع حسن التخلص « هذا » ولعل الناظر فى ديواننا يلحظ أننا اتبعنا فى مثل عليهم
 قراءة أبى عمرو بن العلاء أن نكسر اليم لا اتباع كسرة الهاء ، وإن كان الأكثرون
 على ضمها : وفى ذلك يقول علماؤنا : إذا تحركت اليم عند التقاء الساكنين تحرك بالضم
 والكسر ، والضم أولى من الكسر ، والكسر لا اتباع كسرة الهاء : وقد قرأ القراء

إِنَّ هَرَبُوا أَدْرَكُوا وَإِنْ وَقَفُوا خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدِ^(١)
 فَهُمْ يَرْجُونَ عَفْوً مُقْتَدِرٍ مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدِ^(٢)
 أَبْلَجَ لَوْ عَادَتِ الْحَمَامُ بِهِ مَا خَشِيتُ رَامِيًا وَلَا صَائِدِ^(٣)
 أَوْ رَعَتِ الْوَحْشُ وَفِي تَذَكُّرِهِ مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلَا طَارِدِ^(٤)
 تُهْدِي لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَبْرًا عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدِ^(٥)
 وَمَوْضِعًا فِي فِتَانٍ نَاجِيَةٍ يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةً الْمَاعِدِ^(٦)

السته - سوى أبي عمرو - « عليهم الدلة » بضم الميم ، وما أشبهه حيث وقع : وكسره أبو عمرو .

(١) الطريف : المكتسب : والتالد : اللوروث : يقول : - ذا كراً سبب تهمهم : إنهم لا يجدون منه ملجأ لا بالهرب - لأنهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم - ولا بالإقامة - لأنهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبقى على شيء .

(٢) يقول : إن هؤلاء ملوك النواحي يرجون عفو هذا الملك للبارك ذي الجود والمجد .

(٣) و (٤) الأبلج الشرق الوجه وعادت لجأت ، وراعها ، أفرعها والحابل ، الذي ينصب الحباله ، وهى الشرك ، يقول : إنه عزيز الجانب مهيب ، من لجأ إليه أو استأمن بذكره ، أمن حق الطير والوحش .

(٥) كل ساعة ، فاعل تهدي ، والجحفل : الجيش ، والبائد : الهالك ، يقول : لا تمر ساعة إلا وتهدي إليه خبراً عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه .

يعنى تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحي .

(٦) وموضعا ، عطف على خبرا - فى البيت السابق - والموضع ، السرعة فى سيره ؛ والفتان ، غشاء للرحل من آدم ؛ والناجية : الناقة السريعة ؛ والهامة : الرأس ؛ والمعاد عاقد التاج ، يقول : وتهدى له كل ساعة رسولا مسرعا فى رحل ناقة خفيفة يبشره بقتل عدو وفتح ناحية ، وأخذ ملك ذى تاج يحمل إليه رأسه وتاجه ، وكان قد ورد الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشودان بعد الكرة الأولى وضربت الدباب . على باب عضد الدولة ، وهذا ما يشير إليه المتن .

(*) الدباب ؛ الطبول ؛ وأصل الدبابة ؛ الصياح والجلبة .

يَا عَضُدًا رُبُّهُ بِهِ الْعَاضِدُ وَسَارِيَا يَبْنِئُ الْقَطْعُ الْمَاجِدُ^(١)
وَمُمْطَرِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مِمَّا وَأَنْتَ لَا بَارِقُ وَلَا رَاعِدُ^(٢)
نِلْتَ وَمَا نِلْتَ مِنْ مَضَرَّةٍ وَهَشُودَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الْفَاسِدُ^(٣)
يَنْبُدُّ مِنْ كَيْدِهِ بِفَآئِتِهِ ،
وَلَا تُنَمَّا الْحَرْبُ غَايَةُ الْكَائِدُ^(٤)

(١) العاضد : المعين ؛ وبه : صلة العاضد ، والبناء للاستعانة ، والساري : السائر ، ليل ، ويبعث : يثير ، والمجاهد ، النائم . أى يعضد الدولة التى يعضدها الله سبحانه به ، ثم قال : ويامن تسرى فتقطع الصحارى بجيوشك فتشير القطا عن أفاحيصها وهى نائمة ، يريد كثرة غاراته وسيره إلى الأعداء ليل .

(٢) يقال ، برقت السماء ورعدت ، وأبرقت وأرعدت . يقول ، أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيى أوليائك بالبذل والإحسان ، فكأنك سبحانه يمحط الموت والحياة ، غير أنه لا برق لك ولا رعد ، يعنى أنك تفعل ذلك على غير احتفال ولا استعداد .

(٣) وهشودان ؛ هو ملك الديلم ، ويقال نال من عدوه ؛ إذا أنزل به كيد ، وقوله من مضرة ؛ صلة أحد الفعلين على التنازع ، وقوله ما نال مفعول نلت الثانى ، يضعف رأى وهشودان بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة ، يقول : نلت من وهشودان وألحقت به المضرة ما أردت ، وما بلغت من مضرته ما بلغ رأيه ؛ يعنى أن فساد رأيه كان أبلغ فى مضرته من قتالك له ، وهذا من قبيل قوله ؛

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقد ذكر فساد رأيه فى البيت التالى .

(٤) الضمير فى غايته ؛ للكيد ؛ والغاية المنتهى ؛ والكائد ؛ صاحب الكيد ، وأراد بغاية الكيد ؛ الحرب ، كما بين ذلك فى عجز البيت . يقول ؛ إنه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره ، لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل ؛ يعنى أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم إلا إذا اضطر إلى المحاربة .

(*) خلافاً للأصمى فإنه لا يميز أبرقت وأرعدت .

مَاذَا عَلَى مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ فَذَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَتَى وَافِدٌ^(١)
 بِلَا سِلَاحٍ سِوَى رَجَائِكُمْ
 فَفَازَ بِالنَّصْرِ ، وَأَنْتَنَى رَاشِدٌ^(٢)
 يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ عَلَى مَكَانِ الْمَسُودِ وَالسَّائِدِ^(٣)
 وَلَيْتَ يَوْمَى فَنَاءَ عَسْكَرِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَانِيَا وَلَا شَاهِدٌ^(٤)
 وَلَمْ يَنْبَغِ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَهُ الصَّاعِدُ^(٥)
 وَكُلُّ خَطِيئَةٍ مُتَقَفَّةٍ يَهْزُهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدٍ^(٦)

(١) و (٢) ذم ؛ عطف على أتى ، والوافد ؛ الذى ينفذ طلبا للعتاء وأراد وافدا بالنصب ولكنه وقف عليه بالإسكان ضرورة ؛ وبلا سلاح ؛ متعلق بأتى يقول ؛ الذى أتاكم محاربا ثم ذم ما اختاره من حربكم لإخفاقه ماذا كان عليه لو جاءكم سائلا واستعان عليكم بالرجاء بدل السلاح ؛ إنه لو فعل ذلك لفاض ورجع غائما راشدا .

(٣) يقارع ؛ يحارب ، من المقارعة بالسلاح ، والمسود ؛ الذى ساد غيره ، والسائد الذى ساد غيره ، يقول ؛ من يحاربكم ويتحرد عليكم يحاربه الدهر على مقداره رئيسا كان أو مرءوسا ، وفى هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب - قال العكبرى ؛ كتبت جارية إلى مولاه - وقد باعها ، وكانت تهواه ؛ وهب الله لطرف يشكو إليك الشوق حظا من رؤيتك ، فما أشبه إبعاد الدهر لى عنك إلا بقول محمد بن وهيب ؛

وَحَارَبَنِى فِىهِ رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقٌ

(٤) وليت ؛ تولى ؛ والدانى ؛ القريب ؛ والشاهد ؛ الحاضر ، يقول ؛ تولى فناء عسكر وهشودان فى اليومين اللذين انهزم فيهما ، وأنت لم تحضر القتال فى الموقعتين بنفسك ولم تكن قريبا منهما ؛ يعنى أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائبا ، لأن سعدك ناب عنك فى قتالهم ؛ كما قال فى البيت التالى . وعبرة الواحدى ؛ يريد اليومين اللذين هزم فيهما أبوه وهشودان ، ولم يكن عضد الدولة فيهما ، بل كان أبوه هو الذى هزمه ؛ يريد أن من هزمه جيش أباك فقد هزمته أنت .

(٥) يقول ؛ وإن لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان ؛ جيش أباك ، وخظك الصاعد فى مراقى السعد ، فكأنك لم تغب ، لأنه إذا حصل النصر بهذين فكأنه حصل بك (٦) وكل ؛ عطف على جيش - فى البيت السابق - والخطية المتقفة ؛ الرماح المقومة

سَوَافِكُ مَا يَدْعُنْ فَاصِصَلَّةَ بَيْنَ طَرِيٍّ الدِّمَاءِ وَالْجَاسِدِ^(١)
 إِذَا النَّايَا بَدَتْ فَدَعَوْتُهَا أَبْدِلْ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدِ^(٢)
 إِذَا دَرَى الْخِصْنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا
 خَرَّ لَهَا فِي أُسَاسِهِ سَاجِدٌ^(٣)
 مَا كَانَتْ الطَّرْمُ فِي عَجَاجَتِهَا إِلَّا يَبْعِرُ أَضْلَهُ نَاشِدٌ^(٤)
 تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةٌ شَارِدٌ^(٥)

المستوية . والمارد ؛ الذى لا يطاق خبثا وعتوا . يقول ؛ وكان خليفتك فى القتال الرماح
 القومة يهزها رجل مارد على فرس مارد أو على رجل مارد مثله ؛ قال العكبرى ؛ وهو
 أبلغ إذا لقي الشجاع شجاعا مثله ، وهذا تفصيل بهد إجمال ، لأن هؤلاء كانوا من جيش
 أبيه وقد ذكروهم .

(١) سوافك ؛ خبر مبتدأ محذوف تقديره ؛ هى - الخطية - سوافك الخ . والجاسد ؛
 اللازق الذى قد جف . يقول ؛ هذه الرماح سوافك إذا أراقت دما جف أردفته دما
 طريا دون أن تفصل بينهما . فقوله : ما يدعن فاصلة ؛ أى من غير فصل بينهما ؛ وقال ابن
 جنى ؛ أى ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلته دما . وهذا معنى بعيد .

(٢) الحائد ؛ نائب فاعل أبدل ؛ وجملة أبدل الخ ؛ خبر دعوتها . يقول ؛ إذا ظهرت
 الناياء وكشرت عن نايها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد - الذى على الخياد
 وخام عن القتال - من جيش عضد الدولة - حائنا ؛ أى هالكا ؛ والمعنى ؛ أن عسكر
 عضد الدولة يقولون لدى الوغى ؛ جعل الله الحائد منا هالكا .

(٣) الضمير فى بها ولها ؛ للخيال ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرأين . يقول ؛
 إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذى رماه بالخيال سقط ساجدا وانقضت حيطانه
 لها هية له .

(٤) الطرم ؛ قلاع وهشودان . والعجاجة ؛ واحدة المعجاج ؛ القبار ؛ وفلان ينشد
 صالته ؛ يطلبها . يقول ؛ إن الطرم كانت فى غبار الخيل كأنها بعير أضله طالبه ، فهو
 ينشده ؛ أى أن المعجاج أحاط بها لكثرة حتى غابت فيه وخفيت عن الأنظار .

(٥) تسأل ؛ أى الطرم - قلاع وهشودان - أو الخيل ، يقول ؛ تسأل الطرم أهل
 القلاع عن وهشودان ، وقد مسخته الخيل نعامة شرودا ؛ يعنى أنه أسرع فى اعرب

تُسَوِّحُ الْأَرْضُ أَنْ تَقِرَّ بِهِ
فَكُلُّهَا مُنْكَرٌ لَهُ جَاحِدٌ^(١)
فَلَا مُشَادٌ وَلَا مُشِيدٌ حَتَّى وَلَا مُشِيدٌ أَغْنَى وَلَا شَائِدٌ^(٢)
فَاغْتَضَطَ بِقَوْمٍ وَهَشُوذٌ مَا خُلِقُوا إِلَّا لِيَغِيْظَ الْعَدُوَّ وَالْحَاسِدَ^(٣)
رَأَوْكَ لَمْ يَكُنْ بَلَوُكَ نَابِتَةً يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِ الرَّائِدِ^(٤)
وَحَلَّ زِيًّا لِمَنْ يَحْقُقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِيْنُهُ عَابِدٌ^(٥)

كالنعامه عند إقبال خيلك خوفا ورعبا ، والعرب تصف النعامه بشدة النور والسرود ،
والنعامه ، تقع على الذكر والأنثى ، كالبقرة والبطة والحمامه ، ومن ثم وصفها بالشارد ،
(١) يقول ، تخاف الأرض أن تقر به ، أى تصترف بموضعه منها فتطأها خيلك ، فكل
موضع ينكره ويجهده أنه رآه ، يريد شدة إيمانه في الحرب وتواريه حتى لا يهتدى أحد
إلى مكانه ، وقد روى بدل منكر ، أنه - بالمد وكسر النون - يقال أنه بأنه أنها
وأنوها ، إذا تزعج من ثقل يحمده .

(٢) للشاد ، البناء للرفوع الطول ، والمشيد المثل للبناء ، وحى ، يروى على
أنه فعل ماض ، ويروى مضافا لمشيد ، فيكون اسما للسكان المحمى ، والمشيد ، للمثل
بالشيد ، وهو الجسم أو الكس ، والشائد ، فاعل منه ، يقول : لم يحم وهشودان
البناء ولا البانى من بطش عضد الدولة ، أى لم تمن عنه قلته ولا جنده ،
(٣) وهشود : ترخيم وهشودان . يقول : كن أبداً مغتاضاً قوم لم يخلقوا إلا غيظاً
للأعداء والحساد . يعنى قوم عضد الدولة .

(٤) بلوك . أى اختبروك . ونابته مفعول ثان لرأوك ، والرائد : الذى يرسل فى
طلب الكلاء ، يقول : إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقلة بمنزلة نبات
يرعاه الرائد قبل أهله . يعنى أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشودان والظفر به
وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة ، لانها رأت أنه من الضعف بحيث
لا يستأهل مسير أحدهما . فالضمير فى أهله : للرائد .

(٥) وحل : عطف على اغتظ ؛ وجبينه فاعل دام . يقول : إن زى الملوكة لا يليق
بك فاتركه لمن هو أحق به منك ، فليس كل من تزى بى الملوكة ملكا ، كما أنه ليس
كل من دى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود

إِنْ كَانَ لَمْ يَفْعِدِ الْأَمِيرُ لِمَا لَقِيتَ مِنْهُ فَيَمْنُهُ عَامِدٌ^(١)
يُقْلِقُهُ الصُّبْحُ لَا يَرَى مَعَهُ بُشْرَى يَفْتَحُ كَأَنَّهُ فَاقِدٌ^(٢)
وَالْأَمْرُ لِلَّهِ رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدٌ^(٣)
وَمُتَّقٍ وَالسَّهَامُ مُرْسَلَةٌ يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدٍ^(٤)
فَلَا يُبَيِّلُ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ أَقَاتِمَا نَالَ ذَاكَ أَمَّ قَاعِدٌ^(٥)
لَيْتَ ثَنَائِي الَّذِي أَصُوغُ فِدَى مَنْ صِغِفَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدٌ^(٦)

(١) يعمد يقصد واليمن : السعد . يقول : إن كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحل بك ما لقيت منه فإن يمنه قصدك : أى فأنت قتيل سعيده وإقباله إن لم تكن قتيل سلاحه .
(٢) يقول : إذا أصبح ولم يرد عليه من يبشره بفتح قلق كأنه فقد شيئا ، وقال ابن جني : معنى كأنه فاقد ، أى كأنه امرأة فقدت ولدها . قال ابن فورجه : مثل عضد الدولة لا يشبه بامرأة في حال من الأحوال . وليس إذا كان يقال للمرأة الشكلى : فاقد يمتنع أن يسمى الرجل فاقدا . وقوله : لا يرى معه . جملة حالية من الصبح .

(٣) يقول : ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد ، فقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد . يريد أنه ما أهلكه إلا اجتهاده في طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم ، فصار اجتهاده سبب فشله وخيبته ، لأن الأمر لله ، لا للمجتهد ، قال عبد الله بن المعتز : تذلل الأشياء للتقدير ، حتى يصير الهلاك في التدبير .

(٤) ومتق ؛ عطف على مجتهد ؛ والحابض ؛ خلاف الصارد ؛ يقال حبض السهم ؛ إذا وقع بين يدي الرامي لضعف الرمي ، والصارِد ؛ السهم النافذ في الرمية والبيت في معنى الذى سبقه يقول : ورب متق خائف على نفسه من السهام إذا رميت فيهرب من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه

(٥) يقول ؛ من قتل عدوه فلا يبالى ، أقتله قائما أم قاعدا ، يعنى أنه مادام الغرض هو قتل العدو ، فإذا كفيته بفرك وأنت قاعد فليس ذلك بذى بال ؛ أى ليس بهم أن تقتله بنفسك قال الواحدى ؛ كان حقه أن يقول لا يبال — بحذف الياء الأخيرة — للجزم ، ولكنه قاس على قولهم ؛ لا تبلى ، بمعنى لا تبالي ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكثر استعمالهم «لا يبال» ، فيجوز فيه ما جاز في غيره .

(٦) يقول : إن هذا الشعر الذى أصوغه في الثناء على المدحوخ هو باق مخلد في

لَوَيْتُهُ دُمْلَجًا عَلَى عَضِدٍ لِدَوْلَةٍ رُكْنَهَا لَهُ وَالِدٌ^(١)

وقال في صباه :

وَشَادِنِ رُوحُ مَنْ يَهْوَاهُ فِي يَدِهِ

سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ^(٢)

مَا أَهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى غُضْوٍ لِيَبْتَرَهُ إِلَّا أَتَقَاهُ بِتَرَسٍ مِنْ تَجَلَّدِهِ^(٣)

ذَمَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَبَّتِهِ مَا ذَمَّ مِنْ بَذَرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ^(٤)

الكتب ، فليته فدى الذى عمل فيه — أى المدحوح — حتى لا يهلك ويبقى خالداً .

(١) الدملج : ما يلبس من الحلل في العصد . يقول : جعلت . أى حلى له كما يحلى العصد بالدملج . وهو عضد لدولة ركن تلك الدولة والد له : أى أنها ملاك الدولة وقوامها ، فهو عضدها وأبوه ركنها . وسمى شعره دملجاً لذكر العصد .

(٢) الشادن : الظبي يقوى ويطلع قرناه ويستغنى عن أمه . والمقلد في الأصل : العنق ، لأنه موضع القلادة ، والمراد هنا : موضع تقليد السيف . يقول : إنه يقتل بصودده ؛ فكأنه تقلد سيفاً من الصدود . « هذا » وقد جعل الواحدى — وتبعه المكبرى — صدر هذا البيت قوله :

* سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ *

أما العجز فقالا : إنه لم يحفظ ، فقال قوم هو :

* بِكَفٍّ أَهْيَفُ ذِي مَطْلٍ بِمَوْعِدِهِ *

وقال آخرون هو :

يَفْرِى طُلَى وَامِقِيهِ فِي تَجَرُّدِهِ

أما الرواية التى أثبتنا ها فهى رواية ابن القطاع .

(٣) البتر : انقطع ؛ والتجلد : التصبر ؛ والضمير فى اهتز ؛ للسيف ، وفى منه ؛ للشادن ؛ وفى اتقاه — المرفوع — للعاشق ، والنصب ؛ للسيف ، يقول : لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره ، يعنى ، أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر .

(٤) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ، وأوجه المعانى أن تقول يقول المتنبي ؛

شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ
تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ ^(١)
إِنْ يَقْبُحَ الْحَسَنُ إِلَّا عِنْدَ طُلُعَتِهِ فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ ^(٢)

إن الزمان ذم إلى التنبى العيب الذى ذمه التنبى من بدر الزمان عند حدم. هذا الرجل للمسمى أحمد، وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان فى مودة الأحبة، وفى القمر بالنسبة إلى المدوح - فأحبته يحفونه ويسدون عنه؛ والبدر - على بهائه وحسنه - دون أحمد هذا، فالضمير فى بدره وأحمد للزمان، وسائر الضمائر؛ للعاشق - أى التنبى، وإليك أقوال الشراح، قال ابن جنى: البدر هو المعشوق، جعله بدر الزمان مبالغة فى حسنه؛ وأحمد؛ هو التنبى، وجعل نفسه أحمد الزمان، يريد؛ ليس فى الزمان أحمد مثله، والمعنى؛ أن العاشق كان يذم بدر الزمان الذى هو كبدر الزمان حسنا يذم منه جفاه وهجره، واجتمع معه الزمان على تلك الحال من معشوقه فى حال حمد الزمان لأحمد التنبى؛ فالزمان يذم هجر أحبته ويحمده هو لفضله ونجابهة قال الواحدى: قد تهوس أبو الفتح فى هذا البيت وآتى بكلام كثير لافائدة فيه، ومعنى البيت؛ إن الزمان ذم إلى التنبى من أحبة التنبى، لأنهم يحفونه ماذم الزمان فى بدره يعنى القمر فى حمد أحمد، يعنى المدوح، والمعنى؛ أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا المدوح، يعنى، أن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا، وقال ابن القطاع، يريد، أن الزمان يذم معه هجر أحبته كما ذم هو بدره، أى حبيبه،

(١) على فرس؛ حال من الهاء فى لاقته؛ أى وهو على فرس يقول: هو شمس إذا رأت الشمس وهو يحول فى ميدانه على فرس مترددا تردد نوره فى هوى الشمس، لأنه أضوأ منها، فالشمس تستفيد منه النور.

(٢) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين، إن «إن»، شرطية، وجوابها، فالعبد، والمعنى، هو مولى الحسن، والحسن فى كل أحد قبيح إلا فى طلعه كالعبد لا يحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه، وقال اليازجى، إن قوله يقبح - فى عجز البيت خطأ فى الرواية، والصواب يحسن، فتكون إن، نافية، والمعنى، إن الحسن فى غير هذا المدوح لا يظهر قبيحا إلا عند مقابله بطلعه لما فيها من الكمال وفى غيرها من النقص فكل ذى حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه، كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده، فإذا قبل به ظهر قبيحا بالنسبة إليه وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية.

قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طَبَّ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا
لَا يَصْدُرُ الْخَيْرُ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ ^(١)
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مُذْ عَرَفْتُ فَتَى
لَمْ يُولَدْ الْجُودُ إِلَّا عِنْدَ مَوْلَاهُ
نَفْسٌ تُصَفِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نَهْيٌ كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرِهِ ^(٢)

(١) الرفد ، العطاء ، ويصدر ، يرجع ، وطب نفسا عنه ، أى دعه ولا تطلبه
يقول قالت : العاذلة طب نفسا عن العطاء ، أى دعه ولا تطلبه فإنه غير مبذول ، فقلت
لها ، إن الجرح إذا قصد أمرا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه ، أى لا بدلى من
بلوغ ما أطلب

(٢) الضمير فى كهله وأمرده : للدهر ، والنهى : جمع نهية : العقل . يقول : إن
نفسه - فى عظمها وكبرها - تصفر نفس الدهر الذى هو جمع الخير والشر .

قافية الذال

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

أُسَاوِرُ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَقْدُمُ الْأُسْتَاذَا^(١)
 شِمٌّ مَا أُنْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ ذُبَابَهُ قِطْعًا ، وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُذَاذَا^(٢)
 هَبِكَ ابْنُ يَزْدَادٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ أَتَرَى الْوَرَى أَضْحَوْا بَنِي يَزْدَادَا^(٣)
 غَادَرْتَ أَوْجَهُهُمْ بِحَيْثُ لَقِيَتْهُمْ أَقْفَاءُهُمْ وَكَبُودُهُمْ أَفْلَاذَا^(٤)
 فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمْ فِي ضَنْكِهِ وَأُسْتَحْوَذَ أُسْتَحْوَاذَا^(٥)

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وقدم يقدم : إذا تقدم : قال تعالى « يقدم قومه يوم القيامة » والوزير : يسمى الأستاذ في بعض لغة أهل الشام . شبه في حسنه : بقرن الشمس ، وفي شجاعته : بليث الغاب ، وكان يتقدم الوزير .

(٢) يقول : اغمد سيفك الذي سلته من الغمد ، فقد قلت حد طرفه بكثرة استعمالك إياه ، وقد ترك سيفك الناس قطعاً . فتم أمر ، من شام السيف إذا أغمده . واتضاء : استله ، وذباب السيف : حده ، والجزاذ : جمع جذاذة ، وهي القطعة المكسورة .

(٣) هبك : أى احسب نفسك . يقول : احسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه ، أفطن الناس كلهم أعداء لك مثل ابن يزداذ فتعاملهم معاملة لك إياهم وتحاول أن تفنيهم جميعاً ، فابن يزداذ : مفعول حطمت . وهو لا ينصرف للعجمة ، ولكنه صرفه للضرورة .

(٤) يذكر ما فعله بهم يقول : إنك هزمتهم في الموضع الذي تقيتهم فيه فولوك أقفأهم حتى قامت مقام وجوههم في استقبالك ، وتركك أكبادهم قطعاً صفاراً . وقيل المعنى : طمست وجوههم بالضرب حتى صارت كالأقفاء ، فقوله غادرت : فعل وفاعل وأوجههم : مفعول أول ؛ وأقفأهم : مفعول ثان . وقوله وكبودهم : أى وغادرت كبودهم أفلاذاً ، والأفلاذ : جمع فلذ ، القطعة من الكبد .

(٥) يقول : كان هذا الفعل منك في معركة ضيقة وقف الموت عليهم فحبسهم في ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعاً . فالحم : الموت ؛ والضيق : الضيق .

جَمَدَتْ نَفُوسُهُمْ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُلُودَا^(١)
لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا فِي جَوْشَنِ وَأَخَا أَبِيكَ مُعَاذًا^(٢)

ومنه قوله تعالى « معيشة ضنكا » أى ضيقة . والضمير فى ضنكه : لموقف ؛ واستحوذ : استولى .

(١) الفلودا : من الحديد معروف ، وهو مصاص الحديد ، للنقى من خبثه دخیل . قال ابن جنى : يعنى قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالنساء الجامد ، ثم قال المتنبي : فلما جئها أجريتها — أى أجريت نفوسهم : أى أسلت ذماءهم على سيوفك ، فكانك جعلتها سقيا لها كما يسقى الفلودا للماء . وقال الواحدى : فى « جمدت » أقوال : أحدها أنها جمدت خوفا منك ، والخوف يجمد الدم ، وعليه يتأول قول الشاعر :

فَلَوْ أَنَا عَلَى جُحْشٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدِّمْيَانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ^(١)

يريد : أن دى يسيل لآتى شجاع ، ودمك لا يسيل لأنك جبان . والثانى أن ذماءهم كانت محقونة ، فلما جئها أبغتها بسيوفك ، فجعل خفتها كالجمود ؛ إذ كان يذكر بعده الإجراء ، ثم أورد كلام ابن جنى الذى أوردناه .

(٢) الجوشن : الدرع . يقول : لما رأوك رأوا أبلا وعمك لأنك تشبهها ، فلصحة شبهك بها كأنهم رأوها : يعنى اجتمع فيك فضلها وشجاعتها وكرمها .

(١) قبل هذا البيت :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَنَا رَبَّاحٌ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ مُنْذُ حِينِ

كَيْبِفِضْنِي وَأُبْفِضْهُ وَيَضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي

وهذه الأبيات نسبت إلى عدة شعراء ، وأصحها — كما قال ابن دريد — أنها لشاعر اسمه على بن بدال ابن سليم ،

وانتكاشر : المباسطة من « الكشر » وهو : التبسم ، و « جعر » بضم الجيم وسكون الحاء : الشق فى الأرض وأراد « بالخبر اليقين » ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين .

قال ابن الأعرابي : يريد لم يختلط دى ودمه ، من بفضى له وبفضه لى بل يجرى دى يمنة ودمه يسرة .

وقل بعضهم : معناه لو ذبحنا على جعر لعم من الشجاع منا من الجبان يجرى دى وجمود دمه ، لأنهم يزعمون أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان يجمد .

اَعْجَلَتْ السُّنْهَمَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ لَا فَارِسٌ إِلَّا ذَا^(١)
 غُرًّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ طِلْعَةً عَارِضٍ مَطَرَ النَّسَايَا وَابِلًا وَرَذَاذَا^(٢)
 فَقَدَا أَسِيرًا قَدْ بَلَّتْ ثِيَابُهُ بِدِيمٍ وَبَلٍّ يَبُولُهُ الْأَفْخَاذَا^(٣)
 سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشْرِقِيَّةُ طُرُقَهُ فَانْصَاعَ لَا حَلْبًا وَلَا بَغْدَاذَا^(٤)
 طَلَبَ الْإِمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وَنَشَوُهُ مَا يَنْبَغُ كَرْخَايَا إِلَى كَلَوَاذَا^(٥)
 فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلُوهَ أَوْ ظَنَّهُهَا الْبَرْنَى وَالْآزَاذَا^(٦)

(١) يقول : لما راوك وراوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لافارس إلا هذا ، لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول : أى لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك قريع دهرك وأوحده فروسية وشجاعة . « هذا » : وأألسن جمع لسان على تأنيته . يقال فى التأنيت : ثلاث ألسن : كذراع وأذرع ، ومن ذكره قال ثلاثة السنة : مثل حمار وأحمرة ، وهذا قياس ما جاء على فعال من المذكر والمؤنث .

(٢) غر : أى هو ابن زداذ - غر ؛ والغر ؛ الغافل ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ والوايل : المطر الشديد . والزداذ : الخفيف وهما حالان . يقول كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب ، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحاً وأسراً .

(٣) يريد : أنه تلطخ بالدم والبول جميعاً

(٤) المشرقية : السيوف المنسوبة الى مشارف اليمن ، وهى قرى هناك تعمل بها السيوف . وانصاع : اتنى وولى : وبغداد : لغة فى بغداد ، يقول : انهزم وتلدد فى أمره فلم يقصد الشام ولا العراق ، لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق ؛ وحلبا وبغدادا : منصوبان بمضمر أى لا يقصد حلب ولا بغداد وصرفها ضرورة

(٥) كرخايا وكلوذا : فريتان بسواد العراق . يقول : حاول أن يكون أميراً على الثغور ، وهو إنما نشأ فى سواد العراق : أى أنه لا يصلح لما طلب ، لأنه سوادى خسيس .

(٦) الأسنه : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والبرنى والآزاد : نوعان من التمر كثيران بالعراق . يقول : إنه تعود أكل الرطب والتمر ، وليس هو من أهل الطمان

لَمْ يَلِقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَبَا

جَمَلَ الطَّعْمَانِ مِنَ الطَّعْمَانِ مَلَاذًا^(١)
مَنْ لَا تَوَافِقُهُ الْحَيَاةُ وَطَيْبُهَا
حَتَّى يُوَافِقَ عَزْمُهُ الْإِنْفَاذًا^(٢)
مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الدَّرُوعِ يَخَالُهَا
فِي الْبَرْدِ خَزَاً وَالْهَوَاجِرِ لَذًا^(٣)

والحرب ، فكأنه ظن الحرب تمرأياً كله . « هذا ، والمشهور في الآزاد القصر ، لكنه مده لإقامة الوزن .

(١) القنا : الرماح . والمراد باختلافها أن يطغى هذا مرة وذاك أخرى والملاذ : الملجأ . يقول : لم يلق قبلك رجلاً إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان ولم يلجأ إلا إلى التزال لإقدامه وحفاظه وعله أنه لا يحصى حقيقته إلا بالطعان ، كما قال : الحصين بن الحمام

تَأَخَّرْتُ أَسْتَنِقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ

لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

(٢) من : في موضع نصب ، بدل من من الأولى . - يقول : إنه لا يلتذ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء : أى أن طيب عيشه في إنفاذ عزمه فإذا رجع عن شيء لم ينفذه لم يطب عيشه ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم « لا يجد طعم الحياة من لا يجد لشهوته دركا . ولا لأمره تصرفا » .

(٣) الحز : ثياب غليظة تعمل من الحرير ؛ والملاذ : ثوب رقيق من الكتان ، والهواجر : جمع هاجرة ، وهى وقت شدة الحر في نهار الصيف . يقول : لم يلق قبلك إنساناً متعوداً لبس الدروع يظنها في صبرة البرد خزاً يقيه البرد : وفي حمارة القيظ لاذا يلاذ به من الحر . فتعودك لبسها صارت عندك كلبس هذين النوعين من الثياب ، فقوله : متعوداً ، نعمت لمن - على أنها نكرة - « هذا » : وفي البيت عطف على معمولي عاملين مختلفين ، لأن الهواجر معطوفة على البرد ، ولاذا : عطف على خز ، وإنما جوزه كون عامل أولها جاراً . وأنشدوا على جوازه قول الشاعر .

أَعْجَبُ بِأَخْذِكُهُ ، وَأَعْجَبُ مِنْكُمْ
أَنْ لَا تَكُونُوا لِمِثْلِهِ أَخَذًا^(١)

أَكُلُ أَمْرِي تَحْتِ بَيْنِ أَمْرٍ ،
وَنَارٍ تَأْجَجُ بِاللَّيْلِ نَاراً
(١) يقول : ما أعجب أخذك إياه في قوته وعدده ! وأعجب من ذلك لو لم تأخذه
لأنك مظهر منصور على أعدائك لا يفلت منك أحد تقصده .

قافية الراء

وقال يمدح سيف الدولة وقد سألته المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة ،
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحَلَّهُ الثَّوَارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدَارُ^(١)
وَإِذَا أَرْتَحِلْتَ فَشَيِّعَتَكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِذْرَارُ^(٢)
وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تَحَاوَلُ فِي الْعِلْدَى
حَتَّى كَانَ صُرُوفُهُ أَنْصَارُ^(٣)
وَصَدَرَتْ أَغْنَمٌ صَادِرٌ عَنْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةٍ لِقَدُومِكَ الْأَبْصَارُ^(٤)

(١) الثوار : كالنور ، واحدته نواره . وهو الزهر . وقيل : الثوار والنور الأبيض
والزهر الاصفر ؛ وذلك أنه يبيض ثم يصفر ، والقدر قدر الله . يدعوله ، يقول : سر
واذهب لطيتك حل الثوار حيث تحل : أى سقى الله المواضع التى تحلها حتى ينبت فيها
الزهر ، فجعل نبات الزهر كناية عن السقى . ثم قال : ووافقك القدر على ما تريده من
المطالب فأعانك على بلوغه ؛ وقال الواحدى : ويجوز أن يريد أنك نور المكان الذى
تنزله فحيثما نزلت نزل الثوار والقضاء موافق لما تريد .

(٢) الديمة المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد ، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل
وأكثره ما بلغ من العدة ، قال ليلى :

أَتَتْ وَأَسْبَلَ وَكَيْفَ مِنْ دِيمَةٍ يُرَوِّى أُلْغَائِلَ دَائِمًا تَسْجَامُهَا^(١)
والدرار : الدائم الدار : أى السيلان . يقول : شيعتك السلامة - أى صحبتك
حيث كنت ، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتخصب .

(٣) يقول : وأراك الدهر ما تريده فى أعدائك من الظفر بهم ، حتى كأن حوادثه
ونوبه أعوان لك على ما تريد .

(٤) الإصدار : الانتشاء عن الماء ؛ والورود ورود الماء . يقول : وردك الله علينا
وأنت أغنم آيب تطلع إليك أبصار من خلفهم مشربة شوقا إلى رؤيتك ، وهذه
الآيات كلها دعاء له .

(١) من معلقة ليلى . يقول : باتت البقرة بعد قحدها ولدها فى مطر دائم المطلقان

أَنْتَ الَّذِي بِحَجِّ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنْتَ بِحَدِيثِهِ الْأَتَمَّارِ^(١)
وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الْأَعْمَارِ^(٢)
وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبُ دَرُّ الْمُلُوكِ لِذُرِّهَا أَغْبَارُ^(٣)
لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى ، وَيَخَافُ أَنْ يَذْنُوكَ إِلَيْكَ الْعَارُ^(٤)
وَتَحِيدُ عَنِ طَبِيعِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِ ، وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَارُ^(٥)

(١) بحج : فرح ؛ قال الجوهري : بحج بالشئ وبحج به أيضا - بالفتح - لغة ضعيفة فيه وأبحجه الأمر وببحجه أفرحه . وفلان يتبع أي يفتخر ويباهي بشئ ما، وقيل يتعظم وقد بحج بحج قال الراعي .

وما الفقرُ عن أرض المشيرة ساقنا إليك ولكنا بقرباك نبجح والسر : حديث الليل . يقول : يبتجج الزمان مفتخراً إذا ما ذكرت في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأتعمار بالحديث عنك .

(٢) يقول : إذا غضب على قوم عاقبهم بالهلاك والاستئصال ، وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل ، فكانت الأعمار عطاء منه ونوالا .

(٣) الدر : اللبن ؛ والأغبار : جمع غبر بضم الغين - بقية اللبن في الضرع . يقول : إن عطاياء تعد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير .

(٤) لله قلبك : تعجب ؛ كقولهم : لله درك . يقول : إن قلبك الإلهي لا يتوق الهلاك ، ولكنه يتوق أن يدانك شئ فيه عار . وقوله : ما يخاف ويخاف يرويان ما يخاف وتخاب على الخطاب .

(٥) تحيد : تعدل ؛ والطبع : الدنس . والخلائق : الأخلاق . والجحفل الجيش الكثير . والجرار : التميل السير الذي لا يقدر على السير إلا رويداً لكثرتة . وقال العسكري : قيل هو فعال من جر إذا جنى كأنه بكثرتة وشدة وطئه الأرض يجنى عليها بإثارة التراب ويجنى على السماء بارتفاع الغبار إليها ؛ وقيل سمى جراراً لأنه يجر ذيله في التراب فيرى له أثر عظيم ، يقول : تنسكب كل شئ يدنس الأخلاق من اللؤم وما إليه ويتسكبك الجيش الكثير انقاء بأسك فأنت هارب من وجهه ، مهروب عنه من وجهه وهذا ينظر إلى قول البحري :

وَأَجِبْنِ عَنْ تَعْرِيفِ عَرَضِ الْجَاهِلِ وَإِنْ كُنْتَ بِالْإِقْدَامِ أَطَقَنْ فِي الصَّفِّ

يَأْمَنُ يَمِزُّ عَلَى الْأَعْزَةِ جَارَهُ ، وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الْجَبَّارُ^(١)
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوقُ^(٢) دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ^(٣)
 وَيَدُونَ مَا أَنَا مِنْ وَدَادِكَ مُضِيرُ^(٤) يُنْضِي الْمَطْيُ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ^(٥)
 إِنَّ الَّذِي خَلَقْتُ خَلَقِي ضَائِعُ^(٦) مَالِي عَلَى قَلْقَى إِلَيْهِ خِيَارُ^(٧)
 وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلْ مَاءَ مَشْرَبُ^(٨) لَوْلَا أَلْيَالُ وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ^(٩)
 إِذْنُ الْأَمِيرِ بَأْنِ أَعُودَ إِلَيْهِمْ^(١٠) صِلَّةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الْأَشْعَارُ^(١١)

(١) يقول : إن جاره الدليل يمز على الأعزة ، فلا يقدر أن ينالوه بسوء ، والمتكبر العاقى العظيم يصير ذليلاً لديه إذا غضب .
 (٢) تحول : تعترض وتمنع ، وانتوفة الفلاة الترامية الأطراف ، ويشط : يبعد .
 يقول : كن حيث شئت من الأرض فما بمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولا يبعد علينا مزارك ، وفي هذا نظر إلى قول القائل

قَرِيبٌ عَلَى الْمُشْتَاكِ أَوْ ذِي صَبَابَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْكَسْلَانِ فَهَوَّ بَعِيدُ
 (٣) المستار : مفقود من السير قال الراجز :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْفَقَارَ ثُمَّ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْمُسْتَارِ
 وقوله : وبدون ، أى بأقل ، وأنضى راحلته هزلاً بطول السير . والمطي : جمع مطية ، وهى الركوبة ، أو اسم جمع لها . يقول : بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة ، فكيف وهودنى إليك كثيرة متوافرة ؟ يعنى أن الحب منها بعد عنه محبوبه فهو زائر ، إذ البعيد عنده قريب .

(٤) طى : بمعنى مع . وإليه متعلقة بقلقى على تضمينه معنى الشوق وزاع النفس .
 والخيार : بمعنى الاختيار . يقول : إن من خلقت ورأى من أهلى ضائع بخروجى من عنده ، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقي واشتياقي إليهم ولا اختيار لى فى إيثارك عليهم ، فأنا مضطر إلى ذلك لأنك قيدتنى بإحسانك
 (٥) يقول : إذا صحبتك طاب لى كل ماء وواقفتى كل أرض حق كأنها دارى لولا من خلقت من العيال :

(٦) يقول : إن إذنك لى بالعود إلى عيالى عطية منك أشكرها لك فى شعرى .
 وهذا كقول المهلبى :

وخيره بين فرسين دهما وكميت فقال :

اخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يَا مَطَرُ وَمَنْ لَهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخَيْرُ^(١)
وَرُبَّمَا قَالَتْ الْعُيُونُ وَقَدْ يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظَرُ^(٢)
أَنْتَ الَّذِي لَوْ يُعَابُ فِي مَلَأٍ مَا عِيبَ إِلَّا بِأَنَّهُ بَشَرُ^(٣)
وَأَنْ إِعْطَاهُ الصَّوَارِمُ وَالْخَيْلُ وَسُمُرُ الرِّمَاحِ وَالْعُكْرُ^(٤)

فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غَنَاءً كَثِيرًا

(١) قوله دهما تين : أى الدهماء من هاتين . كما تقول : اخترت فاضل هذين : أى الفاضل منها . فتين : بمعنى هاتين . وتا : بمعنى هذه . وتثنيها : تان . وقوله يامطر : أى ياشبيه المطر في الجود . وقوله ومن له : أى ويامن له الاختيار في الفضائل فيختار منها ما يستحسن . فالخير : جمع خيرة . اسم من الاختيار والخير ؛ قال الواحدي : يروى الخبر يريد الاشتهار في الفضائل

(٢) يقال : قال رأيه يميل فيلولة : أخطأ وضعف . فقوله : قالت العيون ، أى أخطأت يقول إنى اخترت الدهماء ، ولكن ربما كنت مخطئا في الاختيار . فإن النظر قد يصدق في العيون فتصيب ؛ وقد يكذب فتخطئ .

(٣) يقول : ليس فيك من عيب ، ولا تعاب إلا بكونك بشرا ، أى أنت أجل قدرا من أن تكون بشرا آدميا ، لأن ما فيك من الفضائل لا يكون في بشر . والملا جماعة القوم

(٤) إعطاءه : مصدر ، وضع موضع العطاء الذى هو الاسم ؛ والمكر جمع عكرة القطيع الضخم من الإبل . يقول : إنهم لو عابوك ما عابوك إلا بسخائك وإسرافك في هذا السخاء . يعنى أنهم لا يسيونك إلا بما لا عيب فيه ، وهذا من قيل قول النابغة .

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم
وقول عبد الله بن قيس الرقيات

ما تَقَمُّوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْمَلُونَ إِنْ غَضِبُوا

وقال ابن جني : يريد قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذا فإذا فعلت هذا فكانك معيب به لقلته بالإضافة إلى قدرك ... قال ابن فورجة : إن كان التفسير على ما ذكره ابن جني فهو هو ، وكيف تهجى الكبار بأكثر من أن يقال : ما وهبت يسير في جنب (١٣ - النبي ٢)

فَأَصْبَحُ أَعْدَائِي كَأَنَّهُمْ لَهُ يَقُولُونَ كُلَّمَا كَثُرُوا^(١)
أَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ سِوَاهِمُ ، وَخَطِيءٌ مَنْ رَمِيَهُ الْقَمَرُ^(٢)
وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للمباس^(٣) بن الأحنف يسأله
إجازتهما فقال :

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أَوْزُرُ ، وَمِرْكُ مِرْيَ فَمَا أَظْهَرُ^(٤)
كَفَتْكَ الْمَرْوَةُ مَا تَتَّقِي ، وَأَمَّاكَ الْوُدُّ مَا تَحْذَرُ^(٥)

قدرك فيجب أن تهب أكثر من ذلك ... ولكن العكبري قال: الذي ذكره ابن جني صحيح؛ وقد يمدح الإنسان الكثير العطايا بأن قدره يقتضي أكثر مما يعطى؛ كقوله أيضاً :

• يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا

(١) يقول : إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتخليصهم عنه وتوافر فضائله ؛
فإذا قبسوا به وضيغوا إليه قلوا دقة وخسارة وإن كانوا كثيرين عدداً وكية ؛ وهذا معنى
دقيق بديع ؛ وقوله : كأنهم له ، أى لاجله .

(٢) يدعو له أن يحفظه الله من سهام الأعداء ؛ ويحتمل أن يكون خبراً . وقوله
وخطيء من رميه القمر ؛ فالرمي : الرمي . يقول : إنهم لا يسيئونك برميهم كما لا يصيب
القمر من رماه . لأنه أرفع محلا من أن يبلغه سهم راميهِ وكذلك أنت
(٣) والبيتان هما :

أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَخَطِيءٌ فِي سِتْرِهِ أَوْفَرُ
وَلَوْلَمْ أَصْنُهُ لَبَقِيََا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

« قوله : لبقيا عليك : أى لإرعاء عليك ورحة : أى لولم أصن سرك إرعاء
عليك من إفشائه لصنته إرعاء على تقى أنا وخشية أن تفسد حالى معك إذا اطلع
الناس على ما بيننا

(٣) أوزر : اختار ؛ والمائد محذوف : أى أوزره ؛ وقوله : فما أظهر ، استفهام
إنكارى . يقول : إذا رضيت أمراً فهو رضى الذى اختاره وسرنا واحد ، فأى شيء
أظهر منه ؛ أى لا أظهر سرك لأنه سرى
(٥) يقول : اطمئن من جبهتي لأنى ذو مروءة ، وذو المروءة لا يكون مذبذباً .

وَمِيرْكُمْ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ إِذَا أَنْشَرَ السَّرُّ لَا يُنْشَرُ^(١)
 كَأَنِّي عَصْتُ مُقَلَّتِي فِيكُمْ وَكَاتَمْتُ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ^(٢)
 وَإِنْشَاءَ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ مِنَ الْفَذْرِ وَالْخَرِّ لَا يَفْدِرُ^(٣)
 إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَظْقَةٍ فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ^(٤)
 أَصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي وَأُمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ^(٥)
 دَوَّالِيكَ يَا سَنِيْفَهَا دَوْلَةً وَأَمْرُكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ^(٦)

للأسرار ، وأنا - مع ذلك - بحب لك ، والحب لا يسوء إلى حبيبه بإفشاء سره .
 والروءة كرم الأخلاق وعلو الهمة ؛ وكفاه الشيء : أغناه عن معاناته ، وتبقى : تحذر
 و«ما» في ماتق وما تحذر - اسم موصول بمعنى الذي ، وهي فيها مفعول ثانٍ للفعل قبلها .
 (١) أنشر : من النشور ، وهي بعث الأموات يوم البعث يقول : إن سرکم فی
 قلبی کالیت الذی لا یحیا بعد موته ، أى أنه - لشدة إخفائه السر - أماته إماتة حتى لا بعث
 له بعدها : وهذا من قول الآخر :

إِنِّي لَأَسْتَرُ مَا ذُو اللَّبِّ سَاتِرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمَيِّتُ السَّرَّ كَيْمَانًا
 وَكَقَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيْعٍ .

وإلى من القوم الذين صد دورهم إذا استودعوا الأسرار فهي قبورها
 (٢) يقول : كأن عني لما نظرت إليكم أخفت عن قلبي ما رأت ، فلم يعلم بذلك .
 فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبي الذي أبصرت فلم يصل إليه ؟ ويقال : كاتمته سري
 أى كتمته عنه . وما تبصر مفعول ثانٍ : لكاتمت ولك أن تقول : إن بين قوله عصت
 وكاتمت تنازعا ، على أن الفعلين واقعان على القلب ، أو تقول : إن المراد بالأول مجرد
 إثبات العصيان للمقلة ، فلا يكون له مفعول :

(٣) الحر : الكريم

(٤) يقول : إنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء لأن الإفشاء فعل ، والكتمان ترك
 الإفشاء ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر . والنطقة : المرة من النطق .

(٥) القنا : الرماح . يقول : إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده
 لا تغلبه نفسه على شيء لا يريده . وأنه يملك نفسه ويصبرها على مكاده الحرب إذا
 احمرت الرماح بالدماء ، أفلا يملكها في كتمان السر ؟

(٦) يقول : دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة ، وأمرک : أى مر أمرک

أَتَانِي رُسُوكَ مُسْتَعْجِلًا فَلَبَّاهُ شِعْرِي الَّذِي أَذْخَرُ
وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ وَعَنَى قَاتِمًا لَلَبَّاهُ سَيِّفِي وَالْأَشْقَرُ^(١)
فَلَا غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَيْنٌ بِهَا يَنْظُرُ^(٢)

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك^(*) :

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزْوَارًا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا^(٣)
تَرَكَتْنِي الْيَوْمَ فِي خَجَلَةٍ أَمُوتُ مِرَارًا وَأُحْيَا مِرَارًا^(٤)

فهو مطاع فأمره ؛ مفعول مطلق لم ، ودواليك : نصب على المصدر ؛ أي دالت لك الدولة دولا بعد دول ، وهو من المصادر التي استعملت مشاة . والغرض التوكيد ، ومثله ليك وسعديك وحنانيك . ونصب دولة : على التمييز
(١) اسم كان : مضمّر ، تقديره : ولو كان دعاؤك إياي ، أو لو كان مانحن فيه من الحال . والقاتم : المظلم الذي علاه الغبار . يقول : ولو كان دعاؤك إياي يوم حرب لأجبتك مسرعاً بسيفي وبفرسي الأشقر : وقال بعض الشراح : اسم كان ضمير ، الرسول ، وخبرها ؛ محذوف دل عليه ما قبله : أي ولو كان أتاني . وهذا البيت والذي قبله من قول البحتري :

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ وَلَوَانَهُمْ أَهَابُوا بِسَيِّفِي كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرَفِي
(٢) يقول : أنت عين الدهر التي ينظر بها إلى الناس ، فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك ، أي بقيت ، فإن ما يصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك ؛ فلو أنت مت لبطل ذلك كله ، فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس .
* كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة ، فعاتبه مدة ثم لقيه في الميدان فرأى منه انحرافاً عنه وأنكر تقصيره فيما كان عوده من الإقبال إليه والسلام عليه ، فعاد إلى يته وأرسل إليه هذه الأبيات .

(٣) الأزوار : العدول والانحراف . يعتب عليه يقول : صار طويل السلام مختصراً ، وصار ذلك القرب منك عدولاً عنى وانحرافاً .
(٤) يقول : أنا في خجلة من الناس لإعراضك عني كما ساورتني ذكرها صرت كاليت ، وإذا زالت حيت ، فأموت في اليوم مرات كثيرة وأحيامرات كثيرة .

أَسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِيًّا وَأَزْجُرُ فِي الْخَلِيلِ مُهْرِي سِرَّارًا^(١)
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا أَعْتَذَرْتُ إِلَيْكَ أَرَادَ اعْتِدَارِي أَعْتِدَارًا^(٢)
كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي اخْتِيَارًا^(٣)
وَلَكِنْ حَمَى الشُّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ هَمَّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَّارًا^(٤)
وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا^(٥)

(١) السرار : مصدر ساره إذا كلمه سراً . يقول : وأنظر إليك لحائى منك مسارقة ومخالسة ، وإذا زجرت مهرى في الميدان زجرته بصوت خفى ، ولم أجسر أن أرفع صوتي حياء منك

(٢) يقول : إنما يعتذر الهرم ، فإذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترته كان هذا الاعتذار شيئاً منكراً يحمل أن اعتذر منه أيضاً لأنه في غير محله . وقال بعض الشراح : الاعتذار من غير ذنب كذب ، والكذب مما يعتذر منه

(٣) يقول : وجدت ما همزني به من مكارمك الباهرة التي ليس في مكنة أحد أن يحمدها إن كان تركي مدحك وتأخير شعري اختياراً مني ، ولكن حمى الشعر إلخ . وقوله كفرت إلخ : قسم من أروع ما يقسم به العرب ، ولا يزال مثله جارياً بيننا الآن : كما يقول الرجل : أكون رجلاً ندلاً إذا حصل مني كيت وكيت .

(٤) الفرار النوم القليل قال الفرزدق في مراثية الحجاج :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ مِنْ تَقْيِيفِ هَالِكٍ تَرَكَ الْعِيُونَ فَنَوْمُهُنَّ غِرَّارُ

أى قليل ، وقيل الفرار القليل من النوم وغيره . ومنه الحديث : لا غرار في صلاة ولا تسليم : أى لا نقصان . أى لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها ومنه غرار الناقة ، وهو النقصان في لبنها . وقليل : بدل بعض من الشعر : أى إلا القليل منه ، وكذا مثله في الشطر الثاني يقول : منعى الهم قول الشعر إلا القليل منه وهذا الهم أخذني منه المقيم للمعد حتى منعى النوم ، فكيف لا يمنعني قول الشعر ؟

(٥) يعتذر بما ألم به من الهم الذي أسقم جسمه وأوقد في قلبه ناراً بلهيه وكان سبب انقراطه عن الشعر . يقول : ليس ذلك من فعلى واختيارى إذ لا يرضى أحد أن يسقم جسمه بالهم ويذيب قلبه بحرارة . وهذا من قول العطوى :

أَرَانِي أَنَا وَفَرُّتُ مِنَ الهمِّ نَصِيبِي

فَلَا تُزِمَنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ إِلَى أَسَاءِ وَإِيَّايَ ضَارًا^(١)
وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرَا تُلَا يَخْتَصِمُنَ مِنَ الْأَرْضِ دَارَا^(٢)
قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي وَثَبْنَ الْجِبَالِ وَخُضْنَ الْبَحَارَا^(٣)
وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقْلُ قَائِلٌ وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَانُوا الظَّلَامَ وَكُنْتَ النَّهَارَا^(٤)

أَنَا أَغَطَيْتُ الْعُمُونَ النَّجْلَ أَصْلَابَ الْقُلُوبِ
لَوْ إِلَى الْأَمْرِ مَا أَقْذَيْتُ عَيْنًا بِرَقِيبِ

(١) ضاره وضره بمعنى . يقول : وإنما الذنب ذنب الزمان ، فهو الذي أورثني هذا
المهم فببب ذلك انقطاعي عن الشعر ، فلا تؤاخذني بذنوب الزمان . طي أن إساءته إنما
ألت بي أنا ، وأنا المساء بها فلا تقع تبعها طي ، كذلك .

(٢) الشرد : جمع شرود ، يعني انقصائد التي تسير في البلاد ولا تستقر بموضع .
يقول : وعندي لك انقصائد التي أقولها في مدحك فتسير في الآفاق ويتناقلها
الناس لحسنها .

(٣) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق ، والقول : اللسان . يقول : إذا خرجت
هذه القوافي من لساني سارت في البلاد وقطعت الجبال والبحار إلى ماوراءها : أي
أن الجبال والبحار لا تحمل دون سيرها . قال طي بن الجهم يصف شعره .

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدَكَ عَنِّي صَاحِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدٍ^(١)
بَسِيَّاحَةٍ تَسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ ، وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(٤) قال ابن جني : لو أمكنه أن يقول : لكاوا الظلال وكنت الضياء أو الليل
وكنت النهار لكان أحسن في التطبيق ؛ ذل العكبري : قلت يمكنه : لكانوا الليالي
والوزن مستقيم .

(١) يقول : إن شعره يدعو عدوك أن يثنى عليك إذا أنشده على غير رغبة منه
لاستحسانه إياه .

أَشَدَّهُمْ فِي النَّدَى هِزَّةً وَأَبْنَدُهُمْ فِي عَدْوٍ مُغَارًا^(١)
 سَمَّا بِكَ هَمِّي فَوْقَ الْهَمُومِ فَلَسْتُ أَعْدُ يَسَارًا يَسَارًا^(٢)
 وَمَنْ كُنْتُ بَحْرًا لَهُ يَا عَيْي لَمْ يَقْبَلِ الدَّرَّ إِلَّا كِبَارًا^(٣)

وقال يهنته بعيد الفطر :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْعَصْرُ مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(٤)
 تَرَى الْأَهْلَةَ وَجْهًا عَمَّ نَائِلُهُ فَمَا يُخْصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ^(٥)

(١) الندى : الجود ؛ والهزة - بالكسر - الأريحية ؛ والمغار : مصدر ميمي بمعنى الغارة . يقول : هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعطاء ، وأبعد الناس مدى غارة في العدو .

(٢) الهم : الهمّة ، واليسار النقي : يقول : علت همي بخدمتك والالتواء إليك وبما يسرت لي من المطالب حتى صارت فوق همم الناس وحتى صرت لا أقنع بما يكون غنى ويسارا حتى أطلب ما فوقه .

(٣) كباراً : حال من الدر ؛ والبيت تأكيد لما قبله . يقول : إذا أدركت بك النقي لم أقتصر عليه لأن من كان مرجوه مثلك لم يرض بالقليل

(٤) الفطر : بالكسر الاسم من الإفطار ، والعصر - بضمين - لفة في العصر وهو الدهر ويأتي أيضاً جمعاً له ، وقد تقدم ذلك . وحق : حرف عطف - كالواو - يقول : إن نور هذه الأشياء إنما هو بك لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شيء ، يعني أن نورك عم كل شيء - ق الشمس والقمر اللذين يستضاء بهما . هذا : وقال العكبري - مناسبة حق - : وقد اختلف أصحابنا في حتى فقالوا هي حرف تنصب الفعل المستقبل من غير تقدير أن ، وحرف جر يجر الاسم كما تقول : سوفته حتى الصيف . وقال البصريون : هي في كلا الموضعين حرف جر ، والفعل منصوب بعدها بتقدير أن ، والاسم مجرور بتقدير إلى .

(٥) يقول : لم يخص البشر بطائرك فقد أنلت الأهله بوجهك كمال النور فقد عم إذن نائلك البشر والشمس والقمر .

مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفٌ يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرٌ^(١)
 مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ فَلَا أَتَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمْرٌ^(٢)
 فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرُّارِهَا شَرَفٌ وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشِّيبُ وَالْكِبَرُ^(٣)

(١) الأنف : التي لم يرعها أحد وهو أحسن لها ؛ والشمايل : الخلائق يقول : الدهر بكونك فيه روضة تمت محاسنها وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة ، فهي أحسن ما فيها .

(٢) ما : حرف نفى ؛ والضمير في أيامه وأعوامه الدهر . يقول : ليس ينتهي كرمك في أيام الدهر ، أي أنه يزداد كرمًا على الأيام ، ثم دعا له فقال : فلا انتهى عمرك في أعوامه ، أي لا أنقص لك أجلا .

(٣) الضمير في تكرارها ومنها للأعوام ، ويروى منه : أي من التكرار . يقول : إن حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجدد من المناقب . بينما حظ غيرك ممن لا مناقب لهم الشيب والهزم .

وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبي لزحام الناس ، فعانبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه .
فقال المتنبي ارتجالا ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

ظَلُمَ لِيْذَا الْيَوْمِ وَصَفْتُ قَبْلَ رُؤْيَيْتِهِ
لَا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ^(١)
زَاَحَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَبًا
إِلَى بِسَاطِكِ لِي تَمَعُ وَلَا بَعَرُ^(٢)
فَكُنْتُ أَشْهَدُ مُخْتَصِرٍ وَأَعْيَبُهُ
مُعَايِنًا وَعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ^(٣)
الْيَوْمَ يَرْفَعُ مَلِكُ الرُّومِ نَاضِرُهُ
لَأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ^(٤)
وَمِنْ أَجَبْتِ بَشِيءَ عَنْ رَسَائِلِهِ
فَمَا يَزَالُ عَلَى الْأَمْلَاقِ يَفْتَخِرُ^(٥)
قَدْ اسْتَرَاخَتْ إِلَى وَقْتِ رِقَابِهِمْ
مِنْ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ^(٦)

(١) يقول : إن وصفي هذا اليوم دون أن أشاهد ماجرى فيه ظلم له ، لأن صدق الوصف موقوف على صدق النظر ، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والملاحظة لم أكن صادق الوصف .

(٢) و (٣) سمع — في البيت الأول — فاعل يجد ، وسببا : أى وصلة أتوصل بها : أى سبيلا . ثم قال في البيت الثاني : كنت في هذا اليوم أحضر الناس المختصين بك لأنني كنت شاهداً بشخصي ، وكنت أغيبهم عيانا لأنني غبت معاينة إذ لم أر ما يجري فكان عياني ما يخبرني به الذين عاينوا . فأشهد أفضل تفضيل من الشهود ، وهو الحضور ومعاينة : بدل من أشهد . والجملة بعده : حال .

(٤) ناظره : عينه . وعنده : بمعنى في اعتقاده . يقول : يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتزازاً برضاك ، وقد كان مطرقاً استخذاء وخوفاً . لأن عفوك في اعتقاده ظفر وقلج .

(٥) يقول : إذا أجبتة افتخر على الملوك .

(٦) يقول . لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح ، أما سائر الذين كنت تغروهم فإنهم يترقبون ورود سيوفك عليهم ، لأنهم يعرفون أنك لا تغتر عن الغزو . أو يترقبون الصلح منك كما صالحت ملك الروم .

وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالْقَوْمِ غَيْرَهُمْ لِكَيْ تَجِمْ رُؤُوسُ الْقَوْمِ وَالْقَصَرُ^(١)
تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالْأَمْطَارِ غَادِيَةً جُودٌ لِكَذِّكَ ثَانٍ نَالَهُ الْمَطَرُ^(٢)
تَكْسَبُ الشَّمْسُ مِنْكَ الثَّوَرَ طَالِعَةً
كَمَا تَكْسَبُ مِنْهَا نُورَهُ الْقَمَرُ^(٣)

وقال لما أوقع سيف الدولة بيني عقيل وقشير وبني العجلان وبني كلاب حين
عاثوا في عمله وخالفوا عليه ، ويذكر أجفالم من بين يديه وظفره بهم ، وله
خبر طويل :

طَوَالَ قَنَا تَطَاعِنَهَا قِصَارُ وَقَطَرِكَ فِي نَدَى وَوَعَى بِحَارِ^(١)

(١) الأظهر أن الضمير في تبدلها : للسيف - كما قال ابن جني - لا للروم - كما
ذهب إليه الواحدى - وغيرهم ؛ نصب على أنه مفعول ثان لتبدلها والباء في بالقوم :
للموضع . وتجم : تكثر . من جم البئر : إذا توافر ماؤه بعد الترح ، والقصر ، جمع
قصرة أصل الضيق . يقول : وقد تخارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا وتضمهم
ليتأسلوا ثم تعود إليهم قتلهم .

(٢) تشبيه : مبتدأ ، خبره : جود : وغادية : حال ، وثان : صفة لجود : يقول :
إذا شبتنا جودك بالأمطار التي تأتي بالعدوات - وهي أغزرها - كان ذلك جوداً ثانياً .
لكفك على المطر ، لأن المطر يفخر بأن يشبه به جودك .

(٣) تكسب - بحذف إحدى التاءين - أي تكسب . يقول : إن الشمس تستفيد
منك النور كما يستفيد منها القمر النور ، فإذا طلعت كسبت ، وإذا غابت عادت إلى
حالتها قبل أن تراك .

(٤) طوال : مبتدأ ، خبره : قصار ، وضمير تطاعنها : للمخاطب ؛ والجملة : صفة
لقنا ؛ والندى : الجود . والوعى : الحرب . يقول : إن الرماح الطوال التي تطاعنها
قصار في حلق ، لأنها لا تتالك ولا تبلغك ، ولأنها لا غناء لها معك ، وكأنها قصار
كما قال :

يَجِيدُ الرَّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طَوْلُ

وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَانِي أَنَاةً تَنْظُنُّ كَرَامَةً وَهِيَ اخْتِقَارٌ^(١)
وَأَخَذُ لِلْحَوَاصِرِ وَالْبَوَادِي بِضَبْطٍ لَمْ تُعَوِّدْهُ نِزَارٌ^(٢)
تَشْمَمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إِنْسًا وَتُنْكِرُهُ قَبَعُوهَا نِفَارٌ^(٣)
وَمَا انْقَادَتْ لِفَيْرِكَ فِي زَمَانٍ فَتَذَرِي مَا الْمَقَادَةُ وَالصَّغَارُ^(٤)

ثم قال : والقليل منك في الجود والحرب كثير حتى تكون القطرة بمنزلة البحر .
(١) الأناة : الرفق والحلم . يقول : فيك رفق وحلم عن الجاني لا تسرع في عقوبته .
يظن ذاك لكرامة له عليك وهو اختقار له عن المكافأة ، لا كرامة .
(٢) أخذ : عطف على أناة ؛ والحواصر : جمع حاضرة ، وهي حلاف البادية ؛
والمراد : أهل الحواضر والبوادي ، وبضبط : متعلقة بأخذ ، وقوله : نزار
يريد العريب : يقول : أنت تأخذ أهل الحضر والبدو بسياسة وضبط لم
تعودها العرب .
(٣) يقول : إن العرب تدنو من طاعتك ، فإذا أحست ما عندك من السياسة
أنكرت ذلك إنكار الوحش إذا شمّت ريح الإنس فتفر ، وقوله : تشممه - بحذف
إحدى التائين - أى تشممه . وإنسا : مفعول شميم ؛ والتشمم : الشم في أناة وتؤدة .
ويقال : شممت النىء أشمه وشمته أشمه شماً وشمياً ، قل الصمة بن عبد الله القشيري :
تمتع من شميم عرار نجيد فما بعد المشية من عرار^(١)
قال أبو حنيفة الدينوري : تشمم النىء واشتمه أدناه من ألقه ليجذب رائحته ،
وتشممت النىء شمته في مهلة .
(٤) المقادة : الانقياد ، والصغار : الذل . يقول : إن العرب لا تعرف هذا لأنهم لم
لم ينقادوا لأحد .

(١) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل هو النرجس البري
والبيت من أبيات هي :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تُحْدِي بِنَا بَيْنَ الْمُنَيْفَةِ فَالْضَمَارِ
تَمْتَعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَةِ مِنْ عَرَارِ
أَلَا يَا حَبْذَا نَفْحَاتُ نَجْدٍ وَزَيَّاً رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَمْ نَ وَلَا سِرَارِ

فَقَرَّحْتَ الْمَقَاوِدَ ذِفْرَيْنِهَا وَصَعَرَ خَدَّهَا هَذَا الْعِذَارُ^(١)
وَأَطْمَعَ عَامِرَ الْبُقْيَا عَلَيْهَا وَنَزَقَهَا اخْتِمَالَكَ وَالْوَقَارُ^(٢)
وَعَايَرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِي وَأَعْجَبَهَا الْقَلْبُ وَالْمَعَارُ^(٣)
جِيَادُ تَعَجُّزِ الْأَرْسَانِ عَنْهَا وَفَرَسَاتُ تَضْيِيقِ بَهَا الدِّيَارُ^(٤)
وَكَانَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَّهَا نُفُوسًا فِي رَدَّهَا تُسْتَشَارُ^(٥)

(١) المقاوود : جمع مقود، وهو الرسن، والدفرى : العظم الشاخص خلف الأذن، مأخوذة من ذفر العرق لأنها أول ما تترك من البعر، ويجمع على ذفارى وذفارى : كصحارى وصحارى. والصعر : الليل في الحد : وفلان صعر خده : أماله من الكبر ، والعدار من اللجام ماسال على خدى الفرس . يقول : لما وضعت على العرب المقاوود لتقودهم إلى طاعتك ، وبالفيتى رياضتهم تفرحت ذفاريهم من جذب المقاوود لرؤوسهم : أى جعلتهم كالقرحى فى اللذ والأتقاد، وأمال خدودهم هذا العذار : أى أمالم إلى طاعتك . والقرح : كل ما جرح الجلد من عض السلاح ونحوه . وروى الواحدى : فأفدحت - بالفاء - من أفدحه الدين : أمله، ينى : لما وضعت على العرب المقاوود أثقلت مقاوذك رؤوسهم ، لأنك ضبطتهم ومنعهم عن التلصص والتجارة فصاروا كاللدابة تنقاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيلة.

(٢) منع عاصر من الصرغ لأنه أراد القبيلة ، ولذلك أنها : والبقيا : اسم من الإبقاء : والبرق : الخفة والطيش . يقول : وأطعمهم فى الحصان إهلاؤك عليهم وعدوك عن الإيقاع بهم ، وحملهم على الطيش أناتك وحلك عنهم وتوقفك عن إهلاكم .

(٣) تلبب الرجل : تحزم وتشمر ؛ والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره ، والمعار : الإغارة . يقول : وغيرها عن الطاعة أنها كانت ترأسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك وتشاكي لما يجدونه من صعوبة الاستخذاء إليك ؛ واعتزت بتحزبها وتأهبها ولبسها الأسلحة وكثرة غاراتها على النواحي والأطراف .

(٤) الجياد : الخيل ، وهى مبتدأ محذوف الخبر : أى لم جياد . يقول : إن لم خيلا معجز الأرسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة رؤوسها ، أو تقول : لا تسمعها الأرسان لكثرتها ، أى أن لم خيلا لكثرتها لا توجد لها أرسان ، ثم قال : وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم .

(٥) الضمير فى كانت : للفرسان ؛ والردى : الهلاك . يقول : وكنت تتوقف عن إهلاكم والإيقاع بهم جرياً على عادتك فى الصفع والنفو ؛ فكانوا - بهذا التوقف - كمن

وَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْفِرَارُ^(١)
فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفَرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحَيَارُ^(٢)
وَكَانَ بَنُو كِلَابٍ حَيْثُ كَعْبُ نَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا^(٣)
تَلَقَّوْا عِزًّا مَوْلَاهُمْ يَذُلَّةً وَسَارَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَسَارُوا^(٤)
فَأَقْبَلَهَا الرُّوجَ مُسَوِّمَاتٍ ضَوَامِرَ لَا هِزَالَ وَلَا شِيَارَ^(٥)

يستشار في إهلاكه ، وكانوا هم بتوهم واسترسامهم في غيهم - كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم . وقد أقام الردى مقام الإرداء .

(١) و (٢) قَائِمُهُ : مقبضه . وغراره : حده . والبديّة والحيار : ماءان بأرضهم كانوا ينزلون عليهما . وشفرتا السيف : حداه . يقول : كنت سيفاً لهم مقبضه في أيديهم وحده في أعدائهم فلما عصوك صارت شفرته حيث هم : أي في البديّة . أي سرت اليهم في تنازلهم ، وجاوزت الحيار سقى صار خلفك ، وأهلكتهم بسيفك الذي كنت تذود به عنهم . وفي معناه قول جعفر بن عتبة :

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفٍ فِي يَوْمٍ صَحْرَاءَ سَحْبَلٍ
وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

(صحراء سحبل : موضع)

(٣) يقول : كانوا في التمرد والعصيان حيث كان بنو كعب ، فلما رأوا ما نزل بهؤلاء من القتل والهوان خافوا أن ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبي إن بقوا على عصيانهم . وكعب : مبتدأ محذوف الخبر . أي حيث كعب كاثنون لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل .

(٤) يقول : استقبلوا سيف الدولة بالخضوع والذلة والالتقياد وساروا معه وراء كعب قال العكبري : وذلك أن مشيخة بني كلاب تلقته وقد سار عن الحيار لطلب البديّة فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلك كعب

(٥) الضمير في أقبلها : للخليل ، وإن لم يجر لها ذكر وأقبلها المروج : جعل وجوها إليها . والمروج : المواضع ترعى فيها الدواب ، وأراد مروج سلمية - موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم انهزموا - ومسومات : معلومات بسمة تعرف بها ؛ وضوامر : قليلة

تَشِيرُ عَلَى سَلْمِيَّةَ مُسَبِّطًا تَنَاسَرُ نَحْتَهُ لَوْلَا الشَّعَارُ^(١)
عَجَاجًا تَعْتَرُ الْعِقْبَانَ فِيهِ كَانَ الْجَوُّ وَغَثٌ أَوْ خَبَارُ^(٢)

الملح . وهزال : جمع هزيل . والشار : السمان الحسنه الناظر ، ولا هزال ولا شار في الأعراب ، مثل قول اقبال :

* لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ *^(١)

يقول : وجه خيله إلى المروج وأجاءها إليها ضامرة ، وليس ضمها عن هزال ؛ إنما هو عن تضمير وقيام عليها ، ولا هي أيضاً سميحة حسنة النظر لأنها قد شعث وأغربت بمواصلة السير .

(١) سلمية : موضع ؛ والمسبطر : القبار الممتد ؛ والشعار : العلامة يتعارفون بها . يقول : تشر خيلك على هذا المكان - سلمية - غباراً منتشرًا لا تعرف الخيل تحته بعضها بعضاً - أى أصحاب الخيل - أى الجيش لولا العلامة التي تتعارف بها . فعبارة : تناكر - يحذف إحدى التائين - أى الخيل .

(٢) عجاجاً : بدل من مسبطراً والعجاج : القبار . والوعث من الأرض : السهل (١) وصدر هذا البيت .

* هَذَا لَعَمْرُكَ كَمَا الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ *

والبيت لمن بنى أحمر السنانى ، شاعر جاهلى قديم ، وقيل لغيره ، وهو من أبيات جميلة يقول فيها . -

أَخِيَّ أَخْبَرَنِي وَلَسْتَ بِصَادِقٍ	وَأَخْوَلُ نَاصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
أَمِنْ الْقِصِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَفْتَيْتُمُ	وَأَمِنْتُمْ فَأَنَا الْغَرِيبُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا الْكَتَائِبُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً	حَجَرَتْكُمْ فَأَنَا الْخَبِيبُ الْأَقْرَبُ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً أَدْعَى لَهَا	وَإِذَا يُحَاسُ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
وَلِجُنْدَبٍ سَهْلُ الْبِلَادِ وَعَذْبُهَا	وَلِيَ الْمَلَّاحُ وَخَبْتَنُ الْمَجْدِبُ
عَجَبٌ لِنَاصِحَةٍ وَإِقَامَتِي	فِيكُمْ عَلَى تِلْكَ الْقِصِيَّةِ عَجَبُ
هَذَا لَعَمْرُكَ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ	لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

الحيس لبن وأقط وسمن وتعر يصنع منه طعام ، والخبث الطمئن من الأرض وقد رويت هذه الأبيات على اختلاف في بعض كلماتها .

وَوَلَّ الطَّمَنُ فِي الْخَلِيلَيْنِ خَلْسًا كَانَ لَمَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارٌ^(١)
 فَلَزِمَهُمُ الطَّرَادُ إِلَى قِتَالِهِ أَحَدٌ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ^(٢)
 مَضَوْا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ لِأَرْوُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِارٌ^(٣)
 يَشْلُفُهُمْ بِكُلِّ أَقْبَى نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ^(٤)
 وَكُلُّ أَمَمٍ يَفْعِلُ جَانِبَاهُ عَلَى الْكُفَّيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارٌ^(٥)

الكثير الرمل ، وهو ما تقيب فيه القوائم لسهولته . والخبار : الأرض اللينة الرخوة .
 يصف التبار بالكثافة ؛ يقول : إن العقبان التي تسير مع الجيش تثر في ذلك التبار
 وكثافته ، فكان الجو أرض لينة تنحصر فيها أرجل الطير فتضرب لكثرة ما ارتفع من
 غبار الخيل وكثافته .

(١) خلصا : أى اختلصا وهو سرعة اختطاف الشيء خفية . يقول : ظلوا يتخالسون
 الطمن فيسرع فيهم للوث حتى كأنه اختصر الطريق إليهم .
 (٢) لزم إلى الشيء : ألجأ إليه وأدناؤه منه . يقول : أوجه طرادك لإيادى إلى قتال
 شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار .

(٣) يقول : لإسراعهم في الحرب والمزمنة خوفا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما
 يسابق بعضها بعضا : الأرجل تسابق الرءوس ، والرءوس تسابق الأرجل وكأن الرءوس
 تتمر بالأرجل حين تريد الرءوس الإسراع فتتمنئها الأرجل وقال ابن جني : إذا ندر
 رأس أحدهم فتخرج يثر برجله أو برجل غيره ، وهذا غير للمهود أن يثر الرأس
 بالرجل ؛ قال الواحدي : أحسن من قوله أن يقال . بأرجلهم عثار لأجل حفظ رءوسهم
 فهم ينهزمون فيسرعون ويثرون .

(٤) يشلهم : يطردهم . والأقرب من الخيل : الضامر البطن . والنهد : للشرف
 للرتفع . يقول : يطردهم بكل فرس ضامر نهدي لفارسه الخيار ، إن شاء لحق ، وإن شاء
 سبق : أى إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته .

(٥) أمم : أى رمح صلب ليس بأجوف لين ؛ ويمسل : يضطرب . وممار : مسال مهرق
 يقول : ويطردهم بكل رمح صلب يضطرب جانبيه الأعلى والأسفل . قال الواحدي :
 وأراد بالكمين اللذين في عامله . وهما يخيان في اللطمون ، ولذلك وصفهما بأن عليهما
 دما ، ويجوز أن يريد الكعب الذي في السنان والذي فيه الزج ؛ فإن الطمن يقع بهما
 قال ابن جني : يجوز أن يريد بالثنية الجمع ، لأن أول الجمع ثنية .

يُغَادِرُ كُلُّ مُلْتَمِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتُهُ لِسَعْلَبِهِ وَجَارُ^(١)
 إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضُّوءَ عَنْهُمْ دَجَا لَيْلَانَ لَيْلٍ وَالْفُبَارُ^(٢)
 وَإِنْ جُنَحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ أَضَاءُ الْمَشْرِقِ وَالنَّهَارُ^(٣)
 يُبْكِي خَلْفَهُمْ دُثْرُ بُكَاهُ رُغْلَا أَوْ ثَوَاجٍ أَوْ يُعَارُ^(٤)
 غَطَا بِالْعَثِيرِ الْبَيْدَاءَ حَتَّى تَحْبِرَتِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ^(٥)

(١) يغادر : يترك ، والضمير للرمح . واللبة : أعلى الصدر . والثعلب - هنا -
 مداخل من الرمح في السنان ، والوجار : بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما .
 يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحوه مطعون يدخل ثعلبه في
 نحره . ولقد أبدع في هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب .

(٢) و (٣) دجا : أظلم ؛ وجنح الليل : جانبه ؛ وانجباب : انكشف ؛ والمشرقية :
 السيف ، نسبة إلى مشارف الشام . يقول : إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل
 ليل آخر من العجاج - الغبار - وإذا انقضى الليل أضاء مع النهار نهار آخر من بريق
 السيف : أى أنهم في ليلين مظلّين من الليل والغبار ، وفي نهارين من ضوء السيف
 والنهار « هذا » وإليك خلافاً نحويّاً بين البصريين والكوفيين آثاره العلامة العسكري
 النحوي الكوفي لمناسبة إعراب جنح الظلام ، قال : ارتفع جنح الظلام ، عندنا بالابتداء ،
 وهو قول الأخفش ، وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .
 وقال البصريون : يرتفع بتقدير فعل ؛ وحجتنا أن إن الشريطة الأصل في باب الجراء .
 فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها وقلنا إنه يرتفع بالعائد لأن المكنى المرفوع معها في الفعل
 هو الاسم الأول ، فينبغي أن يكون مرفوعاً كقولهم : جاءني الظريف زيد ، وإن لم يكن
 مرفوعاً لم يفتقر إلى تقدير فعل ، وحجة البصريين أنه يجوز أن يفصل بين حرف الجزم
 وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ولا يجوز أن يكون هنا عاملاً ، لأنه لا يجوز
 تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ؛ ولو لم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعاً بلا رافع ، وذلك
 لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل .

(٤) الدثر : المال الكثير . والرغاء : صوت الإبل ، والثوَج : صوت النمل .
 واليعار : صوت المعز . يقول : إنهم ساقوا مواشيهم هاربين ، فكانت تصيح خلفهم
 لما ألم بها من النعب والإعياء في السير : فالإبل ترغو ، والمعزى تيعر ، والنمل تئج ؛
 وكأنها بهذا الصياح تبكي .

(٥) غطاء وغطاء : بمعنى ؛ والعثير : الغبار ؛ والمتالي : جمع متلة ، وهي الناقة

وَمَرُّوا بِالْجَبَاةِ يَضُمُّ فِيهَا كِلَا الْجَيْشَيْنِ مِنْ تَقَعِ إِزَارُ^(١)
وَجَاءُوا الصَّحَصَحَانَ بِلا سُرُوجٍ وَقَدْ سَبَقَتْ الْعِمَامَةُ وَالْجَمَارُ^(٢)
وَأَرْهَقَتْ الْعَذَلَى مُرْدَفَاتٍ وَأَوْطَلَتْ الْأَصْيِيَّةُ الصَّنَارُ^(٣)
وَقَدْ نَزَحَ الْفَوِيزُ فَلَا غُورُ وَنَهْيَا وَالْيَيْبُضَةُ وَالْجَفَارُ^(٤)
وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَذَمُّرٍ مُسْتَفَاثٌ ، وَتَذَمُّرُ كَانِيهِمَا لَهُمْ دَمَارُ^(٥)

يتلوها ولدها ؛ والعشار : التي قربت ولادتها - جمع عسراء . والتالى والعشار : أعز
أموال العرب ، ولذلك خصهما بالذكر . يقول : غطى البيداء بالعبار حتى تحيرت النعم -
على حدة أبصارها - فى ذلك العبار ؛ ورواية ابن جنى بالغثر : بدل بالغير ، والغثر ؛
ماء هناك ، وتحيرت - بالحاء ، بصيغة المجهول - فيكون المعنى : غطى سرحهم البيداء
عند هذا الماء لكثرت حتى تغير منه سيف الدولة التالى والعشار لما وصل إلى ذلك الماء .
(١) الجبابة : اسم ماء . والتقع : العبار . يقول : إنهم مروا بهذا الماء فى
هربهم وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك ، فاشتمل العبار على الجيشين حتى صاروا
منه فى إزار لشدة انتشاره .

(٢) الصحصان : يريد بالصحصان هنا : صحراء بعينها هناك ، وفى غير هذا
الوضع كل أرض واسعة فضاء . يقول : جاءوا هذه الصحراء وقد انخلت سروج خيلهم
فسقطت وسقطت عمامهم رجالهم وخمر نسائهم لإسراعهم وإشاحتهم فى الحرب .

(٣) أرهقه : كلفه ما فيه مشقة . ومردفات : أى مركبات خلف الرجال ، وأوطلت
أى جعلت الخيل تطؤها . لحذف الخيل للطمع بها ، والأصيبة : تصغير أصيبة . جمع
صبي ، والعدارى : جمع عذراء . وهى البكر التى لم يفرعها خل . يقول : إن العدارى
قد كلفن بأردافهن خلف الفرسان مشقة لا يطقنها ، ولم يثبت الصبيان الصنار على
الخيل فى الركض فسقطوا ووطأتهم الخيل . وعبارة ابن جنى : أوطأوا الخيل الصبية
لأنهم لم يقدرُوا أن يحملوهم لشدة هربهم وأردفوا العدارى طلبا للنجاة وحفظا لمن .

(٤) هذه كلها مياه معروفة . يقول : لما بلغوها نزحوها لما لحقهم من العطش
والجهد حتى لم يبق منها شيء ، ولذلك قال : فلا غور .

(٥) يقول : لم يكن لهم مفرع يفرعون إليه إلا تدمر ، ظنوا أنهم إذا بلغوها
حصنتهم من سيف الدولة ، ولكن خاب ظنهم ، إذ لم يمتنعوا أن غشيم جيشها فصارت
دماراً - هلاكاً - لهم كاسمها . وتدمر هى المدينة المعروفة .

أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لَا يُدَارُ^(١)
وَجَيْشٌ كُلُّهَا حَارُوا بِأَرْضٍ وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ^(٢)
يَحْفُ أَغْرَ لَا قَوْدٌ عَلَيْهِ وَلَا دِيَّةٌ تُسَاقُ وَلَا أُعْتَذَرُ^(٣)
تُرِيْقُ سَيُوفُهُ مُهْجَ الْأَعَادِي وَكُلُّ دِمِّ أَرَاقَتِهِ جُبَارُ^(٤)
فَكَانُوا الْأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالُ عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ^(٥)

- (١) يقول : أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأى في تدمير ، فأتاهم سيف الدولة صباحا وعصف بهم ، فكان عصفه بهم - إهلاكه إياهم - رأيا لا سبيل إلى تقليبه .
- (٢) جيش : عطف على رأى ؛ يقول : وصبحهم بجيش كلما أشرف هؤلاء المحاربون على أرض واسعة حاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم ، ثم لما أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الأرض تتحير فيه لكثرتة وتوافره ، فكانه أوسع منها .
- (٣) يقول : يحيط هذا الجيش بأغر - سيد شريف - يعنى سيف الدولة - إذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله ، لأنه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يرجع فيما فعل . والقود : قتل النفس بالنفس ، والدية : ثمن الدم .
- (٤) تريق : تسفك ؛ والمهجة : دم القلب والروح والجبار : المهدر الذي لا قود فيه ولا دية يقال : ذهب دمه جبارا إذا لم يطلب ؛ والبيت في معنى البيت السابق .
- (٥) مصال : مصدر : أى صولة وقوة . وكذلك المطار يعنى الطيران . قال العروضي وواقفه الواحدى : هذا من صفة خيل سيف الدولة ، يقول . هم - فرسان سيف الدولة أسود ولا يشينهم عدم إذا كهم هؤلاء القوم لأن الأسد - على قوته - لا يمكنه صيد الطائر لأنه لا مطار للأسد ؛ يعنى أن هؤلاء القوم أسرعوا في الحرب لإسراع الطير في الطيران ؛ وهذا كالعذر لهم في التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم ؛ وقال آخرون : هذا من صفة القوم شبههم بالأسود في قوة البأس ، وشبه جيش سيف الدولة بالطير في سرعة الجرى وراءهم . يقول : الأسود مع شدة بطشها لا تقدر أن تسطو على الطير لأنه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتفوته . يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش لأنهم لا ينالونه بسلحهم ولا وسعهم الحرب من أمامه ، لأنه أسرع جريا منهم فهو يدرهم أينما ذهبوا . وعبارة ابن جني ؛ كانوا أسداً قبل ذلك ، فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم ولم يقدروا على الطيران فأهلكتهم .

إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاولَتْهُمْ
بَارِمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْفِغَارُ^(١)
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قَدَامًا وَخَلْفًا
فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتَ اضْطِرَّارُ^(٢)
إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ غَيْرُ هَادٍ
فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ هِنَارُ^(٣)
وَلَوْ لَمْ تَبْقِ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا
وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارُ^(٤)
إِذَا لَمْ يُرْزَعْ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ
فَمَنْ يُرْعَى عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ^(٥)
تَفَرَّقَهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا
وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النَّجَارُ^(٦)
وَمَالَ بَهَا عَلَى أَرْكِ وَعُرْضٍ
وَأَهْلُ الرَّقَّتَيْنِ لَهَا مَزَارُ^(٧)

(١) يقول : إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا في القفر من العطش ، فقام العطش في قتلهم مقام الرماح
(٢) يقول : يرون الموت قدامهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين ، وليس ذلك اختياراً في الحقيقة لأن الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد ، فهم — لا محالة — هالكون .

(٣) النار : العلم ينصب في الطريق . يقول : إذا ضل أحد بصحراء السجاء قامت له جثث قتلاهم بها مقام النار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدى بالنار ؛ وهذا من قول ثابت قطنة :

هَذَاكَ اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا مُصَلِّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعَابِ

(٤) يقول : لولا إبقاؤك على من بقي منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعاً لكنك أردت تأديبهم ، لا إفناءهم ، فكان في من هلك منهم عبرة لمن بقي ، فلا يعضى لك أمراً أبداً .

(٥) أرعى فلان على فلان — مثل أبقى عليه — رحمه وكف عنه يقول : أنت سيدهم . فإذا لم تبق عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم ؟ إذ المولى إذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره .

(٦) السجاء : الطباع والأخلاق ، والنجار : الأصل . يقول : إن أصله وأصلهم واحد لا اشتراكهم في نزار ، إلا أن الطباع والأخلاق مختلفات ، وأين هم منه ؟ .

(٧) أرك وعرض : بلدان قرب تدمر ، والرقتان : بلدان على الفرات ، وهما الرقة والرافقة ، قيل لهما الرقتان تغليبا ، والضمير في بها ولها للخليل . يقول : مال سيف الدولة بخيله على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين :

وَأَجْفَلَ بِالْفَرَاتِ بَنُو مُنْمِرٍ وَزَارَهُمُ الَّذِي زَارُوا خَوَارٍ^(١)
فَهُمْ حَزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرْعَى بِهِمْ مِنْ شَرْبِ غَيْرِهِمْ خُمَارٍ^(٢)
فَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ فِي الصُّبْحِ مَالٌ وَلَمْ تَوْقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارٌ^(٣)
حِذَارٌ فَتَى إِذَا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ فَلَيْسَ يَنَاقِعُ لَهُمُ الْحِذَارُ^(٤)
تَبَيَّتْ وَفُودُهُمْ تَسْرَى إِلَيْهِ وَجَذَوَاهُ الَّتِي سَأَلُوا اغْتِفَارَ^(٥)
فَخَلَفَهُمْ بَرْدٌ أَلْبِيضَ عَنْهُمْ وَهَامَهُمْ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارُ^(٦)

يعنى بذلك طلبه لبنى كعب فى كل مكان . وقال ابن جنى : أى مال يخيله على هاتين البقيتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها .

(١) الزئير : صوت الأسد . ، والحوار : للبقر : يقول : إنهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارا : أى كانوا قبل ذلك يظنون أنفسهم أسودا ، فلما اتاهم أجفلوا من وجهه إجمال الثيران .

(٢) الحزق : الجماعات - جمع حزقة ، والخابور : نهر على الفرات ، والخمارة بقية السكر . يقول : ظنوا أنهم المقصودون فهربوا خوفا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم يريد الرقتين ، فصاروا جماعات صرعى - مطروحين - حوالى هذا النهر ، وقوله بهم الخ : أى أنهم لم يذنبوا ، وإنما أذنب غيرهم فأدركهم تب الحرب ، فأراد بالشراب المعصية . وبلخار : ما تخفهم من الخوف .

(٣) المراد بالمال : الواشى . يقول : لحوفهم لم يسرحوا نعمهم نهارا ولم يوقدوا نيرانهم ليلا .

(٤) يقول : هم : إنما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم ، وهو حذر فى غير موضعه ، لأنه إذا كان غير راض عنهم ، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئا ، فهو يدركهم أينما كانوا ، ولو فى أقصى البلاد أو فى الجواء ، فقولته : حذار ، مفعول له ، عامله فى البيت السابق ، وهو مصدر حاذر .

(٥) الجدوى : العطية . يقول : إنهم يفتدون إليه يسألونه العفو لاغير . والوفود : جمع وفد ، وهو جمع وafd ، والوافد : القادم على أمير أو غيره ليطلب منه شيئا .

(٦) خلفهم : استبقاهم ، والبيض : السيوف ، والهام : الرءوس يذكر ويؤنث - وهو مبتدأ ، خبره : له ، والجملة : حال ، ومعار : خبر آخر ، ومعهم : حال من نائب معار . يقول : فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رءوسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها لأنها فى ملكه . وهذا كلام بديع .

وَمَنْ يَمْنُ أَذَمَ لَهُمْ عَلَيْهِ كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسْبُ النَّضَارُ^(١)
فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقَرًّا وَلَيْسَ لِبَحْرِ نَائِلِهِ قَرَارُ^(٢)
وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُدَارُ عَلَى الْفِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ^(٣)
تَحْرَهُ لَهُ الْقَبَائِلُ سَاجِدَاتٍ وَتَحْمَدُهُ الْأَسِنَّةُ وَالشُّفَارُ^(٤)
كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ أَنْكَسَارُ^(٥)
فَمَنْ طَلَبَ الطَّعَانَ فَذَا عَلِيٌّ وَخَيْلُ اللَّهِ وَالْأَسْلُ الْحِرَارُ^(٦)

(١) أذم لهم : صيرهم في ذمامه ؛ والضمير في عليه : لسيف الدولة . والعرق : الأصل ؛ والحسب : ما تعدده من مآثر الآباء . والنضار : الخالص من كل شيء . يقول عقد النعمة لهم وصيرهم في ذمامه كرم أصله وصحة حسبه .

(٢) العواصم : بلاد حاضرتها إنطاكية ؛ والنائل : العطاء يقول : فاستقر بهذا للسكان بعد عودته من هذه الغزوة لأنه مقره ، أما جوده فلا يستقر . كالبحر ليس له قرار .

(٣) العقار : الحجر . يقول : إن ذكره قد ملأ الآفاق حتى إن الشرب - جماعة شاربى الحجر - يغنون بما مدح به من الأشعار ويشربون على ذكره . هذا وسميت الحجر عقاراً ؛ قيل لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن : أى لزمته ، وأصله من عقر الحوض لأن الواردة تلازمه ، وقيل : لأنها تعقر شاربيها ، وقيل : لشبهها بالعقار ، وهو نبت أحمر .

(٤) الأسنة هنا : الرماح ، والشفار : جمع شفرة . حد السيف يقول : إنه لمنعته تخضع له القبائل كل الخشوع . وتثنى عليه الرماح والسيوف . لحسن استعماله إياها لأنه أذل بها تلك القبائل .

(٥) يقول : لإجلالنا إياه وإعظامنا له لا نستطيع أن نملأ أعيننا من النظر إليه ، كما لا نستطيع أن ننظر طويلاً إلى شعاع الشمس ، كما قال الفرزدق :

يُفْضِي حَيَاءً وَيُفْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ

وهو من قول الآخر :

إِنَّ الْمُبِيرَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا رَجَعَتْ مِنَ الْإِجْلَالِ غَيْرَ حِدَادٍ

(٦) الأسل : الرماح ، والحرار : العطاش ، جمع حران ، والأنثى حرى . والحران

يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ بِأَرْضٍ مَا لِنَاكِزِهَا أُسْتَنَارُ^(١)
يُوسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتِظَارُ^(٢)
تَصَاحِلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ وَمَا مِنْ عَادَةٍ الْخَيْلِ السَّرَارُ^(٣)

العطشان . يقول . من أراد المطاعنة بالرماح ، فهذا على - اسم سيف الدولة - قد تفرع من قنأ هؤلاء ومعه خيل الله - جيشه - والرماح العطاش لانها لا ترتوى من الدم .

(١) و (٢) كعب . اسم القبيلة . وبأرض : صلة يراه ، والمفاوز : الصحارى . يقول : إنه دائماً يسرى إلى أعدائه ويحجوب إليهم الصحارى التي لا يستره فيها شيء . فهو يتوسط الصحارى كل يوم ليطلب الأبطال الذين يطلبون القتال لا ينتظر لحاقهم به : يعنى أنه دائماً يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتيه فيقاتلهم ، أى أنه دائماً طالب لا هارب . والعادة أن الخائف ينزأ المفاوز خوفاً من يلحقه ، ولكن المدوح ينزلها طلباً لمن يهرب منه إليها . « هذا » ، وقوله لا الانتظار : فألف لا : ساقطة لفظاً ، وإن تحركت اللام بعدها ، لأن حركة اللام عارضة دفعا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون . وقوله طلاب الطالبين : تروى طلاب الطاعنين : أى طاعنى الأعداء .

(٣) تصاحل - بحذف إحدى التاءين - أى تصاهل . والسرار : مصدر ساره ، كلمه سرا . وقد اضطربت كلمة الشراح في تأويل هذا البيت فذكر ابن جنى معنيين ، والخطيب خالفه إلى معنى آخر ، وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجة قال ما محصله : إن خيله تصاهل من غير سرار ، وليس السرار من عادة الخيل ، يعنى أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو ولا يحاول أن يخفى قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره ، ومن ثم لا يكف خيله عن الصهيل ، لأن من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها ، كما قال القائل :

إِذَا الْخَيْلُ صَاحَتْ صِيَاخَ النَّسُورِ جَزَرْنَا شِرَاسِيْفَهَا بِالْجِذْمِ^(١)

وأحد معني ابن جنى : إن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما يحسبها به من ملاقة الحروب وقطع المفاوز . والمعنى الآخر : إن خيله مؤدبة فتصهل سرا هيئه له ، وقال الخطيب : إنما أراد أن خيله إذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد ، فكأنما هي في سرار وأخذة من قول عنترة :

(١) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن ، والجذم ، جمع جذمة السروط .

بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يَدْمِهَا إِلَّا السَّوَارُ^(١)
 بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقَصٌ وَفِيهَا مِنْ جَلَالَتِهِ أَفْتِخَارُ^(٢)
 لَمْ يَحَقَّ بِشِرْكِكَ فِي نَزَارٍ وَأَذْنِي الشَّرْكِ فِي أَصْلِ جَوَارِ^(٣)
 لَعَلَّ بَيْنَهُمْ لَبْنِيكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرُوحِ الْخَيْلِ الْمَهَارُ^(٤)

وازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتمحّم

(البان : الصدر)

(١) و (٢) اليد : الجارحة المعروفة ، والسوار : الحلية من الذهب أو الفضة ، كالطوق تلبسها المرأة في رندها أو معصمها ، وبنوكب : مبتدأ ، ويد : خبر وما أثرت : أى وتأثيرك . يقول : إن بنى كعب وما أثرت فيهم من الذل والقتل مثلهم مثل اليد التى يدميها السوار ، فإن اليد تتحلّى بالسوار وتفتخر وإن كان يؤلمها ، كذلك بنوكب يفتخرون بك وأنت زين لهم ، وإن أثرت فيهم .

(٣) الشرك : مصدر شركة ، جوزن علمه ، ونزار : جد العرب . يقول : إنهم يشاركونك فى الانتساب إلى نزار ، وأقل ما يقتضيه حق الشركة فى أصل جوار : أى نعام ورعاية حرمه .

(٤) يستعطه عليهم ويحمله على العفو عنهم . يقول : لعل أبنائهم يكونون جندا لأبنائك وعبيدا إذا سلموا ، فإن المهار من الخيل تصوير قرحا : أى أن الصغار تصوير كبارا كما قيل :

وإنما القرم من الأفيل وسحق النخل من الفسيل

« القرم : الفحل من الإبل ، والأفيل : الفصيل ، والفسيل : ما يقطع من صفار النخل ليغرس ، والقرح : جمع قرح ، وهو الذى استكمل سنه بأن بلغ خمس سنين والمهارة جمع مهر ، الصغير من الخيل : هذا : ولناسبة لعل : قال العكبرى : ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لام لعل الأولى أصلية ، وقال البصريون : بل هى زائدة ، وحببتنا أنها حرف ، والحروف فى الحروف كلها أصلية ، لأن حروف الزيادة عشرة - التى يجمعها « هويت السمان » - إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الأفعال فتزاد فيها . وكذلك الأسماء ، وأما الحرف فلا يدخله شئ من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، فدل على أن اللام أصلية ويدل على أنها أصلية أن اللام لا تكاد تزداد فيها يجوز فيه الزيادة إلا شاذا ، فإذا كانت اللام لا تزداد إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم بزيادتها فيها لا تجوز فيه الزيادة ؟ وحجة

وَأَنْتَ أَبرُّ مَنْ لَوْ عَقَّ أَغْنَى وَأَعْنَى مَنْ عُقِبَتْهُ الْبَوَارُ^(١)
وَأَقْدَرُ مَنْ يَهَيِّجُهُ انْتِصَارُ وَأَحْلَمُ مَنْ يُحْلِمُهُ اقْتِدَارُ^(٢)
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذِلَّةِ الْعُبدَانِ عَارُ^(٣)

البصريين أنهم قالوا : وجدناها مستعملة في كلامهم وأشعارهم بغير لام ، قال
نافع الطائي :

ولستُ بِلَوَّامٍ عَلَى الأمرِ بعدما يَفُوتُ ولكن عَلَّ أَنْ أَتَقْدَمَا

(١) أبر : أفعل تفضيل ، من بره إذا أحسن إليه ووصله ، وعق مجهول عق ، يقال
عق والده إذا عصاه ، وهو ضد «بره» وأعنى : تفضيل بن العفو ، والبوار : الهلاك .
يقول : أنت أبر الدين إذا عصوا أفنوا ، وإذا كنت أبرهم لم تن ، وأنت أعنى الدين
يعاقبون بالهلاك ، وإذا كنت أعفاهم لم تهلك : أى أنت أبر الملوك القادرين وأعفاهم ،
وإذا لا تنفى من عصوك ولا تؤذهم .

(٢) يقول : وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار : أى إذا حركك الانتقام من
عدوك قدرت على ما تطلب ، فأنت أقدر المتصرين ، وأنت أحلم من يدعو إلى الحلم
اقتداره على عدوه فصيح وعفا ، وإذا كان الأحلم كان الأعنى والأصيح عن العدو إذا
اقتدر عليه ،

(٣) يقول : لا يلحقهم عار بسطوتك عليهم ، لأنك ربهم - سيدهم - ولا في
تذللهم لك عار ، لأنهم عبيدك . وذلك كما قال النابغة :

وَعَبْرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَتُهُ وَهَلَّ عَلَى بَأْنِ أَخْشَاكَ مِنْ عَارٍ ؟
وكما قال الآخر :

وإن أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلُهُ لَكَالدَّهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ
وقال أبو تمام :

خَصَّصَتْ لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

وقال ارتجالاً يهجو سواراً الديلمى وقد نزلوا منزلاً أصابهم فيه مطر وريح :

بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ وَأَنْضَاءُ أَسْفَارٍ كَشَرَبِ عُقَارِ^(١)
نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَّاحِ بِمَسْجِدِ عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبًا حَصَى وَغُبَارِ^(٢)
خَلِيلِي مَا هَذَا مُنَاحًا لِمَثَلِنَا فَشَدَّا عَلَيْهَا وَأَرْحَلَ بِنَهَارِ^(٣)
وَلَا تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا قَرَى كُلَّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ^(٤)

وقال في صباه وهو بيت مفرد ، وروى قوم أنهما بيتان وهما :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتَغُ الْفَقْرَ قَاعِدًا قَمَّ وَأَطْلَبَ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتَغُ الْعُمَرَ^(٥)
هُمَا خَلَّتْ إِنْ ثَرَوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ لَكَ أَنْ تُبْنَى بِوَاحِدَةٍ ذِكْرًا^(٦)

(١) بقية قوم : خبر مبتدأ محذوف . يقول : نحن بقية قوم آذن - أعلم - بعضهم بعضاً بالبوار - الهلاك - أى علموا أنهم هالكون ، ونحن مهازيل أسفار لأحرار بنا من الجهد والتعب كأننا سكارى ، فأَنْضَاءُ : جمع نضو ، وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والإبل ؛ والشرب : جمع شارب ؛ والدقار : الحمر
(٢) يقول تحمكت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ما سترتنا به .

(٣) الناح : للنزل ، وأصله مبرك الناقة يقول : ليس هذا المكان منزلاً لنا فشدا رحالكم على الإبل وأرحلا قبل هجوم الليل . فالضمير في عليها : للإبل ، وإن لم يتقدم لها ذكر .

(٤) يقول : لا تنكرا شدة هبوب الرياح ، فإنها طعام من بات ضيفاً عند سوار ؛ وهذا سوار اسم رجل نزلوا في المسجد قرب داره فبيت عليهم الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم .

(٥) يتر : يقطع ؛ وقاعداً : حال من المخاطب ؛ وأراد بما يتر القمر : الثروة والغنى . يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعى قم وأطلب ما يقطع العمر : أى الحرب ، يعنى مقاتلة الملوك وأشباه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء .

(٦) هما : ضمير الخلتين ، فسرهما بها ؛ والخلة الحصلة ؛ والثروة : المال الكثير ، وهى بدل تفصيل من خلتان ؛ والمنية : الموت . وإن - هنا - زائدة بعد لعل ، لتأكيد

وقال في صباه في جعفر بن كئيلغ ولم ينشده إلاها :

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ صَمَائِرُهُ وَغَيْضَ الدَّمْعِ فَأَنْهَلَتْ بَوَادِرُهُ ^(١)
وَكَأَنَّمُ الْحُبُّ يَوْمَ الْبَيْنِ مِنْهَتِكَ وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَخْفَى سَرَائِرُهُ ^(٢)
لَوْلَا ظِلَّاءُ عَدَى مَا شَفَعْتُ بِهِمْ وَلَا بَرَبْرَبِهِمْ لَوْلَا جَادِرُهُ ^(٣)

الاستقبال ، كما تزداد في خبر عسى . يقول : هما خصلتان : إما الغنى وما إليه من الرياسة والملك ، وإما الموت ، فافعل لكل أحد هذين يخلد ذكرك .

(١) حاشاء : تجنبه وتوقاه . والضائر : جمع صمير ، وهو ما يضره الإنسان ويغنيه . وغيض الدمع : حبسه ونقصه ، وانهلته : انصبت . وبوادره : سوابقه ومسرعاته . يقول : تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يحبس دموعه عن الجرى فظهر عليه ما يكتمه لأنه لم يقدر على كتمانته وسبقه السمع فوقف الرقيب على سيره .

(٢) تنذر لما في البيت الأول . يقول : إن الذي يكتم حبه كيلا يطلع عليه يغلبه الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سره وينتهك سره ؛ لأنه يحجز ويكي ، فيستدل بحجزه وبكائه على حبه .

(٣) كنى بالظباء عن النساء ، وعدى : قبيلة من قريش . وكنى بالربرب - وهي القطيع من بقر الوحش - عن جماعة النساء مطلقا . وبالجاذز - جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية - عن الشواب منهن . يقول : لولا نساء هذه القبيلة اللاتي هن كالظباء في عيونهن وأعناقهن ماشغفت بالقبية كلها ، ولولا الشواب المليحات منهن ماشغفت بنسائهم جميعاً ، ويروى بدل ماشغفت : ما شقيت . أى لولا نساء هذه القبيلة ما شقيت بالقبيلة : أى أحتاج إلى مجاملتهم واحتمال الذل لأجل نسائهم الحسان ، ولولا الشواب ماشقيت بالكبار في مضايقتهم . وإليك طريقة نحوية للعلامة العكبرى قل : ظباء عدى مرفوعة عندنا بلولا ، وعند البصريين بالابتداء ؛ وجبنا أنها ترفع الاسم لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم ، لأنك تقول : لولا زيد لجئت : أى لو لم يمنعني زيد . إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا « لا » على « لو » فصارا بمنزلة حرف واحد ، كقولهم : أما أنت منطلقا انطلقت معك . وتقديره : إن كنت منطلقا انطلقت معك قال الشاعر :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ ^(١)

تقديره أن كنت ، فحذف الفعل وزاد « ما » عوضاً عن الفعل ، كما كانت الألف في الجاني وضاً عن إحدى ياءى النسب ؛ والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لثلاثي الجمع بين العوض والمعوّض . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون « لولا » أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، و« لولا » غير مختصة بالاسم ، فقد قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكِي إِيَّيْ قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدُوتٌ وَلَا عُذْرِي لِمَحْدُودٍ ^(٢)

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمي الصحابي رضى الله عنه وبعد :

السُّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعُ

وأبا خراشة : منادى : وأبو خراشة : كنية ، واسمه خفاف بن ندية ، وندبة : اسم أمه ؛ وخفاف ، هذا : صحابي ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها ، وكان أسود حالكا وهو ابن عم الحنساء . وانت اسم لكان المحذوفة ؛ وذاتقر : خبرها . وروى هذا البيت : أبا خراشة أما كنت ذاتقر ، وعليها لا شاهد في البيت : وما : زائدة . ونقر الرجل : رهطه . ويقال إن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت ولم تكف بما يكتفي به الذئب ؛ ومن إفسادها وإسرافها استعارت العرب اسمها للسنة المجدبة فقالوا : أكلتنا الضبع وقال ابن الأعرابي : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أن الناس إذا أجذبوا ضعفوا هن الانتصار وسقطت قواهم . فعاثت فيهم الضباع والذئب فأكلتهم . إن قومي ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئب . والسلم : الصلح . والجرع : جمع جرعة وهي ملء الغم يخبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطعتة من لذاته وشغلته بنفسه . وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب ؛ وأراد بأنقاسها : أوائلها .

(٢) من أبيات للجموح - أحد بني ظفر من سليم بن منصور - وقوله :

قَالَتْ أُمَامَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا هَلَّا رَمَيْتَ بِنَفْسِ الْأَسْهَمِ السُّودِ

وبعده :

إِذْهُمْ كَرَجَلِ الدَّبِيِّ لَا دَرَدَرَهُمْ يَغْفِرُونَ كُلَّ طَوَالِ الْمَشْيِ مَمْدُودِ

مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِي أَنْيَابِهِ شَنْبٌ خُرٌّ يُخَامِرُهَا مَسْكٌ تُخَامِرُهُ^(١)
نُجْجٌ يُخَامِرُهُ دُعْجٌ نَوَاطِرُهُ خُرٌّ غَفَائِرُهُ سَوْدٌ غَدَائِرُهُ^(٢)
أَعَارَنِي سَقَمَ عَيْنِيهِ وَحَلَنِي مِنَ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَازِرُهُ^(٣)

(١) الحور : شدة بياض العين في شدة سوادها ، والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ، وسئل ذو الرمة عن الشنب ، فأخذ حبة رمان فقال : هذا هو الشنب ، أشار إلى صفائها ورقة مائها . وذهب الواحدى في إعراب خمر : إلى أنها مبتدأ ؛ ومسك : فاعل يخامرها ؛ والجملة : صفة لخر ؛ وتخامره : ضمير الفاعل فيه للخر ؛ وضمير المفعول : للشنب . والجملة ، خبر خمر ، وجملة ، خمر ، وما يلها - إلى آخر البيت - صفة لشنب يقول : بلائى أو شقائى من كل أحور في أنيابه شنب تخالطه خمر تخالطها مسك . وقال بعض النحويين : قوله من كل : « من » متعلقة بمحذوف ، حال من جازره

(٢) نجج : جمع أنجج ، والنجج : البياض . والمخامر : جمع المخمر ، وهو ما دار بالعين ، جعلها بياضاً للوانهن ، والدعج : السواد ، والنواطر : الأحداق ، والغفائر جمع الغفارة ، وهى خرقة تكون على الرأس تقي بها المرأة الخمار من الدهن ، وقد تكون اسماً للخمار . جعلها خمرأ لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك ، وإن جعلنا الغفائر الخمر فإنما جعلها خمر لأنهن شواب ، كما قال :

* خُرٌّ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ *

والندائر : الضفائر من الشعر .

(٣) يريد بسقم عينيه : الفتور ، وهو مما توصف به الحسان ، كما قال ابن المعتز :

ضَعِيفَةٌ أَجْفَانُهُ وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَجَرٌ

فَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجَيْدِ
وكان من خبر الجموح هذا أنه بيت بن لحيان وبنى سهم بوادي قال ذات البشام
وكان الجموح قد جمع جمعاً من بنى سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر
فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت وكان في كنانة الجموح نبل معلقة بسواد حلف
ليرمين بها كلها قبل رجعه في عدوه ، فقتل أبو بشر ، وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان
تلك الليلة وأعجز الجموح ، فقالت امرأته - واسمها أمانة - وهى تلومه : هلا رميت
تلك النبل التى كنت آليت لترمين بها ؟ وحددت - بالباء للمفعول - أى حرمت ومنعت
والمعذرى : اسم بمعنى المعذرة . يقول : قد رميت واجتهدت في قتالهم - ولكنى حرمت
النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم ؛ والرجل : القطعة من الجراد ؛ والدبى : أصفر
الجراد ؛ والطوال ؛ الطويل .

يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي نَفْسِي قَدْ بَنَى وَمَنْ فُوَّادِي عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ^(١)
بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الْفَرَاءِ ثَانِيَةً سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلُ سَاهِرُهُ^(٢)

كأَنَّمَا الْحَاظُهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعْتَذِرُ

وهو كثير . والمآزر : جمع المزر ، وهو الإزار ، وما تحويه المآزر : الكفل .
يقول : أمرضني كمرض جفونه ، وأتقني بالهوى كقتل أردافه . وهذا كقول منصور
ابن الفرج :

حَلَّ فِي جِسْمِي مَا كَانَ بِعَيْنَيْكَ مُقِيمًا

ومثله للبحري :

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَاطِرِكَ مِنَ السَّخَمِ

وقال السري الرفاء :

وَنَوَاطِرُ وَجَدِ الْحَبِّ فُتُورَهَا لَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَى - فِي أَعْضَائِهِ

ويسمى قول المكبرى : وذكر الكفل في الشعر وغيره ليس بجيد ، وإن كان
قد ذكره قوم من العرب .

(١) المضافرة : المعاونة . يقول : إن فؤاده يعين الحبيب على قتله حيث لا يسلم مع
ما يروى من كثرة الجفاء ، وهذا كما يقال : قلب العاشق عون عليه مع حبيبه : ويقول العباس
ابن الأحنف :

كَيْفَ احْتَرَمْتَنِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

(٢) هذا مخلص . يقول : لما عادت دولة الممدوح - وكان قد عزل ثم ولي ثانيا
ذهب حبك من قلبي ونمت الليل بعد أن كنت أسهره . قال العكبري : وهذا نقص ،
لأن الحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يسلمه أحسن إليه أم أساء ، لقد أحسن
البحري بقوله :

أَحَبُّ عَلَى أَيِّمَا حَالَةً إِسَاءَةٌ لِيلى وَإِحْسَانُهَا .

والحب الصادق كلما عنت له خطرة من السلورده الحب الصادق عما كان عزم .
ولقد أحسن البحري أيضا بقوله :

أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فُوَّادِي لَوْعَةٌ وَأَصْدَعْنِكَ وَوَجْهٌ وَدُيْ مُقْبِلٌ

وَإِذَا طَلَبْتَ وَصَالَ غَيْرَكَ رَدْنِي وَلَهُ إِلَيْكَ وَشَافِعَ لَكَ أَوَّلُ

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَانَ أَوَّلَ يَوْمِ الْحُشْرِ آخِرُهُ ^(١)
 غَابَ الْأَمِيرُ فَغَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدٍ كَادَتْ لِفَقْدِ أُمِّهِ تَبْكِي مَنَابِرُهُ ^(٢)
 قَدْ أَشْتَكْتُ وَخَشَةَ الْأَحْيَاءِ أَرْبُمُهُ
 وَخَبَّرْتُ عَنْ أَسَى الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ ^(٣)
 حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِيَابُ لَهُ أَهْلٌ لِلَّهِ بِأَدْبِهِ وَحَاصِرُهُ ^(٤)
 وَجَدَدْتُ فَرَحًا لَا الْقَمَمُ يَطْرُدُهُ وَلَا الصَّبَابَةُ فِي قَلْبٍ تَجَاوِرُهُ ^(٥)
 إِذَا خَلْتُ مِنْكَ خَمَصٌ لَا خَلْتُ أَبَدًا
 فَلَا سَقَاها مِنْ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ ^(٦)

(١) يقول : من بعد ما كنت أفاشى من الحزن ما يسهرنى فيطول على الليل حتى كأنه متصل بيوم الحشر . وهذه مبالغة في وصف الليل بالطول

(٢) هذا من قول أشجع السلمي :

فَمَا وَجْهُ يَحْيَى وَحَدَهُ غَابَ عَنْهُمْ وَلَكِنْ يَحْيَى غَابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعًا
 ويقول الآخر :

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا أَبْكِي الْمَنَابِرَ فَقَدْ فَارِسِيهِنَّ

(٣) الضمير في أربعة ومقابره : للبلد ؛ والوحشة . الاكتاب يحده الإنسان عند اعتزاله الناس ؛ والرابع : المنزل ؛ والأسى : الحزن . يقول : لما غاب الأمير عن البلد حزن لفيفته الأحياء حتى أحست بذلك دورهم ومنازلهم ، وكذلك الموتى حزنوا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم .

(٤) المراد بالقياب - جمع قبة - تلك التي تتخذ للزينة والشار ؛ وعقدت : ضربت وأهل لله : أى رفع أهل البادية وأهل الحضر أصواتهم بالدعاء سرورا بعودته .

(٥) يقول : إن عودة دولته جددت فرحا لا يغلبه الغم ولا يجاوزه الشوق في قلب : أى لامتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه موضع للعشق .

(٦) حمص . بلد المدوح . وقوله لا خلت أبدا ، جملة دعائية معترضة جميلة .

يقول : إذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر - أى لا أنبت - ولا سقاها بأكبر الوسمى . والوسمى : أول مطر الحريف ، سمى كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرًا في أول السنة . والولى : ثانية . وباكره أوله ، ومنه باكرة الثمار .

دَخَلَتْهَا وَشَعَاعُ الشَّمْسِ مُتَعِدَّةٌ وَنُورُ وَجْهِكَ بَيْنَ انْخِلَاقِ بَاهِرُهُ (١)
 فِي قَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفَتْ بِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ (٢)
 تَمْضِي اللَّوَاكِبُ وَالْأَبْصَارُ شَاخِصَةً مِنْهَا إِلَى الْمَلِكِ الْيَمُومِ طَائِرُهُ (٣)
 قَدْ حِرْنٌ فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمِي أَظْفَرُهُ (٤)
 حُلُوْ خَلَاتِقُهُ شَوْشِ حَقَائِقُهُ تُخْصِي الْخَصَى قَبْلَ أَنْ تُخْصِيَ مَا بَرَهُ (٥)
 تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحِبَتْ

كَصَدْرِهِ لَمْ تَبْنِ فِيهَا عَسَاكِرُهُ (٦)
 إِذَا تَغَلَّلَ فِكْرُ الْمَرءِ فِي طَرَفٍ مِنْ تَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ (٧)

(١) باهره : غالبة ؛ والضمير فيه : للشعاع . يقول : دخلت حمص وقت إشراق الشمس وشعاعها - ضياؤها - يتوقد ، ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس
 (٢) القيلق : العسكر ، وجمله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها .
 يقول : لو حاربت بـسـكرك هذا الزمان ما دارت على الناس دوائره وهي حركاته وصروفه التي تدور على الناس وتأتي حالا بعد حال .

(٣) المبراد بالطائر : الفأل ؛ والعرب يتفاءلون في الخير والشر بالطيور ، فيسمون الفأل : الطائر ، واليـمـون : المبارك . يقول : العيون شاخصة إلى الملك لا تنظر إلى غيره .
 (٤) حرن : أي الأبصار ، وأراد بالبشر : المدوح ؛ وبالقمر : وجهه ؛ وجعله أسدا في درعه لشجاعته ، وتدمي أظفاره : أي تـتـلـطـطـع لكثرة ما يفتـرس من الأعداء
 (٥) الخلائق : جمع خليفة ، وهي الخلق ؛ والشوش : جمع الأشوس ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه نظر التكبر ؛ والحقيقة : ما يحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد . يقال : فلان حامى الحقيقة . قول : إن أخلاقه حلوة معسولة وحقائقه محبة ممنوعة لا يقدر أن ينال منها أحد ، فهي ممتعة امتناع التكبر ، وهو كثير المآثر حتى لا تكاد تحصى .

(٦) هذا من قول أبي تمام :

وَرُحْبَ صَدْرِ لَوَانَ الْأَرْضِ وَاسِعَةٌ

كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِيقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ

(٧) تغلغل في الشيء : دخل فيه وأمعن يكون في الجواهر والأعراض . يقول :
 إن أدنى مجده يستغرق الفكر والحواطر لمن أراد أن يصفه .

نَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَانَهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ (١)
 إِذَا أُنْتَضَاهَا لِلْحَرْبِ لَمْ تَدْعُ جَسَدًا إِلَّا وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ (٢)
 فَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ وَقَدْ وَثِقَنَ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ (٣)
 تَرَ كُنَّ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَثَقَلَبَةٍ عَلَى رُءُوسِ بِلَاسِ مَغَافِرُهُ (٤)
 فَخَاضَ بِالسَّيْفِ بَحْرَ الْمَوْتِ خَلْفَهُمْ وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَمْبَيْنِ زَاخِرُهُ (٥)

(١) حمى الشيء يحمى : اشتد حره ؛ والمشاير : الأهل الأقارب . يقول : إذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه ، حتى لكانها أقالبه الأدنون الذين يفضون لغضبه ؛ وهذا من قول أبي تمام :

كَأَنَّهَا وَهِيَ فِي الْأَوْدَاجِ وَالْفِئَةِ وَفِي الْكَلَى تَجِدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ
 ويقول البحتري :

وَمُصَلَّتَاتٌ كَانَ حِقْدًا بِهَا عَلَى الْمَامِ وَالرَّقَابِ

(٢) يقول : إذا استل سيوفه من أعماقها ليحارب بها لم تترك جسداً إلا قطعته إرباً حتى تبدو بواطنه للعين كما تبدو ظواهره .

(٣) أى لكثرة ما رأت ذلك واعتادته . يعنى أنها لو كانت ممن يعلم : لعلت . وهذا ينظر إلى قول النابغة الدياني :

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
 (يصف النابغة عصائب الطير التي تتبع الجيش) .

(٤) الهام : جمع هامة وهى أعلى الرأس ومستقر الدماغ : وهامة القوم : سيدهم على الملأ ، وقد يراد هنا . وعوف وثعلبة : قبيلتان ؛ وللغافر : جمع مغفر ، وهو ما يغفر الرأس . أى يغطيه من الحديد ؛ والضمير فى مغفرة : للهام . وعلى رؤوس : خبر مقدم . ومغفرة مبتدأ مؤخر . والجملة : حال ، أو مفعول ثانٍ لتركن . يقول : إن سيوفه فرقت بين رؤوس هؤلاء القوم — وكان قد أوقع بهم — وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رؤوس بلا أبدان قال ابن جني : وذلك لأنه لما قتلهم جاءوا برءوسهم وعليها للغافر .

(٥) زخر البحر : طلى موجه وعلا . قال ابن جني : أى ركب معهم أمر عظيماً

حَتَّى أَتَهَى الْفَرَسُ الْجَارَى وَمَا وَقَعَتْ
 فِي الْأَرْضِ مِنْ جُثِّ الْقَتْلِ حَوَافِرُهُ^(١)
 كَمْ مِنْ دَمٍ رَوَيْتَ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ وَمُهْجَتُهُ وَأَمَتْ فِيهَا بَوَاطِرُهُ^(٢)
 وَحَائِنَ لَعَبْتِ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ^(٣)
 مَنْ قَالَ لَسْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَجَنَّهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَازِرُهُ
 أَوْ شَكَ أَنَّكَ فَرَدٌّ فِي زَمَانِهِمْ بِلَا نَظِيرٍ فِي رُوحِي أَخَاطِرُهُ^(٤)
 يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أَوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ^(٥)
 وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ جُوداً وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ
 لَا يَجْهَرُ النَّاسُ عَظَمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ
 وَلَا يَهْبِضُونَ عَظَمًا أَنْتَ جَابِرُهُ^(٦)

عليهم صغيراً عليه ، فيكون بحر الموت مثلاً للأمر العظيم وقرب غوره له مثل لصغره في نظره . وقال الواحدى : بحر الموت : الحرب والمعركة لكثرة ما فيها من الدماء ، يقول خاض ذلك البحر خلف هؤلاء ، إلا أنه لم يفرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبه .

(١) يقول : حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة القتلى ، وإنما وطئ أجسادهم . ويروى بدل جث : جيف .

(٢) الأسنة : الرماح ، والمهجة : دم القلب . وأصل الولوغ : شرب السباع الماء بالستها ، والبواتر : السيوف القواطع .

(٣) يقول : وكمن حائن - هالك - لعبت رماحك به - أى نالت منه وقتلته - فجهرت الحياة وفارقت ، وزاره النسر ليأكل لحمه .

(٤) أخاطره : أراهنه . يقال : خاطر فلان فلانا على كذا : أى راهنه عليه . ويكون عادة فى السباق وفى رمى النبل وإنما قال هذا لثقتة بكونه فرداً .

(٥) ألوذ : أعود وألجأ . ومثله لا بن الرومى :

ولا المائد اللأجى إليه بخائف ولا الرائد الراجى نداه بخائب

(٦) الجبر : إصلاح الكسر ؛ والهيف : الكسر بعد الجبر ، يقال : هضت العظم فهو

(١٥ - المتن ٢)

وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحرى المنبجى :
 أَرَيْقُكَ أُمُّ مَاءِ الْغَمَامَةِ أُمُّ خَمْرٍ بِنَى بَرُودٍ وَهُوَ فِي كَيْدِي جَمْرٌ^(١)
 أَذَا الْفُضْنُ أُمُّ ذَا الدَّغْصِ أُمُّ أَنْتِ فِتْنَةٌ
 وَذِيَا الَّذِي قَبْلَتْهُ الْبَرْقُ أُمُّ ثَغْرٍ^(٢)
 رَأَتْ وَجَهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَازِلِي
 فَقُلْنَ نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ^(٣)

ميهض : وانهاض : إذا انكسر بعد الجبر . يقول : إنهم لا يقدرُونَ على خلافك في حال
 من الأحوال . « هذا » و يروى بعد هذا البيت قال الواحدى : إنه منحول وهو :
 أَرَحِمُ شَبَابٍ فَتَى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ يَدُ الْبَلَى وَذَوَى فِي السَّجْنِ نَاضِرُهُ
 (أودى به : أهلكه . والجدّة : مصدر الجديد . وذوى : ذبل)
 (١) يقول : لست أدري : أريق ماذقته من فلك ، أم هو ماء سحاب ، أم خمر ،
 وهو بارد في فمى ، حار في كبدى . لأنه يحرك الحب ويذكي جمر الهوى ؟
 (٢) ذا : بمعنى هذا . والهمزة : للاستفهام . وعنى بالنصن : قوامها ، وبالدهص -
 وهو كشيء الرمل - ردفها ، ثم قال : أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك
 غصنا وردفك كثيباً ؟ كما قال أبو نواس :

قَرَرْتُ لَوْلَا مَلَاَحَتُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

و« ذيا » : تصغير ذا . والتصغير ههنا مغزاه أن ثغرها محبوب عنده قريب من قلبه ،
 أو إرادة صغر أسنانها . وثغرها البرق لضوئه ونقاته .

(٣) يقول : تعجب عواذلى من رؤية الشمس في الليل والفجر لم يطلع لأنهن حسين
 وجهها شمساً ، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه حبا كان
 ذلك أدل على حسنها . والله أبو تمام إذ يقول :

لَحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَفَى وَقَعُ
 فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
 نَضَا ضَوْوُهَا مِنْ بَيْتِ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى لَبْجَتِهَا ثَوْبُ الظُّلَامِ الْجَزَعُ
 فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى أَأَخْلَامَ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يَوْشَعُ

رَأَيْنَ الَّتِي لِلْسُّخْرِ فِي لَحَظَاتِهَا سَيْوْفٌ ظُلُمًا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرٌ^(١)
تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِي حَرِّ كَاتِبِهَا
فَلَيْسَ لِرَأَاهُ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُدْ نَذْرٌ^(٢)
إِلَيْكَ ابْنُ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ
بِئِ الْبَيْدِ عَيْسٌ لَحْمُهَا وَالْدَّمُ الشُّفْرُ^(٣)
نَضَحْتُ بِذِكْرَاكُمْ حَرَارَةَ قَلْبِهَا
فَسَارَتْ وَطُولُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرٌ^(٤)

(١) الظبي : أطراف السيوف ، جمع ظبة : قال بشامة بن حزن النهشلي :
إِذَا السَّكَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلَنَاهَا بِأَيْدِينَا
وأصل الظبة : ظبو، بوزن جرد ، غذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع ظبات ،
وظبون وظبون قال كعب بن مالك :

تَعَاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كَثُوسَ الْمَنَالِ بِحَدِّ الظُّبِينَا
لما جعل سحر عيناها قاتلا استعار له سيوفاً ثم جعلها حمر الظبي من دمه لأنها تقتله .
(٢) يقول : إنها كيفما تحركت فالحسن ساكن في حركاتها قد بلغ الغاية في ذلك ،
فن رآها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتى عليه فليس له عذر ، لأن مثل
هذا الحسن قاتل .

(٣) البید : الصحارى ، والعيس : الإبل ؛ ويروى عيس ؛ والعنس . الناقة الصلبة
قال الليث : تسمى عنسا إذا تمت سننها واشتدت قوتها ووفر عظامها وأعضاؤها ، وقيل
هو التي اعنوس ذنبها أى وفر وكثر . قال العجاج :

* كَمْ قَدْ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاقَةِ عَنَسٍ

وقوله : لحها والدَم الشعر . يقول : كنت أحدها بشعرى الذى مدحتكم به فتقوى
على السير : أى أن شعرى قام لها مقام اللحم والدَم في تقويتها على السير ؛ والعرب تزعم
أن الإبل إذا سمعت الغناء والحدا نشطت للسير . وروى الخوارزمي ، الشعر - بفتح
الشين - يعنى أنها هزلت حتى لم يبق منها غير الشعر أو الوبر . والأولى أجود ؛ يوافقها
البيت التالى ، ولأنه لا شعر للإبل وإنما لها الوبر .

(٤) نضح الشيء بالماء : رشه عليه ، ويقال : نضح الماء العطش ينضحه : رشه فذهب .

إِلَى لَيْثٍ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفَهُ وَبَحْرٍ نَدَى فِي مَوْجِهِ يَفْرِقُ الْبَحْرُ^(١)
وَإِنْ كَانَ يُبْقِي جُودَهُ مِنْ تَلِيدِهِ شَيْبًا بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الْمَجْرُ^(٢)
فَتَى كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ رِمَاحُ الْمَعَالِي لَا الرُّدَيْنِيَّةُ الشُّمْرُ^(٣)
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ فَنَائِلُهَا قَطْرُهُ وَنَائِلُهُ غَمْرُ^(٤)
وَلَوْ تَنَزَّلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ لَا ضَبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزَرُ^(٥)

به ؛ أو كاد يذهب به . والنضيج : الحوض . لأنه ينضح عطش الإبل : أى يبله ؛ يقول بردت بذكراكم وبشعري الذى قتله فيكم حرارة قلب هذه الناقة - يعنى غلة عطشها - فأسرعت واستقرت البعيد لنشاطها على هذه الذكرى وهذا المديح .

(١) يلحم الليث سيفه : أى يمكن السيف من لحم الليث ؛ من قولهم : ألحمت الرجل إذا قتلته فهو ملحم ولحم : أو تقول : يلحم الليث سيفه ، أى يجعل الليث طعمه له . يعنى أن المدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف ، وهو بحر جود يفرق فى موجه بحر الماء لأنه أعظم منه .

(٢) التليد : المال المورث من الآباء يقول : سارت ناقتى إليه وقصدته وإن لم أكن واتقا بإبقاء نواله شيئا من ماله ، يعنى أن جوده لا يبقى من ماله إلا المقدار اليسير الذى لا مطعم فيه لكثرة عطائه كما لا يبقى المهجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام .

(٣) احتوى الشيء واحتوى عليه : أخذه وحازه ؛ والردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . يقول : إن المعالي تغزو أموال المدوح كل يوم فتحوزها ، يعنى أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء ، فلما له عرضه لرماح المعالي تستولى عليه لا الرماح الحقيقية ، لأن أعداءه ليس فى مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر لأنه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه وينصبه ماله .

(٤) نائلها : أى السحاب ، والنائل : العطاء ؛ والقطر : المطر ؛ والمراد هنا : قليل والغمر فى الأصل : معظم البحر ، والمراد هنا : كثير .

(٥) النزر : القليل . يقول : لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها . وكان ذلك قليلا عند عطاياه ، لأن جوده يقتضى أكثر من ذلك ، أو تقول : لفرقها كلها فأصبح أكثر ما فيها شيئا يسيرا بالنسبة إلى جوده كما قال :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا *

أَرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَهَا عَظَمُ قَدْرِهِ فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ^(١)
 مَسْتَقَى مَا يُشِيرُ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ تَحْوَرُّ لَهُ الشَّعْرَى وَيَنْخَسِفُ الْبَدْرُ^(٢)
 تَرَى الْقَمَرَ الْأَرْضِيَّ وَالْمَلِكَ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ^(٣)
 كَثِيرُ سُهَادٍ أَلْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ يُورِّقُهُ فِيمَا يُشْرِفُهُ الْفَكْرُ^(٤)
 لَهُ مِنْ تَفْنِي الثَّنَاءِ كَمَا تَمَّا بِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا يُودِّي لَهَا شُكْرُ^(٥)

(١) يقول : أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيرا ، وليس لشيء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر ، لأن خطره يرى على كل شيء . بقوله : أراه ، فعل ماض ، فاعله عظم قدره ، والهاء من أراه : مفعول أول ، وصغيرا : مفعول ثالث مقدم ، وقدرها : مفعول ثان . وقوله : لعظيم ، خبر مقدم عن قوله : قدر - في آخر البيت - وقدره : فاعل عظيم .

(٢) المراد بالشعري : الشعري العبور ، لإضاءتها ، وقد عبدتها العرب في الجاهلية قال تعالى : « وأنه هو رب الشعري » . يقول : إن وجهه أتم نورا وإضاءة من الشعري والبدر ، فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعري حياء منه وخجلا وانخسف البدر لغلبة ضوء وجهه البدر . وقوله : تحر ، أى تسقط ، وهو جواب الشرط ، وهو من الضاعف . قال العكبري : وفتح قوم ورفعه آخرون ، فأما إذا كان معه ضمير فالرفع عند سيوفه لا غير ، نحو لم يرد ، وما أشبهه . وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ، « لا يضركم » برفع الراء ، وهو جواب الشرط .

(٣) تر - بغير ياء - بدل من جواب الشرط - في البيت السابق - ومن رواه بالياء جعله استثناء للمخاطب ، يقول : ترى الشعري برؤيته القمر الأرضي ، أو ترى أنت أيها الرائي برؤيته القمر الأرضي ، وكذلك ترى الملك الذى له الملك بعد الله الخ .

(٤) السهاد : السهر ، ولا يستعمل إلا في السهر لشدة ، والفكر فاعل يؤرقه . يقول : هو يسهر من غير علة توجب السهر ولكنه يفكر في كل ما يزيده شرفا إلى شرفه ، فسهاده لأجل ذلك .

(١) يقول : إن منته على الناس بإحسانه وإنعامه تستغرق الثناء وترى عليه حق لكانها أقسمت بحق المدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها ، والقسم به عظيم لا يجري فيه حش ، ومن ثم كانت منته زائدة على ثناء الثنيتين وشكر الشاكرين . والثن : جمع منة : ولذلك معنيان : أحدهما إحسان المحسن غير معتد بالإحسان ، يقال لحقت فلانا من

أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِهِ
وَمَا لِأَمْرِيءٍ لَمْ يُنْسِ مِنْ بَحْتٍ فَخْرٌ^(١)
هُمْ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ يُفْتَى بِهِمْ حَضَرٌ وَيَحْذُو بِهِمْ سَفَرٌ^(٢)
بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْشَالَ أَمْ مَنْ أَقْبِسُهُ
إِلَيْكَ وَأَفْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالْدَّهْرُ^(٣)

فلان منة : أى ، نعمة . والثاني : أن يعظم المحسن إحسانه ويفخر به ويبدى فيه ويعيد
حق يفسده وينغصه ، والمراد هنا الأول .

(١) بحت : قبيلة المدوح يقول : إنما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله ، وليس
لمن لم ينم إلى قبيلتك فخر ، فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك .

(٢) الحضر : الحاضرون في البلاد ؛ جمع حاضر . والسفر : المسافرون . ولا يقال

في المفرد : سافر . يقول : هم الناس في الحقيقة ، إلا أن الله سبحانه خلقهم من طينة
المسكارم ، لكثرة ما ركب فيهم من الكرم - ضد اللؤم - فالحاضرون يغنون بمدائحهم وبما
قيل فيهم من الأشعار ، وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك : أى اشترك المقيم والمسافر
في ذلك . فقوله من مكارم : من فيه لبيان الجنس : أى أنها مخلوقون من طينة المسكارم :

(٣) يقول : ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقاس بينه وبينك وأوازن ،

لأنك أجل وأعلى من أهل الدهر ، ومن الدهر ، الذى يتصرف على مرادك والذى
تحدث أنت فيه النعيم والبؤس . وعبرة الواحدى : ضرب المثل إنما يكون لشبه عين
بعين أو وصف بوصف ، فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شيء لم يمكن ضرب المثل
بشيء في مدحه . وهذا معنى قوله : أم من أقيسه إليك ؟ ووصل القياس إلى : لأن
فيه معنى الضم والجمع .

وقال برثى محمد بن إسحاق التنوخي :
 إِنِّي لَا أَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرُ أَنْ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتَ غُرُورُ^(١)
 وَرَأَيْتُ كُلًّا مَا يُعَلِّلُ نَفْسَهُ بِتَعَلُّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ^(٢)
 أَمْجَاوَرَ الدِّيمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ^(٣)

(١) الليب : العاقل . وهو مبتدأ ؛ خبره : خير ، والجملة اعتراضية ؛ وأن وما يتصل بها : صلة أعلم . والواو من « وإن حرصت » للحال ؛ والجملة بعدها معترضة ؛ وإن : وصلة محذوفة الجواب دل عليه ما قبله ، وغرور : خبر أن ، يجوز فيه ضم الغين على المصدر ، وفتحها على الصفة . قال الواحدى : قوله : والليب خير ، إشارة إلى أنه هو ليب ، لذلك علم أن الحياة - وإن حرص عليها الإنسان - غرور يغتر بها الإنسان يظن أنه يبقى وتطول حياته ، كما قال البحرى :

وَلَيْسَ الْأَمَانُ فِي الْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ بِهِ عَادَةٌ إِلَّا أَحَادِيثُ بِاطِلِ
 ومثله لابن الرومي :

وَمَنْ يَرْجُو مُسَالَّةَ اللَّيَالِي لَمْ يَرُورْ يُعَلِّلُ بِالْأَمَانِي

(٢) ما : زائدة للتوكيد ، كقوله تعالى « فَمَا تَقْضِيهِمْ مِثْقَلُمْ ذَرَّةً » وعلمه بالشئ : لهاه به وشغله ومناه ؛ ويصير : ينتهى ، وهو مضارع صار التامة يقول : رأيت كل أحد يعلل نفسه بشئ يلهمها به عن ترقب الموت ، وهو لا محالة صائر إلى الفناء .

(٣) الديماس : السرب المظلم ، أو حفرة مظلمة لا ينفذ إليها الضوء ومنه ليل دامس أى مظلم ، ودمست الشئ : دفتته ؛ وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته ؛ وفي حديث المسيح عليه السلام : أنه سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس . يعنى فى نضرتة وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن ، لأنه قال فى وصفه كأن رأسه يقطر ماء . وهو بكسر الدال : يجمع على دماميس كقيراطو وقراريط ، وبتفتح الدال : يجمع على دياميس ، مثل شيطان وشياطين ؛ وأراد بالديماس هنا : القبر . والقرار : كل موضع يستقر فيه شئ ، والمراد القبر أيضاً ، وجعل الميت رهناً للقبر لإقامته هناك إلى يوم البعث ، فكان القبر استرهنه ، ثم قال : إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه . وقوله : رهْن قَرَارَةٍ ، نصب على الحال . وقال ابن جني : ويصح أن يكون بدلاً مما قبله ، فيكون منادى مضافاً .

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَلَّ دَفْنِكَ فِي التَّرْبَى

أَنَّ الْكَوَاكِبَ فِي التُّرَابِ تَفُورُ^(١)
مَا كُنْتُ أَمَلُ قَبْلَ نَفْسِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرُّجَالِ تَسِيرُ^(٢)
خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكِ خَلْفَهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ ذَلِكَ الطُّورِ^(٣)
وَالشَّمْسُ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ^(٤)

(١) تفور : تذهب وتختفي . يقول : ما كنت أظن قبل موتك أن النجوم تختفي في التراب حتى رأيتك وأنت أضوأ من الكواكب قد غبت في التراب . وفي هذا البيت نظر إلى قول الآخر :

ما كنت أحسب والمنية كاسمها أن المنية في الكواكب تطمع
هذا : ويقال : أحسب وأحسب - بكسر السين ، وفتحها - في المضارع . ولا خلاف في كسرها في الماضي .

(٢) النعش : ما يحمل عليه الميت ؛ ورضوى : اسم جبل بالمدينة . شبه الرثى به لعظمه وغمامة شأنه ، وهذا من قول ابن المعتز :

هذا أبو القاسم في نَفْسِهِ قوموا انظروا كيف تسير الجبال
ولا بن الرومي :

من لم يعاين سيرَ نعش محمد لم يذر كيف تسير الأجبال

(٣) الصعقات : جمع صقعة ، وهي انفضية ؛ ودك : هدم وسوى بالأرض ؛ وأصل الدك : الكسر والدق ، وأرض دك ، والجمع دكوك ؛ قال تعالى : « جعله دكا » ويحتمل أن يكون مصدرا ، لأنه حين قال جعله كأنه قال دكه فقال دكا وأراد جعله ذا دك . فحذف وقد قرئ بالمد : أى جعله أرضا دكاء فحذف لأن الجبل مذكر ، ومن هذا : دك الركبة إذا دفنها وطمها ، ودك الرجل - على صيغة ما لم يسم فاعله - فهو مدكوك إذا دكته الحمى وأضعفته . والطور : الجبل ؛ والمراد به : طور سيناء . وقوله : يوم دك الطور ، إشارة إلى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

(٤) كبد السماء : وسطها ؛ وواجفة : مضطربة ، وتمور : تذهب وتجيء . يقول : إن ضوء الشمس ضعف بموته ، فكأنها مريضة ، واضطربت الأرض فهي تذهب وتجيء . وهذا كله تعظيم لوت الرثى . وأصل هذا المعنى قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز :

وَحَنِيفٌ أُنْجِحَهُ اللَّائِكُ حَوْلَهُ وَعُيُونُ أَهْلِ اللَّادِئِيَّةِ صُورٌ^(١)
 حَتَّى أَتَوْا جَدَّتَنَا كَأَنَّ ضَرْبَهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ تَخْفُورٌ^(٢)
 بِمَزُودٍ كَفَنَ الْبَيْتِ مِنْ مُلْكِهِ مُنْفٍ وَإِمْدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ^(٣)

الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةً تبكى عليك نجوم الليل والقمر^(١)
 ويقول ابن الرومي :

عَجِبْتُ لِلْأَرْضِ لَمْ تَرْجُفْ جَوَانِبُهَا وَلِلْجِبَالِ الرُّوَاسِي كَيْفَ لَمْ تَمِدْ
 عَجِبْتُ لِلشَّمْسِ لَمْ تَكْسِفْ لِمَهْلِكِهِ وَهُوَ الضُّيَاءُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَقْدِ
 (١) الحفيف : صوت أجنحه الطير إذا حركتها ، والملائك : الملائكة ، جمع ملك
 على غير قياس - وصور : جمع أصور ، وهو المائل ، ومنه قول الشاعر :

اللَّهُ يَنْفَلِمُ أَنَا فِي تَلَقُّتِنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى أَحِبَابِنَا صُورٌ
 واللاذقية : بلد الرقي . يقول : أحاطت بنصته ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم
 حفيف ، وعيون أهل بلده مائلة إلى نصته لا يصرفون عيونهم عنه شوقاً إليه وحزناً
 عليه لشدة حبه إياه ، أو لأنهم - كما قال بعض الشراح - يسمعون حس الملائكة
 فيميلون إلى ذلك الحس الذي يسمعون . قال المكبري : وقوله : اللاذقية وصور - وهما
 بلدان - فيه تورية :

(٢) الجدث : القبر ؛ والضريح : الشق في وسط القبر . والحد في جانبه . وقوله
 حتى : غاية لخرجوا - في البيت الأسبق - تقديره : خرجوا به حتى أتوا القبر . وهذا
 من قول ابن الزيات :

يقول لي الخللانُ لو زرتَ قبرها فقلت وهل غيرُ الفؤاد لها قبرٌ ؟

(٣) بمزود : متعلق أتوا - في البيت السابق - والنفى : النائم ، وأغنى إغفاء :
 فهو مغف ؛ والإمد : الكحل الأسود ؟ وملكه : تفرؤها بضم اليم وبكسرهما -
 روايتان - يقول : لم يزود من ملكه إلا كفنا يلى ، وقد جعل الكافور - الذي يذر

(٤) يقول : إن الشمس طالعة تبكى عليك ، ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر
 لأنها في طلوعها خاشعة باكية لا نور لها : وقد تقدم الكلام على هذا البيت بأوفى
 من ذلك .

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالْتَقَى وَالْبَاسُ أَجْمَعُ وَالْحَجَى وَالْخَيْرُ^(١)
كَفَلَ الثَّنَاءَ لَهُ بِرِدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ^(٢)
وَكَاثِمًا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصَهُ الْمَقْبُورُ^(٣)

على وجه الميت - في موضع الكحل . وعبارة الواحدى : لم يزود من ملكه إلا كفنا
يلى ، وهو مغف كالتأم لإطباق جفنه ، وقد كحل بكافور - لا يأخذ - والإيمد : كحل
الحى ؛ والكافور : للميت .

(١) فيه : أى فى الكفن ، وأجمع تأكيد للناس . والحجى : العقل . والخير .
الكرم . وهذا من قول عبد الصمد بن العذل

فَضْلٌ وَحَزْمٌ وَجُودٌ ضَمُّهُ جَدَثٌ وَمَكْرَمَاتٌ طَوَاهَا التَّرْبُ وَالطَّرْ
(٢) يقول . إن ثناء الناس عليه وذكركم إياه بعده كفيل برد حياته ، لأن من بقى
ذكره كأنه لم يموت ، وهذا من قول منصور التمرى :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ
ويقول أبو تمام :

سَلَفُوا يَرُونَ الذِّكْرَ عَيْشًا ثَانِيًا وَمَضَوْا يُمَدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودًا
ويقال : أنشر الله الميت ونشره ؛ قال المكبرى : ولما قال : انطوى وذكر الطى ، قال
منشور : وهو أضعف اللقبين .

(٣) يقول : ذكره أبدا يحيه كما أحيا عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات :

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا :

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهْنٌ بِحُورٍ وَخَبَتْ مَكَائِدُهُ وَهْنٌ سَعِيرٌ^(١)
يُبْسِكِي عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ^(٢)
صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكْرُمًا إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورٌ^(٣)
فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرٌ^(٤)
أَيَّامَ قَاتِمٍ سَنَفِيهِ فِي كَفِّهِ السُّيُفَى وَبَاعَ الْمَوْتَ عَنْهُ قَصِيرٌ^(٥)
وَلَطَالَمَا انْهَمَلَتْ بِمَاءِ أَحْمَرٍ فِي شَفَرَتَيْهِ جَاحِمٌ وَنُحُورٌ^(٦)
فَأَعِيدُ إِخْوَتَهُ رَبِّبٌ مُحَمَّدٍ أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورٌ^(٧)

(١) غاضت : غارت ؛ وخبث النار : سكن لها ؛ والكايده : جمع مكيدة ، وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأى ؛ والسعير تسعير النار : يقول : لئامات غاض بمر جوده الذي كان يفيض على الناس بالسطاء وانطفأت نارك كيده وكانت سعيرا على أعدائه :

(٢) يقول : ليس من حقه البكاء عليه ، لأنه لم يستقر في قبره حتى صافحته الحور في جنة الخلد ، وإذا كان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء ، قال الشاعر :
إن يكن مُفْرَدًا بِغَيْرِ أَنِيسٍ فَمَسَى أَنْ يَكُونَ بِالْحُورِ آنَسٍ
هذا ويحوز في « قراره » الرفع على الفاعلية ، والنصب على المصدر . قال ابن جني : ويختار النصب :

(٣) على العظيم : أى على الأمر العظيم : وروى ابن جني عن العظيم : أى عن المفقود العظيم :

(٤) يقول : ليس في العالم مثلك ولا مثله ، وكلاهما عظيم :
(٥) العامل في أيام : محذوف ؛ تقديره لم يكن له نظير أيام الخ : أى أيام يقاتل أعداءه ، ويد الموت غير ممتدة إليه ، أو تقدير : أذكركم تلك الأيام التي لم ينل منه عدو فيها : ولكن إذا جاء أمر الله فلا بد من تقاضه :

(٦) انهملت : جرت وسالت ، وبرى : انهمرت ، وشفرتا السيف : جداه : يقول : طالما سالت الجاحم والنحور من أعدائه في حدى سيفه بالدماء
(٧) أعدته بالله من كذا : غصمته به منه ، وهي كلمة تقال في مقام التنزيه ؛ وأن

أَوْ يَرْغَبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُمْرَةٍ
 حَيَّاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ^(١)
 نَقَرٌ إِذَا غَابَتْ نُجُودُ سُيُوفِهِمْ
 عَنْهَا فَأَجَالَ الْعِبَادُ حُضُورَ^(٢)
 وَإِذَا لَقُوا جَيْشًا تَبَيَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنُوقُهُ مَحْشُورٌ^(٣)
 لَمْ تُثْنِ فِي طَلَبِ أَعْنَةِ خَيْلِهِمْ إِلَّا وَغَمْرُ طَرِيدِهَا مَبْتُورٌ^(٤)

يَحْزَنُوا : في تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة اعيد . قال ابن جني : الوجه أن يكون محمد الأول : النبي عليه الصلاة والسلام ، والثاني : الرثي . ويجوز أن يكون الأول والثاني كلاهما الرثي . يقول : لا ينبغي لهم أن يحزنوا عليه لأنه مسرور بما أصاره الله إليه من الكرامة والتعظيم الدائم .

(١) يقال : رغب به عن هذا الأمر : أي رفعه عنه . يقول : وأعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيراً له من قبر صار روضة من رياض الجنة حتى حياه فيه الملكان منكر ونكير . أي أن قبره خير له من تلك القصور ومنزله في الآخرة . أشرف من منازل التي كانت في الدنيا . وقال ابن جني : يعني : وأعيذهم أن يرغبوا عنه ويتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم . . . قال العروضي - ناقدًا - ما أبدع ما وقع . . . أراد - المتنبي - أن لا يحسبوا قصورهم أوفق له من الحفرة التي صارت من رياض الجنة حتى حياه فيها الملكان . . . وقال ابن فورجة : لكنه يقول : أعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت لهم خيراً له من قبر حياه فيه الملكان . والمعنى : أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها في حكمهم خيراً له من قبره ، فإن قبره خير له من تلك القصور : ومنزله في الآخرة أشرف من منازل في الدنيا .

(٢) يقول : هم - أي بنو إسحاق - نقر - أي رهط وجماعة - إذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن أعينها ، حضرت آجال أعدائهم لأنهم يستأصلونهم في التو واللحظة .
 نفر : خبر مبتدأ محذوف ، وحضور : جمع حاضر .

(٣) التنوفة : الأرض البعيدة - المفازة - يقول : إذا حاربوا جيشاً من جيوش الأعداء تبين ذلك الجيش أنهم قاتلوه لاجالة ، فتأكله الطير حتى إذا جاء يوم إجلس - البعث - بعث من بطون الطير .

(٤) المبتور : المقطوع والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام . يقول : لم تعطف

يَمُتُّ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نَيْفٍ
 إِنَّ الْمَحَبَّ عَلَى الْبَعَادِ يَزُورُ^(١)
 وَقَنَيْتُ بِاللَّقَيْبِ وَأَوَّلَ نَظَرٍ
 إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ^(٢)

أعنة خيل هؤلاء القوم في طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذى طردته خيلهم واتبعتهم
 قد انقطع أجله .

(١) الشاسع : البعيد . وعن نية : أى عن قصد ، أو تقول : النية بمعنى النوى :
 أى البعد . يقول : قصدت ديارهم البعيدة لحبي إياهم لأن الحب يزور حبيبه وإن شطت
 به النوى ، كما قال القائل :

زُرُّ مَنْ تَحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ
 لَا يَمْنَعُكَ بُعْدٌ مِنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ الْحَبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ
 (٢) هذا من قول الموصلى :

إِنْ مَاقَلَ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَقَلِيلٌ مِنْ تَحِبِّ كَثِيرُ
 ومثله لجليل بثينة :

وإني ليرضيني قليل نوالكم وإن كنت لأرضى لكم بقليل
 ولتوبة
 وأقنع من ليلي بما لا أناله ألا كل ماقرت به العين صالح
 ولآخر :

جودوا على بمنطقٍ أحيا به إن القليل من الحب كثيرُ

وسأله بنو عم الميت أن يبنى الشماتة عنهم ؛ فقال ارتجالا :

أَلَا لَإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَيْنٌ دَائِمٌ وَزَفِيرٌ^(١)
مَا شَكَّ خَابِرٌ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَنَّ الْعَزَاءَ عَلَيْهِمْ مَحْظُورٌ^(٢)
تُذَيِّ خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقُضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمْ وَهُنَّ دُهُورٌ^(٣)
أَبْنَاهُ عَمَّ كُلُّ ذَنْبٍ لِأَمْرِي إِلَّا السَّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَفْغُورٌ^(٤)
طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وَدَادِهِمْ
وَكَذَا الذَّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ^(٥)

(١) هذا استفهام إنكاري؛ والزفير: امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم؛ يقول : ليس لهم إلا الحنين إليه والزفير على فقدته :

(٢) الخابر : العالم بالشيء ، مثل الخبير أو المهرب : يقول : لا يشك من خبرهم وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقدته : أي لا يصبرون عنه وهذا من قول البحترى :

حَالَتْ بِكَ الْأَشْيَاءُ عَنْ حَالَتِهَا فَالْحُزْنُ حِلٌّ وَالْعَزَاءُ حَرَامٌ
(٣) يقول : إنهم سيكون عليه دما ويسهرون لفقدته حتى يطول عليهم الليل فكأنه دهر : وهذا معنى تداوله الشعراء كثيرا ، وأصله بيت الحماسة :

يطول اليومُ لا ألقاك فيه وعامٌ نلتقي فيه قصير
(٤) يقول : كل من أذنب إليهم ذنبا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا الذنب من يسعى بينهم بالنيمة والإفساد :

(٥) يقول : إن الوشاة نموا بينهم قصد أن يكذبوا صفاء ما بينهم من ود ؛ مثلهم في ذلك مثل الذباب الذي يطير على الطعام ، كأنه يريد إفساده . وقال ابن جني : معنى طاروا : ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلا .. قال العروضي - ناقدا - : يظلم نفسه ويفر غيره من فسر شعر المتنبي بهذا النظر ، ألا تراه يقول : وكذا الذباب على الطعام يطير ؛ أذهاب هذا أم اجتماع عليه ؟ وقال : طار الوشاة على ؛ ولو أراد ما قال ابن جني لقال : طار عنه ؛ وأراد أن الوشاة نموا بينهم وتماثلوا بالنيمة .. وقال ابن فورجة : كيف يعنى بقوله طار الوشاة ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الود بطيران الذباب على الطعام ؟ يريد أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا ودادهم ، كما أن الذباب يطير على الطعام . والمتنى : أن اجتماع الوشاة وسعيهم فيما بينهم

وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةَ جُودِي بِهَا لِعَدُوِّهِ تَبْذِيرٌ^(١)
مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا يَجْرِي بِفَضْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ^(٢)

وقال ارجع لا في أبي الحسين بن إبراهيم وقد دخل عليه وهو يشرب :
مَرَّتْكَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةُ الْخَمْرِ
وَهُنَّتْهَا مِنْ شَارِبٍ مُسْكِرٍ الشُّكْرِ^(٣)

بالتأم دليل على ما بينهم من المودة ، كالذباب لا يجتمع إلا على طعام ؛ وكذا الوشاة إنما
يتعرضون للأجبة للتوادين ومثله :

وَجَلَّ قَدْرِي فَاسْتَحْلَوْا مُسَاجِلَتِي إِنَّ الذَّبَابَ عَلَى الْمَازِيِّ وَقَاعٌ
« الماذي : العسل الأبيض »

(١) أبو الحسين : أحد إخوة الرئي . يقول : بذلت له من الود مالو بذلت مثله
لعدوه لكان ذلك مني إسرافا وتبذيرا ، لأن من عاداه لا يستحق مني مثل ذلك الود ،
فإذا بذلته له كنت متلافا واضعا للشيء في غير موضعه .

(٢) المقدور : القدر ؛ وفصل قضائه : حكمه الفاصل بين الحق والباطل . يقول :
كأن القدر يجري بمراده واختياره ؛ وصدر البيت من قول أبي تمام ،

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرُدِّهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
وعجزه من قول ابن الرومي :

لَسْتُ تَحْتَاجُ بِالزَّمَانِ وَلَا الْمَقْدُورِ وَأَنْتَ الزَّمَانُ وَالْمَقْدُورُ

(٣) في قوله مررتك - كما قال الواحدى - نوعان من الضرورة : أحدهما أنه كان
يجب أن يقول : أمرأتك ؛ لأنه إنما يقال : مرأك إذا كان مع هناك فإذا أفرد قالوا أمرأتى
الطعام . والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله : مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب
شماثله ويستحسنها ، فيسكر السكر حسنها ، ويجوز - كما قال الواحدى - أن يكون
المراد أنه يغلب السكر ، والسكر لا يغلبه ، وعادته أن يغلب كل شيء ، فكأنه
قد غلبه .

رَأَيْتُ الْحَمِيَّاءَ فِي الرُّجَاجِ بِكَفِّهِ فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِي الْبَدْرِ فِي الْبَحْرِ^(١)
إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِرًا نَأَى أَوْ دَنَا يَنْسَى عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ^(٢)

* * *

وقال ارتجالاً وقد دخل على بدر بن عمار يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن
يجبوا الناس عنه ليخلو للشراب :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لِحُلُوقِهِ هَيْهَاتَ لَسْتُ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
مَنْ كَانَ ضَوْءُهُ جَبِينَهُ وَنَوَالَهُ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَظَرِ^(٣)
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحْجَبٍ وَإِذَا بَطَنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ^(٤)

(١) الحميا : من أسماء الحجر : شبه الحجر بالشمس ، والزجاجة بالبدر ، وكفه بالبحر
وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي نواس :

فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَرَّ يَقْبَلُ عَارِضُ الشَّمْسِ

(٢) زعموا أن الخضر عليه السلام لا يذكر في موضع إلا حضر ؛ والخضر عند
الصوفية : حى يرزق ، ولكن رجال الحديث ينكرون ذلك : يقول : لا نذكر جوده
إلا كان حاضراً كالخضر ، يعنى أن جوده يدركننا حيثما كنا :

(٣) نظر في ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ يَخْلُقُهَا الْخَالِقُ أَنْ لَا يُكْتَبَ سَدَفٌ^(١)

ونظر في الجود إلى قول أبي تمام :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَيْهِ وَجُودُهُ لِمُرَاعَى جُودِهِ كَتَبَ
ويقول أبو نواس :

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ سَاطِعًا عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتُهَا بِفِطَاءٍ

(٤) يقول : إذا احتجبت كنت غير محبوب ، وإذا اختفيت فأنت ظاهر ، يعنى
بجودك وهيتك : وهذا من قول أبي تمام :

فَنَعِمْتَ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِذْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ

(١) السدف : الظلمة ؛ والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام ،
فقال هذين البيتين وهو لا يدري :

نَالَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهُ مِنِّي لِلَّهِ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ^(١)
وَذَا انْصِرَافِي إِلَى تَحَلِّي أَأَذِنُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ

(١) يقول : الشراب الذي نلت منه باحتسائه نال مني بالأخذ من عقلي وحيويتي ثم
تعجب مما تفعله الحجر ، والله أبو تمام إذ يقول :

وَكَأْسٍ كَمَقْسُولِ الْأَمَانِي شَرِبْتُهَا وَلَكِنهَا أَجَلْتُ وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي
إِذَا الْيَدُ نَالَهَا بِوَقْرِ تَوَقَّرْتُ عَلَى ضِفْنِهَا ثُمَّ اسْتَعَادْتُ مِنَ الرَّجُلِ
ويقول أيضاً :

أَفِيكُمْ فَتَى حَيٍّ فَيَخْنُبُنِي عَقِي
بِمَا شَرِبْتُ مَشْرُوبَةَ الرَّاحِ مِنْ ذَهْنِي

(١٦ — التنبؤ ٢)

وقال يصف لعبة في صورة جارية ، وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أعور يعرف بابن كروّس ، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره ، لأنه لم يكن شيء يجري في المجلس إلا ارتجل فيه شعراً ، فقال الأعور لبدر : أظنه يعمل هذا قبل حضوره ويُعيّده ، فقال بدر : مثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشيء أحضره للوقت ؛ فلما كمل المجلس ودارت الكؤوس أخرج لعبة لها شعر في طولها ، تدور على لولب ، وإحدى رجلها مرفوعة ، وفي يدها طاقة ريحان ؛ فإذا وقعت حذاء إنسان شرب فدارت ؛ فقال ارتجالاً :

وَجَارِيَةٍ شَعْرُهَا شَطْرُهَا مُحْكِمَةٌ نَافِذِ أَمْرُهَا^(١)
تَدُورُ وَفِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تَضْمَنُهَا مُكْرَهَا شَيْئُهَا^(٢)
فَإِنْ أَسْكُرْتَنَا فِي جَهْلِهَا بِمَا فَعَلْتَهُ بِنَا عُذْرُهَا^(٣)



(١) يقول : إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها ، فكأنه نصفها وقد حكمت في أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به . لأنها كانت تدور ، فإذا وقعت حذاء واحد منهم شرب ، فأمرها فيهم نافذ مطاع . فشطرها : أى نصفها ؛ وقوله : نافذ أمرها ، يجوز في « نافذ » : الجر ، على أنه نعت سببي ، و« أمرها » فاعل ؛ والرفع : على أنه خبر مقدم عن أمرها ؛ والجملة : نعت .

(٢) يقول : إن هذه الطاقة من الريحان وضعت في كفها دون اختيار منها ، بل كرها ، لأنها لا تعقل :

(٣) يقول : فإذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا لنشرب ، فجهلها ما فعلت عذر لها ، لأنها لا تعلم ما تفعل :

وقال في بدر أيضاً وقد وقفت هذه الجارية حذاءه :

إِنَّ الْأَمِيرَ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ لِفَاخِرٍ كَسَيْتَ فَخْرًا بِهِ مُضَرٌّ^(١)
 فِي الشَّرْبِ جَارِيَةٌ مِنْ تَحْتِهَا خَشَبٌ
 مَا كَانَ وَالِدَهَا جِنَّ وَلَا بَشَرٌ^(٢)
 قَامَتْ عَلَى فَرْدٍ رَجُلٍ مِنْ مَهَابَتِهِ
 وَلَيْسَ تَفْقِلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ^(٣)

(١) يقول : إن العرب جميعا قد لبسوا غفراً به ، ويروى : كسبت
 (٢) في الشرب : أى بينهم . والشرب : جمع شارب ، وجن : اسم كان ؛ ووالدها
 خير . وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة . ومثله لحسان بن ثابت :
 كَانَ سَبِيئَةً مِنْ يَنْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاهُ^(١)
 وللقطامي :

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعًا وَلَا يَكُ مَوْقِفَ مَنْكَ الْوَدَاعُ^(٢)
 (٣) مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ : أى ما تفعله وما تتركه .

(١) السبيئة : الحمر ، ويبت رأس : موضع بالشام ، وخبر كان - في البيت
 التالي - وهو :

عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍّ مِنْ التَّفَاحِ هَصَرَهُ اجْتِنَاءً
 (٢) مطلع قصيدة للقطامي يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي ، وضباع مرخم
 ضباعة وهى بنت زفر . وبعد البيت

قَفِي قَادِي أَسِيرِكِ إِنْ قَوْمِي وَقَوْمُكَ لَا أَرَى لَهُمْ اجْتِمَاعًا
 وقد كان القطامي أسيراً عند والدها . وقوله وَلَا يَكُ مَوْقِفَ إِنْ : يحتمل وجهين
 أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة كأنه قال : لا تجعلى هذا الموقف آخر وداعى منك
 والآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع

وقال لبدر : ما حلك على إحضار اللعبة ؟ فقال : أردت أن أنفي الظنة عن أدبك فقال :

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنفِي الظَّنَّ عَنْ أَدْبِي وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ الْمَصْرِ مِقْدَاراً^(١)
إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ الْمَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَاراً^(٢)
فقال بدر : بل للدينار قنطاراً فقال :

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الْفَقْرُ وَيَبَانَ تُمَادَى يَنْفَدُ الْمُنْمَرُ^(٣)
فَخَرَّ الزُّجَاجُ بَأْنَ شَرِبْتَ بِهِ وَزَرَتْ عَلَى مَنْ عَافَاهَا الْخُمُرُ^(٤)
وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهِيَ تُسَكِّرُنَا حَتَّى كَأَنَّكَ هَابَكَ السُّكْرُ^(٥)
مَا يُرْتَجَى أَحَدٌ لِمَكْرَمَةٍ إِلَّا الْإِلَهُ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ

(١) تنفي الظن : أى ما أتهم به من أنه لا يقدر على ارتجال الشعر ، وفي تعبيره بـ « زعمت » ما يشعر بأنه يريد أنى أبعد من أن يظن بى مثل ذلك ، فليس يعوزك أن تتجشم نفي هذا الظن عني .

(٢) يقول : إذا امتحنت تضاعف فضلى وارتفعت منزلتى ، ومثلى فى ذلك مثل الذهب الإبريز الخالص إذا اختبر بالسبك ، فإن ما كان منه يظن بادىء ذى بده أنه يساوى ديناراً قد يزيد قيمته ديناراً آخر . والمعروف : صفة للذهب ، ومخبره : مبتدأ ؛ خبره : بعده ؛ والمخبر : الخبر .

(٣) إذا رجونا جودك ذهب عنا الفقر ، لأنه فى أيدينا ؛ فبه يطرد الفقر ؛ وإن عوديت فى عمر من يعاديك لأنه عرض نفسه للتلف .

(٤) يقول إنك الكؤوس تفخر بشربك فيها ، والخمر تعيب من يعافها - يكرهها - إذ تشرفت بشربك إياها .

(٥) يقول : إنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر ، بينما هى تسكر كل من شربها ، فكأنها لهيتها إياك وخوفها سطوتك ، لا تقدر أن تنال منك وتسرك .

وأراد الارتحال عن علي بن أحمد الخراساني فقال :

لَا تُنْكِرَنَّ رَحِيلِي عَنْكَ فِي عَجَلٍ فَإِنِّي لِرَحِيلِي غَيْرُ مُنْخَارٍ
وَرُبَّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ يَوْمَ الْوَعَى غَيْرَ قَالِ خَشْيَةَ الْعَارِ ^(١)
وَقَدْ مُنِيتُ بِحُسَّادٍ أَحَارِبُهُمْ

فَأَجْمَلَ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي ^(٢)

وقال يصف مسيره في البوادي وما لقي في أسفاره ويذم الأعور ابن كروتس :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلُ الْخُدُورِ ^(٣)
وَمُبْتَسِمَاتٍ هَيْجَاوَاتٍ عَصْرِ عَنِ الْأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ ^(٤)
رَكِبْتُ مُشْمَرًّا قَدَمِي إِلَيْهَا وَكُلَّ عَذَافِرِ قَلْبِي الضُّفُورِ ^(٥)

(١) اللهجة : الروح ، والقالي : من قلاه أبغضه ؛ وخشية : مفعول لأجله ، عامله فارق . شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه . يقول : قد يعرض للبراء ما يوجب فراق روحه من غير بغض للروح ، كذلك أنا أفارقه كارها لذلك مضطرا .

(٢) منيت : بليت ، والندی : الجود ؛ والأنصار : جمع نصير ، بمعنى ناصر . يقول : إنني مبتلي بحساد أعاديهم فانصرني عليهم بجودك حتى أفخر عليهم بذلك فيموتوا كذا .

(٣) يقولون : عذيري من فلان ، إذا أرادوا الشكاية منه : أي من يعذرنى منه أي إذا وقعت به وأسأت إليه فإنه يستحق ذلك . والعذارى : الأبكار لم يفرعن بعل والمراد هنا : الأمور العظام والمحطوب التي لم يسبق إليها ولا عهد بمثلا . و«من» الأولى صلة عذيري والثانية : يمانية ، وهي مع مجرورها في موضع النعت لعذارى . والجوانح : الضلوع . يقول : إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعي وقلبي مسكنا كما تسكن العذارى الخدور .

(٤) الهيجاوات : جمع الهيجاء ، وهي الحرب ؛ ومبتسمات : عطف على عذارى ، وإضافة مبتسمات إلى هيجاوات يمانية ، وعن الأسياف صلة مبتسمات وليس هنا حرف بمنزلة لا . يقول : ومن عذيره من حروب تبسم هبواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور - جمع ثغر مقدم الأسنان .

(٥) أصل التشمير : رفع الذيل ، يراد به الإشاحة والجد والإسراع . وقدمى :

أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحَلِي وَأَوْنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ^(١)
 أُعْرِضُ لِلرِّمَاحِ الصَّمِّ نَحْرِي وَأَنْصِبُ حُرًّا وَجْهِي لِلْمُهْجِرِ^(٢)
 وَأُسْرِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مِنْبِرِ^(٣)
 فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا عَلَى شَفَعِي بِهَا شَرَوِي نَقِيرِ^(٤)

مفعول ركبت ، وإليها : متعلق بركبت ؛ والضمير للمهجرات . والعذافر : القوي من الإبل ؛ والناقة : عذافرة : والصفور : جمع صفر ، وهو النسع - الحبل - تشد به الرحال . والضمير : الحبل ؛ ومنه الحديث : « إذا زنت الأمة فبعها ولو بضمير » أى بحبل مفتول من شعر . فصيل بمعنى مفعول . يقول : قصدت المهجرات - الحروب - راجلا وراكبا : أى مارستها فى كل حال . وكفى بقلق الصفور عن شدة السير والهزال .
 (١) الأونة : جمع أوان ؛ كزمان وأزمنة . والرحل : ما يستصحبه الرجل من الأثاث ؛ والقند : خشب الرحل . وقيل : القند من أدوات الرحل ؛ وقيل ، جميع أدواته ، والجمع اقتاد وقنود وأقند . قال الراجز .

كَأَنِّي ضَمَنْتُ هِقْلًا عَوْهَقًا اقْتَادَ رَحَلِي أَوْ كَدَرًا مُحْنَقًا

« الهقل الظليم ؛ والعوهق من النعام : الطويل ؛ والكدر : الغليظ ؛ والحنق : الضامر القليل اللحم » يصف طول ارتحالهم وقلة مقامه ، ومن ثم قال فى النزول : أوانا وفى الارتحال : آونة .

(٢) حر الوجه . ما بدا منه . والمهجير . شدة الحر وقت الهجرة ، وهى نصف النهار . والرماح الصم . أى الصلاب . وصدر البيت من قول القائل .

نُعْرِضُ لِلطُّعْمَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلْسَّبَابِ
 وعجزه من قول الآخر .

أَقُولُ لِبَعْضِهِمْ إِنْ شَدَّ رَحَلِي لَهَا جِرَّةً نَصَبْتَ لَهَا جَبِينِي

(٣) السرى والإسراء . السير ليلا . ومنه . فى موضع الحال من الضمير المستتر فى الظرف بعده . يقول : كَأَنِّي فى الظلام أسير فى القمر الوضاء لمرفقى بالطرق والمفاوز واهتدأتى فيها .

(٤) قتل فى حاجة . أى قل ماشئت ، فإن مجال القول ذوسعة . وعلى . بمعنى مع . والظرف فى موضع الحال من فاعل أقض . وشغفى بها : حبها ، وشروى الشيء ، مثله والتعيم . نكتة فى ظهر النواة . يضرب مثلا للشيء الحقيق . يذكر كثرة تبعه وقلة

وَنَفْسٍ لَا تَجِيبُ إِلَى خَاسِسٍ وَعَيْنٍ لَا تَدَارُ عَلَى نَظِيرٍ ^(١)
 وَكَفٍّ لَا تَنَازِعُ مَنْ أَنَانِي يُنَازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخَيْرِي ^(٢)
 وَقِلَّةٍ نَاصِرٍ جُوزِيَتْ عَنِّي بِشَرِّهِ مِنْكَ يَا شَرَّ الدُّهُورِ ^(٣)
 عَدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّى
 نَحَلْتُ أَلَا كُمْ مُوْغَرَةً الصُّدُورِ ^(٤)

نيله . يقول : كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أتل منها شيئاً على شدة شغفي بها وحبتها ؟ .

(١) يقول : وقل ماشئت في نفس - يعني نفسه - لا تؤاتيني على أمر خسيس ولا تمنع به . وعين لا تفتح ولا تدار على نظير لي .

(٢) ينازعني : حال من فاعل أناني : وسوى . مفعول تنازع : والخير : الكرم . يقول : وقل ماشئت في كف - يعني كفه - سخية لا تمسك شيئاً وتترك كل شيء لمن ينازعني إلا شرفي وكرمي فإنني لا أسخو بها .

(٣) أي : وقل ماشئت في قلة من ينصرني على ما أطلبه ، ثم خاطب الدهر فقال : رماك الله يادهر بدهر شر منك يحني عليك كما جنيت على وأنت شر الدهور ؛ و« شر » أصله أشر ، تركوا همزته لكثرة الاستعمال .

(٤) عدوي : خبر مقدم ؛ وكل مبتدأ مؤخر . وخلصت : ظننت : واللام : للتوكيد أدخلها على الماضي على إضمار قد : والأكم : التلال ، جمع أكمة : وموغرة الصدور : متوقدة من الغيظ : يقول : إن كل شيء في الدهر يعاديه حتى ظن التلال التي لا تقبل تعاديه ، يريد بذلك البالغة : وقال ابن جني : قوله حتى خلعت إلخ : يحتمل أمرين ؛ أحدهما : يريد أن الأكم تنبوه ولا تطمئن إليه ، فكأن ذلك لعداوة بينهما ؛ والآخر - وهو الوجه - أنه يريد شدة ما يقاسى فيها من الحر ، فكأنها : موغرة الصدور من قوة حرارتها ... قال ابن فورجة : أما المعنى الأول فيقال : لم يرد أن يستقر في الأكم فتنبوه وبشما يختار داراً ومقاماً . وأما المعنى الثاني فيقول : كيف خص الأكم بشدة الحر والمكان الضاحي للشمس أولى بأن يكون أحر ، ولأكمة ظل ، وهو أبرد من المكان الذي لا ظل له ؟ فهذا أيضاً خطأ ، والذي عن أبو الطيب أن كل شيء يعاديه حتى خشي أن الأكم التي لا تقبل تعاديه ، ويريد بذلك : البالغة ، وإن لم يكن ثم عداوة .

فَلَوْ أَنِّي حُسِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ لَجَدْتُ بِهِ لَذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ ^(١)
وَلَكِنِّي حُسِدْتُ عَلَى حَيَاتِي وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ إِلَّا سُرُورِ ^(٢)
فَيَا ابْنَ كَرُوسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى وَإِنْ تَفَخَّرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ ^(٣)
تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبَغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ ^(٤)
فَلَوْ كُنْتَ أَمْرًا يُهْجَى هَجُونًا وَلَكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ ^(٥)

(١) و (٢) النفيس : تقيض الحسيس : والجد العثور أو العائر ؛ الحظ النعس الذي يتعثر صاحبه ويعانى العناء في سعيه : يقول : لو حسدنى الناس على شيء نفيس يرغب فيه لجدت به على المحروم والمهروب منهم ، ولكنهم إنما يحسدوننى على حياتى مع أنها ليست بالشئ الذى يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من السرور ، وإلا لجدت بها عليهم أيضاً كى أستريح منهم ومن سرورهم : وقال بعض الشراح : يعنى حسدوني على سرورى وأنسى وأرادوا أن أكون محزوناً أبداً ، وإذا طلبوا ذلك فكأنهم طلبوا موتى ، فإن حياة الحزين موت : وكفى بالحياة عن السرور لأن الحياة إذا عدم منها السرور لم تكن حياة : هذا : وقوله : لذى الجد العثور ، يروى لذا الجدد العثور : أى لهذا الجد العثور ، يعنى لجدت به لهم لما أنا فيه من الحظ النعوس .

(٣) هذا ابن كروس كان أعور ، وكان يعاديه ، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى ، وباعتبار الباقية نصف بصير ، يعنى إن غرت يبصرك فأنت ذو بصر واحد .

(٤) يقول : إنما تعاديننا لما بيننا من الضادة لأنك الكن - ثقل اللسان - وأنا فصيح ؛ وأنت أعور وأنا بصير .

(٥) يقول : لحسبك لا مجال للشعر فيك ، فإن الهجاء يرتفع عن قدرك والفتور يضيق مقداره عن السير فيه ، كذلك أنت : ليس لك عرض يهيج ومثل هذا قول القائل .

بما أهجوك لا أدرى لسانى فيك لا يجرى
إذا فكرت فى عرضك أشفقت على شعري

وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طنج :

وَوَقْتُ وَفَى بِالذَّهْرِ لِي عِنْدَ وَاحِدٍ وَفَى لِي بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرًا^(١)
شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِهِ وَزَهْرٍ تَرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرًا
غَدَا النَّاسُ مِثْلَهُمْ بِهِ لَا عَدِمَتْهُ وَأَصْبَحَ ذَهْرِي فِي ذَرَاهُ دُهُورًا^(٢)



وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات بمجلسه :

أَنْشَرُ الْكِبَاءَ وَوَجْهَ الْأَمِيرِ وَصَوْتُ الْفَنَاءِ وَصَافِي الْخُمُورِ^(٣)
فَدَاوِ خُمَارِي بِشُرْبِي لَهَا فَإِنِّي سَكِرْتُ بِشُرْبِ الشُّرُورِ^(٤)

(١) يقول : إن وفق عنده يفي بالدهر كله ويعادل ، كما أن المدوح يفي بأهل الدهر ويزيد عليهم . وقوله : عند واحد ، يروى : عند سيد .

(٢) في ذراه : في كنفه . يقول : إنه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم ، فالناس به ضعفا مأم عليه ، ودهره عظيم القدر به ، فصار به الدهر دهوراً .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . والكباء : العود الذي يتبخر به . ونشر : مبتدأ ، خبره محذوف . العلم به ، كأنه يقوله : آتجتمع هذه الأشياء لأحد كما اجتمعت لي ؟ قال بعض الشراح : يعني : لا تجتمع هذه الأشياء لأحد ولا يشرب إلا كان معدوم الحس . وقال بعض الشراح : إن الواو — في قوله : وصافي الخمر — للمصاحبة ، سد العطف بها سد الجر ، كما في قولهم : كل رجل وضعته .

(٤) يقول : إني قد سكرت من سروري حين اجتمعت لي هذه الأشياء فداو خماري والحجار : صدام الحجر — بشرب الحجر ، أي إنما أريد شرب الحجر ، لأنقى الحجار ، لا للسكر ، فإنني سكران من السرور . وعبارة بعض الشراح : قوله : بشربي ، صلة خماري والمعنى : لا تزدني من الحجر ، ولكن التمس لي دواء من سكرى بها ، فإنني قد سكرت من سروري بهذه الأشياء ، فلا أحتمل سكرًا آخر

وقال أبو محمد يوماً : إن أباه استخفى مرة ، فعرفه رجل يهودى فقال :

لَا تَلُومَنَّ الْيَهُودِيَّ عَلَى أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلَا يُنْكِرُهَا^(١)
إِنَّمَا اللُّومُ عَلَى حَاسِبِهَا ظُلْمَةٌ مِنْ بَقْدِمَا يُبْصِرُهَا^(٢)

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر ، فأعاده ؛ فمجبوا من حفظه إياه فقال :

إِنَّمَا أَخَفِظُكَ دِيحَ بَقِيَّتِي لَا بِقَلْبِي لِمَا أَرَى فِي الْأَمِيرِ^(٣)
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَّمْتُ لِي غَرَائِبَ الْمَشْهُورِ^(٤)

(١) و (٢) روى هذان البيتان برفع القافية ونصبها ، فالرفع على الاستثناف ، والنصب عطف على يرى ؛ وإذن : يروى البيت الثانى من بعد أن يصورها . يقول : لا يلام من رأى الشمس وقال : هذه شمس ، لا ، إنما اللوم على من رآها وقال : هذه ظلمة وضرب ذلك مثلاً . يقول : إن أباه شمس فلا يستطيع الاختفاء ، لأن الشمس لا تخفى ؛ ومثله للعكوك :

سما فوق الرجال فليس يخفى وهل فى مطلع الشمس التباس ؟
(٣ و ٤) من خصال : بيان لقوله لما أرى . يقول : لا أحتاج إلى حفظ مدائمه بقلبي لحضور معانيها أمام عيني ؛ وهى ما أراه من خصال الأمير ، فإني كلما نظرت إليها هيأت لى ما أنظمه فيها من غرائب المشور فأنتطق به ؛ أو تقول : أنا أشاهد بعيني ما أمدح به الأمير من خصال إذا نظرت إليها نظمت غرائب المشور ، فبيني تنظم فضائله لأنها تدركها وتشاهدها ، لا قلبي ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :
وحاكة شِعْرِ حَسَنُوا الْقَوْلَ مِنْهُمْ وَمِنْكَ وَأَفْعَالُكَ أَمْتَارُ حُسْنِهِ
ومثله لابن المعتز :

إذا ما مدحناه استعنا بفعله لناخذ معنى مدحه من فعاله

وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال :

تَرَكَ مُدْحِيكَ كَالهَجَاءِ لِنَفْسِي وَقَلِيلٌ لَكَ اللَّدِيحُ الْكَثِيرُ^(١)
غَيْرَ أَنِّي تَرَكْتُ مُقْتَضِبَ الشَّعْرِ لِأَمْرِ مِنْهُ لِي بِهِ مَعْدُورٌ^(٢)
وَسَجَايَاكَ مَا دَحَانُكَ لَا لَفْظِي وَجُودٌ عَلَى كَلَامِي يُغَيِّرُ^(٣)
فَسَقَى اللَّهُ مَنْ أَحَبُّ بِكَفَيْكَ وَأَسْقَاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ^(٤)

(١) مدحيك : أى مدحى إياك. وقوله: وقليل لك اللديح الكثير ، من قول إسحاق ابن إبراهيم الوصلى :

إذا استكثر الحساد ما قيل فيكم فإن الذى يستكثرون قليل

(٢) المقتضب — هنا — مصدر بمعنى الاقتضاب ، وهو فى الأصل : الاقتطاع والمراد : ما أتى به بديها . هذا : ولم يبين للتبلى ذلك العذر الذى اعتذر به فى ترك الشعر ، كأنه كان عذرا واضحا قد عرفه المدوح فأهمل ذكره .

(٣) ينول : إنما بمدحك ما فىك من الأخلاق الحميدة التى أراها فأتعلم المدح منها ، والجود الذى يستغرق كلامى فى وصفه حتى كأنه يغير عليه وينبه ؛ وهذا الذى ينظر إلى قول ابن الرومى :

ولا مدح ما لم يمدح المرء نفسه بأفعال صدق لم تشبها الخسائس

(٤) سقاها الله وأسقاها : أمطر بلاده ، لغتان نطق بهما القرآن الكريم ، قال تعالى:

« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » . وقال سبحانه : « وسقام ربهم شرابا طهورا » يقول : سقى الله أحبائى غيث كفيك حتى يخلصوا بجمودك ، وسقاك غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقياك .

وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل إلى البسيطة ، فرأى بعض غلمانه ثوراً فقال : هذه منارة الجامع ، ورأى آخر نعامة في البرية فقال : هذه نخلة ؛ مضحك أبو الطيب وقال :

بُسَيْطَةٌ مَهْلًا سَقِيتِ الْقَطَارَا تَرَكَتِ عُيُونَ عَبِيدِي حَيَارَى^(١)
فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكَ النَّخِيلَ وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكَ الْمَنَارَا^(٢)
فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأَكْوَارِهِمْ وَقَدْ قَصَدَ الضَّحْكَ فِيهِمْ وَجَارَا^(٣)

وقال يمدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكي :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَيِّ الصَّبْرُ^(٤)
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفَى نَفْسِهَا أَمْرُ^(٥)

(١) بسيطة : موضع بقرب الكوفة ؛ والقطار : جمع قطرة ، أى قطر المطر ، وحيارى : جمع حيران .

(٢) عليك — فى الشطرين — حال من المنسوب قبله ، والصوار : القطيع من البقر ، والمنار : منارة الجامع — المثناة :

(٣) الأكوار : الرجال ، وقصد : اقتصد ، وجار : مال . يقول : أمسك أصحابي برحالم لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب فمنهم من اقتصد ومنهم من أفرط فيه .

(٤) وحيدا حال من فاعل أطاعن ، وقوله : ما قولى ، استفهام ، وكذا مفعول قولى يقول : أنا أقاتل فرسانا الدهر أخدم : أى أنى أقاتل الدهر وأحداثه وحيدا لا ناصر لى ثم رجع عن هذا وقال : لم أقول لى وحيد والصبر مئى ؟ يريد مقاساته شدائد الدهر ونوبه وصبره على ذلك وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

* فَإِنِى مِنْ زَمَانِى فِي حُرُوبِ *

(٥) يقول : إن سلامتى وبقاها مئى فى هذه الطاعنة أشجع مئى ، وهذا مجاز ،

تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكَتُهَا
تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتُ أُمَّ ذُعِرَ الذُّعْرُ^(١)
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآتِي كَانَ لِي
سَوَى مُهَجِّ أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ^(٢)
ذَرِ النَّفْسَ نَحْذُ وَسَمْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمَفْتَرَقُ جَارَانِ دَارُهَا الْقَمَرُ^(٣)
وَلَا تَحْزَنَنَّ الْمَجْدَ زَقًا وَقَيْنَةً
فَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبَكْرُ^(٤)

يريد أنى اسم من هذه الأحداث فلا تصينى بسوء ، ثم قال : وما بقيت سلامتى إلا لأمر عظيم ، يعنى ليس بقاى وسلامتى إلا لأمر عظيم سيظهر على يدي .
(١) تمرس بالشئ : احتك به . والآفات : جمع آفة ، وهى فى الأصل العاهة والمراد هنا : ما يصيب من تصدى للأخطار والهالك من قتل وجراحة ونحوهما ، والذعر : الخوف . يقول : تمرست بالآفات فى الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتى وتجلدى لها وقالت : هل مات الموت إذ لم يصب هذا التمرس بى ، أو خافت المخاوف فلا تخيفه ؟ يريد أن الآفات لو كانت ممن ينطق لقاتل هذا القول لكثرة ما ترانى أمارسها من غير خوف يلحقى ولا هلاك يصينى .

(٢) الآتى : السيل الذى لا يرد شئ ، والوتر : الذحل والثأر . يقول : أقدمت على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذى لا يرد شئ ، حتى كأن لى سوى نفسى نفساً أخرى إن ذهبت نفسى كانت لى بدلاً أو كأن لى ثأراً عند نفسى فأنا أريد إهلاكها .
(٣) ذر : بمعنى دع ؛ وتروى : دع ؛ والوسع : الطاقة . ومفترق : مبتدأ ، سند المرفوع بعده مسد الخبر ، جرى فيه على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف . جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما ، وصحبتهما تكون مدة العمر ، فإذا فنى العمر افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد . قال العكبرى : وهذا من أحسن الكلام ، وهو من الحكمة . قال الحكيم : من قصر عن أخذ لذاته عدمها وعدم صحة جسمه .

(٤) الزق : وعاء الحجر . والقينة هنا : المغنية . والفتكة : المرة من الفتك وهو

وَتَضْرِبُ أَغْصَانِ الْمُلُوكِ
لَكَ الْمَهَبَاتُ السُّودُ وَالْعُسْكَرُ الْمَجْرُ^(١)
وَتَرْزُكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّكَ
تَدَاوُلُ تَمَعِ الْمَرْءِ أُنْمَلُهُ الْقَشْرُ^(٢)
إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
عَلَى هَيْبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ^(٣)

البطش ، والبكر من كل شيء ، الذي لم يسبقه نظير . يقول : لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الحجر وسماع القيان ، لا — فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله .

(١) وتضرب : عطف على السيف . والمهبوات : جمع هبوة ، وهي الغبرة العظيمة والمجر : الجيش الكثير . وأن ترى لك المهبوات السود : أى أن تثير الغبار بمخوافر الحيل لدى الطعان والنزال .

(٢) الدوى : الصوت العظيم يسمع من الريح وخفيف الأشجار . وتداول — يحذف إحدى التائين — أى تداول ، ولك أن تقرأها على أنها فعل ماض ؛ والأتمل : رؤوس الأصابع . يقول : وأن ترك في الدنيا جلبة وصياحا عظيماً — جلبة المساعي الجسام وصياح الأفاعيل العظام — كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول : إذا أنأى واحدة أدنى أخرى ، وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجاً وجلبة ، وعبرة الواحدى : يريد أنه لا يسمع إلا الضجة حتى كأنه سدمسامعه عن غيرها ونقل بعضهم هذا المعنى ، وجعل ذلك خريز دموعه فقال :

فَاخْشُ صِاخَئِكَ بِسَبَابَتِي كَفَيْكَ تَسْمَعُ لِلْمَوْعَى خَرِيرًا

قال العكبرى : وهكذا من يتعرض لمعانى التنبي يجرىء شعره أبرد من الزمهرير (٣) يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها ، فالفضل حينئذ له ، لا لك ، لأنه قد استوجب شكره ، فصار له عليك فضل المشكور على الشاكر . يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا يحتاج إلى أن تشكره . وهذا المعنى يتضمن الحض على أن يحترم الأديب نفسه وأن يربأ بأدبه

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي قَعَلَ الْفَقْرُ^(١)

عن أن يسف به . قال العكبري : وهذا من كلام الحكمة . قال الحكيم : من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل ، يرفع قدر الجاهل عليه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

عَيَّاشُ إِنَّكَ لِلثِّيمِ وَإِنِّي إِذْ صَرْتُ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلثِّيمِ
وقد ذهب ابن جني في تفسير البيت مذهباً أثار عليه نقد سائر الشراح قال : إذا اضطرتك الحال إلى أن تشكر أصغر الناس على ما يتبلغ به فالفضل فيك ولك لالدوح المشكور . . . قال العروضي — مشعباً — يقول أبو الطيب فالفضل فيمن له الشكر : ويقول أبو الفتح : فالفضل فيك ولك ؟ فتغير اللفظ وفسد المعنى ؛ والذي أراد التنبيه أن الفضل والأدب إذا لم يرضاكَ عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعاً وتشكره على هبته ، فالناقص هو الفاضل لا أنت ، يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . . . وقال ابن فورجة : الذي أراد أبو الطيب أنه إذا كان الفضل لا يرفعك عن شكر ناقص على إحسان منه إليك ، فإن الفضل لمن شكرته لا لك لأنك محتاج إليه : يعني أن التقى خير من الأدب ، يريد إذا كان الأديب محتاجاً إلى التقى ، فالمعنى أنه يحرض على ترك الانبساط إلى الثيم الناقص حتى لا يشكر فيكون له الفضل . وقال الواحدى : الذي أدخل الشبهة على أبي الفتح أنه تأول في قوله : فالفضل فيمن له يريد الشاكر ، فالشاكر له الشكر من حيث إنه يشكرك ، فذهب إلى هذا فأفسد المعنى . وإنما أراد أبو الطيب بقوله من له الشكر : المشكور على إحسانه .

(١) يقول : من يجمع للمال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر ، لأنه إذا جمع حرم ، والحرمان فقر . وعبرة الخطيب : إذا أفنيت دهرَكَ في جمع المال ولم تنفقه فقد مضى عمرَكَ في الفقر . فمضى يكون غناكَ ؟ فقد تسببت الفقر . قال العكبري : وهذا البيت من أحسن الكلام وبديعه ، وهو من كلام الحكمة . قال الحكيم : من أفنى مدته في جمع المال خوف الفقر والعدم فقد أسلم نفسه للعدم . ويقول قائلهم :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ وَأَخَّرْتَ إِفْثَاقَ مَا تَجَمُّعُ
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ فَمَا كَانَ يَنْفَعُ مَا تَصْنَعُ

وقال آخر :

عَلَى لِأَهْلِ الْجَبْرِ كُلِّ طَيْرَةٍ عَلَيْهَا غُلَامٌ مِنْ حَبِزُومٍ غَيْرُ^(١)
يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرَّمَاكِ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْمَنَآيَا حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الْحَرُّ^(٢)
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّ الْجِبَالَ وَبَحْرٍ شَاهِدٌ أَنَّ الْبَحْرَ^(٣)
وَحَرْقٍ مَكَانُ الْعَيْسِ مِنْهُ مَكَانُنَا
مِنْ الْعَيْسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظُّهْرِ^(٤)

يَخَوِّفُنِي بِالْفَقْرِ قَوِي وَمَا دَرَوْنَا بَأَنَّ الَّذِي فِيهِ أَفَاضُوا هُوَ الْعَسْرُ
فَقُلْتُ لِمَ لِمَا لَحُونِي وَأَكْثَرُوا أَلَا إِنْ خَوْفُ الْفَقْرِ عِنْدِي هُوَ الْفَقْرُ
وَقَالَ لَتَمَانِ الْحَكِيمِ : مَنْ دَافَعَ الْفَقْرَ بِالْقَلْبِ قَبْلَ الْفَقْرِ قَدْ تَجَلَّى الْفَقْرُ .
(١) الْجَبْرِ : الظُّلْمُ ؛ وَالطَّيْرَةُ : الْفَرَسُ الْوَتَابَةُ نَشَاطًا وَمَرَاحًا : وَالْحَبِزُومُ :
الصدر ، وَالنَّعْمَرُ : الْحَقْدُ . يَقُولُ : يَحِقُّ عَلَيَّ أَنْ أُسَوِّقَ إِلَى أَهْلِ الظُّلْمِ حَسْرًا لِحَا فِيهِ
كُلُّ فَرَسٍ نَشِيطٌ يَحْمِلُ فَارِسًا قَدْ امْتَلَأَ صَدْرُهُ حَقْدًا عَلَيْهِمْ وَغِيظًا وَحَقًّا فَلَا تَأْخُذْ بِهِمْ
رَافَةً . وَعِبَارَةٌ جَمِيعُ الشَّرَاحِ : أَنَا كَقِيلِ بَغِيلِ فَرَسَانَهَا هَؤُلَاءِ .
(٢) يَدِيرُ : أَيُ التَّلَامِ . يَقُولُ : يَدِيرُ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْمَوْتِ حِينَ لَا تُشْتَهَى الْحَرُّ وَلَا
تَرَادُ لَهْوُلٌ مَامٍ فِيهِ مِنَ الْقِتَالِ ، وَلِنَا الْحَرُّ تُشْتَهَى عِنْدَ وَقْتِ الْفَرَجِ وَالْأَرْجِيَةِ وَالْفَرَاغِ .
(٣) جِبْتُ : قَطَعْتُ . يَقُولُ : كَمْ مِنْ جِبَالٍ تَشْهَدُ لِي بِالْأَنَاءِ وَالْوَقَارِ ، وَبِحَارٍ تَشْهَدُ
لِي بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَالسَّخَاءِ ؟ وَلَهُ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ .

فَقِي لَا يَرَاهُ الْبَحْرُ إِلَّا أَظْلَهُ خَوَاطِرُ فَكَّرَ أَنَّهُ زَاخِرُ الْبَحْرِ
(٤) وَحَرْقٍ : عَطَفَ عَلَى جِبَالٍ ؛ وَالْحَرْقُ : الْمَفَازَةُ الْوَاسِعَةُ ؛ وَمَكَانُ الْعَيْسِ مَبْتَدَأُ .
وَمَكَانُنَا : خَبْرُهُ . وَوَاسِطُ الْكُورِ بَدَلٌ مِنْ مَكَانُنَا . وَالْعَيْسُ : الْإِبِلُ ، وَوَاسِطُ الْكُورِ
مَقْدَمُ الرَّحْلِ وَالضَّمِيرِ فِي مَنْهُ وَفِيهِ : لِلْحَرْقِ . وَقَالَ ابْنُ الْقَطَّاعِ : مَكَانُ الْعَيْسِ : مَبْتَدَأُ
وَمَكَانُنَا : ابْتِدَاءُ ثَانٍ ، وَوَاسِطُ الْكُورِ : خَبْرُ الْإِبْتِدَاءِ الثَّانِي ، وَالْجُمْلَةُ خَبْرُ الْأَوَّلِ .
يَقُولُ : لِسَعَةِ هَذَا الْحَرْقِ وَطُولِ مَسَافَتِهِ وَتَرَامِي أَطْرَافِهِ كَانَتْ إِبِلُنَا كَأَنَّهَا لَا تَنْتَقِلُ عَنْ
ظَهْرِهِ وَلَا تَزَالُ مَتَوَسِّطَةً لَهُ ، كَمَا أَنَّنَا كُنَّا عَلَى ظَهْرِ إِبِلِنَا لَا تَنْتَقِلُ عَنْهَا وَلَا تَزَالُ مَتَوَسِّطَةً
ظَهْرُهَا ؛ وَهَذَا لِلْعَيْنِ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ :

وَمَهْمَتُهُ فِيهِ السَّرَابُ يَلْسَحُ يَذَّابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا
ثُمَّ يَظْلُونَ كَأَنَّ لَمْ يَبْرَحُوا كَأَنَّمَا أَمْسَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

يَخْدُنَ بِنَا فِي جَوْزِهِ وَكَأَنَّهَا عَلَى كُرَّةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَمَّا سَفَرُ^(١)
وَيَوْمَ وَصَلْنَاهُ بِلِيلٍ كَأَنَّهَا عَلَى أَفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلَّةٌ حُمْرُ^(٢)

وقال ابن جني : الإبل كأنها واقفة لا تذهب ولا تجيء لسعة هذا الحرق ، فكأنها ليست تبرح منه ؛ فكما نحن في ظهور العيس لا نبرح منها في أوساط أكوارها : كذلك هي كأن لها من أرض هذا الحرق كورا وظهرا فقد أقامت به لا تبرحه . . . قال الواحدى — ناقدآ — : وقد غلط ابن جني فيما ذكر ، إنما يصف مفازة قد توسطها ، فهو على ظهر البعير في جوزه — وسطه — فكأنه من ظهر الناقة مكانها من الحرق ، والمعنى : أنا في وسط ظهور الإبل ، والإبل في وسط ظهر الحرق ! ولم يتعرض في هذا البيت لوقوفها ولا لبراحها ، ثم ذكر سيرها في البيت الثاني فقال : يخدن بنا الخ : فكيف يتبعه قول ابن جني مع قوله يخدن بنا ؟ وهذا يحتمل معنيين : أحدهما : إننا وإن كنا نسير فكأننا لا نسير لطول المفازة ، وإنه ليس لها طرف كالكرة لا يكون لها طرف ينتهى إليه والثاني إنه يصف شدة سيرهم : والكرة توصف بشدة الحركة كقول بشار :

كَأَنَّ فَوَادَى كُرَّةٍ تَنْزَى حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ

(١) يخدن : يسرن سيرا سريعا ، وجوزه : وسطه ، وسفر أى مسافرة . يقول : إن إبلنا كانت تسير بسرعة في هذا الحرق ولا تبلغ آخره فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهى إليه — أو كأن أرض هذا الحرق تسير معنا فلا تقطعها ولا نفوتها ، وهذا ، كما يقول السرى الرفاء :

وَحَرَقٌ طَال فِيهِ السَّيْرُ حَتَّى حَسِبْنَاهُ يَسِيرُ مَعَ الرَّكَّابِ

وإذا أسرع الإنسان في السير رأى الأرض كأنها تسير معه من الجانبين ، لهذا قال : أو أرضه معنا سفر ، يعنى نحن نسير بسرعة ولا نبليغ مدى هذا الحرق ، فكأنه يسير معنا ، كما قال أبو النجم :

فَكَأَنَّ أَرْضَ اللَّهِ سَائِرَةٌ مَعَنَا إِذَا سَارَتْ كِتَابُهُ

(٢) ويوم : عطف على ما تقدم ، والضير في أفقه : ليل ، وليس ليل أفق ، وإنما أراد أفق السماء في ذلك الليل : أى ناحيتها . يصف إدابهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل . وقوله : كأنما على أفقه الخ : مثله قول ابن ميادة :

وَأَلَيْسَ عُرْضُ الْأَفْقِ ثَوْبًا كَأَنَّهُ عَلَى الْأَفْقِ الْفَرْبَى ثَوْبٌ مُصَفَّرٌ

(١٧ — المتنبي ٢)

وَلَيْلٍ وَصَلْنَاهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّما
 عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلٌّ خُضْرُ^(١)
 وَغَيْثٍ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عامراً
 عَلَا لَمْ يَمُتْ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرُ^(٢)
 أَوْ ابْنِ ابْنِهِ الْبَاقِي عَلَى بَنٍ أَحْمَدِ
 يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أَجْزُ وَيَدِي صِفْرُ^(٣)

ومثله ليحيى بن الفضل :

حتى إذا ما الفجر لاح كأنه ثوب على أفق السماء مُعْصَفَرٌ
 (١) متنه : ظهره ؛ والدجن : الظلمة . وأراد به الغيم ، والدجن : لباس الغيم
 السماء . يقول : كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حلالاً سوداء ، والسواد يسميه
 العرب خضرة ، قال ذو الرمة :
 في ظلٍّ أخضرٍ يَدْعُو هامَهُ اليومُ *

أو يريد أنه سافر في أيام الربيع والأرض خضراء .
 (٢) قوله تحت : حال من ضمير المتكلمين . يقول : ورب مطر ظنتاه ونحن تحت
 أن عامراً - وهو جد الممدوح - في السحاب ارتفع إليه ولم يمُت ، فهذا المطر من جوده ،
 أو أن قبره في السحاب فأعداه بجوده . وقبر : معطوف على خبر أن ، تقديره : علام يمُت
 أو أن له قبراً في السحاب .
 (٣) ابن : عطف على عامراً ، والباقي : نعمت ابن ، وسكنه ضرورة ، وصفرت اليد
 فهي صفر ، ولا يقال صفرة . يقول : لو لم أعبر هذا الغيث وبدي خالية لقلت : إن ابن
 ابنه - يعني الممدوح - كان في السحاب ، وهو الذي يجود بذلك الغيث ، ولكن لما
 عبرت وبدي خالية علمت أنه جود - بفتح الجيم : أي مطر - لا جود ، لأن عادته أن
 يملأ يدي بالهبات .

والبيتان من قول أبي تمام :

وراحة مُزْنَةٍ هطلاء تهى مواهرها وهن على سكب
 فقلت يدُ السماء أم ابن وهب تجلى للندى أم عاش وهب ؟

وَإِنَّ سَحَابًا جَوْدَهُ مِنْهُ جُودِهِ سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرٌ^(١)
فَتَى لَا يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَاتِ قَلْبِهِ وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرٌ^(٢)
وَلَا يَنْفَعُ الْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ
وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا الْأَكْفُ الْقَنَّا الشُّمْرُ^(٣)
قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلَاتُ فِيهِ وَعَامِرٌ كَمَا يَتَلَاقَى الْهِنْدُؤَانِي وَالنَّصْرُ^(٤)

(١) الجود - بفتح الجيم - المطر . يقول : إن السحاب الذى يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفتخر على جمع السحب .

(٢) يقول : إن ما توافر فى قلبه من الهم لا يجمعه قلب غيره ، ولو ضمها قلب أحد لكان عظمًا مثلها ، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب قال الواحدى : وهذا مما أجرى فيه المجاز مجرى الحقيقة ، لأن عظم الهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعًا لسعتها ألا ترى أن قلب المدوح قد وسعها وصدره قد وسع قلبه وليس بأعظم من صدره غيره ؟ وقد قال ابن الرومى :

كَضْمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وَتَحْوِيهِ دَقَّتْ حَيَازُومُ

فبين أن الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانبنا الصدر :

(٣) المراد بالإمكان : اليسر والغنى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لولا سخاؤه لما اتبع الناس بغناه ، لانه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع ، لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذى يصرفه فى المنافع ؛ والمعنى أن الوجود لا ينفع بلا جود ، كالرماح لا تعمل ولا تنفع بدون الأيدي الطاعنة بها . كما يقول البحتري :

إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلٌ فَلَا قَطْعَ إِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقَطَّعُ
ويقول أيضاً : -

فَلَا تَغْلِيَنَّ السَّيْفَ كُلَّ غَلَاثِهِ لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السَّيْفَ تَقَطَّعُ

(٤) الصلت جد المدوح لأمه ، وعامر جده لأبيه . وقوله قران : لك أن تجعله مرفوعاً بفعل مضمر تقدير أنجب به قران هذه حاله ، مثلاً ؛ والقران فى الأصل : اسم لقارنة الكوكبين . جعل جديهما من الطرفين فى المصاهرة ونسب المدوح كقران الكواكب تعظيماً له ، ثم شبه اجتماعهما . باجتماع السيف الهندى مع الزهر ، فإذا اجتمعا حسن أثرهما وعلا أمرهما وبلغا غاية العز والمجد ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

فَجَاءَ بِهِ صَلَّى الْجَبِينِ مُعْظَمًا تَرَى النَّاسَ قُلًّا حَوْلَهُ وَهُمْ كَثُرُ^(١)
 مُفْدًى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمِيذَعًا هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي مَالَهُ جَزْرُ^(٢)
 وَمَا زَلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشُّوقُ نَحْوَهُ يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ^(٣)
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَّقِينَا صَفَرَ الْخَبَرَ الْخَبَرَ^(٤)
 إِلَيْكَ طَعْنًا فِي مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ بِكُلِّ وَاقٍ كُلُّ مَا لَقِيتَ نَحْرُ^(٥)

(١) جَاءَ بِهِ : أى الجدان المذكوران ؛ ويروى جاء : أى اقران : وصلت الجبين وضح أو الواسع المستوى الجليل وهو حال . يقول : ترى الناس قُلًّا حوله وهم كثيرون فى العدد ، قليلون بالقياس إليه . والقل : القلة ، والكثُر : الكثرة ؛ والتقدير : ذوى قل ، أى فى المعنى ، وهم ذوو كثرة فى العدد ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

إِن الْكَرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُوا كَمَا غَيَّرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا
 (٢) مفدى : حال أخرى ، كما أن معظما - فى البيت السابق - حال أولى : أى يقول له الرجال : فدينك بآبائنا ، والسמידح : السيد الكريم ؛ والد : زيادة الماء ؛ والجزر : نقصانه ؛ وجعله كرمًا - وهو مصدر - مبالغة لكثرة وجوده منه : أى هو ذو الكرم ذى اللد : يقول : هو كرم زائد لا نقصان له .

(٣) خبر مازلت : يسايرنى ؛ والركب : جماعة الركاب . يقول : مازلت يسايرنى فى كل ركب ذكره حتى قادننى الشوق إليه : أى أننى قبل أن أصل إليه كنت أسمع ذكره ، وما صاحبت أحداً إلا وهو يذكره بمدح وثناء ، وهذا ينظر إلى قول أبى تمام :

لَأَشِيءُ أَحْسَنُ مِنْ ثَنَائِي سَائِرًا وَنَدَاكَ فِي أَفْقِ الْبِلَادِ يَسَايِرُهُ
 (٤) الخبر : الخبرة والاختبار . يقول : كنت استعظم ما أسمع من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه ، فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر : أى وجدته خيراً مما كنت أسمع . وهذا من قوله صلوات الله وسلامه عليه لزيد الحنبل وقد وفد عليه : « ما وصف لى أحد إلا رأيته دون الوصف سواك ، فإنك فوق ما وصفت لى » . ويقول القائل :

كَانَتْ مُحَادَّةَ الرِّكْبَانِ تَخْبِرُنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ طَيْبَ الْخَبَرِ
 ثُمَّ التَّقِينَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي
 (٥) الصفصف : الفلاة المستوية ؛ والوأة : الناقة القوية . جعل سير الناقة فى الفلاة

إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسَعَةٍ مَرَحَتْ لَهَا
 كَانَ نَوَالاً صَرَ فِي جِلْدِهَا النَّبْرُ^(١)
 فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
 وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ^(٢)
 كَأَنَّكَ بَرْدُ الْمَاءِ لَا عَيْشَ دُونَهُ وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْهَيْشُ^(٣)

طعناً ، وجعل ما يقطعه من الأرض نحرأ : أى كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها ،
 يقول : أينما قصدت من الأرض قطعه وجازته لا تبالي بسهل ولا وعراً : بمنزلة الطعنة
 إذا أصابت نحرأ فإتها تنفذ فيه نفاذاً ذا أثر بالغ . قال الوجدى : ويجوز أن يكون
 المعنى : كل ما لقيه هذه الناقة من مشاق الطريق نجر لها : أى يفعل بها فعل النحر ،
 فكأنها تنحر في كل ساعة .

(١) النبر : دويعة تلسع الإبل فيرم موضع لسعها . يقول : إذا لسع النبر هذه
 الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت - نشطت واحتدت - في سيرها حتى لكأنه صر في
 جلدها نوالاً - عطاء - شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنائير ودرام ، فكأنها
 مرحت لذلك وقالوا : إن النبر إذا لسع الجمل ورم مكان اللسعة حتى يصير مثل الرمانة
 الصغيرة ، فلذلك حسن تشبيهه بالصرة في جلدها : يقول : إن الشدائد لا تقل حد
 مراحمها : أى أيتها لا تبالي في طريقها إلى المندوح بشيء ينالها .

(٢) يقول : جئناك وأنت دونهما في البعد : أى أقرب إلينا مطلباً منهما وهما -
 الشمس والبدر - دونك في جميع أحوالك ، فأنت أعم نفعا وأشهر ذكراً وأعلى منزلة
 وقدرأ : أى أنك - على بعدك - فإن الوصول إليك والإفادة منك أقرب وأيسر . وقوله
 دون الشمس : حال من المخاطب ؛ والنوى : البعد . قال الخطيب : ولم يعبر
 عبارة جيدة .

(٣) العشر : أبعد أطماء الإبل ، وهو أن ترها يوماً وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم
 العاشر أعطش ما تكون . يقول : لو كنت برد الماء لما غادرت غلة إلا أطفأتها حتى
 تستغنى الإبل عن معاودة الشرب ، وقال الواحدى : لو كنت الماء لو سعت بطبع الجود
 كل حيوان في كل مكان وفي ذلك ارتفاع الأطماء . وقال ابن جني : أى كانت تجاوز المدة
 في وردها العشر لغنائها بعذوبتك وبردك .

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحَجَى
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرِ تَكَادُ بَيُّوتُهُ
وَكَانَ الْمَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا
وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتَهَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الضَّرَّ أَحْسَنَ مَنَظَرًا
وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّسْرُ (١)
إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ (٢)
نُجُومُ الثَّرِيَا أَوْ خَلَائِكُ الزُّهْرِ (٣)
وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمَا النَّسْرِ (٤)
وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ (٥)

(١) يقول: دعاني إلى أن أتجمعك وأصمد إليك ما آثرك الله به من العلم والحلم والحجى - العقل - وما أعدده لك من منظومي في مدحك وما عهدناه فيك من النائل - العطاء - الذي تنثره نثرا على قاصديك ، وقيل يعنى بالكلام النظم : كلام المدوح ونظمه .

(٢) يروى قلت - بضم التاء - فيكون ذلك تأييداً لما ذهبنا إليه من تأويل البيت السابق ؛ ويروى بفتح التاء فيكون المعنى ماذهب إليه الواحدى ، قال : يقال إن هذا المدوح حسن الشعر مليحه . وقوله بيوته : أى آيات الشعر . وقوله يبيض من نورها : أى من نور معانيها ، أو من نور ما تضمنته من محاسنك . وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وَلَمَذَجْنِكَ قُلْتَهَا كَلِمَاتٌ هُذَّبَتْ فِيكَ أَيْمًا تَهْذِيبُ

سَوَدَتْ فِيكَ كُلُّ بَيْضَاءٍ تَسْوِيْدًا تَرَاهُ الْعُمُيُونُ كَالْتَهْذِيبِ

(٣) الخلائق : الأخلاق ؛ والزهر : جمع أزهر ، وهو اللؤلؤ الشرق . شبه معاني شعره في فصاحة ألفاظه بنجوم الثريا في اتساقها وجمالها ، وبأخلاق المدوح الزاهرة المشرقة في إشراقها وسطوعها وشهرتها .

(٤) يقتضينى يطالبنى . يقول . تنكبت السلاطين وتنحيت عن قصديهم لأنى أجتوهم وأمقتهم ولأنه بوى أن أعصف بهم وأقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التى تترقب أكلها ، فهى تطالبنى بمجاهمهم ، وهو المتنبي يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه وبعد مرتقى همته ، وإن كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقة .

(٥) الضر هنا : الفقر وسوء الحال . يقول : إن معاناة الفقر والحاجة أهون عندي وأحب إلى من أن أرى أو ألقى صغيراً - حقيراً - متكبراً ويروى بدل مرأى : لثيا ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : أعظم ما على النفوس : إعظام ذوى الدناءة .

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفَوَادُ وَهَمَّتِي
 أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْمَهَا مِنْكَ وَالشُّطْرُ^(١)
 وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرِ كَلَّهُ
 وَلَكِنْ لِشَعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ^(٢)
 وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا
 وَلَكِنْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ تَحْوِكَ الْبِشْرِ^(٣)
 وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَمَأْلَمُ
 بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ^(٤)

(١) تقول : رجل ود — بتثنية الواو — بمعنى ودود، والجمع أود. وقوله والشطر : الأوجه أنه عطف على لسانى . يقول : إن لسانى وعينى وفؤادى وهمتى تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك . وكذلك شطرى : أى أن كل شطر منى يود شطراً منك ؛ يعنى أن كلى يود كلك ، بقوله : أود اللواتى ذا اسمها منك : أى ودودة اللواتى تسمى منك بهذه الأسماء : أى اللسان الخ . قال الواحدى : والغرض من هذا البيت : التعمية قطع ، وإلا لما الفائدة من هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب ؟ ! أقول : ومن ثم تخط فيه الشراح أيعا تخط .

(٢) يقول : إني لم أستقل وحدى بهذا الشعر ولكن ظاهرنى عليه شعرى ، لأنه تهالك على مدحك ونزع إليه ورغب فيه كما رغبت . وللعنى : إن شعرى كان يطاوعنى ويؤاتينى فى مدحك حتى لكأنه كان ينظم معى ، والله قول أبى تمام فى هذا المعنى :

تَفَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ إِذَا رَقْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَائِمَهُ سَتَقْتَلُ

(٣) ما : نافية ؛ وذا : اسم إشارة . ورونق : السيف والوجه وما إليهما ماؤه ونضرتة . والبشر : طلاقة الوجه وتهله . يقول : ليس الذى يرى فى شعرى من الحسن رونقه هو : أى رونق فصاحته وبلاغته ، ولكن شعرى تهلل وجهه ابتهاجا بلقائك واحتشراً ضاحكا ناضراً حين رآك ، فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك .

(٤) الذى يوجب القدر : أى الذى يستدعيه قدرك ويستحقه ؛ ورواه قوم نلت بضم التاء — أى وإن نلت أنا وأنا من بعض خلمك ، وليس بشئ .

أَزَالَتْ بِكَ الْإَيَّامُ عَنِّي كَأَنَّمَا بَنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ^(١)

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد^(*) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبْرَتْ أُمٌّ لَمْ تَصْبِرْ أَوْ بَكَكَ إِنْ لَمْ يَجْرِدْ مَعَكَ أَوْ جَرَى^(١)

(١) يقول : لما سمحت الأيام بلقائك أزالتي عني عليها لأنني رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها ، فكان الأيام أنت بك عذراً عن ذنوب بنينا . والمصراع الأول من قول أبي تمام :

نَوَالِكَ رَدَّ حُسَادِي فُلُولًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي
والثاني من قوله أيضاً :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِي وَقْدِ يُرَى بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبٌ
ويقول أبو نواس :

يَرِمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
ويقول ابن الرومي :

أَتَمَّ أَنْاسٌ بِأَيَادِيكُمْ يَسْتَغْفِرُ الدَّهْرُ إِذَا أذُنَا
إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ وَزَادَ فِي عِدَّتِكُمْ أَعْتَبَا

(*) ذكر الخطيب التبريزي - في شرحه - : إن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً
مدح الوزير أبا الفضل جعفر ابن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها :
* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وجعلها موسومة باسمه ، فكانت إحدى قوافيها جعفرأ ، وكان قد قال فيها :

صفت السوار لأي كف بشرت بابن الفرات وأى عبيد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان -
وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة ؛ والكاتب الأديب
الكبير المعروف - فحول القصيدة إليه ، وحذف منها لفظ جعفرأ ، وجعل ان العميد
مكان ابن الفرات .

(٢) يقول - مخاطباً نفسه - : سواء أصبرت أم لم تصبر : هواك ظاهر للناس باد ،

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَأَبْتَسَامُكَ صَاحِبًا لِمَا رَأَاكَ وَفِي الْحَشَى مَا لَا يُرَى^(١)

وأى محب يستطيع أن يكتم حبه وهناك آياته من التحول والاصفرار وما إليهما وبكاؤك كذلك غير خاف على الناس : أجرى دمعك أم لم يجر ؟ لأن ما يبدو في صوت الحب من نعمة الحزن والزفير والشهيق والتهيو للبكاء شواهد على الدموع . وقال بعض الشراح : وبكاك : عطف على الضمير في قوله صبرت ، تقديره صبرت وصبر بكاءك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجري ، « هذا » : وقد قيل للتنبي خالفت في هذا البيت بين سبك الصراعين فوضعت في الصراع الأول إيجابا بعده نفي ، وفي الثاني نفي بعده إيجاب ، فقال لئن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وقعت بينهما من حيث المعنى . وذلك أن من صبر لم يجر دمه ، ومن لم يصبر جرى دمه : يعنى أنه أراد : صبرت فلم يجر دمعك أو لم تصبر فيجرى . . . وقوله لم تصبرا : أراد تصبرن - بنون التوكيد الخفيفة - فأبدلها ألفا . قال المكبرى : ومثله كثير في الكلام كقوله تعالى « ألقيا في جهنم » الخطاب للمالك وحده ، وإنما المعنى ألقين ، ومثله قول الحجاج : يا حرسى اضربا عنقه . والخطاب لواحد . والمعنى : اضرب عنقه ، ومثله تسويد بن كراع العقيلي :

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تتركاني أحمر عروضا ممنا
والخطاب لواحد . فهذا شاهد على ألقيا واضربا ، ومثله :

* فلا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا *

فقد جاء في الكتاب العزيز : النون الخفيفة بالألف خطأ في قوله تعالى « ليسجنن وليكونا » ومثله : « لنسفعا بالناسية » وقول الراجز :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخا على كرسية معمما

(١) يقول : كم غر صبرك وابتسامك من نظر إليك حتى ليظن أنك غير عاشق لأنه يرى صبرا وضحا ظاهرين ولا يرى ما في الباطن من الاحتراق والوجد ؟ ورد في الصباح النبي : أنه لما أنشد هذا البيت قال ابن العميد : يا أبا الطيب أ تقول ياد هواك ثم تقول كم غر صبرك ؟ فما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به ! فقال المتنبي : تلك حال وهذه حال . . . وإني لأحسب المتنبي حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض ، فاختصر الجواب أجزا اختصار . . . ومراده أن الحال التي يذكرها في البيت الثاني سابقة على الحال المذكورة في البيت الأول ، لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغير منظره ، ولكنه لما استحل جسمه بعد ذلك : استدل الناظر بنحوه على

نظر الدرس اطلع على

أَمَرَ الثُّوَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرًا^(١)
تَعَسَ الْمَهَارِيُّ غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَا
بِمُصَوِّرٍ لَيْسَ الْحَرِيرُ مُصَوِّرًا^(٢)

كونه عاشقاً فبدا هوام ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً في كتم المهوى ؛ وقد زاد هذا المعنى بياناً في البيت الذي يلي .

(١) الثُّوَادُ في الجسد بمنزلة الملك ، فلماذا جعله آمراً للسان والجفن . يقول : أمر القلب اللسان بالكتمان والجفون بإسك الدموع فأطعنه وكتمن ولكن جسمك بنحوه دل على ما في قلبك ؛ والضمير في قوله فكتمنه : عائد على قوله مالا يرى - في البيت السابق - وجسمك : فاعل كفى ؛ والباء : زائدة ، ومخبراً : خلف من موصوف يتميز . وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر :

خَبَّرِي خُذِيهِ عَنِ الضَّنَى وَعَنِ الْأَمَى لَيْسَ اللِّسَانُ وَإِنْ تَلَفْتُ بِمُخْبِرِ
(٢) تعس : كبا وعثر ، وقد يراد به الهلاك ، والمهاري : جمع مهري والبعير مهري والناقة مهريّة نسبة إلى مهرة بن حيدان : أبي قبيلة عرفت بحسن القومة على الإبل وتقول في الجمع : مهاري ومهار ومهاري . قال رؤبة :

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلٌّ مِثْلَهُ بِنَا حَرَّاجِيجُ الْمَهَارِي الثَّنْفَةِ^(١)
وقوله غير مهري : استثناء ، وغدا : أي ذهب غدوة . يدعو بالتعس على الإبل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع - هذا الحبيب الذي لبراعة حسنه كأنه صور تصويراً ، والذي يلبس الديباج منقشاً بالصور .

(١) قبله :

وَنَخْفِي مِنْ لَهْلِهِ وَلَهْلِهِ فِي مَهْمَةٍ أَطْرَافِهِ فِي مَهْمَةٍ
أَعْمَى الْمَهْدَى بِالْجَاهِلِينَ الْمَهْمُ بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلٌّ مِثْلَهُ
بِنَا حَرَّاجِيجُ الْمَهَارِي الثَّنْفَةِ يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالنَّوْهِ

الحقق : الموضع الذي يخفق فيه السراب ، واللهل : المكان المستوى الذي ليس به علم ، وغول كل ميله : أي بعده يريد مكاناً بعيداً يغتال المشي فلا يستبين فيه ولا يكاد يقطع من بعده ، والميله الفلاة التي توله الناس وتخبرهم ، والحراجيج : جمع حرجوج ، والناقة الوقادة الحادة القلب أو الضامرة ، والثنف : جمع نافه

نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً فِي سِتْرِهِ لَوْ كُنْتُهَا لَخَفِيتُ حَتَّى يَظْهَرَ^(١)
لَا تَتَرَبِّ الْأَيْدِي الْمُتَيَسِّمَةُ فَوْقَهُ

كَيْسَرِي مَقَامَ الْحَاجِبَيْنِ وَقَيْصَرَ^(٢)
يَقِيَانٍ فِي أَحَدِ الْهَوَاجِجِ مُقَلَّةً رَحَلَتْ فَكَانَ لَهَا فَوَادِي تَحْجِرُ^(٣)

(١) يقول : إني أنس لأجل الحبيب المصور على الصورة التي في ستر هو دجه وأحسدها لقربها منه ، ولو كنت تلك الصورة لخفيت حتى يظهر هو ، فأراه ويزول الحجاب وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر فمضى خفاء الصورة انكشاف الستر ، ومتى انكشف انكشف الحبيب فيراه المحب . وإليك عبارات سائر الشراح قال ابن جني : لو كنت الصورة التي في ستره لزلت حتى يظهر الذي فيه لرأى العين وذلك أن كل أحد يحب أن يراه ودونه ستر فلو كنت ذلك الستر لانكشفت حتى يظهر للناس ويزول ذلك الحجاب . وقال الواحدي : أنا أحسد الستر لأجل الحبيب الذي في هودجه لقربها منه ، يعني الصورة ، ولو كنت الصورة لخفيت حتى يظهر الحبيب فتراه الأبصار . وقال ابن القطاع : إنما تمنى أن يكون صورة في سترها ليشاهدها كل وقت ، ثم قال : لو كنتها لخفيت من نحو لي فلم أسترها عن العيون وكانت تظهر للناظرين .

(٢) لا تترب : لا تفتقر ، ويقال ترب الرجل : افتقر وصار على التراب ، ولا تربت يدك : أي لا افتقر « أو مسكينا ذا مترية » صار على التراب لفقره . وكسرى : لقب ملوك العجم ، وقیصر : لقب ملوك الروم . يريد أن صورة كسرى وقیصر كانت على الستر وكأنهما أقما مقام حاجبين يحجبان هذا المصور . يدعو التنبي للأیدی التي نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بأن لا تترب . وفيه نظر إلى قول أبي نواس :

قَرَارَتَهَا كَسْرِي وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهْيَ تَدْرِيبِهَا بِالْقِسَى الْفُؤَارِ

(٣) الهواجج : جمع هودج ، مركب النساء على الجمال ، والمحجر : ما حول العين ، يقول : إن هذين الحاجبين يصرفان السوء — من الغبار ، وحر الهواء وحر الشمس —

وهي اللعينة . وفي الحديث : نفثت نفسك : أعيت وكلت ، وقال أبو سعيد : لم يجد رؤية موضعها إنما يقال رجل منفوه الفؤاد إذا ضعف من صوم أو جهد ، ويجذبته يريد يجذب أنفسه فيه . وقوله والتأوه . هو مثل قول النقيب العبدى .

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلِيلٍ تَأَوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَا^(١)
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ إِذْ أَغْتَدْتُ رُؤُودَهُمْ لَمَنْعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا^(٢)
 فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابٍ فَرَأَيْهِمْ جَعَلَ الصِّيَاحَ بَيْنَهُمْ أَنْ يُمَطِّرَا^(٣)
 وَإِذَا الْحَمَائِلُ مَا يَحْدُنَ يَنْفَنَفُ إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَا^(٤)

عن مقالة أحد الهوارج - يعنى هودج الحبيب - وكفى عنه بالقلة - العين - لعزته ، وجعل فؤاده محجراً لتلك القلة ، والمعنى أنها كانت ضياء قلبي بمثابة عين القلب ، فلما ارتفعت عنى عمى قلبي والتبس على أمرى وقعت لى كتمقه ذهبت وبقي الحجير ، وينظر في هذا التشبيه إلى قول أبي تمام :

إِنْ الْخَلِيفَةُ حِينَ يُظْلِمُ حَادِثٌ عَيْنُ الْمَدَى وَلَهُ الْخِلَافَةُ مَحْجَرُ

(١) الحائث : المالك . يقول : كنت أحذر بينهم - بعدهم وفراقهم - قبل حدوثه ولكن الحذر لا يدفع الحذور ، لأنه متى قدر وقع لا محالة .

(٢) الرواد : جمع رائد ، وهو الذى يرتاد لأهله السكلاً والماء ، واحتدت مثل غدت : أى ذهبت غدوة . يقول : لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر حتى لا يحدوا ماء ولا سكلاً يرتحلون إليهما للاستنجاع .

(٣) قال الواحدى : هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره ، كأنه قال : لمنعت كل سحابة أن تمطر لأنى تأملت الحال ، فإذا السحاب - الذى هو أخو الغراب في التفريق - أبعدهم عنا . جعل السحاب أخا الغراب ، لأنه سبب الافتراق عند الاستنجاع وتبع مساقط الغيث في الريح كمادة أهل العير السيارة ، ولما جعله أخا الغراب جعل المطر كصياح الغراب ، لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم ، كذلك سقوط الغيث من السحاب سبب للارتحال في تتبع الغيث . فالسحاب - في قوله : فإذا السحاب مبتدأ ؛ وأخو غراب فراقهم : نعت له ، وجمله جعل الصياح : خبر ، ولك أن تجعل أخو : خبر عن السحاب وجعل الصياح : خبراً آخر عنه .

(٤) الجمائل - بالحاء المهملة - جمع حمولة ، وهى الإبل يحمل عليها ؛ وهذه رواية ابن جني ؛ وروى غيره : الجمائل - بالجيم - جمع جمالة ، جمع جمل . ويحدن : من الوحد ، وهو ضرب من السير سريع ؛ والنفنف : المفازة والهوى بين جبلين . يقول : كلما مرت جمالمهم بأرض مخضرة بالسكلاً بدت عليها آثار سيرها ، فكأنما شقت ثوباً أخضر . والمعنى : أنهم فارقونا أيام الريح عند اخضرار الأرض . أو تقول : كثر الحصب

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرُّوضِ إِلَّا أَنَّهَا أُسْبَى مَهَاةً لِلْقُلُوبِ وَجُوذَرًا^(١)
فَبَلَحْظَهَا نَكِرَتْ قَنَائِي رَاحَتِي ضَعْفًا وَأُنْكَرَ خَاتَمَايَ الْخُنْصِيرَا^(٢)
أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ وَأَرَادَ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أُخَيَّرَا^(٣)

أمامهم ، فكانت ركبهم لا تقطع موضعاً إلا وقد كسته الحضرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشوق في الثوب .

وفي هذا نظر إلى قول الآخر :

فكأنما الأنواء بعدهم كست الطلول غلاتاً خضراً

(١) يقول : إن هذه الإبل تحمل هودج مثل الرياض - أى أرينت بالأنماط والديباج ، فكانت مثل الرياض في تلون أزهارها - غير أن ما تحمله الإبل من مهاها وجاذرها - - - - - : الحجاب - أسى لقلوب الرجال من مها الرياض وجاذرها والمهاة البقرة الوحشية . تشبه بها النساء لحسن عيونها ؛ والجوذر : والله للمهاة قال الواحدى : قوله إلا أنها : رواها ابن جنى : إلا أنه ، كناية عن المثل ، والناس يروون « أنها » ، لأن مثل الروض روض . فالضمير على الروايتين : لمثل ، إلا أن ابن جنى رده على اللفظ . وغيره رده على المعنى . والبيت ينظر إلى قول أبى تمام :

خرجن في خضرة كالروض ليس لها إلا الخليلي على أعناقها زهر
وقد سبق الجميع عدى بن زيد . إذ يقول :

لمن الظعن كالبساتين في الصبح نرى بينها أثيثاً نضيراً
[الأثيث : النبات الملتف] .

(٢) بلحظها من إضافة المصدر إلى مفعوله : أى فبلحظى إياها ؛ ونكره وأنكره : بمعنى ، ضد ، عرفه ؛ وضعفاً : مفعول لأجله . يقول : بسبب نظرى إلى هذه الهودج يوم الفراق صرت ضاويًا مهزولاً حتى أنكرت قنأى يدي لضفها عن حملها ، وأنكر خاتمى خنصرى لأنه صار يقلق فيه واتسع عليه من الهزال وقلة اللحم .

(٣) هذا تمهيد للتخلص من النسب للديح . قال الواحدى . يقول : لم أقبل عطاء الزمان ترفهاً وبعد همة : أى أردت عطاءك دون عطاء الزمان ، وأراد الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك . والمعنى أن الزمان أراد أن يسترقى بإحسانه فأبيت ذلك واخترتك على طول الزمان ، فإنك إذا ملكتنى ملكت الزمان بما فيه .

أَرْجَانِ أَتَيْتَهَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ عَزَمِي الَّذِي يَذَرُ الْوَشِيحَ مُكْسَرًا^(١)
 تَوَكَّلْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتَ فَعَالَهُ مَاشِقٌ كَوَكَبِكَ الْعَجَاجُ الْأَكْدَرَا^(٢)
 أُمِّي أَبَا الْفَضْلِ الْمُبَرِّ الْأَيْتِي لَا يُؤْمِنَنَّ أَجَلٌ بِبَحْرِ جَوْهَرَا^(٣)
 أَفَتِي بِرُؤْيَيْهِ الْأَنَامُ وَحَاشَ لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقْصَرًّا أَوْ مُقْصِرَا^(٤)
 صُنْتُ السَّوَارَ لِأَيِّ كَفٍّ بَشَرْتُ بِابْنِ الْعَمِيدِ وَأَيُّ عَبْدٍ كَبَّرَا^(٥)

(١) أرجان : أى اقصدى أيتها الجياد أرجان ؛ وأرجان : بلد المدوح - بلد بفارس - بتشديد الراء فى الأصل ، إلا أنه خففه ضرورة - والضمير فى أنه : للشأن .
 والوشيح : شجر الرماح . يقول لحيله : اقصدى هذا البلد ولا يلقين فى روعك أن ثم شيئا يصدك عنه فإنه عزمى القوى الذى يكسر الزماح بقوته ؛ يعنى أن الرماح لا تتوقى عن هذه العزيمة ، وهى الوجه الذى تخيره على ما أشار إليه فى البيت السابق .

(٢) (الفعال : الفعل ؛ وكوكب الخيل : جماعتها المجتمعة ؛ والعجاج : الغبار ؛ والأكدر . الكدر : يقول لحيله : لو فعلت ما تريدن ماركضتك فى الغبار المظلم ، يعنى أن الخيل تريد الجمال والراحة ، وهو يتنمها بالأسفار .

(٣) أمى : اقصدى ؛ والآلية . اليمين ؛ وأبريمينه وبر فى يمينه : صدق . يقول : اقصدى أيتها الخيل هذا المدوح الذى يبر قسمى إذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرا ؛ أى إذا قصدته برت يمينى هذه لأنه هو ذلك البحر .

(٤) (يقال قصر عن الشيء إذا تركه عجزاً . وأقصر عنه : إذا تركه قادراً عليه يقول : أفتانى الناس فى إبرار هذا اليمين بقصده ورؤيته ، وأعوذ بالله أن أقصر فى إبرار هذا القسم أو أقصر عنه ، فإنى إذا فعلت ذلك كنت شاقاً لعصا الإجماع ، لأن الإجماع على أن قسمى لا تبر إلا برؤيته . هذا ويقال حاش لله : أى تنزيها له ؛ ولا يقال حاش لك قياساً عليه ؛ وإنما يقال حاشاك وحاشى لك ؛ وهى تعرب إعراب المصدر ؛ واللام لبيان المفعول ، كما تقول تنزيها لك ، وقال أبو إسحاق الزجاج فى قوله تعالى « وقلن حاش لله » اشتق من قولك : كنت فى حشا فلان ، أى فى ناحية فلان . والمعنى فى « حاش لله » براءة لله من هذا ؛ وإذا قلت حاشى لزيد فهذا من التحدى ، والمعنى قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه . وقال ابن الأنبارى فى قولهم حاشا فلانا : معناه قد استنيتته وأخرجته فلم أدخله فى جملة المذكورين .

(٥) يقول : أى كف أشارت إلى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى السوار أحلها

إِنْ لَمْ تُغْنِنِي خَيْلُهُ وَسِلَاحُهُ فَتَنِي أَتَوُّدُ إِلَى الْأَعَادِي عَسْكَرًا^(١)
بِأَبِي وَأُمِّي نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ ثَمَنُ نُبَاحٍ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى^(٢)
مَنْ لَا تُرِيدُ الْحَرْبُ خَلْقًا مُقْبِلًا فِيهَا وَلَا خَلْقٌ يَرَاهُ مُذْبِرًا^(٣)
خَنَى الْفُحُولَ مِنَ الْكِمَاةِ بِصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعْصَفَرًا^(٤)

به ؟ وكذلك أى عبد من عبيده كبر — قال الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سروراً يبرقسمى ؟ .

(١) قال الواحدى : هذه إشارة إلى أنه يمدد بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الأعداء ؛ وعادة المتنبي طلب الولايات ممن يمدحه ، لا طلب الصلات .

(٢) بأبى وأمى : أى أفضيه بهما ، يصفه بالبلاغة ، يقول : إنه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيصير لفظه ثمناً للقلوب فيتصرف فيها كما يريد بما أوتي من بلاغة ، وإن شئت قلت إن ألفاظه عزيزة تحمل القلوب أماناً لها لم توجد غيرها . وقوله : تباع وتشتري . أى إن الناس يبيعونها بهذا الثمن وهو يشتريها فيصير مالكمها ، وإن شئت جعلت الشراء يباع فيكون مكرراً بلفظين معناها واحد ، قاله الواحدى .

(٣) يقول : لا يقدم أحد على لقاءه في الحرب تهيأه ، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته : وقوله « من » : بدل من ناطق .

(٤) خنى الفحول : أى صيرهم خنائى ؛ والكماة : جمع كمي ، وهو المستتر في الحديد ؛ والمعصر : المصبوغ بالصفر ، وما يلبسون : مفعول أول لصبغه ؛ ومعصفاً : مفعول ثان على تضمينه معنى التحويل . يقول : جعل أبطاحهم الفحول خنائى حين صبغ ما يلبسون من الحديد بالدم ، فأشبهت الثياب المعصرة التي يلبسها النساء والمختشون « هذا » وقد قلنا : إن معنى خنى الفحول : أى جعلهم وصيرهم غشنيين ، فهو فعل ماض . قال العكبرى : وزنه فعلل : مثل دحرج . وقال ابن القطاع : أصله خنث ، فكروها اجتماع التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى خطي وغظي : أبدلوا ألفاً من حروف التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى تقضى البازي وقصيت أظفارى . وتظنى : من الظن ؛ قال : وزعم النحويون أن حروف الزوائد تكون للإلحاق ، وأبى ذلك أهل اللغة العلماء بالتصريف والاشتقاق ، وقالوا : لاتدخل حروف الزوائد فى الإلحاق ألبتة . وإنما تدخل فى الإلحاق : الحروف الأصلية التي هى فاء الفعل وعينه ولامه ، فالفاء نحو قولهم : درج : للناقة المسنة ، تكررت فيه الفاء للإلحاق

يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعِيفُ بِكُفِّهِ شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرًا^(١)
وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ تَبِيهُ لِدَلِّ قَلْوِ مَشَى لَتَبْخَرًا^(٢)
يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ الْبِلَادَ كِتَابُهُ قَبْلَ الْجِيُوشِ ثَنَى الْجِيُوشَ تَحِيْرًا^(٣)

بجعتن ، وهى أصول الصليان^(١) والعين ، كقولهم حدرد : اسم رجل ، تكررت فيه العين للحاق بجعفر ؛ واللام كقولهم : تعدد ، تكررت فيه اللام للحاق بـيرثن ؛ وقال النحويون : الألف فى مثنى للحاق وفى رضى وسلى للتأنيث ، ثم تقضوا قولهم فقالوا الألف فى بهى وعزهى : ليست للتأنيث ولا للحاق ، وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى إقامة دليل . وإنما أوقعهم فى هذا الغلط أنهم رأوا العرب قد جمعوا بين تأنيثين ، فقالوا بهمة وعلقة وعزهاة ؛ فقالوا : لا يجوز أن يجمع بين تأنيثين ، وقد جمعت العرب بين تأنيثين فى أكثر كلامهم : فكيف يجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ هذا لا يكون ولا يحتاج به إلا جاهل .

(١) بكفه : رواها ابن جنى : بخطه . يقول : إن الأقلام حين كتابته بها تفضل الرماح إذا باشرتها بكفه . وعبارة ابن جنى : قلته أشرف من الرماح لأن كفه يباشره عند الخط فيحصل له الشرف والفخر على الرماح التى لم يباشرها . وهو من قول البحرى :

وأقلام كتاب إذا ما نصصتها إلى نسب صارت رماح فوارس
(نصصتها : من نص الحديث إلى فلان : رفعه) .

(٢) الضمير فى منه : للقصب ، والبنان : أطراف الأصابع ؛ والته : الكبر والإدلال جرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها فى نفسه . يقول : إن القلم الذى يمس ببنانه يظهر فيه الكبر ، حتى لو مشى ذلك القلم لتبختر تشرفا وعجبا بـمه إياه .

(٣) يقول : إذا ورد كتابه الأعداء يندرم ويتوعدم فعل كتابه فعل الجيش فردم حائرين متلذذين خوفا وذعرا بللاغة كلامه وشدة وعيده . وعبارة الواحدى : يسحرم يبيانه فينصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر . وعبارة ابن جنى : إذا كتب إلى مخالف كتابا لم يحتج معه إلى لقاء الجيوش لانه يبلغ ما يريد بالكتاب ، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرا من فعل الكتاب ، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

(١) الصليان : نبت .

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا أُرْتَكِبَتْ طَرِيقَةٌ
وَمَنْ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرًا^(١)
قَطَفَ الرَّجَالُ الْقَوْلَ وَقْتَ نَبَاتِهِ
وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا^(٢)
فَهَوَ الشَّيْعُ بِالمَسَامِيعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرَّرَا^(٣)

تكنى عن النبيل أحياناً مكايدهُ وربما خانت أعلامه الأسلا
ومثله لآخر :

في كلِّ يومٍ له جُنْدٌ مُوجَّهَةٌ من المكاييد تطوى في الطوامير
(الطوامير : جمع طامور ، وهو الصحيفة)

(١) الغضنفر : الأسد ؛ والرديف : الراكب خلفك ، وارتكبت طريقة : يروى
ركبت طريقة . يقول : أنت منفرد في كل طريقة تأتينا وتحاولها لا يقدر أحد أن يحدو
حدوك في طرائقك لصعوبتها وامتناعها . كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفاً
له . يعنى أن أفعالك صعبة لا يقدر عليها أحد فلا يتبعك ، عليها مخافة تقصيره فيفتضح ،
قال الواحدى : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوباً - يريد أنه مفعول ركبت - ويجوز
أن يكون حالاً للممدوح : أى لا يقدر أحد أن يكون رديفاً لك وأنت غضنفر .
(٢) يقول : إن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينضج وإدراكها فى خداج ليست
بمخلوعة ولا غناء فيها ، أما أنت فقولك كالنبات إذا نور - أزهى - وبلغ أناء فهو حلو
معسول قد بلغ الغاية فى الحسن والكمال ، ويروى : قبل نباته ، قال العكبرى : أى
قبل تمامه .

(٣) يقول : إن مسامع الناس تشيع قولك - أى تتبعه - فى مسيره إذا انفصل
من فيك بالإقبال عليه والإصغاء إليه جبا له وشغفا به . وإذا كرر ازداد حسنه ، على
خلاف ما عهد من الكلام : فإنه إذا أعيد سمع ، وإذا تكرر تكرج^(١) وفى هذا نظر
إلى قول أبي نواس :

(١) من تكرج الطعام والخبر : فسد وتعفن .

وَإِذَا سَكَتَ فَإِنَّ أُنْبَلَخَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ أُنْخَذَ الْأَصَابِعَ مِنْبِرًا^(١)
 وَرَسَائِلُ قَطَعَ الْمُعْدَاءُ سِجَاءَهَا
 فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّةً وَسَنَوْرًا^(٢)
 فَدَعَاكَ حُسْدَكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا
 وَدَعَاكَ خَالُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرَ^(٣)
 خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ
 كَانَلَطُ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرَ^(٤)

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا
 ويقول البحري :

مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ لَا يُخْ لَقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
 والشَّيخ : يروى المتبع .

(١) يقول : إذا سكت ناب عنك قلمك ، فكان أبلغ خاطب ، منبره الأصابع .
 (٢) ورسائل : عطف على قلم - في البيت السابق - والسجاء : ما يشد به الكتاب
 من آدم . والسنور : الحديد والدروع . وهذا البيت كالتفسير لقوله : ثنى الجيوش تحيرا
 يقول : إن الأعداء إذا قطعوا سجاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة ألفاظك
 وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرا ويأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح
 في دفع الأعداء . ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب في جواب كتاب ملك الروم :
 قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرأه ، فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ
 الأحشاء نارا ، ويدع القلوب أعشارا ، ويشعر النفوس حذارا ، ويعقب أقدام ذوى
 الإقدام نكوصا وفرارا ؟ وجميل قول بعضهم مما ينظر إلى هذا المعنى :

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّسَالُ بَيْنَنَا

تجرى على الورق الذى لم يُغرس

أيام أسرارى لديك وسرّكم يهْدَى إِلَى مع الفصيح الأخرس

« ويريد بالورق الذى لم يغرس : البردى ونحوه ؛ وبالفصيح الأخرس : الكتاب » .
 (٣) و (٤) المسمع الأذن . يقول : إن ما يشاهده الناس فيك من الصفات الشريفة

أَرَأَيْتَ هِمَّةً نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدًا مُرْحًا وَخُفًا مُجْمَرًا^(١)
تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا
طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْقَنْبَرَا^(٢)

التي آثرك الله بها : تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظاً ، فكأنما هذه الصفات الظاهرة فيك خلف لكلامه ، يفهم منها ما يفهم منه ، ثم مثلها بالخط ؛ فإن معناه إنما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيدة بسماع الآذان ، فكأنه لفظ مسموع . وعبارة سائر الشراح : سماك الأعداء الرئيس وأمسكوا وسماك الله الرئيس الأكبر ، وقد علمنا ذلك لما قامت صفاتك الشريفة مقام كلام الله ، وهى تلك التي خصك الله بها في الدلالة على أنك أفضل الناس فصار كأنه - جل شأنه - دعاك الأكبر قولاً من حيث دعاك فعلاً ، كالخط فإن من كاتب كن شافه وخاطب ، ومن أعلم خطاً فكأنه أسمع فأفهم . وحاصل المعنى : أن الإنسان إذا رأى ما حصك الله به من كمال الفضل علم أنك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الأكبر ، فقوله خلفت صفاتك : يبين لقوله : ودعاك خالقك الرئيس الأكبر .

(١) السرح : السهلة السير ؛ والمجرم : الشديد الصلب ؛ ويقال أيضاً خف مجرم : أى خفيف سريع . قال الخوارزمي : أراد خفاً خفيفاً فلم يوافق اللفظ ، ولو وافقه لكان تجنيساً ظاهراً ، وإلا فإذا لم يوافق فهو تجنيس معنوي . يذكر المتنبي علو همة ناقته حين قصده وأنها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق ، وهو إخبار عن علو همة هو لأنه يحمل ناقته في السير مالا يطيق أمثالها :

(٢) الرمث : نبت يوقد به . يشبه النضا ، وهو من مراعى الإبل ؛ أما الرمث - بالفتح والتحريك - فهو خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب عليه في البحر ، والجمع أرمات . قال أبو صخر الهذلي :

تَمَنَيْتُ مِنْ حَبِّي بُتَيْنَةَ أَنَا عَلَى رَمْثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفْرٌ
(وفر : مال) .

يقول : تركت الأعراب ووقودهم وأنت قوما ووقودهم الغبر ، يعنى المدحج . وهذا من قول البحترى :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا أرضاً ترب الشيع والقيصوما

وَتَكْرَمَتْ رُكْبَانُهَا عَنْ مَبْرَكِ
 تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِنْكَ أَذْفَرُ^(١)
 فَاتَتْكَ دَامِيَّةُ الْأَطْلَنِ كَأَنَّمَا
 حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا الْعَقِيْقُ الْأَحْمَرُ^(٢)
 بَدَرَتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّوْمَانِ كَأَنَّمَا
 وَجَدَتْهُ مَشْفُولَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرًا^(٣)
 مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهَا
 شَاهَدْتُ رَسْطَ الْبَيْسِ وَالْإِسْكَندَرَا^(٤)

(١) الأذفر : أى الذكى الرائحة . يقول : تكرمت ناقى عن أن تبرك إلا على المسك الأذفر . يريد أن العنبر بحضرة المدوح يوقد به والمسك ممتن عنده بحيث يبرك عليه البعير ؛ والركبات : جمع ركة ، وإنما عنى اثنين بدليل قوله تقعان . قال العكبرى ركباتها جمع ركة ، وإنما عنى اثنين وهو كقوله جل وعلا « فقد صفت قلوبكما » وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع ، ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بالتثنية فقال تقعان ؛ ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركة ، كقولهم : شابت مفارقة ، وهو مفرق واحد ، وإنما أراد كل جزء من المفرق ، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان .

(٢) الأطل : باطن خف البعير ؛ وحذيت : أى جعل لها حذاء ، وهو النعل . يقول : أتت الناقة وقد دمت أخفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها اتلعت العقيق الأحمر ، كما قال الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَةِ أَيْدِي جَوَارٍ بَيْنَ نَاعِمَاتٍ

أى تخضبت بالدم خضاب هؤلاء الجوارى .

(٣) بدرت : سبقت . يقول : سبقت إليك العوائق وصروف الزمان فكشاتها وجدت الزمان مشغولاً عنها فاتهزت الفرصة فى تصدك فإن الزمان موكل صرفه بدفع الخيرات .

(٤) بعدها : أى بعد الأعراب . يقول من الذى يبلغ الأعراب أنى بعد أن فارقتهم

وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَ فِي
 مَن يَنْحَرُ الْبَدْرَ النَّضَارَ لِنَ قَرَى^(١)
 وَتَمِمَّتْ بِطَلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبِهِ
 مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا^(٢)

رأيت عالماً هو في علمه وحكمته مثل أرسطوطاليس . وملكا هو في سعة ملكه كالإسكندر ؟ قال الواحدى : وأرسطوطاليس : اسم رومى ، لما أراد المتنبي استعماله : حذف بعضه ، فإن العرب تجترى على استعمال الأسماء الأعجمية ؛ فإن أمكن نقلها إلى أوزانهم : نقلوها ، وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها ، ومثل هذا الاسم في كثرة حروفه لا يوجد في كلام العرب .

(١) العشار : جمع عشراء ، وهى فى الأصل : التى لعلها عشرة أشهر ، والمراد هنا : النياق الوالدات ، والبدر : جمع بدوة ، وهى كيس فيه سبعة آلاف دينار ، وقيل عشرة ؛ والنضار : الذهب . يقول : ملئت فى صجة الأعراب نحر الإبل ولحومها فأضافى من يجعل قراء بدر الذهب ، وإنما استعمل النحر فى البدر لذكره نحر العشار ، ومعنى نحر البدر : فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب . وهذا من قول البحترى :

مَلِكٌ بَقَالِيَةِ الْمِرَاقِ قِيَابُهُ
 يَقْرَى الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ

(٢) بطليموس : هو الفلكى صاحب المجسطى ، يشبه ابن العميد بيطليموس فى علمه وحكمته . يقول : سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه — أى يتكلم بالعلوم التى فيها — وقد جمع بين جلالة الملك ، وفصاحة اليد ، وظرافة الحضر . قال الواحدى : ويطليموس : يعنى ابن العميد ، سماه بهذا : للشابهة بينه وبين هذا الحكيم ؛ ونصب دارس كتبه : على الحال ، وكذلك ما بعده . ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد ما عفا ودرس من كتب بطليموس لأنه أحياء بذكائه وجودة قريحته . ويكون التقدير سمعت دارس كتب بطليموس ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه ، ويجوز أن يكون دارس كتبه : مفعولا ثانيا ، كما تقول : سمعت زيدا هذا الحديث .

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُمُ الْفُؤُوسَهُمْ وَالْأَغْصُرَ (١)
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحَسَابِ مُقَدَّمًا
وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا (٢)
يَالَيْتَ بَاكِيَةً شَجَانِي دَمْعُهَا
نَظَرْتُ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعَذَّرًا (٣)

(١) يقول : لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين ، فكان الله أحياءم
ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم : يعنى أن فيه من الفضل ما كان في جميع الفضلاء . وفي
مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

أَتَيْتُهُ وَأَنَا الْمَلُوءُ مِنْ غَضَبٍ عَلَى الزَّمَانِ فَسَرَى عَنِّي الْغَضَبُ
فَلَوْ حَلَفْتُ لَمَا كُذِّبْتُ يَوْمَئِذٍ

أنى لقيت هناك العُجُم ، والعربا

(٢) نسقوا : سردوا . وقوله فذلك : فاعل أتى . وهى حكاية قول الحاسب
إذا أجزل حسابه : فذلك كذا وكذا . يقول : إن هؤلاء الفاضلين قد تابعوا
متقدمين عليك في الزمان ، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت
منهم بمثابة إجمال الحسار : الذى تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب
في آخرها : فذلك كذا وكذا . وعبرة الواحدى : يقول : جمع لنا الفضلاء في الزمان
ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود ؛ فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل
ما كان فيهم : مثل الحساب تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب في
آخر الحساب ؛ فذلك كذا وكذا : فجمع في الجملة ما ذكر في التفصيل ، كذلك أنت :
جمع فيك من الفضل ما فرق فيهم . وهذا ينظر إلى قول القائل :

وَفِي النَّاسِ مِمَّا خُصِّصْتُمْ بِهِ

تَفَارِيقَ لَكِنْ لَكُمْ مُجْتَمِعٌ

(٣) يقول : ليت للبكية التى بكيت على فراقى وأحزنى بكأوها رأيتك كما رأيتك ،
لتمدرنى في فراقها وركوب الأهوال والأخطار في سفرى إليك . وقوله : فتعذرا قال
العكبرى : نصبا على جواب التثنية بإضمار « أن » عند البصريين وبالفاء نفسها عندنا .

وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً
الْشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُحُورًا^(١)
أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلًا
وَأَسْرُ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتَجَرًّا^(٢)

(١) ترى : أى الباكية ؛ ولا ترد فضيلة : مفعول ثان لترى ؛ والشمس : بدل من الفضيلة ؛ والسحاب معطوف عليها وتشرق حال من الشمس ؛ والكنهور : العظيم المتكاثف ، وهو حال من السحاب ، يقول : إن هذه الباكية ترى الفضيلة عندك لا ترد ضدها من الفضائل على ما عهدنا في المتضادين ، ثم فسر ذلك فقال : يريك الشمس مشرقة والسحاب كنهوراً : أى يريك المدوح في حال واحدة هذين المتضادين ؛ فوجهه كالشمس إضاءة ، ونائله كالسحاب الكنهور فيضاً ، فقد اجتمعان في وقت واحد ، مع أن السحاب الكنهور في الحقيقة يستر الشمس فلا يجتمعان . والمراد : أنه يتدفق بالنوال ويتبلج عند السؤال . وقد قال في هذا المعنى محمد بن طلى بن بسام :

الْشَّمْسُ غَرَّتْهُ وَالْفَيْثُ رَاحَتُهُ . فَهَلْ سَمِعْتُمْ بَيْثَ جَاءَ مِنْ شَمْسٍ
وأوضحه ابن الرومي فقال :

يُلْقَى مُعِيماً مُشِيساً فِي حَالَةٍ هَاطِلِ الْإِغَامَةِ نَيْرِ الْإِشْشَاسِ
وقال أيضاً :

لِكُلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيْهِ وَوَجْهِهِ
مَدَى الدَّهْرِ يَوْمٌ غَائِمُ الْجَوْ شَامِسٌ

وتبعه البحتري فقال :

وَأَبْيَضَ وَضَاحٌ إِذَا مَا تَفَيَّيْتُ يَدَاهُ تَجَلَّى وَجْهُهُ فَتَقَشَّعَا
وقال الرضى :

أَمْطَرُوا الْجُودَ مُضِيئاً بِشَرِّهِمْ فَرَأَيْنَاهُمْ شُمُوساً وَغَمَامَا

(٢) يقول : طاب مكانى ومنزلى بقصده ، وسرتنى راحلق إذ أدنى إليه ، وتجارنى أربح من تجارة غيرى إذ اشتري شعري بأوفر الأثمان . فقد بلغت فى ذلك كله ما لم يبلغه أحد من الناس ؛ وقال الواحدى . قوله : وأسر راحلة : هو مبالغة من السر ؛ أى

زُحَلٌ عَلَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ قَوْمُهُ
لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَفْشَرًا^(١)

أخفتني بسرّها لئلا حق أتيتك ؛ وإن كان من السرور فيكون سرور صاحبها هو المراد بسرورها . وقوله : منزلا وما بعده ، منصوب على التمييز ، والتجر : ما يتخذ للتجارة .
(١) جعل الكواكب المحيطة بزحل : كالقوم له ، إذ أنه يسمى شيخ النجوم .
يقول : لو كان زحل من عشيرتك لكانت عشيرته حينئذ أكرم من عشيرته الآن مع أن عشيرته النجوم : يعني أن قوم للمدوح ورهطه أشرف من النجوم . هذا وقوله زحل : مبتدأ ، وقوله : لو كان منك الخ ، خبر ، والمشر والعشيرة : قوم الرجل وأهله .

قافية الزاى

وقال بدمشق يمدح أبا بكر على بن صالح الروذبارى الكاتب :
 كَفَرَنْدَى فِرَنْدُ سَتِينِ الْجَرَازِ لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبِرَازِ^(١)
 تَحْسَبُ الْمَاءَ خَطًّا فِي لَهَبِ النَّارِ
 رَأْدَقٌ أُخْطُوطٍ فِي الْأَحْرَازِ^(٢)
 كُلَّمَا رُمَتْ لَوْنُهُ مَنَعَ النَّارَ ظِلْمَوْجٌ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِي^(٣)

(١) الفرند : جوهر السيف ، وهى الخضرة التى تردد فيه ، معرب دخيل ، والجراز : القاطع . والبراز : مبارزة الأقران فى الحرب . يقول : إن سفينى يشبهنى فى اللضاء ، وهو حسن فى امرأة العين ، عدة لمبارزة الأقران ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :
 فى كلِّ جوهرة فِرَنْدٌ مُشْرِقٌ وَهَمُ الْفِرَنْدِ لِهَوْلَاءِ النَّاسِ
 (٢) الأحراز : جمع حرز . وهو العوذة يكتب فيها الرقى . سميت كذلك لأنها تحرز صاحبها من العين . شبه بريق سيفه باللهب وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأدنى الخطوط فى الأحراز وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الأحراز .
 وهذا ينظر إلى قول القائل :

مَاضٍ تَرَى فِي مَتْنِهِ مَاءَ بِنَارٍ مُخْتَلِطٌ
 ومثله :

كَأَنَّهُ فِي طَبَعِهِ وَاللَّوْنِ مَاءٌ وَلَفَى

(٣) هازى : أصلها هازى - بالهمز - خفف للقافية : يقول : كما حاولت أن تعرف لونه وأنعمت النظر : منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه وياضه الذى يتردد فيه كالوج فكأنه هزأ بك ، لأنه لا يستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

وَكأن الْفِرَنْدَ وَالرُّونْقَ الْجَارِيَّ فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينٌ
 ولا بن أبى زرعة :

مَتَرَدَّدٌ فِيهِ الْفِرَنْدُ تَرَدَّدَ الْمَاءُ الزُّلَالُ

وَدَقِيقٌ قَدَى الْمَبَاءِ أَنْ يَقُوتَ مُتَوَالٍ فِي مُسْتَوٍ هَزَاهَاً^(١)
وَرَدَّ الْمَاءَ فَالْجَوَابُ قَدَرًا شَرِبْتُ وَالَّتِي تَلِيهَا جَوَازِيَّ^(٢)

هذا : ويقال هزأ به . هزأ هزأ وهزأ وهزأ به واستهزأ : سخر ، ورجل هزأ - بالتحريك - هزأ بالناس ، ورجل هزأ بالتسكين - هزأ به ، وقالوا إنما يقال هزئت بك ، ولا يقال هزئت منك . ويقال سخرت منك ، ولا يقال سخرت بك .
(١) دقيق : عطف على موج ، وهو نعت لحدوف : أى وفرد دقيق . والقذى فى الأصل : ما يقع فى العين . وقذى : فاعل دقيق ، أو مشبه بالفعل - على حد قولك : زيد حسن وجه الأب - والمباء : ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والأنيق : الحسن اللجب . وللتوالى : المتتابع . ومستو : نعت لحدوف . أى فى صفح ، أو متن مستو . وهزهاز : مضطرب . أى ويمع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطاير إلى عينه فيمنعه النظر . وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط فى صفح مستو كثير الاضطراب والحركة يذهب ويحىء ، ويقال : سيف هزهاز وهزاهز : كأن ماءه يذهب عليه ويحىء ، وروى ابن جنى : قذى المباء : من قولم قذى رمح ، وقادرمح ، وقيد رمح : أى مقداره .

(٢) الجوازى : أصلها الهمز ، جمع جازئة : من قولم جزأت الإبل أو الوحش بالرطب - أى بالخضرة - عن الماء : أى استغنت به عنه ، قال الشاعر بن ضرار :
إذا الأُرطى تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خَدُودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ^(١)
وقوله قدراً شربت : أى شربت قدراً ؛ قدراً مفعول شربت . يقول : إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقداراً يليها ، أما ما يليها من اللث فلم يشرب لأنه لا يسقى جميع السيف ، بل تسقى شفرتاه ويترك اللث ليكون أثبت عند الضرب . فلا يتقصف .

(١) الأُرطى : مقصور ، شجر يدبغ به ، وتوسد أبرديه : أى اتخذ الأُرطى فى أبرديه كالوسادة ، والأبردان : الظل والنقى ، سبياً بذلك لبردما ، والابردان أيضاً : الغداة والعشى ، واتصاب أبرديه : على الظرف ، والأرطى : مفعول مقدم لتوسد ، أى توسد خدود البقر الأُرطى فى أبرديه ، والجوازى : البقر التى جزأت بالرطب عن الماء ، والعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين

حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى هِيَ مُنْتَاجَةٌ إِلَى خَرَازٍ^(١)
وَهُوَ لَا تَلْحَقُ الدِّمَاءُ غِرَارِيهِ وَلَا عَرَضَ مُنْتَضِيهِ الْمَخَازِي^(٢)

(١) الحمائل : جمع حمالة ، ما يحمل به ، والخراز : الذى يخز الحوائل وغيرها بالسيور . يقول : إن هذا السيف من قدمه وتداول الأيدي عليه قد أخلقت حمائله ، واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها ، وإضافة الحمائل إلى الدهر مجاز ، أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله ، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له . وهذا ينظر إلى قول البحتري :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَةً لَمْ تَذْبُلْ

(٢) غراره : حذاه ، والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ، واتضى السيف : سله ، والمخازى جمع مخزاة ، ما يخزى به الإنسان . يقول : إن سيفي لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يلصق به ولا يتلطح . ولا تدرك المخازى عرض منتضيه . يعنى نفسه لحسن بلائه عند الفوضى . وهذا من قول الأول :

بِكُلِّ حُسَامٍ كَالْعَقِيقَةِ صَارِمٍ إِذَا قَدْ لَمْ يَفْلَقَ بِصَفْحَتِهِ الدَّمَ

هذا ، ولذكر العرض نورد ما أورده السكبرى هنا من معانى العرض ، إذ اشترطنا على أنفسنا أن لا ندع شيئاً مما أورده سائر الشراح إلا أثبتناه فى هذا الشرح ، وإن كان الكثير منه لا ضرورة إليه .

قال - وقال معه أهل اللغة وعمدته دائماً فى اللغة الجوهري صاحب الصحاح : - والعرض النفس ، والعرض الحسب ، وفلان نقي العرض : برىء من أن يشتم ، والعرض : الجسد . وفى صفة أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم : « لا يتخطون ولا يولون ، إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك » أى من أجسادهم ، والعرض كل واد فيه شجر ، قال الشاعر :

لِعَرَضٍ مِّنَ الْأَعْرَاضِ يُسَمَّى حَمَامَةً وَيُضْحَى عَلَى أَفْنَانِهِ النَّيْنِ يَهْتَفُ
أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِّنَ الدِّيَكِ رَنَةٌ وَبَابٌ إِذَا مَا مَالَ لِلْفَلَقِ يَصْرِفُ

(١) النين : جمع غيناء ، أى خضراء كثيرة الورق ملتفة ، وصريف الباب : صيرره .

يَا مَرْيَلِ الظَّلَامِ عَنِّي وَرَوْضِي
يَوْمَ شُرْبِي وَمَقِيلِي فِي الْبَرَازِ^(١)
وَالْيَمَانِي الَّذِي لَوْ اسْطَعْتُ كَانَتْ
مُقَلَّتِي غِمْدَهُ مِنَ الْإِعْزَازِ^(٢)

(١) البراز : الحلاء أو الصحراء . يقول — لسيفه — : أنت تزيل عني الظلام
بصفائك وروثك : يعني أنه يستصبح بريقه إذا اشتد سواد البوارض كالظلام ، وأنت
روضي يوم شربي : يريد كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين : فروض
يوم أشرب دماء الأعداء — أي يوم الحرب — هو أنت ، وذلك لخضرته ، والسيف
يوصف بالخضرة ، كما قال الحماني في مقصورة له :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَاعَهُ أَشْرَبُهُ بِالْهَنْدِ مَاءُ الْهِنْدِ بَا^(١)
ومثله للبحري :

سَحَلْتُ حَمَائِلَهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذْبُلِ
ثم قال الثنبي : ويا حنفي الذي أتحصن به وأذود عن نفسي في البراز : أي الصحراء
وما إليها من الفضاء .

(٢) يقول : لشدة إعزازي له وإبقائي عليه لو استطعت لجعلت عني غمداً له ،
واليماني : أي النسب إلى اليمن ، والأفصح : يعني ويماني ، لأن الألف عوض من
ياء النسب ، فلا يجتمعان .

قال سيبويه : وبعضهم يقول يماني — بالتشديد — قال أمية بن خلف :
يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشْدُ كِبْرًا وَيَنْفُخُ دَائِمًا لَهَبَ الشَّوَاظِ
وقال العسكري : اليماني في موضع نصب بالنداء ، كأنه قال : يا مزيل الظلام ،
ويا اليماني ، ثم قال : وهو جائز عندنا — يريد الكوفيين — أن ينادى ما فيه التعريف
نحو : يا الرجل ، ويا الغلام ، وأبي البصريون ذلك . وحجبتنا أنه قد جاء في أشعارهم
وكلامهم ، قال الشاعر :

(١) الهندبا — يعد ويقصر — بقلة من أحرار البقول .

إِنْ بَرَقَ إِذَا بَرَقَتْ فَمَالِي وَصَلِيلِي إِذَا صَلَّتْ أَرْجَاؤِي ^(١)
لَمْ أَحْمَلْكَ مُفْلَمًا هَكَذَا إِلَّا لِضَرْبِ الرُّقَابِ وَالْأَجْوَا ^(٢)
وَلَقَطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا فَكَلَانَا لِنَفْسِهِ الْيَوْمَ غَارِي ^(٣)

فِي الْفُلَامَانِ اللِّدَانِ فَرَا إِيَّا كَمَا أَنْ تَكْسِبَانَا شَرًّا ^(١)
وَقَالَ الْآخَرُ :

فَدَيْتُكَ يَا الَّتِي تَبَيَّمتَ قَلْبِي وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ بِالْوَصْلِ عَنِي ^(٢)
وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِنَا : إِجْمَاعُنَا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي الدُّعَاءِ : يَا اللَّهُ ، وَالْأَلْفُ
وَاللَّامُ فِيهِ زَائِدَتَانِ . وَحُجَّةُ الْبَصَرِيِّينَ أَنَّ الْآلِفَ وَاللَّامَ لِلتَّعْرِيفِ ، وَحَرْفُ الدُّعَاءِ يَفِيدُ
التَّعْرِيفَ ، وَتَعْرِيفَانِ فِي كَلِمَةِ لَا يَجُوزُ .
(١) الْفَعَالُ : الْفَعْلُ الْحَسَنُ ، وَالصَّلِيلُ : الصَّوْتُ ، وَالْأَرْجَاؤُ : قَوْلُ الرَّجَزِ مِنْ
الشَّعْرِ . يُقَارَنُ مَا بَيْنَ سَيْفِهِ وَنَفْسِهِ ؛ يَقُولُ : إِذَا كَانَ لَكَ بَرَقٌ ، فَهَنَّاكَ فَعَالِي بِأَزَانِهِ ،
وَإِذَا ارْتَفَعَ صِلْيُكَ — صَوْتُكَ — فِي الضَّرِيَّةِ . فَإِنَّ صَلِيلِي هُوَ إِنْشَادِي الْأَرْجَاؤِ
مِنْ شَعْرِي .

(٢) الْمَعْلَمُ : الَّذِي قَدْ شَهَرَ نَفْسَهُ فِي الْحَرْبِ بَعَلَامَةٍ يَعْرِفُ بِهَا ، وَهُوَ مِمَّا كَانَتْ
تَفْعُلُهُ الْأَبْطَالُ مِنَ الْعَرَبِ ؟ وَمَعْلَمًا : حَالٌ مِنَ التَّكَلُّمِ ؛ وَالْأَجْوَا : الْأَوْسَاطُ ، جَمْعُ
جَوْزٍ ، يَقُولُ : لَمْ أَحْمَلْكَ فِي الْحَرْبِ لَزِينَةً ، وَإِنَّمَا لَضَرْبِ الرُّقَابِ وَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ .
وَيُرْوَى : وَلَمْ أَحْمَلْكَ . ، قَالَ الْعُسْكُرِيُّ : حَرَكَةُ السَّاكِنِ وَحَذْفُ الْهَمْزَةِ ، وَهِيَ لَفْظَةُ
جَيِّدَةٍ جَاءَتْ فِي أَشْخَارِهِمْ وَخُطْبَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ .

(٣) يَقُولُ : وَلَمْ أَحْمَلْكَ إِلَّا لِأَقْطَعَ بِكَ الْحَدِيدَ الَّذِي عَلَى الرُّقَابِ وَالْأَجْوَا

(١) هَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَائِعَانِ فِي كُتُبِ النُّحُوِّ وَلَمْ يَعْرِفْ لَهَا قَائِلٌ وَلَا ضَمِيمُهُ
وَإِيَّا كَمَا : تَهْذِيرٌ ، وَأَنْ تَكْسِبَانَا : أَيُّ مَنْ أَنْ تَكْسِبَانَا ، وَمَاضِيَهُ كَسَبَ : يَتَعَدَّى إِلَى
مَفْعُولَيْنِ يُقَالُ كَسَبْتُ زَيْدًا مَالًا وَعِلْمًا : أَيُّ أَنْتَلَهُ . قَالَ ثَعْلَبٌ : كُلُّهُمْ يَقُولُ كَسَبَكَ فُلَانٌ
خَيْرًا إِلَّا ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَوْ كَسَبَكَ ، بِالْأَلْفِ .

(٢) قَوْلُهُ فَدَيْتُكَ : يُرْوَى مِنْ أَجْلِكَ . أَيُّ مَنْ أَجْلِكَ قَاسِيَتِ مَا قَاسِيَتِ مِثْلًا
وَقَوْلُهُ : تَبَيَّمتَ كَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَقُولَ تَبَيَّمتَ بِنَاءَ التَّأْنِيثِ عَلَى الْغِيَةِ ، لَكِنْ جَاءَ عَلَى نَحْوِ

* أَنَا الَّذِي سَمَنْتُنِي أُمِّي حَيْدَرُهُ

وَالْقِيَاسُ : سَمْتُهُ ، وَجُمْلَةُ أَنْتِ بِخَيْلَةٍ : حَالُ عَامِلِهَا « تَبَيَّمتَ » .

سَلُّهُ الرِّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ يَنْجِدُ فَتَصَدَّى لِلْفَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ^(١)
وَتَمَنَيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي طَالِبُ لَابْنِ صَالِحٍ مِنْ يُوَازِي^(٢)
لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوْذِبَارِ يَّ وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ يَبَازِ^(٣)

— الأوساط — يعنى الدروع والمناظر فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد ، فكلنا يغزو جنسه .

قوله : ولقطى : عطف على قوله لضرب الرقاب ، وعليها : حال من الحديد . هذا ، ويقال : رجل غاز ، والجمع غزاة كقراض وقضاة ، وغزى - بتشديد الزاى - مثل سابق وسبق ؛ وغزى ، على مثال فعل مثل حاج وحجيج وهاطن وفطيف . قال زياد الأعجم :

قل للقوافل والغزى إذا غزوا والباكرين وللمجبد الرامح
وغزاه أيضا بالمد : مثل فاسق وفاسق ، قل تأبط شراً :

فيوماً يغزاه ويوماً يسريةً ويوماً بحشاش من الرجل هيضل
« سرية : اسم من الأسراء ، والحشاش : الجماعة الكثيرة ، والهيضل : الجيش الكثير ، والرجل : اسم جمع أو جمع راجل ، أى مشاة » والنسبة إلى الغزو غزوى ، وكله الذى يغزو العدو ، وأصله القصد .

(١) الركض : العدو السريع ، والوهن : هو نحو من نصف الليل ؛ ومثله الموهن ، وقيل : هو حين يبرد الليل ؛ وتصدى : تعرض ، والفَيْث : المطر . يقول : ركضنا الخيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من غمده ونحن بنجد بعد صدر من الليل ، فظن أهل الحجاز لعانه ضوء برق فارتقبوا نزول المطر . وهذا من قول على بن الجهم فى قبة للتوكل :

إذا أوقدت نارها بالمرآق أضاء الحجاز سنا نارها
والأصل قول الوائلى :

ماسله أهل الحجاز لحاجة إلا يُبشِّرُ بالسحاب الشاما

قال ابن جنى : خص أهل الحجاز لأن فيه طمعا ، أو لأن القافية جرت إليهم .
(٢) يوازي : يعادل ويمثل . وابن صالح : هو الممدوح . يقول : هما فريدان ، لا نظير لسيفى ولا لهذا الممدوح . وهذا من أحسن الخالص .
(٣) السراة : جمع سرى - الشريف - والروذبارى : الممدوح ، نسبة إلى بلد

فَارِسِيٌّ لَهُ مِنَ الْمَجْدِ تَاجٌ
كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَازٍ^(١)
نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ
وَلَوْ أَنِّي لَهُ إِلَى الشَّمْسِ عَازِيٌّ^(٢)
وَكُنَّا الْفَرِيدَ وَالْذَّرَّ وَالْيَا
قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ^(٣)
شَفَلْتُ قَلْبَهُ حِسَانُ الْعَالِي
عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالْأَعْجَازِ^(٤)

أبيه « روذبار » بلد من بلاد العجم . يقول : هو من العلية الأشراف ، وهو بينهم كالبازي بين سائر الطير : أى ليس أحد مثل هذا المدوح الذى قد جمع ما تفرق فى غيره من العلية . وهذا المعنى ينظر إلى قول الحماسي :

بُفَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
(١) أبرواز : هو أبروز أحد الأكاسرة ، ملوك العجم ، تصرف فيه كمادة العرب تتصرف فى الأسماء الأعجمية ما شاءت . يقول : إنه من أولاد ملوك فارس ، وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبروز ، يريد أنه معرق له عظامى .

(٢) تقول : عزوته إلى فلان : إذا نسبته إليه ، أعزوه ، فأنا عاز . يقول : هو هو بنفسه أجل من كل أصل شريف ، حق لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها .

(٣) وسام الركاز : عطف على الفريد . والفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أو هو الكبار من الدر . والسام : عروق الذهب ، وأضافه إلى الركاز لأن الركاز معدن الذهب . يقول : إن هذه الأشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه .

(٤) الأعجاز . جمع عجز ، وهو أسفل كل شيء . يقول : إن شغله الشاغل إنما هو للعالي ، لا مغازلة النساء . وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

وَمِنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكُوعُ ابْغَمَ مَغْرَمًا فَمَازَلَتْ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبُ مَغْرَمًا
وَمِنْ تَيَمَّتْ شَمْرُ الْحَسَانِ وَأَذْمَهَا
فَمَا زَلَتْ بِالسَّمْرِ الْعَوَالِي مُتَمِيمًا

تَقْضُمُ الْجَنْمَرَ وَالْحَدِيدَ الْأَعَادِي
 دُونَهُ قَضَمَ سُكَّرَ الْأَفْوَازِ^(١)
 بَلَفَتَهُ الْبَلَاغَةُ الْجُهْدَ بِالْعَفْوِ وَنَالَ الْإِسْهَابَ بِالْإِيْجَازِ^(٢)
 حَامِلُ الْحَرْبِ وَالْدِيَاتِ عَنِ الْقَوْ مِ وَيَقِلُّ الدُّيُونِ وَالْإِغْوَازِ^(٣)

ويقول :

عَدَاكَ حَرَّ الثَّفُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثَّفُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْخَصِيبِ^(١)
 (١) القضم : أكل الشيء اليابس . والآهوز : كور بين البصرة وفارس . يقول :
 لحق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما
 يقضم السكر . وهذا من قول الأعشى :

قَضَمَ حَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا

بِفَيْكَ وَأَحْجَارَ الْكَلَابِ الرَّوَاحِصِ^(٢)

وقول أبي التتاهية :

كَأَنَّ الْمَطَالِيَا الْمُجْهَدَاتِ مِنَ الشَّرَى إِلَى بَابِهِ يَقْضِمْنَ بِالْجُهْدِ سُكَّرًا
 (٢) العفو : الليسور — من عفو المال : ما فضل عن النفقة فبذل بسهولة . والجهد :
 المشقة ، والإسهاب : الإكثار . يقول : إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة
 ما يبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية . وينال بإيجازه . في القول ما ينال غيره بالإسهاب
 وما أجمل قول البحرى :

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ أَمْرُو أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ

حُزْنَ مُسْتَعْمِلِ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبِ خِلْمَةِ التَّعْقِيدِ

(٣) الديات : جمع دية ، ما يؤخذ من القاتل عن القتال . والإغواز : الحاجة والفقر .

- (١) سلسالها : يريد ريقها ، والحب : الذى فيه الحباء ، وهى صفار الحمى .
 (٢) عض : أمر ، من عض يعض ، والكلاب — بضم الكاف ، وتخفيف اللام —
 اسم ماء كانت عنده إحدى الوقائع ؛ والرواحص : صفة للأحجار ، وهى الثابتة
 المترقة المترافعة .

كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشْكُوا

- وَبِهِ لَا يَمْنُ شَاكَاهَا الْمَرَاذِي^(١)
 أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفِنَاءُ وَمَا فِيهِ مَيِّتٌ لِمَالِكَ الْمُجْتَازِ^(٢)
 بِكَ أَضْحَى شَبَا الْأُسْنَةِ عِنْدِي كَشَبَا أُسُوقِ الْجِرَادِ النَّوَازِي^(٣)
 وَأَنْتَنِي عَنِّي الرُّدْنِي حَتَّى دَارَ دَوْرَ الْخُرُوفِ فِي هَوَازِ^(٤)
 وَبَابَاثِكَ الْكِرَامِ النَّاسِي وَالْتَسَّلِي عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَاذِي^(٥)

(١) المرازى : الرزايا ، جمع مرزئة . فأصله المهن . وخفف للضرورة . وضمير تشكوا : للقوم . يقول : إني لأعجب كيف لا يشتكى ثقل ما يحمل عن قومه ، وكيف يشتكى رزية أحد من قومه وهو حاملها عنه ؟

(٢) فناء الدار . ساحتها ، والمجتاز : الذي يجوز بالمكان ولا يرجع عليه . يقول : إن فناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة ، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانا يبيت فيه . يعنى أنه معطاء يذل ماله فلا يبقى عنده .

(٣) شبا الأسنه : حدها . وأسوق : جمع ساق . والنوازي - من قولك نزا الجراد ينزو - وثب . يقول : لما صرت في جوارك واعتصمت بك صرت لا أكثر لمدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح في نظري كساق الجراد لقله مبالا في به .

(٤) قوله في هواز : أراد في هوز . والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ما وضعت ، كما قال أبو حنن في البرامكة :

أَبُوجَادُهُمْ بَذَلُ النَّسْوَى يُلْهَمُونَهُ وَمُعْجَمُهُمْ بِالسَّوْطِ ضَرْبُ الْفَوَارِسِ
 وإنما هو أبجد . يقول للثني : ارتد الرمح عنى والتوى على نفسه التواء الحروف الدورية في هوز ، وهى الهاء والواو والزاي ؛ والجيد في تعطف الرماح قول أبي الصلاء للمرى :

وَتَعَطَفَتْ لِمَبِ الصَّلَالِ مِنَ الْأَسَى فَالزُّجُّ عِنْدَ الْلَهْدَمِ الرَّعَافِ
 (يقول المرى : تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات ، وتلوى إذا لعبت حتى تجمع رؤوسها إلى أذيالها : أى تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع أسنتها وزجاجها) .

(٥) الناسى : التعمزى ؛ والتعازى : جمع تعزى . يقول : إنما يعزى عمن مضى منا بذكر آبائك الكرام ، فإذا ذكرنا قدمهم : هان علينا قدم من بعدهم .

(١٩ - الثني ٢)

تَرَكُوا الْأَرْضَ بَعْدَ مَا ذَلَّلُوهَا وَمَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلَا مِهْمَازٍ^(١)
وَأَطَاعَتْهُمْ الْجِيُوشُ وَهَيَّبُوا فَكَلَامُ الْوَرَى لَمْ كَالْتَحَازِ^(٢)
وَهَجَانٍ عَلَى هِجَانٍ تَأَيَّنَتْكَ عَدِيدُ الْخُبُوبِ فِي الْأَقْوَازِ^(٣)

(١) للمهماز : حديدة تجعل في عقب الراكب ، ينخس بها بطن الدابة لتسرع في
الشي . يقول : ماتوا بعد أن ملكوا الأرض واقعات لهم اتقياد الدابة الدلول التي
تمشى بغير مهماز .

(٢) النحاز : داء يصيب الإبل والغنم في صدورهما يشبه السعال . وهيبوا : أى
هابهم الناس . قال ابن جني : أى لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة
الجيوش إياهم صاروا لا يعاؤون بكلام أحد . وقال الواحدى : وأجود من هذا أن
يقال : السعال يرقق الصوت ؛ والمعنى : لهيبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت :

(٣) وهجان : أى ورب هجان ؛ والهجان من الإبل والناس : الكرام الخالصة
النسب ، وتأيتك وتأيتك : أنت إليك وقصدتك ، يقال تأيا الشيء وتأياه : أى
تعمد آيته ، أى شخصه ، وقصده ؛ وآية الرجل : شخصه ، قال :

الْحَصْنُ أَذْفَى لَوْ تَأَيَّنْتَهُ مِنْ حَنِيكِ التَّرْبِ عَلَى الرَّاكَبِ^(١)
وقال لقيط بن معمر الأيادي :

أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَأَيَّزُكُمْ عَلَى حَنْقٍ لَا يَشْعُرُونَ أَضَرَ اللَّهُ أَمْ نَقَعًا
وقد استشهد بعض الشراح ببيت الأعشى :

إِذَا مَا تَأَيَّ يُرِيدُ الْقِيَامُ تَهَادَى كَمَا قَدَرَأَيْتَ الْبَهْرَ^(٢)

موردين إياه إذا ماتا ، وهذا خطأ منهم ، لأنه إذا ماتا ؛ وتأتى للشيء : تهيأ له
والأقواز : جمع قوز ، القطعة المستديرة من الرمل ، شبه الزاوية . يقول : رب رجال
كرام على إبل كريمة قصدوك في مثل عدد حبات الرمل كثرة ،

(١) هذا البيت لا مرأة مخاطب ابتها ، وقد قالت لها :

يَا أُمِّي أَبْصُرْنِي رَاكِبٌ يَسِيرُ فِي مُسْحَنَفَرٍ لَاحِبٍ

مازلت أحشو التراب في وجهه عِداً وَأُحْيِي حَوْزَةَ الْغَائِبِ

فَقَالَتْ لَهَا أُنْهَا : الْحَصْنُ ... الخ ...

(٢) بهراً : أى مبهوراً ، أى أصابه البهر ، وهو انقطاع النفس من الإعجاب .

صَفَهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ فَوْقَ مِثْلِ الْمَلَاءِ مِثْلَ الطَّرَازِ^(١)
وَحَكَى فِي اللَّحُومِ فِعْلَكَ فِي الْوَفْرِ فَأَوْدَى بِالْعَنْتَرِيسِ الْكِتَارِ^(٢)
كُلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدِ عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالْإِنْجَازِ^(٣)
مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ
وَاضْمِعْ الثُّوبَ فِي يَدَيَّ بَرَازِ^(٤)
وَلَنَا الْقَوْلُ وَهُوَ أَذْرَى بِفَحْوَا هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الْإِعْجَازِ^(٥)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ شُعْرَاءُ كَأَنَّهُا أَنْكَازِ بَازِ^(٦)

(١) العراء : الأرض الواسعة كالفضاء ؛ والملاء : جمع ملاءة ، الربطة ذات لفقين ، والإزار ؛ والطرّاز : ما يكون في الثوب من النقش ، فارسي معرب . شبه استواء الإبل وانتظامها صفوفاً في سيرها على سعة الفضاء بطراز - نقش - على ملاءة . وإذا كان هناك في هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لياضه ، وهكذا سير الإبل إذا كان في بسيط من الأرض وكانت كراماً استقامت في السير كأنها صف فلم تتقدم واحدة على أخرى ، كما قال أبو نواس :

تَذَرُ الْمَطْيَ وَرَاءَهَا فَكَأَنَّهُا صَفَ تَقْدَمُهُنَّ وَفِي إِمَامٍ
(٢) فاعل حكى : ضمير السير ؛ والوفر : المال الكثير ، وأودى : أهلك ، والعنتريس : الناقة الشديدة الصلبة ، والكتار : الكتنة اللحم . يقول : إن السير ذهب بلحوم هذه الإبل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكى - مائل - في ذلك جودك في إهلاك المال .
(٣) يقول : كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيئاً فوعده ظنونه بذلك عنك وعدا صدقت ظنونه وأنجزت ذلك الوعد ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

صَدَّقْتَ ظَنِي وَصَدَّقْتَ الظُّنُونَ بِهِ وَحَطَّ جُودُكَ عِنْدَ الرَّحْلِ عَنْ جَمَلِي
(٤) القريرض الشعر والبزاز : تاجر الثياب . يقول : انه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب .

(٥) يقول : تقول القول وهو أدرى منا بمغزاه وأبصر بمواطن الإعجاز فيه . وقال ابن جني : أى ينسب إلينا القول وهو أعلم بمغناه وأولى منا أن يأتي في القول بالمعجز .
(٦) الحازباز - بيناء الجزأين على الكسر - حكاية صوت الذباب ، ثم سمي به الذباب

وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهَذَا وَهُوَ فِي الْعَمَى ضَائِعُ الْكَازِ^(١)

نفسه . يقول : أنت طب بالشعر ناقد له ، وغيره لا يعرف الشعر ولا يميز جيده من رديته ، فيجوز عليه شعراء يهدون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن . هذا ؛ وإليك عبارة اللسان في الخازباز توفية لهذه المادة ، وإن كان قد سبق لنا القول في ذلك ، قال :
والخازباز : ذباب ، اسمان جملا واحدا ، وبنيا على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجر ؛ قال عمرو بن أحمَر :

تَقَفَّأ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارَى وَجُنَّ الْخَازِبَازُ بِهِ جُنُونَا

« الخازباز » وسمى الذبان به - وهما صوتان جملا واحداً - لأن صوته خازباز ، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال خازباز ؛ وقيل أراد النبت ، وقيل أراد ذبان الرياض ؛ وقيل : الخازباز ، حكاية لصوت الذباب فسماه به ، وأنشد أبو نصر تقوية لقوله :

أَرْعَيْتَهَا أَكْرَمَ هُودٍ عُودَا الصَّلِّ وَالصَّفْصَلِ وَالْبَيْضِيدَا

وَالْخَازِبَازِ السِّنِّمِ الْمَجُودَا بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

« نبت سنم حرجج ، وهو الذي خرجت سنمته ، وهو ما يملو رأسه كالأكليل ، والمجود الذي أصابه المطر » وعامر ومسعود راعيان « وكل من الصل والصفل والبيضيد نبات » والخازباز - في غير هذا - داء يأخذ الإبل والناس في حلقها . أقول : « لعله من لسع ذباب بعينه » وقال ابن سيده : الخازباز : قرحة تأخذ في الحلق ، وفيه لغات ، قال :

يَا خَازِبَازَ أَرْسِلِ اللَّهَازِمَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ لَازِمَا

والخزباز : لغة وأنشدوا :

مِثْلُ الْكِلَابِ تَهَرَّ عَنْدَ دِرَابِهَا

وَرَمَتْ لَهَا زُمُهَا مِنَ الْخُزْبَازِ

« الدارب : جمع درب ، واللاهزم : جمع لهزمة ، وهي لحمة في أصل الحنك ، شبههم

بالكلاب النابحة عند الدروب »

(١) يقول : ويظن أنه طب بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالأعمى الذي ضاعت

كُلُّ شِعْرِ نَظِيرٍ قَائِلُهُ فِيكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ^(١)

عصاه فهو لا يهتدى للطريق ، وقوله : وهو فى العمى الخ ، أى هو ضائع العكاز حال كونه فى جملة العميان .

(١) المجيز : المدوح الذى يعطى الجائزة ، والمجاز : الشاعر الذى يأخذ الجائزة . وقوله : عقل المجاز ، أى مثل عقل المجاز : حذف المضاف .

يقول : إن الشعر حسب قارضه : فإن كان الشاعر مجوداً ذا قريحة بصيراً به كان شعره حسب طبقته هذه ؛ وكذلك التخلف يكون شعره متخلطاً ، والمدوح الذى يحيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته ، فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع : كان عقله جيداً كمقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دوناً كذلك . والحاصل أن الشعر يحك للمادح والمدوح معاً ، فهو يدل على مكانة الشاعر من القدرة على التجويد والابتكار ، وعلى مكانة المدوح من البصر بالشعر وتقدمه ومعرفة ما يستحقه . وروى بدل « قائله فيك » قابله منك ، فيكون الخطاب للشاعر . يقول للشاعر : إذا مدحت أحداً فقبل شعرك فهو نظيره : يعنى أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد ، والجاهل به يقبل الردىء .

قافية السين

وقال وقد أذن المؤذن ، فوضع سيف الدولة الكأس من يده ، قال أبو الطيب
ارتجالاً :

أَلَا أذُنٌ فَمَا أَذْكَرْتَ نَائِي وَلَا كَيْنَتْ قَلْبًا وَهُوَ قَائِسٌ^(١)
وَلَا شُغْلٌ أَلَا مِيدُ عَنِ الْمَعَالِي
وَلَا عَنْ حَقِّ خَاتِمِهِ بِكَائِسٍ^(٢)

وقال يمدح عبيد الله بن خلكان الطرابلسي :
أَعْطَيْتَهُ الْوَحْشَ لَوْلَا غَلْبَتُهُ الْإِنْسَ
لَمَّا غَدَوْتُ بِجِدَّةٍ فِي الْهَوَى تَيْسٍ^(٣)

(١) يقول - للمؤذن - أذن فلم تذكر بأذنانك نائياً : يعني أنه يحافظ على الصلوات
لا ينسى أوقاتها ، فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان ، وهو لين القلب خاضع ،
فلا يحتاج إلى ما يلبسه . وكان حقه أن يقول نائياً ، ولكنها الضرورة ، أو على لغة من
يقول : رأيت قاض . وقوله : وهو قاس ، في موضع الحال ، كأنه قال : ولا كنت
قلباً قاسياً .

(٢) يقول : لم تكن الكأس لتشغله عن حق الله تعالى ، ولا عن مراعاة أسباب
المعالي ، فهو ليس بمن يستهلكون أوقاتهم فيفعل عما يلزمه من أداء فريض أو مراعاة
حق . وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي وَلَا لَذَائِهَا لَهْوٌ وَلَعِبُ
(٣) الأنس : جماعة الناس . تقول : رأيت بمكان كذا أنساً كثيراً ؛ أي ناساً
كثيراً ، والأنس أيضاً : الحمى المقيمون ؛ والأنس كذلك : لغة في الإنس . وأنشد
الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

نظر الرسل ما في ص ١٩

أَتَوَا نَارِي ، فَقُلْتُ مَنْوَنَ أَتَمَ ؟ فقالوا : الجن ، قلتُ : عَمُوا ظلاماً
فقلتُ : إلى الطعام ؟ فقال منهم زعيمٌ : تحسدُ الأنسُ الطعامَ
لقد فضلتُموا بالأكل فينا ولكن ذاك يُفقبكم سقاماً
والأنس . أيضاً : خلاف الوحشية ، وهو مصدر أنست به - بالكسر - أنساوأنسة .
وفيه لغة أخرى : هي أنست به أنساً ، مثل كفرت به كفرأ . والجد : الحظ والبخت ،
والتعس : الانحطاط والكب والعثور : ضد الاتعاش وقيل الهلاك ، وتعس - بالفتح -
يتعس تعساً ، وأتعسه الله . قال مجمع ابن هلال :

تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ خَلِيلِهَا تَعَسْتُ كَمَا أَتَعَسْتَنِي يَأْجُمَعُ
والمراد بالجد التعس : النحوس المشوم . وقد عابوا قوله : تعس ، قائلين : إنما يقال
جد تاعس ، من تعس - بفتح العين - ولا يجوز بكسرها إلا ما روى عن الفراء ، واحتج
أهد اللغة ببيت الأعشى :

يَذَاتِ لَوْثٍ عِفْرَ نَامٍ إِذَا عَثَرْتُ فَالتَّعَسُ أَذَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَمَأً^(١)
ولو جاز تعس - بالكسر - لكان المصدر تعساً ، فعلى هذا لا يقال : جد تعس .
وإنما يقال : تاعس . يخاطب الظبية الوحشية لأنها ألفت له لكثرة ملازمته الفياقي ومساءته
الأطلال ، كما قال ذو الرمة :

أَخْطُ وَأَنْحُو الْخَطَّ ثُمَّ أَعِيدُهُ بِكَفٍّ وَالْفِزْلَانَ حَوْلِي تَرَنُ
أي قد ألفتني وأنسن بي لكثرة ما يرينني . يقول : لولا شبيبتك من الإنس أيتها
الظبية - يعني حبيته - لما صرت في الحب ذا جد منحوس .

(١) قوله بذات لوث : متعلق بكلفت - في بيت قبله - وهو :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِي وَشَايَعَنِي هِيَ عَلَيْهَا إِذَا مَا آلَهَا لَمَعَا

اللوث - بالفتح - القوة . وعفرانة ، شديدة قوة ، والعرب تدعو على العائر من
الدواب إذا كان جواداً بالتعس فتقول : تعساً له ، وإن كان بليداً كان دعاؤهم له إذا عثر :
لماً لك ، وهي كلمة يراد بها : أن يتعس .

وَلَا سَقَيْتُ التَّرَى وَالزُّنُّ مُخْلَفَةٌ دَمْعًا يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوَاعِهِ نَفْسِي^(١)
وَلَا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسَى ثَالِثَةً
ذِي أَرْسُمٍ دُرِّسٍ فِي الْأَرْسَمِ الدُّرِّسِ^(٢)
صَرِيحَ مُقْلَتِهَا سَأَلَ دِمْنَتِهَا
قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ الْجَفْنِ وَاللَّعْسِ^(٣)
خَرِيدَةً لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ
وَلَوْ رَأَاهَا قَضِيبُ الْبَانِ لَمْ يَمِسْ^(٤)

(١) الترى : التراب ؛ واللزن : السحاب الأبيض ؛ ومخلفة : أى غير ماطرة من إخلاف الوعد . يصف حرارة وجده وكثرة دموعه ، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الأرض . وهذا ينظر إلى قول الآخر :
لَوْ لَا الدَّمُوعُ وَفِيضُهُنَّ لَأَحْرَقَتْ أَرْضَ الْوَدَاعِ حَرَارَةُ الْأَكْبَادِ
وقول الآخر :

وتكاد نيران القلوب إذا التظلت يوماً تُنَشِّفُ فِي الْعَيُونِ الْمَاءَ
(٢) المسى : المساء ، مثل الصبح والصبح . وهو ظرف للوقوف ؛ ومسى ثالثة : أى مساء ليلة ثالثة . وذى أرسم : صفة لجسم . والأرسم جمع رسم : الآثار ، والدرس : جمع دارس ودارسة : أى التى انمحت . يقول : لولا هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظننها — أى لما وقفت بربعها مع قرب العهد ببقائها — بجسم دارس نازل قد أبلاه الحزن وأنعله حتى آض مثل تلك الرسوم . ومثله للعكوك :

خَلَفْتَنِي نِصْوُ أَحْزَانٍ أَعْلَجَهَا بِالْجَزَعِ أَتَدْبُ فِي أَنْضَاءِ أَطْلَالِ
(٣) الدمنة : جمعها دمن — ما اسود من آثار الديار — ، واللّس : سمرة في الشفة مثل اللى ، وصريع ومآل : حالان . ومن خفضهما : فعلى أنهما نعتان لجسم . واللّس : عطف على تكسير . وكاف ذاك : رويت بالكسر لأنه يخاطب الظبية . يذكر شدة وجده بها ، وأن مقتلها قد صرخته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثار دارها عنها أين ذهبت . وأنه مقتول بما في جفنها من الانكسار وتور النظر وما في شفها من السمرة .
(٤) الخريدة : الحفرة الحية . وماس النصن يميس : مال وتنى . وليس : أصله

مَا ضَاقَ قَبْلَكَ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَاٍ وَلَا تَمِغْتُ بِدِيَاكِجٍ عَلَى كَنَسٍ^(١)
إِنْ تَرَمِينِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ
تَرَمِ أَمْرًا غَيْرَ رَغْدِيدٍ وَلَا نِكْسٍ^(٢)

التبختر . وهو للانسان ، واستعاره للتضيق من حيث إن حسن تمايله يشبه التبختر .
يقول : لأنها أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياء منها . وهي أحسن
ثيابا من ثنى خضن البان ، فلو رآها لم يتأيل . قال الواحدي : وفي هذا إشارة إلى أنها
في غاية السر ، وأن الشمس لم ترها ولا النصف .

(١) الرشا : الظبي الصغير . والكنس والكناس الموضع الذي تتخذة الطباء من
أغصان الشجر تستظل به من الحر . يقول : إن الرشا دقيق القوائم لا يضيق الخلخال
على قوائمه ، وأنت رشا غليظ القوائم كثير اللحم يضيق عليك الخلخال ، ولم أسمع أن
كناس الرشا يسز بالدياج - ضرب من الثياب الحريرية - أما أنت فستورة الكناس
بالدياج - يريد هودجها . وفيه نظر إلى قول ابن دديد :

أَعْنِ الشَّمْسُ عِشَاءَ رُفَعْتَ تِلْكَ السَّجُوفُ
أُمِّ عَلَى أَذْنِي غُرَالٍ عُلِقَتْ تِلْكَ الشَّنُوفُ

(٢) الكتب : القرب . والرعيد : الجبان . والنكس : الساقط الفشل ، وأصله
بكسر النون وسكون الكاف ، فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى فعل . بفتح فكسر ، أو
بكسرتين : على حد قول عبد مناف بن ربح الهذلي :

مَاذَا يَفْسِرُ ابْنَتِي رِبْعٌ عَوِيلُهُمَا لَا تَرَقْدَانِ وَلَا يُؤْمِسُ لِنِ رَقْدَا
كَلْتَاهَا أَبْطَلَتْ أَحْشَاؤُهَا قَصَبًا مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ لَا رَطْبًا وَلَا نَقْدَا
إِذَا تَجَاوَبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا يَسْبِتُ يَلْمَجُ الْجِلْدَا^(١)

(١) يقول هذه الآيات في أخيه وبكائهما على أبيهما . قوله : ماذا يغير الخ ، أي
لا يغي بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئا . وقوله : كَلْتَاهَا أَبْطَلَتْ الخ ، يقول : كأن في
أجوافهما قصب للزأمر من شدة البكاء . وفي الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يبكي في صلاته حتى يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل . وقوله : وَلَا تَهْدَأُ؟ أي لم يتأكل
والتاء في «ترقدان» للمؤث الثائب . والحلية : مأسدة بالعين والنوح : النساء يجتمعن
للنواح ؛ وقد كانت نساء العرب في مناحتهن يلطمن خدودهن بالجلود .

يَفْدَى بِبَيْدِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ
 بِجَبْهَةِ الْمَسِيرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ^(١)
 أَبَا الْفَطْرَةِ الْحَامِينَ جَارَهُمْ وَتَارِكِي اللَّيْلِ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَرِسٍ^(٢)
 مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ كَأَنَّمَا أُشْتَمَلَتْ نُورًا عَلَى قَبَسٍ^(٣)

[غير : ينفع . والسبت : جلود البقر المدبوعة . واللجج : الحرقه . أراد الجلد ، فرك اللام بالكسر لكسر ما قبله .] ومثله كثير . يقول المتنبي : إن زمانى الدهر بنوابه عن قرب - يعنى من حيث لا يخطئ - فأنى غير جبان ولا ساقط دنى - يعنى لا أخاف ذلك ولا أجنب منه .

(١) عبيد الله : منادى وحاسد هم : فاعل يفدى . جعل العير - الحمار - مثلاً للدنى . والفرس : مثلاً للكرم ، والمعنى : بأعز شيء فى الشيء يفدى أخس شيء فى الكرم : أى أن حاسدهم إذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار . ومثل هذا لأبى جعفر الأسكافى :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَهِيَ غَيْرُ عَزِيزَةٍ فِي جَنْبِ شَخْصِكَ وَهُوَ جِدُّ عَزِيزٍ
 فَلَقَدْ يَتَّقِي الْحَرَّ الْبَيْتِ أَذَاتَهُ فِي وَقْتِهَا كَفَتْ مِنَ الشُّونِيزِ
 » الشونيز والشينيز : الحبة السوداء ؛ ومثله لأبى نصر العتي :

اللَّهُ يَشْهَدُ وَالْمَلَأْتُكَ أَنْفَى الْجَلِيلِ مَا أَوْلَيْتَ غَيْرُ كَفُورٍ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَا لِقْدَرِي بَلْ أَرَى أَنَّ الشَّعِيرَ وَقَايَةَ الْكَافُورِ

(٢) أبى الفطرفة : نصب على البدل من عبيد الله ، الذى هو منادى . والفطرفة : جمع غطريف ، وهو السيد . والحامين : جمع حام ، وهو الذى يحمى قومه وجيرانه . يقول : يا أبى السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الأسد كلباً لا يصيد شيئاً ، يعنى أن الأسد - أى البطل الشجاع - عندهم كالكلب غير الصائد ، لجبنه عنهم .

(٣) الأبيض هنا : الكرم النقى العرض . والوضاح : المشرق الواضح الجبهة . والقبس : الشعلة من النار . وعمامته : مبتدأ . والخبر : الجملة التى بعده . أى أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه وإشراق لونه . وهو من قول عبد الله بن قيس الرقيات^(١) :

(١) إنما أضيف قيس إلى الرقيات ؛ قيل لأنه كان يشب بعبدة نساء يسمين جميعاً رقية :

دَانٍ بَعِيدٍ مَحَبَّةً مُبْفِضٍ بِهِجٍ أَغْرَ حُلُوِّ مِرَّةٍ لَيْنٍ شَرِسٍ^(١)
 نَدِيٍّ أَبِي غَرٍّ وَافٍ أَخِي ثَقَّةٍ
 جَعَدَ سَرِيٍّ نَهٍ نَذْبٍ رَضَى نَدُسٍ^(٢)
 لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءَ غَادِيَةٍ
 عَزَّ الْقَطَأُ فِي الْفَيَافِي مَوْضِعُ الْيَبَسِ^(٣)

إنما مُصْعَبُ شَهَابٍ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
 (١) أمر الشيء : صار مرأ . يقول : هو دان - قريب - بمن يحبه ويقصده بعيد
 عنمن ينازعه ، محب للفصل وأهله ، مبغض للنقص وأهله . بهج بالقصاد ، حلو لأوليائه
 مر على أعدائه ، لين في الرضا . شرس - صعب - على الأعداء . وروى الخوارزمي
 محب مبغض - بصيغة اسم المفعول . وبهج بالشيء وله ، بالكسر بهاجة : أى فرح به ،
 وسر ، فهو بهج وبهج قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رَدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَغَايَرَ مِنْهُ لِلْبَلَى خِرْقُ
 (٢) ند : جواد ندى الكف . وأبى : أنوف يأبى الدنيا . وغير : مغرى بالفعل
 الجميل مولع به . واف : بالعهد والوعد . أخى ثقة : صاحب ثقة يوثق به . وروى ابن
 جنى : أخ - منونا - أى هو مستحق لإطلاق هذا الاسم - الأخ - عليه لصحة مودته
 لمن خالطه ، وثقة : موثوق به مأمون عند الغيب - وهو مصدر وصف به : كقولهم زيد
 عدل - وجعد جواد . قال الزمخشري : وأما قولهم جعد للجواد^(١) فمن الكناية عن
 كونه عرييا سخيا ، لأن العرب موصوفون بالجمودة . قال :

هَلْ يُرْوَيْنَ دَوْدَكَ تَزَعُ مَعْدُ وَسَاقِيَانِ سَبِطٌ وَجَعْدُ
 أى عجمي وعربي ، لأنهما لا يتفاهان فلا يشتغلان بالكلام عن السقي . وسرى ؛
 شريف ، ونه : ذونية ، وهى العقل . والندب : الخفيف فى الأمور يندب لها : أى
 يدعى فينتدب . ورضى . أى مرضى . والندس - بضم الدال وبكسر ها - الفطن البحاث
 عن الأمور العارفين بها .

(٣) فيض يديه : أى الفائض من يديه . والغادية : السحابة تندو بالمطر . والفيافي :

(١) لأن الأصل أن يقال : فلان جعد ، أى بخيل .

أَكْرَمَ حَسَدَ الْأَرْضِ السَّمَاءَ بَيْنَ
 وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسٍ^(١)
 أَيْ الْمُلُوكِ - وَهُمْ قَصَدِي - أَحَافِرُهُ
 وَأَيْ قِرْنَ وَهُمْ سَيْنِي وَهُمْ تَرْمِي^(٢)
 وسأله صديق له يعرف بأبي ضبيس الشراب معه فامتنع وقال ارتجالاً :
 أَلَدُّ مِنَ الْمَدَامِ الْخَنْدَرِيسِ وَأَخْشَى مِنَ مُعَاطَةِ الْكُثُوسِ^(٣)
 مُعَاطَةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي وَإِفْحَايِ خَيْسًا فِي خَيْسِ^(٤)

جمع الثيفاء ، وهي اللقطة لا ماء بها . واليس : المكان اليابس . يقول : لو كان عطاؤه
 ماء سحابة لم الدنيا كلها حتى لا تجد القطا - وهو الطائر المعروف بالهداية - في الغلات
 موضعاً جافاً تنقطع منه الحب أو تنام فيه ، وعن - هنا - أعياء . وأصله غلب وقهر ،
 ومنه بيت الحماسة :

قَطَاةٌ عَزَّاهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

أى أعيانها وجود موضع اليبس : أى للمكان اليابس وامتنع عليها .

(١) أكرم : جمع أكرم . كأفاضل وأفضل . يقول . بسببهم وكونهم في الأرض
 حسدتها السماء إذ لم يكن في السماء مثلهم ، وتأخر كل مصر - بلد - عن بلدهم
 طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الأمصار .

(٢) هذا استفهام معناه الإنكار . ويقول : إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحداً من
 الملوك ، وإذا امتنعت بهم لم أحذر قرناً يقابلني . والقرن : كفتوك في الشجاعة : أما القرن
 من الناس : فهم أهل زمان واحد ، قال :

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِقَتْ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

والقرن : الوقت من الزمان ، يقال هو أربعون سنة ، وقيل ثمانون سنة ، وقيل مائة .

(٣) و (٤) الخندريس : الحجر القديمة . والصفائح : السيوف العريضة ؛ والعوالى :
 صدور الرماح ؛ والإقحام : دخول الشيء في الشيء ؛ والخييس : الجيش ؛ ومعنى معاطاة
 الصفائح : مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب : كد التناول يده إلى من ناوله الشيء
 يقول : إن الحرب ألد عنده من الشرب : فقوله : ألد ، مبتدأ ؛ وخبره : معاطاة -

فَوَيْ فِي الْوَعَى أَرَبِي لَانِي رَأَيْتُ الْبَيْشَ فِي أَرَبِ الثُّفُوسِ^(١)
وَلَوْ سَقَيْتُهَا بَيْسِي نَدِيمَ أَسْرِهِ بِهٍ لَكَانَ أَبَا ضَبَّيْسِ^(٢)

•••

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :
هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيْسًا مُمَّ أَنْتَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ كَنَسِيْسًا^(٣)

في البيت الثاني — ومثل هذا يسميه الطاء : التضمين ، وهو عيب عندهم ، ومثله قول القائل :

لَسَلَّ السُّيُوفُ وَشَقَّ الصُّفُوفُ وَخَوَّضَ الْخُتُوفُ وَضَرَبَ الْقُلُلُ
أَلَذَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأُسْمَاعِ وَشَرِبَ الْمَدَامَةَ فِي يَوْمِ طَلَنَ
(١) الوعى : الحرب ؛ والأرب : الحاجة ، يقول : إذا قتلت في الوعى — الحرب —
فذلك هو حياتي ، لأن حقيقة الحياة ما يكون فيها تشبيه النفس ، وأنا أشتهي أن أموت
محاربا ، وإذا أدركت ما أشتهي : فكأنني حييت .
(٢) يقول : لو رغبت في شرب الخمر لشربتها من يدي أبي ضبيس ، لأنني أسر
بمناعتها .

(٣) هذي : أي يا هذه ، ناداها وحذف حرف النداء ضرورة ، وقال للمرى : هذه
موضوعة موضع الصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول : هذه البرزة برزت لنا
كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يَا إِبْلَى إِمَّا سَلَيْتِ هَذِي فَاسْتَوْسِقِي لَصَارِمِ هَذَا

أَوْ طَارِقِي فِي الدَّجَنِ وَالرَّذَاذِ

يزيد هذه الكرة ؛ والرسيس — في الأصل — مس الحصى وأولها ، وهو ما يتولد
عنها من الضعف . وللراد هنا : مارس في القلب من الهوى : أي ثبت ، قال ذو الرمة :
إِذَا غَبَرَ النَّأْيُ الْهَبِيْنُ لَمْ يَكْذُ رَسِيْسُ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِ مَيَّةٍ يَبْرَحُ
والنسيس : بقية النفس بعد المرض والمزال . يقول : برزت لنا لحركت ما كان في
قلبنا من هوائك ثم انصرفنا عنا مودعة وما شفيت ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا —
بالوصال .

وَجَعَلْتَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي فِي الْكَرَى

وَتَرَكْتَنِي لِلْفَرَقْدَيْنِ . جَلِيساً^(١)
 قَطَعْتَ ذِيَّكَ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ وَأَدْرَتِ مِنْ خَيْرِ الْفِرَاقِ كُؤُوساً^(٢)
 إِنْ كُنْتَ ظَالِعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِي تَكْنِي مَزَادَ كُمْ وَتُرَوِي الْعِيسَا^(٣)
 حَاشَى لِمَنَّا أَنْ تَكُونَ بِخَيْلَةٍ وَلِمَنَّا وَجْهٌ أَنْ يَكُونَ عَبُوساً^(٤)
 وَلِمَنَّا وَصْلٌ أَنْ يَكُونَ مُنْعَمًا وَلِمَنَّا نَيْلٌ أَنْ يَكُونَ خَسِيساً^(٥)

(١) يقول : حلت بيني وبينك كما حلت بيني وبين النوم ، لحظي منك ومن وصالك كحظي من النوم ، يعني لا حظ لي من الوصال ولا من النوم ، فهو ساهر طول الليل يراعى الفرقدين ، وهما نجان لا يفترقان ، يضرب بهما المثل في الاجتماع .

(٢) ذيك : تصغير ذاك ؛ والخمار : بقية السكر . يقول : كنا مع قربك في شبه الخمار لما كنا نقاسي من بخلك بالوصل ، فجاء ما طم على الخمار بإسكارك إيانا بفراقك ، يعني : بلينا من فراقك بأشد مما كنا تقاسيه من منعك مع قربك ، فشبه بخلها في قربها بالخمار وفراقها بالسكر ، والخمار إذا قيس بالسكر : صغر .

(٣) الظعن : الارتحال . والدماغ : مجارى الدموع من العين ، والمراد : الدموع . والمزاد : جمع الزادة : القرية . والعيس : الإبل . يقول : إن كنت مرتحلة فإني أكثر عليك من البكاء حتى إن دموعي تملأ ما معكم من أوعية الماء ، وتروى إبلكم فتكتفون بها عن نشدان الماء .

(٤) و (٥) حاشى : كلمة تنزيه ، تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل ، ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف . وقد وفينا القول عليها فيما أسلفنا من هذا الشرح . «أن تكون» في موضع جر بـ«من» مضمرة . واسم تكون : يرجع إلى مثل ، وهو يذكّر ويؤنث بحسب ما يقع عليه . وعبس : قطب وجهه ، والنيل : اسم لما ينال . والحسيس : القليل . يقول مثلك في حسنه وكرم أصله لا ينبغي أن يبخل على من يحبه بالوصال ، ومثل وجهك في توافر ملاحظته لا ينبغي أن يكون عبوساً للناظرين إليه ، وبودى أن تجودى بوصلك وأن لا تمنعه عنا . هذا : ولم يرد المتنبي ما قيل — في هذا البيت — أنه أراد أنها تكون مبذولة الوصال ، وإنما يحسن الوصال ويطيب إذا كان ممنماً ، وإذا كان مبذولاً مل ، وأحرفت النفس عنه ، وما أحسن قول القائل :

خَوْذُ جَنْتِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَازِلِي حَرْبًا وَغَادَرَتِ الْفَوَادَ وَطَيْسًا^(١)

ما أحلى الهوى ما لم تنل فيه المنى والحب أعدل ما يكون إذا اعتدى
وإذا اختبرت رأيت أصدق عاشق من لا يمد إلى مواصلة يدا
وقد قال كثير :

وإني لأسمو بالوصال إلى التي يكون نثيًّا وصلها وازديارها
أى إنما أرغب في ذات القدر المصونة ، لا المبذولة ، وأنشد بعضهم قول الأعشى :
كَأَنَّ مِشْيَتَهَا فِي بَيْتِ جَارَتِهَا مَشَى السَّحَابَةُ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
فقال هذه خراجة ولاجة ، هلا قال كما قال الآخر :

وتشتاقها جاراتها فيزرنها وتمتلّ عن إتيانهن فتعذّر ؟

قال ابن فورجه : هذا اعتراض على التنبي بوصفه بحييته بأنّها مبذولة الوصال ،
ولم يتعرض لذلك بشيء ، وإنما قال لها حاشاك من هذا الوصف ، وليس في اللفظ ما يدل
على أنّها مبذولة الوصل أو ممتعة ، بل فيه أنه يريد أن يكون مبذولا وصلها له ، وأى
عجب لا يجب ذلك ؟ وإن كان لا يراد منه أنه يتمنى بذل حييته فهو محال ؟
قال أبو الفتح إنما أراد حاشى لك أن تمنى وصلك بالنية إن لم يكن بالفعل ، ألا ترى
إلى قول القائل :

أحب اللواتى هنّ في رونق الصبا وفيهنّ عن أزواجهنّ طِاحُ

مُسِيرَاتُ وُدِّ مُظْهِرَاتُ لُضْدِهِ تَرَاهُنَ كَالرَّمْضَى وَهْنُ صَحَاحِ ؟

أى هن يظهرن خلاف ما يكتمن . قال الخطيب : أما هذا الشاعر فقد أظهر
ما يحب وبينه ، وأنه يحب كل لعوب طامحة عن زوجها . وهذا مذهب بعض المحبين .
وأما قول المتنبي فهو مبين لهذا بقوله : أن يكون ممنا : فهو مهر صراح .

(١) الخود : — بفتح الحاء — الشابة الناعمة ، وجمعها : خود — ضمها —

وارتفاع خود على أنها خبر مبتدأ محذوف . والوطيس : تنور من حديد ، ويقال حمى
الوطيس : أى اشتدت الحرب . يقول : لسكرة ما يلغنى — أى العوازل — فى هواها ،
ويراجعنى ويفضبنى صار كأن بينى وبينهن حربا من جرائمها ، ثم قال : وقد تركت
فؤادى مثل الوطيس : أى لمتهد بما فيه من حرارة الوجد .

يَيْضَاهُ يَمْنَعُهَا تَكَلَّمَ دَلَّهَا تَيْبَاهُ وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمَيِّسًا^(١)

(١) يقول : إنها يضاء — نية العرض — يمنعا دلالتها أن تتكلم ويمنعها حياؤها أن تميس — تتثنى — فقوله تكلم ، يريد أن تتكلم ، خذف وأعمل ، وكذلك ؛ تميس ويروى بدل تكلم : التكلّم . وإليك ما قال المكبري الكوفي : قوله تكلم : أراد أن تتكلم ، خذف وأعمل ، وكذلك أن تميس ؛ وهو كثير في أشعارهم ، والبصريون لا يرون ذلك ؛ وحجتنا قول الشاعر :

انظرا قَبْلَ تَلَوْمَانِي إِلَى طَللِ بَيْنِ النِّقَا وَالْمُنْحَى

وقول طرفة :

أَلَا أَيُّهَاذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(٢)

وقراءة عبد الله « لا تعبدوا إلا الله » فنصب بتقدير « أن » مع حذفها ؛ وقول عامر ابن الطفيل :

* وَنَهَنَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كَلَدْتُ أَفْقَلَهُ *

وقد ألزمنام بقولهم : إنها تعمل مع الحذف من غير بدل في جواب الستة بالفاء مقدرة وحجبتهم أنها تصب الفعل ، وعوامل الأفعال ضعيفة ، فلا تعمل مع الحذف من غير بدل ، ولهذا بطل عملها في قوله تعالى « أفغير الله تأمروني أعبد » وقال الشاعر :

أَنْ تَقْرَأَنَّ عَلَى أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا مِنْ السَّلَامِ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا^(٣)

(١) من مطلقه طرفة ، وبعده :

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي فَذَرْنِي أَبَادِرْهَا بِمَمْلَكَتِ يَدِي

يقول في البيت الأول : يا من يلومني في حضور الحرب لثلا أقتل . وفي أن أنفق مالي لثلا أفقر — ما أنت علهي إن قبلت منك ، فدعني أنفق مالي في الفتوة ولا أخلفه لغيري ثم قال في البيت التالي : إن كنت لا تقدر أن تدفع مودتي فذرني أسبق الموت بالتمتع بإتفاق مالي : يعني أن للموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

(١) قبله :

يَا صَاحِبِي فَدَتْ نَفْسِي نُفُوسَكَ وَحِينَمَا كُنْتَمَا لَا قَيْتَمَا رَشَدَا

لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءً دَأْبِي عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا^(١)
 أَبْنَى زُرَيْقٍ لِلثُّغُورِ مُحَمَّدًا أَبْنَى نَفِيسٍ لِلنَّفِيسِ نَفِيسًا^(٢)
 إِنْ حَمَلٌ فَارَقَتْ أَخْزَأْنُ مَالَهُ أَوْ سَارَ فَارَقَتْ الْجُسُومُ الرُّوسَا^(٣)
 مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ
 وَرَضَيْتَ أَوْ حَشَ مَا كَرِهْتَ أَنْيَسَا^(٤)

(١) دواؤه عندها : هو الوصال ، وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليوناني المشهور — ما وصفه من الأدوية في تواليفه الطبية .

(٢) هذا اقتضاب ، فقد انتقل من التشبيب إلى الملايعة بسبب ، وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين ؛ وزريق : أبو المدوح ، ومحمد : اسم المدوح .

يقول : لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور ، وهو نفيس وابنه نفيس وحفظ الثغور — مواضع المخافة من فروج البلاد — نفيس ، فقد أبى رجل نفيس لابن نفيس أمراً نفيساً ، وهو حفظ الثغور وذبح الأعداء عنها .

(٣) يقول : إن كان نازلاً في وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه ، وإن سار للحرب فرق بين جُسُوم أعدائه وبين رؤوسهم ، يصفه بالكرم والشجاعة .

(٤) تقدير البيت هكذا : إذا عادت نفسك ورضيت أوحش ما كرهت أنيساً فعاده ولكنه حذف الفاء ضرورة . قال الواحدى : ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده إذا عادت نفسك ، لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له . وقوله : عاده . أمر والأمر لا يوصف به ، لأن الوصف لابد من أن يكون خبراً يحتمل الصدق والكذب ، والأمر والنهى والاستفهام لا تحتمل صدقاً ولا كذباً . يقول المتنبي : إن عاديتك فقد

أن تحملاً حاجة لي خف تحملاً وتنعما نعمة عندي بها ويدا ولا يعلم قائل هذه الأبيات . وقوله : فدت نفسى الخ جملة دعائية ، وكذا قوله : لاقيتما الخ . والرشد — محركا — الاهتداء إلى الصواب . وقوله أن تحملاً : قيل أن « إن » هذه شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبله عليه ، وقيل أن مفتوحة مصدرية ، وهى وما دخلت عليه منصوب بفعل مقدر . أى أسألكم ، وأن تقرأن : بدله منه . ومحملها : مصدر ميمي ، أى حملها . وقوله بها : أى بحملها ؛ ويدا : عطف مرادف على النعمة ، وويحك ! معترض بين تقرأن وبين مقوله . وهو السلام ، وويح : كلمة ترحم .

(٢٠ — المتنبي ٢)

الْخَائِضَ الْغَمَرَاتِ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَالشَّمْرَى الْمِطْنَنَ الدَّعِيسَا^(١)
كَشَفْتُ جَهْمَةَ الْعِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا مَسُودًا جَنْبُهُ مَرْهُوسَا^(٢)
بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً فِي آيَةٍ تَنْفِي الظُّنُونَ وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا^(٣)

عادت نفسك ورضيت أوحش الأشياء — وهو الموت — أنيسا ، أى أن من عاداه آتى عليه وقتله لقدرة .

(١) نصب الخائض بفعل مضمر : كأنه قال : أردت ، أو مدحت الخائض ولك أن تجعله بدلا من الهاء في «عاده» والغمرات : الشدائد ؛ والشمرى — بفتح الشين وكسرهما الجاد الشيح في أمره ؛ والمطنن : الجيد الطعن ؛ والدعيس : فيل ، من الدعس ، وهو الطعن ، يقول : هو الذى يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للجز عنه .

(٢) جمهرة الشيء وجمهوره : أكثره ومعظمه ، ونصب جنبه : تشبيها بالظرف أراد أنه بالإضافة إليه مسود ومرؤوس ، كما يقال : هذا حقير فى جنب هذا . والمسود : من ساد غيره : يقول : بلوت جمهور الناس فلم أجد أحداً إلا والمدوح فوقه فى السيادة والرياسة ، يعنى هو رئيس على الناس ، سيد لهم .

(٣) غاية الشيء : انتهاء ، وحده الذى لا يعدوه ؛ والآية : العلامة ، وأكثر ما تستعمل الآية فى العلامة على قدرة الله سبحانه ، كما قال أبو العتاهية :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

يقول : إن الله صوره بشراً وجعله غاية للناس تنهى إليها كمالهم بأسرها وكان ذلك الخلق فى آية من خوارق العادات تنفى بها ظنون الناس فيه ، فلا تقع على حقيقة كنهه ، ويفسد قياسهم له بغيره ، لأن الشئ إنما يقاس بمثله ولا مثل له . وقال ابن جني : أنت الذى صورك الله بشراً ينفي الظنون حتى لا يتم فى حال ولا تسبق إليه ظنة . . . وليس هذا من ظن التهمة ، وإنما هو من الظن الذى هو الوم : أى أنه إنسان لا كالناس لما فيه من صفات ليست فيهم ، وقد وقع للناس الشبهة والشك فى أمره وأفسد مقايستهم عليه ، وعبرة الواحدى : إن ظننته بجرأ أو بدراً أو سيداً أو شمسا فليس على ما ظننت بل هو أفضل من ذلك ، وفوق ما ظننته : أى أنه غاية فى الدلالة على قدرة الله تعالى حين خلق صورته بشراً آدميا ، وفيه ما لا يوجد فى غيره حين نفي ظنون الناس ، فلا يدرك بالظن ، وأفسد مقايستهم ؛ لأن الشئ يقاس على مثله ونظيره ، وهو لا نظير له فيقاس عليه . وفى معناه .

وَبِهِ يُضْنُ عَلَى السَّبْرِ لَا بِهَا وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهَا يُوسَى^(١)
 لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَتَمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسًا^(٢)
 أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفِهِ فِي يَوْمٍ مَفْرَكَةٍ لِأَغْيَا عِيسَى^(٣)
 أَوْ كَانَ لُجُ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ مَا أَتَشَقَّ حَتَّى جَارَ فِيهِ مُوسَى
 أَوْ كَانَ لِلنَّبْرَانِ ضَوْءُ جَبِينِهِ عُذَّتْ فَصَارَ الْعَالَمُونَ مَجُوسًا
 لَمَّا سَمِعَتْ بِهِ سَمِعَتْ بِوَاحِدٍ وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَيْسًا^(٤)

أنت الذي لو يعاب في ملأ ما عيب إلا بأنه بشر

(١) الضن : البخل بالشيء ؛ والبرية : الخليفة . وقوله منها : أى من بينها ، وهو في موضع الحال من الضمير في «عليه» ويوسى : يحزن . تقول : أسيت عليه أسى : حزنت عليه ؛ وأصله يؤسى ؛ فلين للقافية . يقول : إنه يضن به على الناس جميعا لا بالناس عليه . أى لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يسلموا هم كلهم دونه لم يساوا قدره ، ولو جعلوا كلهم فداء له لم يخل عليه بهم ، لأنه أفضل منهم ، ففيه منهم خلف ولا خلف منه في جميع الناس ، وعليه يحزنون لو هلك لا على الناس كلهم . والمصراع الثانى كالتفسير للأول وقال ابن جنى : وجه الضن هنا أن يكون فيهم مثله حسداً لهم عليه . قال الواحدي : وهذا محال باطل . لأنه إذا بخل به للتنبى على الناس فقد تمى هلاكه ، وأن يفقد من بين الناس حتى لا يكون فيهم .

(٢) حديث الإسكندر ودخوله في الظلمات معروف . يقول : لو استعمل ذوا القرنين رأى للمدوح لأضامت له تلك الظلمات ؛ وهذا وما بعده من العلو للذموم . ومثله قول الآخر :

لو كان في الظلمات شغشع كاسها ما جاز ذو القرنين في الظلمات
 وقول الآخر :

لو أن ذا القرنين في ظلماته ورآه يضحك لاستضاء بشغره

(٣) عازر . رجل من بنى إسرائيل ، أحياء الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى . يقول : لو كان قتل بسيفه في الحرب لأعجز عيسى إحياءه .

(٤) الخيس . الجيش العظيم يقول : إنه يقوم بنفسه مقام الجيش ويفى غناؤه ، وهو

وَلَخَطْتُ أُنْمُلَهُ فَسَلَنْ مَوَاهِبًا وَلَمَسْتُ مُنْصَلَهُ فَسَالَ نَفُوسًا^(١)
يَا مَنْ تَلَوْتُ مِنَ الزَّمَانِ بَظْلُهُ أَبَدًا وَنَظَرْتُ بِأَسْمِهِ إِبْلِيسًا^(٢)
صَدَقَ الْمَخْبِرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصَفَهُ مِنْ بِالْعِرَاقِ يَرَاكَ فِي طَرَسُوسًا^(٣)

كما يقول ابن جنى — ضد قولك أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، والله أبو تمام حين يقول :

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَفَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ جَلْبٍ
ويقول :

ثَبَّتُ الْمَقَامَ يَرَى الْقَبِيلَةَ وَاحِدًا وَيُرَى فَيَحْسَبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلًا
ويقول ابن الرومي :

فَرَدُّ وَحِيدٌ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَأَنَّهُ النَّاسُ طَرًّا وَهُوَ إِنْسَانُ
(١) مواهبا ونفوسا : تميزان ؛ والمراد بالأفعل . الأصابع ؛ والنصل : السيف . قال
الواحدى . لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار ، ولس النصل كناية عن الاستنصار .
يقول : تعرضت لعطائه فبالت بالمواهب أنامله ، وتعرضت لإعائه إياى فسال سيفه بنفوس
أعدائى وأرواحهم لأنه قتلهم . قال البحرى .

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ حَافِيَهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانُ رَاحَتِهِ نَدَى وَنَجِيمَا
» نَجِيمًا : دَمَا « ؛ ولدعل .

وعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

(٢) يقول : إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا إليه فكفانا ذلك ؛ أى نهرب إلى
ظله وجواره من جور الزمان ، وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان خوفا ورعباً منه .
قال العكبرى : ولأن اسم المدوح محمد — وهو اسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه —
والشيطان يطرده بذكر الله ورسوله .

(٣) وصفه : مبتدأ ؛ ودونك . الخبر . يقول : إن الذى أخبر عنك مادحا مثنيا
قد صدق ، ووصفه لك دون ما تستحقه ، وهنا تم الكلام ، ثم قال : من بالعراق يراك
فى طرسوس : أى لأن آثاره ظاهرة . وذكره شائع ، فكأن من بالعراق يراه وهو
بطرسوس ؛ والمراد التعميم : أى إن آثاره قد عمت . وقال الواحدى : من بالعراق
يراك فى طرسوس : أى ليله إليك ومحبه إياك كأنه يراك ، كما قال كثير :

بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سَائِرُ
فَإِذَا طَلَبْتَ قَرِيبَةً فَارْقَتَهُ
يَشْنَأُ الْمَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسَ^(١)
وَإِذَا خَذَرْتَ تَحِذْتُهُ عَرِيسًا^(٢)

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا
وَمَا قَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَحُلْ مِنْ مَكَانٍ

(١) يشنأ : أراد يشنأ - من شنأت : أى أبغضت - والمقيل : القيلولة - النوم -
وقت القائلة - الظهيرة - والتعريس : النزول في آخر الليل للراحة ؛ والضمير في يشنأ
ويكره : للذكر . يقول : إن طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك سائر في البلاد كلها
ليلا ونهاراً لا يتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس . وهو من قول أبي تمام :

جَرَرْتُ فِي مَدْحِيكَ حَبْلَ قَصَائِدٍ جَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُقِيمٌ

(٢) خدر الأسد وأخدر : غاب في أجمته ولزمها ؛ ويقال أخدر فلان في أهله :
أى أقام فيهم : وأنشد الفراء :

كَأَنَّ تَحْتِي بِأَزِيَا رَكَاضًا أَخْدَرَ خَسًا لَمْ يَذُقْ عَضَاضًا^(١)

وأسد خادر : مقيم في عرينه داخل في الحدر - أى الأجمة - وأسد مخدر أيضاً . قالت
ليلى الأخيلية :

فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيِّيةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانٍ خَادِرٍ^(٢)

وتخذت : بمعنى اتخذت . والعريس والعريسة : أجمة الأسد وعرينه ، شبه المدوح
بالأسد فاستعار له هذه الأشياء . يقول : هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه
عند طلب الهريسة : أى العدو ، وتأوى إليه بعد ذلك كما يأوى الأسد إلى عرينه ،
وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

هُوَ اللَّيْثُ طَوْرًا بِالْعِرَاقِ وَتَارَةً بَيْنَ آجَامٍ الْقَنَا مُتَأَجِّمٌ

(١) لم يذوق عضاضا : أى ما يعض عليه . يريد أن هذا البازي أقام في وكره خمس
ليال مع أيامهن لم يذوق طعاما ، ثم خرج بعد ذلك يطلب الصيد ، وهو قرم إلى اللحم
شديد الطيران ، ففبه ناقته به .

(٢) خفان : مأسدة .

إِنِّي نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَأَنْتَقَدَ كَثُرَ الْمُدُنُ فَأَحْذَرُ التَّدْلِيْسَ^(١)
حَجَبْتُهَا عَنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيةَ وَجَلَوْتُهَا لَكَ فَأَجْتَلَيْتَ عَرُوسًا^(٢)
خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَاوَى الْخُرَابِ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَا^(٣)

(١) تقول : نقدت الرجل الدرام والدنانير : إذا أعطيته إياها فانتقدتها : أى أخذها ؛ هذا هو الأكثر في كلام العرب ؛ وقد يستعملان في تمييز الجيد ونقي الزيف . يقال : نقد كلامه وانتقده ، وكذلك في الدرام والدنانير ، وهو المراد هنا . شبه شعره الذى مدحه به بدر نثره عليه . والتدليس إخفاء العيب فى السلعة . يقول : كثر المدلسون من الذين يبيعون الشعر ، فأحذر تدليسهم عليك ، وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه . وصدر البيت من قول أبى نواس :

نَثَرْتُ عَلَيْكَ الدَّرَّ يَا دُرَّ هَاشِمٍ فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا عَلَى الدَّرِّ يُنْثَرُ
ومحجزه ينظر إلى قول ابن الرومى :

أول ما أسأل من حاجة أن يُقرأ الشعرُ إلى آخره
ثم كفانى بالذى ترتئى فى جَوْدَةِ الشعر وفى شاعره

(٢) الضمير فى حجبها وجلوتها : للقصيدة ، وإن لم يجر لها ذكر ، وإنما ذكر الدر ، وجلا العروس على بعلها : عرضها عليه سافرة فاجتلاها هو : أى نظر إليها كذلك . جعل قصيدته التى مدحه بها كالعروس . يقول : حجبها عن أهل هذا البلد - أنطاكية - أى لم أمدحهم بها - عرض بعض الأكابر - ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس وتجلى على الزوج فاجتليت منها عروسا ، وخصصتك بها دون غيرك ؛ وعروسا : حال من القصيدة . قال الواحدي : ويجوز أن يكون حالا من المدوح لأن العروس يقع على الذكر والأنثى ، وهذا إذا أراد فاجتليتها : أى قدر ضميراً ؛ وإذا لم يقدر فهى مفعول لاجتليت .

(٣) الناووس والناؤوس : مقبرة النصارى والمجوس ، دخيل ، ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت ؛ وهذا مثل . يقول : خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة - مثل البزاة - تطير إلى قصور الملوك ، وشَرُّ الشعر ما يمدح به الثام والأراذل كالطيور التى تأوى إلى الخراب والمقابر يعنى : أنت خير الناس وكلامى خير الكلام فأنت أولى به . يعرض بالذين لم يمدحهم من أهل أنطاكية . هذا ويقال : أويت منزلى وأويت إلى منزلى : أى عدت .

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فِدَتَكَ بِأَهْلِهَا أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسًا^(١)

* *

ودس عليه كافور من يستعلم ما في نفسه ، ويقول له قد طال قيامك عند هذا الرجل ، فقال :

يَقُلْ لَهُ الْقِيَامُ عَلَى الرَّءُوسِ وَبَذَلُ الْمَكْرَمَاتِ مِنَ النَّفُوسِ^(٢)
إِذَا خَانَتْهُ فِي يَوْمٍ ضَحُوكِ فَكَيْفَ تَكُونُ فِي يَوْمِ عَبُوسِ^(٣)

وقال يهجو كافوراً ، وقد خرج من عنده .

أَنُوكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عَرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ^(٤)

(١) الحبيس : المحبوس ، وهو الوقف الذي لا يباع ولا يوهب . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لأبقيت عليك وفدتك بمن فيها ، أو لو كانت غازية مجاهدة في سبيل الله لجلعت نفسها وقفاً محبوساً عليك ، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك . وإنما قال هذا : لأن المدفوح كان على الثغور في وجه الروم يجاهد في سبيل الله .

(٢) يقول : يقل له أن تقوم في خدمته ولو على الرؤوس وأن نبذل في خدمته النفوس المكرمة ؟ وتروى المكرمات - بفتح الميم وضم الراء - أى الأفعال الكريمة . والله قول أبي تمام :

لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ وَخَدِدِهِمْ فَضْلاً عَنِ الْأَقْدَامِ

(٣) الضمير في خاتته : للنفوس ؛ والعبوس : السكرية . يقول : إذا خانتها النفوس فلم تهم بحقه ولم تخدمه في السلم ، فكيف تخدمه في الحرب ؟

(٤) النوك : الحق ؛ والأنوك : الأحمق ؛ وعرسه : زوجته ، يريد بها الأمة . ومن حكم : مبتدأ ؛ خبره : ما قبله . يقول : الذي يجعل العبد حاكماً على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد : أى أمته . ولك أن تقول : من يكون في طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة ؛ فقوله : من عرسه ، أى من عرس نفسه ، يعنى المرأة . وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى أن يطيعه .

وَأَمَّا يُظْهَرُ تَحَكُّمُهُ تَحَكُّمُ الْإِفْسَادِ فِي حِسِّهِ (١)
 مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ كَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ (٢)
 الْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقَهُ عَنْ فَرْجِهِ الْمُتَنِّ أَوْ ضَرْسِهِ (٣)
 لَا يُنْجِزُ الْمِعَادَ فِي يَوْمِهِ وَلَا يَبِىُّ مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ (٤)
 وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ كَأَنَّكَ الْمَلَّاحُ فِي قَلْبِهِ (٥)

(١) يقول : إن من حكم العبد على نفسه : يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره ، وسوء الاختيار يدل على تحكُّم الفساد في الحس . والحس ، أو الحس المشترك أو الحس الباطن - وهو الذي أطلق عليه بعض متأدبي عصرنا (العقل الباطن) خطأ - هو - كما جاء في تعريفات السيد الجرجاني - القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة ، فالحواس الحس الظاهرة كالحواسيس لها ، فتطلع عليها النفس من نعمة فتدركها . قال : ومحلّه مقدّم التحريك - الأول من الدماغ كأنها عين تنشعب من خمسة أنهار . وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة - كلود برنار - قال : هو جملة التغيرات الحاصلة في الجسم الحى بواسطة المهيجات ، أو هو تكيف في التأثير لكيفية في المؤثر ، ويسميه أهل اللغة : الإدراك .

(٢) أى الذى يرى أنك في وعده يحسن إليك ؛ والذى يرى أنك في حبسه يسوء إليك . يريد أنه مرهون فى مواعيد كافور ولكن كافوراً يعامله معاملة المحبوس عنده ؛ فلا هو يفيه ما وعده ، ولا هو يؤسسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله ، فهو يرى أنه في حبسه ، فليس له منه مخلص فما يبالى به . والحر الكريم يرى أنك في وعده فهو يضيق الإنجاز فيما وعد .

(٣) يقول إن همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر وإحسان . يصفه بقصر الهمة عن المالى .

(٤) الضمير فى يومه : للميعاد ؛ وفى أمسه : لكافور . يقول : لا ينجز للميعاد فى يومه الذى وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالأمس ؛ يعنى أنه لفقلته وسوء فطته : ينسى ما يقوله .

(٥) القلس . حبل للسفينة ضخم تجذب به . يقول : إن كافوراً لا يأتى مكرمة بطبعه ، بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح - البحار - السفينة لتجرى ؛ يعنى أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد ، وهو لا يتفق

فَلَا تُرْجُ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ
مَرَّتْ يَدُ الْفَخَّاسِ فِي رَأْسِهِ^(١)
وَأِنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فِي نَفْسِهِ
بِحَالِهِ فَأَنْظِرْ إِلَى جَنْبِهِ^(٢)
فَقَلَّمَا يَلُومُ فِي تَوْبِهِ
إِلَّا الَّذِي يَلُومُ فِي غَرَسِهِ^(٣)
مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدَرِهِ
لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ^(٤)

وشنشتها ، لأنها تطلب جريان الماء لتتحدّر معه سريعة ؛ وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها ، وكذا كافور قد تعود البخل واللؤم ؛ فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه لأنه ضدّ عادته .

(١) النحاس : الذي يبيع الدواب لأنه ينخسها لتنشط ، ويطلق على بائع الرقيق . ورجاء ورجاء - بالتشديد - وترجاء : بمعنى . وفي رأسه : أي على رأسه ومثله قوله تعالى « ولأصلبكم في جذوع النخل » . يقول : لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسبق للبيع كما تساق الدواب .

(٢) عراك : اعتراك وغشيك وألم بك . يقول : إن شككت في حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه : فقسه بغيره من العبيد . فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم ، وبحاله : يروى بحالة .

(٣) الفرس : جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة . يقول : إن اللؤم طبيعة ، طبع عليها اللثيم في غرسه ، فمن كان لثيماً في كبره فإنما كان مولوداً على اللؤم .

(٤) القنس - بفتح القاف وكسرهما - الأصل . يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه في الدنيا فقال ملكاً أو ولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله في اللؤم ، لأن الأشياء تعود إلى أصولها ، والعرق نزاع ، فمن كان لثيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم .

وأحضر أبو الفضل بن العميد بحجرة محشوة بالترجس والآس حتى خفيت نارها والدخان يخرج من خلال ذلك ؛ فقال مرتجلا :

أَحَبُّ أَمْرِي حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مَفْطِيسُ^(١)
وَنَشْرٌ مِنَ النَّدِّ لَكِنَّمَا بَجَامِرُهُ الْآسُ وَالتَّرْجِسُ^(٢)
وَلَسْنَا نَرَى لَهَبًا هَاجَهُ فَهَلْ هَاجَهُ عِرْكَ الْأَنْفُسِ^(٣)

(١) للعطس : الأنف : يقول : أنت أحب امرئ حبته النفوس ، وهذا الند أطيب رائحة شمها الأنف . وحذف الابتداء من الجملتين لأن المخاطبة والحال دللتا عليه ، هذا : والأكثر أن يقال أحبه فهو محب وهو محبوب - طى غير قياس - وقد قيل محب - طى القياس - وقال الأزهرى : وقد جاء الحب شاذاً فى الشعر ، قال عنتره :

وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَغْطِئِي غَيْرَهُ مَنَى بِمَنْزِلَةِ الْحُبِّ الْمَكْرَمِ^(١)

قال الفراء : وجبته : لغة ، وقال غيره : وكره بعضهم حبيته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح ، وهو قول عيلا بن شعاع النهشلى :

أَحِبَّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمَرِهِ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْقُ
فَأَقْسَمُ لَوْلَا تَمَرُهُ مَا حَبَيْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَذْنَى وَمُشْرِقُ

وجه يحبه - بالكسر - فهو محبوب . قال الجوهري : وهذا شاذ ، لأنه لا يأتي فى المضاعف : يفعل - بالكسر - إلا ويشركه يفعل - بالضم - إذا كان متعدياً ، ما خلا هذا الحرف . هذا : وروى أحب وأطيب : بالنصب على النداء .

(٢) ونشر : عطف على خبر الابتداء المحذوف ، كأنه قال : وأطيب ما شمه الأنف هذا البخور ونشر من الند ؛ أو الواو زائدة - على حد قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » - والنشر : الرائحة ؛ والجامر : الباخر . يقول : إن هذا البشر من الند إلا أن مجامره الآس والترجس ، وليس بمعروف عنهما أن يخرج منهما الدخان .

(٣) الأقبس - ومنه العزة القعساء : اثبات ، وقيل : العالى المرتفع

(١) من ملقعة عنتره . ونزلت : خطاب مع محبوبته عبلة . وقوله : فلا تغطينى غيره جملة معترضة بين نزلت ومنى . فإن منى : متعلقة بنزلت . يقول : ولقد نزلت من قلبى منزلة من يحب ويكرم . ومفعول ظن الثانى : محذوف : أى فلا تغطينى غيره واقما : أى غير نزولك منى منزلة الحب .

وَإِنَّ الْفِتَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرُوسُ^(١)

* * *

الذى لا يوضع ظهره على الأرض ، كالأقمس الذى لا ينال ظهره الأرض . يقول : لا نرى نارا هيئت ريح هذا الند ، فهل هاجه عزك الأقمس ؟ فهذه زفرات نار حسده لعزك .
(١) الفتام : الجماعات من الناس . ويروى القيام . جمع قائم . قال بعض الشراح : وليس بجائز إلا إن قال : الذين حوله . يقول : ليس بدعاً أن يحسد الند عزك ، فإن هؤلاء الطوائف اللتين حولك لخدمتك تحسد رءوسهم أرجلهم ، لأنها وقفت فى خدمتك على الأرض ، وكان بود الرءوس أن تكون هى الواقفة مكانها . وقال ابن جنى : لأنها تباشر الأرض التى باشرها المذبوح لسعيها إليه ، فهى كقوله أيضاً :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

قافية الشين

وقال يمدح أبا العشائر على بن الحسين بن حمدان ويذكر إيقاعه بأصحاب
بافيس ومسيره من دمشق :

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايَ حَاشِ^(١)
لَقِيَ لَيْلٍ كَعَيْنِ الظُّنْبِي لَوْنًا وَهَمَّ كَالْحَمِيَّا فِي الْمَشَاشِ^(٢)

(١) مبيتى : اسم مكان ، ومن دمشق : بيان لمبيتى ؛ وعلى فراش : خبر مبيتى ؛
وحشاه الخ : فى موضع الصفة لفراش : يصف شدة هواء وحرارة قلبه من الحب ، يقول :
إني أتيت من دمشق على فراش حار حتى بخرارة قلبى من الهوى : يعنى حرارة الهوى
وأن فراشه صار حاراً لذلك . وأنه يبيت ساهراً من ثم .

(٢) لقي : حال ؛ أى أبيت على فراش حال كوني لقي ليل ا واللقى : الشيء الملقى .
والحميا : سورة الحجر . والمشاش : رءوس العظام الرخوة . وعين الظبي : يضرب بها
المثل فى السواد ، ولونا : تميز . يقول : إننى طريح ليل أسود ، وهم قد خالطه وتمشى
فيه تمشى الحجر فى العظام ، وفيه نظر إلى قول أبى نواس :

وتمشى فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم
والصرع الأول من قول أبى تمام :

* إِلَيْكَ تَجَرَّعْنَا دُجَى كَحِدَاقِنَا *

ومثله قول التنوخى :

وَاللَّيْلُ كَالنَّارِ كِلِ فِي إِحْدَادِهَا وَمُقَلَّةِ الظُّنْبِي إِذَا الظُّنْبِي رَنَا
والثانى من قول زهير :

فَظَلْتُ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ مِنْ الرَّاحِ تَسْمُو فِي الْمَفَاصِلِ وَالْجَسْمِ
ومثله قول الأبيرد :

عَسَا كِرُّ تَغَشَّى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّيْ

أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخمرُ

وَشَوْقٍ كَالْتَوْقَدِ فِي فُؤَادٍ كَجَعْرِ فِي جَوَانِحِ كَالْمِحَاشِ^(١)
 سَقَى الدَّمَ كُلَّ نَضْلٍ غَيْرِ نَابٍ وَرَوَّى كُلَّ رُمَحٍ غَيْرِ رَاشٍ^(٢)
 فَإِنَّ الْفَارِسَ الْمَنْعُوتَ خَفَتْ لِمَنْضِلِهِ الْفَوَارِسُ كَالرَّيَاشِ^(٣)
 فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمَرَاتِ يُكْنَى كَانَ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشٍ^(٤)
 وَقَدْ نَمَى الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى رَدَى الْأَبْطَالَ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ^(٥)
 لِقُوهِ حَاسِرًا فِي دِرْعٍ صَرَبٍ دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهَبِ الْخَوَاشِ^(٦)

(١) وشوق : عطف على ليل ، والمحاش - بضم الميم وكسرها - ما أحرقت النار ، تقول : امتحش الحيز ، أى احترق . ومحشته النار وامتحشته : أحرقت . شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، شوقه : بتوقد النار ، وقلبه - الذى هو محل الشوق - بجمر النار . وجوانحه - أضلاعه - بشواء أحرقت النار .

(٢) يدعو بالسقيا لكل فصل - سيف - لا ينبو عن الضريبة - أى لا يكل ولا يرتفع - ولكل رمح غير راش - أى غير ضعيف خوار .

(٣) المنعوت الموصوف : أى الذى توصف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف ، يعنى به أبا العشار . وهذه رواية الخوارزمي : وروى ابن جنى المنعوت وهو الذى بقتله الشيء : أى فاجأه ، يريد ما كان قد عرض لأبى العشار من الجيش الذى كبسه بأنطاكية ، وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وخفت لمنضله - سيفه - الفوارس : أى تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش .

(٤) يقول لكثرة خوضه الغمرات - الشدائد - والتباسه بالحرب وأهوالها : صار يكفى أبا الغمرات ، وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة - أبا العشار - غير فاشية ، إذ غمرتها هذه وأختلتها .

(٥) الردى : الهلاك ، وما - فى قوله بما يسمى - مصدرية : أى بتسميته ردى الأبطال ، والغيث : المطر . يقول : وقد نسى اسمه العلم - وهو الحسين بما سموه - به من ردى الأبطال - أى هلاك الشجعان - أو غيث العطاش ، يعنى إن صفى الشجاعة والجلود غلبتا على اسمه للشهور حتى ترك ، فلا يسمى إلا بهذين .

(٦) الحاسر : الذى لا درع له ، وهو حال ، وفى درع ضرب : حال أخرى . يقول : لقوه ولا درع عليه ، لأنهم فاجأوه ، ثم قال : لكنه من ضربه الأعداء فى درع ،

كَأَنَّ عَلَى الْجَمَاحِمِ مِنْهُ نَاراً وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنَحَةُ الْفَرَاشِ^(١)
كَأَنَّ جَوَارِي الْمُهْجَاتِ مَاءً يَعَاوِدُهَا الْمَهْنَدُ مِنْ عَطَاشِ^(٢)
فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مَفَاتٍ وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلِ مُطَاشِ^(٣)
وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ تَوَارَى الضَّبُّ خَافَ مِنْ اخْتِرَاشِ^(٤)
يَدُمِي بَعْضُ أَيْدِي اخْتِلِيلٍ بَعْضًا وَمَا بِعُجَايَةِ أَثَرِ لَمْزِيئِهَاشِ^(٥)

لأن ضربه بالسيف يحميه ، ثم شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ، وكفى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشي . وللغنى : أن ضربه الأبطال يصده عنه كما يصده الدرع .
(١) يقول : كأنه يحرق الجماحم لشدة ضربه إياها ، ولأن سيفه يلمع كالنار عليها ، وكأن أيدي القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها ، فشبه أيدي القوم المقطعة حوله بالفراش الذي يتهاافت على النار .

(٢) المهجة : دم القلب ، والمهند : السيف ، والعطاش : شدة العطش ، وهو من باب فعال - الذي للأدواء : كصداع وزكام - شبه ما أجرى من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة : كالعطشان يعاود الماء ، يقول : إن سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء .

(٣) مفات : مفعول - من الفوت - أي حيل بينه وبين روحه ؛ يقال أفلته الشيء : أي جعله يفوته ؛ والروح ؛ يذكر ويؤنث ، وتذكيره أكثر ، والرمق : بقية الروح . يقول : فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه ، وآخر به رمق ، وثالث قد عقله : أي ذهب وتحير لما لاقى من الأهوال .

(٤) المنعفر : التلطف بالعفر ، وهو التراب ؛ ولنصل : خبر مقدم ، وتواري : مبتدأ مؤخر ، والتواري : الاختفاء . والاختراش : صيد الضب . يقول : قد غاب السيف في هذا المنعفر كما يغيب الضب في جحره خشية الاختراش : أي الصيد .

(٥) العجاية : عصبه في اليد فوق الحافر ، والارتهاش : أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى ، حتى تدمى الرواهش وهي عصب الذراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديها هاربة وهي تفرح في دماء القتلى فيلطم بعض أيديها بعضاً بالدم فكأن بها ارتهاشا ولم يكن ثم ارتهاش لأن أيديها سليمة . وقال ابن القطاع في قوله يدمى وفي البيت بعده : يريد أن المدوح لا نظير له في شجاعته ولا له قرن يصادمه ، وضرب الثل بأيدي الخيل ، ويريد : لا يقاوم الرجال إلا أكفاؤها .

وَرَأَيْتُهَا وَحِيدَةً لَمْ يَرُوحَهُ تَبَاعُدُ جَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشِ^(١)
كَأَنَّ تَلَوَّى النَّشَابِ فِيهِ تَلَوَّى الْخُوصِ فِي سَعْفِ الْعِشَاشِ^(٢)

(١) رأيتها : مفزعها وخوفها ، والمستجاش : الذي يطلب منه الجيش ، يقول : إن الذي أفزع الحيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يحفه بعد جيشه عنه وانفراده هو منه ، ولا بعد سيف الدولة الذي يستجيشه : أي يطلب منه الجيش ، لأن المدوح - وهو أبو العشار - كان عاملاً على أنطاكية من قبل سيف الدولة .

(٢) الخوص : ورق النخل ، والسعف : أغصانها ، والعشاش : جمع عشة ، النخلة إذا قل سعتها ودق أسفلها ، وقد عشت النخلة : قل سعتها ودق أسفلها ، وشجرة عشة : دقيقة القضبان ، لثيمة النبات : قال جرير :

فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قَرِيشٍ بِفَشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي^(١)
وَامْرَأَةُ عِشَةٍ : قليلة اللحم : ورجل : مهزول . أنشد ابن الأعرابي :

* تَضَحَّكَ مِنِّي أَنْ رَأَيْتُنِي عِشًا^(٢) *

يريد أنه كان يرمى بالسهم فتلوى فيه كتلوى الخوص وأغصان النخل فلا تنال منه ولا تنفذ من درعه . فهو لشجاعته لا يكثرث للطنف ولا الضرب ولا الرمي .

(١) العيص : منبت خيار الشجر . والعيص : الأصل . وفي المثل : عيصك منك وإن كان أشباً . يعني أصلك منك ، وإن كان غير صحيح . وما أكرم عيصه ، وم أبأوه وأعمامه وأخواله وأهل بيته ، والضواحي من الشجر القليلة الورق التي تبرز عيداتها للشمس .

(٢) بعده :

* لَبِستُ عَصْرِي عَصْرَ فَاْمَتَشَا *

بَشَاشَتِي وَعَمَلًا فَتَشَا وَقَدْ أَرَاهَا وَشَوَاهَا الْحُمَشَا

وَمُسْفَرًا إِن تَغْلَفْتَ أَرَشًا كَشَفَرِ النَّابِ تَلُوكَ الْفَرَشَا

قوله فامتشا : هو من امتش ما في الضرع إذا حلب جميع ما فيه . وكذلك تقول فش الضرع فشا : أي حلب جميع ما فيه . والشوى : الأطراف . والحش : الدقيقة ، وأرش : أي جاء بالرش ، والرش في الأصل للطير القليل والفرش النعش من الأرض فيه العرفط والسلم ، وإذا أكلته الإبل : أرخت أفواهاها .

وَنَهَبُ نَفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَىٰ بِأَهْلِ الْإِخْدِ مِنْ نَهْبِ الْقُمَاشِ ^(١)
تُشَارِكُ فِي النَّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا بِطَانٌ لَا تُشَارِكُ فِي الْجِحَاشِ ^(٢)
وَمِنْ قَبْلِ النَّطَاحِ وَقَبْلَ يَأْنِي تَبِينُ لَكَ النَّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ ^(٣)
فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ وَلَا أُورِي وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَحَاشِي ^(٤)
كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَمَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشٍ ^(٥)

(١) النهب : الغارة : وأهل النهب : الجيش : والقماش : متاع البيت . يقول :
إن الأعداء هموا على أنطاكية يريدون نهب أمتعتها ، ولكن أبا العشار نهب نفوسهم ،
ونهب النفوس أليق بالأشراف من نهب الأمتعة ، وهذا من قول أبي تمام :
إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا

يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمُسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(٢) الندام : النادمة على الشراب ، والبطان : جمع بطلين ، وهو العظيم البطن
الريغب . والجحاش : المجاشعة . وهي المدافعة في القتال . يقول : إذا نزلنا عن الحيل
شاركنا في شرب الخمر رجال ذوونهم يكثرُونَ الأكل ولا يشاركون في
القتال ، ومثله :

يَفِرُّ مِنَ الْكَتِيبَةِ حِينَ يُلْقَىٰ وَيَثْبُتُ عِنْدَ قَائِمَةِ الْخُلُوفِ

(٣) النطاح : مناطحة ذوات القرون ، ويستعمل في الحرب . و« قبل » رواه الخوارزمي
نصباً على الظرف ، ورواه غيره بالخفض عطفاً على ما قبله . ويأني : يحين - من قولهم
أني الشيء يأني إني - أزداد قبل أن يأني : لحذف ، يقول : قبل المناطحة وقبل أوانها
يتبين ما يناطح من الكباش مما لا يناطح ، ومن يقاتل ممن لا يقاتل من الأناسي ،
وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم تزد الطعن بها ، وكذلك يتلاعب الناس
بالأسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن .

(٤) أكثر الرواية : ويا ملك الملوك ، ويروي . ويا بدر البدور . ويروي الحديث
أخفاء وأظهر غيره . يقول : لا أستر قولي بل أجهر به . ولا أحاشي : أي لا أذع
أحدًا ولا أستتني إنساناً .

(٥) الغاش : الذي يغشاك ويזורك ؛ وغاشية الرجل : الذين يأتونه ويזורونه .
ومنه قول ذي الرمة يصف سفوداً :

أَصْبِرْ عَنْكَ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَى كَلَامٍ وَاشٍ^(١)
وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي الرُّؤْسَاءِ عِنْدِي عَتِيقُ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْحَشَاشِ^(٢)
فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِي^(٣)

وَذِي شَعَبٍ شَقَى كَسَوْتَ فَرُوجَهُ لِفَاشِيَةِ يَوْمًا مُقْطَعَةً مُحْرَا
وقال حسان :

يُفْشَوْنَ حَتَّى مَآثِرُهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)
يقول المتنبي : إنك من الفطنة والنفاذ وتقوب البصيرة بحيث ترى ما في قلوب الناس
وتعلم ما يطلبون ، فليس يخفى عليك حال قاصد إليك وزائر يمشاك . ومثل هذا في المعنى
قوله الآتي :

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيَفْضِي عَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ مُمَخْرِقٍ
(١) (٢) لم تبخل : أى وأنت لم تبخل ، فهي حيلة حالية ؛ والاستفهام إنكارى ؛
والواشى : الخمام ؛ وكيف : حال محدوفة العامل ؛ أى وكيف أصبر عنك ، والعتيق :
الكريم . والحشاش - بكسر الحاء ، وقد تفتح - صغار الطير نحو المصافير وأضرابها -
والحشرات . يقول - في البيت الثاني - : وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء
كالكريم من الطير بين صغارها ؟

(٣) يقول : ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لتقننه باتقائك وقوة
بطشك ، فبأسك نازل به لا محالة ، وليس يخشى من رجا إحسانك أن تخيب رجاءه ،
لأنه على يقين من فيض سخائك ، فأنت موضع الخوف والرجاء ؛ وعبرة ابن جني : ليس
يرجو من يخشاك أن يلقي من يكذبه ويخطئه في خوفك ، لأن الناس مجمعون على خوفك
وخشيتك . وعبرة ابن فورجه : يريد : خاشيك نازل به بأسك وواقع به سخطك

(١) يفشون - بالبناء للمفعول - أى يتردد إليهم - من غشيه : إذا جاءه - وهو
الكلب يهر - من باب ضرب - هريراً : إذا صوت ، وهو دون النباح . يعنى أن منازلهم
لا تخلو من الأضياف والعفاة ، فكلابهم لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة
التردد إليها من الأضياف . وقوله لا يسألون الخ : أى هم في سعة لا يسألون كم
نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير - وهو السواد - إذا قصدوا نهمهم .
(٢١ - المتنبي ٢)

تَطَاعِنُ كُلُّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الْجَحَاشِ^(١)
أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ وَإِنِّي مِنْهُمْ لِأَلَيْكَ عَاشِ^(٢)
بُيِّلَتْ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يُبْلَقُ أَنْوَفًا هُنَّ أَوْلَى بِالْحَشَاشِ^(٣)

واتقاكم ، فما رجو تكذبا لما خافه لشدة خوفه ، ولا راجيك بمعنى أن تخيه لفيض عرفك . وقال الواحدى : الصحيح في هذا البيت رواية من روى :

* فما خاشيك للتثريب راج *

أى من خشيك لا يخاف أن يثرب ويعير خشيتك ؛ فراج بمعنى خائف . قال : ومن روى للتكذيب : لم يكن فيه مدح ، لأن اللدح فى العفو - لا فى تحقيق الخشية - وإنما يمدح بتحقيق الأمل وتكذيب الخوف ، كما قال السرى الرفاء :

إذا وعد السراء أنجز وعده وإن وعد الضراء فالعفو مانعه

(١) النبيت : قوم بسواد العراق حراثون ؛ وكل خيل : فاعل تطاعن ؛ والمراد : كل أهل خيل - على حد قوله صلى الله عليه وسلم « يا خيل الله اركبى » ؛ يقول : إن القوم الذى تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون ، ولو كانوا من أولئك الأنباط الحراثين الذين لا يعرفون ركوب الخيل ، وإنما يركبون الحمير : أى أن من كان معك كان شجاعا لشجاعتك .

(٢) يقال : عشا إلى النار يعشو فهو عاش : إذا أتاها ليل . هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشيا ، قال صاحب الصحاح : عشوت إلى النار إذا استدلت عليها يصير ضعيف . قال الخطيب :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

وقوله « منهم » حال من ضمير مخاطب بعده . يقول : الناس فى قلة خيرهم كالظلام ، وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور ؛ وقد قصدتكم من بينهم أطلب الخير كما توتى أنوار فى الظلام .

(٣) الحشاش : عود يحمل فى عظم أنف البعير يشد فيه الزمام . أراد أنوف اللثام من الناس وأنها أولى بالحشاش من أن تشم الورد . شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الإبل . وقال ابن جنى : تأذيت بقاء غيرك من الرؤساء ولم يلقوا بى كما لا يلقى الورد بأنوف الإبل .

عَلَيْكَ إِذَا هُرِلْتَ مَعَ اللَّيَالِي وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمُنُ فِي هِرَاشٍ ^(١)
 أَنَّى خَبَرَ الْأَمِيرَ قَتِيلَ كَرُوا فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لَحِقُوا بِشَاشٍ ^(٢)
 يَقُودُهُمْ إِلَى الْمَيْجَا بُلُوجُ يُسِنُ قِتَالَهُ وَالْكَرُّ نَاشِي ^(٣)
 وَأَمْرِي جَتِ الْكَمِيتُ فَنَاقَلْتُ بِي عَلَى إِعْقَاقِهِمَا وَعَلَى غِشَاشِي ^(٤)

(١) يقول : هم عليك مع الدهر أعوانا له إذا كنت مهزولا . أى إذا افتقرت : فصرت كالمهزول الذى لا لم له ، وإذا سمنت — أى أثريت وكثر مالك — التفتوا حولك وتهاوشوا تهاوش الكلاب يطلبون نوالك ، وكذلك حال الناس ، فقوله : عليك أى هم عليك ؛ والمراد بالهزال والسمن : الفقر والغنى . والمهراش : مأخوذة من مهارشة الكلاب . وقال الواحدى : اللغى : هم عيال فى الحرب فإذا رجعت بالفتيمة خيموا لديك وتهاوشوا .

(٢) شاش : بلد فى ما وراء النهر . يقول : ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو ، فقلت : نعم — تصديقا لهذا الخبر — يكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش : أى ولو أمعن عدوه فى الحرب وكان بعيداً ، وهذا من قول البحتري :
 يُضْحِي مُطَلًّا عَلَى الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَفُوا

بِالصَّيْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّبِيْنَا

قال ابن جنى : كان أبو العشار قد استطرد الخيل ثم ولى بين أيديهم هاربا ثم جاء خبره أنه كره عليهم راجعا ، فيقول المتنبي : نعم يكرون — أى الأمير وأصحابه — ولو لحقوا من فرارهم بشاش . وقال ابن فورجه : الرواية بضم الكاف — كاف : كروا — واللغى : أى خبر الأمير بظفيره بالعدو ، فقليل لنا معشر المستمحين : كروا ، فقلت : نعم نكر ، ولو لحقوا بشاش : أى ولو كان على البعد منا . والأولى أظهر .

(٣) أراد باللجوج : أنه لا ينثنى عن أعدائه ولا يزال يغزوم . ويسن قتاله : أى يطول ، من أسن : أى طالت سنه — أى عمره . وناشى : هى ناشىء — بالهمز — غفغف ، أى حديث السن ، يقول : إن هذا للمدوح يقود جيوشه إلى الميغا — الحرب — وهو لجوج فى قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن وكره لا يزال شابا ؛ فهو فى آخر القتال ، كما كان فى أوله ؛ وفيه نظر إلى قول البحتري .

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرَّةٍ وَاعْتِرَازٌ مُجَرَّبٌ

(٤) الكميت : ما كان بين الأشقر والأدم من الخيل — يقال للذكر والأنثى —

قال الكلعة .

مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تَذَبُّ عَنْهَا بِرُغْبَى كُلِّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ^(١)
وَلَوْ غُفِرَتْ لَبَلَّغَنِي إِلَيْهِ
حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلُّ مَاشٍ^(٢)
إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ خِلَافٍ وَشَيْكَ فَمَا يُنْكَسُ لَا نِتْقَاشٍ^(٣)

كَيْتٌ غَيْرُ مُخْلَفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنُ الصَّرَفِ عَلَى بَدَنِ الْأَدِيمِ
[يعنى أنها خالصة اللون لا يخلط عليها أنها ليست كذلك]

وللناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة : وأعقت الدابة إعقاقا ، انتفخ
بطنها للحمل ، والفتاش : العجلة ؛ يقال لقيته غشاشاً وعلى غشاش : إذا لقيته على مهلة
قالوا : وهى كنانة . وأنشدت محمودة الكلاية :

وَمَا أَدْنَى مَقَالَتَهَا غَشَاشًا لَنَا وَاللَّيْلُ قَدْ طَرَدَ النَّهَارَا
وَصَاتَكَ الْهُودُ وَقَدَرَأْنَا غَرَابَ الْبَيْنِ أَوْ كَبَّ ثَمَّ طَارَا

[أو كب الطائر : نهياً للطيران] أى أنها أسرعت بى على ثقلها وعلى مهلى .

(١) التمرد : تفعل ، من المارد ، والريد ، وهو الذى قد أعيا خبثاً ، والتمردة
للمتعة . يصفحفرسه بالحبث وترك الاتقياد لمن لا يحسن ركوبها ؛ وتذب : تدفع . وكل
نائب فاعل تذب ؛ وطائرة الرشاش : أى كل طعنة طائرة الرشاش ، وهو ما يترشش من
الدم . يقول : هى من الحيل الشديدة للراس وإنى أصونها برعى عن أن تطعن .

(٢) يقول : لو غفرت فرسى — قطع عصب رجلها ؛ وللراد : هلكت فلم تحملى
إليه ، بلغنى إليه حديث عنه — أى عن المدوح — يحمل كل ماش إليه فلا يحتاج إلى
للطية : أى يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه ؛ أو تقول : إنه إذا ذكرت أخباره
وما يكون منه لم يجد الماشى مس النصب والإعياء لاستطابته ذلك الحديث ، فكان الحديث
حملة إليه وهذا كما قيل : إن رجلين اصطحبا ، فقال أحدهما لصاحبه : تحملى وأحملك .
يريد تحملى وأحدثك حتى تقطع الطريق بالحديث لاستطابته يحمل الماشى ؛ هذا على
رواية كل ماش بالنصب ومن رواها بالرفع رد الضمير فى عنه للحديث : أى أن كل ماش
يحمل حديثه لاستفاضة أخباره وشيوعها .

(٣) شيك : أى دخلت الشوكة رجله ؛ والانتقاش : إخراج الشوكة من الرجل
يقول : إذا وصفت لشجاع مواقف المدوح فى الحرب تاق إليهم ورغب فى صحبته فأسرع

تَزِيلُ مَخَافَةَ الْمَصْبُورِ عَنْهُ وَتُلْهِى ذَا الْفِيَاشِ عَنِ الْفِيَاشِ^(١)
وَمَا وَجَدَ اشْتِيَاقُ كَاشِفِ نِيَّاقِي
وَلَا عُرِفَ انكِمَاشُ كَانِكِمَاشِي^(٢)
فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي^(٣)

فيه لإعجابه حتى إنه - لدهوله - لو كان حافيا ودخلت شوكة في رجله إذ ذاك لم يكد يحس بها فلا ينكس رأسه - لا يطاقطىء - لإخراجها . وقيل : للراد بمواقفه ، مواقفه في الجود والعطاء .

(١) للصبور : المحبوس على القتل ؛ يقال : قتل فلان صبرا وهو أن يحبس حتى يقتل والفياش : المفايشة - أى المفاخرة - يقول : إن مواقف المدوح في القتال واقتحامه المهالك تشجع أخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل ؛ أو تقول : إن التاء - في تزيل وتلهى - للمخاطب : أى أنك أيها المدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخر عن المفاخرة ؛ إذ يستخذى إليك حين يسمع بمفاخره ويقر بفضلك : وفي رواية « تزيل » و « يلهى » بالياء -

(٢) الانكماش : الإغاحة والجد في الأمر . يقول : لم يشتق أحد اشتياقي إليك ولم يسرع أحد سرعتي في قصدك .

(٣) هذا كقول أبي تمام :

وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُوا نَوَالَهُمْ فَلْيَ لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
وقد تقدم .

قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بإفناذ خلعة إليه فقال :

فَعَلَّتْ بِنَا فَعَلَّ السَّمَاءَ بِأَرْضِهِ خَلَعَ الْأَمِيرَ وَحَقَّهُ لَمْ تَقْضِهِ (١)
فَكَانَ صِحَّةً نَسَجَهَا مِنْ لَفْظِهِ وَكَانَ حُسْنُ نَقَائِمَهَا مِنْ عَرْضِهِ (٢)
وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ فِي الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ تَحْضِيهِ (٣)

(١) يقول : أحيتنا خلق الأمير والبستنا الوشي ، كما يحيى المطر الأرض ويوشىها بالنبات والأزهار وما إليها ، ولم تقض حقه كما يستحقه من الثناء . والضمير في أرضه : إما للممدوح ، أضاف الأرض كلها إليه تفخيماً لشأنه ، أو يريد أرض مملكته - إشارة إلى ما أفاض الله عليها من الحصب والتماء ؛ وإما راجع إلى السماء وذكره على إرادة المطر ، أو السقف ونصب حقه بإضمار ما فسر به ، ومثله :

والذئب أخشاه إن مررتُ به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

(٢) يقول : إن نسج هذه الخلع يشبه لفظ الأمير في جودته وسلامته من السفف ، وكان نقاءها من نقاء عرضه ؛ إذ سلم مما يعاب به ، وهذا من قول ابن الرومي في ثوب استهداه :

صَحِيحًا مِثْلَ رَأْيِكَ إِنَّهُ وَالْحَزَمَ فِي قَوْنٍ
نَقِيًّا مِثْلَ عَرْضِكَ إِنَّ عَرْضَكَ غَيْرُ ذِي دَرَنِ

(٣) المذيق : المذوق ؛ أي الممزوج : والمحض : الخالص ، وهما من أوصاف اللين استعارهما للبعد . يقول : إذا فوضت الأمر في الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيئاً وتركته إلى رأيه : بلغت ما تريد ؛ وبأن لك صحيح الرأي من معيه ، لأن صحيح الرأي لا يحتاج إلى سؤال ، بل يعطى بطبيعة الكرم ؛ ومعيب الرأي لا يغطي حتى يسأل مراراً . أو تقول : إن الكريم إذا ترك رأيه من غير سؤال بان جوده هل هو مشوب يأتيه تكلفاً وحياء أم أنه خالص يبعث به طبعه ونهيزته ؟

وقال لما مرض سيف الدولة :

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الْأَرْضُ
وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرَمُ الْخَضُّ^(١)
وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا^(٢)
بِعَمَلْتِهِ يَفْتَلُ فِي الْأَعْيُنِ الْغَمَضُ^(٣)
شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ
لَأَنَّكَ بِحَرِّ كُلِّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

* * *

وقال في بدر بن عمار ، وقد قام منصرفا في الليل :

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمُضِي
وَرُؤْيَاكَ أَخْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْغَمَضِ^(٣)

(١) البأس : الشدة والسطوة ؛ والخص : الخالص . والمعنى ظاهر وهو من قول

أبي تمام :

لَا تَعْتَلِلْ إِنَّمَا بِالْمَكْرُمَاتِ إِذَا
أَنْتَ اعْتَلَلْتَ تَرَى الْأَوْجَاعُ وَالْعِلَلُ
وقوله :

إِنَّا جَهَلْنَا فَخَلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ وَلَا
وَاللَّهُ مَا اعْتَلَّ إِلَّا الْمَلِكُ وَالْأَدَبُ
وقوله :

وإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نَعَمْ بِهَا
حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهِ

ومثله لسم بن الوليد :

نَالَتْكَ يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عِلَّةٌ
يَفْدِيكَ مِنْ مَكْرُوهِيَا الثَّقَلَانِ
فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ شَكَاتِكَ عِلَّةٌ
مَوْصُوفَةُ الشَّكْوَى بِكُلِّ لِسَانٍ

(٢) اعتلال الغمض : كناية عن امتناعه عن العين ، فجعل ذلك اعتلالا له .

(٣) قوله في العيون : يروى في الجفون : وكان يجب أن يقول : ولقياك ؛ لأن
الرؤيا تستعمل في المنام ؛ لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل : كقوله تعالى
« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » لم يرد رؤيا المنام ، بل رؤيا اليقظة ،
وكان ذلك ليلا - ليلة الإسراء - . يقول : إن الليل قد مضى ، أما فضلك فهو ثابت باق
وعجز البيت من قول ابن الرومي :

وَلَطَعُمُ احْتِمَالُهُ مِنْهُ بِالْأَزَا
ثُرْ أَخْلَى فِي عَيْنِهِ مِنْ رُقَادٍ

قَلَى أَنَّى طَوَّقْتُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ شَهِدُ بِهَا بَعْضِي لِغَيْرِي قَلَى بَعْضِي^(١)
سَلَامُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ تُخَصِّصُهُ بِي بِأَخَيْرِ مَا يَشِى قَلَى الْأَرْضِ

(١) قال الواحدى : أنصرف عنك ، مع أنك قلدتنى نعمة يشهد بها بعضى على بعضى ؟ أى من نظر إلى استدل بنعمتك على ، والمعنى أن القلب إن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه . من الخلع . وقال ابن جنى : فى الكلام حذف تقديره : أمدحك وأثنى عليك بما طوقتنى به من نعمك ، لحذف للدلالة عليه ، ثم قال فى قوله شهيد بها الخ : لسانه يشهد على سائر جسده ، وهو من قول ابن بسام الكاتب .

وقد سَبَقَتْ مِنْهُ لِي نِعْمَةٌ تَقِرُّ عَلَىَّ وَإِنْ لَمْ أَقِرَّ

قافية حرف العين

وخرج يماك مملوك سيف الدولة إلى الرقة ؛ فخرج سيف الدولة يشيعه ، وهبت
رييح شديدة فقال :

لَا عَدِيمَ الْمَشِيعِ الْمَشِيعُ لَيْتَ الرِّيَّاحَ صَنَعَ مَا تَصْنَعُ^(١)
بَكْرُنَ ضَرًّا وَبَكْرُنَ تَنْفَعُ وَسَجَسَجَ أَنْتَ وَهْنُ زَعَزَعِ^(٢)
وَوَاحِدٌ أَنْتَ وَهْنٌ أَرْبَعُ وَأَنْتَ نَبْعٌ وَالْمُلُوكُ خِرُوعِ^(٣)

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ،
وذلك في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة^(*) :

(١) المشيع — بصيغة اسم الفاعل — سيف الدولة ؛ والمشييع — بصيغة اسم
المفعول — غلامه يماك ، يدعوله . يقول : لا عديمه غلامه ، ثم قال : ليت الرياح تصنع
ما تصنع أنت من نفع الناس .

(٢) بكرون ضرا : أراد بكرون — أى الرياح — يضررن ضرراً ، أو بكرون ذوات
ضر . والسجسج : السهل اللين الذى لا حر فيه ولا برد . والززعزع : الريح الشديدة
المؤذية . يقول : إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك .

(٣) عنى بالأربع : الجنوب ، والشمال . والصبا ، والدبور . والنبع : شجر صلب
تتخذ منه القسي ، وهو عندهم من جيد الشجر . والخروع : نبت ضعيف متثن ، وكل
شئ لين فهو خروع وخريع .

* مر سيف الدولة في هذه الغزوة بسندو وعبر آلس — وهو نهر عظيم على يوم
من طرسوس — ونزل على صارخة ، وهى مدينة هناك ، فأحرق ربتها وكنائسها
وربض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أياماً ، ثم عبر آلس راجعاً فلما أسى ترك السواد
وأكثر الجيش ، وسرى حتى جاز خرشنة ، وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد ، فلقى

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا^(١)

الدمستق في ألوف من الحيل ، فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسلمين ظنها سرية لها ، فانتشب القتال بين الفريقين . فانهزم الدمستق ، وقتل من فرسانه خلق كثير ، وأسر من بطارقه ووزارزته نيف وثمانون ، وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة — تعرف بمقطعة الأنفار — فصادفه العدو على رأسها ، فأخذ ساقة الناس يحميهم ، ولما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو ، فخرج من الفرسان جماعة ، ونزل سيف الدولة على بردى — وهو نهر بطرسوس — وأخذ العدو عليه عقبة السير — وهي عقبة طويلة — فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها ، فعدل متياسراً في طريق وصفه بعض الأدلة ، وجاء العدو آخر النهار من خلفه ، فقاتل إلى العشاء ، وأظلم الليل ، وتساند أصحاب سيف الدولة : أي أخذوا في سند الجبل يطلبون سوادهم . فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة — قرية من بحيرة الحدث — فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ، ومن نجا من العقبة نهراً لم يرجع ، ومن بقى تحتهم تكن فيه نصرة ؛ وتحاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر ، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى ، فكانوا مئآت ، وانصرف ؛ واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب ؛ وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم ، فقال يصف ذلك .

(١) يقول : لا أنخدع بالناس فأأأول فيهم الخير وأظن فيهم الجليل لأنهم يجبنون عند القتال . ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل ، فلا أغتر بقولهم ؛ وإنما قال هذا الناس ولم يقل هؤلاء : لأنه ذهب إلى لفظ الناس ، لا إلى معناه . هذا : ويقال خدعه يخدعه خدعا — بالكسر — مثل سحره يسحره سحراً ؛ وخدعا — بالفتح أيضاً — وخديعة وخدعة : أي أراد به المكر وختله من حيث لا يعلم ، وتحادع وانخدع أرى أنه قد خدع ؛ وخدعته فانخدع ورجل خدعة بالتسكين إذا كان يخدع كثيراً ، وخدعة : يخدع الناس كثيراً وأصله من خدع الضب يخدع خدعا ، وانخدع : إذا استروح ربح الإنسان ، فدخل في جحره لثلا يحترش ؛ ومن ذلك خدع الدهر : إذا تلون ،

أَهْلُ الْحَفِیْظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ النَّفْسِ مَا يَزَعُ^(١)
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبِيعُ^(٢)

وخذعت العين : لم تنم ؛ وما خدعت بعينه نفسه ؛ أى ما مرت بها . قال الممزق العبدى
أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنِي نَعْسَةً وَمَنْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتَ لَا بَدَّ يَأْرُقُ^(١)

(١) الحفيظة : الحمية والألتفة : والنفس : الاهتمام في الجهل — خلاف الرشد . ويزع
يكف ويردع . يقول : هم أهل الحمية ما لم تجربهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، وفي
تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطتهم . قال العكبرى : يشير إلى ما ظهر من
عجز أصحاب سيف الدولة في الفزاة التي جبنوا فيها ، وقال : هم يظهرون الحمية والجلد والإقدام
ويتزبنون بذلك ما لم تقع التجربة ، فإذا جربوا تركوا . وقال بعض الشراح : يريد بالنفس الاغترار :
أى وفي تجربة الشيء بعد الاغترار به ما يكشف عن دخلته ويكشف عن الاغترار به .

(٢) الطبع : الدنس . وقوله ونفسي : في موضع رفع عطفا على الحياة أى مع الحياة
كما تقول ما أنت وزيد : أى مع زيد — وما : استفهامية . يقول : ما لنفسى والحياة ؟
أى لا أريدها بعد ما علمت أن الحياة غير المشتهة دنس ، وشين لها ، نعلام الحرص إذن
على هذه الحياة والركون إليها ؟ أى لا أريد حياة ولا أشتهاها إذا كانت كذلك ؛ وفيه
نظر إلى قول قطري بن العباد :

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُودَ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
هَذَا : وأصل الطبع : الذى هو الدنس والشين ؛ من قولهم طبع السيف طبعاً فهو
طبع ؛ أى صدى . قال الفقهى : ويزوى الحكيم بن معية الربى وأنشدها الأصمى :
إِنَّا إِذَا قَلَّتْ طَحَارِيرُ الْقَرْعِ وَصَدَرَ الشَّارِبُ مِنْهَا عَنْ جُرْعِ
نَفَحَلَهَا الْبَيْضَ الْقَلِيلَاتِ الطَّبِيعِ مِنْ كُلِّ عَرَاضٍ إِذَا هُزَّ اهْتَزَّعِ
مِثْلُ قَدَامَى النَّسْرِمَا مَسَّ بَصْعَ يَثُولُهَا تَرْعِيَةٌ غَيْرُ وَرَعِ

(١) أى لم تدخل بعينى نعسة ، ثم قال : ومن يلق ما لاقيت يارق لا بد : أى لا بد له
من الأرق .

ليس الجلال لوجهٍ صَحَّ مَارْنُهُ أَنْفُ التَّزْرِيزِ يَقْطَعُ الْيَزْزُ يُجْتَدَعُ^(١)
أَطْرَحُ الْجَدَّ عَنْ كَيْتَنِي وَأَطْلُبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غَمْدِي وَأَنْتَجِعُ^(٢)
وَالْمُشْرِفِيَّةُ لَا زَالَتْ مُشْرِفَةً دَوَاهُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْهَى الْوَجْعُ^(٣)

ليس يَفَانٍ كِبَرًا وَلَا ضَرَعٍ تَرَى بِرِجْلَيْهِ شَقُوقًا فِي كَلْعٍ
من بَارِيٍّ حَيْصٍ وَدَامَ مُنْسَلِعٍ^(١)

(١) للارن : ملان من الأنف . واجتدع أنفه : قطعه . يقول : ليس كل وجه صحيح للارن بجميل ، فإن العزز متى قطع عزه ذل ، فصار كمن جدد أنفه وإن كان صحيح الأنف وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

ليس جَدَّعَ الأنوفَ كَمَنْدَى جَدَّعًا إِنَّ ذُلَّ النفوسِ قَتْلٌ وَجَدَّعٌ
واختص الأنف لأن العرب تقصد الأنف من بين سائر الأعضاء ، فيقولون أرغم الله أنفه : أى أثرقه بالزغام ، وهو التراب . هذا هو الأصل ، ولكنهم يريدون الدل والعجز عن الاتصاف والالتقياد على كره .

(٢) الاتجاع — فى الأصل — طلب الكلاء ، ثم صار كل طلب استجاعا وللراد بالغيت : لازمه من الخصب وسعة العيش . يقول : إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف . فلم أطلبها بشئ آخر ؟ يقول : أترك أن أحوز المجد بالسيف وأكسب المال من طريق الطعن والنزال ، وأحاول ذلك بالطلب والسؤال ، فأكون بذلك كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك فى غمده ما ينتجه ؟

(٣) للشرفية : السيوف ، وللشرفية : مبتدأ ؛ والحبر : دواء ؛ وجملة لازالت مشرفة : دعائية : ومن روى مشرفة — بكسر الراء — فغناه : لا كانت داء ، بل كانت دواء يقول : إن السيوف دواء الكريم أو دأؤه ، لأنه : إما أن يترك بها طلبته فيهلك فتكون دواء ، وإما أن يقتل بها دون غايته فيهلك فتكون داء . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَعِنْدَ بُقْرَاطٍ دَلَالٌ لَوْ تَأَمَّلَهُ قَالَ الشَّفَاهُ بِحَدِّ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) القزع . جمع قزعة ، السحابة أو القطعة من النعم . والطخارير : سحبات متفرقة ويقال أخلفت إلى : إذا أرسلت فيها غلا ؛ والبيض السيوف وتطحنها الخ يريد نزعها بالسيوف ، وهو مثل ، وأراد بالمراس : السيف البراق المضطرب ، واهتز : اضطرب وكلمت رجله تكلم كلما وكلاعا تشققت واتسخت ، وترعية راع ، ويؤلها يجمعها من آل يثول فهو مؤلها . ومنسلع متشقق .

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ قَوَرُّهَا فِي الدَّرْبِ وَالْدَّمُ فِي أُعْطَافِهَا دُفَعُ^(١)
وَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ وَأَغْضَبْتُهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ^(٢)
بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمْ وَالْجَيْشُ بَابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ^(٣)
قَادَ الْمَقَانِبِ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهْلٌ عَلَى الشَّكِيمِ وَأَذْنَى سَيْرِهَا سِرْعُ^(٤)
لَا يَمْتَنِقِي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شَبَعُ^(٥)

(١) يريد يفارس الخيل : سيف الدولة ، لأن خيله أرادت الهزيمة ، فثبتها في مضيق من مضايق الروم . فقوله خفت : أى أسرع في الهزيمة فزعا : ووقرها : ثبتها والدرب : المضيق والمداخل إلى بلاد العدو ؛ والأعطاف : الجوانب ؛ والدم في أعطافها دفع : يعنى أن الدم منصب عليها بعد دفعة . وقال ابن جني تعليقا على قوله : وفارس الخيل — يريد إذا اجتمعت الخيل موصوفة بالفروسية كان أفرسهم ؛ كقولك شاعر القوم ؛ فيحتمل أن يكونوا كلهم شعراء ؛ ويجوز أن يكون وحده شاعراً ؛ وإذا قلت هذا شاعر الرجلين لم يختص به الوصف دون الآخر ، بل تعمهما الصفة لأنه يجري مجرى أشعر الرجلين ، فلا بد من أن يكونا شاعرين . ولا تقول هذا غلام الرجلين وأحدهما الغلام والآخر صاحبه ، كما لا تقول : شاعر الرجلين ، وأحدهما شاعر دون صاحبه

(٢) أوحده : أى الخيل — أى تركته وحيداً . والقذع : الفحش . يقول فتركته وحيداً وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته وأغضبته بانحيازها عنه فلم يك في لفظه فحش ولا خنى : أى أنه شجاع وإن كان وحده ، وحليم عند الغضب .

(٣) ابن أبي الهيجاء : هو سيف الدولة . يقول إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم لأنهم بهم يقوون ويمتنعون على أعدائهم ، وعز جيشك بك لأنهم لا يمتنعون على عدوهم إذا تكن فيهم ، فأنت عزهم وبك منعتهم .

(٤) المقاب : جمع مقب ، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة ؛ والتهل : الشرب الأول . والشكيم : جمع شكيمة ، الحديدية المعترضة في قم الفرس من اللجام ؛ والسرع : السرعة مصدر سرع . يقول : قاد الجيوش مسرعا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهى ملعبة ولم يتفرغوا — لشدة السير — أن يخلعوا اللجم ، وأقل سيرها إسراع . يصف ما كان عليه سيف الدولة من الإشاحة والجد في لقاء العدو .

(٥) لا يعتق : أى لا يعتاق ؛ يقال عاقه واعتاقه ، ثم يلقب ؛ ويقال : عناه واعتناه يقول : إن سيره إلى بلد لفتح لا يعوقه عن سيره إلى غيره ، كال موت الذى يم فلا يرتوى

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ^(١)
 لِّلْسِي مَا نَكَبَحُوا وَالْقَتْلُ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبُ مَا جَمَعُوا وَالنَّارُ مَا زَرَعُوا^(٢)
 مَخَلَّى لَهُ الْمَرْجُ مَنْصُوبًا بِصَارِخَةٍ لَهُ الْمَنَابِرُ مَشْهُودًا بِهَا الْجَمْعُ^(٣)
 يُطْمَعُ الطَّيْرُ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ^(٤)
 وَلَوْ رَأَاهُ حَوَارِيُّوهُمْ لَبَنَوْا عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا^(٥)

ولا يشبع : أى لا يقنعه كثرة من يفنيه ، كذلك هو لا يقنع بفتح بلد من بلاد الأعداء أو بفتح غيره .

(١) خرشنة : بلد بالروم ؛ والأرباض : جمع ربض ، ما حول المدينة من العماره — الضواحي — . يقول : ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقيت به الروم ، لانه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويخرب يعهم .

(٢) يقول : لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسي نساءهم وأطفالهم وقتل أولادهم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم : هذا : وقد أقام ما : مقام من في الصراع الأول ليوافق « ما » في الصراع الثانى ، على حد قوله تعالى « والسما وما بناها » ويجوز أن يكون حمل ما على المصدر . يريد للسبي نكاحهم والقتل ولادتهم ، قال العسكبرى : واللام في قوله للسبي : لام العاقبة . كقوله :

لِدُوا لِمَوْتِ وَاِبْنُوا لِلْخَرَابِ *

أى عاقبتما هذا وقد زاد المتنبي على أبى تمام في قوله :

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَظِمَتْ إِنَّ لَمْ تَنْبُ أَنَّهُ لِلْسَبْيِ مَا تَلَدُ

(٣) المرج : موضع ببلاد الروم ؛ وصارخة : مدينة من مدائنهم ؛ ومخلّى ومنصوبا حالان من ضمير أقام — أى سيف الدولة — ومشهوداً : حال من صارخة ، وكان الوجه أن يقول : منصوبة ومشهودة . إلا أن التذكير جائز على حد قولك : نصب المنابر وشهد الجمع . يقول : إنه بلغ النهاية في النكاية بهم حتى أدخل له المرج ونصبت المنابر التى هى شعار الإسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع ، والجمع جمع جمعة كجمعات .

(٤) يقول : إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم ، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الأحياء وتختطفهم في غدواتهم وروحاتهم .

(٥) الحواريون : أصحاب السيد المسيح ؛ وأضافهم إلى ضمير الروم لأنهم من أهل

هذا نظر السيد الأستاذ
 ٢٨١٢
 ٩٩٦

ذَمُّ الدُّسْتُقُ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُدُ الْقَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ (١)
فِيهَا الْكِمَاءُ الَّتِي مَقْطُومُهَا رَجُلٌ عَلَى الْجِيَادِ الَّتِي حَوْلِيهَا جَدَعُ (٢)
تَذَرِي اللَّقَانَ غُبَاراً فِي مَنَاحِرِهَا وَفِي حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرْعُ (٣)

دعوتهم . يقول لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع . هذا : وإنما سمي أصحاب السيد المسيح — صلوات الله عليه — بالحواريين : قيل لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ؛ وقيل : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم ؛ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي » أى خاصى من أصحابي وناصرى ؛ وتأويل الحواريين فى اللغة : الذين أخلصوا وتقاوا من كل عيب ؛ وكذلك الحواري من الدقيق : سمي به لأنه ينقى من لباب البر ، وتأويله فى الناس : الذى قد روجع فى اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب . والحواريات من النساء : النقيات الألوان والجلود لياضهن ؛ ومنه الحور العين : لياض عيونهن ؛ والعرب نساء الأمصار حواريات لياضهن وبعدهن عن قشف الاعراب بنظاقتهن . قال أبو جعدة :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَاحِ
يَبْكِينَ إِلَيْنَا خِيفَةً أَنْ تَبِيحَهَا رِمَاحُ النَّصَارَى وَالسُّيُوفُ الْجَوَارِحِ
[جعل أهل الشام نصارى لأنها تلى الروم ، وهى بلادها] .

(١) الدستق : صاحب جيش الروم ، والقزع : المتفرق من السحاب واحدها قزعة . يقول : رأى الدستق كتاب سيف الدولة فظنها سرازم قليلة ورأى سحابا متراكمة فظنها قطعاً متفرقة فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه . وعبارة ابن حنى : تخير حتى أنكر حاسة بصره ؛ وهذا يشبه قول البحترى :

فَلَمَّا التَّقَى الْجَمَاعَ لَمْ يَجْمَعْ لَهُ يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الْبَيْضِ نَازِلُهُ

(٢) فيها : أى فى سود القمام ، وهى عساكر سيف الدولة ؛ والكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المتسلح . والحولى الذى الذى آتى عليه حول . والجذع الذى آتى عليه حولان . يقول : فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولى خيلهم جذع ، يعنى الصغير فى جيشه ، كبير يعظم أمره .

(٣) اللقان : موضع يبلد الروم . وآلس : نهر هناك . يصف سرعة جرى خيله ومواصلتها السير . يقول : شربت الماء من آلس وبلغت اللقان قبل أن تزدرد — تبتلع —

كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُمْ لَتَسْلُكَهُمْ فَالطُّغْنُ يَنْفَتَحُ فِي الْأَجْوَافِ مَا تَسَعُ^(١)
تَهْدِي نَوَاطِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ مِنْ الْأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَنَا شَمْعٌ^(٢)

ما شربته ، فإذ هذا النهر في حلقها وقد وصل إلى مناجرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة . وعبرة ابن الأقلبي : وصلت اللقان وحناجرها لم تحجب من ماء النهر . يشير إلى ركض الخيل وشدة إسراعها ، وهذا مبالغة . وقال ابن جني : لا تستقر فتشرب ، إنما تختلس الماء اختلاصاً بمواصلة السير . قال : ويجوز أن يكون شربت للماء قليلاً لعلها بما يعقب في الركض ، وكذا يفعل كرام الخيل .

(١) يقول : كأن خيله تلتقي الروم لتدخل فيهم لأن طغن فوارسها يفتح في أجوافهم جراحات تسع الخيل . يصف سعة الطغن ، وهذا ينظر إلى قول قيس بن الخطيم :
طَمَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَمَنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشَّمَاعُ أَضَاءُهَا^(١)
مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَعَهَا بَرَى قَائِمٌ مِنْ حَوْثِهَا مَا وَرَاءُهَا^(٢)
وعبرة ابن الإفلبي : لتسلك أجسادهم وتتخذها طرقات ، وطغن فوارسها يفتح ما يسعهم ويخرق ملايضيق بهم . وليس هذا الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف السيوف :

تَقْدُ السَّلَاقِي الْمَضَافَ نَسِجُهُ وَتَوَقِدُ بِالْصُّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ
[السلاقى : الدرع المنسوبة إلى سلاق - قرية باليمن - والصفاح : الحجر العريض .
ونار الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . وقيل : الحباب ذباب يطير بالليل - كأنه نار ، له شعاع كالسراج] .

(٢) نار : فاعل تهدي . والقنا : الرماح ، وهو مبتدأ . خبره : شمع . والجملة : حالية . يقول : إذا أظلمت الحرب بالنقع - الغبار - هدت عيون الخيل فيها نار الأسنة ، ولما استعار للأسنة ناراً جعل القنا شمعاً ، والأسنة في ردوس القنا - كما هو معروف - قال ابن وكيع : ينظر فيه إلى قول النخعي :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ^(٣)
ولقد أحسن البحرى فيه بقوله :

مَدَّ لَيْلاً مِنَ الْعَجَاجِ فَأَيْمٌ شُونَ إِلَّا بِضَوْءِ السُّيُوفِ

(١) النفذ : الثقب ؛ والشعاع : حمرة الدم ؛ أى لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .
(٢) ملكت : شددت وضبطت ، وأنهرت أوسعت .
(٣) للمذروبة الشرع : أسنة الرماح الحادة المشرعة .

دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقُرِّ طَافِحَةٌ عَلَى نُفُوسِهِمِ الْمُقَوَّرَةُ الزُّرْعُ (١)
 إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجًا حَالٌ بَيْنَهُمَا أَطْلَى تُفَارِقُ مِنْهُ أَخْتَهَا الضَّلْعُ (٢)
 أَجَلٌ مِنَ وَلَدِ الْفُقَاسِ مُنْكَتِفٌ إِذَا فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعٌ (٣)
 وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبَيْضِ مُنْفَلِتٌ نَجَا وَمِنْهُنَّ فِي أَخْشَانِهِ فَرَعٌ (٤)
 يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْرًا وَهُوَ مُخْتَبِلٌ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلًا وَهُوَ مُتَمَتِّعٌ (٥)

(١) يقال لو هج الصيف وغبراه : سهام . بفتح السين . والسهام : حر السموم . وقد سهم الرجل - على ما لم يسم فاعله - إذا أصابته السموم . والقر : البرد . وطافحة : حال - أى سرعة - يقال طفح يطفح : إذا ذهب يعدو . والمقورة : الضامرة : والزرع : السريعة - يقال مزع الفرس والظبي يمزع : إذا مر مسرعا خفيفا . يقول : قبل حمارة الصيف وصبارة البرد تأتيتهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فطوؤم بهوافرها . وكان لسيف الدولة غزوتان في كل سنة : غزوة في الربيع ، وغزوة في الخريف . وروى ابن جني « دون السهام » بكسر السين - ودون القر : أى قبل أن تصل إليهم سهام الرماة ، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل للسرعة الضامرة . قال ابن جني : سألت - أى المتنبي - فقال : هذه الخيل طفحت عليهم ، وقد صارت أقرب إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا . يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبتهم وغشيتهم . (٢) العليج : الرجل الغليظ من كفار العجم ، وأطلى : يعنى ربحا أسمر ، ومنه : تعليل . يقول : إذا استعان العليج بعلج آخر حال بينهما رمح أطلى يفرق بين الضلعين ، فكيف بين العليجين ؟

(٣) الفُقَاس : جد الدمستق . وقال ابن جني : هو الدمستق كأنه لقبه . وأجل وأمضى : مبتدآن . خبرهما : المرفوع بهما . يقول : إن هرب الدمستق وسبق الخيل بالفرار فلم تدركه فأجل منه وأعظم قدرا أسير منكشف - مشدود الكتفين - لأنه قاتل حتى أسر - وكان قد أسر من أصحابه نيف وخمسون رجلا - وأشجع منه قتيل مصروع لأنه قاتل حتى قتل ولم ينهزم .

(٤) شفار : جمع شفرة ، حد السيف . يقول : لم ينج من السيوف من نجا إلا وفي قلبه منها فزع لأن ذلك يقتله ولو بعد حين . والله أبو تمام إذ يقول :

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَضْرٍ فَمَنْ قَدَرِ تَنْجُوا الرِّجَالُ وَلَكِنْ سَلَهُ كَيْفَ نَجَا
 (٥) المختبل : الداهل المضطرب ؛ والمتمتع : للتغير اللون . يقول : يصير إلى مأمنه

كَمْ مِنْ حُشَاشَةٍ بِطَرِيقٍ تَضَمَّنَهَا لِلْبَايَرَاتِ أَمِينٌ مَالَهُ وَرَعٌ^(١)
يُقَاتِلُ اخْطَطَوْ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ^(٢)
تَفْذَوُ الْمَنَايَا فَلَا تَنْفَكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ^(٣)
قُلْ لِلدُّمُسْتَقِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا^(٤)

فيعيش في الأمن حيناً من الدهر وهو ذاهل مغتبل العقل، لشدة مالحقه من الفرع، ويحتسب الحجر وهو ممتنع اللون لاستيلاء الصفرة عليه فلا تحيل الحجر لونه إلى الحمرة مع إدمانه عليها.

(١) الحشاشة : بقية الروح . والبطريق الفارس من الروم أو القائد . وتضمنها : كفلها . والبايَرَات : السيوف . والورع : التقى والكف عن المحارم ، والمراد بالأمين : الذي لا ورع له : القيد . يقول : كم من بطريق أسر ليقتل إذا دعت الحاجة إلى قتله ، فأرواحهم في ضمان القيد للسيوف ؛ قال العكبري : وقوله : أمين ماله ورع من أحسن الكلام ، لأن الأمين هو الذي يؤتمن على الأشياء فلا بد له من ورع .

(٢) يقاتل ويطرده : أي الأمين ، وهو القيد ؛ وعنه : أي عن القيد . يقول : إن القيد يمنعه الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع فإذا أراد للشئ قتاله بتضييقه . يريه أوجهه بالضيق على ساقه ، فكأنه يقاتله ؛ وإذا أراد النوم منعه ؛ فكأنه يطرده عنه . ولعله ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا قَامَ أَعْيَنَتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ لَهَا خَطْوُهُ وَسَطَ الْفِنَاءِ قَصِيرُ
(٣) يقول : إن المنايا تنتظر أمر سيف الدولة . فهي إن كفها ولت وإن أمرها بأن تعود إليهم تدفقت عليهم ، ومثله قول بكر بن النطاح :

كَأَنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ يَجْرَيْنَ فِي الْوَعْيِ إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ
ويقول صريع الغواني :

كَأَنَّ الْمَنَايَا عَالِمَاتٌ بِأَمْرِهِ إِذَا خَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ

(٤) المسلمين - بفتح اللام - الذين أسلمهم سيف الدولة للعدو لتخاذلهم عنه ، وذلك أن سيف الدولة لما قتل من قتل وأسر من أسر : غادر ذلك الموضع وبقي فيه جماعة من جيشه يجهزون على من بقي فيه رمق من القتلى ، ومنهم من أخذه النوم فجاءهم العدو وأخذوهم وقتلواهم . يقول : إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم ، فاصنعوا

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَنَّ قِتْلَكُمْ إِيَّاهُمْ فَجَعُوا^(١)
 ضَعْفَى تَعَفَّى الْأَيْدَى عَنْ مِثَالِهِمْ مِنَ الْأَعَادَى وَإِنْ هُمَا بِهِمْ نَزَعُوا^(٢)
 لَا تَحْسِبُوا مَنْ أَسْرَتُمْ كَانَ ذَارِمًا فَلَيْسَ بِأَكْلٍ إِلَّا الْمَيْتَ الضَّبْعُ^(٣)
 هَلَّا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعِدَتْ أَسَدُ تَمْرُهُ فُرَادَى لَيْسَ يَجْتَمِعُ^(٤)

بهم ما شئتم ، خانوا الأمير بالأنحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم ، ثم بين ما صنعوا في البيت التالى .

(١) فى دمائكم : أى فى دماء قتلاكم ، وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم وألقوا أنفسهم بينهم تشبهاً بهم خوفاً من الروم . يقول : كأنهم كانوا مفعوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم .

(٢) ضعفى : جمع ضعيف ؛ ونزع عن الشيء : رغب عنه وأعرض . يقول : إن هؤلاء القدين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم . وقد حقق هذا فيما يلى .

(٣) يقول : ليس لكم أن تفخروا هؤلاء الذين أسرتهم ولا تظنواهم كان فيهم رمق - بقية حياة - وإنما هم أموات من الجبن والخوف ؛ وأنتم لحستكم ودناة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم ، كما أن الضبع لا تفرس إلا الجثث الميتة ، وقد عاب ابن وكيع هذا البيت وقال : كيف أطلق على الضبع هذا وأنها تأكل الميتة ؟ كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش ، ولم يسمع وصفها فى أشعار العرب ؛ لأن الضبع تخفق عشرراً من الغنم حتى تأخذ واحدة ؛ وهى من أخبث السباع على الغنم . قال : ولو هو قال « ما كل من قد أسرتهم كان ذارمًا » لكان أوضع وأحسن .

(٤) العقب : جمع عقبه وفردى : جمع فردان ؛ أى فرد . يقول : هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفراداً لا يتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وثقتهم بقوتهم كما قال الحماسى :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا
 قال العكبرى : قوله ، هلا يريد هلا صرتم ، أو هلا وقفتم مثلاً ، لأن هلا للتحضيض ولا بد لها من الفعل - مظهرأ أو مضمرأ - ومنه قول جرير :

تعدون عَقَرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنَى ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكُمَى الْمُقْنَعَا^(١)

(١) تعدون هنا بمعنى تجميلون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين ، ويجوز أن

تَشَقُّكُمْ فِتَاهَا كُلُّ سَلَهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدَّعُ^(١)
وَأِنَّمَا عَرَضَ اللَّهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
لِكَيْ يَكُونُوا بِلَا قَسَلٍ إِذَا رَجَعُوا^(٢)
فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ^(٣) وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعِ^(٤)

أى هلا عددتم الكى المتفع

(١) السلهبة : الطويلة من الخيل . يقول : يشق صهوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتى عليه الضرب أكثر ممن يدعه . وروى بقناها : أى برماحها ؛ أى تشقكم كل سلهبة برمحها ، والمراد كل صاحب سلهبة ، لان أصحاب السلاهب - الخيل - وفرسانها هم الذين يشقون بالطنن . هذا : ويدع : مضارع فعل ترك استعماله .

(٢) الفصل : الرذل الدنى العاجز . يقول : إنما عرض الله لكم الجنود - الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة . . . وهم الأوباش الذين قتلتموهم - ليجرد الله عسكر الإسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة فى الأبطال المنتخبين ليس فيهم قسل ولا دنى . قال الواحدى : كل الناس رووا « بكم » والصحيح فى المعنى لكم - باللام - لأنه يقال عرضت فلاناً لكذا فتعرض له . ويجوز أن تكون بكم : من صلة معنى التعرض ، لا من لفظة ، ومعناه : إنما ابتلى الله الجنود بكم : أى إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة .

(٣) يقول : فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له - لا عليه - لأن الأوباش والضفاء من جنوده قد قتلوا ، ولم يبق إلا الإبطال المصطفين الأخيار وكل غاز تبع له . لأنه أمير الغزاة وسيدهم .

يكون من العد ، ويكون على إسقاط « من » الجارة ، تقديره : تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم ؛ فلما أسقط الحافض : تعدى الفعل فقصب ؛ وبنو ضوطرى : حتى معروف . وقال ابن سيده : يقال للقوم إذا كانوا لا يفنون غناء : بنو ضوطرى ؛ ومنه قول جرير مخاطب الفرزدق الخ . ومعنى البيت : إنكم تعدون عقر الإبل للسنة التى لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها أفضل مجدكم ، هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم ؟ وهذا تعرض بجهنم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران :

يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتُ كُنْتُ فَارِسَهُ
وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ^(١)
وَكَانَ غَيْرُكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرْعُ^(٢)
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ^(٣)
إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَصْحَابُ وَالشَّيْعُ^(٤)
فَلَمْ يَكُنْ لِدُنْيَا عِنْدَهَا طَبْعُ^(٥)
لَمْ يُسَلِّمِ الْكَرُّ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ
لَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى الْأَقْدَارِ مُعْطِيَةً

(١) يقول : إن أفعالك أباكرا لم يسبق إليها ، فأنت مبتدع في كل مأثرة لا متبع أحداً فيها ، أما غيرك من الكرام فإنهم يقتفون آثار غيرهم .

(٢) الضرع : الضعيف . يقول : إذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يميلك عجز العاجز . يريد أن قتلهم وأسروهم ضعاف أصحابك لا يشينك . قال السراج : وفي نظم هذا البيت عيب عند الحذاق بصناعة الشعر لأنه كان ينبغي أن يقول في صدر البيت الاول : « كنت حازمه » لما قال في العجز العاجز الضرع ، لأن ضد الحازم العاجز . أو يقول فارسه وجبانه .

(٣) ولا يضع : أى ولا يضعه شيء . يقول : من بلغ الغاية في الرفعة فليس وراء الغاية موضع . وإذن لا يرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد .

(٤) أسلمه : خذله : والسكر : الرجوع إلى الحرب مرة بعد أخرى ، والأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر كل شيء ، واسم كان : ضمير الشأن : والجملة بعدها خبرها : والشيع : الأتباع . يقول : إذا كان أصحابه قد خذلوه وأسلموه للأعداء بهذا التخاذل فإن كره على الأعداء في الأعقاب - أى أواخر الحيل - لم يخذله : يعنى أنه من شعاء : نفسه في منعة ، وبذلك دافعت نفسه عن نفسه ، ومثله لأبى تمام :

ما غاب عنه من الإقدام أشرفه في الرُّوع إن غابت الأنصارُ والشَّيْعُ

(٥) الدنى : مهموز ، وقال ابن جني قلت له - للفتى - : عند القراءة عليه ألهزمه ؟ قال : لا تهزمه ، قلت له : هو من باب المهموز . فقال لا : ألا ترى الإجماع على قوله تعالى « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » بترك الهمزة ؟ أقول : والذى يؤخذ من كلام أهل اللغة أن الدنى بمعنى الحسيس : لايهمز - كما هنا - أما الدنى بمعنى الخبيث الماخن ، فإنهم يهزونه . قال أبو زيد في النوادر : رجل دنى : هو الخبيث البطن والفرج دنؤ دناءة ، ورجل دنى ، وقد دنى يدنى ، ودنو يدنو دنوا ، وهو الضعيف الحسيس الذى لا غناء عنده ، المقصر في كل ما أخذ فيه ، وأنشد :

رَضِيتَ مِنْهُمْ بِأَنْ زُرْتَ الْوُغَى فَرَأَوْا
وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبَيْضَ فَاسْتَمْعُوا^(١)
لَقَدْ أَبَاكَ غِشَا فِي مُعَامَلَةٍ
مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصَّدَقِ تَلْتَفِعُ^(٢)

فلا وأبيك ما خلقتي بوعري ولا أنا بالدني ولا المدني^(١)
يقول: ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم في الاستحقاق بفضلهم، ولو هم فعلوا لما طمع في نوالهم خسيس . وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته في الفضل .

(١) الحبيك : جمع حبيكة - كسفين وسفينة - وهي الطرائق تكون في المنام وفي الماء الساكن أو الرمل ، إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق ، والبيض . إما قراءتها بفتح الباء - جمع بيضة ، وهي الخوفة من حديد تجعل على الرأس للوقاية في الحرب - وحبيكها طرائقها . وإما بكسر الباء : أي السيوف ، وحبيكها تلك الطرائق التي في السيوف . يقول : رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك والاستماع إلى قراعتك في الوغى - الحرب - دون أن يباشروا القتال : يعني أنا الذي أبشر القتال معك دون غيري من الشعراء

(٢) لعله يريد أن يقول : لقد غشك من انتفاعك منه بغير الصدق . يعني شعر هؤلاء الشعراء : أي أن هؤلاء الشعراء إنما يتقربون إليك ويأخذون أموالك بذلك الشعر الكاذب الذي لا يصحبه فعل إذ لا يباشرون معك القتال ، فكأنهم يعيشونك . أما أنا : فإني أصدقك إذ أمدحك وأبشر معك القتال . وعبرة العكبري : من لم يصدقك بقوله فقد غشك ، فإنه يظهر لك الشجاعة والجبن عنده ، ويظهر لك الجلد والضعف حقيقته ، فهو يتعاطى ما ليس عنده . قال ابن وكيع : لو قال « من كان منك بغير الصدق » لسم من الاعتراض . وقال الواحدى : معنى البيت : من لم يصدقك فقد غشك يعني أنى قد صدقتك فما ذكرت ، لأنى لو لم أصدقك كنت قد غششتك . قال : ويجوز أن يكون المعنى : إن من غشك بتخلفه عنك فقد أباحك أن تغشه في معاملتك إياه . وجعل ما يفعله سيف الدولة غشا لأنه جزاء الفش . وقوله على هذا « بغير الصدق » أي بغير صدق اللقاء . يعني بالنظر والسماع .

(١) المدنى : المقصر عما ينبغي أن يفعله .

الدَّهْرُ مُتَعَذِّرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَقِرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ^(١)
وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْصَمُ الصَّدْعُ^(٢)
وَمَا حَمْدُكَ فِي هَوْلِ ثَبَتَ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ^(٣)
فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعًا مَنْ بِهِ خَرَقٌ وَقَدْ يُظَنُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ رَمَعٌ^(٤)
إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ^(٥)

• •

(١) المصطاف والمرتبع : النزل في الصيف والربيع . يقول إن الدهر معتذر إليك بما فعل - يعني من قتل الروم ضغفاء أصحابك - والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وريعا تنزلها متى شئت، إذ هي ملك لك. وصدر البيت من قول أبي تمام :

عَضْبًا إِذَا سَلَّهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
يعجزه من قوله أيضا :

وَأَمْتُ فِيهَا وَإِدْعَا مُتَمَهِّلًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا لَكَ دَارُ

(٢) نصران ونصراني : واحد ؛ والأعصم : الوعل الذي في إحدى يديه بياض ، والصدع : الوعل لا بالسن ولا بالصغير : أى الفقى . يقول : إن اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم لأنها لا تحميمهم ؛ ولو أن أو عالمها تنصرت لم تحمها الجبال .

(٣) الامتصاع والماصعة : القتال والتجالد بالسيوف ؛ وامتصع في الأرض ذهب فيها هاربا . يقول : لم أحمذك على شجاعتك وثباتك في الحرب إلا بعد أن بلوتك - خبرتك - وجربتك - لهدى قتال الأبطال ، أو والأبطال تهرب فارة منك .

(٤) الخرق : الحفة والطيش ، والزمع : الرعدة . يقول : الظن قد يخطيء ، فالأخرق قد يظن شجاعا ، والشجاع الذى تغريه الرعدة من الغضب قد يظن جبانا ؛ وإنما يتحقق الأمر عند التجربة : يعنى إني قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطيء ولم أكذب .

(٥) كل : مبتدأ ؛ والنسب : خبر ؛ والجملة خبر ليس ؛ واسمها ضمير الشأن ؛ والمخلب : للطير والسباع : بمنزلة الظفر للانسان . وهذا مثل ضربه . يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ، كما أنه ليس كل ذى مخلب أسدا يفترس .

وقال في صباه يمدح على بن أحمد الطائي :

حُشَاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَعُّوا فَلَمْ أَذْرِ أَىَّ الظَّاعِنِينَ أَشْبَحَ^(١)
أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجَدْنَا بِأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ وَالسَّمِ أَدْمَعُ^(٢)
حَشَاىَ عَلَى جَمْرٍ ذِكْرِي مِنَ الْهَوَى

وَعَيْنَاىَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ^(٣)

(١) الحشاشة : بقية الروح في الرضى ؛ والظاعنين : المرتحلين . يقول : لى بقية نفس ودعنى وفارقتى يوم ودعنى الأحباب فذهبت البقية والحبيب فبقيت حائراً لا أدرى أى المرتحلين أودع ؛ يعنى الحشاشة والحبيب المودع فى جملة من ودعو . قعوله : الظاعنين بلفظ التثنية - وروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة ، والأحبة الذين ذكرهم فى قوله ودعوا . وهذا المعنى ينظر إلى قول بشار :

حَدَا بَعْضُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَبَعْضُهُمْ شِمَالًا وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ مُتَوَزِعُ^(١)
(٢) اللؤق : طرف العين مما يلي الأنف ؛ والجمع : آماق ؛ وهو مهموز العين ، ويقلب : فيقدم الهمز ، فيقال : آماق ؛ مثل بئر وآبار ، والسَم : لغة فى الاسم - بكسر السين ، وضمها ، وفتحها - يقول : أشاروا إلينا بالسلام علينا فجدا علينا بأرواح سالت من الاماق تسمى دموعا : أى أنها كانت أرواحنا سالت من عيوننا فى صورة دموع ؛ ومثله :

خَلِيلِي لَا دَمْعًا بَكَيْتُ وَإِنَّمَا هِيَ الرُّوحُ مِنْ عَيْنِي نَسِيلٌ عَلَى خَدِّي
ويقول بشار :

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءُهَا وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبٌ فَتَقْطُرُ
ويقول ديك الجن :

لَيْسَ ذَا الدَّمْعِ دَمْعَ عَيْنِي وَلَكِنْ هِيَ نَفْسِي تَذِيبُهَا أَنْفَاسِي
ولابن دريغر :

لَا تَحْسِبُوا دَمْعِي تَحَدَّرُ إِنَّهَا رُوحِي جَرَتْ فِي دَمْعِي الْمُتَحَدِّرِ
(٣) الحشا : مافى داخل الجوف ؛ والمراد به . هنا : القلب . يقول بقلبي على جمر شديد التوقد من الهوى لأجل توديعهم وفراقهم ، وعيناي ترتعان من وجه الحبيب فى روض من الحسن ، والله أبو تمام حين يقول :

أَفَى الْحَقِّ أَنْ يُضْحِي بَقَلْبِي مَا تَمُّ مِنْ الشَّوْقِ وَالْبَلَاىِ وَعَيْنَاىَ فِى هُرَيْرِ

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا
غَدَاةً افْتَرَقْنَا أَوْ شَكَّتْ تَتَصَدَّعُ^(١)
بِمَا بَيْنَ جَنبَيْهِ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا إِلَى الدِّيَارِجِي وَالتَّحْلِيلِيُونَ هُجَّعُ^(٢)

والأصل في هذا المعنى قول ابن الدميني :

غَدَّتْ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهِلِهَا وَقَلْبِي غَدَاً مِنْ هَجَرِهَا فِي جَهَنَّمَ
هذا : وإنما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، فلا تكاد تنفرد
إحداها برؤية دون الأخرى ، فاكتمنى بضمير الواحد . قال الصكبري : وأفرد الخبر
لأن العينين - وهما عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية - يجرى
عليهما ما يجرى على أحدهما ؛ ألا ترى أن كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية
دون الأخرى باشتراكهما في النظر : كاشتراك الأذنين في السمع ، والقدمين في المشي ؟
وقد استعمل هذا الباب على أربعة أوجه : أحدها على الحقيقة في الخبر والخبر عنه ،
فتقول : عيناى رأته ، وأذنأى سمعته . والثاني : أن تخبر عن اثنين وتنفرد الخبر -
كبيت أبي الطيب - فتقول : عيناى رأته . والثالث : أن تعبر عن اثنين بواحد وتنفرد
الخبر ، فتقول : عيني رأته ، وأذنى سمعته . والرابع : أن تعبر عن اثنين بواحد ، وتثنى
الخبر حملا على المعنى ، فتقول : عيني رأته وأذنى سمعته ، كقول الشاعر :

إِذَا ذُكِرْتَ غَيْبِي الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى بِصَحْرَاءَ فَلَجَّ ظِلَّتَانِ تَكْفَانِ

(١) الصم : الصلاب ؛ وتتصدع : تتشقق ؛ وهذا من قول البحترى :

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ الْفَأَّ لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

(٢) بما بين جنبي : أي أفنديها بما بين جنبي ؛ يعنى قلبه أو روحه . فالباء للتفدية ؛

وقال ابن القطاع : يريد هي مطالبة بتلاف روحى التى بين جنبي . والدياجي : جمع
ديجوج ، وكان القياس دياجيج ، ولكنهم خففوا الكلمة بحذف الجيم الأخيرة ، كما قالوا :
مكوك ومكاكى . والحلى : الذى يخلو قلبه من الهوى والمم ، والمهجع : النيام . يقول :
أفدى بقلبي المرأة التى أتانى خيالها فى ظلام الليل تقطع الظلمة إلى والذين خلوا من الحب
كانوا نياما ، قال الواحدى : وهذا كالتضارب لأنه أيضاً كان نائماً حين رأى خيالها ،
لكن يجوز أن يكون نومه نعسة خفيفة ، فرأى خيالها فى تلك النعسة ؛ وغيره من الحليين
نام جميع ليته .

أَنْتِ زَائِرًا مَا خَامَرَ الطَّيِّبُ ثَوْبَهَا وَكَالِمَسْكَ مِنْ أَرْضَانِهَا يَتَضَوُّعٌ^(١)
فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْتَفَتْ ثَوْبُوعُ انْطَلَا كَفَاطِمَةٌ عَنْ دَرَاهِمَا قَبْلَ تَرْضِيعِ^(٢)
فَشَرَّدَ لِإِعْظَامِي لَهَا مَا أَنَّى بِهَا مِنَ النَّوْمِ وَالنَّاعِ الْفَوَازُ لِلْفَجْعِ^(٣)
فِيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَطْوَلَ بِنَهَا وَسُمُّ الْأَفَاصِي عَذْبُ مَا أُتَجَرَّعُ^(٤)
تَذَلَّلَ لَهَا وَأَخْضَعَ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذَلُّ وَيَخْفَعُ^(٥)

(١) زائراً : حال من فاعل أنت : أى أنت خيالاً زائراً ؛ وخامر : خالط ؛ والكاف : فى «كالمسك» اسم ، بمنزلة مثل ، مبتدأ ؛ والخبر : الجملة بعدها . والأردان : جمع ردن أصل الكم . ويتضوع : يفوح : يقول : أنت زائرة ما خالط الطيب ثوبها : أى لم تسطر ، ومثل المسك يفوح من ثيابها ، لأنها طيبة الرائحة طيباً - لا تطعماً - كما قال امرؤ القيس :
ألم ترائنى كلما جئت طارفاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب ؟
أى أن طيبها خلقة فيها لا تتكلمه .

(٢) قبل ترضع : أى قبل أن ترضع :

(٣) أعظمه إعظاماً : استعظمه ، وما : موصولة ، وهى مفعول شرد . ومن - فى قوله من النوم - بيانية . والناع : احترق ، واللوعة : الحرقه ، والفجع : الوجع . يقول : لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها ، فنفى ذلك نوى الذى أتى بها ، واحترق قلبى لفقد رؤيتها .

(٤) تجرعة : شربه على تكلف واستكراه ، يقول : ما كان أطول تلك الليلة التى فارقنى فيها خيالها فتجرجعت من حرارة فراقها ما كان السهم بالقياس إليه عذبا . فقوله ما كان أطول . أى ما كان أطولها ، لحذف الضمير للوزن .

(٥) يقول : ارض بما تحكم متقاداً مطيعاً لها ، والخضوع فى القرب : الطاعة والالتقياد ؛ وفى البعد : الرضا والتسليم لقطبها ، وذلك آية الحب ، كما قال أبو نواس :

أَيَا كَثِيرِ النَّوْجِ فِي الدَّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْمُشَاقِّ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكَنِ

ويقول :

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعًا
لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى تُلْزِمَ النَّفْسَ الْخَفُوعًا

وَلَا تَوْبُ تَجْدُ غَيْرَ تَوْبِ ابْنِ أَحْمَدَ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بُلُومٍ مُرَقَّعٍ^(١)
وَلِإِنَّ الَّذِي حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّءٍ بِهِ اللَّهُ يُعْطَى مَنْ بَشَاءَ وَيَمْنَعُ^(٢)

ويقول العباس بن الأحنف :

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا قَتَلَ إِيَّانَا ظَالِمٌ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَحْمِلِ الذَّنْبَ فِي الْمَوِي يَفَارِقُكَ مَنْ تَهَوَّى وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ

(١) يقول : إنه لم يسلم الحمد لأحد خالصاً غير مشوب باللؤم إلا للمدوح . ولا توب : روى بالرفع عطفاً على عاشق - في البيت السابق - وبالنصب : على جعل لا : نافية للجنس . وغير : منصوب على الاستثناء ، وابن أحمد : المدوح ؛ وعلى أحد : صلة توب الأول . واللؤم الحسة ، ضد الكرم . ومرقع : خبر ، ورواها ابن جني ، يرفع .

(٢) جديلة : رهط المدوح من طيء . قال ابن جني : حابي : بمعنى حبا : أى أعطى ، وعلى هذا يكون المعنى : إن الذى أعطى بنى جديلة هذا المدوح فجعله منهم هو الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء . ونص عبارة ابن جني : حابي : بمعنى حبا . مأخوذ من الحباء . وهو العطية ؛ واسم الله : مرفوع به ؛ والجملة - التى هى يعطى وفاعله - خبر إن ؛ واسم إن : الذى قال . المكبرى : وخولف فى هذا قليل : معنى حابي بارى ، تقول : حابيت زيدا : إذا باريته - مثل باهيته - فى العطاء ؛ وليس بمعروف أن المعنى حابيته بكذا : حبوته به . قال الشريف هبة الله بن محمد بن على بن محمد للشجرى : فاعل هذا يكون فاعل حابي : مضمراً فيه ، يعود على الذى ؛ واسم الله : مرتفع بالابتداء ؛ وخبره : الجملة ، تقديره : إن الذى حابي به جديلة فى الحباء الله يعطى من يشاء ، ومفعول يمنح : محذوف : دل عليه مفعول يعطى ؛ وكذلك مفعول يشاء المذكور ، والمحذوفان تقديرهما : يعطى الله به من يشاء أن يعطيه ، ويمنع من يشاء أن يمنعه ، والضميران : يعودان للمدوح . وقال المكبرى : أصل حابي : فاعل ، ولا يكون إلا : أن اثنين إلا فى أحرف يسيرة : طارقت النمل ، وغابت اللص ، وعافاه الله ، وقاتلهم الله . وأبو الفتح ذهب بها مذهب هذه الأحرف وقال : حابي : بمعنى حبا ، كما فى قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى حين ولاء الرشيد خراسان :

إِنَّ خَرَّاسَانَ قَدْ أَصْبَحَتْ تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهَمَةِ الشَّانَا
لَمْ يَحْبُ هُرُونُ بِهَا جَعْفَرًا وَإِنَّمَا حَابَى خَرَّاسَانَا

بَذَى كَرِّمَ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْهُ تَطْلُعُ^(١)
فَارْحَامُ شِعْرِ يَتَصِلْنَ لَدْنَهُ وَأَرْحَامُ مَالٍ لَا تَنِي تَنْتَقِعُ^(٢)

وقد جاء حابي : بمعنى بارى فى قول سبرة بن عمرو الفقعسى :

نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءُ نَا وَنُهَيْنَا وَنَشْرَبُ فِي أُمَانِيهَا وَنَقَامِرُ
وقد جاء حابي بمعنى : اختص ، قال :

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ حِيَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ حَابَا كَا
وقال الواحدى : وحابي لا يكون بمعنى حبا ، وإنما المعنى : إن الذى بنى جديلة :
أى غاليهم وباهام فى العطاء - يعنى المدوح - به الله يعطى من يشاء ويمنع لأنه ملك
قد فوض الله تعالى إليه أمر الخلق فى النفع والضر ، فقوله : به الله ، خبر «إن» .
(١) بذى كرم : بدل من قوله به - فى البيت المتقدم - ، يقول : لم يمر يوم وشمس
ذلك اليوم تطلع على رأس إنسان أوفى بالدم من هذا المدوح ؛ يريد أنه أكثر الناس
وفاء وأكرمهم عهداً ؛ فالواو - فى قوله وشمس - واو الحال ؛ وشمس : مبتدأ ؛ وجملة
تطلع : خبر ؛ وعلى رأس : متعلق بتطلع ؛ وذمة : تمييز ، وأوفى : صفة لمحذوف أى على
رأس إنسان أوفى .

(٢) يريد أن الأشعار الكثيرة التى يمدح بها تتلاقى لديه فتصل اتصال الأرحام ،
وأن أمواله التى يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تقاطع
أرحامها . فقوله : لا تنى : أى لا تزال . وقال الواحدى : هو من الونى ، وهو الضعف ،
فوضعه موضع لا تزال ، لأنها إذا لم تفتقر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تنتقع . وشدد
النون - فى لدنه - للضرورة ، ويروى : يتصلن يبابه . وقال ابن جني : قوله لدنه : فيه
قبح وشناعة ، وليس هو معروفاً فى كلام العرب ، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون
أخرى : نحو لدنى ولدنا . هذا كلامه . وقد يحتج لأبى الطيب فيقال : شبه بعض
النحويين بعضها ببعض فكما يقال لدنه : يقال لدنه ، يحمل أحد الضميرين على الآخر ،
وإن لم يكن فى الهاء ما يوجب الإدغام من زيادة نون قبلها ، كما قالوا يعد ، فحذفوا الواو
لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم قالوا أعد ، ونعد ، وتمد ، فحذفوا الفاء أيضاً ، وليس
هناك ما يوجب حذفها ، ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة ، كما قالوا فى القطن :
القطن ، وفى الجبن : الجبن . وأنشد أبو زيد يقول .

إِنَّ شَكْلِي وَإِنْ شَكْلَكَ شَتَّى فَالزَّيْمِ الْخُصِّ وَاخْفَضِي تَبْيِضِي

فزاد ضادا ، وقال سحيم :

وما قرية من قرى ميسنا ن مُعجبة نظرا واتصافا^(١)

أراد : ميسان ، لحذف وزاد نونا . وقال الأسدي .

وجاشت من جبال الصفد نفسى وجاشت من جبال خوارزيم
أراد خوارزم فغيرها . وقال الجرجاني : لما كانت الماء خفيفة ، والنون ساكنة ،
وكان من حقها أن تبين عند حروف الحلق : حسن تشديدها لتظهر ظهورا شافيا ،
فهذه علة وقرينة محتمل للشاعر تغيير الكلام عندها ، والنون أقرب الحروف إلى حرفي
العة - الواو والياء - لأنها تدغم فيهما ، وتبدل منها الألف في الوقف إذا كانت خفيفة
نحو : يا حرسى اضربا عنقه ، وجعلت إعرابا في الأفعال الخمسة . نحو : يفعلان وأخواتها
كما جعلت إعرابا في التثنية والجمع وتحذف إذا كانت ساكنة لا لتقاء الساكنين في نحو :
اضرب الغلام - بفتح الباء - فلما حلت هذا المحل احتملت ما تحمله من الزيادة .
وحروف العلة أوسع الحروف تصرفا . ولهذا أجازوا زيادة الياء في الصياريف في قوله :
تنفى يداها الحمى في كل هاجرة تنفى الدراهم تنقاد الصياريف^(٢)
وزيادة الواو في قوله :

* من حينما سلكوا أدنوا فأنظور *^(١)

(١) ميسان : بلد من كورة دجلة ، أو كورة بسواد العراق .
(٢) الدراهم : روى الدراهم ، وروى : الدنانير . ونفى : مضاف إلى تنقاد - من
إضافة المصدر إلى فاعله - والدراهم : مفعول ، ففصل بالمفعول - وهو الدراهم - بين
التضامين . وروى أيضاً : بإضافة نفى إلى الدراهم ، ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة
المصدر إلى مفعوله . قال الأعمش : وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير في المواجر . يقول
إن يديها لشدة وقهما في الحصا ينفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصليل الدنانير
إذا اتحدتها الصيرفي فينفى رديتها عن جديها ، وخص المهاجرة لتعذر السير فيها .
(١) عجز بيت ثان أنشداهما الفراء وما :

الله يعلم أننا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صور
وأنتى حينما ينفى الهوى بصرى من حينما سلكوا أدنوا فأنظور

يريد : فأنظر وزيادة الألف في منترج من قول ابن هرمة :

فَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحٍ

يريد بمنترج . وقد ذكرنا لهذا التشديد كل وجه شديد ، كما ذكرنا العلة في إدغام النون في الجيم . في قراءة عبد الله بن عامر وأبي بكر بن عباس في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة . وقال أبو الفتح : استعمل لدن بغير من ، وهو قليل ، ولا يستعمل إلا معها ، كما جاء في القرآن « مَنْ لَدُنِّي وَمِنْ لَدُنْهِ ، وَمَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ » وقد غاب عن أبي الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب :

فَإِنَّ الْكَثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أُنَى غَلَامٌ^(١)

وقول كثير :

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلٍ لَدُنْ إِنْ عَرَفْتُهَا لِكُلِّهَا ثُمَّ الْقَصَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٢)

والصور : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق . ويجوز أن يكون جمع صورة ، أى إذا تلفتنا إلى الأحباب عند رحيلهم ، فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح وحيثما تروى حوث ما ، وحوث : لغة في حيث ، وهو خبر أن ، وثناه : أماله : أى أنا في الجهة التى يميل الهوى بصرى إليها ، ومن حيثما : متعلق بأذنو وبأنظر : أى أدنو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وقوله أدنو فأنظور : روى أننى فأنظور : أى أننى عنق فأنظر نحوهم : من ثناه ، بمعنى لواء .

(١) الكثر من المال : الكثير . وعيى بأمر : إذا لم يهتد لوجهه ، وأعياى هو ، قال ابن السيرافى في قوله فإن الكثر الخ : أى طلبت الغنى فى أول أمرى وخين شبابى فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن فقيراً ، فلا تأمرنى بطلب المال وجمعه وترك بذله فإنى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنع ولا أفقر بالبذل .

(٢) من قصيدة كثير التى أولها :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذْنُ أَصْحَابِي غَدَا بِقِفُولِ

ومنها :

أُرِيدُ لِأَنَسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وروى هذا البيت : بكل مزاد ، وروى : بكل مراد ، والصواب : بكل سبيل

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزْئِيءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ^(١)
 غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمَطَّرٌ لَيْسَ يُنْقَشِعُ وَلَا الْبَرْقُ فِيهِ خُلْبًا حِينَ يَلْمَعُ^(٢)
 إِذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ^(٣)

وقول القطامي :

صَرِيحٌ غَوَانٍ رَاقِصٍ وَرُقْنَةُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الدَّوَائِبِ^(١)
 (١) ترتيب البيت هكذا : فتى رأيه في زمانه ألف جزء ، أقل جزئ من هذه
 الأجزاء الألف بعضه - أى بعض جزئ من رأيه - الرأى الذى فى أيدى الناس كله ،
 فقوله فتى : خبر عن محذوف ، أى هو فتى ، وألف جزء خبر مقدم ورأيه مبتدأ مؤخر
 وأقل جزئ مبتدأ ، والجزء : تصغير الجزء وبعضه : مبدأ ثان ، وهو مضاف إلى ضمير
 المبتدأ الأول ، والرأى : خبر للمبتدأ الثانى - وهو بعضه - والجملة : خبر الأول - وهو
 أقل - وأجمع : تأكيد للرأى . والمعنى : أن هذا المدح ففى رأيه فى أحوال زمانه
 يقدر بألف جزء ، وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل مالى الناس من
 الرأى : قال العسكبرى : وفيه نظر إلى قول أبى تمام .

لَوْ تَرَاهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ قَمَرًا أَوْفَى عَلَى غُصْنٍ

كُلِّ جُزْءٍ مِنْ مُحَاسِنِهِ فِيهِ أَجْزَالُ مِنَ الْفَتَنِ

(٢) المطر : مثل الماطر ، يقال مطرت السحابة وأمطرت ، وأقشع السحاب :
 أفلح وتفرق ، يقال أقشع وأقشع وتقشع ، والبرق الخاب : الخلف الذى لا مطر فيه
 وخلبا : خبر لا ، كأنه قال : وليس البرق فيه خلباً . يقول : هو غمام يطر علينا المطايا
 دائماً ، وليس هو كالغمام الذى يطر مرة وينقشع أخرى ، وإذا رجوانه بلغنا منه أوفى
 ما نرجو ، وإذا وعد أنجز الوعد . وضرب الغمام والبرق مثلاً ، ولما جعله غماماً جعل
 له المطر ، وبرقا جعل برقه صادقا بموعوده ، وهذا عكس ما يقول البحرى :

رَأَيْتَكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنِيَّتَ مَوْعِدًا جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلْبًا

(٣) الحاج : جمع حاجة ، ويقال فى جمعها أيضاً : حاجات ، وحوج وحاج

(١) الصريع : المصروع ، وهو المطروح على الأرض غلبة ، والغواى : جمع غانية
 وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة ، وراقهن أعجبن ، والدوائب : جمع ذؤابة ، وهى
 الحصلة من الشعر ، ولدن : تنازع فيه صريع وراقهن ورقنه ، يقول : إنه صريع
 مغلوب على أمره من جراء الحسان اللاتى تعلق بهن منذ نشأ وتعلقن به حتى شاب

وحوائج - على غير قياس - كأنهم جمعوا حائجة ، وكان الأصمى ينكره ، ويقول هو مولد . قال الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام العرب ، وأنشدوا :

نَهَارُ الْمَرَّةِ أَمْثَلُ حِينَ تُقْضَى حَوَائِجُهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
وأنشد ابن الأعرابي :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الْوُجُوهِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَبْذُولُ
والحوجاء : الحاجة . يقال : مالى فيه حوجاء ولا لوجاء . قال قيس بن رفاعه :

مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَوْجَاءَ يَطْلُبُهَا عِنْدِي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ بِأَصْحَارِ
أَقِيمْ نَحْوَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عِوَجٍ كَمَا يُقَوْمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ الْبَارِي^(١)
والشفع : الذى تقضى الحاجة بشفاعته . يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى نفسه فى قضائها ، وإذا كان المسئول شفيعاً إلى نفسه فإن الحاجة مقضية ألبته . ومثل هذا قول الحريرى :

شَفَعْتُ مَكَارِمَهُ لَمْ فَكَّفْتَهُمْ جَهْدَ السُّؤَالِ وَلَطْفَ قَوْلِ الْمَادِحِ
وقول أبى تمام :

طَوَى شَيْئاً كَانَتْ تَرَوُّحُ وَتُغْتَدَى وَسَائِلَ مَنْ أَعَيْتَ عَلَيْهِ وَسَائِلَهُ
وقال الخطيب :

وَذَاكَ أَمْرٌ إِنْ تَأْتَتْهُ فِي نَفْسِهِ إِلَى مَالِهِ لَا تَأْتِهِ بِشَفِيعٍ
ولأبى التماهية :

فَيَا جُودَ مُوسَى نَاجِرِ مُوسَى بِحَاجَتِي فَالَى سِوَى مُوسَى إِلَيْهِ شَفِيعُ
ولابن الرومى :

أَبَا الصَّقَرِ مَنْ يَشْفَعُ إِلَيْكَ بِشَافِعِ فَالَى سِوَى شِعْرِى وَجُودِكَ شَافِعُ

(١) قوله بإصحار : فى حديث لعللى رضى الله عنه « فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك » أى كن منه على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، والقدح : السهم قبل أن ينصل ويراش ..

خَبَتْ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهْجُمْ بَنَانَهُ وَأَسْمَرُ عُرْيَانٍ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ^(١)
نَحِيفُ الشَّوَى يَفْدُو عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ

وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدُوَّهُ حِينَ يُقَطَعُ^(٢)
يَمُجُّ ظَلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانَهُ وَيُفْهَمُ عَنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ^(٣)
ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيئَةً وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ اطْوَعُ^(٤)
فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقُ تَجِدُ كُلَّ لَفْظَةٍ أُصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَتَفَرَّعُ^(٥)

(١) خبت النار : سكن لها ؛ والبنان : الأصابع ؛ وأسمر عطف على بنان : أى وقلم أسمر الخ . وجعل القلم أصلع : للينه وملاسته ، كالرأس الأصلع . يقول : إن كل حرب تشب بغير قله وأنامله لا بد أن تنطفئ ولا تطول مدتها ؛ أما الحرب التى يشبها هو فإنها لا تنطفئ لقوة عزمه وشدة نفسه .

(٢) الشوى : الأطراف ؛ أى اليدان والرجلان والرأس ، ونحيف : دقيق ، ويعدو : يجزى ، وأم الرأس : أعلاه ، وقيل وسطه ، ويحفى : يكل . يقول : إن هذا القلم دقيق الأطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه ، فإذا حفى — أى كل عن الشئ — قطع — أى قط — فيقوى عدوه : أى يعضى فى الكتابة ويحسن به الخط . ومن قولهم : القلم أنف الضمير ، إذا رعى : كشف أسرار ، وأبان آثاره .

(٣) يمج : يقذف ، ويريد بالظلام : الداد ، وبالنهار : القرطاس ، ولسانه طرفه المحدد . وقوله : ويفهم الخ : أى أنه يعبر عما يريده الكاتب دون أن يسمع منه لفظا ، وهو من قول أبى تمام :

أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهُ فَيُفْهَمُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعٍ

(٤) ذباب السيف : طرفه المحدد ، ومنه متعلق بأنجى ، والضرية : اسم للمضروب ، كالرمية للرمى ، وضريبة : تميز . يفضل القلم على السيف ، يقول : إن المضروب بالسيف قد ينبو إذ ينبو عنه ، وقد يعصى صاحبه الذى يضرب به لأنه قد لا يقطع ، أما المضروب بالقلم — وهو المكتوب بقتله — فإنه لا ينبو والقلم أطوع من السيف ، لأنه لا يرجع عن مراد الكاتب به ، وإذن : فالقلم أفضل من السيف . قال ابن الرومى .

لَعَمْرُكَ مَا السِّيفُ سَيْفُ الْكَيْبِ بِأَنْفَذَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ

(٥) يقول : إن كل لفظة من ألفاظه أصل من أصول البراعة — وهى الكمال فى الفصاحة — والناس يبنون كلامهم عليها ويرجعون فى استعمال الفصاحة إليها .

(٢٣ — المتن ٢)

بَكَفٌ جَوَادٍ لَوْ حَكَمَهَا سَحَابَةٌ

لَمَّا قَاتَهَا فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ مَوْضِعٌ^(١)

وَلَيْسَ كَبَحْرِ الْمَاءِ يَشْتَقُّ قَمَرُهُ

إِلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءُ حُوتٌ وَضِدْعٌ^(٢)

أَبْجَرُ يَضُرُّ الْمُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ زُعَاقٌ كَبَحْرِ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ^(٣)

بَيْنَهُ الدَّقِيقُ الْفِكْرُ فِي بَعْدِ غَوْرِهِ وَيَفْرَقُ فِي تَيَّارِهِ وَهُوَ مِصْقَعٌ^(٤)

(١) يقول : إن هذا القلم للموصوف يجرى بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه في عموم النفع لعمت الشرق والغرب بالمطر ، وقال ابن الرومي :

خِرْقٌ يَعْْمُ وَلَا يَخْصُ بِفَضْلِهِ كَالْفَيْثِ فِي الإِطْبَاقِ كُلِّ مَكَانٍ
[الحرق : السخى الكريم] .

(٢) اسم ليس : ضمير يعود إلى الجواد في البيت السابق - يشتق : يشتق ، وحوت فاعل يشتق . يقول : ليس بحر جوده كبحر الماء الذي يفوص فيه الحوت والضفدع حتى ينتهي إلى قمره ، وإنما هو بحر لا يبلغ منتهاه ؛ يعني أن جوده لا ينقطع ، وقال ابن القطاع قوله : يفنى الماء ، هي بنصب الماء لا برفعها : أي يتخذ فناء ؛ يقال فنيته المكان وبالمكان : إذا أمت به . ولهن : فاللعان - يشتق ويفنى - للحوت . والضفدع .

(٣) المعنى : السائل . عفاه واعتفاه : أناه سائلا ؛ والزعاق : المر . يريد أن يفضل المدوح على البحر . فالاستفهام إنكارى . يقول : ليس البحر الذي يضر من ورده بالفرق ، وهو مع ذلك من الطعام لا يمكن شربه ، مثل بحر ينفع الواردين بالمطاء ولا يضرهم . فقوله : وينفع ، معطوف على « لا يضر » وقد تقد ابن جني البيت قائلا : إن المعروف عندهم أن ينسب المدوح إلى النفع لأوليائه والضر لأعدائه ، كما قالوا :
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى لضرَّ عدوَّ أولنفع صديق
وقالوا :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنما يُرجى الفتى كما يضرُّ وينفع

ولكن فاته أن التنبي أراد كبحر لا يضر المعتفين ، فلا ينافي ذلك أنه يضر الأعداء .

(٤) الغور : المنتهى والقمر : وضميره : للبحر : والتيار : الموج . والمصقع : الصبيح البليغ ، لأنه يأخذ في كل صقع من القول : والدقيق الفكر : الفهم الفطن الذي يدق يدق فكره وخطره حين يفكر . يقول : إن المدوح بحر بعيد الغور لا يصل أحد

أَلَا أَيُّهَا الْقَلِيلُ الْمُقِيمُ بِمَنْبَجٍ وَهَمَّتُهُ فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْنَ تُوَضِّعُ^(١)
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ وَصَفَكَ مُعْجِزٌ وَأَنَّ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ^(٢)
 وَأَنَّكَ فِي تَوْبٍ وَصَدْرِكَ فِيكُمْ
 عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ^(٣)

إلى قصره فيته في صفاته الواصفون . ولا يبلغون نهايته ولا يستطيعون وصفه مهما
 علت منزلتهم من البلاغة . هذا : وقد قال العكبري : الرواية الصحيحة في الدقيق :
 بلام التعريف ، وهو حسن في الإضافة : كالجيل الوجه ، والطويل الذيل : لأن الدقيق :
 نعمت لحدوف . تقديره : يتيه الرجل الدقيق الفكر . ألا تراه يقول : وهو مصقع ،
 وهو نعمت للرجل ؟ ومن رواه دقيق الفكر : جملة نعمتاً للفكر ، تقديره : يتيه الدقيق
 من الأفكار : والأول أبلغ في المعنى .

(١) القليل — في الأصل — الملك من ملوك حمير : ومنبج : بلد بالشام :
 والسماكان : نهران ، وهما السماك الرامع والسماك الأعزل : والإيضاع : السير السريع ،
 من أوضعت الناقة : إذا أسرعت وهذا من قول العطوي :

إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ لَابِسًا سَمَلًا فَهَمَّتِي فَوْقَ هَامَةِ الْمَلِكِ
 وَلِلتَّوْحَى :

وَأَنْفَسَ مَسْكَنُهَا مَا بَيْنَنَا وَهَمَّاهَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَالشَّهَى

(٢) ظلمت الناقة : عرجت من يدها أو رجلها . يقول : أليس من العجب أني مع
 جودة خاطري وبلاغة كلامي أعجز عن وصفك ولا تبلغ ظنوني معاليك فلا أدركها
 لو فرتها ؟ !

(٣) وصدرك — بالرفع — استئناف . والضمير — من فيكما — للدوج
 والثوب . يقول : أليس عجباً أن صدرك على أنه أوسع من الأرض — قد اشتمل عليك
 ثوب وهو — الصدر — فيك وفي الثوب قد اشتملتا عليه . ومثله لابن الرومي :
 كَضْمِيرِ الْفُؤَادِ يَلْتَمِهُمُ الدُّنْيَا وَتَحْوِيهِ دِفْئًا حَبِيزُومِ
 وَلَا بِي تَمَام :

وَرَحْبِ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةً

كَوْسِهِ لَمْ تَضِقْ عَنْ أَهْلِهَا بَلَدُ

وَقَلْبِكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بِنَا

وَبِالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرَّتْ كَيْفَ تَرْجِعُ^(١)

أَلَا كُلُّ سَمَحٍ غَيْرِكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ وَكُلُّ مَدِيحٍ فِي سِوَاكَ مُضَيِّعٌ^(٢)

وقال في صباه على لسان من سأله ذلك :

شَوْقِي إِلَيْكَ نَفْيٌ لَدَيْدٍ هُجُوعِي فَأَرَقْتَنِي فَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي^(٣)

أَوْ مَا وَجَدْتُمُ فِي الصَّرَاةِ مُلُوحَةً يَمَّا أُرْقِرُقُ فِي الْفَرَاتِ دُمُوعِي^(٤)

مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِدًا حَتَّى أَغْتَدِّي أَسْنَى عَلَى التَّوْدِيْعِ^(٥)

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِخْلَتِي فَكَأَنَّيَا أَتْبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيْعِ^(٦)

(١) يقول : أو ليس عجيبا أن قلبك قد أحاطت به الدنيا وهو من السعة بحيث

لو دخلت الدنيا بمن فيها من الإنس والجن فيه لضلت وما اهتدت للرجوع ؟

(٢) السمع : الذي يسمح بهاله . يقول : كل جواد سواك باطل — أى بالإضافة

إليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع لأنه ليس فيمن يستحقه : وهو من قول

ابن الرومي :

وَكُلُّ مَدِيحٍ لَمْ يَكُنْ فِي ابْنِ صَاعِدٍ وَلَا فِي أَبِيهِ صَاعِدٍ فَهُوَ هَابِطٌ

وقوله غيرك : هو منصوب ، لأنه تقدم على الستثنى ، كقول الكيت :

فَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً وَمَالِي إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبٌ

(٣) المهجوع : النوم . وأقام : أى الشوق .

(٤) الصرارة : نهر يأخذ من الفرات فينسكب في دجلة ماراً بالموصل ، وكان حبيبه

على جانب الصرارة . هذا : ورقرق الدمع : صبه . وما — من قوله يَمَّا أُرْقِرُقُ —

مصدرية . يقول : أو ما وجدتم طعم ملوحة من دموعي في مائكم لبكائي في الفرات ؟

وهم يقولون : إن دمع الحزن ملح ، ودمع الفرح حلو .

(٥) يقول كنت أحذر من وداعك خوف الفراق ، أما الآن وقد فارقتنى فإني

أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه ، لأنني لقيتك عند الوداع ، فبودي أن أودعك لأتفأك .

وقال ابن جني : كنت أكره الوداع ، فلما تطاول البين أسفت على التوديع ، لما يصحبه

من النظر والشكوى والبث .

(٦) يقول : ارتحل العزاء — الصبر — عني بارتحالي عنكم ، فكأن أنفاسي

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

مُلِثَ الْفَطْرِ أُعْطِشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا^(١)
أَسْأَلُهَا عَنِ التَّمْدِيرِ بِهَا فَلَا تُدْرِي وَلَا تُدْرِي دُمُوعَا^(٢)
كَلَّهَا اللَّهُ إِلَّا مَاضِيَهَا زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَوْذَ الشَّمُوعَا^(٣)

تبع العزاء مشبعة له ، فهي صاعدة متصلة دائمة . قال ابن جني : وقال برحلي أي مع ارتحالي . كما تقول سرته بمسرك : أي معك — أي فكما لا ترجع إلى أنفاسي لا يرجع إلى صبري . فنعناه : ارتحل الصبر عنى بارتحالكم .

(١) المثلث : الدائم المقيم . والقطر : المطر . وربوعاً : تمييز : أي من ربوع . والنقيع والنقع : الرطب . يقول : يا أيها السحاب الدائم المطر أعطش هذه الربوع أي لا تسقيها — وإن لا تعطيها فاسقيها السم النقيع في الماء . وإنما دعا عليها لأنه لما وقف بها وسألها لم تجبه ، ولم تنك من رحل عنها ، قال ابن وكيع : لم يسبق أبا الطيب أحد في الدعاء على الديار بالسم ، ولو قال حجارة أو صواعق : لكان أشبه ، إلا أن جريراً قال بعد ما استأنف لها ذنباً :

سُقِيتَ دَمَ الْحَيَّاتِ مَا مَالُ زَائِرٍ يُبْلِمُ فَيُعْطَى نَائِلًا أَنْ يَكَلِمَا
والعرب من عادتها أن تدعو بالسقيا للديار ، كقول القائل :

يا منزلاً ضنَّ بالسلام سُقِيتَ صَوْبًا مِنَ الْغَامِ
ما ترك المزن منك إلا ما ترك السقم من عظامي

(٢) للتدري بها : أي المتخذها داراً . وتدري دموعاً . أي تلقها — من إذراء الحب للزرع . يريد تعليل ما في البيت السابق . يقول : إنما طلبت إلى السحاب أن يعطيها أو يسقيها السم النقيع لأنني أسألتها عن أهلها أين ذهبوا ؟ فلا تدري ذلك ولا تجيب ولا تساعدني على البكاء .

(٣) الحاء — في الأصل — قشره : من لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل في الدعاء على الشيء : أي لعنه وقبحه : وزمان : بدل تفصيل من قوله ماضيها والحدود — بفتح الحاء — الجارية الناعمة ، وجمعها خود — بضم الحاء — والشموع : اللعوب الضحوك . قال الواحدى : قوله : إلا ماضيها استثناء من غير الجنس ، ويجوز أن يكون جنساً ، لأن زمان اللهو والحدود ربع الأنس ، فاستثنى ربع الأنس من ربع الأنس لاشتراكه عليه ، فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الحدود . قال ابن وكيع : ماضيها يوجبان لها الدعاء بالسقيا كقول البحترى :

مُنْعَمَةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرُ الْوُقُوعَ^(١)
تَرْفَعُ ثَوْبَهَا الْأَزْدَافُ عَنْهَا قَبِيئَتِي مِنْ وَشَاحِنَهَا شَسُوعًا^(٢)
إِذَا مَا كَسَتْ رَأَيْتَ لَهَا أَرْجَاحَهَا لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعًا^(٣)

فَإِذَا مَا السَّحَابُ كَانَ رُكْلًا فَسَقَى بِالرَّبَابِ دَارَ الرَّبَابِ

(١) امرأة رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك ، وكذلك ناقة رداح وكبش رداح : ضخمة الألية ، ودوحة رداح : عظيمة : وجفنة رداح عظيمة قال أمية بن أبي الصلت :

إِلَى رَدَّاحٍ مِنَ الشَّيْزَى مِلَاءَ لِبَابِ الْبَرِّ يُبَلِّكُ بِالشَّهَادِ^(١)

وكتية رداح : ضخمة مليلة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها ، ثم وصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام . يقول : إذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه ، ومثل هذا قول كثير :

وَأَذْنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْنِي بِقَوْلٍ يَحِلُّ الْعَصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(٢)
وَقَالَ أَيْضًا :

بَعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَقَرْتَهُمَا لِنَوْءِ الثَّرَا لَا سَهْلَ سَحَابِهَا
وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ :

لَوْ نَاجَتِ الْأَعْصَمَ لَانْحَلَّ لَهَا طَوْعَ الْقِيَادِ مِنْ شِمَارِيخِ الذُّرَا
(٢) أراد بالوشاحين : قلادتين توشع بهما المرأة ترسل إحداهما على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر . والشسوع : البعيد : يقول : إن أَرَادَهَا عَظِيمَةً شَاحِصَةً عَنْ بَدْنِهَا تَرْفَعُ ثَوْبَهَا وَتَمْنَعُهُ عَنْ أَنْ يَلَامُقَ جَسَدَهَا حَتَّى يَكُونَ بَعِيدًا عَمَّا تَوْشَعَتْ بِهِ مِنْ الْقَلَادِ : وهذا من قول بعض الكلايين :

أَبَتْ الْقَلَائِلُ أَنْ تَمْسَ إِذَا مَشَتْ مِنْهَا الْبَطُونُ وَأَنْ تَمْسَ ظَهْرَهَا

(٣) ماست : مشت متبخرة . والضمير في له : للثوب . ونزوعا : صفة لارتجاجا . يقول : إذا ماست رأيت لروادفها اضطرابا وحركة يكادان يزعجان ثوبها عنها لولا أن سواعدها تمسك عليها ثوبها لدخولها في الكين . وفيه نظر إلى قول الآخر :

(١) يقال للجفان التي تسوى من شعرة الشيزى : شيزى . قال الجوهري : الشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع .

(٢) العصم : جمع الأعصم ، وهو الوعل .

تَأْلَمُ دَرَزَهُ وَالْدَرَزُ لَيْنٌ كَمَا تَتَأْلَمُ الْعَضْبُ الصَّيْنِيَا^(١)
ذِرَاعَاهَا عَدْوًا دُمْلَجِيهَا يَظُنُّ ضَجِيعُهَا الزَّئِدَ الضَّجِيعَا^(٢)
كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيقٌ يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطَّلُوعَا^(٣)

لولا التمنطق والسوار معاً والحجل والدملوج في العَضِدِ
لتزايلت من كل ناحية لكن جُمِلْنَ لها عَلَى عَبْدٍ

(١) الدرز : موضع الخياطة من الثوب : والعضب : السيف ، والصنيع الحكم : الصقال والصنعة . يصف نعومة بدنها وأنها تتوجع إذا أصابها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف . يقول : إن للدرز في بدنها تأثيراً كتأثير السيف ، فقوله تألم — بخذف إحدى التائدين — أى تألم ، والتألم : كالتوجع ، لازم ، يقال تألم به أوله أو منه ، وعدها ههنا : ضرورة . ومما يستظرف في هذا الباب ما روي أن سابور لما حضر صاحب الحصن بعثت بنت صاحب الحصن إليه — وكانت من أجمل النساء — إن عاهدتني أنك تزوج بي أسلمت إليك المفاتيح ، فعاهدها على ذلك ، فسكر أبوها ليلة ونام ، فدفع المفاتيح إلى سابور . فأخذ المدينة وزوج بها ، فبينا هي معه ذات ليلة على فراش الحرير تأملت وتوجعت وقلقت ، فدعا بالشمع ونظر إلى مضجعها ، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت جسمها فأثرت فيه فقلقت لذلك ، فقال لها : ما كان يفتيك به أبوك ؟ فقالت له : لب البر بالعسل والحجر ، فقال : وكان جزاؤه منك ما جزئته فأخذها وشد صفائرها إلى أذنان الخيل ولم يزل يطرد الخيل حتى قطعنها أرباً أرباً .

(٢) يقول : إن دملجها يضيقان عن ذراعها ، فهما مملكان بهما يكادان لذلك يفصانهما ويكسرانهما ، وإذا ضاحجها إنسان ظن أن زندها — لسمنه — هو ضجيعه ، لا هي .
(٣) شبه النقاب على وجهها : بالقيم الرقيق ، ووجهها : بالبدر . يقول : سترت وجهها بالنقاب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضيء القيم الرقيق بضوء البدر . فقوله يضيء : لازم ، لا يتعدى ؛ والبدر : مفعول أول لئمه ؛ والطلوع : مفعول ثان . وقد إلى هذا المعنى عبد الله بن الدمينه ، قال :

مُبْرَقَةٌ كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابَةٍ وَكَالْبَدْرِ فِي جَنَحٍ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمٍ
وقال بشار :

بدا لك ضوء ما احتجبت عليه بدو الشمس من خلل الغمام

أَقُولُ لَهَا أَكْشِفِي ضُرْعِي وَقَوْلِي
أَخَفْتُ اللَّهَ فِي إِحْيَاءِ نَفْسِي
غَدَا بِكَ كُلُّ خَلْوٍ مُسْتَهَامًا
أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ
بَعِيدُ الصَّبْتِ مُنْبِتُ السَّرَايَا
بِفَضِّ الطَّرْفِ مِنْ مَكْرٍ وَدَهْيٍ
بَأَكْثَرِ مِنْ تَدْلُّهَا خُضُوعًا^(١)
مَتَى عَمِيَ إِلَهُهُ بَأَنْ أُطِيمَا^(٢)
وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوِرٍ خَلِيمَا^(٣)
ثَبِيرًا وَأَنْزَلَ إِبْرَاهِيمَ رِيْمَا^(٤)
يُسَيِّبُ ذِكْرُهُ الطُّفْلَ الرَضِيمَا^(٥)
كَأَنَّ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعَا^(٦)

(١) قوله وقولي الخ : أى أن خضوعي لها فى قولى هذا أكثر من تدللها على كثرة قولى : مبتدأ . وبأكثر : خبر وخضوعا : تمييز .
(٢) يقول . إن إحياء النفس مما يتقرب به إلى الله ، وليس مما يخاف منه : يعنى أنك إذا واصلتني كنت كأنك قد أحيتني ، وإحياء النفس طاعة لله ، والله سبحانه لا يعصى بالطاعة ، ومثله قول القائل :

ما حرامٌ لإحياءِ نفسٍ ولكن قتلَ نفسٍ بغيرِ نفسٍ حرامٌ

(٣) الخلو : الخالي من الهوى . والمستهام : الذى يصيره الهوى هائما ذاهب اللب . والحليع : الذى خلغ العذار وترك الحياء وتهتك فى الهوى ، قال ابن وكيع ، لوقال :

غدا بك كلُّ خلو فى اشتغال وأصبح كل ذى نسلٍ خليما
لكان أحسن .

(٤) أو يقولوا : أى إلى أن يقولوا ، غذف أن وأعملها ، وثير : جبل بالحجاز معروف . وريع : أخيف . وابن إبراهيم : هو المدوح . علق زول حبه بما لا يمكن وجوده . يقول : لا أزال أحبك ، لأن العيل لا يجره النمل ، والمدوح لا يرتاع ولا يروعه شيء . وهذا من حسن التخلص .

(٥) الصيت والصات : ذهاب الذكر الحسن بين الناس . والسرايا : جمع سرية ، الطائفة من الجيش . يقول : إنه كثير الغارات ، سراياه مبشورة فى الآفاق ، فإذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفا ورعبا .

(٦) الدهى والدهاء : النكر وجودة الرأى . والخشوع : الاستكانة والتذل . وخشوعا : اسم كان . واسم ليس : ضمير الخشوع . والجملة : اعتراض . يقول : يخفى مكروه ودهاءه بفض الطرف كأن به خشوعا ، وليس به ذلك الخشوع ، والله قول ابن الرومى فى هذا المعنى :

إِذَا اسْتَفْطَيْتَهُ مَا فِي يَدَيْهِ فَقَدْكَ سَأَلَ عَنْ حِرْمَانِهِمَا^(١)
 قَبُولُكَ مِنْهُ مَنْ عَلَيْهِ وَإِلَّا يَبْتَدِيءُ يَرَهُ فِطِيمًا^(٢)
 لَهُونَ الْمَالِ أَفْرَشُهُ أَدِيمًا وَلِلتَّفَرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيْعًا^(٣)
 إِذَا ضَرَبَ الْأَمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ فَأَلْكَرَامَةً مَدَّ لِلنُّطُوعَا^(٤)
 فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إِلَّا كَثِيرًا وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إِلَّا قَرِيبًا^(٥)

سأله وما تُتَقَى في رأى سَطَطَتُهُ دأبه وما يَنْطَوِي مِنْهُ عَلَى رِيْبٍ
 فَذَهَبَ لِلدَّوَاهِي الرُّبْدُ يَكْمَمُهَا وَسَهْوُهُ عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ وَالْغَيْبِ
 (١) قدك : أى حسبك وكفاك ، وقوله مذيعا - أى مفشيا - مفعول سألت يقول :
 إذا سأله جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذيع للأسرار إذا سأله عن سر
 أقشاه ولم يكتمه . كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يرضى به لأريحته .
 (٢) المن : النعمة . يقول : لأريحته واستلذذه العطاء بعد قبولك عطاءه منه -
 نعمة - مننت بها عليه ، وإن لم يبتدئ بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً منكراً
 قبيحاً . ومثله لأبى تمام :

يُعْطَى وَيَشْكُرُ مَنْ يَأْتِيهِ بِسَأَلِهِ فَشَكَرَهُ عِوَضُ وَمَالُهُ هَذَرٌ
 (٣) قالوا : إن المدحوح كان قد حمل إليه مال عجبى ، فأمر أن يفرش له أديم -
 جلد - ويطرح عليه فاعتذر له التنى وقال : إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه -
 أى هوانه - لأنه يريد أن يفرقه على القعقاد والشعراء وهو لم يفعل هذا ليحفظه من
 الضياع ويدخره في خزائنه ، ولكن يفرقه على السؤال . وقد مثل لهذا بالبيت التالى ،
 وهذا قريب من قول على بن الجهم :

وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا لِبَدْلَمَا كَمَا لَا يَسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ
 (٤) النطوع : كالأنطاع ، جمع نطع ، وهو الجلد الذى يبسط تحت من يراد قتله .
 يقول : ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة ، وإنما ذلك ليسان المجلس عن تلطيخه
 بالدم ، فكذلك بسطه النطع - الجلد - للمال ليس ذلك كرامة للمال وادخاراً له وإنما
 لتفريقه وإتلافه .

(٥) القريع - فى الأصل - الفعل الكريم ؛ سمى بذلك لأنه يفرع الإبل ؛

وَلَيْسَ مُؤَدِّبًا إِلَّا بِنَصْلِ كَفَى الصُّمُصَامَةَ التَّعَبَ الْقَطِيعًا^(١)
 عَلَى لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ حِجْيٍ مُبَارِزُهُ وَيَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا^(٢)
 عَلَى قَاتِلِ الْبَطْلِ الْمَقْدَى وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرْدِ النَّجِيمَا^(٣)
 إِذَا اعْوَجَّ الْقَنَا فِي حَامِلِيهِ وَجَازَ إِلَى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا^(٤)
 وَنَالَتْ ثَارَهَا الْأَكْبَادُ مِنْهُ فَأَوَّلَتْهُ ائْتِقَاقًا أَوْ صُدُوعَا^(٥)

والمراد به هنا : السيد الشريف . يصفه بأنه غاية في كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب إلا المال الكثير ، ولا يقتل إلا الشريف العظيم ؛ ولعله من قول مسلم بن الوليد :
 خَذَارٍ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ شَرِسٍ لَا يُولُغُ السَّيْفَ إِلَّا هَامَةً الْبَطْلُ
 وبيت المتنبي أشمل ، لأنه ذكر الكرم والهمة

(١) النصل : شفرة السيف ، والصمصامة : السيف الذي لا يثنى ، والقطيع : السوط الذي يقطع من جلد البعير . يصف شدته على المذنبين وأهل الريب يقول : أقام سيفه مقام سوطه في التأديب ، فأغنى الديف السوط عن التعب .

(٢) يقول : إن علياً - وهو اسم الممدوح - لا يمنع أحداً يأتي لمبارزته في الحرب ، ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالماً ، لأنه لا يكون إلا قتيلاً أو أسيراً

(٣) المقدي : الذي يقول له الناس فدتك نفوسنا ، لما يرون من شجاعته وهداه بأسه ، والزرد : حلق الدرع ، والنجيع : الدم الطيرى . يقول : يسلب البطل المقدي درعه ويكسوه بدله دماً ، أى أنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعاً مكان الدرع .

(٤) جواب إذا : قوله آتَى خُذ . واعوجج : يعنى انحنى والتوى ، لأن الرمح إذا طعن به اعوجج والتوى . وقوله في حامله : يعنى أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب . وقوله وراز إلى ضلوعهم الضلوعا : أى نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين قال الواحدى : قال المتنبي : كنت قلت :

* وَأَشْبَهَ فِي ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا *

ثم أنشدت بيتاً لبعض المولدين يشبه فرغبت عنه ، يعنى بيت البحترى :

فِي مَازِقِ ضَنْكِ تُمَخَّالٍ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا ائْتَحَنِينَ ضُلُوعَا

(٥) منه : أى من القنا ؛ وأولته : أنالته ، والصدوع : الشقوق ، جمع صدع

فَحِذْ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتَ الْخَبْعَيْنَةَ الشَّحِيمَا^(١)
 إِنْ اسْتَجَرَّتْ تَرْمُقُهُ بَعِيدَا فَأَنْتَ اسْطَفْتَ شَيْئًا مَا اسْتَطَعِمَا^(٢)
 وَإِنْ مَارَيْتَنِي فَارْكَبْ حِصَانَا وَمِثْلُهُ تَخَرَّ لَهُ ضَرِيمَا^(٣)
 غَمَامٌ رُبَّمَا مَطَرَ اُنْتِقَامَا فَأَقْحَطَ وَدَقَهُ الْبَلَدَ الْلَرِيمَا^(٤)
 رَأَى بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطَايَا تَيْشُمُهُ وَقَطَعَتِ الْقُطُوعَا^(٥)

يقول : واندقت الرماح - انكسرت - وتصدعت في الأكباد لشدة الطعن فكان
 الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً .

(١) هذا جواب : إذا عوج القنا ، والتقدير : إذا عوج القنا وجاز الضلوع إلى
 ضلوعهم ونالت ثأرها الأكباد منه : فخذ عنه ، والخبعتنة : من أسماء الأسد ، ويقال
 للنمر - والشجيع : الشجاع . يقول : إذا كان كذلك والتقى الجمعان فخذ - أى مل
 وتباعد عنه - وإن كنت شجاعاً قوى القلب كالأسد ، وإلا هلكت .

(٢) قال ابن جني : استجراً الرجل بمعنى جرؤ ، أى صار جريئاً ، وترمقه
 أى أن ترمقه ، فخذف ورفع الفعل . يقول : إن قدرت على النظر إليه في الحرب
 من بعيد فقد قدرت على شيء عظيم لم يقدر عليه أحد ، وهذا من قول أبي تمام :

أَمَا إِذَا عَشْتَ يَوْمًا بَعْدَ رُؤْيَتِهِ فَاذْهَبْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْفَارَسُ النَّعْدُ

(٣) يقول : إن جادلتني ولا جبتني في قولي هذا فاركب فرساً وصورة في نفسك
 كأنك تحاربه ، فإنك إذا فعلت ذلك سقطت على الأرض صريعاً قبل أن تلاقيه لهيبته
 وخوفك منه .

(٤) الودق : المطر ؛ وللربيع المربع : أى المخصب . يقول : هو غمام يطر النعم
 فيحيي بها البلاد ويسكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحبار ، كذلك هو
 ربما أمطر نعمة على الأعداء ، نصير مطره البلد المربع قحطاً مجدباً لما يلم به من الدمار .

(٥) القطوع : جمع القطع ، وهو الطنفسة تحت الرحل تغطي كتفي البعير . يقول :
 رآني بعد ما طال سفرى حتى قطع تيممه - أى قصدى إياه - مطايى - أى إلى -
 أى أنضأها وأعجزها عن السير ، وقطعت الإبل ما عليها من الطنافس : أى ألبتها بكثرة
 السير وطول المسافة .

فَصَيَّرَ سَبِيلَهُ بَلَدِي غَدِيرًا وَصَيَّرَ خَيْرُهُ سَنِي رَيْبَعًا^(١)
وَجَاوَدَنِي بَأْنَ يَعْطِي وَأُخْوِي فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخَذِي سَرِيْعًا^(٢)
أُمْنِسِي الشُّكُونَ وَحَضَرَمَوْتَا وَوَالِدِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيْعَا^(٣)

(١) الغدير : القطعة من السيل يفادها المطر . يقول : أعطاني حتى ملأني بالماء كما يملأ السيل الغدير ، وأصلح دهرى حتى صار كالربيع فصل الخصب والأمطار . وقد نحا في هذا منحى ابن الرومي في قوله .

فَضِيْفُهُ فِي رَيْبِعٍ طَوَّلَ مُدَّتِهِ وَجَارُهُ كُلَّ حِينٍ مِنْهُ فِي رَجَبٍ
وَابْنُ هِفَانٍ فِي قَوْلِهِ .

لِرَيْبِعِ الزَّمَانِ فِي الْحَوْلِ وَقْتُ وَابْنُ يَحْيَى فِي كُلِّ وَقْتٍ رَيْبِعُ
وَكَذَلِكَ الْبَحْرِيُّ :

فَكَمْ لَيْسَتْ الْخَفْضُ فِي ظِلِّهِ عُغْرَى شَبَابٍ وَزَمَانِي رَيْبِعٍ
(٢) جعل الأخذ منه جوداً عليه كما في قوله :

* قَبُولُكَ مِنْهُ مِنْ عَلَيْهِ *

يقول : جاودني ، أى غالبني في الجود ، فكان يجود على بالعطاء وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبني ؛ إذ لم أتمكن من استيعاب كل ما يعطينيه لتوافره حتى طفع عطاؤه على أخذى فأغرقه : أى كان في الإعطاء أسرع مني في الأخذ .

(٣) هذه أسماء أما كن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها . يقول : إن إحسانه ألهمه عن بلده وأهله ، وهذا من قول البحري :

جَفَوْتُ الشَّامَ مُرْتَبِعِي وَأَنْسَى وَعَلَوَةَ خُلُوتِي وَهَوَى فَوَادِي
وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي وَأَكْسَبَنِي سُلُوكًا عَنْ بِلَادِي
ومثله للراعي :

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنْسَانِي بَوْهَيْنَ مَالِيَا^(١)

(١) وبهين : اسم موضع ، وجبل من جبال الدهناء .

قَدْ اسْتَقْصَيْتَ فِي سَلْبِ الْأَعَادِي فَرَدُّ لَهُمْ مِنَ السَّلْبِ الْهَجُوعُ^(١)
 إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسَرْتَ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْهُلُوعُ^(٢)
 رَضُوا بِكَ كَالرَّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا وَقَدْ وَخَطَ النَّوَاصِي وَالْفُرُوعُ^(٣)
 فَلَا عَزْلٌ وَأَنْتَ بِلَا سِلَاحٍ لِحَاظُكَ مَا تَكُونُ بِهِ مَنِيعًا^(٤)
 لَوْ اسْتَبَدَّلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ قَدَدْتَ بِهِ الْمَغَافِرَ وَالذُّرُوعُ^(٥)

(١) استقصى في الأمر : بالغ ؛ والسلب الأول : - بسكون اللام - مصدر ؛ والثاني - بفتحها - المسمى للسلب ؛ والمهجوع : النوم . يقول : بالغت في سلب الأعداء فسلبتهم كل شيء حتى النوم ، فرد ذلك النوم عليهم فإنهم لا يجدون النوم خوفا منك .
 (٢) الهلوع . الجزع والخوف الشديد . يقول : إذا لم تغزم بجيشك غزوتهم بالخوف ، فهم لا يزالون خائفين منك جزعين ، وهذا قريب من قول أبي تمام :
 لم يغز قوما ولم ينهد إلى بلد إلا تقدمه جيش من الرعب
 (٣) وخط الشيب الشعر : خالطه ؛ والنواصي : جمع ناصية : مقدم الرأس ؛ والفروع : جمع فرع : الشعر . يقول : إنهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه .

(٤) العزل : مصدر الأعزل ، وهو الذي لا سلاح معه ؛ واللاحظ - بفتح اللام وبكسرهما - مؤخر العين ومنع الرجل يمنع مناعة : فهو منيع . والضمير في به : يعود إلى ما : أي لحاظك الشيء الذي تكون به منيعا . يقول : إذا كنت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح ، لأنك إذا نظرت إلى عدوك قتلتهم هبة لك ، فقام لحاظك مقام سلاحك فصرت به منيعا . وفي مثل هذا المعنى يقول الآخر :

لِحَظَاتٍ طَرَفِكَ فِي الْوَعْيِ تُغْنِيكَ عَنْ سَلِّ السُّيُوفِ
 وَعَزِيمُ رَأْيِكَ فِي النُّهْيِ يَكْفِيكَ عَاقِبَةُ الصُّرُوفِ
 وَسَيُولُ كَفِّكَ فِي الْوَرَى بَحْرٌ يَفِيضُ عَلَى الضَّعِيفِ

(٥) المغافر : جمع مففر : زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس . يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن حتى لو أخذ ذهنه بدلا من السيف لقطع به المغافر والدروع على الأعداء .

لَوْ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالٍ أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعاً^(١)
 سَمَوْتَ بِهَيْمَةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو فَمَا تُلْفِي بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعاً^(٢)
 وَهَبَكَ سَمَحَتْ حَتَّى لَا جَوَادٌ فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لَا رَفِيعاً^(٣)

(١) الجهد : الطاقة ، وأتيت على الدنيا : أى أهلكك من فيها جميعاً .

(٢) تلفى : توجد ؛ وقوله فتسمو : يجوز أن تكون خطاباً للممدوح : أى كلما سميت همتك ازددت علواً ، ويجوز أن تكون خبراً عن الهمة . يقول : سموت بهمة ، وتلك الهمة تسمو بك أبداً فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة .

(٣) يقول : أحسب أن جودك مما اسم الجواد عن الناس ، فكيف مما علاؤك اسم الرفيع عن كل شيء ؟ وجواد : مرفوع ، على أن لا : بمعنى ليس ، والألف - فى رقيقاً - ليس بدلا عن التنوين ، لأن لا : تنصب النكرة بغير تنوين ، وإنما هى للوصل والإطلاق .

﴿ نم - بحمد الله - الجزء الثانى ؛ ويليهِ - إن شاء الله - الجزء الثالث ﴾

فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان المتنبى

تابع قافية الدال

صفحة	مطلع القصيدة
٣	لكل امرئ من دهره ما تعودا ... في العدا
١٦	فارتكم فإذا ما كان عنكم ... يد -
١٧	أهلا بدار سبائك أعيدها ... خردها
٣٨	كم قتيل كما قتلت شهيد ... الحدود
٤٩	أقصر فلست بزائد ودا ... الحدا
٥١	اليوم عهدكم فأين الموعد ... غد
٦٣	أيا خدد الله ورد الحدود ... القدود
٦٩	إن القوافي لم تتمك وإنما ... يوجد
٦٩	محمد بن زريق ما نرى أحدا ... سدا
٧٠	ما الشوق مقتنعا مني بهذا الكمد ... كجد
٧٤	أجاد أم سداس في أحاد ... بالتناد
٨٦	أجل نرى أم زمانا جديدا ... أعيدا
٩١	يستعظمون أياتا نأمت بها ... الأسدا
٩١	أقل فعالي بله أكثره مجد ... جد
١٠٢	أما الفراق فإنه ما أعهد ... يولد
١٠٣	لقد حازني وجد بمن حازه بعد ... وجد
١١٢	وزيارة عن غير موعد ... للسهد
١١٣	يامن رأيت الحليم وغدا ... عبدا
١١٣	أمن كل شيء بلغت المرادا ... العبادا
١١٤	وشامخ من الجبال أقود ... الأصيد
١١٦	ماذا الوداع وداع الومق الكمد ... للجسد

صفحة

مطلع القصيدة

- ١١٧ وبينة من خيزران ضمنت . . . في يد
١١٨ وسوداء منظوم عليها لآلى . . . من الند
١١٨ أتسکر ما نطقت به بديها . . . الجواد
١١٩ أود من الأيام مالا توده . . . جنده
١٣١ حسم الصلح ما اشتته الأعادى . . . الحساد
١٣٩ عيد بأية حال عدت يا عيد . . . تهديد
١٤٨ جاء نيروزنا وأنت مراده . . . زناده
١٥٩ بكتب الأنام كتاب ورد . . . يد
١٦١ نسيت وما أنسى عتابا على الصد . . . الحد
١٧٣ أزار يا خيال أم عائد . . . راقد
١٨٢ وشاذن روح من يهواه في يده . . . مقلده

قافية الذال

- ١٨٥ أمساور أم قرن شمس هذا . . . الأستاذا

قافية الراء

- ١٩٠ سرحل حيث تحل النوار . . . المقدار
١٩٣ اخترت دهماءتين يامطر . . . الخير
١٩٤ رضاك رضاي الذي أوتر . . . أظهر
١٩٦ أرى ذلك القرب صار ازورارا . . . اختصارا
١٩٩ الصوم والفطر والأعياد والعصر . . . والقمر
٢٠١ ظلم لهذا اليوم وصف قبل رؤيته . . . النظر
٢٠٢ طوال قنا تطاعنها قصار . . . بحار
٢١٧ بقية قوم آذنوا بيور . . . عقار
٢١٧ إذا لم تجد ما يتر الفقرا قاعدآ . . . العمرآ
٢١٨ حاشي الرقيب غفاته ضمائر . . . بوادره
٢٢٦ أريقك أم ماء الغامة أم خمر . . . جمر
٢٣١ إني لأعلم واللييب خير . . . غرور

صفحة	مطلع القصيدة
٢٣٥	غاضت أنامله وهن بحور معير
٢٣٨	آلال إبراهيم بعد محمد وزفير
٢٣٩	مرتك ابن إبراهيم صافية الحجر السكر
٢٤٠	أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة بقادر
٢٤١	نال الذى نلت منه منى الخجور
٢٤٢	وجارية شعرها شطرها أمرها
٢٤٣	إن الأمير أدام الله دولته مضر
٢٤٤	زعمت أنك تنفى الظن عن أدبى مقداراً
٢٤٤	برجاء جودك يطرد الفقر العمر
٢٤٥	لا تنكر رحيلى منك فى عجل مختار
٢٤٥	عذيرى من عذارى من أمور الخدور
٢٤٩	ووقت وفى بالدهم لى عند واحد كثيراً
٢٤٩	أنشر الكباء ووجه الأمير الخجور
٢٥٠	لا تلومن اليهودى على فلا ينكرها
٢٥٠	إنما أ حفظ المديح بعينى فى الأمير
٢٥١	ترك مدحيك كالمجاء لنفسى الكثير
٢٥٢	بسيطة مهلا بقتت القطاراً حيارى
٢٥٢	أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر الصبر
٢٦٤	باد هواك صبرت أم لم تصبرا جرى
	قافية الزاى
٢٨١	كفرندى فرند سيني الجراز للبراز
	قافية السين
٢٩٤	ألا إذن فما أذكرت ناس قاس
٢٩٤	أطبية الوحش لولا ظبية الأنس تعس
٣٠٠	ألك من اللدام الخندريس الكتوس
٣٠١	هذى برزت لنا فهبت رسيماً نسيماً
٣١١	يقل له القيام على الرؤوس النفوس

صفحة	مطلع القصيدة
٣١١	أنوك من عبد ومن عرسه . . . نفسه
٣١٤	أحب امرئ حبب الأتقس . . . معطس
	قافية الشين
٣١٦	مببق من دمشق على فراش . . . حاش
	قافية الضاد
٣٢٦	فعلت بنا فعل السماء بأرضه . . . نقضه
٣٢٧	إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض . . . المحض
٣٢٧	مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضى . . . الغمض
	قافية العين
٣٢٩	لا عدم الشيع المشيع . . . تصنع
٣٣٠	غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع . . . شجعوا
٣٤٤	حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا . . . أشيع
٣٥٦	شوق إليك نفي لذيد هجوى . . . ضلوعى
٣٥٧	ملث القطر أعطشها ربوعاً . . . التقيعاً

المشتم
عفا الله عنه

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَمَّا نَتْ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالْبَسْطِ وَالِاسْتِيعَابِ بِمَعْنَى تَلَاوُثِ
فِي الشَّيْءِ جَمِيعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَارَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُغْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثالث

الناشر دار الكتاب العربي
بجدة - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب :

أَرْكَائِبَ الْأَحْبَابِ إِنْ الْأَذْمَاءُ تَطِسُ أَخْلُدُودَ كَمَا تَطِسُنَ الْيَزْمَاءُ^(١)
فَاعْرِفْنِ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى وَأَمْشِينَ هَوْنًا فِي الْأَزْمَاءِ خُضْمًا^(٢)
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعًا^(٣)
حَتَّى كَانَ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةٌ فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَذْمَعًا^(٤)
وَكُنِّي بِمَنْ فَضَحَ الْجَدَايَةَ فَاضِحًا لِحُجْبِهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعًا^(٥)

(١) أركائب . أى ياركائب ؛ والركائب : جمع الركوب ، وهى الإبل تركب ؛
وتطس : تدق ؛ والوطس : الدق ؛ واليرمع : حجارة بيض صفار رخوة . يقول : إن
الدموع تفعل بالحدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التى تطوها : يعنى أن تأثير الدموع
فى الحدود كتأثير الإبل فى الحجارة .

(٢) النوى : البعد ، فاعل حملت ، وهى مؤنثة ، والأزمة جمع زمام ما تقاد به
الدابة . يقول للابل : اعرفنى قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكى ، واعرفنى لينها
ورقتها ، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى ، فامشين بها رويداً خضعاً حتى لا تأذى
بسيركن ومرحكن .

(٣) البكا : - يمد ويقصر - والأشهر : الد . يقول : قد كان حياى يغلب بكائى ،
واليوم غلب بكائى حياى .

(٤) الرنة : فعلة من الرنين ، وهو صوت الباكي ، والضمير فى جلده : للعظم ؛
ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع : مجرى الدمع ؛ يقول : لكثرة
بكائى صار شأن كل عظم من عظامى رن رنيناً ، وكل عرق لى يبكى : أى غلب البكاء
حتى صارت حالى بهذه الصفة . قال ابن وكيع : وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :
وَمُتِّمٌ جَرَّحَ الْفِرَاقُ فَوَادَهُ فَالدمع من أجفانه يترقرق
وإلى قول الآخر :

وَكُنْ لِي فِي كُلِّ عَضْوٍ وَاحِدٍ قَلْبًا يَرْنُ وَتَاطَرًا مَا يَطْرِفُ

(٥) الجداية : الظبية ، وفاضحا : تميز ، والمصرع : المقتل ، مصدر ميمي - من
صرعه : أى طرحه على الأرض - يقول : من فضح الجداية بحسنه كنى فاضحاً لمن يحبه
وكنى بمصرعى فى حبه بمصرعاً ؛ يعنى أنه غاية فى الحسن وأنا غاية فى الحب والعشق .

سَفَرَتْ وَبَرَقَمَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ حَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقَمًا^(١)
فَكَأَنَّهَا وَالِدَمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسِنَطَى لَوْلُؤٍ قَدْ رُصِّعًا^(٢)
كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْلَى أَرْبَعًا^(٣)
وَأَسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا^(٤)
رُدِّي الْوِصَالَ سَقَى طُلُوكَ عَارِضٌ لَوْ كَانَ وَصْلُكَ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعًا^(٥)

(١) يقول : سفرت - كشفت عن وجهها للوداع ، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة كأنها برقع يستر حاجرها - ما حول العين - ويخفى محاسنها ، ولم تكن برقعا على الحقيقة ؛ يعنى أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها .

(٢) السمط : خيط القلادة . والضمير من كأنها : للصفرة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط . شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ .

(٣) يقول : صارت الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال ، لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها . والدوائب : جمع ذؤابة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والأصل ذائب ، فأبدل من الحمزة الأولى واوًا تخفيفا .

(٤) قال الواحدى : يجوز أن يريد بالقمرين : القمر والشمس ، وهى وجهها ، وجعل وجهها شمسًا فى الحسن والضياء ؛ ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر ، فهما قران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر .

وَإِذَا الْغَزَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَرَفَعَتْ وَبَدَأَ النَّهَارُ لَوْقَتَهُ يَتَرَحَّصِلُ
أُبْدَتْ لَوَجْهِ الشَّمْسِ وَجْهًا مِثْلَهُ يَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقْبِلُ
ويقول صريع الغواني :

فَبِتْ أُسِرْتُ الْبَدْرَ طَوْرًا حَدِيثُهَا وَطَوْرًا أَنَا جِى الْبَدْرَ أَحْسِبُهَا الْبَدْرَا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ اللَّيْلَ مَنكَشَفَ الدَّجَى يُودِّعُ فِي ظُلُمَائِهِ الْأَنْجَمَ الزُّهْرَا
وهذا المعنى كثير فى كلامهم .

(٥) الطلول : جمع طلل ، وهو رسم الدار ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ وأقشع : أفلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك ، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال لو كان وصالك مثل السحاب الذى أعناه للطلول أى دائما لا يتفرق - لكان دائما لا ينقطع

زَجَلٌ يُرِيكَ الْجَوْ نَارًا وَالْمَلَأَ
كَبَنَانِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْغَدَقِ الَّذِي أَرَوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَاءُ وَأَفْرَعًا^(٢)
أَلْفَ الْمُرُوءَةِ مَذُنْشَا فَكَأَنَّهُ سَقَى اللَّبَانَ بِهَا صَبِيًّا مُرَضًّا^(٣)

(١) زجل : يسمع له زجل ، وهو الصوت : يعنى صوت الرعد ؛ والملا : المتسع من الأرض أو الصحراء ؛ والتلعات : جمع تلعة ، التل يجرى منه الماء إلى الوادى والمرع الخصب . يصف هذا السحاب يقول : إنه يملأ الجو بيرقه حتى يرى نارا ، ويملأ المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر ، ويخصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الخصب ؛ وقد جمع فى هذا البيت مافرقه غيره وأبدع فيه ، قال أبو تمام .

أَصْ لَنَا مَاءٌ وَكَانَ بَارِقًا

[أى رجع ماء بعد البرق] وقال ابن دريد :

كَأَنَّمَا الْبَيْدَاهُ غِيبَ صَوْبِهِ بِحَرْطٍ طَمَّ تَبَارَهُ ثُمَّ سَجَا

(٢) الغدق : الكثير قال تعالى « لأستقينهم ماء غدقا » أى كثيراً . شبه ذلك السحاب الذى وصفه بينان - أصابع - الممدوح الكثير الجود ، وهذا مخلص حسن ؛ ومثله للبحترى :

كَأَنَّمَا حِينَ تَجَلَّتْ فِي تَدَقُّقِهَا أَيْدَى الْخَلِيفَةِ لَهَا سَالٌ وَدَايَا

(٣) المروءة : الكرم ؛ واللبن : جمع اللبن ، وصبييا حال . يقول : ألف الكر ناشا ، فكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيا . وهذا من قول أبى تمام :

لَيْسَ الشَّجَاعَةُ لَهَا كَأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ قَدَمًا نَشُوعًا فِي الصَّبَا وَلَدُودًا

« النشوغ : الوجور والسعوط يقال نشفت الصبي وجورا فانتشفه جرعه جرعة بعد جرعة واللدود ما يصب بالمسقط من السقى والدواء فى أحد شقى الفم ولديد الفم جانباه » وإليك طرفة نحوية للعكبرى النحوى الكوفى ، قال : مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف . وقال البصريون : هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجرورا بهما ، وحجتنا أنهما مركبان من « من » و « إذ » تغيرا عن حالهما فى أفراد كل واحد منهما ، فحذفت الحمزة ووصلت « من » بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب . والدليل على أنها مركبة من « من » و « إذ » أن من العرب من يقول فى « منذ » منذ —

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَامًا فَاَعْتَادَهَا فَإِذَا سَقَطْنَ تَفَرَّعًا^(١)
تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِيعِ بَارِقًا تِ وَالْعَالِي كَالْعَوَالِي شُرْعًا^(٢)
مُتَبَسِّمًا لِعِفَاتِهِ عَنِ وَاضِح تَغَشَّى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللَّمَعًا^(٣)

بـ كسر الميم — فدل على أنها مركبة وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدها بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » والتقدير : ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران ؛ وإذا كان الاسم بهما مخفوضا كان الحذف بهما اعتباراً بـ « من » ، ولهذا المعنى كان الحذف بمنذ أجود لظهور نون « من » فيها ؛ والرفع بـ « مذ » أجود لحذف النون منها تغليبا لإذ ؛ وبدل على أن أصل « مذ » و « منذ » واحد : أنك لو سميت بهما قلت في تصغير مذ : منيد وفي تكسيره : أمناذ ؛ فترد النون المحذوفة ، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها : وحجة البصريين أنهما معناهما الأمد ، إذا قلت ما رأيته مذ يومان : فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان ؛ والأمد في موضع رفع بالابتداء فكذلك ما قام مقامه وإذا ثبت أنهما مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدهما خبراً .

(١) التامم : جمع تيممة : العوذة تعلق على الصبي للوقاية من العين ، قال الواحدي : من روى نظمت — بضم النون — فالعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التامم التي تعلق على من خاف شيئاً ، فإذا سقطت عنه عاد الخوف : أى أنه ألف الإعطاء واعتاده ، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تيممته ؛ ومن روى بفتح النون : فإنما يعنى ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء ، فهو إذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك ، وكان كمن ألقى تيممته فيفزع ؛ وهذا من قول أبي تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جَنُوبُهَا إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبٍ

(٢) الصنائع : الأيادي والنعم والعروف . والقواطع : السيوف ، وبارقات مشرقات والعوالى : الرماح ؛ وشرعا : منتصبة مرتفعة . يقول : جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف ، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس وقال ابن جني : يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح .

(٣) متبسم : حال من فاعل ترك ؛ والعفاة : جمع عاف : السائل ؛ وعن واضح : أى عن ثغر واضح ؛ وتغشى : تغطى . ولوامعه : ثنائه . يقول : يتسم للسائلين عن عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق ، ويروى ، تغشى : أى تذهب نور أبصارها ؛ وهو من قول العباس بن الأحنف :

مُتَكَشِّفًا لِدُائِهِ عَن سَطْوَةٍ لَوْ حَكَ مِنْكِبُهَا السَّمَاءُ لَزَعَزَعَا^(١)
 الْحَزَمَ التَّقِيطَ الْأَغْرَ الْعَالِمَ الْفَطْنَ الْأَلَدَ الْأَرِيحَى الْأَزْوَعَا^(٢)
 الْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْوَائِبَ النَّدُسَ اللَّيْبَ الْهَبْرَزَى الْمَصْقَعَا^(٣)
 نَفْسٌ لَهَا خُلِقَ الزَّمَانُ لِأَنَّهُ مُفْنِي الثُّغُوسِ مُفْرَقٌ مَا جَمَعَا^(٤)
 وَيَدٌ لَهَا كَرَمٌ الْفَنَامُ لِأَنَّهُ يَسْقِي الْعِمَارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلْقَعَا^(٥)

مُتَسَرِّبِلِينَ سَوَائِفًا مَادِيَةً تَعْنِي الْقَوَانِسُ فَوْقَهَا الْأَبْصَارَا^(١)

(١) حك : بـ روى صك ؛ والمعنى : زاحم : لأنه يظهر للأعداء سطوة لوزاحم منكبها السماء لزعزعا : أى أنه يجاهر الأعداء بالقدره عليهم ولا يكاتمهم العداوة ؛ واستعار لسطوته منكباً لما جعلها زاحم السماء ، لأن الزحام يكون بالنكاب .
 (٢) و (٣) الحازم : ذو الحزم فى أموره ؛ واليقط : الكثير التيقظ الذى لا يغفل عن أموره والأغر : الشريف ، وبرى الأعر ؛ والألد : الشديد الخصومة ، والأريحي : الذى يرتاح للمعروف والكرم : أى يهتز لها ويتحرك ؛ والأروع : الذى يروعك بجماله أو الحاد الذكى ؛ واللبيق : الخفيف فى الأمور ؛ والندس : الفطن . والهبزى : السيد الكريم ؛ والمصقع : الخطيب البليغ .

(٤) يقول : إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء ، وكذلك هذا المدوح يفتى أعداءه كما يفتى ماله ، فهو جواد كثير الغارات ، وهذا قريب من قول أبى نواس : وما هو إلا الدهر تأتي صرُوفه على كل من يشقى به ويُعادي

(٥) العماره — بكسر العين — الأرض العامرة ؛ والبلقع : المكان الخالى الذى لاعماره فيه . يقول : إنه يعطى كل أحد أ كان غنيا أم فقيراً ، كما أن الغمام يسقى كل موضع : أعامراً أم غامراً . ومثله لا بن المعتز :

وَيُصِيبُ بِالْجُودِ الْفَقِيرُ وَذَا الْفَنَى كَالْفَيْثِ يَسْقِي مُجْدِبًا وَمَرِيحًا
 وَآخِرُ مَخْاطَبِ الْفَيْثِ :

وَلَيْسَ يَخْصُ أَرْضًا دُونَ أَرْضٍ وَكَفَّاهُ تَمَنُّانِ الْبِلَادَا
 وروى الخوارزمي : العماره — بفتح العين — وقال : يعنى القبيلة ، كأنه قال يسقى المكان الذى به الناس والخالى .

(١) القوانس : جمع قونس ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها أو أعلاها ، والمادية : الدرع البيضاء أو السهلة اللينة .

أَبَدًا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفِرٍ وَافِرٍ وَيَلْمُ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَّصِدًا^(١)
يَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى أَهْتَزَّازَ مَهْنَدٍ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزَتْهُ يَوْمَ الْوَعَى^(٢)
يَا مُغْنِيَا أَمَلِ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا^(٣)
أَقْصَرَ وَلَسْتُ بِمَقْصِرٍ جُزْتَ الْمَدَى
وَبَلَغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارَبِّمَا^(٤)

(١) الشعب: الشمل؛ ويصدع: يفرق؛ والوفر: الغنى؛ ويلم: يجمع. يقول: إنه أبداً يفرق شمل المال بالمطاء. ويجمع مفرق المكارم، وقد جمع في هذا البيت بين التطبيق والتجنيس، وقال أبو تمام:

له كل يوم شملٌ مجدٍ مؤلفٍ وشملٌ ندَى بين العفاة مُشْتَتٍ
وقال البحري:

ومعال أصارها لاجتماع شملٍ مالٍ أصاره لافتراق
(٢) الجدوى: العطاء؛ والمهند: السيف؛ ويوم الرجاء: متعلق بهتز؛ والوعى - بالعين والغين - جلبة الحرب وصوتها؛ والجملة قبله: صفة لمهند. يقول: يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الخطيئة:

كسوبٌ ومتلافٍ إذا ما سأله تهللٌ واهتز اهتزاز المهند
ولشم بن نويرة:

تراه كفصل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمأ
(٣) لقَاؤُهُ: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعائه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.
(٤) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربما: أراد فاربعن، فوقف بالألف؛ ومعناه: كف حسبك. وقوله: ولست بمقصر. جملة اعتراضية. قال الواحدى: يحتمل أمرين: أحدهما: أنى أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإقصار، والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك المدى - الفاية - وهذا قريب من قول أبي تمام:

يأليت شعري من هذى مناقبه ماذا الذى بُلُوغِ النجوم ينتظر

وَحَلَّتْ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعًا
لَمْ يَخْلُ النِّقْلَانِ مِنْهَا مَوْضِعًا^(١)
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعًا^(٢)
نَفَذَ الْقَضَاءَ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّمَا أَرْمَمْتَ شَيْئًا أَرْمَمًا^(٣)
وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِي كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعًا^(٤)
أَكَلْتَ مَفَاخِرَكَ الْمَفَاخِرَ وَانْتَنَتْ عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطْيُ وَصْنِي ظُلْمًا^(٥)

(١) لك أن تقرأ الفاعل بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن ؛ وبكسرهما : جمع فعل ؛
والنقْلان : الجن والإنس :

(٢) يقول : حويت فضل الثقلين - الجن والإنس - وهذا الفضل لم يطمع في نيته
أحد ولا حدثته به نفسه بعد مناله .

(٣) أزمع الشيء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك ، فكلماً أردت شيئاً وأزمعته
أنفذه ، فقله : لك ، خبر كأن : أى كأنه موافق لك ولك أن تجعل لك : صلة أزمع : أى أن
القضاء منفذ لما تريد ، فكلماً أزمعت أمراً أزمع هو ذلك الأمر لأجلك . هذا : وقد
قال الحليل : أزمعت على الأمر فأنا مززع عليه : إذا مضيت فيه وثبت عزمك عليه .
وقال الكسائي : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه ؛ قال الأعشى :

أَأْزَمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلِ ابْتِكَارًا وَشَطَطْتُ عَلَى هَوًى أَنْ تَزَارَا
وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه بمعنى ، مثل أجمعته وأجمعت عليه :

(٤) العصى : العاصي ، فاعل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لا يطيع أحداً
قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة .

(٥) انتنت ؛ رجعت ؛ والشأو : الغاية ؛ والمطى : جمع مطية : الركوبة ؛ والظلم
جمع الظالم ، الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حق
أنتها فليس لأحد منهم غر ، وانصرف مطايا وصفي قلصرة عن غايتها - أى لم يبلغ
قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام :

هَدَمْتَ مَسَاعِيهِ الْمَسَاعَى وَانْتَنَتْ خُطَطُ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاصِ الْفَرَقْدِ

وَجَرَيْنِ تَجْرَى الشَّمْسُ فِي أَفْلاكِهَا فَقَطَعْنَ مَغْرِبَهَا وَجُزْنَ الْمَطْلَعَا^(١)
لَوْ نِطَلَّتِ الدُّنْيَا بِأُخْرَى مِثْلَهَا لَعَمَّمَهَا وَخَشِينَ أَنْ لَا تَقْنَعَا^(٢)
فَمَتَى يُكَذِّبُ مُدَّعِي لَكَ فَوْقَ ذَا وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا مَا أَدْعَى^(٣)
وَمَتَى يُؤَدِّي شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٍ حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزَرَ مِمَّا ضَيَّعَا^(٤)

(١) يقول : وجرت مفاخرك في الأرض مجرى الشمس في الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب . قال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول حبيب :

أَمْلَعِ الشَّمْسُ تَبْنِي أَنْ تَوْمَ بِنَا فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ
وهذا تعسف من ابن وكيع ، وقد كان من المولعين بنقد المتنبي وإصفاء إنائه ، وإلا فأى تناسب بين البيتين ؟ وإنما بيت أبي تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب أن يقول : إنه من قول علي بن الجهم :

وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر
أو من قول أبي قيس بن أبي رفاعه - شاعر جاهلي - يصف قصيدة :
تسير مسير الشمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواه الرجال نشيدها
(٢) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضاً وخافت أن لاتقنع منها بذلك . وروى لعمتها - والضمير للممدوح - وخشيت - بضم التاء - والضمير للمتنبي : أى لعمتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لاتقنع بها لأن همتك تقتضى فوقها .

(٣) يقول : لا يكذب من ادعى لك فوق هذا ، لأن الله يشهد بتصديقه ، وذلك ما خلقه الله فيك من علو الهمة والفرائض المتوافرة ، وكان الوجه أن يقول : إن ما ادعى حق ، لجعل الخبر الذى هوى نكرة - وهو حق - فى موضع الاسم ونصبه بأن ، وجعل الاسم الموصول - ما ادعى - فى محل الخبر ، وذلك جائز فى ضرورة الشعر .

(٤) النزر . هو القليل ، فهو تأكيد معنوى : يعنى نفسه . يقول : إنما يحفظ القليل من أحوال مفاخره ، لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها - على حد قول أبي نواس :

* حَفِظْتُ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْفَتَى إِلَّا كَذَا رَجُلًا قَسَمَ النَّاسَ طُرًا إَصْبَعًا^(١)
 إِنْ كَانَ لَا يَسْتَعَى الْجُودَ مَا جِدَ إِلَّا كَذَا فَالْفَيْثُ أَبْجَلُ مَنْ سَعَى^(٢)
 قَدْ خَلَفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ أَبْنَهُ مَرَأَى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعًا^(٣)

* * *

وحفظ القليل مما ضيعا : أى من جنس ماضيه ، لأن المحفوظ لا يكون من المضيع ،
 ولكن يكون من جنسه .

(١) رجلا : مفعول ثانٍ يدعى ؛ وطرا : أى جميعاً ، حال . يقول : إن كان
 لا يدعى الفتى رجلاً إلا إذا كان كذا : أى كهذا المدوح فسم الناس جميعاً إصبعا ،
 لأنهم لو وزنوا بإصبعك ماوفوا ؛ أو لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل ، قال .
 الواحدى : وكان هذا المدوح يلقب بذى الإصبع ، وكان له إصبع زائدة : وروى
 الخوارزمى إصبعا - جمع الضبع - يريد . كلهم بالإضافة إليك ضباع لأنك حزت شرفا
 وقدرأ لم ينله إلا أنت . قال ابن وكيع : وهو من قول أبى النعم :

لو كان خلق الله جنبا واحداً وكنت فى جنبٍ لكنت زائداً
 ومن قول عمر بن أبى ربيعة :

ولو سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلت جانباً

ليمت جانبها إننى أرى قربها العجب العاجبا

(٢) يقول : إن كان لا يصح سعى ما جد لجود حتى يفعل مثل فعلك ، فالغيث أبجل
 الساعين بعد ما بينه وبينك ووقوعه دونك ؛ وجعل الغيث أبجل الساعين بمبالغة ،
 قال ابن وكيع :

سقيت فكان الغيث أدنى مسافة وأضيق باعا من نذاك وأتصرا

(٣) ابنه - بحذف حرف النداء - أى يا ابنه ؛ وغرة الشخص : طلعه : ومرأى
 ومسمعا : حالان . يقول : قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك
 وليبق ذكرها إلى يوم القيامة .

وقال يرثى أبا شجاع فاتكا ، وقد توفى بمصر سنة خمسين وثلاثمائة ، وكانت هذه
المرثية بعد خروجه من مصر :

الْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالْدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَيِّعُ^(١)
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ^(٢)
النُّومُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعِي وَالْكَوَاكِبُ طُلُعُ^(٣)
إِنِّي لِأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَنَحْسُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجِعُ^(٤)
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً وَيُؤْلِمُ بِي عَتَبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ^(٥)

(١) يقول : الحزن لأجل المصيبة يقلقى ، والتجمل - تكلف الصبر - يمنعه عن
التهاك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل فيحتبس مطيع للقلق فينسكب ،
وبذاك عصي صاحبه تارة ويطيعه أخرى .

(٢) عني بالمسهّد - أى الكثير السهاد ، الممنوع عنه النوم - نفسه . يقول : الحزن
والصبر يتنازعان دموع عيني فالحزن يجيء بها - أى يجريها والتجمل يردها .

(٣) يقول : النوم بعد أبى شجاع لا يألّف العين : أى لا تنام العيون بعده حزنا
عليه ، والليل يطول فلا ينقضى ، كأنه قد أعيّا عن المشى - كل من التعب - فانقطع ؛
والكواكب طلعت - كالمرجى - لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب . يريد طول الليل
لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه . وعبرة ابن جنى : لو كان الليل والكواكب مما
يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته . وقال الخطيب : إنما أراد أن الليل طويل لفقده
فالليل معى والكواكب طلعت ما تسر . يريد طول الليل للحزن .

(٤) الحمام : اللوت . يقول : أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء وأشجع
عند الموت فى ميدان الوغى فلا أهابه : يعنى أن الفراق أعظم خطبا عنده من الموت ،
كما قال أبو تمام .

جليد على عتب الخطوب إذا عرت ولست على عتب الاخلاء بالجليل

(٥) يقول : إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم ، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا ،
ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله ، كما قال أشجع السلى :

يُعْطَى زِمَامَ الطَّوْعِ إِخْوَانُهُ وَيَلْتَوِي بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ

تَصِفُوا الْحَيَاةَ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ^(١)
وَلَيْنَ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمَحَالِ فَتَطْمَعُ^(٢)
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ^(٣)
تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَنْتَبِعُ^(٤)

وبعد : فإن المتنبي يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند المودة والملاينة ، وشدته عند المباشطة والمقاومة .

(١) قوله عما مضى : متعلق بغافل ؛ ويتوقع : ينتظر . يقول : إنما تصفو الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها ، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر في المواقب من انقضائها أو أحداثها التي لا يطيق لها احتمالا ، أما العاقل الفطن الذي ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريغها فإنها لا تصفوله .
(٢) يسومها : يكافئها ؛ ويعني بالحقائق : ما لا شك فيه للعاقل ، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار ، والإنسان فيها على خطر عظيم ، وأن الحياة ، فانية فمن غالط في هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقي عن نفسه الفكر في المواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء في السلامة مع نيل المراد فطمعت في ذلك .

(٣) الهرمان : هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط - وهما معروفان ، وكل ما يتعلق بهما ، وبمن بناهما ، والغاية التي بناها لها : معروف ، فراجعه إن شئت : يقول أين من بناهما ؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم موته ؟ وكيف كان مصرعه ؟ يعني أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه ، فما يعرفون ولا يعرف بأي مية هلك ، ولا في أي وقت لطول عمر الدهر عليه . يريد أن الدنيا مغبة لأهلها منكرة على من اغتر بها ، وأن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرُونَ إلى الفناء . وعبرة العكبري : قوله أين الذي الهرمان من بنيانه : استدل ببناهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته : أي أين هو وقوته ؟ وأين قومه وكثرتهم ؟ وأين عددهم وعددهم ؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وأفته ؟ أما فرقت شمله وشنته ؟ أما في بطن الأرض غيبته ؟ وكأنه في هذا ينظر إلى قول عدى بن زيد :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَإِنْ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ

يريد أن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرُونَ إلى الفناء .

(٤) يقول : إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم

لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعَهُ مَوْضِعٌ^(١)
كُنَّا نَنْظُرُ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعَ^(٢)
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أُعُوجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ^(٣)
الْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَافِقَةٌ

مِنْ أَنْ يَعِيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ^(٤)

وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها ، والمعهود من تصاريقها .

(١) يقول : إنه - بعد مرتقى همته - لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه في الملا حتى يطلب ما فوقه ، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنه لا يشبع طموحه .

(٢) البلقع : الحالى . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالا لأنه كان جواداً معطاء .

(٣) وإذا : عطف على وكل دار بلقع - في البيت السابق - وكل روى بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع . كل شيء يجمعه وعلى النصب يجمع كل شيء من هذه الأشياء . يقول : وإنما كل ما كان يجمعه في حياته المكارم والأسلحة والخيول ، أما الذهب فلا ، لأنه كان يفرقه بالعطاء ، فبنات أعوج : يعنى الخيل ؛ وأعوج : خيل مشهور من خيل العرب ، تنسب إليه الخيل الأعوجية ؛ قيل سمي بذلك لأن غارة وقعت على أمحابه ليلا وكان مهرا ، ولضنهم به حملوه في وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة ، فاعوج ظهره وبقي فيه العوج ، فلقب بالأعوج ؛ وقد جاء في معنى بيت المتنبي شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم ، وقد قائلهم :

إِذَا خَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُ خَطِيئَةٌ وَدَرُوعٌ

وقال مروان بن أبى حفصة في معن بن زائدة يرثيه :

وَلَمْ يَكْ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ حَدِيدَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمَذَلَّ

(٤) الأروع : الذكى الفؤاد . يقول : إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأتقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى ؛ يعنى أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع ثمرها وقال العسكبرى - عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفقة : إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل ، لأنك تفصل نال المكارم بين أخسر وبين صفقة ،

وهي منصوبة بأخسر - التي هي عطف على المجد - وهذا غير جائز ، لأن صفقة تحمل من أخسر محل الصلة من الموصول ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيد أحسن وعمرو وجها ، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر ، وهو أن تجعل المكارم عطفاً على الضمير في أخسر ؟ فإن عطفته على الضمير الذي فيه لم يكن أجنياً منه ، فلا يعد فصلاً بينهما وبين صفقة ، فيصير نحو قولك : مررت برجل أكل وعمرو خبزاً ، بعطف عمرو على الضمير في أكل ونصب خبزاً بأكل ، وفي نوادر أبي زيد :

نغير نحنُ عند البأسِ منكم إذا الداعي المثوبُ قال يالاً^(١)

فلا يجوز أن يكون نحن : مرفوعاً بالابتداء ، ومنكم : متعلق بغير - على أن يكون «خير» خبر المبتدأ - لثلاث يفصل «نحن» بين «خير» ومنكم ، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيداً للضمير في «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، فكأنه قال : فنحن خير عند الناس منكم ؛ وحسن حذف «نحن» الأولى التي هي مبتدأ لمجيء الثانية توكيداً للضمير في «خير» ، ويجوز وجه آخر وهو أن تنصب « صفقة » بفعل مضمر يدل عليه «أخسر» ، وتجعل «المكارم» عطفاً على «المجد» - لا على الضمير في «أخسر» فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجري مجرى الصلة والموصول ، فيصير التقدير : المجد أخسر والمكارم أيضاً كذلك ، ثم قال صفقة وكأنه قال خسرت صفقة فدل أخسر على خسرت كما دل أعلم في قوله تعالى «إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله» على يعلم

(١) بعده :

ولم تثقِ العواتقُ من غيورٍ بغيرتهِ وخَلَيْنِ الحُجْجِ
وقد نسب أبو زيد في نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبي ولأئمة النحاة في إعراب «نغير نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا والبأس : الشدة والقوة : والثوب : الذي يدعو الناس يستنصرهم ؛ والأصل فيه أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعري ويلوح بثوبه رافعاً صوته ليري فيغاث ؛ ويالا : أراد يالفلان ، أو يالبنى فلان . وجملة لم تثق : عطف على مدخول إذا ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهي التي خرجت عن خدمة لأبويها وعن أن يملكها الزوج ، والحجال : جمع حجلة ، وهو بيت كالقبة . يريدأنهن في يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحميهن الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم

وَالنَّاسُ أُنْزِلُوا فِي زَمَانِكَ مَزْلًا
بَرِّدْ حَشَايَ إِنْ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ
مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا
وَلَقَدْ أَوَّاكَ وَمَا تُنِمْ مُلِيَّةٌ
وَيَدُّ كَانَ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا
فَرَضُ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبَرُّعٌ^(٥)
مِنْ تَعَايَشِهِمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ^(١)
فَلَقَدْ تَضَرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ^(٢)
مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ^(٣)
إِلَّا نَقَاهَا عَنْكَ قَلْبُ أَصْغَعُ^(٤)

أو علم ، فيكون «من يضل» : منصوبا بالفعل الذى دل عليه «أعلم» ، وإنما حملناه على ذلك هربا من أن يكون «من يضل» فى موضع جر بالإضافة إلى «أعلم» ، لأن الأعم أفضل ، وأفضل إذا أضيف إلى شيء كان بعضا له ؛ نحو قولك زيد أكرم الناس ، فلا بد أن يكون من الناس ؛ ولا تقل زيد أفضل النعم لأنه ليس من النعماء فكذلك لا يجوز أن تضيف «أعلم» إلى «من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين .
(١) يقول : إن الناس فى زمانك أقل قدرا من أن تكون بينهم مخالطهم وتعاشرهم ، وقدرك أقل من أن تعيش أهل هذا الزمان .

(٢) يقول : كلنى كلمة وأصغى منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن ما فى قلبى من لوعة الحزن ، فلقد كنت فى حياتك تضر — إذا تشاء — أعداءك ، وتنفع أوليائك : أى فانتفعى بكلامك

(٣) يقال استراب به : أى رأى منه ما يريه ؛ أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة : أى قبل أن تفجعهم بنفسك : ما يريهم منك أو يوجعهم ، فلما فقدت أو جعت قلوبهم وأبكيت عيونهم .

(٤) الأصمغ : الذكى الحاد ؛ وقوله وما تلم : حال . يقول : كنت أراك فى حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكى .

(٥) يقول : ونقاها عنك بد غنشتها إعطاء الأولياء وقتل الأعداء حتى لكان النوال والقتال واجبان عليها ، وهما تبرع لا وجوب ، وفى هذا يقول أبو تمام :

ثَوَى مَالَهُ نَهَبُ الْمَعَالَى فَأَوْجِبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةُ الْجُودِ مَا لَيْسَ وَاجِبًا
ويقول ابن الرومى :

مَلِكٌ لَا يَرَى اللَّهَ تَسْتَحِقُّ الْوَسَائِلَا

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنَزَعُ^(١)
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِستَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَادِجٍ حَتَّى أَنَّى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَدْفَعُ^(٢)
فَطَلَّاتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرْعٌ فِيمَا عَرَكَ وَلَا سِيُوفُكَ قُطْعٌ^(٣)
بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشُهُ مُتَكَائِرٌ يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السَّلَاحِ الْأَذْمُعُ^(٤)
وَإِذَا أَحْصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ فَحَشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ^(٥)

وَيَرَاهَا فَرَانِضًا وَتُسَمَّى نَوَافِلًا

ويقول آخر :

أَغْرُهُ مَتَى تَسْأَلُهُ جَادَ فَرِيضَةً وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْهُ جَادَ تَبْرَعًا
(١) يريد : يا من كان في حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً . . إذ يخلع اللبوس على من يقصده — كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع ؟ يعني الكفن — والحلة : اللباس من ثوبين — إزار ورداء — ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .
(٢) الفادح : الذي يشغل حمله ، وفي هذا المعنى يقول الحماسي :
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا
(٣) عراك : أصابك ونزل بك ؛ وشرع الرمح : بسط اليد به وسدده . يقول : ظلمت — أقيمت — تنظر إلى الموت نظر العاجز لم تعمل رماحك ولا سيوفك في دفع ما نزل بك ؛ إذ لا مدفع للموت .
(٤) بأبي : تغذية . وقوله وجيشه متكائر : حال من ضمير الوحيد ؛ ومتكائر : خبر أول لجيشه ؛ ويبكي : خبر ثان . يقول : إنه — مع كثرة جيوشه — كان وحيداً من الأنصار ، فلم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء ، ولا عدة غير الدموع ، مع أن الدموع من شر الأسلحة ، لأنها تضر صاحبها ولا تغني شيئاً عند المصيبة . وقد فسر هذا في البيت التالي .
(٥) رعت : أفزعت وأخفت ؛ وتقرع : تضرب . يقول : إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غناء في البكاء ؛ إنما تروع به القلب وتقرع به الحد : أي أنه لا يجدي ولا يدفع شيئاً .

(٢ — المعنى ٣)

وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْبَارِزُ الْأَشْهَبُ وَالْغَرَابُ الْمُلْبِقُ (١)
 مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالشَّرَى فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَبْرًا لَا يَطْلُعُ (٢)
 وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلَكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ (٣)
 قُبْحًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ وَجْهُ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بَرْقِعُ (٤)

(١) الأشهب - تصغير الأشهب - وهو الذي غلب عليه البياض ؛ والأبقع : الذي في صدره بياض ، وهو في الطير والكلاب ، كالأبلق في الدواب . يقول : وصلت إليك - مخاطب المرئي - يد - يريد يد النية - سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع فالبارز مثل للشريف ، والغراب مثل للوضيع . وبارز ألباز الأشهب - بقطع همزة آل : من الباز - ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة آل قد وقعت في أول الشطر الثاني ، فكأنه أخذ في بيت ثان ، كما قال حسان :

لَتَسْمَعُنَّ وَشَيْكََا فِي دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عِمَانَا
 وقال الآخر :

حَتَّى أَتَيْنَ فَتَى تَأْبَطُ خَائِفًا السَّيْفَ فَهُوَ أَخُو لِقَاءِ أَرْوَعُ

(٢) المحافل : جمع محفل ، وهو المجتمع ؛ والجحافل : جمع جحفل ، العسكر العظيم . والسرى : يريد سير الجيوش ليلاً للغارة ، والنير : الكوكب الكثير النور ؛ والنيران : الشمس والقمر . يقول - متفجعاً عليه - : من للمحافل في إرشاد جماعتها ، والجحافل في تصريف كتابتها ، والسرى عند انتهاز فرص الحرب ، وطلب الغرة من الأعداء في الغزو ، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذي كانت تستمد برأيه ، والنير الذي كانت تهتدى بضوهه ، فعدمت ما كانت تعده عنده ، وغرب غروباً لا يطلع بعده ، قاله العكبري .

(٣) يقول : ومن الذي اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسر بقراهم ؟ لقد ضاع قصائدك بعدك ومثلك من لا يضيع في حياته قاصده .

(٤) يقول : قبح الله وجهك يا زمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبايح ؛ فكأنه اتخذ القبايح برقاً . فقله : قبحاً ، مفعول مطلق نائب عن عامله - من قولهم قبحه الله : أى أقصاه ونحاه عن الخير ؛ واللام من قوله . لوجهك : لبيان المفعول . كما يقال سقياله ؛ والقبح - في المصراع الثاني - الحسن .

أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكَ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخُلْعِيُّ الْأَوْكَعُ^(١)
 أَيْدٍ مُقَطَّعَةً حَوَالِي رَأْسِهِ وَقَفَا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْنَعُ^(٢)
 أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبَ أَبْقَيْتَهُ
 وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ^(٣)
 وَتَرَكَتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ^(٤)
 فَالْيَوْمَ قَرًّا لِكُلِّ وَخْشٍ نَافِرٍ دُمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ^(٥)

(١) الأوكع في الأصل : الذي أقبلت إبهام رجله على السابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة ، وأكثر ما يكون ذلك للاماء اللواتي يكددن في العمل ، ويقولون أمة وكعاء : أى حمقاء ، وعبد أوكع : أى أحمق أو لثيم . والاستفهام هنا : للتعجب ، يتعجب من موت أبي شعاع فاتك في جوده وفضله مع بقاء حاسده - يعنى كافورا - الأحمق أو اللثيم . وفاتك : يروى بالرفع . وبالجر ؛ فالرفع على أنه بدل من مثل ، والجر بدل من أبي شعاع .

(٢) يقول : إن كافورا لسقوطه أهل للاذلال ، فكأن قفاه يصيح ألا من يصنع ؛ ولكن للأيدى التى حوله مقطعة لا تقدر على صفعه : أى ليس عنده من فيه خير . إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به . وهذا استطراد من المتنبي ، إذ خرج إلى هجاء كافور وأصحابه من رثاء فاتك .

(٣) يخاطب الزمان . يقول أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم ؛ أى هو - كافور - أكذب من بقى من الكاذبين ؛ وأخذت أصدق القائلين والسماعين - أى أصدق الناس - يعنى المرئى . فقولته أبقيته : صفة لكاذب ، و«من» : نكرة موصوفة بالجملة بعدها .

(٤) الريحه والريح : واحد ، وتتضوع : تفوح .

(٥) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش ، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا . يعنى أنه كان صاحب طرد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه في الفلوات ، فبموته قرت دماء الوحوش . قدمه : فاعل قر . وقوله وكان : الضمير للدم . والواو : واو الحال . ويقال دابة نافر ، ولا يقال ... والتطلع : الاستشراف

وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السَّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوْتُ إِلَيْهَا سُوقَهَا وَالْأَذْرُعُ (١)
وَعَفَا الطَّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ الْقَنَاةِ وَلَا حَسَامٌ يَلْمَعُ (٢)
وَلَى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ اللُّزُومِ مُشِيعٌ وَمُودِعٌ (٣)
مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعٌ (٤)
إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فِيهَا رَبِّهَا كِسْرَى تَذِلُّهُ الرِّقَابُ وَتَخْفَعُ (٥)
أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فِيهَا قَيْصَرٌ أَوْ حَلَّ فِي عُرْبٍ فِيهَا تَبَعٌ (٦)

(١) ثمر السياط : العقد التي تكون في عذباتها . وأوت : عادت إليها ورجعت . والسوق : جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لأنه أبدا كان يضربها بسياطه لتركض في قصد عدو أو طرد أو إغاثة مستصرخ، وهي - في شدة جريها أو كثرتة - كأن سوقها وأذرعها ليست منها ، كأنها كانت ترميها عن أنفسها . والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها .

(٢) يعنى بالطراد : مطاردة الفرسان في الحرب ؛ وعفا : درس وذهب ؛ والراعف الذى يسيل منه الدم - من رعاف الأنف - والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع يقول : ذهب ذلك واندرس بموته ؛ قال ابن وكيع : ومعنى البيتين من قول التميمي :

تَرَكْتُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِيَّ مُحَلَّاةٍ وَقَدْ حَانَ الْوَرُودُ

وَعَادَرْتُ الْجِيَادَ بِكُلِّ مَرَجٍ عَوَاطِلَ بَعْدَ زَيْنَتِهَا تَرُودُ

(٣) و (٤) المخالم : الصديق ؛ وأصل الخلم : مريض الظبية أو كناسها تتخذه مألفا وتأوى إليه ، فهو من هذا ؛ والنادم : النديم ؛ وشيع الرجل : خرج معه عند الوداع ؛ و « من » - في البيت الثاني - فاعل ولى ؛ والمرتع : المرعى . يقول : ولى وذهب من كان ملجأ أوليائه ، وكان لسيفه مرتع في كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين . وذلك عند تشييعه إلى القبر .

(٥) و (٦) يقول ؛ إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل في العجم لكان ملكهم كسرى ، وكذلك في كل قوم ؛ فقوله ففيها : أى فهو فيها ؛ ومثله في البيت الثاني ؛ وكسرى : بيان لرب ؛ والجملة بعده : حال .

قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَفْنَةٍ فَرَسًا وَلَكِنَّ النَّيْبَةَ أَسْرَعَ^(١)
لَا قَلْبَتِ أَيْدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعَ^(٢)

وقال في صباه :

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعًا^(٣)
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا التَقَيْنَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا^(٤)

* * *

-
- (١) فرساً : نصب على التمييز . يقول : كان أسرع الفرسان في الطعان ؛ أى كان إذا طعن لم يدركه ، ولكن النية كانت أسرع منه فأدركته .
(٢) يقول : إن الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده ؛ فهو يقول - على طريق الدعاء - : لا حمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الخيل قوائمها .
(٣) بأبي : هذه الباء باء التقدمة ؛ أى أفدى بأبي من وددته : أى جعل فداء له .
(٤) يقول : كان تسليمه على عند اللقاء توديعاً للراق ثان . وفي هذا يقول على ابن جبة العكوك :

رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلِمَ حَتَّى وَدَّعَا
ويقول الآخر :

بِأَبِي وَأُمِّي زَائِرٌ مُتَقَنِّعٌ لَمْ يَخْفِ ضَوْءُ الْبَدْرِ تَحْتَ قِنَاعِهِ
لَمْ أَسْتَمِ عِناقَهُ لِلْقَائِدِ حَتَّى ابْتَدَأَتْ عِناقَهُ لِوَدَاعِهِ

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه :

مَوْقِعُ اَلْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ
وَلَوْ أَنَّ الْجِيَادَ فِيهَا أَلُوفُ^(١)
وَمِنْ اللَّفْظِ لَفِظَةُ تَجَمُّعِ الْوَصْفِ وَذَاكَ الْمَطْهَمُ الْمَعْرُوفُ^(٢)
مَالَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارُ
كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ^(٣)

(١) الطفيف : القليل الحقير - من قولهم : طف له الشيء ، وأطف ، واستطف : إذا أمكن ؛ فالطفيف : الممكن غير المتعذر . يقول : إن عطايك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نذرا قليلا ، ولو كان في الخيل التي تهبها ألوف من الجياد .

(٢) المَطْهَمُ : التام الجبال . يقول : إن من الألفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها ، وتلك اللفظة هي لفظة المَطْهَم ؛ يعنى أنك أمرتني أن أختار وصف فرس تهب إلى ، والذي أختاره هو المَطْهَم ، وهو المعروف عند أهله : أى أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالي من العيوب والإشارة بقوله وذلك ، إلى الوصف ، لأن المَطْهَم وصف .

(٣) يقول : إنك سألتني الوصف ، فذكرت وصفا واحداً امتثالاً لأمرك ، فأما الذي عندي فهو أنه لا اختيار لنا عليك فيما تهب ، لأن ما تمنحه جليل شريف ، لأنك جليل شريف .

وأهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بمحص ، وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى الذى اعتقله ؛ فكتب إليه من السجن (*) :

أَهْوَنُ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلْفٍ (١)
غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبِلْتُ بَرَكَ بِي
وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأَسْوَدَ بِالْجَيْفِ (٢)

(*) كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكار سديقاله من قبل . قال صاحب المصباح المنبى : لما اشتهر أمر المتنبي ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض سليه - من عمل حمص فى بنى عدى - قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها « كوتكين » وجعل فى رجله وعنته خشبتين من خشب الصنصاف ، فقال المتنبي .

زَعَمَ الْمُقِيمُ بِكُوتَكَيْنَ أَنَّهُ مِنْ آلِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ
فَأَجَبْتُهُ مَذْصِرَتَ مَنْ أَبْنَاهُمْ صَارَتْ قِيُودُهُمْ مِنَ الصَّنْصَافِ
ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب إلى الوالى .

يَيْدِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ لَا شَيْءَ إِلَّا لِأَنِّي غَرِيبُ
أَوَّلَامٌ لَهَا إِذَا ذَكَرْتَنِي دَمَ قَلْبٍ بِدَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ
إِنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتَكَ أَخْطَا تَفَانِي عَلَى يَدَيْكَ أَتُوبُ
عَائِبٌ عَائِبِي لَدَيْكَ وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوِي الْعُيُوبِ الْعُيُوبُ
وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان وتجهدها فى التذييل .

(١) أهون بكذا . أى ما أهونه - صيغة تعجب - والثواء . الإقامة . يريد مقامه فى السجن . يقول . ما أهون على هذه الأشياء ! أى أنى وطنت نفسى عليها ، ومن وطن نفسه على شئ هان عليه - وإن اختلف - كما قال كثير .

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك .

(٢) غير اختيار : حال ؛ والمصدر : فى تأويل اسم الفاعل ؛ والبر . الإحسان . يعنى به الهدية . وكان أبو دلف هذا قد بر المتنبي وهو فى السجن وأهدى إليه هدية .

كُنْ أَيُّهَا السَّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُفْتَرِفٍ (١)
لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنَقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ (٢)

يقول : قلت برك بي اضطرارا - لا اختيارا - لاحتياجي إليه ، كالأسد يرضى بأكل
الجيف إذا لم يجد غيرها لحما . وفي مثل هذا يقول المهلبى الوزير .
ما كنتُ إلا كلحمةٍ مَيِّتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَّارُ
ومثله لأبى على البصير :

لَعَمْرُ أَيْكَ مَا انْتَسَبَ الْمَلَى إِلَى كَرَمٍ وَفَى الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنْ الْبِلَادُ إِذَا اقْشَعَرَّتْ وَصَوَّحَ نَبْتَهَا رُحَى الْمُهْشِمِ
ومثله قول الآخر :

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزَّيَارَةِ إِنِّي أَزُورُكُمْ إِذْ لَا أَرَى مُتَعَلِّلًا
ومثله :

خُذْ مَا أَتَاكَ مِنَ اللَّثَا عِ إِذَا نَأَى أَهْلُ الْكَرَمِ
فَالْأُسْدُ تَفْتَرِسُ الْكَلَا بَ إِذَا تَعَذَّرَتِ الْغَنَمُ

(١) المعترف : الصابر على ما يصيبه ، ووطن نفسه : مهدها وذلكها . يقول
- للسجن - : كن كيف شئت من الشدة ، فإنى صابر عليك .

(٢) السكى . اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بى قصا
لما كان الدر على شرف قدره ساكنا فى الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه فى السجن
بالدر فى الصدف . قالوا : وهو من قول أبى هفان .

تَمَجَّبَتْ دُرٌّ مِنْ شَيْبَى فَقَلَّتْ لَهَا لَا تَعْجِبِ فَطُلُوعِ الْبَدْرِ فِي الشَّدْفِ
وَزَادَهَا عَجِبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ وَمَادَرْتُ دُرٌّ أَنْ الدَّرَّ فِي الصَّدْفِ

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي :

لِجَنِّيَةِ أُمِّ غَادَةٍ رُفِيعَ السَّجْفِ لَوْحَشِيَّةٍ لَا مَا لَوْحَشِيَّةٍ شَنْفٌ ^(١)
نُفُورٌ عَرَّتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَادَبَتْ سَوَالِفُهَا وَالْحَلَى وَالْخَصْرُ وَالرَّذَى ^(٢)

(١) لجنية : أراد الجنية ؛ لحذف همزة الاستفهام ؛ وقد جاء مثله في الشعر ، أنشد
سيبويه للأسود بن يضر :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شُعَيْثُ بْنُ سُهَيْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مُنْقَرٍ ^(١)
ولعمري بن ربيعة .

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَمِيعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَانٍ ^(٢)
والغادة والفيداء : المرأة الناعمة ؛ والسجف : جانب السر إذا كان بصفين ، وقوله
لوحشية : يجوز أن يكون استفهاما - كالأول - ويجوز أن يكون جوابا لنفسه ، كأنه
قال : ليس لجنية ولا لغادة ، بل هو لوحشية - أى لظبية وحشية - ثم رجع منكراً
على نفسه فقال : ما لوحشية شنف - والشنف : ما يعلق في أعلى الأذن - يعنى أن
السجف الذى رفع إنما رفع لإنسية لأن عليها شنفاً ، واللوحشية لا شنف لها . يتعجب
من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف جنية أم امرأة حسناء ؟ والعرب
إذا بالغت فى مدح شيء جعلته من الجن ، كما قال قائلهم :

جَنِّيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقُوسِ مَا لَهَا وَتَرٌّ

(٢) السوالف : جمع السالفة ، صفحة العنق . وعمرتها : أصابتها ؛ والمراد بالحلى
هنا : عقدها . يقول : هى نفور طبعاً وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان : نفرة
أصلية ، ونفرة من رؤية الرجال فتجادبت سواليها والحلى : يعنى أن العقد الذى كانت
تحلى به جذب عنقها بشقه ، والعنق أمسكه ، فحصل التجاذب ، وردفها يجذب خصرها
لعظم الردف ودقة الخصر . هذا : والحلى مفرد حلى وحلى .

(١) يقول : ما أدري أشعيت من بنى سهم أم هم من بنى منقر ؟ وشعيت حى من تميم
ثم من بنى منقر ، فجعلهم أدياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، وسهم هنا
حى من قيس . قال الشنتمرى : ويروى شعيب - بالباء - وهو تصحيف :

(٢) يقول : ألهانى النظر إلهين واشتغال البال بهن عن تحصيل رميمهن الجمار بـ «منى»
وعلم عدد المرات : أهى سبع أم ثمان ؟

وَحَيْلٌ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّهَا تَنْثَى لَنَا خُوطٌ وَلَا حَظَنًا خِشْفٌ^(٢)
 زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقِي وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفٌ^(٣)
 هَرَاقَتُ دَمِي مَنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بَهَا
 مِنْ الْوَجْدِ الشَّقِيقُ لِي وَلَهَا حِلْفٌ^(١)

(١) المرط : كساء من صوف أو خز ؛ وخيل منها مرطها : أى مثلها - من قوله تعالى : « يَحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تُسَمَّى » أى يرون ذلك كالحَيَال . فالجار من قوله منها : زائد ، كما فى قولهم : جاء يهز من عطفيه ؛ والخطوط : الفصن ؛ والحشف : ولد الظبية . يقول . إن مرطها - ثوبها - أَرَانَا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة ، فإذا هى كفنن بأن يتثنى ، وظي يرنو - ينظر - وخص القامة واللحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ . وروى ابن جنى : وخبل - بالباء الواحدة - والخبل : القذى قطعت يداه ، هذا أصله ؛ والمراد أن مرطها ستر محاسنها ، فكان ذلك خبل منه لها . قالوا : وهو ينظر إلى قول ابن الرومى :

إِنْ أَقْبَلْتُ فَالْبَدْرُ لَاحَ وَإِنْ مَشَتْ فَالْفِصْنُ مَالٌ وَإِنْ رَنْتَ فَالرَّيْمُ

(٣) يقول : حالى - أو شأنى - زيادة شيب ، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زيادتى أى نقص ما ازدادت من الشباب ، وقوة عشق ، وهذه القوة ضعف : أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن ، كما قال القائل :

وَأَسْرُهُ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ وَزِيَادَتِي فِيهَا هُوَ الْفَقْصُ

وكما قال المتنبي - وقد تقدم - :

مَتَى مَا أَزْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهَى فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي أَزْدِيَادِي

(٢) هراقت : أراقت ، والهاء : بدل من الهمزة ؛ والحلف : اللزام . يقول :

أراقت دمي بمحبتها تلك التي أجِدُ بها من الحب ما تجذبني والشوق لى ولها ملازم ، أى أنى أحبها كما تحبني ، وأشتاق إليها كما تشتاق لى . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : بى من الوجد بها ما بها من الوجد بى لكان أشد اعتدالا ، لكنه - للوزن - حذف بعضه للعلم . كما قال أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تُثْرِي كَمَا تُثْرِي الرِّجَالُ وَتَعْدِمُ

أَرَادَ كَمَا يَعْدُمُونَ ، لحذف

وَمَنْ كَلَّمَا جَرَدَتْهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَسَاهَا ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعْرُ الْوَحْفُ^(١)
وَقَابَلَنِي رُمَاتَنَا غُصْنٌ بَانَةٌ يَمِينُ بِهِ بَذْرٌ وَيُمَسِّكُهُ حِقْفُ^(٢)
أَكِيدُ لَنَا يَا بَيْنُ وَاصِلَتَ وَصَلْنَا فَلَا دَارُنَا تَدْنُو وَلَا عَيْشُنَا يَصْفُو^(٣)
أَرَدَّدُ وَبِلِي لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً وَأَكْثَرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غَلَّةَ لَهْفِ^(٤)
ضَنَى فِي الْهَوَى كَالشَّمِّ فِي الشَّهْدِ كَامِنًا لَذِذْتُ بِهِ جَهْلًا وَفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفُ^(٥)
فَأَفَنِي وَمَا أَفَنْتُهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفُ^(٦)

(١) الوحف : الكثير الملتف . يقول : إن لها من الشعر الكثيف الملتف ما يقوم لها في سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر إلى قول القائل :
رأت عين الرقيب على تدان فأسبغت الظلام على الضياء

(٢) الحقف : ما اعوج من الرمل ؛ وأراد بالرماتين : ثديها ؛ وبالغصن : قدها وبالبدر : وجهها ؛ وبالحقف : ردفها ، يعني : أنها قامت عند الوداع بحذاءي فقابلني من ثديها رماتان على قد كالغصن يميل وجه كالبدر ؛ والمعنى أنها إذا قصدت شيئا بوجهها مالت إليه نحو الوجه ، فكان وجهها يميل قامتها ، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة ، فلا تقدر على سرعة الحركة .

(٣) أ كيداً : أى أتأكد كيداً ؟ فهو منصوب على المصدر . يقول : أتأكد لنا أيها البين - البد - فتواصل وصلنا - أى تلازمه ؟ - أى كلما تواصلنا تعرض لنا ففترقنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش ؟ ومثله للبحترى :

فوا أسنى لو قاتل الأسفُ الجوى ولَهْفِي لَوَأْنُ اللَّهْفِ مِنْ ظَلَمِي يُجْدِي

(٤) ويل : كلمة يقولها كل واقع في هلكة ؛ واللَهْف : التحسر على ما فات ؛ والغلة : العطش وحرارة الجوف . يقول : إنى أ كسر القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدى إياها ، وهذا على حكاية ما كان يقول .

(٥) ضنى : مبتدأ محذوف الخبر : أى بى ضنى ، وهو شبه الهزال من المرض ؛ وكأنا : حال من السم ؛ وجهلا : مفعول له ؛ والحنف : الموت . يقول : بى ضنى مستر كما يكن السم فى الشهد - العسل - إذا مزج به ، وقد استلذت الهوى جهلا بذلك لضنى وحنفى فى تلك اللذة .

(٦) فأفنى : أى الضنى . والكهف - هنا - الملجأ ، ففاعل أفنى : ضمير الضنا ؛ وفى

قَلِيلُ الْكُرَى لَوْ كَانَتْ الْبَيْضُ وَالْقَنَا كَارَائِيْماً أَغْنَتْ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ^(١)
يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ
وَيَسْتَفْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ^(٢)
وَلَا قَدْ الْإِعْطَاءُ حَنْتَ يَمِينُهُ إِلَيْهِ حَنِينَ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ^(٣)

الكلام تنازع : لك أن تجعل نفسى فاعل أفنت ، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفاً
لتأخر مرجعه لفظاوية : أى فأفناها ، وما أفنته نفسى ؛ ولك أن تجعلها مفعول أفنى ،
فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترا . وكهف : خبر عن أبو الفرج . وله : حال مقدمة
عن كهف . والضمير : للضئى ، ودونها : صلة كهف . يقول : فأفنى الضئى نفسى وما أفنيته ،
كأن للمدحوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على إفنائه . وهذا من حسن التخلص .

(١) الكرى : النوم . والبيض الأولى - بكسر الباء - السيوف . والثانية - بفتح
الباء - جمع ريضة : الخوذة من حديد . والقنا : الرماح . والزغف : جمع زغفة ، الدرع
الينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله
من المجد والعلاء ، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما
أغنت الدروع والخوذ عن أصحابها شيئا ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

يَقْطَانُ أَحْصَدَتِ التَّجَارِبُ عَقْدَهُ شَزْرًا وَتُقِفْ عَزْمُهُ ثَقِيْفَا

وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشُّعْلَ التِّى لَوْ أَنَّهُنَّ طُبِعْنَ كَنَّ سِيَوْفَا

(٢) يقال : قطب وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوساً . يقول : هو مهيب إذا
عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش ، وإذا قال قام القليل
من كلامه مقام الخطب الطوال ، فهو لبلاغته يجمع للمعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة .
وفى مثل هذا يقول البحتري :

وَإِذَا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخُطْبِ اعْتَلَى فَصَلَ الْقِصَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ

(٣) يقول : أفنت يده الإعطاء حتى لو لم يعط لاشتأقت يده إلى الإعطاء كما يحسن

الإلف إلى الإلف إذا فارقته . وفى مثله يقول أبو تمام .

وَاجِدٌ بِالْعَطَاءِ مِنْ بَرَاءِ الشُّوْ قِ وَجِدَانٍ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ

ويقول غيره :

يَحْنُ إِلَى الْمَعْرُوفِ حَتَّى يُنِيلَهُ كَمَا حَنَّ الْإِلْفُ مُسْتَهَامٌ إِلَى الْإِلْفِ

أَدِيبٌ رَسَتْ لِعِلْمٍ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالُ جِبَالِ الْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قَفٌ^(١)
جَوَادٌ سَمَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفَهُ سُمُوا أَوْدَ الدَّهْرِ أَنْ أَسْمَهُ كَفٌ^(٢)
وَأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ سَيِّدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي سَيَادَتِهِ خَلْفٌ^(٣)
يُقَدُّونَهُ حَتَّى كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ لَجَارَى هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمْ تَقْفُو^(٤)
وُقُوفِينَ فِي وَقَفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ فَنَائِلُهُ وَقَفٌ وَشُكْرُهُمْ وَقَفٌ^(٥)

(١) رست : ثبتت ؛ والقف : الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعله اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وعدة رسوخه ومئاته ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض ، لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف ، يعنى أن جبال الأرض تصغر في جنب جبال العلم التي في صدره .

(٢) الجواد : الكريم المعطاء . وسمت : علت وارتفعت . وأود الدهر حمله على أن يود ويتمنى . والدهر : وعاء الخير والشر ، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه . يقول : إن لكفه الذكر العالى في كل خير لاوليائه وشر لأعدائه - لأنهما يصدران منه - حتى إن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشارك كفه - الذى هو مجمع الخير والشر - في الاسم ، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر ، لأن كفه أغلب فيهما من الدهر .

(٣) أضحى هنا : تامة ؛ والخلف : الاختلاف ؛ وخلف : مبتدأ ؛ خبره : بين الناس ؛ والجملة : حال . يقول : أضحى والناس مجمعون على سيادته لا يدافع في ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف .

(٤) تقفو : تتبع . يقول : من حب النفس إياه يقولون له : نقديك بأنفسنا ، فكان هواه جرى أولا في عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم : أى أن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم ، قالوا : إنه ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُودِدِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلَفْ فِي الْمَلَةِ اِثْنَانِ
وقول البحرى :

وَأَرَى النَّاسَ جَمْعِينَ عَلَى فَضْلِكَ مَا بَيْنَ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ

(٥) وقوفين : نصب على الحال منه ومن الناس ، والعامل فيه يقدونه ، كما تقول دأيتك راكبين : أى أنا راكب وأنت راكب ؛ وأراد بالوقوف : الواقف . مصدر يوصف به الواحد والجمع ، والوقف : ما حبس على جهة مخصوصة ؛ وشكر : بدل تفصيل من

وَلَمَّا قَدَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشَفْنَا

عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ^(١)

وَمَا حَارَتْ الْأَوْهَامُ فِي عَظَمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرِ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الْظَرْفُ^(٢)

وَلَا نَالَ مِنْ حُسَادِهِ الْغَيْظُ وَالْأَذَى بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفَرِهِ الْعُرْفُ^(٣)

تَفَكَّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ^(٤)

وقفين ؛ وبخل ؛ عطف عليه ؛ والنائل : العطاء . يقول : إن الناس والمدوح فريقان وانفان في شيئين وقفين - محبوسين - أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثاني على المدوح من الناس وهو الثناء ؛ يعني أنه أبداً يعطى والناس أبداً يشكرونه ، وفي مثل هذا يقول البحرى .

أعيال لهم بنو الأرض أم ما لهم راتب على الناس وقف

ويقول : ابن الرومى :

أمواله وقف على تنقيلتنا وثناؤنا وقف على تحقيقه

[تنقيلتنا : إصلاحنا - من نقل الحف أو النعل : رقعته وأصلحه] .

(١) كشفتنا : بحثنا ؛ والضمير في عليه للمثل . يقول : لما لم نجد مثله في الجهد والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشاكله ، وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد ؛ أى لم نجد أحداً وانكشف : افتضح أو زال وبطل ، الكشف أى البحث - لأننا بنسنا من وجود مثله فهو منقطع النظر .

(٢) يقول : حارت الأوهام في عظم شأنه ، والطرف - النظر - في حسنه وجماله ، وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف : أى أنه بلغ الغاية في العظمة والحسن (٣) الوفر : المال ؛ والعرف : الجود واصطناع المعروف . يقول : إن الحسد قد نال من حساده وأثر فيه نقصاً وهزالاً كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ، وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا . ومثله لديك الجن :

فقلت مقتلناك بالصَّبِّ ما تفعل جَدوى الأمير بالأموال

(٤) يقول : إذا فكر فإنما يفكر في العلم ، وإذا نطق فنطق بالحكمة . وباطنه ينطوى

على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الأخلاق . قال الحريرى :

أَمَاتَ رِيَّاحَ اللُّؤْمِ وَفَى عَوَاصِفُ
وَمَغْنَى الْعَلَى يُودَى وَرَسْمُ النَّدَى يَغْفُو^(١)
فَلَمْ تَرَ قَبْلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَصَابًا
إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيمُ الْوُطْفُ^(٢)
وَلَا سَاعِيًا فِي قُلَّةِ الْمَجْدِ مُدْرِكًا^(٣) بِأَفْعَالِهِمَا لَيْسَ يَذَرُكُهُ الْوُصْفُ^(٤)
وَلَمْ تَرَ شَيْئًا يَحْمِلُ الْعَبَّ حَمْلَهُ وَيَسْتَصْفِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طَرْفُ^(٥)
فَتَى جَهْرُهُ ظَرْفٌ وَبَاطِنُهُ تُقَى تَزَيْنَ مَا يُخْفَى بِصَالِحِ مَا يُبْدَى

قال ابن جني : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل
أبدأ تجيء مقبوضة على مفاعلن ، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن أو مفعولن
فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعا ، وقد جاء عروضه على مفاعيلن ،
وهو تخطيط منه . وأقرب ما يصرف إليه أن يقال إنه رد مفاعل إلى أصلها وهي مفاعيلن
لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف مالا ينصرف وإجراء المعتل
بحرى الصحيح وقصر المدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها . قال الواحدى :
ولو هو قال ومنطقه هدى أوتقى : لصح الوزن .

(١) اللؤم : ضد الكرم - أى الحسة - والمغنى : المنزل ؛ ويودى : يهلك ، والرسم : أثر
الديار ؛ ويعفو : ينجى ؛ والواو - فى قوله ومغنى العلا - واو الحال . ولما استعار اللؤم
رياحاً استعار للعلى مغنى وللندى رسماً ؛ إذ أن الرياح تغفو الرسوم وتمحو المغانى . يقول
سكن المدوح رياح اللؤم بعد شدة هبوبها عن مغنى العلى ورسم الندى وقد كادت
تغفوها وتذهب بهما أى أن اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم .
(٢) هطلت السماء . اشتد انصباب مائها ؛ والوطف . جمع الوطفاء ، وهى السحابة
المسترخية الجوانب لكثرة مائها ؛ والديم . جمع الديمة ، وهى المطر يدوم أياماً .
يقول : لم ير قبل هذا المدوح أحد إذا أعطى استحييت السحب وخجلت من عطائه .
وفى هذا يقول أبو نواس :

إِن السَّحَابَ لَتَسْتَحْيِي إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا
(٣) قلة المجد : أعلاه يقول : إن المدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام فى
قلة المجد مالا يدركه الوصف ، وقد انفرد بذلك دون غيره .
(٤) العبء : الحمل الثقيل ، وحمله : مفعول مطلق ؛ والطرقت : انقرضت انكسرت .

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفٌ^(١)
 فَوَاعَجَبًا مِنِّي أَحَاوِلُ نَفْتَهُ وَقَدْ فَنَيْتَ فِيهِ الْقَرَّاطِيسُ وَالصُّحُفُ^(٢)
 وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبَارِ عَنْ مَكْرُمَاتِهِ يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفٌ^(٣)
 وَتَفْتَرُ مِنْهُ عَنْ خِصَالِ كَانِهَا ثَنَائًا حَبِيبٍ لَا يُبَلِّغُ لَهَا رَشْفٌ^(٤)
 قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِلَيْهِمْ
 كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنْبِ الْأَنْفِ^(٥)

يقول : إنه يحمل من أفعال المهمات مالا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة ، وهو مع ذلك يحمله طرف ، وذلك لعظمة نفسه . وبعد مررتى همته وقوة نعدته ؛ إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم .

(١) جعله كالبحر المحيط بالدنيا في كثرة عطاياه وغازاته نداه . يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يجله ومن فوقه سقف يظله .

(٢) الضمير من «فيه» للنعت والقراطيس : جمع قرطاس ، الورق ، والصحف جمع الصحيفة : الكتاب . يقول : أعجب من نفسى كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيرى حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه ؟ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

تَرَكْتَهُمْ سَيْرًا لَوْ أَنَّهَا كَتَبَتْ لَمْ تُبْقِ فِي الْأَرْضِ قَرطَاسًا وَلَا قَلَمًا

(٣) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها ، ولذلك تتجدد ، يمر صنف منها ويأتى غيره . وهكذا حتى لا آخر لها ؛ ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه : أى لكثرة ما يسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتى صنف يقصدونه ، وقوله : له أى لأجله .

(٤) وتفتَر : أى الأخبار ؛ أى تسفر وتنجلي ؛ وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان والثنايا : الأسنان فى مقدم الفم ؛ والرشف : اللص ؛ شبه خصاله فى حسنها وحلاوتها . بثنايا حبيب لا يمل مص ريقها .

(٥) يقول : إني قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ، ولكنى آثرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الخطيئة .

وَلَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتَّبَرُّ وَاحِدٌ نَفُوعَانِ لِلْمَكْدِيِّ وَبَيْنَهُمَا صَرْفٌ^(١)
وَلَسْتُ بِدُونِ يُرْتَجَى الْفَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفٌ^(٢)
وَلَا وَاحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ وَلَا الْبَهْضُ مِنْ كُلِّ وَلَيْكَنَكَ الضَّعْفُ^(٣)

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوَّى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
وقد كان الخطيئة مدح بهذا قوما كانوا يبرزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه ، فلما
قال فيهم هذا غفروا بقلوبهم .

(١) نفوعان : أى هما نفوعان ؛ والبيضاء من النعت للراد به التأكيد كما فى أمس
الداير ؛ والتبر : الذهب . والمكدي : الفقير الذى لا خير عنده والصرف : الفضل ؛
تقول له على صرف : أى فضل ؛ والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة
سواء وإن اجتماعا فى النعمة ، وكذلك الفرق بينك وبينهم ؛ ومثل هذا لابن الرومى :

وجدتكم مثل الدنانير فيهم وسائر هذا الخلق مثل الدرام

(٢) الدون : الخسيس ؛ وقوله خلفه خلف ؛ خلفه : خبر مقدم ، منصوب على
الظرفية ؛ وخلف : مرفوع بالابتداء . يقول : لست خسيسا فيرتجى الفيث دونك ولا
ترجى أنت : أى أنت والفيث سواء فى رجاء الخير . وليس وراءك للجدود منتهى ، يعنى
أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك ، أى أنك الغاية
القصى للجدود التى من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها ، كما قال بعضهم :

ما قصر الجود عنكم يا بنى مطر ولا تجاوزكم يا آل مسعود
يحل حيث حلتم لا يفارقكم ما عاقب الدهرين البيض والسود
وقال أشجع السلى :

فما خلفه لأمرى مطمع ولا دونه لأمرى مقنع

وقال أبو تمام :

إليك تنهى المجد من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث تصير
وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ، ورفع خلف لأنه جعله
اسما لا ظرفا .

(٣) ولا واحداً : عطف على خبر ليس - فى البيت السابق - . يقول : ولست
واحداً من جماعة الناس ولا بعضاً من كلهم ، وليكنك ضعف جميعهم ، أى أنت تنفى
غناهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشيء على الشيء .

وَلَا الضُّعْفَ حَتَّى يَنْبَغَ الضُّعْفَ ضِعْفَهُ وَلَا ضِعْفَ ضِعْفِ الضُّعْفِ بَلْ مِثْلُهُ^(١)
 أَقَاضِينَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ غَلِطْتُ وَلَا الثَّلَاثَانِ هَذَا وَلَا النِّصْفَ^(٢)
 وَذَنْبِي تَقْصِيرِي وَمَا جِئْتُ مَادِحًا بِذَنْبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو^(٣)

(١) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين ، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف . ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا : أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ، ونصب مثله لأنه نعت نكرة . وهو ألف - قدم عليها ، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال ، كما قال القائل :

* لَمِيَّةٌ مُوَحِّشًا طَلَّلَ^(١) *

وَألف : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى بل أنت ألف مثله . وفى هذا البيت من الفثانة والتكلف والغلو ما ترى .

(٢) يقول : أنت أهل لما أثبتت به عليك ، ثم قال : غلطت - ليس هذا ثلثى ما أنت أهله ولا نصفه ؛ ولا الثلثان : عطف على محذوف ، دل عليه ما تقدم : أى لا الذى أنت أهله هذا ولا الثلثان منه . والهمزة فى أقاضينا : للنداء .

(٣) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب لى والذنب لا يمدح به ، فأنا لم أجيء مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب ، قال :

وَعِنْدِي أَيَادٍ جَمَّةٌ لَمْ أَجِدْ لَهَا يَخْصُصُهَا عِنْدِي لِسَانًا مَعْبَرًا
 وَلَكِنْ جُهْدِي أَنْ أَقُولَ وَمَا عَسَى لَدَى الْجَهْدِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ فَيَعْذِرَا
 ولأبى تمام :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مَذْنِبًا يَوْمَ أَتَيْتُكَ سِوَاكَ بِأَمَالِي لِفَتْتِكَ تَائِبًا

(١) عجزه :

* يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَّلُ *

وهو لذى الرمة . والخلل - بالكسر - جمع خلة . قال الجوهري : الخلة واحدة خلل السيف ، وهي بطائن يخشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب .

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً* فقال كيف تراه فقال مرتجلاً :
 بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْهُ مُبَاشِرُهُ الْخُتُوفُ^(١)
 فَدَغَّهُ لَقَى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامِ جَوَاشِنَهَا الْأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ^(٢)

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلاماً له ليقوموا به فلاحقوه بظاهر حلب ليلاً فرماه أحدهم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبي العشائر ، فقال أبو الطيب* :

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحْبَبُهُ وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ حَافِيفُ^(٣)

* الجوشن : الدرع .

(١) يقول : إن لابس هذا الجوشن - الدرع - يشق صفوف الأعداء يوم القتال آمناً على نفسه لحصاته ، ولا تعمل الختوف - الناي - في من لبسه .

(٢) لقي : أى ملقياً . يقول : ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرمح والسيوف لمكانه من الشعاعة ولا يحتلج إلى الدروع ، وفي مثله يقول الآخر :

وَنَحْنُ أَنْاسُ لَا حُصُونَ بَارِضِينَ نَلُودُ بِهَا إِلَّا الْقَنَا وَالْقَوَاضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياها ، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده ، فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروا عليه ، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بحسمى وحالى عنده سقم

وفها يعرض بينى حمدان أبناء عم سيف الدولة ، وكان ذلك بحضور من أبي العشائر فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليقوموا به ، وقد تقدم ذلك في موضعه .

(٣) إلى من أحبه : يعنى أبا العشائر - يقول : هو منتسب إلى من أحبه ، ولكنه مع ذلك أراد قتلى ، فللنبل حوالى من يديه صوت يحف بى .

فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفٌ^(١)
وَكُلُّهُ وَدَادٍ لَا مَدَاهُ عَلَى الْأَذَى دَوَامٌ وَدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفٌ^(٢)
فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزْنَ أَلُوفٌ^(٣)
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنيفٌ^(٤)

وقال في عبده إذا أخذ فرسه وأراد قتله :

أَعْدَدْتُ لِلنَّادِرِينَ أَسْيَافًا أَجْدَعُ مِنْهُمْ بَيْنَ آتَافًا^(٥)

(١) «من» الأولى : زائدة ؛ والثانية : للتعليل ، متعلقة بحننت . يقول : لما ذكر اسم أبي العشائر هاج شوقي وحنيني إليه ، وما كان شوقي إليه في هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع ، لأن الكريم طبعه الألفة .
(٢) على . بمعنى مع ؛ ودوام : نصب على المصدر ؛ وللحسين . متعلق بودادي ؛ وضعيف . خبر كل . يقول : إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادي للحسين - أبي العشائر - هو وداد ضعيف .
(٣) واحداً : خبر يكن . يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعني الكثير ولا يظلمه . يقول : إن ساءني بفعل واحد فقد سرنى بأفعال كثيرة ؛ وفيه نظر إلى قول الآخر .

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدًا نَاسَاتُهُ بِصَالِحِ أُمَامِي وَحُسْنِ بَلَائِيَا
(٤) نفسي له : أي أنا مملوك له إذ أسرنى بإحسانه ، لكنه مالك عنيف لا يرفق بي ، كما قال الآخر :

* أُرِيدُ حَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي *

وقوله : نفسي الفداء لنفسه : دعاء ؛ أي أقديه بنفسي .

(٥) يعني بالنادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله . يقول : أعددت لهم سيوفاً أجدة - أقطع - بها أنوفهم ، يعني أذلم بها وأنكل .

لَا يَرْحَمُ اللَّهُ أَرْوَسًا لَّهُمْ أَطْرَنَ عَنْ هَامِيْنٍ أَتَحَافَا^(١)
 مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قَلَّتِهِمْ وَأَنْ تَكُونَ الْمَثُوفَ آلاَفَا^(٢)
 يَاشِرًا لَحْمٍ فَجَعَلْتَهُ بِدِيمٍ وَزَارَ لِلْحَامِمَاتِ أَجْوَاَفَا^(٣)
 قَدْ كُنْتَ أَغْنَيْتَ عَنْ سُؤَالِكِ بِي مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا^(٤)
 وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَمَرَّضَهُ
 وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافَا^(٥)

(١) الهام : جمع هامة ، أعلى الرأس ؛ والأحاف : جمع قحف - بكسر القاف - العظم الذى فوق الدماغ . يقول : لارحم الله رءوسهم التى أطارت السيوف قحوفها عن هامها ، فضمير « أطرن » للسيوف .

(٢) يقول : ما ينقم السيف - أى ما ينكر ويعيب ويكره - إلا قلة عددهم أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعاً ؛ وأن تكون المئون منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا . فقوله : وأن تكون أى وأن لا تكون ، لحذف « لا » وهو يريد بها .

(٣) جمعه : أوجمه بشئ يكرم عليه ؛ والحاممات : الضباع ، لأنها تجمع فى مشيها - أى تمشى مشى الأعرج . يقول - لمن قتل من عبيده - : ياشر لحم أسلت دمه فجمعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها .

(٤) كأن هذا العبد سأل عاففاً عن حال للتنبى فذكر له من حاله ما زين له القدر به . وقوله : سؤالك بى أى عنى ، كما قال تعالى « فاسأل به خيراً » وزجر الطير وعياقتها ضرب من التسكين كانت العرب تذهب إليه ، فكانت تنفر الطير ؛ فإن نفر عن بعين تفاءلت ، أو عن شمال تشاءمت . يقول - للعبد الذى قتله - لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى إقدامك على وتمرضك للقدر بى .

(٥) يقول : وعدت هذا السيف - يعنى سيفه - أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ، ولما اعترضت لسيفى بالقدر بى وأخذ خيلى خفت إن تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف : أى أن لا أفى بوعدى إياه . فذا اسم إشارة ؛ ومن : مفعول ثان لوعدت ؛ وتمرضه : أى تعرض له ؛ والإخلاف : ترك الوفاء بالوعد ، وهو مفعول خفت .

لَا يُذَكِّرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلَا تُتْبِعُكَ الْمَقَتَّلَانِ تَوَكَّافاً^(١)
إِذَا امْرُؤٌ رَاعِنِي بِفَدْرَتِهِ أَوْزَدَتْهُ الْفَيَاءُ الَّتِي خَافاً^(٢)

* * *

-
- (١) التوكاف : تفعال من الوكف ، وهو قطران الماء - جريانه - يقول : لم يكن
فيك خير تذكر به ولا تبكي عليك العين .
- (٢) يقول : إذا راعني - خوفني - امرؤ بفدريته كفافته بالقتل وهو غاية ما يخافه المرء

قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهاء وجارية :

أَيَذْرَى الرَّبْعُ أَى دَمِ أَرَاقَا وَأَى قُلُوبٍ هَذَا الرِّكْبِ شَاقَا^(١)
لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبُ تَلَّاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَّاقَى^(٢)
وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مَنْ حَدَّاهِمُ وَسَاقَا^(٣)

(١) أراق : سفك ؛ والركب : جماعة الركبان ، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربيع من قتله بشوقه إلى أحبه . يقول : هل يدرى هذا الربيع - ربيع الأجنة - ما فعل من إراقة دمي وما هاج في قلبي من الشوق ، وذلك أن وقوفه بالربيع هيج شوقه وجدد له ذكر الأجنة ، فكان البكاء والنحيب ، وكانت اللوعة والأسى . وكان حق الكلام أن يقدم « شاق » على « أراق » ، لأن الربيع إذا لم يشق لم يرق الدم ، لكن الواو لا توجب الترتيب ؛ أو تقول إنه ابتداء باللام ثم عاد إلى ذكر سببه ، وهو الشوق ، وشاقه يشوقه : حمله على الشوق .

(٢) تلاقى : أى تتلاقى ، فحذف إحدى التاءين . يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربيع - يعنى الأجنة - قلوب تتلاقى في جسام ما تتلاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكروننا ، فكأننا تتلاقى بالقلوب وإن لم تتلاقى بالأشخاص كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبُعَادِ وَالْفَرْقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِن لَّمْ نَلْتَقِ

(٣) عفنه الريح : درسته . يقول : لم تدرس الرياح لهذا الربيع منزلا ، فلا ذنب للريح في دروس منازلها ، إنما عفاه الحادى الذى ساق الإبل بأهله فلو لم يخرجوا منه لما درس الربيع . وهذا كما قال أبو الشيص :

مَا فَرَّقَ الْأَلْفَ بَنَهُ دَا اللَّهُ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بِ الْبَيْنِ لِمَا جَهَلُوا
وَمَا إِذَا صَاحَ غُرَا بُِ فِي الدِّيَارِ احْتَمَلُوا
وَلَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِ الْبَيْنِ تَطْوَى الرَّحْلُ

فَلَيْتَ هَوَى الْأَحْبَةِ كَانَ عَذْلًا فَحَمَلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقًا^(١)
 نَظَرْتُ لِمَنِيهِمْ وَالْمَنِي شُكْرِي فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقًا^(٢)
 وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَذْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقًا^(٣)
 وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلاَ أَرْمَتِهَا النِّيَاقًا^(٤)

وَمَا غَرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية ، وأن الهوى حمله مالا يطيق لجار عليه يشير إلى أنه أعشق العشاق ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فِيَارَبِّ قَدْ حَمَلْتَنِي فَوْقَ طَاقَتِي مِنَ الْحُبِّ حَمْلًا قَاتِلِي فَوْقَ مَا بَيَا
 وَإِلَّا فَسَاوِ الْحُبَّ يَا رَبَّ سَيْنَنَا يَكُونُ سِوَاهُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

(٢) عين شكرى : ملأى بالدمع ؛ وللاق : طرف العين مما يلي الأنف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إلى الأحبة لدى ارتحالم والعين ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كان جميع الجواب ماق يسيل الدمع منه ، يشير إلى غلبة البكاء من لوعة الفراق .

(٣) المحاق - بضم الميم ، وكسر ها - نقصان القمر آخر الشهر ؛ والتمام : السكال ، وقد طابق بين التمام والمحاق . يقول : لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم السكال في الحسن والإشراق ، وأنا لسمي كأنه أعطانى المحاق يعنى : أن الحبيب كان في الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا في الدقة والنحول كالقمر في المحاق ، وقد أخذ هذا القائل :

يَأْمَنُ بِمَحَاكِ الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ إِزْحَمَ فَقَى بِحَكِيهِ عِنْدَ مُحَاقِهِ

(٤) الفرع : الشعر ؛ والأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة ، والنياق : جمع ناقة . وقوله : بين الفرعين والتقدمين ظرف لنور وما يليه في البيتين التالين ، والضمير في أزمتهما : للنياق ، وجاز تقديمه لأنه مؤخر في الرتبة . لما جعله بدرًا والبدر لا يخص النور بضه وصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور ، وأن نياق الركب تهتدى بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة ؛ ويجوز أن يريد بالنور وجهه ، وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التي بين شعره وقدميه ، فبدأ بالوجه ثم ثنى بالطرف ثم ثلث بالخصر ، وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي الصنابغة :

وَطَرَفٌ إِنْ سَقَى الْمُشَاقَ كَأْسًا بِهَا نَقَصُ سَقَانِهَا دِهَاقًا^(١)
وَحْضَرٌ تَنَبَّتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقًا^(٢)
سَلِيَ عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَنِي وَرُغِي وَالْهَمْلَمَةُ الدَّفَاقًا^(٣)
تَرَكَنَا مِنْ وَرَاءِ الْعَيْسِ نَجْدًا وَنَكَبْنَا السَّهَاةَ وَالْعِرَاقًا^(٤)
فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ اثْنَلَاقًا^(٥)

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْشُوكَ لَقَادَمُ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرِّكْبُ
(١) دهاقا: ملأى. يقول: وله طرف ساحر إذا سقى عشاقه كأساً ناقصة سقائها
مترعة، يعنى أنه أعشق العشاق له، وفيه نظر إلى قول القائل:
وَمَا لَيْسَ الْمُشَاقُ مِنْ حُلَلِ الْهَوَى وَلَا أَخْلَقُوا إِلَّا الشَّيْبَ الَّذِي أَيْلَى
وَلَا شِيرَبُوا كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ حُلُوةً وَلَا مُرَّةً إِلَّا شَرَابَهُمْ فَضْلِي
(٢) يقول: إن الأبصار تنبت في خصره استحساناً له وتكثر عليه من الجوانب
حتى تصير كالنطاق عليه. وفي هذا المعنى يقول بشار:

وَمُكَلَّلَاتٍ بِالْعُيُودِ نِ طَرَفَنِي وَرَجَعَنْ مَلَسًا
[يريد بشار أنهن - لحسنهن - تملو الأبصار إلى وجوههن ورءوسهن حتى كأن لمن
إكليلاً من العيود. وملسا: أى لم يعلق بهن أذى ولا رية] ويقول أبو الصاهية:
أَحَاطَتْ عُيُونُ الْقَاشِقِينَ بِمُخَصِّرِهِ فَهِنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ
(٣) الهملعة: الباقة السريعة؛ والدفاق: للتدققة في السر. يخاطب محبوبته يقول:
سلى عن حال سيري هذه الأشياء تخبرك بإقداى وتجلدى للأهوال؛ يعنى أنه كان وحده
لم يصحبه غير ما ذكر فلا يستخبر عن سيره غير الفرس والرمح والسيف والناقة.
(٤) العيس: الإبل البيض؛ ونكبه: عدل عنه؛ والسهاوة: فلاة بين الشام
والعراق. يقول: خلفنا - فى قصدنا إلى المدوح - نجدا وراءنا وملنا عن طريق
السهاوة وطريق العراق ومنتوانا حلب.

(٥) ترى: أى العيس؛ ودجى الليل: أظلم؛ والاتلاق: البريق والاتقاء؛ يقال:
اتلق البرق وتألّق: إذا لمع. يقول: لم تزل العيس ترى نور وجه سيف الدولة فى ظلمة
الليل يسطع لها فتستصبح به ويتأدها، وهذا من قول سحيم:

أَدْلَتْهَا رِيَّاحُ الْمِسْكِ مِنْهُ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا أَنْتِشَاقًا^(١)
أَبَاحَكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْأَعَادَى فَلَمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقًا^(٢)

إذا نحنُ أدْلَجْنَا وَأَنْتَ أَمَامَنَا كَفَى لِمَطَايِنَا بِوَجْهِكَ هَادِيَا
ومثله قول أبي الطمحان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِزْعَ ثَاقِبُهُ^(١)
(١) انتشاقًا : حال ، أو مفعول له . يقول : أدلة العيس في طريقها إلى سيف
الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها ، وفي مثل هذا المعنى يقول ابن
الرومي :

فَهَدَّتْ عُيُونُهُمْ لَهُ أَضْوَاؤُهُ وَهَدَّتْ أَنْوْفُهُمْ لَهُ أُرْوَاغُهُ
ويقول أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِي لَنَا مَنَزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِي وَيَسْتَفْشِقُ
ولعلمهم يريدون المعنى المجازي فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون باتلاقه مجده
ومكافئه ؛ فعبروا عن المعنوى بالحسي مبالغة في ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت
به إليه .

(٢) التعرض : القصد ؛ والرفاق : جمع رقة ، وهى الجماعة فى السفر . يقول : -
للوحش - إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك ، فلم تقصدين
الرفاق التى تسير إليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على
من يعارضه ويخفر ذمته ، قال الواحدى قوله : فلم تعرضين الرفاقا ، تقديره . فلم تعرضين
الرفاق له : أى رفاقه .

(١) الجزع - بفتح الجيم ، وكسرهما - ضرب من الخرز الجماني فيه يياض وسواد
تشبه به العيون . وقبل البيت :

وَبَانِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هَمُّهُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيْدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءَ كُلِّ غَارٍ كَوَكَبٍ بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
وبعده :

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوِّدٌ تسير المنايا حيث سارت ركائبه
إلى أبيات يمدح بها أبو الطمحان بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي .

وَلَوْ تَبَعْتَ مَا طَرَحْتَ قَنَاءُ لَكَفَكَ عَنْ رَذَائِنَا وَعَاقًا^(١)
وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ مِنَ النَّيِّرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقًا^(٢)
إِمَامٌ لِلْأُمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقًا^(٣)
يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَامًا وَلِلنَّجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقًا^(٤)
فَلَا تَسْتَفْهِكِرَنَّ لَهُ ابْنِسَامًا إِذَا فَهَقَ الْمَكْرُ دِمَا وَضَاقًا^(٥)

(١) تبع : بمعنى اتبع ، والقنا : الرماح . والرذايا : المهازيل من الإبل ، واحدها رذية : ما هزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحا ، يقول : لو تبعت أيها الوحش ما طرحت رماحه من القتلى لكفك ذلك عن مطايانا ولكن لك فيه غناء عن التمرض لنا - لكثرة .

(٢) يقول : نحن آمنون في طريقنا إليه حتى لو سرنا في النيران ما قدرت على إحراقنا ، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون إليه في أمن وطمأنينة . ومثله لأبي تمام :

قَمَضَى لَوَانَ النَّارِ دُونَكَ خَاضَهَا بِالسَّيْفِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ النَّارُ
« يريد جهنم » ولأبي حية النخري :

لَوْ أَنَّ جَمْرَ النَّارِ دُونَ بِلَادِهِ لَعَلَّمَتْ أُنَى جَمْرَهَا مُتَخَوِّضُ

(٣) من قرئش : حال من الأئمة . يقول : هو إمام للخلفاء - يعني خلفاء بني العباس - إذا شاقهم العدو - أي تمرد عليهم - يحذرون شقائه - خلافه وعصيانه - تقدمهم إليه وكفاهم ذلك العدو ، وذلك لما لو قدره وارتفاع أمره وشدة سطوته . فقوله إلى من يتقون : متعلق بما في إمام من معنى التقدم ، وقد بين هذه الإمامة في البيت التالي .

(٤) يقول : فهو سيفهم الذي يبطشون به عند غضبهم ، وإذا قامت حرب فهو ساقها الذي تعتمد عليه .

(٥) الفهق : الامتلاء ، ومنه التفهيق الذي يفهق فيه بالكلام . والمكر : مجال الحرب . يقول : لا تنسرك تبسمه في أهوال ساعة الحر ، وهو عند ضيق المكر بازدهام الأبطال وامتلائه بالدم ، يعني أنه ملك عظيم إذا رام مطلباً أدركه بالأسلحة والحيل ، ثم بين علة ترك الإنكار لتبسمه في البيت التالي وفيه مثل هذا يقول البحري :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهْجَ الْعَوَالِي وَحَمَلَتْ هُمُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(١)
 إِذَا أُتْمِلْنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ بَعْدُوا جَعَلَتْهُمْ طِرَاقًا^(٢)
 وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيحُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دَقَاقًا^(٣)
 فَكَانَ الطَّمَنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا وَكَانَ اللَّبْتُ بَيْنَهُمَا فَوَاقًا^(٤)

ضَحُوكُ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهَـ بَرُّوْعُهُمْ وَلِلْسَيْفِ حَدَّ حِينَ يَسْطُورُ وَرَوْنُ

(١) المهج : الأرواح ، والعوالي : الرماح ؛ وهمه : همته ؛ والعناق : الخيل الكرام يقول : لا تنكر ابتسامه في هذه الحالة لأنه لا كلفة عليه في الحرب إذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه ، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله ، فقد حملت همته ، وقد كشف عن هذا المعنى في البيت التالي .

(٢) إنعال الخيل : تصفيح أيديها بالحديد ، والطراق : نعل تحت نعل . يقول : إذا أُنعلت خيله لتصد قوم أدركتهم فداستهم بهوافرها حتى تصير جلودهم ولحومهم طرَاقاً لنعالها وإن بعد المطلوبون ، ومثل هذا لأبي الأخرز الحماني :

لَمْ تَشْكُ خَيْلُهُمُ الْوَجَى مِنْ رَوْحَةٍ إِلَّا انْتَعَلْنَ مِنَ الدَّمَاءِ قَتِيلًا
 (٣) نَقَعَ : ارتفع صوته وبعد . والصريح : المستغيث . وضيم نصبن للخيل والمؤلة المحددة ، يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر :

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْبِطِ النَّفْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَفْلَامٍ

يقول : إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها الرهفة لامتاعه لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها ، وهذا معنى قوله إلى مكان : أى إلى مكان سوى مكانهن .

(٤) الضمير في بينهما للصريح والخيل : والفواق - ضم الفاء ، وفتحها - مقدار ما بين الحلبتين ، ويضرب مثلاً في السرعة . والفواق أيضاً : الشهقة الغالبة للإنسان يقول : إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطعام من غير بطء في إجابته فتجعل الطعن جواباً ، ومقدار اللبث بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة ، أو فواق إنسان : أى لا لبث بينهما . والله سلامة بن جندل حين يقول :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرِيعٌ كَأَنَّ الصَّرَاخَ لَهُ قَرْعَ الظَّنَائِبِ^(١)

(١) يقول : إذا استغاث بنا مستغيث ، كان جوابه الجحد في نصرته ، ويحال قرع

مَلَايَئِقَةٌ نَوَاصِيهَا النَّايَا مُسَوِّدَةٌ فَوَارِسُهَا الْعِنَاقَا^(١)
تَبَيَّتْ رِمَاحُهُ فَوْقَ الْهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ الْعَجَاجُ لَهَا رَوَاقَا^(٢)
تَعْمِلُ كَأَنَّ فِي الْأَبْطَالِ خَرًّا عُلِينَ بِهَا أَصْطَبَاحًا وَاعْتَبَاقَا^(٣)
تَمَجَّجَتِ الْمَدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكُرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا^(٤)

(١) النواصي : جمع ناصية : شجر مقدم الرأس ؛ وملاية ومعاودة : حالان من الخيل ؛ والعامل فيهما : المصدر - من قوله : وكان الطعن يقول : إن خيله تلقى نواصيها الناياء مقدمة عليها بوجهها بسرعة وقد اعتادت نواصيها معاقبة الأبطال في الحرب ، قالوا : والمعاقبة آخر حالة في الحرب ؛ وأولها الملاقة من بعيد ، ثم المراماة بالسهم ، ثم المنازلة بالرمح ، ثم المنازلة إلى الاقتران ، ثم المعاقبة .

(٢) أراد - - بالهوادي : أعنق الخيل ؛ والعجاج : الغبار . يقول : تبئت رماحه معروضة فوق أعناق خيله في سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم ، وكأنها من الغبار الذي تثيره تحت رواق ، وهو من قول ابن الرومي :

وإعماى إليك بها المطايا وقد ضرب العجاجُ بها رواقا

(٣) الملل : الشرب مرة بعد أخرى ؛ والاصطباح : الشرب في الصباح ؛ والاعتباق الشرب في العشي . يقول : تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خر علت بها أصباحاً وغبوقاً فهي لسكرها تميل ، وميلانها إنما هو لينها وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لا تفتر خيله جائلة غدواً وعشيا وفي مثل هذا يقول البحري :

يتعثرون في النحور وفي الأو جُه سكرًا لما شربن الماء

(٤) حساها : شربها . يقول : شرب سيف الدولة الحمر فلم تغلبه الحمر على عقله حتى تعيبت حين لم تقدر عليه ، وذلك لقوته ومئاته ، ولما جاد بالمال لم يبق من سكر الجود ولم يصح من أريحته ، وقد أحسن البحري في هذا المعنى إذ يقول :

تسكرمت من قبل الكئوس عليهم فما استطعن أن يُحِدثن فيك تسكرما

لهذا الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه ؛ والظنبوب : طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنبوب .

أَقَامَ الشَّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا فَلَمَّا فَاقَتْ الْأُمُطَارَ فَاقَا^(١)
 وَزَنَا قِيَمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَا^(٢)
 وَحَاشَا لِارْتِيَاكِ أَنْ يُبَارَى وَلِلْكَرَمِ الَّذِي لَكَ أَنْ يُبَاقَى^(٣)
 وَلَكِنَّا نَدَاعِبُ مِنْكَ قَرْنَمَا تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حِقَاقَا^(٤)
 فَتَى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الْأَسْرَى الْوُثَاقَا^(٥)

(١) يقول : أقام الشعر يبابه ينتظر عطاياه ، فلما فاقت عطاياه الأمطار في كثرتها فاق الشعر الأمطار كذلك ؛ يعنى كثرت عطاياه وكثرت الأشعار في مدحه .

(٢) الدهماء : يريد الفرس الدهماء ؛ أى السوداء ؛ والقيان : جمع قينة ، الجارية للعبية وغير المغنية . والصدّاق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاء فرساً وجارية يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه : أى ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه . قال العكبرى : وسمى قيمة الجارية صدّاقاً لأن القيمة للأمة ، كالصدّاق للحرّة ؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحرّة بالمهر .

(٣) حاشا : كلمة للاستثناء والتبديد للشيء ؛ والارتياح : الاهتزاز لبذل ويبارى : يجارى . ويباقى : يغالب من البقاء . وقد استدرك في هذا البيت ما ذكره في البيت السابق من أنه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أى لجودك ، أن يبارى بشيء ، فهو أكثر من أن يعارضه شيء . وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقي من كرم غيرك ، يعنى أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذى نجازيها به .

(٤) منك تجريد ؛ والقرم : الفحل الكريم من الإبل ، ثم أطلق على السيد الشريف ؛ والحقاق : جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب والحمل . يقول : بيد أنى قلت ذلك - أى أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر - ممازحة ، فنحن نداعب منك سيداً كل سيد ، فى جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة فى جنب الفحل الكريم .

(٥) يقول : إذا قتل قتيلاً لم يأخذ سلبه ترفعاً عن ذلك ولكن عفوه يسلب أسراه أغلالهم وقيودهم : أى يعفو عنهم ويطلقهم ؛ والأصل فى هذا المعنى قول عنزة :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيمَةَ أَنَّنِي

أَغْنَى الْوَعَى وَأَعِفُّ هَسْدِ الْمُنْمِ

وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَى سَهْوٍ وَلَمْ أَظْفَرْ بِكَ مِنْكَ أُسْتِرَاقًا^(١)
فَأَبْلَغَ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرْقٌ يُجَاوِلُ بِي لَحَاقًا^(٢)
وَهَلْ تُغْنِي الرِّسَالَةُ فِي عَدُوٍّ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غُلْبِي رِقَاقًا^(٣)
إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّ بِهِمْ لَيْبٌ فَلَانِي قَدْ أَكْثَرَهُمْ وَذَاقًا^(٤)
قَلَمَ أَرَوْدُهُمْ إِلَّا خِدَاعًا وَلَمْ أَرِ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا
يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرِ وَعَمَّا لَمْ تُلْقَهُ مَا الْآفَا^(٥)
وَلَوْلَا قُدْرَةُ الْخَلْقِ قُلْنَا أَعْمَدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وَفَاقًا^(٦)

(١) يقول : إنك لم تحسن إلى غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلى ، ولم أظفر بإحسانك من غير استحقاق كن يسرق شيئاً ، ولكنني كنت أهلاً لما أسديت وكنت أنت مصيباً فيما أوليت .

(٢) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوني عليك أنهم لا يلحقونني ولا يلغون شأوي لأن البرق إذا حاول اللحاق بي كبا على وجهه - عثر وسقط - وإذا لم يلحقني البرق فكيف يلحقونني هم ؟ قال الواحدى : وتحمله المدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله - حاسدى عليك .

(٣) الظبي : جمع ظبة ، وهى حد السيف . وهذا استهزام إنكار . يقول : إن حاسدى لا تكفى أمرهم الرسائل إنما يكفى أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفىني منهم الرسالة ، إنما يشفىني منهم القتل بالسيف .

(٤) يقول إنى أعرف الجربين الألباء بأحوال الناس ، لأن غيرى إذا كان قد ذاقهم فإنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والأكلى أعرف بالما كوال من الذائق .
(٥) ألاق الشيء : أمسكه ، قال الشاعر :

كفأك كَفُّ مَا تُتْلِقُ دِرْهُمًا جُوداً وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسِّيفِ الدِّمًا
يقول : كل بحر لا يبلغ شأوك فى الجود ، وما بمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم تمسكه وجدت به .

(٦) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقاً - اتفاقاً - أو عن عمد ، لاستبعاد الوهم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق .

فَلَا حَظَّ لَكَ الْهَيْجَاهُ سَرَجًا وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا^(١)

وقال يمدحه ويذكر الغداء الذى طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه :

لَعَيْنَتِكَ مَا يَنْتَقِي الْفَوَادُ وَمَا لَقِي وَالْحُبُّ مَالَمْ يَنْبَقِ مِنِّي وَمَا بَقِيَ^(٢)
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنْ مَنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَمْشِقُ^(٣)
وَيَبِينُ الرِّضَا وَالسُّخْطَ وَالْقُرْبَ وَالنَّوَى بَحَالٍ لِلدَّمْعِ الْمُقَلَّةِ الْمُتَرَفِّقِ^(٤)

(١) يدعو له . والهيجاء : الحرب : قالوا : وهذا منقول من قول البحرى :

حُطَّتْ سُرُوجُ أَبِي سَعِيدٍ وَاعْتَدَتْ أَسْيَافُهُ دُونَ الْعَدُوِّ تَشَامُ

(٢) يقول . إن عينيك ما دأى فكل ما لقيه قلبى من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنته من السحر . وإن الحب هو الذى أذاب جسمى وأكل لحمى فالذى لم يبق منى - وهو الذاهب - وما بقى ، كلاهما له يفنيه ويذهبه : فاللام - فى قوله لعينيك - للتعليل : ومن قوله للحب : للملك وروى بدل للحب : للشوق .

(٣) يذكر أنه عزهاته يعرف عن النساء ولا يعيل إلى الغزل والعشق ولكن جفون عيني حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يعشق إلى العشق ، وفى هذا نظر إلى قول صريع الفوائى :

وَقَدْ كَانَ لَا يَنْصُبُو وَلَكِنْ عَيْنُهُ رَأَتْ مَنْظَرًا يُضْنِي الْقُلُوبَ فَرَأَتْهَا

وقوله ولكن من يصير : أراد ولكنه - بضمير الشأن - فحذفه وجزم بعده على الشرط .

(٤) يقول : إنه يبكى فى كل حال رضى عنه المحبوب أو سخط عليه ، قرب منه أو بعد عنه . لأنه فى حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى : البعد . والمتفرق الذى يحول فى العين ولا ينحدر . وعبرة العكبرى : ما بين ما أرجوه من رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما آتمناه من اقترابه وأخافه من بعده بحال للدموع التى تترقق فى القل كلفا بالحبيب وحذارا من الرقيب ، وقد شرح هذا المعنى الحماسى حين يقول :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقُّ مِنْ مُحِبٍّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُولَ الْمَذَاقِ

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ وَفِي الْهَجْرِ فَهَوِ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي ^(١)
وَعُضْبِي مِنَ الْإِذْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَبِّي ^(٢)

تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ وَقْتٍ خَافَةً مُرَقَّةً أَوْ لَاشْتِيَاقٍ
فَيَبْكِي إِنْ نَاوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ
(١) ربه : صاحبه ؛ والدهر : ظرف . يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه
شاكاً بين الوصل والهجر ، لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً ، أما إذا
تيقن الوصل فإنه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء ، فالهوى
عليه بلاء كله ، كما قال الآخر :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ مَاسٍ
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ قَيْسُ بْنُ الرِّقَاتِ :
تَرَكْتَنِي وَاقِفًا عَلَى الشَّكِّ لَمْ أَصْدُرْ يَأْسَ مِنْكُمْ وَلَمْ أُرِدْ
ويقول ابن أبي زرعة الدمشقي :

فَكَأَنِّي بَيْنَ الْوَصَالِ وَبَيْنَ الْهَجْرِ مِمَّنْ مُقَامُهُ الْأَعْرَافُ
فِي مَحَلِّ بَيْنَ الْجَنَافِ وَبَيْنَ النَّارِ أَزْجُو طَوْرًا وَطَوْرًا أَخَافُ
قال العكبري : وأصل البيت من قول الحكيم : الرجاء تمن والشك توقف ،
وهما أصل الأمل . وقال الآخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع
ومخافة وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه ويؤمل الوصل ويرتجيه . ولقد أحسن أبو حفص
الشاطبي في قوله :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُهَدِّدُ بِالتَّحْرِيشِ فِيهِ وَبِالْمَقْتَبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ
(٢) وغضبي : أى ورب غضبي . وربى الشباب : أوله ، ومنه ريق المطر : أوله .
جعلها غضبي لفرط دلالها ، فهي ترى من نفسها الغضب دلالة على عاشقها ، وجعلها
سكراً من الصبا والحدادة فهي مزهوة مختالة . ثم جعل شبابه شفيعاً إليها كما قال
عمود الوراق :

وَأَشْنَبَ مَفْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٌ
وَأَجْيَادُ غَزْلَانِ كَجَيْدِكَ زُرْنِي
سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَقَرِّي^(١)
فَلَمْ أَتَّبِعْ عَاطِلًا مِنْ مُطَوَّقِ^(٢)
عَفَافِي وَيَرْضَى الْحَبَّ وَالْحِلِيلُ تَلْتَقِي^(٣)
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَفُ إِذَا خَلَا

كَفَّاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ
وَقَالَ الْبَحْرِيُّ :
أَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَّالِي شَافِعُ
وَأَرَدَ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الْهَوَى
أَلْفَاهُ نِعَمَ وَسِيلَةَ الْمُتَوَسِّلِ
(١) وَأَشْنَبَ : عطف على غضي ؛ والأشنب : الأبيض الأسنان الحسنها
والمسول : الحلو الذي كَان فِيهِ عَسَلًا . والثنيات الأسنان التي في مقدم
الفم ، والمفرق موضع افتراق الشعر من الرأس . يقول : ورب حبيب حسن الأسنان
حلو رصاب الثنايا واضح الوجه - مشرقه - تعففت عنه وتصونت بستر الفم منه عفة
وتورعا كيلا يقبلني قبل رأسي إجلالا لي وميلا إلى . يريد أنه أحب وصله وتعفف
هو عما لا يليق به .

(٢) الأجياد : جمع جيد ، الضيق . والعاطل : الذي لا حلى عليه ، والمطوق الذي
قد تطوق بالحلى . يصف نفسه بالغة والزاهة ، وأنه قد زاره من الحسان عاطلات
وحاليات ، فلم يعرف ذات الحلى ممن لا حلى عليها .

(٣) الحب - بكسر الحاء - المحبوب ؛ وعفافي مفعول مطلق . وقوله : والحيل تلتقي
حال . يقول : ليس كل عاشق عفيفاً مثلي وقت الخلوة بالمحبيب ومع أني عفيف أرضى
المحبيب في الوغى - الحرب - بشجاعتي ؛ قال ابن جني : سأله - اللثني - عن معناه
وقت القراءة عليه ، فقال : المرأة من العرب تريد من صاحبها أن يكون مقدما في الحرب
فترضى حينئذ عنه . ومنه قول عمرو بن كلثوم :

يَقْتَنُ حِيَادَنَا وَيَقْلَنَ لَسْتُمْ
بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُونَا^(١)
وفي مثل هذا المعنى يقول القائل

(١) من معلقته . يقول : يلفن خيلنا ويقلن لنا : لستم أزواجنا إذا لم تمنمونا من
سبي الأعداء إيانا .

سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا يَسُرُّهَا وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُتَقَيِّ (١)
 إِذَا مَا لَبَسْتَ الدَّهْرَ مُسْتَفْتِعًا بِهِ تَخَرَّقْتَ وَاللَّبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ (٢)
 وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاطِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثَنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقٍ (٣)

أَخَذْتُ لَطَرْفَ الْعَيْنِ مَا تَصِيْبُهُ وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّي مَكَانَ الْمُخْلَخَلِ
 ويقول الآخر .

لِي مَا حَوَاهُ قِنَاعُهَا مِنْ فَوْقِ مَا حَوَتْ الْجُيُوبُ وَلِي مَكَانُ ثَرَاهَا
 لَمْ تُلَفِ مُفْتَنِّقِينَ لَيْسَ عَلَيْهِمَا حَرَجٌ سِوَايَ مَعَ الْهُوَى وَسِوَاهَا
 وقال العكبري : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع حجة ائتلاف
 الأرواح إنما نمنع حجة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم .

(١) ما يسرها : مفعول ثان لسقى ؛ والبابلي : الحمر نسبة إلى بابل . يدعو لأيام
 الصبا . يقول : سقاها الله ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل الحمر المعتقة ؛ وهذا
 على عادة العرب من الدعاء بالسقيا . وهو مجاز ، لأن الأيام ليست بما يسقى :

(٢) يقول : إن الدهر مشتمل على ناسه احتمال الثوب على لابسه ، بيد أن هذا
 الثوب - الدهر - باق لا يبلى - أما لابسه - وهو الإنسان - فإنه يبلى ويفنى . ومن
 ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع - أي أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه ، فهو أبداً
 جذع لا يسن . قال الأخطل :

يَا بَشْرُ لَوْلَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةِ أَلْقَى عَلَى يَدَيْهِ الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ
 وفي مثل هذا المعنى يقول ابن دريد في مقصورته :

إِن الْجَدِيدِينَ إِذَا مَا اسْتَوَلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَدْنِيَاءِ اللَّيْلِ

(٣) الكاف - في قوله كالألحاط - اسم بمنزلة مثل ، مفعول به . وجملة بعثن حال ؛
 وبكل القتل : أي بقتل فطيط . يقول : لم أر مثل الألحاط ولا مثل فعلها يوم رحيل
 الذين أحبهم ! بعث لنا القتل ؛ أي قتلنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها ،
 والأصل في هذا قول النابغة :

فِي إِثْرَ غَايَةِ رَمْتِكَ سِيَّهَا مَهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ
 [رماه فأقصده . قتله في المكان]

أُدرنَ عيوننا حارِراتٍ كأنَّها مُرَّ كَبَّةٍ أَحداقُها فوقَ زُبَيْ^(١)
عَشِيَّةٍ يَعدُّونا عَنِ النَّظَرِ البُكا وَعَنِ لَذَّةِ التَّوَدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ^(٢)
نودُّهمُ والبَينُ فينا كأنَّهُ قنا ابنُ أبي التَّهيجاءِ في قلبِها فَنَلَقِ^(٣)

(١) الضمير - في أدرن - للحبيبات ، لدلالة المقام . والأحداق : جمع حدقة - مवाद العين . يقول : أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الوقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها مركبة على زُبَيْق . وهو معروف أن الزُبَيْق يوصف بقلة الثبات وبالترجرج ، وقال بعضهم يصف عققا - طائر على شكل الغراب أو هو الغراب :

يُقلِّبُ عَيْنَيْنِ في رَأْسِهِ كأنَّهما قَطْرَتَا زُبَيْقٍ
(٢) يعدونا : يمنعنا ويصرفنا ، والبكاء يمنع من النظر ، لأن السمع إذا امتلأت به العين غاض البصر ؛ كما قال القائل :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ، ألا ترى إلى قول البحري :
لَا تَمْذُلْنِي فِي مَسِيرِي يَوْمَ سِرْتِ وَلَمْ أَلَاقِكْ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا لِلْبَيْنِ تَسْفَعُ غَرْبَ مَا قُكْ
وَذَكَّرْتُ مَا يَجِدُ الْمُودُ دَعِ عِنْدَ ضَمِّكَ وَاعْتِنَاقُكَ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

ومن هذا قول الآخر :

يَوْمَ الْفِرَاقِ شَكَرْتُ تَرَكَ وَدَاعَكُمْ وَالْمَذْرُ فِيهِ مَوْسَعٌ تَوَسَّيَمَا
أَوَهْلَ رَأَيْتَ وَهْلَ تَمِغْتَ بِوَاحِدٍ يَمْشِي يُودِّعُ رُوحَهُ تَوَدَّيَمَا
وقول الآخر :

صَدَّنِي عَنْ حَلَاوَةِ النِّشِيعِ حَذَرِي مِنْ مَرَارَةِ التَّوَدِيعِ
لَمْ يَقُمْ أَنَسُ ذَا بَوَاحِشَةٍ هَذَا فَرَأَيْتُ الصَّوَابَ تَرَكَ الْجَمِيعِ
(٣) القنا : الرماح . وأبو الهيجاء : هو والد سيف الدولة ؛ والفيلق : الكتيبة

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسَجُ دَاوُدَ حِنْدَهَا إِذَا وَقَمَتْ فِيهِ كَنَسَجِ الْخَدَرَنْقِ^(١)
 هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجِيُوشِ كَانَهَا تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكَمَاةِ وَتَنْتَقِي^(٢)
 قَدُّ عَلَيْهِمْ كُلِّ دِزِجٍ وَجَوْشِنٍ وَتَفَرِّي إِلَيْهِمْ كُلِّ سُورٍ وَخَنْدَقِ^(٣)

من الجيوش . يقول : إن البين - البعد - يفتك بنا فتك رماح سيف الدولة بجيوش أعدائه . وهذا من حسن التخلص وهو بدیع .

(١) قواض : قوائل ، يعنى الرماح ، وهو خبر عن محذوف ضمير القنا ، ومواض : نوافذ ؛ ونسج داود : الدروع ؛ والخدرنق - بالذال والذال - النكبات وإذا جمته حذف آخره قلت خدارن ؛ وفي الصحاح : بالذال المهمة ؛ وأنشد أبو حنيفة للزبان السدي :

وَتَسْلِي طَائِفَ عَلَيْهِ الْفَلَقُ يُبِيرُ أَوْ يُسَدِّي بِهِ الْخَدَرَنْقِ^(١)

يقول : هي - أي رماح سيف الدولة - قوائل من يقصدها نوافذ في دروع الأبطال تخرقها إليهم ، كأنها تخرق نسج النكبات .

(٢) هواد - من الهداية - يقال هداه فهدى ، والأملاك الملوك : وتغير بحذف إحدى التاءين أي تنغير ، والسكاة جمع كى : البطل المستتر في سلاحه . يقول : إن هذه الرماح تهدى أربابها أو تهتدى هي بنسبها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تنخير الأبطال فتأبى إلا خيارهم وسادتهم ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

قَفَا سِنْدَابَايَا وَالنَّسَايَا كَانَهَا تَهْدَى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدَى^(٢)

(٣) الجوشن : الدرع . يقول : لا تحصنهم منها الدروع فإنها تقدها - تقطعها - ولا الأسوار والخنادق فإنها تفرسها - تقطعها - وتأتى عليها وذلك لشدة طعن فرسان للمدح وشجاعتهم .

(١) الفلق الطلعب : الحضرة على رأس الماء ، يقال : ينبت في الماء ذو ورق عريض

(٢) قال ياقوت : سندابايا : موضع بأذربيجان بالبذ ، من نواحي بابك الحرمي .

قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف :

رَمَى اللَّهُ مِنْهُ بَابَكَاً وَوَلَاتَهُ بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

فَتَى يَوْمَ بَذِ الْخَرْمِيَةِ لَمْ يَكُنْ بِهَيَّابَةِ نَكْسٍ وَلَا بِمَعْرَدٍ

قَفَا سِنْدَابَايَا وَالرَّمَا حَ مُشْبِحَةً تَهْدَى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدَى

يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللَّقَافِ وَوَاسِطٍ وَيُرُ كِرْهَا بَيْنَ الْفِرَاتِ وَجَلِّي^(١)
وَيُرْجُمُهَا مُخْرًا كَانَ صَحِيحَهَا يُبَكِّي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّي^(٢)
فَلَا تَبْلُغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يَذْ كُرْ لَهُ الطَّعْنُ يُشْتَقُّ^(٣)
ضُرُوبٌ بِأَطْرَافِ الشُّيُوفِ بَنَانُهُ لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقُّ^(٤)
كَسَائِلُهُ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكَ أَرْفُقِ^(٥)

(١) اللقاف : بلد من بلاد الروم . وواسط : بلد بالعراق بناها الحجاج وخلق : دمشق أو غوطتها . قال الواحدي : وكان أوقع بيني البريدي بواسط ، يريد كثرة غاراته وفشوها في البلاد من العراق إلى أقصى الروم ، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقصى الشام .

(٢) المتدقق : المتكسر . يقول : برد الرماح من القتال متلطفة بالدماء تقطر منها ، كأن صحاحا تبكي على ما تكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة ويكي كيكي . والتشديد للبالغة .

(٣) فلا تبلغاه أي المدوح ، يقول — مخاطباً صاحبيه على عادة العرب — لا تبلغاه ما أقول فإنه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطعان اشتاق إليهما وحن والبيت منقول من قول كثير :

فَلَا تُذْ كِرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ إِنَّهُ مَتَى تُذْ كِرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ يَحْزَنُ

(٤) بنانه : فاعل ضروب ؛ والكلام المشقق : الذي شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام : إذا أخرجه أحسن مخرج . يقول : إنه شجاع في الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع ، قال العكبري : وقد نقل هذا المعنى في الهجاء إلى المدح من قول الأول :

فَبَاعِدْ يَزِيدًا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأُذِنْ يَزِيدًا مِنْ كَلَامِ مُشَقِّ

(٥) يقول : إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ما هو في غنى عنه ، إذ أن قطر الغيث مبذول لمن أراده ، كذلك من يسأل للمدوح يتكلف ما لا حاجة به إليه ، إذ أنه يعطى بلا سؤال ، ولما كان المدوح مطبوعاً على الجود لم يكن في استطاعته العدول عنه ، وإذن يكون عاذه عليه ، كمن يقول للفلك ارفق في حركتك ؛ فقوله كسائله : خبر مقدم ومن يسأل : مبتدأ مؤخر ومثله كماذهل من قال . وذهب ابن جني إلى أن المعنى : كما أن

لَقَدْ جُذِتَ حَتَّى جُذِتَ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ ^(١)
 رَأَى مَلِكُ الرُّومِ أَرْزَاحَكَ لِلنَّدَى فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي التَّمَنَّى ^(٢)
 وَخَلَّى الرَّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا لَا دَرْبَ مِنْهُ بِالطَّعَانِ وَأَحْذَقِ ^(٣)
 وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضِ بَعِيدٍ مَرَامَهَا قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْنِكَ سُبْقِ ^(٤)
 وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكِ مِنْهَا رَسُولُهُ فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفْلَقِ ^(٥)

الغيث لا تؤثر فيه القطرة ؛ كذلك سائله لا يؤثر في ماله وجوده ، قال العروضي - ناقدًا - :
 وهذا على خلاف العادة في المدح لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة
 إليه ، قال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقال الشاعر :

ولم يك أكره الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

والذي فسر - أي ابن جني - مدح بكثرة المال لا الجود . . . وإنما أراد
 - أي المتنبي - : من عادته وطبعه الجود كمادة الغيث أن يعطر - أي يمطر - فسائله
 مستغن عن تكليفه ما هو في طبعه .

(١) يقول : لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حدودك جميعاً لما نالوا من
 برك وإحسانك .

(٢) الارتياح : الانبساط ؛ والندى : الجود ؛ والمجتدى : طالب العطاء ؛ والمتعلق :
 للتودد ، أو الذي يخضع ويلين كلامه - مأخوذ من الصخرة الملقاة ، وهي الملساء -
 يقول : لما علم ملك الروم انبساطك للعبود وأريجيتك له تملق إليك تملق السائل ؛ وفي
 هذا نظر إلى قول القائل :

ولولم تُناهضه وأبصرَ عظمَ ما تُنيلُ من الجُدوى لجاءك سائلاً

(٣) الرماح السمهرية : نسبة إلى سمهر ، زوج ردينة ، كانا يقومان الرماح ؛
 وأدرب : من الدربة ، وهي العادة ؛ يقال درب بالشيء : اعتاده وضرى به . والحاذق :

الخبير بالشيء . يقول : وترك ملك الروم الرماح صفاراً لا اختياراً لمن هو أحذق بالطعان
 وأجرى عادة به منه - يعني سيف الدولة - يعني ترك الحرب صاغراً واستأمن بالكتاب .

(٤) يقول : استأمن إليك من أرضه البعيدة لعله أنها لا يبعد على خيلك سبق
 فإنك تدركه بهامتي أردت . وقوله بعيد : يروى بالجر ، على أنه نعت سببي لأرض . ومرامها -

أي مطلبها . . . فاعل له ؛ ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم ، والجملة : نعت أرض .
 (٥) المسرى : الموضع الذي يسار فيه ليلاً : والهام : الرؤوس . يذكر كثرة قتلاه

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ شَمَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُنَاتِقِ^(١)
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِساطِ فَمَا دَرَى إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَذْرِ يَرْتَقِ^(٢)
وَلَمْ يَتَنَبَّكْ الْأَغْدَاءَ عَنْ مُهْجَاتِهِمْ يَمْتَلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامٍ مُنَقِّ^(٣)
وَكُنْتُ إِذَا كَاتَبْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّسْتَقِ^(٤)

في أرض الروم ، وأن رسوله سار إليك عند قصدك إياك في طريقك فما سار إلا فوق
ردوس القتلى . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ جَنَاحَيْنِ فَاتَّقَ فِيهَا قَنَّا قِصْدَ^(١)
وقول الأول :

بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ نَجْدٍ بَنَانُ فَتَى وَجُحْمَةٌ فَلَيْقُ

(١) يقول : لما قرب الرسول أعنى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان
سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمعان الأسلحة حوايه . وقال العكبري : الضمير في
« مكانه » للرسول : أي حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمعان الحديد في عسكر
سيف الدولة .

(٢) في البساط : يروى في السباط ؛ والسباط : صف يقومون بين يدي الملك .
وقوله إلى البحر : أي إلى البحر ، حذف همزة الاستفهام . ويرتقى : يصعد ، يقول :
وأقبل الرسول يمشي إليك بين السباطين فغشيه من هيبتك ما لا يحرض مثله إلا لمن قصد
إلى البحر أو ارتفع إلى البدر ، لعظم ما عاين .

(٣) لم يتنبك : لم يصرفك ؛ والمهجة : الروح ؛ ونقى الكلام : زينه : يقول : لم يجد
الأعداء شيئاً يصرفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دماهم مثل أن يخضعوا لك في
كتاب يكتبونه إليك لأنك لا تدفع بالمقاومة . ولعله من قول أبي تمام :
خَطَاطُ لَهُ الْأَقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُثَامُهُ إِذْ لَمْ تَحْطُهُ قَبَائِلُهُ
وقوله أيضاً :

عَدَا خَائِفًا يَهْتَجِدُ الْكُتُبَ مَذْعَنًا عَلَيْكَ فَلَا رُسُلَ تَمَنَّتْكَ وَلَا كُتُبَ

(٤) الإشارة بهذه : إلى المرة ؛ والقذال : مؤخر الرأس : والدستق : القائد من
قواد الروم . يقول : كنت قبل استغاثته بك إذا أردت مكاتبته كتبته إليه بما تحدته

(١) الجناحين : عظام الصدر : ويروى جهاجم .

فَإِنْ تُعْطِ مِنْكَ الْأَمَانَ فَسَائِلٌ وَإِنْ تُعْطِ حَدَّ الْحَسَامِ فَأَخْلِقِ^(١)
وَهَلْ تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمْ أَسِيرًا لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ^(٢)
لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ^(٣)
بَلَقْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتَبَةً أَثَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ^(٤)
إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهَوْ بِلَحْيَةٍ أَحْمَقِ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْخَلْقِ^(٥)

صيوفاك في قذال الدمستق من الجراحات : أى إن هذه الجراحات التى تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه ، لانه يبين بها كيفية الامر كما تبين بالكتاب - وكان الدمستق قد جرح في بعض وقائع سيف الدولة ، فأشار المتنبي إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ما ظهره من الخضوع ، وقد فصل ذلك أبو تمام وما أبدعه :

كُتِبَتْ أَوْجُهُهُمْ مَشَقًا وَنَمْنَةً ضَرَبَ بَاوْطَنًا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفَا
فَإِنْ أَلْطَوْا يَنْكَارٍ فَقَدْ تَرَكْتُ وَجُوهَهُمْ بِالَّذِي أَوْلَيْتَهُمْ صُحُفَا

[الشق : مد الحروف ؛ والنخمة : النقش ؛ والصلف : جمع صليف ، صفحة العنق والظاء : بالطاء والظاء - لازموه ولم يفارقوه] :

(١) أخلق صيغة تعجب من قولهم فلان خالق بهذا أى جدير به . يقول : فإن أعطيته ما يطلب من الأمان فهو ضائل يسألك ؛ وأنت لا تحب سائلا ، وإن قتلته فهو جدير بذلك لأنه حرى مباح الدم .

(٢) البيض : السيوف ؛ والصوارم : القواطع ؛ والرقيق : العبد . يقول : إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقا يعتق .

(٣) الضمير في شفراتها : للبيض الصوارم ؛ وشفرة السيف : حده ؛ والزردق : الصف من الناس - تعرب رسته . يقول : إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حتى أفنتهم . وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا بِنَفْسِهِمْ رِضًا اللَّهُ مَصْفُوفٍ الْقَنَا الْمُتَشَاجِرِ

(٤) وصفه بالنور لبعده صيته وشهرة اسمه في الناس كشهرة النور المستضاء به . يقول : هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيق اشتهار النور في المشرق والمغرب .

(٥) الأحق : الجاهل الذى لا عقل له . يقول : إذا أراد سيف الدولة أن يسخر من

وَمَا كَمَدُ الْخَسَادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرُقُ ^(١)
وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيُغْضِي عَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ مُمَخْرَقٍ ^(٢)
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرَقٍ ^(٣)

أحق من الشعراء أمره باللاحق بي ؛ فهو بحمته يظن أنه يقدر على إدراك شأوى وليس يقدر ، والفبار واللاحق استعارة من سباق الخيل .

وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَا طَالِبًا مَسْمَعَاتِهِمْ لِيُنَافِلَهَا هِيَهَاتَ مِنْكَ غُبَارُ ذَاكَ الْمَوَكِبِ

قيل إن الخالدين - أبا بكر وأخاه عثمان - قالوا لسيف الدولة : إنك لتغالي في شعر المتنبي ، اقترح علينا ما شئت من قصائده حتى نعمل أجود منها ، فدافعهم زمانا ، ثم كررا عليه ، فأعطاهما هذه القصيدة : فلما أخذها قال عثمان لأخيه أبي بكر : ما هذه من قصائده الطنانات فلائى شئ ، أعطانا ؟ ثم فكرا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا هذا البيت ، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملوا شيئا .

(١) يقول : لست أقصد أن أكمد حادى لأنى لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا لي لم يطبقوا مزاحمتي فكمدوا وحزنوا لذلك ، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق في تياره . وقال الخطيب التبريزي المعنى : وما الإزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ولا العجز لهم قصدت فيما خلده ، ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ويهلك من اعترضه غير عامد ، وهو منقول من قول زياد الأعجم :

وَلَمَّا نَا وَنَا يَهْدَى بِي مِنْ هِجَائِنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُرْمَ فِي الْبَحْرِ يَغْرُقُ
(٢) المخرق : لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العيب والأباطيل : مأخوذة من الخرق ، وهو شئ يلبس به : إما منديل يلف أو خشب . ومنه قول عمرو ابن كلثوم :

كَانَ سَيُوفُنَا فِينَا وَفِيهِمْ تَخَارِيقُ بَأْيْدِي لَاعِمِينَا

يقول : يمتحن الناس بقله ليعرف ما عندهم ثم يغضى مع علمه بأذى العيب منهم فلا يفضحه لكرمه .

(٣) الإطراق : أن ترمى إلى الأرض ؛ وطرف العين : نظرها . يقول : إن إغضاه عن هؤلاء العاشرين لا ينفعهم إذا كان يعرفهم بقله فلا يخفى عليه حالهم ؛ وعبرة العكبرى : يريد هو يغضى للمخرق إغضاه تجاوز وحلم لا إغضاه غيظ وسوء ، وغض العين

فَيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِزُهُ تَمْتَنِّعْ ، وَيَا أَيُّهَا الْخَرُومُ يَمِّمَهُ تُرْزَقِ (١)
 وَيَا أَجْبَنَ الْفَرَسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِيْ وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارِقَهُ تَفَرِّقِ (٢)
 إِذَا سَعَتْ الْأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعَى مُحَنِّقِ (٣)
 وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلَ السَّعِيدِ الْمُوَقِّقِ (٤)

لطرفها وكفها للحظها لا ينفع الموه المغالط والمقصر المخرق ، إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر إليه . وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي :

والنَّوَادِ الذِّكْرُ لِلنَّاطِرِ الْمَطْرُقِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
 ولا بن دريد :

ولم يَرَ قَبْلِي مُنْضِيًّا وَهُوَ نَاطِرٌ وَلَمْ يَرَ قَبْلِي سَاكِتًا يَتَكَلَّمُ
 (١) يقول : يا من يطلب فيخاف طالبه كن جارا له حتى تصير منيعا لا يصل إليك
 سوء ، ويا من حرم حظه من الرزق اقصد سائلا تصر مرزوقا ، فهو ذو نجدة يحمي
 الدمار معطاء .

(٢) يقول : إن من صاحبه صار جريثا إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقة بنصرته .
 ومن فارقه - وإن كان شجاعا - فرق - خاف وفزع - وصار جبانا ؛ قال علي بن جبلة :
 بِهِ عِلْمُ الْإِعْطَاءِ كُلُّ مُبْخَلٍّ وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرُّوْعِ كُلُّ جَبَانٍ
 وقال البحتري :

يَسْخُو الْبَخِيلُ - إِذْ رَأَى كَبْنَفَهُ وَالنَّكْسُ يَمْلَأُ مَضْرِبَ الصَّمَامِ
 (٣) المحنق : المنقب . يقول : إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويطلوه سعى جده
 - سعده - في إبطال كيدهم سعى محنق ، ويروى سعى جده في مجده : أي في تشييد مجده
 أي أن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه .

(٤) المبين : الظاهر البين ، يقال أبنت الشيء ، وأبان هو ؛ واسم يكن : ضمير
 الفضل الأول : أي إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد . يقول : لا ينحك فضلك الظاهر
 إذا لم ينحك جدك القاهر ، أي أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل
 صاحبه شيئا ، قال حسان :

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه بين عقيل وقشير وبني العجلان وكلاب لما عاتوا
في نواحي أعماله ، وقصدته إلام ، وإهلاك من أهلكتهم ، وعفوه عن عفا بعد
تضافرهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤ .

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْمَذِيبِ وَبَارِقِ

هَجَرَ عَوَالِيَنَا وَهَجَرَ السَّوَابِقِ^(١)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْهَبُونَ قَنَاصَهُمْ بِفَضْلَةٍ مَا قَدْ كَسَرُوا فِي الْمَنَاقِبِ^(٢)

وَكَلِيلًا تَوَسَّدْنَا الثَّوْبَةَ تَحْتَهُ كَانَ ثَرَاهَا عَنَبَرٌ فِي الْمَرَاقِبِ^(٣)

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي وَجَهْلٍ غَطَى عَلَيْهِ النِّعِمُ

[الحلم : العقل ؛ والجهل : الحق وعدم العقل] وقال ابن دريد :

لَا يَرْفَعُ الْجَدُّ بِلَالٍ وَلَا يَحْطُكُ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَلَا

(١) المذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة ؛ والعوالي : الرماح ؛ والسوابق :
الحيل ؛ وما بين : لك أن تجعل طرفا لتذكرت ، وهجر عوالينا بدل منه بدل اعتمال ؛
كأنه قال هجر عوالينا فيه . ولك أن تجعل « ما » زائدة وبين المذيب : طرفا للهجر ،
وهجرى - بفتح الليم وضمتها - وهو وهجر : مصدران مميان . يقول تذكرت نزولنا
بين هذين اللوأمين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان وتتسابق على الحيل .
يعنى أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الحيل .

(٢) القنص : الصيد ؛ والمناقب : جمع مفرق ، موضع افتراق الشعر من الرأس .
يقول : وتذكرت صحبة قوم صمالك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا
لا يكسرون سيوفهم إلا في جماجم الأبطال ، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة
الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في
رؤوس الأعداء .

(٣) الثوب : موضع بقرب الكوفة ؛ وتوسد الشيء : جعله كالوسادة تحت رأسه ؛
والمراقب : جمع مرفق ، مرفق اليد ؛ وثراها : ثرابها . يقول : وتذكرت ليلا اتخذنا
فيه هذا المكان مخدات لنا : أى نمنا عليه وكان طيب التراب ، فكان ثرابه الذي
ارتفتنا به حين اتكأنا عليه عبر في المرافق ، وقال ابن جني : المرافق جمع مرفقة وهي
الوسادة . وهذا غير موافق لل مقام ، لأنه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على

بِلَادٍ إِذَا زَارَ الْحَسَانَ بِغَيْرِهَا خَصَا تُرْبَهَا ثَقْبَنُهُ لِلْمَخَانِقِ^(١)
سَقَتْنِي بِهَا الْقَطْرُ بُرْبُلِي مَلِيحَةً

عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقٍ^(٢)

سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَظِيرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقٍ^(٣)

مشقة السر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداوم والأرض وسائدهم ، ولا يفتخر الصلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحري :

فِي رَأْسٍ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لَوْلُو وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يَشَابُ بِمَنْعَرٍ

(١) بغيرها : حال من الحسان ؛ وحصى : فاعل زار ؛ والمخانيق : جمع مخنقة ، وهي القلادة . يقول : هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبه كما يشب اللؤلؤ وجعلته قلادة لمن لحسنه ونفاسته ؛ وقال الخطيب التبريزي : إنما أراد ما يوجد حول الكوفة من الحصا الفروحي أي أن تراب تلك الأرض ينوب عن العنبر ، وحصاها ينوب عن الدر وإلحاقوت ، كأن النساء يتحلين به وينظمنه في عقودهن . وفيه نظر إلى قول دعبل :

فَسَكَانًا حَصْبًا وَهِيَ فِي أَرْضِهَا خَرَزُ الْعَقِيقِ نُظْمُنَ فِي سِلَاحٍ

(٢) قطربل : ضيعة من أعمال بغداد ، تنسب إليها الحمر القطربلية ، وعلى كاذب خبر مقدم على ضوء ؛ ومن وعدّها ؛ نعت لكاذب يقول : سقنتي الشراب القطربلي امرأة مليحة على وعدّها الكاذب ضوء الوعد الصادق : أي يستحسن كلامها فيقبل كذبها قبول الصدق ؛ ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك ، فهو ضوء الصدق ؛ ويجوز أن يريد ، أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفي مثله يقول منصور النخعي :

تَعَلَّلْهُ مِنْهَا غَدَاةَ يَرْتَى لَهَا ظَوَاهِرَ صِدْقٍ وَالبَاطِنَ زُورٍ

(٣) قال ابن جني : أي قد اجتمعت فيها — أي المليحة — الأضداد ، فعاشقها لاينام شوقاً إليها ، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهي سقام لبدنه ، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جني — كما ترى — إلى أن البيت صفة للمليحة ؛ وقال العروضي : إنما يصف القطربلي — الحمر — والحمر تجمع هذه الأوصاف ، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم ، وهي — بشعاعها — كالشمس للنظر ، وهي ترخي الأعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض ، وهي طيبة الرائحة فتشفي مسك لمن شمها ، والأظھر ما ذهب إليه ابن جني . وقد غاب ابن وكيع على المتنبي هذا ، وقال ينفى : أن يقول :

وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ^(١)
أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ
بَلَا كُلُّ تَمَعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَاقٍ^(٢)
يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدَّغَاهُ فِي خَدَى غُلَامٍ مُرَاهِقٍ^(٣)
وَمَا الْخُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَأَخْلَاقِهِ^(٤)

سُهاد لأجفان ونوم لساهرٍ وسقم لأبدان وبره سقام
حتى يصح التقسيم والطباق .

(١) وأغيد : عطف على مليحة ؛ ويروى بالجر — على إضمار رب — والأغيد :
الناعم المثني لنا . يقول : وسقاني أغيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم ، فالفاسق
يميل إليه جبا لجسمه ، والعاقِل العفيف — الذي لا يفسق — يصبو إلى روحه لحفته
وظرفه . وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

فَتَتَنَنِي وَصِيفَةً كَالْفِطَامِ الْمُرَاهِقِ

هَمَّةُ النَّاسِكِ الْعَفِيفِ وَسُؤْلُ الْمُنَافِقِ

(٢) المزهر : العود ؛ والعائق : اللانع . يقول : إذا تناول العود جَسَّ الأوتار أتى
بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه ، كما قال الآخر :

إِذَا مَا حَنَّ مِزْهَرُهَا إِلَيْهَا وَحَنَّتْ نَحْوَهُ أَذِنَ الْكِرَامُ

وَأَصَفُوا نَحْوَهَا الْأَسْمَاعَ حَتَّى كَانَهُمْ — وَمَا نَامُوا — نِيَام

ووصفه بالأدب : إما لأن ضرب العود من آداب اليد ، وإما لأنه يحفظ الأبيات
الحلوة والأشعار النادرة ؛ ويؤكد هذا البيت التالي .

(٣) عاد : هي تلك القبيلة العربية القديمة ؛ والمراهق : الذي قد راهق الحلم — أى
دافاه وقاربته — يقول : إنه يأتي بالألحان القديمة والأشعار التي قلت في الدهور الماضية ،
فهو بفنائها يحدث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم ؛ وعبارة ابن
جني : هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم .

(٤) صمير يكن : للحسن . والخلائق : كالثمائل — الخصال — أى الأخلاق .

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمَوَافِقِ وَلَا أَهْلُهُ الْأَذْنُونُ غَيْرُ الْأَصَادِقِ ^(١)
وَجَايزَةُ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمُنَافِقِ ^(٢)

يقول : إذا لم تكن أفعال الفتي وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفاً له ، قال
العباس بن مرداس :

وَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ نَحْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
وقال الفرزدق :

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجِسْمِ وَطَوْلِهَا إِذَا لَمْ يَزِنْ حَسْنَ الْجِسْمِ عُقُولُ
وقال دعلج :

وَمَا حُسْنُ الْجِسْمِ لَهُمْ بِزَيْنِ إِذَا كَانَتْ خَلَاتِقُهُمْ قَبَاحًا
(١) الأذنون : الأقربون - جمع أدنى - والأصديق : جمع أصدقاء ، جمع صديق
قال الواحدى : هذا حث على السفر والتغرب . يقول : ليس بلد الإنسان إلا ما يوافقه ،
ولا أقاربه إلا أصدقاؤه ، يعنى أن كل مكان واقعه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم
صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأذنون . قال العكبرى : وأخذ صدره
من قول القائل :

يُسْرُ الْفَتَى وَطَنُ لَهُ وَالْفَقْرُ فِي الْأَوْطَانِ غُرْبَةٌ
وأخذ محمزه من قول الآخر :

دَعَوْتُ وَقَدْ دَهَنَتِي دَاهِيَاتُ وَلِلْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ طَرُوقُ
صَدِيقًا لَا شَقِيقًا فِيهِ غِلْ أَلَا إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الشَّقِيقُ

(٢) يقول : يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويتظاهر بها من لا يلتزمها ،
ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه . قال العكبرى : وهذا إشارة إلى أن شكره
لسيف الدولة ليس كشكر من يتصنع له ولا بخلص له حقيقة وده ؛ وقال الواحدى :
يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب إذ طرحو أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم
بيدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر :

وَالْمَيْنُ تَقْلَمُ مِنْ عَيْنِي مَحْدَثُهَا مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
ويقول القائل :

خَلَيْتُ لِلْبَغْضَاءِ جَالٌ مُبِينَةً وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ

بَرَأَى مِنْ أَفْقَادَتِ عُقَيْلٍ إِلَى الرَّدَى وَإِشْمَاتِ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطِ خَالِقِ^(١)
أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَاقِ^(٢)
فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَاقِ^(٣)
لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَا حَقِ^(٤)
وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا ثِيَابًا طَفَوْا بِهَا رَمَى كُلَّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ^(٥)
وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ سَقَى غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ^(٦)

(١) عقيل بن كعب : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، ومنهم كان رؤساء الجيش الذي أوقع بهم سيف الدولة . يقول : من الذي أشار على عقيل هذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأشتموا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه ؟ يعني أنهم أساءوا في هذا التدبير .

(٢) على : هو سيف الدولة ؛ ويوسع : يكثر ؛ والجحفل : الجيش العظيم ؛ والذي يعجز الوري : هو عصيان سيف الدولة . يقول : أرادوا عصيانك الذي يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذي يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرة وازدحامه ؛ يعني أنه لا يقدر أحد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته .

(٣) يقول حين عصوه وقتلوه بسطوا أكتفهم إلى من قطعها وحملوا رءوسهم إلى من فلقها — يريد بنى عقيل — وأنهم كانوا في تلك الحرب جزر السيوف وغرض الختوف .

(٤) يقول : لقد أقدموا على الحرب ، ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب ؛ يعني أنهم لم يؤثروا من ضعف في حربهم ولا من تقصير في هربهم ، ولكنهم رأوا من لا يوافق في حرب ولا يمتنع منه هرب .

(٥) كعب : قبيلة منهم ؛ وطفوا تمردوا ؛ والسنان : الرمح . يقول : لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طفوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم النعمة بالإغارة عليهم وقتلهم ، فكأنه خرق بأسنته ما ألبسهم من ثياب نعمته .

(٦) أراد بالغيث : إنعامه عليهم . والبوارق : جمع بارق ، وهو السحاب فيه برق . وقوله : سقى غيره : أى سقام كأيس الموت في غيره بوارق الغيث ؛ يعني في بوارق السيوف .

وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ
 كَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ (١)
 أَنَاهُمْ بِهَا حَشَوَ الْعَجَاجَةَ وَالْقَنَا سَنَابِكَهَا تَحْشَوْنَ بَطُونَ الْحِمَالِقِ (٢)
 عَوَابِسَ حَتَّى يَأْبِسَ الْمَاءُ حَزْمَهَا فَهِنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ (٣)

والعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أتاها من عسكره
 في مثل السحاب البارقة ، فكانت ضد السحاب التى أحسن إليهم بها فكفروها . وفى
 مثل هذا يقول البحرى :

لَقَدْ نَشَأْتُ بِالشَّامِ مِنْكَ سَحَابَةٌ تَوَثَّلَ جَدُّوَاهَا وَبُحْشَى دِمَارُهَا
 فَإِنْ سَأَلُوا كَانَتْ غَمَامَةً وَأَيْلٍ وَغَيْثًا وَإِلَّا فَالْمَمَارُ قِطَارُهَا

(١) يقول : إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره لأنه كان محسنا إليهم وهم تعودوا
 إحسانه ، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم . فهو يقول — موبخا لبنى كعب لما حرمت
 أنفسها فضل سيف الدولة ، الذى كان عندهم عادة دائمة ونعمة ساذجة — : وما يوجع
 الحرمان ممن لا يرتقب فضله ، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله ، كما يوجع ذلك ممن قد
 أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه . يريد أنهم كانوا
 أصدقاءه فحرموا فضله ورفده .

(٢) بها : أى بالخيول — وإن لم يجر لها ذكر — ؛ وحشو : حال ، كأنه قال :
 محشوة ، والعجاجة : واحدة العجاج : الفبار . والقنا : الرماح ؛ والسنايك : أطراف
 الحوافر ؛ والحمالق — بحذف الياء ، لأنها الحمالق — جمع حمالق : بطن جفئن العين .
 يقول : أتاها بالخيول وقد أحاطت بها الرماح والفبار فهى حشو هذين ، وحوافرها تحشو
 العيون بما تثير من الفبار . وقال العروصى : أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رؤوس القتلى
 فتحشو حمالقها بسنايكها ، كما قال :

* وَمَوَاطِنُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ *

فأما أن يرتفع الفبار فيدخل فى العيون فلا كثير افتخار فى هذا .

(٣) عوابس : حال — أى كالحلة لما أصابها من الجهد — ؛ وحلى : من الحلية .
 وأراد ييبس الماء : ما جف من العرق ، وعرق الخيل إذا جف أبيض ؛ والحزم : جمع
 حزام ؛ والمناطق : جمع منطقة ، ما يشد به الوسط . يقول : أتهم الخيل كالحلة وقد جف
 العرق على حزمها فايض ، فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالنفضة .

فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرِ طَوَالَ الْعَوَالِي فِي طَوَالِ السَّمَائِ^(١)
 وَسَوْقَ عَلَيَّ مِنْ مَعْدَةٍ وَغَيْرِهَا قِبَائِلَ لَا تُعْطِي الْقَفَى لِسَائِقِ^(٢)
 قُسَيْرٌ وَبَلْعَجَانٍ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِي أَلْفَاطِ أَلْتَنَغِ نَاطِقِ^(٣)
 تُخْلِبُهُمُ النَّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكِ وَهُمْ خَلَوْا النَّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ^(٤)
 يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا بِضَرْبِ يُسَلِّي حَرْهُ كُلِّ عَاشِقِ^(٥)
 أَتَى الظُّنَنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ مِنْ أَلْخِيلٍ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ^(٦)

(١) أبو الهيجا : كنية والد سيف الدولة ؛ وتدمر : البلد القديم المعروف ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسماقي : جمع مملق ، للفازة المستوية الأرض للترامية الأطراف . يقول : ليت أباك حي فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة في المفاوز الطوال .
 (٢) القفى : جمع قفا ؛ وعلى : اسم سيف الدولة . يقول : ويراك تسوق أمامك من بنى معد وغيرهم قبائل لا تنهزم من أحد ولا تولى أقيمتها من يسوقها ، يعنى ؛ إنك أذلت من العرب من لم بذلله غرك . واللام فى لسائق : زيادة فى التوكيد .

(٣) بلعجان : يريد بنى العجلان ، غذف النون لمشابهتها اللام ، كما قالوا فى بنى الحارث : بلعارث . وقوله فيها : أى القبائل . يقول : إن هاتين القبيلتين قد تبددتشملهما بين ماتبدد من القبائل التى هربت بين يديك ، فقلنا وخفيتا فيها خفاء راءين فى لفظ ألتغ إذا كررها ؛ وفيه إشارة الى كثرة الجموع التى ظهر عليها سيف الدولة من العرب ، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالهرب .

(٤) فركت المرأة : اذا أبغضت الزوج ، فعى فارك ؛ والطوالق : جمع طالق . يقول : لشدة مالحقهم من الخوف وتشقتهم فى كل وجه تركت النساء أزاجهن من غير بغضة ، والرجال النساء من غير طلاق ؛ وهذا ينظر إلى قول النابغة :

دَعَانَا النِّسَاءُ إِذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنَا دُعَاءَ نِسَاءٍ لَمْ يُفَارِقَنَّ عَنْ قَلِيٍّ

(٥) الضمير فى يفرق : لسيف الدولة : والكمأة : الأبطال عليهم السلاح - جمع كمى - والضمير فى بينها للنسوان . يقول : يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نسايمهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه : أى أن شدة ذلك الضرب أنستهم حياطة أحبتهم وحملهم على إسلام ذريتهم ، وكل هذا مما يقيم لهم العذر فى هربهم منه .

(٦) الظنن : جمع ظعينة ، وهى النساء فى الهوادج ؛ والرشاشة : واحدة الرشاش ،

بِكُلِّ فَلَاةٍ تُنْكِرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا
 ظَعَانٌ حُمْرُ الْحَلِيِّ حُمْرُ الْإِيَانِقِ^(١)
 وَمَلُومَةٌ سَنِيفِيَّةٌ رَبِيعَةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاخَ اللَّقَالِقِ^(٢)
 بَعِيدَةٌ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةٌ بَيْنَ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ^(٣)

مارشرش من الدم ونحوه ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى الجارية التى قد أدركت وشبت فى بيت أبيها . يقول : إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم فى نحور النساء ، وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم بغيرهن لأنهن أحق بالصون والحماية . هذه رواية ابن جنى وتفسيره . وروى ابن فورجه : آتى الطعن حتى ما يطير رشاشه : الطعن - بالطاء المهملة ؛ ورشاشه : بالماء ضمير الطعن أى طاعن الأعداء وهم فى بيوتهم حتى يطير رشاشه فى نحور النساء : أى أنه غزا العدو فى عقر داره .

(١) بكل : خبر مقدم ، وظعان : مبتدأ مؤخر . والظعان : جمع طعينة ، وهى النساء المحمولات فى الهوداج ، وحر الحلى : أى أن حلين الذهب ، والأيانق : جمع أينق ، جمع ناقة : أى أنهن من الأشراف . ذوى اليسار حلين الذهب ومركوبهن النياق الحمر - وهى أكرم النياق عند العرب - يقول : إنهم أبدووا فى الحرب حتى انتشرت نساؤهم فى كل فلاة منقطعة لاعددها بالأنس ، ومع ذلك أدركهم ، فما ينفعهم هربهم ؛ أو تقول : حمر الحلى وحر الايانق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق فحمر حلين ونوقهن ؛ فيكون الكلام متصلا بما قبله .

(٢) وملومة : عطف على ظعان ؛ والكنتية : اللومة المجتمعة ؛ وسيفية نسبة إلى سيف الدولة : ورعية : لأنه من ربيعة ، واللقالق : جمع لقلق ، طائر كبير كثير فى العراق . ويصيح الحصى فيها : أى عند وقع حوافر الخيل عليه ، شبه صوت الحصى بصوت اللقاليق . يقول : إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة .

(٣) بعيدة : صفة للمومة ؛ والقنا : الرماح ؛ والبيض : جمع بيضة : الخوذة تكون على الرأس ؛ واليلامق : الأقبية ، جمع يلقى : وغبر : جمع أغبر ، وكان الوجه أن يقول غبراء اليلامق ، لأنها صفة للكنتية ، لكنه جمع ذهابا إلى اللقى ، لأن الكنتية جماعة ، وهذا كما تقول : مررت بكنتية صفر الأعلام طوال الرماح : يقول : إن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متكاثفون مجتمعون ، لازدحامهم ،

نَهَاها وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ فَمَا تَبَتَّنِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ ^(١)
تَوَهَّمَا الْأَعْرَابُ سُورَةَ مُتَرَفٍ تَذَكَّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السَّرَادِقِ ^(٢)
فَذَكَّرْتَهُمُ بِالْمَاءِ سَاعَةً غَبَرَتْ سَمَاوَةٌ كَلْبٍ فِي أَنْوْفِ الْخَزَائِقِ ^(٣)

فتقارب ما بين رءوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار . وفي هذا إشارة إلى أن الفلوات التي لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجدهم فقد أقحمها عليهم ولم يتيب احتراقها .

(١) جوده : يروى سيبه ؛ والحقائق : جمع الحقيقة ، ما تحقق حمايته من أهل ومال ونحوهما . يقول : إن جود سيف الدولة يفضيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام :

إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْبِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
(٢) السورة : الوثبة ؛ والهاء في توهما : للسورة ؛ أي تومم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف . ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسرّه بمفرد ؛ والأعراب : سكان البادية ؛ والمترف : التمتع ؛ والبيداء : الفلاة المهلكة ؛ والسرايق : ما يدار حول الحيمة من شقق بلا سقف . يقول : تومم الأعراب أن حربك سورة متمم إذا صار في البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعم كمادة للولك فانصرف عنهم وتركهم هرباً من العطش والحر ؛ وفي هذا نظر إلى قول البحري :

أَلُوفُ الدِّيارِ فَإِنَّ أَرْمَعَ التَّرْحُلِ حَرَّمَ لِيْطَانَهَا
إِذَا هُمْ لَمْ يَهْتَدِمْ عَزَمَهُ مَقاصِيرُ يَعْتَادُ أَكْفَانَهَا
وإلى قول منصور الغمرى :

كَذَبَ الْعِدَا لَوْ كُنْتَ صَاحِبَ نَعْمَةٍ صَرَعَتْكَ بَيْنَ إِقَامَةٍ وَكَلالِ
(٣) غبرت : أثارت الغبار ؛ وسماوة كلب : أي سماوة بني كلب ، وهي بركة معروفة بناحية العواصم ؛ والخزائيق : جمع خزقة ، وهي الجماعة . يقول : في هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أي حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم في بركة السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعني عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ما ظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تنبهم .

وَكَانُوا يَرْوَعُونَ الْمُلُوكَ بَأْنَ بَدَوْا وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبَتَ الْفَلَاقِ^(١)
فَهَا جُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ
وَأَبْدَى بِيُوتَا مِنْ أَدَاخِ النَّفَاقِ^(٢)
وَأَصْبَرَ عَن أُمَوَاهِهِ مِنْ ضِبَابِهِ وَأَلَفَ مِنْهَا مُقَلَّةً لِلْوَدَائِقِ^(٣)

(١) يروعون : يخيفون ؛ وبأن بدوا : أى بأنهم أقاموا بالبادية ؛ وأن : مخفلة من الثقلية ؛ والضمير في نبتت : للملوك . والفلاق : جمع غلفق ، وهو الطحلب . يقول : إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بأنهم نشأوا في البادية فلا يكثرثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء : وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه - أى في جواره - كما ينشأ الطحلب في الماء ، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك .
(٢) أهدي : أفضل تفضيل - من الهداية - وهو حال من ضمير المخاطب ؛ والفلا : جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا : لأن كل جمع بينه وبين واحد التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير ؛ وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين ؛ وأبدى : أظهر . وأداحى : جمع أدحى - ككرسى - موضع يبيض النعام من الرمل ؛ والنفاق : جمع النفق ، ذكر النعام . يقول : فهجوك وأثاروك عليهم بمصائبهم فكنت أهدي إليهم في الفلوات من النجم وأظهر بيوتا فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لاعش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها ، أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلمس مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضاً لحر الشمس .

(٣) الضباب . جمع ضب ، الدوية البرية المعروفة ؛ والودائق : جمع وديقة ؛ شدة الحر عند دنو الشمس من الرؤوس ؛ قال بعضهم : سميت وديقة لأنها ودقت إلى كل شئ . أى وصلت إليه . قال أبو المثلم الهذلي يرثى صخرأ :

حامى الحقيقة نسالُ الوديقة مفِئَاق الوسيقة لا نِكْسُ ولا وانى^(١)

(١) قبله :

أبى الهضيمة نائبٍ بالعظيمة متلاف الكريمة جَلَدَ غير ثُفَيَّانٍ

قال ابن الأعرابي : يقال فلان يحمى الحقيقة وينسل الوديقة يقال للرجل المشمر القوى : أى ينسل نسلانا في وقت الحر نصف النهار والوسيقة الطريقة من الإبل وفرس معتاق الوسيقة وهو الذى إذا طرد عليه طريقة أنجاهها وسبق بها .

وَكَانَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكَتَهَا مُهَلَّبَةً الْأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ^(١)
فَمَا حَرَّمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً
وَلَكِنْ كَفَّاهَا الْبَرُّ قَطَعَ الشَّوَاهِقِ^(٢)
وَلَا شَفَلُوا صَمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ
عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ^(٣)

وأصبر : عطف على أهدى - في البيت السابق - . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب - والضب لا يرد الماء قط - وكنت آلف مقلة للبحير - شدة الحر - من الضب مع أنها تسكن الفلوات . وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطأوا في تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار ، وأنهم عجزوا عما بدانه من الأيد والجلب .

(١) اسم كان : ضمير فيها ؛ وهديرًا : خبرها ؛ والتقدير : وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير : صوت البعير إذا رددته في حنجرته ؛ والمهلبة : المقطوعة الهلب ، وهو شعر الذنب ؛ والشقاشق : جمع الشقشقة ، وهي لهامة البعير إذا هدر أخرجها من فمه يقول : كان طفيانهم وغيرهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم - فحل كريم - هو سيف الدولة - مصعب فضعمها - عضها بملء فمه - أي نال منها - وسار عليها فتركها - صيرها مهلبة الأذنان ساكنة الهدير ، يعني أذهم وصغر أمرهم ، لأن الفحل إذا أخذ هلبه ذل ، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنانها . وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت ، قال الشاعر :

أَبَى صِفَرُ الْأَذْنَابِ أَنْ تَحْطَرُوا بِهَا

والعنى : تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستدل بقطع الأذنان ، وسكنتها بعلبتك عليها فانتقطعت أصوات شقاشقها . يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم .

(٢) الشواهي : جمع شاهق ، الجبل الشامخ العالى . يقول : إنهم بفرارهم منك وإحواجهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لأنك لو لم تذهب إليهم لقصدت الروم ، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير في البرارى عن تحشم قطع الجبال بأرض الروم .

(٣) الصم : الصلاب ؛ والقنا : الرماح ؛ وبقلوبهم : متعلق بشغلوا ؛ وركز الرمح : غرزه في الأرض قائمًا لا يسطع به ؛ والدماشق : جمع دمهشق - على حذف التاء - والدمهشق : قائد الروم . يقول : إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك

أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَا وَيَجْعَلُ أَيْدِيَ الْأَسَدِ أَيْدِيَ الْخِرَاقِ (١)
 وَقَدْ عَايَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا أَرَى مَارِقًا فِي الْحَرْبِ مَصْرَعًا مَارِقَ (٢)
 تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَّاقِ (٣)
 وَلَا تَرِدَ الْفُذْرَانِ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ (٤)

تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم ، فهم إنما شغلوا رماحك بحربهم عن دمار قلوب قواد الروم : أى فلا راحة لحملك ولا لسلاحك .

(١) المسخ : قلب الحلقة ؛ والخرايق : جمع خرقة - بكسر الخاء - وهن الإناث من أولاد الأرناب أو الصغار منها . يريد بمسخته الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جناء والأقوياء ضعفاء ، فتصير الأيدي القوية التى كأنها أيدى الأسد أيدى ضعيفة كأنها أيدى الأرناب . وعبارة العكبرى : ألم يحذر الأعداء سطوته التى هى على عدوه كالمسخ الذى يقرب الخلق ويقبح الصور ويبعد بها عزيزهم ذليلا وكثيرهم بالقتل قليلا ويجعل أيدى الأسد من أعدائه وقد تناهت فى القوة كأيدى الخرايق قصيرة مما يكسبهم من الذلة والصغار ؟ وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

لَوْ أَنَّ أَيْدِيَكُمْ طَوَالٌ قَصَّرَتْ عَنْهُ فَكَيْفَ تَكُونُ وَهِيَ قِصَارُ

(٢) وقد عاينوه : حال من ضمير يحذروا - فى البيت السابق - والمارق فى الأصل : الذى يمرق من الدين ؛ والمراد : الخارج عن الطاعة - من مروق السهم - والمصرع : مصدر صرعه ، إذا طرحه على الأرض ؛ ويراد به القتل . يقول : قد عاينوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديراً بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصى المتمرد عليه حتى يعتبر الثانى بالأول ، كما قال أشجع :

شَدَّ الْخَطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يَخْطَمْ

(٣) القضم : أكل الشيء اليابس ؛ والهام : الرءوس ؛ والعلائق : جمع عليقة ، وهى الخلالة تعلق من رأس الدابة لتعتلف ؛ وجنوبها : نواحيها . قال ابن جني : سألته - المتنبي - عن معنى هذا البيت فقال : الفرس إذا علفت عليه الخلالة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم ياكل ؛ فخيله أبداً إذا أعطيت عليقتها رفقة على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة حولها ، فقد تعودت خيله ذلك فى غزواتها .

(٤) ولا ترد : عطف على لا تقضم ؛ والفدران : جمع غدير ، وهو ما غدره السيل - تركه - والشقائق : نور أحمر ؛ يقال له شقائق النعمان ، قال ابن جني . أى

لَوْفَدُ نَمِيرٌ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمْ وَقَدْ طَرَدُوا الْأَطْمَانَ طَرَدَ الْوَسَائِقِ^(١)
أَعَدُّ رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ^(٢)

لكثرة ما قتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم،
والسوء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق، وماء الغدير أخضر من الطحلب
فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق. وقال ابن فورجه: إنما يعني أنه
لا يروم الهولنا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء،
كما قال بشار:

فَتَى لَا يَبِيْتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وقال العكبري: ويحوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة، ولا
تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت ما يسفكه من دماء أعدائه كالريحان في خضرته
إذا استبان تحت الشقائق، واستولت بحمرتها على جلته؛ وأشار بخضرة الماء إلى
صفاته وكثرته، ونبه بذلك على جرمه، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه
صفته، وترد منه ما هذه حقيقة؛ وفيه نظر إلى قول جرير:

وَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَا بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجْلَةٍ أَشْكَلُ^(١)

(١) لوفد: اللام للابتداء؛ والوفد: القوم الوافدون؛ ونمير: قبيلة منهم استسلمت
لسيف الدولة - كما سيذكر في البيت التالي - والأطمان: جمع ظعن، جمع ظعينة،
للرأة مادامت في المودج. والوسائق: جمع وسيقة: الطريدة من الغنم أو الإبل.
يقول: إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بني نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين
وطردوا نساءهم كما تطرد الوسائق.

(٢) ضمير رد: للخضوع؛ وغرب كل شيء: حده. والفَيَالِقِ: جمع فيلق،
القطعة من الجيش. يقول: إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاشعين
فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم، وهذا كما يقول
أبو تمام:

فَاطَ لَهُ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُبَانَهُ إِذْ لَمْ تَحْطُهُ قَنَابِلُهُ

(١) تمور: تجري؛ وأشكل: فيه بياض وحمرة، قد اختلطا.

فَلَمْ أَرَ أَرْمَى مِنْهُ غَيْرَ مُحَاتِلٍ وَأَمَرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقٍ^(١)
تَصِيبُ الْجَانِيقِ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ دَقَائِقُ قَدْ أُعِيتَ قِيسُ الْبِنَادِقِ^(٢)

وقال في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن بن الرضى
الأزدى :

أَرْقُ عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقُّ^(٣)
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ^(٤)

(١) المخاتل : المخادع ؛ والمسارق : الذى يتربص غفلة . يقول : لم أر أحداً يرمى
أعداءه جهاراً ويسرى إلى أعدائه معالناً غير مسركا يرمى هو ويسرى ، فهو لا يحتاج
إلى المخاتلة والمسارقة فى الظفر بعدوه ، وفى هذا يقول البحرى :

فَنَذْرُكُ بِالْإِقْدَامِ بُفَيْقِنَا الَّتِي نَطْلِبُهَا لَا بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ
وهو معنى قديم .

(٢) الجانيق : جمع منجنيق ، آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون فى الحصار ؛
والدقائق : الأشياء الدقيقة ؛ وأعيت : أعجزت ؛ والقسى : جمع قوس ، وهو من القلب
المسكن . والبنادق : جمع بندقة ، ما يعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : إنه
يقدر على ما لا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رمية وتمذر ضبطه من
الأشياء الدقيقة ما يعجز غيره عن أن يصيبه بالقسى التى ترمى بها البنادق ، يعنى أنه
معان موفق مؤيد .

(٣) الأرق : فقد النوم ؛ والجوى : الحرقه - من حزن أو عشق - . والعبرة :
الدعة تتردد فى العين ؛ وتقول : رقرقت الساء فترقرق : مثل أسلته فسال . يقول :
لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثل بمن كان عاشقا يسهد لامتناع النوم عليه ،
وحرقة تزداد كل يوم ودমে يسيل .

(٤) جهد الصبابة : مبتدأ ؛ خبره : أن تكون ؛ والجهد - بالفتح - المشقة ، والمضام
الطاقة والوسع ؛ وقيل هما لفتان بمعنى . والصبابة : رقة الشوق . وعين : خبر مبتدأ
محذوف ، تقديره لى عين ؛ ويجوز أن تكون عين : خبرا عن جهد الصبابة ، وأن
تكون فى موضع الحال . يقول : غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التى أنا فيها ،
وقال البحرى :

مَا لَاحَ بَرَقُ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا أُنْذِنْتُ وَلِي فُؤَادٌ شَيْقُ^(١)
 جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِئُ نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُ عَمَّا تَحْرِقُ^(٢)
 وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى دُفِنْتُ
 فَمَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَفْشَقُ^(٣)

هل غاية الشوق المبرح غير أن يغلو نشيج أو تفيض مدايح

(١) انثنت : رجعت ؛ ولي فؤاد : جملة حالية ؛ والشيق : المشتاق ؛ وهو معلوم أن لمعان البرق يهيج العاشق ويحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجعة وفراقهم ، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذي هم به ، وكذلك ترنم الطائر . وهذا كثير في أشعارهم ومنه قول بعضهم :

مَا تَغْفَى الْقُمْرَى إِلَّا شَجَانِي وَغِنَاءُ الْقُمْرَى لِلصَّبِّ شَاجِي

(٢) الغضى : شجر معروف يستوقد به ، فتكون ناره أبقى . يقول : جربت من نار الهوى نارا تكمل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفئ عنه ولا تحرقه ، يريد أن نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضى ؛ وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَوْ كَانَ قَلْبِي فِي نَارٍ لِأَحْرِقَهَا لِأَنِّ إِحْرَاقَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ

فما - من قوله ماتنطفئ - : مصدرية ؛ والضمير في تحرق : لنار الهوى ؛ وعما تحرق : متعلق بتكل ؛ ومعمول تنطفئ - كما يقول العكبري - محذوف على رأى البصريين في إعمال ثانی الفعلين ؛ كقولك : رضيت وصفحت عن زيد ، لحذفت معمول الأول لدلالة الثاني عليه ؛ وحببتهم أن الثاني أقرب إلى المعمول واختار الكوفيون إعمال الأول . لأنه أسبق في الذكر ، وقد جاء في الكتاب العزيز إعمال الثاني . فهو دليل « للبصري » ، وجاء في أشعار العرب إعمال الأول ففي القرآن « آتوني أفرغ عليه قطرا . هاؤم اقرءوا كتابيه » وفي البيت محذوفان هذا الذي ذكرناه ؛ والثاني حذف العائد إلى « ما » الثانية من صلتها ؛ وفيه حذفان آخران تقديرهما جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ما تحرقه نار الهوى .

(٣) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية في الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أي من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاس ما يوجب الموت ، وإنما الذي يوجهه هو العشق . وقال بعض الشراح : لما كان المتقرر في النفوس أن الموت في أعلى مراتب الشدة قال : لما ذقت العشق وعرفت شدته عجب كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدته غير العشق !

وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَيَّرْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا^(١)
 ابْنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ أَبْدَا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ^(٢)
 نَبِيكَ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعْتُهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا^(٣)
 أَيْنَ الْأَكَامِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْآلِي
 كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا يَقِينَ وَلَا يَقُوا^(٤)
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِحَيْثِهِ حَتَّى تَوَى فَحَوَاهُ لَحْدُ ضَيْقٍ^(٥)

(١) يقول: لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق في وقوعهم في العشق وفي جزعهم وعرفت أني أذنبت بتعيرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت في العشق من الشدائد ما لقوا ، وفي مثل هذا يقول علي بن الجهم :
 وقد كنتُ بالعُشَّاقُ أَهْزَأَ مَرَّةً وَهَذَا أَنَا بِالْعُشَّاقِ أَصْبَحْتُ بَاكِياً
 ويقول أبو الشَّيْخ :

وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ فَتًى يُبَسِّكِي عَلَى شَجْنٍ هَزَأْتُ إِذَا خَلَوْتُ
 وَأَحْسَبُنِي أَدَالَ اللَّهُ مِنِّي فَصِرْتُ إِذَا بَصُرْتُ بِهِ بِكَيْتُ

(٢) نَقَّ الْغُرَابُ وَنَقَّ : صَاح . انْتَقَلَ أَبُو الطَّيِّبِ مِنَ النَّسِيبِ إِلَى الْوَعْظِ وَذَكَرَ الْمَوْتَ ، وَمِثْلُ هَذَا — كَمَا قَالَ الْوَاحِدِيُّ — يَسْتَحْسِنُ فِي الْمَرَأَى لَا فِي الْمَدْحِ . وَقَوْلُهُ : ابْنِي أَبِينَا : أَيُّ يَا إِخْوَانَنَا . يَحْجُوزُ أَنْ يَكُونَ نِدَاءً لِجَمِيعِ النَّاسِ — لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ بَنُو آدَمَ — وَيَحْجُوزُ أَنْ يَرِيدَ قَوْمًا مَخْصُوصِينَ : إِمَّا الْعَرَبَ ، وَإِمَّا رَهْطَهُ وَقَبِيلَتَهُ . يَقُولُ : نَحْنُ نَازِلُونَ فِي مَنَازِلٍ يَتَفَرَّقُ عَنْهَا أَهْلُهَا بِالْمَوْتِ . وَإِنَّمَا ذَكَرَ غُرَابَ الْبَيْنِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَنْشَادُ بِصِيَاحِ الْغُرَابِ ، يَقُولُونَ : إِذَا صَاحَ الْغُرَابُ فِي دَارٍ تَفَرَّقَ أَهْلُهَا ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْغَارِهِمْ .
 (٣) مِثْلُهُ :

لَا يُلَبِّثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكْرَهُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

(٤) الْآلِي : أَيُّ الدِّينِ ، وَبَقِينُ : أَيُّ الْكُنُوزِ ؛ وَبَقُوا : أَيُّ الْأَكَامِرَةِ .

(٥) مَنْ — فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ — لِلتَّفْسِيرِ ؛ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْأَكَامِرَةِ ؛ وَمَنْ — الْمُضَافَةُ إِلَيْهَا كُلُّ — نَكْرَةٌ مُوَضَّوْقَةٌ . وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا : صِفَتُهَا . وَتَوَى : أَيُّ أَقَامَ فِي قَبْرِهِ ؛ وَيُرْوَى : تَوَى ، أَيُّ هَلَكَ . يَقُولُ : أَوْلَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرْتَنَامُ مِنْ كُلِّ

خُرُسٌ إِذَا نُودُوا كَانَ لَمْ يَفْلَحُوا أَنْ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ^(١)
وَالْمَوْتُ آتٍ وَالنَّفْسُ تَفَائِسُ وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحَقُّ^(٢)
وَالْمَرْءُ يَأْمُلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْ قَرُّ وَالشَّبِيَّةُ أَنْزَقُ^(٣)
وَلَقَدْ بَكَيتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِغَيِّ مُسَوَّدَةٌ وَلِمَاءَ وَجْهِ رَوْنَقُ^(٤)
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ^(٥)

ملك كثر جنوده حتى ضاق بهم الفضاء فجمعه لحد - شق في جانب قبر - ضيق بعد أن كان الفضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع :

وأصبح في لحدٍ مِنَ الأرض ضَيْقٌ وكانت به حياً تضيقُ الصَّحاصحُ

« الصحاصح : جمع صحصح : الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء »

(١) يقول : إنهم موتى لا يحيون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا . ولو وصفهم بالمعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن ، لأن الميت لا يوصف بما ذكره . . . قاله الواحدى .

(٢) النفيس : الشيء الذى ينفس به ؛ أى يرضى به ؛ والمستعر : المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة ؛ والكيس لا يفتخر بما جمعه من الدنيا لعله أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئاً ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق . وروى المستعر : أى الذى يطلب العز بماله هو أحمق ، وفى معنى البيت :

وإن امرأً أَمِنَ الزَّما نَ الْمُسْتَعْرِ أَهْمُ

(٣) شهية : مشتة طيبة ؛ وأوقر : من الوقار ؛ والشبيبة : اسم بمعنى الشباب ؛ وأنزق : أخف وأطيب . يقول : إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يبيده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لأنه يحمله على الطيش والخفة .

(٤) اللثة من الشعر : ما جاوز شحمة الأذن ؛ والواو قبلها : للحال . والرونق : الحسن والنضارة .

(٥) حذراً : مفعول لأجله ؛ والعامل فيه : بكيت ، واللام من قوله لكدت : للتوكيد ؛ والتقدير : لقد كدت فحذف « قد » ويقال شرق بالماء . كما يقال غص بالطعام يقول : لكثرة دموعى كاد يشرق بها جفنى : أى يضيق عنها ، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يلبق ريقه ويكون التقدير : بسبب ماء جفنى أشرق ريقى ، وفى هذين البيتين نظر إلى قول الآخر - وهو من باب غير هذا الباب - :

أَمَّا بَنُو أَوْسٍ بْنِ مَعْنٍ بْنِ الرِّضَا فَأَعَزُّ مَنْ تَحْدَى إِلَيْهِ الْأَيْتُ (١)
كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشَّمْسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ (٢)
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكْفُهُمْ
مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ (٣)

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ رَاضِيَةً عَنِّي بِذَلِكَ الرِّضَا بِمَغْتَبِطٍ
عِلْمًا بِأَنَّ الرِّضَا سَيَتَّبِعُهُ مِنْكَ التَّجَنُّ وَكَثْرَةُ السَّخَطِ

(١) الأيتى : النياق ، جمع ناقة - على غير قياس - والقياس : الأتوق يقول :
إن قوم هذا للمدوح أعز الناس لنعتهم وشرفهم ، فهم أعز من يقصد ويرى إليه الطلاب
والقصاد ويحدون مجالهم . قال الواحدى : روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمي الرضا -
بضم الراء - وهو اسم صنم ؛ وأراد ابن عبد الرضا : كما قالوا ابن مناف . ويريدون
ابن عبد مناف .

(٢) جلهم كالشموس في علو ذكركم واشتبارهم أوفى حسن وجوههم . يقول :
كبرت لله - أى قلت الله أكبر - تعجباً من قدرته حين أطلع شمساً لا من المشرق ،
وكانت منازل المدوحين في جهة المغرب : قال العكبرى : وإنما جمع الشموس ليجعل
كل واحد منهم شمساً ، فقابل جماعة بجماعة ، واستجاز ذلك ، لأن الشمس يختلف طلوعها
وغروبها وازدياد حرها وانتقاصه وتغير لونها في الأصائل وغيرها ، فيقال : شمس
الضحى ، وشمس الأصائل ، وشمس الصيف ، وشمس الشتاء . كقوله تعالى « رب المشرقين
ورب المغربين » و « رب المشرق والمغرب » وقال الله تعالى « والله المشرق والمغرب »
وقال النخعي :

حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لِمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَاعَ شَمْسُ

(٣) يقول : إذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى
أيديهم على ندى السحاب : أى كان من حقها أن تلين حتى تثبت الورق وهذا من قول
البحترى يصف إمام للتوكل :

أَشْرَقَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطْبُنْ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ

ويقول أبو الشمقمق - وكان مع طاهر بن الحسين في حراقة في دجلة - :

وَتَفُوحٌ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَّاحٌ^(١) لَّهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ^(٢)
مِنْ سَكِينَةِ النَّفْحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا وَحْشِيَّةٌ سِوَاهُمْ لَا تَعْبِقُ^(٣)
أَمْرِيْدٌ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فِي عَصْرِنَا لَا تَبْلُنَا بِطَلَابٍ مَالًا يُلْحَقُ^(٤)

عَجِبْتُ لِحِرَافَةِ ابْنِ الْحَسَنِ كَيْفَ نَعَمُ وَلَا تَفْرَقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخِرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عَيْدَانِهَا وَقَدْ مَسَهَا كَيْفَ لَا تَوْرَقُ
ويقول مسلم :

لَوْ أَنَّ كَفًّا أَغْشَبَتْ لِسَاحَةَ لَبَدَا بِرَاحَتِهِ النَّبَاتُ الْأَخْضَرُ
(١) مكانة : أى مكان ؛ ومثله منزلة ومنزل ، قال تعالى « على مكاتكم » والثناء
يوصف بطيب الرائحة ، لأن طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى
الأنوف مشمومة . يقول : إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة اللذين عليهم ،
ولله ابن الرومى حين يقول :

أَعْبَقْتَهُ مِنْ طِيبِ رِيحِكَ عِبْقَةً كَادَتْ تَكُونُ ثَنَاءُكَ الْمَسْمُوعَا
ولآخر :

لَوْ كَانَ يُوْجَدُ رِيحُ مُجَدِّ فَأَحْمَا لَوْجَدْتُهُ مِنْهُ عَلَى أُمِّيَالٍ
ولابن الرومى أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِى لَنَا مَنْزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِى وَيَسْتَنْشِقُ
ومثله :

لَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْوُكُ لَقَادَهُمْ شَمِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرَّكْبُ
(٢) النفحات : الروائح ؛ وتعقب : تفوح . يقول : رَوَّاحٌ مَا يَسْمَعُ مِنَ الثَّنَاءِ
عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لا تعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ،
يعنى لا يثنى على غيرهم كما يثنى عليهم .

(٣) أمريد : نداء . يقول : يا من يريد أن يوجد له نظير لا تمتحننا بطلاب مالا
بدرك ، أى أنه لا يوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول ابحترى :

وَلِئِنْ طَلَبْتُ نَظِيرَهُ إِنِّى إِذْناً لَمْ كُفِّ مُطْلَبَ الْمَحَالِ رِكَابِى

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ^(١)
يَا ذَا الَّذِي يَهَبُ الْكَزِيلَ وَعِنْدَهُ أُنَى عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ^(٢)
أَمْطِرْ عَلَى سَحَابِ جُودِكَ ثَرَّةً وَأَنْظُرْ إِلَى بَرِيحَةِ لَا أَغْرَقُ^(٣)

(١) يقول : إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلاً كان طلب مثله محالاً ، وعبرة العسكبرى : لا تطلب مثله ، فظنى أنه لا يخلق الله مثل محمد ، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق في الأول ولا في الآخر مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ومثله لأبي الشيبان :

ما كان مثلك في الورى فيمن مضى أَحَدٌ وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ
ولابن الرومي :

فهل من سبيل إلى مثله أبا الله ذاك على من خلق

والحصنى :

لم يكن في خليفة الله نِدٌّ لك فيما مضى وليس يكون
(٢) وعنده : أى وفي اعتقاده أنى إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته ، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر ؛ والأصل في هذا قول زهير :
تراه — إذا ماجئته — متهللاً كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
فقوله : أتصدق ، أى أعطيه الصدقة وأهبها له : وقد جاء تصدق . بمعنى سأل ، وأنشدوا :

ولو أنهم رُزِقُوا على أقدارهم لِلْقِيَتِ أَكْثَرَ مِنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ

(٣) ثرة : غزيرة كثيرة الماء . يقول : اجعل سحاب جودك ماطرأ على مطراً غزيراً ثم ارحمنى بأن تحفظنى من الفرق كيلا أغرق في كثرة مطرك وهذا ينظر إلى قول ابن أبى السمط في وصف سحابة :

حتى ظَلَلْتُ أَقُولُ فِي إلحاحها بالوبل : هل أنا سالم لا أغرقُ

هذا : وقد قال ابن الشجرى في أماليه تعليقاً على قوله لا أغرق : تقديره فإن تنظر إلى لا أغرق ، ويحتمل رفعه وجهين : أحدهما أراد لئلا أغرق ، لحذف لام العلة ثم حذف أن ، فارتفع ، كقوله :

أَوْجَدُ مَيْتًا قُبَيْلَ أَفْقَدُهَا

كما جاء في قول طرفه :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى^(١) *

أراد أن أحضر ، لحذفها ؛ بذلك طى حذفها قوله : وأن أشهد اللذات . والثاني : أن يكون بالفاء مقدرة ، وإذا كانت في الجواب مقدرة ارتفع الفعل بتقديرها ، كما يرتفع بإثباتها ، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون لحذفها من جواب الأمر أسهل كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا^(٢)

وأما قوله تعالى « لا يضرركم » في قراءة الكوفيين وابن عامر ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها بتقدير الفاء ، والثاني على التقديم والتأخير ، كأنه قال : « لا يضرركم كيدهم » « وإن تصبروا وتتقوا » وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

* إِنْكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ^(٣) *

والثالث : أن يكون الضم للاتباع .

(١) من معلقة طرفه ، وقد تقدم شرحه في غير موضع من هذا الشرح

(٢) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وقوله :

إِنْ بَسَلْهُ مِنَ الْقَتْلِ وَمِنْ هَرَمٍ لِلذَّيْشِ أَفْنَاءَ الْجُدِيدَانِ
فَإِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا كَالزَّادِ لَا بَدَّ يَوْمًا أَنَّهُ فَانِي
مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ سَيَّانٍ

(٣) من رجز لعمرو بن خنارم البجلي وهو :

يَا أَقْرَعُ بْنُ جَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنْكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ
فِي بَاذِخٍ مِنْ عِزِّ مَجْدٍ يَفْرَعُ بِهَ يَضُرُّ قَادِرٌ وَيَنْفَعُ
وَأَدْفَعُ الضَّيْمَ غَدًا وَأَمْنَعُ هَلْ هُوَ إِلَّا ذَنْبٌ وَأَكْرَعُ
يَتَّبِعُهُ النَّاسُ وَلَا يُسْتَنْبَعُ وَحَسْبُ وَغُلٌّ وَأَنْفٌ أَجْدَعُ
وَزَمَعٌ مُؤْتَشَبٌ مُجَمَّعُ

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهَنَّمِ مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ^(١)

وقال في صباه ارتجالاً :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقِي^(٢)
وَكُلُّهُ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ^(٣)
مُحْتَقِرٌ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي^(٤)

(١) كذب ابن فاعلة : أى كذب ابن زانية . كفى بالفاعلة عن الزانية يقول : كذب من قال إن الكرام قد ماتوا مادت في الأحياء مرزوقا ؛ ويرى ترزق — بفتح التاء — أى ترزق الناس . أى تعطيم أرزاقهم ، والأولى أجود .
(٢) أى : استفهام معناه الإنكار . يقول : لم يبق محل ولا درجة في العلو إلا وقد بلغها ، وليس يخاف عظيماً .

(٣ و ٤) للفرق : وسط الرأس حيث يفترق الشعر وقوله وما لم يخلق : قال الواحدى : ليس معناه ما لا يجوز أن يكون مخلوقاً كذات الباري عز وجل وصفاته ، لأنه لو أراد هذا لزمه الكفر بهذا القول ، وإنما أراد : وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد ، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله ، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وأقرع بن حابس صحابى ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه ؛ والصريح الهلاك ؛ وزار : هو أبو القبيلة . والباذخ : العالى . ويفرع : يعلو . والألد : الأشد ، والشامخ : للارتفاع . ويقمع : يقهر ويذل وقوله هل هو : الضمير لرجل اسمه خالد ابن أرتاة . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق ، استعاره لأسفل الناس كالذئب . والزمع : رذال الناس . والمؤتشب : أى غير الصريح في نسبه . والوغل : النذل من الرجال . والأجدع : المقطوع الأنف .

(٦ — التلي ٣)

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخي :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَانُ وَيَا قَلْبٍ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ^(١)
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بِنَا وَقُوفُنَا فَرِيقَ هَوَى مِمَّا مَشُوقٌ وَشَائِقُ^(٢)
وَقَدْ صَارَتْ الْأَجْفَانُ قَرَحَى مِنَ الْبُكَاءِ
وَصَارَ بَهَاراً فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ^(٣)

(١) هو : كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا : الإضمار على شرطية التفسير ، كقوله تعالى « قل هو الله أحد » بإحدى : ابتدائية . وتأني . بحذف إحدى التاءين - أي تتمهل وتترقب ، والحزائق : الجماعات ، جمع حزيقة . يقول : هو البين يفرق كل شيء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق إذا جرى فيها حكم البين ؛ ثم خاطب قلبه فقال : وأنت أيضاً - على مالك من علائق القرب - ممن أفارقه ! يعني أن الأجنة إذا فارقوني ذهب القلب معهم ففارقني وفارقتهم . ومثله للعباس ابن أحنف .

تَفَرَّقَ قَلْبِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلَهُ دَرَى أَىَّ قَلْبٍ أَشِيعُ
وَلَاخِر :

كَأَنَّ أَرْوَاحَنَا لَمْ تَرْتَحِلْ مَعَنَا أَوْ سِرْنَا فِي أَمْرِ الْحَيِّ الَّذِي سَارَا
(٢) البث : الحزن . وفريق هوى : نصب على الحال من الضمير في وقوفنا . يقول : وقفنا للوداع ومما زادنا حزناً أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى ، منا مشوق - وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه - وشائِق - وهو الممشوق يشوق عاشقه - وجعل هذه الحالة تزيد حزناً ؛ لأن فراق الأجنة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم .

(٣) قرحى : كجرحى ومرضى ، جمع قرح : أى جريح ، فهو بدون تنوين ؛ وقال ابن جني : قلت له - للنتني - عند القراءة عليه قرحى : أتريده بالتنوين ؟ فقال : نعم ، جمع قرحة ، وهى اسم لا وصف ، والبهار : زهراً غراً ، والشقائق جمع شقيقة ، زهر أحمر يقال له شقائق النعمان . يقول : صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء ، وحمرة الحدود صفرة لأجل البين ، كما قال عبد الصمد بن العذل :

عَلَى ذَا مَضَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقٌ^(١)
تَفَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْفُرَاتِيقُ^(٢)
سَلِ الْبَيْدَ : أَيْنَ الْجَنُّ مِنَّا يَجُوزُهَا وَعَنْ ذِي الْمَهَارِي : أَيْنَ مِنْهَا التَّفَاتِيقُ^(٣)

بَاكَرَتُهُ الْخُمَى وَرَاحَتْ عَلَيْهِ فَكَسَتْهُ حُمَى الرِّوَاكِ بِهَارَا
لَمْ تَشْبُهُ لَمَّا أَحْتَّ وَلَكِنْ بَدَّلَتْهُ بِالْأَحْرَارِ أَصْفَرَارَا
وَقَالَ أَبُو تَمَام :

لَمْ تَشِنْ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ حَوَلْتُ وَرَدَ وَجْنَتِهِ بِهَارَا
وَقَالَ أَيْضًا :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ احْتِرَاقٌ يُعَيِّدُ بِنَفْسِجَا وَرَدَ الْخُدُودِ
(١) اجتمع : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لهم اجتماع ؛ والجملة : حال . وقوله
وميت : أى ومنهم ميت يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم ، يقول : على هذا
مضى الناس قبلنا ، لهم اجتماع مرة وفرة مرة ، ومنهم ميت يموت ومولود يولد ، ومنهم
قال - مبغض - ووامق - محب - كما قال الأعشى :

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرَوَةٌ فَلَهُ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
وَقَالَ الْآخَر :

وَمَا النَّاسُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقٌ حَبِيبِ
هذا : وقد عاب أبا الطيب بعض المتحذلقين ، فقال كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : عَلَى ذَا
عَهْدِنَا النَّاسُ : رَاضٍ وَسَاخِطٌ ، وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ ؛ أَوْ يَقُولَ : اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ ، وَمَوْتٌ
وَوِلَادَةٌ ، وَقُلَى وَمَقَّة .

(٢) الفرائق الشباب الناعم الجليل ، وجمعه غرائق - بفتح الغين - ويقال الفرائيق ،
وهو فى الأصل طائر مائى يشبه السكركى . يقول : تمر الليالى وتجىء وهى على حالها
وبمرها تغير حالى وشيئتي وهى لا تشيب . يعنى أن الزمان يبل ولا يبل .

(٣) جوز كل شئ : وسطه : والمهاري : جمع مهريه ، وهى الإبل المنسوبة إلى
قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان . ويجوز فى المهاري فتح الراء وكسرهما : -
كصحارى وصحارى - بتشديد الياء وتخفيفها - قَالَ رُوْبَةُ :

وَلَيْسَ دَجُوجِيٌّ كَأَنَّ جَلَّتْ لَنَا
مُحْيَاكَ فِيهِ - فَاهْتَدَيْنَا السَّمَالِقُ^(١)

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ بِنَا حَرَّاجِيحُ الْمَهَارِي الثُّغَةِ^(١)
والنفاق : جمع تنفق ، وهو ذكر النعام . يقول - لصاحبه - : سل البيد تخبرك
أين تقع الجن منا بهذه المغازة : أى أننا كنا أسرع فيها من الجن - وعن إبلنا أين تقع
منا الظلمان في السرعة : أى أن إبلنا كانت أسرع من النعام .
(١) وليل : أى ورب ليل ؛ وليل : فى . موضع رفع مبتدأ ؛ خبره : جملة كأننا الخ .
ودجوجى : مظلم ؛ وجلت : كشفت وأظهرت . ولنا : متعلق بجلت ؛ والهيأ : الوجه .
والسالمق : فاعل جلت ، جمع سملق ، وهى الأرض البعيدة الطويلة ؛ والضمير من فيه :
ليل ، وهى متعلقة باهتدينا . يقول : رب ليل مظلم كأن السالمق الذى كنا نقطعها أظهرت
لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره ، وهذا من قول مزاحم العقيلي :

وَجُجُوهُ لَوْ أَنَّ الْمُدَّجِينَ اغْتَشَوْا بِهَا
صَدَغَنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

(١) قبله :

وَيَحْفِقُ مِنْ لُتْلُهُ وَلُتْلُهُ فِي مَهْمِهِ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ
أَعْمَى الْمُهْدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَةِ بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ
بِنَا حَرَّاجِيحُ الْمَهَارِي الثُّغَةِ يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالتَّأَوُّهِ

المخفق : الموضوع الذى يخفق فيه السحاب ، واللهل : المكان المستوى الذى ليس به
علم ؛ وغول كل ميله : أى بعد يريد مكانا بعيدا يقتال المني فلا يستبين فيه ، ولا يكاد
يقطع من بعده ، ويعبر ناهه : كال مئى ، والجمع نفه ويجذبته : يريد يجذب أنفسهن فيه ،
والتأوه مثل قول المثقب العبدى :

إِذَا مَا قَتَ أَرْحَلَهَا بِلِيلِ تَأَوُّهُ آهَةً الرَّجُلِ الْحَزِينِ

فَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جُنْحُهُ وَلَا جَابِهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْإِيَانِقُ^(١)
وَهَزُّ أَطَارِ النَّوْمِ حَتَّى كَأَنِّي مِنَ الشُّكْرِ فِي الْفَرْزَيْنِ ثَوْبٌ شَبَارِقُ^(٢)

ويقول أشجع السلي :

مَلِكٌ يَنْـ_____وَرِ جَبِينِهِ نَسْرِي وَنَحْرُ اللَّيْلِ طَائِي
ولصريح الغواني :

أَجِدْكِ هَلْ تَدْرِينَ أَنَّ بَتْ لَيْلَةً كَانَ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
صَبْرَتْ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَفِرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذَكَّرُ جَفْفَرُ

(١) زال — من الزوال — أى ذهب ؛ وجنحه : فاعل ، وجنح الليل : إقباله
بظلامه يمنح على النهار ، أى يميل عليه فيذهب ضوءه . وجابها : قطعها — أى السالمق —
والإيانيق : النياق ، جمع ناقة . يقول : لولا نور وجهك لما زال الظلام ، ولولا النياق
لما قطعنا السالمق .

(٢) وهز : عطف على الإيانيق ؛ والمراد بالسكر : النعاس ؛ والفروز : ركاب للابل
من جلد محروز ، ويقال ثوب شبارق : خلق ممزق . ويقال شبرق شبرقة وشبراقا : مزقة
قال امرؤ القيس :

فَاذْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا كَأَشْبَرِقِ الْوِلْدَانِ ثَوْبُ الْمُقَدَّسِيِّ^(١)

والهز : التحريك ، يعنى تحريك الإبل ركبائها فى سرعة سيرها ، وذلك بمنع النوم
حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مأثدا بين الفرزين كالثوب الخلق لكثرة تمسايه .
يقول : لولا هذا الهز الذى وصفه والذى سببه الإسراع لما قطعنا السالمق إليه .

(١) المقدسى : الراهب يُزَلُّ من صومعته إلى بيت القدس فيمزق الصبيان ثيابه
تبركا ، والنسا قال الأصمى : بوزن المصارع يخرج من الورك فيستبطن الفخذين
ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمعت الدابة انقلقت فخذها بلحمتين عظيمتين
وجرى النسا بينهما واستبان ، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان
وخفى النسا ، ولا يقال عرق النسا .

شَدُّوا بِابْنِ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيهَا كِبَرَانَهَا ، وَالنَّمَارِقُ^(١)
 بَيْنَ تَقْشِيرِ الْأَرْضِ خَوْفًا إِذَا مَشَى عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الْجِبَالُ الشَّوَاهِقُ^(٢)
 فَتَّى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُنْخَشِ وَيُرْتَجَّى^(٣) يُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَتُنْخَشِ الصَّوَاعِقُ^(٤)

(١) شدوا بابن إسحاق : أى غنوا بمدح ابن إسحاق ؛ وصاغت : أى ماست مأخوذ من مصاغة الأكف . والذفارى : جمع الذفرى ، اللوزع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين ؛ والكيران : جمع الكور ، وهو الرحل ؛ والنمارق : جمع نمرة ، وهى الوسادة تحت الركب ؛ والمراد هنا : التى تكون قدام الرحل يجعل الركاب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الغرز . يقول : غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رءوسها حتى صاغت أقفاؤها الرحال والوسائد التى عليها - وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه ،
 وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

لَا تَضْرِبُ الرِّكْبُ الطَّلَاحُ نَحْوَهُ بَلْ بِأَسْمِهِ يَزْجُرُنَ كُلَّ طَلِيحٍ
 ويقول إسحاق بن خلف :

إِذَا مَا حُدِثَ بِمَدْحِ الْأَمِيرِ سَبَقْنَ لِحَاظِ الْحَيْثِ الْعَجَلِ

(٢) بمن ؛ بدل من ابن إسحاق ، إلا أنه أعاد العامل ؛ والاقشعرار : أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف ؛ وترتج : تضطرب وتتحرك ؛ والشواهق : جمع شاق ، وهو العالى . يقول : تهابه الأرض إذا مشى عليها ، وتتحرك الجبال خوفا منه .

(٣) الجون : جمع جون - بفتح الجيم - وهو الأسود ؛ والسحاب ؛ من الجموع التى بينها وبين مفرداتها الهاء ، ولذلك وصفها بالجون الذى هو جمع ؛ والحيا : المطر . يقول : إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضره كالسحاب يرجى مطرها وتخشى صواعقها . وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

سَمَحًا وَبَأْسًا كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا

إِذَا اجْتَمَعَ فِي الْمَارِضِ الْمُتَأَلَّقِ

وَلَكِنَّهَا تَمْتَصِي وَهَذَا مُخَيَّمٌ
تَحَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَتْ
غَدَا الْهِنْدُ وَأَنْبِيَاتِ بِالْهَامِ وَالطُّلَى
تَشَقُّ مِنْهُنَّ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا
وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرُ صَادِقٌ^(١)
مَعَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَاللَّشَارِقُ^(٢)
فَهُنَّ مَدَارِبُهَا وَهُنَّ الْخَانِقُ^(٣)
وَتُخْضَبُ مِنْهُنَّ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ^(٤)

ويقول الآخر :

هَوَ عَارِضٌ زَجِلٌ فَمَنْ شَاءَ الْحَيَا أَرْضَى وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقُ أَغْضَبَا
(١) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمضي ، وهذا مقيم في كل وقت ،
والسحاب قد تكذب في الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والمدوح صادق
فيما يعد ويقول . وهذا من قول ابن الرومي :

فَضَّلْتَ أَهْلَكَ الْفَيْثَ بِالْمِمْ وَالْحَجَبِيَّ
عَلَى أَنَّهُ يَمْضِي وَأَنْتَ مُخَيَّمٌ
وحاصصته في الجود أي حصاص
سماؤك مذرار وروضك واصل^(١)
ومثله للبحري :

أَنَّى يَكُونُ لَهُ احْتِفَالُكَ فِي النَّسْدَى وَوُقُوعُهُ فِي الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ
(٢) يقول : زهد في الدنيا واتقطع عن أهلها لينسى إعراضاً عن الخلق فلم يزد
ذلك إلا جلالة قدر وبعد صيت ، إذ لم تخل الدنيا من ذكره ، لأن صنائعه عامة ومعروفه
شامل . ولعله ينظر إلى قول البحري :

وَشَهْرَتْ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا فَكَأَنَّنِي فِي كُلِّ نَادٍ جَالِسٌ
(٣) الهندوانيات : السيوف الهندية ؛ أي التي عملت ببلاد الهند ؛ والهام : الروس ،
والطلى : الأعناق ؛ والدارى جمع مدرى ، وهو ما يفرق به الشعر ؛ والخانق جمع
مخنقة ، وهي القلادة . يقول : غذى سيوفه بلحوم رؤوس الأعداء وأعناقهم فقد طالت
محبته للروس والأعناق كما تصاحبها الدارى والخانق ؛ يعني إذا علت سيوفه الروس
صارت بمنزلة الدارى ، وإذا علت الأعناق صارت بمنزلة الخانق .

(٤) تشقق — بجذف إحدى التاءين — أى تتشقق ؛ وبروى تشقق — بضم التاء

(١) حصاص : يقال حاصه محاصة وحصاصا : قاصمه فأخذ كل واحد منهما حصته
وروض واصل متصل النبات .

يُجَنَّبُهَا مَنْ هَتَفَهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصِلُ بِهَا مَنْ نَفَسُهُ مِنْهُ طَالِقٌ^(١)
يُحَاجِي بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقٌ^(٢)
نَكِرْتُكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَمَعُّجِي وَلَا حَجَبَ مِنْ حُسْنِي مَا اللَّهُ خَالِقٌ^(٣)
كَأَنَّكَ فِي الْإِعْطَاءِ لِلْمَالِ مُبْفِضٌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقٌ^(٤)

على البناء للمجهول - والجيوب : نائب فاعل ؛ وضير منهن لسيوف والجيوب : جمع جيب ، ما يفتح على النحر من أعلى الثوب ؛ والمفارق : جمع مفرق ، وسط الرأس . يقول : إذا غزا شقت الثالكات جيوبهن من جراء ما يفعله سيوفه من القتل ، وخضبت لحي الفرسان ومفارقهن بما يسيل من الدماء .

(١) جنبته الشيء : إذا باعدته عنه ؛ وصلى بالأمر يصلى : إذا قاسى حره وشدته ؛ وأصله من صلى بالنار : إذا قاسى حرها . يقول : من غفل عنه حتفه - موته وهلاكه ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها ، وإنما الذى يقاسى بلاءها هو من نفسه طالق منه : أى مفارقه : كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه . إذ هى لا محالة قاتلته (٢) يحاجى به : أى يخالط - من الأحمية ، وهى الكلمة المخالفة للفظ المعنى ، كالشيء لللفظ به يلقي على الإنسان ليستنبط معناه ، كما قال أبو ثروان : ما ذو ثلاث آذان ، يسبق الخيل بالرديان ؟ يعنى السهم وآذانه قذذه ، وأصل الكلمة من قولهم : حجاج يحجو إذا أقام وثبت ، ف قيل لها أحمية ، لأن الملقى عليه يحتاج إلى الثبوت والتفكير . يقول : إن الناس يحاجى بعضهم بعضاً بهذا المدوح يقولون : ما ناطق وهو ساكت ، ثم فسر هذا المصراع الثانى فقال يرى ساكتاً - يعنى المدوح - لا يفتخروا لا يذكر شجاعته والسيوف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى أن الناس إذا سأل بعضهم بعضاً عن هذه الصفة فالجواب : الحسين بن إسحاق .

(٣) نكرت الشيء وأنكرته : إذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ لفظ - الماضى - ومنه قول الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذى نكرت . . من الحوادث إلا الشيب والصلما
يقول : أنكرت أن يكون أحد مثلك فى فضلك ؛ واستغرتك لكثرة ما رأيت
فيك من المحاسن فأتى لا أراها فى غيرك حتى طال تعجبي ثم علمت أن الله قادر على أن
يخلق ما يريد ؛ وإذن لا عجب .

(٤) من قول البحتري .

أَلَا قَلَمًا تَنْبَقِي عَلَى مَا بَدَأَ لَهَا ، وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ^(١) ،
 سَيَحْيِي بِكَ الشَّمَارُ مَا لَاحَ كَوْكَبُ^(٢) وَيَحْدُو بِكَ الشَّفَارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ^(٣) ،
 خَفِ اللَّهُ وَأَسْرَ ذَا الْجَمَالِ يَبْرِقُ^(٤) فَإِنْ لَحْتَ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ^(٥) ،
 فَمَا تَرْزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمُ^(٦) وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ^(٧) ،
 وَلَا تَفْتَقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقُ^(٨) وَلَا تَرْثُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ^(٩) .

تَسْرِعُ حَتَّى قَالَ مَنْ لِنِي الْوَحْيُ لِقَاءَهُ أَعَادِ أَمْ لِقَاءَهُ حَبَائِبُ
 (١) الأداة : استفتاح ؛ وظي : بمعنى مع ؛ وبدا ظهر وعرض ، والقنا أي الرماح -
 فاعل تنبقي - والسوابق : الخيل . يقول : إن الرماح والخيل لا تبقى على منازل بهائمك
 من كثرة استعمالها في الحروب والغارات .

(٢) السمار : جمع سامر ، الذين يسمرون ليلاً ؛ والسفار : جمع سفر وسافر وهم
 الذي يلازمون الأسفار . وذر : طلع ؛ والشارق : الكوكب . وقوله ملاح وكوكب :
 لما مصدرية زمانية ؛ أي مدة ظهور الكواكب ، وهذا كناية عن الدوام والتأيد ؛
 يعني : أنت أبدأ يحيي السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغني السافرون بمدائحك
 فيحدون الإبل بها .

(٣) العواتق : جمع عاتق ، الشابة من النساء ؛ والحدور : جمع خدر . يقول :
 استر جمالك يبرقع ترسله على وجهك ، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب في خدورهن
 شوقاً إليك وهياماً بك ، ويريح حاض ؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت
 سال - زعموا - دم حيضها ؛ وللعنى : استر جمالك عنهن وإلا ذبن وهلكن عشقاً
 وهياماً .

(٤) و (٥) الرق : ضد اللق . يقول : إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من
 حرمان ورزق ورتق وفتق ، بل هي موافقة له مؤاتية ، كما قال أشجع :
 فلا يرفعُ الناسُ مَنْ حَطَهُ ولا يضعُ الناسُ ما يرفعُ
 وقال آخر :

كُنَّا مُلُوكًا وَكَانَ أَوْلُنَا لِلْحِلْمِ وَالْبَأْسِ وَالنَّدَى خُلُقُوا
 لَا يَرْتَقِي الرَاتِقُونَ مَا فَتَقُوا يَوْمًا وَلَا يَفْتَقُونَ مَا رَتَقُوا
 والأصل في هذا كله قول العباس بن مرداس للنبي صلوات الله وسلامه عليه :

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٍ مِنْ غَيْرِكَ الْغَنَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّادِقِيَّةِ لَاحِقٌ^(١)
هِيَ الْفَرَضُ الْأَقْصَى وَرُوَيْتُكَ الْمَنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَتْلُحْلَاقُ^(٢)

وعرض عليه بدر بن عمار الصلبة للشرب في غد فقال ارتجالا :

وَجَدْتُ الْمَدَامَةَ غَلَابَةً نُهَيْجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ^(٣)
نُسِيهِ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ وَلَكِنْ تَحَسَّنُ أَخْلَاقَهُ^(٤)
وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُهُ وَذَوُ اللَّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ^(٥)
وَقَدُمْتُ أَمْسٍ بِهَا مَوْتَهُ وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ^(٦)

وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما ومنَ تَضَعُ اليومَ لَا يُرْفَعُ

(١) لك الخير : دعاء للمدح بأن يرزق الخير . فهو يقول : الخير لك لا لغيرك ؛
ورام : قصد ؛ واللاذقية : بلد المدح يقول : غيري يطلب الغنى من غيرك أى أنا
لا أطلبه إلا منك ، وغيري يلحق بغير بلدك ؛ أى أنا لا أقصد إلا البلد الذى أنت فيه .
(٢) يقول : إن بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الأبعد : أى هى غاية ما يطلبه
الإنسان ، فإذا بلغها لم يطلب بعدها شيئا ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ؛ وأت
جميع الناس .

(٣) الدامة : الخمر ؛ وغلابة : تطلب العقل فلا يستطيع مقاومتها ؛ ثم قال وتحرك
الشوق ، كما قال البحرى :

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِيُ الْمَهْمومَ وَتُبْعَثُ الشَّوْقَ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ
(٤) أراد بسوء الأدب : ما يكون من الشارب — من قول الحنا ، والعريدة
والحركات المفرطة — وتحسين الأخلاق ما تحدثه فيه من الساحة والبذل ؛ وفى الخمر
يقول القائل :

رَأَيْتُ أَقْلَ النَّاسِ عَقْلًا إِذَا انْتَشَى أَقْلَهُمْ عَقْلًا إِذَا كَانَ صَاحِيَا

تزيدُ حَيَاها السَّفِيهَةَ سَفَاهَةً وَتَتْرُكُ أَخْلَاقَ الْكَرِيمِ كَمَا هِيَا

(٥) يقول : أعزوا عمن ما للسان : عقله ، والعقل يكره ضياع عقله .

(٦) جعل غلبة السكر على عقله كالموت ، ثم قال : ومن مات مرة لا يشتهي العود

وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار :

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى أَنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ^(١)
أَمَرْتُ بِأَنْ تُشَالَ فَفَارَقْتَنَا وَمَا أَلِمْتُ لِخَادِنَةِ الْفِرَاقِ^(٢)
إِذَا هَجَرْتَ فَمَنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَإِنْ زَارَتْ فَمَنْ غَيْرِ أَشْيَاقٍ

وعرض عليه محمد بن طنج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال :

سَقَانِي أَنْظِرَ قَوْلُكَ لِي بِحَقِّي وَوُدُّ لَمْ تُشْبِهْ لِي بِمَذْقِ^(٣)
يَمِينًا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَاهٍ عَلَى قَتْلِي بِهَا لَصَرَبْتُ عَنْقِي^(٤)

إليه ، وقد يعني ابن وكيع - شغشته مع النبي - فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم في معنى السكر :

يُسِيءُ وَيَعْذِرُهُ حُسْنُهُ لَدَى عَاشِقِيهِ بِغَيْرِ اعْتِذَارٍ
تَحَاكَّرَ تَغْفَرُ ذَنْبَ الصَّدُودِ كَمَا غَفَرَ السُّكْرُ ذَنْبَ الْخُمَارِ

وأي هذين من بيت النبي ؟ على أن قوله كما غفر السكر ذنب الخمار : غير صحيح .

(١) الغدائر ؛ جمع غديرة ، الدؤابة من الشعر . يقول : هذه لعبة ذات شعر ولكنها

لا تصلح للعناق لأنها غير آدمية . هذا : وقوله أن ليس : قال العكبري « أن » هي
عخفة من الثقيلة ؛ والتقدير أنها ؛ ولا يدخل عليها الفعل إلا بفواصل يفصل بينها : نحو
سوف والسين ولا نحو أن سيقوم ، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية ، فإنها فعل
لا تصرف فيه ، ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »

(٢) تشال : ترفع .

(٣) المذق . المزج ؛ وشابه : خلطه . يقول : إنما شربت الخمر لأنك أقسمت

بحياتك فشربتها ، ولأني أحبك حبا خالصا غير مشوب .

(٤) يقول : سقاني إقسامك على بخلك قسما لو أقسمته نريد به قتل لفعلت ذلك .

وكان لأبي الطيب حِجْرَةٌ (*) تسمى الجهماء ، ولها مهر يسمى الطخرور ، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر ، فقال :

مَا لِلْمَرْجِ أَنْخَضِرَ وَالْحَدَائِقِ يَشْكُو خَلَاهَا كَثْرَةَ الْعَوَائِقِ ^(١)
أَقَامَ فِيهَا الثَّلَجُ كَالْمُرَاقِ يَفْقِدُ فَوْقَ السَّنَنِ رَيْقَ الْبَاصِقِ ^(٢)
ثُمَّ مَضَى لَا عَادَ مِنْ مُفَارِقِ بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسَاقِ ^(٣)
كَأَنَّهَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ يَا كُلُّ مَنْ نَبَتْ قَصِيرَ لَاصِقِ ^(٤)
كَفَشَرِكَ الْحَبْرَ عَنِ الْمَهَارِقِ أُرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوْذَائِقِ ^(٥)

* أى فرس أنثى ، والذي فى كتب اللغة أنها الحبر ، قالوا : والحبر الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الماء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر ، والجمع أحجار وحجورة وحجور ، قالوا : وأحجار الحبل ما يتخذ منها للنسل ، وصميت كذلك لأنهم جعلوها كالحمرمة الرحم إلا على حصان كريم .

(١) المروج : جمع مرج ، الموضع تخرج فيه الدواب : أى ترسل لترعى والحدائق جمع حديقة ، وهى البستان المسور ؛ وتطلق على كل روضة ذات شجر والحلا : الكلاء الرطب ؛ والعوائق : جمع عائق ، ما يعوق عن النفاذ فى الشيء . يقول : نبتها يشكو كثرة الموانع من الطلوع . وأراد بالعوائق : البرد والثلج التى تمنع من الظهور .

(٢) يقول . أقام الثلج فى هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل إذا جبق جمد ريقه فوق أسنانه ، وهذا من قول عبد الصمد بن العذل :

ونسج الثلج على الطيور وأجد الريق على الثغور

(٣) ثم مضى : أى الثلج بإذابة الحر إياه ، وجعل أوائل ما ذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقاً ؛ يعنى أن الثلج قد انحسر بذوبه ، فكان الدوب قاده وساقه حتى ذهب ويروى من دونه : أى من قدامه ، وذلك أن قائداً الشيء يكون أمامه ، وسائقه يكون خلفه .

(٤) الطخرور : اسم المهر ؛ وهو فى اللغة القطع القليلة من السحاب ، جمعها طخارير . وباغى : طالب ؛ والآبق : المارب ؛ ولاصق : أى بالأرض لا يرتفع عنها . يقول : إنه - لإعواز المرعى - كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يشبث فى مكان واحد كأنه يطلب آبقا لتردده فى طلب المرعى .

(٥) المهارق : جمع المهرق ، وهو الصحيفة يكتب فيها ؛ معرب ؛ وذلك أنهم كانوا

بِمُطْلَقِ الْيَمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ عِبِلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَّافِقِ^(١)
 رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ذِي مَنْخَرِ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لَاحِقِ^(٢)
 مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كَمَيْتِ زَاهِقِ شَادِخَةٍ غُرَّتُهُ كَالشَّارِقِ^(٣)
 * كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ^(٤) *

يأخذون الحرق ويطلونها بشيء ثم يصفقونها ويكتبون عليها ، شبه رعى مهره النبات اللاسق بالأرض بقر الكاتب الخبر عن الصحيفة ، وأروده : أى أطلبه ؛ والضمير : للنبت ؛ وضمير منه : للنهر ؛ والظرف : حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق الباء متعلقة بأروده ، والكاف : اسم بمنزلة مثل : أى بهر مثل الشوذانق ، والشوذانق الشاهين — الصقر -- معرب منه دانك : أى نصف درهم ؛ يراد أنه كنصف البازي يقول : أطلب الكلاً والنبات من هذا المهر بهر كالشوذانق لحفته ، يريد مهره على سبيل التجريد .

(١) بمطلق اليمنى : بدل من بكالشوذانق ؛ والمراد بكونه مطلق اليمنى : أنه لا تحجيل فيها ، بناء على تشبيه التحجيل في القوائم الثلاث بالقيد . والفائق : مغرز الرأس في العنق ، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ؛ وعبل الشوى : ضخم الأطراف ، والمرافق : جمع مرفق ، موصل الذراع في العضد ؛ وإذا تدانت مرافقه كان أمدح له .

(٢) رحب اللبان : واسع الصدر ؛ ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعاً يحمي ويذهب ليكون خطوه أبعد ، فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق : فالطرائق طرائق اللحم ؛ ونائه من ناه الشيء ينوء : إذا علا ونهت به ونوّهته : إذا أشدت به ؛ والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية . وقال ابن جنى : الطرائق الأخلاق : أى مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه . وقال ابن جنى : الرواية نابه ، يقال امرؤ نابه إذا كان عظيماً جليلاً . وقوله ذى منخر رحب : فإنه يستحب سعة المنخر ، لئلا يخبس نفسه والإطل : الحاصرة ولحوقها : ضمورها .

(٣) التحجيل : بياض القوائم . والنهد : الجسم العالى المشرف . والكسيت : الأحمر إلى السواد ؛ والزاهق : الذى بين السمين والمزول ؛ والقرة . البياض فى وجه الفرس ، والقرة : الشادخة التى تملأ الوجه ، وتمتد سفلاً ، والشارق : الشمس عند شروقها . شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها فى نواحى الأفق .

(٤) البارق : السحاب ذو البرق . شبه لونه بالسحاب الذى انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد .

بَاقٍ عَلَى الْبُوعَاءِ وَالشَّقَاتِ (١) وَالْأَبْرَدَيْنِ وَالْمُحْجِرِ الْمَاحِقِ (٢)
 لِلْفَارِسِ الرَّاءِ كِضٍ مِنْهُ الْوَائِقِ خَوْفُ الْجَبَانِ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقِ (٣)
 كَأَنَّهُ فِي رَيْدٍ طَوْدٍ شَاهِقِ (٤) يَشْأَى إِلَى الْمِسْمَعِ صَوْتَ النَّاطِقِ (٥)
 لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشَارِقِ جَاءَ إِلَى الْغَرْبِ نَجْيٌ السَّابِقِ
 يَتْرُكُ فِي حِجَارَةِ الْأَبَارِقِ آثَارَ قَلْعِ الْخَلِي فِي الْمَنَاطِقِ (٦)
 * مَشْيًا وَإِنْ يَعْدُ فَكَأَنَّهُ خَدَقِ (٧) *
 لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقٍ لَأُحْسِبَتْ خَوَامِسَ الْأَيَّامِ (٨)

(١ و ٢) باق : أى ثابت ، خبر عن محذوف يعود إلى المهر ؛ والكلام مستأنف والبوبعاء التربة الرخوة . والشقائق جمع الشقيقة ، وهى أرض يكون فيها رمل وحصى والأبردان : الغداة والعشى . والمحجير : شدة الحر وقت المهاجرة - نصف النهار - والماحق الذى يمحق كل شيء بحرارته يقول : إن مهره ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد : أى صبور على الشدة ،

(٣) للفارس : خبر مقدم ؛ وخوف : مبتدأ مؤخر . وركض الفرس : ضربه برجله ليعدو ؛ ومنه : صلة الخوف . يقول : لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

(٤) فى ريد : أى على ريد ؛ والريد : الحرف الشاخص من الجبل ؛ والطود : الجبل والشاهق : العالى . يقول : لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عال .

(٥) يشأى : يسبق . يقول : لسرعته وحدته فى جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت ؛ يعنى أنه يسبق مسير الصوت .

(٦) الأبارق : جمع الأبرق ، وهو آكام فيها حجارة وطين . وآثار : مفعول يترك والناطق : جمع منطقة ، ما يشد بها الوسط . يقول : لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطئ الأبرق بمخوافه ترك فيه آثاراً كأن آثار الخلى إذا قلع من الناطق .

(٧) مشياً : حال على تأويله بالوصف . يقول : إن هذا التأثير الذى ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا - جرى - ترك آثاراً كالحنادق .

(٨) الضمير فى أوردت : للآثار المشبهة بالحنادق وغب سحاب : أى بعده . وأحسبت :

إِذَا اللَّجَامُ جَاءَهُ لِيَطَّارِقَ شَحَا لَهُ شَحْوُ الْغُرَابِ النَّاقِ (١)
كَأَنَّمَا الْجَنْدُ لِعُرَى النَّاهِقِ مُنْجَدِرٌ عَنْ سَيْتِي جُلَاهِقِ (٢)

كفت ، ومنه : حسبنا الله ؛ أى كفانا . والخوامس : الإبل التى ترد الخمس — بكسر
الحاء — وهو أن ترى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع ؛ والأيتانق : جمع أيتق ، جمع
ناقة . يقول : لو أوردت هذه الآثار التى هى كالحنادق بعد إقلاع سحب صادق المطر
لكان فيها من الماء ما يكتفى نياقا عطاشا ترد الخمس : يعنى إذا أطلع السحاب وامتلأت
آثار حوافره كفت الإبل العطاش . يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الأرض
إذا عدا .

(١) كحما : فتح فاه . والناغق — بالغين والعين — الصائح . يقول : إذا ألجم
لحادث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنميق ، يريد أنه — مع شدته وعنفه —
لا يمنع من اللجم ؛ ولعله يريد أيضاً أنه واسع الفم .

(٢) الناهق : عظم نأق فى مجرى الدمع من الفرس ، وهما ناهقان ، ويستحب
عريهما من اللحم ؛ قال أهل اللغة : للناهقان عظام شاخصان يندران — يبرزان — من
ذى الحافر فى مجرى الدمع يخرج منهما التهاق — أى الصوت — ويقال لهما أيضاً النواحق .
قال النابغة الجعدي يصف فرسا :

بِعَارِي النَّوَاهِقِ صَلَّتِ الْحَبِيبِينَ يَسْتَنُّ كَالْتَيْسِ ذِي الْحَلْبِ (١)
وفى التهذيب : النواحق من الحيل والجر حيث يخرج التهاق من حلقه ؛ وأنشد
للنمر بن تولب :

فَأَرْسَلَ سَهْمًا لَهُ أَهْرَعًا فَشَكَ نَوَاهِقَهُ وَالْفَهْمَا (٢)

(١) الحلب : نبات ينبت فى العيظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلقى بالأرض حتى
يكاد يسوخ ، ولا تأكله الإبل ، وإنما تأكله الشاء والظباء ، وهى مغزرة مسمنة وتختبل
عليها الظباء ، قال الأصمى : أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب لأنه قد رعى
هذا النبات .

(٢) الأهرع : قيل هو خير السهام ، وأفضلها ، تدخره لشديدة ، وقيل هو آخر
ما يبق من السهام فى الكنانة : جيداً كان أو رديئاً .

بَزَّ الْمَذَاكِي وَهُوَ فِي الْمَقَاتِلِ وَزَادَ فِي السَّاقِ عَلَى النَّقَاتِ^(١)
 وَزَادَ فِي الْوَقْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ وَزَادَ فِي الْأُذُنِ عَلَى الْخِرَاتِ^(٢)
 وَزَادَ فِي الْحَذَرِ عَلَى الْعَقَاقِقِ يُبَيِّزُ الْهَزْلَ مِنَ الْحَقَاتِ^(٣)
 وَيُنْذِرُ الرَّكْبَ بِكُلِّ سَارِقٍ يُرِيكَ خُرْقًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ^(٤)

وسيتا القوس : جانباه . والجلاهيق : البندق الذي يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيق قوس البندق .

(١) بز : غلب وفاق ؛ والمذاكي : جمع مذك : الفرس أي عليه بعد قروحه سنة . قال أهل اللغة : للمذاكي الخيل التي أي عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ والذكاء السن . قال الحجاج : فررت عن ذكاء ، وبلغت الدابة الذكاء : أي السن ، قالوا والمذاكي أيضاً من الخيل الذي يذهب حضره - جريه - وينقطع ؛ وفي المثل : جرى المذكيات غلاب : أي جرى المسان القرح من الخيل أن تغالب الجري غلاباً ؛ قالوا : وتأويل تمام السن النهاية في الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء . والعقاقق : جمع عقيقة ، وهي الشعر الذي يولد المولود وهو عليه ؛ والنقائق : جمع نقق ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الخيل السنة وهو بعد فلو - أي مهر - صغير لا يزال شعر الولادة عليه ، وزاد على النعام في طول الساق وصلابته ، وذلك محمود في الخيل كما قال امرؤ القيس :

* لَهُ أَيُّطَلَا ظَنِّي وَسَاقَا نَعَامَةٍ *

(٢) الخرائق : جمع الخرنق ، وهو ولد الأرنب . يقول : إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق . قال الواحدي : ويجوز أن يريد أن نار وطء حوافره تزيد على صواعق السحاب ، ثم قال المتنبي : وإن أذنه تزيد في الدقة والانتصاب على آذان الأرانب .

(٣) العقاقق : جمع عقق ، ضرب من الغربان يضرب به المثل في الحذر فيقال : أحذر من عقق . وقوله يميز الهزل من الحقائق : يريد أنه إذا أحضره صاحبه - أي ركضه - فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد ؟ وبعبارة أخرى : هل يريد الميدان أو الغارة ؟ فلعب أوجد حسب مراد صاحبه .

(٤) الخرق في الأعمال : خلاف الرفق أو هو الحمق ؛ والحاذق : الماهر . يقول

يَحْكُ أَنْى شَاءَ حَكَّ الْبَاشِقِ قَوْلَ مَنْ آفَقَ وَأَفَقِ^(١)
 بَيْنَ عَتَاقِ لَطْفِ لِّ وَالْعَتَاقِ فَمَنْقَهُ يُرْبِي عَلَى الْبَوَاسِقِ^(٢)
 وَحَلَقَهُ يُمَكِّنُ فَيْتَرَ الْخَلَانِقِ أَعْدَهُ لِلطَّعْنِ فِي الْفِيَالِقِ^(٣)
 وَالضَّرْبِ فِي الْأَوْجِهِ وَالْمَفَارِقِ وَالسَّيْرِ فِي ظِلِّ اللَّوَاءِ الْخَلْفَانِقِ^(٤)

إنه لد كانه وحذقه إذا أحس سارقا بلبل سهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل الأعراب ،
 أى لشدة جريه وتنايه في العدو - الجرى - تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق ،
 وحذقه أنه لا يخرج ماعنده من الجرى مرة واحدة ، وإنما يعرف ما يراد منه فيستبقي
 جريه ، كما قال القائل :

وَلِلْقَارِحِ الْيَمْبُوبُ خَيْرُ عِلَالَةٍ مِنَ الْجَذَعِ الْمُرْخَى وَأَبْعَدُ مَنَزَا
 وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

ذُو أَوَّلَتِي عِنْدَ الْجَرَاءِ وَإِنَّمَا مِنْ صَحَّةِ إِفْرَاطٍ ذَاكَ الْأَوَّلِي
 [الأولق : الحفة من النشاط كالجنون]

(١) أنى : كيف . يصفه بلبن المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين
 شاء كالباشق — طائر من أصغر الجوارح — الذى ينتهى رأسه ومنقاره إلى أى موضع
 أراد من جسده ، ثم قال : إن العتق - الكرم - يكتنفه من قبل أيه وأمه ؛ فكرم الأم
 يقابل فيه كرم الأب . فالآفق من الحيل : الكرم الطرفين ، وهى آفقه ، ومن آفقه :
 حال ، أى مولودا من آفقه وآفق : أى إنه كرم الام والأب وكل من أمه وأيه كذلك
 (٢) البيت تنمة لما فى المصراع الأخير من البيت السابق ؛ والعتاق من الحيل :
 الكرام ؛ والإناث عتائق ؛ والبواسق : جمع باسقة : النخلة العالية . يقول : إن أبويه
 آفقان بين كرام الحيل وكرائمها : أى إنه وسيط فى العتق ، ثم قال : وعنقه يزيد على النخل
 الطوال طولا وطولا والحيل توصف بطول الأعناق ، كما قال القائل :

* وَهَادِيهَا كَانَ جَذَعٌ سَحُوقُ *

(٣) يقول : إن أعلى حلقة دقيق حتى لو أراد الخائق أن يطوقه بفتره - ما بين
 الإبهام والسبابة - لاستطاع وأمكنه ذلك ، والفيالق : الكتاب من الجيش .

(٤) والضرب : عطف على الطعن والمفارق : أوساط الرؤوس حيث يفرق الشعر
 واللواء : الراية ؛ وخفقه : اضطرابه فى الهواء .

يَحْمِلُنِي وَالنَّصْلُ ذُو السَّاقِ يَقْطُرُ فِي كُمِّي عَلَى الْبَنَائِقِ ^(١)
 لَا أَلْخُظُ الدُّنْيَا بِعَيْنِي وَآمِقِ ، وَلَا أَبَالِي قِسَاةَ الْمُرَافِقِ ^(٢)
 أَيْ كَبْتُ كُلَّ حَاسِدٍ مُنَافِقٍ أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ ^(٣)

وقال يهجو إسحاق بن كیفلغ وقد بلغه أن غلمانة قتلوه :

قَالُوا لَنَا : مَاتَ إِسْحَاقُ فَقُلْتُ لَهُمْ :

هَذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْفِي مِنَ الْخُمُقِ ^(٤)

إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلَا قَعْدٍ وَلَا أَشْفٍ ، أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلَا خُلُقٍ ^(٥)

(١) النصل : حديدة السيف ؛ وسفاسقه : طرائقه ؛ والبنائق : جمع بنيقة ، لبنة القميص . يقول : يحملني في الحرب وسيفي يقطر دما — دم القتلى — في كمي على بنائقي . أي يحملني والسيف هذه حاله ؛ قال العكبري : الرواية التي قرأت بها الديوان على شيخني أبي الحزم وعبد النعم : والنصل ذو ، بالرفع ، ورفعته على الابتداء ، والواو للحال ، أي في هذه الحالة ، ورواه الواحدى وغيره بنصب النصل وما بعده عطفا على الضمير المنسوب في يحملني ؛ ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه : أي مع النصل .

(٢) لحظه : نظر إليه مؤخر عينه . والوامق : الحب . يقول : لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق يحب لها فيذل طلبها ولا أبالي أن لا أجد فيها من يوافقني على طلب معالي الأمور ، بل أعمل على طلبها وحدي .

(٣) أي : جرف نداء ؛ وكبت عدوه : أذله وردده بغيظه ، وكبته الله لوجهه : صرعه . قال ابن جني مخاطب ممدوحا له ، قال الواحدى : ليس في هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحد ، فكيف يخاطب ممدوحا ؛ إنما يخاطب المهر الذي وصفه ، يقول : أنت تكبت حسادى لأنهم يحسدوننى عليك ثم قال : أنت لنا ونحن وأنت لله .

(٤) يقول : لادواء للأحق إلا الموت ، كما قال البحرى :

مَا قَضَى اللَّهُ لِلْجَهْلِ بَسْتَرٍ يَتَلَفَاهُ مِثْلُ حَتَفٍ قَاضِي

(٥) يقول : إن موته وحياته سواء ، فهو إن مات مات وليس من يأسف على موته

ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقوداً كما قال :

فَإِذَا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ فَقِيدٍ

مِنْهُ تَعَلَّمَ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتُهُ خَوْنُ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرُ فِي الْمَلَقِ ^(١)
وَحَلَفَ أَلْفَ يَمِينٍ غَيْرَ صَادِقَةٍ
مَطْرُودَةٍ كَكُؤُوبِ الرُّمَحِ فِي نَسَقِ ^(٢)
مَا زِلْتُ أَعْرِفُهُ قَرْدًا بِلَا ذَنْبٍ صِفْرًا مِنَ الْبَأْسِ تَمْلُؤُهُ مِنَ النَّزَقِ ^(٣)
كَرِيْشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ ^(٤)

وإن عاش عاش وليس من يحمل به أو يبالى ؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة
كما قال الحزب أرزى :

فَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا وَجْهَ وَلَا بَدَنَ وَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا عَقْلَ وَلَا أَدَبَ
(١) هامته : رأسه ؛ والحون : الحياة ؛ والملق : إظهار المحبة . يقول : إن العبد
الذى قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفي قلبه دغل .
فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه .

(٢) وحلف : عطف على خون . يقول : وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة
— مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح ، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه :
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبٍ
وقوله أيضاً :

نَسَبٌ كَمَا اطْرَدَتْ كُؤُوبٌ مُثَقَفٌ لَدُنْ يَزِيدُكَ بَسْطَةً فِي الطُّوْلِ
(٣) يقول : مازلت أعرفه قرداً إلا أنه لا ذنب له ، وأعرفه فارغاً من الشجاعة
إلا أنه قد امتلأ حماقة وطيشاً ، والله ابن الرومي حين يقول :

مَعشَرٌ أَشْبَهُوا الْقُرُودَ وَلَكِنْ خَالَفُوهَا فِي خِفَةِ الْأَرْوَاحِ
(٤) يقول : هو من القلق كريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر
من القلق على حال ، يصفه بالطيش وأنه لا يثبت على حال ، كما قال ابن الرومي :
فَلِمَكَ أَطْيَشُ مِنْ رِيْشَةٍ وَرُوحُكَ مِنْ هَضْبَةٍ أَرْجَحُ
ولبعضهم :

يَارِيْشَةً فَوْقَ مَهَبِّ الصَّبَا يَهْفُو بِهَا الرِّيحُ عَلَى مَرَصَدٍ
أَطْيَشَ مِنْ قَلْبِ فَتَى عَاشِقٍ مَتَمِّمٌ بَاتَ عَلَى مَوْعِدٍ

تَسْتَفْرِقُ الْكَفَّ فَوَدَيْهِ وَمَنْكِبُهُ وَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الْجُورِبِ الْعَرَقِ ^(١)
 فَسَائِلُوا قَاتِلِيهِ كَيْفَ مَاتَ لَهْمُ مَوْتًا مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتًا مِنَ الْفَرَقِ ^(٢)
 وَأَيْنَ مَوْقِعِ حَدِّ السِّيفِ مِنْ شَبَحِ بَغَيْرِ رَأْسٍ وَلَا جَنْمٍ وَلَا عُنُقِ ^(٣)
 لَوْلَا اللَّثَامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشَابَهَةِ لَكَانَ الْأُمُّ طِفْلٍ لُفٍّ فِي خِرْقِ ^(٤)
 كَلَامٍ أَكْثَرَ مِنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ يَمَّا يَشُقُّ عَلَى الْأَذَانِ وَالْحَدَقِ ^(٥)

* * *

(١) الفودان : جانبا الرأس ؛ والجورب : هو « الشراب » الذى توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعرق : الذى به العرق . يقول هو صغير الرأس قصير العنق ، وهو أيضاً قىء حقيق ، فإذا صفع استغرقت أكف الصافعين هذه المواضع من بدنه فككتسى أ كففهم تتنا منه لتتن رائحته ، ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم :

قل ما بدالك أن تقول فإننى أنفى عليك بمثل ريح الجورب

(٢) موتا : مفعول مطلق ؛ أى أمات لهم موتا ؛ والفرق : الخوف والفرع . يقول : هو جبان فسائلوا قاتليه هل مات خوفاً أو مات بالضرب ؟ والله أبو تمام حين يقول :

وإلا فأعلمه بأنك ساخط عليه فإن الخوف لاشك قاتله

(٣) الشبح : الشخص ؛ يصفه بأنه غير شيء لدمامته وصغر قدره فكأنه لا أعضاء له .

(٤) يريد باللاثام آباءه . يقول : لولا أنهم سبقوه فى اللؤم وجاء مشابهاً لهم فيه لكان الأم طفل ولكنهم شركاؤه فى ذلك فليس هو الأم ، وبهذا قد سوى بينه وبينهم ؛ وفى هذا نظر إلى قول بعضهم :

إذا ولدت حليلاً باهلاً غلاماً زيد فى عدد اللثام

(٥) ومنظره : أى وجهه ، أو النظر إليه ، ويشق : يشغل . يقول : إن أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لما فيه من السقط والمهذر ، ومنظره على الأحداق — العيون — لما ينطوى عليه من الغل والحجب وإضمار غير الجليل وإن كان يلقاك بالبشر .

يلقاك والمصل المصنئ يجتنئ من قوله ومن الفعّال العلقم

وقال يمدح أبا العشار الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوي :
 أترأها لِكثَرَةِ العُشَّاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِ (١)
 كَيْفَ تَرَى الَّتِي تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رَأَاهَا غَيْرَ جَفْنٍ غَيْرَ رَاقٍ (٢)
 أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكَ لِكِنَّكَ عُوْفِيَتْ مِنْ ضَنِّي وَاشْتِيَاقِي (٣)

يُبدى الهوى ويثور - إن عرضت له فرص - عليك كما يثور الأرقمُ
 « الايوردى »

فلا تفرِّقْ نكَّ السَّنةَ رطاب بطائهن أ كباد صَوَادِي
 « الديلمى »

فيارُب وجه كصافي النمر تشابهه حامله والنمرُ
 « شوقى »

إن شئتَ أن يسودَ ظنك كلهُ فأجله في هذا السوادِ الأعظمُ
 ليس الصديقُ بمن يُميرك ظاهراً مُتبسماً عن باطنٍ متجهماً
 « أبو تمام »

(١) حسب بحسب - بفتح السين في المضارع وكسرهما لفتان - وأترأها :
 أنظنها : والمآق : جمع موق ، مؤخر العين مما يلي الأنف . يقول - لصاحبه :
 أنظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآق عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترحم من يسكى
 ولا ترى ، كما قال في البيت التالي .

(٢) رأها : أصله رآها ؛ قدم الألف وآخر الهمزة ضرورة وغير الأولى : منصوبة
 على الاستثناء ، والثانية على الحال . وراق : أى منقطع الدمع ، وأصله راقى : تقول
 رقا الدمع والدمع يرقأ إذا انقطع ، فلينه . يقول : إن هذه المعشوقة لا ترحم با كياً ،
 وكيف ترحمه وهي ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لمجرها فهي
 لا ترحم أحداً لأنها تظن الدموع في أجفان العشاق خلقة ؟

(٣) منا خبر أنت ، والجملة بعده خبر ثان ، أو جمال من الضمير المستتر في الخبر يقول .
 أنت أيضاً من معشر عشاقك : أى أنت عاشقة لنفسك حين منعها منا إلا أنك عوفية
 من الضنى - النحول - والاشتياق . لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ؛ ومعه

حُلَّتْ دُونَ الْمَزَارِ فَالْيَوْمَ لَوْزُرُ تِ لَحَالِ التَّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ^(١)
 إِنَّ لِحَظًا أَدَمْتِهِ وَأَدَمْنَا كَانَ عَمْدًا لَنَا وَحَتَفَ انْتِفَاقِ^(٢)
 لَوْ عَدَا عَنْكَ غَيْرَ هَجْرِكَ بُعْدٌ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ الْمَنَاقِ^(٣)
 وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ^(٤)

فتنت نفسك : أى بالحجب ؛ أى فأنت مفتونة بعشق نفسك ؛ والأصل فى هذا المعنى قول جملة :

لو ترى ما أراه منك إذا ما جال ماء الشباب فى وجنتيك

لتميت أن تُقبِّلَ خديك وإن لم تصل إلى خديك

(١) يقال حال دونه حائل ، كما يقال عاق دونه عائق ؛ والزار ههنا : مصدر بمعنى الزيارة يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نعلت شوقا إليك ، فلو زرتنى اليوم لم تقدرى على معانقتى لشدة نهولى ودقة جسمى . فليس فى بقية لعناقك .

(٢) يقول : إن النظر الذى كررته إلينا وكرره إليك كان عن تعمد منا فاتفق لنا فيه الحنف - الهلاك - من غير قصد منا إليه لأنه أوقعنا فى حبال الهوى .

(٣) عدا عنك . صرف عنك ومنع من لقاءك . وغير : استثناء مقدم ؛ وبعد : فاعل عدا ، وقال المكبرى : نصب غير على الحال ، والتقدير : بعد غير هجرك ، فلما قدم وصف التكرة نصبه على الحال . وأرار : بمعنى أذاب ، والرسيم : ضرب من سير الإبل ، والناق : جمع منقبة ، وهى الناقة السمينة التى فى عظامها نقي - أى مخ - يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لاهجرك لوصلنا السير إليك حتى تنفى الإبل ويسيل عنها : أى لأنبناها فى طي البعد بيننا ، ولكن الذى يحول بيننا هو الهجر ، وهو ما لا يسيل إلى قطع مسافته بالسير ، كما قال أيضاً :

أَبْعُدُ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبُخْلِ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُسْكِفُ الْإِبِلُ

(٤) الضمير فى عليها : للمناق ، والأرماق : جمع رماق ، بفيه الروح : يقول : ولسرنا ولو وصلنا وقد نلحنا وهزلنا من هذه الشوق حتى نصير من الحفة كأنا أنفاس على أرماق : أى على إبلنا التى نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها إلا الدماء فكأنها أرماق ، كما قال الآخر .

• أنضاء شوق على أنضاء أسفار •

مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْمُيُونِ اللَّوَاتِي لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ^(١)
 قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِي الْمَوَاضِي فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَسَوَاتِي^(٢)
 كَثُرَتْ نَائِلُ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا لِي بِمَا نَوَلْتُ مِنَ الْإِيرَاقِ^(٣)
 لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلَقَ^(٤) سَادَ هَذَا الْأَنَامُ بِأَسْتَحْقَاقِ

وكما قال هو أيضاً :

بَرَتْنِي الشَّرَى بَرَى الْمَدَى فَرَدَدْنِي أَخَفْتُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جَرْنِي
 وقال ابن جني : ولسرنا ولو وصلنا إليك وهي تحملنا على استكراه ومشقة كما
 تحمل أرماقنا أنفاسنا لشدة الجهد لأننا قد بلغنا أو آخر أنفسنا ؛ قال الواحدى : هذا محال
 كيف يحمل الرمي النفس ؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرماق بالمعنى الذى ذكره ؟ ثم
 فسره الواحدى بما لا يخرج عما أسلفناه .

(١) ما بنا : استفهام ، معناه التعجب ؛ والأشفار : جمع شفر منبت الهدب ؛ والحداق :
 جمع حدة سواد المقلة . يقول : أى شيء أصابنا من هوى العيون الكعلاء الجفون السوداء
 الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتهابها بهجران ، وأيام الوصال توصف
 بالقصر وأيام الهجر توصف بالطول . وقوله فأطالت بها : أى أطالت ليالى الهجر بليالى
 الوصال . أى بذكرها والتعسر عليها .

(٣) قال الواحدى : الإيراق مصدر قولهم أورق الصائد إذا لم يصد شيئاً وأورق الغازى : إذا
 لم يغم ، وأورق الطالب إذا لم ينل شيئاً . قال : وكان الخوارزمي يقول فى تفسير هذا البيت :
 هى تطاب بإسعادها إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية ، فكأنها تكأثره نوالاً ، لكن نوالها
 الأرق ونواله الورق . قال الواحدى : فإن كان أبو الطيب أراد بالإيراق هذا — أى أنه من
 الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإيراق من الأرق إنما يقال أرق يأرق أرقاً وأرقه تأريقاً ،
 والأولى أن يحمل الإيراق على منع الوصل والتعجب منه . يقول : هى فى منعها وصلها
 فى النهاية ، كما أن الأمير فى بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكأثر عطاءه بمنعها لينظر
 أيهما أكثر ، ولا يخفى ما فى البيت من حسن التخلص .

(٤) خلق : اسم ليس ؛ وأبا العشائر : خبرها ؛ أو تقول خلق ؛ اسم ليس ؛ وخبرها
 الجملة بعده ؛ وأبا العشائر : مستثنى . يقول : ليس أحد قد استحق السيادة فساداً لخلائى
 بحق غير هذا المدوح ؛ وما يتصل بمعنى البيت قول البحرى :

طَاعِنُ الطَّعْنَةِ الَّتِي تَطْعَنُ الْفَيْلِقَ بِالذُّعْرِ وَالْدِّمِ الْمَهْرَاقِ^(١)
ذَاتُ فَرِيغٍ كَأَنَّهَا فِي حَشَا الْمَخْبِرِ عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِطْرَاقِ^(٢)
ضَارِبُ أَلْهَامٍ فِي الْغُبَارِ وَمَا يَزُ هَبُّ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِي هُوَ سَاقِي^(٣)
فَوْقَ شَقَاءٍ لِلْأَشَقِّ مَجَالٌ^(٤) بَيْنَ أَرْسَاعِهَا وَبَيْنَ الصَّفَاقِ^(٥)

قدره مرتفع عن حظه لا يرُعك الحفظ لم يوجد بحق

(١) طاعن : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو طاعن ؛ والفيلق : الجيش ؛ والذعر : الفزع ؛ والمهراق : الصبوب . يقول : إذا طعن واحداً من الجيش فرأوا الطعنة وسعها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفاً شديداً فكأنه طعن الجيش كله ؛ قال الشراح : والدم المهراق أحسن ما في البيت ، يريد أنه يخرج منها دم نائر يضرب صدور القوم ، فكأنه قد طعنهم كلهم .

(٢) ذات : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى طعنته ذات فرغ ، ومن نصب ذات : فهى حال من الطعنة بمعنى واسعة ، كأنه قال طعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ : مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه إذا خفضه وطأطأه . والخبر : يروى بفتح الباء وبكسرهما يقول : إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجري من فرغ دلو ، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفاً واستعظاماً حتى لكأنها في جوفه .

(٣) يقول : هو ضارب الهام - الروس - في الهيجاء وبسقى الأقران كؤوس الموت ولا يبالى أن يشرب ما يسقيهم شجاعة وولوعاً بالمجد والفخار ومن ثم لا يبالى بالموت . (٤) فوق شقاء : أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء :

مؤنت أشق ، ويقال فرس أشق . إذا كان رجب الفروج طويل القوائم ، قال جابر أخو بني معاوية بن بكر التغلبى :

وَيَوْمَ الْكَلَابِ اسْتَنْزَلْتُ أَسْلَاتُنَا شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى الْيَتَةِ مُقْسِمِ

لَيْتَنَزِعَنَّ أَرْمَا حَنْسًا فَازَالَهُ أَبُو حَنْسٍ عَنْ ظَهْرِ شَقَاءٍ صِلْدَمِ^(١)

والأرساغ : جمع رسيغ ، وهو مستدق ما بين الخافر ومفصل الوظيف ؛ والصفاق

(١) عن ظهر : يروى عن سرج ، والصلدم : القوية ، يقول : - حلف عدونا ليتزعن

أرماحنا من أيدينا قتلناه .

مَا رَأَاهَا مُكَذِّبُ الرُّسُلِ إِلَّا صَدَّقَ الْقَوْلَ فِي صِفَاتِ الْبَرَّاقِ ^(١)
 هُمُ فِي ذَوِي الْأَسِنَّةِ لَا فِيهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنُّطَاقِ ^(٢)
 ثَاقِبُ الرَّأْيِ ثَابِتُ الْحِلْمِ لَا يَقْدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِفْلَاقِ ^(٣)
 يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَفْدِمَكُمْ فِي الْوَعْيِ مُتُونُ الْعِتَاقِ ^(٤)

جلدة البطن ؛ قال الأصمعي : الصفاق الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر ،
 وأنشد للجعدى :

لَطِينٌ بِتَرْسٍ شَدِيدِ الصَّفَا قَرِينُ خَشَبِ الْجُوزِ لَمْ يُثَقِّبْ ^(١)
 يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجول الحصان -
 الذكر - الطويل بين قوائمها وبطنها .

(١) البراق : هو ذلك الذي روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ركبته
 ليلة الإسراء وقطع به ما بين الأرض والسماء في ليلة ، وقيل في وصفه أنه يضع يديه عند
 منتهى بصره ، وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : إن هذه الفرس تجري جرى
 البراق . فإذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ما قيل في وصف البراق .

(٢) الضمير من فيها : للأسنة ؛ والواو بعدها : للحال ؛ والنطاق : ما يشد به
 الوسط : يقول : إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها - رماحها - حوله كالنطاق
 فإن همته حينئذ إنما هي في الأبطال وأخذ أرواحهم لا في اتقاء رماحهم ، فهو لا يبالي
 بها ولا هي تثنيه عنهم .

(٣) ثقوب الرأي : نفاذه ؛ وأصل الثاقب : الضوء ؛ ويروى ثاقب العقل ؛ والحلم :
 الأناة والتعقل . يقول : لا يقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه ؛ وفيه نظر إلى قول
 ابن دريد :

يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنبِي حَبَوْتِي إِذَا رِيَّاحُ الطَّيْشِ طَارَتْ بِالْحَبَا
 (٤) الحارث بن لقمان : جد أبي العتائر ؛ والعتاق : الخيل الكريمة ، يدعو لهم بأن
 لا يفارقوا ظهور الخيل فرسانا في الوعى - الحرب - قال ابن جني : قوله في الوعى حشو
 إلا أن فيه نكتة ، وهى أنهم ملوك إنما يركبون الخيل للحرب أو دفع ملم ، لذلك خسر
 حالة الحرب ؛ إذ لو لم يقل في الوعى لا تقضى الدعاء أن لا يفارقوا ظهورها في وقت

(١) يقول : ذلك للوضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق .

بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ ۖ فَكَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ الْقِتَالِ (١)
وَتَكَادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوها تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَنْتَاقِ (٢)
وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنَ الْإِشْفَاقِ (٣)
كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْنًا كَبْدُورٍ تَمَامُهَا فِي الْمُحَاقِ (٤)

وهذا من أفعال الرواض لامن أفعال الملوك لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأى إلى الفراغ والاستقرار .

(١) يقول : بعثوا خوفهم في قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم ، فكانهم قاتلهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء ، قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَزَاحِفْهُمْ لَزَاحِفُهُمْ لُهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَوْجَالِ

هذا : والأعداى - بالتشديد - جمع الأعداء ، وأصله أعادى بالهمز فأدغم .

(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ؛ والمراد هنا : السيوف نفسها ؛ وتنتضي :

تستل . يقول : إنهم عودوا السيوف أن تغمد في الأعناق ، فهى لذلك تكاد تخرج من أعماقها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد ؛ وهذا من قول أبى تمام :

وَنَبَّهَنَ مِثْلَ السِّيفِ لَوْ لَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتَهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ

(٣) الإشفاق : الخوف والفرع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا

هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والجزع فتجلبدوا وصبروا .

(٤) الذمر : الرجل الشجاع ؛ وكل : خبر مبتدأ محذوف : أى هم - المدحون - كل

ذمر الخ ؛ والحق : آخر ليالى القمر . يقول : إنهم إذا قتلوا فى طلب المجد والرفعة

ازداد شرفهم فازداد حسن ذكركم بموتهم ، كالبذور فإنها تستفيد الكمال بالحقاق ، ومالم

تصير إلى الحقاق لم تتم ، لأنها فى الحقاق ترتفع إلى درجة الكمال ، فعاقبها سبب كمالها ؛

كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكراً وشرفاً . وقال ابن جنى : تمامها فى الحقاق

الكلام متناقض الظاهر ، لأن الحقاق غاية النقصان وهو ضد الكمال ، وإنما سوغ له

ذلك قوله « يزيد فى الموت حسناً » : أى هو من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا فى

طلب المجد ، فشبههم ببدور تمامها فى محاقها ، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف

والتعجب منه ، فشبه ما يجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعاً وتصرفاً . وقال

ابن فورجه : أراد أن البدور يفضى أمرها إلى الحقاق . فهو غايتها التى تجرى إليها ومصيرها

الذى تصير إليه ، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم ، وليس التمام فى هذا البيت الذى

جَاعِل دِرْعَهُ مَنِيتَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقٍ^(١)
كَرَّمَ خَشْنَ الْجَوَانِبِ مِنْهُمْ فَهُوَ كَالْمَاءِ فِي الشُّفَارِ الرَّقَاقِ^(٢)

يعنى به استكمال الضوء؛ والدليل على ذلك قوله «كبدور» والبدور لا تكون بدوراً إلا بعد استكمال ضوئها، ولو أراد استكمال الضوء لقال كأهله... قال الواحدى: وعلى هذا لا مدح فى البيت لأن كل حى يفضى أمره إلى الموت وآخره الهلاك؛ وإنما شبههم ببدور تمامها فى المحاق بزيادتهم حسناً بالموت لانتهاه آخر أمرهم إلى الموت، ثم أوضح ذلك بما لا يخرج عما ذكرناه أولاً.

(١) جاعل: صفة لذمر. يقول: إنه يتقى العار ولو بموته، فإذا لم يجد وقيام من العار غير منيته جعلها درعاً له، فأتى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك. قال أبو تمام:

وقد كان قوتُ الموتِ سهلاً فردّه إلى الحِفاظِ المرُءِ وأنْخَلِقُ الوغْرُ

وقال بعضهم:

وموتٌ لا يكون طَلَى عَاراً أَحَبُّ إِلَى مِنْ عَيْشٍ رِمَاقٍ^(١)

(٢) الكرم: ضد اللؤم؛ والشفار: جمع شفرة، حد السيف. والرقاق هنا: الحداد القاطعات. يقول: إن لم كرم ما خشن جوانبهم طى الأعداء لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الحسف ويقبلوا الإهانة، ثم شبه ذلك الكرم بالماء، فهو مع لينه وعذوبته إذا سقى السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابه ومضاء ونفاذاً، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه. وهذا من قول بعضهم:

وكالسيف إن لا يَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِينَانِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

فإنَّ الحِسامَ الهِنْدُوَانِيَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَا لَمْ تُقَلِّلْ مُضَارِبَهُ

(١) الرماق: العيش اليسير الدون الذى يمسك الرمح؛ ومن كلامهم: موت لا يجر

إلى عار خير من عيش فى رماق، ومثله العيش الرمح: أى الدون قال السكيت:

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا يُجَدُّ بِنَسَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ

نُعَالِجُ مُرَمَقًا مِنَ الْعَيْشِ قَانِيًا لَهُ حَارِكٌ لَا يَحْمِلُ الْعِبَاءَ أَجْزَلُ

[الحارك: أعلى الكاهل].

وَمَعَالٍ إِذَا أَدْعَاهَا سِوَاهُمْ لَزِمَتْهُ جَنَابَةُ الشَّرَاقِ^(١)
يَأْتِي مَنْ كَلَّمَ بَدَوْتَ بَدَا لِي غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الْأَخْلَاقِ^(٢)
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِي الْمَكْرِ لِقَوْمٍ حَلَفُوا أَنَّكَ ابْنُهُ بِالطَّلَاقِ^(٣)
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزُّنْدُ وَالْآ فَا قُ فِيهَا كَالْكَفِّ فِي الْآفَاقِ^(٤)
قُلْ نَفْعُ الْحَدِيدِ فَيْكَ فَمَا يَلْقَاكَ إِلَّا مَنْ سَيِّفُهُ مِنْ نِفَاقٍ^(٥)
إِنِّ هَذَا الْهَوَاءُ أَوْقَعَ فِي الْأَنْفُسِ أَنَّ الْحِمَامَ مُرُّ الْمَذَاقِ^(٦)

(١) يقول : لكم معال شريفة لم ينلها أحد سواكم فإذا ادعاه سواكم نسب إلى الحيانة والسرقة .

(٢) يقول : أنت شديد الشبه بأبيك ، فإذا ظهرت لي شاهدت فيك أخلاقه ، وإن غاب شخصه ، وقال ابن الرومي :

إِذَا سَلَفٌ أَوْدَى وَخَلَفَ مِثْلُهُ فَمَا ضَرَّهُ أَنْ غَيْبَتْهُ الرِّوَامِسُ

(٣) تنكرت : غيرت زيك حتى لا تعرف ، والمكر : مكان الكر في الحرب . يقول : لو غيرت زيك في ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التي لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه ، قال ابن جني : في الكر حشو وفيه نكتة ، وهي أنه إنما شبه في المكان الذي يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع ، فجعله شبه فيها لافي غيرها مما ليس له شهرتها ، وقال التبريزي : حلفوا أنك ابنه : أي ابن المكر إذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب ، فكان المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة .

(٤) الاستفهام تعجب ، وقوى به : أطاقه ؛ والآفاق : نواحي الدنيا وأقطارها . يقول : كيف يطيق زندك حمل كفك وهي قد اشتملت على نواحي الأرض ، أي استوت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق ، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت في قبضته .

(٥) يقول : إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيف الحديد لا متناحك على أسلحتهم بيأسك وشجاعتك وعدة شوكتك . فلا يلقونك إلا بسيف النفاق ، يعني أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق .

(٦) قال أبو العلاء المعري : إن هذا البيت والذي بعده يفضلان كتابا من كتب

وَالْأَمْسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجَزٌ وَالْأَمْسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ ^(١)
 كَمْ ثَرَاءَ فَرَمَجَتْ بِالرُّمُحِ عَنْهُ . . . كَانَ مِنْ بَحْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقٍ ^(٢)
 وَالْفَنَى فِي يَدِ اللَّثِيمِ قَبِيحٌ قَدَرٌ قُبِحَ الْكَرِيمُ فِي الْإِمْلَاقِ ^(٣)

الفلاسفة ، لأنهما متناهيان في الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما
 لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : إن نفوسنا ألقت هذا الهواء فظنت أن الموت
 كرهه الدوق ، وذلك لإلفها الهواء الرقيق الطيب ، وهذا أوقع في الأنفس أن الموت مر
 الطعم . قال الواحدى : وفي هذا بيان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجاهره بالحرب
 لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام . قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء
 كلام لا يتصل بما قبله ؛ قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف
 مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها والنفوس الصافية
 بضد ذلك .

(١) يقول : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء وإلا فهو
 معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه
 لا جزع بعد الموت لعدم حس الليت بشيء مما هو فيه . وعبرة أبي الفضل العروضى :
 لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه فإنه قبل الوقوع : لا ينفع الحذر
 وينقص العيش ، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به ، ثم قال : وقد نسب في هذا
 إلى الإلحاد . قال الواحدى : وهذا البيت والذي قبله حث على الشجاعة وتحذير من
 الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام قال : هذا ما أراده أبو الطيب
 ولم يرد الإلحاد وإنما قال هذا من حيث الظاهر

(٢) الثراء : كثرة المال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه
 قتلت أربابه فأطلقت من إيساره وأبحته لطلابه ؟

(٣) الإملاق : الفقر والعدم . يقول : إن المال في يد اللثيم قبيح - لأنه يضمن
 به عن حقوقه - كما يقبح الفقر في يد الكريم ، فقوله قدر قبح الكريم في الإملاق :
 يريد أن يقول قدر قبح الإملاق في الكريم ، قلب للضرورة والقافية : وللصراع
 الأول من قول أبي تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ فَكَانَتْهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
 وقول العطوى :

لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسٍ فِعْلِكَ كَالشَّمْسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ^(١)
 شَاعِرُ الْمَجْدِ خِذْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدَّقَاقِ^(٢)
 لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلَكِنْ صَهِيلَ الْجِيَادِ غَيْرُ النَّهَاقِ^(٣)
 لَيْتَ لِي مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِي الْأَذَى هُرُّ أَوْ رِزْقِهِ مِنْ الْأَرْزَاقِ^(٤)

نعمة الله لا تُعَاب ولكن ربما استُغْبِحتْ على أقوام
 لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نُورُ بهجة الإسلام
 وسخ الثوب والقلائس والبر ذون الوجه والقفا والعَلَام

(١) يقول : إن قولي لا يبلغ فعل المدوح في الشرف والرفعة ، ولكنه يدل عليه ، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس ، وتروى : ولكن كالشمس في الإشراق : أى أن قوله في فعل المدوح الذى هو كالشمس ليس كالشمس كذلك ، فيكون كفؤاً له ، ولكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل المدوح بأشعة الشمس التى تملأ الكائنات .

(٢) يقول : أنت شاعر المجد الناظم لحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ ، فكل واحد منا خليل الآخر ، وكل واحد صاحب المعانى الدقيقة فهو يهتن في صناعته : وأراد بالحدن ؛ نفسه ، جعل نفسه خدنا - صاجباً وصديقاً - للمدوح ترفعا وافتخارا . ومثل هذا البيت قول أبى تمام :

غَرَبَتْ خِلَاتُهُ فَأَغْرَبَ شَاعِرٌ فِيهِ فَأَبْدَعَ مُغْرَبٌ فِي مُغْرَبٍ
 (٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الأشعار في مديحك - لأنك ملك همم كثير المداح - ولكن شعري يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحمير ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول خدّاش بن زهير :

وَلَنْ أَكُونَ كَنْ أَلْقَى رِحَالَهُ عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَّى مَنْسِجَ الْفَرَسِ
 وقول الآخر :

أَلْمَى بِابْنِ عَمِّكَ لَا تَكُونِ كَمُخْتَارِ عَلَى الْفَرَسِ الْحِمَارَا
 (٤) يقول : إن دهرك محدود - محظوظ - مرزوق بك ، فليت لي مثل ماله من الحظ والرزق ، ثم بين ذلك في البيت التالى .

أَنْتَ فِيهِ وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ يَشْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الْخَلْقِ^(١)

* * *

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثرت سؤاؤه وغاشيته فقال له إنسان
جعلت مضربك على الطريق فقال : أحب أن يذكره أبو الطيب فقال :

لَا مَ أَنْاسٌ أَبَا الْعَشَائِرِ فِي جُودِ يَدَيْهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرَقِ^(٢)
وَأِنَّمَا قِيلَ لَمْ خُلِقْتَ كَذَا وَخَالِقُ الْخَلْقِ خَالِقُ الْخَلْقِ^(٣)
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ سَمَاحَتُهُ حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطَّرِيقِ^(٤)
فَقُلْتُ إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ فِي الشُّعْ صُورَةَ الْفَرَقِ^(٥)

(١) يقول : كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة لأنه لا يطعم في كلها ومثله
لمسلم بن الوليد :

كَالْدَهْرِ يَحْسُدُ أَوْلَاءَهُ أَوَاخِرَهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي أَعْصَارِهِ الْأَوَّلِ
وفيه نظر إلى قول أبي تمام .

مَضَى طَاهِرَ الْأَنْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوْبِي إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرِ

(٢) العين : الذهب ؛ والورق : الفضة ، وقيل هي الدراهم المضروبة .

(٣) يقول : إن الذي يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما ؟ أى أنه طبع
على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الإنسان ؛ لأن للطبوع على الشيء لا يستطيع
أن يحيد عنه إلى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته ، والذي خلق خلقه خلق خلقه .

(٤) كان أبو العشائر بميفارقين ، ف ضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون
دونه حجابا ، فذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سماحتهم ونداء في
البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصا ؟

(٥) الشع : البخل ؛ والفرق : الخوف والدعر . يقول : إن الشجاع لا يكون بخيلا
وإنما يتجنب البخل كما يتجنب الخوف ، وذلك أن الشع خوف الفقر : والشجاع لا يفرق ،
كما قال الجاحظ : البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله . وهذا كما يقول
أبو تمام :

وَإِذَا نَظَرْتَ أَبَا يَزِيدَ فِي وَغَى وَنَدَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا

بَضْرِبِ هَامَ الْكِمَاةِ تَمَّ لَهُ كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ ^(١)
 الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا يَحْجُبُهَا بَعْدُهَا عَنِ الْحَدَقِ ^(٢)
 كُنْ لُجَّةً أَيْهَا السَّمَاحُ فَقَدْ آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْفَرَقِ ^(٣)

* * *

يَقْرَى مُرَجِّبُهُ مُشَاشَةً مَالَهُ وَشَبَا الْأَسْنَةِ ثُغْرَةً وَوَرِيداً ^(١)
 أَيْقَنْتَ أَنْ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُذِي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُوداً
 ويقول الآخر :

إِلَى جَوَادٍ يَمُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبَيْنِ وَبِاسْمِ بُلْخَلٍ يَعْتَدُهُ جُبْنَا
 يَلْقَى الْعَفَاةَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ قَبْلَ السُّؤَالِ وَلَا يَبْنِي بِهِ ثَمْنَا
 (١) الهام : الرؤوس ؛ والكِمَاة : جمع كَمَى ، الشجاع المستتر في سلاحه . يقول :
 إن كل أحد يحبه لشجاعته كما يحب من يتملك الناس ويلين لهم ويتودد إليهم فتم له بضرب
 الهام ما يكسبه التملك ، كما قال :
 وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمِقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ ^(٢)
 (٢) يقول : إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع
 بعدها يراها كل راء .

(٣) يقول : كن أيها الجود بهراً ذا لجة مهلكا ، فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر
 على إغراقه بالفقر ، لأن سيفه قد آمنه من ذلك لأنه كلما أعطى سؤاله وقبضه مالا أخذ
 له سيفه أضاع ذلك ؛ وهذا كقوله :

فَالسِّمُّ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بَنُوَالَهُ مَا تَجَبَّرُ الْهَيْجَاءُ
 وَقِيلَ الْمَعْنَى : كُنْ أَيُّهَا الْجُودُ بَهْرًا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ أَنْ يَفْرُقَ لِأَنَّ سَيْفَهُ أَعْطَاهُ .
 الْأَمَانُ مِنْ كُلِّ تَهْلُكَةٍ ، يُرِيدُ أَنَّهُ مَعَ سَبَاحَتِهِ شَجَاعَةٍ حَقٌّ لَوْ صَارَ الْجُودُ تَهْلُكَةً مَا خَافَهُ .

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذي يمكن مضغه ، والثغرة - بالضم

ثغرة النحر .

(٢) شكده : أعطاه أو منحه .

قافية الكاف

وقال وقد أجمل سيف الدولة ذكره :

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ أَنْسَفَكَ وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاطَتْ بِهِ مَلِكًا^(١)
 مَنْ يَنْصُرُ الشَّمْسَ لَا يُنْكَرُ مَطَالِعَهَا
 أَوْ يُبْصِرَ الْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمُ الرَّمَكَا^(٢)
 تَسْرُ بِالْمَالِ بَعْضَ الْمَالِ تَمْلِكُهُ إِنَّ الْبِلَادَ وَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكَ^(٣)
 ولما أنشد أجاب دمي^(٤) الخ استحسناها فقال :
 إِنَّ هَذَا الشُّعْرَ فِي الشُّعْرِ مَلَكٌ سَارَ فَهَوَ الشَّمْسُ وَاللَّهُ نِيَا فَلَكِ^(٥)

(١) النجيع : الدم ؛ والقافية : القصيدة . يقول : رب دم انسفك - انصب - بسيف الدولة ؛ أى بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه : ورب قصيدة مدح بها فغاطت تلك القصيدة ملكا وحسده عليها لحسها .

(٢) الرمك : جمع رمكة ، البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب . يقول : من عرفك لم يجحد فضلك كالشمس لا يدفع ارتفاعها من عرفها ، ومن رآك لم يستعظم غيرك ، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها ، ويروى بدل يستكرم : يستفره ، هما بمعنى .

(٣) يقول : إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحداً شيئاً فقد سررت بملك مالك ، لأن الكل لك . ولعله ينظر في هذا إلى قول عدي بن زيد :

ولك المال والبلاد وما يملك من ثابتٍ ومُستاقٍ

(٤) أراد القصيدة التي مطلعها :

أجابه دمي وما الداعي سوى طَلَلٍ دعاه فلباه قبل الركب والإبل

(٥) يقول : إن شعره بين الشعر كالمالك بين الناس يفضل سائر الأشعار كما تفضل الملائكة الخلق ، وهو سائر في الدنيا سير الشمس في السماء . هذا : والمالك - بالتحريك - واحد وجمع . قال الكسائي : أصله مالك - بتقديم الهمة - من الألوكة ، وهي

(٨ - التني ٣)

عَدَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ يَبْنِنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْدُ لَكَ^(١)
فَإِذَا مَرَّ بِأُذُنِي حَاسِدٍ صَارَ يَمْنَنٌ كَانَ حَيًّا مَهْلَكًا^(٢)

* * *

الرسالة . ثم قلبت ، وقدمت اللام ، فقيل ملائكة . وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان ؛ وقال ابن السيرافي : هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير :

فَاسْتَلَامَ لِلْإِنْسِيَّ وَلَكِنْ لِمَلَأِكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ
ثُمَّ تَرَكْتَ هَمْزَتَهُ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ فَقِيلَ مَلَكٌ ، فَلَمَّا جُمِعُوا رَدُّوهُا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا :
مَلَائِكَةٌ وَمَلَائِكٌ أَيْضًا ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَكُنَّ بِرَقَعٍ وَالْمَلَائِكُ حَوْلَهَا سَدَرٌ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أَجْرَبُ^(١)
قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ : صَوَابُهُ أَجْرَدٌ - بِالْدَالِ - لِأَنَّ الْقَصِيدَةَ دَالِيَّةٌ ، وَقَبْلَهُ :
فَأَتَمَّ سِتًّا فَاسْتَوَتْ أَطْبَاقُهَا وَأَتَى بِسَابِعَةٍ فَأَتَى تَوَرَّدَ
وَفِيهَا يَقُولُ فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ :

لَا نَقْصَ فِيهِ غَيْرُ أَنْ خَبِيئَتُهُ قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُقَمَدُ^(٢)

(١) يقول : عدل الله فيه بيني وبينك فقضى لي بالإحسان في نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك ، فحكم لي بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائماً ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ الَّتِي أُعْطَيْتَنِي فَالْدُرُّ دُرٌّ وَالنُّظَامُ نِظَامِي
(٢) يقول : إذا سمع شعري حاسد لي من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحسد ، لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله . ومافيه من الحماد لم يمدح به أحد من الملوك .

(١) برقع : اسم من أسماء السماء قيل هي السابعة ، وسدر : أي بحر . شبه السماء بالبحر ، أراد للملاسة لا لجريه . وقوله تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ : أي تَوَاكَلَتْهُ الرِّيحُ فلم يتموج .
(٢) الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كشف فيما تزعمه العرب .

وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح :
 أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَأَنَّنَا فِي سَمَاءٍ مَالَهَا حُبُّكَ^(١)
 الْفَرَقْدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ
 وَأَنْتَ بَذَرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكَ^(٢)
 * * *

وقال يمدح عبید الله بن يحيى البحتري :
 بَكَيْتُ يَا رَبِّعُ حَتَّى كِدْتُ أَبْكِيكَ وَجُدْتُ لِي وَبِدَمْعِي فِي مَعَانِيكَ^(٣)
 فَعِمَّ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجَنًا وَأَرْدَدْتُ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحْيَوُكَ^(٤)

(١) الحبك : طرائق النجوم في السماء . جمل مجلسه في علو قدره كالسما . غير أنه ليست له طرائق كما للسماء .

(٢) الفرقد : نجم معروف ، وهما فراقدان . جمل ابنه — وهو قريب من المصباح — كالفرقد ، وأراد بالصاحب : الفرقد الآخر ، وفي هذا نظر إلى قول علي بن الجهم :
 كَأَنَّهُ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ تَتَّبِعُهُ بِدْرِ السَّمَاءِ تَلِيهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ

وقال ابن وكيع : هذا التشبيه من قول أبي نواس :

قَضَى أَيْلُولٌ وَارْتَفَعَ الْحُرُورُ وَأَذْكَتْ نَارَهَا الشَّمْعَى الْعَبُورُ
 قُومًا فَانْكِحَا خَرَا بِمَاءٍ فَإِنْ تَنَاجَى بَيْنَهُمَا السَّرُورُ
 تَنَاجَى لَا تَدِرُ عَلَيْهِ أَمَ يَحْمَلُ لَا تَعْدُ لَهُ الشُّهُورُ
 إِذَا الْكَاسَاتُ كَرَّتْهَا عَلَيْنَا تَكُونُ بَيْنَهَا فَلَكَ يَدُورُ
 تَسِيرُ نَجْمُوهَ عَجَلًا وَرَيْنًا مُشْرِقَةً وَأَحْيَانًا تَفُورُ
 إِذَا لَمْ يُجْرِهِنَّ الْقُطْبُ مِثْنًا وَفِي دَوْرَاتِهِنَّ لَهَا نَشُورُ

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي كان به أهله . يقول : بكيت عليك يارب حتى لو كنت ممن يعقل لرئيت لحالي وبكيت لبكائي ، فقد أتلقت نفسي وأفئيت دمي في معانيك أسفا عليك وتذكر آ لأهلك . فقوله وجدت بي : أى بنفسى ؛ أى بكيت حتى أتلقتها .

(٤) عم صباحا : بمعنى أنعم ، يخاطب الربيع على عادة العرب في مخاطبة الربوع

بَأْيٍ حُكْمَ زَمَانٍ مِثْرَتَ مُتَّخِذًا رَثْمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رَثْمِ أَهْلِيكَ^(١)
 أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٌ مَا أَنْبَعَتْنَا لَنَا إِلَّا أَنْبَعَتْنَا دَمًا بِاللَّحْظِ مَسْفُوكًا^(٢)
 وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ وَالْأُطْلَالُ مُشْرِقَةٌ كَانُ نُورِ عَيْبِدِ اللَّهِ يَغْلُوكًا^(٣)
 نَجْمًا أَمْرُؤُ يَا ابْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ وَخَابَ رَكْبٌ رِكَابٍ لَمْ يَوْمُوكًا^(٤)

والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك . يقول للربيع — على سبيل الدعاء :
 أنعم صباحا ، لقد حركت لى وجدا حين نظرت إليك تذكرا لما سلف لى فيك
 من وصل الأحبة ، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا . وهذا مما يدل على وله العاشق
 لفقد الأحبة .

(١) الرثم : الظبي الخالص البياض ، والفلا ، جمع فلاة ، الصحراء ، يقول : أى
 حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أقفرت فأوت إليك ظباء الصحارى بدلا
 من ظباء الإنس اللاتي رحلن عنك ؟ ومثله لأبى تمام

وْظِبَاءَ أَنْسِكَ لَمْ تَبْدُلْ بَعْدَهَا بَظِبَاءَ وَحْشِكَ ظَاعِنًا بِمَقِيمِ
 (٢) أراد بالشموس : الحسان ؛ وأنبعث : ذهبن وجئن وتحركن ؛ وأنبعث :
 أسلن . يقول : لى لأذكر أيام فيك شمس ما ظهرن لنا إلا أبكىنا دما صبوبا بنظرنا
 لهن : أى أجرين بالحاطن دماء عشاقهن ؛ قال أبو نواس :
 يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعْتَ لِحَظَاتِهِ إِلَّا تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ
 وقال أشجع السلى :

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَاسِنِهَا فَلِكُلِّ مَوْضِعٍ نَظْرَةٌ قَتْلُ
 وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

وَجُفُونُكَ لَا تَطُوفُ إِلَّا عَنْ قَتِيلِ

ماجيل الصبر عنها عند مثلى بمجمل

(٣) خضرة العيش : كناية عن الخصب والرغد ؛ والأطلال : رسوم الديار .
 يقول : كان العيش رعداً طيباً وأطلاك — أى التى هى أطلال اليوم — كانت مشرقة
 قبل تفرق الأحبة وارتحالهم عنك . وفى البيت من البديع حسن التخلص :

(٤) الركب : جمع راكب ؛ والركاب : الإبل ؛ ولم يؤموك : لم يقصدوك : يقول :
 تخلص من مكره الزمان من كنت طلبته : أى من قصدك بإتباعه وخاب من لم يقصدك

أُحْيَيْتَ لِلشُّعْرَاءِ الشُّمْرَ فَأَمْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَ^(١)
وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَأَقْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَ^(٢)
فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلَقَ يَدَايِكَ^(٣)
شُكْرُ الْعُفَاءِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكًا^(٤)

ويروى بدل ركب ركاب: ركب رجاء؛ أي قوم ركبوا وفي قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك
(١) يقول: إنك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والمجد،
وعلمتهم من غوامض المعاني حتى استغنوا عن إخراجها بالفكر، فسهل عليهم الشعر حتى
كأنه صار حياً بعد أن كان ميتاً، فامتدحوا بمدوحهم بما فيك من خصال المجد ومعاني
الشرف وهي لك، غير أنهم ينخلونها بمدوحهم، وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي:

مدح الأولون قوماً بأخلا فك من قبل أن ترى مخلوقا
نخلوم ذخائراً لك بالببا طل من قولهم وكان زهوقاً
فانزعنا الحقوق من غاصبها فجبا صادق بها مصدوقاً

وفي البيت التالي زيادة بيان لمقصوده .

(٢) مثله لأبي العتاهية:

شيم فتحت من المديح ما قد كان مستفلقاً على المدايح
ولابن أبي فتن:
يُعَلِّمُنَا الْفَتْحَ الْمَدِيحَ بِجُودِهِ وَيُحَسِّنُ حَتَّى يُحَسِّنَ الْقَوْلَ قَائِلُهُ
وقال أبو تمام:

ولولا خلال سننها الشعر ما درى بُنَاةَ الْعَالَمِ مِنْ أَيْنَ تَوْنِي الْمَكَارِمَ
وقال أيضاً:

تُغَرِّمِي الْعَيُونُ بِهِ وَيُفْلِقُ شَاعِر فِي وَصْفِهِ عَفْوَاً وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ
(٣) يقول: كن على الحالة التي أنت عليها أو كما شئت فليس أحد يقاربك في
أوصافك وأخلاقك، وإنما قال: كما شئت: لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم
والمجد بديعة في جميع أحواله .

(٤) العفاة: جمع عاف، وهو طالب العروف؛ وأوليت: أعطيت. وأوجدني:

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْآفَاقِ أَوْ هَمْنِي أَنِّي بِقِلَّةِ مَا أَفْنَيْتُ أَهْجُوكَا^(١)
 كَفَى بِأَنْتَكَ مِنْ قَحْطَانٍ فِي شَرَفٍ . وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلُّ مَنْ مَوَالِيكَ^(٢)
 وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكَ^(٣)
 لَبِي نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعْنِي يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِي وَأَفْدِيكَ^(٤)

جعلني أجد . يقول : إن شكر السائلين لمطائلك دلتني عليك ، فوجدت طريق العرف مسلوكا إليك فلسكته إلى جودك .

(١) الآفاق : النواحي . يقول : إن ثنائى يقل ويحقر في جنب قدرك حتى لتخيل الثناء هجاء إذ لم يكن على قدر استحقاقك ، قال البحرى :

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيحِ فَقَدْ كَا دِيكُونِ الْمَدِيحِ فِيهِ هِجَاءٌ

(٢) بأنك : الباء فيها زائدة ، وأن وخبرها : في موضع رفع فاعل كفى ؛ وفي شرف : خبر أن ؛ ومن قحطان : حال مقدمة عن الضمير المستتر في الخبر ؛ والشرط وما يليه : معطوف على خبر أنك ؛ والوالى : العبيد . يقول كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — في موضع شريف أو نسب شريف فإن غفرت بهذا الشرف فكل بنى قحطان عبيدك .

(٣) الشانى : البغض ، وأصله الشانىء — بالهمز — فلينه للقافية ، يقول لوتقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأوني في الذلة والقلّة مثل عدوك الذى ييفضك ، وهذا من قول أبى عيينة :

لَوْ كَا تَنْقُصُ تَزِدَا دِ إِذْنُ نِلْتَ السَّمَاءَ
 ثُمَّ نَقَلَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْنُ لَتَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

(٤) لبي : تثنية لب — مثل ليك ، واللب : اسم من الإلباب ، وهو للالزمة يقال ألّب بالمكان : إذا أقام به ؛ وإنما ثنوا اللب لأنهم أرادوا إلباباً بعد إلباب : أى إجابة بعد إجابة ؛ وهو يلزم الإضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم ليك ، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما في هذا البيت ، وقوله من رجل : «من» زائدة ؛ والمجرور في موضع نصب على التمييز . يقول : دعانى جودك فأسمعنى فأنا أجيبه فأقول لبي نذاك ، أو تقول : دعانى جودك بما ذاع ، من ثناء الناس عليه ، وها أنا ذا محجب لما يريد بى من الاحسان

مَا زِلْتُ تُنْبِئُ مَا تُولِي بَدَا يَدِي حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ إِيَادِيكَ^(١)
فَإِنْ تَقُلْ مَا فَعَادَاتُ عُرِفَتْ بِهَا أَوْ لَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فَوْكَ^(٢)

إلى وصوغ اللديح له . ثم دعا للمدوح فقال : يديك من رجل صحي وأنا أفديك من بين الرجال .

(١) تولى : تعطى ؛ وبدا : بدل بعض من الوصول قبله : واليد : النعمة . يقول : لم تزل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت إياديك عندي فظننت أن حياتي كذلك من جملة عطاياك ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَا تَنْتَفِنِي بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ إِيَادِيكَ^(١)

(٢) ها — هنا — بمعنى خذ . يقول : فإن قلت لي : خذ فذلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ ، فإنك لا تقول لا — أى لا أعطيك أولاً أقضى حاجتك — فإن فاك — فاك — لا يجوز بهذه الكلمة ، ولسانك لا يؤتيك عليها ، لأنك لم تتعود ذلك ؛ وفي مثل هذا يقول الفرزدق :

مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدٍ لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمٌ
ويقول أبو العتاهية :

وَإِنْ الْخَلِيفَةُ مِنْ بُغْضٍ لَا إِلَيْهِ كَيْبُغْضُ مَنْ قَالَهَا
ويقول العكوك في أبي دلف :

مَآخِطٌ لَا كَاتِبَاهُ فِي صَحِيفَتِهِ كَمَا تَخْطُ لَافِي سَائِرِ الْكُتُبِ
وحكى الواحدى قال أهدى العميرى إلى صاحب كتبها وكتب معها :

العميرى عبد كافي الكفاءة ، وإن اعتد من وجوه القضاء
خَدَمَ الْمَجْلِسَ الرَّفِيعَ بِكُتُبِ مُتَرَعَاتٍ مِنْ حُسْنِهَا مُقْعَمَاتٍ

(١) يقال راشه يرشه إذا أحسن إليه ، وكل من أوليته خيرا فقد رشته ، وتنف الریش نزع ، والمراد هنا : سلبه ما أعطاه إياه .

وورد كتاب من ابن رائق على بدر بن عمار بإضافة الساحل إلى عمله فقال :

تُهْنَأُ بِصُورٍ أَمْ نُهْنَأُ بِكَأَ وَقَلَ الَّذِي صُورُهُ وَأَنْتَ لَهُ لَكَأُ^(١)
وَمَا صَغُرَ الْأَرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الَّذِي حُبِيتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَ^(٢)
تَحَاذَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوْ أَنَّهَا
نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْفَرْبُ نَحْوَكَ^(٣)

فكتب إليه صاحب

قد أخذنا من الجميع كتاباً وَرَدَدْنَا لَوْقَتَهَا الْبَاقِيَاتُ
لستُ أَسْتَفْهَمُ الْكَثِيرَ فَطَبْعِي قَوْلُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلُ هَاتِ

(١) صور : بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام وتنها بصور : أى أنها بصور ؛ لحذف همزة الاستفهام لمادلت عليه أم ولين همزة تنها للوزن . يقول : أنها بولاية صور أم نهى صوراً بك ؟ ثم قال : وقل لك الذى صور له وأنت له : أى أنت أحد أصحابه « يعنى ابن رائق ، يريد : لو كنت أنت ابن رائق - أى لو كنت تملك ما يملكه - لعد ذلك قليلاً بالنسبة إلى ما تستحقه ، فصور - فى الشطر الثانى - مبتدأ ؛ وأنت : عطف عليها ؛ وله خبر ؛ ولكا : متعلق بقول ؛ وفى مثل هذا . يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

أَنْهَنْيْكَ بَطُوسٍ أَمْ نُهْنِي بِكَ طُوسَةً
أَصْبَحْتَ بَعْدَ طَلَاقٍ بِكَ يَا فَضْلَ عُرُوسَا

ويقول أشجع السلى :

إِنْ خِرَاسَانُ وَقَدْ أَصْبَحَتْ تَرَفَعُ مِنْ ذِي الْهِمَّةِ الشَّانَا
لَمْ يَحِبُّ هَارُونَ بِهَا جَفْفَرًا لَكِنَّه حَابِي خِرَاسَانَا

[هرون : هو الرشيد ؛ وجعفر : هو جعفر البرمكى]

(٢) الأردن : معروف ؛ وحييت به : أعطيته : يقول : إن هذه الولاية إنما تصغر بالنسبة إليك وإلى عظيم قدرك . وإلافهى عظيمة الشأن فى نفسها .
(٣) يقول : إن البلدان يحسد بعضها بعضاً على ولايتك ، فلو أن لها نفوساً تعقل

وَأَصْبَحَ مِصْرًا لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقَلَّةٍ وَقَمَّ بَكَى^(١)

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة في الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إِلَّا كَا لَا لِيَسْوَى وَذَكَ لِي ذَا كَا^(٢)
وَلَا لِحُبِّهَا وَلَكِنِّي أُمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَا كَا^(٣)

لسمى إليك الشرق والغرب تهالكا عليك وتلصقاً للافتخار بك ؛ ومثل هذا المعنى كثير في كلامهم ، قال أبو تمام :

لَوْ سَعَتْ بِلْدَةُ لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ
وقال البحتري :

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ
(١) مصر : أحد الأمصار ، أى المدائن الكبيرة . وأصبح - ههنا - تامة . والواو - من قوله ولو أنه - واو الحال ؛ وبكى : جواب لو ؛ أى لو كان للمصر الذى حرم إمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفا على أن لم تكن أميرا عليه .
(٢) يقول : لم تر أحداً غيرك نادمته ، وليس ذلك لشيء سوى ودك لى ؛ أى إنما أنا دمك لأنك تودنى لا لمعنى آخر . فمن - ههنا - نكرة بمعنى أحد ؛ وإلاك : فيه قبح ؛ والوجه : إلا إياك ، لأن «إلا» ليس لها قوة الفعل ، ولا هى أيضاً عاملة ، وهو جائز فى ضرورة الشعر ، كقول القائل :

فَمَا نَبَأَ لِي إِذَا مَا كُنْتُ جَارَتَنَا أَنْ لَا يَجَاوِرَنَا إِلَّا كَ دِيَارِ^(١)
(٣) لحبيها : أى لحبى إياها - يعنى الحجر - كفى عنها وإن لم يجر لها ذكر : يقول : لست أنا دمك لأننى أحب الحجر ، ولكن لأنك مرجو لأوليائك مهيب يهابك ويخشاك أعداؤك ؛ ومن كان كذا ، تجب طاعته .

(١) ديار : أحد ، يقال ما بالدار ديار : أى ما بها أحد ، وهو فيعال : من دار يدور . يقول : إذا كنت جارتنا فلا نكثر لعدم مجاورة غيرك لنا .

وقد كان تاب بدر بن حمار من الشرب مرة بعد أخرى ، فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارجع !

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاءُؤُهُ فِي مَلِكِهِ لَا مَلِكِيَّةَ^(١)
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْنِي دَمُ كَرَمَةٍ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفِكِهِ^(٢)
وَالصَّدَقُ مِنْ شَيْمِ الْكَرَامِ فَتَبْنَا
أَمِنْ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ^(٣)

وقال في محمد بن طنج وعو عند طاهر العلوى :
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبِرِّ رَوْ مِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَ^(٤)
وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ^(٥)
* * *
وقال في أبي العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً وصف فيه بركة في داره فقال :
لَيْتَ كَانَ أَحْسَنَ فِي وَصْفِهَا لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فِي الْوَصْفِ لَكَ^(٦)

(١) يقول : أنت ملك وندماؤك شركاؤك في مالك ، لافي ملكك ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

وَمَنْ كَثُرَتْ فِي مَالِهِ شُرَكَاءُؤُهُ غَدَا فِي مَعَالِيهِ قَلِيلُ الْمَشَارِكِ
(٢) جعل الحر دم الكرم ، وجعل شربها سفكاً لذلك الدم . يقول : كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة ، والتوبة من التوبة ترك التوبة .
(٣) يقول الصدوق ديدن الكرام الأشراف نخبرنا عن أبيهما تتوب ؟ قيل لما قال هذا ، قال له بدر بل من تركه ، وقوله : فبنينا ، هي فبنينا ، فترك الحمز .
(٤) و (٥) يقول - وكان عنده في مجلس الشرب ليلاً وأطال - : قد بلغت بنا ما أردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجيء إليك الدار اشتياقاً إليك ومحبة لك .
(٦) يقول : إن كان قد أحسن في وصف البركة فقد ترك الحسن في وصفه إليك إذ لم يصفك ولم يعدحك .

لَأَنْتَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبَحَارَ لَتَأْتِيَنَّ مِنْ مَدْحِ هَذِي الْبَرْكَ^(١)
كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لَا مَأْمَلُكَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا مَأْمَلُكَ^(٢)
فَأَكْثَرُ مِنْ جَرِيهَا مَا وَهَبْتَ

وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكَ^(٣)
أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ * * * وَذُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكَ^(٤)

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه ، وهو آخر ما قال ، وجرى فيها كلام
كأنه يعنى نفسه وإن لم يقصد ذلك ، وأنشدها في شعبان سنة أربع وخمسين وثلثمائة
وفيها قتل :

فِدَاكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكَ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ^(٥)

(١) يقول : كان وصفه لك أولى من وصف البركة لأنك بحر والبحار تأتف من
البركة لاستصغارها إياها ؛ قال الواحدى : والذى سمعته في معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان
قد شبه البركة بأبى العشار ؛ فقال أبو الطيب إنه قد ترك الحسن في وصفك حيث شبهها
بك ، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير .

(٢) يقول : أنت كسيفك لأنك تنفى ما تملكه فلا يبقى لديك ، وكذلك سيفك يعنى
ما ينظر به فلا يدع أحدا حيا ؛ وجعل السيف مالكا - حيث قال ولا ما ملك - مجازاً ،
ويقال ملكتهم السيوف : إذا لم يمتنعوا منها .

(٣) من جريها : أى من جرى ماء البركة . يقول : إن ما جرى من هباتك وعطايك
أكثر مما جرى من ماء البركة ، وما سفك سيفك من الدماء أكثر من مائها .

(٤) يقول : أسأت إلى أعدائك وأحسنيت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس
بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس .

(٥) يقول : يفديك كل من لم يبلغ غايتك ؛ وإذن يفديك جميع الملوك ، لأنه لم يبلغ
ملك غايتك وكلهم دونك . وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابى فقال :

أيهذا الوزير لا زال يفدي
لك من الناس كل من هو دونك
وإذا كان ذاك أوجب قولى أن يكونوا بأسرهم يفدونك

هذا : ويقال فداء يفديه فداء وفدى وفاداه يفاديه مفاداة : إذا أعطى فداءه وأتقذه ؛
وفداء بنفسه وفداء : إذا قال له جعلت فديك . قال صاحب الصحاح : الفداء إذا كسر

وَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعَوْنَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَ^(١)
وَأَمَّا فِدَاؤُكَ كُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَلِكَةٍ مِلاكَ^(٢)

أوله يد ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قم فدى لك أبى ، ومن العرب من يكسر فداء - بالتثوين - إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول فداء لك ، لأنه نكرة . يريدون به معنى الدعاء وأنشد الأصمعي للناطقة :

مَهْلًا فِدَاءُ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أُمِرُّ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ
وقال الفراء : العرب تقصر الفداء وتعدده يقال هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا ، فقالوا فداك . وقال في موضع آخر : من العرب من يقول فدى لك فيفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسر أولها ، ومدها . وقال الناطقة - وعنى بالرب : - النعمان بن المنذر -
* فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفٍ وَتَالِدَى *

(١) قلاك : أبغضك ، يقال قلاه يقليه قلى وقلاه إن فتحت القاف مددت ومقلية : أى أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه . وحكى سيدييه قلاه يقلاه وهو نادر ؛ وفي الحديث : « وجدت الناس أخبر ثقلة^(١) » وتقلى الشيء تبغض قال كثير :

أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَةً إِنْ تَقَلَّتِ^(٢)
يقول المتنبي : ولوقلنا بفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء ، لأنهم كلهم دونك ولا يساوونك : وقال ابن جني : المراد أن الخلق كلهم فداء للمدح لأنهم يقصرون عن مدها فإذا قلنا فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء لأنهم لا يساوونك في الملك ، بل يقصرون عنك .

(٢) وأما : عطف على قوله دعونا . وملاك الشيء : قوامه . يقول : ونأمن أن تكون كل نفس فداءك ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء ببقائه : إذا كان بفديك من يساويك لأنهم جميعاً يقصرون عنك ؛ وعبرة العكبري : المعنى : قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين ؛ وملوكهم المترفين ، وإن كان من

(١) يقول جرب الناس ؛ فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر : أى من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم ، ومعنى نظم الحديث : وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول .

(٢) خاطب ثم غاب .

وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشَّبَا كَأُ^(١)
وَمَنْ بَلَغَ التَّرَابَ بِهِ كَرَاهُ وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ الشَّكََا كَأُ^(٢)
فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ صَدِيقاً لَقَدْ كَانَتْ خَلَا تُقُهُمْ عِدَا كَأُ^(٣)
لَأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَبًا نَحِيفَا إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَا كَأُ^(٤)

بين تلك النفوس من هو ملاك ملاك ، ومن يفرد بعلو منزلة ، فهم عند إصافتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع ، والسوام الذين لا حظا لهم في الملك . . . فقوله فداءك : مفعول ثانٍ لآمنّا مقدّم ، وكل نفس : مفعول أول .

(١) ومن يظن : عطف على قوله كل نفس . ويظن : يقتل ، من الظن . وهذا تعريض بسائر الملوك ، يشير إلى أنهم يجودون طمعاً في جر المنافع ، كمن نثر حباً تحت شبكة لم يعد ذلك جوداً بالحب ، لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذي هو خير من الحب .

(٢) الكرى : النعاس ؛ والسكاك : الهواء الذي يلاقى عنان السماء . ومن بلغ التراب : يروى ومن بلغ الحضيض . يقول : وآمنّا فداءك كذلك من ألسقه عماء وغفلته بالتراب أو بالحضيض - وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء ، فحسبهم أنهم دونك .

(٣) الصديق : يقع على المذكر والمؤنث والجمع والتثنية ؛ وعداك : جمع عدو ؛ والخلائق : بمعنى الأخلاق . يقول : إن هؤلاء الملوك إن والتهك قلوبهم فقد عادتكم أخلاقهم لأنها مضادة لأخلاقك . يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فإن بينك وبينهم بونا بعيداً ، إذ لم يلفخوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك ، وقد بين ذلك في البيت التالي .

(٤) الحسب : ما يحدثه الرجل لنفسه من المفاخر ، والضناك : الموثق الخلق المكتنزة ، يكون ذلك في الناس والإبل ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وامرأة ضناك : ضخمة - من الضنك الذي هو الضيق ، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم . قال العجاج يصف جارية :

فَهِ ضِنَاكَ كَالْكُتَيْبِ الْمُنْهَالِ عَزَزَ مِنْهُ وَهُوَ مَعْطَى الْأَسْهَالِ

* ضَرْبُ السَّوَارِي مَتْنُهُ بِالْمُتَهَالِ *^(١)

(١) الضناك : الضخمة - كالكتيب الذي ينهال عزر منه - أي سدد من الكتيب ضرب السوارى : أي أمطار الليل ، فانزم بضنه بعضاً . شبه خلقها بالكتيب وقد أصابه اللطر ، وهو معطى الأسهال : أي يطيك سهولة ماشيت .

أَرْوَحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي بِحَبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَ^(١)
 وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا نَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حَرًّاكَ^(٢)
 أَحَازِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَ^(٣)
 لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلًا يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَ^(٤)

يبين المتغنى الوجه في معاداة أخلاقهم له ، يقول : إنك تبغض أن ترى أحداً قلت مفاخره ، وهو كثير المال يقدر على كسب المال والحمد ، ولكنه لا يفعل ذلك لشحه وصغر همته ، والنحف والضناك : استعارة ، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم :

سَلِيلُ خِلَافَةٍ وَغَذَى مُلْكٍ جَسِيمُ مَحَامِدٍ مَنُوكِ مَالٍ

(١) يقول : أروح عنك وقد ختمت على قلبي بحبك واستخلصته لنفسك بما ترادف على من برك فلم يدع حبك فيه لغيرك مكافأ ينزل بساحته ؛ وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

لَا أَشْرِكُ النَّاسَ فِي مَحَبَّتِهِ قَلْبِي عَنِ الْعَالَمِينَ قَدْ خُتِمَا

(٢) وقد حملتني : عطف على الحال - في البيت السابق - والحراك بمعنى الحركة . كفى بثقل الشكر عن كثرة النعم التي تقتضيه ، وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَذِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفَا

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

(٣) الضمير - في يشق - للشكر ؛ والسواك : بطاء السير من عجب أو إعياء ،

يقال تتساوك الدواب سواكا : إذا مشت هزلى ضعيفة ، قال الشاعر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا جَرَى بِحَيَادِنَا تَسَاوَكُ هَزَلَى مُخَنَّنَ قَلِيلِ

يقول : أحاذر أن يشغل هذا الشكر على دوابي لكثرة ما حملتني منه - والفراد

النعم - فلا تمشي بنا إلا ضعيفة .

(٤) الضمير في يجعله : للرحيل ، وأراد يجعل هذا الرحيل رحيلًا ، فأضمر للأول

جوفه بالثاني . والنرا : الكنف والناحية . يقول : أسأل الله أن يجعل هذا الفراق

سببا لإقامتي عندك بأن أصلح أموري وأعود إليك ، أو بأن أحمل أهلي إلى حضرتك

فأقيم عندك فارغ البال ؛ وفي هذا نظر إلى قول عروة بن الورد :

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذَرِ أُنَى لِلْمُقَامِ أَطْوَفُ

وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَ^(١)
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِي نَدَاكَ الْمُسْتَفِيزُ وَمَا كَفَاكَ^(٢)
أَتَتْهُ كُنْيَا وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَعْلِي فَتَقَطَعَ مِشْيَتِي فِيهَا الشَّرَاكَ^(٣)
أَرَى أَسْنِي وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَ^(٤)

وقول أبي تمام :

أَلْفَةَ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقٍ أَظِلُّ فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعٍ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ
(١) يقول : لو قدرت لغمضت عيني ولم أرفع بصري إلى أحد بالنظر إليه حتى
أعود إليك ، قال أبو النجم :
لَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَا أَعَايُنُكُمْ غَضَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ أَحَدًا
وقال صريع التواني :

إِنْ يَحْجُبُوهَا عَنِ الْعُيُونِ فَقَدْ حَجَبْتُ طَرْفِي لَهَا عَنِ الْبَشَرِ
(٢) يقول : كيف أصبر عنك وقد كفاني ماجدت به على ولم يكفك ذلك فتأني إلا
أن تعطيني فوق ما أعطيتني وأنا غير مستزيد ، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا
أسرع العود إليك : وفيه نظر إلى قول البحترى :

فَلَمْ أُمَلْ إِلَّا مِنْ مَوَدَّتِهِ بِيَدِي وَلَا قَاتِ إِلَّا مِنْ مَوَاهِبِهِ : حَسْبِي
(٣) أتركني : أراد أن تركك فقلب ، ومثله كثير ، لأن من تركته فقد تركك ؛
والاستفهام إنكارى : أى لا أتركك ، ونصب « فتقطع » لأنه جواب الاستفهام :
والشراك : سير النعل . يقول : إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من اتعل
عين الشمس ، وإذا فارقتك فارقتنى هذه الرفعة ، فسكأتى مشيت فى تلك النعل حتى
قطع مشي شراكها . وإليك عبارة ابن جني : بحصولي عندك وقصدى لك شرفت عند
الناس ، فإذا بددت عنك زال ما كسوته من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت
نعله عين الشمس فشى فيها فانقطع شراكها فسقط من رجله .

(٤) وما سرنّا : حال معترضة بين مفعولى أرى ، والابتراك : سرعة السير ؛ وأصله
السقوط على الركب . يقول : أرى أسنى لمفارقتك شديدا وأنا لم أسر بعد ، فكيف
يكون أسنى . إذا جد بنا المسير ؟ وفى هذا المعنى يقول سحيم عبد بنى الحساس :

وَهَذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ فَهَا أَنَا مَا ضُرِبْتُ وَقَدْ أَحَاكَ^(١)
إِذَا التَّوَدَّيْعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتُ لَا صَاحِبَتْ فَأَكَ^(٢)
وَلَوْلَا أَنْ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةً لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكَ^(٣)

أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمُضِ غَيْرُ كَيْفَةٍ فكيف إذا جَدَّ المَطِيُّ بنا عشرًا ؟
وقال أشجع السلى :

فَهَا أَنْتَ تَبْكِي وَهُمْ حَبِيرَةٌ فكيف تسكون إذا ودَّعوا
لَقَدْ صَنَعُوا بِكَ مَا لَا يَحُلُّ ولو راقبوا الله لَمْ يَصْنَعُوا
أَتَطْمَعُ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْفِرَاقِ مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَا تَطْمَعُ
وقال آخر :

لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي خِيفَةً لِفِرَاقِهِ فكيف إذا بَانَ الحَبِيبُ فودَّعَا

(١) البين : الفراق ؛ والظرف : حال مقدمة من السيف ؛ وحاك وأحاك - لغتان
- أثر . والبين : البعد والفراق . يقول : هذا الشوق عمل في عمل السيف ولم تتفارق
وأثر في تأثيره ولم أضرب به بعد ! أى إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف
يكون بعده ؟

(٢) أعرض الشيء : بدا وظهر ؛ وعليك : اسم فعل بمعنى الزم . يقول : إذا
حضر الوداع قال لى قلبى الزم الصمت بعد مفارقتة ولا تمدح غيره ، فقوله لا صاحب
فأك : أى لا نطق . وقال بعض الشراح : أى لا تتكلم بالوداع .

(٣) معاودة ؛ خبر أن . والمنى : جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان . يقول : لولا
أن أكثر ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا بلغت أنت أيضا منك فى الارتحال
حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى المدوح . وعجاجة بعض الشراح :
قوله ولا مناك : أراد ولا صاحب منك - بضم تاء صاحب - ضمير الشاعر ، أو
بفتحها خطابا للقلب على أحد الوجهين - فى البيت السابق - يقول : ولولا أن أكثر
ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا صاحب منك أيضا : أى لا كانت لك منية
تتمناها ، وهو دعاء عليه باليأس ، وذلك لأن قلبه يتمنى الرجوع حينئذ ، فهو من جملة
تلك اللى ؛ يعنى أنه كان يدعو عليه بزوال اللى لتزول هذه المنية من بينها فيبقى
عند المدوح .

قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءِ بَدَاهُ وَأَقْتُلُ مَا أَعْلَكَ مَا شَفَاكَ (١)
فَأَسْتَرْ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأَخِي هُمُومًا قَدْ أَطْلَتْ لَهَا الْغِرَاكَ (٢)
إِذَا عَاصَيْتَهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتَهَا كَانَتْ رِكَازًا (٣)
وَكَمْ دُونَ الثَّوْبَةِ مِنْ حَزِينٍ يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بَدَاكَ (٤)

(١) استشفيت : طلبت الشفاء . يقول : مخاطبا قلبه - : قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للمدوح ، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل مما أعلك : أى أنك تدأويت من فراقه بما هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل . ويروى إذا استشفيت فأقتل : أى إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق المدوح ، فالداء الذى يشفيك هو أقتل الداءين ؛ يعنى إذا دأويت شوقك بفراقه فقد دأوته بما هو أقتل لك من الشوق . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت ، وهو منقول أيضا من قول حميد بن ثور :
أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ صَحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وقال بعضهم :

أَفْضَى بِكَ الْمَجْرُ إِلَى آلِمَا فَجِئْتُ مِنْ دَاءٍ إِلَى دَاءٍ
(٢) النجوى : الحديث الخفى . يقول : فلست عنك ياعضد الدولة ما يجرى بينى وبين قلبى من المناجاة ، وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت عراكها ومغالبتها .
(٣) الركاك : الضعاف ، جمع ركيك : أى ضعيف . يقول : إذا عاصيت هذه المموم - هموم الشوق إلى الأهل - ولم أجبها إلى السفر والرحيل اشتدت على وإذا طاوعتها وأزمت الرحيل ضعفت وهانت . وقال الواحدى : المعنى : إذا عاصيت هذه المموم فى فراق المدوح اشتدت على وإن طاوعتها فى الإقامة عنده سهلت شدتها .
ومثل هذا قول أبى العتاهية :

كَمْ أُمُورٍ عَاصَيْتُهُنَّ زَمَانًا ثُمَّ هَوَّيْتُهَا عَلَى فَهَانَتِ
(٤) الثوبية ؛ مكان بالكوفة . وذا . مبتدأ ؛ خبره : الظرف بعده . يقول : كم دون هذا المكان من إنسان حزين لفراقى إذا قدمت عليه سر بقدومى فيقول له القدوم هذا السرور بذلك الغم الذى كنت لقيته بالبعد ، كما قال أبو تمام :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحٍّ الْوَدَاعِ
(٩ - المثنى ٣)

وَمِنْ عَذَابِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْخَنَّا يُقَبَّلُ رَحْلُ تَرْوِكَ وَالْوَرَاكَ^(١)
يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَ^(٢)
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالْأَرَاكَ^(٣)
يُحَدِّثُ مُفْلَتِيهِ النَّوْمُ عَنْ فَلَيْتَ النَّوْمِ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَ^(٤)

وقال ابن الرمي يخاطب أمه وقد أراد سفراً :

فَقُلْتُ لَهَا إِنْ أَكْثَبَا بِشَاخِصٍ سَيُتِمُّهُ اللَّهُ ابْتِهَاجًا بِقَادِمٍ
(١) ومن عذب : عطف على من حزين ؛ والرضاب : الريق ؛ وأنخنا : أئخنا مطاينا وهو كناية عن النزول . وتروك : إسم ناقة حملها عضد الدولة ؛ والوراك : الثمرة : التي تلبس مقدم الرحل ثم تثنى تحته يزين بها ، والجمع ورك . قال زهير :

مَقْوَرَةٌ تَنْبَارَى لَا شَوَارَ لَهَا إِلَّا الْقَطُوعُ عَلَى الْأَجَوَازِ وَالْوُرُكِ^(١)
يقول : وكم هناك من شخص عذب الرضاب يشتهي تقبيل فيه إذا وصلنا فأئخنا مطاينا قبل رحل ناقى ووراكها لأنها أدنى إليه .
(٢) صاك به الطيب يصيك : أى لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلِكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبِّ ابِ صَاكِ الْعَبِيرِ بِأَجْلَادِهَا
والعبير أخلاط من الطيب . يقول : إن هذا الشخص لم يمس بعدى طيباً حزنا على فراقى ، وهو مع ذلك تشم منه راوئح الصب حتى لكأن الطيب قد لصق به .
(٣) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والطيب : العاشق ؛ والبشام والأراك : نوعان من الشجر يستاك بفروعهما . يقول : لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولكنه يبذل ثغره لسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) يقول : إذا نام هذا الشخص المولع بقدومى رأى خيالى فى النوم ، فليت نومه حدثه عن إحسانك إلى حق يعذرنى فى الإقامة عندك .

(١) الشوار والشارة : اللباس والهيئة ، ويقال : جاءت الإبل مقورة : أى شاسفة يابسة - من الضمر ، والمقور أيضا من الخيل الضامر ، والقطوع : جمع قطع ، الطنفسة تكون تحت الرحل على كتنى البعير ، والأجواز : الأوساط .

وَأَنَّ الْبُخْتَ لَا يُعْرِقَنَّ إِلَّا وَقَدْ أَنْضَى الْعَذَافِرَةَ اللَّسْكََا^(١)
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ إِذَا أَنْتَبَهَتْ تَوَهُمُهُ أَبْنِشَا^(٢)
وَلَا إِلَّا بَأَنَّ يُصْنِي وَأُحْكِي فَلَيْتَهُ لَا يُتِيَمُهُ هَوَا^(٣)
وَكَمْ طَرِبَ الْمَسَامِجَ لَيْسَ يَذَرِي أَيْعَجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ غَلَا^(٤)
وَذَاكَ النَّشْرُ عَرَضُكَ كَانَ مِسْكَ^(٥)
وَذَاكَ الشَّعْرُ فَهَرِي وَالْمَدَا^(٥)

(١) البخت الجمال الخراسانية ، وروى البدن : أى . السمان من الإبل ؛ ويعرقن : أى يأتمن العراق ؛ والكوفة بلد أبى الطيب - : أحد بلاد العراق وأنضى العذافرة : أى هزلها ؛ والضمير للندى ؛ والعذافرة الناقة الشديدة ؛ واللسك : المكتنزة اللحم . يقول : ولت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أنضاه ثقل ما حملت من عطايك .

(٢) الابتشاك : الكذب . يقول : وإن حدثه النوم عنى فليست أرضى له بحلم إذا انتبه من نومه توهمه كذبا : أى أى آتى عليه إلا أن يرانى فى اليقظة على ما وصف له الحلم . (٣) ولا إلا : أى ولا أرضى إلا ، غذف الفعل للعلم به - يقول : ولا أرضى بشئ إلا بأن يستمع إلى وأحكى ما أغدقته على من نعمك وإفضالك ، فليته عند ذلك ، لا يتيه هواك ويستعبده حبك لأن الإحسان يستعبد الإنسان ؛ و«فليته» و«لا يتيه» على حذف إشباع الضمير ، وهى رواية ابن جنى ، وروى فليتك . وأسكن الباء من يصنى وأحكى ضرورة أو على لغة .

(٤) يقول : وكَم من إنسان تطرب مسامحه إذا سمع شعرى فيك ولا يدرى أيتعجب من حسن ثنائى عليك أم من علوشأنك الذى يقتضى هذا الثناء ؛ وعبرة المكبرى : والمعنى كلاهما محجب لأنى أثبت فى شعرى من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ما ليس يدرى عند سماعه لذلك ، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائى ؟ (٥) النسر : الرائحة الطيبة ؛ ويريد به : انشاء ؛ والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب ؛ والمداك : الصلاة التى يداك عليها أى يدق ويسحق . يقول : ذاك الثناء الطيب الرائحة الذى هو عرضك كان بمنزلة المسك ؛ وكان شعرى بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك ، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك ؛ كذلك رائحة الثناء إنما تفوح بالشعر ؛ كما قال ابن الرومى :

فَلَا تَحْمَدُهَا وَأَحْمَدُهَا إِذَا لَمْ يُسَمِّ حَامِدُهُ عَنَّا كَا^(١)
 أَعْرَ لَهُ شَمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ غَدَا يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَا كَا^(٢)
 وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصُّ بِوَجْدِ وَآخَرُ يَدْعِي مَعَهُ أَشْتَرَا كَا^(٣)
 إِذَا أَشْتَبَهَتْ دُمُوعُ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مَنْ بَسَكِي يَمْنُ تَبَا كِي^(٤)
 أَذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِي شُجَاعِ لَغِيظِي مِنْ نَوَايَ عَلَى أُولَا كَا^(٥)

وما ازدادَ فضلُ فيكَ بِالْمَدْحِ شُهْرَةً بَلَى كَانَ مِثْلَ الْمِسْكِ صَادَفَ مَخُوضَا
 [المَخُوضُ : الذى يحرّك به الطيب ؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلا بل يظهر رائحته ،
 كذلك هذا الشعر يظهر فضائل المدح للناس ولا يزيده فضلا] .

(١) الهام : الملك العظيم الهمة . يقول : لا تحمد الفهر والدراك اللذين جعلتهما
 مثلا لشمرى واحمد نفسك فإنك تستحق الحمد بخصالك الحميدة . وقوله إذا لم يسم حامده
 يعنى بحامده نفسه . يقول : إذا حمدتك بذكر إنعامك ولم أذكر اسمك كنت أنت
 المعنى بذلك الحمد ، لأنه لا يليق إلا بك ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

وإن جرتِ الألفاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لِفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي
 (٢) أعر : صفة لهما ؛ والمراد بالأعر : الشريف ؛ والشمايل : الأخلاق . يقول
 أنت ورثت شمائلي أيك ، وكما ورثتها من أبيك تورثها بنيك ، فهم غدا : أى إذا شبوا
 عن الطوق وظهرت تلك الشمايل فهم - يلقون أباك بها فيرى شمائله فيهم كما رآها فيك .
 قال الواحدى : وكان حقه أن يقول أباهم ، لكنه قال أباك : إشارة إلى أنهم لم يبلغوا
 بعد رتبته حتى يشبهوه ، بل يشبهون أباه .

(٣) يقول : إن حال الأحباب تتشابه ، ففهم من يكون حزينا عند فراق أحبته
 مختصا بالوجد دون غيره ، وفهم من يدعى الاشتراك فى الوجد وليس لدعواه حقيقة ،
 يريد أنه صحيح الود والموالاة غير مدخول المحبة ، فليس كمن يدعى الاشتراك
 على غير حقيقة .

(٤) اشتبهت : تشابهت ؛ وتباكى : تكلف البكاء . يقول : إذا تشابهت الدموع
 ظهر الذى يبكى عن حزن دفين فى القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خال من دواعيه .
 (٥) يقولون : أدم له من فلان : أخذ له الذمة والعهد ، وأدم له على فلان : أخذ
 له الذمة ليجبره منه ؛ والنوى : البعد ؛ وأولاكا : لغة فى أولئك ، وقد اختلف الشراح

فَزُلْ بِأَبْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقَعُ الْأَسِنَّةُ فِي حَشَاكَ^(١)
وَأَيَّا شِئْتِ يَا طُرُقِي فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَ^(٢)
فَلَوْ سِرْنَا فِي تَشْرِينَ خَمْسٍ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوْا السَّمَاءَ^(٣)

في معنى البيت ، فذهب ابن جني إلى أن المعنى : أن مكرمات أبي شجاع أخذت لعيني عهداً من البعد أن تكون في مأمن من تلك الدموع : أي دموع التباكي ، يعني أن مكرماته تمنع عيني أن تجرئ على فراقه دموعاً كاذبة لأنه قد ملك قلبي بإحسانه ، فأنا أبكي على الحقيقة لا تكلفاً ، فالإشارة في أولها للدموع الكاذبة . وقال الواحدى : إن مكرماته منعت عيني وعقدت لها عقداً على أهل من فراق عضد الدولة ، يريد أنى أشتهى ملازمتك والبعد عن أولئك ، فالإشارة في أولها لأهله ، وهذا على رواية نوائى ؟ وروى : نوائى - مقصور الثوى - أى المقام ، يعني أن مكرماته أذمت لعيني من المقام عليهم - أى على أهله - أى عقدت لعيني عقداً يؤمنها من النظر إلى أولئك . يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره ، ويكون على أولها كما متعلق بالثوى .

(١) الركاب : الإبل تحمل القوم ؛ والأسنة : نصال الرماح . يخاطب البعد ، يقول : تنح عن أيدي هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء .

(٢) قال الواحدى : هذا كلام ضجر ، يقول - لطريقه - : كوني كيف شئت فإنى لا أبالي وإن كان الهلاك في سلوكك ، قيل إن عضد الدولة قال تطيرت عليه من تركه النجاة بين الأذاة والمهلك .

(٣) تشرين : اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية : تشرين الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١ ، وتشرين الثانى وهو الحادى عشر وأيامه ٣٠ ؛ والسما كان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل لأنه ليس أمامه شيء ، والمراد هنا : السماك الأعزل ، وقد كان هذا النجم يطلع في الثالث عشر من تشرين الأول . يقول : لو سرننا وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا الكوكب ، فرأى أهلها قبل أن يروه ؛ يريد أنه لسرعة سيره وإدأبه السير لا يمضى عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة - بلده - وهذا مبالغة ، لأن بين شيراز بلد عضد الدولة وبين الكوفة ما يزيد على عشرين مرحلة .

يُشَرِّدُ يُبْنِي قَتَاخُسَرَ عَنِّي قَنَا الْأَعْدَاءَ وَالطَّعْنَ الدَّرَاكَ^(١)
وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقِي سِرَّحًا يَذْعُرُ الْأَبْطَالَ شَاكَ^(٢)
وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا أَفْتَرَقْنَا وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَ^(٣)
وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ يَمُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أُمْتِسَاكَ^(٤)
حَيٍّ مِنْ إلهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَأَصْطَفَاكَ^(٥)

(١) فناخسرو : اسم عضد الدولة ؛ والطعن الدراك : المتابع . يقول : سعه
ويمنه يطرد عني رماح الأعداء وطعننا المتابع .

(٢) سلاح شائك وشاك - على حذف العين - حاد ذو شوكة يقول : رضاه عني
بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عني . هذا : والسلاح اسم
جامع لآلة الحرب ، وخص بعضهم به ما كان من الحديد - يؤنث ويذكر والتذكير
أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة ، وهو جمع المذكر - مثل حمار وأحمره ورداء وأردية -
ويجوز تأنيثه . قال الطرماح - يذكر ثوراً يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به :

يَهْزُ سِلَاحًا لَمْ يَرِنْهَا كَلَالَةً يَشْكُ بِهَا مِنْهَا أَصُولُ الْمَغَانِبِ^(١)

(٣) هذا استفهام إنكاري . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفا عنك أعتاضه من
جميع الناس لأنهم كلهم بالقياس إليك زور وباطل ، لهم صورتك وليس لهم معنالك ،
وهذا كقول عمران ابن حطان :

أُنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَغْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

(٤) يقول : أنا في انطلاق من عندك وسرعة عودي إليك كالسهم إذا رمي به في
الجوف فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض يشير بهذا
البيت والذي قبله إلى أنه ينوي الرجوع إليه .

(٥) حي : أي أنا حي . وقد فارقت دارك : حال . يقول : إني أستحي من إلهي
أن يراني وقد فارقتك وزهدت فيك ، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكّل إليك
أرزاق العباد ، فكأنني إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرض باختياره . وروى ابن

(١) سمي روقيه سلاحاً لأنه يذب بهما عن نفسه ؛ والعرب . تقول : لم يرته كلاله
أي لم يرته عن عرض بل عن قرب واستحقاق .

جنى : واصطفاكا - بكسر الطاء - قال وهو من باب قصر المدود ، واستشهد على قصره بأشعار ، وقصر المدود كثير ، وأنشد فيما أنشد :

وأنتَ لو باكرتَ مشمولَةً صَفْرًا كَلَوْنَ الفرسِ الأشقر

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء ، وقالوا لم يستحي من الله إذا فارق دار المدوح واختياره له ؟ بل لاوجه لحياثه في فعله ذاك ، وإنما يستحي من الله إذا فارق دار المدوح ، والله قد اختاره على أرضه ، وكل من فارقه يجب أن يستحي من خالقه وإنما يقول : أستحي من الله أن أفارقك ، وقد اصطفاك وוכל إليك الأرزاق ؛ ألا تراه كيف بين وجه حياثه ، إذ ذكر اصطفاه ولو لم يذكره لكان له مخلص من الحياء ؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلا ماضياً ، وقد ذكر محمد بن سعيد أن المتنبي قال لم أقصر في شعري بمدوداً إلا في موضع واحد وهو :

خذ من ثنائى عليك ما أسطيعه لا تَلزِمْنِي في الثناء الواجب

هذا : وقد أكثر المتنبي من التشاؤم على نفسه في هذه القصيدة بما لم يقع له في غيرها وما لم يخطر على قلبه في جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وتراجمها في البلاد ، وقد وقع له في أثنائها كلام كأنه ينمى به نفسه وإن لم يقصده ، وذلك أنه بعد ارتحالها من شيراز ومفارقتها لأعمال فارس قتل في الطريق كما تراه في مدخل هذا الشرح وهذا - عمرك الله - من غريب الاتفاق .

قافية اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية وكثر المطر :

رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ تَأَنَّ وَعُودُهُ مِمَّا تُنِيلُ^(١)
وَجُسُودَكَ بِالْمُقَامِ وَلَوْ قَلِيلاً فَمَا فَيَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلاً^(٢)
لَا كُتِبَ حَاسِداً وَأَرَى عَدُوّاً كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ^(٣)

(١) تَأَن : تمهل ، ويرى : تأى توقف ؛ والضمير في عده يعود إلى المصدر المفهوم من تَأَن ؛ وتُنِيل : تعطى . يقول : أمهل سيرك وترفق في رحيلك واحسب هذا التمهّل من جملة ما تعطيه ، يعنى أنا نعمة منك نوالا وعطاء لو أقت ساعة ؛ وهو ما ذكر في البيت التالى .

(٢) وجودك : أى وجد جودك : مصدر نائب عن عامله منصوب به . والمقام : الإقامة ؛ وقليلاً : خبر كان محذوفة بعد «لو» ، واسمها ضمير المقام : يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة ، فإن الذى تجوده لا يمد قليلا ، لأن كل ما كان من جهتك فهو كثير وإن قل ، كما قال ابن الطثرية :

وليس قليلا نظرةٌ إن نظرتُها إليكِ وقلٌ مِنْكِ غيرُ قليلٍ
وكما قال إسحاق الموصلى :

إن ما قلٌ مِنْكِ يَكْثُرُ عنْدِي وكثيرٌ مِمَّنْ تحبُ القليلُ
(٣) الكبت : الإغاضة والإذلال ؛ وأصل الكبت : الكبد فقلبت الدال تاء ، أخذ من الكبد ، وهو معدن الفيظ والأحقاد ، فكأن الفيظ لما بلغ بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه ، لهذا يقال للأعداء : هم سود الأكباد وأرى من الورى - وهو إصابة الرئة . وقال أهل اللغة : الورى - على مثال الرى - قرح شديد يقاء منه القيح والدم ؛ والعرب تقول للبغيض إذا سعل ورياوقحابا . وللحبيب إذا عطس رعىا وشبابا ، وفى الحديث : «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراء» يقول المتنبي : جد بالإقامة لأكتب من يحسدنى على قربك وأوجع رئة عدوى ، ثم شبه الحاسد والعدو بوجداءه وارتحالهما لأنهما يلذعان قلبه ويوجعانه ، وقال أبو تمام فى قبج الوداع :

وَيَهْدَأُ ذَا السَّحَابُ فَقَدْ شَكَّكْنَا
 أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قِيلُ^(١)
 وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلًا فِي سَمَاحٍ فَهِيَ أَنَا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ^(٢)
 وَمَا أَخْشَى نُبُوكَ عَنْ طَرِيقِ وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلِ^(٣)
 وَكُلُّ شَوَاةٍ غَطْرِيفٍ تَمْنَى لِسِيرِكَ أَنْ مَفْرِقَهَا السَّبِيلِ^(٤)

قُبَحْتَ وَزِدْتَ فَوْقَ الْقُبْحِ حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْوَدَاعِ
 (١) ويهدأ : عطف على أ كبت ؛ وتغلب : قبيلة للمدوح ؛ والحياء : المطر ؛ والقبيل :
 العشيرة . يقول : أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلاً من أياديك
 الغزار فقد أفرط حتى شككنا : أبني تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب ؟ شبههم بالمطر
 في الكثرة وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

فَقُلْتُ نَذَى السَّمَاءِ أَمْ ابْنُ وَهْبٍ تَجَلَّى نُورُهُ أَمْ عَاشُ وَهْبٍ
 (٢) يقول : كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود ، فلما رأيت إفراط سيف
 الدولة في الجود صرت ألومه ، قال أبو تمام :

عَطَاءُ لَوْ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى وَهُوَ عَاذِلُ
 وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ
 وقال ابن القطاع : الضمير في «له» للسحاب ، يعني صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه
 في السباح مخافة أن يكدر عليه الطريق .

(٣) النبو : السكلال ، وسيف الدولة : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده ؛ والجملة حال .
 يقول : لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضي الصقيل ،
 والسيف إذا كان ماضياً لا يخاف عليه السكلال . يريد : إنني لم أطلب إليك عدم الرحيل
 في المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق .

(٤) الشوأة : جلدة الرأس ، وجمعها شوى ؛ والفطريف : السيد الكريم في قومه
 وتغنى : يحذف إحدى التائين - أى تمنى . والفرق : وسط الرأس . يقول : إن كل
 سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقاً لسيرك ، يعني انصرفك لا يستنكف
 السيد من وطئك رأسه ، بل يتمنى ذلك تشرفاً بك ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

وَمِثْلَ الْعَمَقِ تَمْلُوءُ دِمَاءٌ جَرَتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخُيُولِ^(١)
 إِذَا أَعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَآيَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ^(٢)
 وَمَنْ أَمَرَ الْخُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ أَطَاعَتْهُ الْحَزُونَةُ وَالشَّهُولُ^(٣)
 أَنْخَفِرُ كُلٌّ مَنْ رَمَتْ اللَّيَالِي وَتُنَشِّرُ كُلٌّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ^(٤)

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَهَا قَبْرُ
 (١) ومثل العمق : أى ورب مكان مثل العمق ؛ والعمق : الوضع العميق ؛ وقيل
 واد بعينه . يقول : ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمى فيه الوطيس حتى امتلأ
 من دماء القتلى جرت بك الخيل فى مجاريه ولم تكثر لذلك ، فكيف أخشى عليك
 قطع الطريق ؟ وقد زاد ذلك إيضاحا بالبيت التالى .

(٢) المنايا : جمع منية ، الموت ؛ والوحول : جمع وحل ، ما يبقى فى الأرض من
 آثار المطر يقول : إذا تعود الإنسان خوض المهالك التى هى أسباب المنايا لم يبال بالوحول ؛
 يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه تعود أن يخوض ما هو أشد من الوحل .

(٣) الحزونة : جمع حزن ، ما خشن من الأرض وصعب : ضد السهل . يقول : من
 تطيعه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعصه مكان من الحزن والسهل : أى لم يتمتع عليه
 ولم يصعب سلوكه .

(٤) نشر الله الميت وأنشره : بشه وأحياه ؛ والخمول : سقوط الذكر ؛ والحامل :
 الساقط الذى لا نباهة له ، والاستفهام : للتعجب . يقول : كل من نكبته الليالى وأصابته
 بالحنن تخفّره وتجيّره منها بإحسانك ، وكل من أماته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره
 بإنعامك عليه ؛ قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نَشَرْتُكَ مِنْ مَوْتِ الْخُمُولِ بِقُدْرَةٍ لِمَا هُوَ أَذْهَى لَوْ عَلِمْتَ وَأَنْكَرُ^(١)
 هذا : ويقال خفر الرجل يخفر خفراً : أجاره ومنعه وأمنه ، وكان له خفيرا يمنعه ،
 وكذلك خفّره تخفيرا ، قال أبو جندب الهذلى :

(١) من أبيات يهجو بها ابن الرومى خالدا القحطبي ، وقبله :

أَخَالَدَ أَغْنَيْتَ الْمَجَاءَ وَفَنَّهُ فَقَوْلِي وَإِنْ أَبْلَغْتُ فَيْكَ مُقْصِرُ
 وبعده :

وللموت خير لا مرى من نشوره إذا كان للتخليد فى الناس يُنْشَرُ

وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَمِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ^(١)
وَمَا لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعُ فِ قِلْ وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ^(٢)
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَالُ صَبْرًا وَقَدْ فَنَى التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ^(٣)
يَحِيدُ الرَّمْحَ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ^(٤)
فَلَوْ قَدَرَ السَّنَانُ عَلَى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السَّنَانُ كَمَا أَقُولُ^(٥)

ولكنني جُزئ الغنى من ورائه يُخَفِّرُنِي سَيْفِي إِذَا لَمْ أَخْفِرْ
والاسم من ذلك الحفرة والحفارة والحفارة - بالفتح والضم - ويقال أخفرت إذا
بعت معه خفيرا ، وأخفرت الرجل : إذا نقضت عهده وغدرت به ، وأخفر الدمة :
لم يف بها .

(١) الحسام : السيف القاطع ، يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال
وأنت حسام يعيش به القتل : أى أنك تحي من قتله الفقر وأماته الذل بمجودك — كما
بين ذلك في البيت التالي .

(٢) يقول : إن فعل السيف هو القطع فقط ، أما أنت فقد اجتمع فيك الوصل
والقطع ، لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء . والقطع : منصوب لأنه استثناء مقدم .
ومثله قول الكمي :

ومالى إلا آل أحمدَ شِيعَةٌ ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

والبر : المحسن ؛ والوصول . الذى يصل الناس : أى يجيزهم بالعطاء .

(٣) يقول . أنت الفارس الرابط الجأش الذى يصبر الجيوش ويقول لهم اصبروا
صبرا على عض الحرب وقد عظم الخطب واشتد القتال ، فلا يقدر الرجل على الكلام ولا
الفرس على الصهيل . فقوله صبرا : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، وهو مفعول القول .

(٤) وفيه قصد . أى استقامة . يقول : قد بلغت من المهانة والشرف أن الجماد يعرفك
فالرمح يخافك فيحيد عنك ويميل ، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن
ينالك مع طوله هية لك ؛ والمعنى أن الأبطال تتحاماه في الحروب فلا تجترأ
على مطاعته .

(٥) يقول : لو كان الرمح يقدر على الكلام لقال أنا أحييد عنك وأقصر - مع طولى -
عن طعنك لميتك وشرفك . وهذا من قول الآخر :

إن السنانَ وصدرَ السيفِ لو نطقا لخبرّا عنك يومَ الروعِ بالمعجبِ .

وَلَوْ جَازَ الْخُلُودُ خَلَدَتْ فَرْدًا وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلٌ^(١)

وقال يرثي والده سيف الدولة وقد توفيت يمينا فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، وأنشده إياها في جمادى الآخرة من السنة :

(١) نَعْدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالٍ^(٢)

(٢) وَتَرْتَبُطُ السَّوَابِقُ مُقَرَّبَاتٍ وَمَا يُنْجِيَنَّ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي^(٣)

وللحنى :

يُثْنِي عَلَيْكَ إِذَا النُّفُوسُ تَطَايَرَتْ حَدُّ الْمُهَنْدِ وَالسَّنَانُ الْهَذَمُ
وأصله قول عنترة :

لَوْ كَانَ يَمْلِكُ مَا الْحَاوِرَةُ اشْتَكَى وَلَكِنْ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلَّمِي

(١) يقول : لو جاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل ، ولكن الدنيا لا تخلد أحداً وشنتها إفناء خلانها ، فهي مطبوعة على القدر ، وإلا لخلدتك . وهذا من قول عدى بن زيد :

فَلَوْ كَانَ حَيٌّ فِي الْحَيَاةِ مَخْلُودًا لَخَلَدْتَ لَكِنْ لَيْسَ حَيٌّ بِمَخَالِدٍ
ومثله لمحمد بن يزيد المهلبى :

لَوْ خَلَدَ اللَّهُ مَخْلُوقًا لِنَجَدْتَهُ لَكَانَ رَبُّكَ فِي الدُّنْيَا مَخْلُودَهُ

(٢) الشرفية : السيوف ، والمراد بالعوالى : الرماح ؛ والنون : النية ، وقيل الدهر ، ومن ثم يؤنث ويذكر ، ويكون واحداً وجما : يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران ، ولكن النية تخترم نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال ، فلا تنفى عنا تلك الأسلحة شيئا .

(٣) السوابق : الخيل ؛ والمقربات : المدانة من البيوت ، إما لفرط الحاجة أو للضن بها ، فلا ترسل إلى الرعى ؛ والحجب : ضرب من العدو - الجرى - لا يستفرغ الجهد : يقول : وترتبط الخيول الكريمة لتنجو بنا إذا ألم بنا حادث ، ومع هذا لاتنجينا من سعى الليالى ، وخبها في آثارنا ، فإنها تقتلنا وتدركننا حيثما كنا ، وبديع قول عبد الله بن طاهر في الدهر :

كَأَنَّا فِي حُرُوبٍ مِنْ حَوَادِثِهِ فَنَحْنُ مِنْ بَيْنِ مَجْرُوحٍ وَمَطْعُونٍ

- (٣) وَمَنْ لَمْ يَشَقِّ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ (١)
 (٤) نَصِيكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ (٢)
 (٥) رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَّادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ (٣)
 (٦) فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ (٤)

(١) من : استفهام إنكارى ؛ وقوله إلى الوصال : يروى إلى وصال - أى مواصلة - يقول : من الذى لم يشق الدنيا من قديم الدهر ؟ أى أن كل أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها ، فقوله إلى الوصال : أى إلى دوام الوصال ، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكنها لا تدوم على الوصال .

(٢) نصيبك - الأول - مبتدأ . خبره : نصيبك - الثانى - يقول : إن حظ الإنسان من وصال حبيب في حياته كحظه من وصال خياله في منامه ، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت ، كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه ، جعل العمر كالنام والموت كالانتباه من المنام ، كما قال أبو تمام :

نَمِ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَانَهَا وَكَانَهُمْ أَخْلَامُ

وقال التهامي :

فَالْمِيشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَالرَّمْدُ بَيْنَهُمَا خِيَالٌ سَارِي

(٣) الأرزاء : جمع رزء ؛ المصيبة ، وحق : ابتدائية ؛ والغشاء : ما يغطى الشيء ، يقول : كثرت على أرزاء الدهر وترادفت على قلبي جماعة حتى لم يبق منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من سهام الدهر .

(٤) النصال : جمع نصل ، الحديدة التى فى السهم . يقول : فصرت الآن إذا رمانى الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبي ، إذ لا تجد لها موضعاً الاصابة ، وإنما تتكسر نصالها على النصال التى قبلها ، لأنها تصطك بعضها ببعض ، قال الواحدى : وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالى على حتى هانت عندى والشيء إذا كثر اعتاده الإنسان كما صرح بذلك فى البيت التالى . وإليك إحدى مماحكات ابن وكيع - وما أكثر ما يتجنى على المتنبي - قال : لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر ، وأما أن يكون الرمي من ناحية واحدة فلا يصح ذلك ، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح .

(٧) وَهَانَ فَمَا أَبَالَى بِالرَّزَايَا لِأَيِّ مَا أُتْنَعَتْ بِأَنْ أَبَالَى (١)
(٨) وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرَا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ (٢)

لم يَنْتَظِرْنَ فَنَسْتَبِيكَ قُلُوبَ حَتَّى رَمَيْنَ فَرَشَقَهْنَ مَصِيبُ
نَجَلٌ يُتَبَّعْنَ السَّهَامَ بِمِثْلِهِمَا فَلَمَنْ مِنْ تَحْتِ النَّدُوبِ نَدُوبِ
فهذا كلام يصح مثله ، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوباً حديثة ؛ ومثله لأخى
ذى الرمة .

وَلَمْ يُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ نَكَا الْقَرْحَ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ (١)
(١) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله رمانى الدهر . يقول : وهان الدهر
على فلا أحفل بمصائبه علماً بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة ؛ وهذا من قول الحماسي :
وقد جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى الْبَيْنِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ
وفارقتُ حَتَّى مَا أَبَالَى مِنَ النُّوَى وَإِنْ بَانَ جَوَارِي عَلَى كِرَامِ
ومثله قول الحريري :

صَبِرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَنِيَّةٍ وَهَلْ جَزَعُ أَجْدَى عَلَى فَأَجَزَعُ
وَيُرْوَى بَدَلُ هَانَ فَمَا أَبَالَى : وَهَانَ أَنَا مَا أَبَالَى .
(٢) يقول : هذا الناعي - وكان نعمها ورد إلى أنطاكية - أول الناعين جميعاً لأول
امرأة ماتت في هذا الجلال ، يعني لم تمت امرأة قبلها أجل منها ، وميتة - بفتح الميم -

(١) قيل إن إخوة ذي الرمة هم مسعود وهشام وجرفاس وأن مسعوداً رثى بشعره
بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما وقيل كانوا أربعة غيلان ومسعود
وهشام وأوفى وكلهم شعراء كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب
عليها ، وقبل هذا البيت :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغِيلَانَ بَعْدَهُ عَرَاءُ وَجَفَنُ الْعَيْنِ مَلَانُ مُتَرَعٍ
نَمَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ وَافَتْ رِكَابَهُمْ لَعَمْرَى لَقَدْ جَاءُوا بِشَرٍّ وَأَوْجَعُوا
نَعَوْا بِاسِقِ الْأَخْلَاقِ لَا يَخْلُقُونَهُ تَكَادَ الْجَبَالُ الْقُصْمُ مِنْهُ تَصَدَّعُ
خَوَى الْمَسْجِدِ الْمَغْمُورِ بَعْدَ ابْنِ دَلْهِمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَمَّنُوا

(٩) كَانَ الْمَوْتُ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِيَالٍ^(١)

أى ميتة ، خففت ؛ ورويت ميتة - بكسر الميم - يعنى الحال التى ماتت عليها ، قال الواحدى والرواية الأولى أوجه ، لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الاحوال هذا : وقولهم جاءنى القوم طرأ أى جميعا منصوب على المصدر أو الحال ، قالوا ولا تستعمل إلا حالا واستعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحال ؛ وقيل له كيف أنت ؟ فقال أحمد الله إلى طر خلقه ؛ قال ابن سيده : أنبأنى بذلك أبو العلاء ، وفى نوادر الأعراب رأيت بى فلان بطر إذا رأيتهم بأجمعهم . والناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت ؛ والنعى والنمى : خبر الموت أو الدعاء بموت الميت ، والإشعار به ، نعاء ينعاء نعيانا ، وقال الجوهري . كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا . أى انعه وأظهر خبر وفاته ، وقال ابن الأثير . أى هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان ، وهى مبنية على الكسر مثل قطام ودراك ونزال ، بمعنى أدرك وازل ، وأنشدوا للكميت .

نعاء جذاما غير موت ولا قتل ولكن فراقا للدعائم والأصل
(١) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يروا موتا ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها ، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه ، ومن بديع ما قيل فى الموت - وليس من قبيل بيت المتنبي ، ولكنه ينظر إليه من بعيد - قول الحسن البصرى . ما رأيت حقا أشبه يبطل من الموت وقال البحتري .

ولم أرَ مثل الموتِ حقاً كأنه إذا ما تخطته الأمانى باطل
وقال زين العابدين أو جرير

زراع إذا الجفائر واجهتنا ونلهو حين تغدو رائحات
كروعة ثلثة لمفار ذئب فلما غاب عادت رائعات^(١)
وأخذه محمد بن وهب فقال .

زراع لذكر الموت ساعة ذكره وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
يقين كأن الشك أغلب أمره عليه وعرفان إلى الجهل ينسب

(١) الثلة . القطيع من الغنم .

١٠ صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ^(١)
 ١١ عَلَى الْمَذْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلَالِ^(٢)
 ١٢ فَإِنَّ لَهُ يَبْطُنَ الْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِي^(٣)

(١) صلاة الله : مغفرة ورحمة ؛ والحنوط : طيب مخلط لفصل الميت يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت ، وجمل وجهها مكفنا بالجمال ، كأن الجمال كفن لوجهها ، وفي ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها ، وكأنه يقول : رحم الله وجهها الجميل ، قال ابن وكيع : وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار ، وهو من قول النخعي

تَحِيَّاتٌ وَمَغْفِرَةٌ وَرَوْحٌ عَلَى تِلْكَ الْحَلَّةِ وَالْحُلُولِ

وعبارة ابن الأثير : رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التي غيها الجمال كما غيها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس .

(٢) على المدفون : بدل من قوله على الوجه — في البيت السابق — وذكر على إرادة الشخص ؛ وصونا : مفعول له ؛ واللحد : الشق في جانب القبر ، والخلال : الحصال يقول : إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن في التراب ، وقبل أن تدفن في اللحد كانت مدفونة في كرم الخلال : أي أنها كانت محمية مستورة قبل أن تستر بالتراب ، وكان كرم خصلها يمنعها ويغنها عن كل مالا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد .

(٣) ذكرناه . أي ذكرنا إياه ، فاعل جديدا . ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز ، ومثله قوله تعالى « أنزل مكوها » وأنشد سيويه وقد جعلت نفسي تطيب لضممة لضممة لضممة لضممة لضممة نأبها^(١)

(١) الضم : العض ما كان ، وقيل أن يملأ فمه بما أهوى إليه ، ومنه سمى الأسد ضيما — زيادة الياء — قال الشنتمري : وصف هذا الشاعر عضه أصابه بهارجلان فيقول . قد جعلت نفسي تطيب لإصابتها بمثل الشدة التي أصاباني بها ، وضرب الضمعة مثلا ثم وصف الضمعة فقال يقرع العظم نأبها فجعل لها نأبا على السعة ، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه . قال : واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدي والرجلان من قومه وهما مدرك ومرة وقبله :

سقيتكما قبل التفوق شربة يمرُّ على باغى الظلام شرابها
 « والظلام جمع ظلامه »

١٣	وَمَا أَحَدٌ يُخَلِّدُ فِي الْبَرَايَا	بَلِ الدُّنْيَا تَوَوَّلُ إِلَى زَوَالٍ
١٤	أَطَابَ النَّفْسَ أَنْكَ مَتَّ مَوْنَا	تَمَنَّتُهُ الْبَوَاقِ وَأَتْلُوَالِي ^(١)
١٥	وَزُلْتُ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا	يُسَرُّ الرُّوحُ فِيهِ بِالزَّوَالِ ^(٢)
١٦	رَوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكَ مُسَبِّطٌ	وَمُلْكُ عَلِيٍّ أَبْنِكَ فِي كَالِ ^(٣)
١٧	سَقَى مَثْوَاكَ غَادٍ فِي الْعَوَادِي	نَظِيرُ نَوَالٍ كَفَّكَ فِي النَّوَالِ ^(٤)
١٨	لِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفَشٌ	كَأَيْدِي أَتَخْلِيلِ أَبْعَرَتِ الْمَخَالِي ^(٥)

يقول : إن شخصه وإن كان يبلى في القبر إلا أن فكرنا إياه جديد باق أبداً لا يبلى : قال الحريري :

وإن تَكُ لِلْبَلَى أُمْسِيَتْ رَهْنًا فقد أَبْقَيْتَ نَجْدًا غَيْرَ بَالِي
(١) الخوَالى : المواضى . يقول : مت في العز والعفاف ، فموتك كان موتاً يتمي مثله من بقى النساء ومن مضى منهن . وهذا يسلى النفس عنك إذ فزت بخير الدنيا والآخرة .
(٢) يقول : ومما يسلى النفس عنك أنك فارقتنا دون أن ترى يوماً كريها ينفذ لك عيشك ويحبب الموت إليك حتى يسر الروح بفراق البدن في مثل هذه الحال ، وهذا من قول بعضهم :

وَهَوْنٌ مِنْ وَجْدِي وَلَيْسَ بِهِيْنِ سَلَامَتُهَا بِالْمَوْتِ مِنْ جَرَعَةِ الشُّكْلِ
(٣) مسبطر : متمد ؛ ويروى مستظل ومستطيل ، وقد أنكر الصاحب بن عباد لفظة مسبطر . قال : إن ذكرها في مرثية النساء من الخذلان للبين . والصاحب مولع بنقد التنبي وذمه بالحق وبالباطل ، وإلا فالكلمة لا غبار عليها ؛ وقال العروضي : سمعت أبا بكر الشعراني خادم للتنبي يقول : قدم علينا للتنبي وقرأنا عليه شعره فأنكر هذه اللفظة ، وقال مستظل ، قال العروضي : وإيما غيرها الصاحب وأنكرها عليه . يقول : مت وأنت في هذه الحال من العز المتطاوول والملك الكامل من ملك ابنك .

(٤) المثوى : المنزل يريد قبرها الذي أقامت به . والغادى : السحاب يغدو بالمطر ؛ والنوال : العطاء . يدعو لها بأن يسقى قبرها سحاب يفضل السحب فيضاً كما كان عطاء كفيها يفضل عطاء الأُكف سخاء ؛ وفيه إشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء .

(٥) الساحى : الذى يقشر الأرض بشدة انصبابه ؛ والأجداث : القبور ؛ والحفش : شدة الوقع ، ويقال حفشت السماء حفشاً : إذا جادت بالمطر ؛ وحفشت الأودية : سالت

أَسْأَلُ عَنْكَ بَعْدَكَ كُلَّ نَجْدٍ ، وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خَالِي ^(١)
يَمُرُّ بِقَبْرِكَ الْعَافِي قَيْبِي ، وَيَشْغُلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ الشُّعْوَالِ ^(٢)
وَمَا أَهْدَاكَ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ، لَوْ أَنَّكَ تَقْدِرِينَ عَلَى قَمَالٍ ^(٣)

(١٩)

(٢٠)

(٢١)

والخالي : جمع مخلاة ، الوعاء الذي يجعل فيه التبن والشعير للدابة . بالغ في وصف المطر حيث جعله في إلحاحه على القبر بالقشر كأيدى الحيل إذا رأت مخالي الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها . قال الواحدى : وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر يحفر حفر أيدى الحيل . وقال ابن جني : الغرض من الدعاء للقبور بالغيث : الإنبات وما يدعو الناس إلى الحلول والإقامة ، وهو مذهب العرب ؛ ألا ترى إلى قول النابغة :

وَلَا زَالَ قَبْرِ بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحٌّ وَوَابِلٌ
فَيُنْبِتُ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مُنَوَّرًا سَأْتَبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ ^(١)
وكلما اشتد المطر كان أجمل لنباته وأمرع له .

(١) يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد لأنك كنت صاحبه اللازمة له ، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه . وقوله خالي : إما جعلته نعتا لمجد — أى ليس لى عهد بمجد خال عنك — وإما جعلته حالا سادة مسد الخبر ، كما تقول : عهدى بك شجاعا ؛ وأسكنه للضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاضى

(٢) العافى : السائل وطالب المعروف . يقول : إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكى وشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كمادته ، قال البحتري :

فَلَمْ يَذَرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجَيِّنُنَا ، وَلَا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْبُكَاءِ كَيْفَ نَسْأَلُ
(٣) ما — فى ما أهداك — تعجبية ؛ والجدوى : العطاء والإفضال ؛ والفعل : الفعل الحسن . يقول : ما أعرفك بالإفضال على العافى ! ولكن الموت حال بينك وبين العطاء ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كمادتك فى الحياة .

(١) الخوذان : نبت يرتفع قدر الذراع . له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة ؛ والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم ؛ والعوف : نبت طيب الريح .

بِعَيْشِكَ هَلْ سَلَوْتُ فَإِنْ قَلْبِي ، وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالِي (١)
 نَزَلْتُ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بَعُدْتُ عَنِ النُّعَامِ وَالشَّمَالِ (٢)
 تُحَجِّبُ عَنْكَ رَائِحَةُ الْخَزَامِي ، وَتُمْنَعُ مِنْكَ أُنْدَاهُ الطَّلَالِ (٣)
 يَدَارُ كُلُّ سَاكِنِهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُ الْحِبَالِ (٤)
 حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الزَّنِّ فِيهِ كَتَمْتُ السَّرَّ صَادِقَةً الْمَقَالِ (٥)
 يُعَلِّمُهَا نِطَاسِي الشُّكَايَا ، وَوَاحِدُهَا نِطَاسِي الْمَعَالِي (٦)

(١) قال الواحدى : يقسم عليها بحياتها ؛ يقول لها : هل سلوت عن حب النوال فإن قلبى وإن بعدت عنك غير سال عن نواك ؟ وقال ابن جنى وآخرون : هذا بما وضعه فى غير موضعه ، ولا يجوز أن يرى بمثل هذا ، قالوا : والمعنى هل سلوت عن الحياة فإنى غير سال عن الحزن عليك ، أذكرك وإن كنت بعيدا عن أرضك ، وأندبك وإن كنت منتزعا عن موضعك .
 (٢) على : بمعنى مع ، وجملة بعدت الخ : نعت لمكان ؛ والعاقد محذوف أى بعدت فيه - والنعامى : ريح الجنوب ، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها ؛ والشمال : الريح التى تهب من ناحية القطب . يقول : نزلت - على كراهتنا لنزولك - فى مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح :

(٣) الخزامى : نبت طيب الريح ؛ والطلال : جمع طل . المطر الخفيف . يقول : وحببت عنك روائح الأزهار لا تصل إليك وكذلك ندى الأمطار . يشير إلى ما كان يحيط بها فى حياتها من الرياض والبساتين ، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها .

(٤) أراد بالدار : القبر ؛ ومنبت : منقطع ، ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته وطال هجره إياهم ، وانقطع وصاله عنهم . فالمراد بالحبال : الشمل . وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدي :

تَبْدُلُ دَرًّا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةٍ سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوُبُ

أَقَامَ بِهَا مَسْتُوطَنًا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طَوْلِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبٌ

(٥) الحصان : العفيفة ؛ وحسان : مبتدأ ؛ وفيه : خبر ، والمزن : السحاب ، يقول فى هذا المكان امرأة عفيفة مثل ماء المزن فى النقاء والطهارة ، كاتمة للسرى ، صادقة فى القول :

(٦) يعلمها : أى يعالجها من علتها ؛ والنطاسى : الطبيب الحاذق . والشكاياء : واحد

إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً يَشْفِيهِ سَقَاهُ أُسْنَةً الْأَسْلَ الطَّوَالِ (١)
وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا الْأَوَاتِي تُعَدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِمَامِ (٢)
وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تَجَارُ يُكَوْنُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النَّعَالِ (٣)
مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَ لَيْهَا حُفَاةً كَانَ الْمَرْوُ مِنْ زِفِّ الرَّثَالِ (٤)

٢٨

٢٩

٣٠

٣١

شكوى ، يريد الأمراض التي تشكى ، وأراد بواحد : ابنها سيف الدولة الذي هو واحد الناس ؛ والواو : للحال . يقول يعالجها قبل موتها ليزيل عنها طبيب الأمراض والحال أن ابنها طبيب المعالي : أي العالم بأدواء المعالي فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أو عاب .

(١) الثغر : موضع الخفاة من فروج البلدان ؛ والأسل : الرماح . جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء ، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقي لنفي ذلك الداء عنه بالرماح لتجانس الكلام ؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضاً ، فزاد الاستمارة بذلك حسناً . يقول : إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لعلبة الكفار نفاهم عنه بأسنة الرماح فعاد إلى الطاعة ؛ يعني : ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت لأنه لا دافع له ، والأصل في هذا المعنى قول ليلي الأخيلية :

إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَبَعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بَهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
وقال أبو تمام :

وقد نُكِسَ الثَّغْرُ فَابْعَثْ لَهُ صَدُورَ الْقَنَا فِي ابْتِفَاءِ الدَّوَاءِ

(٢) الحجال : جمع حجلة ، بيت صغير في جوف البيت يستر النساء . يقول : ليست كغيرها من النساء اللواتي يعدلن القبر ستراً لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستر بالقبر .

(٣) الجنازة — بالفتح والكسر — واحد ، وقيل بالفتح : النعش إذا كان الميت فيه ، وبالكسر : النعش وحده ؛ والتجار : جمع تجر — بالفتح — جمع تاجر ، مثل صحاب وصحب . يقول : ولم تكن من نساء السوق يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر ، أي أنها كانت ملكة .

(٤) حولها : كحولها ، تقول حولك وحوليك وحوايك وحوايك : الجميع بمعنى واحد ؛

وَأُبْرَزَتْ اَلْخُدُورُ مُحَبَّاتٍ يَضَعْنَ النَّفْسَ أَمَكِنَةَ الْفَوَالِي (٣٥)
 أَتَنَّهُنَّ الْمَصِيبَةُ غَافِلَاتٍ قَدَمْعُ الْحَزَنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ (٣٣)
 وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمَنْ قَدَدْنَا لَفَضَّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرَّجَالِ (٣٤)
 وَمَا التَّائِيْتُ لِاسْمِ الشُّمُسِ عَيْبُ (٣٥)
 وَلَا التَّذَكِيرُ فَخَرٌ لِلْهِلَالِ (٣٤)

والرو : حجارة بيض براقه ؛ والزف : صغار الريش ؛ والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام . يقول : لشرفها وشرف ابنها شيعها الأمراء ومشوا حوايلها حفاة يطأون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام .

(١) النفس : الداد ؛ والفوالى : جمع الغالية ، أخلاط من الطيب يتضمخ بها . يقول خرجت لموتها نساء كن محبات في الخدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالداد مكان الغالية التي كن يتطين بها حزنا للمصيبة بموتها ؛ ولعله يريد جوارى المربية ، وهذا منقول من قول بعضهم :

قَد كَانَتْ الْأَبْكَارُ بِيضًا فَاعْتَدَتْ
 وَهَتَكُنَّ أَسْتَارَ الْحَيَاءِ وَطَالَمَا
 شُتِرَتْ مُحَاسِنُهُنَّ بِالْأَسْتَارِ
 وَظَهَرْنَ لِلْأَبْصَارِ بَعْدَ تَسْتَرٍ
 بِالْحُجُبِ دُونَ لَوَاحِظِ الْأَبْصَارِ
 ومثله :

قَد كُنَّ يَحْبَانُ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَالآنَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ

(٢) يقول : فجمن بفقدتها على حين غفلة . فيبيناهن ييكن دلالا على سبيل الدعاية إذ يكن حزنا ، فاختلط الدمعان ، فهن يدين الدلال مع الحزن والدلة مع الحسن .

(٣) يقول : لو كان نساء العالم كهذه المربية في الكمال لفضلن على الرجال . يعنى أن هذه المربية كانت أفضل من الرجال ، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها في الفضل — أى فضلن على الرجال — قال ابن وكيع : وهذا ينظر إلى قول على بن الجهم :

إِذَا مَا عُدَّ مِثْلُكُمْ رَجَالًا فَمَا فَضْلُ الرَّجَالِ عَلَى النَّسَاءِ

(٤) ما — هنا — تيمية ؛ ولك أن تجعلها حجازية فتصب «عيب» و«فخر» يقول :

وَأَفْجَعُ مَنْ قَدَدْنَا مِنْ وَجَدْنَا قُبِيلَ الْفَقْدِ مَقْقُودَ الْمِثَالِ (١)

يُدْفَنُ بِنَفْسِنَا بِنَفْسِنَا وَنَمَشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي (٢)

وَكَمْ عَيْنٍ مُقْبِلَةِ النَّوَاحِي كَحِيلٍ بِالْجُنَادِلِ وَالرَّمَالِ (٣)

وَمَنْضٍ كَانَ لَا يُنْفِضِي لِحَطْبٍ ،

وَبَالٍ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهَزَالِ (٤)

أَسِيفَ الدَّوْلَةِ اسْتَنْجِدَ بِصَبْرِ ، وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ (٥)

لم تزر بها الأنونة ، كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها ، والذكورة لا تعد فضيلة في أحد كما لا يحصل للقمر غفر بتذكير اسمه :

والشمس ليس بضائر تأنيثها وتزيد بالنور المنير على القمر

(١) أفع : مبتدأ ، خبره : من وجدنا ؛ ومفقود المثال : مفعول ثان لوجدنا . يقول أعدد للمفقودين لجنة على الفاقدين من كان مفقود النظير في حال حياته ، فإن من وجد له نظير يتسلى عنه بوجود نظيره ، وبمن يتسلى عنمن لا نظير له ؟

(٢) الهام ؛ الروس ؛ ويريد بالأوالى : الأوائل ، قلب ، وهو كثير في كلامهم . يقول : ندفن أمواتنا ونمشي على رؤوسهم بعد الموت ؛ يعني لا نخلو من فقد ودفن ثم لا نعتبر بمن ندفن ، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم ، والأصل في هذا المعنى قول النابغة :

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنْ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِي

(٣) النواحي : الجوانب ؛ وكحيل : بمنى مكحولة ، خبر « كم » يقول : كم عين كانت تقبل إعزازا وإكراما فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة ؟

(٤) أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ؛ هذا أصل الإغضاء ، ثم استعمل في الحلم ، فقيل أغضى على القذى : إذا أمسك عفواً عنه . والخطب : الأمر العظيم . والهزال : النحول : يقول : وكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ أَغْضَى لِمَوْتِهِ وَكَانَ لَا يُنْفِضِي لِنُزُولِ خُطْبٍ بِهِ ، وكَمْ مِنْ بَالٍ تَحْتَ التَّرَابِ وَكَانَ إِذَا رَأَى فِي جَسْمِهِ هَزَالًا يَشْتَغِلُ قَلْبُهُ بِهِ وَيُفَكِّرُ فِي عِلَاجِهِ ، وهذا ينظر إلى قول البحري يرثى غلامه قيصر :

وَأَصْفَحُ لِيَلِي عَنْ ضَوْءِ وَجْهِ غَنِيَتْ يَرَوْعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

(٥) يقول : استعن بالصبر على هذا الرزء الذي لفت به ، فأنت أهل الصبر الثابت على الأرزاء حتى لفتت الجبال في هذا وبودها أن تكون مثلك في ثباتك .

قَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّقْصِيَّ

وَحَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ (١)

وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ (٢)

فَلَا غِيضَتْ بِحَارِكَ يَاجُومًا عَلَى عِلَلِ الْفَرَائِبِ وَالِدُّخَالِ (٣)

رَأَيْتَكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالٍ (٤)

فَإِنْ تَقَى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ

فَإِنَّ الْمِسِيكَ بَعْضُ دَمِ الْفَزَالِ (٥)

* * *

(١) الحرب السجال : التي تكون مرة لك ومرة عليك . يقول : مثلك في غنى عن أن يصبر ويعزى ، فقد ألفت الخطوب وتمرت بشدائد الدهر وغمرات الحروب حتى تعودت الصبر وصرت تصبر الناس فصرت في غنى عن أن تصبر :

(٢) شتى جمع شتيت ، بمعنى متفرق . يقول : يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر ، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة ، فحالك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان ، كما قال الآخر :

لَا أُمْسِكُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَتْلَفُهُ وَلَا يُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ

(٣) غاض الماء : قل ونضب ؛ وغيض الماء : فعل به ذلك . والجموم : الذي يزداد ماؤه وقتا بعد وقت ؛ و«على» : بمعنى مع ؛ والظرف : في موضع الحال من فاعل جموما والعلل : الشرب الثاني بعد النهل ؛ والفرائب : الإبل الغريبة التي ترد على الحوض وليست لأهل الحوض . والدخال : أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . يقول - على طريق الدعاء - لا نقصت بحارك يا بحرأ كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه . وهذا تمثيل ؛ يريد لا ينقض عطاؤك وإن كثرت العفاة والسائلون كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثرت وراده ، أو تقول : لا ينقطع صبره على توالي المحن وشدها . يدعوله بذلك

(٤) الهال : الموج ، من قولهم حالت القوس والعصا ونحوهما : إذا اعوجت بعد استواء . أنت بين الملوك كالمستقيم بين الموج : أى أنك تقصاهم فضل للمستقيم على الموج . وقوله في الذين أرى ملوكا : أى في الذين أراهم ملوكا ؛ فلوكا : مفعول ثان لأرى ؛ والمفعول الأول : الضمير المحذوف .

(٥) يقول : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب ، فقد يفضل بعض الناس

وقال يمدحه ويذكر استنفاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حدان العدوي من أسر
الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

إِلَامَ طَمَاعِيَةِ الْمَاذِلِ ، وَلَا رَأَى فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ (١)

جملته ، كالمسك - وهو بعض دم الغزال - وقد فضله فضلا كثيراً . قال الواحدى :
قال أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بالشاعر المغربي : كان سيف الدولة يسر بمن
يحفظ شعر المتنبي ، فأنشدته يوماً :

* رأيتك في الذين أرى ملوكا *

وكان أبو الطيب حاضرا فقلت هذا البيت والذي يتلوه لم يسبق إليه ؛ فقال سيف
الدولة : كذا حدثني الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت ، فأعجب المتنبي
واهتز ، فأردت أن أحرركه ، فقلت إلا أن في أحدهما عيباً في الصنعة ، فالتفت المتنبي
الثقات حق فقال : ما هو ؟ فقلت قولك : مستقيم في محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة ،
وإنما ضدها الاعوجاج ؛ فقال الأمير : هب القصيدة جيمة ، فكيف تعمل في تغيير
قافية البيت الثاني ؟ فقلت عجلاً كرد الطرف :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن البَيْضُ بعضُ دم الدجاج
فضحك ، وضرب يده الأرض ، وقال : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح
أن يباع في سوق الطير ، لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

(١) إلام : هي «إلى» الجارة ، و «ما» الاستفهامية ، وسقطت الألف من « ما »
طلباً للخفة وإعداداً يلى الجارة ، وكذلك يفعلون في : «م» و «فيم» ، و «عم» ،
و «علام» . و «حتام» . والعاذل : اللائم ؛ والواو- في «ولا رأى» حالية . و «الطماعية»
مصدر بمعنى الطمع ، كالسكراهية والعلانية . يقول إلى متى يطمع العاذل في أن أستمع
كلامه والحب يقع اضطراباً لا اختياراً ، والعاقل لا يقع في شرك الحب برأيه واختياره
فلا معنى للوم فيه لأن الحب مغلوب على أمره ؟ وهذا منقول من قول بعضهم :

وما من فتى في الناس يُحَمَّدُ عقله فيوجدُ إلا وهو في الحب أحمقُ

قال العكبري : وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين
قوله في ظاهره : ولا رأى في الحب ، من قوله : إلام طماعية ؟ قال : وفي تعلقه به وجوه
أحدها يريد إلام يطمع عاذلي في إصغائي إلى قوله ، والعاقل إذا أحب ، لم يبق له مع
الحب رأى يصنى به إلى قول ناصح فمهله غير مجد نعماً ؟ والثاني أن العاقل لا يرتضى في

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ ^(١)
 وَإِنِّي لَأَعْشَقُ مِنْ عَشِقِكُمْ نُحُولِي وَكُلَّ أَمْرِيءٍ نَاحِلِ ^(٢)
 وَلَوْ زِلْتُمْ مُمٌّ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيتُ عَلَى حُبِّي الزَّائِلِ ^(٣)
 أَيْنَكِرُ خَدْيَ دُمُوعِي وَقَدْ جَرَتْ مِنْهُ فِي مَسْلَكِ سَابِلِ ^(٤)

الحب فيقع فيه اختياراً ، وإنما يقع اضطراباً ، فلا معنى لعذله ، والثالث أن العاقل ليس من رآه أن يورط نفسه في الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل ؛ وعذله الجاهل أضيع من سراج في الشمس ؛ وكيف يطمع في نزوعه ؟

(١) يقول : يريد العاذل من قلبي أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على حبكم ، فكيف أتقل عن شيء طبع عليه والطبع لا يقبل النقل ؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لَا تَحْسَبْنِي عَنْكُمْ مُقْصِراً إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعٌ

ويروى : ويأبى الطباع ، على أن الطباع مفرد ، بمعنى الطبع ، لا جمع طبع ، وجمعه طبع : ككتاب وكتب .

(٢) يقول : بلغ من عشقي لكم وحيي إياكم أني أحب نحولي فيكم لأن سببه حبكم ، وأحب كل ناحل من الناس في الحب لأنه يشبهني في أثر حبكم . قال ابن جني ، وفيه معنى قول أبي الشيص :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لِذِيذَةٍ حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلُنِي اللَّوْمُ

وهو معنى قول الآخر :

أَحِبُّ لِحَبْلِهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحِبُّ لِأَجْلِهَا سَوْدَ الْكِلَابِ

(٣) زلتُمْ : بعدتم . يقول ، ولو فارقتُموني ولم أبك على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حيي إياكم ، يعني : أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عني الحب لبكيت على فراقه لا غتباطي بما ألاقه في هذا الحب . قال المنكبرى : وقوله ولو زلتُمْ وتعقيبه في آخر البيت بالزائل : من أبواب البديع في الشعر .

(٤) المسلك السابل : الطريق الكثير المارة . يقول : كيف ينكر خدي ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهي تجري منه في طريق مذلل قد جرت فيه كثيراً فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها ؟

أَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ، وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلٍ ^(١)
 وَهَبْتُ السَّلْوَ لِمَنْ لَامَنِي ، وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فِي شَاغِلٍ ^(٢)
 كَانَ الْجُفُونَ عَلَى مُقْلَتِي ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى نَاكِيلٍ ^(٣)
 وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ أَلْهَوَى
 ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلٍ ^(٤)
 فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الذَّابِلِ ^(٥)

(١) يقول : ليس دمعى الآن باول دمع جرى فوق خدى ، وليس حزنى على هذا الفراق بأول حزن على مفارق . يعنى أنه قديم العشق قد بكى كثيرا وحزن على فراق الأحبة .

(٢) يقول : تركت السلو لمن يلومنى على الوجد ، فهو حظه - لا حظى - إذ لى من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللأم .

(٣) الثاكل : التى فقدت ولدها . يقول : تباعد ما بين جفونى سهرا فليست تلتقى النوم ، فكأنها ثياب ثاكل شقت . يعنى : إني فقدتهم وفقدت النوم بعدهم ، فكأن جفونى شقت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن ، وهذا كقوله الآتى :
 قَدْ عَمَّ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانًا

قال العكبرى : شبه مقليته فى حزنهما بتلك الثاكل فى وجدها ، وتبعد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الثاكل الثياب حدادا ، وهذا مما شبه فيه شيثان بشيئين ، وهو من أرفع وجوه البديع . وأخذ المهلبى الوزير هذا المعنى فقال :

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لِمَا صَرَمَنِي فَمَا تَلْتَقَى إِلَّا عَلَى عِبْرَةِ تَجَرِي

(٤) أبو وائل : هو ابن عم سيف الدولة ، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج . يقول : لو كان الذى أسرنى شيثا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل ، إذ ضمن للخارجى الذى أسره مالا حتى خرج من أساره ، وقد بين ذلك فيما لى .

(٥) النضار : الذهب ؛ والقنا الذابل : الرماح ، والرمح يوصف بالذبول لقينه . يقول : ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح ، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء ، إذ أتى الخارجى بجيشه وقتله وأخذ أبا وائل .

وَمَنَّا مُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً فَجِئْنَا بِكُلِّ فِتْنٍ بَاسِلٍ ^(١)
كَانَ خَلَّاصَ أَبِي وَائِلٍ مُّوَادَّةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ ^(٢)
دَعَا فَسَمِعَتْ وَكَمْ سَاكِتٍ عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ ^(٣)
فَلَبَّيْتُهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ لَهُ ضَامِنٌ وَبِهِ كَافِلٍ ^(٤)
خَرَجْنَا مِنَ النَّعْجِ فِي عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَائِلٍ ^(٥)
فَلَمَّا نَشَفْنَا لَعَيْنَ السَّيِّطِ
بِمَثَلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ ^(٦)

(١) مناه الشيء : جعله أمنيّة له ؛ والأمنيّة : ما يتمنى . والمجنوبة : الخيل التي لا تركب وإنما تجنب للحاجة إليها . والباسل : الشجاع . يقول : أعطاهم مناهم فوعدهم أن تقاد إليهم الخيل في فداائه ، فجاءت الخيل ولكن تحمل الفرسان لمحاربتهم .
(٢) أفل القمر : غاب . يقول : كنا بعد أسره كأبنا في ظلمة ، فلما عاد إلينا كان كموادة القمر بعد أفوله .

(٣) يخاطب سيف الدولة . يقول : دعاك لا استنقاذه فأجبتّه ، ولو سكت لما قعدت عنه ولما غفلت ، فكّم ساكت وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حق كأنه قائل يسألك حاجة؟ وبعبارة أخرى : دعاك على بعد محله فأجبتّه على انتزاع مستقره ، ورب ساكت بعده عنك ، كالمخاطب لك ، لما يوجه كرمك من اهتمامك بشأنه ، واعتناك بأمره .

(٤) بك : أى بنفسك : والجحفل : الجيش . يقول : فجعلت إجابته أن أتيتّه بنفسك في جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه .

(٥) النعج : الغبار ؛ والعارض : السحاب ؛ والوايل : المطر الكثير ؛ وخرجنا : أى الخيل . يقول : خرجت الخيل للحرب فكانت من الغبار في سحاب ومن العرق في مطر .

(٦) الصفا : الصخر . والماحل : الذى لم يطر . يقول : لما نشفت الخيل من العرق تلقت السيّاط من أعجازها بمثل الصخر الذى لا ندوة به ، يعنى أنها لم تسترخ ولم تضعف لما لحقها من التعب ، وإنما كانت صلبة تضرب بالسيّاط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل .

شَفَنَ يَحْمَسِ إِلَى مَنْ طَلَبَنَ قُبَيْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلٍ^(١)
فَدَانَتْ مَرَّافِقُهُنَّ الثَّرَى عَلَى ثِقَةٍ بِالدَّمِ الْفَاسِلِ^(٢)
وَمَا بَيْنَ كَاذَتِي الْمُسْتَفِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَتِي الْبَائِلِ^(٣)

(١) يقال شفت الرجل : إذا نظرت إليه بمؤخر عينك ، أو نظرا في إعراض ،
وأنشد الجوهري للقطامي :

يُسَارِقَنَّ الْكَلَامَ إِلَى لَمَّا حَسِسَنَ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ شَفُونٍ
قال : وهو النيور .. والمراد هنا : النظر . يقول : نظرت الخيل إلى أبي وائل -
الذي كانت جادة في طلبه - قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، يعني أن فرسان هذه
الخيل لم يزلوا عن ظهورها خمس ليال حتى بلغوا أبا وائل في ركضة واحدة وأوقعوا
بالقوم الذين أسروه .

(٢) دانت : فاعلت . من الدنو : أى قاربت . والثرى : التراب ؛ يقول فساخت
قوائمها في التراب إلى مراقفها ثقة بأن الدم الذى سيفسكه فرسانها سيفسلها ويزيل
عنها ذلك التراب ، وروى بدل الثرى : البرى ، وهو التراب قال مدرك بن حصن الأسدي
مَاذَا ابْتَفْتُ حُبِّي إِلَى حَلِّ الْعُرَى حَسِبْتَنِي قَدْ جِئْتُ مِنْ وَادِي الْقُرَى
بِفَيْكِ مِنْ سَارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى^(١)

والبرية منه لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز ، تقول براه الله يروه برواً
أى خلقه ؛ وقيل : البرية الخلق ، وأصله المهمز ، يقال براه الله .

(٣) الكاذة : لحم الفخذ ؛ والمستفير : الذى يطلب الغارة . والبائل : الذى
يتفجع - يواعد ما بين رجله - ليول . يقول : إن هذه الخيل للمستفيرة على هؤلاء
الحوارج كانت لشدة العدو - الجرى - تفجع كما يتفجع البائل لثلا يصيبه البول . ويجوز
أن يريد - كما قال الواحدى - أنها تعرق في عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها
كأنها تبول .

(١) يقال في الدعاء على الإنسان بفيه البرى ، كما يقال بفيه التراب ؛ ومن دعائهم .
بفيه البرى ، وحى خيرا ، وشر ما يرى ، فإنه خيسرا

فَلَقَيْنِ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَضُوجَةٍ لَيْنَ الشَّائِلِ (١)
وَجَيْشَ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الْإِمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ (٢)
فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ (٣)
فَلَمَّا بَدَوْتَ لِأَصْحَابِهِ رَأَتْ أَسْدَهَا آكِلَ الْآكِلِ (٤)

(١) الردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح . والمضبوحة : الفرس التي تسقى اللبن صباحاً لكرامتها على أهلها ؛ والشائل : يريد بها الشائلة ، خذف الماء ، وهي الناقة التي قل لبنها وخف ومرؤ ونجع في شاربها ، ولا يسقاه إلا كرائم الخيل ؛ قال ابن القطاع . خذف الماء لإقامة الوزن ، والشائلة . التي مر عليها من وقت نفاجها سبعة أشهر خفف لبنها ، وجمعها شول ، والشائل - بلاهاء - التي تشول بذنبها ولا لبن لها ، وجمعها شول : كرا كع وركع . . قال ابن جني . سألت النبي عن قوله الشائل وقلت له الشائل لا لبن لها ، وإنما التي لها بقية من لبن يقال لها الشائلة بلاهاء ، فقال أردت الماء وحذفتها ، كقول كثير .

لَعَمْرِي لَيْنُ أُمِّ الْحَكِيمِ تَرَحَّلْتُ وَأَخَلْتُ نَحِيَّاتِ الْعُذَيْبِ ظِلَالَهَا
أراد العذبية ، خذف الماء . يقول للنبي : إن خيل سيف الدولة استقبلت من الخارجي بالرماح الردينية وبالحيل التي تسقى لبن النياق صباحاً لكرمها .

(٢) وجيش : عطف على كل - في البيت السابق - والمراد بالإمام : الخارجي . يقول : ولقيت هذه الخيل جيش إمام في قومه صحيح الإمامة عليهم ، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين ... وإنما لكلمة بارعة قوله صحيح الإمامة في الباطل . وقال ابن جني : معناها قد صح أن إمامته باطلة لاشك في ذلك . والتفسير الأول أوجه .

(٣) ينحزن : من الانحياز ، وهو كالانهزام ، الانضمام إلى جانب . والعاسل : الذي يجنى العسل من خلايا النحل . قال شارحو الديوان جميعاً . أى أقبلت خيل الخارجي تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل . وقال اليازجي . أى إن خيل المدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل . يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة ، وهو الأظهر والأوجه .

(٤) يقول ، فلما ظهرت لأصحاب الخارجي رأى شجعانهم منك شجاعاً يأكلهم ويفنيهم ، يعني كنت أشجع منهم وإن كانوا معجلاً

بِضَرْبِ يَمُومٍ جَارٍ لَهُ فِيهِمْ قِسْمَةُ الْعَادِلِ ^(١)
وَطَمَنٍ يُجْمَعُ شَذَائِهِمْ كَمَا اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الْحَافِلِ ^(٢)
إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ ^(٣)
فَظَلَّ يُخَضَّبُ مِنْهَا اللَّحَى فَتَى لَا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ ^(٤)
وَلَا يَسْتَفِيثُ إِلَى نَاصِرٍ وَلَا يَتَضَعُّعُ مِنْ خَاذِلِ ^(٥)
وَلَا يَزَعُ الطَّرْفَ عَنْ مُقَدِّمٍ وَلَا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ ^(٦)

(١) يقول : إن أكلك إيام كان بضرب أتى عليهم جميعاً ، وأنت وإن بالغت في الضرب وأسرفت إسراف الجائر - الظالم - إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل ؛ إذ لم ينفلت منهم أحد ، وهو معنى بديع . وقال ابن جنى : هذا الضرب وإن كان لإفراطه جوراً فهو في الحقيقة عدل لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله ؛ وفي معناه لحبيب :
أَنْ لَسْتَ نِعَمَ الْجَارِ لِلْسُّنَنِ الْأَلَى إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بَشْسَ الْجَارِ ^(١)
(٢) الشذان : للفرقون ؛ والدرة : اللبّ إذا كثرت وسال ؛ والحافل . التي حفلت
ضرعها ؛ أي امتلأ باللبّ . يقول : إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر ، بل
اجتمعوا فيه اجتباع اللبّ في الضرع ، وبعبارة : جمع متفرقهم بشدته وحصرهم بمخافته ،
كجمع الضرع لدرته .

(٣) يقول : إذا نظرت إلى الفارس - وهو أقدر على الفرار من الراجل - تحير
فرعاً منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك ، وأن يذهب ولو ذهاب الواحد من الرجالة .
(٤) الناصل : الذي ذهب خضابه . يقول : فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء
الحام بدمائهم ، غير أنه لا يعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب يعني أنه إذا ضرب
إنساناً بسيفه لم يبق فيه ما يحتاج إلى إعادة الضربة .

(٥) يقول : إنه مستغن بقوته عن نصره فلا يستنصر أحداً مستغنياً إليه ولا يهزج
ولا يستكين من خذلان من يخذله ، لأنه من نفسه الكبيرة في جيش .

(٦) يزع : يكف ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والمقدم : مصدر ، أو اسم مكان ؛
أي عن إقدام أو عن محل إقدام ؛ والطرف : النظر . والهائل الأمر العظيم الخفيف .

(١) بشس الجار : يريد للكفار .

إِذَا طَلَبَ التَّبَلَّ لَمْ يَشَأْ^(١) وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَا طَلَّ^(٢)
 خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَأَعْذِرُوا فَإِنَّ الْغَنِيَّةَ فِي الْعَاجِلِ^(٣)
 وَإِنْ كَانَ أَعْجَبَكُمْ عَامُكُمْ فَعُودُوا إِلَى خِصَصٍ مِنْ قَابِلِ^(٤)
 فَإِنَّ الْحُسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ^(٥)
 يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِي رُمْتُمْ فَلَمْ تَذَرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ^(٦)
 أَمَامَ الْكِتْيَةِ تَزْهَى بِهِ مَكَانَ السَّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ^(٧)

يقول : ولا يكبح فرسه عن إقدام أو عن شيء يقدم عليه ؛ أى لا يخاف شيئاً ولا يخشى أحداً فيرتد ويرجع ، ولا يهوله شيء فيرد طرفه - نظره - عنه .

(١) التبل : الثأر ؛ و«لم يشأ» : لم يسبقه : يقول : إذا طلب ترة - ثأراً - لم تفته وإن كانت ممتعة صعبة الحصول كالدين عند الماطل ؛ وإن طال العهد .

(٢) يستهزئ بهم . يقول : اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبى وائل وخذوه فإن الغنم فيما عجل لكم ، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم . . . والذي أتاكم به هو الواقعة بهم .

(٣) حصص : كانت موضع الواقعة ، ومن قابل : أى العام القابل . يقول : إن كان قد حصل لكم مرادكم في عامكم هذا من قصد حصص فعودوا في السنة التالية ليعود إليكم القتال . . .

(٤) الحسام : السيف القاطع . والخضيب : الخضوب . يقول : فإن السيف الذى خضب بدمائكم وقتلتم به لا يزال فى يد من قتلكم به ، ففى عدتم لقيتم فى المرة الثانية كما لقيتم فى الأولى .

(٥) على السائل : متعلق بـ«يجود» : يقول : هو جواد يجود على سائله بمثل الذى طلبتموه من الضمان فلم تتركوه لأنكم طلبتموه لاعن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان .

(٦) الكتيبة : الجماعة من الجيش ؛ والظرف : حال عن الضمير المستكن فى الخبر بعد - وهو قوله : مكان السنان ، فإنه خبر عن محذوف ، هو ضمير المدحج - وتزهى : تتفخر ؛ والجملة : حال من الكتيبة ؛ والعامل : صدر الرمح . يقول : هو من عساكره

وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالًا بِكُمْ عَلَى بَازِلٍ ^(١)
 أَقَالَ لَهُ اللَّهُ لَا تَلْقَهُمْ بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلٍ ^(٢)
 إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ ^(٣)
 وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِي هَمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ ^(٤)
 بِشُمْرٍ لَلْجِ عَنْ سَاقِهِ وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ ^(٥)

الذين يفتخرون به بمكان السنان من عامل الرمح ، فهو يتقدمهم كما يتقوم السنان الرمح ، وهو الطاعن ، وهم بدونه لا يغنون شيئاً .

(١) البازل من الإبل : الذي قد فطرنا به وظهر في السنة التاسعة ، وجمل بازل وناقة بازل ، بلفظ واحد : وكان الخارجي قد ركب ناقة ، وهو يشير بكفه يحث أصحابه على القتال ، فهو يقول . إني لأعجب ممن يؤمل ظفراً بتحريك كم وركوب ناقة !

(٢) بماض : أى بسيف ماض : أى قاطع ؛ والحائل من الحيل : الذى لم تحمل ، وإذا حالت الفرس فهو أشد لها . يقول : هل أوحى الله سبحانه إليه أن لاتلقى جيش سيف الدولة بسيف على فرس ؟ وقد كان هذا الخارجي يدعى النبوة ويقول : لا آتى إلا ما أمرنى الله به . فقال المتنبي : آله أمره أن لا يأخذ للحرب عدتها ؟

(٣) الهامة : الرأس . وبراهها : قطعها . والكاهل : أعلى مجتمع الكتفين يقول : هل قال الله له لاتلقهم بسيف إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى عظم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه ؟ وجعل ذلك الصوت كالغناء منه كما قال أبو نواس :

إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَّةٌ لَهَا خَطْبُوهُ وَسُطَّ الْغِنَاءُ قَصِيرٌ

« يعنى بالحلية : القيد » فنقل المتنبي وصف القيد إلى السيف .

(٤) يقول : ليس الخارجي بأول من دعتهمته إلى مالائنه ؛ وكان هذا الخارجي يطمع في الخلافة والملك .

(٥) اللج : معظم الماء ؛ والبيت مثل . يقول إن هذا الخارجي فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها ؛ أو أنه في ادعائه النبوة وطعمه بها في الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة - وهو أحد أمراء الإسلام - كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والوج يغمره في ساحله ؛ يعنى أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير .

أَمَّا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيْفٍ دَوَّلَتِهَا الْفَاصِلُ^(١)
يَقْدُ عِدَاهَا بِلَا ضَارِبٍ وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ بِلَا حَامِلٍ^(٢)
تَرَكْتَ جَمَاجِمَهُمْ فِي النَّقَا وَمَا يَتَخَلَّضْنَ لِلنَّاحِلِ^(٣)
فَأَنْبَتَ مِنْهُمْ رَيْعَ السَّبَاعِ فَأَنْتَ بِإِحْسَانِكَ الشَّائِلِ^(٤)
وَعُدْتَ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا كَعَمُودِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ^(٥)
وَمِثْلُ الَّذِي دُشِنَتْ حَافِيَا يُؤَثِّرُ فِي قَدَمِ النَّاعِلِ^(٦)

(١) الفاصل : القاطع ، و يروى : الفاضل ، يقول أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويبقى عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبقى الخلافة ولا سيف لها ؟

(٢) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه . يقول : هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسرى إليهم غير محمول ؛ يعنى إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفرداً بفعله ، وإذا التجأ إلى من يحمله كان مكتفياً بنفسه ؛ والمعنى أنه المستقل بالحماية عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه .

(٣) النقا : الكتيب من الرمل . يقول : دست رءوس أصحاب الخارجى بمخوافر الخيل فطحنها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤوسهم شيء .

(٤) يقول : تركتهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتلى ، فكأنك أنبت لها ريعاً بما وسعت عليها من لحومهم ؛ فلو قدرت السباع لأنفت عليك بما شملتها من إحسانك

(٥) الحلى : جمع حلى ، ما يزين به ؛ والعاطل : الذى لا حلى عليها . يقول : وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلى إلى من لا حلى لها ، أى أن زينة حلب بك .

(٦) الناعل : ذو النعل ، كما أن الدارع ذو الدرع ، وفى المثل : أطرى إنك ناعلة^(١) يقول : إن ما فعلته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب ؛ جعل الخافى مثلاً لمن لم يتأهب والناعل مثلاً للمتأهب .

(١) قال أهل اللغة : هذا المثل يقال فى جلادة الرجل ، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه ؛ وأصل هذا : أن رجلاً قاله لراعية له وكانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى — أى خذى فى أطرار الوادى — وهى نواحيه — فإنك ذات نعلين . قال الجوهري : وأحسبه عنى بالنعلين : غلظ جلد قدمها .

وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَةُ الْأَبْلَقِ الْجَائِلِ ^(١)
 وَيَوْمَ شَرَابٍ بَيْنِهِ الرَّدَى بَغِيضُ الْخُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ ^(٢)
 تَفَكُّ الْعَنَاءِ وَتُنْفِي الْعُقَاةِ وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ ^(٣)
 فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَقِيكَ فِي الْآجِلِ ^(٤)
 فَذِي الدَّارِ أَخُونُ مِنْ مُوسَى وَأَخْذَعُ مِنْ كِفَّةِ الْخَالِلِ ^(٥)

(١) الشية : لون يخالف بقية لون الجلد ؛ والأبلىق : الذى فيه سواد وبياض ؛ والجائل الذى يجول بين الصفتين . يقول : كم لك من خبر انتصار وظفر شاع واشهر اشتهاى الغية فى الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل .

(٢) الواغل : الداخلى على القوم فى شراهم من غير أن يدعى ، أما الذى يدخل على القوم فى طعامهم فهو الوارش . يقول : وكم لك من يوم حمى فيه الوطيس وتعاطى بنوه كؤوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله ، وتكره المشاركة فى ذلك الشراب ، وهذه استعارة جميلة .

(٣) العناء : جمع عان ، الأسير ؛ والعقاة : جمع عاف ، السائل . يقول : ديدنك فك الأسرى ، وإغناء السائلين . والعفو عن المذنبين .

(٤) معطيكه : معطيك إياه ، والآجل : ما قابل العاجل . والآجل فى غير هذا الموضع : من قولهم أجل عليهم شرا يأجله أجلا : خبأه وهيجه ؛ قال توبة ابن مضر العيسى :

وَأَهْلٍ خِبَاءٍ آمَنِينَ لِحَقَّتْهُمْ بِشَىْءٍ عَزِيزٍ عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهُ

وَأَقْبَلْتُ أَسْمَى أَسْأَلَ الْقَوْمَ مَا لَهُمْ سُؤَالُكَ بِالشَّيْءِ الَّذِى أَنْتَ جَاهِلُهُ

د أنا آجله : أى جانيه ؛ وقد كان مريضاً يتضاربون ، فاستغاثه بعضهم على بعض ، فضرب صيباً منهم فمات ، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به ، يدعو للتنبيه له بأن الله الذى أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئاً له وأن يرضى عنه فى الآخرة بسعيه .
 (٥) المومس والمومسة : الفاجرة . والكفة : الحباله ، أى الشرك ؛ والخابل : الصائد ذو الحباله . يقول : إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالومس لا تقيم على خليل ، وهى أخدع من حباله الصائد التى تصرع من اطمأن إليها .

تَفَانَى الرَّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ ^(١)

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة ، لما قصدته معز الدولة الديلمي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال أبو الطيب :

أَعْلَى الْمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ وَالطَّنُّ عِنْدَ مُحِبِّينَ كَالْقَبْلِ ^(٢)
وَمَا تَقَرُّ سِوْفٌ فِي تَمَالِكِهَا حَتَّى تُقْلَقَ دَهْرًا قَبْلُ فِي الْقَلِّ ^(٣)
مِثْلُ الْأَمِيرِ بَنَى أَمْرًا فَقَرَّبَهُ

طُولُ الرَّمَاكِ وَأَيْدِي الْخَنَازِيرِ وَالْإِبِلِ ^(٤)

(١) الطائل : كل شيء يرغب فيه أو مافيه غناء . يقول : تفانى الناس في التشاح على الدنيا ولم يحصلوا على شيء ، لأنها تأخذ ما تعطى ، وتهدم ما تبني وتعر بعد حلاوتها ، وتعوج بعد استقامتها ، قبضها الله وقبح من تهالك عليها .

(٢) الأسل : الرماح . يقول : أعلى الممالك رتبة ما أخذ اقتسارا وغلابا ، لا ما جاء عفوا ، ومن أحب الممالك كان الطعن عنده كالقمل : أي يستلذ الطعن استلذاذ القمل وحجز البيت من قول أبي تمام :

يَسْتَعْذِبُونَ مِنْ أَيَّامِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا
والذي يؤخذ من كلام العكبري أن الضمير في محبين للطعن — على أنه جمع طعنة وإلا لقال عند محبيه ؛ والأظهر عوده إلى المالك — جمع مملكة — سلطان الملك في رعيته .

(٣) تقلقل : تحرك حركة عنيفة ؛ والقمل : جمع قلة ، أعلى الرأس ؛ من قلة الجبل يقول : لا تستقر السيوف في الممالك حتى تتحرك زمانا في رهوس الأعداء ، يريد لا يثبت لك الملك حتى تقطع رهوس المعادين لك . قال العكبري : وأشار بذلك إلى انصرف الديلمي عن الموصل بغير حرب هية لسيف الدولة ، قال : وفيه نظر إلى قول حبيب :

سَأَجْهَدُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَإِنِّي أَرَى الْعَفْوَلَا يُتِمَّاحُ إِلَّا مِنَ الْجَهْدِ

ونصب دهرًا على الظرفية ورفع قبل لأنه لما قطع عن الإضافة بناء على الضم .

(٤) يقول : مثلك إذا حاول أمرا بعيد النال قربته عليه الرماح وأيدي الخيل والمطايا يعني أنه لا يتعذر عليه أمر طلبه لأنه يتمكن منه بماله من العدة والاعتزام الذي ذكره في البيت التالي .

وَعَزْمَةٌ بِمَقْتَنَاهَا هِمَّةٌ زُحَلٌ

مِنْ تَخْتِهَا بِمَكَانِ التَّزْبِ مِنْ زُحَلٍ ^(١)
 عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوْحُشٌ لِمُلْتَقَى النَّصْرِ مُقْتَبِلٍ ^(٢)
 تَتْلُو أَسِنَّتُهُ الْكُتُبَ الَّتِي نَفَذَتْ وَتَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالًا مِنَ الرُّسُلِ ^(٣)
 يَلْقَى الْمُلُوكَ فَلَا يَلْقَى سِوَى جَزَرٍ وَمَا أَعْدُوا فَلَا يَلْقَى سِوَى نَفْلِ ^(٤)
 صَانِ الْحَلِيمَةِ بِالْأَبْطَالِ مُهْجَتُهُ صِيَانَةُ الذِّكْرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخَلَلِ ^(٥)

(١) عزمة : عطف على طول الرماح ؛ وزحل : مبتدأ ؛ خبره : بمكان الترب ؛
 والجملة : نعت همة . يقول : وقربها عليه عزمة حركتها همة تملو على زحل - الكوكب
 المعروف - بقدر علو زحل عن التراب .

(٢) الأعاصير : جمع إعصار ، الريح تلتف بالفبار وتعلو مستطيلة ؛ والتوحش :
 بمعنى الوحشة . ويريد يلقى النصر : سيف الدولة ؛ أى يلقى النصر حيثما قصد : أى
 يستقبل به : ومقتبل : قال الواحدى : أى حسن تقبله العيون ، وقيل من قولهم رجل
 مقتبل الشباب : أى ليس عليه للكبر أثر . يقول : على الفرات - النهر المعروف - رياح
 تثير الفبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفي حلب وحشة لأنك بعدت عنها .

(٣) تلو : تتبع ؛ ونفذت : مضت ، والأبدال : جمع بدل . يقول : إن رماحه
 تتبع كتبه إلى أعدائه فهو يندرم أولا ، فإن لم يطعموه صد إليهم بجيوشه ، ويجعل الخيل
 بدلا من الرسل : أى لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه ، فليست كتبه لاستصلاح أو
 استعاب وإنما هى للإعلام بأنه قادم ، لأنه لا يحب الظفر اغتيا لا قموارة لثقتة بنفسه
 وهذا من قول الفرزدق :

شديدُ الحَيَا لَا يَخَاتِلُ قِرْنَهُ وَلَكِنَّهُ بِالصَّحَصَحَانِ يَنَازِلُهُ

وقول صريع الغواني :

مَنْ كَانَ يَخْتَلُ قِرْنًا عِنْدَ مَوْقِفِهِ فَإِنْ قَرْنَ عَلَى غَيْرٍ مَخْتَلٍ

(٤) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال تركوهم جزرا : إذا قتلوهم ؛ وما أعدوا
 عطف على الملوك . والنفل : الغنيمة يقول : إنه يلقى الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم
 ويجيوشهم ، فلا يكونون إلا مأكلا للسباع ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه .
 (٥) الضمير فى مهجته : لسيف الدولة ؛ والذكر : من أوصاف السيف ؛ والهندي

الْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكْ وَلَمْ يُقَلْ^(١)
وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ضَوْءُ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالطُّفْلِ^(٢)
أَلْجَوْ أَضْيَقُ مَا لَقَاهُ سَاطِعُهَا وَمُقَلَّةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِّ^(٣)
يُنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَازِرَةٌ فَمَا تَقَابَلُهُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ^(٤)

السيف ؛ والخلل أغشية الأغمد يقول : إن الخليفة أكرمه فصانه بما وجه إليه من
من الأبطال والرجال كما يسان السيف الهندي بالخلل . وعبارة العكبرى : لما علم الخليفة
أنه سيفه الذي يسطوبه صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم في رسمه والحماة الذين اختارهم
لحفظه ، كما يسان السيف الكريم بالأغمد التي يتخلل فيها ، والجفون التي يحفظ بها ؛
وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيه بسيف الدولة .

(١) يقول : إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد آتى به بكراً
ويكون أبا عذرة ذلك الفعل ، ويقول ما لم يقله أحد في بلاغته وجزالته ولم يترك أيضاً
لأن كل بليغ يريد أن يأتي بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه . قال العكبرى : من
روى الفعل ؛ بالنصب أراد : يفعل الفعل ويقول القول ، لأن اسم الفاعل يعمل عمل
الفعل ؛ ومن روى بالجزم جملة مضافا : كقوله تعالى « والمقيمي الصلاة » .

(٢) غاله بقوله : ذهب به ؛ وأصله الإهلاك ، والمعجاجة : الغبرة ؛ والطفل : وقت
غروب الشمس . يقول : يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذي يستر ضوء الشمس
بضائه حتى يصير الظهر كوقت الطفل ؛ وهذا إشارة إلى كثرة جيشه .

(٣) الساطع : المنتشر ؛ والضمير المضاف إليه : للمعجاجة . يقول : إن ماسطح من
غبار هذا الجيش ملائكل فضاء ، فكان الجو أضيق شيء به ، لأنه على سعته ملائكل حتى
ساوى أضيق ما فيه ، وكانت عين الشمس فيه أحير العيون ، لأنه بلغ إليها وأحاط بها ؛
وكل هذا مبالغة . وعبارة العكبرى : ما بعد من الهواء أضيق بساطع هذا الغبار بما
قرب ، لأنه فيه تجتمع جملة وتتراقى كثرته ، وما قرب فإنما يرد الشيء بعد الشيء
فينجلى منه ولا يجتمع ، وعين الشمس أحير العيون بقربها من مستقره ودنوها
من مجتمعه

(٤) يقول : إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهي ترى ذلك لما تقابله إلا
على خوف أن ينالها أيضاً لو قصدتها ، لأنها ترى أنه مظفر يدرك ما يقصده . وقال
نص الشراح : يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع

قَدْ عَرَضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
وَذَا هَرَّ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغَيْلِ ^(١)
وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَأُنْكَشَفَتْ لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ ^(٢)
هُوَ الشَّجَاعُ يَمُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبِّهِ وَهُوَ الْجَوَادُ يَمُدُّ الْجُبْنَ مِنْ بَحْلِ ^(٣)

موضعها وهى ناظرة إليه غير مساوية فى الارتفاع له فتقابلة وجلة من ذهابه بنورها ، وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته .

(١) عرضه : جعله معترضا ؛ والنازلات : النواب ؛ ويقال ظاهر بين ثوبين : إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، وأصله المعاونة . والغيل : جمع غيلة ، اسم من الاعتيال ؛ يقال قتل فلان غيلة : أى اغتبالا . يقول : جعل سيفه معترضا بينه وبين نواب الدهر فلا تصل إليه واستعان بالحزم فى دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزا بينهما . أى تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، أى جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلا بين نفسه وبين الهلاك .

(٢) يقول : إنه وكل صادق ظنه بما ينطوى عليه الناس جميعا ويخفونه دونه ، فلم ما أسروه وانكشف له ما أضمروه ؛ يعنى أنه ألمى صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(٣) يقول : هو شجاع غير بخيل ، لأن الشجاع يعد البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لا يجبن ، وهو جواد غير جبان ، لأن الجواد يعد الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن البخل بالروح ، والجواد لا يبخل ، وإذن هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان : أى أن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان ، وهذا من قول أبى تمام :

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي وَغَى وَنَدَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا
يَقْرِى مُرَجِّهَ مُشَاشَةِ مَالِهِ وَشَبَا الْأَسِنَّةِ ثُفْرَةَ وَوَرِيدَا ^(١)
أَيَقْنَتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاكِ شَجَاعَةً تَذِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جَوَادَا

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ؛ والثفرة : نقرة النحر ،

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرِ مُفْتَخِرٍ وَقَدْ أَغْذَى إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ ^(١)
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُقِيَّتَهُ وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعُهُ مُنْهَجَةَ الْبَطَلِ ^(٢)
إِذَا خَلَّتْ عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلَلًا وَجَدَتْهَا مِنْهُ فِي أَهْبَى مِنَ الْحُلَلِ ^(٣)

وعبارة ابن الإفليل : يريد أنه الشجاع المتناهي الشجاعة ؛ فالبخل عنده باب من الجبن لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله وهو الجواد المتناهي الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد ، وهذا منقول من قول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ الجبن من بخلٍ وباسلٍ بخله يعتدُّ جُبْنًا
يلقى العفاء بما يَرَجُونَ من أملٍ قبل السؤال ولا ينبغي به ثمنا
وقد بين صريح القوافي أن الشجاعة جود بالنفس في قوله :

يَجُودُ بِالنَفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
(١) أغذى : أسرع في السير ؛ واحتفل بالأمر : اهتم . يقول : كثرت فتوحه وتوالت ومن ثم لا يفتخر بها ، إذا سار إلى بلد يفتحه سار غير مبال لثقلته بقوته وشجاعته ؛ وعبارة المكبرى : هو يفتح الفتوح العظيمة فلا يفتخر بها ويسرع إليها ، ولا يحتفل لها . استقلالاً لعظيم ما يفعله وارتفاعاً عن نهب من يقصده . قال ابن جني : فإن قيل كيف يكون مغذاً غير محتفل ، فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه ، وإن كان محتفلاً عند غيره ، لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده .

(٢) أجار عليه : منعه مما يطلبه . قال تعالى : «وَهُوَ يَجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ» أى لا يمنع مما يريد . يقول : إذا رام المدح شيئاً لا يجيره عليه الدهر ولا يحبه منه ، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه ، ولا يعصمه من الهلاك إذا أَرَادَهُ كَانَ مَا كَانَ من البطولة . أو تقول : إذا تحصن قرنه بالدرع لم يمتنع بها .

(٣) خلعت : روى جعلت . يريد أن يقول : إذا مدحته تزين مدحى به أكثر مما يتزين هو بمدحى . فضرب لهذا المعنى مثلاً فقال : إذا ألبست عرضه حلاً وجدت تلك الحلال من عرض المدح في شيء أحسن من الحلال : أى أن عرضه أحسن من الحلال ، وهذا من قول أبي تمام :

بَذَى الْفَبَاوَةَ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ كَمَا تُضِرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَمَلِ ^(١)
لَقَدْ رَأَتْ كُلَّ عَيْنٍ مِنْكَ مَا لَهَا وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَ الدُّوَلِ ^(٢)
فَمَا تُكْشِفُكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ مَلِكٍ مِنْ الْخُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلٍ ^(٣)
وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ ^(٤)

ولم أمدحك تفغيا لشعري واسكني مدحتك المديحا
والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والحلل : جمع حلة ، الثياب . قالوا : ولا
تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين ، أو إزارا ورداء .
(١) الجمل : ضرب من الخنافس . شبه شعره بالورد ، وحاسده بالجمل . يقول :
إذا أنشد الجاهل شعري تضرر به ، لأنه لا يعرفه ويغظه ذلك ، فيظهر عليه من أثر
الجهل والغيظ ما يظهر على الجمل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل ؛ وعبارة
العكبري : إذا أنشد شعري بعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك في نفسه ، وانكشف له
قدر قصيره ، واستضر بحسن قولي وبديع شعري كما يستضر الجمل برائحة الورد التي
تؤذيه وتقتله لمصادته لها . يعني إنما يعرف شعري وجودته وجوهره من هو صحيح
الفكر ، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجمل ، وإن كان مستلذا في الحقيقة .
قال : وهذا من قول الحكيم : الألفاظ المنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو إحساسهم عنها .
(٢) يقال : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء ، خيرة : مؤنث خير ، بمعنى
أفضل ؛ أنثوها بالناء تشبيها لها بالوصف المحض لفارقها صيغة التفضيل ؛ وجربت :
يروي وجردت . يقول : أنت ملء كل عين بهيتك وبهائك وأنت خير سيف لخير
دولة ، يعني دولة الإسلام .

(٣) كشفه عن كذا : أكرهه على إظهاره . يقول : لا أمل للحرب وإن طالت ، لأنك
ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام أن تحملك على الملل من الحروب ،
ولا تزل في رأي ، فقد أوتيت السداد في التدبير حتى لا يفضى بك رأي إلى زلل .
(١) يقول : كم جمع الأعداء لك جموعا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفى عن الأبصار
حتى كأنهم رجال بلا أرض ، قفتلهم وأفنيتم حتى خليت أرضهم بقيت ولا رجل فيها ؛
قال العكبري : وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب في صفة الجيش :
ملاً للملا عصباً فكاد بأن يرى لا خلف فيه ولا له قدام

مَا زَالَ طَرَفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ .
 حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ (١)
 يَأْمَنُ بِسَيْرِ وَحُكْمِ النَّاطِرِينَ لَهُ فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمِ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ (٢)
 إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَأَعْلُهُ وَقُمْتَ مُرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ (٣)
 أَجْرُ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ تُجْرِيهَا وَخُذْ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأُولِ (٤)
 يَنْظُرُونَ مِنْ مَقَلٍ أَدْمَى أَحْبَبَهَا قَرَعُ الْفَوَارِسِ بِالنَّسَالَةِ الذُّبُلِ (٥)

(١) الطرف : الفرس الكريم ؛ والثل : السكران يقول : مازلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشى السكران : أى أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى مشى السكران .

(٢) الناظران : العيان ، والجذل : الفرح : يقول : إنه ملك لا يرد عن شيء ، فما حكمت به عيناه استحسانا فهو له : أى ما يريد به مما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد ، ولقلبه ما يحكم به مما يسر : أى إذا نعى قلبه شيئا وصل إليه لا يحول دونه حائل . وقال ابن الإفيلي : وله حكم ناظريه أن لا يريهما إليه إلا ما يسره ، وحكم نفسه أن لا يعرفه إله إلا ما يفرحها من نصر وظفر بالأعداء . . . قال الواحدى : الحكم - ههنا - اسم للمفعول ، لا للفعل ؛ فإن الناس مستوون فى أفعال نواظريهم ، وإنما يختلفون فى المحكوم به . يقول : ما حكم به ناظرك استحسانا فهو لك لا يعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

(٣) وقفت : دعاء . يقول : أنت مسعود فيما تفعله : أقمت أو ارتحلت ، قال العسكري يشير بهذا إلى ارتحال الديلمى عن الموصل . يقول : إن الذى فعله الله لك من المواعدة التى اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة .

(٤) يقول : عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجربها من قصدك الأعداء والسير إليهم ، وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى قال العسكري : وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة ، فقال له أجر خيلك على ما كنت تجربها ، أولا من غزو الروم وحماية الثغور ، فقد كفالك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمى ، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك ، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد

(٥) ينظرون : أى الجياد : ولأحبة : جمع حجاج ، وهو العظم فوق العين .

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى أَمَلٍ^(١)

* * *

وقال يرثى أبا الميجاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب ، وقد توفى بميفارقين في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بَكَ فِي الرَّمْلِ
وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَلِكَ الَّذِي يُبْلِي^(٢)
كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِي بِي وَخِيفَتُهُ

إِذَا عِشْتَ فَأَخَّرْتَ الْحَمَامَ عَلَى الشُّكْلِ^(٣)
تَرَكْتَ خُدُودَ الْفَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا
دُمُوعٌ تُذِيبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ^(٤)

والعسالة : الرماح تهتز وتضطرب ؛ والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد أدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرماح : أى إن الرماح لا تقع إلا في مقاديعها ، لأنها لا تنتهي حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها ، قال العكبري يشير بذلك إلى ما حضره عليه من غزو الروم وحماية الثغور ، وأن خيله قد ألت ذلك^(١) يدعو له يقول : لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك ، ولا وصلت بها إلا إلى ما تؤمله من الغلبة والظفر

(٢) يقول : بنا منك ونحن فوق الأرض الذي بك وأنت فيها ، يعنى أننا أموات حزناً عليك ، كما أنك ميت في الأرض ، فإن هذا الحزن يضني ويهزل مثل اللوت الذي يبلى الإنسان ؛ وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى مليكا :

يَا مَلِكُ إِنْ كُنْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ بِأَلِيَّةٍ فَإِنِّي فَوْقَهَا بِأَلٍ مِنَ الْحَزَنِ
(٣) الحمام : اللوت ؛ والشكل : فقد الحبيب . يقول : كأنك أبصرت ما بي من الوجد بك والحزن عليك خفت أن تبلى بمثله لو عشت وفقدت حبيباً عزيزاً عليك ، فأخترت اللوت على فقد الأعرزة والحزن عليهم

(٤) الفانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسبها عن السحسين ، والأعين النجل الواسعة الحسنه يقول : تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة هلك

تَبْلُ الثَّرَى سُدّاً مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْراً عَلَى الشَّعْرِ الْجَمَلِ (١)
فَإِنْ تَكَ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَى
وَلَا تَكَ تَكَ طِفْلاً فَأَلْأَسَى لَيْسَ بِالطِّفْلِ (٢)

تذهب بحسن العيون ؛ قال الواحدى : وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين ، ويزيل
حسنها ، كما قال :

أليس يضرُّ العينَ أن يكثرَ البُكا وَيَمْنَعَ عنها نومُها وهُجُودُها
وإنما قال «تذيب» ولم يقل «تزيل» لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئاً فشيئاً ،
كان استعارة الإذابة لثله أحسن ، وأيضاً لما كان الذوب في معنى السيلان والدمع سائل ،
كان كأن الحسن سال معه ، وهناك قولان آخران : أحدهما أن الحزن يحمى الدمع
ويسخنه وسخونة الدمع تذيب شحمة اللقطة ، فتذيب حسنها ، والثاني أن الحسن عرض
لا يقبل الإذابة يقول : هذه الدموع تذيب ما لا يقبل الإذابة ، فكيف ما يقبلها ؟

(١) الثرى : التراب ، ومن المسك : تعليل ، والجميل : الكفيف يقول : إن هذه
الدموع تصل إلى الأرض قبلها وهى سود لا تمازجها بالمسك وحده لأن الغايات لا
يكتسطن لأجل المصيبة ، ولأن كحل أعينهم يغنيهم عن التكحل ، وقد استعملن المسك
قبل المصيبة فبقى في شعورهن ، والكحل لا يبقى طويلاً ، وهذه الدموع قطرت وهى
حمر لا تمازجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سوداً ، وإنما قطرت على الشعر
لأنهن نشرن الشعور وهى كثيرة ، وفيها مسك ، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها ،
وهذا من قول أبى نواس :

وقد غلبتها عبْرَةٌ فدموعها على خدّها حُمْرٌ وَفى نحرِها صُفْرٌ

جعلها صفراً على النحر لأنها اختلطت بالطيب الذى فيه الزعفران

(٢) الأسى : الحزن ، يقول : إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب ، وإن
كنت طفلاً صغيراً فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزء بك ليس باليسير . ومعنى المصراع
الأول من قول أبى تمام :

لها منزلٌ تحت الثرى وعهدتها لها منزلٌ بين الجوانح والقلب

والثانى من قول الآخر :

إن تكن مُتَّ صَغيراً فالأسى غيرُ صَغيرٍ

وَمِنْكَ لَا يُبْكَى عَلَى قَدَرٍ سِنَّهٗ وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَصْلِ^(١)
 أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ^(٢)
 بِمَوْلُودِهِمْ صَنَتُ اللَّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنْ فِي أَعْطَافِهِ مَنَطِقَ الْفَضْلِ^(٣)
 تُسَلِّمُهُمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مُصَابِهِمْ وَيَسْغُلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ^(٤)

(١) المخيلة - هنا - الفراسة ، وهى فى الأصل : السحابة التى يرمى مطرها
 يقول : ليس البكاء عليك على قدر سنك لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط
 البكاء عليك ، وإنما تبكى على قدر أصلك ، إذ أنت من أصل كبير ، وعلى قدر الفراسة
 فيك ، إذ كنا تنفرس فيك الملك ، فلماذا يكثر البكاء عليك

(٢) الاستفهام : للتقرير ؛ والألى : بمعنى الدين . يقول - مخاطبا الميت - أنت من
 القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، ونداهم من رماحهم ، والبخل من قتلاهم : أى أنت
 من القوم الذين أفنوا البخل بمجودهم ، فاستعار للبخل مهجة وجعل جودهم بمنزلة رماح
 تطعن بها مهجة البخل ، وهذا من قول أبى تمام :

وإن أزمات الدهر حلت بمعشرٍ أريقت دماء المخل فيها فطلت^(١)
 وقال ابن الرومى :

وما فى الأرض أسمى من شجاع وإن أعطى القليل من النوال
 وذاك لأنه يُعطيك بما تنى عليه أطراف العوال

(٣) الأعطاف : جمع العطف ، وهو الجانب . يقول : إن صبي هؤلاء القوم كغيره
 من الأطفال لا ينطق ، شأن كل طفل ، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل فى أعطافه
 ناطقا ، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة :

(٤) المصاب : مصدر ، بمعنى الإصابة . يقول : إن معاليهم تعزيمهم عما يصيبهم ، فهم
 يترفعون عن الجزع الذى هو شغشة النفوس الوضيعة ، أما من نبذ قدره ؛ وارتقت فى
 المعالى حمته ؛ فإنه يتسل بالعالى عن الجزع والملمع ، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله
 عن الشغل بما عدا ذلك . والعلواء - : بفتح العين والد . أما بضم العين فهى مقصورة .

(١) المخل : الجذب ، ويقال طل دمه : أى أهدر .

أَقْلُ بِلَاءٍ بِالرَّزَايَا مِنَ الْقَفَا وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجُحْلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ^(١)
عَزَاءُكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ^(٢)
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ^(٣)

(١) أقل : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هم أقل بلاء ؛ والبلاء : فعال من اللبالة ؛ والرزايا : جمع رزية ، المصيبة ؛ والقنا : الرماح . وأقدم : أى أشد إقداماً ، استعمل : أفضل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن ، أو تقول إنها من قدم يقدم إذا تقدم ؛ قال حسان بن ثابت :

كَلَامُهَا حَلْبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي بَرْجَاجَةً أَرْخَاها لِلْمَفْصِلِ^(١)
أراد أشد إرخاء . والجعلل : الجيش العظيم . يقول : هم لا يبالون بما يصيبهم من الرزايا كما لا يبالى بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا ، والقنا جماد ، والجماد لا يوصف باللبالة — وهم أشد إقداماً لدى الوغى من السهام للرسلة التى تأبى إلا التقدم وبعبارة أخرى : إذا أصابهم مصيبة لم يبالوا بها ، كأنهم لشدة تجلدهم لا يشعرون بها ، فهم فى ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تبالى بما يصيبها ، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش العدو لم يرد وجوههم شيء ؛ كالنبل إذا انطلق فإنه لا يقف دون غايته .
(٢) الفصل : حديدة السيف . يقول : الزم عزاءك أو تعز عزاءك الذى يقتدى به الناس فيتعلمون منه التعزى ، لأنك قد تعودت الشدائد ، لأنك سيف والسيف شيمته التمرس بالحروب وعدم اللبالة بمقارعة الحديد . فقوله عزاءك : منصوب على الإغراء ؛ أى الزم عزاءك ؛ أو بفعل مضمر تقديره تعز عزاءك ؛ وللمقتدى به فى موضع نصب صفة لـ «عزاءك» والضمير فى «به» للعزاء .

(٣) مقيم : إما صفة لنصل — فى البيت السابق — أو خبر مبتدأ محذوف . أى أنت مقيم . والهيحاء : من أسماء الحرب ، والصوارم : السيوف القواطع . يقول : أنت مقيم فى كل منزل من منازل الحرب تأنس بها ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين السيوف كنت فى أهلك ، وهذا من قول أبى تمام :

(١) قبله :

إِنِ التَّى نَاوَلْتَنِ فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ
فقوله كَلَامُهَا : أى التى قتل — أى مزجت بالماء — والتى لم تقتل — أى لم تعزج وأرخاها للمفصل : أى التى لم تمزج — أى الصرف .

وَلَمْ أَرِ أَعَصَى مِنْكَ لِاحْزَنِ عِبْرَةٍ
وَأَثْبَتَ عَقْلًا وَالْقُلُوبُ بِلَا عَقْلِ^(١)
تَخُوفُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ
وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ^(٢)
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْخَوَادِثِ صَبْرُهُ
وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفَرَنْدُ عَلَى الصَّقْلِ^(٣)
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةً
فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلَى^(٤)

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلَهُ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

لَتَعْلَمَ أَنَّ الْفَرَّ مِنْ آلٍ مُضْعَبٍ
غَدَاةَ الْوَسْغَى آلُ الْوَسْغَى وَأَقَارِبُهُ

(١) يقول : لم أر أحداً غيرك لا يطيع دمة الحزن ، ولا أثبت عقلاً منك حين تخلو القلوب من العقول ، يعنى عند شدة الفزع وهول الحروب ؛ يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش في الحروب . وعبرة : أى دمة ، تميز .

(٢) السليل : الولد ؛ والأُنثى : سلية ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : السلية بنت الرجل من صلبه ؛ وقالت هند بنت النعمان :

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ
سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ^(١)

والرجل : جمع راجل ، وهم المشاة . يقول : متعجباً — : إن المنايا تخونه في ولده فتخرمه فلا يستطيع لها دفاعاً ولكنها تنصره في الحرب وتنفذ مراده في أعدائه ، وفي هذا إشارة إلى أن الموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يصعّم منه رفعة ولا سلطان وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد :

أَلَمْ تَتَعْجَبْ لَهُ أَنَّ الْمَنَايَا
فَتَكُنْ بِهِ وَهْنٌ لَهُ جُنُودٌ

(٣) الفرند : جوهر السيف وماؤه ؛ ويبدو : أى الصبر . يقول : إن صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل ؛ جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف ؛ والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع - الصدأ - ظهر فرنده ، كذلك هو ؛ إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره .

(٤) يقول : من كانت نفسه حرة كريمة كنفسك أغتته عن تعزية غيره وأسلته عن

(١) تجلّلها : علاها ؛ وقوله بغل : قال بعضهم إنه تصحيف ؛ والصواب : نعل - بالنون - وهو الحسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل .

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْمَى بِلَا رَجُلٍ ^(١)
 يَرُدُّ أَبُو الشَّبْلِ أَخْلَمِيْسَ عَنْ ابْنِهِ وَيُسَلِّمُهُ عِنْدَ الْوِلَادَةِ لِلنَّمْلِ ^(٢)
 بِنَفْسِي وَلَيْدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لَا تُطَرِّقُ بِالْحَمْلِ ^(٣)

مصيبته لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو في دهره من الحوادث ؛ ومن عرف هذا ووطن نفسه على فقد الأعبة .

(١) يقول : ليس الموت إلا سارقا ، يد أنه ليس كسائر السراق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسمى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه ، وإنما هو سارق دق شخصه — أى لا شخص له — يصول دون كف يظهرها ، ويسمى دون رجل ينقلها ، فلا يدري كيف يأتي ، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد : ومن ثم لا سبيل إلى الاحتراس منه

(٢) الشبل : ولد الأسد ، وأخليس : الجيش ، يقال : إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه . يقول : إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفاعا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل ، وإنما يسلمه له ، فهو يحمي ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقير اليسير ، وهذا مثل . يقول : إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده ، مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولا سلاح ، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيما ، ولكن لا مدفع للموت

(٣) الوليد : المولود ، وطرقت المرأة والناقة وكل حامل : نشب ولدها في بطنها ولم يسهل خروجه : قال أوس بن حجر :

لَهَا صَرَخَةٌ ثُمَّ إِنْكَاتَةٌ كَمَا طَرَقَتْ بِنَفَاسٍ بِكْرُ

يقول : أفدى بنفسى مولوداً صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم — وهى الأرض لا تطرق بالحمل . قال الواحدى : وإنما قال لا تطرق لأنها إما جماد لا توصف بالتطريق وإن كانت تسمى أما ، لكون الأموات فى بطنها ، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطنها بسهولة وسرعة ، كما قال عز من قائل : فإِذَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فإذا هم بالساهرة ، وفسر قوم هذا البيت على المكس ، قالوا : معنى لا تطرق بالحمل : لا تخرج الولد من بطنها ، والتطريق : إظهار الطريق — من قولهم طرق طرق : أى خل

بَدَا وَلَهُ وَغَدُ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غَلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِّ (١)
وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُمُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)
وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْقَدُورِ وَمَا مَشَى

وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغَلَّى (٣)
أَيْفَطْمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ (٤)
وَقَبْلَ بَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتُهُ وَيَسْمَعُ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَذْلِ (٥)

الطريق — يقول : فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها ، ثم قال : إن للتنبي كان لا يقول بالبعث ، وليس بوجه .

(١) الروى — بكسر الراء — مصدر روى من الماء ، يقال ماء روى — بالكسر والقصر — ورواء — بالفتح والد — أى كثير مرو . والغلة : العطش . يقول : ظهر هذا الوليد وشماله واعدة بالخير وعد السحاب بالرى ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديب إذا أخطأه رى السحاب .

(٢) الخيل العتاق : الكرام ، والركاب : ما توضع فيه الرجل من السرج . يقول : صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل .

(٣) ريع : أخيف وجاشت القدر : غلت وهاجت ، والضروس : الشديدة العض ، وما مشى ، وما تغلى : حالان . يقول : إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبي في المهد لم يمش بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم ، وقوله وما تغلى — أى الحرب — تنبيه إلى أن الحرب قامت معنى لاصورة ، وذلك المعنى هو الخوف ومن روى « يغلى » أراد : جاشت الحرب ، ولم يغل الطفل حنقا عليهم ، ومن روى يغلى — بالغاء — فهو من فليت رأسه بالسيف : أى ضربته . أى قبل أن يضرب الطفل بالسيف ، ويروى يغلى : أى لم يبلغ حد القلى والبغض لأعدائه .

(٤) التوراب : لغة في التراب ، والفظام : منع الصبي من الرضاع . وهذا استفهام إنكار وتوبيخ . يقول : أيفطمه التراب عن أمه بأشماله عليه قبل أن تظلمه أمه ، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل ؟ قال أشجع السامى :

فَطَمْتُكَ الْمَنُونُ قَبْلَ الْفِطَامِ وَاحْتَوَاكَ النُّقْصَانُ قَبْلَ التَّمَامِ

(٥) وقبل برى : أراد قبل أن يرى . يقول — مخاطباً أباه — : مات قبل أن

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السَّلْمِ وَالْوَعَى ، وَيُمْنِي كَمَا تُمْنِي مَلِيكَاً يَلَا مِثْلَ^(١)
تَوَلِيهِ أَوْسَاطَ الْبِلَادِ رِمَاحَهُ ، وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ^(٢)
نَبْكَى لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ

تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَوْهَبٍ جَزَلِ^(٣)
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ

تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبٌ مِنَ الْقَتْلِ^(٤)

يرى من جوده ما رأيته أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية ؛ وقبل أن يلام في الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما أعرضت .

(١) السلم : المسألة ؛ والصلح يذكر ويؤث ، ويفتح السين وكسرهما ، والوعى : الحرب . يقول : وقبل أن يلقي ما تلقاه أنت من ارتناع الشأن وعظم السلطان في السلم ، ومن ثمرة الظفر في الحرب ، وقبل أن يصير مثلك ملكاً لا نظير له .

(٢) توليه : ضفة مليكاً . يقول : وقبل أن يتملك البلاد قسراً فيقتصبها برماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل . يعنى أنه يتولاها قوة واقتساراً بنفسه ، لا تولية من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل .

(٣) الموهب - كالموهبة - العطية ، والجزل : الكثير . يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غناؤه من الباكي يقول : نبكى على موتانا ونأسف لفراقهم ونحن نعلم أنه لم يفهم من الدنيا شيء يرغب فيه أو عطاء وافر يستغنى بإحرازه ، يعنى أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شيء له خطر .

(٤) يقول : إذا ألقيت بالكَ إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك في الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقليباته وتأثيره في الإنسان كفعل السيف ، ومن ثم كان الموت الذي ينتهى إليه الإنسان ضرباً من القتل ، ومن أجل ذلك لا يحمل بالمرء أن يفتر بالبقاء ، ويطمئن إلى هذه الدنيا ، كما قال في آخر القصيدة «وما الدهر إلخ» وعبرة الشراح : إذا ما تأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذى يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان في مكروهما ، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره ؟ فهذا يوجب الزهد في الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الاسف عليها ؛ وبعبارة أخرى : إذا تأملت نوائب الدهر المهلكة لأهله علمت أن الموت بها ضرب من القتل ؛ إذ المصير في الحالين واحد ، وهو فوات الروح ، كما قال الآخر :

هَلِ الْوَلَدُ الْمَحْبُوبُ إِلَّا تَعْلَةٌ ، وَهَلْ خَلْوَةٌ أَحْسَنَاءُ إِلَّا أَدَى الْبَغْلِ (١)
وَقَدْ ذُقْتُ خَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصَّبَا ، فَلَا تَحْسَبْنِي قُلْتُ مَا قُلْتُمْ عَنْ جَهْلٍ (٢)

إذا بَلَ مِنْ دَاهٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجْمًا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ
قال الواحدى : الداء الذى هو قاتله : الموت ، لأنه محتوم على كل أحد ، فجعل
الموت قاتلا . أقول : ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر « وبه الداء الذى
هو قاتله » البقاء الذى ينتهى به إلى الشيخوخة ، ثم الموت ؛ وهو معنى ينظر إلى ما جاء فى
الحديث « كفى بالسلامة داء » وفى معنى هذا الحديث يقول حميد بن ثور :
أرى بصرى قد رابى بعد صحة ، وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
ويقول الآخر :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاقِمِزٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
ودعوت ربي بالسلامة جاهداً لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ

(١) التعلّة : الطلل ، يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعللا وتعلّة : إذا كان يطيب به
نفسه . يقول : إن السرور بالولد الذى تحبه لا يدوم ، وإنما هو تعلّة إلى وقت والحزن
بسببه أكثر من السرور به ، ثم قال : خلوتك بأمرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها
تجلب لك ولداً تغتم من أجله ، وتتأذى بترينته ، ولعل العاقبة إلى الشك . ينهى عن
الخلوة بالمرأة لثلاث تلد . وقال ابن جني : وكذلك إذا خلعت الحسنة مع محبها أدى ذلك
إلى تأذيه بها إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذلك من المضار التى تلتحق بمواصل
النوائى . . . والأول أوجه . وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده .
(٢) الحلواء : الخلاوة . قال زهير :

تَبَدَّلْتُ مِنْ حَلَوَائِهَا طَعْمَ عَلَقٍ *

يقول : جربت حلواة الأولاد وقت شبابي فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم
أقل ما قلته عن جهل وغفلة ؛ يعنى قوله : « هل الولد المحبوب إلا تعلّة ؟ » ويجوز أن يكون
قوله « على الصبا » على صبا البنين - أى فى حال صباهم . وعبرة ابن جني : لست أسليك
إلا عما قد نجست به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . قال الواحدى : وهذا -
أى الذى قال ابن جني - بعيد .

وَمَا تَسْعُ الْأَزْمَانُ عَلَيَّ بِأَمْرِهَا ، وَلَا تُحْسِنُ الْأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمِّلِي ^(١)
وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤْمَلَ عِنْدَهُ حَيَاةٌ ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ ^(٢)

* * *

وقال يمدحه :

لَا الْحِلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ لَوْلَا أَذْكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ ^(٣)

(١) يقول : إن علمي بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمي ، وإن ما أُمليه من الحكم ونوايغ الكلم لا تحسن الأيام أن تكتبه . يعني أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله ، فهي مع أنها تأتي بالعجائب - لا تحسن أن تكتب ما أُمليه ؛ فكيف تعلمه ؟ يريد تأكيد ما قدمه من حنكته وطبه بالأمر وما حضض عليه من عدم الاكتراث للولد وقفده . وعبرة العكبري : ما تسع الأزمان ما أعلمه من أمرها وأتقنه من شدة نكدها ، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتغال عليه ، وأن الأيام لا تحسن أن تكتب ما أُمليه وتضبط ما أعده ؛ والمعنى أن الأيام التي تأتي بالحوادث لا تحسن أن تكتب ما أُمليه من الحكمة والكلام النادر ؛ فكيف تعلمه ؟

(٢) يقول : إن الدهر خوان ليس أهلاً أن ترجى عنده الحياة لأنه لا يحقق الرجاء في الحياة ولا يفي بالأمل ، وليس أهلاً لأن يشتاق فيه إلى الولد ، لأن الولد إذا عاش بعدك لقي من مكاره الدهر ما ينقص عيشه ويسأم معه الحياة ، ولأنه لا يبيق على الولد بل يفجع به الوالد .

(٣) الحلم : النوم ؛ والمثال : الصورة ؛ والزيال : الزايلة والمفارقة . والضاير في البيت : للحبيب - وإن لم يجر له ذكر ؛ لدلالة المقام - يصف شدة هجر الحبيب وأنه لا يلم به في النوم أيضاً وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة في النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب ، كما قال أبو تمام :

* صَدَّتْ وَعَلَّتِ الصَّدُودَ خَيَالُهَا

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود ، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعاً من صدوده . يقول : لم يجد الحلم بالحبيب : أي لم أره في النوم ولا رأيت خياله لولا أنني أطلت تذكر وداعه ومفارقته وواصلت الفكر فيه ليلاً ونهاراً . يعني : تذكرى في اللحظة الوداع والفراق أرائني في النوم خياله ، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره في النوم : أي أن موجب رؤية الخيال هي استدامة ذكر الوداع والفراق ، قال

إِنَّ الْمَعِيدَ لَنَا لَنَامُ خَيَالَهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ (١)
 بَيْنَنَا مُبَاوِلُنَا الْمَدَامَ بِكَفِّهِ
 مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ تَرَاهُ بِيَالِهِ (٢)

الواحدى ناقداً : جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله ، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين ظنا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ويرى خياله . ورؤية الحبيب فى النوم هى رؤية خياله لا رؤية شخصه بعينه ؛ وقال بعض الشراح : يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقى يتذكر وداعه ورحيله ، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسست صورته فى وهمه ، وصار إذا رأى خياله فى الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور ، لا عن العيان ، فهو يقول لولا استدامة هذا التذكر ما جاد على الحلم بمراى خياله ولا خيال صورته : وهذا تفسير وجهه ، وهو ينظر إلى قول القائل :

نَحْمَ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالَ وَلَكِنْ كَ الْفَكْرَ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ
 (١) يقول : إن الذى أعاد المنام لنا خياله فأرانا فى النوم كان ذلك الذى أرانا خيال الخيال ؛ يعنى أنا كنا نصور لأنفسنا فى اليقظة خياله ؛ فالذى رأيناه فى النوم كان خيال ذلك الذى كان يتصور لنا فهو خيال الخيال ، وهذا البيت تأكيد لما قبله من أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق . والمنام - فى البيت - فاعل المعيد ؛ وخياله : مفعول به وقوله « كانت إعادته » لك أن تجعل « كانت » تامة ، بمعنى حصلت ؛ وخیال خياله : منصوباً بالإعادة ، ويجوز أن يكون أراد . بالإعادة : الشيء المعاد - على تسمية المفعول بالمصدر - فيكون « خيال خياله » خبر : كانت .

(٢) يصف الحال التى رأى خيال الخيال عليها فى النوم . يقول : رأيناه يعطينا الشراب بكفه وما كان يجرى فى خاطره أن نراه للبعد الذى بيننا ، والشاعر يجعل ما يراه فى النوم كأنما يراه فى اليقظة ، قال البحرى ؛
 أُرِدُّ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرْمِ إِنْ جِئْتَ وَسَنَانَا
 ولأبى نواس :

إذا التقى فى النوم طيفنا عادا إلى الوصل كما كانا
 يا قرّة العين فما بالنا نشقى ويلتذخيـالانا

نَجْنَى الْكَوَاكِبِ مِنْ قَلَانِدٍ جِيدِهِ (١) وَنَنَالَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ (٢)
بَنَتْكُمْ عَنِ التَّيْنِ الْقَرِيمَةِ فِيكُمْ ، وَسَكَنْتُمْ ظَنِّ الْقَمُودِ الْوَالِدِ (٣)
قَدَنُوتُمْ وَدُنُوتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، وَتَمَحَّجْتُمْ ، وَتَمَاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ (٤)
إِنِّي لَا أَبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ (٥)

لَوْ شِئْتُ إِذَا أَحْسَنْتَ لِي نَائِمًا أَتَمَمْتُ إِحْسَانَكَ بِقَطَانَا

(١) التشبيه في البعد ، لا في الصورة . يقول : ما كنا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأننا نرى بقلانده الكواكب وخلقخاله الشمس ، يعنى رأينا في المنام ما لم نصل إليه في اليقظة ، وقال العكبرى : ما فى قلاوته من الدر بالكواكب وخلقخاله عين الشمس ؛ يريد لمعان خلقخاله ، وذكر أنه يعنى الكواكب من تلك القلائد يتناولها لها وينال عين الشمس من تلك الخلاخل بلسه إياها ؛ قال : فأحرز قصبته التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه فى حسن النظر ، وأشار إلى المعانقة واللامسة بأحسن إشارة فجعل مديده إلى تلك الفرائد جنباً للكواكب وإلى الخلاخل نيلاً لعين الشمس .

(٢) القرية : التى بها قروح من طول البكاء . والوله : التحير ؛ أى ذهب العقل من جراء الحب . وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل . يقول : بعدتم عن مرأى التى قرحت بالبكاء فى سبيلكم وسكنتم فى ظنى وفكرى - أى فى قلبى - فليس يخلو القلب من ذكراكم ؛ وظن القمود : وبرى على القمود ، وهذا كقول القائل .

لئن بعدت عنى لقد سكنت قلبى فسيان عندي غاية البعد والقرب
ومثله قول ابن المعتز المتقدم :

إنا على البعاد والتفرق لتلتقى بالذكر إن لم نلتقى

(٣) يقول : استدانكم القلب بتفكيره فالدنو من قبل القلب - لا من قبلكم - وسمحتكم بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، والسباح - على الحقيقة - إنما هو منه لا منكم إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو ، وإذن : لأمته لكم فى هذا . ولما ذكر السباح ذكر المال لتجانس الصنعة ، فالضمير فى « عنده » وفى « ماله » للقود .

(٤) الطيف : الخيال ؛ وأصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل فى مس الشيطان ، قال تعالى « إذا مسح طائف من الشيطان » وقرئ « طيف من الشيطان » ؛ ومنه

مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَأَبَةِ وَالْأَسَى فَارَقْتُهُ فَحَدَّثَنِي مِنْ تَرَاحَالِهِ ^(١)
وَقَدْ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ مِنْ عِفَّتِي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ ^(٢)

طيف الخيال الذي يراه النائم ؛ يقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : أى ألم فى النوم . قال كعب بن زهير :

أنى ألم بك الخيالُ يطيف ومطافه لك ذِكْرُهُ وشُعُوفُهُ ^(١)

والضمير المستتر فى « يهجرنا » للحبيب . وضمير « وصاله » للطيف . يقول : إنه ييغض طيف الحبيب لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر ، إذ لا يراه إلا حال فراق الحبيب ؛ وعبارة العكبرى : هو ييغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له ، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ولا يطرقه مع التثام الشمل ، فيقول رؤيتى الطيف عنوان الهجر . قال ابن جنى : هذا يسمى الأَكْذَابُ لأنه قال فى الأول لا الحلم جاد به ، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال ، ثم ذكر أنه ييغض طيفه . وقال الواحدى : كان من حقه أن يقول إذ كان يوصلنى زمان الهجر ، لأن هجر الطيف زمان الوصل لا يوجب بغضاله ؛ إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصل ، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر .

(١) لك أن تقرأ « مثل » بالرفع على أنها خبر عن محذوف هو ضمير الطيف ؛ وبالنصب : على تقدير أبغضه بغضا مثل . والصبابة : رقة الشوق ؛ والأسى : الحزن ، والضمير من « فارقت » للمحجوب ؛ والجملة تفسير للمائلة ، أو حال من الصبابة وما يليها ، والى تعود إليها النون من قوله « فحدثنى » على حد قولك : جلس زيد تضحك الجماعة فيعيسى . يقول : فارقت من أحبه فحدثت هذه الأشياء - الصبابة والكأبة والأسى - وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر .

(٢) استقدت : اقتنصت ، من القود ؛ وهو قتل القاتل بالقتيل . والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل المقتول ، فرمما قتلوه به وربما عفوا عنه . والبلبال : الهم والحزن وهذا تمثيل . يريد : كان الهوى يؤذنى والحبيب غائب ، فلما حضر جعلت إعراضى عن إجابة داعية الهوى وتعفى عما يجرتى إليه جزاء له . وبعبارة أخرى : لى استنمت من الهوى بتعفى وإعراضى عن إجابة داعيه ، فأذقته بذلك من النبط مثل ما أذاقنى من

(١) شعوف : يحتمل أن يكون جمع شعف ؛ ويحتمل أن يكون مصدرا وهو الظاهر والشعف والشعوف : إحراق الحب القلب مع لذة يمجدها .

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً تَسْتَجِفُّ الضَّرْعَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ (١)
تَلْقَى الْوُجُوهَ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِي أَجْوَالِهِ (٢)
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلَافَهُ وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ (٣)
وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَنَنِهِ بَرَزْتُ غَيْرَ مُعْتَرٍّ بِجِبَالِهِ (٤)
وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُقْتَالِهِ (٥)

الحزن . قال ابن جني : قوله من الهوى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون العرض - أى الهوى نفسه - فيكون هذا من مبالغة الشعر التي ليست لها حقيقة ، والآخر أن يريد المرأة التي شرب بها فيكون على حذف مضاف : أى ذات الهوى .

(١) تستجفل الضرعام : تستدعى إسراره في الحرب - من قولهم جفل الظليم وأجفل إذا أسرع - والضرغام : الأسد ؛ وأشباله : أولاده . وقوله « لكل أرض » أى لافتح أو غزو أو قتال كل أرض . وكفى بالساعة عن قصر المدة التي يستولى عليها وسرعة تمكنه منها . يقول : ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروح ما يضطره إلى الفرار عن أشباله لشدها وهولها .

(٢) الأجوال : النواحي ، واحدها : جول ، وجال ؛ والضمير في « بها » : للساعة ويجوز أن يكون للأرض . يقول : يتلاقى الأبطال في تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه ، يجول في نواحيه ؛ وفي البيت جناس بين « يجول » و « أجواله » .

(٣) السلاف : أجود الحمر ، وهو أول ما يجرى من ماء العنب من غير عصر ؛ والجريال : ما كان منه أحمر ، وهو دون السلاف . يقول : إن الذي سمعه الناس من كلامي ورأوه إنما هو بمنزلة الجريال من السلاف : أى لم أخرج لهم مختار شعري وجيد كلامي ، وإنما خبأته لسيف الدولة .

(٤) الجياد : الخيل الكريمة ؛ وبرزت : سبقت . يقول : إذا تعثر الشعراء المهيئون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه ، يعنى إذا لم يقدرُوا على السهل القريب كنت قادراً على الصعب الممتنع ، فجعل الجياد مثلاً لفحول البلاغة ؛ والسهل والجيال مثلاً للسهل الكلام وصعبه .

(٥) العراء الأرض الواسعة الخالية ؛ والناعج : الأبيض الكريم من الإبل ؛ و « معتاده » نعت لناعج ؛ والضمير المجرور ؛ للبلد العراء ؛ والمجتاب : القاطع ، وهو الذي يقطع الأرض بالسير . والمقتال : المهلك - أى الذي يفنيه بالسير - يصف قوته على السير

يَمْشِي كَمَا عَدَتِ اللَّطَىٰ وَرَآهُ ، وَيَزِيدُ وَقْتُ جَمَاهَا وَكَلَالَهُ ^(١)
 وَتَرَاغُ غَيْرَ مُعَقَّلَاتٍ حَوْلَهُ فَيَقْوُتُهَا مُتَجَفِّلًا بِمِقَالِهِ ^(٢)
 فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ ، وَغَدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ ^(٣)
 وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَـيْفِهَا ،
 وَشَقَقْتُ خَيْسَ الْمَلِكِ عَنْ رَبِّئَالِهِ ^(٤)

وقطع الفلوات . يقول : وحكمت في الفلوات أجوبها متى شئت يجعل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات ، ومعنى حكمت فيه قطعت به ، على ما قدرت كما أردت ، لاعتمادى على قوة مطيقي .

(١) عدت : ركضت ؛ واللطى : الإبل ؛ والجمام : الراحة ؛ يقال جم الفرس يحجم ويجم جما وجماما وأجم : ترك فلم يركب ، فذهب إعياءه ؛ وفرس جوم : إذا ذهب منه إحضار - جرى - جاءه إحضار ؛ وكذلك الانق ، قال النمر بن تولب :

جُومُ الشَّدِّ شَائِلَةُ الذَّنَابِي يَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سَرَاجًا ^(١)

والكلال : الإعياء . يقول : إن هذا الناعج يمشى على مهله فيسبق الإبل الراكضة خلفه : أى أنه يسبق عدو الإبل ماشيا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالا من طول السير وهى مستريحة ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال ؟

(٢) تراغ : تخوف ، ومعقلات : مشدودات بالعقال ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدها جميعا في وسط الذراع ، وذلك الجبل هو العقال ، والجمع عقل - والتجفل : للسرع . يقول : إذا طرأ على الإبل ما يروعها فنفرت فاشتد عدوها - جريها - وهى غير معقولة سبقها هذا الناعج وهو في العقال فتصير وراءه .

(٣) الأخفاف : جمع خف ، جمع فرسن البعير ؛ والمراح : النشاط ؛ والإرقال : الإسراع . يقول : بسيره أدرك ما أطلب من النجاح ، فالنجاح في قوائمه ، وهو نشيط في عدوه لا نشاط إلا في إرقاله ؛ وبعبارة أخرى : نجاحى كله منوط بقوائمه لأننى أبلغ مطالبى عليه ، وهو نشيط لا نشاط إلا في إسراره :

(٤) الخيس : أجمة الأسد ؛ والربئال : الأسد . يقول : صرت مشاركا للخلافة في

(١) قوله شائلة الذنابي : يعنى أنها ترفع ذنبها في العدو - أى الجرى -

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِّمَ اللَّيْثُ كَالَهُ يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ ^(١)
وَتَوَاضَعُ الْأَمْرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ ، وَتَرَى الْمَحَبَّةَ وَفِي مِنْ آ كَالِهِ ^(٢)
وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبْشُرُ قَبْلَ نَوَالِهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ ^(٣)
إِنَّ الرِّيَّاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاضِرٍ أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنْ اسْتِمْعَالِهِ ^(٤)
أَعْطَى وَمَنْ هَلَى الْمُلُوكِ بِمَقْوَرِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ ^(٥)

سيف الدولة : أى جعلته سيفاً لى ، كما هو سيف دولة هانم ووصلت إلى أسد الملك بشق الخيس إليه ؛ يعنى أن نظام أمرى من عطايه ، كما أن نظام الدولة من رأيه .

(١) يقول : شققت خيس الملك عن الليث - الأسد - الذى أعطى من الكمال ما لم تعطه الأسود ، لأنه يشركها بياسه ويفوتها بحسنه وجماله ، فهو لحسنه إذا بطش بعده شغله النظر إلى جماله عن خوفه ، وما يتوقمه من بأسه ؛ والأسود إذا افترست فريسة أفرعتها لقبح منظرها . ومن روى خوفه : فالخوف مضاف إلى المفعول ، لأنه الخوف ؛ ومن روى خوفها : فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هى الخائفة .

(٢) تواضع - بحذف إحدى التائين - أى تواضع ؛ والآ كال : الأرزاق والأقوات يقول : إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريرهم ويظهرون له المحبة وهى - المحبة - من جملة الأرزاق التى تجبى له من مملكته ؛ يعنى أنه محبوب إلى كل أحد .

(٣) النوال : العطاء . يقول : إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله ، ويبشّر للسائل قبل أن يعطيه ، ويعطيه قبل أن يسأله .

(٤) عمدن : قصدن ؛ والناظر : بمعنى المنتظر ؛ ومقبلها - بكسر الباء - أى ما يستقبل منها . قال الواحدى : والرواية الصحيحة مقبلها - بفتح الباء أى إقبالها ، فيكون مصدراً وهذا مثل لعجلته فى العطاء وسبقه السائل . يقول : إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها فى وصولها إليه ، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له فى الكرم والفضل .

(٥) يقول : لم يخل أحد من إفضاله عليه ، فمن كان دون الملوك بمن هم أهل للعطاء أعطاهم ، أما الملوك فقد من عليهم بالعفو عنهم وترك ما لكهم لهم ، فتساوى الجميع فى إفضاله عليهم ، قال البحرى :

وَإِذَا غَنُوا بِمِطَاطِهِ عَنْ هَزِهِ ، وَآلَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَآلِهِ ^(١)
 وَكَأَنَّمَا جَذْوَاهُ مِنْ لِكَثَارِهِ حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ ^(٢)
 غَرَبَ النُّجُومُ فَفَرْنَ دُونَ هُمُومِهِ ، وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ ^(٣)
 وَاللَّهُ يُسَعِّدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ، وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ ^(٤)
 لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْزَى عَلَى أَسْيَافِهِ مُهْجَاتُهُمْ بَجَرَتْ عَلَى إِقْبَالِهِ ^(٥)

هَمَّتْ صَنَائِعُهُ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا ، فَعَدَا الْقُلُوبُ عَلَى الْغَنَى الْمَكْرَهَ

(١) هزه: أى تحريكه للعتاء بالسؤال ؛ ووالى : تابع . وأن يقولوا : مجرور بـ«عن» محذوفة صلة أغنى وواله: أمر من الموالاة ، والضمير للعتاء . يقول: وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للعتاء تابع عطاءه ؛ فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال .

(٢) الجدوى : العطية ؛ والإقلال : القلة والفقر . يقول : لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطى عطاء كثيراً ليصير مثله فقيراً ، وكذلك قال المتنبي نفسه حين سألته ابن جنى عن معناه ، قال المتنبي : أردت إفراطه في الجود ، حتى كأنه يطلب أن يكون مقلداً - كسائله - فهو يفرط في إعطائه طلباً للإقلال ، فكانه - لكثرة إعطائه - يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيراً .

(٣) ففرن : أى ففرن ؛ والهموم : جمع هم ، بمعنى همة . يقول : إن النجوم تغرب وتغور في مكان أدنى من هممه وتطلع من مكان أدنى من الغاية التي ينالها : أى أن همته تبلغ إلى ما هو وراء النجوم ، وينال أبعد منها ؛ وعبارة الشراح : إن همته بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع النجوم من مشارقها وهي دون ما ناله بهمته ؛ يعنى أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانزياح مغاربها ومطالعها تغرب مقصورة عما تبلغه همته وتطلع متواضعة عما يدركه تناوله . قال الواحدي : ويجوز أن يكون المعنى أن منال الممدوح أبعد من مطلع النجوم : أى لا يصيبه أعداؤه ولا يبلغون مناله .

(٤) الجد : الحظ ؛ وآل الرجل : أهله وأتباعه . يقول : يحدد الله له كل يوم سعادة ويجعل من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة ، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه .

(٥) يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعدته ، فكان سيف

لَمْ يَنْزُكُوا أُنْزَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَعَى إِلَّا دِمَاءُهُمْ عَلَى سِرْبَالِهِ ^(١)
 فَلَمَّثْلِهِ جَمَعَ الْعَرْمَرَمُ نَفْسَهُ ، وَبِمِثْلِهِ انْقَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ ^(٢)
 يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِي وَجْهَهُ لَا تُكْذِبَنَّ فَلَسْتُ مِنْ أَشْكَالِهِ ^(٣)

إقباله يقتلهم . جعل مهجهم تجرى على إقباله تشبيها له بالسيف من طريق التشاكلة .
 والهجّة : دم القلب والروح .

(١) الوعى : الحرب ؛ والسربال : الثوب . يقول : لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه
 أنزاً غير تلطّيح ثوبه بدمائهم التي سفكتها منهم صوارمه .

(٢) العرمرم : الجيش الكثير . ويقال قصمه يقصمه قصاً فانقصم : كسره من غير
 أن يبين ؛ أما التقصم - بالقاف - فهو الكسر فيه بينونة ، يقال قصمه يقصمه قصاً فانقصم
 وتقصم . قال ذو الرمة يذكر غزالا شبهه بدملج فضة :

كَأَنَّهُ دُمْلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ فِي مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَى مَفْصُومٍ ^(١)
 والعري - هنا - القوى ؛ والأقتال : الأعداء ، جمع قتل - بكسر القاف - أى اللقائل
 قال عبد الله بن قيس الرقيات :

وَإِغْتَرَابِي عَنْ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةِ الْأَقْتَالِ

والضمير في «إقتاله» للمدح ، أو للجيش . يقول : لثل سيف الدولة - أى له
 لا لغيره - يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو - لأنه يغنمه ويسلبه - كأنه جمع
 نفسه له . ثم قال : وبمثلته من أولى الحزامة والتدبير انقصمت عرى أعدائه وانقرطع قدم
 ولم يكونوا شيئاً مذكوراً . أو تقول : إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع
 بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغنى أماءه شيئاً .

(٣) الباهي : المفاخر . يقول : - للقمر - لا تسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك
 لست من أمثاله فى الحسن والنور ؛ يعنى أن من قال لك إنك مثله فقد كذبك ، وجعل
 القمر مباهيا وجهه لانه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهى وجهه

(١) شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان
 بفسنيه ولم يهتد له فهو نبيه ، وقيل فى نبيه إنه المشهور ، وقيل النفيس الضال الموجود
 بمن غفلة لا عن طلب وإنما جعله مقصوما لتثنيه وانغناؤه ، ولم يقل مقصوم - بالقاف -
 فيكون بائنا باثنين .

وَإِذَا طَمَأَ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فَقُلْ لَهُ دَعْ ذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ (١)
وَهَبَ الَّذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى أَفْعَالَهُمْ لِابْنِ بِلَا أَفْعَالِهِ (٢)
حَتَّى إِذَا فَنِيَ التَّرَاثُ سِوَى الْعَمَلِ قَصَدَ الْعُدَّةَ مِنَ الْقَنَاءِ بِطَوَالِهِ (٣)

(١) طما البحر : ارتفع وزخر . يقول : قل للبحر - إذا امتلأ ماء - دع هذا الامتلاء والافتخار به ، فانك لن تبلغ مبلغه من الجود ؛ فالإشارة بقوله «ذا» إلى ما يفهم من قوله «طما» من العظمة والافتخار : وفي مثل هذا يقول البحري :

قَدِ قُلْتُ لِلْفَيْثِ الرَّكَامِ وَلَجَ فِي إِبْرَاقِهِ وَالْحُجَّ فِي إِرْعَادِهِ
لَا تَعْرِضَنَّ الْجُمْفَرُ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ

(٢) ورث الجدود : أى ورثه من الجدود ، تقول ورثت زيدا مالا : أى من زيد ولابن : مفعول ثان لرأى ؛ والضمير فى «أفعاله» يعود إلى الابن ، و«لا» فى قوله «بلا أفعاله» فى معنى غير . يقول : وهب ما ورثه من جدوده من المال والمآثر كلها فوهب المال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مقتخر بها ، لأنه لا يفتخر إلا إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفا دون أن يبنى عليها . وبعبارة أخرى : وهب الذى ورثه من جدوده من المال ولم يفتخر بأفعالهم ، لأنه يرى أن أفعال الجدود لا يثبت شرفها للابن مالم يشفعها هو بأفعال تماثلها . والأصل فى هذا المعنى قول المتوكل الليث .

لِسَنَاوِإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكَلُّ

نَبْنَى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنَى وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقال كشاجم :

وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ فَالنَّاسُ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقٍ

فَأَقِمْ لِنَفْسِكَ فِي انْتِسَابِكَ شَاهِدًا بِحَدِيثِ مُحَمَّدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقٍ

وقال الشريف الرضى :

فَخَرْتُ بِنَفْسِي لَا بِقَوْمِي مُوقِرًا عَلَى نَاقِصِ قَوْمِي مَا تَرَى أَسْرَتِي

(٣) التراث : المال الموروث . وقوله فى التراث سوى العلا : لأن المال ينفى بالهبة ؛

والعلا لا تنفى ، وإن ترك الافتخار بها . يقول : لما لم يبق من المال الموروث شيء قصد الأعداء بالرمح الطوال فامتلات يده بقتلهم : أو تقول : لما فى ما ورثه من الأموال

وَبَارِعَنِ لَبِيسَ الْعَجَاجِ إِلَيْهِمْ . فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَ مِنْ أَذْيَالِهِ (١)
فَكَأَنَّمَا قَذَى النَّهَارُ بِنَقْعِهِ . أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفُ مِنْ إِجْلَالِهِ (٢)
الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ . فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٣)
تَرِدُ الطَّلَعَانَ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ . وَتُنَازِلُ الْأَبْطَالَ عَنْ أَبْطَالِهِ (٤)

لا من العالي ، لأنه لم يضع شيئاً من مجد آباله - ركب إلى العدا فأتسعت يده بغنائمهم .
وقوله بطواله : أى طوال القنا ،

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب لكثرتة ؛ وقيل سمى الجيش العظيم «أرعن»
لأن له فضولا كرعان الجبال . شبه بالرعن من الجبل وهو الأنف العظيم من الجبل تراه
متقدماً ، ومن ذلك سميت البصرة رعاء : أى تشبها برعن الجبل ؛ قال الفردق :

لَوْ لَا أَبُو مَالِكٍ الْمَرْجُوءُ نَأَلَهُ مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الرَّعَاءُ لِي وَطَنًا

والعجاج الغبار : يقول : قصد العدو بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد
دروعاً من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه ، والجيش كلما كثر كثرت الغبار ؛ ومن
في قوله من أذياله - زائدة ، كما تقول : جاء يهز من عطفه .

(٢) القذى : ما يقع في العين من الغبار ونحوه ؛ والنقع : الغبار ؛ وغض الطرف
كسره وخفضه ؛ والضمير في نقعه : للجيش . وفي عنه وإجلاله : للجيش ، أولسيف الدولة
يقول : أظلم النهار بشدة ذلك الغبار حتى كأنما وقع في ضوئه قذى من الغبار ، يعنى
أن الغبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى في عينه ، أو كأن النهار غض طرفه لإجلاله .
قال الواحدي : وطرف النهار هو الشمس ، فالمعنى أن هذا الغبار نقص من ضوء الشمس
وسترها بتكاثفه .

(٣) قلب الجيش : وسطه . يقول : الجيش على الحقيقة جيشك ، فكل جيش سوى
جيشك ليس بجيش ، لكنك جيش جيشك ، لأنه بك يتقوى ، وقلبه وجناحه تقوى
بك ؛ أو تقول : الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حركك ، ولكنك أنت في الحقيقة
جيشه الذى يق قلبه وجناحه ويحتمى بك ، وإذا احتفى الملوك بجيوشهم فانت تحمى
جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك . قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَغَى لَفَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لِحِبِ

(٤) هذا تبين لما ذكره في البيت السابق من أنه جيش جيشه . يقول : لأنك تقاتل

كُلُّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَأْمَنُ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ (١)
 دُنَ الحَلَاوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةً لَا تُخْتَطَى إِلَّا عَلَى أَهْوَالِهِ (٢)
 فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلَى وَحْدِهِ وَسَعَى بِمَنْصُلِهِ إِلَى آمَالِهِ (٣)

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالا بطريق آمد :

يَوْمَئِذٍ ذَا السَّيْفِ أَمَالَهُ وَلَا يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ (٤)
 إِذَا سَارَ فِي مَنَهْمِهِ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلِ طَالَهُ (٥)

عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعام المر دونهم ، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فتكفيهم القتال ومقاساة الطعام . وترد : من ورود الماء ؛ يريد تشبيه الطعام بالنهل ، ولذلك وصفه بالمرارة .

(١) يقول : كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ويحموهم من أعدائهم ليقوا ويسلموا ، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامي دونهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى التنبى هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الأخشيد وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة ؛ فبعث إليه سيف الدولة يقول : لا تقتل الناس بيني وبينك ، ولكن ابرز إلى فأينا قتل صاحبه ملك البلاد ؛ فامتنع الأخشيد ووجه إليه يقول : مارأيت أعجب منك ! أأجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقبي به نفسي ثم أبارزك ؟ والله لافعلت ذلك أبداً .

(٢) لا تختطى : لا تتجاوز . يقول : لا يوصل إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته ، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الأهوال ، كما قال :

* وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرَةِ النَّحْلِ *

(٣) على : اسم سيف الدولة ؛ والنصل : السيف . يقول لأن تلك المرارة على ما ذكر جاوزها — قطعها — المدوح وحده ، لأنه لا يركب الأهوال غيره ووصل بسيفه إلى ما كان يؤمله ، فأدركه حين طلبه بالسيف .

(٤) يؤم : يقصد . يقول : هو — سيف الدولة — سيف يقصد ويطلب ما يؤمله ، ولكنه أمضى من السيف في بلوغ آماله .

(٥) المهمة : المغازاة البعيدة . وطالاه — من قولهم طاولته فطلته : أى غلبته في الطول

وَأَنْتَ بِمَا نُلْتَنَا مَالِكٌ يُشْمَرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ^(١)
كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْفٌ يُرْشَحُ لِلْفَرَسِ أَشْبَاهَهُ^(٢)

* * *

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التي رمتها الريح ، وكان قد ضرب سيف الدولة خيمة عظيمة بميا فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة فوقمت الخيمة فسلم الناس في ذلك فقال : «

أَيْقَدْخُ فِي الْخِيْمَةِ الْعَذْلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهَرَهَا يَشْمَلُ^(٣)
وَتَعْلُو الَّذِي زَحَلَتْ تَحْتَهُ مُحَالٌ لِمَرْكٍ مَا نَسْأَلُ^(٤)

يقول : إذا سار في الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار في الجبل علاه فصار فوقه وليس هذا من أعمال السيف .

(١) نال ينول : إذا أعطى ؛ وتمر ماله : أحسن القيام عليه وأتماه . يقول : أنت بما تعطينا كالمالك الذي ينمي أمواله ، ولكنك تنمي بعضها ببعض .

(٢) الضيف : الأسد . ورشحه للأمر : هبأه وأهله ، والفرس بمعنى الافتراس ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول : أنت - لأنك تمرست بمقارعة الأبطال ، وتفردت دوننا بمنازلة الأقران - أسد ينهج لأشباله ما يأتيه ويفعله ويضربها على ما يمثله ؛ يعني أنك تضرينا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباله للافتراس فيعلمها ذلك .

(٣) أيقدح : أعييب ؛ والاستفهام إنكارى . والواو من « وتشمل » حالية ؛ والعذل : جمع عاذل ، اللائم . يقول : هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أعييونها وعذرنا في هذا التقوض أنها اشتملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله ؟ قال الواحدى : وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن ، ولو قال : من دهره يشمل لكان أحسن ؛ ومعنى شمل الشيء : أحاط به : أى أن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر ؛ معنى علم كل شيء ، فلا يحدث الدهر شيئاً لم يعلمه ، ومن كان بهذا المحل لا يعلمه شيء ولا يحيط به شيء . هذا : وفي رواية * أينفع في الخيمة العذل * أى أينفع عذل العاذلين في سقوط الخيمة ؟ والرواية الأولى أوجه .

(٤) محال : خبر مقدم ؛ و« ما » من « ما نسأل » بمعنى الذى : مبتدأ مؤخر . يقول : وهل تعلو الخيمة الذى زحل تحتها في علو القدر والنسابة ؟ فالذى نسأله الخيمة أو تكلفه

فَلَمْ لَا تُلُومُ الَّذِي لَامَهَا وَمَا فَصَّ خَاتَمِهِ يَذْبُلُ^(١)
تَضِيْقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا
وَيَزْ كُضُّ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ^(٢)
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا وَتَرْ كُزُّ فِيهَا الْقَنَا الذَّبْلُ^(٣)

من الثبوت فوقه محال ؛ ومن روى « ماتسأل » بفتح التاء - المعلوم ؛ فالضمير للخميمة أو للمخاطب : أى أن ما تسأله هى أو ما نسألها أنت من ذلك محال

(١) ما : بمعنى ليس ؛ ويذبل : جبل معروف . يقول : لم لا تلوم الخيمة من لامها على سقوطها قائلة له : لم لا يكون فص خاتمك يذبل ؟ أى فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصا ، فكذلك لوم الخيمة . وعبرة ابن جني : إن جاز أن تلام هذه الخيمة على عجزها عن علوها الممدوح ، وهو غير ممكن - لعلوه عنها - فلم لا تلوم من لامها على أنه ليس فص خاتم يذبل ، وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل ، لأن هذا ليس في طاقته ، فكذا هذه الخيمة لا تقدر أن تلو الممدوح لقصورها عنه ، وقال ابن الإفلح : المعنى لم لا تلوم من لامها وتقول له إننى تهيت الرئيس وأعجزنى الاشتغال عليه بقصر يذبل مع عظيمته عن فص خاتم وخفته بجانب رزائه وقلته بالقياس إلى جلالته . فكيف أطيع الاشتغال على من هذه حاله ؟ وقال ابن القطاع : ما - من قوله وما فص خاتم يذبل - بمعنى الذى ؛ والضمير في خاتم : لسيف الدولة ؛ والتقدير : لم لا تلوم لأنما ؛ وسيف الدولة الذى فص خاتم يذبل تحتها ؟ غذف الخبر . . . وهذا - كما ترى - تعسف من ابن القطاع . وقد قال لنا ابن جني : سألت المتنبي عن هذا البيت فقال « ما » بمعنى ليس ، والتقدير كما قلنا ، لم لا تلوم الخيمة من لامها ، على أنه ليس فص خاتم يذبل والضمير راجع إلى اللآثم . هذا : والخاتم - بكسر التاء وفتحها - لفتان فصيحتان .

(٢) الأرجاء : النواحي ؛ والجحفل : الجيش العظيم . يقول : إن هذه الخيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير في أحد نواحيها ، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هية لك وإجلالا أن تملوك .

(٣) « ما » مصدرية زمانية ؛ والقنا : الرماح ؛ والذبل : جمع ذابل بوصف به الرماح لينها ، لأنها طويلة . يقول : وتقصر عنك مادمت في جوفها فلا تستطيع أن تملوك إجلالا لك وهية لعلو مرتبتك مع أنها هى في الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح

وَكَيْفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ كَانَ الْبَحَارَ لَهَا أَنْمُلُ^(١)
 فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ^(٢)
 فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدَّتْهُمْ بِالَّذِي يَفْضُلُ^(٣)
 رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا كَلَوْنَ الْغَزَالَةِ لَا يُفْسَلُ^(٤)
 وَأَنَّ لَهَا شَرْقًا بَادِخًا وَأَنَّ الْخِلَامَ بِهَا تَحْجَلُ^(٥)

(١) الراحة : راحة الكف ؛ والأنامل : أطراف الأصابع . يقول : وكيف تبقى الحيمة قائمة وتحمي راحتك الواسعة الجود ؟ فكان البحار أنامل لها .

(٢) يقول : فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقى وقارك ما تطيق حملة ، فإنك لو فعلت ذلك لحص الحيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط .

(٣) يقول : فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ما تصير به سيد الناس . يصف رزاة حملة وكثرة وقاره ، وأنه لو فرق منه الكثير لبقى له ما يسود به الناس .

(٤) الغزالة : الشمس عند طلوعها ، يقال طلعت الغزالة ، ولا يقال غابت الغزالة ، وإنما يقال غربت الجونة ، وغزالة الضحى وغزالاته بعد ما تنبسط الشمس وتضحى ، يقال جاء فلا فى غزالة الضحى ؛ قال ذو الرمة :

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَةَ رَأْسَ حُزْوَى أَرَأَيْتَهُنَّ وَمَا أَغْنَى قَبَالًا^(١)

يقول : صارت الحيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزالة التى لا يفارقها ذاتى نورها ، وأراد بقوله لا يفسل أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها . والمعنى أن الحيمة اكتسبت من نورك ما صارت به موازية للشمس التى لا يزول نورها .

(٥) شرف بادخ : أى عال ؛ والبادخ والشمخ : الجبل الطويل ؛ وبذخ البحر يذخ

(١) يريد بقوله أرايتهن : الأعطمان ؛ ونصب الغزالة على الظرف ؛ ورأس حزوى : مفعول أشرفت على معنى علوت : أى علوت رأس حزوى فى غزالة الضحى ؛ ولك أن تقول : إن الغزالة - فى البيت - الشمس ، أى علوت رأس حزوى طلوع الغزالة : أى طلوع الشمس .

فَلَا تُنْكِرْنَ لَهَا صَرَعةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ^(١)
وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ نَلَاتِهِمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ^(٢)
وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا أَشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرَحُلُ^(٣)
فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ^(٤)
وَعَرَفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ وَأَنَّكَ فِي نَعْرِهِ تَرْفُلُ^(٥)

بذخانا فهو باذخ وبذاخ : اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء . يقول : ورأت أن لها شرفاً عظيماً إذ سكنتها ، وإذا رأتها الخيام خجلت ؛ إذ لم تبلغ ما بلغت من الاشتغال عليك .
(١) أنكر الشيء : استغربه ؛ والصرعة : السقطة ؛ ومن فرح النفس : خبر مقدم وما يقتل : مبتدأ مؤخر . يقول : فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك نكراً مستغرباً ، لأنها فرحت بذلك غاية الفرح ، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية ، فكيف لا تصرع ؟ أى لا تسقط .

(٢) يقول : لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتغال عليك لحانتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك ، كما خانتها أطناها وعمدها .

(٣) التطنيب : مد الأطناب . يقول : لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطناها أشيع الخبر في الناس أنك لست راحلاً للغزو ، لأمردعك إلى الإقامة .

(٤) الاعتماد : معناه القصد ؛ والتقويض : الهدم يريد قلع الخيمة . يقول : لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة ، وإنما أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغي أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو ، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس ؛ وأشار : بمعنى أمر ، من المشورة ، لا من الإشارة - لأنه وصله بالباء . وقال العكبري : أشار من الإشارة ، لا من المشورة في الرأي ؛ فإن قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجراحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح ، قيل : إنما أراد بالإشارة : التنبيه ؛ أى فنبهك بوقوعها على الرحيل الذي أعرضت عنه ؛ فالخيمة المشيرة إليه بالوقوف . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حى وإماموات ؛ إذ لا جراحة له تعالى .

(٥) من هم : مما يهتم به ويحتفل . ويقال رفل رفل : إذا تبختر وجر أذياله . يقول : وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يعنى بك ؛ يريد إرشادك إلى

فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَثَلُوا وَمَا الْخَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا^(١)
 هُمْ يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ^(٢)
 وَهُمْ يَتَمَنُونَ مَا يَشْتَهُونَ وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ^(٣)
 وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ تَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَاءِ مُحْمَلٌ^(٤)

ما تفعل ، وأنت تمشى فى نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سبباً لسيرك وعلامة على أنه خار لك الارتحال .

(١) هذا استفهام تحقير وتصغير ، ولذلك استعملهم بلفظ «ما» . وعند يعنبد عنود آفرو عائد : مال عن القصد ورد الحق وهو يعرفه ، وأصل العائد : البعير الذى يحور عن الطريق ويعدل عن القصد ؛ والجمع عند - مثل راصع وركع - وأنشد أبو عبيدة :
 إذا رحلت فاجعلونى وسطاً إلى كبير لا أطيق المُنْدَا^(١)

يقول : هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والחסدون مام وما قولهم ؟ أى لا تأثير لعداوتهم وحدهم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضربون لك من الفال بالنحوس عند سقوط الخيمة ، ومعنى ما أثلوا ما أصلوا من الكلام وجعلوه أصلاً لتكذابهم ؛ ويروى : ما أملاوا ويقال قولتى مالم أقل : أى نسبته إلى ؛ ومعناه ؛ أنهم يحسبون أقوالاً كاذبة ويفشونها فيما بين الناس ؛ وقال ابن جني : قولوا ، أى كرروا القول وخاضوا فيه .

(٢) فمن أدركوا : يروى «فما أدركوا» يقول : هم يطلبون رتبته . فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك ، أو ماذا أدركوا من ذلك ، وهم يكذبون فى تلفيق الأحاديث عنك ، وإسكن من يقبل كذبهم ويصدقهم ؟ .

(٣) الجدد : البخت والإقبال . يقول : هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالك وسعادة جدك تحول دونهم ودون ما يشتهون .

(٤) وملمومة : عطف على جدك - فى البيت السابق - يريد كتيبة من الجيش مجموعة . وزرد : خبر مقدم ؛ وثوبها : مبتدأ مؤخر - أى اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثياباً لها ؛ والزرد حلق الدروع ، وجعل رماحها كالحمل لتلك الثياب ، وهو ما تدلى من

(١) جمع بين الطاء والذال وهو إكفاء ، ويقال هو عنى وسطاً لا عندا

يُفَاجِئُ جَيْشًا بِهَا حَيْنُهُ وَيُنْذِرُ جَيْشًا بِهَا الْقَسَطُ^(١)
 جَعَلَتْكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةٌ لَأَنَّكَ بِالْيَدِ لَا تَجْعَلُ^(٢)
 لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يَا سَيِّفَهَا مُنْصَلُ^(٣)
 فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْقِصَلُ^(٤)
 وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي الْكِرَامِ الْأَوَّلُ^(٥)

التياب المحملة ؛ يعنى : وحال بينهم وبين ما يشتهون جيشك الذى اتخذ فرسانه الدروع لباساً لهم حتى كأنهم منها فى ثوب سابق إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرمح ، وروى ابن الأثير : وملسومة - خفصاً - قال : أى ورب ملسومة الخ .

(١) الحين : الهلاك ؛ والقسطل : الغبار . يقول : يفاجئ بهذه الكثنية جيشاً هلاكه بها ، وينذر غبارها جيشاً آخر ؛ يعنى أنه تارة يسير بها ليلاً فياكر جيشاً من الأعداء لا يشعر به فيهلكه ، وتارة يسير بها نهاراً فتثير غباراً فينذر جيشاً آخر يرى ذلك الغبار فيهرب . وقيل المعنى : تحزن : أى تسير فى الحزن - فلا تثير غباراً ، وتارة تسهل : أى فى تسير فى السهل فتثير غباراً

(٢) العدة : ما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما . يقول : اتخذتكَ عدة لى بقلبي وعزى : أى اعتقدت فيك أنك عدة لى فيما أحتاج إليه لأنك لست من العدد التى تعد باليد كالسيوف والأسلحة ، ويجوز أن يريد لست من العدد التى تعمل باليد : أى لا تتصرف فيك الجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد ، وعبارة بعض الشراح - وقد روى البيت فى القلب وفى اليد - اتخذت عدة لى فى القلب أتشجع بك فى الملمات وأجعل رجاءك سلاحاً لى على دفع غوائل الدهر لأنك أجل من أن تجعل فى اليد كسائر العدد (٣) المنصل : السيف ؛ ومن دولة : «من» زائدة ؛ يقول : لقد رفع الله دولة جعلتك سبيلها على سائر الدول ؛ يعنى دولة الخلافة .

(٤) المرهفات : جمع مرهف ، السيف الرقيق الحد ؛ وطبع السيف : صنعه والمقصود القاطع . يقول : إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك فإنك قد سبقتها بالقطع لأنك تقطع بعقلك ورأيك وحكمك ما لا تقطعه السيوف . وقال ابن جنى : المعنى أنك لإفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أول من قطع ؛ إذ لم يركب قبلك مثلك وقال غيره يريد أن قطعها بسبكك ، ولو لا قطعك ما قطعت .

(٥) يقول : إن كان السكرام الأولون جادوا قبلك ، فإنك زدت عليهم وأبدعت فى ذلك ما صرت به أولاً فى السكرام .

وَكَيفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ وَأُثْمَكَ مِنْ لَيْثِنَهَا مُشْبِلٌ^(١)
وَقَدْ وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَا تُنْجَلُ^(٢)
فَتَبَّأَ لِلدِّينِ عَيْبِدِ النُّجُومِ وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهَا تَفْقِلُ^(٣)
وَقَدْ عَرَفْتِكَ فَمَا بَالُهَا تَرَكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ^(٤)

(١) الليث . الأسد ؛ ولبؤة مشبل : ذات أشبال ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول :
كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة في الكرم والفضل والشجاعة وقد ولدك الأسد ؟
فأثمك أشبلت بك من أليك الذي هو الاسد ، وقد ضرب ذلك مثلاً لشجاعته ووضائه
كأن أبويه أسدان ، ومن روى من ليثا - بفتح ميم من - ف «من» عبارة : عن الأم ،
وهي خبر المبتدأ ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها ، والشبل - على هذا - هو الليث ،
وهو الأثب .

(٢) يقول : لما ولدتك أمك كنت شمسا في رفعة المحل ونباهة الذكر ، فقال الناس :
ألم تكن الشمس لا تنجل - أى لا تولد - فكيف ولدت هذه المرأة شمسا ؟ وهذا
ينظر إلى قول الأول :

لَأُمُّ لَكُمْ بَنَجَلَتْ مَالِكًا مِنْ الشَّمْسِ لَوْ نَجَلَتْ أَكْرُمُ

ومن روى لا تنجل - بالبناء للمعلوم - جعل أمه الشمس : أى فقال الناس ولدت
الشمس وهي لا تلد ، جعل الممدوح - لعلو قدره - كأنه نجل الشمس ؛ والرواية الأولى
أجود وأمدح . هذا : والورى : الخلق - تقول العرب : ما أدرى أى الورى هو ؟
أى الخلق هو ؟ ، قال ذو الرمة :

وَكَاثِنْ ذَعَرْنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحِ بِلَادِ الْوَرَى لَيْسَتْ لَهُ بِيَلَادِ

قال ابن جني : لا يستعمل الورى إلا في النفي ، وإنما سوغ لذي الرمة استعماله
واجبا ، لأنه في المعنى منفي كأنه قال ليست بلاد الورى له بيلاد .

(٣) التب : الهلاك والخسار ، وهو منصوب على المصدر . يقول : ضللا وخساراً
للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة . وقد بين العلة في البيت التالي .

(٤) يقول : النجوم على زعم من يدعى أنها تعقل قد عرفتكم وعرفت أنك أجل منها
ندراً ، فما بالها لا تنزل إليك لتخدمك ، وهي تراك تنظر إليها ؛ يعنى أنها لا تعقل ولو
عقلت لَنَزَلَتْ إِلَيْكَ .

وَلَوْ بَئْتُمَا عِنْدَ قَدَرَيْنِ كَمَا لَبِئْتُ وَأَعْلَا كَمَا الْأَسْفَلُ^(١)
أَنْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَلُوا أَنْتَ رَبُّكَ مَا تَأْمَلُ^(٢)

وقال يمدحه ويعتذر إليه وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين *

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ^(٣)
ظَلَلْتُ بَيْنَ أَصْحَابِي أَكْفِكُهُ وَظَلَّ يَسْفَعُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذْلِ^(٤)

(١) يقول : لوبات كل منكما في الموضع الذي يستحقه قدره لبنت في موضع النجوم
وبانت هي في موضعك لإربائك عليها في الشرف .

(٢) قال الواحدى : لو قال غبيدك كان أحسن ، لأن الأكثر في الاستعمال أن
العباد تضاف لله سبحانه وتعالى ، فأما للمضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد . يقول :
أعطيت عبيدك - يعنى الناس ، جعلهم عبيداً لأنه ملك مارجوه من عطائك ، ثم دعا
له أن يكافئه الله بمثل فعله فينبه ما يؤمله .

(*) قال الواحدى : دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً ، فتلقاها
الغلمان وأدخلوه إلى خزانة الأكسية ، فخلع عليه ونضح بالطيب ، ثم أدخل على سيف
الدولة ، فسأله عن حاله وهو مستحى ، فقال أبو الطيب : رأيت الموت عندك أحب إلى
من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله عمرك ، ودعاه ، ثم ركب أبو الطيب وسار
معه خلق كثير إلى منزله ، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة ، فقال أبو الطيب يمدحه
بعد ذلك ، وأنشده إياها في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث منه..

(٣) الطلل : ما شخص من آثار الديار ، والركب : القوم الراكبون . يقول استدعى
الطلل دمعي بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب ييكأه قبل أصحابي وقبل
الإبل . يريد أن الإبل . تعرف أيضاً ذلك الطلل وتبكي عليه كما قال التهامي :

بَكَيْتُ لِحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

والعنى : أنه وقف على ديار محبوبه ، فشجاء ما شاهد من دروس رسومها وتغير
طلوها ، فاستدعى ذلك بكاءه ، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر
أصحابه بالتأسف والإبل بالحنين .

(٤) أصحابي : تصغير تعظيم . وأكفه مرة بعد أخرى . ويسفع :
يجرى ويسيل . يقول : ظلت أكف الدمع خوفاً من لوم الركب فظل الدمع يسيل

أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَذْرَتِي عَجَبٌ
كَذَلِكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكَلِّ^(١)
وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنْ اللَّقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلاَ أَمَلٍ^(٢)
مَتَى تَرْزُقُونِ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ^(٣)

وأصحابي من بين عاذرلي وعاذل - لأثم - والدمع يسيل بين العذر والعذل في شاغل
عنهما . هذا : ويقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلا وظلولا ، وظلت أنا وظلت
وظلت ، لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه سمع في بعض الشعر ظل ليله ، وأصل ظلت ،
ظلمت ، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء . قال تعالى : « فظلمت تفكهنون » ومثله
مست ، في « مست » قال الجوهري : وربما قالوا مست الشيء : يحذفون منه السين
الأولى ويحولون كسرتها إلى اليم ، ومنهم من يترك اليم على حالها مفتوحة ؛ وأنشد
الأخفش لابن مفرأ :

مسنا السماء ففيلناها وطاء لهم حتى رأوا أحداً يهوى ونهلانا

والأصل مسنا السماء ، وهذا من شواذ التخفيف .

(١) النوى : البعد والفراق . والعبرة الدمع . والكلل : جمع كلة ، الستر الرقيق
يقول : أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائي للفراق ، ولا عجب في ذلك ، فإنني كنت
على مثل ما يرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربي لا يعجبها عنى غير الستر ، فكيف
الآن وقد حجبتها عنى الفراق ؟ فالواو في قوله « وما أشكو للحال » أى حين لا أشكوسوى
الستر : أى في حال دنو المسافة ؛ ومن روى « كذلك كانت » فعناه كانت العبرة حين كان
الحاجب بيننا الكلة . والمصراع الثانى رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه أى لا
تعجبوا من بكائي على فراقها ، فلقد كنت أبكى في هجرها وما أشكو مانعاً دون
الستور التى تحجبها والمنازل متجاورة والدور متصابقة .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ؛ وقوله « كمشتاق » أراد كصبابة مشتاق ، لحذف المضاف .
يقول : إن المشتاق الذى لا يأمل لقاء حبيبته أشد حالاً ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل
خفف التأمل برح اشتياقه قال الواحدى : ويجوز أن يكون أخف حالاً لاسترواحه
إلى الإحساس ؛ والأول أوجه .

(٣) الإتحاف : الإطراف بالهدية ؛ والبيض : السيوف . والأسل الرماح يقول : -
مخاطباً نفسه - إن هذه الحبيبة سنيعة في قومها بالسيوف والرماح . فإذا زار قومها

وَالْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أَرَا قَبَهُ أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ^(١)
مَا بَالُ كُلِّ فَوَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا بِهِ الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلِ^(٢)

لأجلها كانت تحفته من قبلهم السيوف والرماح : يعنى أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته
أى إن الوصول إليها متعذراً لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم . وقد أرجع ضمير « من »
على المعنى دون اللفظ ، فقال زيارتها ولورده على اللفظ لقال زيارته .
(٢) ما يراقبه : يعنى ما يتوقعه من بأس قومها . يقول : إن هجرها أقتل له من
سلاحهم ، فإذا كان مقتولاً بالهجر لم يبال بعده بالسلاح ، لأن من غرق في الماء لم يغش
البلل . وهذا من قول بشار :

كَمْزِيلَ رَجُلِيهِ عَنِ بَلَلِ الْقَطْرِ وَمَا حَوَّلَهُ مِنَ الْأَرْضِ بِحَرِّ
وَقَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ — وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَقْدَارَ تَجْنِيهِ عَلَى اللَّتَنِ — : هَذَا مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ
دَى بْنِ زَيْدٍ :

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْفَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي^(١)
قَالَ الْعُكْبَرِيُّ : وَلَيْسَ كَمَا قَالَ وَإِنَّمَا نَقَلَهُ مِنْ قَوْلِ الْحَكِيمِ : مَنْ عِلْمُ أَنْ الْفَنَاءَ
مُسْتَوِلٌ عَلَى كَوْنِهِ هَانَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ .

(١) قَالَ الْوَاحِدِيُّ : كَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ مَا بَالُ فَوَادِي لَا يَنْتَقِلُ عَنْ جِهَاتِهَا
وَبِكُلِّ فَوَادٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا — أَهْلِهَا وَقَرَابَتِهَا — مَا بِي ؟ لِأَنَّ التَّعَجُّبَ إِنَّمَا هُوَ
مِنْ فَوَادِهِ ، لِأَمِنْ أَقْدَتِهِمْ ؟ يَعْنِي لَمْ لَا يَنْتَقِلُ جِهَاتِهَا عَنِ وَلَا أَسْلُوهَا إِذَا كَانَ
قَوْمُهَا وَعَشِيرَتُهَا يُحِبُّونَهَا كَحُبِّي ؟ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا مُحِبُّوهُ فِي قَوْمِهَا مُنِيعَةٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ ،
وَأَنَّهُ فِي يَأْسٍ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا ، وَالْيَأْسُ مِنَ الشَّيْءِ يُوجِبُ السُّلُوءَ عَنْهُ ، كَمَا
قَالُوا : الْيَأْسُ لِأَحَدِي الرَّاحَتَيْنِ ، وَأَنَّهُ مَعَ هَذَا الْيَأْسِ لَا يَنْتَقِلُ عَنْهُ جِهَاتِهَا .
وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَدْعِي بُلُوغَهُ فِي جِهَاتِهَا مَبْلَغاً لَا يَلْفُظُهُ أَحَدٌ مَالِمٍ
يَنْتَقِلُ إِلَيْهِ مِنْهُ ؟ وَهَذَا وَجْهُ التَّعَجُّبِ فِي الْبَيْتِ . يَقُولُ : مَا لِي أَرَى كُلَّ قَلْبٍ مِنْ قُلُوبِ
عَشِيرَتِهَا فِيهِ مِنْ جِهَاتِهَا مِثْلَ مَا فِي قَلْبِي مَعَ أَنَّ مَا فِي قَلْبِي بَاقٍ فِيهِ لَمْ يَنْتَقِلْ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ؟

(١) الْاعْتَصَارُ : أَنْ يَنْصُ الْإِنْسَانُ بِالطَّعَامِ فَيَعْتَصِرُ بِالْمَاءِ ، وَهُوَ أَنْ يُشْرِبَهُ عَلَيْهِ
قَلِيلاً ؛ وَالْفَصَانُ : الْغَاسِقُ . وَيُقَالُ : غَصَصْتُ بِالْمَاءِ أَغْصَصْتُ غَصَصاً : إِذَا هَفَفَ فِي حَلْقِكَ فَلَمْ
تَكُذِّبْ نَفْسَهُ .

مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الْأَلْحَاطِ مَالِكَةٌ لِقُلُوتِنَا عَظِيمُ الْمُلْكِ فِي الْبَهْلِ (١)
تَشْبَهُ الْخَفَرَاتُ الْإِنْسَاتُ بِهَا فِي مَشْيِهَا قَبِيلُنَ الْحَسَنِ بِالْحَيْلِ (٢)
قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتْهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلٍ (٣)

يعنى أنها قد بلغت مبلغاً من الجمال حببها إلى كل أحد ، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام . وعبرة ابن جني : أجود ما تأول في هذا أن يجعل الذي يحمده من الشوق كأنه شخص ، والشخص إذا حصل في مكان لم يشغل غيره ، فإذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجده ، لأنه في أماكن كثيرة والشخص لا يشغل مكانين فأما المرض فلا يشغل مكاناً ، فإذا كان في قلب واحد جاز أن يكون في قلوب كثيرة . والمعنى يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدل كل قلب في عشيرتها به الذي بأبي الطيب من حبها ، فما بال حبها في قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل ؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسننها غير حبه لها ، وأن حبهم يتغير وينتقل ، وحبه لا يتغير ولا ينتقل ، بل هو ثابت .

(١) يقول : هي مطاعة اللحظ من بين ألحاط الحسان ؛ إذا دعا لحظها إنساناً إلى هواها لي مطيعاً فهي مالكة القلوت فتانة ؛ ولقلوتها ملك عظيم في دولة القل ، لهما دونها الأمر النافذ . وقال ابن فورجة : أى إن العيون إذا نظرت إلى عينها لم تملك صرف ألحظها عنها ، لأنها تصير عقلة لها ، فكأن عينها مالكة العيون . وهو معنى قول أبي نواس :

كَلَّ يَوْمَ يَسْتَرْقُ لَهَا حُسْنُهَا عَبْدًا بِلَا ثَمَنِ

(٢) تشبه — بحذف إحدى التاءين — أى تشبهه : والخفرات : الحيات ، والإنسات : جمع آنسة ، ويقال جارية آنسة ؛ إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحديثك . يقول : إن النساء الحيات ذوات الانس يقصرن عن محاسنها فيقشبن بها في حسن الشية ويربن مثل دلهما ، فيكتسبن الحسن بالتشبه بها ، ويمتلن حتى يملن ذلك وعبرة ابن جني والواحدى : إذا كان في حسن امرأة نقصير تشبهت بها في مشيها ، فيجبر حسن المشي نقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة .

(٣) الصاب : شجر مر . يقول : مرت بي من الدهر حلاوته ومرارته ، فما حصلت من حلوه على عسل ، ولا من مره على صاب ، لانتقضاهما وسرعة مرورهما ، فكأنى لم أذق شيئاً منهما : وهذا من قول البحترى :

وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي^(١)
وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا بِصَاحِبٍ غَيْرِ عَزْهَاءٍ وَلَا غَزَلٍ^(٢)
فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدْقُهُ وَلَيْسَ يَظُنُّ بِالشَّكْوَى وَلَا الْقَبْلِ^(٣)

ومن عَرَفَ الأيامَ لا يَرِ خفضها نعمًا ولا يعدُّ تصرفها بلوى
(١) يقول : إنه إنما كان حيا حين كان شابا ، فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روحه إلى غيره ، كما قال الآخر :

من شاب قد مات وهو حيٌ يمشى على الأرض مشى هالكٌ
والمعنى : أنه تغير بعد الشباب حتى صار غير ما كان أولا ، وعبارة العكبري : قد صحبت الشباب مسرورا وأراني الروح - يريد القوة والجلادة والنهضة - في بدني ثم صحبت المشيب مستكرها لصحته فأراني الروح في بدلي بتغير أحوالي وعجزى عن النهوض والقيام بسرعة كما كنت أيام الشباب ، وصرت أمتعين بغيري يساعدني على أحوالي ، وكأني بهذا قد أراني الروح في بدلي - يريد القوة والنشاط - والذي كنت أفعله وحدي صرت أحتاج فيه إلى مساعد وتلخيص المعنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ثم تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره ، وقال ابن فورجه : أحسن ما يحمل عليه البدل في هذا البيت الولد لأنه بدل الإنسان إذ كان يشب أو أن شيخوخة الأب وإذا مات ورثه ، فيكون كأنه بدله في ماله وبدنه .

(٢) رجل عزهارة وعزهارة وعزهي وعزه وعزوه وعزهي وعزهة وعزوهة وعزوهو : كله عازف عن اللهو والنساء لا يطرب للهو ويتعد عنه وعن مغازلة النساء والتحدث إليهن ، والجمع عزاء مثل سعادة وسعال وعزهون - بالضم - قال ابن بري : ويقال عزهارة للرجل والمرأة . قال يزيد ابن الحكم :

فخفا أيقني لا صبر عندي عليه وأنتِ عزهارة صبور

والغزل : الذي يهوى محادثة النساء . يقول : أبيت حبيتي ليلا ومعى سيفي وقد جعل السيف موضع الرداء والسيف لا يوصف بالليل إلى النساء ولا بالليل عنهن .

(٣) التراقي : جمع الترقوة ؛ العظم الذي بين النكب وبين ثغرة النحر . يقول : فبات السيف بيننا ونحن متعاقبان ولا علم له بما يجري بيننا من شكوى الاشتياق والقبل ولا غير ذلك مما يجري بين المحبين إذا هامت أمانقا ، ويشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر والخافة وأنه حين عانق محبوبه لم يخلع السيف

مَ أَغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ عَلَى ذَوَابَّتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخَلَلِ^(١)
لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِهِ
أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمَّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ^(٢)
جَادَ الْأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ فَرَانَهَا وَكَسَانِي الدُّرْعَ فِي الْخُلَلِ^(٣)

(١) الردع : التلطيح بالطيب ، يقال به ردع من زعفران : أى لطيح وأثر ، وردعه بالشئ يردعه ردعا فارتدع : لطيحه به فتلطيح ؛ قال ابن مقبل :

يَخْدِي بِهَا بَازِلُ فُتْلٌ مَرَّاقُهُ يَجْرِي بِدِيَابِجَتِهِ الرَّشْحُ مُرْتَدِعٌ^(١)
وروى من درعها : أى ثوبها . وذوابة السيف - هنا - حمائله . وجفنه : غمده .
والخلل : جمع خله - بكسر الخاء - وهى ما يخشى به الغمد من الجلد النقوش بالذهب وغيره . يقول : ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده ؛ والغلاف الذى فيه الغمد ؛ يعنى أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذى طيبت به .

(٢) المضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف والسنان : نصل الرمح ، والأصم : الصلب ، وهو صفة لمخدوف : أى سنان رمح أصم الكعب ، والكعب العقدة بين الأنبوبتين . يقول لأطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح ، يعنى أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه . قال العكبرى : الرواية التى قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين ورواه جماعة سنان - بالتنوين - والأجود الإضافة ، وإذا نون يكون المعنى : ومن سنان أصم كعبه ، والكعب للرمح لاللسنان ، وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه ، وأيضاً فإن فى السنان نونين ، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات ، وثلاثة حروف بمعنى فى كلمة ثقيل .

(٣) يقول : أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ما وهبه لى فزان بحسنه الهبات التى

(١) خدى البعير والفرس يخدى خدياً أسرع وزج بقوائمه مثل وخد ، وجمل بازله بزل نابه : أى انشق وذلك فى السنة التاسعة ، وذلك أقصى أسنان البعير والقتل شدة عصب الذراع ، ومرفق أقتل بين القتل . وقوله يجرى الخ قال بعضهم معناه متصغ بالعرقي الأسود كما يردع الثوب بالزعفران ، وقال آخرون : قوله مرتدع أى قد انتهت سنه .

- وَمِنْ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَعْرِفَتِي بِحِمْلِهِ مِنْ كَعْبِدِ اللَّهِ أَوْ كَعَمَلِي^(١)
مُعْطَى الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلَاحِ وَالْبِ
يَضِي الْقَوَاضِي وَالْمَسَالَةَ الذَّبَلِ^(٢)
ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَهُ الْأَرْضُ مِنْ مَلِكٍ
مِلْءُ الزَّمَانِ وَمِلْءُ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ^(٣)
فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرْقُ فِي شُفْلِ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ^(٤)
مِنْ تَغْلِبِ الْفَالِيبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ وَمِنْ عَدِيٍّ أَعَادِي الْجُنَيْنِ وَالْبَخَلِ^(٥)

وهينها وكسائي في جملة ما أعطاني من الثياب الدرع ؛ يعني أنه وهبه سيفاً ودرعاً في جملة ما وهبه .

(١) على : هو سيف الدولة : يقول : منه تعلمت حمل السيف ، فهو واهبه لي ومعلى حمله ثم قال مستأنفاً : من مثله أو مثل أبيه ، يعني لا مثل لهما ؛ ومن على : خبر مقدم ومعرفتي : مبتدأ مؤخر .

(٢) الكواعب : الجوارى الشابات ؛ أى التى كعبت - نبتت - ثديهن والجرد : الخيل القصار الشعر ، وذلك آية عتقها وكرمها . والسلاحب : الخيل الطوال ؛ والبيض القواضب : السيوف القواطع للماضية . والعسالة : الرماح التى تضطرب للينها والذبل الرماح الضامرة . يقول : إنه يعطى سائليه هذه الأشياء التى تدل على أنه يستصحب كرامة الفرسان وأعلام الشجعان في حياته بما يوافقهم ويعضدّهم بما يشاكلهم .

(٣) يقول : ضاق عنه الزمان والمكان ، فإن همه وما يغلبه من جليل المكارم وبتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يحمل الزمان مالا يطيقه ويحشمه مالا يعمله ، فيضيق عن غفامة قدره ، ويقصر عن جلالة مجده ؛ وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه : وإذن فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

(٤) الجذل الفرح ؛ والوجل الخوف . يقول : نحن المسلمين فرحون بانتصاره والروم في خوف منه لغاراته وغزواته والبر مشغول بمحيشه لا يتفرغ لغيره والبحر في خجل من ندى يديه .

(٥) تغلب : قبيلة المدوح ؛ وعدى ؛ رهطه . ومن تغلب : خبر مقدم ؛ ومنصبه

وَالْمَذْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنَجِّدُهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْيَمِّ وَالْحَطَلِ^(١)
 لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلِيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ^(٢)
 خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
 فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُفْنِيكَ عَنْ زُحَلِ^(٣)
 وَقَدْ وَجَدْتَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَاسِمَةً فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ^(٤)
 إِنَّ الْهَمَامَ الَّذِي فَخِرُ الْأَنَامِ بِهِ خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَى خَيْرَةِ الدُّوَلِ^(٥)

مبتدأ مؤخر ؛ والنصب : الأصل . وأعادى الجبن ، صفة لعدى . يقول : أصله من تغلب
 التي غلبت الناس نجدة وشجاعة ، ومن عدى الذين هم أعداء الجبن والبخل .

(١) أبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة ، وجملة تنجده - أى تعينه - حالية ، وإلى
 العجز عن الكلام ؛ والخطل : اضطراب القول وفساده . قال الواحدي : هذا تعريض
 بأبي العباس النامى الشاعر ، فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا
 في الجاهلية . يقول : إذا مدحته بذكر آبائه الجاهليين كان ذلك عين اليقين ثم أكد هذا
 المعنى وتعمه في الآيات التالية .

(٢) قوله فما كليب : أدخل ما على من يعقل ، لأنه أراد السؤال عن صفته مع
 الاحتقار لشأنه . وكليب : هو كليب بن ربيعة رئيس بني تغلب في الجاهلية . يقول : ليت
 ما مدح به من الشعر يستوفى ذكر فضائله ومحامده ، ومتى يتفرغ الشعر لذكر كليب
 وأهل الدهور السابقة وأين هم منه ؟

(٣) يقول . امدحه بما تشاهد منه واترك ما سمعت به ، فإن الشمس تغنيك عن
 زحل ، جعله كالشمس ، وآباءه كزحل وهو نجم بعيد خفي - يعنى فيما قرب منك عوض
 عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد : قال العكبري . وهذا من قول
 الحكميم : البيان شاهد لنفسه ، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ
 ما كان دليلا على نفسه .

(٤) يقول : وقد وجدت من مآثر المدوح المتوافرة الشائعة مجالا واسعا للقول فإن
 وجدت لسانا يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئا تقوله ؛ يعنى أنه لا
 ينقصه شيء بمدح به ، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح مافيه .

(٥) الهمام ذو الهمة العالية ؛ وخيرة : تأتيت خير ، بمعنى أفضل ، لا ألقوا الهمة

تُمنى الأمانى صرعى دون مبلغة فما يقول لشيء ليت ذلك لي^(١)
أنظر إذا اجتمع السيفان في رهج إلى اختلافيهما في الخلق والعمل^(٢)
هذا الممدد لربب الدهر منصلتا أعد هذا لرأس الفارس البطل^(٣)

من أوله استسهلوا تأنيته بالناء لأنه قد أشبه الصفات : يقول : إن هذا الهمام الذى يفتخر الخلق كلهم به ، لأنه فيهم ، هو أفضل السيوف فى كف أفضل الدول . يعنى دولة الخلافة .

(١) الأمانى : جمع أمنية ، الشيء الذى تتمناه . وصرعه : طرحه على الأرض ، ويقال تركته صريعاً : أى قتلاً يقول : إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا ترتقى الأمانى إليه لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئاً فلا يرى نفيساً إلا أوله خير منه ، وأوصار له ذلك الشيء ؛ وعبارة بعض الشراح : شبه الأمانى بالطرائد . يقول إذا سنحت له أمنية فطلبها سقطت دون مبلغ همته ، لأن همته أبعد شوطاً منها فلم يبق فى الدنيا شيء يستحق أن يتمناه ، لأن كل شيء فى قبضة إمكانه . وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحترى فى قوله :

ومظفر بالجد إذ راكته فى الحظ زائدة على أوطاره
وهو ضد قول عنتره :

ألا قاتل الله الطلول البوالي وقاتل ذكراك السنين الخوالي
وقولك للشيء الذى لا تناله إذا ما حلا فى العين يا ليت ذاليا

(٢) و (٣) يريد بالسيفين : سيف الدولة وسيف الحديد ؛ والرهج : الغبار وريب الدهر : حدثانه ؛ ومنصلتا - أى مجرداً - حال من ضمير الممدد . يقول إذا اجتمع السيفان فى رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر فأحد السيفين - وهو الممدوخ - معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال :

* وتقطع لزبات الزمان مكارمه *

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رءوس الأبطال فالأول موكل بدفع المكروه ، والثانى موكل بإحلاله ، وذاك عامل ذو إرادة يضرب بالثانى ، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه ؛ وإذن : كان الأول هو السكل فى السكل . ومن هنا كان اختلافهما .

فَالْعَرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكَدْرِ طَائِرَةٌ
وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ^(١)
وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمْشِي النِّعَامُ بِهِ فِي مَقِيلِ الْوَعْلِ^(٢)
جَازَ الدَّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرَشْنَةِ وَزَالَ عَنْهَا وَذَلِكَ الرُّوعُ لَمْ يَزُلْ^(٣)
فَكَلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاهُ عَنْدهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّيِّ^(٤) وَالْحَمَلِ

(١) الكدري : ضرب من القطا ، وهو من طير السهل ؛ والحجل : طائر في حجم الحمام ، أحمر للثقل والرجلين ، وهو يعيش في الجبال ، والعرب بلادها للفاوز والصحارى والروم بلادها الجبال . يقول : العرب تفر منه مع القطا في الفلوات والروم تفر منه مع الحجل في جبالها .

(٢) من أسد : يروى من ملك ؛ والمراد سيف الدولة . والوعل : تيس الجبل ، ومقيله : المكان الذي يعتصم به في رؤوس الجبال : يقول : ما فائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشي به خيله في آثار الفارين ؟ أى أنها لا تعجز عن جوب الجبال في آثار الروم فالمراد بالنعام : خيله ، شبهها بها في سرعة العدو - الجرى وطول الساق - قال الواحدى وفيه نكتة ، لأن النعام لا توجد في الجبال فجعل خيله نعام الجبل ؛ وقال ابن فورجه : يعنى بالنعام خيله العرب لأنها من نتائج البدو ، وقد صارت تمشي بسيف الدولة في الجبال لطلب الروم وقتالهم واستئزال من اعتصم بالجبال منهم .

(٣) الدروب : جمع درب ، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وخرشنة بلد من بلاد الروم ، والروع : الخوف والفرع . يقول إنه تغفل في بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذى ألم بأهلها منه .

(٤) يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف منهم وكثرة ما رأوا من السبي والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأَتْ في نومها السبي الذى تهذرو وقوعه والجمل الذى تتوقع ركوبه وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال ، يعنى أن ما استقر في قلوبهم من الخوف لا يفارقهم في النوم أيضا هذا : والحلم ما يراه النائم ، وتقول حلمت بكذا وحلمته أيضا ، قال الأخطل :

حَلَمْتُهَا وَبَنُورَ فَيْدَةٍ دُونَهَا لَا يَبْعُدُنْ خَيَالُهَا الْحُلُومَ^(١)

(١) قال الجوهري : يقال قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم في نومه أنه يياشرها ، وهذا البيت شاهد عليه .

إِنْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَ بَدَلًا
 مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ^(١)
 نَادَيْتُ بِمَجْدِكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا
 يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلٍ^(٢)
 بِالشَّرْقِ وَالْقَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمْ
 فَطَالِ الْعَامُ وَكُنَّا أَبْلَغَ الرُّسُلِ^(٣)

أما الحلم - بالكسر - فهو الأناة والعقل . تقول : حلم - بالضم - يحلم حلما : أى صار حلما ، وتعلم : تكلف الحلم ، قال حاتم الطائي

تَحْلَمُ عَلَى الْأَذْنَيْنِ وَاسْتَبَقَ وَدُهُمُ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحَلْمَ حَتَّى تَحْلُمَا
 أما قولهم حلم الأديم : فالأديم : الجلد المدبوغ ، وحلم : أى أفسده الحلم ، وهو دود يقع في الجلد فيأكله ، قال الوليد بن عقبة بن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال علي عليه السلام ، ويقول له : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فسادك كهذه المرأة التي تدبغ الأديم - الذي وقعت فيه الحلة فنقبت ، وأفسدته فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كِدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

(١) الجزى : جمع جزية ، وهو ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبتهم ويحفظ دمهم . يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية وتنفقوا عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها ، وذلك غاية أمنيتهن ، كالأعور يتمنى الحول ، والجهول خير من العور . يعنى أن الجزية خير لهم من القتل .

(٢) المنتحل : الدعى على غير حقيقة . يقول : ناديت بمجديك الموصوف في شعري وقد صدرا عنى وعنك : أى سارا في الآفاق وبعد ذكرهما بإجدا غير منتحل في شعر غير منتحل ؛ يعنى أن كلا منهما حقيقة لادعوى ، وفيه إشارة إلى أن مجده خلد ذكره في شعره وأنها يسيران معا ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلي .

(٣) أبلغ : من التبليغ ؛ وأفعل لا يبنى من غير الثلاثي لإشذوذا . يقول - لشعره ومجد المدوح - أتما سائران في الدنيا شرقا وغربا ، ولنا فيهما أناس نحب مشاركتهم في أمرنا ومطالبهم بأحوالنا فتحملنا إليهم رسالتى وهم ما ذكره في البيت التالى .

- وَعَرَفَاهُمْ بِأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ أَقْلُبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَلِيلِ وَالْخَوْلِ (١)
يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي ،
وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الْإِحْسَانِ لَا قَبِيلِي (٢)
مَا كَانَ نَوَيْي إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي بِأَنَّ رَأْيَكَ لَا يُؤْتِي مِنَ الزَّلَلِ (٣)
أَقِلْ أُنْثَى أَقْطِيعَ أَحْمِلَ عَلَّ سَلَّ أَعِذْ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ هِيلِ (٤)

(١) الخول : الخدم . يقول : عرفاهم أي متقلب في نعماء في سيف الدولة ، مغمور بمكارمه ، متصرف في فواضله ، أقلب الطرف - النظر - بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة .

(٢) يقول : إنما أذاك الشكر من جهة إحسانك لإحسانك هو الذي شكرتك ، لا أنا كأنه ينفي اللنة عليه بشكره ومدحه .

(٣) إلا فوق معرفتي : رواها ابن جني «إلا بعد معرفتي» وقال : ملحق السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسي إلى فضلك وحملك . . . وقال ابن فورجه : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : ما تمت عما وجب على من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب إلا لثقت باحتمالك وسكوني إلى جزالة رأيك . . قال الواحدى - بعد أن أورد كلامهما - : وكلاهما قد بعد عن الصواب ، والمعنى : إنما أخذنى النوم أى إنما سكنت نفسي واطمأنت مع عتبك لثقت بحملك ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلى أنك لا تعجل على ولا ترهق عقوبة ، وأن الحساد لا يستزلونك بوشاياتهم ، قال : وأراد النوم الحقيقي لا السهو والتفريط ؛ ألا ترى أنه قال فوق معرفتي ؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التى ينام فوقها ؛ وقوله لا يؤتى من الزلل ؛ أى أنت موفق فى كل ما تفعله لاتأتى الزلل .

(٤) أقل : من الإقالة من العثرة أى أقل من استنفضك من عثرته ؛ وأنثى : من الإنالة - الإعطاء - وأقطع : من قولهم أقطعهم أرض كذا : أى جعل له غلتها رزقا . واحمل : من قولهم حملة على فرس ونحوه : أى جعله ركوبة له . وعل : أى ارفع جأهى من التعلية . وسل : من التسلية ، وهى إذهاب التعم ؛ وأعد : أى أعدنى إلى موضعى من حسن رأيك ؛ وزد : أى زدنى من إحسانك ؛ وهش : أمر من قولهم : هش إلى كذا يهش - وبش : من قولهم بش بالرجل ييش : أى ابتسم إليه وآنسه . . ويعكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل : قد أقلنا ، وتحت أنثى : يحمل إليه كذا وكذا من الدرام ، وتحت أقطع : قد أعطيناك الضيعة الفلانية - وهى ضيعة يباب حلب - وتحت «عل» : قد (١٤ - التلخيص ٣)

لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ؛ فَرُبَّمَا صَحَّحَتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَالِ (١)
وَمَا سَمِعْتُ ، وَلَا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلٍ (٢)

رفعنا مقامك ، وتحت صل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأيتنا ؛ وتحت زد : يزداد كذا وكذا ، وتحت تفضل - وهو من الأفضال - قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك منا ، وتحت «سر» قد سررناك ، فقال المتنبي : إنما أردت من القسري ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد وصلناك . وسنصلك ، وكان بحضرة سيف الدولة : حينئذ شيخ ظريف يقال له المعلقى ، ففسد المتنبي على ما أمر له به فقال لسيف الدولة : قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش هـ هـ هـ هـ هـ ؟ -
يعنى حكاية الضحك - فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة ، وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ وَزَادَ وَقَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلَ
ومثله لأبي العيثيل :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ تَكُونَ خِصَالُهُ كَخِصَالِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْصِتْ وَاسْمِعْ
أَصْدُقْ وَعِفْ وَبَرَّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ وَاحْلَمْ وَدَارِ وَكَافٍ وَابْذُلْ وَاشْجِعْ
(١) يقول : لعل أحمد عاقبة عتبك وذلك أن أردت بعد عفوك ، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب ، كمن يعتل ، فربما تكون علته أمانا له من أدواء أخرى ، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها ؛ أو تقول : لعل عتبك يكون سببا لتحقيق وفائى وإخلاصى فى خدمتك ، ويقطع عن السنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من اللعل ما قد يكون سببا لصحة الأجسام ، وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها . وفى هذا نظر إلى قول الآخر :

لَعَلَّ سَبَبًا يُفِيدُ حُبًّا فَالْشَّرُّ لِلْخَيْرِ قَدْ يَجْرُ
وقريب منه قول ابن الرومى :

إِحْمَدُ اللَّهِ إِذْ رُزِقْتَ هِجَاءً هُوَ بَعْدَ الْخَوْلِ نَوَةٌ بِإِسْمِكَ
قد تذكرت موبقات ذنوبى فرجوت الخلاص منها بشتيمك
(٢) غبرى : معطوف على ضمير المتكلم ، وهو جائز للفصل بـ «لا» كما فى قوله تعالى « ما أشركننا ولا آباؤنا » وبمقتدر متعلق بسمعت . يقول : ماسمعت ولا سمع غبرى بملك

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكْلِفُهُ

لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ^(١)

وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ^(٢)

أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنْ وَلَا كَدَرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَغْدٍ وَلَا مَذَلٍ^(٣)

أَنْتَ الشَّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ غَيْرَ السَّنَوَرِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْقُلُلِ^(٤)

قادر يقدر على كل ما يريد ثم يذب - يذود ويدافع - عمن يغتاب عنده زوراً وبهتاناً ولا يحمله ما يسمعه من الوشائات والتحريش على من يحرش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب ، فقوله أذب : أفلت تفضيل ، من قولهم ذب عنه : أى ذاد ودفع . وقوله عن رجل - يعنى الغتاب - وقد بين علة ما ذكره هنا في البيت التالى .

(١) تكلفه يحذف إحدى التاءين - أى تكلفه ؛ والكحل : سواد فى أجفان العين خلقه * كأن بها كحلا وإن لم تكحل * يقال : رجل أكحل وامرأة كحلاء ، يقول : إنما ذلك لأنك حلما طبعت عليه لا يعوزك أن تكلفه ومن ثم لا يستخفه الغضب ، ولا يؤثر فيه كلام الواشين ، ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للتكلف والطبوع .

(٢) ثناك : ردك وصرفك ؛ والعارض : السحاب ؛ والمهطل : الكثير المطر يقول : وما صرفك كلام الناس فى إفساد ما بيننا عن استعمال ما يوجه الكرم معى ، ثم قال : ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل ؛ أى كما أنه لا يستطيع هذا لا يستطيع صرفك عن مقتضيات الكرم .

(٣) الجواد : الكريم ، ومننت على فلان : إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له ، كأن تقول له : أعطيتك كذا ، وفعلت لك كذا ، وعطف الكدر عليه للتأكيد : والمطال - بالكسر - الماطلة ؛ والذل : الضجر والقلق ، وكل من قلق بسره حق يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بماله حتى ينفقه فهو مذل . قال الأسود بن يعفر :

ولقد أروحُ على التجارِ مُرَجَلًا مَذِلًا بِمَالِي لَيْثًا أَجِيَادِي
وقال قيس بن الحطيم :

فلا تَمْذُلْ بِسَرِّ كُلِّ سِرَّةٍ إِذَا مَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ فَاشِي

يقول : لا تكدر عطاءك بالنى أو الماطلة أو الوعود أو اللل .

(٤) السنور : لباس من جلد كالدرع ، وصميت به دروع الحديد ؛ قال لبيد يرثى قتل هوازن :

وَرَدَ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ ^(١)
لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرْضٍ * * * بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ ^(٢)
ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه :
أَقِلْ أَنْلِ أَنْ ^(٣) صُنِ أَحْمِلْ عَلَّ سَلَّ أَعِدْ زِدْ هَشْ بَشْ هَبْ اغْفِرْ أَذْنِ سُرَّ صِلِ ^(٤)

وجاءوا به في هَوْدَجٍ ووراء كتاب خُضِرُ في نسيج السَّنَوَرِ ^(١)
والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو . والقلل : جمع قلة ، أهل الرأس . يقول :
أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى ، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم
وأجسامهم ورءوسهم : أي أنت الشجاع في مثل هذه الحال التي تتخلع فيها
قلوب الأبطال .

(١) ورد : عطف على « لم يبطأ » ومقارعة : حال من اتقنا أو مفعول ، والجدل
اللد في الخصومة ، أو مقابلة الحجة بالحجة ، أو المناظرة والمخاصمة ، وقد جادله مجادلة
وجدالا ، والاسم الجدل ، ويقال جادلت الرجل لجدلته : أي غلبته ، ولله من قولهم
جادلت الرجل : أي ألقيته على الجدالة ، وهي الأرض قال الرازي :

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلةِ وأتركُ العاجزَ بالجدالةِ

يقول : وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها .
وبعبارة أخرى : وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضاً بتخالف الطعان وتقارع
الأقران حق كأنه من شدة تلك المقارعة ، واتصال تلك المقاومة في جدل لا يقطع ،
وخصام لا ينقطع .

(٢) عن عرض : يريد كيفما اتفق ، يدعو له ، يقول : لا زلت ضارباً أعداءك كيفما
وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل في أجل مستأخر : أي معصوماً بأجل يستأخرك ،
وهذا من قول بعضهم - وقد سئل في أي شيء تحب أن تلقى عدوك ؟ - قال في
أجل مستأخر .
(٣) أن : أي ارفق .

(١) قوله وجاءوا به : يعني قتادة بن مسلة الحنفي ، وهو ابن الجعد ، وجعد : اسم
مسلة لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبي .

فراهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشْ أَبْقِ اسْمُ سُدْ قَدْ جُدْ مَرِ أَنَّهُ رِفِ اسْرِ نَلْ
غِظِ أَرِمِ صِبِ أَحْمِ اغْزِ اسْبِ رُغِ زَعِ دِلِ أَثْنِ نَلْ^(١)
وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُ كُفَيْتَهُ لِأَنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فَيْكَ وَقَدْ فَعَلْ^(٢)

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه أنْزُجٌ وَطَلَعٌ وهو يمتحن
الفرسان ، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :
شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشُّمُولِ تَرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلَعُ النَّخِيلِ^(٣)

(١) عِشْ : من العيش . وابق : من البقاء . واسم : من السمو ، وهو الارتفاع .
وسد : من السيادة . وقد : من قود الجيش ، أى قد الجيوش إلى أعدائك . وجد : من
الجود . ومر : من الأمر ؛ وانه : من النهى : أى كن صاحب أمر وهى . ور : من
الورى ، وهو داء فى الجوف ؛ يقال وراه الله . يريد أصب رئات أعدائك بأن توّجهم
وف : من الوفاء ؛ أى ف لأوليائك بالإحسان إليهم . وسر : من سرى يسرى ؛ أى
أسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم . ونل : من النيل ؛ أى نل ما تريد بسعدك وإقدامك
وتأييدك : و غظ : من القِظ ؛ أى غظ حسادك . وارم : من الرمي ، أى ارم يأسك
من يكيدك ويغضك . وصب : من صاب السهم المهدف يصيبه صيبا : لغة فى أصاب :
أى أصب أعداءك برميك . واحم : من الحماية : أى احم حوزتك ؛ واغز : من الغزو :
أى اغز أعداءك ؛ واسب : من السبي : أى اسب أعداءك ؛ ورع : أى أفرع أعداءك ؛
وزع : من وزعه - أى كفه - أى كف بوقائعك مسلطهم ؛ ود : من الدية : أى تحمل
الدية عمن يجب عليه . ول : من الولاية : أى ل الأمصار والبلدان محمداً فى ولايتك .
واثن : من ثناه ، بمعنى رده : أى اصرف أعداءك عن مرادهم . ونل : من ناله ينوله
إذا أعطاه : أى أعط عفاتك وقصادك .

(٢) يقول : كل ما دعوت الله لك به لو لم أَدع به كنت مكفياً ذلك ، لأنى سألت الله
جده الأمور ، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائى .

(٣) الشمول : من أسماء الحجر . والترنج . لغة فى الأترج ، وهو ثمر من جنس
الليمون معروف . والطلع : نور النخلة مادام فى الكافور ، وهو أول ما يرى من عذق

وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ طِيبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ^(١)
وَمِيدَانُ الْفَصَاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُمْتَحَنُ الْفَوَارِسِ وَالْخُلُوفِ^(٢)

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد إلخ ، فقال :
أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ ، وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِبَلِي^(٣)

النخلة . يقول : يقول : إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته ، يعني أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذها لذلك . قال ابن فورجه : تقدير البيت : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك ، لحذف لديك وأتى به في البيت الثاني ، دالا على حذفه ، والظروف كثيراً ما تضر . وقوله من شرب الشمول : أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أى أن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه .

(١) يقول : وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان ، ومجلسك مشتمل على كل شيء فيه طيب مما دق إلى ما جل ، أى أكان صغيراً أم كبيراً . فقوله : لديك خبر كل .
(٢) وميدان : عطف على كل - في البيت السابق - وممتحن : إما مصدر بمعنى الامتحان ، أو اسم مكان : أى المكان الذى يمتحن فيه الفوارس . يقول : ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وممتحن الفوارس والحيل بالتسابق والتجاول والطراد ، هذا هو الذى الذى ترنج إليه همتك ويغمر به مجلسك ، لا الشراب واللهو . قال الواحدى : عارض المتنبي بعض الحاضرين في هذه الأبيات ، وقال : كان من حقه أن يقول :

بعيدٌ أنت من شرب الشمول على الأترج أو طلع النخيل
لشفلك بالمعالي والعوالى وكسب المجد والذكر الجليل
وقدح خواطر العلماء فحصاً وممتحن الفوارس والخبول
فقال أبو الطيب هذه الأبيات مجيئاً له .

(٣) القيل والقول بمعنى واحد . يقول : إن الذى أتيت به هو كلام العرب الأصيل ، وكان يباني فيه بقدر ما عاينته ، لأنه أراد : الذى عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه أى لم تستحضره ليشرب على رؤيته ، ولكنه بنى الكلام على ما عاين : أى إنما بنيت البيان على العيان فأغنانى عن أن أقول : أنت شديد البعد وفى مجلسك ترنج الهند .

فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّسَاءِ مِنَ الْيُمُولِ^(١)
وَهَذَا الذُّرُّ مَأْمُونٌ التَّشْطَى ، وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُلُولِ^(٢)
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا اخْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ^(٣)
* * *

ودخل عليه في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، وعنده رسول ملك الروم
وقد جاء يلتمس الفداء ، وركب الفلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعها
ثلاثة أشبال بالحياة وألقوها بين يديه ؛ فقال أبو الطيب مرتجلا :

لَقِيتَ الْعَفَاةَ بِأَمَالِهَا ، وَزُرْتَ الْعُدَاةَ بِأَجَالِهَا^(٤)
وَأَقْبَلْتَ الرُّومَ تَمْشِي إِلَيْكَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَأَشْبَالِهَا^(٥)

(١) البعول : جمع بعول ، الزُّوج . يقول : إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة
المرأة من الرجل : أى أنه ينحط عن درجة كلامى انحطاط المرأة عن درجة الرجل .
وهذا ينظر إلى قول أبي النجم :

إِنِّي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَتَى وَشَيْطَانِي ذَكَرُ

(٢) هذا الدرر : مبتدأ ؛ ومأمون التشطى : خبر ؛ ومأمون الثانية : بدل من
السيف ، والتشطى : التكسر والتفرق : والفلول : جمع فل ، وهو الثلمة التى تصيب
السيف من الضرب به . يقول : إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تنفتت أجزاؤه ولا يصير
قطعا لا كتنازه وصلابته ؛ وكذلك أنت السيف الذى لا يتلم حده ولا يخشى
عليه الانقلاب .

(٣) يقول : إن من لا يعرف النهار إلا بدليل يده عليه لم يصح في فهمه شيء لأنه
لا فهم له ، كذلك كلامى كان واضحا ، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهائرا
إلا بدليل .

(٤) العفاة : جمع عاف طالب المعروف . والعداة : جمع عاد ، الأعداء . يقول : إنك
تعطى سائلك ما أملاه وتزور أعداءك بما يحذرون من شدة بأسك . فتقرب بزيارتك
لهم آجالهم إذ تقتلهم .

(٥) الليث : الأسود ، والأشبال أولادها .

إِذَا رَأَتْ الْأَسَدَ مَسْبِيَةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأُطْفَالِهَا^(١)

* * *

ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحاً كان بين يديه ورُفِعَ فقال ارتجالاً :
وَصَفَتْ لَنَا وَلَمْ تَرَهُ سِلَاحًا كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النَّزَالِ^(٢)
وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفًّا عَلَى دُرُوعٍ فَشَوْقٌ مَن رَأَاهُ إِلَى الْقِتَالِ^(٣)
فَلَوْ أَطْلَفْنَا نَارَكَ تَأَلَّدِيهِ قَرَأْتَ اخْطُطْ فِي سُودِ اللَّيَالِ^(٤)
إِنْ اسْتَحْسَنْتَ وَهُوَ عَلَى بَسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ^(٥)

(١) هو من قول الآخر :

وَمَنْ كَانَتْ الْأَسَدُ مِنْ صَيْدِهِ فَلَنْ يُفْلِتَ الدَّهْرَ مِنْهُ أَحَدٌ

(٢) يقول : وصفت لنا سلاحاً ولم نره - لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه - فكأنك تصف وقت النزال - الحرب - لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال . هذا : والضمير في نره : عائد إلى السلاح لأنه في نية التقديم . قال العكبري : ونصب سلاحاً على إعمال الفعل الأول - وهو وضعت - على مذهبه - أى مذهب التنبي وهو كوفي مثل العكبري - في إعمال الفعل الأول ، ومثله لدى الرمة :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشَفْرِى لَيْثِمًا أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا

(٣) البيض : جمع بيضة ، المغفر من الحديد يكون على الرأس . يقول : وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من ممعه إلى الحرب . « أن » وصلتها عطف على سلاحاً .

(٤) تا : أى هذه . يعنى ناراً أوقدت بين يديه ، أو نار الشمع . أو السراج أو القناديل التى يستضيء بها . يقول : إن بريق هذه الأسلحة يغنى عن النار فى الإضاءة ، حتى يقرأ ما خط فى الصحف فى الليالى الحالكه . قال العكبري : « تا » : نعت لـ « نارك » وهى فى موضع نصب ، كما تقول : ضربت زيدا هذا ، فهذا نعت لزيد : أى هذا المثار إليه ، ولو جعل بدلا لجاز و « تا » إشارة للمؤنث الحاضر . كما يشار بـ « ذا » إلى المذكر الحاضر

(٥) استحسننت : أراد استحسنته ، فحذف الماء للعلم به ؛ وعلى الرجال : حال سدت مسد الخبر . يقول : إن استحسننت هذا السلاح وهو ملقى على البساط فاحسن من ذلله إعماله فى الوغى ، وهو على الرجال .

وَأَنْتَ لَهَا النَّهْيَةُ فِي السَّكَالِ (١)
وَلَوْ لَخَطَ الدُّمُسْتَقُ جَانِبِيهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالًا حِلَالِ (٢)

* * *

وقال يمدحه ، وأنشدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة (*) :
لِيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طَوَالٍ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)
يُبِينُ لِي الْبَذَرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ ، وَيُخْفِينِ بَدْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ (٤)

(١) يقول : وإن بالرجال وبالسلاح نقصا ، وكالها بك .
(٢) الدمستق : قائد الروم . يقول : لو رأى الدمستق جانبي ذلك السلاح لأكثر من قلب رأيه في التوقي منه . وقوله « حالا لحال » حال ؛ واللام : بمعنى على ، مثلها في قولهم :

* قلب أمره ظهراً لبطن

(*) كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مصر لاضطراب البادية بها ، فزل حران وأخذ رهائن بني عقيل وقشير وبلغجلان ، ثم حدث له بها رأى في الغزو ، فعبر الفرات إلى دلولك إلى قنطرة مشجة إلى درب القلة ، فشن الغارة ، فعمطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية ، وعبر قبايق حق ورد الخاض على الفرات ، ورحل إلى ميساط ، فورد الخبر بأن العدو في بلد المسلمين ، فأسرع إلى دلولك وعبرها ، فأدركه راجعاً على جيحان ، فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وخرج الدمستق على وجهه ، فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه وبذكر ذلك .

(٣) الظاعنين : جمع ظاعن ، المرتحل . وشكول : جمع شكل ؛ أى شبيه يقول : إن ليالي الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول ، أما لياليه هو فهي متشابهة في الطول لبعده الحبيب وامتناع النوم ، ولك أن تقول : إن مشاكلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحاً ولا نوماً . يقول : لا يتغير حالى في ليالى بعد الأحبة ولا يتقضى غرامى ووجدى بهم : أى أنه لا يسلو برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل :

إذا ما شئت أن تسلو خليلاً فأكثر دونه عدد الليالى

ثم أخبر عن طول لياليه فقال هى طوال ، وكذا ليالى العشاق .

(٤) الضمير في « بين » و « يخفين » لليالى . يقول : يظهرن لى بدر السماء القرمي لا أريده ويخفين البدر الذى لا أجد إليه سبيلا ، وهو الحبيب :

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأُحْبَةِ سَلَوَةً وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حُمُولٌ^(١)
وَأَنْ رَحِيلاً وَاحِداً حَالٌ يَبْنِنَا ،

وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلٌ^(٢)
إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ أَذْنَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرَحَتِي رَوْضَةً وَقَبُولٌ^(٣)

(١) يقول : ليس بقائي بعدهم سلوا عنهم ، ولكن لأنني صبور على النوائب والشدائد ، حمول لها ، كما قال أبو خراش الهذلي :
فلا تحسبي أنني تناسيتُ عهدَكم ولكن صبري يا أميم جميل
وسلوة : مفعول له :

(٢) جملة « حال بيننا » خبر « إن » . يقول : إن ارتحال الأُحبة عني حال بيني وبينهم ،
لأننا افترقنا ، وفي الموت الذي يسببه الفراق ارتحال آخر : يعني أنه لا يعيش بعدهم ،
أو تقول : إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفاً من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة
فيزداد بعداً عنهم .

(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية . وبرحتي : فارقتي . والقبول : ربح الصبا .
يقول : إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسم بها يدينني إليكم - لأنها تذكرني روائعكم
وطيب أيام وصالكم - فلا فارقتي روضة أتُنشَقُ روائعها وريح قبول أتُنسم بها لأكون
أبدأ على ذكر منكم ؛ وفي هذا المعنى يقول البحري :

يَذْكُرُنَا رِيّاً الْأُحْبَةُ كَلِمَا تَنْفَسُ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ بَارِدُ
وَالأصل فيه قول الأول :

إِذَا هَبَّ عُلُوِيُّ الرِّيحِ وَجَدْتُني كَأَنِّي لِعُلُوِيِّ الرِّيحِ نَسِيبُ

هذا . وقوله أذنَى : أي أشد إدناءً ، فبني أفضل من الزيد . وقد ذهب ابن جني في

تفسيره هذا البيت مذهباً أثار عليه غبار الناقدين . قال : إذا كنتم تؤثرون شم الروح
في الدنيا وملاقة نسيمها ، فلا زلت روضة وقبولا انجذاباً إلى هواكم ، ومصيراً إلى
ما تؤثرونه ، ويكون سبب الدنو منكم . أراد : فلا برحت روضة وقبولا ؛ فجعل
الاسم نكرة ، والخبر معرفة للقافية . قال الواحدي : ومن فسر هذا التفسير فقد فضح
نفسه وغر غيره : وقال ابن فورجه : الروح يؤثره من يأوى إلى هم وينطوي على شوق ،
فأما الأُحبة - وإن كان إشار الروح طبعاً في الناس - فإنهم لا يوصفون بطلب الروح
وشم النسيم ، والتعرض لبرد الريح والتشفي بنسيم الهواء ، وأيضاً فما الحاجة إلى أن

وَمَا شَرَقَ بِالماءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الحَبِيبِ نَزُولٌ^(١)
يُحَرِّمُهُ لَمَعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظْمَانٍ إِلَيْهِ وَصُولٌ^(٢)
أَمَّا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا لَعْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلٌ^(٣)
أَلَمْ يَرَهُ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنِيكَ رُؤْيَى فَتَظْهَرُ فِيهِ رَقَّةٌ وَنُحُولٌ^(٤)
لَقِيتُ بِدَرْبِ القَلَّةِ الفَجْرُ لَقِيَةً شَفَتَ كَمْدَى وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلٌ^(٥)

يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ؟ وليس هذا من أخوات كان ، وإنما هي من برح فلان مكانه : أى فارقه . يقول : إذا لم يكن لى من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهواء وتشمى لطيفه بروائحكم ، وما كان ينالنى أيام اللهو والفرح بقرينكم فلا فارقتى روضة وقبول يسوق إلى روائح تلك الروضة وقال ابن القطاع : برح - هنا - بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بسم الروح الذى يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقتى روضة وقبول يأتينى براائحكم ؛ وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حياً جاءته الرياح بروائح أحبته لأن قبله :

* وفى الموت من بعد الرحيل رحيل *

(١) الشرق : النسيم . وتذكرا : مفعول لأجله ، أو حال سدت مسد الخمر ، بمعنى منذ كرا ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل : ونزول : جمع نازل يقول : إني كلما شربت الماء غصصت به لأنى أتذكر الماء الذى نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لى الماء الذى أشربه

(٢) يقول : إن ذلك الماء الذى نزل به الحبيب يحرم وردة لمع الرماح التى ركرها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان ، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم ؛ وبالحرى مناعة حبيبه فيما بينهم : أى فلا سبيل إلى زيارته ، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد .

(٣) فى النجوم : خبر مقدم ؛ ودليل - فى آخر البيت - مبتدأ مؤخر ؛ استطال ليله فقال : أليس فى هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلى على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة ؟

(٤) رؤيى : مفعول مطلق . وقوله فتظهر : جواب الاستفهام . يقول : إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها ، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينيها كما نظرت إليهما فيفتن بهما افتتاني فيرق وينحل وتقل أجزاؤه فينكشف عني وينحسر ؟

(٥) درب القلة : موضع وراء الفرات . والكمد : الحزن . ويروى شفت كمدى

وَيَوْمًا كَانَ الْحَسَنُ فِيهِ عَلَامَةٌ بَعَثَتْ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكَ رَسُولٌ^(١)
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَثَارَ عَاشِقٍ وَلَا طَلِبَتْ عِنْدَ الظَّلَامِ دُحُولُ^(٢)

والليل فيه قتل : جملة حالية . يقول : إنه بداله الفجر عند هذا المكان ، فاشتقت كبده بانصرام الليل كما يشتقي العدو بنسكة عدوه ، وجعل الليل قتيلاً لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبها بالدم . قال ابن جني : سأله - المتنبي - عن معنى هذا البيت فقال : وافينا القلة وقت السحر ، فكأنني لقيت بها الفجر ، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلاً وشننا الغارات وغنمنا ، وشفيت كددي لا نحسار الليل عني ، والليل قتل في ذلك للوضع . فكان النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به . . . وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال :

ولما رأيتُ الصبحَ قد سلَّ سيفه وولى انهزاماً ليله وكواكبه
ولاح احمرارٌ قلت قد دُبحَ الدُّجى وهذا دم قد ضمَّخَ الأرض ساكبه

(١) ويوما : عطف على الفجر - في البيت السابق - يقول : ولقيت بدوب القلة بعد ذلك الليل المستبشع الكريه يوماً حسناً جميلاً ، فذكرت به محاسنك فكان حسنه علامة صدق بعثت بها ، وكانت الشمس هي الرسول لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم فكانها جاءت بحسنه والحبيبة بعثت ذلك الحسن . وقال ابن جني : لما ثار القبار ستر الشمس فكانها رسول من محبوبته مستخف . وهذا المعنى من أحسن الكلام ، وفي معناه قول الآخر :

إذا طَلَعَتْ شمسُ النهارِ فإنها أَمارةٌ تسليمي عليكِ فسَلِّمي

(٢) اثار : افعل ، من الثَّار ، وأصله الحمز . اثار يثار اثاراً : إذا أدرك الثَّار ، خلَّته . والدُّحول : جمع دحل ، الثَّار والعداوة والحقد . يقول : إنما حسن نهاري بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه ، وبه اشتفيت من ليلي وما قاسيته فيه ، فكأنني أدركت ثأري منه ، وهي أول مرة أدرك عاشق ثأره وطولب الليل بما يحصل منه ، لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة . ولا بن فورجه هنا كلام حسن يزيد انتقاماً إيضاحاً قال : قد خلط أبو الطيب في هذه الأبيات تشبيهاً بتقريظ وهي من محاسن هذه القصيدة ، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى ، وأراد بقوله والليل فيه قتل : حمرة الشفق ، وأنه كدم على صدر نحير ، ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من . . . جعل حسن اليوم وهو ظفر

وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ حَتَّى اسْتَفْرَاهَا وَتَهْوُلُ^(١)
رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولُ^(٢)
شَوَائِلَ تَشْوَالُ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ^(٣)
وَمَا هِيَ إِلَّا خَطَرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحِرَانٍ لَبَّتْهَا قَنَا وَنُصُولُ^(٤)

سيف الدولة لسرويه به كالأمة التي جاءت من المحبوب، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطلوعها، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثار لأبي الطيب على ماجرت به العادة من نسبة الغرائب إلى المدوحين وإن كانت من المحال . يدل على هذا البيت التالي .

(١) الغريبة : الأمر الغريب . وتروق : تعجب . وعلى استفراها : أى مع استفراب الناس لها . وتهول : تفزع وتخيف . يقول : ولكنه يأتي بأمور غريبة لا عهد للناس بها من قبل ، وهي مع استفراب الناس لها تعجب التأمل فيها لحسنها وتوقع في نفسه الهبة استعظاما لقدرها .

(٢) الدرب : المدخل إلى بلاد الروم . والجرد : الخيل القصيرة شعر الجلد ، وهو آية كرمها . يقول : رمى الروم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلا .

(٣) شوائل : حال من الجرد - في البيت السابق - وشالت العقر ذنبها : رفعتها ؛ وتشوال : مفعول مطلق ؛ وبالقنا : متعلق بشوائل ؛ وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنانها . والمرح : لعب يتبعه النشاط والضمير في تحته : للقنا ، ويجوز أن يكون للدوح . شبه الرماح على الخيل بأذنان العقارب إذا رفعتها ، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذنان في ذلك الجرى ، وهو دليل كرمها وقوتها ، والتشوال أكثر ما يكون عند الجرى ، ثم دل على نشاطها بمرحها وعلى عزة نفسها بصهيلها .

(٤) هي : ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد ؛ والخطرة : اسم مرة من خطر له كذا : من يباله - وحران : بلد ؛ ولبتها : أجابتها ؛ والنصول : السيوف . يقول : لم تكن هذه الغزوة التي رمى بها أرض الروم إلا خاطراً عرض له ، فأجابت خاطره الرماح والسيوف ، أى أنها كانت - مع عظمتها وجلالها - من غير استعداد ولا احتفال .

هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ بِأَرْعَنَ وَطءَ الْمَوْتِ فِيهِ ثَقِيلٌ^(١)
 وَخَيْلٌ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ ثَقِيلٌ^(٢)
 فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكِ وَصَنْجَعَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةً وَرَعِيلٌ^(٣)
 عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطَّرْقِ رِفْعَةٌ وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الْأَنْبَسِ خُحُولٌ^(٤)
 فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُفْرِسَةً
 قَبَاحًا وَأَمَّا خَلْفُهَا فَجَبِيلٌ^(٥)

(١) الهمام : الملك العظيم المهمة . وهم : أراد فعل الشيء ؛ وأمضى : أنقذ ؛ والمهموم : المهم ؛ والارعن : الجيش الكثير المضطرب لكثرة . يقول : هو همام إذا هم بأمر فله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقیل على من يحاول هلاكه من أعدائه ، أى أن أخذه شديد .

(٢) وخيل : عطف على أرعن ؛ أى وبخيل ؛ وبراهها : هزلها ؛ والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . وثقیل : أى تنزل وقت المهاجرة أى نصف النهار للنوم . يقول : إن خيله التى تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يحشمها من العدو فهى لا تزال دائبة التسيار فى بلاد العدو ، فإذا نزلت ليلا فى بلد لم تقم به نهاراً بل ثقیل يبلد آخر .

(٣) دلوك : موضع وراء الفرات ؛ وصنعة : نهر بين ديار مضر وديار بكر ؛ والطود : الجبل العظيم ؛ والرعیل : القطعة من الخيل . يقول : لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياتها وخيله الجبال .

(٤) على طرق : حال من فاعل علت - فى البيت السابق - والرفعة : الاسم من الارتفاع ؛ والحمول : خفاء الذکر : أى سارت إلى الروم على طرق فى الجبال ، ومن ثم فهى مرتفعة على الطرق ، وهى خاملة الذکر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل .

(٥) ضمير «شعروا» للعدو، و«قباحا» حال، وجاء بها لازمة لأنها على معنى مستقبحة وقال العكبرى : إنها صفة لمغيرة . يقول : لجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا مغيرة عليهم ، فكانت قبیحة فى أعينهم لسوء فعلها بهم ، وهى مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقولہ الآتى :

حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَقْدُ بَيْحٌ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ

سَحَابٌ يَمْطُرُنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ . فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلٌ^(١)
وَأَمْسَى السَّيَّابَا يَنْتَحِبِينَ بِعَرَفَةٍ . كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلَاتِ ذُبُولٌ^(٢)
وَعَادَتْ فَظْنُوهَا بِمُوزَارٍ قَفَلًا . وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولُ قَفُولٌ^(٣)
فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَنَعِ خَوْضًا كَأَنَّهُ . بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخْضُهُ كَفِيلٌ^(٤)
تُسَايِرُهَا النَّيْرَانُ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ . بِهِ الْقَوْمُ صَرَغَى وَالْدِّيَارُ طُلُولٌ^(٥)

(١) سحاب : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هى - الحيل - سحاب ، ورواها ابن جنى بالنصب على أنها بدل من قباحاً . قال العكبرى : ويجوز أن تكون بدلا من ضمير رأوها ، وغسيل : بمعنى مغسول ، جعل خيله كالسحاب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، ولما جعل السيوف مطراً جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم ، وقال ابن جنى : يجوز أن يعنى بالسحاب : الغبار الكثيف . يصف خيله بالكثرة يقول : سحاب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

(٢) عرقة : بلد بالشام ؛ والانتحاب : البكاء ؛ والجيب : ما انتفتح من القميص على النحر . والثاكيلات : جمع ثكلى ، وهى التى فقدت ولداً أو بعلاً أو أبا أو أخاً . يقول وأمسى الجوارى اللاتى سبين من الروم يسكين بهذا الموضع مفعبات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلهن حتى انهطلت إلى الأرض فصارت كأنها ذبول .

(٣) موزار ؛ حصن يلاذ الروم . والقفول : الرجوع . يقول : وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار ؛ يعنى أن عودها الذى ظنوه رجوعاً كان دخولا عليهم .

(٤) النجيع : دم الجوف خاصة ؛ والضمير فى «كأنه» للخوض ؛ وروى «نَجِيع» القوم يقول : خاضت الحيل الدم الذى سفكت من الروم خوفاً وافتراً تاماً هائلاً حتى هان غره بالإضافة إليه ، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك .

(٥) فى كل مسلك : يروى فى كل منزل . وصرعى . جمع صريع ، أى قتيل ، والطلول : ما بقى من آثار الديار ؛ يقول : تسير النيران مع الحيل أينما سلسكت ، أى أنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهلها فتخرب ديارهم وتبقى الآثار .

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلْطِيَّةٍ مَلْطِيَّةٌ أُمٌّ لِلْبَنِينَ فَكُولُ^(١)
وَأَضْمَقْنَ مَا كَلَّفَنَّهُ مِنْ قُبَابٍ فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عِلِيلُ^(٢)
وَرَعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَحْرُ عَلَيْهِ بِالرَّجَالِ سَيُولُ^(٣)
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجُهُ كُلِّ سَابِحٍ سَوَاءً عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ^(٤)
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ ، وَأَقْبَلَ رَأْسُ وَخَذَهُ وَتَلِيلُ^(٥)
وَفِي بَطْنٍ هَزِيظٍ وَسَمْنِينَ لِلْظُّبَى ، وَصَمَّ الْقَنَا يَمْنُ أَبَدَنْ بِدِيلُ^(٦)

(١) كرت : عطفت ؛ وملطية : بلد بالروم معروف ، ولأنه اسم أعجمي ، والاسم الأعجمي إذا وقع إلى العرب تصرف فيه ، أسكن الطاء وخفف الياء ؛ ويريد أهل ملطية . والشكول : التي تفقد أولادها . يقول : وعادت الخيل ومرت في دماء أهل ملطية . أي سفكت دماءهم حتى خاضت فيها ، ثم جعل ملطية أمّاً لأهلها وجعلهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

(٢) قباب : اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة ؛ وكلفنه : أي كلفن قطعه و«من» الداخلة على قباب لبيان « ما » . يقول : إن خيله أضعت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزاحمها فأضحى ماؤه كالسيل الساقط القوة فجعلت جرى مائه ضعيفاً .
(٣) يقول : لما عبرت الخيل بنا الفرات راعته - أفزعته - كثرة الخيل - أي كثرة الجيوش - التي خاضته ، فكأَنَّمَا تنحدر عليه سيول بالرجال ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلباً لأن الروع يكون في القلب .

(٤) السابح : الفرس الذي يمد يديه كأنه يسبح في جريه ، ويحتمل هنا سباحة للماء والغمرة : معظم الماء ؛ والمسيل : مجرى الماء . يقول : إن اللوح كان ينجفل عن قوائم الخيل ويمجرى أمامها وهي تتبعه ، فجعل ذلك كالطاردة ، ثم قال : إن هذه الخيل - لقوتها كانت لا تكثرث لغمرة الماء ، بل سواء لديها الغمرة والمسيل ، فتسبح في الغمرة كما تسير في المسيل الذي لا ماء فيه .

(٥) التليل : العنق : يقول : إذا سبح الفرس في النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه ، فكأن الماء ذهب بجسمه وبقي الرأس والعنق وحدهما يسبحان .

(٦) هنريط وسمنين : موضعان ببلاد الروم . والظرف : خبر مقدم عن بديل . متعلق بالظبي : جمع ظبة : حد السيف ؛ وصم القنا : الرماح الصلبة ؛ ومن أبدين . متعلق

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَفْرِفُونَهَا لَهَا غُرُرٌ مَا تَنْقَضِي وَحُجُولٌ^(١)
 تَمَلُّ الْحُصُونُ الشَّمَّ طُولَ زَيْلِنَا، فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ^(٢)
 وَيَتَنَبَّحُضْنَ الرِّانَ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى
 وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلٌ^(٣)
 وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ، وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولٌ^(٤)
 وَدُونَ سُمَيْسَاطِ الْمَطَامِيرِ وَالْمَلَا، وَأَوْدِيَةِ بَحْمٍ وَهَجُولٌ^(٥)

يبدل يقول : كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين ، فلما عاودته بعد مدة وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا من أفنتهم . يعنى أن إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم ، فكلما أتتهما طائفة منهم أفنتها هذه الخيل .
 (١) الفرر : جمع غرة : البياض في وجه الفرس ؛ والحجول : بياض يكون في قوائمها . يقول : طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة ، قد عرفوها لها شهرة كغمر الخيل وحجولها ، لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت .
 (٢) الشَّم : الطوال المرتفعة في السماء . يقول : إن الحصون الشام تمل طول مقاتلتنا إياها فتزول هي عن أماكنها بالحراب وتمكننا من أهلها .
 (٣) حصن الران : من حصون الروم ؛ ورزحى : ساقطة هزالا من الإعياء .
 والوجى : الحفى . يقول : باتت الخيل معيبة بهذا الموضع مما أصابها في حوافرها ، ثم اعتذر لها فقال : لم يلحقها ذاك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعباً فذات له وإن كانت عزيزة قوية .

(٤) قوله وفي كل نفس الخ : حال من ضمير الخيل - في صدر البيت السابق - والفلول : الثلوم . يقول وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه الملل لطول القتال وشدة الملاقاة ما خلا سيف الدولة ، فإنه لا يفترو ولا يمل ، وكذلك كل سيف في ذلك الجيش قد فله - ثلته - الضرب ، أما هو فلم تسلك عزائمه عن متابعة القتال ، لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته .

(٥) سميساط : بلد بشاطئ الفرات . والمطامير : جمع مطمورة ، حفرة غائرة في الأرض نجبا فيها الطعام والشراب والملا : جمع ملاء ، وهى الفلاة ذات الحروا والسراب .
 الهجول : جمع هجل ، المطمئن من الأرض ، قال أبو زيد :

لَبِسْنَ الدُّجَىٰ فِيهَا إِلَىٰ أَرْضِ مَرْعَشٍ

وَالرُّومِ . خَطْبُ فِي الْبِلَادِ جَلِيلٌ^(١)

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحَدَّهُ قَبْلَ جَيْشِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولٌ^(٢)

وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ، وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلٌ^(٣)

فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ فَتَى بِأَسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلٌ^(٤)

تَحْنُ لِلظُّمْءِ مَا قَدْ أَلَمَ بِهَا بِالْهَجْلِ مِنْهَا كَأَصْوَاتِ الزَّانِبِ^(١)

يقول : قبل الوصول إلى سيمساط هذه الأشياء .

(١) مرعش : بلد بالشعر قرب أنطاكية ؛ أى سارت الخيل في تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلاً ، فكأنها لبست الدجى حين سارت في الظلمة . وقوله وللروم خطب بذلك أن سيف الدولة لما تزن بمحسن الران ورد عليه الخبر أن الروم في بلاد المسلمين يعيشون ويقتلون ، فرجع إليهم مسرعاً ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر قسطنطين بن الدستق . ويجوز أن يكون المعنى : أن لأرض الروم خطباً جليلاً لأن الوصول إليها صعب لتعذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بمخواف خيله وذلل أهلها .

(٢) فضول : أى زوائد لا حاجة إليها . يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه ، ولما رآوه كذلك علموا أنه يغنى غناء الناس جميعاً وأن من سواه من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده .

(٣) الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية . والكيل : الذى لا يقطع يقول : وعلموا أن الرماح لا تصل إليه وأن السيوف تسكل عنه فلا تقطعه : إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما يلقيه على الطاعن والضارب من الهبة فلا يقدم عليه .

(٤) الحصان : المذكور من الخيل ، والجزيل : الكثير . يقول : إنهم قتلوا بحضرته وهو راكب ، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب ، واردين سيفه حين قتلوا به . أو تقول : يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بحده سيفه .

(١) قوله بالهجل : خبر متمد ؛ وكأصوات - أى مثل أصوات - مبتدأ مؤخر . قال ابن برى : والذى في شعره الزانير - بالنون - وهى الحصى الصغار .

جَوَادٌ عَلَى الْعِلَاتِ بِالمَالِ كُلِّهِ وَلَكِنَّهُ بِالدَّارِعِينَ بِخَيْلٍ^(١)
فَوَدَّعَ قَتْلَاهُمُ وَشَعَّيَ فَلَهُمُ
بِضَرْبِ حُزُونٍ التَّبْيِضِ فِيهِ سُهُولُ^(٢)
عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينٍ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي سَاقِيهِ مِنْهُ كِبُولُ^(٣)
لَمَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتَقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَتَوَلُّ^(٤)

فجعل صدر فرسه موردا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافئة ، وجعل سيفه موردا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به ، فهو فتي باسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير .

(١) على العلات : على كل حال . والدارع : الذي عليه الدرع . يقول : يهود بماله على اختلاف أحواله . كيفما دار به الأمر كان جوادا ، ولكنه بخيل برجاله ، يعنى أنه يبدل المال ويصون الأبطال ، ولك أن تجعل الدارعين من الأعداء ، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يجود بهم عليهم . وعبارة ابن جنى : بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميمهم اصطناها^(١)

(٢) الفل : المنهزمون . والحزون : جمع حزن ما غلظ من الأرض ، ضد السهل . والبيض : جمع بيضة ، ما يلبس على الرأس من حديد . يقول : ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رؤوسهم فيصبح مكانها مستويا بعد أن كانت ناتئة فوقه ، وقد طابق بين التوديع والتشيع والحزن والسهل .

(٣) قسطنطين : هو ابن الدمستق ، والكبول : جمع كبل ، القيد الضخم . يقول لم يشغله ما يعانى من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة . وقال الخطيب التبريزى : لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده .

(٤) يقول : لملك يوما تعود إلينا فيحقيق بك الهلاك الذى استدفقته بفرارك ، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه ، فهذا تهديد له : أى أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، . لعله من قول ابن الرومى :

(١) من اصطناع المعروف

نَجَوْتَ بِإِخْدَى مُهْجَتِكَ جَرِيحَةً وَخَلَفْتَ إِخْدَى مُهْجَتِكَ تَسِيلٌ^(١)
 أَتَسْلِمُ لِلْخَطِيئَةِ ابْنَكَ هَارِبًا، وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلٌ^(٢)
 بَوَجهِكَ مَا أَنْسَاكَ مِنْ مُرْشَةٍ نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلٌ^(٣)
 أَغْرَكُمُ طُولُ الْجِيُوشِ وَعَرَضُهَا عَلَى شَرْوبٍ لِلْجِيُوشِ أَكُولٌ^(٤)
 إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْيَثِ إِلَّا فَرِيَسَةً غَدَاهُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ أَنْكَ فِيلٌ^(٥)

وإذا خشيت من الأمور مقدراً وهربت منه فنفوه تتوجه

(١) المهجة : الروح ، وأنت جريحة بالناء ضرورة ، وخلفت : تركت خلفك : أراد بمهجة الأولى - وهى الجريحة - نفس الدمستق ، وبالثانية : - التى تسيل - ابنه وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة ليده لأن جرح البدن يسرى إلى الروح ، وكفى بسلان المهجة الأخرى - وهى ابنه - عن الهلاك : أى أنه يقتل فيسيل دمه ، قال السموذ :

تسيل على حدّ الظُّبَاتِ نفوسنا وليست على غير الظُّبَاتِ تسيل

يقول : إنه هرب مجروحاً - لأن سيف الدولة جرح وجهه فى هذه الواقعة - فنجأ نفسه وترك ابنه فى يد الهلاك ، فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكا بهلاك مهجته الأخرى - ابنه - لأن ما يدرك ابنه كأنما يدركه .

(٢) أسلمه . خذله وتركه والاستفهام : استفهام إنكار وتوبيخ ، والخطية : الرياح

ويسكن بمعنى يطمئن ويركن ، وهو جواب الاستفهام . يقول :. أنخذل ابنك وتركه للرماح وتهرب ويشق بك أحد بعد ذلك من خلانك ؟ أى لا يثق بك أحد بعد هذا .

(٣) المرشة : الطعنة ترش الدم ، والرنة : الصياح ، والعويل : البكاء . يقول :

بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل ، يعنى أنك عاجز عن نصرة نفسك فكيف تنصر ابنك ؟

(٤) يقول : أغركم كثرة رجالكم ؟ لا تفرنكم الكثرة ، فإن علياً - اسم سيف

الدولة - يطلبكم وإن كثر عددكم ، فالمراد بالشرب والأكل : الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر ، لأن ما شرب أو أكل لا ترى له عين ، وكأن هذا ينظر إلى قول أبى نواس :

فإن يك باقى إلفكِ فرعونَ فيكم فإن عصى موسى بكفّ خصيب

(٥) غداء : صار له غذاء ، والضمير لليث : وأنتك فيل : فاعل ينفعك أو غذاء

إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تَدْخِلْ فِيهِ شَجَاعَةً هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يَدْخِلْ فِيهِ عَذُولٌ^(١)
 فَإِنْ تَكُنِ الْإَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ فَقَدْ عَمَّ الْإَيَّامُ كَيْفَ تَصُولُ^(٢)
 فَدَتِكَ مُلُوكُ لَمْ تُسَمِّ مَوَاضِيًا ، فَإِنَّكَ مَاصِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٌ^(٣)
 إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِلدَّوْلَةِ
 فِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطَبُولٌ^(٤)

على طريق التنازع ، وهذا مثل ضربه . يقول : أتم وإن كنتم أكثر عددا فإن الظفر له دونكم ، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئا ، كالليل مع الأسد فإن الليل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد وبعبارة أخرى : إذا لم تكن إلا فريسة للأسد ، فكونك فيلا أى كونك ضخم الجثة ، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك في النجاة منه ، يعنى أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا في يد سيف الدولة ، ولكنها تكون سببا في شفاؤه بكثرة ما يقتل منهم .

(١) قوله هـى الطعن : نعت شجاعة يقول : إذا لم يدخلك في الطعن شجاعة هـى الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم ؛ يعنى أن التحريض لا يحرك الجبان (٢) صال عليه : وثب واستطال ، يقول : إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك ما لم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة ، يعنى أن الأيام تتعلم منه البأس .

(٣) مواصيا : سيوفا ، وشفرة السيف : حده . يقول : فدتك ملوك تروم مشاهبتك ولم تسم سيوفا ، إذ ليست أهلا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسما ومضاء .

(٤) البوقات : جمع بوق ، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويصر . وعنى يبعث الناس : سيف الدولة . يقول : إذا كنت سيف الدولة ، فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل : أى لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك ؛ أو تقول : إذا كنت سيفا للدولة يذود عنها ويقاثل بنفسه فيعرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل وقال العروضى : أراد بالبوق والطبل ، الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون في أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره في الناس ، كالבوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث : قال ابن جنى : وقد عاب على أبى الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع وق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة : مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ،

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولٌ^(١)
وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيدُنِي أَصُولٌ وَلَا لِلْقَائِلِينَ أَصُولٌ^(٢)
أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجْوُلٍ^(٣)
سِوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ^(٤)
وَلَا تَطْمَعُنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَلَئِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتُنْذِلُ^(٥)
وَأَنَا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسِي كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلُ^(٦)
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ نَصَابَ جُسُومُنَا وَنَسْلَمَ أَفْرَاضُ لَنَا وَعُقُولُ^(٧)

وجواب وجوابات ، وهو كثير في كلام العرب في جمع مالا يعقل من الذكر ؛ إذ لا يوجد له مثال القلة

(١) الهادي : بمعنى المهتدي ، وإذ : ظرف مضاف إلى الجلة بعده . يقول : أنا الذي أتقدم غيري . وأسبقه إلى ما أقول ، يعنى أنه يخترع المعاني الأبرار التي لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله .

(٢) أراه : جعل فيه رية ، والرية الشك والتهمة . يقول : إن ما يتكلم به حسادي فيما يريدني لا أصل له لأنه كذب وباطل ، وكذلك هم لا أصل لهم ؛ أي ليس لهم نسب يعرف به أصلهم

(٣) يقول : أعادى على على وفضلى وتقضى في الشعر ، وذلك مما يوجب الحب ، لا العداوة ، وأسكن أنا والأفكار تجول في ولا تسكن : أي لا تعرض لهم ، أمام فلا يفترقون عن تلس ما يشعرون به على .

(٤) يقول : لا تشتغل بـ عداوة حسد الحساد ، فإن الحسد داء عياء إذا حل في قلب فلا أمل في زواله ، فسوى : مفعول داو .

(٥) وتذيل : تعطى . يقول : لا تطمعن في مودة حاسد ، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه .

(٦) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر . يقول : وإنما لنلقى الحادثات بأنفس جلدة تهتقر الخطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة .

(٧) هذا من قول أبي تمام :

لا يأسفون إذا هم سمنت لهم أحسابهم أن تهزل الأعمار

فَتَيْهَا وَفَخَرَأَ تَغْلِبَ ابْنَةً وَائِلَ ، فَأَنْتِ تَحْلِيهِ الْفَاخِرِينَ قَبِيلُ^(١)
يَغْمُ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَدُوُّهُ إِذَا لَمْ تَغْلُهُ بِالْأَسِنَّةِ غُولُ^(٢)
شَرِيكَ الْمَنَايَا وَالنَّفُوسُ غَنِيمَةٌ ، فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمَيِّتْهُ غُلُولُ^(٣)
فَإِنْ تَكُنِ الدَّوْلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً^(٤)
لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلِلْبَيْضِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ صَدِيلُ^(٥)

* * *

(١) أنت « تغلب » لأنها قبيلة . ويجوز رفعها على النداء المفرد ، وجعل ابنة وائل منصوبا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل ؛ وابنة بدلا منها . يقول لتغلب : اغزى وتبى ، فإنك قبيلة خير من غر ، يعنى سيف الدولة . وتبها وغرأ : منصوبان على المصدر .

(٢) تغله : تهلكه وتذهب به ، يقال غاله يغوله ؛ إذا أهلكه والغول : المهلك ؛ يقال الغم غول النفس والغضب غول الحلم . يقول : إذا مات عدوه خفف أغمه ولم يقبل برماحه غمه ذلك ، لأنه على يقين من الظفر به

(٣) ممات : مصدر ميمي ، والضمير في قوله لم يميتته : مفعول مطبق مثله في قوله تعالى « عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » والفلول : الحيانة في الغم والسرقعة من الغنيمة وكل من خان في شيء خفية فقد غل . جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله . يقول : بينه وبين المنايا شركة في النفوس ، فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خاتته المنايا فيها . يشير إلى كثرة وقائمه واتصال ملاحمه .

(٤) الدولات : جمع دولة - بضم الدال وفتحها - العقبة في المال والحرب سواء ، وقيل بالضم في المال ، وبالفتح في الحرب . وقيل بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه ، وبالفتح : الفعل ، وهى في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، ويقال صار الفء دولة بينهم ، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ، والدولات هنا : بمعنى المصدر ، والموت الزوام : الوحي - العاجل - أو السكره . يقول : إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزوام غير متهب ولا مكترث .

(٥) لمن : بدل من « لمن » في البيت السابق ؛ والبيض : السيوف : والهام : الرءوس ؛ والكمأة : الأبطال المدججون بالسلح . يقول : إن الدولة تدول لمن وطئن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على السكره وهو يسمع هليل الحديد في رءوس الشجعان .

وقد جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال له سيف الدولة ماتقول
في هذا وما تحكم يا أبا الطيب ؟ فقال :

إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنْامِ سَائِلًا فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلًا
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا هُمَامَ وَائِلًا الطَّاعِينَ فِي الْوَعَى أَوَائِلًا^(١)
وَالْعَازِلِينَ فِي النَّدَى الْعَوَازِلًا قَدْ فَضَّلُوا بِفَضْلِكَ الْقَبَائِلَ^(٢)

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :
دُرُوعُ مَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَالُ يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَبِشَاغِلِ^(٣)
هِيَ الزَّرْدُ الضَّافِي عَلَيْهِ وَلَفْظُهَا عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ^(٤)

(١) من : مبتدأ ، خبره قد فضلوا - في البيت التالي - والهام : الملك العظيم المحمّد .
ووائل ، أبو قبيلة الممدوح ، جعله اسما للقبيلة فلم يصرفه . والطاعين : نعت وائلا .
والوعى : الحرب . وقوله أوائل : مفعول به ، أى أوائل الأعداء ، ويجوز أن
تكون حالا أى أنهم السابقون إلى الطعان : ومن روى الأوائل : تعينت المفعولية .
أراد الطاعين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم .

(٢) العاذلين : جمع عاذل . أى اللأثم ؛ والندى : الجود ؛ والعوازل : جمع عاذلة ،
أى لأئمة . يقول : إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم ، ومن كان هذا شأنهم
فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك ، ويتفردون بالكارم بما زدتهم من مجدك .

(٣) هذى الرسائل : مبتدأ مؤخر ؛ ودروع : خبر مقدم ؛ وملك - بسكون اللام -
محفف ملك - بكسرهما . - يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن هذه الرسائل التى
أرسلها ملك الروم هى له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله ، وقد
زاد ذلك بيانا فبا يلى : وقوله يشاغل : قال ابن جنى لفظة غريبة ، إلا أن العامة ابتذلها
فلو تجنبها كان أجود .

(٤) الزرد : الدرع المزرودة ، يدخل بعضها في بعض ؛ والضافي والسابغ بمعنى
الطويل التام . يقول : هذه الرسائل عليه درع سابغة : أى تقوم في الرد عنه مقام الدرع
ولكن ألفاظها فضائل لك وثناء مخلد عليك ، لأنها خضوع منه واستسلام إليك ، فهو
يخطب منك الصلح خوفا ورهبة .

وَأَنِّي أَهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ

وَمَا سَكَنْتُ مَذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِيلُ^(١)

وَمِنْ أَىِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقَى حَيَّادَهُ وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلِ^(٢)

أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وَتَنْقُدُ تَحْتَ الذَّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ^(٣)

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السَّمَاطِينَ مَشْيَهُ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ^(٤)

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ سَمِيكَ وَالْحِلُّ الَّذِي لَا يُزَايِلُ^(٥)

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرِّزْقَ وَالرِّزْقُ مُطْمَعٌ

وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلٌ^(٦)

(١) أنى : بمعنى كيف ؛ والاستفهام : للتعجب ، والقساطيل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل . يقول : كيف اهتدى هذا الرسول فى أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشراً لم يسكن ؟

(٢) الحيات : الخيل ، والمناهل : الوارد . يقول : لكثرة من قتلت بأرض الروم لم يبق منهل إلا صار ممزوجاً بالدماء فمن أى ماء كان يسقى خيله ؟

(٣) يجحد : ينكر ؛ وحيلة يكاد وما يليه : حال من فاعل أتاكَ ؛ وتنقذ : تنقطع . يقول : أتاكَ هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقماً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توها منه أنه قد انفصل عنه ، وتكاد مفاصله تنقطع هبة لك وفرقا منك . وقوله تحت الذعر : يروى تحت الدرع .

(٤) السماطان : الصفان ، يريد صفين من الجند كانا بين يدي سيف الدولة . والأفاكل : جمع أفكل ، الرعدة تعرض عند الفزع . يقول : إذا عوجت الرعدة مشى الرسول إليك هبة لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فر مستقيماً .

(٥) سميكَ : فاعل قاسمكَ ، ويعنى بسميه : السيف . وهو خليله الذى لا يزايله - لا يفارقه - يقول : إن سيفك قاسمك عني الرسول ولحظه ، فكان ينظر بإحدى عينيهِ إليك وبالأخرى إلى السيف ، يعنى أن رسول ملك الروم ملكه من هبة سيف الدولة ماملكه من هبة سيفه ، فأجال لحظه متبياً لها معا . وقد ذكر علة هذه المقاسمة فى البيت التالى .

(٦) الهائل : للفرع الخفيف . والضمير فى منه : للسيف . يقول : فأبصر منك

زَقَبَلَ كَمَا قَبْلَ التَّزْبِ قَبْلَهُ وَكَلَّ كَمَيَّ وَقِفْتُ مُتَضَائِلُ^(١)
وَأَسْعَدُ مُشْتَاقٍ وَأُظْفِرُ طَالِبٍ هُمَامٌ إِلَى تَقْيِيلِ كَمِّكَ وَاصِلُ^(٢)
مَكَانٌ تَمَنَّاهُ الشَّيْفَاءُ وَدُونَهُ صُدُورُ الْمَذَاكِي وَالرَّمَا حُ الدَّوَابِلِ^(٣)
فَمَا بَلَغَتْهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَجِبْ لَكَ سَائِلُ^(٤)
وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةٌ بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْكَ الْعِدَى وَأَسْتَنْظَرْتُهُ الْجَحَافِلُ^(٥)
فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ ،
وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ عَاذِلُ^(٦)

بسموم جودك الرزق المحي فاطمعه ، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع والبأس ، وقسم عينيه بين شطرين : التأمل والخوف .

(١) الكمي : الشجاع المدجج بالسلاح ؛ والمتضائل : المتصاغر خوفاً يقول : وقبل الرسول كمك بعد أن قبل الأرض والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هية لك .
(٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كمك ، وإذن نال الرسول بذلك شرفاً عظيماً لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك .

(٣) المذاكي من الخيل : التي كملت أسنانها ؛ والدوابل من الرماح : اللينة لطولها .
يقول : كمك مكان تتمنى الشفاء أن تقبله ولكن يتعذر الوصول إليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٤) يقول : لم يصل به إلى تقبيل كمك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك ولكنه سألك ذلك وأنت لا تخبئ السائل .

(٥) أكبر . فعل ماض ؛ وفاعله : العدى ؛ ويقال أكبرته : أى استكبرته ، قال تعالى « فلما رأيته أكبرته » وهمة : مفعول به وقوله بعثت به : نعت همة ، وأراد بعثته ، فأدخل عليه الباء قالوا : كل شيء ينبعث بنفسه كالبعث ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، فيقال : بعثته ، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به ، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره والجحافل : الجيوش ، يقول : إن أعداءك الروم استعظموا همة هذا الرسول إذ حملته همته على أن يأتيك مع ما يعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم - بعد أن طلبوا إليه أن يشغلك عن حربهم - تنتظر قدومه ليلفهم جوابك .

(٦) يقول : أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم ، فلما عاد إليهم .

تَحْبِرُ فِي سَيْفِ رَبِيعَةَ أَصْلَهُ وَطَائِعُهُ الرَّحْمَنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ^(١)
وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تَحْصُلُ مُقْلَةً ، وَلَا حَدُّهُ مِمَّا تَجَسُّ الْأَنَامِلُ^(٢)
إِذَا عَايَنْتَكَ الرُّسُلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ^(٣)
رَجَا الرُّومُ مَنْ تَرْجَى النُّوَافِلُ كُلُّهَا لَدَيْهِ وَلَا تَرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ^(٤)
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقَتَهُمْ
فَقَدْ قَمَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ^(٥)

أزرى بهم ولا مهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك ، ورأى جنودك وكثرة عديك ، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه

(١) ربيعة : قبيلة سيف الدولة ؛ وطبع السيف : عمله ، يقول : رأى الرسول منك سيفاً ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير إذ لم ير سيفاً قبلك بهذه الصفة

(٢) المقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والأنامل : رؤوس الأصابع ؛ ولون السيف : فرنده وجوهره ؛ والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه ، وأراد بحده عزيمته ، وكلا الأمرين لا يدرك بالحواس ، وعبارة الواحدى : إن العيون لا تحصل لونه لأنها لا تستوفيه بالنظر هيئة له كما قال :

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَنِي أَبْصَارِنَا هُنَا انْكَسَارُ
وَلَا تَجَسُّ الْأَنَامِلُ حَدَّهُ كَمَا تَجَسُّ حَدَّ السَّيْفِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سَيْفًا طَى الْحَقِيقَةَ . وَقَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

إِذَا أَبْصَرْتُ نَبِيَّ أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
(٣) يقول : إذا عاينتك رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة صاغرت عندهم أنفسهم وما أنوا به من الهدايا وتصاغر لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك كما قال البحتري :

لَحْظُوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَصَفَرُوا مِنْ كَانَ يُعْظَمُ عَنْدهُمْ وَيُجَبَّلُ
(٤) النوافل : جمع نافلة ، وهي العطية من حيث لا تجب ؛ والطوائل : الأحقاد ، واحداً طائلة . طائلة : أى عداوة وترة . يقول : رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر : أى لا يؤمل عدوه أن يدال عليه فيظفر بإدراك تروته .
(٥) يقول : إن كان الذى ساقهم إليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ وَجَاءُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُّ السَّلَاسِلُ^(١)
أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ^(٢)
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلٌّ وَابِلُ^(٣)
كَرِيمٌ مَتَى أَسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِيتَ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَاذِلُ^(٤)
أِذَا الْجُودُ أَعْطَى النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ^(٥)

فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والافتقار مالا يفعل القتل أكثر منه ، وقد فسر هذا في البيت التالي .

(١) يقول : خفاؤك خوفا ، لو قتلهم لم يزد خوفهم على ذلك ، وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل ، وفي المثل : الحذر أشد من الوقعة
(٢) الجداول : جمع جدول ، النهر الصغير ، وإليك مصيره : أى انتهاء إلى الخضوع لك ووصل حباله بحبالك والتصرف حسب أمرك

(٣) الطل : المطر الضعيف ؛ والوابل : المطر الغزير ، يقول : إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يحتذوا حذوك في جودك فأمطروا وأمطرت فطل عطائك يستغرق وابلهم ؛ يعنى أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم
(٤) كريم : خبر عن محذوف ضمير المخاطب : أى أنت كريم ؛ ولقعت حرب : اشتدت أو وقعت ؛ وحرب لاقع مثل بالأنثى الحامل ؛ قال الأعشى :

إِذَا شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَهْبَاءٌ لَا قَحْ عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا وَأَظْلَتْ^(١)
يقول : أنت كريم ما تسأل شيئا إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لوهبته مع شدة حاجتك إلى الفرس ، يعنى لو سئلت شيئا فى أحوج ما تكون إليه لوهبته

(٥) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعظمهم شعري ، أى لا تحوجنى إلى مدح غيرك ، وقال ابن جنى : أى لا تعط الناس أشعارى فيسلخوا معانيها ، قال الواحدي : وهذا - أى كلام ابن جنى - ليس بشيء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره وإخفاؤها عن الناس ، وأجود

(١) حرب عوان قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، ويقال همزته بناب : أى ععضته .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَنْبِي شُوَيْرٌ
 ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ^(١)
 لِسَانِي يَنْطُقُنِي صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ
 وَقَلْبِي يَصْنَعُنِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلٌ^(٢)
 وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ
 وَأُعِظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ^(٣)
 وَمَا التَّيْبَةُ طِبِّي فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّنِي
 بَغِيفُ إِلَى الْجَاهِلِ الْمُتَعَاوِلِ^(٤)

الشعر ماسار في الناس ، وقال المعري : يريد لا تعط الناس شعري فتجعلهم في طبق فتقول أنت مثل فلان

(١) الضبن : ما بين الأبط والكشح ؛ والشويعر تصغير شاعر ، والاستفهام : للتعجب والإنكار ، يقول : أفى كل يوم يتمرس بى شويعر صناعته فى صناعته قصير فى معرفته فأراه يباربى فى القوة وهو لا قوة له ويطاولنى وهو قصير أحمله تحت ضنبى ؟ يريد حقارة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضنبه لقدر على ذلك ، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة

(٢) الباء - فى الشطرين - بمعنى « فى » أى إذا نطقت صمت لسانى عنه وعدل عن مخاطبته وقلبى يضحك منه ازدراء به ؛ وبعبارة أخرى يقول : يعدل عنه لسانى فلا أكله ولا أهاجيه لأنى لا أراه أهلاً لذلك ، وقلبى يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتاً لأبدى الضحك والسخر ثم بين لم يفعل ذلك ؟ فيما يلى « هذا » والمهزل ضد الجد يقال : مهزل مهزل قال الكيت :

أَرَأَنَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا
 تَجِدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ

(٣) يقول : إنما لا أجيهم لأتعبهم يترك الجواب كما أنهم يغيظونى بالمعاداة وهم غير أشكال لى . وتقدير البيت أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد فى النداء ، كما أن أعيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك تترفع عن معارضته فلا تشفى منه .

(٤) التيه : الكبر ؛ والطب : العادة والديدن ؛ قال فروة بن مسيك المرادى :

فَإِنْ نَقَلَبَ فَعَلَّابُونَ قَدَمًا
 وَإِنْ نَقَلَبَ فَفِيرٌ مُفَكِّينَا

فَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنَ وَلَكِنْ
 مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَا

كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَالُ
 تَكْرُهُ صُرُوفُهُ حِينًا خِينَا^(١)

(١) قوله وإن نقَلَبَ ففِيرٌ مفطس . يعنى إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم

وَأَكْبَرُ تَبِيحِي أَنْفِي بِكَ وَائْتِ
لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمَ هَبَّةً
رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدُ
وَأَكْثَرُ مَالِي أَنْفِي لَكَ آمِلٌ^(١)
يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلٌ^(٢)
وَهُنَّ الْغَوَازِي السَّالِبَاتُ الْقَوَاتِلُ^(٣)
وَلَوْ حَارَبْتَهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ^(٤)

وبغيض : خبر مقدم عن الرفع بعده ؛ والجملة خبر أن ؛ وإلى : بمعنى عندي . يقول ليس الكبر عاتدي وديدي غير أنني أبغض الجاهل الذي يتكلف ويرى أنه عاقل ، يعني أن الذي يمنعني من تكليمهم إنما هو بغضي إياهم لا التكبر عليهم : أقول . ولوعكس المعنى وقال إني أعرض عنهم تكبرا واحتقارا لا بغضا واجتواء - لأنهم أقل من أن يبغيضوا - لكان أروع ، وما أجمل قول الطرماح .

لقد زادني حُبًّا للنفسِ أَنْفِي بغيفض إلى كلِّ امرئٍ غير طائِل
إذا مارأتني قطع الطرفَ بينه وبينني كفعل العارف المتجاهل
قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : إن الحكيم تربه الحكمة أن فوق علمه
علما فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بحمله وتعمقه النفوس
(١) يقول : أكبر ما أتبه به أنني وائتي بحميل رأيك في ، كما أن أكثر رأيي هو
من ناحية تأملي لك ورجائي فيك .

(٢) القرم : السيد ؛ وأصله : الفحل الكريم من الإبل . وهبة . أى انتباهة .
يقول . لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به
من القول الركيك ، فهلك باطلهم - يعني شعرهم - ويبقى الحق - يعني شعره - .
(٣) المراد بالقوافي : القصائد ؛ والغوازي : من الغزو يقول : مدحته بإذاعة
فضائله - فكأنني رميت بتلك القوافي التي ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظاً
وجسداً ، وجعل القوافي غوازي قواتل لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد ، وجعلها
سلطات لأنها تصيب ولا تصاب .

(٤) الثواكل : جمع ثاكل ، الفاقدة ابنها أو أباه أو أخاها . يقول : لو كانت

فعلبتنا فغير مغلبين ؛ والمغلب . الذي يغلب مراراً . أى لم تغلب إلا هذه المرة . وقوله
فما إن طبتنا إلخ : أى ما عادتنا وشأنا ؛ وقيل الطب ههنا . العلة والسبب أى لم يكن
سبب قتلنا الجبن وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية وانتقال الحال عا والدولة ،
والسجال - بالكسر - مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب .

وَمَا كَانَ أَذْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا وَالْطَفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوَلُ^(١)
 قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى إِذَا لَشَمْتُهُ بِالْفُبَارِ الْقَنَابِلُ^(٢)
 تَذَبُّرُ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كَفُهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتَانِ الْجُودِ شَاغِلُ^(٣)

النجوم جيوشاً ثم حاربه لقامت عليها النوايح ، يعنى أنها وإن قيل إنها خالدة لا تنفى
 لو حاربه لأتى عليها وأفناها .

(١) يقول : ما كان أقربها له لو قصدتها والطفها - أخفها - لو حاول تناولها ، يعنى
 أن سعده يقرب له البعيد ، وقال الواحدى : فى جميع النسخ والطفها برد الكناية
 - الضمير - إلى النجوم ، ولا معنى له ؛ والصحيح : والطفه ، برد الكناية إلى
 المدح : أى ما أطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرققه بذلك تناول ،
 من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر : أى رفيق ، يعنى أنه يحسنه وليس بأخرق ، وبعد ،
 فإن النجوم فى البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذى يستحيل على غيره بلوغه وقد
 بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) التائى : البعيد ؛ والورى : الخلق ؛ والقنابل : الجماعات من الخيل . واحدها
 قنبلة ، قيل القنبلة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه ، والقنبلة من الناس
 الطائفة منهم ، وقدر قنبلاية تجمع القنبلة من الناس : أى الجماعة . يقول . قريب عليه
 كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بجيشه فانهقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى
 حتى يصير له كاللثام . وبعبارة أوضح : إذا قاد جيشه وأنتد نحو العدو خيله ولثمت
 كتابه بما تشبه من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير
 مستعص عليه .

(٣) وقتا : ظرف ؛ ولها : خبر ليس ؛ وشاغل ؛ اسمها يقول : إن تدبير ممالك
 الشرق والغرب بكفه ، فإنه بسيفه وقوة يده يديرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس
 لها شئ يشغلها وقتاً عن الجود ، أى لا يفغل عن الجود وإن عظم شغله ، كما قال البحرى :
 تَبَيَّتْ عَلَى شُغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ لِحَدِّكَ يَوْمًا أَنْ تَبَيَّتَ عَلَى شُغْلٍ
 وروى ابن فورجه . وقت بالرفع ، على أنه اسم ليس وشاغل : نعت له . قال
 الواحدى : تهوس ابن فورجه فى هذا البيت فروى وقت بالرفع قال : وفيه معنى لطيف
 ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وم
 يحويانه وليس لها وقت يشغلها عن المجد ، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ

يَتَّبِعُ هُرَابَ الرَّجَالِ مُرَادُهُ^(١) فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارِضَتُهُ الْفَوَائِلُ^(٢)
وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ^(٣) تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ^(٤)
فَتَى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهُوَ كَامِلُ^(٥) لَهُ كَامِلًا حَتَّى يَرَى وَهُوَ شَامِلُ^(٦)
إِذَا الْعَرَبُ الْعَرَبَاءُ رَاوَزَتْ نُفُوسَهَا^(٧) فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِكُ الْخُلَاحِلُ^(٨)
أَطَاعَتِكَ فِي أَرْوَاحِهِا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ^(٩) وَالتَّفَتَّ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ^(١٠)

ما هو أحقر منهما أولى ، قال الواحدى وهذا الذى قاله - ابن فورجه - باطل محال
لا يقوله إلا غمر جاهل ، والوجه : النصب لأنه ظرف لشاغل .

(١) هراب . جمع هارب . ومراده : فاعل يتبع ، ولك أن تجعله مفعولا ثانيا ليتبع ؛
وحربا : نصب على الحال ؛ أى محاربا - يقال فلان حرب لفلان إذا كلن معاديا له ،
ولك أن تجعل حربا منصوبا بنزع الخافض : أى من الحرب . والفوائيل : جمع غائلة ،
وهى الداهية تنزل : أى تهلك . يقول : إن جده يسعده وينفذ مراده فى أعدائه ،
فمن فر منه محاربا جرى مراده فى أثره فهلك بسبب من الأسباب ، واستقبلته غائلة
تأتى عليه .

(٢) النائل : العطاء . يقول : من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسداً له استقبله
حيثما توجد عطاء منه ، وذلك لعموم نائله الأرض ؛ وبعبارة أخرى : إن جوده يشمل
الولى والحاسد ويعم المحسن والمسيء ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

وَإِذَا سَرَحْتَ الظَّرْفَ حَوْلَ قِيَابِهِ لَمْ تَلَقْ إِلَّا نِعْمَةً وَحُسُودًا

(٣) وهو كامل : حال من إحسانه ؛ وكاملا مفعول ثان لـ « يرى » وقوله : له الضمير
للمدح ، والظرف حال من الضمير فى « كاملا » : أى كاملا فى حقه وبالنسبة إليه يقول :
هو مع كون إحسانه كاملا قد بلغ الغاية لايراء كاملا بالإضافة إليه وإلى علوهمته حتى يكون
عاما يشمل الناس جميعاً .

(٤) العرب العرباء : القديمة الخالصة التى لم تشبها هجنة ؛ ورازت : جربت واختبرت
وفتاه : كريمها وسخها ؛ والخلاجل : السيد . يقول : إذا اختبروا نفوسهم عند الجود
والشجاعة علموا . أنك فتاهم وسيدهم لأنك أجودهم وأشجعهم .

(٥) يقول : هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم يذل أرواحهم لبذلوها فى طاعتك ،
وقد تصرفوا فى إيرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا
أجمعين بالخضوع لطاعتك ، ويجوز أن يكون معنى التفت عليك القبائل : أحاطت أنسابها
بنسبك . فأنت وسيط بينهم .

وَمَنْ لَمْ تَعْلَمْ لَكَ الدَّلَّ نَفْسُهُ مِنْ النَّاسِ طُرّاً عِلْمَتُهُ الْمَنَاصِلُ^(٣)
وَمَا يَنْفَكُ الْفَرَسَانِ إِلَّا الْعَوَامِلُ^(١)
رَأَيْتَكَ لَوْ لَمْ يَفْتَضِ الطَّعْنُ فِي الْوَعَى إِلَيْكَ أَنْقِيَاداً لَا فُتَضَّتْهُ الشَّمَائِلُ^(٢)

* * *

(١) الأنايب : جمع أنبوب ، العقدة الناشزة في القناة ؛ والقنا : عيدان الرماح ؛
والعوامل : جمع عامل ، وهو ما يلي السنان من الرمح . والنسكت : الوخز . ويقال
طعنه فسكته : أى القاء على رأسه . شبه قبائل العرب بأنايب الرمح وسيف الدولة
بالعامل قال الواحدى : هذا مثل يقول : إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون
بعض الرمح بعضاً لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الفرسان لأن
السنان فيها . كذلك القبائل : كلهم مدد لك والعمل منك ، فأنت منهم كالعوامل من
الرمح ؛ وهذا من قول بشار :

خَلَقُوا سَادَةً فَكَانُوا سَوَاءً كَكُمُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ
وقال البحتري :

كَالرَّمْحِ فِيهِ بَضْعَ عَشْرَةِ فِقْرَةٍ مُنْقَادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الْأَصْبَدِ
وبعبارة أخرى : يقول له - مؤكداً لما ذكره من انقياد العرب لأمره - كل أنابيب
الرمح مما تمده وتعينه ، ولكن العامل منها هو الذى به يكون الطعن وصرع الفرسان .
جعل موضع سيف الدلة من العرب - وإن كانوا مدداً له - موضع العامل من الرمح
الذى به يكون الطعن ، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنايب . وقال ابن جني :
اللعنى أن أصحابك وإن كانوا أعواناً لك فأنت الذى تتولى الحرب بنفسك وتتقدم إليها
كتقدم السنان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ وإليك : صلة انقياداً ؛ والشمائيل : الأخلاق ؛ والمفعول الثانى
لرأيت : محذوف سد مسده شرط ، « لو » وجوابها . يقول : إن لم يطعك الناس خوفاً
من طعنك أطاعوك حباً لشمائلك ، أى إن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك
من الطمان في القتال .

(٣) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف . يقول : من لم تعلمه نفسه الخضوع لك
وترشده سعاداته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك ؛ أى إن من لم يخضع لك
طوعاً ورغبة خضع لك خوفاً ورهبة .

وقال يعزبه بأخته الصفري ، ويسليه بالكبرى ، وأنشدها في رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجْلاً^(١)
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعْزَى عَنِ الْأَخْبَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعْزِيكَ عَقْلاً^(٢)
وَبِالْفَاظِكَ أُهْتَدَى فَإِذَا عَزَّ أَكَّ قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتُ قَبْلاً^(٣)

(١) يقول : إن كان صبر صاحب المصيبة على ما أصيب به يعد فضلاً له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك ؛ يعنى أنت أصبر ذوى الرزايا وأفضلهم . والرزية والرزيفة - بالهمز وبتركة - المصيبة .

(٢) يقول : أنت أجل من أن تعزى عمن ترزا به من الأحاب لأنك أعقل من الذى يعزبك وأهدى منه إلى معانى التعزية . قال ابن جنى : فوق - الأولى - نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية : ظرف ، وعلى هذا تكون « أنت » مبتدأ ؛ و« فوق » الثانية : خبر . وقال التبريزي : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون حذف للمنادى : أى أنت يا حيف الدولة وعلى هذا تكون فوق - الأولى والثانية - ظرفين ، وتكون الأولى : خبراً أول ؛ والثانية : خبراً آخر ؛ والوجه الثانى أن تكون « فوق » : نعنا له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء ؛ وعقلاً : نصب على التمييز .

(٣) اهتدى : أى الذى يعزبك . ونصب « قبلاً » على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك : جئتك أولاً وآخرأ ، كما قال :

وساغ لى الشرابُ وكنت قبلاً أكادُ أغصُ بالماء الفُراتِ^(١)

(١) روى عجز هذا البيت : أكاد أغص بالماء الحميم وروى أيضا بالماء المعين ، وروى : أغص بنقطة الماء الحميم ؛ قال البغدادى : وهو آخر أبيات خمسة ليزيد ابن الصق وهى :

ألا أبلغ لديك أبا حُرَيْثٍ وعاقبة السلامة للمُليمِ
فكيف ترى معاقبتى وتسى بأذواد القُصَيْبَةِ والقُصيمِ
وما برحتَ قلوصى كلِّ يومٍ تكسر على الخالفِ والمقيمِ

قَدْ بَلَوْتَ أَخْطُوبَ مُرًّا وَحَلَوًّا وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزَنًا وَسَهْلًا^(١)
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِقْلًا^(٢)

يقول : إن الذي يعزبك ، منك تعلم أَلْفَاظُ التعزية . فهو يقول لك في التعزية بما قلته قبل ذلك واستفاده منك . وعبارة العكبرى الإنشائية الانيقة : للمعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ويخاطبك بما تعلمه من قولك فقدرك مرتفع عن التعزية . فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثور عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن جلب إلى حجر القطيعاء (١) وإلى الفرات الماء ، وإلى البدر الضياء .

(١) بلوت ؛ خبرت . وأخطوب ؛ حوادث الدهر . والحزن ؛ ضد السهل ، وهو ما خشن من الأرض وارتفع ؛ والنصوبات - في البيت - أبدال . يريد ؛ حلوها ومرها وحزنها وسهلها . وتفسير العكبرى الجليل ؛ قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك ، وعرفت حلوها ومرها بتجربتك ، وسرت في الأيام مالكا صعبها تسلك منها ماصعب وسهل ، وتعانى ما بعد وقرب ، ناهضا بنفسك ، مكتفيا بملك .

(٢) يغرب ؛ ينجى بشيء غريب ؛ وعلموا قولاً ؛ كلاهما تمييز ، يقول ؛ عرفت الزمان وألوانه وصوره معرفة تامة ، فلا يأتي بشيء غريب ولا فعل جديد لم تره ولم تعرفه ، وقتلت الزمان علما يعني علمت منه كل شيء حتى أذلتته بملكك ولينتهك ، ومعنى القتل في اللغة ؛ إزالة الحركة ، ومنه يقال شراب مقتول ؛ إذا كسرت سورتها بالماء .

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذَا وَقَعْتُ فِيكُمْ قَبْلَ لَيْلِ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغ لى الشراب . . . البيت . الليم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه ؛ والمعاقبة ؛ المناوبة - من العقبة ، وهى النوبة - والدود من الإبل ؛ ما بين الثلاث إلى العشر ؛ والقصية والقصيم ؛ موضعان ؛ والمخالف من الخلوف ، وهم المقيمون في الحى حينما يذهب الرجال للغزو . وقوله وساغ ؛ عطف على نمت . والحميم ؛ الماء الحار ، وليس بمراد ، وقيل هو من الاضطداد يطلق على الماء البارد أيضا ؛ وأغص ؛ مضارع غصصت بالطعام ، والغصة ؛ ما غص به الإنسان من طعام ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق .

(١) حجر : بلد بالبحرين ، مذكور مصروف ، مشهور بتمره ؛ والقطيعاء - محدود ، مثل الغبيراء - صنف من التمر .

أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلًا^(١)
لَكَ الْإِلْفُ يَجْرُهُ وَإِذَا مَا كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلًا^(٢)
وَوَفَاءً نَبَتْ فِيهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلًا^(٣)
إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْنًا لَدَمْعُ بَعَثَتَهُ رِعَايَةُ فَاسْتَهْلًا^(٤)

(١) الذعر؛ الخوف قال ابن فورجه . يقول : أنت إذا حزنت على هالك فإنما تحزن حفاظا منك لوده وصحبته ووفاء له ، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل ؛ وغيرك يحزن خوفا من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن ؛ قال الواحدى ، وتفسير الحفظ على ما ذكره ؛ وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه . والوجه أن يقال أراد بالعقل ؛ الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتباراً به وعلما أنه عن قريب يتبعه على أثره ؛ وحزن غير العاقل يكون ذعراً من الموت ، وهو جهل لأنه ميت لا محالة وإن حزن .

(٢) الإلف : السكون إلى الشيء والأنس به . يقول : لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه ، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف ، وإذا كان ألوفاً حزن على فراق من ألفه ؛ وعبرة المكبرى : لك إلف لكريم صحبتك يجر الحزن إليك بمن تفقده من أحتبك ، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك ، وكذلك الأصل إذا كان كريماً كأصلك متمكناً في مثل نصاب شرفك ، كان أصلاً لكريم المواصلة والمؤالفة ، وباعثاً على مشكور المعاملة ، فمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك ، ومحلك من الكرم يوجب حسن المؤالفة . « ويجرّه » : رواها ابن جني : تجرّه - بالتاء - قال : أى تسجبه وتحمل ثقله .

(٣) ووفاء : عطف على إلف - في البيت السابق - . يقول : ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماء صغيراً ونشأت عليه ، فلا تعرف غير الوفاء للأحباب ؛ ولا بدع : فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فأنحدر إليك منهم ، وهذا الذى جر إليك الحزن على من فقدت . وقوله ولكن : هو استثناء معروف في كلام العرب ، يقولون فلان شريف غير أنه سخي ؛ وفي الحديث : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » أى فلا عجب في كونى أفصحهم . وقالوا :

فَتَى كَمَلْتَ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

(٤) الرعابة : حسن المحافظة ؛ والاستهلال : الانسكاب . يقول : إن الدمع الذى

أَيْنَ ذِي الرِّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْبِ بَ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلًا^(١)
أَيْنَ خَلَقْتَهَا غَدَاةَ لَقِيَتِ الرُّومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُنْفَى^(٢)

سببه رعاية العهد هو خير الدموع عوناً على الحزن والرزية ، وذلك أن الدمع يخفف
بحر الوجد ، كما قال ذو الرمة :

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعَقِّبُ راحةً من الوجد أو يَشْفِي نَجْمَ البلبالِ
وقوله عوناً : يروى «عندي» وروى ابن جني : عينا ، قال : وهو منصوب على التمييز
كقولك : إن أحسن الناس وجهاً لزيد ، والمعنى أن عينه خير الأعين ، لأن موجب دمعها
حتى استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ .

(١) استكره الحديد : أى أكره على الضرب ، وهو بدل من قوله في الحرب ؛
وصل الحديد : صوت . يقول : هذه الرقة والرحمة التى نشاهدها منك الآن أين هي
في وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصل بقرع بعضه البعض عند تجاليد
الأبطال ؟ قال البخترى :

لم يكن قلبك الرقيق رقيقاً لا ولا وَجْهُكَ المصونُ مصوناً
وقوله إذا استكره الحديد وصلاً : قال العكبرى . فيه نظر إلى قول لبيد :

أَحْكَمَ الْجَنْثَى مِنْ عَوْرَاتِهَا كُلُّ حَرْبَاءَ إِذَا أُكْرِهَ صَلَّ^(١)

(٢) خلفتها : رواها ابن جني : غادرتها ، وهما بمعنى ؛ والغداة البكرة ، وهى مضافة
إلى الجملة التى بعدها . والهام : الرءوس . والصوارم : السيوف ؛ وتنفى : من فليت رأسه
إذا فصلت القمل منه ، وأصله من فلوت الفلوة عن أمه : إذا أنت فصلته عنها . يقول :
أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم في الحرب والرءوس تطلب بالسيوف في جميع
الجهات كالغالى يتبع كل موضع من الرأس . هذا هو تفسير الواحدى ، وقد أبعد في
تفسيره «تنفى» بما قال ؛ ولم هذا وقد جاء في كتب أهل اللغة أنه يقال فى رأسه بالسيوف
فلياً : ضربه وقطعه ، قال الشاعر :

تُخَاطِبُهُمْ بِالسَّنَةِ إِلَيْنَا وَتُنْفَى الْهَامُ بِالْبَيْضِ الذَّكُورِ

فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه : أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم
في الحرب والرءوس تضرب بالسيوف ، والنفوس تخترم بالخطوف ؟

(١) الجنثى : السيف بعينه ؛ وأحكم : أى رد الحرباء - وهو مسار الدرع - من

عوراتها ، سيف .

قَاتَمَتَكَ النُّونُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فَيْكَ عَدْلًا^(١)
فَإِذَا قِيسَتَ مَا أَخَذَنَ بِمَا أَغْدَرَنَ سَرَى عَنِ الْفَوَادِ وَسَلَى^(٢)
وَتَبَيَّنَتْ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى وَتَبَيَّنَتْ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى^(٣)

(١) للنون : النية ؟ ويجوز تذكيره وتأنينه ، وقد يراد به الجمع ، وهو ما يقصده المتنبي - كما يدل على ذلك البيت التالي - وجوراً : حال ؛ والقسم - بالكسر - الاسم من قسمه . يعزیه بأخته الكبرى الباقية . يقول : قاسمك الموت شخصين - يعني أخيه - فذهب بإحدهما - الصغرى - وترك الأخرى - الكبرى - وكانت هذه المقاسمة جوراً - ظلماً - لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركت حياً وكانت المقاسمة معك في الاختين : يعني إذا كنت أنت البقية فالجور عدل ، هذا إذا نصب القسم وجعل الفعل للجور ، وروى « جعل القسم نفسه فيه عدلاً » يعني أن القسم جعل نفسه عدلاً في الجور ؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقى الكبرى فأترك بأفضل النصيبين لأنك أفضل المتقاسمين . ولترجع إلى النون فنقول ؛ قال علماء اللغة : النون الموت لأنه بمن كل شيء أى يقطعه ويضعفه وينقصه ، وقيل للنون : الدهر ؛ وجعله عدى بن زيد جمعاً فقال :

من رأيت النون خلدنَ أم من ذا عليه من أن يُضام خفيرٌ
وهو يذكر ويؤنث ، فمن أنت حمل على النية ، ومن ذكر حمل على الموت قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ المُنُونُ وَرَيْبُهُ تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ ليس بمُعْتَبَرٍ من يجزع

وقد روى : ورَيْبُهَا حملاً على النية ، وقيل إنما أنت على معنى الدهور فردده على عموم الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسواهن » لأن الألف واللام في الطفل بمعنى الأطفال ؛ والهاء بمعنى السموات : وقال أبو العباس : النون يحمل معناه على النايا فيعبر بها عن الجمع ، وأنشد بيت عدي بن زيد : من رأيت النون الخ أراد النايا ، فلذلك جمع الفعل .

(٢) أغدرن كغادرن : تركن . وسرى عنه : فرج . وسلى : عزى ؛ والضمير في سرى وسلى : للقياس ، أو لما أغدرن : يقول : إذا قست الصغرى التي أخذتها النية بالكبرى التي أبقته لك وجدت في ذلك ما تتعزى به لأنها أبت لك أحبهما إليك .
(٣) أى حين بقيت الكبرى . وأوفى : أتم . وجدك : أى سعدك .

وَأَعْمَرِي لَقَدْ شَغَلَتِ النَّايَا بِالْأَعَادِي فَكَيْفَ يَطْلُبُنِ شُفْلَا^(١)
وَكَمْ أُنْذِشْتَ بِالشُّيُوفِ مِنَ الدَّهْرِ أُسِيرًا وَبِالنَّوَالِ مُقْلًا^(٢)
عَدَهَا نُصْرَةً عَلَيْهِ فَلَمَّا صَالَ خَتَلًا رَأَاهُ أَدْرَكَ تَبْلًا^(٣)
كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْدِيهِ وَتَتَّبِقِي فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلِي^(٤)
وَلَقَدْ رَامَكَ الْعُدَاةُ كَمَا رَا مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا شَخْصَكَ ظِلًّا^(٥)
وَلَقَدْ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بِمَضَا
مِنْ نَفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكَتَ سَكْلًا^(٦)

(١) يقول : لقد شغلت النايَا بما توأصله في أعدائك من القتل في الحرب فكيف
تطلب النايَا شغلا بغيرهم فتفرغ إلى ذى قرابتك ؟
(٢) انتاشه : تناوله وانتشله . ويقال انتاشه من صرعه : إذا استنقذه ؛ والنوال :
العتاء ؛ والمقل : الفقير . يقول : كم نصرت أسيراً للدهر لا ناصر له استنقذته من أسر
الدهر ، وكم من فقير معدم نصرته بعطائك فأنقذته من أنياب الإقتار ، والفاقة .
(٣) فاعل عدها : ضمير الدهر ؛ والهاء : ضمير النصرة : أى عد نصرتك لهذين
نصرة عليه ، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة ، وصال : وثب واستطال ؛ والختل
القدر ؛ والتبل : التأثر . يقول : عد الدهر أفعالك — من انتياشك الأسير والمقل من
يده — نصرة عليه ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك
نأره منك لأنه حقد عليك بما فعلته ، فقوله رآه : أى رأى الدهر نفسه وهى من رؤية
القلب : أى ظن نفسه واعتقد .

(٤) يقول : ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثأراً لأنك تبلى الدهر
بقطعك أيامه وطول سلامتك وتبقى في نعمة لا تقوى ، إذ آتاك الله من السعد مالا تقوى
عليه غير الدهر وصروفه . ويقال كذبه ظنه : إذا خدعه وزين له الباطل .

(٥) رامك : طلبك . يقول : ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك
ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلاً عن أن ينالوا خاصة نفسك
والعنى لم يقاربوك بسوء ، وذلك أن ظله يقرب منه . وحاصل معنى البيتين أن الله قد
صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء .

(٦) يقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت السكل بما أعطيت من السعد والإقبال

قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلَكِنْ تَرَكَ الرَّاحِمِينَ رُمْحَكَ عَزْلًا^(١)
لَوْ يَكُونُ الَّذِي وَرَدَتْ مِنَ الْفَجْأَةِ طَعْنًا أَوْرَدَتْهُ اِخْلِيلًا قُبْلًا^(٢)
وَلَكَشَفَتْ ذَا الْحَنِينِ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى^(٣)

في الظفر بالأعداء ، يعني أن سعدة يقا تل أعداءه عنه ويؤويه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب ؛ فقوله : بالسعادة ، متعلق بـ «رمت»

(١) الراحمين : أى حاملى الرماح . وعزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه يقول : قارعت رمحك رماح الأعداء ، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم فكأنك سلبت رماحهم وتركتهم عزلا لا سلاح معهم . يشير إلى حذقه بالطن والاعتدار على التصرف فى الحرب .

(٢) وردت : استقبلت . والفجأة : المرة من فجعة : إذا أوجعه بعزير لديه والقبل جمع أقبل ، وهو الذى يقبل بإحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسا . وقال بعض اللغويين : الأقبل الذى أقبلت حدقتاه على أنفه ؛ والأحول : الذى حولت عيناه جميعاً . وقال آخرون : إذا أقبل سواد العين على الأنف فهو أقبل ، وإذا أقبل على الصدغين فهو أخزر ، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل بين القبل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ؛ قالت ليلى الأخيلية فى فائض بن عقيل - وكان قد فر عن توبة يوم قتل - ؛

ولما أن رأيت اِخْلِيلًا قُبْلًا تبارى بالثُدُودِ شَبَا الموالى^(١)
يقول : لو كان الذى أصابك من هذه الرزية طعنا لدفعته عنك بالخي ل والسلاح ؛ أو تقول : لو يكون الذى ألم بك من الرزية طعنا ومنازلة وقتالا لأوردت ذلك الوطن خيلك قبلا مقدمة ولا تقعمتها على الموت كل الإقحام .

(٣) الحنين : ما يجده الإلف إذا فارق إلفه ، وهو فى معنى الشوق . يقول :

(١) بعده :

نسيت وصاله وصَدَدَتْ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ
« الأرب : الكثير الشعر فى الأذنين والحاجبين ، وفى المثل : كل أرْب نفور ، لأنه يثبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نقر »

خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتْ السَّمَاءُ تُكَلَّلًا^(١)
وَأِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفُوفًا ذَاتُ خِذِرٍ أَرَادَتْ الْمَوْتَ بَقْلًا^(٢)
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفُسُ فِي النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى^(٣)
وَأِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفَّ فَمَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًا^(٤)

ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذي تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك . أو تقول : لو كان هذا الحنين للتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكاثرة ، لكشفته بضرب بالغ وإقدام على الموت صادق ، فطالما كشفت الكروب الموحمة ، ولكن الموت لا يدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة .

(١) خطبة : أى هذه خطبة ، وأصل الخطبة : طلب المرأة للزوج : والحمام : الموت والشكل : فقد من يعز من ولد أو حبيب أو قريب . جعل الشكل خطبة لها لأنها كانت بكرًا : أى لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هى المساة بالشكل وعبارة الواحدى : إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى ثكلا ؛ هذا إذا نصبت السماء على أنها خبر كان ونصب ثكلا بالسماء ، كما تقول ضربت المعطة درهما ؛ وإن رفعت السماء فالعنى : وإن كانت هذه التى سميتها أى ذكرتها ثكلا ، فتكون « ثكلا » خبر كان . هذا : وقد وصف الخطبة بأنها لا ترد ، لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخاطبات .

(٢) الكفو والكفو : الثلل ، وبلا - أى زوجا - حال . يقول : إذا لم تجد المرأة الشريفة كفوا لها من الناس تزوج منه اختارت الموت بعلا لها ؛ قال الواحدى : لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاخترت الموت على الحياة . . والأوجه أن يقال لأنها تأبى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هى تزوجت من غير أكفائها ، ومن ثم تؤثر الموت الذى يكمل صيانتها ويوفىها حق جلالته .

(٣) يقول : إن الحياة للذاتة أنفس فى نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تملى وتستكره لعله يريد أن يقول إن ذات الحذر إنما تؤثر الموت خوفا من أن تصير إلى غير كفوفتهم ، لا بغضا فى الحياة .

(٤) أف : كلمة يقولها المتضرع الكاره للشئ ، وهى بثلاث الفاء وبالتنوين وتركه يقول : إذا ضجر الشيخ فقال أف فإن ذلك الضجر واللال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة ، لأن الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبية والكبر . هذا : وقوله

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْبَرِّ وَلَّى^(١)
أَبَدًا تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بِخُلَا^(٢)
فَكَفَتْ كَوْنُ فَرَحَةٍ تُورِثُ الْغَمَّ وَخِلَ يُفَادِرُ الْوَجْدَ خُلَا^(٣)
وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا تُقِمُّ وَضَلَا^(٤)

وإنما الضعف ملا : فالضعف مفعول مقدم ، وهو في مثل هذا الموضع غير جائز التقديم لأنه مقصور بـ «إنما» ، ولكن قدمه للضرورة .

(١) يقول : إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب ، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنقص وذهب ؛ أو تقول : آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة ، فإذا هما وليا وذهبا ولي العيش وذهب
(٢) يقول : إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذه . فليتها بخلت وما جادت ، كما قال الجلاح :

وَلَمْ تَنْعُ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ مُكَدَّرٍ

وقال الأول :

الدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مُكَدَّرٌ مَا أُصْنِيَ وَمُفْسَدٌ مَا أُهْوَى لَهُ بِيَدٍ
فَلَا يَفْرُكُكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيقَتُهُ فَلَيْسَ يَتْرَكَ مَا أُعْطِيَ عَلَى أَحَدٍ

وقال حكيم : الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها . هذا : وقد قال العلامة العكبري النحوي الكوفي : « الدنيا » مرفوعة بـ « تسترد » عندنا ، وبـ « تهب » عند البصريين لأنهم يعملون الثاني .

(٣) هذا جواب التمني في قوله « فياليت » . وكفيته الشيء : أغنيته عنه ، والكون : بمعنى الحصول ، والفرحة - بالضم والفتح - اسم بمعنى المسرة ، ويفادر : يترك ؛ والوجد بمعنى الحزن ؛ والحل : الخليل . يقول : لو بخلت ولم تجد لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها الغم ، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحباً لمن فقدته . فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئاً ، فلما فرح به واغبط أخذه منه ؛ فكان أسفه عليه أكثر من اغتيابه به .

(٤) على الغدر : أى معه ؛ والظرف حال من نائب معشوقة يقول : وهى - أى الدنيا - مع غدرها بالناس - فلا تحفظ لأحد عهداً ولا تدوم على العهد ورجوعها - على ما تهب - معشوقة محبوبة .

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفِكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى^(١)
 شِيمُ الْغَائِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَذَى لَهَا أَنْتَ أَتَمَّهَا النَّاسُ أَمْ لَا^(٢)
 يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرَّقَ نَحْيًا وَمَمَاتًا فِيهِمْ وَعِزًّا وَذُلًّا^(٣)
 قَلَدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيُفْهِمُهَا أَنْتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى^(٤)
 فِيهِ أَغْنَتْ الْمَوَالِي بَذْلًا وَبِهِ أَفْنَتْ الْأَعَادَى قَتْلًا^(٥)
 وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلًا^(٦)

(١) يسيل : صفة لدمع ؛ ومنها : متعلقة بـ «يسيل» وعليها : خبر كل ؛ والحرفان للتعليل . أى كل دمع يسيل من جرائها هو عليها : أى كل من أبكته الدنيا فإنما يبكى أسفا على فوت شيء منها ولا يخلى الإنسان يديه منها إلا قسراً حين تفك يدها عنها بالموت .

(٢) الشيم : الطباع ؛ والغايات : الحسان اللاتي غنبن بحسنهن وجمالهن . وقوله لذا : أى ألذا ؟ لحذف الاستفهام . يقول : شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لا يدمن على الوصل ولا يحفظن العهد ؛ وكذلك الدنيا ، ثم قال : ولست أدرى أهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثا ؟ وهذا من تجاهل العارف ، لأنه يعلم أن الدنيا لم تؤنث لأنها تشبه الغواني ، كما قال زهير :

وما أدرى وسوف إخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء
 هو يدرى أنهم رجال ، ولكنه تجاهل هذا ، لأن فيه ضربا من الهزل بهم .

(٣) الورى : الخلق . والحيا : الحياة . يقول : إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والامر والنيل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه .

(٤) سيفها أنت : نعت « دولة » وحساما : أى سيفاً قاطعاً ، مفعول قلد . يقول إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الدائد عن يضتها سيفاً قاطعاً حلاه بالمكانم ، فهو حامى الدولة وزيتها وعزها .

(٥) أغنت وأفنت : أى الدولة ؛ وبذلا وقتلا : تمييز . والموالى : الأصدقاء والحلفاء والأعداى : جمع أعداء ، جمع عدو ، يشدد ويخفف : أى بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بذلا . وبه أفنت أعاديها قتلا ، فهو يحيى الموالى بماله ، ويميت الأعداى بسيفه ورجاله .

(٦) اهتز : ارتاح ؛ والوغى : الحرب ؛ والنصل : السيف ؛ أى إذا اهتز للعطاء

وَإِذَا الْأَرْضُ أُظْلِمَتْ كَانَ شَمْسًا
وَإِذَا الْأَرْضُ أُتَحَلَّتْ كَانَ وَبَلًا^(١)
وَهُوَ الضَّارِبُ الْكُتَيْبَةُ وَالطُّغْيَانُ تَفْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى^(٢)
أَيْهَا الْبَاهِرُ الْعَقُولَ فَمَا تُدْ رُكَّ وَصَفًا أُنْعَبَتْ فِكْرِي فَمَهْلًا^(٣)

كان كالبحر في كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف في نفاذ
عزمه وقوته فيما يحاول من أمره .

(١) المثل : الجذب وقلة النبات في الأرض لقلة المطر . والوبل : المطر الكثير ؛
أى إذا أظلمت الأرض وأعتمت خطوطها كان كالشمس المشرقة ، وإذا أجديت كان جوده
كالسحاب الغدقة ، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويخمد إذا بخل الدهر .

(٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش ؛ وتفلو - من غلاء السعر - أى يعز وجودها
والجلمة : حال . وقوله أغلى وأغلى : كأنه يريد التوكيد ، والعاطف زائد . يقول : هو
الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غالباً عزيز النال لصعوبة الموقف
واشتداد الحال ، وإذا كان الطعن غالباً كان الضرب أغلى منه لحاجة الضارب إلى فضل
إقدام ؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن . والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم
غيره على الطعن ، وقال ابن فورجه : يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيد رمح -
أى مقدار رمح - فالدنو إليه قيد سيف أصعب . والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم
الطاعن والضارب . وقال ابن جني : يريد إن كان الطعن صعباً على الطاعن فهو
أسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوه أكثر من بعد الضارب ، والرامى
أبعد من الطاعن ، وقد رتبته زهير فقال :

يَطْمُنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا

ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقُوا

وعبارة العكبري : هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها
مضطرمة ، والطعن بين الفرسان يفلو ويشدد ، والضرب أغلى وأشد فدل على أن
سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتائب بنفسه ، ويستخف ذلك بشدة بأسه .

(٣) بهر : غلبه ؛ ووصفاً تميز . وقوله فما تدرك : يروى بالتاء على الخطأ
للمدوح . وبالياء عوداً على لفظ النادى ؛ والعقول : قال العكبري بالنصب هو الأصل ،
وبالحذف تشبيهاً بالحسن الوجه . يقول : يامن غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال

مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَغْيَا ۖ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلَالًا^(١)
فَإِذَا مَا أَشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ ۖ قَالَ لَا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلًا^(٢)

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة (*)

فما يدرك وصفك أتعبت فكرى إذ لم يبلغك . فمهلا : أى ارفق . وعبارة العكبرى : أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه : مهلا على فكرى فقد أتعبت ، ورفقاً بما أنظم فيك فقد أعجزته .

(١) التعاطى : التناول . ويقال فلان يتعاطى كذا : إذا عنى به وتفرغ له ؛ وأعياء أعجزه . يقول : وكيف لا يكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك فى كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يندر على التشبه بك لان كرمك لا ينال بالتكلف ، ومن سلك طريقك ضل فيه : أى لم يقدر على مجاراتك فيما تسلكه لبعده مذهبك واتساعه .

(٢) زلت : من الزوال وقوله أو ترى : أى إلى أن ترى . يقول : إذا اشتئى أحد أن يدعوك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك . لا زلت - أى لامت - كما فى رواية - حتى ترى لك مثيلا ، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد ، لأنه لن يكون لك مثيل .

* قال الشراح : سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكابد وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهل من الانزعاج والقلق ؛ وكان ملكهم قد ألزمهم قفده وأنجدهم بأصناف من البلغم والروس والصقالبة ، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد ، فركب سيف الدولة بافرا ؛ وانتقل إلى غير الوضع الذى كان فيه ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه ، وسار عن حلب فى جمادى الأولى ، فزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجبة ، لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم ، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسار زحفا فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبه يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبر خوفاً من كمين يترص الرسل . فزل سيف الدولة بظاهره وأنهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة ، وظهر الاضطراب ، وولى كل فريق

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَمْلُونُ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا^(١)
شَرَفٌ يَنْطِخُ النُّجُومَ بِرَوْقِيهِ وَعِزٌّ يُقْلِقُ الْأَجْبَالَ^(٢)
حَالُ أَعْدَانِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدِّ وَلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالًا^(٣)

على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم ، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه في حصنهم ،

(١) ذى : أى هذه اسم مبهم : يشار به إلى اللؤث كما يشار به « ذا » إلى اللذكر ؛ وهكذا خبر عن محذوف : أى هكذا المعالي ، والكلام استئناف ، ويجوز أن تكون نائب مفعول مطلق ، عامله فليعلون : أى فليعلون علواً هكذا ، أو محذوف العامل : أى هكذا فليعلون ، وإلا هى « إن » الشرطية و « لا » النافية ، والشرط واللا فى محذوفان يقدران بحسب ما يقدر قبلهما ، وكرر « لا » تأكيداً . يقول : هذه المعالي التى تراها لك هى المعالي حقيقة ، ومن تعالى فليعلون كما علوت ، وإلا فليدع تعالى ؛ وبعبارة أخرى يقول مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة فى بداره إلى جيوش الروم وانهمازهم من بين يديه ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار الحدث - : هذه هى المعالي التى تؤثر والمكارم التى تخلد فمن حاول تعالى ، فلينهض بمثلاً فهذا سبيلها ، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها :

(٢) شرف : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك شرف ؛ والروق : القرن . واستعار للشرف روقين لما استعار له النطخ على سبيل الترشيع ، وهو معلوم أن القرنين فى الحيوان من أسباب القوة ودواعى الإقدام واللوعة ، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله هكذا ، بهذا البيت . يقول : لك شرف يزاحم النجوم فى العلو وعز أثبت من الجبال وأرسى حتى صارت الجبال بالإضافة إليه قلقاً ، أو تقول قد بلغت شرفاً باذخاً يس أعلاه النجوم وعزاً راسخاً لوصادم الجبال لأقلقها وبقي راسخاً لا يزعزع : أو تقول : وبلغت عزاً تتقلقل الجبال هبة له وإجلالا . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن سلطانه ينفذ فى كل شيء حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها .

(٣) قوله : ابن السيوف : ذهب إلى ما فى السيف من معنى المضاء والقهر : أى كلمهم ملوك قاهرون . يقول : حالهم عظيمة فى كثرتهم ومنعتهم ، ولكن سيف الدولة ابن الملوك القاهرة والسيوف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع ؛ والحال : تذكر وتؤنث .

كَلَّمَا أَهَجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيرًا أَعْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا^(١)
فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقُ الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَا^(٢)
خَافِيَاتِ الْأُلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّقْعُ عَلَيْهَا بَرَأِقِمًا وَجِبِلَالَا^(٣)

(١) قال ابن جني : أى كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالحرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياذ سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير : أى لحقتهم وجاوزتهم . قال ابن فورجه : يقال أَعْجَلَتْهُ بمعنى استعجلته ، فأما سبقته ، فيقال فيه عجلته . يقول : كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدوم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم . أقول : وهذا كله تخبط من الشراح ، وإنما النذير نذير سيف الدولة . يقول : كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها ؛ وهذا ما أشار إليه الواحدى : قال : ويجوز أن يريد أن العدو كلما أَعْجَلُوا النذير بهم وبأدروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة في الأطراف والمتصرفين في أقاصى بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهبوا فيهم فرصة بادرهم خيوله ولحقهم جيوشه وأَعْجَلَتْهُمْ عن ذلك الأعجال فصرفتهم على أسوأ الأحوال . هذا : ويقال أَعْجَلَهُ عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه ، ومسيراً : منصوب بنزع الخافض : أى عن مسير ؛ وكذا قوله الْإِعْجَالَا - في آخر البيت - والنذير : الذى ينذر أصحابه ويحذرهم .

(٢) فَأَتَتْهُمْ : أى الجياذ ؛ وخوارق : حال ، وما تحمل - ويروى لا تحمل - حال أخرى . يقول : فَأَتَتْهُمْ خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة . وعليها الأبطال مدججين بالسلاح . ويقال خرق الأرض يخرقها : أى قطعها حتى بلغ أقصاها ؛ وفي التنزيل : « إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا » وقد روى العسكبرى « خوارق » بالرفع على أنها فاعل أْتَتْهُمْ ؛ وليس بوجه ، وزاد على ذلك أن قال : خوارق الأرض : الخيل ، لشدة وطئها ؛ وهذا عمر ك الله تخطيطاً أى تخليط ، وإنما الخوارق التى تجوب الأرض وتقطعها بسرعة - هذا : والحصر فى البيت - فى قوله مَا تَحْمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ - لجرد التأكيد ، كما تقول ما أمامك إلا الأسد : أى المعروف بهوله وقوة بطشه .

(٣) خَافِيَاتِ الْأُلْوَانِ : حال أخرى ؛ والنقع : الغبار ؛ والجلال جمع جل وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج . يقول : أَتَتْهُمْ وقد خفى لونها فلا يعرف الأدم من الكميث والأشهب والأشقر لما علاها من الغبار ، فقد تكاثف

حَافَتُهُ صُدُورُهَا وَالتَّوَالِي لَتَخْرُضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالُ^(١)
وَلَتَمُضِنَّ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرُّمَحُ مَدَاراً وَلَا الْحِصَانُ مَجَالاً^(٢)

ذلك النبار عليها حتى صار على وجوها كالبراقع وعلى متونها كالجلال . وكان هذا المعنى من قول عدى بن زيد بن الرقاع العاملي :

يتعاوران من النبار ملاءةً دكناء مُحدثةً هـا نَسَجَها^(١)
قال العكبري : وفيه نظر إلى قول عرف بن الخرج :

كَأَنَّ الطَّبَاءَ بِهَا وَالْفِئَا جَ يُكْسِنَنَّ مِنْ رَازِقِي شِعَارَا^(٢)

(١) المخالفة : المعاهدة ؛ والعوالى ؛ الرماح ؛ واللام - من قوله لتخوضن - للقسام . يقول ؛ إن صدور خيله وعوالى رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال والحروب دونه : أى تكفيه إياها ، كما قال :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهَجَ الْعَوَالِي وَحَمَلَتْهُمُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا

وقد روى ابن جني لتخوضن ، ليخوضن ، ثم قال ؛ طال الكلام بيني وبينه أى - المتنبي - ؛ في قوله : ليخوضن ، فقال - أى المتنبي - . هو مثل قولي ؛ وقلنا السيوف هلمن - بضم الهم - . وذلك أنه لما وصفها بالمخالفة أجراها مجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين ، وتأييده قوله تعالى ؛ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم « وقوله « وكل في فلك يسبحون » وقوله جل شأنه : « ورأيتم لى ساجدين » كل هذا أجرى مجرى من يعقل لما خوطب وأخبر عنه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل ، لأن كل ذى عقل يصح منه الفعل ، وما ليس من ذوى العقول وإنما يصح الفعل من بعضه كالفرس ونحوه ، ومنه ما لا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح ، فأحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل لها فى الحقيقة ، وإنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام . انتهى كلام ابن جني مضافاً إليه العكبري .

(٢) يقول : وحالته صدور الخيل والرماح على أن تمهل ما عجز سه غيرها ؛ وقوله حيث لا يجد الرمح الخ : أى فى مضايق الحرب التى لا يجد فيها الرمح مداراً لشدة المجادلة ولا الحصان مجالاً لكثرة المزاحمة ، قالوا : وكان الوجه أن يقول :

(١) يصف ثورين وما يثيران فى عدوها من الغبار ؛ وبعده :

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السفابك أسهلت نشرها

(٢) الرازقى هنا : الكتان نفسه ؛ والرازقى أيضاً : ثياب يفض من الكتان .

لَا أُلُومُ ابْنَ لَأَوْنِ مَلِكِ الرُّومِ مَ وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالًا^(١)
أَفْلَقْتَهُ بِنَيْفَةٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَبَانَ بَغَى السَّمَاءِ فَنَالَا^(٢)
كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنَى فَفَطَى جَبِينَهُ وَالْقَذَالَا^(٣)
يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْفَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ الْأَجَالَا^(٤)

ولتخصين ، كما تقول : حلفت هند لتقومن ؛ وقد أجاز الكوفيون حذف الياء في مثل هذا ، فيقال : حلفت هند لتخصن لسكونها وسكون النون بعدها - ولم تحرك الياء بالفتح ، وكان ممكنا أن يقول : ولتخصن - بالياء دون توكيد . هذا : والحسان : الفعل من الحيل ؛ والجمع : حصن ؛ وسمى الفرس الذكر حصانا قيل لأنه ضئ بجائه فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الحيل حصانا ، وقيل مشتق من الحصانة ، لأنه عجز لفارسه ، والعرب تسمى الحيل حصونا . وسئل بعض الحكماء عن رجل جعل مالا في الحصون ، فقال اشتروا خيلا واحملوا عليها في سبيل الله .

ذهب إلى قول الجعفي :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَوَفِّي الرَّدَى أَنَّ الْحَصُونَ أَخْلِيلُ لَا مَدْرُ الْقُرَى

(١) يقول : لا أُلُومُ ملك الروم على تمنيه محالا من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحدث طلبا لغرة سيف الدولة ثم بين حين عدم اللوم فيما يلي .

(٢) البنية : بمعنى المبنية ، يريد القلعة ، وبين أذنيه ، صفة لبنية . وبغى : طلب . يقول : أفلقت ملك الروم هذه القلعة التي بناها سيف الدولة وهي من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفا ، وأقلقه بانيتها - يعني سيف الدولة - الذي بغى أن ينال السماء فنالها علوا وعزة ، أي أن ملك الروم العجز في محاولته تخريبها لذلك .

(٣) رام : طلب ؛ وحطها : إزالتها . والبني : مصدر كالبناء ؛ والجبين : ناحية الجبهة من محاذاة الزرعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، فتكون الجبهة بين جبينين : والقذال مؤخر الرأس ، وهو ما بين جنبتي القفا . يقول : كلما أراد ملك الروم إزالتها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلا فغشى الجبين والقذال ، وهذا مثل ، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقا وسعة ازداد مضى ملك الروح وغيطه .

(٤) فيها : أي في نواحيها وجوانبها : أي يجمع هؤلاء لهدمها بهم وتجمع أنت أحاطهم إذ تانيهم فقتلهم .

وَتَوَافِيهِمْ بِهَا فِي الْقَنَاءِ الشُّرَكَاءَ وَافَتِ الْعِطَاشُ الصَّلَاةَ^(١)
 قَصَدُوا هَذِمَ سُورَهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَنِي يُقَصِّرُوهُ فَطَالَا^(٢)
 وَأَسْتَجَرُوا مَكَائِدَ الْحَرْبِ حَتَّى
 تَرَكَوْهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَالَا^(٣)
 رَبِّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفَقَا لَ فَيَدُ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَا^(٤)
 وَقَسَى رَمِيَتْ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِي قُلُوبِ الرَّمَاةِ عَنْكَ النَّصَالَا^(٥)

- (١) توافيهم : تأتيهم ؛ وبها : أى بالآجال . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى أصابها مطربعين أرضين لم يقطرا . يقول : وتأتيهم بأجلهم ومناياهم فى الرماح وهى ظامئة إلى دمائهم ، أى تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض المظورة
- (٢) يقول : لما قصد الروم هدمها بثوا سيف الدولة على إتمام بنائها ، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببا لبنائها وإطالته .
- (٣) الضمير فى « لها » للقلعة . والمراد بمكايد الحرب : آلاتها . والوبال : الشدة . يقول : جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالا عليهم ، لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تعقبهم وأخذوا معهم ما تركوه من السلاح وحاربهم مستعينين على قتلهم به .
- (٤) الفعال هنا : هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب ، وفعلهم حملهم إلى القلعة للمكايد والآلات ، وهم الروم - غير محمودين لأنهم أعداء للمسلمين ، أما أفعالهم - وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة - فهى محمودة فى العاقبة لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عوناً عليهم .
- (٥) قسى : جمع قوس على القلب ، وهو معطوف على أمر . يقول : ورب قسى ترمى عنها السهام فترتد على راميها . يريد السلاح الذى حمله الروم لقتال المسلمين ، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلوهم به ورموهم بالسهام عنك ، فكان ذلك وبالا على الروم قال ابن وكيع - وأنت تعلم تخنى هذا ابن وكيع دائماً على المتنبي - : هذا البيت هو من قول القائل :

قَوْمِيْ هُمُ قَتَلُوا - أَمِيْمَ - أَخِي فَإِذَا رَمِيْتُ يَصِيْبُنِي سَهْمِي^(١)

فقوله فردت الخ : تقديره فردت عنك النصال فى قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك

(١) أخى : مفعول « قتلوا » ؛

أَخَذُوا الطَّرِيقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّشْدَ

لَـ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِزْسَالًا^(١)
وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوَارِبِ إِلَّا أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلَا^(٢)
مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَ^(٣)
وَالَّذِي قَطَعَ الرَّقَابَ مِنَ الضَّرِّ بِ بِكَفِّكَ قَطَعَ الْآمَالَ^(٤)
وَالثَّبَاتُ الَّذِي أَجَادُوا قَدِيمًا عَمَّ الثَّابِتِينَ ذَا الْإِجْفَالَا^(٥)

(١) يقول : أخذوا الطرق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث ، فلما أبطلت الأخبار وتأخرت عن عادتها تطلع سيف الدولة لما وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فصار إليهم مسرعا ، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال ، وهذا كقوله السالف .

* قَصِدُوا هَذَمَ سُورِهَا فَبَنَوْهُ *

(٢) الغوارب : أعالي الأمواج ، جمع غارب . والآل : ما تراه في أول النهار وآخره كالسراب . يقول : هم كالبحر المائج نوافرا وكثرة ، إلا أنهم اضمحوا أمام جيوشك فصاروا كالآل ، يعنى أن شأنهم يتلاشى عندك ، وإن جل وعظم .

(٣) « ما » نافية . ولم يقاتلوك : حال . يقول : ما انهزموا عنك غير مقاتلين ولكن القتال الذى قاتلتهم قبل هذا كفاك القتال الآن ، يعنى أنهم قد بلوك قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا ؛ وعبارة العكبرى : ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك ، ولكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائمك قلوبهم من الهيبة وأودعها من الخافة ، حق صار اسمك يهزم عساكرهم ، وذكرك يثقى عزائمهم .

(٤) يقول : إن السيف الذى قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا .

(٥) الإجفال : الإسراع فى الهزيمة . يقول : إن الأولين منهم أجادوا الثبات فى الحرب فلم يخن عنهم وأدى إلى هلاكهم ، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يجل بهم ماحل بالذين سبقوهم . قال الواحدى : يريد بهذه الآيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولكنهم لا يقاومونك ، ولك الفضل عليهم ، فيكون هذا أمدح له .

نَزَلُوا فِي مَصَارِعَ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ^(١)
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ أَلْهًا م وَتَنْذِرِي عَلَيْهِمِ الْأَوْصَالَ^(٢)
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقْسِمَ لَدَيْهَا وَتُرِيدُ لِكُلِّ عُضْوٍ مِثْلًا^(٣)
أَبْصَرُوا الطَّنَّ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا
قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرَّمَاخَ خَيَالًا^(٤)

(١) يقول : نزلوا في الأماكن التي قتلت فيها أقباءهم فلما نظروا إليها عرفوها
فذكروهم فبكوا عليهم . وتمثلوا هذه الحال في أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم ما يشبهها ؛
وللمصارع : جمع مضرع ، وهو اسم مكان من صرعه ، إذا طرحه على الأرض .
(٢) الأوصال : جمع وصل - بالضم والكسر - وهو العضو . والهام : الرؤوس .
وتندري : تنذر وتفرق . تقول ذرا يذرو ، وذرا يذري ، وأذري يذري ، يريد : لم
يبعد عهد ذلك المكان بالقتل ، فشعور القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك تحملها
الريح وتلقيها عليهم فيفرزعهم ذلك فينزعجون ويهربون .
(٣) يقول : إن تلك المصارع تنذرهم الإقامة بها إذ تربهم لكل عضو منهم . عضواً
من القتولين . قال العسكري : ويجوز أن يكون الضمير في تنذر للأوصال ، قال : والمعنى
تنذر الأوصال ، الجسم بأن يصير مثلها ويقيم لديها في مثل حالها وترية لكل عضو من
أعضائها مثلاً شاهداً ؛ ونظيراً حاضراً . قال : وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على
الروم عند بناءه الحدث وقد وصفها في قوله :

* على قدر أهل العزم تأتي العزائم *

ولم تكن بعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة ذكروا
عظم تلك البلية أشفقوا من أن يباودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين .

(٤) في القلوب : صلة الطعن ؛ ودراكا متتابعاً ، وخيالا : متخيلاً ، وهما حالان
من الطعن ؛ وفي البيت تقديم وتأخير ؛ والتقدير : أبصروا الطعن في القلوب دراكا
خيالاً قبل أن يبصروا الرماح ، يعني ؛ لشدة خوفهم منك وتصورهم ما صنعت بهم قديماً
وأوا الطعن متداركا متتابعاً في قلوبهم تخيلاً قبل أن يروا الرماح حقيقة ؛ وقال الخطيب
المتبريزي : اعتبر المتأخرون - أي من الروم - بالمتقدمين - منهم - فكأنهم تخيلوا
الطعن دراكا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح

وَإِذَا حَاوَلْتَ طَعَانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرْتَ أَذْرُعَ الْقَنَا أُمَيَّالًا^(١)
بَسَطَ الرُّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِينًا ، فَتَوَلَّوْا ، وَفِي الشَّامِلِ شِمَالًا^(٢)
يَنْفُضُ الرُّوْعُ أَيْدِيًا لَيْسَ تَدْرِي أَسْيُوفًا حَمَلْنَ أَمْ أَعْلَالًا^(٣)
وَوُجُوهًا أَخَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكْتَ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمَالَ^(٤)

(١) القنا : عيدان الرماح ، والخيل ، يريد بها الفرسان ، يقول : إذا أرادت جيوش الأعداء طعانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال ؛ ومن غريب التفسير ماذهب إليه بعضهم من أن المراد بالقنا قنا الأعداء الذين يحاولون الطعان ، قال ، وللعنى أنهم كلما حاولوا طعانك برماحهم استطالوها فرأوا أذرعها أميالا ؛ أى أنها تنقل عليهم جبنًا وخوفًا منك ، (٢) يعنى أن الرعب - الخوف - شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه في ميمنة جيشهم وشماله في ميسرته فتولوا هاربين ، وقال ابن الأقلبي : المعنى بسط الرعب في أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين وهذا ضد قول الآخر :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي جَلَّانَ كَلَهُمْ كَسَاعِدِ الضَّبِّ لَا طُولَ وَلَا قِصَرَ

(٣) الروع : الخوف والفرع ؛ والأغلال : جمع غل ، القيد ، يقول : أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التي في أيديهم أغلال لها وعبرة بعض الشراح : يرعش الخوف أيديهم فصارت في قلة الغناء وإن كان فيها سيف بمنزلة الأيدي المغلولة وعبرة العكبري : ينفض الفزع من أيديهم السلاح فيسقط ، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب ، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها وهو من قول جرير في الفرزدق :

ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأَرْعِشَتْ يَدَاكَ فَقَالُوا مُحَدَّثٌ غَيْرُ صَارِمٍ

(٤) وجوها : عطف على أيديا - من جهة اللفظ ، لامن جهة المعنى - لأنه لا يريد ينفض وجوها : والمعنى يغير وجوها : أى يغير ألوانها بأن يورثها صفرة ، فهو من باب :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الرَّغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

يقول : ويغير الروع وجوهاً تمتع وتصفر وتكلح ويذهب بجمالها الذعر قد أخافها منك وجهه طلق نصير ، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال ، فالحسن والجمال لوجهك. لا لها ، إذ سلها الخوف حسنًا فأنحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونصرتك.

وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمَرَادِ انْتِقَالَ (١)
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّمَنَ وَحَدَهُ وَالنَّزَالَ (٢)
أَفْسَمُوا لَا رَأُوكَ إِلَّا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعَيُونُ الرَّجَالَ (٣)
أَيُّ عَيْنٍ تَأْمَلَتْكَ فَلَا قَتْلَكَ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَلَا (٤)

(١) يقول : كانوا يظنون أنهم يقدرّون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعابنوا قصورهم عنك ، فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم ، وانتقل ذلك المراد القدى كانوا يريدونه من محاربتك .

(٢) هذا كما تقول العرب في أمثالها :

كلُّ مُجْرٍ في الخلاء يُسَرُّ *

أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بجريه ، فإذا قاربته مثله ذهب سروره . يقول المتنبي : إن الجبان - والجبان ضد الشجاع - إذا كان وحده منفرداً يحس من نفسه شجاعة ، ويظن عنده غناء ويطلب الطمان والنازلة ، يريد أن الروم شعباء مالم يروك . وقوله وحده : في موضع نصب على الحال ؛ أى منفرداً . والنزال في الحرب : أن يتنازل الفريقان . وفي الحكم أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا ، ونزال مثل قظام ، بمعنى انزل ، وهو معدول عن المنازلة ، ولهذا أنه زهير في قوله :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ

(٣) إلا بقلب : أى إلا والقلب معهم و «ما» من قوله «طالما» : مصدرية ، والجملة استئناف . يقول : حلفوا ليحضرن عقولهم وليعملن أفكارهم في قتالك ، ثم قل : طالما غرت العيون الرجال : أى كذبهم عنك كثيراً ما رأوه بعيونهم مما يوهمهم أن في مكنتهم محاربتك ؛ أو تقول : لما امتحنوا بأسك وعابنوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم في مقاومتك ، وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب : أى صاروا يرجعون في الرأى إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك ، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم . قال الواحدى : ولا تناقض بين قوله غرت العيون الرجال وبين قوله والعيان الجلى ، لأن قوله غرت العيون : أى قبل التجربة ، وأما ذاك فإنما يعنى بعد التجربة .

(٤) لاقتك : من اللقاء ؛ والطرف : العين ؛ ورنا إليه يرنو رنوا : إذا أدام النظر وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت ؛ وآل : رجع . يقول : إن العين التي تأملتك لا يجترى صاحبها على ملاقاتك ومواقعتك لما يرى من هيبتك وأفعالك .

مَا يَشْكُ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْشِ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجَيْشُ نَوَالًا^(١)

وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترأ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبا ؛ وهنا يقول الواحدى : هذا متناقض الظاهر ، لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه في الصراع الأول ، وأنكر في الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص ، ثم قال : لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء ؛ فعين العدولا تديم النظر إليه هية له ، وعين الولى تتحير فيه وتبقى شاخصة ، فلا ترجع إلى صاحبها . وقال فى لا تكتك : إنه من لاق الشيء وألاقه إذا أمسكه ، ثم قال : وهذا بما لم يتكلم فيه أحدمن الشراح . وما أعرف ما علق العكبرى على كلام الواحدى هذا ، قال العكبرى : وصدق الواحدى فى قوله ، لان أحدا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثل هذا . ولعمد بعد هذا إلى «رنا» ؛ قال الجوهري : يقال أرناى حسن ما رأيت . أى حملنى على الرنو ، أى إدامة النظر ، ومن هذا يقال كأس رنونة أى دأمة على الشرب ساكنة ووزنها فعللة ؛ قال ابن أحمر :

مدت عليه الملك أطناها كأس رنونة وطرف طمر^(١)

(١) اللعين : يعنى ملك الروم ، والنوال : العطاء ، وهو حال . وقوله فهل يبعث الجيوش نوالا : هو استفهام تجهل ، لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالا ، لكن لما

(١) قبل البيت :

إن امرأ القيس على عهد
وأول الشعر :

قد بكرت عاذلتى بمكررة تزعم أنى بالصبا مشتهر

وإنما العيش بربانة ، وأنت من أفنانه مقتفر

ومنها :

إن الفتى يقترب بعد الفتى ويفتنى من بعد ما يفتر

والحنى كالميت ويبقى التقي ، والعيش فنان : فخلو ومز

قوله : وإنما العيش الخ : يريد أن عاذلتى قالت له قد شهرت بالصبا وأنت مسن به ؛ وإنما الصبا والعيش بأوله وجدته أزمان أنت من أفنانه أى من نواحيه واحدها فنان - مقتفر ؛ أى واجد ما طلبت ، يقال خرج فلان فى طلب إبله فاقتر آثارها ؛ أى وجد آثارها فاتبعها . وقوله مدت عليه الملك الخ ؛ أراد مدت كأس نونة عليه أطنا الملك ، فذكر الملك ثم ذكر أطناها ، وفى اللسان أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظرو

مَا لَمْ يَنْصَبِ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْضِ وَمَرَجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهَلَالَ^(١)
إِنْ دُونَ الَّتِي عَلَى الدَّزْبِ وَالْأَحْدَبِ وَالنَّهْرِ مَخْلُطًا مِزْيَالًا^(٢)

كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك . يقول : إن كل جيش يبعث إليك تغنمه وتأتي عليه لا محالة ، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها ولتكون عطاء لك ؟ أى ليس لإرسالها معنى إلا هذا . وهذا مثل قوله :

* وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى *

(١) ما : استفهام تعجب مبتدأ ، والخبر : الظرف بعده ، والحبال : جمع حباله ، وهى الشرك ، ومرجاه : مصدر ميمي : أى ورجاؤه . والواو : واو الحال . يقول : ما لهذا الذى ينصب فى الأرض حباله ورجاؤه أن يصيد الهلال ؟ وهذا استفهام تعجب ، يتعجب من حماقة من يفعل هذا ، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تناله يد وأن من يبعث إليه الجيوش طمعا فى الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحباله ينصبها فى الأرض .

(٢) الدرب : الدخلى إلى بلاد الروم ، ولكنه هنا موضع بعينه ، والأحذب : جبل قرب حصن الحدث ، والنهر : موضع قرب الحصن المذكور ، ويقال رجل مخلط مزيل ومخلط مزيال : يخالط الأمور ثم يزِيلها - أى يفارقها - إلى غيرها ، يوصف به الشجاع الداهية ، وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الخيل الفارة خالطها ، وإذا طلبته وجده مزِيالا لانحقيقه ، قال أبو داود الأيادى :

مَخْلُطٌ مَزِيلٌ مِكْرٌ مِفْرٌ أَجُولِيٌّ ذُو مِيعَةٍ إِضْرِيحٌ^(١)

ويريد بالتي على الدرب والأحذب والنهر : قلعة الحدث . يقول : إن دون الوصول إليها رجلا هذه صفته ، يعنى سيف الدولة ؛ وعبارة العكبرى : هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها رجل مخلط مزيال كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزِيلها يحمي حريمها ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاد ، فهو يثق بما يحمىها من هيئته ، مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها ، سريع لا يتوانى فى سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته . . .

(١) أجولى : من الجولان فى الحرب . والميعة : النشاط . والإضريح : الجواد الشديد العدو - الجرى -

غَضَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا، فَبَنَاهَا فِي وَجَنَةِ الدَّهْرِ خَالًا^(١)
 فَهِيَ تَمْشِي مَشْيَ الْعُرُوسِ اخْتِيَالًا
 وَتَتَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا^(٢)
 وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَرِّدٍ الْأَكْرُ^(٣) مُبِ جَوْرِ الزَّمَانِ وَالْأَوْجَالِ^(٤)
 وَظَلِي تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ لَقَدْ أَفْنَتِ الدَّمَاءَ حَلَالًا^(٥)

(١) يقال غصبه على كذا أى قهره عليه . وخالا : حال : أى شبيهة بالخال . يقول إنه استنقذها من أيدى الدهر والملوك وبنهاها ، فكانت خلا في وجنة الدهر ، فكان الدهر تزين بها كما تزين الوجه بالخال . وقال الواحدى : يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال في الوجه ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مزرد بن ضرار أخى الشاعر :
 فمن أزمه منها بسهم يُلحُ به كشامة وجه ليس للشام غاسل
 وعبارة العكبرى يقول إنه بناها في وجه الدهر كالخال الذى يزين به الوجه مع مخالفته للونه ويمسحه مع ما ثبت فيه من حسنه ؛ يعنى أن هذه المدينة قد جل قدرها فكان الدهر زين بها وجهه ووسم برفعها نفسه ، وهى استعارة حسنة .

(٢) اختيالا ودلالا : حالان أو مفعول لهما ، والاختيال : الزهو ، والتكبر وتننى - بحذف إحدى التاءين - أى تننى . والدلال : الشكل والنفج من دلال المرأة : أى تدللها على زوجها ، وذلك أن تزيه جراءة عليه فى تنفج وتشكل كأنها تخالفه ، وليس بها خلاف ؛ لما شبهها بالروس - لحسنها - جعلها تمشي اختيالا وتننى دلالا . يقول : لو كانت هذه القلعة تمشي لا ختالت فى مشيها عزة وتكبرا ولتدلت على الزمان ، إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء والمراد أنها فى عز ونعيم بسيف الدولة .

(٣) المطرد : المتصل الذى لا عوج فيه . والأكعب : العقد التى تكون بين أنابيب الرمح . والأوجال : المخاوف ، جمع وجل ، وهو الخوف والفرع يقول : ذاد العدو عنها بالرمح فخاها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه .

(٤) وظي ؛ عطف على كل - فى البيت السابق - والظبي ؛ جمع ظبة ، طرف السيف وطرف السهم ، قال بشامة النهشلى :

إذا الكأمة تنحوا أن ينالهم حدُّ الظبابة وصلناها بأيدينا

وأصل الظبة ؛ ظبو - بوزن صرد - فحذفت الواو وعوض منها الماء ، بالجمع ظبابة وظبون . يقول ؛ وحماها بسيف لا يقتل بها إلا من حل دمه . يعنى الهجوم

فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأَسْوَدِ بَيْتِيسٍ يَفْتَرِسْنَ النَّفُوسَ وَالْأَمْوَالَ^(١)
 إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأُنَيسِ سِبَاعٌ يَتَفَارِسْنَ جَهْرَةً وَأَغْتِيَالَ^(٢)
 مَنْ أَطَاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٌ غَلَابًا ، وَأَغْتَصَابًا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُوءًا^(٣)
 كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْفَضَنَفَرُ الرَّثْبَالَا^(٤)

* * *

وأشباههم من للعادين ، ونسبة التمييز بين الحرام والحلال إلى السيوف مجاز ، إذ الذي يميز بينهما في الحقيقة هم أصحاب السيوف . وقال ابن جني ؛ هذا مثل ضربه ؛ أي سيوفه معودة الضرب ، فهي تعرف - بالدربة - الحلال من الحرام ، وقد رد عليه ابن فورجة قال : العادة والدربة ليستكما يعرف به الحلال والحرام من الناس ، فكيف فيما لا يعقل ؟ وإنما يعنى المتنبي أن سيف الدولة غاز للروم فلا يقتل إلا كافراً قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه .

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمى بذلك قيل لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب واليمين واليسرة والساق ، وقيل لأنه يخمس ما يجمد : أي يأخذه . والبئيس : الشديد ذو البأس . وقوله والأموال : أي وينتهن الأموال ، فهو من باب * علقها تبناً وماءً بارداً * كما تقدم ، ولما جعل الخميس من الأسود قال يفترسن ، دون يفترس .

(٢) أراد بالأنيس - الذي معناه المؤانس - الأنس ، خلاف الوحش ، ويتفارسن : يتقاتلن ، والاغتيال : القتل بالحديعة أو أخذ الإنسان من حيث لا يدرى ، جعل الناس كالسباع - وهى الحيوانات المفترسة - لوجود الافتراس منهم في الحالين ، مجاهرين ومفتالين ، والبيتان التالين تأكيد لهذا .

(٣) غلاباً : مغالبة . والاعتصاب : الأخذ بالقهر . يقول : من أمكنه أن ينال من الناس شيئاً غلبة وقهراً لم يتكلف أن يناله بذل السؤال ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكم : الغلبة طبع الحياة ؛ والسألة طبع الموت ، والنفس لا تحب الموت فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة .

(٤) غاد - في الأصل - ذاهب غدوة ، والمراد هنا : مطلق الذهاب ، أي وقت كان في الفضنفر والثبال : من أسماء الأسيد ، وجعل الرثبال وصفا للفضنفر مبالغة كأنه قال : الأسد الشديد : يقول : كل غاد منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأساً وقوة ليتناول ما يريد من يأسه وأيده . قال العكبرى : يشير بهذا إلى أن الروم لم يفروا من بين يدي سيف الدولة أنفاً ومكارهه وإنما كان فرارهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوتهم ، وأن يتناولوا ذلك بأبلغ قدرتهم .

وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية ، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقه كافوراً ، فقال : يمدحه ، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة :

مَالَنَا كُلُّنَا جَوِيٌّ يَا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ لَلتَّبُولِ^(١)
كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثَتْ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولِ^(٢)
أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنَا
هَآ ، وَخَانَتْ قُلُوبُهُنَّ الْعُقُولِ^(٣)
تَشْتَكِي مَا أُشْتُكَيْتُ مِنَ أَلَمِ الشَّوِّ
قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النَّحُولِ^(٤)

(١) كلنا جو : مبتدأ وخبر ، والجملة حالية ، والجوى : الذى أصابه الجوى ، وهو الحرق في القلب من حزن أو عشق . وللتبول . الذى هيمه الحب وأفسده وأسقمه ؛ ينهم رسوله الذى أرسله إلى الحببية بشاركته إياه في حبا . يقول : مالنا أيها الرسول كلانا جو مجها فأنا الوامق العاشق ، وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك ، فما لك تشبهني فيما ألقاه وأقاسيه ؟

(٢) يقول : كلما عاد إلى الرسول من عندها غار منى عليها لأنه رأى حسنها وافتتن مجها . فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدي من الرسالة إلى منها وإليها منى (٣) الضمير في قلوبهن : يعود إلى العقول ، أى وخانت العقول قلوبهن ، أضمر قبل الذكر ، كما تقول لبس ثوبه زيد ، يقول : أفسدت على عينها بسحرها أمانة الرسول حتى ترك الأمانة في الرسالة حبا لها وحتى خانت العقول قلوبها : أى فارقت العقول القلوب بسببها قال الواحدى : ومعنى خيانة العقول أنها لا تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة لأن الرسول إذا نظر إليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله ، وهذا كقوله : وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

(٤) قوله من ألم الشوق : يروى من طرب الشوق ؛ والطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن ، يقول : إن الحببية تشكو من الشوق إلى مثل ما أشكوا إليها ، ثم كفى عن تكذيبها في تلك الشكوى فقال : والشوق حيث النحول ، يعنى أن للشوق دليلا من النحول ، فمن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا ، يعنى أن نحولى يدل على شوق ، أما أنت فلا نحول ، وبالحرى : لا شوق ، وقال ابن الأثير : الضمير في «تشتكى» للرسول ، يقول

وَإِذَا خَامَرَ أَلْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ ، قَلْبَهُ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلٌ^(١)
زَوْدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا

مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحُولُ^(٢)

وَصَلِينَا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ^(٣)

لرسوله - وهو يعاتبه أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره ، وليس كذلك ، وإنما الشوق على حقيقته التحول ، قال بعض الشراح : والأظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار لأنه لا يتصور من الرسول أن ييوح له بهواها : أى أرى بك من الشوق إليها مثل ما بى لأنك ناهل والتحول يدل على الشوق ، وهذا كالأثبات لما يتهم به من حبها ، هذا وقوله « حيث التحول » فالتحول مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره موجود ، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل

(١) خامر : خالط ولا بس ؛ والصب : العاشق ؛ والبيت : تأكيد للبيت السابق : أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق ، وعبرة العكبرى : إذا خالط قلب محب هوى من محبه فملكه واستولى عليه وغلبه فما يظهر من تغير حاله ، وتبين من تشتت باله ، دليل لكل عين على ما يضره ، وغبر على ما يحبه ويستره

(٢) ما دام ههنا تامة بمعنى ما ثبت ، وتحول تغير وتبدل ، أى زودينا من حسن وجهك غير معرضة ، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة ، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول ويتبدل جمالها ويزل ، لأن الشبيهة يتلوها الكبر ، والاقبال يعقبه التغير والمهرم (٣) نصلك : جواب الأمر ؛ والمقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، وقالوا المقام - بالضم والفتح - كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم النون لأنه مشبه بينات الأربع نحو دحرج ، وهذا مدحرجنا وقوله تعالى « لا مقام لكم » أى لا موضع لكم ؛ وقرئ « لا مقام لكم » - بالضم - أى لا إقامة لكم « وحسنت مستقرا ومقاما » : أى موضعا ، وقول لبيد :

عَفَّتِ الدِّيَارُ تَحْلِيهَا فَمَقَامُهَا بِمَنَى تَأْبَدَ غَوْلُهَا فَرِجَانُهَا^(١)

(١) محلها : أى ماحل فيه لأيام معدودة ؛ ومقامها : ما طالت الإقامة به ، و« منى » هنا موضع غير « منى » الحرم ، وتأبد توحش ؛ والقول والرجام جبلان ، والضبير فيهما : للديار .

مَنْ رَأَاهَا بَعَيْنِيهَا شَاقَهُ الْقَطَا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ^(١)
إِنْ تَرَيْنِي أُدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِّنَ الْقَنَاةِ الذُّبُولِ^(٢)

يعنى الإقامة ، وقوله عز وجل «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم»
قيل المقام الكريم : هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة ،

(١) بعينها : أى بعين الدنيا ؛ والقطان : السكان المقيمون ؛ والحول المرتحلون
المتحملون ، يقول : من نظر إلى الدنيا بالعين التى ينبنى أن ينظر بها إليها راق للباقيين
لقلة مقامهم ووشك فراقهم رفته للماضين الفانين ، أى من عرف الدنيا حق معرفتها يتيقن
أن أهلها راحلون - لا محالة - فلم يجد بين المقيم والراجل فرقا ، فهذا يشوقه : أى
يستدعى رفته ، وهذا يشوقه لأن الرحيل قد شملها ، وقد كفى عن الرقة بالشوق لأن
الشوق رقة القلب ، وعبرة بعض الشراح : إن المقيم فى الدنيا على وشك تخلّيها
والرحيل عنها ، فمن رآها بعينها أى من صور نفسه فى مكانها ورأى أهلها على أهبة
فراقها : شاقه النظر إليهم ، كما يشوقه النظر إلى حمول الراحلين ، وقد فسرنا الحول
بالتحملين الراحلين ، ولكن الحول فى الأصل : الإبل عليها الهوداج والانتقال ،
وهى أيضا الهوداج ، كان فيها النساء أو لم تكن ، وتطلق الحول أيضا على النساء
المتحملات كقول معمر :

أَمِنْ آلِ شَتَاءِ الْحُمُولِ الْبَوَاكِرُ مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زَالَتْ بَيْنَ الْأَبَاغِرِ
وإذا أبقيت الحول على معنى الإبل عليها الهوداج ، أو الهوداج ، كان الكلام على
حذف مضاف : أى ذوو الحول .

(٢) آدم : شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره ، من الأدمة ، وهى السمرة
ويقال آدم وأدم بكسر الدال وضمتها . والقناة : عود الرمح : والذبول اليبس والدقة .
يقول : إن غيرت الأسفار وجهى حتى صرت آدم بعد يياض الوجه ، فليس ذلك بعاد
فى ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فى غير القناة فإنه محمود فيها ، لأنه آية صلاحها
كما قال أبو تمام :

لَأَنْتَ مَهْزَتُهُ فَعَزَّ وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ رَأْسُ الرُّمَحِ حِينَ يَلْبِسُ
وعبرة بعض الشراح : يمدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد يياضه ونضرتة :
أى تغيرت بعد حسن وشبية وذلك لما عاينته من الأسفار وتقلبت فيه من الأحوال ،
وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرته عن عتقه ، وتدل ذبولته على صلاحته وصدقه .

صَحِبْتَنِي عَلَى الْفَلَائَةِ فَتَاةٌ عَادَةُ الْأَوْنِ عِنْدَهَا التَّبْدِيلُ^(١)
 سَتَرْتُكَ الْحِجَالَ عَنْهَا وَلَكِنْ بِكَ مِنْهَا مِنَ اللَّمَى تَقْبِيلُ^(٢)
 مِثْلُهَا أَنْتِ لَوْحَتْنِي وَأَسْقَمْتِ وَزَادَتْ أَبْهَأُ كَمَا الْمُطْبُولُ^(٣)
 نَحْنُ أَذْرَى وَقَدْ سَأَلْنَا بِنَجْدٍ أَفْصِرُ طَرِيقُنَا أَمْ يَطُولُ^(٤)

(١) أراد بالفتاة : الشمس ، وجعل الشمس فتاة لأن طلوها يتجدد ، فهي بكر كل يوم ، أو لأن الدهر لا يؤثر فيها ، كبرا ، والشمس من عاداتها أن تبدل بضوئها الألوان فتحيل البياض إلى سواد . يقول : صحبتني على الفلاة التي قطعها في سيري والأسباب التي عاينتها وتجشمتها فتاة لا يهرم شخصها ولا ينتقص حسننها ، عاداتها في الألوان أن تبدلها وتنقلها إلى الأدمة - السمرة - وتغيرها . هذا : وجعلهم الشمس فتاة كما يقال للدهر : الأزم الجذع ، يريدون أن الدهر باق على حاله لا يتغير على طول إناء فهو أبداً جذع لا يسن ،

(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهي الستروبيت العروس . واللمى : سمرة في الشفة . يقول : - لمحبوبته - سترتك الحجال عن هذه الفتاة - الشمس - التي غيرت لوني : لأنك في كني عنها لا يصيبك حرها ، ولكن بك منها تقبيل لما في شفئك من الأدمة - السمرة - كأنها قبلتك فأورثتك هذا اللمي الذي في شفئك . وبعبارة أخرى : أنت محجوبة عن الشمس بالستور فلا يصيبك شعاعها إلا أن في شفئك سواداً من قبيل السواد الذي تحدثه حتى لكانها قبلتك فأك فأكثرت في موضع التقبيل .

(٣) مثلها : خبر مقدم ؛ وأنت : مبتدأ مؤخر ؛ ولوحتني : غيرت لوني ؛ وأسقمت أراد وأسقمتني ؛ وأبها كما : من البهاء وهو الحسن . والمطبول : الطويلة العنق التامة الجسم ؛ والمطبول : بيان لـ « أبها كما » . يقول : أنت مثل الشمس في تغير جسمي فهي لوحتني وسقمتني وغيرت لوني وأنت أسقمت جسمي ، وزادت تأثيراً في أبها كما التي هي المطبول ، وهي أنت . وبعبارة بعض الشراح : أنت مماثلة لها بحسبك وغير بعيدة منها في فعلك ، وكلا كما له في جسمي فعل غيره وتأثير بدله ؛ فالشمس لوحتني وأنت أسقمتني وأذهبت نضرتي وأعجلته ، وزدت أنت في قوة التأثير ، وأفرطت فيما أوجبت من التغيير . وهذا إشارة إلى أن محبوبته زيادتها على الشمس في حسننها زادت عليها في فعلها .

(٤) يقول : كننا أعلم بمقدار الطريق ولكننا سألنا تمللاً بذكر الطريق

وَكَثِيرٌ مِنَ السُّؤَالِ أَشْدِيَاقٌ وَكَثِيرٌ مِنْ رَدِّهِ تَفْلِيلٌ^(١)
لَا أَفْمَنَّا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَابَ
بَ وَلَا يُمَكِّنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ^(٢)

إليه — كما قال في البيت التالي — فإن الإنسان إذا أحب شيئاً أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه ، كما قال بشر بن أبي خازم :

أَسْأَلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِي بِصِيرًا بِالظَّمَاثِنِ حَيْثُ صَارُوا
وكما قال الآخر :

وَحَبَّرَنِي عَنْ مَجْلِسِ كَفْتِ زَيْنِهِ بِحَضْرَةِ قَوْمٍ وَالْمَلَاءِ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ كَرُّ الْحَدِيثِ الَّذِي مَضَى وَذَكَرَكَ مِنْ كَرِّ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
أَنَا شِدَّهُ إِلَّا أَعَادَ حَدِيثَهُ كَأَنِّي بَطِئْتُ الْفَهْمَ حِينَ يُعِيدُ
ورواية ابن جني :

* أطويل طريقنا أم يطول *

يعنى أطويل طريقنا في الحقيقة أم يطول من الشوق ؟

(١) علله بالشئ : ألماه به ، يقول : إن كثيراً من السؤال يكون سببه الاشتياق ، وكثيراً من رد السؤال يكون تطييباً للسائل ، يريد أن الذي حملني على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلم به عن طول الطرق .

(٢) لا أقننا : معناه لم نقم ، كقوله تعالى « فلا صدق ولا صلى » . يقول : لم نقم في الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك للمكان لئلا يؤخرنا عن الوصول ، ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطييه . يريد لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذي نقصده ، وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت ، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبري : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل : أى لا نقيم ألبتة لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبداً حتى تلقاه إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم في مكان وإن طاب ، وقيل نفي النفي إثبات في كلام العرب ، فكأنه : قال : لا نقيم في مكان إلا أن يرحل معنا ، وهذا مثل قول الفرزدق :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشْمِيُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ^(١)
 قيل معناه لم يشموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفي البيت معنى آخر ، وهو
 وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشيء ، وللمراد ضده ، فكأنه قال : لم يشموا ولم
 تكثر القتلى : أي كثرت جدا ، ومنه قول الشنفرى :

صَلَّيْتُ مِنْ هُذَيْلٍ بِحَرْقٍ لَا يَمَلُ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا^(٢)

معناه على مذهب التقرير لا يمل الشر وإن ملوه ، وقد جاء في الحديث « إن الله
 لا يمل حتى تملوا »^(٣) معناه لا يجازيكم جزاء اللئيم وإن ملأتم ؛ وجاء في الحديث
 « وإن صهييا لو لم يخف الله لم يعصه »^(٤) معناه لو لم يخف : أي آمن ، فكأنه قيل لو آمن
 الله ما عصاه ، وفيه معنى آخر وهو أن نفي النفي إيجاب فيكون التقدير : إن صهييا لو آمن
 الله ما عصاه : أي لم يعصه ، وعلى مذهب التقرير : لو لم يخف الله ما عصاه : أي لم يعصه
 أبداً ، وفيه معنى آخر ، وهو أن « لو » في الكلام تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره
 فيكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف : أي لما خاف لم يعص ، والمعنى الأول
 وما بعده أبلغ من هذا ، لأن معناه لو آمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر أن العصيان
 امتنع من أجل الخوف .. وقال الواحدي : قوله « لا أقنأ » يجوز أن يكون على الدعاء
 كما تقول : لافض الله فاك ، وقال ابن جني : يجوز أن يكون على القسم : أي والله

(١) لم يشموا سيوفهم - هنا - لم يغمدها ، قال ابن بري : الواو في قوله « ولم »
 واو الحال : أي لم يغمدها ، والقتلى بها لم تكثر ، وإنما يغمدها بعد أن تكثر القتلى بها .

(٢) الحرق ؛ النار وصلى بالنار : قاسى حرها : والمراد : لاقت منى شدة .

(٣) الحديث هو : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »
 قيل معناه : إن الله لا يمل أبداً : ملأتم أو لم تملوا ؛ جري مجرى قولهم حتى يشهب
 الغراب ويبيض الفارس ؛ وقيل معناه . إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وترهضوا
 في الرغبة إليه ، فسمى الفطين ملأ وكلاهما ليس بملل كمادة العرب في وضع الفعل
 موضع الفعل إذا وافق معناه ، نحو قول عدي بن زيد :

نَمِ أَضْحَوْا لِعَبِّ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يَوْدِي بِالرِّجَالِ

(٤) هو صهيب بن سنان : مولى عبد الله بن جدعان التيمي ، صحابي ، من أولاد
 النمر ابن قاسط .

كَلَّمَا رَحَّبْتَ بِنَا الرُّوضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ^(١)
فِيكَ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ^(٢)
وَالْمُسْمُونِ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ
الَّذِي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ^(٣)
وَمَعِيَ أَيْنَمَا سَلَكْتُ كَأَنِّي كُلُّ وَجْهِ لَهٗ بِوَجْهِهِ كَفِيلُ^(٤)

لا أقنأ ، وقالا تعليقا على قوله « ولا يمكن المكان الرحيل » : أى لو أمكنه لا ارتحل
منا شوقا إليه : أى إلى سيف الدولة .

(١) يقول : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدى من حسنه وما يستميلنا به
من وروده وأزهاره ، فكأنه يدعونا للنزول به ، اعتذرنا إليه وقتلنا له
لا نقيم عندك ، لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت المر فلا تقدر أن
تقيم عندك وإن كنت طيبا ؛ ورحب به : قل له مرحبا ؛ والروض : جمع روضة ،
المكان فيه خضر .

(٢) الجياد : الخيل : والمطايا : الإبل . والضمير في « إليها » حلب . والوجيف :
ضرب من سير الخيل سريع ، والذميل : ضرب من سير الإبل . يقول — مخاطبا
الروض — : فيك مرعى مطايانا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا ، وإلى حلب
نوجف مسرعين ؛ وإليها نبادر غير متوقفين :

(٣) زلت عنه : فارقت . يقول : الذى سافرت عنه شرقا وغربا ولم يفارقنى عطاؤه
فهو مقابلي حينما كنت ، وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنفذ إليه هدية عند وروده
للعراق — كما تقدم — وهذا مثل قوله فيه :

وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلْقَاهُ مِنْهُ حَيْثَا سَارَ نَائِلُ

(٤) الوجه : ما توجهت إليه ، والضمير في « له » لندى . والكفيل : الضامن .

جعل إهلاكه إياهم لعبا ؛ وقيل معناه . إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا
سؤاله ، فسمى قبل الله ملاطى طريق الازدواج في الكلام ، كقوله تعالى « وجزاء
سبعة سيئة مثلها » وقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وهو باب واسع في العربية
كثير في القوآن .

وَإِذَا الْعَذْلُ فِي النَّدَا زَارَ مَمَّا فَعْدَاهُ الْعَذْلُ وَالْمَعْدُولُ^(١)
وَمَوَالِهِ تَحِيَّهِمْ مِنْ يَدَيْهِ نَعَمْ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ^(٢)
فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمَحٌ طَوِيلٌ وَدِلَاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَمِيلُ^(٣)

يقول : ونداء ممي في أى طريق سلكته ، فكان كل جهة من الأرض ضامنة لنداء في وجهي : أى أمامي ، وهذا فيمن يمدى « كفيل » بنفسه ، فتكون السلام من « له » « للتقوية » والباء بمعنى في ؛ كذا يروى هذا البيت ؛ ولعل الرواية الصحيحة : به لوجهي أى كأن كل جهة كافلة لوجهي بقاء نداء . وقال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجهها إلا واجهه جوده ، فكان كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداء بوجهه ، وهذا محمول على القلب ؛ أراد كفيل لى بوجه نداء يرينيه ويأتينى به ، والقلب شائع في الكلام كثير في الشعر . يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداء ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشتركة فيها يستوى المعنى في إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما تقول لقيت زيدا ، ولقينى زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ؛ وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى . وقال ابن الأفلح : يقول : كل وجهة أقصدها تتكفل بى لسيف الدولة مزعجة لى إليه وتضمننى له بكثرة الحظ عليه .

(١) العذل : اللوم . يريد أنه لا يسمع العذل على الجود ، أما غيره فإنه يسمع : يقول إذا عذل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه ففداء هذا المدوح الأجواد والعاذلون . وقال ابن فورجه : يريد فداؤك كل من عذل في جوده فسمعه أو رده لأنك فوقه جوداً . وعبارة بعض الشراح : أى فداء كل عاذل ، لأنه مردود عنده ، وكل معذول ؛ لأنه فوقه في الجود .

(٢) وموال : عطف على العذول ؛ والموالى : العبيد ، والأولياء . يقول ؛ وفدته موال حياتهم من إنعامه عليهم ، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام ، لأن مواله يستخدمون نعمه في قتل أعدائه ، وقد بين تلك النعم في البيت التالى ؛ وعبارة العكبرى : وفداء موال شملتهم مكارمه وأحيتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعدائه مقتول بها ، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء ؛ فالموالى : الأولياء . وقال ابن جنى : الموالى ههنا العبيد ؛ أى ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسداً .

(٣) فرس سابق : بدل من نعم ؛ ويروى « سابع » بدل « سابق » ؛ والسابع : السريع الجرى كأنه يسبح . والدلاص : الدرع البراقة للمساء . والزغف : اللينة

كَلَمًا صَبَحَتْ دِيَارَ عَدُوِّ
 قَالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ هَذِي السُّيُولُ^(١)
 دَهْمَتُهُ تَطَايَرُ الزَّرْدُ الْمُخَمَّ عَنْهُ كَمَا يَطْمِيرُ النَّسِيلُ^(٢)
 تَقْنِصُ الْخَيْلُ خَيْلَهُ قَنْصَ الْوَحْشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ^(٣)
 وَإِذَا الْحَرْبُ أَغْرَضَتْ زَعَمَ الْهُوْ
 لُ لِقَيْنَيْنِهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ^(٤)

الحكمة النسيج : يقول : إنه يعطى عبيده هذه الأشياء فتصير غونا لهم على قتل أعدائه قال العسكري : فهو معنى قوله : غيرهم بها مقتول : فين ما يهبه بأنه من الخيل والسلاح مما يؤذن للذي يهبه له بمقارعة الأعداء ؛ والتوطين على الصبر عند اللقاء .

(١) صبحت : جاءت صباحاً ؛ وفاعل قال : تلك ؛ والغوث : الأمطار ؛ وهذي السيل : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ؛ أى كلما صبحت مواله ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه : هذه سيلونا ، شبه مواهبه المذكورة بالمطر ، والغارة بها على العدو بالسيل الذى يكون عن المطر ؛ وقال الواحدى : أى كلما أتت مواله ديار عدو صباحا للغارة ، قال العدو تلك التى رأيناها قبل ، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيونا بالإضافة إلى السيل ؛ يريد كثرة مواله . وقال ابن جني : هذا مثل ، وعنى بالغوث سيف الدولة ؛ وبالسيل : مواله ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث ، وكذلك مواله به قدروا وعزوا .

(٢) دهمته : فاجأته ، والهاء : للعدو . والزرد : حلق الدرع ؛ والمخيم : الموثق الصنعة . والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره . وغيره . يقول : فاجأت الموالى العدو بقوة من الضرب تهتك الدروع فيتطاير زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير .

(٣) قنص الوحش : مفعول مطلق ، ويستأسر : يأسر ، والخميس : الجيش العظيم من خمس فرق القلب والجناحين والمقدمة والساقة . والرعيل : القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين ، يقول : إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش ؛ والقتيل من جيشه يأسر الجيش الكثير . يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كثير له بذلك .

(٤) أعرضت : ظهرت وقامت . والحرب : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمانُ صَحِيحٌ وَإِذَا أَعْتَلَّ فَالزَّمانُ عَلِيلٌ^(١)
وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنِ مَكَانٍ قَبِيهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهُ جَمِيلٍ^(٢)
لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هَمَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُوكٌ^(٣)
كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرُ وَسَرَائِيكَ دُونَهَا وَأَخْطِئُوكَ^(٤)
لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ^(٥)

بعده ؛ والهلول : الفزع ؛ والتهويل : التفريع ؛ والضمير في أنه : للهلول . يقول : إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله ؛ وزعم الهول لعينه أنه تهويل لا حقيقة له ، يعني أنه لا يفزعه شيء يراه ، فكان الهول يقول له : لا يهولك ما ترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ؛ وبعبارة أخرى : إذا قامت الحرب لم يبال بها يرى من أهوالها ، فكان الهول يظهر لعينه في صورة التهويل ؛ يعني أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له . و يروى بدل « أنه » أنها ، فيكون الضمير للحرب :

(١) يقول : هو الزمان فصحة صحة الزمان وكذلك علته ؛ يريد أن الزمان تابع لحاله ، صائر إلى مثل مآله . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع . وروى أنه سمع رجلا يذم الزمان ، فقال : لو يعلم ما يقول لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان :

(٢) ثناه : يروى ثناه ؛ والنشأ : الخبر ، وهو ما ينشأ — أى ينشأ — من حديث ، وهو بمعنى الثناء ، يقول : بكل مكان يسمع له خبر جميل ، وبعبارة العكبرى ؛ إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه ، ففي المكان الذى يفارقه من طيب خبره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم ، وذكر كريم لا يفقد :

(٣) الهمام : الملك العظيم : يقول : ليس أحد من الملوك بقى عرضه بسيفه غيرك : أى أمت الشجاع دونهم ، هذا : وكان الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير للتصل في موضع المنفصل وهو جائز في ضرورة الشعر :

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش ما بين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة ، وقوله ودونها : أى دون بلاد العراق وبلاد مصر ، يقول : كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت في وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك ، ولولاك لا ستمسحت تلك الديار :

(٥) تحرفت : انحرفت وملت ، والسدر : شجر النبق ، يقول : لو ملت عن

وَدَرَى مَنْ أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الدَّلِيلُ^(١)
 أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَايِرٌ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُنُولُ^(٢)
 وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ قَتَلَى أَيْ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ^(٣)
 قَمَدَ النَّاسِ كُلَّهُمْ عَنْ مَسَاعِيكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ^(٤)

طريق الروم لساووا فأوغلوا في ديار العرب دون أن يقف في طريقهم أحد حتى يربطون خيولهم بالسدر والنخيل التي بالعراق ومصر ؛ يعنى : لولا ذودك عن هذه الممالك للمكثها الأعداء ، يريد بهذا : الغض عن العراق ومصر من اللوك والرفع من شأن سيف الدولة ، هذا : وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعاً ، لأنها هي المسكة إذا ربطت الخيل إليها ، فكأنها ربطتها ، وهذا كما تقول أحلى بلد كذا : أى حلت فيه ؛ وعبرة ابن جنى : هو من باب القلب كقولك ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه ، وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر :

تَرَكَوا جَارِمَ يَأْكُلُهُ ضَبْعُ الْوَادِي وَيَرْمِيهِ الشَّجَرُ

(١) درى : عطف على ربط ؛ وفيهما : أى فى العراق ومصر ، يقول : ولو تحرفت عن طريق الأعداء لعلم من أعزّه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر - يعنى كافوراً وآل بويه - أنه حقير ذليل بغلبة العدو إياه ، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيراً ذليلاً :

(٢) أن يكون : أى بأن يكون - أى يحصل - القنول ، أى الرجوع ؛ فـ «يكون» : تامة يشير إلى أن غزواته لا تنقطع

(٣) سوى : استثناء مقدم ؛ وخلف ظهره روم : مبتدأ وخبر ، أى أن خلف ظهره روما سوى الروم - يريد آل بويه - أى أن هناك أعداء لك كالروم ، فليس أعداؤك الروم حسب ، وإنما أعداؤك كثير فأبهم فتقاتل ؟

(٤) المساعى : جمع مسعاة ، المكreme والمعلقة فى أنواع المجد والجود والقنا : الرماح والنصول : جمع نصل ، حد السيف ، يقول : لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التى قامت بها رماحك وسيوفك

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ^(١)
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بِخَيْلٍ^(٢)
نَفْسَ الْبَعْدُ عَنْكَ قُرْبَ الْقَطَايَا مَرَّتَيْنِ مُخَصَّبٌ وَجِسْنِي هَزِيلٍ^(٣)
إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَارًا وَأَتَانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمَنِيلُ^(٤)
مِنْ عَبِيدِي إِنْ عِشْتُ لِي أَلْفُ كَافُو
رِي وَلِي مِنْ نَدَاكَ رِيْفٌ وَنَيْلٌ^(٥)
مَا أَبَالِي إِذَا انْقَتَكَ الرَّزَايَا مِنْ دَهْتِهِ حُبُولَهَا وَأَنْحُبُولُ^(٦)

- (١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والشمول : الحذر ، يقول : إن غيره من الملوك يشغلون باللهو وشرب الخمر . أما هو فشغله الشاغل الحرب .
- (٢) وزمانى الخ : حال . وبأن أراك : متعلق بـ « بخيل » . يقول : لا أَرْضَى بِأَنْ يَصِلَ إِلَى عِطَاؤِكَ وَأَنَا بَعِيدُ عَنْكَ لَا أَرَاكَ .
- (٣) المرتع ؛ المرعى ؛ والتنقيص : التسكير ؛ والهزيل : ضد السمين ، يقول : أَنَا فِي قُرْبِ عِطَائِكَ مِنِّي وَبَعْدِي عَنْكَ كَمَنْ يَرْتَعُ فِي مَكَانٍ مُخَصَّبٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَهْزُولٌ : أَيْ لَسْتُ أَهْنَأُ بِعِطَائِكَ مَعَ الْبَعْدِ عَنْ لِقَائِكَ :
- (٤) تبوأ المسكن ، نزل به ، والنيل : العطاء ؛ والمنيل : المعطى . يقول : إن عطاياها تتبعه حيثما سار . فلو هو اتخذ دارا غير الدنيا ووصلت إليه عطية لكان سيف الدولة هو معطيها
- (٥) يقول : إِذَا عِشْتُ وَبَقِيتُ حَيًّا كَانَ لِي مِنَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَهْتَمُّ لِي أَلْفُ عَبْدٍ مِثْلُ كَلْبُورِ الَّذِي رَغِبْتَ عَنْهُ وَاحْتَوَيْتَ الْبَقَاءَ فِي جَمَلَتِهِ ، وَكَانَ لِي مِنْ نَدَاكَ وَجُودِكَ عَوَضٌ مِنْ رِيْفِ مِصْرَ وَنَهْلِهَا الَّذِينَ بِهِمَا شَرَفَ بِلَدِهِ وَفِيهِمَا بَسَطَتْ يَدَهُ
- (٦) انقَتك : اجتبتك ؛ والرزايا ، جمع رزية ، وهى المصيبة ؛ والحبول : الدواهي ، جمع حبل - بكسر الحاء - أنشد المفضل :

وقال في صباه وقد قيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة :

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تَرَى مَنَشُورَةَ الضَّفَرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ^(١)
عَلَى فَتَى مُعْتَمِلٍ صَعْدَةً يَعْلَمُهَا مِنْ كُلِّ وَاقٍ السَّبَالِ^(٢)

* * *

فَيَا عَجَبًا لِلْخَوْدِ تُبْدِي قِنَاعَهَا تَرَأَى بِالْعَيْنِ لِلرَّجُلِ الْحَبْلِ^(١)
وقال الأخطل :

وَكُنْتُ سَلِيمَ الْقَلْبِ حَتَّى أَصَابَنِي مِنَ اللَّامِعَاتِ الْمُفْرِقَاتِ حُبُولٌ
وقال كثير :

فَلَا تَعْجَلِي يَا عَزَّ أَنْ تَقْفَهِي بِنَصْحِ أُنَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ
والحبول : جمع خبل ، مصدر خبله : إذا أفسد من أعضائه أو عقله ، والخابل :
الشیطان ؛ والخابل : للفسد ؛ والخابلان : الليل والنهار لأنهما لا يأتیان على أحد إلا
خبلاه بهرم ؛ وفي الحديث « وبطانة لا تألوه خبالا » أى لا تقصر فى إفساد أمره ؛
وقالوا خبل خابل : يذهبون إلى البالغة ، قال :

نُدَافِعُ قَوْمًا مُفْضِينَ عَلَيْكُمْ فَعَلِمْتُ بِهِمْ خَبْلًا مِنَ الشَّرِّ خَابِلًا
يقول : إذا خطتلك الرزايا ولم تصبك الأقدار بسوء فلا أبالي من أصابته دواهيته
وآفاته ، لأن أملى إنما هو معقود بك .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ؛ والضفر : الشد ، ويسمى ما يشد على
الرأس من الذوائب : الضفائر ، ومن سماها الضفر : فقد سمى بالمصدر .

يقول : إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ؛ يعنى بهذا أنه شجاع
صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك
تهويلا للعدو .

(٢) على فتى : متعلق بـ « منشورة » - فى البيت السابق - وهو عاب فى الشعر يسمى
التضمين . والصعدة : الرمح القصير ، يقال اعتقل الرمح وتنسكب القوس وتقلد السيف
إذا حمل كلامها حمل مثلها : ومعنى يعلمها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى ، ومن كل وافي

(١) يقال : رأأت بهينها : إذا أدارتها ، تعمر الرجل :

وقال في صباه :

مُحِبِّي قِيَامِي مَا لِذَا لِكُمُ النَّصْلِ بَرِيئًا مِّنَ الْجُرْحِ سَلِيمًا مِّنَ الْقَتْلِ ^(١)
أَرَى مِنْ فِرْنَدَى قِطْعَةً فِي فِرْنَدِهِ
وَجَوْدَةُ ضَرَبِ الْهَامِ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ ^(٢)
وَحُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْخُضْرَةِ الَّتِي
أُرْتِكَ أَحْمَرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّثْلِ ^(٣)

السبال : أى يعلمها من كل رجل تام السبلة وهى ما استرسل من مقدم اللحية . يقول :
إنما يحسن شعرى إذا كنت على هذه الحالة .

(١) بريئاً وسليماً : حالان ؛ ومحبي قياى ، منادى والنصل . السيف ، يقول : يامن
يحب مقامى وتركى الأسفار كيف أقيم ولم أرح بنصلى أعدائى . وقال الواحدى :
القيام هنا قيام إلى الشيء أو بالشئ . يقول : أيها المحبون قياى إلى الحرب أو بالحرب
ما لنصلكم لا يقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب : أى لم لا تعينونى بالسيف إن
أحببتم قياى ؟

(٢) فرندى : يروى بفتح الراء وكسرهما ، معرب معناه ، ما يستدل به على جودة
الحديد كالآثار والنقط ؛ والهام : الرؤوس ؛ والنصل ، السيف يقول ، أرى من قوتى
ونشاطى قطعة فى فرند هذا السيف : أى أن له حدة ومضاء كحدتى ومضائى ، ثم قال إن
جودة الضرب فى جودة الصقل ؛ أى إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد به الضرب ، وهذا
تمثيل يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب وأنها تصقل الهم وتورثها مضاء كالصقل للسيف
(٣) المراد بخضرة ثوب العيش : النعمة والحصب ، استعارة من خضرة النبات ،
والنبات إذا كان أخضر كان رطباً ناعماً . وقوله فى الخضرة الخ : يعنى خضرة السيف ،
ويحمد من السيوف ما كان مشرباً خضرة ؛ قال الشاعر :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَابَعَهُ أَشْرَبُهُ بِالْهِنْدِ مَاءُ الْهِنْدِ بَا ^(١)

وقال البحتري :

حَمَلَتْ حَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذُبْلِ

(١) ما - بفتح الدال - مقصور ، نبت معروف يؤكل

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِيَ بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي ^(١)
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطَرَفِي وَذَائِلِي
نَكُنْ وَاحِدًا يَلْقَى الْوَرَى وَأَنْظُرُنْ فِئْلِي ^(٢)
* * *

واحمرار الموت : شدته ، يقال موت أحمر : أى شديد ، وأصله من القتل وسيلان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوائمه فأثر فيه آثاراً دقيقة . جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند . يقول : طيب العيش وهناؤه في السيف ، أى في استعماله والضرب به .

(١) الإمطة : الرفع والتنحية والإزالة ، ومنه إمطة الأذى عن الطريق ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله بما وكأنه : قول القائل ما أشبه بكذا وكأنه كذا . يقول : لا تشبهني بأحد ولا تقل كأنه فلان وما أشبه بفلان ، لأنه ليس فوقى أحد ولا مثلى أحد فتشبهني به ، وهناك أقوال أخرى للشرح في قوله « بما وكأنه » نورد منها أهمها : قال ابن القطاع : الصحيح من معنى هذا البيت أن « ما » نكرة بمعنى شيء موضوعة للعموم كأنه قال أمط عنك تشبيهي بشيء من الأشياء كما أنك تقول مررت بما معجب لك : أى بشيء معجب لك ؛ وقال أبو بكر الخوارزمي : « ما » ههنا اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشبه بالبحر : كأنه ماهو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا بر وبحر ويقولون كأنه ما هو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر ، ولما كان لفظها في المشبه به ذكره النبي مع كان . وقال ابن جني : إنه يعتبر كأن قائلاً قال بما يشبه فيقول الآخر : كأنه الأسد ، فقال هو معرضاً عن هذا القول : أمط عنك تشبيهي بما وكأنه ، فلما جاء بحرف التشبيه — أى كأن — ذكر « ما » .

(٢) وإياه : يعنى النصل ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والذابل : ملان واهتز من الرماح . وقوله « نكن » جواب الأمر . يقول : دعنى وهذا السيف وفرنقى ورعى حتى نجتمع فسكون في رأى العين شخصاً واحداً يلقي الورى — أى يحاربهم — فانظر بعد ذلك إلى ما أفعله من قتل الأعداء ، قال ابن جني : وقد لاذ في هذا البيت اللفظ ذى الرمة ، ومعناه في قوله :

وليل كجلباب العروس أدّرغته
أحّم غُدافِي وأبيض صارم
بأربعة والشخصُ في العين واحد
وأعيسُ مهريٌّ وأزوعُ مناجدُ

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي النبطي :
 حَيًّا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا^(١)
 وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا
 وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحَلَا^(٢)
 وَلَا مُفَارَقَةَ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ
 لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا^(٣)

هذا : وقوله يلقي الوري : نعت « واحدًا » ؛ و يروى نلق : مجزوما على البدل من نكن .

(١) أحيا : فعل التكلم ، وجملة « وأيسر » : حالية : يخبر عن نفسه بأنه حي باقى ، مع أن أقل ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل . يقول أقل وأهون ما قاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا ، والفراق جار على ضعفى حين فرق بينى وبين أحبى وكنت ضعيفا بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلانى ببعدهم .

وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون أحيا في معنى أفعل التى للتفضيل : أى أعدد ما يكون فى الإنسان وأيسر ما قاسيت شئ قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير أى الشئ الذى يقتل أحيا وأيسر ما لاقيت ، ، أو ما ألقاه ، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه : أى أحيا ما لاقيت وأيسر ما لاقيت . قال : وهم يستعملون هذا فى الشعر ، ولو قلت فى النثر أفضل وأكرم الناس زيد ، يريد أفضل الناس وأكرمهم لقبح ، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم ، وقال بعض الشراح تعليقا على قوله وما عدلا : كرر المعنى فقال جار وما عدلا والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل ، قل وإنما كرهه لأن الجائر فى وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعديل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل ، ومثله فى القرآن الكريم « أموات غير أحياء » والمعنى أنها أموات لا تحيا فى المستقبل كما يحيا الناس عند البعث .

(٢) الوجد : الحزن والشوق ؛ والنوى : البعد ، يقول : إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم ، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمى .

(٣) المنايا : جمع منية ، الموت ، يقول : لولا الفراق لما كان للمنايا طريق الى أرواحنا : أى إنما توصلت إلينا بطريق فراق الأحباب كما قال أبو تمام :

لو حار مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى الْنفُوسِ دَلِيلًا

بِمَا بِحَفْنِكَ مِنْ سِحْرِ صِلِي دِنْفًا يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدَتْ فَلَا^(١)
إِلَّا يَسِبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلًا^(٢)

ولابن القطاع تأويل حسن . قال : إن « لها » جمع لهاة واللعن ما وجدت لهوات
النايا الخ ، فلها : فاعل وجدت ؛ والنايا : في موضع جر بالإضافة ؛ واللهاة : اللحمة
الشرقة على الحلق في أقصى سقف الفم . والسبل : جمع سبل ؛ والسيل : الطريق ،
تذكر وتؤث .

(١) الدنف : الذى أثقله المرض ؛ وقال علماء اللغة الدنف : المرض اللازم الخاضع
ويقال رجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : أى براه المرض حتى أشفى على الموت ؛
فمن قال دنف : لم يشنه ولم يجمعه ولم يؤثته ، كأنه وصف بالمصدر ؛ ومن كسر النون ثنى
وجمع وأنت لا محالة فقال رجل دنف - بالكسر - ورجلان دنفان ، ورجال أدناف .
وأمرأة دنفة ، ونسوة دنفات . ومن المجاز والاستعارة قول العجاج .

والشمسُ قد كادت تكون دنفًا أذفعا بالراح كى تَزَحْلِفَا^(١)

يقول : أقسم عليك بحق ما بحفنيك من سحر أن تصلى مريضاً يحب الحياة في وصالك
فإن هجرت ، وأعرضت فليس يحب الحياة ؛ وعنى بسحر جفنيها أنها ينظرها تصيد القلوب
وتسبى عقول الرجال ، فكأنها سحرتهم ، واللعن من قول دعبل :

ما أطيّب العيش فأما على أن لا أرى وجهك يوماً فلا

لو أن يوماً منك أوساعةً تباعُ بالدنيا إذن ما غلا

وقوله يهوى الحياة : نعت دنفًا ، ويروى : يهو - بدون ياء على أنه جواب للأمر -
وقال المكبرى - تعليقاً على قوله « وإما إن صددت فلا » : الفاء جواب « أما » لأنها
أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور ؛ ومثله قولك : والله إن تزرنى
لأكرمك يجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسد جواب الشرط . وإذا
قدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول : إن تزرنى والله أكرمك .

(٢) نصل الخضاب : ذهب ؛ والسلوة : الاسم - من سلا عنه سلواً - والسلو :
طبيب نفس الإلفد عن إلفه ، ويقول الرجل لصاحبه سقيتنى سلوة وسلوانا : أى طيبت
نفسى عنك ، قال :

(١) يريد : حين اصفرت ودانت الغروب ، فكأنها دنف حينئذ ، يقال دنفته
الشمس وأدنفته : إذا دنت للمغيب واصفرت .

يُجَنُّ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنَّ رَاحِمَةً تَزُورُهُ فِي رِيَّاحِ الشَّرْقِ ، مَا عَقَلَا^(١)
 هَا فَأَنْظُرِي أَوْ فَطْقِي بِي تَرَى حُرْقًا مَنِ لَمْ يَذُقْ طَرْفًا مِنْهَا فَلَا^(٢)
 عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوْلِ مَثَلًا^(٣)

جَعَلْتُ لِمِرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافٍ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
 فَمَا تَرَكَامِنْ رُقِيَةٍ يَغْلَسَانِي وَلَا سَلْوَةٍ إِلَّا بِهَا سَقِيَانِي

يقول : إن لا يشب هذا الدنف - يعني نفسه ، لأنه لا يزال شابا - فلقد شاب كبده
 لشدة ما يقاسى من حرارة الوجد والشوق ؛ فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك
 الخضاب ، لأن سلوته لا تبقى ولا تدوم ، فإذا زالت السلوة زال خضاب كبده وعاد
 شبيهه . يريد إذا سلا حيناً لم يلبث الشوق أن يعود ، وما أروع قول أبي تمام :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مُشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ
 والتنبى نقل شيب الفؤاد إلى الكبد ، وهو مما استعجب من استعاراته .

(١) يجن : من الجنون ، ويروى يحن - من الحنين ، وهو الصبوة والطرب - ورواية
 يجن أليق لطابق قوله عقلا - في آخر البيت - يقول : إن هذا الدنف يصير مجنونا
 لشدة شوقه ، فلولا أنه يجد راحة من حبيه إذا هبت الرياح من ناحية الشرق لما كان
 له عقل ولكن يخف جنونه إذا وجد ريح الشرق من قبل أحبابه :

فَإِنَّ الصَّبَّارِ يَمُوحُ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَى كِبْدٍ تَحْزُونُ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا

وقد نظر المتنبي في هذا إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأَسْتَشِيقُ النَّسَاءَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ كَأَنِّي مَرِيضٌ وَالنَّسِيمُ طَيِّبٌ

(٢) ها : للتغية . أى ها أنا ذا فانظري : وترى : جواب الأمر ؛ ووأل . نجا
 يقول : ها أنا ذا فانظري إلى أو فكرى في إن لم تنظري ترى بي حرقاً من حبك ، من
 لم يجرب القليل منها ، فقد نجا من بلاء الحب ، وقد أجل المتنبي ما فصله البحرى في
 بيتين قال :

أَعِيدِي فِي نَظَرَةٍ مُسْتَنِيْبٍ تَوَخَّى الْأَجَرَ أَوْ كَرِهَ الْأَثَامَا

تَرَى كِبْدًا مُحَرَّقَةً وَعَيْنًا مَوْرَقَةً وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا

(٣) عل : كعمل ؛ ويشفع - بالنصب - جواب الترجى ؛ وبالرفع : عطف على يري

أَيْقَنْتُ أَنْ سَعِيداً طَالِبٌ بِدِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالزَّمْعِ مُتَقَفلاً^(١)

يقول : لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعاً لى إلى الحبيبة - التى جعلتنى بحيث يضرب بى المثل فى العشق - لتواصلنى بشفاعته ، قال الواحدى : وهذان قول أبى نواس :

سَأشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاهَا لَعْلَ الْفَضْلِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
قال : وهذا أحسن من قول المتنبي لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان ، وذلك نوع من القيادة ... قال : على أنى سمعت العروضى يقول : سمعت الشعرانى يقول : لم أسمع المتنبي ينشده إلا فيشفعنى - من قولهم كان وترأ فشفعه بآخر وإلى آخر : أى صيره شفيعاً . فيكون كما قال أبو نواس .

وقال العكبرى - تعليقا على قوله عل - : « عل » حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة . وحببتهم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التى يجمعها « اليوم تنساء » إنما تختص بالأسماء والأفعال ؛ فأما الحروف فلا بدخلها شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية فى كل مكان على كل حال . ألا ترى أن الألف لا تكون فى الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها فى « ما » و « لا » بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية ؛ فدل على أن اللام الأولى فى « لعل » أصلية ، والذى يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصة لا تكاد تزداد إلا على سبيل الشذوذ ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟ ووجهة البصريين أنهم وجدوها فى كلام العرب وأشعارهم ، كقول نافع الطائى :

وَلَيْسَتْ سُبُلًا إِمَّ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَقُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أُنْقَدَّ مَا
وكقول الآخر :

لَا تَهِنَنَّ فَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَبَ يَوْمًا وَالْدهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٢)
(١) بَصُرْتُ بِهِ : أى أبصرته . واعتقل رعيه : جعله بين ركابه وساقه . يقول : إنى

(٢) لَا تَهِنَنَّ . أراد لَا تَهِنَنَّ ، لحذف النون الحفيفة لما استقبلها ساكن ، والبيت للأضبط بن قريع السعدي .

وَأَنْتَى غَبْرٌ مُخَصِّ فَضْلَ وَالِدِهِ وَنَائِلٌ دُونَ نَبِيلٍ وَضَفَّهُ زُحْلًا^(١)
 قِيلَ بَمَنْبِجَ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ فِي الْأَفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرُهُ سَأَلًا^(٢)
 يُلُوحُ بِدَرُّ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ
 وَيَحْمِلُ الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ حَمَلًا^(٣)

أيقنت بأن المذروح يطلب بدى إن سفكته الحبيبة وأخذ منها ثأرى لأنى رأته قد
 اعتقل رحمه متوجها لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك ثأر أوليائه .

(١) فضل والده : يروى فضل نائله ، والنائل ، العطاء . وزحل ، الكوكب المعروف
 وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض . يقول : وأيقنت أنى لأستطيع
 عد عطائه لكثرتيه وأننى أدرك زحلا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف
 فضل والده .

(٢) القيل ؛ الملك - بلغة حمير - أو الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج : بلد
 بالشام . والمثوى . المنزل والمقام . والافق ، القطر والتاحية ؛ وقيل ؛ خبر مبتدأ محذوف
 أى هر قيل ؛ وبمنبج خبر مقدم ، ومثواه ، مبتدأ مؤخر ؛ ونائله ، مبتدأ ، خبره ؛ فى الافق ؛
 يسأل ؛ فى موضع الحال . يقول . هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف فى الافاق يسأل عمن
 يسأل غيره من الناس ، يعنى أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره إليه ، وفى مثل
 هذا يقول أبو تمام .

فَأُضْحَتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرَدًا تَسَائِلُ فِي الْأَفَاقِ عَنْ كُلِّ سَائِلٍ
 ويقول :

وَفَدَتْ إِلَى الْأَفَاقِ مِنْ مَعْرُوفِهِ نِعَمٌ تَسَائِلُ عَنْ ذَوَى الْإِفْتَارِ
 ويقول أبو العتاهية :

وَمَنْ نَحْنُ لَمْ تَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَدْتَفِينَا

(٣) الغرة : غرة الوجه ؛ وصحنها : وسطها ؛ والهيجاء : الحرب . يقول : إن
 وجهه لحسنه يضئ كالنور فى ظلام الليل ، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يعمل معه
 ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه ، ويروى : الموت - بالنصب - أى أنه إذا حمل
 على أعدائه أصعب الموت حاملا إياه إليهم .

تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ كَحُلٍّ أُعْيِنَهَا وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَدْلَ (١)
لِنُورِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْتَرَقٌ
لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَ (٢)
هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَادَتْ تَمِيمٌ بِهِ قَدَمًا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنَهَا الْأَجَلَ (٣)
لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانٍ أَسْلَمُوا الْخِلَلَ (٤)
وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا (٥)

(١) يقول : إن كلابا - وهم قبيلة المدوح - لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذي يمشى عليه - كناية عن اغتباطهم بولائه ، وسيفه في جناب - وهم قبيلة عدوه - يسبق ملامة من يلومه في فعلهم - كناية عن شقاوتهم بعداوتهم - وهذا مثل يقال سبق السيف العدل وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره ، فقال : سبق السيف العدل ؛ قال الواحدى : وروى هنا بيت منحول ليس في روايات الديوان وهو :
مهذب الجذ يستسقى الغمام له حلو كأن على أخلاقه عسلا

أى هو طيب الأصل لأن جده كان مبرا من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقى الله به وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول : ممزوج بالعسل .
(٢) استعمار للفخر « سماء » لعلو الفخر ، يقول : له نور يصعد في سماء الفخر لوصعد فكره واصفا في مخترقه طوال الدهر ما نزل ، لأنه يبقى يرقى في أثر ذلك النور فلا يلحقه والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به : المصعد في الهواء ، كأنه يشق الهواء شقا ، ويريد بالنور : ما اشتهر وذاع في الناس من ذكره وصيته : أى أنه عال علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

(٣) بادت : هلكت ، وقدم : بمعنى قديما : أى زمانا قديما ، ولم يصرف تميم لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث . والحين : الهلاك . يقول : إن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الاجل قبل وقته .

(٤) الحرب العوان : التى قوتل فيها المرة بعد المرة والحلل جمع الحلة وهى النازل الى حلوها . يقول : لما رأت تميم هذا للمدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد : تركوا منازلهم وهربوا فى أول الأمر .

(٥) قال الواحدى : يعنى لشدة مالحقهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربا - كقوله تعالى « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » - وهاربهم إذا رأى مالىس

فَبَعْدَ وَإِلَىٰ ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ بِأَنْجُلٍ فِي لَهَوَاتِ الطُّفْلِ مَا سَعَلَا^(١)
فَقَدْ تَرَكَتِ الْأَلَىٰ لَا قِيَتُهُمْ جَزْرًا
وَقَدْ قَتَلَتِ الْأَلَىٰ لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَعَلَا^(٢)

شيء يعبا به أو توم ما ليس بشي شيئاً ظنه إنسانا يطلبه ، وكذا عادة المحارب الخائف كقول جرير :

ما زلت تحسب كل شيء بعمدم خيلا تكثر عليهم ورجالا
قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقة والله من كتابهم - يريد القرآن الكريم - : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » قال : ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالا عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون هذا ليس بشيء يريدون شيئاً جيداً - وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شيء . فقل هذا خطأ ، لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ، ومن قال . إن الله خلق من لا شيء جبل لا شيء شيئاً يخلق منه ؛ والصحيح أن يقال : يخلق لا من شيء لأنه إذا قال لا من شيء : نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء .

(١) اللهوات : جمع لهاة ، وهى لحمة فى الحلق عند أصل اللسان . يقول : فبعد اليوم الذى بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذى نحن فيه لور كضت خيلهم فى لهوات صبي صغيرنا شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم . وقد بالغ فى هذا حتى أحال . . . قالوا : وهذا مأخوذ من قول الشاعر :

لو أنه حرّكَ الجرَدَ الجِيادَ على أجفان ذى حلم لم ينتبه فرقا
وفيه نظر إلى قول بعضهم :

وَمَرَّ بِفِكْرِي خَاطِرًا فَجَرَحْتُهُ وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ

وقل بعض النشراح : ويجوز أن يجعل الطفل منهم - أى من تميم - أى ماجسر الطفل منهم أن يستغل خوفا وإشفاقا مع أنه لا عقل له ، فكيف الظن بكبيرهم فى أمر الخوف وله عقل ؟ وعلى هذا : « ركضت » فعل خيل النصر وقيلته وقوده .

(٢) أى الذى يعنى الدين ، والجزر : اللحم الذى يلقي للسباع ، يقال ما كانوا إلا جزراً أسيوفنا : أى الدين تقتلهم فنلقهم للسباع ، والوجل : شدة الخوف يقول : إن الدين لقم لك منهم فنيتهم وجعلتهم جزراً للسباع . والدين لم يلقوك ما توا خوفاً منك .

كَمْ مَهْمَةٍ قَذَفَ قَلْبُ الدَّائِلِ بِهِ قَلْبُ الْمَحِبِّ قَضَانِي بَعْدَ مَا مَطَلَا^(١)
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرَفِي فِي مَقَاوِزِهِ وَحُرٌّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذَا أَفَلَا^(٢)
أُنْكَمْتُ صُمٌّ حَصَاهَا خُفٌّ يَفْعَلُهُ تَفَشَّمَتْ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا^(٣)
لَوْ كُنْتُ حَشَوَ قَمِيصِي فَوْقَ مُنْمَرِقِهَا سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيْطَانِهَا زَجَلَا^(٤)

(١) المهمة : الفلاة الواسعة ، والقذف : البعيد . يقول : كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها - أى الذى يدل على الطريق - مضطرب خائف كقلب المحب ، قطعها بعد أن طال السير فيها ، وهذا معنى قوله : قضانى بعد ما مطلا ، وهو استعارة جميلة ، لأن المهمة كالمطلوب منه انقطاعه بالسير فيه وهو - بطوله وتأخير انقطاعه - كالماطل بما يقتضى منه ، فالضمير فى « قضانى » عائد إلى المهمة .

(٢) المفاوز : الفلوات ، والطرف : العين ، وحر الوجه : أشرف موضع فيه أو ما بدا منه . وأفل : غاب . يقول كنت أنظر إلى النجم دائما فى مسيرى ليلا حتى كأن أجفانى معقودة به مخافة أن أضل الطريق ، وإذا غاب النجم - أى فى النهار - كنت أنصب وجهى للشمس دائما حتى كأنه معقود بها ، وإنما يهتدى فى الفلوات إلى الطريق ليلا بالنجم ونهارا بالشمس ، والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد .

(٣) الصم : الصلاب الشداد من كل شيء ، واليعة : الناقة القوية . وتفشمت : تعسفت وركضت على غير قصد . يقول : أوطأت خف ناقتى حجارة المفاوز حتى وطشتها وسارت بى فى السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك .

(٤) حشو قميصى : يريد بدلى وفى مكانى ، والنمرق : وسادة يعتمد عليها الراكب ، والغيطان : جمع غائط ، وهو ما اطمأن من الأرض وانخفض . والزجل : الصياح والضجيج . يقول : لو كنت مكانى فوق نمرق ناقتى لسمعت أصوات الجن فى وهاد هذه المفاوز . أى أنها مسكن الجن بعدها عن الإنسان ، والعرب إذا وصفت المكان بالبعد جعلته مساكن للجن ، كما قال الأخطل :

مَلَاعِبُ جِنَّانٍ كَأَن تَرَاهَا إِذَا اطَّرَدَتْ فِيهَا الرِّيحُ مُفْرَبِلٌ
وَبَيْتُ الْمُنْبِيِّ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَةِ :

لِلْجِنِّ بِالْمِيلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلٌ كَمَا تَجَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومٌ
« العيشوم : شجرله صوت مع الريح »

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسِي مَاتَ أَكْثَرُهَا وَلَيْتَنِي عَشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَّلَا^(١)
أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا^(٢)

* * *

وقال في صباه - وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها سمك من سكر ولوز في عسل :

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغْلٍ^(٣)
تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا لَكُنْتَ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ^(٤)

(١) يقول : وصلت إلى المدوح بنفس مات أكثرها : أي ذهب أكثر لحمها وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته ، ثم تمنى أن يعيش بما بقي من نفسه ليقضى حق المدوح بخدمته له . وعبرة بعض الشراح : لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق موتاً : سمى الإقامة والراحة عيشاً . والمعنى : ليتني أصادف عيشاً بما بقي من عمري قبل أن أموت ، فقله ليتني عشت : أراد ليتني أعيش ، فعبّر بالماضي عن المضارع .
(٢) يقول : لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلاً لعلو همتك ، فالدنيا حقيرة بالإضافة إلى همتك ، وهذا من قول حسان :

يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم
ومن قول أبي العتاهية :

إِنِّي لَا يَأْسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمِئِنِّي فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(٣)
يقول : إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فما يأخذون من أموالك وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطعاهم ، والبيت في ذاته يحتمل أن يكون معناه أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا ، أما أنت فقد شغلت بتبديد هذا الحطام بكرماً .

(٤) أراد : تمثّلوا بحاتم ، خذف الباء ضرورة . يريد أن الناس ضربوا المثل بحاتم فقالوا : أكرم من حاتم وأجود من حاتم ، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا المثل بك ، لأنك الغاية في الجود .

أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَا بَعَثَ بِهِ إِلَيْهَا أَبَا قَاسِمٍ وَبِالرُّسُلِ ^(١)
 هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُنْهَدِيهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ ^(٢)
 أَقْلٌ مَا فِي أَقْلَهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِي بَرْكَتِهِ مِنَ الْعَسَلِ ^(٣)
 كَيْفَ أَكْفَى عَلَى أَجَلٍ يَدٍ مَنْ لَا يَرَى أَنَّهَا يَدٌ قَبْلِي ^(٤)

وقال أيضاً في صباه :

قَفَا تَرْيَا وَذَقِي قَهَاتَا الْمَخَالِ وَلَا تَخْشَى خُلُقًا لِمَا أَنَا قَائِلٌ ^(٥)

(١) وبالرسل : عطف على بما بعث . وإيها : اسم فعل بمعنى كف ودع ؛ أما إليه - بالخفض - فهي الاستزادة من التكلم . يقول : أهلا وسهلا بهديتك ورسولك فكف ، فقد أكثر الهدايا وغمرني إحسانك .

(٢) هدية : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذى أهداها - يعنى المدحوح - إلا رأيت الناس كلهم فى شخص واحد ، يعنى أنه جمع فيه جميع ما فى الناس من معاني الفضل والكرم ، وهذا كما قال أبو نواس :

وليسَ على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ فى واحدٍ
 وقد قرر المتنبي هذا المعنى فقال :

* أم الخلقُ فى شخصٍ حى أعيدا *

وقال :

* ومنزلك الدنيا وأنتَ الخلاقُ *

(٣) أراد بالبركة : الوعاء الذى كان فيه العسل ؛ يعنى أن هذه الهدية عظيمة أقل شئ اشتمل عليه أقل ما فى هذه الهدية سمك بهذه الصفة .

(٤) أكفى : من المكافأ . وهى أن يقابل الشئ بمثله ، فأصلها الهمزة . واليد : النعمة : يقول : كيف أكفى من لا يعتقد فى أعظم نعمة له عندى أنها نعمة احتقاراً لها وتصغيراً ؛ أو تقول : بماذا أكفى الذى أسدى إلى نعمة عظيمة وهو يستصغرها حتى يرى أنها لا تعد نعمة له عندى .

(٥) الودق : المطر . وهانا : بمعنى هذه . والمخايل جمع الخيلة - بضم اليم وكسر الخاء - السحابة الخليقة بالمطر . والحلف : اسم من الإخلاف فى الوعد . يقول

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ أَسْتِهِ
وَأَخَرُ قَطْنٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ^(١)
وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عَلَيَّ أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ^(٢)
وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكُ الْأَرْضِ مُفْسِرٌ
وَأَنْتَى عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ كَيْنِ رَاجِلٌ^(٣)

— لصاحبه - : اصبر قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما فقد ظهرت مخايله وما يشهد لى بتحقيق ما كنت أعدك من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال ، وإنى لا أقول شيئا أعد به ولا أفعله .

(١) الصائب : بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصوبه ، وأصابه يصيبه . وآخر - بالنصب - عطف على لفظ صائب ، وبالرفع : عطف على الموضع من « صائب » وقطن : خبر مقدم ؛ والجنادل : مبتدأ مؤخر . يقول : عابى أخساء الناس وأراذلهم من بين من يصيب استه ما يرمى به : أى يلحقه ما يعينى به ، وآخر لا يؤثر فى ما يرمى به ولا يعلق بى ما يقوله فى كأنه يرمى بقطعة قطن ، فقوله من صائب استه : كقولهم جاءنى القوم من فارس وراجل ؛ يعنى أنهم من هذين الجنسيتين .

(٢) أى ومن رجل آخر لا يعرفنى ولا يعرف أنه جاهل بى ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بى . فعلى : مفعول يجهل ، وأنه : مفعول على : أى يجهل معرفتى بجهله بى . ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنتُ أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتنى وعلمتُ أنك جاهل فعذرتك
وقول الآخر :

جهلتَ ولم تعلم بأنك جاهل فَمَنْ لِي بِأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي
(٣) مالك الأرض : نصب على الحال ، وعلى ظهر السماء كين : فى موضع الحال . يقول : ويجهل هذا الجاهل أنى فى الحال التى أملك فيها الأرض أعد نفسى معسراً بالقياس إلى مقتضى همى ، وإنى إذا علوت السماء وركبت السماء كين عدت نفسى راجلا ، لاقتضاء همى ما فوق ذلك .

تُحَقَرُ عِنْدِي هَمِّي كُلٌّ مَطْلَبٌ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ^(١)
وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مِنَّا كَيْبِي إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّمِيرِ فِي زَلَّازِلُ^(٢)
فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحُشَا قَلَّاقِلَ عَيْسٍ كُلُّهُمْ قَلَّاقِلُ^(٣)

(١) يقول : إن همي تربي كل شيء أطلبه حقيراً ، والغاية البعيدة قصيرة في عيني .
(٢) الطود : الجبل العظيم ؛ ومناكبه : أعاليه . والضيم : الظلم . يقول : لم أزل
ثابتاً ذا وقار كالطود لا يحركني شيء إلى أن ظلمت فلم أطق الظلم وإنما تجردت
لدفعه عن نفسي .

(٣) القلاقلة : التحريك ؛ ويريد بالحشا : ما في داخل الجوف . والقلاقل - الأولى -
جمع قلقل ، وهي الناقة الخفيفة ؛ ويقال أيضاً : رجل قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا
سريعَي الحركة . والقلاقل - الثانية - جمع قلقلة ، وهي الحركة . يقول : حركت
- بسبب الهم الذي حرك نفسي - إبلاً خفافاً في السير ، يعني سافرت ولم أعرج بالمقام
الذي يلحقني فيه الضيم . ويجوز أن تكون القلاقل الثانية أيضاً بمعنى الأولى ، وإذن :
يعود الضمير من كلهن على العيس ، لا على القلاقل . يقول : خفاف إبلاً كلهن خفاف ،
يعني أنهن خفاف الخفاف وسراع السراع كما يقال : أفضل الفضلاء . هذا : وقد عاب
الصاحب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت قال : ماله قلقل الله أحشاه وهذه القافات
الباردة ؟ قال الواحدى : ولا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله - قال
الشماعلي : قال لي أبو نصر بن الرزبان : ثلاثة من رؤساء الشعراء : شلشل أحدهم .
وسلسل الثاني ، وقلقل الثالث ؛ أما الذي شلشل فالأعشى - وهو من رؤساء شعراء
الجاهلية - قال :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْخَانَوْتِ يَنْبَغِينِي شَاوٍ مِشَلٍّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوْلٌ

« الشاوى : الذى شوى ؛ والمشلل : المطرّد ؛ والشلول : الخفيف ؛ والشلشل :
الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة . أريد بذكرها والجمع بينها :
المبالغة » . وأما الذى سلسل فسلم بن الوليد إذ يقول :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ نَمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا

وأما الذى قلقل فهو المتنبي الذى . يقول : البيت - ثم قال : لى قبلل أنت أيضاً .
قلت : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

إِذَا اللَّيْلُ وَارَنَا أَرْتَنَا خِفَافَهَا بِقَدَحِ الْخَمَى مَا لَا تُرِينَا لِشَاعِلٍ^(١)
كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي ظَهْرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بِي بِحَارًا مَا لَهَا سَوَاحِلُ^(٢)
يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِي ، وَأَنْتَى فِيهَا مَا تَقُولُ الْقَوَازِلُ^(٣)
وَمَنْ يَنْبَغِ مَا أَبْنِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَلَا
تَسَاوَى الْمَحَايِ عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ^(٤)

الشعراء - فاعلمن - أربعة فشاعر يجزى ولا يجزى معه
وشاعر يُنشدُ وسط المصممة وشاعر من حقه أن تسمعه
* وشاعر من حقه أن تصفحه

قال ثم قلت بعد حين من الدهر :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلَفَاتِهَا فَانْفِ الْبَلَابِلَ بِاحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

قال الثعالبي : وفي هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبي الطيب .

(١) وارانا : سترنا . والمشاعل : جمع مشعلة - بفتح الميم - النار الموقدة ، وبكسر الميم : الآلة التي تحمل فيها النار ، يقول : إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتتقدح النار فيها فترى مالا نراه بضوء المشاعل .
(٢) الوجناء : الناقة الشديدة . جعل الناقة لشدة عدوها كاللوح ، وجعل المغازة كالبحار في سعتها . يقول : كأني منها إذا ركبته في هذه المغازة في ظهر موج ترميني في بحر لا ساحل له .

(٣) يقول : يخيل إلى أن البلاد تلهطن فلا أستقر فيها . كما لا يستقر في مسامي كلام العذال . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقى عصاه يلد حتى ينتقل إلى غيره ، وهذا للمعنى من قول القائل :

* كَأَنِّي قَدْ ذِي فِي عَيْنِ كُلِّ بِلَادٍ *

وقد قال البحرى ..

تَقَافُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا عَيْرُ شُرُودٍ

(٤) العلا : جمع العليا ، تأنيث الأعلى - كالكبر في جمع الكبرى - وتساووى : إذا كان ماضياً ثبت الياء في آخره ، وهو في موضع جزم ؛ وإن كان بمعنى تتساوى - بمحذوف إحدى التامين - فلا ياء ، لأنه مجزوم لوقوعه جواباً للشرط والمحاوي والمقتل جمع الحيا والمقتل : مصدرين ميمين بمعنى الحياة والقتل يقول : من يطلب ما أطلب

أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نَفُوسُكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَسَائِلُ^(١)
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ أَمْرِي رُوحَهُ لَهُ

وَلَا صَدَرْتُ عَنْ بَاخِلٍ وَهُوَ بَاخِلٌ^(٢)
غَنَاءُهُ عَيْشِي أَنْ تَفِثَ كَرَامَتِي وَلَيْسَ يَفِثُ أَنْ تَفِثَ الْمَا كِلُ^(٣)

* *

وقال لصديق له في صباه :

أُحْبِبْتُ بِرِّكَ إِذْ أُرَدْتُ رَجِيلاً

فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلاً^(٤)

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ صَبٌّ إِلَيْهَا بُكْرَةٌ وَأَصِيلٌ^(٥)

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرَفَهَا التَّأْمِيلُ^(٦)

من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل ، لأنه علم أن معالي الأمور فيها المخاوف والهلاك ، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يكثر له (١) نصب السيوف لأنها استثناء مقدم كبيت الكمي :

ومالي إلا آل أحمد شيعه ومالي إلا مذهب الحق مذهب

والوسائل جمع الوسيلة ، وهي الوساطة بين الطالب وللطوب . يقول : - للملوك عصره - : لا نطلب إلا أرواحكم ولا تتوسل إلا بسيوفنا .

(٢) قال ابن جنى : يعنى إذا وردت السيوف روح امرئ كانت أملك بها منه وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلاً غير بخيل ، لأن السيف ينال منه ما يطلب منه أو يفقد روحه بما له :

(٣) الفث : الرديء من كل شيء ؛ وأصله من غث اللحم : إذا كان مهزولاً . يقول رداءة عيشي في رداءة كرامتي لا في رداءة مطاعمي

(٤) الرحيل : اسم بمعنى الارتحال . يقول : لما أزمعت أن ترحل مسافراً أحببت أن أبرك ، فوجدت أكثر ما عندي قليلاً بالإضافة إلى عظم قدرك .

(٥) الصب : المشتاق ؛ ورغب في الشيء : أراحه وطلبه : ورغب عنه : لم يردده : والبكرة : أول النهار : والأصيل : آخره .

(٦) قال الواحدي : قال ابن جنى . هذا البيت يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون

بِرٍّ يَخْفُ عَلَى يَدَيْكَ قُبُولُهُ ، وَيَكُونُ تَحْمِلُهُ عَلَى ثَقِيلًا^(١)

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجى :
عَزِيزُ أَسَى مِنْ دَاوُدَ الْحَدَقُ النَّجْلُ

عَيَّاءَ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ^(٢)

أهدى إليه شيئاً كان أهده إليه صديقه المدوح ، والآخر : أن يكون أراد جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلى وتزودنيه وقت فراقك هدية مني إليك ، أى أسألك أن لا تتكلفه لى ، ثم قال الواحدى : قال العروضى فيما أملاه على مما استدركه على ابن جنى : أراد - أى التنبي - أنك تحب أن تعطى فجعلت قبول هديتك إلى هدية مني إليك لحبك ذلك . وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم واشتياقه إليها . وقوله وطررها التأميلاً : فالظرف وعاء الشيء . يقول : جعلت تأميلي مشتملاً على قبول هذه الهدية كاشتغال الظرف على ما فيه .

(١) قال ابن جنى : أى لا كلفة عليك فيه ، لأنى لم أتكلف لك شيئاً من مالى ، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقى بحاله لديك ، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلاً على لتكامل صنيعك به ، وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، فتأمله ، لأنه يقول : هذه الهدية برحبته فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء ولا منة عليك فيه وإنما المنة لك ، وحمله إنما يثقل على لا عليك ، لأنك إذا أعطيتني أنقلت رقبتي بالشكر .

(٢) للعزيز : الشيء الذى يقل وجوده ، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر ، والأسى : العلاج ، يقال : أسوت الجرح أسوه أسوا وأسى إذا دوايته وأصاحته قال الأعشى :

هَذِهِ الْبِرُّ وَالْثَقِي وَأَسَا الشَّقُّ وَحَمْلُ الْمَضْلِعِ الْأَنْتَقَالِ^(١)

وعزيز : حبر مقدم ، وهو مضاف إلى أسى ، ومن دوائه : مبتدأ مؤخر . وانتجل جمع النجلاء ، الواسعة . والعياء : الداء الذى لا علاج له قد أعيا الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق ، يقول : يعز علاج من داؤه هو الحدق النجل وهو داء عيأ به مات العشاق من قبلنا ويروى عزيز أسى من داؤه - بتنوين عزيز -

(١) الشق : الصدع ، ويروى : الصدع . ، والمضلع : المنقل للأضلاع ، أى الانتقال الأحمال المضلعة .

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى فَمَنْظَرِي
نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَامَّ سَهْلٌ^(١)

وإضافة أسي إلى « من » ورفعها بالابتداء لتخصصه بالإضافة، وعزير : خبره، والتقدير أسي من داؤه الحدق النجل عزير . و يروى عزير أسي — على أن أسي تمييز كما تقول : عزير دواء ، فيكون عزير خبراً مقدماً ، ومن داؤه : مبتدأ مؤخر ، قال العكبري : وهذا إذا جعلت « من » معرفة ، أما إذا جعلت « من » نكرة كان عزير مبتدأ . وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لا غير ؛ وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر ، كقولك : ذهب خاتم في أصبعه ، فخاتم هنا أخص من ذهب ، وهو ثان ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب . و « من » توصف . على وجهين بالجملة والفرد ، فوصفها بالجملة نحو :

رُبٌّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ^(١)

وبالفرد نحو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فكفي بنا فضلاً على مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا^(٢)

فنن : نكرة في البيتين ، لأن « رب » لا يليها المعرفة . وقول حسان : على من ؛ أي على قوم أوناس ؛ ويجوز رفع « غيرنا » على أنه خبر مبتدأ محذوف . يريد من هو غيرنا ، كقراءة الأعمش « تماماً على الذي أحسن » بالرفع ، فيجعل « من » موصولة ؛ ويجوز لمن نون أسي — أي ونون عزير — أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأى الكوفيين والأعمش من إعمال اسم الفاعل ، والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد ، كقولك قائم غلامك :

(١) منظري : أي موضع النظر مني ، ويجوز أن يكون مصدرًا مضافاً إلى المفعول

(١) من أبيات لسويد ابن أبي كاهل اليشكري : وبعده :

وَيُرْوَرُ بِكَالشَّجَاوِ، حَلَقَهُ عَسِيرًا مُخْرَجُهُ مَا يُنْتَزِعُ

وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَا قَيْتَهُ وَإِذَا مُكِّنَ مِنْ لَحْيٍ رَتَعُ

وقوله رب من : أي رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ : أي أكدته . والشجا : ما يعترض في الحلق ؛ ومخرجه : إخراجه ؛ ورتع : أكل فيه كيف شاء .

(٢) فضلاً : يروى شرفاً ، وهو تمييز ؛ وحب : فاعل كفي ؛ والباء زائدة في

للمفعول ، وهو « بنا » .

وَمَا هِيَ إِلَّا نَخْطَةٌ بَعْدَ نَخْطَةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلُ الْعَقْلِ^(١)
 جَرَى حُبُّهَا تَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي
 فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلٌ^(٢)
 وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ الشَّقْمُ شَفْرَةً
 فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَفِيهَا لَهُ فِقْمٌ^(٣)
 إِذَا عَاذَلُوا فِيهَا أَجَبْتُ بَأَنَّهُ حُبِّيَّتَا قَلْبًا فَوَادَا هِيََا جُمْلٌ^(٤)

والنذر : المنذر ؛ وعدها يالئ على تضمينه معنى الرسول . يقول : من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إلى فنظري منظر من ظن أن أمر الهوى سهل .
 (١) الضمير : للقصة والشأن . يقول : ما هي إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار ، لأن الهوى والعقل لا يجتمعان .
 (٢) يقول : جرى حب هذه المحبوبة في عروقي مجرى الدم لشدة امتزاجه بي ، فشغلي عن كل ماسواها ، وروى به - أي بالحب - ؛ وقوله حبها : الضمير للمحبة وإن لم يجر لها ذكر لدلالة المقام ، وهو كثير في كلامهم . قال الواحدى : وروى بعد هذا البيت بيتان منحولان وهما :

سَبَقَنِي بِدَلٍّ ذَاتُ حُسْنٍ بَرِيْنِهَا تَكْحُلُ عَيْنِهَا وَلَيْسَ لَهَا كَحْلُ
 كَانَ لِحَاطِ الْعَيْنِ فِي فَتْكِهِ بِنَا رَقِيبٌ تَعْدَى أَوْ عَدُوٌّ لَهُ دَخْلُ
 « سبقتني أسرتي ؛ والدل : الدلال ؛ واللحاط : مؤخر العين ؛ والدخل : الريبة »
 (٣) فما فوقها : أي فما هو أعظم منها ، وبجوز أن يريد فما دونها في الصغر ، يقول : قد أثر سقم الهوى في كل شيء من بدني فظهر فيه فعله . وما أبدع قول القائل في مثل هذا المعنى :

خَطَرَاتُ ذِكْرِكَ تَسْتَفِزُّ مَدَامِعِي فَأَحْسُ مِنْهَا فِي الْفَوَادِ دَيْبًا
 لَا عُضْوًا لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبًا
 (٤) عذلوا : لاموا . وأنة : فلة من الأنين ، يكون من شدة الوجع . تقول أن يئن أنينا : إذا اشتكى وجعا ، وهيا : حرف نداء - كيا وأيا وأى والهمزة - والحبيبة : الحبيبة . قال العسكري : قوله حبيبتا : الفواد حبيبة فصغرها . للتقريب من قلبه ،

كَانَ رَقِيْبًا مِنْكَ سَدَّ مَسَامِييْ
عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَذْلُ^(١)

يَا بَنَ أُمِي وَيَا حَبِيبَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَقْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ
وَتَصْغِيرِ التَّعْظِيمِ كَقَوْلِ لَبِيدٍ :

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُؤَيْبِيَّةٌ تَصْفِرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
وَكَقَوْلِ الْحَبَابِ بْنِ مَنْذَرٍ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ «أَنَّهُ جَذِلُهَا الْحَكُّ وَعَذِيقُهَا الْمَرْجَبُ»^(٢)
وَتَصْغِيرِ التَّحْقِيرِ مِثْلَ أَنْيْسَانَ وَنَحْوِهِ . قَالَ ابْنُ جَنَى : وَالْأَلْفُ فِي « حَبِيْبَتَا » وَفِي « قَلْبَا »
وَفِي « فُؤَادَا » : بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَكُلُّهَا فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ ، لِأَنَّهُ نِدَاءٌ مُضَافٌ ،
أَرَادَ : يَا حَبِيْبِي ، يَا قَلْبِي ، يَا فُؤَادِي ، يَا جَمْلَ - وَجَمْلُ اسْمِ الْحَبِيْبَةِ - وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : يَجُوزُ
أَنْ تَكُونَ الْأَلْفُ فِيهَا لِلنَّدْبَةِ أَرَادَ يَا حَبِيْبَتَاهُ ، يَا قَلْبَاهُ ، يَا فُؤَادَاهُ ، خَذَفَ الْهَاءَ لِلدَّرَجِ
قَالَ : وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ فُورَجَةَ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ فُورَجَةَ : قَلْبَا فُؤَادَا يَدْعُوهَا لِأَنَّهُ يَتَشَكَّاهَا
شَكْوَى الْعَلِيلِ ، كَمَا قَالَ دَيْسَمُ بْنُ شَاذِلَوَيْهِ الْكُرْدِيُّ :

أَنِبْنِي أُنَيْسِي ، وَشَجْوِي وَسَادِي ، وَعَيْنِي كَحَيْلٍ بِشَوْكِ الْقَتَادِ
إِذَا قِيلَ دَيْسَمٌ مَا تَشْتَكِي أَقُولُ بِشَجْوِي فُؤَادِي فُؤَادِي
فَهَذَا أَيْضًا يَقُولُ قَلْبِي فُؤَادِي : أَيْ هُوَ الَّذِي أَتَشَكَّى ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنِّي إِذَا عَذَلْتُ
فِي حَبَا أَجِبْتُهُمْ بِأَنَّهُ ثُمَّ قُلْتُ قَلْبِي فُؤَادِي يَا جَمْلَ . يَرِيدُ أَنِّي لَا أَلْتَفِتُ إِلَى الْعَذْلِ وَلَا أَزِيدُ
عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَدَعَاءِ الْمَحْبُوبِ لِيَقِيْنِي مِمَّا أَتَا فِيهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ : قَلْبًا فُؤَادًا فِي حُلِّ
رَفَعَ عَلَى تَقْدِيرِ حَبِيْبِي قَلْبِي فُؤَادِي : أَيْ هِيَ لِي بِمَنْزِلَةِ الْقَلْبِ ، وَدَلَّى هَذَا « جَمْلُ »
اسْمٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْعَوَاضِلِ : أَيْ أَقُولُ لَهَا هِيَ قَلْبِي فَلَا أَفَارِقُهَا وَلَا أَسْمَعُ عَذْلَكَ فِيهَا :
(١) الْمَسَامِعُ : جَمْعُ مَسْمَعٍ - كَمَنْبَرٍ - الْأُذُنُ . يَقُولُ - لِمَحْبُوبَتِهِ - : كَأَنَّكَ أَقَمْتَ رَقِيْبًا

(١) عَنِ الْجَذِيلِ - هَهُنَا - الْأَصْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ تَحْتَكُ بِهِ الْإِبِلُ فَنَشْتَفِي بِهِ : أَيْ قَدْ
جَرَبْتَنِي الْأُمُورَ وَلِي رَأْيٌ وَعِلْمٌ يَشْتَفِي بِهِمَا كَمَا تَشْتَفِي هَذِهِ الْإِبِلُ الْجَرَبِي بِهَذَا الْجَذَلِ ؛
وَصَغُرَ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ ؛ وَعَذِيقُ : تَصْغِيرُ الْعَذْقِ ، وَهُوَ النَّخْلَةُ ؛ وَالتَّرْجِيْبُ : إِبْرَاقُ
النَّخْلَةِ مِنْ جَانِبٍ لِيَمْنَعَهَا مِنَ السَّقُوطِ : أَيْ أَنْ لِي عَشِيرَةٌ تَعْضُدُنِي وَتَمْنَعُنِي وَتَرْفُدُنِي ؛
وَالْتَصْغِيرُ لِلتَّعْظِيمِ .

كَأَنَّ سَهَادَ الْأَنْثَى يَفْشِقُ مُقَلَّتِي ، فَبَيِّنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَضَلُّ^(١)
أَحِبُّ الَّتِي نَبْدُرُ مِنْهَا مَشَابِهَهُ ،
وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلُ^(٢)

على مسامى يحول دون العذل فليس يدخلها ؛ وأول هذا البيت من قول العباس
ابن الأحنف :

أقامت على قلبي رقيباً وناظري فليس يؤدّي عن سواها إلى قلبي
وقول الآخر :

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي ، وَآخَرَ يَرَعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي
هذا : والرقيب الحافظ ، والرقيب : المنتظر ، رقبه رقبه رقبه ورقباناً - بالكسر فيهما -
ورقوبا ، وترقبه وارقبه : انتظره ورصده ، ورقيب القداح : الأمين على الضرب ،
وقيل هو أمين أصحاب اليسر ، وهو أيضاً اسم السهم الثالث من قداح اليسر ؛ والرقيب
الذي في المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر ، كل واحد منها رقيب لصاحبه ، كلما طلع
منها واحد سقط آخر ، مثل الثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ،
وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا ؛ قال : -

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لِأَقِيَا بَنِيَّةً أَوْ يَلْقَى الثَّرِيّاً رَقِيبُهُمَا
(١) السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل - بالكسر - يسهد سهدا وسهدا وسهدا :
لم ينام . ورجل سهد : قليل النوم ، قال أبو كبير الهذلي :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفُؤَادِ مُبْطِئاً سُهْداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجَلِ^(١)
والضمير في « بينهما » : للسهاد والمقلة . يقول : إذا تهاجرنا واصل السهاد عيني ،
أى لم أنم وجداً لفقد من أحبه ، وهذا كقوله - أى التنبي - :

إِنِّي لِأُبْفِضَ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذَا كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانٌ وَصَالِهِ
يُجْعَلُ الطَيْفُ يَهْجُرُ عِنْدَ الْوَصَالِ ، كما أن السهاد يصل عند المهرجان .

(٢) المشابه : جمع الشبه - بفتحين - على غير قياس . ويصاب : يوجد . والشكل
للمشاكل ، أى الشبيه والنظير . تخلص في هذا البيت من النسب إلى اللدج مفضلاً

(١) رجل حوش الفؤاد : حديده ، والهوجل : الرجل الأهوج ، والبطن :
لضامر البطن .

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعُ اللَّهِ؟ اللَّهُ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ^(١)

الممدوح بالكمال على العشوق في الجمال ، فذكر أن في البدر أنواعا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس ؛ ثم قال : وأشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير ، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها .

(١) شجاع الذي : أراد شجاع الذي ، بالتثنية ، لحذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من «الذي» وذلك كثير في الشعر . وعبارة العكبري : شجاع بدل من ، «ابن» وحذف منه التثنية على مذهبه ، وبمثله كثير في الشعر القديم والحديث ، ومنه ما ذكر مسلم البخاري وابن إسحاق في المغازي من قول عباس بن مرداس السلي بالجعرانة للنبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما فقال :

أَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْمُبِيدَيْنِ عَيْنَةً وَالْأَقْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهَا وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ^(١)

فترك تثنى مرداس ، وهو اسم منصرف ، ومثله :

عَمِرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافٌ^(٢)
فهذا حجة الكوفيين في ترك صرف ما ينصرف ضرورة ، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو للتحركة للضرورة في قول الشاعر - وهو بيت الكتاب - :

قَبِينَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَلَّ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ^(٣)

(١) النهب - ههنا - بمعنى المنهوب ، والعبيد - مصغر - اسم فرسه .

(٢) هو لابنه هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى عمراً ، وهو أول من رُد الثريد وهشمه فسمى هاشماً ، فقالت فيه ابنته هذا البيت ؛ وقيل هو لا بن الزبيري ، ومستنون ، أصابهم سنة وقحط ، وأجدبوا ؛ والمعجاف : من العجف ، وهو المزال وذهاب السموت .

(٣) هو للعجير السلوي ، وصف بغيراً ضل عن صاحبه ، فيئس منه ، وجاء يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً يبشر به ، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن ؛ والملاط : ماولى العضد من الجنب . ويقال

إِلَى الثَّمَرِ الْحُلُوِّ الَّذِي طَيَّبَ لَهُ فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلٌ^(١)
إِلَى سَمْعٍ تَوَ بَشَرَ اللَّهُ أُمَّةً
بَفَيْرٍ نَبِيٍّ بَشَرْنَا بِهِ الرَّسُلُ^(٢)

فلواز جذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة ، والتقدير
فيينا هو ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك ، وحجة
بعض نحاة البصريين أن الأصل في الأسماء الصرف ، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن
عن الأصل إلى غير الأصل ، وإلا التبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وقد تقدم ما هو
أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح

(١) طيء : قبيلة المدوح ، وقحطان بن هود : أبو قبائل اليمن ، وعدنان أبو قبائل
العرب . وجعل المدوح كالثمر الحلو في جوده وحسن خلقه . وقوله له : أى للثمر ،
ومن روى « لها » : فالضمير للفروع ، أو لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من
غصون هي طيء ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان .

(٢) يقول : إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبياً ،
فلو كان يبشر بغير نبي لبشرنا به على لسان الرسل ، ويروى : لو بشر الله خلقه . هذا :
وقال الجوهري : يقال بشرت الرجل أبشره بالضم بشراً وبشوراً من البشرى ، وكذلك
الإبشار والتبشير ، والاسم البشارة - بكسر الباء وضمها - يقال بشرته بمولود فأبشر
إشاراً : أى سر ، وبشرت بكذا - بالكسر - أبشر : استبشرت به ، قال عبد القيس
ابن خفاف البرجمي :

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعَلَا غَبْرًا أَكْفَهُمِ بَقَاعٍ مِمَّحِلْ

فَأَعْنِهِمْ وَأَبْشِرْ بِمَا بَشَرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَانْزِلْ

وقال بعض علماء اللغة : البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشَّرِّ
إذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ، وقد يكون هذا على حد قولهم :
تحيتك الضرب ، وعتابك السيف .

للعضدين : ابنا ملاط ، ووصفه برخاوته لأن ذلك أهد لتجافى عضديه عن كركرته
وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضنب ، وهذه كلها آفات تلحقه إذا
حك بعضده كركرته - زور البعير - ومعنى يشرى : يبيع ، وهو من الأضداد .

إِلَى الْقَابِضِ الْأَرْوَاحِ وَالضَّيْفِ الَّذِي
تُحَدِّثُ عَنْ وَقَفَاتِهِ الْخَيْلُ وَالرَّجُلُ^(١)
إِلَى رَبِّ مَالٍ كَلَّمَ شَتَّ شَمْلُهُ تَجَمَّعَ فِي تَشْنِيتِهِ لِلْعَمَلِ شَمْلُ^(٢)
هُمَا إِذَا مَا فَارَقَ الْغَمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا الْفَضْلُ^(٣)
رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ
فَشَايِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَا تَقَطَّعَ النَّسْلُ^(٤)
عَلَى سَابِغٍ مَوْجِ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ
غَنَدَاةً كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَنَبْلُ^(٥)

(١) الضيفم : الأسد . وسكن القاف - في وقفاته - للضرورة . وقوله تحدث الخيل : يعنى أصحابها ؛ أى الفرسان . والرجل : الرجلة وهم المشاة . وإلى قابض الأرواح : أى أشكو إلى قابض الأرواح . يريد لكثرة غزواته ووقائعه وقتله الأعداء . والأرواح تروى بالنصب على أنها مفعول القابض ، وبالحذف على الإضافة ، مثل الحسن الوجه .

(٢) شت : تفرق ، والشم : الاجتماع . يقول : كلما تفرق جمع ماله اجتمع يحمل معاليه ؛ وعبارة بعض الشراح : كلما جمع مالا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له شمل العالى

(٣) من خفض هام : فعلى البدل مما تقدم ، ومن رفعه : فعلى إضمار مبتدأ محذوف ، والهام : الملك الرفيع الهمة . والغمد : جفن السيف . يقول : إنه يعضى فى الامور مضاء السيف ، فإذا جرد سيفه من غمده لم تدر أيهما السيف كما قال أبو تمام :

يَمْدَوْنِ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا وَهُنَّ سِوَاهُ وَالسِّيُوفُ الْقَوَاطِعِ

(٤) ابن أم الموت : يعنى أخا الموت ، جملة أخا الموت لكثرة قتله أعداءه والبأس : الشدة . ولشأ شاع : يقول : لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانا وإذا ذاك يقتل بعضهم بعضا فينقطع النسل لكثرة القتل

(٥) السابغ : الفرس الذى كأنه من حسن جريه يسبح ، ولما سمي فرسه سابغا : استعار المنيا موجاً ، ونصب « موج المنيا » على الظرفية : أى فى موج المنيا و« بنحره » صلة سابغ ، وهذا كقول مالك بن خالد الحناعى :

وَكَمْ عَيْنٍ قِرْنٍ حَدَقَتْ لِنِزَالِهِ فَلَمْ تُقْضِ إِلَّا وَالسَّيِّئَاتُ لَهَا كُحْلٌ^(٢)

بِأَسْرَعِ الشَّدِّ مَنِ يَوْمَ لَا نِيَّةٌ لَمَّا عَرَقْتَهُمْ وَاهْتَزَّتِ اللَّمَمُ^(١)

أراد بأسرع في الشد مني ، خذف ونصب ؛ و يروي موج المنايا - بالرفع - فيكون « موج » : مبتدأ ، خبره : بنحوه : أى أن موج المنايا صار عند نحوه . وأضاف « غداة » إلى الجملة التي بعدها لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل ؛ تقول : رأيتك يوم قدم زيد . والمراد بالغداة هنا : مطلق الحين ؛ لا وقت بعينه ؛ كما يقال : أصبح وأمسي ؛ يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة ؛ والوبل : المطر الكثير . يقول : رأيت المدوح على فرس يسبح في موج بحر الحرب : أى يسرع الجرى فيه يوم كثرت سهام الأعداء في صدر فرسه كما يكثر الوبل ؛ وذلك لإقدامه وشجاعته ؛ فهو لا يبالي لذلك ويمضى قدما .

(١) القرن : الكفو في الحرب ؛ والتحديق : شدة النظر ؛ والنزال : القتال ؛ وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ؛ وقيل كانوا يركبون الإبل ويحبسون الخيل إذا غزوا ؛ فإذا وصلوا إلى العدو تداعوا : نزال فينزلون عن الإبل ويركبون الخيل ؛ ومنه قول الحماسي :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها يسلم أو ظفة القوائم هيكل
فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل^(١)

(١) نية : لغة في نية ؛ واللمم : جمع لمة ؛ شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . هذا وقد روى البيت : بأسرع الشد مني . يريد بأسرع شدا مني ؛ فزاد اللام ؛ كزيادتها في بنات الأوبرا .

(٢) إذا جعلت « نزال » بمعنى النزول إلى الأرض : كان المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه في حين أنا راكب ؟ أما إذا جعلت نزال بمعنى المنازلة - لا بمعنى النزول - كان المعنى : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ أى ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه ؟ أى في حين عدم قتالي عليه ، والشعر لربيعه ابن مقروم الضبي . والأوظفة جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها والقوائم : الأرجل ؛ والهيكل : العظيم ، وصف به الفرس . يقول : شهدت الفرسان يوم تطاردهم بالرماح ، وأنا على فرس ضخم سليم الأوظفة من العيوب .

إِذَا قِيلَ رَفَقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ^(١)
وَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسِهِ حَلَّ حِلْمِهِ
عَنِ الْأَرْضِ لَأَنهَدَتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِلْمُ^(٢)

ثم سمي القتال نزالا ، والمقاتلة منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول ، وأغضت العين : غمضت ، والسنان : طرف الرمح . يقول ، كم عين قرن حددت النظر نحوه قصداً لقتاله فلم تطرف عينه إلا وقد أدخل فيها سنانها ، فجعله لعينه بمنزلة الكحل .

(١) يقول : إذا طلب إليه الرفق بالأقران ، وقيل له ارفق رفقا ، قال موضع الحلم غير الحرب : يعني أن الرفق والحلم إنما يكونان في السلم ، أما الحرب فلا رفق فيها ، والتحمل فيها جاهل - أحق - يضع الشيء في غير موضعه .

وهذا المعنى قد طرقة كثير من الشعراء ، ومنه قول الفند الزماني :

* وبعض الحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلدَّلَّةِ إِذْعَانُ *

وقول سالم بن وابصة :

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذِلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قَدَرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ
وقال الحريري :

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ الْوِطَانِ ذِلَّةٌ وَفِي بَعْضِهَا عِزٌّ يُسَوِّدُ صَاحِبَهُ
وقال الأعور الشني :

خَذِ الْقَفْوَاً وَاغْفِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنِّي أَرَى الْحِلْمَ مَالِمَ تَخْشَى مَنَقَصَةً غُثَا
والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة والتثبت والعقل .

(٢) ناء به الجبل : أثقله ؛ ويقال ناء بالحمل : إذا نهض به مثقلا ؛ والمرأة تنوء بها عجزتها أي تثقلها ؛ وهي تنوء بعجزتها : أي تنهض بها مثقلة . والحمل - بكسر الحاء - ما حمل على ظهر أوراس ، وأما الحمل - بفتح الحاء - فهو ما يحمل في البطن من الأولاد في جميع الحيوانات ؛ أما ما تحمله الشجرة من الثمر فنهم من يفتح تشبيها بحمل البطن . ومنهم من يكسره يشبه بما يحمل على الرأس ، فكل متصل حمل - بالفتح - وكل منفصل حمل - بالكسر - يصف حله بالرزانة يقول : لولا أنه باشر بنفسه حمل حله عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت لثقله ، ولما كان الحلم بوصف بالرزانة والثقل والحليم يشبه بالطود - الجبل - ساغ في وصف حلم المدوح هذا الكلام ، والمعنى أنه لو كان الحلم جسما لكان من الثقل بهذه الصفة .

تَبَاعَدَتِ الْأَمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِكَ الشُّبُلُ^(١)
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ الشَّرَى فَأَسْمَعَهُمْ هُبُوا فَقَدْ هَلَكَمُ الْبُخْلُ^(٢)
وَحَالَتْ عَطَايَا كَفَعَهُ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ^(٣)

(١) يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، يعنى أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك ، وهو قوله «وضاق بها إلّا إلى بابك» أى لا سبيل لها إلّا إلى بابك ويروى إلى بابك على الغائب .

(٢) الندى : الجود ، والسرى : السير ليلاً ، و«هبا» وما بعدها إلى آخر البيت - حكاية - . يقول : إن شيوخ نداء يستحث القاعدين عنه على طلبه ، فكانه يناديهم ويقول لهم : استيقظوا من نومكم ، واسرّوا إليه ؛ فقد هلك بجوده البخل . هذا : ويقال هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وهو فعل موضوع لقوة الشيء ونشاطه ، فقد قالوا : إن الهباب النشاط ما كان ، قال لبيد :

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا^(١)
ومنه هب النائم لأنه يزايل السكون ، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون وهب التيس هاج ، وأراد السفاد ، وهب السيف : إذا اهتز للقطع .

(٣) حالت اعترضت . يقول : إن عطاياه لم تدع مجالاً للوعد لأنه يعطيها معجلة ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مطل ، لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مطل ، كما قال أشجع السلى :

يسبق الوعد بالنوال كما يسبق برق الفيث صوب الغمام

هذا : ويقال نجزت الحاجة إذا قضيت ؛ وإنجازكها : قضاؤها ؛ ونجز حاجته ينجزها - بالضم - نجزاً : قضاها ونجز الوعد ؛ ويقال أنجز حرماً وعد . ومن أمثالهم إذا أردت المجازة قبل المناجزة . يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال^(٢) وكل ذلك من نجز الشيء : فنى وذهب فهو ناجز .

(١) الهباب : النشاط ؛ وصهباء : يريد كأنها سحابة صهباء : أى حمراء . وخف أسرع ؛ والجهايم ، السحاب الذى لا ماء فيه : أى لهذه النافقة فى مثل هذه الحال نشاط فى السير ، فكانت فى سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التى هراقت ماءها فانقردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها

(٢) تناجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا فى ذلك

فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ ^(١)
وَمَا تَنْقِمُ الْأَيَّامُ يَمَنَ وَجُوهَهَا لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ ^(٢)
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادُّ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ ^(٣)
كَسْفِي مُعَلَّأً فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمْ وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ ^(٤)

قال النابغة الذبياني :

وَكُنْتُ رِبِيحًا لِلْيَتَامَى وَعِصْمَةً فَمَلَكَ أَبِي قَابُوسٍ أَضْحَى وَقَدْ نَجَزَ ^(١)

(١) يقول : إن عطاياه لا يقدر أحد على تحديدها : أى أن يجعل لها حداً تنتهى إليه ، كما لا يقدر أحد على رد ما فات ، بل رد الفائت أقرب من تحديدها ، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لا يحصيان .

(٢) ما تنقم : ما تعيب ، والاستفهام : معناه الإنكار ، ويجوز أن يكون نفيًا وإخبارًا . والضمير في وجوهها : للأيام ؛ وفي أخمصه : للمدوح ؛ والأخص : باطن : القدم ، وجوهها : مبتدأ ؛ ونعل : خبر ؛ ولأخصه : متعلق بنعل . يقول : إنه غلب الأيام بعزه ، وذلت له الأيام ذل من يطؤه بأخصه حتى يصير تحت رجله كأنه في الدل فالأيام لا تقدر أن تخالفه . أو تعيب فعله .

(٣) عزه : غلبه وأعجزه . وقوله « وإن عز » أى قل وجوده . يقول : أنه لا يعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المراد وجدان نظيره . فإنه يعجز عنه لعدم نظيره ، وهذا كما يقول البحرى :

كُلُّ الَّذِي تَبَغَّى الرِّجَالُ تَصِيْبُهُ حَتَّى تَبَغَّى أَنْ يُرَى شَرَوَاهُ
« شرواه : أى مثله » ويقول أيضاً :

وَلَيْتَنِي طَلَبْتُ شَبِيهَةَ إِنِّى إِذَا لِمَسْكَفٍ طَلَبَ الْحَالِ رِكَابِي

(٤) نعل : بطن من طيء ، وهم رهط المدوح ، وهو مفعول كفى ، وغرا تمييز ، وأنتك منهم : فاعل كفى ؛ والباء زائدة ، مثلها في قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » . يقول كفاهم غرا أنتك منهم : وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام ، كأنه قال

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن النذر . يقول : كنت لليتامى في إحسانك إليهم بجزلة الربيع الذى به عيش الناس ، والعصمة ما يعتصم به الإنسان من الهلاك ونجى : فنى ويذهب ، أى انقضى وقت الضحى لأنه مات في ذلك الوقت

وَوَيْلٌ لِّلنَّفْسِ حَاقَتْ مِّنْكَ غُرَّةٌ ۚ وَطُوبَىٰ لِّمَنِ سَاعَةٌ مِّنْكَ لَا تَخْلُوْ^(١)
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرَقَكَ فَاقَةٌ ۚ وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا تَحْمِلُ^(٢)

وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله ، فأهل : صفة لدهر ؛ يعنى وليفخر دهر
قد استحق أن تكون من أهله ، ولك أن تحمل دهر مبتداً محذوف الخبر : أى وكذلك
دهر . ويجوز رفع دهر عطفاً على فاعل كفى ، وهو المصدر المقدر ، لأن « أن » مع
خبرها بمعنى الكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذى هو كائن تقدره كفى ثملا
غراً كونك منهم ودهر مستحق لأن أمسيت من أهله : أى وكفاهم غراً دهر أنت فيه
أى أنهم غفروا بكونك منهم وغفروا بزمانك لنضارة أيامه ، كما يقول أبو تمام :

* كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جَمْعٌ *

وروى ابن فورجه ودهراً عطف طى ثملا ، قال : وأهل رفع لأنه خبر مبتداً
محذوف : أى هو أهل لأن أمسيت من أهله . وبعد فالمنى : كفى ثملا غراً على سائر
العرب كونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه غراً على سائر الأزمنة كونك من أهله .

(١) جاولت : طلبت ذلك بالحيلة ، وغرة : أى غفلة . يقول : ويل لنفس طلبت
منك غفلة وطوبى لعين لا تخلو من إصارك . وطوبى : فعلى من الطيب فقولهم طوبى
لفلان أى العيش الطيب له ، وقيل طوبى له : حسنى له ، وقيل خير له ، وقيل طوبى :
اسم الجنة بالهندية ، وقيل بالحبشية . وويل قال الجوهري : « ويل » كلمة عذاب ، وويح :
كلمة رحمة ، وقيل هما بمعنى واحد ، وهما مرفوعان بالابتداء : يقال ويل لزيد وويح لزيد ، ولك
أن تقول ويل لزيد وويح لزيد ، فتنصبهما بإضمار فعل ؛ وكأنك قلت ألزمه الله ويحاً وويلاً
ونحو ذلك . ولك أن تقول ويحك وويح زيد . وويلك وويل زيد . بالإضافة -
فتنصبهما أيضاً بإضمار فعل ، وعبرة الزجاج : الويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب
أو هلكة . قل : وأصل الويل في اللغة العذاب والهلاك ؛ والويل : الهلاك يدعى به
لمن وقع في هلكة يستحقها . ومنه : « ويل للمطففين » فإن وقع في هلكة لم يستحقها .
قلت : ويح لزيد يكون فيه معنى الترحم . ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية »

(٢) شام ابرق : نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إبطاره ، والفاقة : الحاجة .
والصيب : المطر الشديد . والحل : الجذب . يقول : لافاقة بفقير يرجى عطاءك لأنك
تحقق مرجوه ، ولا جذب حيث كنت لأن جودك خصب حيث كان ، وشام برقك :
مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب .

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي :
صِلَّةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ

نُكْسَانِي فِي الشَّقْمِ نُكْسَ الْهَلَالِ (١)
فَقَدَا الْجَنْسُ نَاقِصًا ، وَالَّذِي يَنْقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِي (٢)
قِفْ عَلَى الدَّمْنَتَيْنِ بِالْذُوِّ مِنْ رِيَا كَغَالِرٍ فِي وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِرٍ (٣)
بَطُولٍ كَأَهْنٍ نُبُّ فِي عِرَاصٍ كَأَهْنٍ لِيَالِي (٤)
وَنُؤَى كَأَهْنٍ عَلَيْهِنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقٍ خِدَالٍ (٥)

(١) نكس الرئض نكسا ونكسا ونكاسا : عاودته العلة بعد النقص والبراء : قال
أمية بن أبي عائذ الهذلي :

خَيْالٌ لَزِينٌ قَدْ هَاجَ لِي نُكْسًا مِنْ الْحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

يقول : إن مواصلة هجر الحبيب لي وهجر وصاله إياي قد أعاداني إلى السقم بعد الصحة
كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه .

(٢) البلبال : الهم والحزن . يقول : إن جسمه ينقص بالهزال وبمقدار نقصان
الجسم تكون زيادة الحزن : أي كلما نقص من جسمه شيء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص
(٣) الدمنة : ما اسود من آثار الديار ، والدو الصحراء . وقوله من ريا : أي من
دمن ريا ، فـ «من» يائية ، كقول زهير :

• أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ •

يريد من دمن أم أوفى . وريا : اسم المحبوبة . والحال : شامة ، أي بثرة سوداء
ينبت حولها الشعر غالبا ، وتكون في الخد . شبه دمنتها في الصحراء بمخالين في خد
يقول : قف بدمنتي هذه المحبوبة لتنظرها وتذكر من كان فيهما من أهلها ، فقد
بقينا كأنهما خالان في خد .

(٤) الطلول : ما بقي من آثار الديار وبطلول : متعلق بقف . والعراص : جمع
عرصة ، ساحة الدار . يقول . قف بطلول لأثبات في العراص كما تلوح النجوم في الليالي .
يعني أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح في عراص خالية كما تلوح
النجوم في الليالي المظلمة .

(٥) النؤى : جمع نؤى ، وهو ما يحفر حول الحباء يقيه ماء المطر أن يدخله

لَا تَلْنِي فَإِنِّي أُعْشِقُ الْمُسَاقِ فِيهَا يَا أَغْذَلِ الْمُدَّالِ (١)
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَةِ الذَّوَا قِ حَرَّ الْفَلَا ، وَبَرَدَ الظَّلَالِ (٢)
فَهُوَ أَمْضَى فِي الرُّوْعِ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ
تِ ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةِ مِنْ خَيْالِ (٣)
وَلَحْنَفٍ فِي الْعِزِّ يَذْنُو مُحِبًّا ، وَلِعُمُرٍ يَطُولُ فِي الذَّلِّ قَالِي (٤)

كالخندق . والخدام : جمع خدمة - بفتحين - الخللخال . وخرس : يريد لاصوت لها ؛
والسوق : جمع ساق ، والخدام : الغلاظ السمان . شبه النوى حول آثار الاخبية في
استدارتها بالخلاخيل حول الأسواق الغليظة ، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخلخال
فلم يسمع له صوت ، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس . وهذا إخبار بأن النوى لم
تدفن في التراب ، وأن ما أحدثت به ملاءها كما تملأ الساق الغليظة الخلخال ، وهذا
من قول أبي تمام :

أَنَافٍ كَالْخُدُودِ لُطْمَنَ حُزْنًا ، وَنَوَى مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارِ
فَنَقَلَ اللَّفْظَ مِنَ السَّوَارِ إِلَى الْخُدَامِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

نَوَى كَمَا نَقَصَ الْهَلَالُ بِحَاقِهِ أَوْ مِثْلُ مَا قَصَمَ السَّوَارَ الْمَعْصَمُ

(١) فيها ، في المحبوبة ، أى في هواها : متعلق بـلنى : أى لا تلىنى في هواها فَإِنِّي
أُعْشِقُ الْعِشَاقَ وَإِنْ كُنْتُ أَنْتَ أَغْذَلُ الْمُدَّالِ .

(٢) النوى : البعد والفراق وعنى بالحية نفسه ، والحية تطلق على الذكر والأنثى . يريد :
أنه قد تفرس ببحر الفلوات في النهار ويبرد الليل ، والليل ظل كله ، يعنى أنه تعود السير في
الحَرِّ والبرَد فلا تؤثر فيه الأسفار ، قال الواحدي : وهذا شكاية من الفراق وأنه
مبتلى به .

(٣) أَمْضَى : أُنْفَذَ . والرُّوْعُ : الفزع والهُولُ وأسرى من السرى ، وهو السير لئلا ،
شبه نفسه بملك الموت لأنه ينحوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف ،
والخيال يوسف بالأسرى ولا يكثر بعد المسافات .

(٤) الْحَنْفُ : الهلاك ؛ واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب ، ويدنو : صفة
الحبيب ، ومحب : عطف على أَمْضَى - في البيت السابق - والقالي : البغض يقول إنه
محبٌّ للحنف القريب إذا كان في العز ، ومبغض للعمر في الذل وإن طال ذلك العز ،
يعنى أن الموت في العز أحب إليه من الحياة في الذل .

نَحْنُ رَكْبٌ مُلَجِّنٌ فَرَى نَاسٌ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصِ الْجَمَالِ (١)
 مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِي بِنَا فِي السَّبِيلِ مَشَى الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ (٢)
 كُلُّهُ هُوَ جَاءَ لِلدِّيَّامِ فِيهَا أَثَرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذِّبَالِ (٣)
 عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضَّرَّ غَامَةٌ ابْنُ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ (٤)
 مَنْ يَزُرُهُ يَزُرْ سُلَيْمَانَ فِي الْمُلْكِ جَلَالًا وَيُوسُفًا فِي الْجَمَالِ
 وَرَبِيعًا يُضَاحِكُ الْفَتِيلَ فِيهِ
 زَهَرَ الشُّكْرُ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي (٥)

(١) الركب : جمع الركاب : وقوله ملجن : أراد من الجن ، غذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن ، وهذا كقولهم بلعبر في « بنى العنبر » وبلقين في بنى القين والزى : الهبة . يقول : إنهم كالجن في إلفه الجاهل والغلات وركابهم كالطير في سرعة قطع المسافات . وهذا من قول أبي تمام :

فِي ثُبَّةٍ إِنْ سَرَوْا فَجَنُّهُ أَوْ يَمْمُوا شُقَّةَ فَطِيرٍ

« الثبة : الجماعة ؛ والشقة : السفر البعيد »

(٢) الجدِيل : فحل كرم كانت العرب تنسب إليه الإبل . والبيد . الصحراوات . يقول : إن هذه الجمال التي هي كالطير في السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للأجال حتى تفنيها . وهذا من قول صريع الغواني :

مُوفٍ عَلَى مَهْجِجِ الْيَوْمِ ذُو رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْمَى إِلَى أَمَلٍ

(٣) الهوجاء : الناقة التي لا تستوى في سيرها لنشاطها وخفتها كالريح الهوجاء والدياميم :

جمع ديمومة ، وهي المفازة لا ماء بها ؛ والسليط : الزيت ؛ والذبال جمع ذبالة وهي الفتيلة . يقول : كل ناقة قد أثرت فيها الغلات تأثير النار في دهن الفتيلة ، وللعن قد أفتناها السير كما تفتى النار دهن الفتيلة ، وعبارة بعض الشراح . إن المفاوز قد ألهبتها بالظما والحر فأثرت فيها أثر النار في دهن الفتيلة .

(٤) عامدات : قاصدات ؛ والضرغامة : الأسد : شبه المدوح بالبدر في الحسن والشرف والعلو ، وبالبحر في الجرد والكرم . وبالأسد في البأس والشجاعة ، ثم قال نه ! مفضل أي كثير الفضل .

(٥) وريعا : عطف على مفعول يز - في البيت السابق - جعل المدوح ربيعا -

نَفَحْتَنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَيْسِيمٍ رَدَّ رُوحًا فِي مَيِّتِ الْأَمَالِ (١)
 هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْعُ الْمَوَالِي وَبَوَارُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَمْوَالِ (٢)
 أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ وَالطَّمَعُ
 نُ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرُّبَالِ (٣)

وهو الزمن المعروف ويطلق على الحصب ، وجعل عطاءه غيثا - مطرا - لذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحك الغيث ، لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجيء الغيث كالشكر يكون بعد العطاء ، ثم استعار لمعاليه رياضا لتجانس الألفاظ ، وكأن هذا الزهر قد طلع من رياض معاليه لأنه لولا كرمه وحبه للعبود ما أثنى عليه الشاكرون يقول : إن جوده يطر على السائلين فتبتسم له تغور اثناء ابتسام الزهر بعد المطر .

(١) نفحت الريح : هبت أو نسمت ، ونفح الريح : هبوبها في البرد ؛ واللفح : هبوبها في الحر . ونفح المسك ينفع : فاحت ريحه ؛ والصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وقوله منه : أى من الربيع المذكور . لما شبه المدحوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذى يهب فى الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحييت مامات من آمالنا .

(٢) الموالى : جمع مولى . وهو الحليف والصدق ، والبوار : الهلاك

(٣) عنده أى فى رأيه واعتقاده ، والرئبال : الأسد . يقول : هو يرى أن أكبر العيوب : البخل ، ومن ثم يتجنبه ويتحاماها ، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه لأن الأسد دونه بأسا وإقداما ، وقال العكبرى - تفسيرا لصدر البيت - أكبر عيب يعيب به أحدا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلا ، فإذا عاب إنسانا قال هو بخيل . هذا : والرئبال مهنوز - وقد سمع مخففا ؛ والجمع : الرأيل والريابل - على الهمز وتركه - قال بعضهم : يجوز فيه ترك الهمز ، وأنشد لجرير :

رَيَابِيلُ الْبِلَادِ يَخْفَنُ مِنِّي وَحَيَّةُ أُرَيْحَاءَ لِي اسْتِجَابَا (١)

ومثله لأبى حية النخري .

ويلقى كما وكنا يدا فى قتالنا رَيَابِيلَ مَا فِينَا كَهَامٌ وَلَا نِكْسُ
 ويقال فلان يترأبل : أى يغير على الناس ويفعل فعل الأسد .

(١) أُرَيْحَاءُ : بيت المقدس .

وَالْجَرَاحَاتُ عِنْدَهُ نِعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ^(١)
ذَا السَّرَاجُ الْمُنِيرُ هَذَا النِّقْيُ السَّجِيْبُ هَذَا بَقِيَّةُ الْأَبْدَالِ^(٢)

(١) النعمات : جمع نفمة ، وهي هنا الصوت ؛ والسبب : العطاء : يقول : عادته أن يعطى بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نفمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح أسفا على أن عطاءه تأخر حتى أتى بطلبه ؛ يعنى أنه يشق عليه نفمة السائل قبل الإعطاء ؛ ويحكى أن الحسن بن طى عليهما السلام أتاه مال من معاوية ، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار ، فأراد أن يقوم بها من مجلسه ، فالتفت وإذا أعرابى قد جاء على ناقة له ، فقال الحسن لفلانة : ادفع إليه هذه الدنانير وقل له إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها فأخذها الأعرابى وقال له : يا ابن بنت رسول الله ! والله ما أتيتك إلا قاصدا ، فإذا أعلمك بحالى ؟ فقال له : إنا أناس نعطى قبل السؤال شحاً على مارجاه السائل لنا ، ثم أنشد :

نحن أناس جنابنا خضيل يسرع فيه الرجاء والأمل

نبدل قبل السؤال نائلنا شحاً على مارجاه من يسأل

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة يرثى معن بن زائدة :

نوى من كان يحمل كل ثقل ويسبق فيض راحته السؤالا

وقال الخطيب التبريزى : المعنى : يلتذ بنعمات السائل كما يلتذ الجراح^(١) وقد روى اليازجى هذا البيت هكذا :

والجراحات عنده نِعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ

وشرحه هكذا : يجوز فى « نعمات » كسر الميم على الاتباع ، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم ، فتكون جمع الجمع ؛ وسؤال : متعلقة بسبقت . يريد : أن عادته سبق عطاءه للسؤال ، فإذا سبق السؤال عطاءه ؛ كان ذلك مؤلماً له كالجراحة عند المجروح

(٢) جعله سراجاً منيراً لأنه برأيه يهتدى فى مشكلات الخطوب ودجنات الأمور . أو علمه يهتدى إلى ما أشكل من السائل ، والجيب : ما انفتح من القميص على النحر ، والنقى الجيب : عبارة عن الظاهر من العيب ؛ أى أن ثوبه لا يشتمل على دنس

(١) لعل الإمام التبريزى يريد كما يلتذ بالجراحات التى تصيبه فى الوغى : أى أنه كريم شجاع .

- فَخُذَا مَاءَ رَجُلِهِ وَأَنْضَعَا فِي الْمُدْنِ تَأْمِنَ بَوَائِقَ الزَّلْزَالِ^(١)
وَأَمْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا ثِكْمَا تُشْفِيَا مِنَ الْإِغْلَالِ^(٢)
مَالَنَا مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقِ وَالْفَرْقِ
بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرُّجَالِ^(٣)
قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشَّمَالِ^(٤)
نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْرُ ، وَأَخْلَاطُهُ الطَّبِيُّ وَالْعَوَالِي^(٥)
وَلَهُ فِي جَمَاهِمِ الْمَالِ ضَرْبٌ وَقَعَهُ فِي جَمَاهِمِ الْأَبْطَالِ^(٦)

والأبدال : العباد الزهاد ، سوا بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق ، وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

(١) النضج : الرش . والبوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية . والزئال - بفتح الزاى - الاسم ، وبكسر ها : المصدر . يقول - مخاطباً صاحبه - : رشا الماء الذى يسيل من رجليه إذا توطأ على المدائن تصر آمنة من الزلزال بركة صلاحه .

(٢) البقير : قميص يشق بلا كمين ، وهو بيان للثوب . والإغلال : مصدر أعله الله إذا أصابه بعله ، وهى المرض . يقول : واستشفيا بثوبه تبركاً به حتى تشفيا مما بكما من الإغلال

(٣) مائلاً : حال مضمرة العامل ، أى هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه .

(٤) يقول : إنه زاهد فى الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها .

(٥) الطي : جمع ظبة . حد السيف . والعوالى : الرماح . يقول : نفسه لشجاعته وقوته تقوم مقام الجيش ، وتديره بإصابته فى الرأى يكفل له النصر ، وهيئته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح .

(٦) قال الواحدى : يعنى أنه يفرق ماله بالعطاء فإذا فى المال أنى أعداءه فضرِب جماعهم وأغار على أموالهم ، كما يقال هو مفيد ومتلاف ، فوقع ضربه فى رءوس أمواله يكون فى الحقيقة فى رءوس الأبطال ، لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم ، وهذا كقوله :

فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجِبُرُ الْهَيْجَاءُ

فَهَوُوا لِاتِّقَائِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْمٍ مَرَّ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالٍ^(١)
 رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَزْدِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالٍ^(٢)
 قَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتْ الْمَاءَ ، فَصَارَتْ عَذُوبَةً فِي الزُّلَالِ^(٣)
 وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتْ النَّاسَ مِنْ فَصَارَتِ رَكَائِنَةٍ فِي الْجِبَالِ^(٤)
 لَسْتُ بِمَنْ يَغْرُهُ حُبُّكَ السَّلَامَ وَأَنْ لَا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ^(٥)
 ذَاكَ شَيْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيكَ ذَلِيلًا بَوَقْلَهُ الْأَشْكَالِ^(٦)
 وَاغْتِفَارًا لَوْ غَيَّرَ الشَّخْطُ مِنْهُ جُمِلَتِ هَامُمُهُمْ نِعَالَ النُّعَالِ^(٧)

(١) يقول : هم أبداً يخافونه حتى كأنهم في يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب ، وقال ابن جني : أي فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضاهيه فيهم ، وإن لم يباشروهم بحرب ولا لقاء .

(٢) العنبر الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذي يعمل منه الفخار . يقول : إنه لنقاؤه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال ، وشتان ما بينهما .

(٣) للماء الزلال : البارد السائغ . يقول : إن الماء إنما استفاد العذوبة منه لأن ما بقي طينته التي خلق منها اجتمع مع الماء فصارت عذبا .

(٤) عاف الشيء : كرهه ، والركاكة : الرسوخ والسكون . يقول : وإن ما بقي مما أعطى من الحلم والرزانة كرهه وأنف أن يحل في الناس محل في الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركائنها .

(٥) يغره : يخدعه . والسلم : ضد الحرب ، وترى من الرأي ؛ والشهود : مصدر بمعنى الحضور . وتمة المعنى في البيت التالي .

(٦) الإشارة بقوله ذاك : إلى القتال وكفاكه : أغناك عنه ؛ والشاني : هو الشاني - بالهمز - أي البغض ؛ وذليلا : حال ، وللأشكال : الأشباه والأمثال . يقول : لا يغرنني ما أراه من محبتك السلم وأنت لا ترى حضور القتال ، فأقول إن ذلك من الجبن وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل وأن ليس هناك أ كفاء لك يستحقون أن تنازلهم في حرب :

(٧) واغتنار : عطف على فاعل كفاكه ، و«من» في منه زائدة : أي لو غيره السخه والهام : الرءوس ، والكناية في هامهم تعود إلى الأعداء ، دل عليه قوله عيش شانيك

لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَغْرَا ۚ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فِي جِلَالٍ (١)
وَأَسْتَمَارَ الْحَدِيدُ نَوْنًا وَالْقَى نَوْنُهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ (٢)
أَنْتَ طَوْرًا أَمْرٌ مِنْ نَاقِصِ الشَّمِّ وَطَوْرًا أَهْلَى مِنَ السَّلْسَالِ (٣)

يقول : وكفائك القتال عموك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاغتفار والعفو لدست
ردوسهم بهوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالا لنعالها . وقال ابن جني : لو احفظوك
وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم ، ولقد أحسن في كنياته عن الحليظة بقوله :
لو غير السخط منه ، ومثله :

ولو ضَرَّ خَلْقًا قَبْلَهُ مَا يَسْرُهُ لَأَثَرَ فِيهِ بِأُسِهِ وَالتَّكْرُهُ
كفى عن الضرر باثر فيه .

(١) لجياد : متعلق بمحذوف حال من نعال - في البيت السابق - ففيه تضمين ، وقد
عابه عليه قوم . والأعراء : جمع عرى ، وهو الذي لا سرج عليه . يقال فرس عرى
وأفراس أعراء ، والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة . يقول : إنها تدخل الحرب
أعراء من الجلال ثم تخرج منها وعليها جلال من الدم الذي جف عليها ، كما قال جرير :
وَتُنْكَرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَلْوَانُ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا
(٢) استمار . معطوف على جواب « لو » ، والمراد بالحديد : السيوف . والدوائب
جمع ذؤابة ، الحصلة من الشعر . يقول : إن سيوفه تستعير وتغير فإن لون الدوائب - وهو السواد
ينقل إليها ، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت ، ولونها - وهو البياض - ينتقل
إلى الدوائب فإنها بالروح تشيب الأطفال .

(٣) الطور : التارة ، ونصب على الظرفية ؛ والناقص من السم : الثابت في بدن شاربته
لا يزيله حتى يقتله ؛ والسلسلة : الساء العذب الذي يتسلسل في الحلق يقول : أنت سم
لأعدائك حلولا وليائك ، وهذا المعنى طرقة كثير من الشعراء ، قال أبو دؤاد :

فَهُمْ لِلْمَلَأَيْنِينَ أَنَاةٌ وَعُرَامٌ إِذَا يَرَامُ الْعُرَامُ

وقال أبو نواس :

حَذَّرَ امْرَأَتِي نَصْرَتِ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا
ونقله أبو الشيص إلى السيف قال :

وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانِ

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ سُبُنَاسٍ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي^(١)

وقال وقد دخل على أبي على الأوراجي يوماً فقال له: وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا ، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك ، فطردنا به خليياً ، ولم يكن لنا صقر . فاستحسننا صيده ، فقال : أنا قليل الرغبة في مثل هذا ، فقال أبو على : إنما اشتيت أن تراه فنستحسنه ، فتقول فيه شيئاً من الشعر ، قال : أنا أفعل ، أفتحب أن يكون الآن ، قال : أيمكن مثل هذا ؟ قال : نعم . وقد حكمتك في الوزن والقافية ؛ قال : لا ، بل الأمر فيهما إليك ، فأخذ أبو الطيب درجاً ، وأخذ أبو على درجاً آخر يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال :

وَمَنْزِلَ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلٍ وَلَا لِفَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهَاطِلِ^(٢)
نَدَى الْخَزَامَى ذَفِيرِ الْقَرْنَفِلِ مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشٍ لَمْ يَحْلَلِ^(٣)

- (١) يقول : أنت الناس فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس .
(٢) ومنزل : أي ورب منزل . والغاديات : السحاب المنتشرة مباهاً ؛ والهاطل : جمع هاطلة ، وهي السكينة الماء . يقول : رب منزل نزلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة لأننا نرحل عنه وليس بمنزل شيء غير السحاب الباكرة الماطرة ، يعني روضاً نزلوه . وقد أسلفنا القول على واو «رب» في هذا الشرح
(٣) الندى : الرطب ؛ والخزامي والقرنفل : نباتان طيبان . والأذفر : الذكي الرائحة . والمحلل : الذي يحل كثيراً . وقوله ملوحش : أي من الوحش ، لحذف النون لسكونها وسكون اللام . يقول : يحله الوحش دون الناس فهو محلل من الوحش غير محلل من الإنسان . قال الجوهري : مكان محلل : إذا أكثر الناس به الحلول ، قال امرؤ القيس :

كَبِيرِ الْمَقَانَةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَلَلِ^(١)

- (١) أراد بقوله «بكر المقانة» درة غير مثقوبة أو لم ير مثلها ، ثم قال غذا هذه الدرة

عَنْ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُفْزَلٍ مُحَيِّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْتِ^(١)
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْحَلِيِّ وَعَادَةُ الْعُرَى عَنِ التَّفْضُلِ^(٢)
كَأَنَّهُ مُضْمَةٌ بِصَنْدَلٍ مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الْأَيْلِ^(٣)

(١) عن : ظهر؛ والمراعى . الذى يعرى مع غيره . يقال : راعت الظبية أختها : أى راعت معها ، والمفزل : الظبية لها ولد والحين : من الحين ، وهو الهلاك ، يقال حينه الله : أى أهلكه والموتل : اللجأ . يقول : ظهر لنا فى هذا الموضع ظبي يعرى مع ظبية مفزل قد حان أجله ، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حينما ذهب :

(٢) الجيد : العنق ، والحلى بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء ، مخفف للقافية . جمع حلى بفتح فسكون مائتزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر والتفضل أن تلبس المرأة ثوبا يبتذل فى المنزل ، ومنه قول امرئ القيس :

وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمَسْكِ فَوْقَ فَرَّاشِهَا نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفْضُلِ^(١)

وفى حديث امرأة أبى حذيفة ، قالت يارسول الله : إن سالم مولى أبى حذيفة يرانى فضلا - أى متبذلة فى ثياب مهنتى - وليس لنا إلا بيت واحد ، فما تأمرنى فى شأنه ؟ فقال أرضعيه خمس رضعات . يقول : أغنى هذا الظبي حسن جيده عن أن يلبس حليا يزين بها وقد تعود العرى فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس

(٣) ضمخه بالطيب طلاه به والصندل طيب يشبه لونه لون الطباء ، ومعترضا : حال مضمرة العامل ، أى أصفه بما ذكر فى حال كونه معترضا ، والأيل : الذكر من الأوعال ، وفيه ثلاث لغات أيل وإيل وأيل ، والجمع أيايل ، وربما قالوا فى إيل «إجل» يدلون الياء جيا ، قال أبو النجم :

ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيسكدره ذلك ، والملة اناة الخلط ، وكل شيء خالط شيئا فقد قاناه ، وبرى البيت بنصب البياض وخفضه ، على حد قولهم : زيد الحسن الوجه . فى البيت آراء كثيرة فى معناه (انظر الزوزنى . واللسان مادة قى)
(١) لم تنتطق عن تفضل : أى لم تنتطق بعد تفضل : أى لم تشد وسطها بنطاق بعده لبسها ثوب المهنة ، يريد أنها مخدومة منعمة ، تخدم ولا تخدم .

يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّأَمُّلِ فَحَلَّ كَلَابِي وَثَاقَ الْأَحْبِلِ ^(١)
عَنْ أَشْدَقِ مُسَوِّجٍ مُسَلْسَلٍ أَقْبَ سَاطِ شَرِسٍ شَمْرَدَلٍ ^(٢)
مِنْهَا إِذَا يُشْغَلُ لَا يَفْزَلُ مُوجِدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ ^(٣)

كَأَن فِي أَذْنَاهِمَا الشُّوَلُ مِنْ عَبَسَ الصَّيْفُ قُرُونِ الْأَجَلِ ^(١)
قال أبو عمرو بن العلاء : بعض الأعراب يجعل الباء المشددة جيمًا . ويروى قرون
الإيل ، شبه التثني لونه بلون الصندل يقول . اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل .
(١) الكلاب الذى يسوس الكلاب . والوثاق ما يشد به . والأحبل : جمع حبل .
يقول : إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله ، فيحل الكلاب
ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه .

(٢) عن أشدق : متعلق بـ « حل » ، أى حل الأحبل عن كلب أشدق ، والأشدق :
الواسع الشدق . والمسوِّج الذى فى رقبته ساجور ، وهو قلادة الكلب التى فيها مسامير
والسلسل : الذى فى عنقه سلسلة . والأقْب : الضامر ؛ والساطى : الذى يسطو على الصيد
أى يصول ، عليه ، وقال ابن جنى : هو البعيد الأخذ فى الأرض ، والشريس : السبيء
الحلق . والشمردل : القوى السريع الفقى الحسن الخلق ؛ يقول : إنه حل الأحبل عن
كلب بهذه الأوصاف .

(٣) الضمير فى « منها » للكلاب المفهومة من قوله كلابي : أى صاحب كلابي ؛ وقوله
إذا يشغ من الثغاء ؛ وهو صوت الشاة ونحوها ؛ ولا يفزل : أى لا يفتر عن الطلب .
وذلك أن الكلب إذا دنا من الطيى وكاد يأخذه : ثغا فى وجهه ففزل الكلب - أى
تخير - ووقف مكانه من صوت الفزال ، وجزم الفعلين - يشغ ويفزل - بإذاعلى تضمينها
معنى الشرط ، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يقول : إن هذا الكلب ، لا يفرق من
صوت الفزال ولا يفتر عنه إذا ثغا ، ثم قال : موجد الفقرة رخو المفصل ، فالموجد :
الموثق القوى ؛ والفقرة : - بكسر الفاء وفتحها - ومثلها الفقارة - بالفتح : واحدة
فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن البكاهل إلى العجب ، والجمع
قمر وقفار ، وقيل فى الجمع : فقرات وققرات وققرات . يعنى أنه قوى الظهر لين المفاصل
وذلك أسرع لأخذه .

(١) العبسى : - ما يئس على هلب الذئب من البول والبعر

لَهُ إِذَا أُذْبِرَ لَحْظُ الْمُقْبِلِ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنَجَلٍ ^(١)
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدُوَّ السَّهْلِ إِذَا تَلَا جَاءَ اللَّدى وَقَدْ تَلَى ^(٢)
يُقْبِي جُلُوسَ الْبَدْوَى الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ ^(٣)
فُقِلَ الْأَيْدَى رِبْذَاتِ الْأَرْجُلِ آثَارُهَا أَمْنَالُهَا فِي الْجُنْدَلِ ^(٤)
يَكَادُ فِي الْوُثْبِ مِنَ التَّفْتَلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكُلْكُلِ ^(٥)

(١) السجنجل : للزّاء . يقول : إنه يرى ما أذبر عنه كما يرى ما أقبل عليه وذلك سرعة التفاته وشدة تيقظه ، وقد شبه صفاء حدقته بالمرآة ويروى في سجنجل . أى كأن أمامه مرآة ينظر فيها قفريه ما خلفه أمامه .

(٢) يعدو : يجرى ، وأحزن : سلك في الحزن : أى الوعر : وأسهل : سلك في السهل ؛ وتلا : تبع ؛ والدى : الغاية . يقول : إنه يعدو في الحزن من الأرض عدو الذى هو في السهل لقوة قوائمه ، وإذا تبع سائر الكلاب في طلب صيد بلغ الغاية التى يريد بها ، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه فصار متلوا بعد أن كان تالياً .

(٣) الإقواء . أن يجلس الكلب على إتيته ، والبدوى إذا اصطلى بالنار استدفاها - أقمى على أسته ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه و صدره وجلس مفعول مطلق معنوى ، وقوله بأربع مجدولة لم تجدل : أى بأربع قوائم ؛ والحرف : متعلق بـ «يقمى» ، والمجدولة : المفتولة ، يريد بقوائم محكمة الحلق لم يبدلها أحد ، وإعنا هى كذلك خلقه .

(٤) قتل الأيدى : صفة لأربع ، يقال يدفتلاء إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسا عند العدو ، وذكر يديه بلفظ الجمع ، وكذلك الأرجل ، والعرب تفعل مثل ذلك في التثنية . هذا : في الأيدى أكثر ما تستعملها العرب في النعم يقولون لفلان عندى يدوأياد والربذات الخفيفات السريعات . والجندل الصخر . يقول : إن قوائمه مفتولة سريمة في العدو شديدة الوطء لقوتها ، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثارا مثل صورتها . هذا : وقد قالوا : إن السكب لا يوصف بشغل الوطء ، وإنما جاء هذا في الخيل والإبل ، فنقله المتنبي إلى السكب .

(٥) التفتل : كالانفتال ، والمتن : جانب الظهر عند الصاب ، والكلكل : الصدر . يقول : لسرعته ولين أعطافه إذا انفتل للوثوب على الصيد يلتوى بعضه على بعض حتى يكاد يجتمع صدره وظهره في آن واحد .

وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ شَبِيهُ وَسَمِيَّ الْحَضَارِ بِالْأَلِي^(١)
كَأَنَّهُ مُضْبِرٌّ مِنْ جَرَوَلٍ مُوْتَقٍّ عَلَى رِمَاحٍ ذُبُلٍ^(٢)
ذِي ذَنْبٍ أَجْرَدَ غَيْرَ أَغْزَلٍ يَخُطُّ فِي الْأَرْضِ حِسَابَ الْجُمْلِ^(٣)
كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَفْزَلٍ
لَوْ كَانَ يُبْلِي السَّوْطَ تَحْرِيكُ بَلِي^(٤)

(١) الوسمى : أول المطر ، والولى : ما يليه . والحضار : العدو الشديد ، مصدر حاضره إذا جراه في الحضر وهو العدو ، وبين أعلاه : خبر مقدم ؛ وشبيه مبتدأ مؤخر ويريد بأعلاه : رأسه ؛ وبأسفله : قوائمه ، كفى بما بينهما عن جسمه ، وشبه تتابع حركته في الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يقول : إن عدوه الثاني في القوة والسرعة كعدوه الأول ، يعني أنه لا يعيا ولا يفتر .

(٢) المضبر : الشدود المحكم الخلق ومثله الوثوق ، والجروول الحبر ومنه سمى الخطيئة جروولا كما سموا حجرا وصخرا : يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه ، وعلى بالرماح الذبل قوائمه اللينة .

(٣) الأجرد : القليل الشعر ، وهكذا تكون كلاب الصيد ، والأعزل الذي لا يكون ذنبه على استواء مع قفاره ، وذلك عيب في الكلاب والخيول ، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لنته ، ثم قال : إن آثار ذنبه في الأرض كآثار الكاتب إذا كتب حساب الجمل وحساب الجمل معروف . قال العسكري : لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والثلثين والألوف وهو خط قبلي ؛ وذى ذنب : بدل من قوله أشدق .

(٤) يقول : كأن ذنبه منفضل عن جسمه لكثرة تلويحه وحركته ، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه ، كما أن السوط يكسر تحريكه ولا يبله هذا التحريك ؛ وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى أنه - الكلب - من سرعته وحده يكاد يترك جسمه ويتميز عنه ، قال : وقد لاذ في هذا بقول ذي الرمة إلا أنه تجاوزه :

لا يذخران من الأيغالِ باقيةً حتى تسكاد تفرغى عنهما الأهبُ
وبقول أبي نؤاس :

ترأه في الحضر إذا هامي به يكاد أن يخرج من إهابه^(١)

(١) هامي به : زجره والضمير : للكلاب ؛ والإهاب : الجلد .

نَيْلُ الْمَنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الرِّسْلِ وَغُفْلَةُ الظُّبْيِ وَحَتْفُ التَّنْفَلِ^(١)
فَأَنْبَرِيَا فُذَيْنِ تَحْتَ الْقَسْطَلِ قَدْ ضَمِنَ الْآخِرُ قَتْلَ الْأَوَّلِ^(٢)
فِي هَبْوَةٍ كَلَاهُمَا لَمْ يَذْهَبْ لَا يَأْتِي تَلِي فِي تَرْكِ أَنْ لَا يَأْتِي تَلِي^(٣)

فهذان ذكر الإهاب - الجلد - وهو ذكر جميع الجسد ، قال ابن جنى وقوله لو كان يبلى الخ : أى هو كالسوط فى الصلابة والجدل ، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر فى السوط التحريك .

(١) نيل المنى أى به نيل المنى ، أو هو نيل المنى : أى به ينال الصائد مناه ، والقى يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه والعقلة ما يعقل به الشيء من قيد ونحوه ؛ والحنف الهلاك ؛ والتنفل : ولد الثعلب . يقول : إنه يدرك الظبي فيمنعه عن الإفلات ؛ وهو من قول امرئ القيس :

* بِمَنْجَرٍ قِيدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ *

ثم قال : ويدرك ولد الثعلب فيهلكه .

(٢) فأنبريا : أى الكلب والظبي : أى اعترضنا للناظرين فى عدوهما فذين : أى فردين . يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبي ظبي آخر وعنى بالقسطل : القبار الذى ثار من عدوهما ؛ وعنى بالآخر : الكلب ؛ وبالأول : الظبي ، لأنه كان سابقاً بالعدو فراراً من الكلب . وضمن الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضمناً منه .

(٣) الهبوة : الغبرة . ويقال ما ألوت فى كذا وما ائليت وما أليت : أى ما قصرت والذهول : الغفلة عن الشيء ، و « لا » فى « أن لا يأتى » زائدة ، وهى تزداد فى مواضع كثيرة للعلم بها ، كما فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » والتقدير : ليعلم . وقال الراجز : * فى بئر لا حور سرى وماشمر^(٤) *

(١) من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجه لقتال أبى فديك الحرورى ، فأوقع به وبأصحابه ، ومطلعها :

قد جبر الدين الأله فَجَبَر وعور الرحمن من ولى العور

إلى أن قال :

مُتَّحِمًا عَلَى الْكَانِ الْأَفْوَلِ
 بِخَالٍ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجُدُولِ^(١)
 حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ أَفْعَلِ إِفْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كَأَنَّا بَصُلُ^(٢)
 لَا تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّنِيقِلِ مُرَكَّبَاتٍ فِي الْعَذَابِ الْمُنْزَلِ^(٣)
 كَأَنَّهُمَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي الشَّمَالِ كَأَنَّهُمَا مِنْ ثِقَلٍ فِي يَذْبُلِ^(٤)

أى فى بئر حور؛ و « لا » زائدة « والخور المهلكة » يقول : كل واحد من الكلب والظبي لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبي مجد فى الحرب ، والكلب مجد فى الطلب ولا يقصر الكلب فى ترك القصير ، وإذا لم يقصر فى ترك القصير فقد جد .
 (١) مقتحما : حال من ضمير يأتلى ؛ والافتحام : الدخول فى الأمر الشديد ؛ والجدول النهر الصغير . يقول : إن هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه لا يبالي بما يستقبله من هول . فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر لظنه جدولا ، فوثب إلى الشط الآخر كما يشب إذا قطع عرض الجدول .
 (٢) افتتر : كشر : والمذروبة : الأنياب المحددة والأنصل : جمع نصل . يقول : حتى إذا دنا الكلب من الصيد ، وقيل له — بلسان الحال — أدركت فأفعل ما تريد ففعله من القبض عليه : كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .
 (٣) لما شبه أنيابه بالصلال قال إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة إذ لم تكن محددة مصقولة خلقة ، وعنى بالعذاب المنزل خطمه^(١) فانه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .
 (٤) يذبل : جبل فى الحجاز . يقول : كأن أنيابه مركبة فى ربيع الشمال من خفة

واختار فى الدين الحرورى البطر فى بئر لاحور سرى وما شعر
 بإفكه حتى رأى الصبح جشراً

قوله وعور الرحمن الخ : أى أفسد الله من ولاه الفساد ؛ والحرورى : أراد به أبا فديك الخارجى . وقوله بإفكه : الباء سببية متعلقة بسرى ؛ والإفك : الكذب ؛ وجشراً الصبح : انقلب وأضاء .

(١) الحطم من كل دابة نحو الكلب والبعير : مقدم أنفها وفمها

كَأَنَّهُا مِنْ سَعَةٍ فِي هَوَجَلٍ كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ^(١)
 عِلْمٌ بِقِرَاطٍ فِصَادَ الْأَكْحَلِ^(٢)
 فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ لِلتَّجَبُّدِ وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي الْمِرْجَلِ^(٣)
 فَلَمْ يَضِرْنَا مَعَهُ فَقَدْ الْأَجْدَلِ إِذَا بَقِيَتْ سَالِمًا أَبَا عَلِيٍّ^(٤)
 فَأَلَمَلَكُ اللَّهُ التَّعْزِيزَ ثُمَّ لِي^(٥)

* * *

الكلب وسرعته في العدو ، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد مركبة في جبل . جعل الكلب في خفة العدو كالريح ، وفي ثقله على الصيد كالجبل .

(١) و (٢) الهوجل : للفازة ؛ والمقتل : الموضع الذي إذا أصيب قتل صاحبه ؛ والأكحل : عرق في الذراع من عروق الفصاد . يقول : كأن أنيابه من سعة فمه في صحراء ، وكأنه من تميزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علم بقراط - وهو الطبيب المعروف - علم التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كعرق الأكحل ؛ وبعبارة أخرى : لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالما بغيرها أيضا ، وإلا لم تميز له فصار في دعواه عالما بتشريح الأعضاء ، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى ، ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كهذا العرق ، هذا هو المعنى ، وبذا انتفى نقد صاحب بن عباد هذا البيت إذ يقول ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصد ، وهو يصف الكلب بالعالم بالمقتل . . . (٣) حال : انقلب ؛ والقفز : الوثوب . والتجدل : السقوط على الجدالة - أي الأرض - والمرجل : القدر ؛ والمراد بما للقفز : قوائمه ؛ وبما في جلده : لحمه . يقول : إن قوائمه هذا الظبي التي كانت للوثوب صارت للتمرغ في التراب حين أخذه السكب وصار لحمه في القدر .

(٤) و (٥) ضاره الأمر يضره : كضره ومعه : أي مع الكلب . والأجدل : الصقر . يقول : لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر ، لأنه فعل فطنه فأغنانا عنه . ثم قال - مخاطبا المدوح - : إذا بقيت سالما صدت بك الناس كلهم ، فيكون للملك بعد الله لي بك .

وقال يمدح بدر بن عمار ، وقد فصد لعة ، ففاص الموضع فوق حقه ،
فأضر به ذلك :

أَبْعَدُ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبَخْلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ الْإِبِلُ^(١)
مَوْلَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلُ^(٢)

(١) أبعد : تفضيل ؛ والنأى : البعد ؛ و « ما » : نكرة موصوفة بمعنى شيء . يقول :
أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلها ، إذ لا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان
البعد . ثم قال : في البعد أى في جملة البعد وأنواعه ما لا تكلف الإبل قطعه وهو البعد
بالبخل ، لأن الإبل لا تقرب هذا البعد ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

لا أظلم النأى قد كانت خلائقهم

من قبل وشك النوى عندى نوى قذفاً

ويقول أيضا :

فراقٌ جرّعتُهُ مِنْ فراقٍ وَفراقٌ جرّعتُهُ مِنْ صُدُودٍ

ويقول البحتري :

على أن هجران الحبيب هو النوى لدى وعرفان المسىء هو العذل

ويقول أيضا :

دنتُ بأناسٍ عن تناءِ زيارةٍ وشطَّ بليلى عن تدانٍ مزارها

ويقول إبراهيم بن العباس :

وإن مُتَّعِمَاتٍ بِمَنْعَرَجِ اللّوَى لِأَقْرَبِ مِنْ مَيِّ وَهَاتِيكَ دَارَهَا

والأصل في هذا قول الثقب العبدى :

أَفَاطِلُمُ قَبْلَ سَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي

(٢) ملولة : أى هى ملولة ؛ والتناء فيها : للبالغة ، لأنه يقال : رجل ملول وامرأة
ملول ؛ و « ما » ؛ مفعول به ؛ و « لها » : خبر ليس مقدم ؛ وملل - آخر البيت -
اسمها مؤخر ، ومن ملل : متعلق به . يقول : إنها تمل كل شيء يدوم إلا ملها الدائم ،
فإنها لا تمله ، ولو هى ملته لتركته وعادت إلى الوصل . ومن روى تدوم - بالتاء - كانت
« ما » للنفي : أى ليست تدوم على حال .

كَأَنَّمَا قَدَّهَا إِذَا أَنْفَقْتَ سَكْرَانُ مِنْ خَرِّ طَرْفِهَا نَمِلُ^(١)
يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَضِرِهَا عَجَزُ^(٢) كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ^(٣)
بِ حَرِّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا يَنْفَعِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ^(٤)
الشَّغَرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخْلَخِلُ وَالْمَعْصَمُ دَائِي وَالْفَاحِمُ الرَّجِيلُ^(٥)
وَمَنْهَمِهِ جُبَّتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُّ^(٥)

(١) انفقت ، تثنت وتمايلت ، وطرفها : لحظها ؛ ورجل ثمل : أخذ منه الشراب .
يقول : إنها تمايل في مشيتها تمايل السكران ، فكأن قدها نظر إلى طرفها فسكر من
خر عينها كما يسكر منه عاشقوها .

(٢) وجل : خائف . يقول : إن عجزها - ردفها - ثقل بكثرة اللحم ، فهو يجذبها
- إذا همت بالنهوض - إلى القعود فكأن عجزها في ارتعاده واضطرابه - لكثرة لحمه -
خائف من فراقها ، والخائف يوصف بالارتعاد ، وكذلك العجز إذا كثر لحمه ،
كما قال :

* إذا ماست رأيت لها ارتجاجا *

أما تفسير ابن جني المصراع الثاني بقوله : أى كان عجزها وجل من فراقها فهو
متساقط متجدد قد ذهبته منته وتماسكه : فهو بعيد .

(٣) إلى ترشفها : أى إلى ترشف فمها ؛ أى مص ريقها . يقول : إذا اتصل بي ذلك
الشوق انفصل الصبر : أى أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق ؛ وقد طابق بين
الاتصال والاتصال .

(٤) الشجر : مقدم الأسنان ؛ والنحر : أعلى الصدر ؛ والمخلخل : موضع الخلخل
من الساق ؛ والمعصم : موضع السوار من اليد ؛ والفاحم : الشديد السواد ، يريد به
الشعر ؛ والرجل - بفتح فكسر وفتحتين - الذى بين السبط والجعد . يقول : إنه
يحب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها ، وهى داؤه .

(٥) ومهمه : أى ورب مهمه - أى فلاة - وجبته : قطعتة . والعرامس : النوق
الصلاب الشديدة ، واحدها عرمس . والدلل : اللذلة بالعمل للروضة بالسير - جمع
لول - يستوى فيه الذكر والمؤنث . يصف شدة سيره وأنه يحب الفلاة - التى تعجز
عنها النوق الصلاب التى اعتادت السير - على قدمه .

بِصَارِي مُرْتَدٍ بِمَخْبَرَتِي مُجْتَزِي ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ ^(١)
إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْحَيْلُ ^(٢)
فِي سَعَةِ الْخَافِقَيْنِ مُضْطَرَبٌ ، وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَآ بَدَلٌ ^(٣)

(١) الصارم : السيف ؛ ومرتد : أى متقلد ، خبر مبتدأ محذوف : وكذلك مجتزىء ومشتمل : أى أنا مرتد بصاري مجتزىء - أى مكثف - بمخبرتي - أى معرفتي - مشتمل بالظلام . يقول : جئت هذا المهمة وأنا متقلد بسيفي مكثف بعلمي وخبرتي فلم أحتج إلى دليل يهدينى للطريق ، مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب أو كساء .

(٢) نكر الشيء وأنكره : استغربه ، وصديق : فاعل لفعل محذوف يقدر من لازم ما بعده : أى إذا تغير صديق على ونحو ذلك . وأعياء الأمر : أعجزه ، ويقال عى بأمره وعي : إذا لم يهتد لوجهه ، والإدغام أكثر ، ويقال فى الجمع عيوا - مخففا - وعيوا أيضا - بالتشديد - وأعيانى الأمر ، قال عمرو بن حسان من بنى الحارث ابن همام :

فَإِنَّ الْكَثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا ، وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أَنْيْ غُلَامٌ ^(١)

يقول : إذا تغير صديق وحال عن مودته وأنكرت عليه أحراله لم تعجزنى الحيلة فى فراقه ، أى فارقته ولم أقم عليه .

(٣) الخافقان : قطرا الهواء ، وهما المشرق والمغرب . والمضطرب موضع الاضطراب ، وهو الذهاب واليهي . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة ، فإذا لم يطب لى موضع تحولت إلى غيره ولم أقيد نفسى بمكان بعينه . وهذا معنى مطروق ، قال القائل :

إِذَا تَفَكَّرَ خِلٌ فَاتَّخَذَ بَدَلًا . فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةِ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ
وقال البحتري :

فَإِذَا مَا تَفَكَّرْتُ لى بِلَادٍ . أَوْ صَدِيقٌ فَإِنِّى بِالْخِيَارِ
وقال عبد الصمد بن اللؤلؤ :

إِذَا وَطَنٌ رَابِئِي فَكُلْ بِلَادٍ وَطَنِ

(١) يقول : كنت متوسطاً لم أفقر فقراً شديداً ، ولا أمكنى جمع المال الكثير ويروي « أعانى » أى أذلى وأخضعنى .

وَفِي أُغْتَبَارِ الْأَمِيرِ بَذْرِ بْنِ عَمَّا رِ عَنِ الشُّغْلِ بِالْوَرَى شُغْلٌ^(١)
أَصْبَحَ مَالٌ كَالَهُ لِذَوَى الْحَاجَةِ لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلَّ^(٢)

وما أجل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى .

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي على سواد^(١)
(١) الاعتبار : الزيارة يقال أنا فلان معتمرا : أي زائرا ، قال أعشى باهلة :

وجاشت النفس لما جاء فلمهم وراكب جاء من تثليث معتمر^(٢)
ويقال : اعتمر الأمر : أي أمه وقصده . قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله
ابن معمر القرشي :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بميدا من بعيد وضبر

تَقْضَى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ^(٣)

يقول : قصدي إياه يشغلني عن قصد غيره لآتي صبيبت رجائي عليه وعلقت آمالي به ،
ويروى اعتاد - بالبدال - ومعناه الاعتاد بالسير إليه وتطبيق الرجاء به .

(٢) كاله : صفة مال ؛ ولذوى الحاجات : خبر أصبح ؛ ويسل : أي يسأل
- حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى السين - يقول : إن المال المبدول مثل ماله قد
صار ملكا للعفاة يأخذونه متى شاءوا : فلا هو يبتدئهم بالعطا ، ولا هم يسألونه ، لأنه
مالهم - لا ماله - ويروى : أصبح مالا - بالنصب - : أي أصبح للناس نافعا كما أصبح
ماله نافعا لذوى الحاجات ، أي أنه ينفعهم بنفسه وماله ، فهو لهم مال ، وكما أن ماله
يؤخذ بلا إذن : كذلك لا يستأذن في الدخول عليه ، فكل من ورد عليه أخذ ماله
بلا ابتداء ولا مسألة من الوارد .

(١) يقول : إذا لم يقدرني أهل بلدة أو لم أعرفهم فارقتهم مصاحبا للبازي الذي
هو أبكر الطيور مشتتلا على بقية من الليل غير منتظر لإسفار الصبح .

(٢) قال الأصمعي : معتمر : أي زائر ؛ وقال أبو عبيدة : هو متعمم بالعمامة ،
وتسمى العمارة .

(٣) يقول : ارتفع قدره حين غزا موحنا بعيداً من الشام ، وجمع لذلك جيشا ،
وضير - أي جمع قوائمه - ليثب ؛ وكسر الطائر : ضم جناحه حتى ينقض ؛
يريد الوقوع .

هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا بَيِّنُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَذَلٌ^(١)
يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحَمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَا لَهُ أَجَلٌ^(٢)
يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْقَزِيمَةِ مَا يَنْفَعُ قَبْلَ الْفِعَالِ يَنْفَعِلُ^(٣)
تُعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ كَأَنَّهُ بِالذِّكَاءِ مُكْتَحِلٌ^(٤)
أَشْفَقُ عِنْدَ انْقَادِ فِكْرَتِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ بِشْتَعِلُ^(٥)

(١) الجذل : السرور . يقول : لرجعان ليه ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علما منه أنها لا تبقى على غم ولا سرور ، ومن ثم لا يكون لها أثر فيه فلا يبطر لدى السرور ، ولا يجزع عند الحزن .

(٢) الحمام : الموت . ودنا : قرب . والأجل : منتهى الحياة . يقول : إن للوئ طائع أمره ، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمرداً على المقدور وخرقا له .

(٣) « ما » : اسم موصول ، اسم يكاد ؛ والتجوز : ينفعه . يقول : متعلق بينفعل . يقول : لصحة تقديره ونفاذ عزمته يكاد فعله يسابقه ، فما يفعله ينفع قبل فعله ، وبعبارة أخرى : إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها ، لأنه لا يعزم على شيء إلا بعد التروى فيه والقطع بقضائه ، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل :

سَدِ كَتُّ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا لَتَكَادُ تَفْجُوهُ بِمَا لَمْ يُقَدَّرْ

« سدكت به : لزمته »

(٤) يقول : إن حقائق الحاصل والمعانى التي طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه فكأن ذكاءه وفطنته وحدة ذهنه قد اكتحلت بها عينه ، فهي ظاهرة فيها ظهور الكحل ؛ وبعبارة بعض الشراح : إن حقائق ما طبع عليه - من حدة الذهن وذكاء النفس - تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء ، فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .

(٥) الإشفاق : الخوف ، والظرف والحرفان متعلقة بأشفق ؛ وأخاف : بدل من أشفق . وأخاف يشتعل : أى أخاف أن يشتعل ، لحذف « أن » ورفع الفعل . يقول : إذا اضطربت فكرته واحتد ذهنه عند التروى أشفقت عليه أن يشتعل بنار فكرته هذه لشدة اتقادها وذكاء حديثها فيصير ناراً متوقدة ، كما قال ابن الرومي :

أَخْشَى عَلَيْكَ اضْطِرَامَ الذَّهْنِ لَا حَذَرًا

أَعْرَهُ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا بِالْهَرَبِ اسْتَكْبَرُوا الَّذِي قَمَلُوا^(١)
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِغَةٍ أَرْبُعًا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ^(٢)
جَرْدَاءَ مِلءِ الْحَزَامِ مُجْفَرَةٍ تَكُونُ مِثْلَى عَسِيْبِهَا الْخَصَلُ^(٣)
إِنْ أَذْبَرْتَ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَا لَهَا كَفْلُ^(٤)
وَالطَّنُّ شَرُّهُ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ كَأَنَّهَا فِي فَوَادِهَا وَهْلُ^(٥)

(١) أى هو أغر؛ والأغر؛ السيد الكريم، وأعداؤه؛ مبتدأ؛ خبره؛ ما بعده.
يقول: هو سيد شريف، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه:
أعظموا فعلهم واستكبروه، لأن الحرب من بين يديه شجاعة لهم. وقوله إذا سلموا
بالهرب: إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات.

(٢) أقبلته وجهي: حوته إليه وجعلته قبائله، والسابغة: الفرس تسبح في
جريها؛ وأربعها: أى قوائمها الأربع، يقول: يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمها
طرفها: أى تضع قوائمها وراء منتهى بصرها؛ وهذا من قول أبى نواس:
* يسبقُ طرفَ العين في التهايه *

« أى في شدة عدوه ». قال ابن جنى: أسرف في المبالغة حتى خرج إلى ما يستحيل
وقوعه لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف.

(٣) الجرداء: القليلة الشعر، والمجفرة: الواسعة الجبين؛ والمجفرة: سعتها؛
والعسيب: عظم الذنب؛ والخصل: جمع الخصلة من الشعر. يقول: إنها تملأ الحزام
بسعة جنبها وعظم بطنها وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها، ويستحب في الخيل قصر
العسيب وطول شعره.

(٤) التليل: العنق؛ والكفل: الردف، ويستحب فهما الإشراف. يقول:
إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها
وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها؛ وعبارة الواحدى: من حيث تأملتها
وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها بعجزها، كما قال على ابن جبلة:

تحسبه أقعداً في استقباله حتى إذا استدبرته قلت أكب

يريد: هذه الفرس من حيث تأملتها رأيها حسنة في إقبالها وإدبارها.

(٥) والطنن شرر: جملة حالية: أى يقبلهم وجه كل سابغة في هذه الحالة؛
الطنن الشرر: ما كان عن يمين وشمال؛ وذلك أشد الطعن، وواجفة: مضطربة

قَدْ صَبَّغَتْ خَدَّهَا الدَّمَاءُ كَمَا يَصْبُغُ خَدَّ الْخَرِيدَةِ الْخَلْجَلُ^(١)
وَالْخَلِيلُ تَبْكِي جُلُودَهَا عَرَقًا بِأَذْمَعٍ مَا تَسْحَبُهَا مَقْلُ^(٢)
سَارَ وَلَا قَفَرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ كَأَنَّمَا كُلُّ سَبَسَبٍ جَبَلُ^(٣)
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَايَقَ الْأَسْلُ^(٤)

لشدة الحرب : أى ترى أن الأرض تتحرك كأن فى قلب الأرض وهلا - أى فزعا -
فهى ترعد من الخوف . ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلبا . وعبرة
بعض الشراح : واجفة : أى مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدبارا حتى
كأنها تمور بهم .

(١) الضمير فى « خدها » للأرض ؛ والخريدة : الحية ، شبه وجه الأرض
متلطيحا بالدماء بخد الجارية الحية إذا خجلت فاحمر لونها ، واستعار للأرض خدًا
لمشاكلة ما فى الشطر الثانى .

(٢) السح : السكب ، وللقل : جمع مقلة . وهى شحمة العين التى تجمع البياض
والسواد . يريد أن الخيل - من شدة الطراد وماهى فيه من هول الحرب - قد
عرت ، فجعل العرق مثل الدمع . إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون ، ولكنه
جار من الجلود .

(٣) سار : يروى بكسر فتونين : اسم فاعل . من السرى ، ويروى بالفتح :
فلا ماضيا ، والمواكب : الجيوش ؛ والسبسب الفلاة الواسعة . يقول : قد عم القفار
والأماكن الخالية بجيوشه فلاها حتى لم يبق قفر . وشبه السبسب بالجبل لكثافة
جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح . يعنى أن مواكبه تراكت فى السهول
على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

(٤) الأسل : الرماح ، يقول : إن رماحهم اشتبكت وتضايق ما بينها حتى
لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها واتحامها ؛ وأصل
هذا المعنى لقيس بن الحطيم :

لَوْ أَنَّكَ تُلْقَى حَنْظَلًا فَوْقَ يَيْضُنَا تَدْحَرُجُ عَنْ ذِي سَامِهِ الْمُتْقَارِبِ

« عن ذى سامه : أى على ذى سامه ؛ والهاء فى « سامه » : ترجع إلى اليض ؛
معنى اليض الكثرة بالذهب ، لأن السام عروق الذهب . يقول قيس : أنهم تراصوا

يَا بَذْرُ يَا بَحْرُ يَا عَمَامَةَ يَا لَيْثَ الشَّرَى يَا حَامُ يَا رَجُلُ^(١)
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي تُقَلِّبُهُ عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِّثْلُ^(٢)

في الحرب حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم - على إملاسه واستواء أجزائه - لم ينزل إلى الأرض . ثم قال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظلت على هاماتهم تندرج
فتزل عن الحنظل إلى البرد ، وبالنسبة في ذلك ثم نزل التنبي عن البرد إلى المطر ، وهو اللطف منه ثم أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال :

تضايق حتى لو جرى الماء فوقه حماء ازدحام البيض أن يقسربا
فتقله من المطر إلى الماء .

(١) ليث الشرى : أسد الشرى ؛ والشرى : مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام : الموت . يقول : أنت بدر في الحسن ، بحر في الجود ، سحاب في كثرة العطاء ، أسد في الشجاعة والبأس ، موت للعدو ، ورجل في الحقيقة ، يعني جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل .

(٢) عندك : صلة تقلبه ؛ وفي كل موضع : صلة مثل . يقول إن كفك التي تقلبها وأنت في بلدك وتصرفها في العطايا والهبات قد اشترت ذكرها في كل موضع حتى صارت مثلا في الجود . وروى - قبله - من التقيل أي قبله نحن والناس أجمعون ، والرواية الأولى أجود . هذا : والبنان : الأصابع ، وقيل أطرافها ؛ والبنام : لغة فيها . قال عمر بن أبي ربيعة :

* فقالت وعضت بالبنام فضحتني *

وواحدة البنان : بنانة ، وجمع القلة : بنانات ؛ وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله ، أنشد سيويه :

قد جعلت حي على الظرار تحسن بنان قاني الأظفار^(١)

(١) قال الشنتمري : الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان ، وهو اسم يستغرق الجنس على تقدير : خمس من البنان . والظرار : جمع ظرر ، وهي حجارة مستديرة محددة ؛ يقال أرض مظرة : إذا كانت كثيرة الطرار ؛ وروى على الطرار - بطاء غير معجمة -

إِنَّكَ مِنْ مَفْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخَلُوا^(١)
 قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا أُمْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا أَعْتَقَلُوا^(٢)
 أَنْتَ تَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفْتَ قَوَاضِيُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ^(٣)
 أَنْتَ لَعَمْرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى زُحَلُ^(٤)

يريد خمسا من البنان ؛ ويقال بنان مخضب ، لأن كل جمع بينه وبين واحد الهاء فإنه يوحد ويذكر .

(١) أى بخلوا عند أنفسهم ، إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار وبعبارة أخرى : إن مقضى جودهم أن لا يبقوا على شيء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرثوا أنفسهم من البخل .

(٢) امتشق السيف : استله وأسرع الطعن والضرب ؛ واعتقل الرمح : جمعه بين ساقه وركابه . يقول : إن لقلوبهم مضاء سيوفهم ، ولقاماتهم طول رماحهم . وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على التنبي وولوعه بالتشهير به وبسرقاه — أخذ هذا من قول عوف بن محم الشيباني :

إِنْ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أَحوجت سَمِي إِلَى تَرْجَانٍ
 وَبَدَلْتَنِي بِالشَّطَاطِ انْحِنَا . وَكُنْتُ كَالصَّمْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ

(٣) و(٤) قواضي الهند : أى السيوف القواطع ، والذبل : الطوال الصلاب ، وحومة كل شيء : معظمه ؛ والوغى : الحرب . وزحل : من كواكب النجس ، والقمر : سعد يقول : أنت رجل تقيض اسمه في الحرب ، لأن البدر الذي هو اسمك من كواكب السعد والكنك في الحرب نجس على أعدائك . لأنك هلاك لهم .. أو تقول — كما قال بعض الشراح — : إن البدر منير فيبتدى به في الأسفار ، وأنت في الحرب تقيض اسمك ، إذ تقتل الناس وتثير القبار بالخيال فتظلم الأرض ، ففعلك في الحرب تقيض فعلك في السلم .

جمع طرة ، وهى عقيمة من مقدم الناصية ، ترسل تحت التاج في صدغ الجارية ، وربما اتخذت من رامك ، وهو ضرب من الطيب ، وهذا أشبه بمعنى البيت . والبنان : جمع بنانة ، وهى الإصبع ؛ والقافى : الشديد الحمرة من الخضب .

كِتَبَةٌ لَسْتَ رَبِّهَا نَقْلٌ وَبَلَدَةٌ لَسْتَ حَلَبًا عَطْلٌ^(١)
 قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا
 حَتَّى اشْتَكَنْتَ الرُّكَّابُ وَالسَّبِيلُ^(٢)
 لَمْ تَبْقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا الْعِلَلُ^(٣)
 عَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ أَنَّهُمَا آسٍ جَبَانٌ وَمَبْضَعٌ بَطْلٌ^(٤)

(١) الكتيبة : القطعة من الجيش ؛ وكتيبة : مبتدأ ؛ والخبر : نقل ؛ وكذا في المصراع الثاني ؛ والنقل : الغنمة ؛ والحلى : الزينة . والعطل : التي لاحت لها يقول : كل جيش لست صاحبه وأميره هو نقل للعدو ، وكل بلدة لست زينتها هي عطل لازينة لها .

(٢) شرقها ومغربها : أى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر للعلم به . والركاب : الإبل . يقول : قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعاً فى عطائك وحرصاً على لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت إليك والطرق بكثرة ما وطئت وذلت بالخفاف والحوانر والأقدام ، وقال بعض الشراح : لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين .. وليس بشيء ، وعكوى الإبل كثيرة فى الشعر قل أبو العتاهية :
 إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً وربما
 وقال البحرى :

تَشْكِي الْوَجَى وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدَّجَى غُرَيْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَرَّتْ بَقِيْعُهَا
 «الوجى : الحفا ؛ والمرة : الفازة لانبات فيها ؛ والبقيع : البوضع فيه أصول الشجر من ضروب شق»
 أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات التنبى .

(٣) قليل عافية : أى عافية قليلة . فهو من إضافة الصفة للموصوف ونجديكها : أى تستوهبك إياها ؛ والعلل : الأمراض . يقول : بذلت كل مالك ولم يبق لك إلا قليل من العافية فقدمت العلل عليك تستوهبه منك ، وهذا كقوله السالف :

وبذلت ما ملكته نفسك كله حتى بذلت لهذِهِ صِحَّاتَهَا

(٤) الآسى : الطبيب ؛ والمبضع : حديدة الفاسد ؛ والبطل : الشجاع ؛ ويريد بالمؤمنين : ما ذكره بعد من الآسى والمبضع . وقد كان الفصاد فصده وأخطأ فى فصده

مَدَدَتْ فِي رَاحَةِ الطَّيِّبِ يَدًا وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقَطِّعُ الْأَمْلُ^(١)
إِنْ يَسْكُنِ الْبَضْعُ ضَرْرًا بَاطِنَهَا فَرُبَّمَا ضَرْرٌ ظَاهِرٌ هَا الْقُبْلُ^(٢)

ونفذت حديدته في يده وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطيب والبضع ملومين في ذلك الخطأ الحاصل منهما ، ثم قال عذرهما فيك أن الطيب كان جانا فارتعدت يده هية لك والبضع كان شجاعا - أى حاداً نافذاً - فتولدت العلة من هذين ، ثم ذكر للطيب عذراً آخر في البيت التالي .

(١) يقول : إنما وقع للطيب الخطأ لأن يدك أمل الناس جميعا ، منها يرجون الإحسان والعطاء ، فلم يدر الطيب كيف يقطع الأمل ؛ لانه إنما تعود قطع العروق ، لا قطع الآمال . وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن هبيل الله :

يَا فَاصِدًا لِيَدٍ جَلَّتْ أَيْدِيهَا وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا
يَدُ الْغِنَى هِيَ فَارْفَقْ لَا تَرْقِ دَمَهَا فَإِنَّ أَرْزَاقَ طُلَّابِ الْغِنَى فِيهَا
وقال أيضا للخليفة المعتمد :

يَا دَمًا سَالَ مِنْ ذِرَاعِ الْإِمَامِ أَنْتَ أَذْكَى مِنْ عَنَبٍ وَمَدَامِ
قَدْ حَسْبُنَاكَ إِذْ جَرَيْتَ إِلَى الطَّلَسِ تَدْمُوعًا مِنْ مَقَاتِي مَسْتَهَامِ
إِنَّمَا غَيْبَ الطَّيِّبُ شَبَابَ الْمَبِ ضَمَّ فِي نَفْسٍ مَهْجَةَ الْإِسْلَامِ

(٢) البضع : الفصد ؛ والقيل : جمع قبلة ؛ وهى الاسم من التقييل . وأراد بضر القيل : كثرة تقييل الناس ظهر كفه حتى أثر فيه وضره . قال الواحدي : وقد أكثر الشعراء من ذكر تقييل اليد ولم يذكر أحد أنها استضرت بالقيل غير أبي الطيب ، وهذا من مبالغاته ، قال ابن الرومي :

فَأَمَدَدْتُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بِذَلِ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلُ
وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سنبل :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ
فَبَاطِنُهَا لِلْفَدَى وَظَاهَرُهَا لِلْقُبْلِ

وقال أبو الضياء الحمصي :

وَمَا خُلِقَتْ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ وَمَا فِي عِبَادِ اللَّهِ مِثْلُكَ ثَانٍ

يَشُقُّ فِي عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلَا يَشُقُّ فِي عِرْقِ جُودِهَا الْمَذَلُّ^(١)
خَامَرُهُ إِذْ مَدَدَتْهَا جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَدَافَةِ عَجَلٍ^(٢)
جَازَ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهَادٍ لِأَمِّهِ الْهَبَلِ^(٣)
أَبْلَغُ مَا يُطْلَبُ النِّجَاحُ بِهِ الطَّنْبُوعُ وَعِنْدَ التَّمَقُّقِ الزَّلَلُ^(٤)
أُرْثَ لَهَا إِنِّهَا بِمَا مَلَكَتْ وَبِالَّذِي قَدْ أُسْلَتْ تَنْهَمِلُ^(٥)

لتجريد هِنْدِيٍّ وإسداء نائلٍ وتقبيل أفواهٍ وأخذٍ عنانٍ
وقد ملح من قال :

يَدٌ تَرَاهَا أَبَدًا فَوْقَ يَدٍ وَتَحْتَ فَمٍ
مَا خُلِقَتْ بِنَانِهَا إِلَّا لِسَيْفٍ أَوْ قَلَمٍ

(١) الفصاد : هو الفصد ؛ وأراد بالشق : التأثير والنفاذ . ومن ثم عدها بني ، واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق يده ؛ والعذل : اللام . يقول : إن الفصد يؤثر في يده ، ولكن لا يؤثر اللام في جودها ، أى لا يجمع قول اللامين فيه . وقد نظر في هذا إلى قول أبي تمام :

خَلَأْتُكَ كَالزُّغْفِ الْمَضَاعِفِ لَمْ يَكُنْ لِيُنْقِذَهَا يَوْمًا شَبَابُ اللِّوَامِ
(٢) خامره : خالطه ، والجزع : الفزع وقلة الصبر ؛ والحذافة : مصدر كالحذق ؛ والعجل : للاستعجل . يقول : خامرى الطيب - حين مددت يدك إليه للفصد - جزع من هيبتك فعجل في الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه ، وهو على الحقيقة عجل من خوفه .

(١) جاز الشيء : تعدها ؛ وغير اجتهد : مفعول أتى ؛ والهبل : الشلل . يقول : بالغ في الاجتهاد حتى جاوز حد الاجتهاد ففعل ما هو غير اجتهد لأن الخطأ من نيل المقصرين المتهاونين ، ثم دعا عليه فقال لأمه الشلل .

(٢) التعمق : بلوغ عمق الشيء - وهو أقصاه - يريد به البالغة ومجاوزة الحد . يقول : إن النجاح في الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل نفسه على سجيته ، فإذا تكافى وبالغ وتعمق زل فأخطأ .

(٣) ارث لها : رق ؛ وبما بالذى : متعلقان بتهمل . يقول مخاطبا الطيب - : ارفق

مِثْلَكَ يَا بَذْرُ لَا يَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الدُّوْلُ^(١)

* * *

وقال أيضاً بمدحه :

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْتَحَالًا وَحُسْنُ الصَّبْرِ زَمُوا لَا الْجَمَالَ^(٢)

بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته : أى تجود بما لها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها أى بالدم الذى تسفكه من الأعداء .

(١) إلا لمثلك : أى إلا لك . يقول : لا يخلق الله مثلك ولا تصلح الدويلات إلا لك فى جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس ، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريماً سخياً لينتفع الناس بدولته .

(٢) زم البعير : خطمه بالزمام ، واسم ليس : ضمير الشأن ، وهم : مبتدأ ، وخبره محذوف : أى ليس الأمر والخبر هم شاءوا . لحذف « شاءوا » لتقدمه فى أول الكلام ، ويجوز أن يكون « هم » : اسم ليس ، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة ، والتقدير : بقائى شاء الارتحال ليسوا شاءوا ، ويجوز أن تكون « ليس » هنا حرفاً عاطفياً فلا يكون لها اسم ولا خبر . يقول : لما ارتحلوا عنى ارتحل بقائى ، فكان بقائى شاء ارتحالاً ؛ لا هم شاءوا ذلك ، وكأنهم زمو صبرى للمسير ، لاجتماعهم ، لأنى فقدت الصبر بعدهم ، وإنما ننى الارتحال عنهم لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأنًا ، فكان ارتحالهم ليس ارتحالاً عند ارتحال بقائه ، ولأنهم ربما يعودون ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتد بسير جمالهم مع صبر صبره عنه . وعبرة بعض الشراح : لما ارتحل الأحبة ارتحات حياته لأنه غير باق بعدهم ؛ فبقاؤه هو الذى أراد الارتحال ، لا هم . ولما جعل حياته راحة جعل مطيتها حسن الصبر ، لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب ، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شئ واحد ، فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال ، وإنما هم الحياة عينها ، ومطيمهم الصبر نفسه ؛ وقال ابن القطاع : بقاء شاء ؛ أى سبق ارتحالهم ، يقال شاءه : وشاء . إذا سبقه ، ولولا ذلك لمت أسفاً ، وهذا على المبالغة . وقيل المعنى بقائى أراد رحيلهم ، فشاء من الشيئة ، فليبقى مت ولم أره يتأسف ، إذ لم يمت عند رحيلهم .

تَوَاوَا بَفْتَةً فَكَانَ بَيْنَنَا تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي أُغْتِيَالًا^(١)
 فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلًا وَسَبْرُ الدَّمْعِ إِزْرَهُمْ أَنْهَمَالًا^(٢)
 كَانَ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاةٌ فَلَمَّا تُزْنَ سَالًا^(٣)
 وَحَجَبَتِ النَّوَى الظُّبْيَاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجَالَ^(٤)
 لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ وَلَكِنْ كُنَّ يَصْنُ بِهِ الْجَمَالَ^(٥)

(١) تولوا : أدبروا ؛ والبين : الفراق ؛ وتهيبني : هابني . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدري . يقول : كأن البين هابني ففاجأني باغتياله ، يريد فاغتيالني اغتيال مفاجأة .

(٢) العيس : الكرام من الإبل ؛ ويروى عيرهم ، وهي الإبل التي تحمل لليرة ، والقذميل : السير للتوسط والانهمال الانسكاب . يقول : كانت إبلهم تسير القذميل ودمي ينصب في أزرهم انصبابا ، يتوجع ويتحسر . ومثله لابن الرومي :

لهم على العيس إمعان يشطُّ بهم وللدموع على الخدين إمعانٌ

(٣) أماخ البعير : أبركه ؛ وزن : أي نهضن للسير ؛ والبيت مبني على ما قبله . يقول : كنت لا أبكي قبل فراقهم ، فكان إبلهم كانت تمسك دمي عن السيلان يروكها فوق جفني ، فلما فارقتني سال دمي ، فكانها ثارت للرحيل من فوق جفني فسال ما كانت تمسك من دموعي . وهو تخيل بديع .

(٤) النوى : البعد والفراق ؛ والحجال : الخدور . يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عيني ، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عنى قبل من البراقع والخدور .

(٥) الوشي : الثياب المنقوشة ؛ وحجر به وشى : أى حبر من معدن فيه ذهب ، أنشد ابن الأعرابي لأحيحة بن الجلاح يرثى أبنا له :

وما هِزْزِيْ مِنْ دَنَائِرِ أَيْلَةٍ بِأَيْدِي الْوُشَاةِ نَاصِعٍ يَتَأَكَلُ
 بِأَحْسَنِ مِنْهُ يَوْمَ أَصْبَحَ غَادِيَا وَنَفْسِي فِيهِ الْحَامُّ الْمَجْلُ

« الوشاء الضرابون : يعنى ضراب الذهب ؛ ونفسي فيه : رغبني ، والمهززي الهذيار الجديد » والتجمل : الزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين . قيل للصاحب أغرت على أبي الطيب في قولك :

وَصَفَرْنَ الْفَدَائِرَ لَا لِحُسْنٍ وَلَكِنْ خِفْنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَةَ^(١)
يَجْسِي مَنْ بَرْتُهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وَشَاحِي ثَقَبَ لَوْلُوَّةٌ كَلَالًا^(٢)
وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّي خِيَالًا^(٣)

لبسن برود الوشي لا لتجمل
فقال : نعم ، كما أثار هو في قوله :
ما بال هذى النجوم حائرة
على بشار في قوله :

والشمس في كبد السماء كأنها أعمى تحير ما لديه قائد
(١) التصفير : قتل الذوائب ؛ والفدائر : جمع غديرة ، وهي الخصلة من الشعر .
يقول : لم ينسجن ذوائبهن طلباً للتحسين ، ولكن خفن أن يضلن فيها لو أرسلنها
لأنها تغشاهن كالليل : قال ابن جني : قد وصفت الشعراء الشعر بالكثرة ، ولكن لم
تفرط في ذلك مثل المتنبي ، قال ابن المعتز :

دعت خلاخيلها ذوائبها فجئن من قرنها إلى القدم
(٢) يجسى : أى أمدى بجسمى ؛ وبرته : هزلته ؛ والوشاح : شبه قلادة تشده
المرأة بين العاق والكشح يقول : أمدى بجسمى التي هزلته حتى لو جعلت وشاحي
ثقب لؤلؤة لوسعن حتى يدور على إذا شئت أن أدبره ، يصف دقته ونحوه ، ومثل
هذا يقول الآخر :

قد كان لي فيما مضى خاتم والآن لو شئت تَمَنَّقْتُه
(٣) يقول : لولا أنني يقظان لكنت أظن نفسي خيالا ، يعنى أنه كالخيال في الدقة ،
إلا أن الخيال لا يرى في اليقظة ، فقوله أظننى : أى أظن نفسي وقوله منى : متعلق
بخيالا : أى خيالا منى ، كما تقول : جاءني خيال من المحبوب قال الواحدى : قوله منى :
أى من دق ، ويعد أن يقال من نفسي ، لأنه قال أظننى ، ومعناه أظن نفسي ، ولا
يقال أظن نفسي خيالا من نفسي . هذا : والعرب تقول ظننتني وخلقني وعلمتني ، ولم
يرو عنهم ضربتي ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا في أحدهما لقوة
تعديته . وقد جاءت عدمتي شاذة في قول جرير العود :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ غَزَالًا^(١)
 وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ نَمَّ أُبْدَتْ
 لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا أُعْتِدَالًا^(٢)
 كَانَ الْحَزْنَ مَشْفُوفٌ بِقَلْبِي
 فَسَاءَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الْوِصَالَ^(٣)

لقد كان لي في ضرتين عذمتني وما أنا لاقٍ منهما مُتَزَحِّزُحُ
 (١) الخوط : النصف الناعم : ورنّت : نظرت ؛ والنصوبات في البيت أسماء وضعت موضع الحال . كأنه قال : بدت مشرقة ، ومالت مثنية ، وفاحت طيبا ، ورنّت مليعة ؛ أو تقول للعنى : بدت مشبهة قمرًا في حسنها ، ومالت مشبهة غصن بانه في ثنيتها ، وفاحت مشبهة عنبرًا في طيب رائحتها ، ورنّت مشبهة غزالا في سواد مقلتها . وهذا يسمى التدييع في الشعر ، ومثله :

سَفَرْنَ بُدُورًا وَانْتَبَهْنَ أَهْلَةً وَمِسْنُ غُصُونًا وَالتَفَتْنَ جَاذِرًا
 (٢) جار عن الطريق : مال ؛ وكثر استعماله في الظلم لأنه جور عن الحق . يقول : هي في حكمها جائرة ، ولكن قدها معتدل لاجور فيه .
 (٣) يقول : كأن الحزن يشق قلبي ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتني ، يعني كلما هجرتني واصل الحزن قلبي وعلق به . هذا : وقوله « مشغوف » روى بالعين المهملة ، وبالعين المعجمة ؛ وقد قرئ قوله تعالى « قد شغفها جبا » بالعين وبالنون ، فمن قرأها بالعين فعناء تيمها ، ومن قرأها بالنون يعني أصاب شغاف قلبها أو غشى الحب قلبها ؛ وشغاف القلب وشغفه : غلافه . قال قيس بن الخطيم :

إِنِّي لِأَهْوَاكِ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ قَدْ شَفَّ مِنِّْي الْأَحْشَاءُ وَالشَّغَفُ
 أما الشغف : فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هني بالقطران يجد له لذة مع حرقة .
 قال امرؤ القيس :

لَتَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي
 « يعني أحرقت فوادها بحبي كما أحرق الطالبي هذه المهنوءة ففوادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة » :

كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي صُرُوفٌ لَمْ يُدْمِنْ عَلَيْهِ حَالًا^(١)
 أَشَدُّ النِّعَمِ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَتَقَنَّ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا^(٢)
 أَلِفْتُ تَرَخُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي قَتُودِي وَالْفُرَيْرِي الْجَلَالًا^(٣)
 فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا وَلَا أَرْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالًا^(٤)
 عَلَى قَلْقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي أَوْجُهَا جَنُوبًا أَوْ شِمَالًا^(٥)

(١) كذا: خبر مقدم عن «الدنيا» وصرُوف: خبر عن محذوف: أى هى صروف؛ والصرُوف: الأحداث: يقول: إن الدنيا كانت على من كان قبلى كما أراها الآن: أى كما هى على الآن، ثم بين ذلك فقال: هى صروف لا تدوم على حاله واحدة (٢) فى سرور: خبر «أشد» والجملة بعده: نعت سرور. يقول: إن السرور الذى يتقن صاحبه الانتقال عنه هو عندى أشد النعم لأنه يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور.

(٣) قنودى: جمع قند، وهو خشب الرحل، والفريرى: المنسوب إلى غرير، فحل من الإبل كان فى الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل والجلال: كالجليل—أى العظيم— كما يقال: طوال، وطويل. يقول: تعودت الارتحال حتى ألفتها، وصارت الرحال أرضا لى، لأنى أبدأ على الرحال، فهى لى كالأرض للمقيم.

(٤) المقام: مصدر ميمي، بمعنى الإقامة. وأزمع الأمر: وأزمع عليه: مضى فيه؛ وثبت عليه عزمه؛ وقال الكسائى: يقال أزمعت الأمر، ولا يقال أزمعت عليه. قال الأعشى:

أَزْمَعْتُ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا وَشَطَطْتُ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تَزَارَا

وقال الفراء: أزمعته وأزمعت عليه: بمعنى، مثل أجمعته وأجمعت عليه. يقول: ما طلبت الإقامة فى أرض لأنى أبدأ على سفر، ولا عزمى على الرحيل عنها. لأنى الرحيل إنما يكون بعد الإقامة، ولا إقامة لى حتى أرحل.

وقال ابن جنى: المعنى إذا كان ظهره — أى البعير — كالوطن لى فأنا — وبين جيت البلاد — كالقاطن فى داره.

(٥) على قلق: القلق الاضطراب؛ والجار والمحرور: فى موضع الحال من التاء فى ألفت؛ وبروى على قلق — بكسر اللام — أى بعير قلق. يقول: لا أستقر فى مقام

إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهَلَالَا^(١)
وَلَمْ يَنْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرَ وَلَنْ يَزَالَ
بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ لِكُلِّ مُعْتَبِرٍ حَسَنٍ مِثَالَا^(٢)
حُسَامٌ لِابْنِ رَائِقِ الْمُرْجِي حُسَامُ الْمُتَّقِي أَيَّامَ صَلَا^(٣)
سِنَانٍ فِي قَنَاءِ بَنِي مَعْدٍ بَنِي أَسَدٍ إِذَا دَعَوْا النَّزَالَ^(٤)

كأنى على ظهر الريح : أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال ، فعبّر بالريحين عن الجانبين ، وروى يميناً أو شمالاً ، فنكون بكسر الشين .
(١) غرة الشهر : أراد أول الشهر ؛ وإلى البدر : يروى إلى بدر بن عمار - بدون أل - لأنه علم . ومن روى البدر : أراد بدر السماء ، لا الاسم العلم ، يعنى إلى الرجل الذى هو كالبدر ، ثم نسيه إلى أبيه ، لأنه ليس بدرأ على الحقيقة ، وإن أشبهه : ألا ترى أنه قال لم يكن فى غرة الشهر الهلال ، ولا بدر إلا وكان هلالاً أولاً ؟ وهذا الذى عناه لم يكن هلالاً قط ، وقد فسر هذا بقوله : ولم يعظم لنقص « البيت » . وترك التنوين من « عمار » ضرورة لسكونه وسكون اللام واللام فى قوله « لنقص » فى البيت التالى - بمعنى بعد كما فى قوله :

* بطول اجتماع لم نبت ليلة معا *

(٢) يقول : هو منقطع النظير لا مثل له ، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ماغاب عنك من المحاسن ، وذلك كالشجاعة مثلاً والجود والحسن ، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر ، ولكن هذه مع كونه يشبهها فى بعض صفاته لاشيء منها يشبهه فى جميع صفاته . يعنى أنه لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة فى أشياء كثيرة : فكفه كالبحر ، وقلبه وعضده كالأسد ، ووجهه كالبدر .
(٣) حسام : أى هو حسام : سيف قاطع ؛ وحسام - الثانى - بدل من ابن رائق . يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ؛ الذى كان حساماً للعتيق لله الخليفة العباسى حين صال به على بنى البريدى ، وقد كان التقي حاربهم به فى خبر ليس هذا موضعه .
(٤) بنو معد : هم العرب ، لأن نسبهم ينتهى إلى معد بن عدنان . وبني أسد : بدل من قوله بنى معد ، وهم رهط الممدوح . قال الواحدى : يقول إن الممدوح سنان فى قنأ العرب الذين هم بنو معد ؛ ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بنى معد : بنى أسد فكأنه قال : هو سنان قنأ بنى أسد عند الحرب ؛ والنزال : منازلة الأقران -

أَعَزُّ مُغَالِبٍ كَفًّا وَسَيْفًا وَمَقْدِرَةٌ وَنَحْمِيَّةٌ وَالْأَلَا^(١)
وَأَشْرَفُ فَأَخِيرِ نَفْسًا وَقَوْمًا وَأَكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمَّا وَخَالًا^(٢)
يَكُونُ أَحَقُّ إِثْنَاءٍ عَلَيْهِ عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا مُحَالًا^(٣)

بعض إلى بعض - من الخيل عند شدة القتال . يقول : هو رئيسهم وصدرهم الذى به
قاتلون ، وفى مثل هذا المعنى يقول النامى - وقد قصر عنه للتنبي - :

إِذَا فَاخَرَتْ بِالْمَكْرُمَاتِ قَبِيلَةَ فَتَغْلِبُ أَبْنَاءَ الْمُلَى بِكَ تَغْلِبُ
قَنَاءَ مِنَ الْعَلِيَاءِ أَنْتَ سِنَانُهَا وَتِلْكَ أَنَا يَبِيبُ إِلَيْكَ وَأَكْغُبُ

وقال بعض الشراح : بنى أسد : بدل من قناء ، ثم قال : جعل بنى أسد - وهم رهط
المدوح - قناء - أى رحا - لبنى معد ، وجعل المدوح سناناً لهذه القناء : يعنى أن
المدوح عزة لقومه ، وهم عزة لسائر العرب . وروى بعض الشراح بنى أسد : بنى أسد -
على أنه جمع أسد - وقال : يعنى أن بنى معد هم بنو أسود : أى شجعان ؛ وقال ابن جنى :
يجوز أن يكون بنى أسد : منادى مضافاً : يعنى أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء ، قالوا
يا بنى أسد ، فيقوم لهم قولهم فى الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب فى قناتهم ، لأنهم
إذا دعوهم أغنوا عنهم .

(١) أراد بالعزيز - ههنا - الغلبة والامتناع ؛ ومقدرة - بتثليث الدال - أى قدرة :
وحماية . بمعنى حماية أى حماية الجار والحليف ومن يحق الذود عنه ؛ ويجوز أن تكون بمعنى
الحمية : أى الأنفة وعزة النفس . ونصب المنصوبات الخمس على التمييز . يقول . هو أعز
من يغالب الأقران كفاً ، لأن يده فوق كل يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق
قدرة الناس ، وحمايته لمن يحق عليه الذود عنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه
أغلب وأعز به من آل غيره .

(٢) منتم : منسوب . يقول : هو شريف حسيب إذا انتمى كان له الشرف
هن أبيه وأمه .

(٣) الإثناء : مصدر أنثى عليه . يقول : إن المدح الذى يستعظم للدنيا وأهلها حتى
يكون لإفراطه محالاً عليها إذا أطلق عليه كان حقاً ، لاستحقاقه غاية الثناء . وبعبارة
أخرى : إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان
النسبة إليهم محالاً . يعنى أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء .

وَيَبْقَى ضَعْفٌ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتْرِكْ أَحَدٌ مَقَالاً^(١)
 فَيَا أُنَّ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَدَنٍ
 مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ الشَّمَالاً^(٢)
 وَيَا أُنَّ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ عَضْبٍ مِنْ الْعَرَبِ الْأَسَافِلِ وَالْقِلَالِ^(٣)
 أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَوَوْا بِذَمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْمُضَالَا^(٤)
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرَّةً مَرِيضٍ يَجِدُ مُرّاً بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالَا^(٥)

(١) ضعف الشيء : أن يزداد عليه مثله ؛ ويترك : يفتعل ، من الترك . يقول : إذا مدحه الناس غاية ما قدرُوا عليه حتى لم يترك أحد مقالا : بقى ضعف ما قالوه من المحاسن يعني للمداح والثني لا يبلغ في مدحه ما يستحقه ، كما قالت الخنساء .

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ تَحْوِكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلَ
 وقال أبو نواس :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَأَنْتَنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُنْتَنِي

(٢) بكل لدن : أى بكل رمح لين للهز ، ومواضع : منصوب على الظرفية ، مضاف إلى الجملة بعده . يقول : يا ابن الطاعنين بكل رمح صدور الأبطال ؛ وهذا ينظر إلى قول البحترى .

وَأَتَبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحَقْدُ

(٣) العضب : السيف القاطع ؛ والقلال : جمع قلة ، أعلى الشيء والمراد هنا : الرءوس يقول : يا ابن الضاربين بكل سيف رءوس العرب وأرجلها قال ابن جني . وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس في قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل أراد بالأسافل اللثام ، وبالقلال : السكرام ؛ أى ابن الذين يضربون الشريف والدنيء فلا تتركون أحداً ، أو لا يهابون أحداً .

(٤) المتشاعرون : الذين يدعون الشمر وليسوا من أهله . وغرى بالشيء : أولع به ، والداء المضال : الذى لا دواء له يقول : إنه داء لهم يستقيمون به حسداً ، ولذا لا يمكن أن يحمده .

(٥) الزلال : العذب الصافي الذى يزل في الحلق . وهذا مثل ضربه . يقول : مثله يبعث كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرارة فمه ، كذلك هؤلاء إنما يذمونى

وَقَالُوا هَلْ يُبْلَغُكَ الثَّرِيَا فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ أُسْتَفَالَا^(١)
 هُوَ الْمُنَى الْمَذَاكِي وَالْأَعَادِي وَبَيْضَ الْهِنْدِ وَالشَّمْرَ الطَّوَالَا^(٢)
 وَقَائِدَهَا مُسَوِّمَةً خَفَافَا عَلَى حَيٍّ تُصَبِّحُهُ نَقَالَا^(٣)
 جَوَائِلَ بِالْقُسْنِيِّ مُتَقَفَاتٍ كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذَّبَالَا^(٤)

لنقصانهم وغبائهم وعدم إدراكهم فضلى وشعوى ، فالنقص فيهم لا فى ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلى ؛ قال حكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

(١) يقول إن الحساد قالوا الى حسداله على ولى عليه : هل برفعك المدوح إلى الثريا ؛ إنكارا لأن يبلغنى بخدمته منزلة رفيعة ، فقلت : نعم يبلغنيها إذا أردت أن أنحط عن منزلى : أى أنه رفعه إلى ما فوق الثريا فإن استفل وأنحط رجع إلى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة المدوح . وهذا تخيل بديع . هذا : وسميت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا ؛ قيل لغزارة نوبها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكانت كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل ، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة ، وهو تصغير على جهة التكثير ، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد ، وقد ظن العطوى الشاعر كواكب الثريا ستة فقال :

خَامِلٌ إِنِّى لِلثَّرِيَا لِحَاسِدٍ وَإِنِّى عَلَى رِيبِ الزَّمَانِ لَوَاجِدٍ

أَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلَهَا وَهِيَ سِتَّةٌ وَأَفْقِدُ مَنْ أَحْبَبْتَهُ وَهُوَ وَاحِدٌ

(٢) المذاكى : الخيل السنة ، وهى التى أى عليها بعد قروحها سنة . وببيض الهند : السيوف . والسمر : الرماح . يقول : هو الذى ينفى هذه الأشياء بكثرة الحروب ؛ وعبارة المكبرى : هو مفنى الخيل والأعداء بالطراد فى الحروب ، وقيل بالهبة والسيوف والرماح بالضرب والطمع ، ويجوز بالهبة .

(٣) قائدها : معطوف على المعنى ؛ والضمير : للمذاكى ؛ والسومة : العملة . يقول : وهو قائد الخيل خفافا فى الركض نقالا على الحى الذى تحمل بساحته صباحاً للغارة ، أى نقالا على الأعادى .

(٤) جوائل : بدل من مسومة ، وهى جمع جائلة : أى مترددة ، وجوائل بالقى ، أى تجول بأرماح فرسانها ، والقى : جمع القنا . ومتقفات : أى مقومات بالتقف ، وهو الحديد الذى يسوى به الرمح . والعوامل : مايل الأسته والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة التى فى السراج . شبه أسننها فى اللعنان بالفتائل .

إِذَا وَصَّيْتُ بِأَيْدِيهَا صُخُوراً يَفْنَى لَوْطُءُ أَرْجُلَيْهَا رَمَالاً^(١)
جَوَابُ مُسَائِلِي آلِهِ نَظِيرُ وَلَا لَكَ فِي سُوءِ الْإِكِّ لَا أَلَا^(٢)
لَقَدْ أَمِنْتُ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسُ تَعْدُ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالاً^(٣)
وَقَدْ وَجِلْتُ قُلُوبُ مِنْكَ حَتَّى غَدَّتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وَجَالاً^(٤)

(١) يفنى : يعدم ويرجعن ؛ ويروى : يقين . يقول : إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتتت من شدة وطأتها فصارت رمالا ، كما قال ابن المهزب :

* كَأَنَّ حَصَى الصَّيَّانِ مِنْ وَقْعِهَا رَمْلٌ *

(٢) جواب : مبتدأ ؛ خبره : عجز البيت ، وقوله آله نظير : في محل نصب حكاية السؤال . يقول : إذا سألتى سائل فقال : هل لهذا المدوح نظير ؟ جوابه : لا ، ولا لك أيضاً نظير في هذا السؤال ، لأن أحداً لا يجهل هذا غيرك ، فأنت في جهلك به بلا نظير . وأراد « لا » و« لا لك » فأخر المظوف عليه ضرورة ، كما قال الأحوص :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ^(١)

وكرر النفي بقوله « ألا لا » إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه

(٣) الإعدام : الإقتار والفقر . يقول : كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالا لها تأمن الفقر لأنك تبلغها آمالها ألبنة .

(٤) وجالا : جمع وجل - بكسر الجيم - أى خائف يقول : خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلّت أوجالهم ، وهذا كقولهم : جن جنونه ، قال :

جُنُونُكَ كَجُنُونِ وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ طَلِبِيًّا يَدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

(١) بعده :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَخَبَرُونِي هُنَا مِنْ ذَاكَ تَكْرَهُهُ الْكَرَامُ
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسٍ إِذَا هُوَ لَمْ يَخَالِطِ الْحَرَامُ
وَالنَّخْلَةُ : كناية جميلة عن المرأة ؛ وكفى بالهناة عن الرفث .

سُرُورُكَ أَنْ تَسْرَهُ النَّاسَ طَرًّا تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلَالَ^(١)
 إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ الشُّوْالَ^(٢)
 وَأَسْعَدُ مَنْ رَأَيْنَا مُسْتَمِيعٌ يُنِيلُ الْمُسْتَمَاعَ بِأَنْ يَنَالَ^(٣)
 يُفَارِقُ سَهْمَكَ الرَّجُلَ التَّلَاقَ فَرَّاقَ الْقَوْسِ مَا لَاقَى الرَّجَالَ^(٤)
 فَمَا تَقِفُ السَّهَامُ عَلَى قَرَارٍ كَانَ الرَّيْشَ يَطْلُبُ النَّصَالَ^(٥)

(١) يقول : إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسر جميع الناس :
 وإذا كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ،
 لأنه لو قال أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه . فهم يدلون عليك ،
 إذ عرفوا منك هذا .

(٢) يقول : أنت لكرمك تحب العطاء ، فإذا سألوك شكرتهم على السؤال وعدتة
 منة عليك لحبك العطاء ، وإن هم سكتوا سألتهم أن يسألوك حتى لا يفوتك
 لذة العطاء .

(٣) الاستراحة : طلب العطاء ؛ والسباحة ، الجود . يقول أسعد الناس سائل يعطى
 مسئوله بأن ينال منه شيئاً ، يعني أن مسئوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئاً .
 والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معط يرى أن الأخذ منه عطاء له فبراء حقا عليه
 ويسر بذلك . قال البحرى :

فَيَكُونُ أَوَّلَ سَنَةٍ مَأْتُورَةً

أَنْ يَقْبَلَ الْمَمْدُوحُ رِفْدَ الْمَادِحِ

(٤) « ما » نافية ، والجملة بعدها : حال من ضمير السهم محذوفاً ، والتقدير فراقه
 للقوس وهو ملاقى الرجال . يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذى يلاقيه نافذاً منه ،
 وفيه نفس القوة التى فارق بها القوس حين لم يلاق أحداً بعد : أى إذا رمى رجلاً بسهم
 خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس يصفه بشدة نزع القوس
 وقوة الرمي وانطلاق السهم ؛ ويجوز أن تكون « ما » ظرفاً ، كأنه قال : يكون الأمر
 كذلك مدة ملاقاته الرجال ، كما تقول : لا أكلك ماطر طائر .

(٥) النصال ، جمع نصل ، الحديد التى تكون فى السهم . يقول : إن سهامك إذا
 رميتها لاتقف عن مسيرها ، فكان ريشها يطالب نصالها ليدركها ففى تنضى أبداً ، لأن
 الريش لا يدرك النصل ، لتقدم النصل عليه .

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى وَجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى^(١)
وَأَقْسِمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَهُ شَيْئاً^(٢)
أَقْلَبُ مِنْكَ طَرَفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ طَلَعْتَ كَوَاكِبَهَا خِصَالاً^(٣)
وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَأَ وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمُهْدِ الْكَمَالَ^(٤)

* *

وهذا من قول ليلى الأخيلية :

وَمَا أَنْ رَأَيْتَ الْخَلِيلَ قُبْلًا تَبَارَى بِالْخُدُودِ شِبَا الْعَوَالِي
نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ^(١)

فقل المعنى من الخيل والحدود والعوالي : إلى السهام والريش والنصال .

(١) جاره : جرى معه ؛ وعلاه : غلبه في العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا في مراحل الساعي والكارم حتى شأوتهم فليس يجاريك أحد ، وعلوت حتى جاوزت العلو المألوف فليس يعاليك أحد ، إذ لا يبلغ أحد مبلغك . ويجوز أن يكون معنى السابقين : الأولين : أي الذي غبروا ومضوا .

(٢) يفضله على جميع الناس ، ويقول : إنه لو كان يمين شيء ماصلح الناس كلهم أن يكونوا شمالاً لذلك الشيء ، وفي مثل هذا المعنى يقول أبو النجم :

لو كان خلقُ الله جنباً واحداً وكنت في جنبٍ لكنت زائداً

نباهة وناثلاً ووالداً

(٣) يقول أنت في علو قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالاً ، جله كالسما ، وخصاله في الشهرة والحسن نجومها ، كما قال البحتري :

وبلوتُ منك خلائقاً محمودةً لو كُنَّ في فلكٍ لَكُنَّ نجوماً

(٤) وأعجب : عطف على أقلب - في البيت السابق - وتنشأ : أصله تنشأ - بالهمز - فلينه للوزن ، وأراد أن تنشأ ، خذف « أن » . يقول : أنت قد ولدت كاملاً ، فكيف استطعت أن تزداد بعد الكمال ؟

(١) قالت ليلى هذين البيتين في فائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل ؛ وقد مر شرحهما .

وخرج بدر بن عمار إلى أسد ، فهرب الأسد منه ، وكلّنه قد خرج قبله إلى أسد آخر ، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع . وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضر به بالسوط ، ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

فِي الْخُدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرُهُ تَزِيدُهُ بِالْخُدُودِ مُحُولًا^(١)
يَا نَظْرَهُ نَفَتِ الرِّقَادَ وَغَادَرَتْ فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيَّيْتُ فُلُولًا^(٢)
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُؤْلِي إِنَّمَا أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِي سُؤْلًا^(٣)

(١) أن عزم : أى لأجل أن عزم . والخليط : الذى يغالطك ويعاشرك ، والمراد به الحبيب ؛ والخليط أيضا : القوم الذين أمرهم واحد ؛ قال الشاعر :

إِنْ خَلِيطَ أَجْدُوا الْبَيْنَ فَانْجَرِدُوا وَأَخْلَفُوكَ عِدَى الْأَمْرِ الَّذِى وَعَدُوا
وجمع الخليط : خلطاء وخلط ، قال وعلة الجرى فى جمعه على خلط :

سَائِلَ مجاورَ جَرَمٍ هل جنيت لهم حرباً تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَسِيرَةِ الْخُلِّ
يقول : إن فى خده - لأن عزم الحبيب فراقاً - مطرا - يعنى الدمع - تزيد الحدود به محولا - جدبا - ومحول الحدود : شحوبها وتخذد لها وفهاب نضرتها والطر من شأنه أن تخبب به البلاد ويخضر العشب ، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَوْ نَبَتِ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعٍ لَكَانَ فِي خَدَيَّ الرِّبْعُ

(٢) نفت : أذهبت . وغادرت : تركت . والفلول : الثلوم : أى ما يلحق حد السيف من كثرة الضرب . يقول : إن نظرتة إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثه السهاد وذهبت بحدة قلبه ، يعنى أثرت فى لبه ، وعبارة بعض الشراح : وترك قلبه كالسيف للفلول لا يقوى على مقاومة النوايب واتقائها ، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة : النظرة الأولى التى نظرها الحبيب وسببت له العشق والهيام .

(٣) الضمير فى «كانت» : للنظرة ، والكحلاء : السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما يطلبه الإنسان ويتمناه ، وهو خبر «كانت» ومن الكحلاء : متعلق بسؤل ؛ ولين السؤل - فى آخر البيت - للفاية . يقول : كانت هذه النظرة مرادى ومطلوبى من

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَبِيلًا^(١)
وَأَرَى تَذَلُّكَ الْكَثِيرَ مُحِبًّا وَأَرَى قَلِيلَ تَذَلُّلٍ تَمْلُولًا^(٢)
تَشْكُو رَوَادِفَكَ الْمَطِيَّةَ فَوْقَهَا
شَكْوَى الَّتِي وَجَدْتُ هَوَاكَ دَخِيلًا^(٣)
وَيُعِيرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا^(٤)

هذه المرأة السكحاء . ولكنها كانت في الحقيقة أجلى تصور مرادا في قلبي ، يعني أن نظرته إليها حال التوديع ذهبت بنفسه وأنت عليه .

(١) الجفاء : الإعراض ، وقد ضمنه معنى النبو والامتناع ، ولذلك وصله بعلی . والنوى : البعد . يقول : إني أجد إعراضى عن النساء مروءة إلا عنك ، والصبر على نازلة جميلا إلا على بعدك ، كما قال البحترى :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِلَّا عِنْدَ فُرْقَةٍ مَنْ بَيْنَهُ صِرْتُ بَيْنَ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ
(٢) يقول : إني آمل دلال غيرك وإن قل ، وأحب دلالك وإن كثر ، كما قال جرير :

إِنْ كَانَ شَأْنُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنُ دَلَالِكِ يَا أَمِيمَ جَمِيلُ
(٣) الروادف : السكفل وما حوله ، جمع رادفة ، لأنها تردف الإنسان : أى تكون خلفه ، كالرديف الذى يكون خلف الراكب . يقول : تشكو المطية تقلد روادفك فوقها شكوى النفس التى وجدت هواك مداخلها ، يعنى العاشق لها ، يعنى نفسه .

(٤) يقول - مخاطباً حبيته - : يحملنى على الغيرة جذبك زماهاها إليك لأنها تقلب فيها إليك كأنها قبله ، كما قال مسلم بن الوليد :

وَالْعَيْسُ عَاطِفَةُ الرُّؤُوسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبُنَّ نِيرُ مُحَمَّدٍ فِي الْأَحْلُسِ
هذا ، والغيرة : الحمية والأتفة ، لعلها من غار النهار : إذا اشتد حره ، يقال : غار الرجل على امرأته ، والمرأة على بعلها تغار غيرة وغيرا وغاراً وغياراً ؛ قال أبو ذؤيب يصف قدوداً :

لَمَنْ نَشِيجٌ بِالنَّشِيلِ كَأَنَّمَا ضَرَّارُ حَرَمِيٍّ تَفَاحَشَ غَارَهَا^(١)

(١) نشل اللحم من القدر : انتزعه منها وهو النشيل ، والنسبة إلى الحرم حرمة ، وهو من العدول الذى يأتى على غير قياس . قال المبرد : يقال امرأة حرمية وحرمة

حَدَقُ الْحَسَانَ مِنَ الْغَوَائِي هِجْنِي لِي يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةٌ وَغَلِيلًا^(١)
 حَدَقُ يُذِمُّ مِنَ الْغَوَائِلِ غَيْرَهَا بَذَرُ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ إِسْمَاعِيلًا^(٢)
 الْفَارِجُ الْكَرْبَ الْعِظَامَ يَمِثْلُهَا وَالْقَارِكُ الْمَلِكُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(٣)

وأغار الرجل أهله : تزوج عليها فغارت ، والعرب تقول أغير من الحمى : أى أنها تلازم المحموم ملازمة الفيور لبعليها . هذا : والغم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة ، فإذا أضيف قلت فوقك وفالك وفيك ، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب ، قال :

كلحوت لا يكفيه شيء يلهمه يصبح عطشان وفي البحر فيه

(١) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم ، وواحدة الحسان : حسناء . والغوائى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التجميل . والصبابة : رقة الشوق . والغليل : حرارة العطش ، والمراد به هنا : لاجع الوجد .

(٢) حدق : خبر عن محذوف ، يرجع إلى حدق - الأولى - ويذم : يجير ويعطى القدام ؛ وغيرها : يجوز فيه النصب على الاستثناء ، أو الحال ، والجر على التبعية . وبذر ابن عمار . فاعل يذم . يقول ، إنه يجير من كل ما يقتل إلا من أهداق الحسان ، فإنه لا يستطيع الإجارة منها ، كما قال .

وَقَى الْأَمِيرُ هَوَى الْعِيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِيَّاسِهِ وَسَخَائِهِ
 وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده فى قوله .

فَلَوْ طَرَحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحَسَانَ

(٣) يقول : إنه يفرج الكرب العظيم عن أوليائه بإزال مثلها بأعدائه ، يعنى أنه يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم لينقى أوليائه فيزيل عنهم الفقر . ويقال فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرج يفرج تفرجاً : إذا أزال عنه الغم وكشفه ، والكريب وما بعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل ، وروى بالحذف تشبيهاً بالحسن الوجه .

وأصله من قومهم ، وحرمة البيت وحرمة البيت : قالوا إن أهل الحرم - وهم قريش - أول من اتخذ الضرائر . شبه غليلة القدور بصنوب الضرائر

مَحَكْ إِذَا مَطَلَ الْفَرِيمُ بِدَيْنِهِ جَمَلَ الْحَسَامِ بِمَا أَرَادَ كَفَيْلًا^(١)
نَطَقُ إِذَا حَطَّ الْكَلَامُ لثَامَهُ أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولًا^(٢)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا^(٣)

(١) المحك : اللجوج . والمحك اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوهما ، وقد محك يمحك ومحك محكا ومحكا فهو ماحك ومحك ومحك وتماحك البيعان والحصان تلاحا ، قال الفرزدق يهجو جريرا :

يا ابن المراغة والهجاه إذا التقت أعناقهُ وتماحك الحصان
ما ضرَّ تَلَبَّ وإِثْلٍ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بُلْتُ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانُ^(١)
يقول . إنه يلج في تقاضى ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى في ذلك ؛ فإذا مطلوبه بهذا الدين جعل سيفه كفيلا له بقضائه ، يعنى إذا لم يخضعوا له طوعا أخضعهم قهرا .

(٢) النطق - كالنطق - اللسان البليغ ؛ والضمير في « لثامه » . للممدوح ، قال الواحدي . وكانت العرب تتلثم بهما معا ، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن عن أفواههم . يقول : إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطق قلوب السامعين عقولا ، يعنى أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .

(٣) قال ابن فورجه : يعنى أن الزمان سخا - جاد - به على وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمي إليه وهدايتي نحوه ، والصراع الأول من قول ابن الحياط .

لَمَسْتُ بِكُنْفِي كَفَّهُ أَبْغَى الْغَنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدَى
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغَنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي
وقال أبو تمام :

علمني جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ
وقال أيضا :

لَسْتُ بِمَحَبِّي مُصَافِحًا بِسَلَامٍ إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ مَالِي

(١) المراغة : الأتان التي لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير فسماه ابن المراغة : أى يتمرغ عليها الرجال .

وَكَأَنَّ بَرْقًا فِي مُتُونِ عَمَامَةٍ هِنْدِيَّةٍ فِي كَفِّهِ مَسْلُولاً^(١)
وَتَحُلُّ قَائِمُهُ يَسِيلُ مَوَاهِباً لَوْ كُنَّ سَيْلاً مَا وَجَدَنَّ مَسِيلاً^(٢)

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان ، والصراع الثاني من قول أبي تمام :
هِنَهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمَثَلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمَثَلِهِ لِبَخِيلٌ
وقال ابن جني : للمعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود
ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه ، فإن قيل :
السخاء لا يكون إلا في الوجود ، وهذا معدوم فالجواب : أن الزمان كأنه علم ما يكون
فيه من السخاء إذا وجد ، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده . ولولا
ما تصور من السخاء لبقى أبداً بخيلاً ، والشيء إذا تحقق كونه لا محالة أجرى عليه في
حالة عدمه كثير من الأوصاف التي يستحقها بعد وجوده قال ابن فورجه : هذا تأويل
فاسد وغرض بعيد ، والسخاء بغير الوجود لا يوصف بالعدوى ، ثم فسر البيت بما
أسلفنا . هذا والسخاء الجود ، يقال سخا يسخو سخاء وسخا وسخى يسخى سخاء
وسخوة قال الجوهري وقول عمرو بن كلثوم

مشعشة كأن الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا^(١)

أي جدنا بأموالنا ، قال وقول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال
فليس بشيء .

(١) جعل اسم «كأن» نكرة ؛ وخبرها معرفة ضرورة . والتون جمع متن ، وهو
الظهر . والغامة السحابة . والهندي السيف المصنوع من حديد الهند ، وفي كفه ومسلولاً
حالان . وقد عكس التشبيه في هذا البيت ، لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق ، وهنا
شبه البرق بالسيف فقال كأن برقاً في ظهور الغمام سيفه إذا سلّه في يده ، مبالغة في
بريقه ولعانه .

(٢) محل قائمه أي قبضه هو يد المدوح ؛ ومواهبا تميز .
يقول : إن كفه تسيل نعماً وهبات لو كانت مطراً لما وجدت موضعاً تسيل فيه لسكنتها
ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام :

(١) شمع الشراب مزجه بالماء ؛ والحص الورس ، نبات له نوار أحمر . يشبه
الزعفران ، يقول اسقني الخمر بمزوجة بالماء كأنها من شدة حررتها بعد امتزاجها بالماء
ألقي فيها نور هذا النبات الأحمر ، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا .

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهَنَّ كَأَنَّهَا

يُمْدِنَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نُحُولًا^(١)
 أُمَقَّرَ اللَّيْثُ الْهَزَبُ بِسَوْطِهِ لِمَنْ أَدَخَرَتْ الصَّارِمَ الْمَصْفُولًا^(٢)
 وَقَعَتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولًا^(٣)
 وَرَدُّ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ شَارِبًا وَرَدَ الْفُرَاتِ زَيْبُهُ وَالنَّيْلًا^(٤)
 مُتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا يَسُ^(٥) فِي غِيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيْلًا

أفاد من العُلْيَا كُنُوزًا لو أنها صَوَامِتَ مَالٍ مَا دَرَى أَيْنَ تَجْمَلُ

(١) مضاربه - جمع - مضرب - حد السيف الذي يضرب به الرقاب ؛ ويبدن : يظهرن . أراد : أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق لأنه أدعى الأشياء إلى الزوم والرقبة . يقول : إن سيوفه رقيقة ماضية ، فكأنما هي - لرقبتها - تبدى نحولا من عشقها الرقاب ، كما ينحل العاشق من جراء العشق ؛ وعبارة بعض الشراح : يصف هذا السيف بالرقبة والمضاء . يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولا ، فرقتها من ذلك النحول .

(٢) عفره : مرغه في التراب . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . وكان بدر بن عمار - كما أسلفنا - هاج أسدا عن بقرة قد افترسها فوثب على كفل فرسه وأعججه عن سل السيف فضربه بسوطه ، ودار الجيش به فقتله . يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط - وهو أشد الحيوان بأسا - فلن خبأت سيفك ؟

(٣) نضدت : جمع بعضها فوق بعض ؛ والهام : الرؤوس . والرفاق : جمع رفقته : الجماعة في السفر . وتلولا : حال : أي مماثلا للتلول ، جمع تل : الجبل الصغير . يقول : إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر ، فقد عصفت بالساافرين وأكثر القتلى منهم حتى ترك رؤوسهم كالتلول المجتمعة من التراب .

(٤) الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة ، وكذلك الأسد . والمراد بالبحيرة : بحيرة طبرية ؛ والزئير : صوت الأسد . يقول : إذا زار في طبرية بلغ زئيره العراق ومصر ، وقد جانس بين ورد وورد .

(٥) الغيل : الأجمة - الغابة - واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلطخ بدمائهم ، ثم قال : وهو من غيله من الشجر

مَا قُوِيَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنْتُ أَنَّ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولاً^(١)

كأنه في غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما طي كنفه من الشعر. وكثرته. شبه لبدتيه بالغابة.

(١) الفريق : الجماعة ، وهو أكثر من الفرقة ؛ وحلولا - أى حالين نازلين - حال من « الفريق » ؛ وتحت الدجى : في موضع الحال من نائب « ظننتا » . يقول : ما استقبلت عين هذا الأسد في الظلام إلا ظننت نارا أوقدت لجماعة نزلوا موضعا ؛ وهو معلوم أن عين الأسد وعين السور وعين الحية تترأى في ظلمة الليل بارقة هذا : وقد قلنا إن « حلولا » حال من الفريق ، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف وإن كان قد جاء في شعر العرب القدامى ، كقول النابغة الجعدي من قصيدة يصف فرسا :

كَأَنَّ حَوَامِيَهُ مُدْبِرًا خَضِبْنَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَخْضِبُ
حِجَارَةَ غَيْلٍ بِرَضْرَاضَةٍ كَسَيْنَ طِلَاءً مِنَ الطَّحْلِبِ^(١)
وكقول زيد الفوارس :

عَوِذُ وَبُهْثَةٌ حَاشِدُونَ عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ^(٢)
وقول تابط شرا :

سَلَبْتُ سِلَاحِي بِأَسَاءٍ وَشَتَمْتَنِي فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبٍ^(٣)

(١) الحوامى : جمع حامية ، ما عن يمين الحافر وشماله ؛ وتخضب بدل من « تكن » والفيل : الماء الجارى على وجه الأرض ؛ والرضراضة : الأرض الصلبة شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة في ماء قليل وذلك أصلب لها . والنون من « كسين » للحجارة ؛ والطلاء كل ما يطلى به ، والطحلب ، خضرة تملو الماء المزمن ؛ ومدبرا حال من الماء في « حواميه » وهو محل الشاهد .

(٢) عوذ وبهثة . اسماء رجلين ، وحلق الحديد الدروع ، مضاعفا حال من « الحديد » وهو الشاهد وجائز أن يجعل « يتلهب » في موضع الحال ، ومضاعفا ، حال من المضمرب « يتلهب » . ويتلهب حال من الحلق ويتلهب أى يشعل استعير للمعان الدرع .

(٣) والشاهد هو مجيء بأساء حالا من المضاف إليه ، وهو الياء من « سلاحى » وجائز أن يكون حالا من مفعول « سلبت » المحذوف ، والتقدير سلبتني بأساء سلاحى

فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ
لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ^(١)
يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تَيْبِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ آسٌ يَجُسُّ عَلَيْهِ^(٢)
وَيَرُدُّ غُرَّتَهُ إِلَى يَأْفُوخِهِ حَتَّى تَصِيدَ لِرَأْسِهِ الْكَلِيلَ^(٣)
وَتُظَنُّهُ مِمَّا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولًا^(٤)
فَقَصَرَتْ خَافَتُهُ أَنْخَطَى فَكَأَنَّمَا
رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَهُ مَشْغُولًا^(٥)

(١) يقول : هو في غيلة منفرد انفراد الرهبان في متعبداتهم ، غير أنه لا يعرف حراما ولا حلالا . والأسد إذا كان قويا هزبراً لم يسكن معه في غيلة غيره من الأسود .
(٢) الثرى : وى البرى : التراب ، والتية : الزهو والعجب . والآسى : الطبيب والأسد لعزته في نفسه وقوته لا يسرع الشئ لأنه لا يخاف شيئا ، وقد شبهه في لين مشيه بالطبيب الذى يجس العليل - المريض - فإنه يرفق به ولا يجعل .
(٣) العفرة : الشعر المجتمع على قفاه . واليافوخ : الرأس . والإكليل : التاج . يقول : ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالأكليل ، وإنما يفعل ذلك إذا غضب واغتاظ يجمع قوته في أعلى بدنه .
(٤) نفسه : فاعل « تظنه » وزجر الأسد : ردد زئيره . ومشغولا : مفعول ثان للظن ؛ وعنها : صلة مشغولا يقول : إن نفسه تظنه مشغولا عنها لكثرة ما يزجر من عدة غضبه وغظه . ووقع في بعض الروايات : نفسه - بالنصب - أى يزجر لنفسه ؛ والرواية الأولى أصح .

(٥) القصر - هنا - ضد التطويل : والخافة : مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والخطى : جمع خطوه ، وهى مسافة ما بين القدمين ، والكمى : البطل المستتر فى سلاحه ؛ والمشكول : للمقيد بالشكال . قال الواحدى : وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وخج^(١) وبال . يقول : كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله^(٢) فلا يخطو ولا يتحرك خوفا منه ، قال : هذا تفسير الناس لهذا البيت ، قال : وقال ابن فورجه : المعنى لما خاف منك الأسد تقاصرت خطاه هية ونازعته نفسه إليك جراءة فخلط إقداما بإحجام ، فكأنه فارس

(١) فجح : باعد ما بين رجله ليقول (٢) الشكال الجبل الذى تشد به قوائم الدابة

أَلْتَقَى فَرَسَتَهُ وَبَرَبَرَ دُونَهَا ، وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلًا^(١)
فَتَشَابَهُ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفًا فِي بَذَلِكِ الْمَأْكُولَا^(٢)
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
مَتْنًا أَزَلَ وَسَاعِدًا مَفْتُولًا^(٣)
فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرِةٍ يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمَثِيلَا^(٤)
نِيَالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا تُعْطَى مَكَانَ جَلَامِهَا مَا نِيَلَا^(٥)

كَمْ رَكِبَ فَرَسَهُ مَشْكُولًا ، فَهُوَ يَهْجُوهُ لِلْإِقْدَامِ بِجَرَاءٍ ، وَالْفَرَسُ يَحْجُمُ عَجْزًا عَمَّا يَسُومُهُ
لِمَكَانِ شِكَاكِهِ .

(١) الفريسة : صيد الأسد ، وهو ما يفترسه . يريد البقرة التي هاجه عنها .
والبربرة : الصياح والبربرة - في الأصل - كلام المفضب استعارها لجريرة الأسد .
وخاله : ظنه . والتطفيل : الدخول على الآكلين من غير دعوة . قال الليث : التطفيل
سن كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل في الأعراس . يقول : لما قصدته ألقى
الفريسة وزجر دونها ، يعنى ذودا عنها ، لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه .
(٢) الخلقان : الطبعان . يريد خلق الأسد وخلق المدوح ، والضمير من «إقدامه»
للأسد . يقول : تشابهتا في الجرأة والإقدام وتخالفتا في أن الأسد شحيح بطعامه
وأنت جواد باذل له ، كما قال البحري .

شَارَكَتُهُ فِي الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَّلَتْهُ بِالْجُودِ مُحَقَّقًا بِذَلِكَ زَعِيمًا
(٣) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد ، والمتن : جانب الصلب ؛
والأزل : الأرسح - أى القليل لحم العجز والفخذين - وامرأة زلاء : لا عجيبة لها ؛
والسمع الأزل : الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع ، وهى صفة لازمة له
كما يقال الضبع العرجاء والمفتول الندمج الشديد كأنه قتل أى لوى - يقول : إن هذا
الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه محسوس ومساعدته مفتول فقد أشبهه منك
هذان العضوان .

(٤) ظامئة الفصوص : يعنى فرسا دقيقة الفاصل ليست برهلة رخوة . يقال خيل
ظماء الفصوص . والطمرة : الوثابة . يقول : قربت منه وأنت راكب في سرج فرس
بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأبى أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل .
(٥) نيالة : فعالة من النيل ؛ والطلبات : جمع طلبة - بفتح فكسر - الحاجة

تَذْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا أُسْتَحْضِرَتْهَا وَيُظَنَّ عَقْدُ عِفَانِهَا مَحْلُولًا^(١)
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ
حَتَّى حَسِبَتْ الْقَرْضَ مِنْهُ الطُّولًا^(٢)
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
يَبْنِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلًا^(٣)

والشيء المطلوب . ومكان لجامها : كناية عن رأسها ؛ وما نيل : نفى . يقول : إن هذه الفرس تدرك ما تطلبه لشدة حضرها - جريها - وهى طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام مانيل رأسها ؛ وقال الخطيب التبريزي : هذه الفرس إذا طلبت عدوا أو وحشا نالته ، وهى مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ما قدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

وَمُلْجَمُنَا مَا إِنْ يَنْأَلُ قَذَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنْأَمِلَهُ

(١) السوالف : جمع سالفه ، وهى صفحة العنق . واستحضرتها : من الحضرة ، وهو الركض . والعنان : سير الأجام . يقول : إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وما حوله ، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد ، لأنها لا تجاذبك العنان لمطاوعتها ، وقال الواحدى : يجوز أن يكون هذا وصفا لطول العنق ؛ يعنى أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، لأنه على قدر طول عنقها ، فيصير العنان كأنه محلول . وقال بعض الشراح : إنما تدبر عنقها ورأسها كيف شئت ، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان ، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدودا قدر الفارس على ضبطها ، قال الواحدى : وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد .

(٢) الزور : وسط الصدر حيث تلتقى عظامه ، عاد إلى وصف الأسد فيقول : ما زال هذا الأسد حين لقيك يجمع قوى نفسه فى صدره حتى صار عرضه فى قفاه طوله وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد .

(٣) يدق . يكسر ، والحجارة والحجارة والأحجار : جمع حجر ، وهو الصخرة ؛ والحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل هو فى أسفله ؛ وكتب يحيى بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعر الجبل ونحن بحضيضه ، وقال عمر عبدالعزيز : أجملوا فى الطلب ، فلو أن رزق أحدكم فى

وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَأَذَنِي لَا يُبْصِرُ أَلْطُفَ الْجَلِيلِ جَلِيلًا^(١)
 أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدُّنْيَةِ تَارِكٌ فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا^(٢)
 وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلًا^(٣)
 سَبَقَ التَّقَاءَ كُهُ يَوْثَبَةُ هَاجِمٍ
 لَوْ لَمْ تُصَادِمُهُ لَجَّازَكَ مِيلًا^(٤)

عرعره جبل أو حضيض أرض لأتاه قبل أن يموت ؛ وعرعره الجبل : أعلاه . يقول :
 إنه لغضبه يضرب الأرض بصدرة فيدق الحجر كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ
 سبيلا إلى قرارها .

(١) ادنى : اقل ، من الدنو : أى اقرب . يقول : كأن هذا الأسد غرته عينه
 ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هية لك ، ولكنه مغرور ، ظن الخطب
 الجليل - وهو مقاتلتك - غير جليل .

(٢) الأنف والأنفة : الاستنكاف ، قال ابن جني : من عادته - أى المتنبي - أن
 يعترض ما هو فيه بمثل يضربه إذا كان مسدداً لما هو فيه ، كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث جحّة أسنة قومٍ لضعافٍ ولا عُزل

فالحوادث جمة : جملة اعترض بها بين الفاعل وفعله ، وهو تسديد لما هو فيه . يقول : إن الكريم
 يأنف من الدنيا فلا يهرب ، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل في عينه : قال
 العكبري : وهذا عذر للأسد . يقول : لم يهرب الأسد وأنفته جعلت في عينه العدد
 الكثير قليلاً حتى كأنه في عينه قليل . وقال اليازجي يقول : إن أنفة الكريم في أن يغاب
 بالجن تحمل على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلاً ، يشير
 إلى ثبات المدح وإقدامه على الأسد خوفاً من عار الهزيمة .

(٣) مضاض : مؤلم موجه ؛ والحنف : الهلاك . يقول : إن العار موجه فمن خافه
 لم يخف الهلاك ، وهذا كقولهم من أنف من الدنيا لم يحجم عن الدنيا وهذا البيت مثل
 الذي قبله في الاعتراض كما قال ابن جني .

(٤) المصادمة مفاعلة من الصدم وهو الصك ، والليل من الأرض : قدر منتهى مد
 النظر ، وقيل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم ، والجمع : أميال وميول ،
 يقول : أنه أعجلك من التفاتك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند
 وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها .

خَذَلْتَهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ

فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلَ^(١)

بَصَتْ مَنِيتِهِ يَدَيْهِ وَعُنُقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَفَتْهُ مَغْلُولًا^(٢)

سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَتَجَايَهَرُوا مِنْكَ أَمْسٍ مَهُولًا^(٣)

وَأَمْرٌ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فَرَارُهُ ، وَكَقَتْلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا^(٤)

(١) خذله : خانه ولم ينصره ، وكأخه استقبله في الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة والتجديل : مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة . وهى الأرض : أى صرعه ، يقول : خاتته قوته حين قاتلته : أى ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك - الانقياد وترك الحصومة - وانطرح أمامك على الأرض ، فكأنه رأى النصر فى ذلك ، وهذا من التهمك .

(٢) مغلولا : أى مقيدا بالغل ، وهو القيد . يقول : إن منيته حانت على يدك فقبضت على يده وعنقه لا يستطيع وثوبا ولا فرارا ، فكأنك لقيته مقيدا . قال الواحدى : أساء أبو الطيب فى هذا حين لم يجعل أثرا للممدوح . ولا غناء فى قتل الأسد وقال كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه ، وقد أساء الواحدى فى نسبة الإساءة إلى التنبي ، لأن المعنى بديع - كما ترى - ولا غبار عليه .

(٣) الهرولة : الاضطراب فى العدو ؛ ومهولا : يريد خائفا مذعورا . وأراد بابن عمته : أسداً كان قد هرب منه بعد ذلك ؛ ولم يرد تحقيق النسب ، إنما أراد أسداً آخر من جنسه . يقول : لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفا منك .

(٤) مما فر منه : أى من الهلاك ؛ وكقته : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك ، لما فيه من الذل والنقيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل ، لأنه إنما سلم بالهرب ، والهرب : مثل القتل لدى الشجاع ، بل أمر به والمقتول بالسيف خير من المقتول بالذم واللعاب ، وهذا من قول أبى تمام :

أَلْفُوا الْمَنَايَا فَالْقَتِيلُ لَهُمْ
وَلَهُ أَيْضًا :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذْنَ

لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً

وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا^(١)

لَوْ كَانَ عَلَيْكَ بِالْإِلَهِ مُقَسِّمًا فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ إِلَهُهُ رَسُولًا^(٢)

لَوْ كَانَ لَفُظُكَ فِيهِمْ مَا أُنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيَهُمْ لَمْ يَغْرِفُوا التَّأْمِيلَ^(٣)

(١) الخلّة : الخليل ، يستوى فيه الذكر والمؤنث ، وكذلك الواحد والجمع ، لأنه في الأصل مصدر قولك خليل بين الخلّة والخلوة . وقال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أَبْلَغًا خُلَّتِي جَابِرًا بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلْ

تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ وَأَخْرَى يَوْمِي فَلَمْ يَعْبَلْ^(١)

ومثله قول الحماسي :

أَلَا أَبْلَغًا خُلَّتِي زَاشِدًا وَصِنَوِي قَدِيمًا إِذَا مَا تَصَلَّ^(٢)

يقول : إن تلف الأسد الذي اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذي فر منك ، ووجب إليه الفرار .

(٢) يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولا يدعوهم إليه ويعلمهم دينه ، وقد أفرط في هذا البيت والذي بعده وتجاوز الحد

(٣) يقول : لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لكانوا لا يعرفون الأمل ، لأن الوجود لا يؤمل : أي فكانوا يستغنون بما نالوا منك ، لأنك تعطى فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك ، وقد أخذ ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال :

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلَهُ تَرَكَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

هذا وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب - وهو تعطيهم الثانية - ضرورة قال

(١) تقدم شرحهما .

(٢) يقول : أبلغا ابن عمي راشدا صديق من عهد قديم ، إذا وصلت إليه ؛ وبعده :

بَأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيحُ الْجَلِيلَ وَأَنَّ الْعَزِيزَ إِذَا شَاءَ ذَلَّ

فَلَقَدْ عُرِفْتَ ، وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً ،

وَلَقَدْ جُهَلْتَ ، وَمَا جُهَلْتَ مُخَوَّلًا^(١)

نَطَقْتَ بِسُوءِ دُذِّكَ الْحَمَامُ تَفَنِّيًا ، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلًا^(٢)

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ لِلْمَعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فَخُولًا^(٣)

وقال وقد نظر إلى جانبه خلمة مطوية فسأل عنها ف قيل هي خلع الولاية ، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلًا :

أَرَى مُحَلَّلًا مَطْوَاةً حِسَانًا عَدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا أَعْتِلَالِي^(٤)

العكبري : وهذا كثير إذا كان في حرفي العلة - الواو والياء - ومثله بيت الكتاب - كتاب سيويه - :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نِسَاءٍ يَتَمَاعَطِينَ الْوَرِقِ^(١)

(١) حقيقة منصوبة على التمييز ؛ وخولا : مفعول لأجله ؛ وحقيقة الشيء ما ثبت من أمره ؛ والحامل : الساقط الذي لا نباهة له ولا شهرة . يقول : إن الناس عرفوك بما ظهر من سخافتك وجودك ، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك ، لأنهم لا يبلغون كنه قدرك ، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك ، فليس جهلهم إياك لأنك حامل الذكر :

(٢) السؤدد : السيادة والرفعة . وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . يقول : قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلا عن العاقل ؛ فالحمام إذا غنت فإنما تنطق بسيادتك ، والحيل إذا صهلت فإنما تنطق بغزواتك التي تكلفها إياها ، والبيوع تنعيم وتأكيد للبيت السابق .

(٣) نافذاً وخولا : منصوبا بما على أنها حجازية ، والنفاذ جواز الشيء والخلوص ومنه نفذ ينفذ نفاذاً ونفذوا ، ورجل نافذ في أمره ونفوذ ونفاذ : ماض في جميع أمره وأمره نافذ : أي مطاع ، ونفذ السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها نفذاً ونفاذاً : خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسأثره فيه ، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً ونفذوا . يقول : ليس كل من رام الرفعة والمعالى يبالغها ، ولا كل الرجال بأبطال شعبان ، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده .

(٤) عداني : منعي ؛ واعتلالي : فاعل عداني ؛ وأراك بها : أي أراك وهي عليك

منظر السيرة
جهر حمة نوح

(١) يصف إبلا بسرعة السير والقرق المكان المستوى أو الذي لا حجارة فيه .

وَهَبَكَ طَوَيْتَهَا وَخَرَجَتْ عَنْهَا أَتَطْوِي مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ ^(١)
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِرُهَا الْأَعَالِي مَعَ الْأُولَى بِجِسْمِكَ فِي قِتَالِ ^(٢)
تُلَاحِظُكَ الْعُمُيُونَ وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْعِدَةَ الرِّجَالِ ^(٣)
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِي كَلَامٍ ؛ فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَاتِ الرَّمَالِ ^(٤)
وَأَنْتَ بِهَا ، وَإِنْ بِهِ لَنَقْصَا وَأَنْتَ لَهَا النَّهْيَاةُ فِي الْكَمَالِ ^(٥)

* * *

ومعك ، كما يقال خرج بثيابه ؛ وإنما قال هذا : لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها لأنه كان ذلك اليوم الذي لبس فيه الخلعة عيلا .

(١) يقول : افرض أنك طويتها ولم تلبسها . أتقدر أن تزيل جمالك ؟ يعني أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه ، فإذا طوى ثيابه بقي عليه من الجمال مالا يطوى ولا يزول .

(٢) يصفه حين كانت الخلع عليه : يريد بأعلى الثياب : ما ظهر منها للأعين . يقول أقامت أعلى ثيابك تحسد الذي يلي جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله فيبينهما قتال لذلك .

(٣) فيها : أى فى الحلل : أى إن العميون تنظر إليك نظر الحبة والسرور وأنت فى هذه الحلل كأنك فى قلوب أصحاب العميون ، وهى لباس عليك ، مكان تلك الحلل وقال ابن جنى : قوله كأن عليك الخ : أى فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده ؛ وقال ابن فورجه : يعنى استحسان القلوب لها وتعلقها به وبها من ناحية الاستحسان . وقال غيرهما : أى يديمون النظر إليك ، فإن العين تبع القلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه فالعميون إنما تنظر إليك لأن القلوب تحبك - كما قال ابن جنى - أو تستحسن الخلع - كما قال ابن فورجه .

(٤) يقول : فضائلك لا تحصى وإن قلت إنى أحصيتها فكأننى أقول إننى أحصى الرمل ، وهذا مالا تقبله العقول ، لأنه محال .

(٥) الضمير فى « بها » : للخلع . وفى « به » : للكلام . يقول : إن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال فى نفسها ، كما أن كلامى لا يزال ناقصا إذ لم يستوف فضلك ؛ وإنما تبلغ نهاية الكمال فى الحسن بلبسك إياها لأنها تتجمل بك .

وقال فيه أيضاً :

عَذَلْتُ مُنَادِمَةَ الْأَمِيرِ عَوَازِلِي

فِي شُرْبِهَا وَكَفْتُ جَبَابَ السَّائِلِ ^(١)

مَطَرْتُ سَحَابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوَانِحِي

وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ وَأَصْطِنَاعُكَ حَامِلِي ^(٢)

فَمَتْنِي أَقَوْمُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلُ فَيْكَ عُلوُّ قَدْرِ الْقَائِلِ ^(٣)

* * *

(١) العذل الملام ، وكفيته الأمر أغنيته عنه ، وأول مفعولى كفت محذوف أى كفتنى . يقول : من لأمنى على شرب الخمر لأمته منادمتى للأمير ، لأن منادمته شرف ، وليس للعاذل أن يعذل على ما يورث الشرف ، وأغنتنى جواب سائل يسأل فيقول : لم تشرب الخمر ، هذا : ويقال نادم فلانا منادمة ونداما : جالسه على الشراب فهو نديمه وندمانه ، قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر قد استعمله على ميسان :

فَإِنْ كُنْتُ نِدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي ، وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَشَلِّمِ
لِلْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَنَادُّمُنَا فِي الْجَوْسِقِ التَّهْدِمِ
وَجَمْعُ النَّدِيمِ : نَدَامٌ وَنِدْمَاءٌ ، وَجَمْعُ النَّدِمَانِ : نِدَامِي ، وَالْمَرْأَةُ نِدْمَانَةٌ ، وَالنِّسْوَةُ
نِدَامِي ، وَيُقَالُ : الْمُنَادِمَةُ مَقْلُوبَةٌ مِنَ الْمَدَامَةِ ، لِأَنَّهُ يَدْمَنُ شَرْبَ الشَّرَابِ مَعَ نَدِيمِهِ ،
لَأَنَّ الْقَلْبَ فِي كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ كَالْقَسَى مِنَ الْقَوُوسِ ، وَجَذَبٌ وَجِيذٌ وَمَا أَطْيِيهِ وَأَيْطِبُهُ ؛
وَخَزَنَ اللَّحْمَ وَخَزَنَ .

(٢) الجوانح الأضلاع التى تحت الترائب : وهى مما يلي الصدر . والاصطناع المعروف
بالإحسان . يقول : أروانى سحاب جودك ، أى أغنانى جودك . فحملت شكرك على
هذا الإحسان ، وإحسانك حملنى - لأنه كفاى المؤنة - وتحمل أنقالى .

(٣) أوليتنى ، أعطيتنى . ويعنى بالقائل : نفسه . ومتى سؤال عن الزمان ، كأنه قال -
منكراً - أى زمان أقوم بشكر ما أعطيتنى ؟ أى لا أقوم به ، لأنى كلما أئنتيت عليك
وشكرتك حصلت على نعمة لك جديدة ، وهو أن ذلك يكسبنى علواً ورفعة : أى أن
شكرك يرفع قدرى .

وقال يمدحه :

بَذَرْتُ فَتًى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤَالِهِ يَوْمًا تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ ^(١)
تَتَحَيَّرُ الْأَفْعَالُ فِي أَفْعَالِهِ ، وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِي إِقْبَالِهِ ^(٢)
قَمَرًا نَرَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِع مِنْ وَجْهِهِ وَبَيْنِهِ وَشِمَالِهِ ^(٣)
سَفَكَ الدَّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بَأْسِهِ كَرَّمَا لَأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَالِهِ ^(٤)

(١) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ، ثم رآه أبو الطيب يشرب ؛ فقال ارتجالا :

* يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نَدِمَاؤُهُ *

إلى أن قال :

وَالصَّدُقُ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ فَقُلْ لَنَا أَمِنَ الشَّرَابُ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرَكِهِ ^(١)
فقال بدر : بل من تركه : فقال أبو الطيب هذه الآيات .
يقول : إن حظ سؤاله من ماله أكثر من حظه هو منه ، فلو كان من سؤال نفسه لكان حظه من ماله أوفر .

(٢) يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعلهم وما يفعله مع ذلك قليل في جانب دولته لاقتضاها الزيادة على ما فعل .
(٣) فسر المصراع الأول بالمصراع الثاني . قال ابن جني : أي إن يمينه تسع العطاء ، وشماله الدماء ؛ قال ابن فورجه : الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين في كل شيء ؛ وإنما يكون عمل الشمال كالعانة لليمين ، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء .

(٤) يقول : إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم ، لأن الطير لما عودها من إطعامها لحوم الأعداء صارت عيالا له ، فالباعث له على قتلهم هو الجود ، وهذا كقوله :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَقَى إِخْلَافَ مَا تَرَجُّو الذَّنَابِ

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ما قاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء

(١) انظر قافية الكاف .

إِنْ يُغْنِ مَا يَمْنُو فَقَدْ أَتَى بِهِ ذِكْرًا يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوَالِهِ^(١)

سأله حاجة فقضاها له ، فنهض فقال :
قَدْ أَتَيْتُ بِالْحَاجَةِ مَقْضِيَّةً وَعَفَيْتُ فِي الْجَلْسَةِ تَطْوِيلَهَا^(٢)
أَنْتَ الَّذِي طَوَّلْتُ بَقَاءَ لَهُ خَيْرٌ لِنَفْسِي مِنْ بَقَائِي لَهَا

وقال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي :
لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَفْقَرْتَ أَنْتِ وَهَنْ مِنْكَ أَوَاهِلُ^(٣)

وقال ابن جني : أبلغ من هذا في المدح أنه ينحر ويذبح ليا كل الطير مما يجده من اللحم ،
فكأنه سفك الدماء بجوده لا يباينه .

(١) قال ابن جني : لو قال دون زواله لكان أحسن ، وكان مثل قول الآخر :

بقلبي غرام لست أبلغ وصفه على أنه ما كان فهو شديد
تمر به الأيام تسحب ذيلها فتنبلي به الأيام وهو جديد

قال : وله أن يحتج عنه فيقال : إن الأيام بعض الدهر ، وليست هذه الأيام جميعه ؛
وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء الحب ، فقال
إن الغرام باق بقلبي فإذا مازال زال معه الذكر ، وقول أبي الطيب بقي الذكر له إنما
يصح ببقاء الناس ، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر .

(٢) أبت : رجعت . وعفت : كرهت . يقول : لم أطول في جلوسى عنده لأنى
رجعت وقد قضيت حاجتى .

(٣) أفقرت : خلوت ورحل عنك أهلك . وأواهل : عامرة ذوات أهل . يقول :
عاطباً منازل الأجابة - : قد تمثل خيالك في قلوب المحبين فكانت لك فيها منازل ، غير
أنك قد أفقرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت أهلة بك ، لأن مثالك لا يزالها .
وعبارة الواحدى : لم تدرس منازلك في القلوب وإن أفقرت أنت ، يعنى تجدد ذكرها .
في قلبه . وهذا من قول أبي تمام :

وقفت وأحشائي منازلٌ للأسى به وهو قفر قد تعفت منازل

يَعْلَمَنَّ ذَاكَ وَمَا عَلِمْتَ وَإِنَّمَا أَوْلَاكُمَا بِبُكَايَ عَلَيْهِ الْعَاقِلُ^(١)
وَأَنَا الَّذِي أَجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرَفُهُ فَمَنْ الْمُطَالِبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ^(٢)

ومثله للبحري :

* عَفَّتِ الدِّيَارُ وَمَا عَفَّتْ أَحْشَاؤُهُ *

وقال ابن المعتز :

بِوَسْأَةِ لَدَهْرٍ غَيْرَتِكَ صُرُوفُهُ لَمْ يَمْنَحْ مِنْ قَلْبِي الْهُوَى وَحَاكَ
قال ابن جني : بيت المتنبي أجمع من بيت أبي تمام ، لأنه ذكر منازل الحزن شخص ،
والمتنبي ذكر المنازل فعم ، ولقد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى في كلمتين .

(١) قوله يبكي عليه : يروى يبكي عليه ، أى أولاً كما بأن يبكي عليه ؛ خذف الجار
ثم حذف «أن» ، وأولاً كما : أى أحققاً ، مبتدأ ، خبره : العاقل . وذلك : خطاب
للمنازل . يقول : إن القلوب التي هي منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا
وتركوها خالية ، أما الديار فلا تعلم ذلك والذي يعلم - وهو القلوب - هو الأولى بأن
يبكي عليه لعلها بما ألم به . وعبارة الواحدى : إن منازل التي في القلب تعلم إقفارك وخلوك
من الأحبة وأنت لا تعلمين ، والأحق منك بالبقاء عليه هو العاقل ، يعنى القلب ، أى
أن قلبي أحق بأن يبكي عليه منك لأنك جماد لا تعلمين ما حل بك ، أما هو فعليم به ،
وقال ابن جني . أى إن منازل الحزن بقلبي تعلم ما يمر بها من ألم الهوى وأنت
تجهلين ذلك .

(٢) اجتلب : افتعل من الجلب ، والمنية : الموت ، والطرف : النظر ؛ قال اللغويون
الطرف اسم جامع للبصر . لا يشئ ولا يجمع ، لأنه في الأصل مصدر فيكون واحداً ، ويكون
جماعة ، قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم » يقول : إن طرفي هو الذي جلب المنية إلى
بالنظر ، فمن أطالب بدمي وأنا الذي قتلت نفسي ؟ وهذا كما يقول قيس بن ذريح :
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفى إلا أن ما حان حائن^(١)

(١) قبله :

وَإِنِّي لَمَنْ دُمِعَ عَيْنِيَّ بِالْبُكَاءِ حَذَاراً لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ
وقالوا غداً أو بعد ذلك بليلة فراق حبيب لم يبين وهو بأن
وفي الأغاني :

* بكفيك إلا أن من حان حائن *

« والحائن المالك »

تَخْلُو الدِّيَارُ مِنَ الظَّبَاءِ وَعِنْدَهُ مِنْ كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٌ خَاذِلٌ^(١)
 اللّاءُ أَفْتَكُهَا الْجَبَانَ بِمُهْجَتِي وَأَحَبُّهَا قُرْبًا إِلَى الْبَاخِلِ^(٢)
 الرّامِيَاتُ لَنَا وَهْنٌ نَوَافِرُ وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهْنٌ غَوَافِلُ^(٣)
 كَأَنَّا عَنْ شِبْهِنَّ مِنَ الْمَهَا فَلَمَنْ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ^(٤) -

ويقول دعبل :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
 لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

(١) الضمير في « وعنده » للذي اجتلب - في البيت السابق - يعنى نفسه . والظباء
 أى الجبابب الصهباء بالغلزان . والتابعة : التى تتبع أمها فى المرعى . أراد : الصغيرة
 السن من الظباء ؛ وظبية خاذل وخذول : وهى التى تتخلف فى المرعى عن صواحبها . يقول :
 تَخْلُو الديار من حسانها ، وتفارقها وخيال من أهواء لا يفارقتى . وقال الواحدى :
 تَخْلُو الديار من النساء الحسان وعندى من كل صغيرة منهم خيال يأتينى كأنه
 تأخر عنهن .

(٢) اللاء : أى اللواتى ، نعت للظباء ، أو بدل « من كل تابعة » ؛ وأفتكها :
 مبتدأ ؛ والجبان : خبره ؛ وبمهجتي : صلة « أفتكها » ؛ وكان الوجه تقديم « بمهجتي »
 على « الجبان » ولكنها الضرورة ؛ وقال الخطيب التبريزى : الباء من قوله « بمهجتي »
 متصلة فى المعنى بأفتكها ، إلا أنه لا يمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله : الجبان ،
 ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل
 عليه أفتكها ، فكانه أضمّر بعد ذكر الجبان فتسكت بمهجتي ؛ ويريد بالجبان : النافرة
 من الرجال ، لأنها تخافهم . يقول : إن أفتك هؤلاء الظباء بمهجتي هى النفور التى أنا
 مغرم بها . والبخيلة منهم بالوصل هى أحبين إلى قربا .

(٣) الراميات : أى هن الراميات ، ولك أن تجرّها على التبعة ، ومثلها الخاتلات .
 والختل : أخذ الصيد من حيث لا يدرى . يقول ترميننا بسهام لحاظهن وهن
 عنا نافرات غير مقبلات علينا ، وكذلك يختلننا - يصدتنا - بحسنهن غير
 عاليات بذلك .

(٤) المها : بقر الوحش ، تشبه الحسان بها لحسن عيونها . والجبالل : جمع جباله
 الشراك ينصب للصيد ، يقول : هؤلاء يشبهن بقر الوحش فى سواد حدقهن وسعة عيونهن

مِنْ طَاعِنِي تُغَرِّ الرُّجَالِ جَاذِرٌ وَمِنْ الرُّمَاحِ دَمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ^(١)
وَلِذَا أَسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ^(٢)
كَمْ وَقْفَةٌ سَجَرَتِكَ شَوْقًا بَعْدَمَا
غَرَى الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ^(٣)

ونحن نصيد بقر الوحش ، لجازيننا عنهم وأخذن بذأرهن في صيدنا شبههن فصدنا
بجبال نصبتها في غير التراب ، يعني بأعينهن .

(١) الثغر : جمع ثغرة ، وهى ثغرة البحر التى بين الترقوتين ، والجاذر ، جمع
جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ؛ والمراد بالجاذر : النساء والدمالج : جمع دملج
وهو حلى يلبس فى العضد . والخلخال : جمع خلخل ، لفة فى خلخال . وجاذر
وخلخال : مبتدآن ، خبرهما : الجار والمجرور قبلهما . يقول : إنهن يفعلن بحسنهن
ما يفعل الطاعن بالرمح : أى يقتلن بهواهن ، وحليهن تفعل ما تفعل الرماح ، وعبرة
ابن جنى والواحدى : نساء مثل الجاذر يحلين يفعل ما يفعل الطاعن بالرمح ، كما قال
الآخر :

هَلْ يَفْلِيَنِيْ وَاحِدَ أَقَاتِلْهُ رِيْمٌ عَلَى لُبَاتِهِ سِلَاسِلُهُ
* سِلَاحُهُ يَوْمَ الْوَعْنَى مَكَا حِلُهُ *

وقال صريع الفوائى .

بَارَزَتْهُ وَسِلَاحُهُ خَلَاخِلُهُ حَتَّى فَضَضَتْ بِكَفِّي الْخَلَاخِلَا

(٢) يقول : إنما سميت أغطية العيون جفونا لأنها تتضمن أحداقاً تعمل ما تعمله
السُّيُوفُ فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف ، وهو الجفن ؛ ومن أنها : بيان لذا ،
والضمير - من قوله أنها - للعيون . وعمل مفعول مطلق وعوامل : خبر أن .

(٣) سجرتك : ملأتك ، ومنه : « والبحر المسجور » ويموز أن تكون بمعنى الهبتك
ويروى شجرت : أى حبستك عن الكلام ، ويقال ما شجرك عنه : أى ما صرفك :
من قولهم شجرتك الدابة : إذا أصبت شجرها - والشجر ما بين اللحيين - بالاعبام لتكفها ،
ويروى سحرتك أى جعلتك مسحوراً بالشوق أو أنها أصابت سحرك : أى رثك .
وغرى به : أولع ؛ واللجاج : التمدادى فى المباحكة . يقول - مخاطباً نفسه - : كم وقفة لك
مع الحببية تركتك على هذه الحال ؟ وتام الكلام فى البيت التالى .

دُونَ التَّمَانِي نَاحِلِينَ كَشَكَلْتِي نَضَبِ أَدَقِّهَمَا وَمَمَّ الشَّاكِلُ^(١)
 إِنْعَمَ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبْدَأُ إِذَا كَانَتْ لَهْنُ الْوَائِلِ^(٢)
 مَا دُمْتَ مِنْ أَرْبِ الْحَسَنِ فَإِنَّمَا رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلُّ زَائِلِ^(٣)
 لِلْهُوِ آوَنَةُ تَمُرُّ كَأَنَّهَا قُبْلُ يَزُودُهَا حَبِيبُ رَاحِلِ^(٤)
 جَمَحَ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذُ خَالِصٍ مِمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورُ كَامِلِ^(٥)
 حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رُوِيَ بَيْتُهُ الْمُنَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلِ^(٦)

(١) ناحلين : حال محذوف بعد وقفة : أى كم وقفة وقفناها ناحلين ؟ والشاكل : الذى يشكل الكتاب . أى يعجمه . يقول : كم وقفنا ناحلين دون التعانق ؟ أى دنا بعضنا من بعض ولم تتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق . ثم شبههما واقفين متدانيين ناحلين كشكلتى نصب - أى ففتحيتن - قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداها من الأخرى ، وهذا منقول من قول الآخر :

إِنِّى رَأَيْتُكَ فِى نَوْمِى تَعَانَقْنِى كَمَا تَعَانِقُ لَامُ الْكَاتِبِ الْأَلِفَا
 ومثله لأبى إسحق الفارسي :

ضَمَمْتُهَا ضَمَّةً عُدْنَاهَا جَسَدًا فَلَوْ رَأَتْنَا عُيُونٌ مَاخَشِينَاهَا
 (٢) يقول : تمتع بالنعمة واللذة ما بقى لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول ؛ أنه يفنى ولا يبقى .

(٣) الأرب : الحاجة ؛ وروق الشباب وريقه : أوله وأفضله . وقوله مادمت : لما مصدره زمانية ، والغرف المتأول منها سلة « انعم » . يقول ؛ انعم ولد ملادم للحسان أرب فيك : يعنى مادمت شابا ، فإن روق الشباب ظل يزول ولا يبقى .
 (٤) آونة : جمع أوان كزمان وأزمة ؛ والقبل : جمع قبله . يقول : للهو ساعات سريعة المرور كتزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ؛ فهى لذيدة ولكنها لا تقضاء كذلك ساعات اللهو وأوقات السرور .

(٥) و (٦) جمع الفرس : غلب فارسه ، وجمع الرجل : ركب هواه . فلا يمكن رده قال الشاعر :

خَلَعْتُ عِذَارِي جَاحِمًا لَا يَرُدُّنِي

عَنِ الْبَيْضِ أَمْثَالِ الدَّمَى زَجْرُ زَاجِرٍ

مَمْطُورَةٌ طُرُقِي إِلَيْهَا دُونَهَا مِنْ جُودِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ وَابِلٍ^(١)
مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَنْثِي الْأَزِمَةَ وَالْمَعِطَى ذَوَامِلٍ^(٢)

وجمحت المرأة تجمع جماها من زوجها : خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها ومثله طمحت طماحا ، قال :

إِذَا رَأَيْتَنِي ذَاتُ ضِفْنٍ حَفَّتْ وَجَمَحَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَأَنْتِ
وجح إليه : أسرع ، وقوله تعالى « لولوا إليه وهم يجمعون » قال الزجاج : أى يسرعون إسراعا لا يرد وجوههم شيء ؛ ومن هذا قيل : فرس جموح ، قال الأزهرى : فرس جموح له معنيان أحدهما يوضع موضع العيب ؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب الرأس لا يثنيه راحبه ، وهذا من الجمح الذى يرد منه بالعيب ؛ والمعنى الثانى أن يكون سريعا نشيطا مرحا ، وليس هذا بعيب يرد منه ، ومصدره الجموح . و « ما » من قوله « بما يشوب » نكرة موصوفة بمعنى شيء . ويشوب : يخلط . وأبو الفضل : كنية الممدوح ؛ ولنى : جمع منية ، ما تتمناه ؛ والهائل : المهبوب المخوف . يقول : جمع الزمان — أى قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذى يشوبها حتى إن هذا الممدوح رؤيته منى كل أحد ، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب ، فلم تخلص هذه المنية من شائب ينقصها ، قال ابن جنى : هذا خروج — تخلص — ماروى أغرب منه

(١) مَمْطُورَةٌ : خبر مقدم عن طرقى ؛ وإليها : صلة طرقى ؛ ودونها : خبر مقدم عن وابل : والفج : الطريق الواسع بين جبلين ؛ والوابل : المطر الغزير : يقول : إن طرقى إلى رؤية الممدوح مَمْطُورَةٌ بآثار إحسانه ، يعنى أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله إليه ، ودون الوصول إلى رؤيته — أى بينى وبينها — وابل من جوده قد ملأ كل فج ، فالضمير فى « بها ، ودونها » لرؤيته ، وروى « إليه ودونه » والضمير : للممدوح .

(٢) الأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة وذوامل : سرعات . يقول : إن رؤيته محبوبة بما يفشاها من الهابة التى ترد الأبصار عن النظر إليه ، حتى لو أن مطيا أسرعت فى سيرها واعترضتها هذه الهيبة : لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقا من الإقدام ؛ قاله الواحدى : وهذا إلى المعبأ أقرب منه إلى المدح ، وقد عدل ابن جنى عن ظاهر الكلام فقال : كأن على الطرق إليه سرادقا يمنع من العدول عنه إلى غيره ، والناس أبدا ينخون نحوه . هذا : والسرادق — وجمعه سرادقات — هو كل ما أحاط بشيء ، نحو الشقة فى المضرب . أو الحائط المشترك على شيء ، أو الحباء : قال فى الصحاح : السرادق

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرِّيَّاحِ وَلِلسَّحَابِ وَلِلْأَسْوَدِ شَمَائِلُ^(١)
 وَلَدَيْنِهِ مَلْعَقَيَانِ وَالْأَدَبِ الْمُفَا دِ وَمَلْحِيَاةٍ وَمَلَمَّاتٍ مَنَاهِلُ^(٢)
 لَوْ لَمْ يَهَبْ لَجَبُّ الْوُفُودِ حَوَالَهُ
 لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلَاةِ النَّاهِلُ^(٣)

الذى عند فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف - أى قطن - فهو سراق
 قال روضة :

يَا حَكَمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ الْحُمُودُ
 سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ تَمْدُودُ

وقال سلامة بن جندل : يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر :

هُوَ الْمُدْخِلُ الثُّغْمَانَ بَيْتًا سَمَاوَهُ صَدُورُ الْفَيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقِ

(١) الشمايل : الخلائق والطبائع : جمع شمال . يقول : فيه إضاءة الشمس ومنفعتها
 وبهاؤها ؛ وجود السحاب والبحار وبأس الأسود ، وتصرف الرياح في أحياء البلاد وسوق
 الأمطار : يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه في المطاء .

(٢) ملعقيان يريد من العقيان . حذف النون لالتقاء الساكنين ، وخصت النون
 بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالفتحة ؛ ومثله: ملحية وملمات ؛ والعقيان : الذهب . والناهل
 الموارد . يقول : إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء ، ومن
 الحياة : أى لأوليائه ؛ ومن المات : أى لأعدائه ، وقد زاد على أبى تمام في قوله :

تَرْبِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
 لأنه ذكر الموت والحياة .

(٣) اللجب . الضحيح ؛ والوفود ؛ الذين يقدون عليه يطلبون العطاء ؛ وحواله ؛
 كحولته وحواليه ؛ والقطا ؛ الطائر المعروف ، والفلاة ؛ الصحراء ؛ والناهل . الوارد على
 منهل الماء ؛ قال ابن جني ؛ يعنى لو لم يخف القطا أصوات الوفود يبابه لسرى إليه ليشرب
 منه ، وقال ابن فورجه ؛ يعنى أن القطا يراه ماء معيناً فيهم يوروده ويشفق من لجب
 وفودته على عادة الطير ؛ قال الواحدى بعد أن ساق كلامهما ؛ المعنى أنه لعموم نفعه تهم
 الطير بالورود غليه لتتفع غلتها . ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما
 ذكر الشيخان .

يَدْرِي بِمَا يَكُ قَبْلَ تَنْظِيرِهِ لَهُ مِنْ ذَهَبِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تَسَائِلِ^(١)
وَتَرَاهُ مُعْتَرِضًا لَهَا وَمَوْلِيًّا أَحْدَاقَنَا وَتَحَارُّ حَيْنَ يُقَابِلُ^(٢)
كَلِمَاتُهُ قُضْبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلٌ كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَمِنُ مَفَاصِلَ^(٣)
هَزَمَتْ مَكَارِمَهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا حَتَّى كَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلَ^(٤)
وَقَتْلَنَ دَفْرًا وَالدَّهْمِ فَمَا تَرَى أُمَّ الدَّهْمِ وَأُمُّ دَفْرٍ هَابِلَ^(٥)

(١) أراد قبل « أن » في الموضعين لحذف « أن » فارتفع الفعل . ومن ذهبه : صلة يدرى . يقول : هو - لذكائه وحدة ذهبه - يدرى ما تطلب قبل أن تظهره له ويجيب قبل أن تسائل .

(٢) أحداقنا : فاعل تراه ؛ ومعتراضاً : حال . يقول : تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى ؛ يعنى أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوف النظر إليه من الهيبة ، وإنما تراه في حال اعتراضه وتولييه لا نحرافه عنها حينئذ .

(٣) القضب جمع قضيب ، وهو السيف . وفواصل : قواطع ؛ والضرائب جمع ضريبة ، وهى المضروب بالسيف . والمفاصل : جمع مفصل ، ملتقى العظمين . يقول : كلاته سيوف قواطع أينما أصابت فصلت ، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل : يعنى أنها تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

(٤) القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الخيل : أى الجماعة من الجيش . يقول : إن مكارمه غلبت مكارم الناس حق كأنها جيوش : يعنى أنه يغلب كل جيش . كذلك مكارمه غلبت أيضاً مكارم غيره : وقنابل : يروى قبائل .

(٥) يقال للداهية : أم دفر . وأم الدهيم ؛ والدفر - فى الأصل - النتن ، ثم سميت به الداهية لخبثها ، ومن هنا يقال للدنيا : أم دفر . والدهيم ؛ - فى الأصل - اسم ناقة كانت لعمر بن الريان بن الدهلى ، خرج بنوه فى طلب إبل لهم ، فلقبهم كشيء بن زهير فغضب أعناقهم ، ثم حمل رؤوسهم فى جوالق وعلقه فى عنق الدهيم هذه ، ثم إخلاها فى الإبل فراح على أبيهم عمرو ، فقال لما رأى الجوالق : أظن بنى صادوا بيض نعام ثم أهوى بيده فأدخلها فى الجوالق ، فإذا رأس ، فلما رآه قال : آخر البر على القلوص . نذهبت مثلاً ، فقيل : أشأم من الدهيم ، وأطلقت على الداهية ، والمهابل : الثاقل ، وهى التى فقدت ولدها . يريد أن يقول : إن مكارمه أفنت الدواهى والشدائد حتى فقدت فكأن أمها صارت ثاكلاً ، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد ، لأن مكارمه

عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللَّجُّ الَّذِي لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لَجٍّ سَاحِلٌ^(١)
لَوْ طَلَبَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَلَدَ النِّسَاءِ وَمَا لِهِنَّ قَوَائِلُ^(٢)
لَوْ بَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ لَدَرَتْ بِهِ ذَكَرٌ أَمْ أَنْتَى الْحَامِلُ^(٣)
لِيُزِدَ بَنُو الْحَسَنِ الشَّرَافُ تَوَاضُعًا هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلُ^(٤)

عصفت بها . هذا : وقد اضطربت كلمة الشراح في إعراب البيت ، ولعل الأوجه أن يقال إن أم الدهيم نائب فاعل « ترى » أى أن أم الدهيم لا ترى بعد ذلك ، ثم ابتداء وقال : وأم دفر هابل . وقال ابن جنى : فما ترى أراد لما تريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال : صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم : ابتداء ، وهابل خبر لأم دفر وأم الدهيم ، وتقديره أم الدهيم هابل ، وأم دفر كذلك ؛ ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد ، كما قال الآخر :

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ يَهِيَ الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ^(١)

فلم يقل تنهلان لا كتفائه بأحد الضميرين .

(١) اللج : معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذى يرجعون إليه في مسائلهم ، وهو في جوده لج ليس له منتهى ، وكل لج له منتهى ينتهى اليه إلا هذا .

(٢) مثله : نعت لمصدر محذوف : أى طيباً مثل طيب مولده وطهارته ؛ والقوایل :

جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة . يقول : إنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً ، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوایل في تلك الحال :

(٣) الجنين : الولد في بطن أمه ؛ وبَيَانُهُ : مفعول مطلق : أى كَيَانُهُ ؛ وضمير

« به » : للجنين ، والحامل : فاعل درت . وقوله ذكر أم أنتى : أراد أذكر هو أم أنتى

لخذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ووصل همزة « أنتى » بعد نقل حركتها إلى

الميم . يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم - أى كما بان كرمه حين كان جنيناً - لما القاس

على الحامل الذكر بالأنتى : يعنى أنه حين كان جنيناً كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود

كريم ، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنتى .

(٤) المشاعل : جمع مشعل ، وهو ما يضرم فيه النار ليهتدى به في الأسفار وغيرها

(١) زحلوقة زل : أى زلق ؛ وزحلوقة - بالقاف - تروى زحلوقة - بالفاء - وهما لغتان ، وهى آثار تزج الصبيان من فوق إلى أسفل .

سَتَرُوا النَّدَى سَتَرِ الْغُرَابِ سِفَادُهُ قَبِدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ^(١)
جَفَخَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغَرُّ دَلَائِلُ^(٢)
مُنْشَاهِي وَرَعِ الثُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ وَصَفِيرُهُمْ عَفْ الْإِزَارِ حُلَاحِلُ^(٣)
يَا أَفْخَرُ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلَاثَةٌ^(٤) مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ^(٥)

قال الواحدي : يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً ، فإن فضائلهم لا تخفى بالتواضع . وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل في الظلام ، فإنها لا تخفى ، ومتى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر ؛ كذلك : متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر . وقال اتبريزي : كان لهذا المدوح نسب في ولد الحسن بن علي عليهما السلام ، فأمرهم بالتواضع ، لأنهم كلما ازدادوا في التواضع ظهر شرفهم ، وإن أخفوا نسبهم لا يفكتم ، كما أن المشاعل لا تنكتم في الظلام .

(١) السفاد : نزو الذكر على الأنثى . والرباب : غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه . يقول : إنهم يكتمون معروفهم كما يكتم الغراب سفاده . ثم ذلك لا يفكتم ، كما لا يخفى السحاب الهاطل .

(٢) جفخت : غفرت وتكبرت ؛ وشيم : فاعل جفخت ؛ وبهم : متعلق بجفخت ، وجملة وهم لا يجفخون بها : معترضة ؛ والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق والطبيعة ؛ والحسب : ما يعد من مآثر الآباء ؛ والأغر السيد الكريم . يقول : إن لهم شياً كريماً تدل على مالهم من الحسب الشريف ، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لا يفخرون بها لعدم عن الزهو والخيلاء .

(٣) منشاهي : كأنه منصوب على الحال من ضمير « يجفخون » ؛ والورع التقوى وعف الإزار وعفيفه : منزّه عن الفحشاء ؛ والحلاحل : السيد العظيم . يقول : هم سواء في التقوى والورع ، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة .

(٤) يا أغر : يريد : يا هذا أغر ؛ لحذف المنادى ؛ ويجوز أن تكون « يا » للتنبيه كقوله تعالى « ألا يا سجدوا لله الذي يخرج الحبء » كأنه قال « ألا اسجدوا » وكقول ذي الرمة :

أَلَا يَا اسْلِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبِلَى وَلَا زَال مُنْهَلًا بِحَرَائِكِ الْقَطْرِ

ويروى : فافخر ، ثم قال : إن الناس فيك ثلاثة أقسام : إما مستعظم يستعظمك . لما رى من عظمتك ، أو حاسد يحسدك على فضلك ، أو جاهل جهل قدرك .

وَلَقَدْ هَمَمْتُ فَمَا تَبَالَى بَعْدَمَا عَرَفُوا : أَيْحَمْدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ^(١)
 أَتُنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتُ لِي قَصَّرْتُ فَأَلْإِمْسَاكُ عَنِّي نَائِلُ^(٢)
 لَا تَجَسَّرُ الْفُصْحَاءُ تُنْشِدُ هَهُنَا بَيْتًا وَلَكِنِّي الْهَزْبُ الْبَاسِلُ^(٣)
 مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي وَلَا سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ^(٤)
 وَإِذَا أَتَيْتَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ^(٥)

(١) يقول : بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لا تكثرت لذم الحامد لأنه لا ينقص من قدرك ، ولا لحد الحامد لأنه لا يزيدك علواً : فقوله بعد ما عرفوا : أى بعد الذى عرفوه - فالضمير للناس ، والعائد إلى «ما» محذوف :

(٢) النائل : العطاء . يقول : إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندى بعد ما عرفت تقصيرى . وبعبارة أخرى : إني قصرت في الثناء عليك ، فكان حقك أن تؤاخذنى بهذا التقصير ، ولكنك أمسكت عني تسكراً وتفضلاً فعددت ذلك عطاء منك لو لم تتجاوزته لكفاني .

(٣) تنشد : أى أن تنشد ، خذف « أن » فرفع الفعل ، والهمزير : الأسد والباسل الشديد . يقول : لهيبتك وعلملك بالشعر وتميزك جيده من رديته لا يجرؤ الشعراء على أن ينشدوا بين يديك ، ولكنى - لجودة شعري واقتدارى - أجرؤ على ذلك . قال الواحدى : وقول أبى نصر بن نباتة في هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول :

وَيُلَمُّهَا عِنْدَ الشُّرَاقِ هَيْبَةٌ لَوْ سَابَقَتْ قَضَبَ الْعِظَامِ فَضَائِلُ

نَفَضَتْ عَلَى مَنْ الْقَبُولِ حُجَّةً قَامَتْ بِضَنْبَعِي فِي الْمَقَامِ الْهَائِلِ

(٤) بابل : هى المدينة المشهورة ، وإليها ينسب السحر ، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها - كما جاء في القرآن الكريم - . يقول . ما نال شعراء الجاهلية جميعاً شعري ولا سمع أهل بابل بمثل سحري في الشعر .

(٥) يقول : إذا ذمى ناقص كان ذمه دليل كمالى وفضلى . لأن الناقص لا يحب الكامل الفاضل ، لما بينهما من التفاضل ، قال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ فَضْلُ ابْنِ يُوسُفَ

وَذُو النِّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مَوْلَعُ

مَنْ لِي بِفَهْمِ أَهْلٍ عَصْرٍ يَدْعِي أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيُّ فِيهِمْ بَاقِلٌ^(٣)
وَأَمَّا وَحَقُّكَ وَهُوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ لَلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ^(١)
الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْفَاسِلُ^(٢)

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حنيفة :

ما ضرني حسدُ اللثامِ ولم يزلْ ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
وأصل هذا المعنى من قول الطرماح :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْفِي بَغِيضٍ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

(١) أهيل : تصغير أهل ، صغره تحقيراً لهم . وفاعل يدعى : يعود على أهيل ، لأن لفظ « أهل » واحد ؛ ولك أن تقول إن فاعل يدعى : باقل . وباقل : رجل من العرب كان يوصف بالعي ، وفيه جرى المثل : أعياء من باقل . يقال إنه كان اشترى طيباً بأحد عشر درهما ، فقيل له بكم اشتريته ؟ فعي عن الجواب بلسانه ، ففتح يديه ، وفرق أصابعهما وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهما . فأقلت الظبي . يقول : من يكفل لي بفهم أهل عصر يدعون أن « باقلا » يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟ يعني أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم ، ولا الناقص من الفاضل ؛ أو تقول : من لي باهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى « باقل » بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه ؟ قال ابن جني ناقداً : « وباقل » هذا لم يؤت من سوء حسابه ، وإنما أتى من سوء عبارته ، فلو هو قال أن يفهم الخطباء فيهم « باقلا » أو نحو هذا لكان أسوغ قال الواحدى - ردأ عليه - : وليس كما قال فإن « باقل » كما أتى من البيان أتى من البنان فإنه لو أتى من سبائته وإبهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي ، نصح قول أبي الطيب في نسبته إلى جهل الحساب .

(٢) مقسم : يروى بكسر السين - طى أنه اسم فاعل - وبفتحها - على أنه مصدر يسمى بمعنى القسم .

(٣) تقديم البيت : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الفاسل له إذا اغتسلت فالطيب : مبتدأ ؛ وأنت : مبتدأ ثان ؛ وطيبه : خبر أنت ؛ والجملة : خبر الطيب ؛ ومثله الشطر الثاني ؛ وروى ابن جني ، والماء أنت - ينصب الماء - قال : وتقديره وتغسل أنت الماء ، دل على هذا المضمرة قوله الفاسل . يقول : إذا أصابك الطيب فانت طيب

مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَبْتَ
قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ أَنَامِلُ^(١)

وقال يهجو قوما توعده :
 أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ
 وَجَرَّكُمْ مِنْ خِفَّةِ بَكْمِ النَّمْلِ^(٢)
 وَلَيْدَ أَبِي الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَالَكُمْ
 فَطَفَنُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَالَكُمْ عَقْلُ^(٣)

له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . يعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء
كما قال الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حَسَنُ وَجْهِكَ زَيْنًا
وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا أَنْ تَمْسِيَهُ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوصىء - يقال فلان حسن النثا
وقبيح النثا ، ومنه نثا الحديث والخبر نشوا حدث به وأظهره وأشاعه . وروى نثاك
يقول : ما دار اللسان في الحنك وما قلبت أنامل قلمي بأحسن من أخبارك ؛ كأنه يقول :
ما قيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٢) يقول : أما تم الجهل قبل أن تموتوا : أى أتم موتى من جهلكم وإن كنتم
أحياء ؛ وليس لكم وزن ولا قدر ، ولخفة وزنكم تستطيع النمل أن تجركم ، والسفيه
الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف ثقل الوزن .
(٣) وليد تصغير ولد ، وهو يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث والمراد

هنا الجماعة وهو منصوب ، لأنه نداء مضاف ؛ والكلب : نعت أبى الطيب ، والدعوى :
الادعاء فى النسب ، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : يا أولاد هذا الرجل
الحسيس أتم لا عقل لكم تعقلون به شيئا ، فكيف فطعتم للانتساب إلى من لستم منه
فى شيء ؛ أى إلى غير أبيكم .

وَلَوْ ضَرَبْتُمْ مَنَجْنِيْقِي وَأَهْلَكُمْ
قَوِيٌّ لَهْدَتْكُمْ فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ^(١)
وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يُدْبِرُ أَمْرَهُ
لَمَا كُنْتُمْ نَسْلَ الَّذِي مَالَهُ نَسْلُ^(٢)

(١) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة. قال صاحب اللسان: المنجنيق - بفتح الميم وكسرها - والمنجوق: دخيل أعجمي معرب، وأصلها بالفارسية: من جى نيك: أى ما أجودنى، وهى مؤنثة، قال زفر بن الحارث:

لَقَدْ تَرَكْتَنِي مَنَجْنِيْقُ ابْنِ بَحْدَلٍ أَحِيدُ عَنِ الْمُصْفُورِ حِينَ يَطِيرُ
وتقديرها منفعل، لقولهم: كنا نجحق مرة ونرشق أخرى. قال الفراء: والجمع منجنيقات، وقال سيديويه: هى فنعيل، الميم من نفس الكلمة أصلية، لقولهم فى الجمع مجانيق وفى التصغير مجنيق، ولأنها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان فى أول الاسم، وهذا لا يكون فى الأسماء ولا الصفات التى ليست على الأفعال للزيدة ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيا، والزيادات لا تلحق بينات الأربعة أولا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدرج، ومنهم من قال: إن الميم والنون زائدتان، لقولهم جنق مجنق: إذا رمى، والتثني يريد بالمنجنيق هنا: هجاءه. ورفع « أصل » على إعمال « لا » عمل « ليس ». على حد قول الحماسي:

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ^(١)
يقول: لو ضربتكم بهجائى وأصلكم قوى لكسرتكم وأهلكتكم فكيف ولا أصل لكم يعرف؟

(٢) يقول: لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب: أى فقد ظهرت دعواكم بهذا الانتساب وأنكم كذابون فيما تدعون. يهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء.

(١) من أبيات لسعد بن مالك تراها فى الحماسة، وقد تقدم شرحها وأولها:
يَا يُؤُسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَاوَا

وقال : وقد جعل أبو محمد بن طنج يضرب بكفه البخور ، ويقول سَوْقًا إِلَى
أَبِي الطَّيِّب :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعَالِ وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ (١)
إِنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبُخُورِ سَوْقًا فَهَكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ (٢)

* * *

وقال وقد بلغه أن إسحاق بن كيطغ يتهده وهو ببلاد الروم ، وكان
أبو الطيب بدمشق (*) :

أَنَا فِي كَلَامِ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيْفَلَنْجٍ يَجُوبُ حُزُونًا يَبْنِنًا وَسُؤْلًا (٣)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ
وَبَيْنِي سِوَى رُنْحِي لَكَانَ طَوِيلًا (٤)

(١) قال الليث : الفعّال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، وقال ابن
الأعرابي : الفعّال فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعّال وفلان
لثيم الفعّال ، قال : والفعّال - بكسر الفاء - إذا كان الفعل بين الاثنين .

(٢) البخور - بفتح الباء - قال البكري : والعامّة تضمها ، وقلت - ههنا - بمعنى
أشرت ، ويقال قال بكفه : أى أشار ، وقال برأسه نعم : أى أشار ، والنوال : العطاء .
يقول : إن أشرت في هذا البخور أن يساق إلى سوقا فهكذا قلت وفعلت في العطاء .

* كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به
وهو في طرابلس - وكان محافظاً على الطريق - فسأله أن يمدحه فلم يفعل ، فاعتاقه
عن سفره ثلاثة أيام ، فلما فارقه هجاء بالقصيدة التي مطلعها :

لَهْوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرْضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

وستمر بك في قافية الميم ، وهي من عيون قصائده .

(٣) يجوب الأرض : يقطعها . والحزن : الغليظ من الأرض . يقول : أنا في وعيده
من مسافة بعيدة .

(٤) صفراء : اسم أمه ، وقيل صفراء : كناية عن الاست ، والعرب تسب بأنسبة
الرجل إلى الاست ، كما قال :

* بَأَنَّ بَنِي أَسْتَهَا نَذَرُوا دِمِي *

وَأَسْحَقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ وَلَكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلًا^(١)
وَلَيْسَ جَمِيلًا عَرَضُهُ فَيَصُونُهُ وَلَيْسَ جَمِيلًا أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٢)
وَيَكْذِبُ مَا أَذَلَّتْهُ بِهِجَانِهِ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهَجَاءِ ذَلِيلًا^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا العشائر:

لَا تَحْسَبُوا رَبِّكُمْ وَلَا طَلَلَهُ أَوْلَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتْلَهُ^(٤)

يقول: إنه على البعد بوعدني، ولو لم يحل بيني وبينه إلا رمحي لكان ما بيني وبينه طويلا بعيداً لأنه لا يتمكن من الوصول إلى ولا يستطيع الإقدام على لجبهه.

(١) يقول: إنه غير مخوف على من يهينه ولا يكثر له، وقصاراه إذاسه الهوان أن يبكي، ولا يلجأ في الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة.

(٢) يقول: إن عرضه ليس جميلا حق يستحق أن يهان، لأنه إنما يهان الجليل، وعرضه لا يحمل أن يجعل.

(٣) يقول: هو كاذب في دعواه أنني أذلت بهجاني، فهو ذليل حقير من قبل هجائي إياه، فقله ما أذلت بهجانه: كلام مسأنف، و«ما»: نافية.

(٤) الربع: المنزل؛ والطلل: ما شخص من آثار الديار. جعل كون الأجابة في الربع حياة له وارتحالهم عنه قتلا، لأن الأمكة إنما تحيا بالعمارة والسكان، فإذا خلت من العمار فهي ميتة، وفي الحديث «من أحيأ مواتا فهو أحق به» الموات: الأرض التي لم تزرع ولم تعمر، ولا جرى عليها ملك أحد، وإحيأوها: مباشرة عمارتها. يقول رحلهم: فخر ربكم وعفا طللكم، ولكنهما ليسا أول حي قتل من جراء فراقكم ثم بين ذلك فيما يلي. هذا: وحسب الشيء يحسب: أي ظنه، بفتح السين وكسرها، في المضارع، قال في التهذيب: والكسر أجود اللغتين، وقال الجوهري: ويقال أحسبه - بالكسر - وهو شاذ، لأن كل فعل كان ماضيه مكسورا فإن مستقبله يأتي مفتوح العين، نحو علم يعلم - إلا أربعة أحرف جاءت نواذر: حسب يحسب. ويبس يبس وبس يبس، ونم نعم، فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح ومن المقتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعا بالكسر: ومق يق، ووفق يوفق، ووتق يثق، وورع يرع، وورم يرم، وورث يرث، وورى الزند يرى، وولى يلى.

قَدْ تَلَفَتْ قَبْلَهُ النَّفُوسُ بِكُمْ وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمْ الْعَذَلَةَ^(١)
 خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشْنَا وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ لِإِبْلِهِ^(٢)
 لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكٍ مَا رَضِيَ الشَّمْسُ بَرْجَهُ بَدَلَهُ^(٣)
 أَحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَذْوَرُهُ وَكُلُّ حُبٍّ صَبَابَةٌ وَوَلَهُ^(٤)
 يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَفِي ظَامِنَةٍ إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبَهَا هَطْلَةٌ^(٥)

(١) العذلة : جمع عاذل . يقول : قد تلفت نفوس العشاق قبل الربع بسبيكم أو بهواكم أو بفراقكم ، وأكثر العاذلون - اللاتمون - عذلم في هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم .

(٢) الصرم : الجماعة من البيوت بمن فيها ، وجمعه أصرام . والروح : الذى يروح إليه من المرعى . يقول : إن الربع موحش خال وإن كان فيه ناس ونعم لا ترحال أحبابنا عنه : يعنى أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم يعد فى حق كالحالى الموحش لى ، فكانه قفر لا أحد فيه ؛ وإن كان عامراً بأهليه .

(٣) الضمير فى « برجه » : للحبيب . ورضى : بمعنى اختار وأحب ، فلذلك عذاه بغير حرف الجر . يقول : لو سار هذا الحبيب الجليل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذى كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه ، لأنها لا تنفى غناؤه ، إذ لا تعادله فى المحاسن .

(٤) لك أن تجعل « والهوى » غطفاً على الضمير المنصو ، قوله « أحبه » فيكون من قبيل قوله :

وإني لأعشق من عشقكم نحولى وكل فتى نأحبل
 ولك أن تجعله قسما ، كقول البحترى :

* أما وهواك حلفة ذى اجتهاد *

والأدور : جمع دار ؛ والصباية : رقة الشوق ؛ والولة : ذهاب العقل ؛ أى أحبه وأحب كل ما يرتبط به ، ثم قال : إن الحب صباية تملك قلب المأشوق ووله : أى فهو يجعل كل شيء للحبيب .

(٥) ينصرها : أى الأدور ؛ والمطل : الكثير السكب . يقول : يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذى سار عنها وكان ينزل بها ويقال نصر الغيث الأرض نصراً : أغاثها وسقاها وأنبتها ؛ قال الشاعر :

وَاحْرَبَا مِنْكَ يَا جَدَايْتَهَا مُقِيمَةً فَأَعْلَمِي . وَمُرْتَحِلَةً^(١)
لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا وَلَسْتَ فِيهَا تَحِلَّتْهَا تَفْلَهُ^(٢)
أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا السَّابَّاحِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ^(٣)
وَأِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهُ^(٤)

من كان أخطأه الربيعُ فإِنَّمَا نصر الحجازُ بنِيشِ عبد الواحد
ونصرت البلاد : إذا مطرت ، فهي منصوره : أى محطورة ؛ ونصر القوم :
إذا غشوا .

(١) الحرب - بالتحريك - فى الأصل نهب مال الإنسان وتركه لاشئ له ، والمراد
هنا : الهلاك . يقول الواقع فى الهلاك : واحربا والجداية : ولد ، الظبي . ومقيمة : حال
من الضمير فى « منك » . وفاعلى : معترضة . يقول : واحربا منك ياظبية هذه الدار
أقت أو رحلت : لأنك إن أقت منعنا عنك الصد ، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأى
- البعد فانت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعدك سيان فى هلاكي
(٢) العبير : أخلاط تجمع من طيب ؛ والضمير فى « بها » للأدور . والتفلة :
المنتنة الريح . يقول : إِنَّمَا كَانَتْ دِيَارُكَ تَطِيبُ بِكَ فَإِذَا خَلْتَ مِنْكَ لَمْ يَطْبُلِي رِيَاهَا وَكَانَتْ
عِنْدِي تَفْلَةً ، ولو خلطوا ترابها بالمسك والعبير ، كما قال :

وكيف التذاذى بالأصائل والضحى
إذا لم يعد ذاك النسيم الذى هباً
(٣) النجل : الولد : ونجله أبوه : ولده . يقول : أنا ابن الذى بعضه - أى ولده -
يفوق أبا الباحث عن نسي ، أى أنا فوق أب الذى يبحث عن نسي ، وقوله والنجل الخ :
أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد .

(٤) نافرت فلانا فنفرته : أى فاخرته ففخرته ؛ وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا
يحتكمان فى الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل وصدق فيقولان له : أى نفرينا
أفضل ؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالغلوب منفور والغالب نافر ، قال الأعشى :

بان الذى فيه تماريتما واعترف المنفور للنافر^(١)

(١) يروى : قد قلت شمري فمضى فيكما واعترف ... الخ
وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثة وكانا قد تنافرا
إلى هرم بن سنان المري ؛ والمنفور ؛ المغلوب ؛ والنافر ؛ الغالب .

فَفَخْرًا لِعَضْبِ أَرْوَحُ مُشْتَمِلَةً وَسَمَهْرِيَّ أَرْوَحُ مُمْتَقِلَةً^(١)
وَلِيَفْخَرَ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِيًا خَيْرَهُ وَمُنْتَمِلَةً^(٢)
أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ السَّاقِدَارَ وَالزَّرْهَ حَيْثُمَا جَمَلَهُ^(٣)
جَوْهَرَةً يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا وَغُصَّةً لَا تُسِفُّهَا السَّفَلَةُ^(٤)

وَقَدْ نَدُّوا : أفرغوا وأفنوا . يقول : إنما يذكر الأجداد للقوم الباحثين والفاخرين
من غلبوه بالفخر ولم يجد خيلة فافتخر بالآباء ؛ معنى إنما يحتاج إلى الفخر بمجوده .
من لا فضيلة له في نفسه .

(١) العضب : السيف القاطع ؛ واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية وفخرا ؛
مفعول مطلق نائب عن فاعله . أى ليفخر فخرا ؛ ومشتمله ؛ أراد مشتملا به . والاشتمال
أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذى يشتمل به . والسهمري : الرمح
واعقل الرمح ؛ جملة بين ساقه وركابه . يقول . إن سيفي ورمحي يفتخران بى ،
لا أنا بهما .

(٢) خبره ؛ أى أفضله ، يروى «خبره» أى زينته وجماله . يقول . لبست الفخر فصار
رداء على منكبي ، ونعلا تحت قدمي ، فخدير به إذن أن يفخر بى .

(٣) يقول : بى بين الله أقدار الناس فى الفضل ، لأنى أصف كل أحد بما فيه ؛ أو
لأن من أكرمنى وأحسن إلى : دل ذلك على مروءته ، وميله إلى ذوى الفضل ، ومن
استخف بى ، ولم يكثر لى ؛ دل ذلك على خسة قدره ولؤم نخبته كما قال البحرى :

وإن مقامى حيثُ خِيَمَتْ حِجْنَةٌ تَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْكِرَامِ الْأَجَاوِدِ
وقوله والمرء حينما جعله : أى حينما جعل نفسه ؛ فمن صان نفسه ، ورفع قدرها ؛
رفع الناس كذلك قدره ، ومن تعرض للموان أهين ، كما قال :

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من أكرمه
وقد ما قيل :

وأكرم نفسى إنى إن أهنتها رَمَقْتُ لَمْ تَكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي
ويجوز أن يكون المعنى ، والمرء حينما جعله الله : أى لا يستطيع أحد أن يتقدم منزلته
التي وضعه الله بها .

(٤) جوهرة ؛ أى أنا جوهرة ؛ والنصبة : ما ينص به الإنسان فلا يسفه والسفلة -
بكسر الفاء - كهيئة - بسكونها وكسر السين - أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم

إِنَّ الْكَذَّابَ الَّذِي أَكَادُ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي يَقْلَهُ ^(١)
فَلَا مُبَالَ وَلَا مُدَارِجَ وَلَا ^(٢) وَإِنْ وَلَا عَاجِزَ وَلَا تُكَلَّهُ ^(٣)
وَدَارِعَ سِفْتَهُ فَخَرَّ لَقَى فِي الْمُلْتَقَى وَالْعَبَاجِ وَالْمَعْجَلَةِ

يقول : أنا زينة الناس إذ أنوه بمناقبهم ، وأشد بذكر محاسنهم ؛ فأنا جوهرة يفرح بها ، وشجى في حلق الشام لا يقدر على إساعى ، لأنى أقول فيهم ما أدمم به وأكسف عن نقائصهم .

(١) الكذاب : البكذب : يقال : كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً ، ورجل كاذب ، وكذاب ، وتكذاب وكذوب ، وكذوبة ، وكذبة - مثال همزة - وكذبان ، وكذبان ، وكذبان ؛ ومكذبان ومكذبانة وكذبان ، وكذب وكذب قال جريرة بن الأسيح :

فإذا سمعت بأننى قد بفتكم بوصال غانية فقل كذباً
والكذب : جمع كاذب ، مثل راح وركع ، قال أبو دواد الرواسي :

متى يقل تنفع الأقوام قولته إذا اضمحل حديث الكذب الولعه ^(١)
أليس أقربهم خيراً وأبعدهم شراً وأسمحهم كفالين منقصة
لا يحسد الناس فضل الله عندهم إذا تشوه نفوس الحسد الجشعة
والكذب : جمع كذوب ، مثل صبور وصبر ، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » فجعله نعتاً للألسنة ، وأكاد به : أقصد به على وجه الكيدى . يعرض بقوم وشوا به إلى أبى العشار . يقول : ذلك الكذب أهون عندي من رايه وناقله : أى لا أكثر ثله ولا لمن رواه .

(٢) مبال : خبر عن محذوف : أى فلا أنا مبال ؛ والمداحي : الذى يساتر العدواة ؛ والوانى : المقصر ؛ وتكلة : بمعنى وكلة ، وهو الذى يكل أمره إلى غيره . ينفي عن نفسه هذه الصفات ، يقول : فلا أنا مبال بأعدائى ولا مداح لهم ، ولا أنا مقصر فى أمرى ، وفيما يجب على مراعاته وحفظه ، ولا عاجز عن مكافأة المسئ ، ولا ضعيف أكل أمرى إلى غيرى ،

(٣) الدارع : لابس الدرع . وسفته : ضربته بالسيف ؛ واللقى : الشيء المطروح ؛

(١) الولة : جمع وال ، مثل كاتب وكتبة ، والوالع : الكاذب .

(٢٥٠ — المتن)

وَسَامِعِ رُعْتَهُ بِقَافِيَةٍ بِحَارُ فِيهَا الْمُنْفَعُ الْقَوْلَةُ (١)
وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ
مَنْ لَا يُسَاوِي أَخْلُزَ الَّذِي أَكَلَهُ (٢)

والمعاج : الغبار : والعجلة : يجوز أن يراد بها الاستعجال الذي يكون من الضارب والطاعن في الضرب والطعن ، ويجوز أن تكون بمعنى الشكل - من قولهم ناقة عجول : إذا قعدت ولدها - قال علماء اللغة : والعجول من النساء والإبل : الواله التي قعدت ولدها التكلى لمجبتها في جيئها وذهابها جزعا ، قالت لحنساء .

فما عجولٌ على بَوٍّ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ (١)
وجوز أن يكون بمعنى الطين ، قيل في قوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » أي من طين ؛ وقال الشاعر :

وَالْفُبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءُ مَبْنِيَّةٌ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

يقول : رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحا كالشيء الملقى وقت التقائنا .
(١) رعته : أعجيبته أو أرهبته . والقافية هنا : القصيدة ؛ والنفع : الذي يهذب القول ويختاره ، واقولة الجيد القول . يقول : إنه ييده السامع بالقافية الجيدة يرتاج لها ويتخير في حسنها الشاعر المجيد :

(٢) أشهد : بمعنى أحضر ، والطعام : مفعول ثان مقدم ؛ و « من » مفعول أول ، وأشهد يروى يشهد : ويروى أشهد - مضارع شهد ، فتكون « معي » بحذف واو الحال أي ومعي : وقد تحذف : كما تقول مررت بزيد على يده باز . ويريد بذلك الرجل الذي وشى به ، وكان يقال له المسعودي ، كان المتنبي قد وصله بأبي العشائر فصار نديما له ، ثم تناوله عند أبي العشائر :

(١) بعده :

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار
يوماً بأوجد مني يوم فارقني صخرٌ وللعيش إحلال وإمراة
وترتع ما رتعت : يروى ترقع ما غفلت ، والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا وهي لا تراه ، ويدنى منها فقصمه وترأه فتدر فتدر عليه اللبن .

وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ وَالْدُرُّ دُرٌّ بِرَغْمٍ مِّنْ جِهَلِهِ^(١)
 مُسْتَحْيَاً مِنْ أَبِي الْقَشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةً^(٢)
 أَسْحَبًا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ نِيَابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَّةً^(٣)
 وَبَيْضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ أَوَّلُ مُحْمُولٍ سِنِيهِ الْحَمَلَةِ^(٤)
 مَالِي لَا أَمْدَحُ الْخَسَنِينَ وَلَا أَبْذُلُ مِثْلَ الْوَدِّ الَّذِي بَذَلَهُ^(٥)
 أَخَفْتُ الْقَسِينَ عِنْدَهُ خَبْرًا أَمْ بَلَغَ الْكَيْدُ بَانَ مَا أُمَلَّه^(٦)

(١) لعل هذا ينظر إلى قول جميل :

إذا ما رأوني طالما من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

(٢) اللحل : الثياب : ومستحيا : أى إنما أفعل ما ذكرت مستحيا : فهو حال ،
 العامل فيها مقدر . يقول : إنما أقت مع الأعداء فى بلد لآنى أستحي من أبى العشائر أن
 ألبس خلعة فى غير بلده .

(٣) وجلة : خاتمة . يقول : إن نيابته لا تحب أن تفارقه لتشرفها به فهى تخاف أن
 يخلعها على جلسيه .

(٤) النائل : العطاء : وكذلك السيب . يقول : إن غلماناه البيض كعطائه فى أنه
 يهبهم - أى غلمانهم - أى أنه يهب غلماناه كما يهب أمواله ، فيكون أول ما يحمله إليك من
 العطاء ، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء - وهم الغلمان -

(٥) ويروى : أبذل ماود مثل ما بذله : أى من الود ، حفد النون . وهذا
 كالماتبة مع نفسه ، والإقرار بالتقصير فى مدحه ، ومعارضته بمثل الود الذى يبذله .

(٦) الكيدبان : الكذاب - وقد وفينا القول على هذه السادة قريبا - يقول :
 أ كذبتنى عينى فيما أدت إلى من محاسنه ، أم وجد الكاذب فرصة فقير ما بيننا ؟ ويجوز
 أن يريد بالعين : الرقيب ، وأنت : جريا على اللفظ . يقول : هل أخفى الرقيب عنده
 خبراً من أخبارى فى حبى إياه وميلى إليه ؟ وقال بعض الشراح : يقول . هل أخفت
 عينه عليه أثراً من آثار خدمتى فجدها على . أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عنده ما يأمله
 من الوشاية بى ؟ وهذا استفهام إنكار . أى ليس الأمر على ما ذكر ؛ وإذن : لا أقصر
 فى حقه ولا ألو جهداً فى مدحه . هذا : ويقال أمل خيره بأماله أملا ، وكذا أمله تأميلا
 أى رحله .

أَمْ لَيْسَ ضَرَابَ كُلِّ جُحْمَةٍ مَنخُوعَةٍ سَاعَةَ الْوَغَى زَعَلَةٌ ^(١)
 وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنَطِقٌ عَذَلَةٌ ^(٢)
 وَرَاكِبَ الْهَوْلِ لَا يُفْتَرُهُ لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزَمٌ هَزَلَةٌ ^(٣)
 وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمَكَلَّلَ فِي طَيِّءِ الْمَشْرِعِ الْقَنَاءَ قَبْلَهُ ^(٤)

(١) منخوعة: أى ذات نخوة - أى عظمة وكبر - والراس يوصف بالكبر ، يقال فى رأسه نخوة والزعلة : النسيط ، والزعلة أيضا . البطرة الأشرة . يقول . أليس المدوح ضراب كل رأس متكبر بطريوم الوغى والقتال ؟

(٢) عذله : أى لاهه على إسرافه وكثرة عطايام .

(٣) الهول : الأمر العظيم الشديد ؛ ولا يفتره : أى لا يفتره الهول وإن كثركوبه إياه . والمحزم : ما يقع عليه الحزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوباً أجراه مجرى المركوب من الدواب : أى أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال ، وإنما خص المحزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور .
 (٤) قال الواحدى : أراد بالأحمر : فرسه الذى ركبه فى وقته بأنطاكية ؛ والمككل الحاد الساضى فى الأمر ؛ يقال حمل فكلل : أى مضى قدماً . ولم يحزم ، أنشد الأصمعى :

حَسَمَ عِرْقَ الدَّاءِ عَنْهُ فَقَضِبُ تَكْلِيلَةَ اللَّيْثِ إِذَا اللَّيْثُ وَثِبَ

قال الأصمعى : وقد يكون كلل بمعنى جبن ؛ يقال حمل فلان كلل : أى فما كذب وما جبن كأنه من الأضداد ، وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل :

وَلَا أَكَلَّلَ عَنْ حَرْبٍ مُجْلِحَةٍ وَلَا أَخَذَّرَ لِلْمَلِكِينَ بِالسَّلَمِ

ويقال إن الأسد يهلك ويكلل ، وإن النمر يكلل ولا يهلك ، والمككل : الذى يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه ، والمهلك : يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع . ويقال انكل الرجل انكلالا : أى تبسم ، وانكلت المرأة تنكل انكلالا : إذا ابتسمت قال الأصمعى :

وَيَنْكَلُ عَنْ غُرَّةٍ عَذَابُ كَأَنَّهَا جَى أَقْحَوَانِ نَبْتُهُ مَتْنَاعِمِ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وَتَنْكَلُ عَنْ عَذَبِ شَقِيئِ نَبَاتِهِ لَهُ أَشْرُ كَالْأَقْحَوَانِ الْمَوْرِ

ومن روى « المككل » - فى البيت - بفتح اللام : أراد التوج . ويجوز فى « المشرع »

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خَيُّوهُمْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَا رَأَتْ كَفَلَهُ^(١)
فَأَكْبَرُوا فَعَلَهُ وَأَصْفَرَهُ أَكْبَرُ مِنْ فِئِلِهِ الَّذِي فَعَلَهُ^(٢)
الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا
بَعْضُ جَمِيعٍ عَنِ بَعْضِهِ شَفَلَهُ^(٣)

النصب على أنه نعت للفارس ، والخفض على أنه نعت للأحمر : يعنى الذى أشرع الأعداء نحوه رماحهم .

(١) الضمير من « وجهه » : للفارس ، وضمير « أقسم » . للممدوح . ويقول . لما راب حيولهم وجه فرسه فى حومة الوعى أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفهله حتى يأتى عليهم قتلا . ولعل هذا المعنى من قول الآخر

حتى يظنوه إنساناً بغير قفأ وأنه راكب طريقاً بلا كفل

(٢) يقال أ كبرت الشيء إذا استكبرته ، وأصغره . يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض أى استكبروا فعله واستصغره هو ، وتم الكلام هنا ثم استأنف فقال . أ كبر من فعله الذى فعله : أى هو أ كبر من فعله وهذا هو تفسير ابن جنى . قال العروضى على هذا التفسير لا يكون مدحاً ، لأن من المعلوم أن كل فاعل أ كبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا إن خيراً من الخير فاعله ، وإن شراً من الشر فاعله ولكن معنى البيت . إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو ، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله : كما تقول أعطاني فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه قال العروضى : ثم العجب أنه غلط فى صناعة هو إمامها المقدم فيها ، وذلك أن « الذى » يصلح أن يكون بمعنى « من » وبمعنى « ما » . تقول رأيت الذى دخل ، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب فى هذا إلى « ما » فذهب إلى « من » ففسد المعنى ؛ ولك أن تقول : أ كبر من فعله الذى فعله : أى أن الذى فعل هذا الفعل هو أ كبر منه : أى أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . وروى الخوارزمى : وأصغره بضم الراء - على أنه مبتدأ مخبر عنه بما بعده : أى وأصغر فعله أ كبر بما استعظموه .

(٣) القاطع : يروى : القائل ، والقاتل . والكميل : بمعنى الكامل ؛

أنشد سيبويه :

على أنقى بمد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولاً كيلا

فَوَاهِبٌ وَالرَّمَّاحُ تَشْجُرُهُ ، وَطَاعِينٌ وَالْهَبَاتُ مُتَّصِلَةٌ^(١)
وَكُلَّمَا آمَنَ الْبِلَادَ سَرَى وَكُلَّمَا خِيفَ مَنَزِلُ نَزَلَهُ^(٢)

يَذْكُرُنِيكَ حَنِينِ الْمَجُولِ وَنوحُ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيلًا^(١)
وكل - بفتح العين وضمها - يكل - بالضم - في مضارعهما : وكل - بكسر
العين - يكل - بالفتح - لا غير . قال الجوهري : والكسر أردؤها . يقول : يقطع
ويصل كما يشاء . ولا يشغله فعل جميل عن فعل جميل آخر . وقد فسر البيت فيما يلي
(١) تشجروه : تنفذ فيه وتخالطه . ومنه قول شريح بن أوفى العبسي :

يَذْكُرُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحَ شَاجِرًا فَهَلَا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقْدُمِ^(٢)
يقول : لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطمان .
(٢) يقول : كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى في طلب الغزو والفتح ،
وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه .

(١) يقول : لم أنس عهدك طي بعده ، فكلمات مجول - وهي الفاقة ولدها من
الإبل وغيرها - أو ناحت حمامة ، رقت نفسي فذكرتك ؛ والهديل هنا صوت الحمامة
ونصبه طي للصدر ، والعامل فيه يدعو ، لأنه بمنزلة تهدل . ويجوز أن يكون الهديل
الفرخ الذي يزعم الأعراب أن جارحاً صاده في سفينة نوح فالحمام يكي عليه ، كما
قال طرفة :

• كداعى هديل لا يُجَابُ ولا يُمَلِّ •

فالهديل هنا الفرخ ، لأن الحمام تدعو نائمة عليه فلا يجيبها ولا تمل دعاءه .
(٢) قبله :

وَأَشْعَثَ قَسَوَامَ بَيَّاتِ رَبِّهِ قَلِيلِ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمِ
شَكَكَتْ لَهُ بِالرَّمْحِ جَيْبَ قَيْصِهِ نَحْرَ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا عَلِيًّا وَمَنْ لَا يَقْبِيعُ الْحَقُّ يَظْلِمُ
يَذْكُرُنِي حَامِيمَ [البيت]

قال شريح هذه الأبيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال
كان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك
بحاميم - لما فيها من آية « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » حتى حمل

وَكَلَّمَا جَاهِرَ الْقَدُوَّ ضَعَى أَمَكْنَ حَتَّى كَأَنَّهُ حَتَلَهُ^(١)
يَحْتَقِرُ الْبَيْضَ وَاللَّدَانَ إِذَا سَنَّ عَلَيَّوِ الدَّلَاصَ أَوْ نَفَلَهُ^(٢)
قَدْ هَذَبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَاهَةَ لِي وَهَذَبَتْ شِعْرِي الْفَصَاحَةَ لَهُ^(٣)

(١) الحتل : الأخذ خدعة ؛ أى على بئنة . يقول : كلما حارب أعداءه جهاراً تمكن منهم وظفر بهم حتى كأنه خادعهم وأناهم بئنة ؛ وضمير « أمكن » للعدو ؛ أى أمكنه من نفسه .

(٢) البيض - بكسر الباء - السيف ، وتروى بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى الخوذة التى تحمل على الرأس . والدان : الرماح اللينة ، جمع لدن . وسن عليه درعه : إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها . والدلاص : الدرع اللينة للمساء . وتثل الدرع : ألحاه عنه : قال ابن جني : وذكر الدرع بقوله ثلثه ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن يقول : إنه يحتقر السيف والرماح - دارعا كان أو حاسراً - وسن بالسيف للمهلة - يروى بالشين المعجمة ، وكتباها بمعنى صب ، يقال سن عليه الماء : أى صبه ، وسن عليه الدرع يسنها سناً : كذلك إذا صبا عليه ، قال الجوهري : سفت الماء على وجهي : أى أرسلته إرسالاً من غير تفريق ، فإذا فرقته بالصب قلت « بالشين » ويقال شن عليهم الفارة : إذا فرقها .

(٣) الفقاهة : الفهم والمقننة والعلم : فقه الرجل يفقه فقاهة . يقول : إن فقاهة للمدح هذبت فهمه لى ، فهو يفهم شعري ويعرف جيده ، وفصاحتي هذبت شعري له ، فانا آتية به فصيحاً لا غاب فيه .

عليه المبنى هذا ، فقتله ، ثم قال هذه الأبيات : يقول ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام في الليل بتلاوتها قليل الأذى . وروى الكرى أى النوم ، وروى القذى وهو ما يتساقط في العين فيغمضها ، كنى بقلته عن قلة النوم فيها ترى العين : أى في رأى العين ، شككت : أى خرقته له بالرمح جيب : أى طوق قميصه كناية عن طعنه به في صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحاً على طي يديه ووجهه وعبر بالقم مبالغة في التنكيل ، ولأنه أول ما يلقي الأرض من الوجه ، وكذلك بلا سبب ، غير أنه ليس تابعاً لملى بن أبي طالب ، وهكذا حال كل من لم يتبع الملقى يذكرني حاميم . والحال أن رمحي قد اختلط بأضلاعه ؛ وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك .

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدُهُ لَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ حَمَلَهُ^(١)

واستأذن كافوراً في المسير إلى الرملة ليخلص مالا كتب له به ، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافور في مسيره ؛ فقال : لا والله لا نكلفك المسير ، نحن نبعث في خلاصه ونكفيك ، فقال أبو الطيب :

أَتَحْفِى لَا تُكَلِّفَنِ مَسِيرًا إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالًا
وَأَنْتَ مُكَلِّفِي أَنْبَى مَكَانًا ، وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالًا^(٢)
إِذَا سِرْنَا عَلَى الْفُسْطَاطِ يَوْمًا فَلَقَّنِي الْفَوَارِسَ وَالرَّجَالَ^(٣)

(١) يقول : أنا أحمد محمد السيف إياه ، والسيف لا يحمد كل حامل له . وكذلك أنا : لا أحمد كل يد .

(٢) وأنت مكلفي : حال : وأنبي : تفضل - من قولهم نبا به المكان : إذا لم يوافق ، ونبأ السيف : كل عن الضريبة ؛ والشقة : السافة . يقول : تمنعني من المسير خوفا على أن ينبو بي المكان الذي أنا قاصده وتتعبني مشقة السفر وأنت تكلفني من الإقامة عندك بما هو أنبي بي وأطول تعباً وأشدَّ حالا من السفر البعيد .

(٣) الفسطاط ، مدينة مصر قديماً . وأراد بلقي أجعلهم يلقونني : أي اجتمع خافي ليردوني إليك . يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردِّي إليك . هذا : والرجال . الرجالة قال تعالى « فرجالاً أو ركبانا » يقال رجل الرجل رجلاً فهو راجل ورجل ورجل ورجيل ورجل ورجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه وشاهد رجلاً :

على إذا لاقيت ليلى بخلاوة أن ازدادَ بيت الله رجلاً حافياً
والجمع رجال ورجالة ورجال ورجالي ورجالي ورجلاني ورجلاني ورجلة ورجلة ورجلة ورجلة وأرجلة وأرجل وأرجل ؛ قال أبو ذؤيب :

أهمَّ بنيه صيفهم وشتاؤهم وقالوا تعدَّ واغزُ وشط الأراجيل^(١)
قال ابن بري : الأراجل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل - مثل صاحب

(١) يقول : أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم ، وقالوا لأبيهم تعد أي انصرف عنا وحارب وسط الرجالة . وقال الجوهري : أرجال هنا جمع رجل ، خلاف المرأة .

لِتَعْلَمَ قَدَرَ مَنْ فَارَقَتْ مِثِّي وَأَنْتَ رُمْتَ مِنْ ضَيْبِي مُحَالًا^(١)
وقال يمدح أباشجاع فاتكا^(*) وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب
وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

وأصحاب وأصحاب - إلا أنه حذف الياء من الأراجيل ، لضرورة الشعر قال أبو
التمم الهذلي :

يا صغرُ واردَ ماءٍ قد تـسـابـقه سَومُ الأراجيل حتى ماؤه طَحِلَ^(١)
والرجلان بمعنى الرجلين ، جمعه رجلين ورجال - مثل عجلان وعجلى وهجـال -
ويقال رجل ورجالي : مثل عجل وعجالي ؛ وامرأة رجلى : مثل عجلى ؛ ونسوة رجال
مثل عجال ، ورجالي مثل عجالي . أما الرجل خلاف للمرأة فجمعه رجال ؛ ورجالات .
جمع الجمع . قال الجوهري في جمع الرجل : أراجيل ، واستشهد بيت أبي ذؤيب التميمي
ويقال للمرأة « رجلة » قال الشاعر :

كلُّ جارِ ظلٍ مفتبطاً غير جيرانِ بني جَبَلِه

خسر قوا جَبِيبَ فئاتهم لم يبالوا حرمة الرجلِه^(٢)

(١) مئى : تجريد . يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم - الظلم - وإن فوارسه
ورجالاته لا يقدر على رده إليه .

* قال ابن خلكان : هو « فاتك » الكبير المعروف بالهجنون ، كان رومياً أخذ
صغيراً من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذي الكلاع ، وهو ممن أخذه الأخشيذ من
سيده بالرملة كرهاً بلائعاً وأعفته ، فكان حراً عنده في عدة المالك ، وكان كريم
النفس ، بعيد الهمة ، شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « الهجنون » ، وكان رفيق
الأستاذ كافور في خدمة الأخشيذ ، فلما مات مخدومهما وتقرر كافور في خدمة ابن
الأخشيذ أنف « فاتك » من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج
أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له فانتقل إليها - وهي بلاد وبيـة
كثيرة الوحش - فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبه
المتنى ، وكان أبو الطيب يسمع بكرم « فاتك » وشجاعته ، إلا أنه لا يقدر على قصد

(١) سوم الأراجيل : أى حر الأراجال ؛ وماء طحل : كدر .

(٢) عنى بجيب فئاتهم : هنأها .

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ^(١)

خدمته خوفاً من كافور ، و « فانتك » يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا في الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع « فانتك » إلى داره حمل إلى أبي الطيب هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن « اللثني » الأستاذ كافور في مدحه فأذن له ، فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة . انتهى ولعل في هذه القصة ما يفسر به قول اللثني :

فَأَمْسَكَ لَا يَطَّالُ لَهُ فِيرَعِي [البيت]

كأنه يقول لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ، ولا كافور يرضيه ، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر .

(١) الإسعاد : الإغاة : يقول - مخاطباً نفسه - : ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى المدوح جزاء له على إحسانه إليك فليسمعك النطق : أى فامدحه ، وجاهزه بالثناء عليه إن لم تمنك الحال : أى على مجازاته بالمال ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول يزيد الهلبي :

إِنْ يُعْجِزِ الدَّهْرُ كُنْتُ عَنْ جَزَائِكُمْ فَإِنِّي بِالْهَوَى وَالشُّكْرِ مَجْتَهِدٌ

قال المكبري : « وهذا من الابتداء الذي يكرهه السامع بأن يقول للمدوح : لا خيل عندك تهديها ولا مال . وهو أول ما يقول له وقال في إعراب « لا خيل » نصب الخيل بلا لأنها تنصب النكرات بغير تنوين ، وقال سيويو والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين » وأنشد السجاني :

تَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحْشَ الطُّبُخُ بِنِ الْجَمِيمِ حِينَ لَا مُسْتَصْرَخُ^(١)

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفي قراءة من قرأ : « فلا رث ولا فسوق ولا جدال في الحج » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر في « الحج » وقرأ بعضهم برفع « الرث . والفسوق ، ونصب ، الجدال » ، وهو كقول أمية بن أبي الصلت .

فَلَا لَعُو وَلَا تَأْتِمَ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمُ^(٢)

(١) يريد بالطبخ : لللائكة اللوكلين بالمذاب ، وحش النار بالحطب : أوقدها ، ومنه حش الحرب يحشها حشاً : إذا أسعرها وهيجهها تشبها بإسعار النار .

(٢) قالوا في قوله تعالى « لا لعو فيها ولا تأتم » أن تأتم يجوز أن يكون مصدراً

وَأَجْزِ الْأَمِيرَ الَّذِي نَعَمَاهُ فَاجِئَةٌ
بِعَمِيرٍ قَوْلٍ وَنَعْمَى النَّاسِ أَقْوَالٌ^(١)

فَرَبَّمَا جَزَى الْإِحْسَانَ مُؤْلِيَهُ خَرِيدَةً مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكَسَالٌ^(١)
وَمَا تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي
ظُهُورَ جَزَى قَلِي فِيهِ تَضْهَالٌ^(٢)

(١) الخريذة الجارية الحية . والمكسال ، من النساء : الفاترة القليلة التصرف ؛
وخريذة : فاعل جزى ؛ والإحسان : مفعول ثان مقدم ؛ ومؤليه - أى معطيه - مفعول
أول . يقول : ربما حازت بالإحسان من بولي - يعطى - الإحسان امرأة عاجزة عن
كل شيء ؛ يعنى إن لم تمكن الكفاة فعلا فهى ممكنة قولاً كالـكفاة من هذه المكسال ،
بحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن ، ثم ضرب لهذا مثلاً فيما يلى : هذا :
والجزاء المكفاة على الشيء جزاء به ، وعليه جزاء ، وجزاء مجازاة - قال الجوهري
جزيته بما صنع جزاء وجزيته : بمعنى ، ويقال جازيته لجزيته : أى غلبته وقوله تعالى
« لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » : يعنى يوم القيامة لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً ،
يقال جزيت فلاناً حقه : أى قضيته . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا بى
بردة بن نيار حين ضحى بالجدعة « تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك » أى تقضى
قال الأصمى : هذا مأخوذ من قولك قد جزى عنى هذا الأمر ولا همز فيه ، قال ومنعاه
لا تقضى عن أحد بعدك ويقال جزت عنك شاة : أى قضيت ، وبنو تميم يقولون أجزأت
عنك شاة - بالهمز - أى قضت ، وقيل فى قوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس
شيئاً » : لا تقضى .

(٢) الشكل - بالضم - جمع شكل ، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ؛ وبالفتح :
مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال ، والظهور جمع ظهر ، والتضهال بمعنى الصمىل
أخرجه مخرج تسيار ونحوه : ضرب لنفسه للثل فى عجزه عن الكفاة بالفعل والاجترأ
عنه بالقول ، بفرس أحكم شكاه فمميز عن الجرى لكنه يسهل . يقول : إن لم يكن
عندى الفعل فعندى مكفاة بالقول يعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافر
فإنى أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة سهل شوقاً إليها ، وقال
المرى : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جازيتك قولاً وجعل التضهال مثلاً لثناؤه
على المدوح : وكان « فانتك » هذا يسر خلافاً للأسود - كافر - وينطوى على بغضه
ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه . ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفاً
من كافر

وَمَا شَكَرْتُ لَأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي سَيِّئَانِ عِنْدِي إِكْثَارٌ وَإِقْلَالٌ^(١)
 لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا، وَأَنْتَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَالٌ^(٢)
 فَكُنْتُ مَنِيْبَتَ رَوْضِ الْحَزَنِ بَاكِرَةً
 غَيْثٌ يَغِيْرُ سَبَاحِ الْأَرْضِ هَطَالٌ^(٣)
 غَيْثٌ يَبِيْنُ لِلنَّظَارِ مَوْفِعُهُ أَنْ النُّيُوْثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالٌ^(٤)
 لَا يَذْرُكُ الْمَحْدُ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ لِمَا يَشْقُ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٌ^(٥)
 لَا وَارِثُ جِهَاتٍ يُنْمَأُهُ مَا وَهَبَتْ وَلَا كُؤُوبٌ يَغِيْرُ السَّيْفِ سَثَالٌ^(٦)

(١) سيان : مثنى « سى » بمعنى مثل ، والإكثار : الغنى ، والإقلال : الفقر : يقول ليس شكريك عن فرح بما أهديته إلى ، لأن الغنى والفقر عندي سواء لقلة مبالاة بالدنيا قال ابن جني : ما رأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لغاتك . وكان يقول حمل إلى ما قيمته ألف دينار في وقت واحد .

(٢) بخال : جمع باخل . يقول : إنما أشكر لأنى رأيت من القبيح أن يجاد لى بالبر والنعمة وأنا بخيل بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد : وقوله : « وأنتا » يجوز فيه فتح الهمزة على العطف ، وكسرها على الحال .

(٣) الحزن : خلاف السهل . والسباح : جمع سبيخة ، وهى الأرض لا تنبت لأنها ذات نز وملح ، وهطال : ساكب . يقول : لما وصل إلى بره ونعمته كنت كمنبت روض الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده ، نضرة وذكاء . يعنى أن مطر بره لم يصادف منى سبيخة لا تنبت ، وخص روض الحزن لأنها أنضر لبعدها عن الغبار والثر والصدق والمعنى أن بره صادف منى من يعرف حقه ويذيع شكره .

(٤) يقول : إن موقع إحسانه منى يبين للناظرين أن غيره من الحسينين يخطئون مواقع الإحسان لأنهم لا يقدرونه من يستأله ويقوم بشكره . ولك أن تبقى الغيوث على معناها الحقيقي : يعنى أن الممدوح أحكم من الغيوث لأنه يضع إحسانه فى موضعه أما هى فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(٥) لما يشق : أى لما يصعب ، متعلق بفعال والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

(٦) وارث : صفة أخرى لسيد ، وسثال : طلاب ؛ وبغير السيف : صلة . سثال ، يقول : لا يدرك المهد إلا سيد لم يرث أباه مالا - والممدوح لم يرث أباه لأنه كان جوادا فلم

قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ
تَذَرِي الْقَنَاءُ إِذَا أَهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ
كَفَاتِكَ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقَصَةٌ
كَالشمسِ قُلْتُ وَمَا لِلشمسِ أَمْثَالُ^(١)
أَنْ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ^(٢)
كَالشمسِ قُلْتُ وَمَا لِلشمسِ أَمْثَالُ^(٣)

خلف مالا - ويمينه مجهول ماوهب لكثرتي ، وليس هو كسوبا ولا مثالا بغير السيف
أى لا يطلب حاجته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح

(١) الضمير في « له » للسيد ؛ والجملة : نعت آخر له : أى قال الزمان له - بلسان
حاله - إن المال لا يبقى على مالكه ، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله في سبيل الجهد .
وعبارة الواحدى : وقوله إن الزمان الخ : كلام مستأنف ؛ وعدال : مبالغة ، من العدل
وهو اللوم . يقول : إن الزمان يلوم على البخل لأن البخل يفوت على نفسه كسب
المحمدة والذكر باستبقاء ماله يساق . وقال ابن جني : أكرم الناس من تعب في جمع
الأموال بالسيف ثم يهبها بعد ؛ وقال التبريزي : من رأى المسكين وموتهم عن الأموال
وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر فكانه حذره عن الإمساك ، والزمان لم يقل
قولا حقيقة ، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له .

(٢) القنأة : الرمح والبيت في صفة السيد أيضا . يقول : يعلم الرمح في يده أنه سيشتق
به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك .

(٣) فأنك : هو اسم الممدوح ، وأراد بالكاف : كاف التشبيه الداخلة على « فأنك »
والمنقصة : النقص . يقول : لا يدرك الجهد إلا سيد صفاته هذه التي ذكرت ، ثم استدرك
فقال : دخول الكاف عليه تنقص من قدره في الظاهر ، لأنه يوم أن له شبيها ، وإنما
هو كالشمس إذا شبت بها أحدا ، والشمس لا شبيه لها وهذه الكاف هي التي يقال لها
كاف الاستقصاء ، ذكرها أهل العربية ، ومثلوا لها بقولهم : من الحروف ما لا يقبل
الحركة كالألف . وقال ابن جني : إذا قيل كفأنك ودخول الكاف منقصة جعل له
شبيه ، فاتقص بذلك ، وإنما قولى كالشمس - وإن كانت لا شبيه لها والكاف زائدة -
كقول رؤبة :

* لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَلَقِ^(١) *

(١) من أرجوزة لرؤبة أولها

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْخَتَرِ *

راجعها في أراجيز العرب للبكري ، وفي خزانة الأدب للبغدادى ؛ ولواحق
الأقرب ؛ خماس البطون قد لحقت بطونها بظهورها ، والملقى : الطول ؛

الْقَائِدِ الْأَسَدَ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَفَى أَشْبَالُ^(١)
الْقَاتِلِ السَّيْفِ فِي جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَالسُّيُوفِ كَالنَّاسِ آجَالُ^(٢)
تَغْيِيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ أَهْمَالُ^(٣)

أى فيها مقى ، وهو الطول ، ولا يقال فيها كالطول إلا على زيادة الكاف وقد أنكر الواحدى كلام ابن جنى هذا وقال : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكاف في كفاتك ، فقال الكاف ههنا زائدة ، وإعما معناه وتقديره : فأتك أى هذا المدوح فأتك ، مع أن جميع البيت مبنى على هذه الكاف ، فكيف يقاء إنها زائدة ؟ وعبرة الإمام التبريزى : لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله : ودخول الكاف منقصة : أى كاف التشبيه الداخلة على « فأتك » : أى أن دخول الكاف عليه ينقص من قدره ، لأنه يوم أن له شبيها ، وليس له شبيه ، فهو كالشمس ، يشبه بها الشيء المستحسن على الظاهر ، وليس لها مثل .

(١) البرائن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان ؛ وبمثلها صلة غذته . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . يقول : الذى يقود إلى الحرب رجلا م أسود تغدوم برائنه - معنى سيوفه وسلاحه فهن له كالبرائن . - رجال مثلهم من الأعداء أى أنه بضمهم الأبطال وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغديتهم ، قال الشراح : يشير إلى غلمان الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائه منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا . (٢) به صلة القاتل ؛ والسيوف خبر مقدم عن آجال . وقوله كمال للناس : فما مصدرية وللناس : خبر عن محذوف ، والتقدير : لالسيوف آجال كمال للناس آجال . يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف . يريد أنه يكسره في جسمه . فجعل ذلك قتل للسيف ، ثم قال : وإن لالسيوف آجالا كما أن للناس آجالا .

(٣) وماله : يريد نعمه ؛ والأهمال : جمع همل ، وهى الإبل بلا راع . قال الجوهري الحمل - بالتحريك - الإبل بلا راع : مثل النفس ؛ إلا أن الحمل يكون ليلا ونهاراً ، والنفس لا يكون إلا ليلا ، يقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركها هملا أى سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع . وفى اللث : اختلط المرعى بالحمل . والمرعى : الذى له راع يقول : إن هيبته تمنع الإغارة ، على ماله فكأنها تغير على الغارة وماله مهمل لا راعى له بأقاصى الأرض لا يغار عليه لهيبته . ويجوز أن يكون المعنى : أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هبة له ، فكان هيبته تغير على غارة غيره ، ثم قال : وماله بأقاصى الأرض أهمال لا يغار عليها . وحمة المعنى أنه - لجلالة قدره ونباهة شأنه وعظمه فى النفوس - تنهيه الفرسان فى غاراتها فلا تقدم على مقاتلة أهماله .

لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ

عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنَسَاءٌ وَذَيَالٌ^(١)

تُمْنِي الضَّيُوفُ مُشَاهَةً بِمَقْوَمِهِ كَانَ أَوْقَاتَهَا فِي الْعَلِيبِ آصَالٌ^(٢)

لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالٌ^(٣)

(١) العير : حمار الوحش ، وهو بدل تفصيل من « ما » ؛ والهيق : الظليم - ذكر النعام - والخنساء : البقرة الوحشية ، سميت بذلك لخنس أنفها - والخنس قريب : من الفطس ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه . والذبال : الثور الوحش لأنه يجر ذنبه كالذيل . يقول : يقدر على صيد ما يختاره من الوحش لحذقه واقتداره ، وجعل الاختيار للأسنة مجازاً ، لأنه يطلب الصيد بها ، فكأنها هي التي تختار . وعبارة العكبري : يعني أنه كان ملازم الحروب في الفلوات ، وكان يتقوت بلحوم الوحش ، وكان عارفاً بصيدها ، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسنته .

(٢) مشاهة : أى تعطى ما تشبهه ، وإنما يقال في هذا المعنى أشباه - بالالف - تقول تشبهت المرأة على زوجها فأشبهها : أى أنالها شهواتها ، ولكن التنبي استعمل « فعل » في موضع « أفعل » والعقوة : الساحة . والآصال : جمع أصل : جمع أصيل ، آخر النهار ، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم . يقول : إن أضيافه يعطون ما يشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال ؛ وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالَى كُلُّهَا أَشْحَارُ

(٣) القاري : الضيف ، وقاريها : يعنى الممدوح ، والخرادل القطع - كأنها مقصورة فمن قولهم : لحم خراديل : أى مقطع - وهو من الجروع التي لا واحد لها والقدال فيه : لغة . وقال كعب بن زهير :

يَفْدُو قَيْلَحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلٌ^(١)

(١) من قصيدة « بانت سعاد » التي مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أسدا . يقول : يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيداً لولديه فيطعمهما لحما . والعيش هنا : القوت ؛ ولحم معفور : أى ملقى في العفر - بفتحين - وهو التراب ؛ وخراديل : مقطع .

لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالِهِ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا إِذَا حَفَرَ الْأَضْيَافَ تَرَحَّالٌ^(١)
يُرْوَى صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضْلَاتٍ مَا شَرِبُوا
تَحْضُ اللَّقَاحَ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالٌ^(٢)
تَقْرَى صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ غَبِطَ دَمٍ
كَأَنَّمَا السَّاعُ نَزَالٌ وَقُفَّالٌ^(٣)

والأوصال : جمع وصل ، وهو العضو ؛ والشيزى : خشب أسود تعمل منه الجفان -
القصاع - يقول : لو اشتهت أضيافه لحمه لما بخل به عليهم ولأتام وشيكا ، قطع من لحمه
حرصاً منه على مسرتهم . قال العكبرى : وهذا من الإفراط الذى يحسر فيه بما لا يكون
إشارة إلى استيفاء الغاية فيما يمكن .

(١) الرزء : المصيبة وحفره واحتفره : دفعه من خلفه يحفره حفراً ، قال الراجز :
تَرِيحُ بَعْدَ النَّفْسِ الْمُحْفُوزِ إِرَاحَةً الْجَدَايَةِ النَّفُوزِ^(١)
يقول : إن المصيبة عنده فى المال والولد هى ارتحال الأضياف من داره أى أنه يناله
من ذلك ما ينال من يرزأ فى ماله وولده .

(٢) الصدى : العطش . وكان الوجه أن يقول فضلات - بفتح الصاد - ولكنه
سكنها للضرورة . والمحض من اللبن : الخالص الذى لم يشب بماء ؛ واللحاق : جمع
لقحة ؛ وهى الناقة الحلوب ؛ ومحض اللقاح : فاعل يروى . وأراد صافى اللون : الحمر
والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق . يقول : إنه يكثر لهم من اللبن والحمر فيفضل
عنهم ما يروى الأرض من سؤر أقداحهم الذى يراق ، وقال ابن جنى : إذا انصرف
أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم . لأنه يلتقى كل وارد بقرى جديد من
اللبن والحمر . وعبارة ابن الأقلبي : يروى عطش الأرض بفضلات ما يسقيه أضيافه من
اللبن والحمر وما يتابع لهم من الأطاف والبر ، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض
مقام السقى . وما يحل لها محل المطر ، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب ،
وهو أوجه مما ذهب إليه ابن جنى .

(٣) تقرى : تضيف ؛ وصوارمه : سيوفه ؛ والغبط والعبيط : الطرى من الدم ،
والساع : جمع ساعة . ونزال وقفال : الاضياف - منهم من ينزل ، ومنهم من يرحل .

(١) يريد بالنفس المحفوظ : النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز : أى يدفع والجداية :
الظبية ؛ ونفز الظبي : جمع قوائمه ثم وثب .

تَجْرِي النُّفُوسُ حَوَالِيَهُ مُحَلِّطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ^(١)
لَا يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلُهُ وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأَطْفَالُ^(٢)
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ خُبَّةٌ وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالشَّمْرُ ضَلَالٌ^(٣)

قال الواحدى : كل ساعة تأتى عليه يحدد فيها ذبحها ، كأن الساعات تزال ينزلون عليه ؛
وقال : رجوعا من سفر : يعنى أنه لا يطعم أضيافه اللحم القرب ، بل يحدد لهم الدجج
والنحر كل ساعة فيجربى دما عبيطا ؛ وقال ابن جنى : يقول هو كل ساعة يريق دما
طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه . فجعل ابن جنى
الدَّم العبيط من الأعداء .

(١) أراد بالنفوس : الدماء قال السموءل بن عادىء .

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطَّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطَّبَاتِ تَسِيلُ^(١)
وأغنام : جمع غنم ؛ وآبال : جمع إبل . يقول : تجرى الدماء حوله مختلطة دماء
الأعداء بدماء الدبابح للأضياف ، كما قال البحرى :

مَا انْفَكَّ مُتَضَيِّعًا سَنِيٌّ وَغَيٌّ وَقِرَى عَلَى الْكُوَاهِلِ تَدْمَى وَالْعَرَاقِبِ
(٢) نائله : عطاء . والأطفال : تصغير أطفال يصف عموم بره ، وأن القريب
والبيد فيه سواء ، حتى الأطفال التى لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمعرفه ،
فبره يصل إلى كل أحد .

(٣) الأقران جمع قرن ، وهم الأكفاء فى الحرب . والبيض : السيوف . والظبة :
حد السيف . وهادية - من هدى اللازم - أى مهتدية . والسمر : الرماح . يقول :
إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه ، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية -
لأنها تمضى قدما على استواء - والرماح ضالة لأنها تذهب يمينا وشمالا فى الطعن ، وهو
الطعن الشزر . فهو أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ سَيْفًا فى أقرانه . وقال العكبرى : أراد أن القوم
إذا دنا بعضهم من بعض تجادلوا بالسيوف ، فكأن الرماح ضالة فى الرجال ، فقصرمت
الرماح وضلت عن مقاصدها ، وضاق المجال عن التطاعن بها ، وصار الامر إلى المجادلة

(١) من أبياته التى يقول فى مطلعها :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذْنُسْ مِنَ اللَّوْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِءَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
والظبة : جمع ظبة ؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر ، وما أحبه ذلك .

يُرِيكَ نَجَبَهُ أَضْمَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرَّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ^(١)
 وَقَدْ يُلْقِيهِ الْمَجْنُونُ حَاسِدَهُ إِذَا اخْتَلَطَنَ وَبَغَضُ الْعَقْلِ عُقَالُ^(٢)
 يَرَى بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدَّ لَهُ لَهَا مِنْ شَقِّهِ وَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالُ^(٣)

بالسيوف فصارت السيوف هادية مبصرة ، والرماح ضالة مقصرة ، حينئذ يكون
 أمضى الفريقين .

(١) الآل : السراب . يقول : إذا اخترته رأيته يرى أضمافا على ما أراك منظره . ثم
 قال : وفي الرجال الماء والآل : يعنى فى الرجال من هو كالماء أى رجل على حق الرجال
 وفيهم من هو كالآل : أى يشبه الرجال بصورته ، وليس عنده ما عندهم من المعاني ،
 كالآل ، يشبه الماء وليس بماء .

(٢) اختلطن : أى البيض والسمر . والعقل : داء يأخذ الدواب فى أرجلها يمنعها
 من للمنى . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسدا
 له على فرط شجاعته التى تشبه الجنون ، والعقل ليس فى كل وقت محموداً ، لأنه فى مثل
 هذه الحال يمنع من الإقدام ، فيكون لصاحبه كالعقال قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون
 على العقل بأحسن من هذا ، وقال العكبرى : كان « فانتك » يلقب بالمجنون ، ففسره
 أبو الطيب تفسيراً أذهب قبحه وحسن عند النكر له أن يلقب بمثله . وقد نظر فى
 لفظ البيت إلى قول أبى تمام :

رَأَى بَيْنَ حَيْطَانَا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَوْلَيْكَ عُقَالَاتُهُ لَا مَعْلَقَهُ^(١)
 وفى معناه إلى قول الكلابى :

أَلَا أَيُّهَا الْمُخْتَابُ عِرْصِي تَعْمِينِي تَسْمِينِي الْمَجْنُونَ فِي الْجِدِّ وَاللَّعْبِ
 أَنَا الرَّجُلُ الْمَجْنُونُ وَالرَّجُلُ الَّذِي بِهِ تُتَقَى يَوْمَ الْوَعْدِ غِرَّةُ الْحَرْبِ

(٣) يقول : يرى الجيش الذى بناصبه بالبيض - السيوف - ولا بد له وتلك
 السيوف من شق ذلك الجيش ، ولو كان فى القوة والثبات كالجبال ، فالضمير فى « بها »

(١) عقالاته : قيوده . وقبل البيت :

إِذَا مَارَقْتُ بِالْقَدْرِ حَاوِلَ غَدْرَةٍ فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تُثِيمَ حِلَالَتِهِ
 فَإِنْ بَاشَرَ الْأَحْمَارَ فَالْبَيْضَ وَالْقَنَا قَرَاهُ وَأَحْوَاضَ الْمَنَاسِيَا مَنَاهَا

إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِثَالٌ^(١)
يُرْوَعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا
مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَفْتَالٌ^(٢)
أَنَالَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَنَّى نَالُوا^(٣)
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حَلِيقَتُهُ مُهَنْدٌ وَأَصْمُ الْكُفْبِ عَسَالٌ^(٤)

البيض ، قال بعض الشراح : الضمير للخيل ، وقوله : لا بد بالرفع على إعمال « لا » عمل « ليس »

(١) نشبت : علفت ؛ والمخالب ، للسبع والطيور : بمنزلة الظفر للانسان ، أثبت له المخالب على إضمار تشبيهه بالأسد والحلم : الأناة والعقل . والريثال : الأسد . قال الواحدى : هذا كأنه عذر للذى يلقيه بالمجنون من أعدائه ، لأنهم يرونه كالأسد في الشجاعة والأسد لا يوصف بالحلم . كذلك هذا المدوح : يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء . يقول : هو أسد على أعدائه إذا أنشبت فيهم مخالبه زايله الحلم . لأن الحلم والأسد لا يجتمعان ، وقال ابن القطاع : إذا أنشب مخالبه في قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة . (٢) يروعههم : يفرعهم ؛ ومنه : تجريد ؛ وصروف الدهر : حدثاته ؛ والاعتغال الإهلاك على غفلة . يقول : هذا المدوح دهر يقول الأعداء ، إلا أنه يغولهم جهاراً ، أما الدهر فإنه يقتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه ، وجعله كالدهر تعظيماً لشأنه ، ثم بالغ وفضله على الدهر .

(٣) « ما » : خبر مقدم عن « الذى » ؛ ونالوا : الضمير للعدى ؛ والجملة صلة « الذى » يقول : هو بجرأته وإقدامه واقتحامه الحروب والمهلك نال الشرف الأعلى ، فما الذى نال أعداؤه بإحجامهم وتوقيهم ما يأتبه من المخاوف والأهوال ؟

(٤) المهند : السيف الهندى القاطع . وأصم الكعب : الرمح ؛ والأصم : الصلب ؛ والكعب : الناشز بين أنبوي الرمح . والعسال : المهتز المضطرب . يقول : إذا تزينت للولوك بالتيجان ونحوها زين هو بالسيف والرمح . يعنى أنه احتاز الرياسة مغالبة بنفسه واستحقها بشجاعته وإقدامه . هذا . و« حليته » تروى بالنصب على أنه خبر كان ، و« مهند » اسمها ، وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه ، فكأنه أراد وصفه ، فقربه من المجرفة ، وتروى « حليته » ، بالرفع ، فتكون مبتدأ . خبرها ما بعدها . والجملة خبر كان ، واسمها ضمير الشأن أو ضمير المدوح .

أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجَمَانِ قَاطِبَةٌ هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ التَّهْجَاءِ أَهْوَالٌ^(١)
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِفَتْخِيرٍ فِي الْحَمْدِ حَالٌ وَلَا مِمْ وَلَا دَالٌ^(٢)
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَائِيلُ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَآذِي سِرْبَالٌ^(٣)
وَكَيْفَ اسْتَرُمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ وَقَدْ عَمِرَتْ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ^(٤)
لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّى وَتَكَرَّمَتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الصَّالِحِينَ يَحْتَالُ^(٥)
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفْنِكَ آمَالُ^(٦)

(١) أبو شجاع . كنية للمدوح ، وهو خبر عن هذوف . أى هو أبو شجاع وأبو الشجمان . بدل وقاطبة . جميعا ، والمهول . ما أخف وأقزع وهو خبر آخر ونمته . غذته وربته أو نسب إليها ، يقال . نساء جد كريم ونمته إلى فلان . والتهجاء . الحرب يقول . هو أبو شجاع كنية ، وهو أبو الشجمان كلهم حقيقة لأنهم كلهم دونه ، وهو هول عند الحرب في أعين الأعداء . ونمته أهوال الحرب لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء ، أو قد صار ينسب إليها ويعرف بها .

(٢) يقول : إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه . يعنى أنه الممدوح في أفعاله وأقواله وليس محمد دونه أحد .

(٣) السربال : الثوب ؛ والمآذى : الدرع اللينة . يقول : يكفيه في الحرب سربال واحد من الدرع ، أما الحمد فعليه منه سراويل كثيرة : يعنى أنه يتوقى الدم بأكثر مما يتوقى الحرب .

(٤) أوليت : أعطيت ؛ والنوال : العطاء ، وهو تمييز . والنال : للرجل الكثير النوال ، وهذا كما يقال : كبش صاف : أى كثير الصوف ، ويوم طنان : أى كثير الطين ويوم راح : كثير الريح ؛ ورجل خاف : كثير الخوف . يقول : أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقنى فيه : أى هو أشهر من أن يستتر .

(٥) يقول : توصلت إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف وتديير ورأى تحصيلاً لثنائى عليك ؛ وكذلك الكريم : يحتال على تحصيل ما يفيد شرفاً وذكراً ، يشير إلى ما وصله به «فانك» وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور في مدحه ، لأن أبا الطيب لم يكن يحسر أن يمدحه ابتداء خوفاً من كافور .

(٦) غدوت - هنا - تامة ، والتجوال : مصدر بمعنى الجولان . يقول : لم تزا

وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طَوْلُ لَا يَسِيْدُ إِنْ الثَّنَاءُ عَلَى التَّنْبَالِ تَنْبَالٌ^(١)
 إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشَرٍ
 فَإِنْ قَدَّرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَخْتَالَ^(٢)
 كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالٌ^(٣)
 وَلَا تُمَدِّدُكَ صَوَانَا لِمُهْجَتِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرُّوْعِ بَذَالٌ^(٤)
 وَلَا التَّمَشُّقَةُ سَادَ النَّاسِ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ^(٥)

يختال على العلياء حتى غدت والأخبار تهول في الآفاق بحسن ذكرك والثناء عليك ،
 وصار لكل أحد أمل في كفيك حتى الكواكب تأملك .

(١) التنبال : القصير ، وجمه تنابل وتنبالة ، لما جعل الثناء لباساً للمدوح : عبر
 عن طول معانيه بطول المدح وعن قصرها بقصره . يقول : إنما طال ثنائي لطول
 ما يتضمنه من وصف مناقب للمدوح . وعبرة الواحدى يقول : مدح العريف يشرف
 الشعر ، ومدح اللئيم يؤدي إلى لؤم الشعر ، يعنى أن شعري قد شرف بشرف هذا
 المدوح . وزاد على ذلك العكبري فقال : أى قد طال لسانى بالثناء ، وفتح لى باب
 المدح والإطراء ، جلالة قدر من مدحته ، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى
 ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال ، الراغب عن الكرم والإفضال
 (٢) اختال الرجل : أدركه الزهو والعجب فثنى الخيلاء . تختال وقوله أن تختال
 أى عن أن تختال تخذف . يقول : إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك ترفع من
 عن الكبر والعجب بين الناس ، فإن قدرك يختال ويزهى بين أقدار الناس ، لأنك
 أعظم قدراً من كل أحد .

(٣) المفضال : الكثير الفضل . يقول : لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة
 كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحباً لها حتى تفضل كل مفضل وتربى عليهم .

(٤) المهجة : دم القلب . والروع : الفزع . والبذال : مبالغة من البذل ، ضد
 الصيانة . يقول : وكأن نفسك لا تمدك قائماً بحق صيانتها حتى تبذلها وتهودبها فى
 الروع فتقتحم المهالك ، وتعرض لمواجهة الحروب والتألف .

(٥) يقول : لولا أن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة ، ثم بين المشقة التى
 فى السيادة ، فقال : من جاد افتقر ، ومن أقدم على الحرب قتل ، ولا سيادة دون

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَا شِئَ بِالرَّحْلِ شِمْلَالٌ^(١)
 إِنَّا لَنِي زَمَنُ تَرْكُ الْقَيْحِ ۖ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ^(٢)
 ذِكْرُ الْفَتَى عُمَرُ الْثَانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفَضُولُ الْقَيْشِ أَشْقَالٌ^(٣)

الجود والشجاعة . والبيت مفرع على البيتين السابقين - كما لا يخفى - وهو من قول منصور النمرى :

الجودُ أحسنُ مسأيا بنى مطرٍ مِنْ أَنْ تَبْرُ كُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلَبٍ
 مَا أَعْلَمَ النَّاسَ أَنَّ الْجودَ مَكْسَبَةٌ لِلْمَجْدِ لَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّسَبِ

(١) الطاقة : اسم - من أطاقه : إذا قدر عليه - والشملال : الناقة القوية الخفيفة المتى السريعة . يتذر عمن لم يسد من الناس . يقول كل إنسان يجرى في السيادة على على قدر طاقته ، فليس كل أحد أهلا للاضطلام بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود . ويبلغ مبلغ المدوح ، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالا .
 (٢) يقول : من يتجنب معك القبح ولا يعاملك به في هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلا ، اكثرة من يعاملك بالقبيح ، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال .

وصرنا نرى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُحْسِنٌ وَأَنْ خَلِيلًا لَا يَضُرُّ وَصُولُ
 وقال العكبرى : وهذا من قول الحكيم « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتسكن فضائله ترك الرذائل » .

(٣) يقول : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له ، واما يحتاج إليه في دنياه قدر القوت ، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حفل به ولا غناء فيه ، كما قال سالم بن وابصة :

غَنَى النَّفْسُ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغَنَى فَقَرَا
 قال ابن جنى : مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رأى يستقي ماء فقيل له : بعد الخلافة ؟ فقال إنما فقدنا الفضول ..

تم - بحون الله - الجزء الثالث ؛ ويليه إن شاء الله - الجزء الرابع

فهرست

قوافى الجزء الثالث من شرح ديوان المتنبي

صفحة

مطلع القصيدة :

- أركائب الأحباب إن الأدمع . . . اليرما ٣
الحزن يفلق والتجمل يردع . . . طيع ١٢
بأبي من وددته فافترقنا . . . اجتماع ٢١

قافية الفاء

- موقع الخيل من نذاك طفيف . . . ألوف ٢٢
أهون بطول الثواء والتلف . . . يا أبا دلف ٢٣
لجنة أم غادة رفع السجف . . . شنف ٢٥
به وبمثله شق الصفوف . . . الحثوف ٣٥
ومنتسب عندي إلى من أحبه . . . حفيف ٢٥
أعددت للغادرين أسيافا . . . آنافا ٣٦

قافية القاف

- أيدري الدمع أى دم أراقا . . . شاقا ٢٩
لمينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي . . . وما يقي ٤٨
تذكرت ما بين العذيب وبارق . . . السوابق ٦٥
أرق على أرق ومثل يأرق . . . تترقق ٧٣
أى محل أرتقى . . . أتمى ٨١
هو البين حتى ما تأتى الخزائق . . . أطارق ٨٢
وجدت للدامة غلاية . . . أشواقه ٩٠
وذات غدائر لا عيب فيها . . . للصناق ١١
سقاني الحمر قولك لى بحقى . . . بمذق ٩١

صفحة

مطلع القصيدة .

٩٢

ما الدروج الخضر والحدائق ... العوائق

٩٨

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم ... الحمق

١٠١

أتراها لكثرة العشاق ... في المآق

١١١

لام أناس أبا العشائر في ... والورق

قافية الكاف

١١٣

رب نجيع بسيف الدولة انسفكا ... ملكا

١١٣

إن هذا الشعر في الشعر ملك ... فلك

١١٥

أما ترى ما أراه أيها الملك ... حبك

١١٥

بكيت ياربسع حتى كدت أبكيكا ... مغانيكا

١٢٠

تهنا بصور أم نهننها بكا ... لك

١٢١

لم تر من نادمت إلا كا ... ذاكا

١٢٢

يا أيها الملك الذي ندماؤه ... لا ملكه

١٢٢

قد بلغت الذي أردت من البر ... عليك

١٢٢

لئن كان أحسن في وصفها ... لك

١٢٣

فدى لك من يقصر عن مداكا ... فداكا

قافية اللام

١٣٦

رويدك أيها الملك الجليل ... تنيل

١٤٠

نعد المشرفة والعوالي ... قتال

١٥٢

إلام طماعية العاذل ... للعاقل

١٦٣

أعلى الممالك ما يبني على الأسفل ... كالتقبل

١٧٠

بنا . نك فوق الرمل ما بك في الرمل ... يلى

١٧٩

لا الحلم جاد به ولا بمثاله ... وزياه

١٩٠

يؤم ذا السيف آماله ... أفضاله

١٩١

أيقده في الحيمة العذل ... يشمل

١٩٨

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل ... والأبل

٢١٢

أقل أنل إن صن أحمل على سل أعد ... صل

صفحة

مطلع القصيدة :

٢١٣	عش ابق اسم سد قد جد مرانه رف اسرئل .
٢١٣	شديد البعد من شرب الشمول ... النخيل
٢١٤	أتيت بمنطق العرب الأصيل ... قيلي
٢١٥	لقيت السقاء بآمالها ... بآجالها
٢١٦	وصفت لنا ولم نره سلاحا ... التزال
٢١٧	ليالى بعد الظاهنين شكول ... طويل
٢٣٢	إن كنت عن خير الأنام سائلا ... فضاللا
٢٣٢	دروع لك الروم هذى الرسائل ... ويشاغل
٢٤٢	إن يكن صبر ذى الرزية فضلا ... الأجلا
٢٥٤	ذى المعالي فليعلون من تعالى ... فللا
٢٦٧	مالنا كلنا جو يارسول ... للتبول
٢٧٩	لا تحسن الوفرة حتى ترى ... القتال
٢٨٠	عجب قياى ما لذككم النصل ... القتل
٢٨٢	أحيا وأيسر ما قاسيت ماقتلا ... عدلا
٢٩٠	قد شغل الناس كثرة الأمل ... شغل
٢٩١	قفا نريا ودق فهانا الهائل ... قائل
٢٩٥	أحببت برك إذ أردت رجلا ... قليلا
٢٩٦	عزب أسى من داؤه الحدق النجل ... قبل
٣٠٩	صلة المجر لى وهجر الوصال .. الهلال
٣١٧	ومنزل ليس لنا بمنزل ... المطل
٣٢٥	أبعد نأى للليجة البخل ... الإبل
٣٢٧	بقائى شاء ليس هم ارتحالا ... الجمالا
٣٤٩	فى الحد إن عزم الخليط رجلا ... محولا
٣٦٢	أرى حلا مطواة حسناً ... اعتلالى
٣٤٦	عذلت منادمة الأمير عواذلى ... السائل
٣٦٥	بدر فنى لو كان من سؤاله ... ماله
٣٦٦	قد أت بالحاجة مقضية .. تطويلها

مطلع القصيدة :

صفحة

٣٦٦

لك يا منازل في القلوب منازل ... أو اهل

٣٧٨

أمانكم من قبل موتكم الجهل ... النمل

٣٨٠

يا أكرم الناس في الفعال ... اللقال

٣٨٠

أنا في كلام الجاهل ابن كيف لا ... وسهولا

٣٨١

لا تحسبوا ربكم ولا طلقه ... قتله

٣٩٢

أنحلف لا تكلفى مسيراً ... مالا

٣٩٤

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... الحال

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَتْ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبْطِ وَالِاسْتِيعَابِ، بِحَيْثُ تَلَقَّتْ
فِي هَذَا الشَّحِّ جَمِيعَ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُفِيدًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الرابع

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح أبا الفوارس دليبر بن لشكروز سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ،
 وكان قد جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب ،
 وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دليبر إليها :
 كَدَعَوَاكَ كُلُّ يَدِي صِحَّةَ الْمُقْلِ ،

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَذْرَى بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ ^(١)
 لَهْنِكَ أَوْلَى لَا يَحْمِ بِمَلَامَةٍ ، وَأُخْوَجُ يَمِّنْ تَفْذِلِينَ إِلَى الْعَذْلِ ^(٢)
 تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِنْكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ بِجِدِي مِثْلِي ^(٣)
 مُحِبٌّ كَفَى بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ ، وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ ^(٤)
 وَبِالشَّمْرِ عَنْ شَمْرِ الْقَبَاغِ غَيْرَ أَتْنِي جَنَاهَا أَحْبَابِي وَأَطْرَافُهَا رُسُلِي ^(٥)

(١) يقول - للعاذلة - : كل أحد يدعي لنفسه صحة العقل كما تدعين أنت : يعني أنك بلومك إياي تدعين أنك أصح عقلا مني ، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه ، لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلا .

(٢) لهنك : قال سيويه أصلها « لله أنك » وقال أبو زيد : أصلها « لإنك » مركبة من « لام التوكيد وإن » فأبدلت همزة « إن » هاء ثلثا يجتمع حرفان للتوكيد في الصورة . يقول : أنت أولى بالقوم وأخوج إلى العذل مني ، لأن من أحببته لا يلام على حبه .

(٣) منك : منصوب على الحال من عاشق ، لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال . يقول : لها : إن وجدت محبوبي مثلا في الحسن وجدت لي مثلا في العشق : يعني كما أن محبوبي لا مثل له ، كذلك أنا . وقد فسر مراده فيما يلي .

(٤) عجب خبر عن محذوف ضمير التكلم . والبيض : النساء . والرهفات : السيوف . والضمير في « مرهفاته » للمحب . يقول : أنا عجب أحشق الحرب دون النساء . فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف ، وإذا ذكرت حسنهن كنيتهن به عن صقل السيوف .

(٥) يقول : وأكنى كذلك بالسمر عن الرماح السمر . ويعني بجناها ما يجتني منها من للمعالي التي يرتقى إليها بالحوالي . يقول : فالمعالي هي أحبائي ورسلي التي تفرق بيني وبينها : هي الأسنة - الرماح - يريد : أني أخطب للمعالي بالرماح .

عَدِمْتُ فَوَادًا لَمْ تَبْتَ فِيهِ فَضْلَةٌ لَغَيْرِ الثَّنَائِيَا الْفَرِّ وَالْحَدَقِ النَّجْلِ^(١)
فَمَا حَرَمْتَ حَسَنَاهُ بِالْمَجْرِ غِبْطَةً ، وَلَا بَلَقْتَهَا مِنْ شَكَى الْمَجْرِ بِالْوَصْلِ^(٢)
ذَرِينِي أَنْزِلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى

فَصَنَبُ الْعُلَى فِي الصَّنَبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ^(٣)
تُرِيدِينَ لِقْيَانَ الْعَالِي رَخِيصَةً ، وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّجْلِ^(٤)

(١) الثنايا : الأسنان التي في مقدم الفم . والفَرِّ : البيض . والحدق : جمع حدقة ، سواد العين . والمراد بها العين . والنجل : الواسعة : يدعو طى قلب يميل إلى الحسان بالعدم - القدر - يقول : لا كان لي قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها ، ويحل من منازل المجد والشرف في أجلها وأكرمها .
(٢) الغبطة : السعادة وحسن الحال . يقول : إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة ، لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضا ، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هي في كسب للعالي ونيل المجد والشرف لا في نيل اللذات ومواصلة الغايات . فالهاء في « بلقتها » : مفعول أول بلغت ، وهي عائدة على الغبطة ؛ ومن شكى مفعول ثان ؛ وبالوصل : متعلق بيلغها ؛ ومن شكى المهجر هو العاشق : أى وإن واصلته لم تبلغه غبطة . وقال الخطيب التبريزي : نهى عن العرص في طلب النساء . يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقعا عندها وأنشط لها فزادت الغبطة ، وإذا شكوت إليها المهجر وتذلل لها هنت في عينها ؛ ففرمتك وصلها فضلا عن تبليخك الغبطة .

(٣) يقول - للعاذلة - : دعيني أنزل من العلى ما لم ينل قبلى ، فإن العلى الصعبة الشاقة - وهى التى لم يبلغها أحد - فى الأمر الصعب الذى لم يركبه أحد ، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه ، يعنى لا يدرك من العالى ما تجلّى قيمته إلا بتسكّيف ما تعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله فيحسب ذلك يكون تساهله .

(٤) رخيصة : حال . والشهد - بفتح الشين وضمها - العسل . وإبرة النحل : شوكتها . يقول - للعاذلة - : تريدن أن أدرك العالى رخيصة - أى دون أن أبذل فيها نفسى وأعرضها للأهوال - والعالى لا تدرك كذلك ، فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع . وهذا كما قال العتاني :

حَذِرْتُ عَلَيْنَا الْمَوْتَ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي ، وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيْ عَاقِبَةٍ تُجَلِي ^(١)
فَلَسْتُ غَيْبِنَا لَوْ شَرِيتُ مَنِيَّتِي يَا كَرَامَ دَلِيزِ بْنِ لَشَكَرٍ وَزَّي ^(٢)
تُمْرُ الْأَنْابِيدُ الْخُوطِاطِرُ يَدْنُنَا ، وَنَذْكُرُ إِقْبَالَ الْأَمِيرِ فَتَحَلُّوْا لِي ^(٣)

وإن جسيمات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود ^(١)
هذا : وقال الواحدى : قرئ على النبي لقمان - بضم اللام - وكذلك أملاه ،
وهو خطأ ؛ والصواب : الكسر . ذكره سيويه : وقال : هو مثل عرفان وغشيان
وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك .

(١) والخيل تلتقى : يروى والخيل تدعى : يريد أصحاب الخيل ؛ والجملة حالية ؛
والإدعاء في الحرب : الاعتزاء والانتساب - وهو أن يقول : أنا فلان ابن فلان :
وتجلى : تنفرج وتكشف ، يقال أجلت المركبة عن كذا قتيلًا : يقول : تخافين
علينا الموت عند اتحام العرب وتبارز الفرسان ولم تعلمي عن أى طاقبة تنفرج الخيل :
أى هل تكون الدائرة علينا أو على العدو ؟ قال العكبري : يشير إلى الموقعة التي
شهدها في الكوفة مع الخارجي قبل وصول هذا المدوح إليها .

(٢) الغبين - - الغبون - فمیل بمعنى مفعول : كقتيل بمعنى مقتول من غبه في
البيع والشراء : خدعه وغلبه ، وشريت هنا : ابتعت ، وروى شربت ، « ودلير »
و « لشكروز » : قال الواحدى . اسمان أعجميان من أسماء الديلم : ومعناها : الشجاع
والسعود ، وقال البازجى : « لشكروز » مركب من « لشكر » وهو الجيش
و « واواز » وهو الصوت : أى صوت الجيش . يقول : وطى فرض أن الدائرة
كانت علينا ، وكنت أنا من جملة المهلكى : لم أعد ذلك غبنا على ، وإنما أعده رجحاً
مقابل ما حصلت عليه لنفسى من إكرام هذا المدوح .

(٣) أمر الشيء يمر إمراً : صار مرأ ، ويقال مريم - بفتح اليم - وضجها -
والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين كل كعبين : والمراد هنا : الرماح أنفسها وخطر
الريح اهتز ؛ و « تحلولى » تصير حلوة . يقول : إن الرماح الحاضرة بيننا وبين أعدائنا
تصير مرة علينا ، يعنى أن الحرب شديدة للاراة . فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة
لنا ، لأننا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله . هذا : وقد عاب قوم عليه قوله « فتحلولى » مع
قوله « تجلى » وقالوا : كيف جمع بينهما في القافية ولا صحة للواو ؟ قال الواحدى : وليس الأمر كذلك

(١) الأساود : الحيات

لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح : مثل القول والمين ، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما : مثل أسود وأبيض ؛ وهذا مثل قول الكسعي^(١)

يَا رَبِّ سَدِّدْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَدُنِّي لِنَفْسِي
* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

(١) الكسعي : نسبة إلى كسع كزفر ، وهم حى من اليمن رماة ، أو من بني ثعلبة ابن سعد بن قيس غيلان ، واسمه غامد بن الحرث ، أو محارب بن قيس ، يضرب به المثل في الندامة ، قال الفرزدق :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنِّي مُطْلَقَةً نَوَارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبله في واديه حمض وشوحط فلما ربه نبعة حتى أخذ منها قوسا ، وإما رأى قضيب شوحط ثابتا في صخرة فأعجبه فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسا ، فقطعه ؛ وقال :

يَا رَبِّ سَدِّدْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَدُنِّي لِنَفْسِي

* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

أُنَحَّتْ صَفَرَاءُ كُلُّونِ الْوَرَسِ كَبْدَاءُ لَيْسَتْ كَالْقَيْسِيِّ النَّكْسِ

حتى إذا فرغ من نحتها برى من بقيتها خمسة أسهم ثم قال :

هَنْ رَبِّي أَشْهُمُ حِسَانُ يَلْدُ لِلرَّمِي بِهَا الْبَنَانُ

كأنا قومها ميزان فأبشروا بالخصب يا صبيان

إِنْ لَمْ يُعْقِنِي الشُّومُ وَالْحَرَمَانُ

ثم خرج ليلا إلى قنطرة له - القنطرة : بيت الصائد - على موارد حمر الوحش ؛ فرمى غيراً منها ، فألقاه . وأورى السهم في الصوانة نارا ، فظن أنه أخطأ فقال :

أَعْوِذُ بِالْمُهَيْمِنِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَ الْحَرَمَانِ

مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ فِي الصَّوَّانِ *

وقد قال البحترى

* إن سِيرَ الخليطِ حين استَقْلا *

ثم قال في هذه القصيدة :

كُنْتُ من بين البرايا به أحق وأولى *

وقال ابن جني : هذه قافية فيها فساد ؛ وذلك أن الواو في « تحلولى » ردفت لأنها ما كنة قبل حرف الروى . وليس في هذه القصيدة قافية مرفعة غير هذه ، وهذا عيب عندهم ، يد أنه جاء في الشعر القديم :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصو

يُورى شَرَكَارَ النارِ كالعِقيانِ أَخْلَفَ ظَنِّي وَرَجَا الصبيانِ

ثم وردت الجر ثانية فرمى غيرها منها فكان كالأدى مضى من رمية فقال :

أعوذ بالرحمن من شرِّ القَدَرِ لا بَارِكِ الرحمنُ في أُمِّ القُتَرِ

أَمِطُ السهمَ لإرهاقِ الضرِّ أَمِ ذاك من سوءِ احتمالٍ ونظرِ

* أَمِ ليسَ يُعْنَى حَذَرٌ عندَ قَدَرٍ *

« المفعول والإمقاط : سرعة النزاع بالسهم » ثم وردت الجر ثالثة ؛ فكان كما مضى

من رمية فقال :

إني لشوئى وشقائى ونكدٌ قد شَفَّ مِنِّي ما أرى حرًّا الكيدِ

أَخْلَفَ ما أرجو لأهلى وولَدَ *

ثم وردت الجر رابعة ؛ فكان كما مضى من رمية الأول فقال :

ما بالُ سَهْمِي يُظْهِرُ الحُجَابِجَا قد كنت أرجو أن يكون صائبًا

إذ أمكن العيرُ وأبْدَى جانبًا فصار رأى فيه رأيا كاذبا

ثم وردت الجر خامسة ؛ فكان كما مضى من رمية ، فقال :

أَبْعَدُ خَسِيٍّ قد حَفِظْتُ عَدَهَا أَحْمِلُ قَوْسِي وأريدُ رَدَهَا

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي أَنَّهُ سَبَّ لَهُ لَزَادَ سُورِي بِالزِّيَادَةِ فِي الْقَتْلِ^(١)

وإن بَابُ أمر عليك التوى فشاور ليبياً ولا تعصب^(١)

(١) يقول : لو كنت أعلم علماً ليس بالظن أن هذه الفتنة التي دعت إلى إعمال الرماح تكون سبباً لمجيء المدوح إلينا والتقى بقربه : لزاد سروري بزيادة الفتنة وكثرة القتل . قال المبكري : يشير إلى الوصية التي جرت بالكوفة ولم يشهدها المدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة .

أَخْزَى إِلَهِي لِيْنَهَا وَشَدَّهَا ، وَاللَّهِ لَا تَسْلَمُ عِنْدِي بَعْدَهَا
* وَلَا أَرْجِي مَا حَيَّيْتُ رَفْدَهَا *

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كسرها ، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح ، فلما أصبح ونظر إلى نبلة مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله مض إبهامه قطعها ، ثم أنشأ يقول :

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تَطَاوَعَنِي إِذَا كَبَّرْتُ خُفْسِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَمَمَرُ اللَّهِ حِينَ كَسَرْتُ قَوْمِي
(١) وبعدها :

وَلَا تَنْطِقِ الدَّهْرَ فِي مَجْلَسِ حَدِيثًا إِذَا بَأْتِ لَمْ تُحْصِهِ
وَنُصِرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي نَصِّهِ
وَلِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ، فَلَا تَنَأَ عَنْهُ وَلَا تُقْصِصِهِ
وَكَمْ مِنْ فَتَى شَاخِصٍ عَقْلُهُ ، وَقَدْ تَعَجَّبَ الْعَيْنُ مِنْ شَخْصِهِ
وَأَخَّرَ تَحْسِبُهُ جَاهِلًا ، وَيَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ
وهي لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية . ونص الحديث رفضه وأسنده ، والوثيقة في الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة ، وفص الأمر : أصله وحقيقته . يقول : أنا آتيك بالأمر من فصي : يعني من مخرجه الذي قد خرج منه .

فَلَا عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقَيْنِ فِتْنَةً دَعَتْكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ الْخَوْفِ وَالْحِلِّ (١)
 ظَلَلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نَصُولَنَا نُجْرَدُ ذِكْرًا مِنْكَ أَمْضَى مِنَ الْوَصْلِ (٢)
 وَتَرْمِي نَوَاصِيهَا مِنْ أَسْمِكَ فِي الْوَغَى بِأَنْفَذٍ مِنْ نُشَابِنَا وَمِنْ النَّبْلِ (٣)
 فَإِنْ تَكَ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءُ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ (٤)

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وكاشف : لك أن تجعله منادى ، وأن تجعله حالاً . والخوف : يروى البأس ؛ والبأس : الفقر أو الشدة . والحل : الجذب . يدعو يقول : لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سبباً لورودك ، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الخوف بسطوتك والجذب بمجود راحتك :

(٢) أنبي : جعلها نارية لا تنفذ ، والنصول : السيوف . يقول : إذا نبت السيوف بأيدينا وحال دون تفاذها كثرة سلاح أعدائنا ذكرناك فنفتت سيوفنا بدولتك ، وكان ذكرك أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ .

(٣) الضمير في « نواصيها » لحيل الأعداء . وإن لم يجر لها ذكر . وسكن الياء في « نواصيها » للضرورة . والوغى : الحرب ؛ والنبل : سهام العرب ؛ والنشاب : سهام العجم . يقول : إذا مئناك في الحرب انهزم أعداؤنا ، فكأن اسمك سهام تقع في وجوه أخيلهم ، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا .

(٤) يقول : إن كنت أتيتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا : فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمنهم بذكرك قبل وصولك ، فأنت الغالب لا نحن . وجعل « قبلاً » نكرة فأعربها وكسرها كما قال الآخر :

وساغ لي الشرابُ وكنتُ قبلاً أكادُ أغصُّ بالماءِ الحميمِ (١)

(١) هو ليزيد بن الصق ، وقبلة :

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذَا وَقَعْتُ فِيكُمْ قِبَائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغ لي الشرابُ « البيت »

وأغص : مضارع غصصت بالطعام غصصاً - من باب تعب - والنصة : ما غصص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه مخصوص بالماء : يقال شرق بالماء وبريقه إذا لم يلمعهما ، والحميم ، الماء الحار - وليس بمراد - بمن ثم قال أبو العباس ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن الحميم في هذا البيت ، فقال الحميم : الماء البارد ؛ فيكون الحميم إذن من الأضداد ، يكون الحار ويكون البارد .

وَمَازَلْتُ أَطْوَى الْقَلْبَ قَبْلَ أَجْتِمَاعِنَا عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالشُّبْلِ^(١)
وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرَّنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبٍ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ^(٢)
وَحَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَغَبَهَا إِلَّا وَمِرْجَلُنَا يَنْفِي^(٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِي الْفَضْلِ شِرْكَةً

فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ^(٤)
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ^(٥)

(١) السنايك : أطراف الحوافر، والسبل الطرق . يقول : مازلت ألتوى زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع ، وكان ذلك حاجة لا تقال إلا بقطع المسافة . فهمى حاجة بين سنايك الحيل والطرق .

(٢) الجياد : الحيل ؛ ويؤثرن : يخترن . يقول : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس لما فيها من الخلائق التي لا توجد في غيرها ، ومن ذلك أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلاً للمجد وعليا المراتب .

(٣) خيل : عطف على « نفس » ؛ والرجل : القدر من نحاس . يقول : ولسرنا إليك بخيل سابقة طاردة للوحوش ، لاترعى الرياض قبل صيد وحشها ؛ فإذا امررتنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا الرجل ثم رعت خيلنا : يعنى أن الكلال لا يصيب هذه الخيل بعد قطع المراحل فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تسريح وترعى ؛ وهذا من قول امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلِدَانُ أَهْلِنَا تَمَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَيْدُ تَحْطَبُ

(٤) في الفضل : متعلق بشركة . يقول : كانت نيتنا أن نقصدك والقصد مقترن بفضل القاصد : فلما اتفق مجيئك وكفيتنا بذلك مؤنة المسير إليك حصل لك فضلان : فضل كسبته بقصدك إلينا ، وفضل تنفرد به دون سائر الناس .

(٥) يتبع أصله : يتتبع ؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها في الثانية ، ومثله : اطيروا ثاقل : والوبل : للطر الغزير . والرائد : الذى يرسله القوم يطلب لهم السكلا ومسقط الفيث . وقوله رائد الوبل : من باب المشاكلة . يقول : ليس من يطلب الطر كمن مطر وهو فى داره ، يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مطر يبلده لا يتعنى بنشدان الموضع للمطور ، يعنى : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفواً بلا قصد ولا تعب ، وقال الإمام التبريزى : أنت كالسحاب الذى جاءنا مطره ولم يحوجنا إلى السفر لنرى ما أنبتة فيما بعد من الأماكن البعيدة التى تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدْعِي الشَّوْقَ قَلْبُهُ وَيَحْتَاجُ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ^(١)
أَرَادَتْ كَلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِذَوْلَةٍ لِمَنْ تَرَكَتْ رَغَى الشَّوْهِاتِ وَالْإِبِلِ^(٢)
أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَخَدَهَا
وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبُّ الْخَلِيثَ مِنَ الْأَكْلِ^(٣)

(١) يقول : لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزور ويحتاج بعوائق الشغل يعنى أن من يدعى الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذباً في دعواه ، لأن من عاجل الشوق زار ولم يستبعد الدار : يريد أن المدح لو تأخر عن المجد إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتاج بالشغل ؛ ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل :

بَعِيدٌ عَنِ الْكَسْلَانِ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْمَشْتَاكِ فَهُوَ قَرِيبُ
(٢) كلاب : هي القبيلة الثائرة التي قصدت إلى الكوفة ؛ وقاتلها أهلها قبل قدوم هذا الديلمى المدح . وقوله لمن تركت الخ : استفهام ، والشوّهات جمع شوهة ، تصغير شاة . يقول : إن بنى كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعى الإبل والغنم ؟ يعنى أنهم ليسوا أهلاً لما طلبوه ، وإنما هم أهل للرعى .

(٣) يقول : أبى الله أن ينيلهم الإمارة وأن يؤمن الوحش من الصيد والضرب من الأكل ، يعنى أنهم أهل بادية وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم ، وبأبى الله لهم إلا هذا ، لا الإمارة التي حاولوها . . . هذا : والضرب معروف وجمعه ضباب وضباب وأضرب ، مثل كف وأكف ، والأثنى ضبة ، والعرب تستقدر الورد ، وهو دابة على خلقة الضب ، إلا أنه أعظم منه وتستخبه فلا تأكله ، وأما الضب فإنهم يحرسون على صيده وأكله ، وفي المثل أعق من ضب ، لأنه ربما أكل حسوله - أولاده - حين تخرج من بيضه ، ومن قولهم : لا أفضله حتى يرد الضب للواء لأن الضب لا يشرب الماء ، ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة : ورداً يا ضب ، فقال :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا * لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرَدَا * إِلَّا عَرَادًا عَرْدًا
وَصِلَّيَانَا بَرْدًا وَعَنْكَثًا مُلْتَبِدًا

« صرداً : أى بارداً ؛ والعراد : نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ، ينبت في البادية ، وهو النخيل ؛ وعراد عرد : على المبالغة - والصليان : نبت كذلك ؛ وبردا : يريد بارداً ؛ ويروى زرداً : أى سريع الازدرداد ؛ والعنكث ، شجر يشبهه الضب فيسحبه بذنبه حتى يتحات فيأكل اللحعات »

وَقَادَ لَهَا دَلِيلُ كُلِّ طَيْرٍ
وَكُلِّ جَوَادٍ تَلَطَّمُ الْأَرْضَ كَفَّهُ
فَوَاتٌ تُرِيغُ الْغَيْثَ وَالْغَيْثَ خَلَّتْ
وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرَّجُلِ

(١) الطمرة : الفرس العالية الوثابة . وتنيف : تشرف . والسحوق : النخلة الطويلة . يقول : قاد هذا المدوح لـكلاب كل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق - طويلة - قد أشرف خداهما من فوقها ؟ وهذا من قول الآخر :

كَانَ الْجَنَمَ لِلرَّائِينَ طُودَ وَهَادِيهَا كَانَ جِذْعُ سَحُوقٍ
هذا : ويقال نخلة سحوق وجبارة ومجنونة وباسقة ؛ يريدون العلو ، وأنها ممتعة لا يصل إليها أحد إلا بالتعب ، وأنشدوا :

يَا رَبِّ أَرْسِلْ خَارِفَ الْمَسَاكِينِ عِجَاجَةً سَاطِعَةَ الْعِثَارِينَ
* تنفضُ مَا فِي السُّحُقِ الْمَجَانِينَ *

« يعني بخارف المساكين الريح الشديدة التي تنفض لهم التمر من رؤوس النخل وعثنون الريح هيدبها إذا أقبلت تبحر الفبار جرا » .

(٢) الجواد : الفرس الكريم ، وبأغنى : أي بمحافر أغنى ، لحذف الحافر للعلم به ؛ والحديد : بيان للنعل . يقول : وقاد لها كل فرس جواد ، قوى الأسر . شديد الخلق بضرب الأرض بمحافر مستغن عن النعل بصلابة خلقتها ، كما يستغنى النعل عن النعل . وصمى حافره كفا : استعارة من الإنسان كما استعير للإنسان الحافر من الفرس في قول جبهاء الأسد يصف ضيفا طارعا أسرع إليه :

فَأَبْصَرَ نَارِي وَهِيَ شَقْرَاهُ أَوْقَدَتْ
فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ
يَمْرِيهِ : يستخرج ماعده من الجري .

(٣) ولت : أدبرت . والضمير : للقبيلة . وترىغ : تطلب . وخلفت : تركت خلفها . يقول : إن كلابا هذه كانت قبل تمردها وطعمها في الإمارة في أمن ونعمة ، فلما طعمت في الإمارة وجاءت إلى الكوفة محاربة هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثا - يعني أمنا ونعمة - خلفت أمنا كان في يدها فصارت تطلب بأرجلها ما كان في يدها : أي تطلب بهربها وإغذاها - سيرها على

تُحَاذِرُ هَزْلَ الْمَالِ وَفِي ذَلِيلَةٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ الذَّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزْلِ^(١)
وَأَهْدَتْ إَلَيْنَا غَنِيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ
كَرِيْمَ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ^(٢)
تَتَّبِعْ آثَارَ الرِّزَايَا بِمُودِهِ تَتَّبِعْ آثَارَ الْأَسْنَةِ بِالْقَتْلِ^(٣)

أرجلها - ما كان حاصلًا في أيديها . فدلّت بذلك على جهل وحمق وقل ابن فورجه :
يعنى أنها كانت في غيْث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا
هاريين يطلبون مأمنا وحصنا وقد خلفوا أمنا كان حاصلًا لهم . وقوله تطلب بأرجلها
ما كان في أيديها ، أى تطلب بهربها وعدوها - جريها على أرجلها - ما كان حاصلًا في
أيديها ، والمعنى أنها تطلب ما كان في أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة
متوقعة ، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين . هذا : ويقال أراغ وارتاغ : بمعنى طلب
وأراد ، تقول للرجل يحوم حولك : ماذا تريغ ؟ أى ماذا تريد وتطلب ؟ وفلان يريد
كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويدبره ، وأنشدوا :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيْفُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

(١) المراد بالمال - ههنا - المواشى . والهزل - بفتح الهاء وضمة - الهزال : ضد
السمن . وقد هزل الرجل والدابة - على ما لم يسم فاعله - وهزل هو هزلا وهزلا ،
وهزله أنا أهزله هزلا فهو مهزول ، وأهزل القوم : أى أصابت مواشيهم سنة - جذب -
فهزلت . يقول : يحاذرون الهزال على مواشيهم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم
من الدل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال .

(٢) به : متعلق بأهدت ؛ والباء تجريد ؛ وكريم السجايا : يعنى المدوح والسجايا :
الخلائق والطبائع يقول : أهدت إلينا كلاب - بتمردها وعصيانها - من المدوح كريم
السجايا يسبق - فى الإحسان - فعله قوله ، ويتقدم - فى الإفضال - إنجازها وعده ، يعنى
أنها كانت سببا فى قدومه إلينا ، وإن لم تقصد ذلك .

(٣) الرزايا : للصائب . والأسنة : أسنة الرماح ؛ وآثارها : هى الجراحات التى
تحدثها : والقتل . جمع فتيلة ، وهى التى يجعل فيها الطبيب الرهم ليوصله إلى الجرح .
يقول : إنه جبر أحوال الناس وأصلح ملحقهم من الرزايا والحسائر بسبب غارة بنى كلاب
وآسى جرووحهم وداواها بمجوده ، كما تؤاسى جروح الأسنة وتداوى بالفتائل ؛ وهذا ينظر
إلى قول بشامة بن حزن النهشلى :

شَفَى كُلَّ شَاكٍ سَنِيفُهُ وَنَوَّالُهُ
 مِنَ الدَّاءِ حَتَّى الثَّالِكَاتِ مِنَ الشُّكْلِ (١)
 عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسُ صُورُهُ وَجْهَهُ
 وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ (٢)
 إِذَا زَارَهَا فَدَنَتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)
 وَعَطْشَانٌ لَا تَرَوِي يَدَاهُ مِنَ الْبَذْلِ (٤)
 شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْعَدْلِ (٥)
 وَمَا دَامَ دَلِيلٌ يَهْزُ حُسَامُهُ
 فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلَيْثٍ وَلَا شَيْلٍ (٦)

يَبِيضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَاسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
 (١) النوال : العطاء ؛ والثالكات : الفاقدت أولادهن . يقول : أدرك ثأر القتل ، وأفاض جوده على الأحياء فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى الثالكات من حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الشكل بجوده . قال العكبري : والثالكات في موضع نصب عطفا على « كل » والتقدير : شفى كل شاك والثالكات . ويجوز أن يكون في موضع جر ، ولكن المطف أولى وأظهر .

(٢) تروق : تعجب . وحاد : مال . يقول : إن الشمس تستحسن صورة وجهه ، فلو نزلت إليه الشمس شوقا إليه لمال عنها وعف : يعنى أنه عفيف عن كل أنثى حتى هن الشمس ، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة .

(٣) المراد بالخيل : الفرسان . والرجل : جمع راجل . يقول : هو شجاع يقتل ولا يقتل ، فكان الحرب تعشقه وتعبه ، فإذا زار الحرب وأناها استبقته وأفتت من سواء من الفرسان والرجال ، فكانها جعلتهم فداء له ، وهو تخيل مبتكر بدیع .

(٤) ريان : من الرى ، ومصدى : تعطش ؛ والصدى : العطش ؛ والبذل العطاء . يقول : إنه لا يشرب الخمر ، فكانه مرتو منها لا يعطش إليها ، ولا يفتقر عن البذل ، فكانه عطشان لا يروى منه .

(٥) يقول : بملكته وعظم قدره يشهدان بوحداية الله تعالى وعدله ورافته بعباده ، إذ ملك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده .

(٦) الحسام : السيف القاطع ؛ والليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد . يقول : مادام قائم سيفه في كفه فلا عادية تقوى على ضعيف ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على

وَمَا دَامَ دَلِيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ
فَلَا خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلٍّ^(١)
فَتَى لَا يُرَجَّى أَنْ تَمَّ طَهَارَةٌ لِمَنْ لَمْ يُطَهَّرْ رَاحَتُهُ مِنَ الْبُخْلِ^(٢)
فَلَا قَطَعَ الرَّحْنُ أَضْلًا أَتَى بِهِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الْأَضْلَ^(٣)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة ، ويذكر وقعة وهشودان بن محمد الكردي بالطرم ،
وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الرى فهزمه وأخذ بلده :
إِثْلَثُ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلُّ نَبْكِي وَتُرْزِمُ حَتَّنَا الْإِبِلُ^(٤)

الناس ، والليث والنايب : مثل - أى ولو كان القوى لينا لكان بلا ناب - وقال ابن جني :
يعنى لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه فى كفه . فكأنها ليست موجودة ،
وليس بشيء .

(١) يقول : وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم لأنه لا يهود
أحد جوده .

(٢) يقول : هو محبوب على البذل والجود ، يحقت البخل ويحتويه ، فلا يرى طاهراً
مبرأ من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه .

(٣) يقول : لا قطع الله أصلاً أنجب لنا مثله ، وأبقى على النسل الذى نشر علينا فضله
فإنى رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها .

(٤) إثلث : كن ثالثاً - من قولهم ثلث الرجلين أثلثهما : إذا صرت ثالثهما - والطاء
ما شخص من آثار الديار . والإرزام : حنين الإبل . يقول - للطلل - كن ثالثاً فى
البكاء على فقد الأحبة ، فإننا نبكى والإبل تحن كأنها تبكى كذلك ؛ وعبرة العكبرى التى
كأنها شعر منشور : كن أيها الطلل ثالثاً فى البكاء على فقد الأحبة ، فنحن نبكى والإبل
نحن معنا ، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك ، وأذهبت من غضارتك
وجدتك ؛ ووصلته من بعد أحبابنا العاصرين لك ، الجامعين شمل السرور بك ، فإننا
نبكى فيك ، ونوقنا ترزم ، ونندب ساكنيك ودموعنا تسجم . وفيه نظر إلى قول
البحترى :

أَطْلَبًا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْبَيْدِ

أُولَا فَلَا عَتَبٌ عَلَى طَلَلٍ إِنَّ الطَّلُولَ لَمِثْلَهَا فَعُلُ^(١)
 لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُمْتَدِّراً بِي غَيْرُ مَا بِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٢)
 أَبْكَاكَ أَنْكَ بَعْضُ مَنْ شَفَّعُوا لَمْ أَبْكَ أُنَى بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا^(٣)
 إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَأَخْتَمَلُوا أَيَّامُهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُولُ^(٤)
 الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلُّمَا رَحَلُوا مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا^(٥)

ومن هذا قول التهامي :

بَكَيْتُ فَحَفَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَبِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارَهَا

(١) أولا : عطف على محذوف : أى إن بكيت غفيل بك البكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولئلا : أى لئلا هذه الفعلة - يعنى عدم البكاء - وفعل : جمع فصول . يقول : إن لم تبك معنا فلا عتب عليك فإن الطلول ليس من عادتها البكاء ، فهى طاعة لئلا هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء .

(٢) يقول - للطلل - : لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلى بأنك لو كنت ممن يسكى لما قدرت على البكاء مع ما حل بك من البلاء بسبب ارتحال الأحبة ، وهو قوله « بى غير ما بك » وقد فسر ذلك فى البيت التالى .

(٣) لم أبك أنى : أى لم أبك لآنى ، والضمير من « شفّعوا وقتلوا » للأحبة والعائد محذوف : أى شفّعهم وقتلهم . والبيت من تمة قول الطلل ، ويروى شفّعوا وقتلوا - بالبناء للمجهول - والأولى أجود . يقول : قلت لى الذى بى أكثر من الذى بك لأنهم - الأحبة - شفّعوك جفا فذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم ، أما أنا فظنهم قتلونى بارتحالهم - كناية عن دروسه بدم - والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٤) يقول للطلل : إن الأحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقت بهم أيامهم دول لديارهم : ممر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم . وعبرة العكبرى : أيامهم للديار التى يحلون بها ، دول سرور مستقبلة ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى لصرف عنك من ذلك يوحشك وما منعته منهم لاحالة يؤلمك . وأقت : يروى بضم التاء على أن هذا من كلام الطلل متصلا بالكلام المحكى عنه .

(٥) يقول : إن الحسن محصور فى الحبيب الذى معهم ، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، وعبرة العكبرى : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزن لرحيلهم ، وينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لأمرهم ، ولا يتأخر عنهم كلآ بهم .

فِي مُقَلَّتِي رِشَاءٍ تَدِيرُهُمَا بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهِمَا الْحِلَالُ^(١)
تَشْكُو الطَّاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا وَصُدُّوْهَا وَمَنْ الْقَدَى تَصِلُ^(٢)
مَا أَسَارَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنِ تَرَكَتُهُ وَهُوَ الْمِسْكُ وَالْعَسَلُ^(٣)

(١) في مقَلَّتِي رِشَاءٍ : متعلق بـ «يرحل» - في البيت السابق - والرِشَاءُ : ولد الطيبة .
والحلل : جمع حلة ، وهى القوم المجتمعون في بيوت مجتمعة للنزول : يقول : إن
الحسن يرحل في مقَلَّتَيْنِ مستعارتين من رِشَاءٍ تديرهما امرأة بدويه - تقيم في البادية
حيثما نزلت افتتن بها القوم الذين نزل بهم .

(٢) يقول : إن هذه المرأة قَتِينُ^(١) قليلة التناول للطعام حتى لتشكو الأطعمة هجرها
وصدودها ، ثم قال : وَمَنْ الْقَدَى تَصِلُ ؟ وهو استهزاء ، يعنى أن الهجر ديدنها فهي
لا تصل أحداً حتى الطعام ، وقوله وصدودها : قال العكبري : روايتنا فيه عن شيخى
بالنصب والجبر : فالنصب عطفًا على طول ، والجبر عطفًا على هجرتها .

(٣) ما أَسَارَتْ ، أى الذى أَسَارَتْ وأَبَقَتْ : مبتدأ ؛ والجبر : تركته ؛ والقعب :
قدح من خشب مقعر : وجملة « وهو المسك » حالية . يقول : إذا شربت لبنًا من قدح
فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل .
يريد طيب نكهتها وعدوبة ريقها . وفيه نظر إلى قول جميل :

فَلَوْ تَفَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لَعَادَ أَجَاجُ الْبَحْرِ مِنْ رَيْقِهَا عَذْبًا

هذا : وقد قلنا أَسَارَتْ : أى أَبَقَتْ ، فالسور : بقية الشيء ، والجمع أَسَارَ ، وفي
الحديث « إذا شربتم فأسثروا » أى أبقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء والعت منه
سثار - على غير قياس - لأن قياسه « مسثر » قال الجوهري : ونظيره أجبره فهو جبار
قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْجِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسْثَارٌ

« سثار - بالهمز - بوزن سمار : معناه أنه لا يسثر في الإناء سؤراً بل يشتهه كله ؛
والرواية للشهورة بسوار : أى بمعرب وثاب من سار : إذا وثب وثب للعربى على من
يشاربه والحصور الذى لا ينفق على الندامى ، وقيل الهيوب المحجم عن النوى ، وإعما
أدخل الباب لأنه ذهب بلا مذهب ليس لمضارعتة له في النوى . »

(١) امرأة قَتِينُ : قليلة الطعم ؛ وهذا من الصفات الممودة في النساء .

(٢ - التنبى ٤)

قَالَتْ أَلَا تَضْحَوُ فَقُلْتُ لَهَا أَغْلَمَتْنِي أَنْ أَلْهَوْى كُتْمُ^(١)
لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَّحَكُمْ وَبَرَزَتْ وَحَدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ^(٢)
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمْ كَتَاثِبُهُ إِنَّ الْمَلَّاحَ خَوَادِعُ قُتْلُ^(٣)
مَا كُنْتُ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَخْلُ^(٤)

(١) كُتْمُ : أى سكر . يقول : قالت لى - لائمة على العشق - ألا تصحومن بطالتك فقلت لها أخبرتنى - فى غوى كلامك حين أمرتنى بالصحو - أن الهوى سكر ، لأن الصحو لا يكون من غير السكر . وهذا إشارة إلى أنه كان غافلاً عن حال نفسه لشدة هيامه وأنها نبهته إلى أنه سكران من الهوى .

(٢) فَنَّاخُسْرَ : هو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أى أنا كم صباحاً للغارة والغزل : الكلف بالنساء . يقول : لو أن عضد الدولة - مع جده وتوفره على تدبير الملك - أنا كم صباحاً للغارة وبرزت له لقدحت فى قلبه غزلاً فقال إليك وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن . وقال ابن جنى : ما أحسن ما كنى عن المهزومة بقوله عاقه الغزل . قال ابن فورجه ناقدًا : لو كانت هذه إحدى السعالي^(١) لما هزمت أحداً فكيف عضد الدولة ! وما وجه المهزومة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتنت بها الحلل ! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد ، ثم لما بالغ فى وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدولة مع توفره وجده على تدبير الملك لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت فى قلبه غزلاً عاقه عن الرجوع عنها : ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيفكم الخ ! وكيف يضاف المنهم . وإنما غلط ابن جنى لما سمع قوله : وتفرقت عنكم كتائبه ، وإنما تفرق حينئذ عنهم لتوفرها على الغزل والهوى ولذة الظفر بالحبيب .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . وقتل : جمع قتول . يقول : ولتفرقت كتائبه عنكم لولوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب ، ثم قال : إن الحسان يخذعن العقول ، والشغف بهن قاتل ، ومن ثم تخدعين عضد الدولة - وهو من هو ١٩ - وتنفق كتائبه من جرائك . فكانت هزمتهم وعصفت بهم .

(٤) يقول : أى شئ كنت فاعلة وقد أنا كم ملك الملوك ضيفاً ، وسبيل من حل به أن يحتفل به وبكرمه وأنت بخيلة ! يعنى بالطعام والقرى يصفها بالبخل ، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء ، وهما من شر أخلاق الرجال

(١) السعالي : جمع سعلاة ، قيل : هم سحرة الجن ، وقيل : الفيلان الحبيثة .

أَتَمْنَمِينَ قِرَى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ^(١)
 بَلْ لَا يَحِلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بُخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ^(٢)
 مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمَحُ أَدْرَكَهُ طَنْبٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَقْتَدِلُ^(٣)
 إِنْ لَمْ يَسْكُنْ مِنْ قَبْلِهِ عَجَزُوا عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فَقَدْ غَفَلُوا^(٤)
 حَتَّى أَتَى الدُّنْيَا ابْنُ بَجْدَتِهَا فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٥)
 شَكَاوَى الطَّلِيلِ إِلَى الْكَفِيلِ لَهُ أَنْ لَا تَمُرَّ بِحِسْبِهِ الْمِلَالُ^(٦)

(١) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام وغيره . ويسل : يسأل ، حذف الهزمة وألقى حركتها على السين يقول : أ كنت . لا تقومين بقراء فتفتضحى في فعلك أم تقومين بذلك فتخرجى عن اليهود من أمرك

(٢) الضمير في « به » : لحيث - والجور : خلاف العدل - وروى : ولا جور ؛ والجور : الضعف ، والوجل : الخوف . يقول : بل لا يسعك حينئذ البخل ، لأن للكان الذى يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٣) الطنب : اعوجاج في الرمح يقول : إنه - لاستقامته واعتداله في الأمور - إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح الموج

(٤) يقول : إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك لإحسانه فإن لم يكن ذلك عجزا منهم عما يسوس به الناس من العزم والعدل وما إليهما فهو غفلة منهم إذ لم يهتدوا إلى سيرته

(٥) يقال فلان ابن بجدتها لعالم بالشئ للتقن له ، وهو عالم ببجدة أمرك وبجدة أمرك وبجدة أمرك - بضم الباء والجيم - أى بدخلته وبطاقته ، وعنده بجدة ذلك - بفتح الباء - أى علمه يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهو عالم بها وضبط أمورها وسياسة أهلها ، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل

(٦) شكوى : مفعول مطلق يقول شكوا إليه السهل والجبل كما يشكو الطليل إلى الطبيب الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة حتى لا تعاوده علة . يعنى : إن الدنيا بما كان فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة ، وهو - بقصده تسكين الفتنة وحسن السياسة - كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته . وأصل هذا قول الأخيلية :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشفاها

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْدَمُ فَنَفْسُكَ مَا لَهَا أَجَلٌ^(١)
 فَهَوَّ النَّهْيَةَ إِنْ جَرَى مَثَلٌ أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغَى مِنَ الْبَطْلِ^(٢)
 عُدَدُ الْوُفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ دُونَ السَّلَاحِ الشَّكْلِ وَالْعَقْلِ^(٣)
 فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُحْتِهِ شُغْلٌ^(٤)
 تُمْنِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِهِ هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوْ الْبَدَلُ^(٥)

(١) قالت شجاعته : فعل وفاعل . وقوله فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل . يقول : إنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت : أقدم فمنا لنفسك أجل تغشاه كأجل الناس : يعني أن شجاعته زينت له الإقدام وصورت له أن أحداً لا يقدم عليه فهو باق بوقاية شجاعته إياه ، ثم دعا له بالبقاء وقال : لا كانت شجاعته كاذبة فيما قالت .

(٢) يوم وغى : يوم حرب . يقول : هو الغاية في الشجاعة حين يراد ضرب المثل في الشجاعة أو يراد الدعاء إلى التزال يوم الحرب والقتال .

(٣) الوفود : جمع وفد ، وهم جماعة الوافدين للعطاء . والشكل : جمع شكل ، وهو ما يجعل في قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال . وهو ما يربط به يد البعير . يقول : إن الوفود الذين يعمدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح وإنما عدتهم التي يحتاجون إليها في قصدهم إياه هي شكل الخيل وعقل الإبل ثقة ببل ما يرجون من عطاياه : وأسكن العين في «الشكل» على أنة تميم ، وضمتها في «العقل» على لغة أسد .

(٤) البخت : الإبل العجمية ، وهي غير العربية . يقول : إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم ، يعني أنه يحقق آمالهم ويكون عند رجاؤهم فيه فيعطهم من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٥) يقول : إن مواهبه تلي أمر ماله من خيل وإبل وتتصرف فيها ، فأمواله أبدأ جميعها على أيدي مواهبه توزعها على عفاة فإذا صمدت إليه وفود وهب خيله وإبله كلها في وقت معاً ، وإذا بقي منها شيء وهب لمن يقد بعدهم ، وإلا وهب بدلها ذهباً وفضة : يعني أن جميع أمواله في تصرف مواهبه . وعبرة الخطيب التبريزي : خيله وإبله التي تأخذها الوفود ثلاثة أصناف : فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهي تسلم إليه وإما أن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكون فيها ، وإما أن تكون استبدل غيره

بِشْتَاقٍ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبَلٍ شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَلُ^(١)
 سَبَلٌ تَطُولُ الْمَكْرُمَاتُ بِهِ ، وَالْمَجْدُ لَا الْخَوْذَانُ وَالنَّفَلُ^(٢)
 وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا بِالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ^(٣)

فهم يأخذون البدل . وقال المعري : يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود وبقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شيء وهب في الوقت بدلها من العين والورق .

(١) السبل : الطر ، وهو بين السحاب والأرض : أى حين يخرج من السحاب ولم يصل بعد إلى الأرض . يريد به هنا ما يجري على يديه من المواهب والدماء ؛ وشوقا إليه : مفعول له ، عامله ينبت ، والضمير المجرور للسبل ؛ والأسل : عيدان الرماح : أى إن الناس تشتاق إلى مواهبه : والرماح تنبت شوقا إلى ما يسقيها من دم الأبطال ؛ ولا يخفى ما في البيت بين السبل وضميره من الاستخدام . وعبرة الواحدى والعبرى : إن الناس يشاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شوقا إلى أن تصعب يده : أى ليطعن بها ويستعملها في الحرب ، فقوله شوقا إليه الخ : أى وينبت الأسل شوقا إليه - أى إلى المدوح - أى إلى مباشرتها يده . ولك أن تقول : إن : جملة شوقا إليه الخ : صفة لسبل ؛ يعنى أن ما يجري على يديه من العطايا والدماء تشتاقه الناس وتنبت الرماح شوقا إليه : أى إلى ما يسقيها من دم الأبطال : يشير إلى أنه شجاع :

(٢) سبل : من رواء بالجذر أبدله من الأول ؛ ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف والخوذان : نبات طيب الطعم ؛ زهره أحمر ؛ فى أصله صفرة . والنفل : نبت من أحرار البقول ، زهره أصفر . طيب الرائحة ؛ تسمن عليه الخيل . لما سمى عطاءه سبلا قال : هو سبل - مطر- ينبت للكرمات والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده ، وتعلو مهابته ؛ وليس من المطر الذى ينمو به النبات :

(٣) وإلى عطف على « إلى سبل » وبالناس : خبر مقدم ؛ ويلى : مبتدأ مؤخر ؛ والجملة : صفة لحصى ؛ والليل : قصر الأسنان - يقال رجل أيل ، والأثني يلاء - وهو ضد الروق ، والروق : طول الأسنان . قال لبيد يصف أسهما :

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشَقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْمُضَلِّ وَلَا بِالْمُقْتَعِلِ^(١)
 رَقَمِيَّاتٍ عَلَيْهَا نَاهِضٌ تُكَلِّحُ الْأَرْوَاقَ مِنْهُمْ وَالْأَيْلُ^(٢)

(١) سهام عصل : معوجة ، والمقتعل : السهم الذى لم ير برا جيداً . والرقميات : سهام تنسب إلى موضع بالمدينة ، وعليها ناهض : أى عليها ريش فرخ من فراخ النسر

إِنْ لَمْ تَخَالِطْهُ ضَوَّاحِيَهُمْ فَلَمَنْ تُصَانُ وَتُدْخَرُ الْقَبِيلُ^(١)
 فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِهِ قُدْرَتِي الْآيَاتُ وَالرُّسُلُ^(٢)
 وَإِذَا الْقُلُوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ رَضِيَتْ بِحُكْمِ سَيُوفِهِ الْقُلُلُ^(٣)
 وَإِذَا الْخَيْسُ أَبِي الشُّجُودَ لَهُ سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ^(٤)
 أَرْضِيَتْ وَهَشُودَانُ مَا حَاكَمَتْ أَمْ تَسْتَزِيدُ لِأَمِّكَ الْهَبْلُ^(٥)

يقول : وبشتاق إلى حصى أرض أقام بها ، ولكثرة ما قبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم الليل وقصرت أسنانهم . وقال ابن جني : من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه : كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تنعطف الأسنان على باطن الفم . وهو معنى حسن ، ويكون الليل على هذا : انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه .

(١) الضواحك : التي بين الأنياب والأضراس ، وهي أربع ضواحك . يقول : إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل ، فلمن تصان القبيل وتدخر ؟ يعنى أن حصى أرضه أحق شيء بالتقبيل إعظاما له ؛ وإجلالا لقدره .

(٢) قدر : جمع قدرة ، وتروى : غرر ، جمع غرة ، بياض الشيء وحسنه . يقول : على وجهه نور من الله تعالى ذلك النور قدر من الله ، يعنى أنه يدل على قدرته تعالى ؛ وتلك القدرة تقوم مقام الآيات والرسول ، لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع : وعلى رواية غرر يكون المعنى : على وجهه نور من الله يشير إلى تملكه ووجوب طاعته فيقوم مقام الآيات والرسول في بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره .

(٣) القل : الرؤوس ، جمع قلة . يقول : إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به : ضرب رؤوس أولئك الذين يأبون حكمه ، فكأنها رضيت بحكم سيوفه .

(٤) الخيس : الجيش : والقنا : الرماح . والذبل : الدقاق : يقول : إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له خفض رماحه لضعفه بها - وذلك سجود القنا - فحمله على الخضوع قهراً .

(٥) كان « وهشودان » هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم - موضع في عراق العجم - والهبل : الشكل - الفقد - تقول العرب : لأم

ناهض ، أى وفر جناحه ونهض للطيران ، وأكلحه الأمر : أى لشدة أصابه بالكلوح وهو بدو الأسنان عند العبوس .

وَرَدَتْ بِلَادَكَ غَيْرَ مُعَمَّدَةٍ ، وَكَانَهَا بَيْنَ الْقَنَا شُغْلٍ ^(١)
وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ، وَأَخْلَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبْلٌ ^(٢)
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بَيْنَ أَتَوَا قَبْلٌ بِهِمْ وَلَيْسَ بَيْنَ نَأَوَا خَدَلٌ ^(٣)

فلان المبل ؛ يقول : أرضيت يا « وهشودان » ما حكمت به سيف ركن الدولة ، أم تتأدى في طفيانك ، فمستزيد لك ولأصحابك من القتل والخزى والتسكيل ؟
(١) وردت : أى السيف ؛ وغير مغمدة : حال ؛ والقنا : الرماح ؛ والشغل : جمع شغلة ، القبس من النار ، شبه سيف المدوح المصلته بشغل النار ؛
(٢) الخزر : ضيق العين ، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه ، والقبل في الخيل : أن تقبل إحدى العينين على الأخرى ، وإنما تفعل ذلك الخيل لعزة أنفسها ، والأعيان : جمع عين « تقول عيون وأعين وأعيان » قال يزيد ابن عبد المدان :

ولكنفى أغدو على مفاضة ^(١) دلاص كأعيان الجراد المنظم

قال ابن جني : يقول : القوم ترك وخيلهم عزيزة الأنفس : أى أتوك عليها ، قال ابن فورجه : كيف خص « ابن جني » الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، صما وأكثرهم ديلم ، والمدوح ديلمى ؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خَزَرٌ عِيُونِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ *

وبعد : فالمعنى إذن أن القوم غضاب ، والحيل نشاط عزيزة الأنفس
(٣) يقول : أنك قومك وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جللتهم اختلال ، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبى عضد الدولة ، وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى « وهشودان » ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال . والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يحتل بمن انفصل عنه . فالقبل : الطاقة ؛ وبهم : يتعلق بقبل ؛ وجملة ليس بمن أتوا الخ : حال . وقوله بمن أتوا : أراد بمن أتوه ، فحذف العائد ، وكذلك بمن نأوا : أى بمن نأوا عنه .

(١) للمفاضة : الدرع السابقة كأنها أفيضت على لابسها ، والدلاص : الصقيلة البراقة ، وشبه حلقها في الدقة والزرقعة ، وتقارب السرد ، بعيون جراد نظم بهذه إلى بعض وجمع

لَمْ يَذَرِ مَنْ بِالرَّيِّ أَنَّهُمْ فَصَلُّوا وَلَا يَذَرِي إِذَا قَفَلُوا^(١)
فَأَنْتِ مُعْتَزِمًا وَلَا أَسَدٌ، وَمَضَيْتَ مُنْهَزِمًا وَلَا وَهْلٌ^(٢)
تُعْطِي سِلَاحَهُمْ وَرَاحَهُمْ مَا لَمْ تَكُنْ لِنَتَائِلِ الْقُلُوبِ^(٣)
أَسْخَى الْمُلُوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ مَن كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ^(٤)
لَوْلَا الْجَهْلُ مَادَلَّتْ إِلَى قَوْمٍ غَرِقَتْ وَإِنَّمَا تَفَلُّوا^(٥)
لَا أَقْبَلُوا سِرًّا وَلَا ظَفِيرًا غَدْرًا وَلَا نَعَرَتهُمُ الْفَيْلُ^(٦)

(١) الرى : بلد بين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ؛ والنسبة إليها : رازى . وفصلوا : يريد خرجوا ؛ وقفلوا : رجعوا . يقول : لكثرة جيوشه بالرئ لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم ، ولا يشعرون برجوعهم حين يرجعون ؛ يعنى أنهم لم يشعروا بالجيش الذى هزم « وهشودان » لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش ؛ ولا شعروا بقولهم .

(٢) يخاطب « وهشودان » يقول : أقبلت إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ومضيت منهزما ولا وعل ينهزم انهزامك ، فخر « لا » فى الموضعين محذوف - كما ترى - للعلم به ؛ والوعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدين .

(٣) الراح : جمع راحة ، راحة اليد . يقول - لوهشودان - : تعطى سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والسكران^(١) والسلب ما لم تكن العيون لتطمح أن تراه ، لمنعته وبعد نيته .

(٤) يقول : أسخى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يصبها منه من خاف انتقال الرأس عنه ؛ يعنى أنك خفت أن يقطع رأسك ، فسخت بمملكته لكلا ينتقل الرأس عنك قال ابن جنى : لو قال بترك مملكة : لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل ، لقوله آخر : ينتقل .

(٥) داف إليه : دنا منه ومشى إليه . يقول : لولا جهلك لما قصدت قوماً تنهزم عنهم بادئى حرب منهم ، فضرِب لهذا مثلاً بالفرق والتفل ، والمعنى : أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لفرقوك .

(٦) الفيل : جمع غيلة ، وهى القتل على حين غفلة ، ومن حيث لا يهوى . يقول :

(١) السكران - بضم الكاف - اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

لَا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَسْرِفُهُ إِلَّا إِذَا ضَاقتْ بِكَ أَحْيِلُ^(١)
لَا يَسْتَحْيَ أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ نَضْلُوكَ آلُ بُوَيْدٍ أَوْ فَضَلُوا^(٢)
قَدَرُوا عَفْوَا وَعَدُوا وَفُوا سُئِلُوا أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْ عَدَلُوا^(٣)
فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ، فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةَ نَزَلُوا^(٤)
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمُهُمْ ، فَإِذَا تَمَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا^(٥)

إن جيشه لا يأتون أحداً في خفية ليظفروا غدراً وليقتالوا عدوهم ، فإنهم لا يحتاجون في قهر عدوهم إلى الصدر والاعتبال ، فهم يقاتلون أعداءهم جهاراً
(١) تعرفه : حال ؛ أي وأنت تعرفه . يخاطب « وهشودان » يقول : إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك ، إلا إذا اضطررت إلى ذلك . يلومه على اختياره الحرب من أول الامر ، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه .
(٢) استحي يستحي : بمعنى استحيا يستحي . ونضلوك : غلبوك - من اللناضلة ، وهي الرامة بالسهم : يقال تناضل الرجلان فضل أحدهما صاحبه إذا غلبه ، وكان أكثر إصابة منه - وأتى بعلامة الجمع في « نضلوك » ، والعمل مقدم على الفاعل على لغة من يقول : أكلوني البراغيث ؛ وفضلوا : فاقوا في الفضل : أراد : أوفضلوك . يقول : من كان مغلوباً بآل بويه لا يستحي من ذلك ، لأنهم يظنون كل أحد .
(٣) يقول : لما قدروا عفووا . فهم يعفون عن قدرة ، ولما وعدوا وفوا بذلك الذي وعدوا ، ولما سئلوا أغنوا من سألهم ، ولما علوا أهلوا أولياءهم ، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم : أي لمن خالفهم فهو ظالم ومن ناوهم فهو شديد الاغترار بهم .
(٤) يقول : هم فوق السماء منزلة ورتبة ، وفوق كل طلبة وحاجة ، وإذا أرادوا شيئاً هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو ؛ إذ هم وراء كل غاية .
(٥) الصوارم : السيوف . وتمذَّر : تنصل واحتج لنفسه ، ومثله اعتذر . قال أبو ذؤيب :

فإنك منها والتعذر بعدما بلججت وشطت من فُطَيْمة دارها
وقال ليبد يخاطب ابنته ويقول : إذا مت فنوحا وابكيا على حولا :
قموما قمولا بالذي قد علمتا ولا تخمسا وجهاً ولا تحلقا الشعر
وقولا هو المرء الذي لا خليله أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكم ، ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

لَا يَشْهَرُونَ عَلَىٰ مُخَالَفِهِمْ سَيِّفًا يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَدْلُ^(١)
 فَأَبُوا عَلَىٰ مَنْ بِهِ قَهَرُوا وَأَبُوا شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا^(٢)
 حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتٍ غُرَّةٍ ذَا فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهُمْ أَمَلٌ^(٣)

يقول : إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف ، فإذا اعتذر إليهم الجاني ولو كذباً قبلوا عذره تكرر ما .

(١) شهر السيف : جرده من غمده ؛ والعذل : اللوم . يقول ؛ إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف : يعنى لا يميلون إلى الحرب وإنما يقدمون اللوم والوعيد ، وما دام العذل يؤثر في المخالف لا يقصدونه بمساءة ولا ضرر . يصفهم بالحلم والأناة ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول بعض الملوك : إذا كفانى الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفانى السوط لم أشهر السيف .

(٢) أبو على : هو ركن الدولة أبو عضد الدولة ؛ وأبو شجاع : هو عضد الدولة : يقول : بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم ، وبعضد الدولة كلت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم .

(٣) الغرة : الطلعة . و «أن» تفسيرية ؛ ولا فاته أمل : حكاية القسم . وأشار بهذا الأول إلى ركن الدولة ، وبالثاني إلى عضد الدولة . يقول : لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ، ومخايل البركة والإقبال ما علم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم ، فكان وجهه وهو في المهد كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال . وروى ابن جنى «بركات نعمة ذا» يعنى أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شيء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة : أى ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعهد الدولة بإدراك الآمال . وروى «بركات نعمة ذا» يعنى أن أباه عرف بنغمته — صوته — لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها .

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يَمَنَّة وبَسْرَة ، فلا يرى صيداً إلا صاده ، حتى وصلا إلى دشت الأرز - وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز ، تحف به الجبال ، وفيه غاب ومياه ومروج ، فكانت الوحوش تضاد ، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ، فإذا أمتختها الشباب هربت من رموس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه ؛ فأقام بذلك المكان أياماً على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ، وأنشده في رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه السنة قتل أبو الطيب ، قال :

مَا أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بَأْسُ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي ^(١)
لَا أَنْ يَكُونَ هَكَذَا مَقَالِي فَتَيَّ بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَال ^(٢)
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهِيََا أَعْتَسَالِي لَا تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِي بِبَالٍ ^(٣)

(١) يقول : إن الأيام خليفة بأن تتظلم مني وتقول ما للتنبى ومالى ؟ أى لأنى جشمتها من همى ما ليس فى وسعها ؛ وكان من حقه أن يقول « ومالنا » لأنه ذكر الأيام والليالي ، لكنه ذهب بهما إلى الدهر ، فكأنه قال : ما أجدر الدهر ! ويقال فلان جدير بكذا : أى خليف ؛ وأنت جدير بكذا ؛ والجمع : جدراء وجدريون .
(٢) لا أن يكون الخ : أراد لا أن يكون هكذا مقالى لها بأن أنظلم منها ، لحذف « لها » للعلم به والاختصار ، كما تقول : ما أجدر زيدا بأن يقوم إليك لا أن تقوم : تريد إليه ، فتحذفه . وفقى : خبر مبتدأ محذوف : أى أنا فقى . وصلى بالنار : قاسى حرها . يقول : إن الأيام جديرة بأن تتظلم مني لا بأن أنظلم أنا منها ، لأنى فقى لا يزال يقاسى شدائد الحروب يعنى أنه تعود الصبر على الشدائد ، فلا تحفزه الأيام إلى الشكوى .
(٣) يقول : من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل : يريد طول مخالطته الحروب وتمرسه بها وانتقامه فيها حتى صارت نيرانها عنده كالماء برداً فهو يشرب منها ويغتسل بها ؛ وهذا مثل أراد أن شدائدها هانت عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح إلى السلم ، ثم قال : إن الفحشاء لا تخطر له على بال . يصف نفسه بالعفة حتى لا تخطر الفحشاء على باله ، فضلا عن أن يحدث نفسه بإتيانها . والفحشاء : كل ما اشتد قبحه من الذنوب ؛ والمراد هنا : الفجور - الزنا - .

لَوْ جَذَبَ الزَّرَادُ مِنْ أَذْيَالِي تُخَيِّرُ إِلَى صَنْعَتِي سِرْبَالِ^(١)
مَا سُمِّتُهُ سَرْدَ سِيَوِي سِرْوَالِ وَكَيْفَ لَا وَائِمًا إِذْ لَالِي^(٢)
بِفَارِسِ الْمَجْرُوحِ وَالشَّمَالِ أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الْأَبْطَالِ^(٣)
سَاقِي كُثُوسِ الْمَوْتِ وَالْجُرْيَالِ^(٤) لَمَّا أَصَارَ الْقَفْصَ أَمْسِي الْخَالِي^(٥)
وَقَتْلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى أَتَقَتَّ بِالْفَرِّ وَالْإِجْفَالِ^(٦)

(١) و (٢) و (٣) جذب : شد : والزراد : صانع الزرد ، وهي الدروع . وأراد
يجذب الزراد لذيله : دعاءه إياه ، لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من
ثوبه ليقبل عليه . والسربال : القميص ، ويسمى به الدرع استعارة ، والجمع سراويل .
وسمته : كلفته . والسرد - وبروي الزرد - مداخلة خلق الدروع بعضها في بعض .
والسروال : معروف ، وهو أعجمي معرب وأكثر كلام العرب سراويل - صيغة
الجمع وإن لم يقصد به الجمع - وقوله وكيف لا : أى كيف لا أكون كذلك : حذف للعلم
به . والإدلال : الفخر والثناء - يقال فلان مدل بكذا . والمجروح والشمال : فرسان
كانا لعصبة الدولة . يقول لو خيرني الزراد في صنع سربال ألبسه بين أن يكون من
صناعة الدرع أو من صناعة الثياب - أى بين أن يصنع لى درعا أو ثوبا - لما اخترت
إلا الثوب دون الدروع . يشير بذلك إلى أن سيفه درعه ، وهو يحمى به بدنه ، وإنما
جاءته أن يحسن عورته . قال الواحدى : وهذه طريقة المتنبي يترفع عن معاشره
النساء كبراً وتعففاً ، ثم قال - المتنبي - : وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن
بالمدوح ، وبه أدل وأفتخر على الناس ؟

(٤) الجريال : صبغ أحمر تشبه به الحجر . يقول : أنه يسقى أعداءه كؤوس الموت ،
وأولياءه كؤوس الحجر .

(٥) القفص : جيل من الناس ينزلون بجبال كرمان ، وهو مفعول أول لأصار ؛
وأمس : مفعول ثان . يقول : لما أفنى هؤلاء القوم قصيرهم مثل أمس الدابر ، وجواب
« لما » يأتي بعد .

(٦) قال الواحدى : قتلهم : فذلهم ، ومنه قول امرئ القيس :

* فِى أَعْشَارِ قَلْبٍ مُّقْتَلِ *

أى مذل ؛ ويقال شراب مقتل : إذا سكنت سورتها بالماء . والإجفال : الإسراع

فَهَالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي . وَأَقْتَنَصَ الْفَرَسَانِ بِالْعَوَالِي ^(١)
وَالْعُتْقِي الْمُخْدَتَةِ الصَّقَالِ سَارَ لَصِيدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ ^(٢)
وَفِي رِقَاقِ الْأَرْضِ وَالرَّمَالِ عَلَى دِمَاءِ الْإِنْسِ وَالْأَوْصَالِ ^(٣)
مُنْفَرِدَ الْمُهْرِ عَنِ الرَّعَالِ مِنْ عِظَمِ الْهَيْمَةِ لَا لِلَّالِ ^(٤)
وَشِدَّةِ الضَّنِّ لَا الْأَسْبِدَالِ مَا يَتَحَرَّ كُنْ سِوَى أَنْسِلَالِ ^(٥)

في الحرب . والسكرد : جيل معروف . يقول : ذلهم وأضعفهم ومنعمهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هربا .

(١) فهالك : أى فمنهم هالك . والجالي : النازح عن وطنه ؛ والجالية : الذين جلاوا عن أوطانهم . والعوالى : الرماح . يقول : فأصارهم بين هالك أفناء التعرض لحربه ، وطائع أنجاه التسليم لأمره ، ونازح عن داره خوفاً منه . ثم قال : وصاد فرسان الأعداء بالرماح .

(٢) والعتق : عطف على العوالى - جمع عتيق - يقول : وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة الجديدة الصقل . وقوله سار الخ : جواب لما أصار ؛ أى لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش للعصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذو منعة .

(٣) وفي رقاق : عطف على الجبال . والرقاق من الأرض : اللينة ؛ والإنس : الناس . والأوصال : المفاصل . يقول : سار للصيد وهو يطأ الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل .

(٤) منفرد : نصب على الحال - من سار - والرعال : القطعة من الحبل ، واحدها : رعلة . يقول سار منفرداً عن جيشه لا يريد أن يسايره أحد ، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجراً منهم :

(٥) الضن : البخل . تقول : ضننت بالشيء أضن - وهى اللغة العالية - وضننت أضن ضنا وضنا وضنة ومضنة وضنائة : بخلت به ، وهو ضنين به ، ومن هذا قولهم علق مضنة ومضنة : أى شيء تقيس مضنون به ويتنافس فيه ؛ والإنسال : مصدر أنسل ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية ، ومثله التسلل ، ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لوأذا » يقول : وكان ينفرد عنهم ضناً بنفسه عن صحبتهم ، لا أنهم يريد أن يستبدل بهم غيرهم ؛ ثم قال : إن خيله لم تكن تتحرك فى سيرها معه إلا حركات خفية هية له .

فَهْنُ يُضْرَبَنَّ عَلَى التَّصْهَالِ كُلُّ عِلِيلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالٌ ^(١)
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةً الشُّعَالِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ ^(٢)
فَلَمْ يَبْنِلْ مَا طَارَ غَيْرَ آلٍ وَمَا عَدَا فَأَنْقَلَ فِي الْأُدْغَالِ ^(٣)
وَمَا أَحْتَى بِالمَاءِ والدُّحَالِ
مِنْ الْحَرَامِ اللِّحْمِ وَالْحَلَالِ ^(٤)

(١) التصهال : الصهيل . والمختال : للمجب بنفسه المستكبر . يقول : فالحيل تضرب على الصهيل تاديباً لها ، وفوقها كل رجل عليل في مكانه وتضاغره هية لعند الدولة ، وهو في نفسه وهمته مختال . فكل عليل مبتدأ ؛ وفوقها : خبره .
(٢) يمسك فاه : نعت عليل ؛ والزوال : الساعة تلى الظهيرة : يقول : وليس يسعل هية ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، يصف عسكره بالوقار وإجلاله ، هكذا قال أكثر الشراح - قال بعضهم : ولعل الأشبّه بمراد المتنبي أنهم كانوا يعملون ذلك مخافة أن ينفر الصيد إذا سمع جليتهم كما يستدل عليه من السياق التالى هذا : ويقال طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعها ، ومطلماً ومطلماً ، وهو أحد ما جاء من مصادر فعل يفعل على مفعل ، ومطلماً بالفتح لغة ، وهو القياس ، والكسر الأشهر . قال الفراء : إذا كان الحرف من باب فعل يفعل - مثل دخل يدخل وخرج يخرج وما أشبههما - آثرت العرب في الاسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفاً من الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل : من ذلك المسجد والطلع والفجر والشرق والسقط والفرق والمجزر والسكن والمنسك والمنبت ، فجعلوا الكسرة علامة للاسم والفتح علامة للمصدر ، راجع لسان العرب مادة « طلع »
(٣) بئل : ينبج ويرجع إلى موئل مضارع وآل أى نجا . وغير آل : أى غير مقصر اسم فاعل من ألا يآلو . وعدا : ركض وجرى . والأدغال : الآجام . وحى الشجر الكثير للثف . وانقل : دخل في الشجر . يقول : لم ينبج من صيده الطير الذى طار ولم يقصر في طيرانه : أى فكيف ينبج الذى قصر ؟ ولم ينبج كذلك ما عدا من الوحش ، فدخل واستر بالأدغال : أى فكيف ينبج الذى لم يلجأ إلى الأدغال ؟
(٤) الدحال : جمع دحل ، كالهوة في الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب و « من » بيان « لما » وحرام اللحم : ما كان كالخنزير والسبع والخنزير ونحوها . يقول : ولم ينبج أيضاً ما تحسن بالماء والدحال بما يحل أكله وما لا يحل .

إِنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الْآجَالِ سَقِيًّا لِدَشْتِ الْأَرْزَنِ انْطُوالِ^(١)
 بَيْنَ الْمَرْوِجِ الْفَيْحِ وَالْأَغْيَالِ مُجَاوِرِ الْخَزِيرِ لِلرُّنْبَالِ^(٢)
 دَانِيِ الْخَنَانِيصِ مِنَ الْأَشْبَالِ مُشْتَرَفِ الدُّبِّ عَلَى الْغَزَالِ^(٣)
 مُجْتَمِعِ الْأَضْدَادِ وَالْأَشْكَالِ^(٤)
 كَأَنَّ فَنًّا خُسِرَ ذَا الْإِفْضَالِ خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الْكَمَالِ
 فَجَاءَهَا بِالْفَيْلِ وَالْفَيْيَالِ^(٥)

(١) دشت الأرزن : موضع بشيراز : والدشت : الصحراء ؛ والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصي . والطوال : مبالغة من الطويل ، وهو نعت للأرزن . يقول : إن النفوس معدة الاجال حتى تأخذها وتذهب بها ، ثم دعا لدشت الأرزن بأن يسقيه الله سقيا . وقال بعض الشراح : قوله إن النفوس عدد الآجال : أى أن عدد النفوس على عدد الرجال : يعنى أن لكل نفس أجلا ، وكان الوجه العكس : أى أن يقول : الآجال عدد النفوس ، فقلب الكلام تفتنا .

(٢) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح . والأغتيال : جمع غيل ، وهو الأجمة . والرئيل : الأسد . ويجوز في مجاور الحركات الثلاث : الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب على أنه حال ، والجور على أنه نعت لدشت . يقول : إن هذا الدشت محاط بالمروج ، وفيه كل نوع من الصيد والحيوان ، فخريره مجاور للأسد .

(٣) الداني : القريب ؛ الخنايص : جمع خنوص ، ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، ولد الأسد . ومشترف : بمعنى مشرف يقال أشرف واشترف ، قال جرير :
 * من كل مشترف وإن بعد المدى *

« يريد من كل فرس مشرف مرتفع » يقول : إن أولاد الخنازير فيه قرية من أولاد الأسد مجاورة لها ، والدب فيه مشرف على الغزال ، لأن الدب جبلي والغزال سهلي .

(٤) يقول : إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان ، يعنى المفترسين كالأسد ونحوه وغير للفترس كالظبي والأرنب وكل واحد من هذين الفريقين أشكال .

(٥) فناخسار : اسم عضد الدولة ، والضمير في « عليها » للأضداد والأشكال . الفيال : الذى يسوس الفيل ، يقول : كأن المددوح خاف على هذا الحيوانات

قَبِذَتِ الْأَيْلُ فِي الْجِبَالِ طَوْعَ وَهُوقِ الْخَلِيلِ وَالرَّجَالِ^(١)
تَنْبِيرُ سَيْرِ النِّعَمِ الْأَرْسَالِ مُنْعَمَةُ بَيْبَسِ الْأَجْدَالِ^(٢)
وَلِذَنْ تَحْتَ أَثْقَلِ الْأَحْمَالِ قَدْ مَنَعْنُنْ مِنْ التَّفَالِي^(٣)

أن لا تكون كاملة فجاءها بما لم يكن فيها وهو الفيل ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها .

(١) الأيل : جمع إيل ، وهو حيوان من ذوات الظلف ، لذكور منه قرون متشعبة لا تنجوف فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . قال العسكبرى : وهذا البيت الرواية فيه أيل - بضم الهمزة - على أنه جمع إيل ، والمعروف أيايل ، ووزن إيل فعل مثل القنب^(١) وفعل لا يجمع على فعل وإنما فعل جمع فاعل كصائم وصوم وراكع وركع وساجد وسجد أقول : وقد جاء في اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن « أيل » اسم للجمع ومفرد الأيايل الأيل بفتح الهمزة وكسر الياء ؛ قال الخليل ، وإنما سمى أيلاً لأنه يشول إلى الجبال . وبعد : فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا فقليل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل وقيل إن إيل وأيل جمع أيل « راجع لسان العرب مادة أيل » وطوع : حال . والوهوق : جمع وهوق وهو الحبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها . والمراد بالخليل : الفرسان : يقول : صيدت الأيايل وقبذت بالجبال والوهوق حتى صارت طوعاً لها تقاد بها .

(٢) النعم . الإبل ، أما الأنعام ، فهي الإبل والغنم والبقر . قال الفراء : النعم يذكر ولا يؤنث ، ويجمع على نعمان ، مثل حمل وحملان ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم ، وقال ابن سيده النعم الإبل ، والنشاء ؛ ويذكر ويؤنث ، والجمع أنعام وأناعيم . والارسال : جمع رسل وهو القطيع من الإبل . ومنعمة : من العمامة : والأجدال : جمع جذل ، وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاها . يقول . إن هذه الأيايل تسير في الجبال سير آليتنا كما تسير الإبل بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو - الجبرى - وهى ذات قرون كبار ملتفة كأنها قد اعتمدت بأعواد يابسة من الأجدال .

(٣) يريد بأثقل الأحمال : القرون ، يعنى أنهم خلقن كذلك ، لأنه يكون لمن قرون حين الولادة . فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل - لا إلى صفاتها - يصف قرون الأيايل بالثقل ، وأن هذه القرون تمنعها أن تقلى رءوسها لا عوجاجها ؛ وقال ابن جني : يعنى بأثقل

(١) ضرب من السكتان .

لَا تَشْرُكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهَزَالِ ^(١) إِذَا تَلَقَّيْنَا إِلَى الْأُظْلَالِ ^(٢)
 أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعِ الْأَمْثَالِ كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ ^(٣)
 زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُهَالِ ^(٤) وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعًا فِي حَالِ
 لِسَائِرِ الْجَنَسِ مِنَ الْخَبَالِ ^(٥)
 وَأَوْفَتِ الْفُؤَادُ مِنَ الْأَوْعَالِ مُرْتَدِّيَاتٍ يَبْقَى الضَّالِ ^(٦)
 نَوَاحِسَ الْأَطْرَافِ لِلْكَفَالِ يَكْذَنَ يَنْفُذَنَّ مِنَ الْأَطَالِ ^(٧)

الأحمال الجبال : قال ابن فورجة : بل المراد القرون لأن الواحد منها إذا قطع حملة حمار أو رجل قال الواحدى : وقول ابن جنى أظهر لأنها ولدت ولا قرون لها ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها . والمعنى : ولدت تحت الجبال وقرونها لطلوها وتشعبها تمنعهم من فى رؤوسهم لوجهن . وما ذهبنا إليه أظهر .

(١) الهزال . رقة لجسم يقول : إن هذه القرون لا تشارك أجسامها فى الهزال .
 (٢) و (٣) و (٤) السبة : العار يسب به . يقول إذا انتفت الأيائل إلى ظل قرونها رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعارجها ، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة فى تمييز الجبال . يشير إلى قولهم فى الشتم : ياقرنان . وهو الذى لا غيرة له .

(٥) أراد بالعضو هنا القرن ، ولا يسمى القرن عضواً ، إذ ليس من جملة الأعضاء ولعله أطلق عليه عضواً لجوارته العضو . والجبال : الفساد وشلل الأعضاء كفى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيائل الفرار . فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجرى : يقول : إذا حل بالجسم خبال فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه - فى حال من الأحوال - من ذلك الخبال ، يريد أن عظم قرونها لم ينفعها فى الخروج من الوهوق

(٦) أوفت : أشرفت من فوق الجبال ؛ والفدر : جمع الفدور ، والفادر ، قال الأصمى : الفادر من الوعول : الذى قد أسن ، بمنزلة القارح من الحيل ، والبازل من الإبل ، وقيل الوعل : الشاب التام . والضال : شجر ، وهو الصدر البرى . يقول : وأشرفت الوعول للسنة ترتدى بقرونها كأنها - لا نعطفها - القسى التى تعمل من شجر الضال .

(٧) نواخس : حال من القسى . والآطال : جمع إطل ، وهو الخاصرة : وينفذ : يخرقن . يقول : إن أطراف هذه القرون تنخس أعجازها : أى تصيبها وتضرها وتكاد لطلوها وانعطافها تنفذ من خواصرها .

لَمَّا لَحَى سُودٌ بِلَا سِبَالٍ يَصْلُحْنَ لِلِإِضْحَاكِ لَا الْإِجْلَالَ (١)
كُلُّ أُنَيْثٍ نَبَتْهَا مُتْفَالٍ لَمْ تُفْذَ بِالْمِسْكِ وَلَا الْقَوَالِي (٢)
تَرْضَى مِنَ الْأَذْهَانِ بِالْأَبْوَالِ ، وَمِنْ ذِكْرِ الْمِسْكِ بِالْأَمْالِ (٣)

(١) اللحي : جمع لحية ؛ قال ابن سيده : اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الحدين والذقن ؛ والجمع لحي ولحي .. مثل ذورة وذري - والسبال : الشوارب ، جمع سبلة ، الشارب : يقول : لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحي ولكن لا شوارب لها ، وتلك اللحي تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم . هذا : والسبلة أيضا مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر ، ومن هذا قولهم : جاء فلان وقد نشر سبلته : إذا جاء يتوعد ، قال الشاعر :

أَتَنِي سُلَيْمٌ قَضَاهُ بِقَضِيضِهَا تُنْشَرُ حَوْلِي بِالْبِقِيعِ سِبَالَهَا
يقولون لي يا أحلف ولست بحالف أَخَادَعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمًا أَنَا لَهَا
فَفَرَجَتْ غَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحِلْفَةٍ كَمَا قَدَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا (١)
(٢) و (٣) كل أنيث : بدل من اللحي : أي كل لحية هذه صفتها . والأنيث : من الشعر : الكثير الملتف ؛ ونبتها : فاعل أنيث ومتفال : خبيثة الرائحة . والقوالي : جمع غالية ، وهي أخلاط من الطيب . والدمال : زبل الدواب ، وهو السرجين ، يقول لها لحي كثيرة الشعر منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب بل بالبول والسرجين .

(١) سليم قبيلة ، وقضاه بقضيضها : أي بأجمعهم ، وهو اسم منصوب موضع موضع المصدر ، كأنه قال جاءوا انقضاضا ، وقال سيويه : كأنه يقول انقض آخرم على أولهم ، وأصل القض : الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الانقضاض كقولهم عقاب كاسر أي منقضة ، والبقيع الموضع المعروف بالمدينة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم . وتنشر حولي الخ يروي تميم أراد أنهم يسحون لحاهم ، وهم يتوعدونه ، وقوله يا أحلف أي يا رجل أحلف ، أو « يا » للتنبية ؛ وأخادعهم عنها : أي عن الحلفة ، فأقول لهم لا أحلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، وقوله لكيمًا أنا لها : أي الحلفة . وقوله ففرجت الخ : يريد كشفت هذا التعم عن اليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه ، والشقراء : يريد الناقة وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

وإني لقد وَحَلَفْتُ كَاذِبٌ إِذَا مَا اضْطَرُّرْتُ فِي الْحَالِ ضَيْقُ
وهل من جُنَاحٍ عَلَى مُسَرٍّ يَدَافِعُ بِاللهِ مَا لَا يَطْبِقُ

لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضَتِي مُحْتَالٍ لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ الْمَالِ^(١)
 بَيْنَ قَضَاءِ السَّوِّ وَالْأَطْفَالِ^(٢) شَبِيهَةَ الْإِدْبَارِ بِالْإِقْبَالِ
 لَا تُؤَاوِرُ الْوَجَةَ عَلَى الْقَذَالِ^(٣) فَاخْتَلَفَتْ فِي وَابِلَى نِبَالِ
 * مِنْ أَسْفَلِ الطُّودِ وَمِنْ مُعَالِ^(٤) *

(١) تسريح الشعر : حله وتخليص بعضه من بعض . والعارضان : جانباً الوجه .
 يقول : لو سرحت هذه اللحي حال كونها في وجه رجل ذي احتيال لكانت له شبكة
 يصطاد بها أموال الناس لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤمن ، وإذا كان
 محتالاً خان الأمانة وفاز بها :

(٢) يقول : أعدّها شبكة من الشباك التي ينصّبها قضاء السوء لأخذ أموال اليتامى بما
 يظهرون من حلي المهابة والوقار وسنّاء الخير والحق . هذا : والسوء : الاسم - من
 ساء يسوء سوءاً - والسوء : الفجور والنكر : تقول هذا رجل سوء بالإضافة ، وإذا
 دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل السوء ، قال الفرزدق :

وَكُنْتُ كَذِيبِ السَّوِّ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ^(١)
 قَالَ الْأَخْفَشُ : وَلَا يُقَالُ الرَّجُلُ السَّوِّ ، وَيُقَالُ الْحَقُّ الْيَقِينُ ، وَحَقُّ الْيَقِينِ جَمِيعًا ،
 لِأَنَّ السَّوِّ لَيْسَ بِالرَّجُلِ ، وَالْيَقِينُ هُوَ الْحَقُّ . قَالَ : وَلَا يُقَالُ هَذَا رَجُلُ السَّوِّ - بِالضَّمِّ
 - وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو قَوْلَهُ تَعَالَى « عَلَيْهِمْ ذَاتُ السَّوِّ » بضم السين ، يعنى الثمر
 والمزينة ؛ وقَرَأَ بَاقِي الْقُرَاءِ بفتح السين ، وهو من للساء . (راجع لسان العرب
 مادة « سوا »)

(٣) الإدبار والإقبال : مصدران أدبر وأقبل ؛ والدبر : خلاف القبلة ، قال الجوهري
 ودبر كل شيء ودبره : آخره ، على المثل ، قال الكمي :

أَعْهَدَكَ مِنْ أَوْلَى الشَّبِيهِ تَطَلُّبُ عَلَى دُبُرِ هِيَاهُ شَأْوٌ مُفْرِبٌ^(٢)
 والقذال : مؤخر الرأس : يقول إذا استدبرت هذه اللحي رأيتها كما تستقبلها لعظمها
 وعرضها فهي تم الوجه والقفا .

(٤) فاختلفت : عطف على قوله « وأوفت » . والوابل : المطر الكثير . والطود :

(١) أحال القذب على الدم : أقبل عليه ، قال الفرزدق أيضاً :
 فَنَحْنُ لَيْسَ لَابْنِ الْعَمِّ كَالْقَذْبِ إِنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهُوَ آكِلُهُ
 (٢) شأو مغرب - بكسر الراء وفتحها - بعيد .

الجليل . وقوله : من معال ، يقال أتيته من عل ومن عال ومن معال ومن عال الدار .
بكسر اللام - ومن علا ؛ قال ذو الرمة في من « معال » :

فَرَجَ عَنْهُ حَلَقَ الْأَغْلَالِ جَذَبُ الْعُرَى وَجَرِيَةِ الْجِبَالِ

* وَنَفَضَانُ الرَّحْلِ مِنْ مُعَالٍ ^(١) *

وفي « أتيته من علا » يقول أبو النجم :

بَاتَتْ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا نَوْشًا بِهِ تَقَطَّعُ أَجْوَاظَ الْفَلَاحِ ^(٢)

وفي « من عل الدار » بكسر اللام قال امرؤ القيس :

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا كَجُلُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ ^(٣)

وفي « أتيته من عل » - بضم اللام - أنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فِي كِنَاسٍ ظَاهِرٍ يَسْتَرُهُ مِنْ عَلٍ الشَّفَانُ هُدَابُ الْفَنَنِ ^(٤)

(١) أراد : فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال - يعنى حلق الرحم - سيرنا . وكل

حركة في ارتجاف نفخ ونفضان والجريه - بالكسر - حالة الجريان

(٢) بأت : أى الإبل ؛ وتنوش الحوض : تتناول ملء أفواهها من مائه ، ومن

علا : أى من فوق ، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق ، وذلك النرش الذى تناله

هو الذى يعينها على قطع الفلوات ؛ والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط : أى تتناول

ماء الحوض من فوق وتشرب شرابا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج

إلى ماء آخر .

(٣) يقول امرؤ القيس : إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه المكر على العدو ،

ومفر : إذا أريد منه الفر ، ومقبل ، ومدبر : إذا أريد منه ذلك ، وقوله معا :

يعنى أن السكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة في قوته لا في فعله ، لأن فيها

تضادا ؛ ثم شبهه في سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال

إلى حضيض .

(٤) الشفان هنا : البرد ، وهو منصوب بإسقاط حرف الجر : أى يستره هدايب

الفنن من الشفان ، والهداب : كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل والفتن

الفنن أو ما تشعب من ورقه .

أما قول أوس بن حجر يصف قوسا وقواسا :
فَمَلَّكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا كَغَرَقَى بَيْضٍ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عَلُوٍّ^(١)
فإن الواو زائدة ، وهى لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله فى الكلام .
وفى « أتيت من عال » يقول دكين بن رجاء :
يُنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَامِ الْأَغْلَالِ وَقَعُ يَدِ عَجَلَى وَرِجْلِ شِمْلَالِ
* ظمأى النساء من تحت رياء من عال^(٢) *

وأتيت من علو ؛ قال أعتى باهلة :
إِنِّى أَتْنَى لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلُوٍّ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرٌ^(٣)
وروى من علو وعلو يقول : رشقت هذه الأيائل بالنبال من أعالى الجبال وأسافلها
فهى تجىء منها وتذهب بين نبال كالطير تأبها من كل جانب .

(١) الليط : جمع ليطة - كزيتى وريشة - قشرة القصبه والقوس والقناة وكل
شئ له متانة ، والقبيض قشر البيض الأعلى اليابس وغرقى البيض : قشره الذى تحت
البيض ، وملك : شدد - من قولهم ملكت المرأة العجين : إذا عجته وأنعمت
عجنه وأجاده - والذى : مفعول ملك لصفة لليط ؛ يقول أوس : ترك شيطاً من القشر
على قلب القوس تمالك القوس به - أى تقوى وتشدت - يكنها أى : يسترها لثلا يبدو
قلب القوس فيتشقق وهم يحملون عليها عقبا إذا لم يكن عليها قشر ، ولذلك مثله
بالبيض للفرق .

(٢) الأغلال : جمع غلل ، وهو الماء الذى يتخلل بين الشجر ، وشملال خفيفة
سريعة ، والنسا - بوزن العصا - عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر
بالعرقوب حتى يبلغ العافر ، فإذا سمعت الدابة انقلعت فغذاها بلحمتين عظمتين وجرى
النسائينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان : جمع ربله
باطن الفخذ ، وخفى النسا . يصف دكين فرسا . يقول : ينجى هذا الفرس من خيل
مثل حمام رد غلامن الماء وقع يد الخ يصفه بالسرعة ثم قال إن قوائمه ليست برهلة ولا
كثيرة اللحم ويحمد ذلك فيها ، ثم قال : إنها رياء من فوق يقال فرس ريان الظهر إذا
سمن متناه .

(٣) من كلته المشهورة التى رثى بها النثر ، واللسان هنا : يراد بها الرسالة والكلمة والخبر

قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَلُ الرِّجَالِ فِي كُلِّ كَبْدٍ كَبْدَى نِصَالٍ^(١)
 فَهِنَّ يَهْوِينَ مِنَ الْقِلَالِ مَقْلُوبَةَ الْأَظْلَافِ وَالْإِرْقَالِ^(٢)
 يُرْقِلْنَ فِي الْجِسْمِ عَلَى الْمَحَالِ فِي طُرُقٍ سَرِيعةٍ الْإِصْصَالِ^(٣)
 يَنْمَنَ فِيهَا نِيْمَةً الْمَكْسَالِ عَلَى الْقَفِيِّ أَعْجَلَ الْمِجَالِ^(٤)
 لَا يَنْشَكِّينَ مِنَ الْكِلَالِ ، وَلَا يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّلَالِ^(٥)
 فَكَانَ عَنْهَا سَبَبَ التَّرْحَالِ تَشْوِيقُ إِكْثَارٍ إِلَى إِقْلَالِ^(٦)

(١) العتل : القسى الفارسية . والرجال — بكسر الراء — و يروى بضمها ؛
 والتثقيل : جمع راجل ؛ والكبد : بالكسر وفتح فكسر — لغتان — والنصال : جمع
 نصل ، الحديدية المركبة في السهم ؛ وكبداها الثاثنان وسط تلك الحديدية عن يمينها وشمالها
 يقول : رمت قسى الرجالة تلك الوعول فأدخلت في كبد كل منها نصلا من نصال السهام ،
 يعنى أن الرماة قد أثنوها بالرمح .

(٢) يهوين : يستعطن . والقلال : جمع قلة ، أعلى الجبل والظلف الحافر المشقوق
 والإرقال : ضرب من العدو . يقول : فهن يستعطن من أعالي الجبال منحدرات على
 ظهورهن فصارت أظلا فهن مقلوبة وصار عدوهن — جريهن — على الظهور بعد أن
 كان على الأظلاف

(٣) يرقلن : يجربن . والحال : فقار الظهر ، جمع محالة . يقول : هي تعدو في الجو

نازلة على ظهورها في طرق تسرع إصاها إلى الحضيض كما هو شأن ما يهوى سفلا :

(٤) النيمة : هيئة النوم . والمكسال : صيغة مبالغة من الكسل . وتروى : المكسال

جمع كسلان . والقفى : جمع قفا . والمجال : جمع عجل وعجلان وأعجل العجال : حال .

لما زلت في تلك الطرق على قفها جعلها كالنائم المستلقى على ظهره كسلا ؛ ولكنها في

ذلك أسرع العجال أسرعة هويها .

(٥) يقول : لا يشتكين في تلك السرعة نصبا ولا تعباً ولا إعياء ، لأنهن لا يقفن

عن النزول ، ولا يخفن ضللا ولا تها في طريقهن لأنها تفضي بهن إلى الأرض البتة .

(٦) عنها : صلة الترحال ؛ والضمير للوحوش ؛ وسبب : خبر « كان » ؛ وتشويق :

اسمها وتقدير الكلام : فكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب ترحال عنها . يقول : لما

أكثر من صيدها شوقه الإكثار من الصيد إلى الإقلال ، لانه مل الصيد لكثرة فكان

ذلك سبب رحيله عنها .

فَوْحَشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ يَخْفَنَ فِي سَلَمَى وَفَى قِيَالٍ^(١)
نَوَافِرَ الضَّبَابِ وَالْأُوزَالِ ، وَالْخَاضِبَاتِ الرُّبْدِ وَالرِّثَالِ^(٢)
وَالظُّبَى وَالْخُنْسَاءِ وَالذِّبَالِ يَسْتَمَعْنَ مِنْ أَخْبَارِهِ الْأُزْوَالِ
مَا يَبْقَى الْخُرْسَى عَلَى السُّؤَالِ^(٣) * .

فُصُولُهَا وَالْمُؤَوِّذُ وَالْتَّالِي تَوَدُّ لَوْ يُنَجِّحُهَا بِوَالِي^(٤)
يَرْكَبُهَا بِالْخَطْمِ وَالرَّحَالِ يُؤْمِنُهَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ^(٥)

(١) البلبال : الهم والحزن . وسلمى : أحد جبل طيء ، والآخر أجا . وقيل : جبل بالبادية . يقول : لكثرة فتكه بالصيدخافه الوحوش حتى بات وحش نجد في خوف وهم وكذا وحش جبل طيء ، فهي تخشى أن يقصد إليها .
(٢) نوافر - كما قال ابن جني - حال من ضمير « يخفن » والضباب : جمع ضب ، وهو الدويبة المعروفة يأكلها العرب . والأوزال - جمع ورل - دابة على خلقة الضب أعظم منه ، طويلة الذنب دقيقتة . والخاضبات الربد : النعام لا تنهار بد إلا لوان - في لونها غرة - فإذا أكلت الربيع انخضبت - احمرت سوقها - فيسمى الظليم خاضبا ، قال أبو دؤاد :

* لَهُ سَاقَا ظَلِيمٍ خَاضِبٍ فَوْجِيٍّ بِالرُّعْبِ *

« راجع لسان العرب - مادة - خضب » والرثال : جمع رأل . فرخ النعام . يقول إن وحوش سائر النواحي نفرت خوفا منه .

(٣) الخنساء : المها - بقر الوحش - لخنس أنفها . والذبال : الدور الوحشي لطول ذنبه . والأزوال : جمع زول ، وهو العجيب الطريف من كل شيء . يقول : إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة في الصيد ما يبعث الحرس على السؤال عنه مع هجها عن السؤال :

(٤) غولها : جمع غل ، وهي رواية ابن جني : وتزوي غولها - بفتح الفاء التي هي للجواب - كما تقول أكثر من الجليل فالناس كلهم يشكرونك ، فأني بالفاء لأن فعل الجليل كان سبب الشكر . والحول : جمع حائل ، ضد الحامل . والمؤذ : الحديثات التاج ، جمع هائذ . والتالي : جمع للتلية ، وهي التي تتلوها أولادها ، يقول : إن أنواع الوحوش تود وتمنى لو بعث إليها من يلي عليها فيذلها ، وتتمة الكلام فيما يلي .

(٥) يركبها : نعت وال ، والخطم : جمع خطام ، وهو الزمام ؛ وخطمت البعير : زيمته ، والرحال : جمع رحل ، وهو اللابل كالسروج للخيول ، يقول : هذا الوالي

وَيَخْمُسُ الْعُشْبَ وَلَا تُبَالَى ، وَمَاءٌ كُلُّ مُسْبِلٍ هَطَالٍ ^(١)
يَا أَقْدَرَ السُّفَارِ وَالْقُفَالِ لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الْأُسْدَ بِالثَّعَالِي ^(٢)
أَوْ شِئْتَ غَرَقْتَ الْعِدَا بِالْأَلِ ، وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الْإِلَالِ
* لَأَلَيْنَا قَتْلَكَ بِاللَّيْلِ ^(٣) *

يذلك الوحش حتى تنقاد في الأزيمة والرحال ، فتصير آمنة من أهوال الطرد وما يصيبها من خوف الصيد ؟

(١) خمس للال : أخذ خمسة ، والمسبل : من السحاب الهاطل ؛ والمطال : المتابع السيلان ، يقول : ويأخذ ذلك لوالى خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذي ترده وترضى بذلك ولا تبالي :

(٢) السفار : المسافرون ، وهم السفر ، وواحد السفر - في القياس - سافر ، مثل صاحب وصحب ، إلا أنه لم ينطق بـ «سافر» ، والقفال : جمع قافل ، وهو الراجع من من سفره ، كأنه قال : يا أقدر الناس جميعاً ذاهباً كنت أم راجعاً : والثعالي : الثعالب على الإبدال ، وهو خاص بالشعر ، ومثله الأرائي ، جمع أرنب قال أبو كاهل اليشكري يشبه ناقته بعقاب :

كَأَنَّ رَجُلِي عَلَى شَفْوَاءٍ حَادِرَةٍ ظَلَمِيَاءٍ قَدْ بُلَّ مِنْ طَلٍّ خَوَافِيهَا
لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَرُّهُ مِنْ الثَّعَالِي وَوَخَزَ مِنْ أَرَانِيهَا ^(١)

يقول . لو شئت غلبت الضعيف على القوى حتى تصيد الأسود بالثعالب .

(٣) الآل : ما يرى نصف النهار كأنه ماء . والإلال جمع آلة ، وهي الحرية العريضة النصل . يقول : لو شئت غرقت أعداءك بما هو ليس بماء . ولو طعنهم بالآلي بدل الإلال - الحراب - لقامت الآلي في إهلاكهم مقام الحراب لأنك مظفر منصور .

(١) الشفواء : العقاب ، سميت بذلك من الشفى ، وهو انعطاف منقارها الأظلي ؛ والحادرة : الفليضة ، والظمياء : المائلة إلى السواد ، وخوافيها : يريد خوافي ريش جناحها ، والأشارير : جمع أشرازة ، وهي اللحم المجفف للدخار ، وتتمر : تجففه ، واشتقاقه من التمر ، يريد بقاءه في وكرها حتى يجف لكثرة ، والوخز : القطع من اللحم ؛ وأصل الوخز : الطعن الخفيف ، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلى يروى رحلى ، والثعالي : الثعالب ، والأرائي : الأرناب .

لَمْ يَبْقَ إِلَّا طَرْدُ السَّعَالِي فِي الظُّلَمِ الْغَائِبَةِ الْهَلَالِ^(١)
 عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ الْأَبَالِ فَقَدْ بَلَغَتْ غَايَةَ الْأَمَالِ^(٢)
 فَلَمْ تَدْعُ مِنْهَا سِوَى الْمُحَالِ فِي لَا مَكَانٍ عِنْدَ لَا مَنَالِ^(٣)
 يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالْمَعَالِي النَّسَبُ الْحُلَى وَأَنْتَ الْحَالِي^(٤)
 بِالْأَبِ لَا بِالشَّنْفِ وَالْخُلُخَالِ حَلِيًّا تَحُلِي مِنْكَ بِالْجَمَالِ^(٥)
 وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلَى تُقَالِ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي الْمِعْطَالِ^(٦)

(١) و (٢) الطرد : الصيد ، وهو مصدر طرد ، مثل الطرد - بالإسكان - والسعالى : جمع سعاله ، وهى القول ، يقال إنها تتمثل فى الفلوات على صورة الجن . والظلم : الليالى التى فى آخر الشهر لا يطلع فيها القمر . والأبال : جمع أبل ، وهى التى تجزى بالكلا عن الماء . يقول : لم يبق إلا أن تصيد الفيلان فى المهامه على ظهور الإبل ، يعنى ملكت الإنسان والوحش وكففت شر كل ذى غائلة فلم يبق إلا أن تخلى المفاوز من السعالى حتى لا تؤذى السائرين فى الليالى المظلمة ، وإنما خص الإبل لأن الخيل لا تعمل فى المفاوز ، وجعلها مكنتية عن الماء بالكلا لئلا تحتاج إلى الماء .

(٣) المحال : المستحيل الذى لا يكون . يقول : بلغت غاية آمالك وملكك كل شئ يوصف بالوجود ويدرك مكانه ولم تترك إلا اللعدم الذى لا يوصف بالمكان والوجود . وقوله فى : « لا مكان » كما يقال سافرت بلا زاد .

(٤) و (٥) الحلى : ما يصاغ من الجواهر للزينة : والحالى : صاحب الحلى ؛ وبالأب : متعلق بمحذوف - أى تتحلى - والشنف : القرط الذى يطلق فى أعلى الأذن ؛ وحليا : مفعول العامل المحذوف يقول : النسب حلية لصاحبه وأنت الحالى بتلك الحلية ، فانت إنما تتحلى بأبيك لا بما تزين به النساء من حلين ، وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال : يعنى أن أباك يزينك وأنت جماله تزينه أيضاً .

(٦) المعطال : الذى لا حلى عليها . يقول : إن الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لا بسها قبيحا ، فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لا حسن فيه ؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالقبيح إذا تحلى ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت كل الرواة فرووه قبح - بالثقاف والياء - وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح فى هذا البيت ، لأنه لا يحل أحد أن الحسن خير من القبح . وقال أحسن منها ، فعاد الضمير على الحلى وحدها ولم يكن للقبح ذكر ، لأن الحلى مؤنثة

فَفَخَّرُ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْعَمِّ وَالْأَخْوَالِ (١)

* * *

والقبح مذكر ، ولا يجوز أن يطلب المؤنث على للذكر ، وإنما غرهم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح ، وإنما هو فتح - بالفاء والتاء والحاء المعجمة - جمع فتحة ، يقال : فتحة وفتحة وفتح وفتحات وفتاح وفتوح ، وهى خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب فى أصابع أيديهن وأرجلهن . . . أقول : وما يستطرف إرادته هنا شاهدا على الفتح ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج - وكانت رفعتة إلى المبرة بن شعبة . فقالت له : أصلحك الله إني منه بجمع : أى لم يفتضى ، فقال العجاج :

الله يعلم يا مغيرة إننى قد دُستُها دَوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ الملقب شاته عجلان يذبها لقوم نزل
فقالت الدهناء :

والله لا تخدعنى بِشَم ، ولا بتقبيل ، ولا بغم
إلا بزعرع يسلى همى تسقط منه فتخى فى كسى
« الزعرع : الاسم : من زعرعه زعرعة : أى حركة » .

(١) غر : مبتدأ ، خبره : من قبله ، والضمير فى قبله : للفخر ، وبالم : حال من الضمير المذكور ، وقال العكبرى : الباء فى قوله « بالم » متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام : أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى « قبله » وإن كانت ضمير المصدر ، لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل ، ولا يجوز تعلق حرف الجر به ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى « قبله » وتكون أيضاً متعلقة بمحذوف : أى من قبله كائنا بالم ، كقولك هند مرت بها من الصالعات . يقول : إنما يفتخر الفتى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحرى :

فما الفخرُ بالعظمِ الرميم وإنما فخارُ الذى يبنى الفخارَ بنفسه

قافية الميم

وقال يمدح سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله أنطاكية من ظفريه بحصن برزؤيه ، وكان جالسا تحت فارة من الديباج * عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان :

وفاؤكم كما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاء ساجه^(١)

* الفازة : مظلة تمد بعمود . وقال بعض اللغويين : هي بناء من خرف وغيرها تبنى في العساكر ، والجمع فاز :

(١) وفاؤكم كالربع : مبتدأ وخبر . وأشجاء : أى أشده شجوا ، من قولك : شجاني هذا الأمر ؛ أى أحزننى . والطاسم : الطامس الدارس . و« بأن تسعدا » : أى تساعدوا وتعاونوا ، متعلق بوفاء ، وذلك من الضرورات اتقيحة ، لأنه لا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء وسجم الدمع : سال وهطل لمخاطب خليليه الذي عاهداه على أن يساعده على البكاء . عند ربع الأحبة يقول لها : إن وفاءكم بأن يساعداني على البكاء كهذا الربع ، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزاؤه وأشد حزنه لأنه لا يتسلى به الحب ، وكذلك وفاؤكم كلما ضعف وقل إسعادكم لى على البكاء اشتد حزنى إذ لا أحد من أتسلى به ، ثم قال والدمع أشفاء ساجه ، كأنه يقول : إن لى العذر فى البكاء ، أما أنتما غليان ، إذ لو كنتم محزونين مثلى لاستشفيتما بالدمع ، كما هو شأن المحزون مثلى . يريد : أبكىا معى بدمع فى غاية السجوم فهو أشجى للوجد ، فإن الربع فى غاية الطسوم وهو أشجى للمحب . وقال ابن جنى : المعنى : كنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى وفاء كما معه ، ولذلك قال وفاؤكم كالربع : أى كلما ازددت بالربع وبوفائكم وجدأ ، ازددت بكاء ، ويروى والدمع - بالجر - عطفا على الربع ، وعلى هذا يكون المعنى : وفاؤكم كالربع الدارس فى الأدوية إذا لم تعجريا عليه الدمع الساجم ، وفى الشفاء إذا أجرينا عليه . وعبرة ابن القطاع : وفاؤكم لى بالإسعاد عفا ودرس كالربع الذى أشجاء للعين دارسه ، فكنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى معه وفاء كما وشتفى الدمع الذى هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجه . وقال الإمام التبريزى : الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يحلو بعض المم عن المكروب المحزون ، قال الفرزدق :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ أَعَقُّ خَلِيلِيهِ الصَّغِيرِينَ لَا مِثْلَهُ^(١)

أَلَمْ تَرَ أَنِي يَوْمَ جَوْ سُوَيْقَةٍ بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَا لِي يَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا^(٢)

قال التبريزي : لأمهما على البكاء . وأنهما لم يسعداه ، قال : وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه . هذا : وللمناسبة « أشجاء » روى الرواة أن المتنبي لما أشهد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال للمتنبي تقول أشجاء وهو هجاء ؟ فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لافعل . . . يريد المتنبي أنه اسم تفضيل : أي أشده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . . . لأنه في الفصح يقال - كما أسلفنا - شجاء يشجوه شجوا : إذا حزنه ، وشجاء تذكر إلفه : أي هيجه ، وشجاء الغناء : إذا هيج أحزانه وشوقه ، وأما أشجاء يشجيه إشجاء : فهو بمعنى أغصه ، والشجاء ما اعترض في خلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرها ، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري : ويراني كالشجاء في حلقه عسرا تخرجه ما يُنتزع

وقد شجى به - بالكسر - يشجى شجاء ، قال المسيب بن زيد مناة الغنوي :

لَا تُنْكَرِ الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي حَلِقِكُمْ عَظُمٌ وَقَدْ شَجِينَا
« فِي حَلِقِكُمْ : أراد في حلقكم »

(١) قوله : وما أنا إلا عاشق : إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ، ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما في الحلة - الصداقة والود - من لابه في هواء ، وفي هذا تعريض بالنهي عن اللوم . يقول : إن من لامي منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه العقوق ، فكان لأتمكما أعقكما ؛ قال الواحدي : ومعنى الأعق ههنا : العاق ، كقول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَا مِثْلَهُ أَغْرُ وَأَطْلُولُ
وكما قال الجاهلي :

خَالِي بَنُو أَوْسٍ وَخَالُ سَرَائِهِمْ أَوْسٌ فَأَيُّهُمَا أَدْقُ وَالْأُمُّ

أي فأيهما الدقيق والاثم ؟ وليس يريد أن الدقة واللؤم اشتغلا عليهما معاً ثم زاد أحدهما على صاحبه ، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك ، كقوله تعالى « أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلاً » ولا خير في مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول : أعق خليليه وإن لم يكن للمسك عن اللوم صفة عقوق . هذا : وروى

(١) مطلع إحدى قصائده ، وهي أول قصيدة هجا بها جريرا والبيث

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِأَلْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَاقِيهِ^(١)

كل عاشق ، بنصب « كل » على أنه مفعول عاشق ، يريد إلى عاشق كل عاشق مصف بعد خليفه العاق من لامة في هواء

(١) التزي : تكلف الزى ، وهو اللباس والهيئة . قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض صاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به . يقول : قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله ، وفيه تعريض أيضاً بأنهما ليسا من أهل الصحة حيث قال : قد يسأل الإنسان الصحة من لا يكون موافقاً له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدوا من الإسعاد . هذا : ولناسبة « يزيا » قال ابن جنى : سأله . . . أى للتني . عن قوله « يزيا » هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال : لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال . قلت : أنرضى بشيء تورده العامة ؟ قال : ما عندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى . قال : من أين لك ؟ قلت لأنه من الزى وعينه واو ، وأصله زوى ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها ، ولأنها أيضاً ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لا يقولون لفلان ، « زى » إذا كان له شيء واحد يستحسن حتى يجمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له « زى » : من زويت أى جمعت . وقال الآخر * زوى بين عينيه على المحاجم^(٢) * فقلت له : إلى هذا ذهبت فأصنى نحوه . . . وقد ذكره صاحب العين . أى الخليل بن أحمد . فقال زيا فلان بزى حسن وزيته تزية . بوزن تعية . فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى ، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفاً كقول الآخر : إن ديموا جاد وإن جادوا وبل^(٣) وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم

(١) عجز بيت للأعشى ؛ و صدره :

يَزِيدُ بَفْضِ الطَّرْفِ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى . . . الخ
وبعده :

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ

يقال زوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع

(٢) عجز بيت لشاعر جاهلى يقال له جهنم بن سبل ؛ و صدره :

أَنَا الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنِ سَبَلٍ إِنَّ دِيمُوا . . . الخ

بَلَيْتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التَّزْبِ خَاتِمُهُ^(١)

يَاءُ أَنْسَ بِهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا لِحَفْنِهَا كَمَا قَالُوا فِي عِيدِ أَعْيَادٍ ، وَفِي تَحْقِيرِهِ عِيدٍ ، وَهُوَ مِنْ عَادٍ يَعُودُ ، وَكَانَ قِيَاسُهُ عَوِيدَ وَأَعْوَادٍ ، كَمَا قِيلَ فِي تَحْقِيرِ « رِيحٍ » رُوحٍ ؛ وَفِي جَمْعِهَا أُرُوحٌ ؛ وَحِكْيُ اللَّحْيَانِ فِي نَوَادِرِهِ : رِيحٌ وَأُرُوحٌ ، فَهَذَا مِمَّا أَجْرَى مَجْرَى الْبَدَلِ الْإِزْمُ لِحَفْنَةِ الْيَاءِ ، وَكَذَلِكَ يُزَيَّا إِنْ كَانَ صَحِيحًا مِنْ كَلَامِهِمْ ، فَهُوَ مِمَّا أُلْزِمَ بِدَلِّ الْيَاءِ مِنَ الْوَاوِ تَخْفِيفًا ، وَلِأَنَّهُ قَدْ أَبْدَلَهَا فِي زَيْ قَصْدًا مِنْ طَرِيقِ الْإِشْتِقَاقِ ، وَالْقِيَاسِ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ عَيْنُ الزَّيِّ وَآوَاءُ فِي الْأَصْلِ ، لِأَنَّ بَابَ طَوَيْتٍ ، وَرَوَيْتَ مِمَّا عَيْنُهُ وَآوُ وَلَامُهُ يَاءٌ أَكْثَرُ مِنْ بَابِ حَيْثُ وَعِيَتْ مِمَّا عَيْنُهُ وَلَامُهُ يَاءٌ إِنْ فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْقِيَاسُ وَالْإِشْتِقَاقُ عَلَى قَضِيَّتِهِ لَزِمَ قَبُولُهَا وَرَفْضُ مَا عَدَاهَا وَخَالَفَ وَضَعُهَا .

(١) الْأَطْلَالُ : آثَارُ الدِّيَارِ . يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يَبْلِي بِبَلَى الْأَطْلَالِ ، إِنْ لَمْ يَقِفْ بِأَطْلَالِ الْأُحِبَّةِ مَتَّوِّجًا لَهَا مِنْحِنًا ، كَمَا يَفْعَلُ الشَّحِيحُ إِذَا فَقَدَ خَاتِمَهُ وَوَقَفَ يَتَلَسَّسُهُ فِي التَّرَابِ ، قَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ : وَهَذَا مَا أَخُوذُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ أَرَاهَا أُمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي

وَقَدْ عَابَ ابْنُ جَنَى هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : لَيْسَ لِلْفَرْعِ عِجْرُهُ جَزَالَةٌ لَفْظُ صَدْرِهِ ، وَلَيْسَ فِي وَقُوفِ الشَّحِيحِ عَلَى طَلَبِ خَاتِمِهِ مِبَالِغَةٌ يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَبَالُغُ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَجَاوِزُ الْحُدُودَ ، وَقَدْ تَقْتَصِرُ أَيْضًا وَتَسْتَعْمَلُ الْمَقَارِبَةَ . . . وَهَذَا بَعِينُهُ قَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ الْفَصِيحِ ، قَالَ جَرِيرٌ : * هُنَّ حِيَارِي كَمَضَلَاتِ الْحَدَمِ * وَالْحَدَمُ : جَمْعُ خِدْمَةٍ ، وَهِيَ الْخُلْخَالُ . . . قَالَ الْعَرُوضِيُّ - ذَائِدًا عَنِ التَّنْبِيْهِ : لَا عَيْبَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الشَّحِيحَ إِذَا طَلَبَ الْحَاتِمَ اسْتَجَابَ إِلَى الْإِنْهَاءِ لِيَقِفَ بِصَرِهِ عَلَى الْحَاتِمِ ، وَلَوْ كَانَ بَدَلُ الْحَاتِمِ شَيْئًا عَظِيمًا كَالْخُلْخَالِ وَالسَّوَارِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ مِنْ قِيَامٍ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْهَاءِ ، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا كَالدَّرَةِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ قَاعِدًا مَكَانَهُ . يَقُولُ - أَيْ التَّنْبِيْهِ - : إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا - أَيْ بِالْأَطْلَالِ - مِنْحِنًا لَوْضَعَ الْيَدَ عَلَى الْكَبْدِ وَالْإِنْطَوَاءِ عَلَيْهَا كَوُقُوفِ الشَّحِيحِ الْطَّالِبِ لِلْحَاتِمِ . وَيَشْهَدُ لَصَحَّتِهِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ يَذُمُّ بَغْيًا :

يَمْدَحُ أَبَاهُ بِالسَّخَاءِ وَدِيمَا ، وَيُرْوَى دَوْمَا - عَلَى الْقِيَاسِ - مِنْ قَوْلِهِمْ دِيمَتِ السَّمَاءِ تَدِيمًا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطَرًا دَائِمًا فِي سَكُونٍ ، وَجَادُوا مِنَ الْجُودِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ ، أَوِ الْمَطَرُ الْقَدِي لَا مَطَرَ فَوْقَهُ أَلْبَتَهُ ، وَوَبِلَ : مِنْ وَبَلَتِ السَّمَاءُ وَبَلَا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطَرًا شَدِيدًا ضَخْمَ الْقَطَرِ .

كثيبًا تَوَقَّانِي الْعَوَازِلُ فِي الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيْضَ الْخَيْلِ حَازِمُهُ^(١)
قَفِي تَغْرَمُ الْأَوَّلَى مِنَ اللَّحْظِ مُهَجَّتِي بِثَانِيَةٍ وَالْمُتَلَفِ الشَّيْءَ غَارِمُهُ^(٢)

نَكَسَ لَمَّا أَتَيْتَ سَائِلُهُ وَاعْتَلَّ تَفَكُّيسَ نَاطِلِمِ الْخُرَزِ
فشبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق وتفكيس الرأس . على أنا نقول -
إن الزمننا بهذا السؤال - : قد يبلغ من قيمة الخاتم ما يحق للشحيح أن يطيل وقوفه
على طلبه . . . وقال الواحدى - مدافعا أيضا عن المتنبي - : يقال في جواب هذا
السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من
وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به كقول الشاعر :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدَ مِنْ نَفْسِ الْعَالِ شِقَّ طُولَا قَطْعَتُهُ بِاتِّحَابِ
وقد علمنا أن ساعة من - امات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس
العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية في الطول ،
وكقول الآخر :

وَلَيْلُ كَيْظِلِ الرُّمَحِ قَعَصَرَ طَوْلَهُ دَمُ الزُّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ الْمَزَاهِرِ^(١)
وذلك لما كان ظل الرمح أقصر طولَه دَمُ الزُّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ الْمَزَاهِرِ^(١)
وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جملة الغاية في الطول . . .
(١) كشييا : أى حزيننا ، حال من قوله أقف بها - في البيت السابق - وتوقانى :
تباعدنى واجتنبنى . والريض من الخيل : الصعب الذى لم يرض ، وقد يكون الريض
الذى قد ذلل ، فهو من الأضداد . والحازم : الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول :
إن العواذل اللأى يعذلننى - يلنننى - فى الهوى يحذرن جانبى وإبائى عليهن - إذا وقفت
على الربيع كشييا - كما يحذر حازم الريض من الخيل جماعه أن يعضه أو يرمحه
- يضربه برجله -

(٢) تغرم : جواب قفى ؛ والأولى : فاعل تغرم ؛ ومن اللحظ : بيان للأولى ؛
ومهجتي : مفعول تغرم ؛ وغرم ما أتلغه : لزمه أداؤه . يقول : إنه نظر إليها نظرة
أتلغت مهجته ، فهو يقول لها قفى لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتي وتحيينى ، فإن فعلت
كانت النظرة الثانية غرما لما أتلغته النظرة الأولى . وعبارة ابن جنى : قفى يا محبوبة
تغرم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتي بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد أتلغت مهجتي
فوجب عليها الغرم ، فإن لحظ ثانية عاش . فتكون الأولى قد غرمت للهبطة الثانية ،

(١) دم الزق : الخمر . والمزاهر : جمع مزهر : آلة الطرب .

سَتَاكَ وَحَيَانَا بِكَ اللَّهُ إِنَّمَا عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَأُلْخَدُورٌ كَمَا يُمُّهُ^(١)
وَمَا حَاجَةُ الْأَطْعَامِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكَ عَادِيَهُ^(٢)

ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة ، فقال والتلف غارم ، وهي حكومة بحق
وعبارة الخطيب التبريزي : لما نظر إليها نظرة أثلقت مهجته وأراد أن ينظر إليها
أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة في الحقيقة ، لأنها سبب التلف ؛
ومثله لقطرب :

أَشْتَاقُ بِالنَّظَرَةِ الْأُولَى قَرِينَتَهَا كَأَنِّي لَمْ أَقْدِمُ قَبْلَهَا نَظْرًا
وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

يَا مُسْتَقِمًا جِسْمِي بِأَوَّلِ نَظَرَةٍ فِي النَّظَرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْكَ شِفَاؤِي
وروى الخوارزمي تفرى - بالياء - وأضله تفرمين ، حذف النون للجزم والخطاب
للمعجوبة والمهجة هي المحبوبة ، فهمجى في موضع نصب بالنداء ، والأولى مفعول ،
ويكون المعنى : قفى يامهجى تفرى النظرة الأولى التي حرمتها بنظرة ثانية إليك .
ثم قال : ومن أثلف شيئاً غرمه : أى أنت أثلفت على النظرة الأولى التي رمتها منك
أولا فاغرمها بنظرة ثانية والرواية الأولى هي الأوجه .

(١) العيس : الإبل البيض . والنور الزهر . والكأتم أغلفة الزهر قبل أن
تتفتح . جعل هؤلاء النسوة زهراً في حسنهن ، وصفاء ألوانهن ، وطيب روائحهن
وجعل الخدود لهن بمنزلة الكأتم للزهر ، ولما جعلهن زهراً بنى على هذا اللفظ
السقى والتحية ؛ فإن الزهر نضرت به الماء ، وجرت العادة بأن يحبى الناس بعضهم بعضاً
بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئاً منها ، ومعنى حيانا بك الله لقاناك وحيانا بك ، وقد
كشف السرى الرفاء عن هذا المعنى بقوله :

حَيًّا بِهِ اللَّهُ عَاشِقِيهِ فَقَدْ أَصْبَحَ رَيْحَانَةٌ لِمَنْ عَشَقَا
(٢) الأَطْعَام : النساء في الموائد . وقوله «ما واجد لك عادمه» استئناف والضمير
للقمر . يقول : أى حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل ؟ فإن من
وجدك لم يعدم القمر ، يعنى أنها في الدجى تقوم مقام القمر ، قال البحترى :
أَضْرَتْ بِضَوْءِ الْبَدْرِ وَالْبَدْرُ طَالَعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَدْرِ لَمَّا تَفَيَّبَا
وقال الآخر :

إِنْ يَتَا أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الشَّرْجِ

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ الْمُيُونُ بِنَظَرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطَى وَرَازِمُهُ^(١)
حَبِيبٌ كَانَ الْحَسَنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَأَثَرُهُ أَوْ جَارِي الْحُسْنِ قَاسِمُهُ^(٢)
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَابِهِ وَتُسَبِّحُ لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَامَتُهُ^(٣)
وَيُضْحِي عُكَّارُ الْخَلِيلِ أَذْنَى سُتُورِهِ وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمَلَازِمُهُ^(٤)

(١) يقال أثاب فلان : رجع إليه جسمه بعد الهزال ، وصلح بدنه ، والمعنى : المولى . السكيل والمطى . جمع مطية ، وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع ، والرازم - كل رازح - الذى سقط من الإعياء فلا يبرح . يقول : إن الإبل الرازحة التى كلت وعجزت عن المشى . إذا نظرت إليك طاشت أرواحها ، وعادت قوتها ، وصلحت حالها مع أنها لا تمقل ، فما الظن بنا ، وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجة : إنما يعنى بالمطى أصحابها . قال : والإبل لا فائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن طافت حسناً وجمالاً ، وإنما ركانها هم الذين يسرون بذلك وليس هذا بشئ ، لأن الإبل التى لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى اللبالة والتمقق فى المعنى ، لا على الحقيقة ، وهى عادة الشعراء فى اللبالة .

(٢) يقول : إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به ، فليس لغيره فيه حظ ، فكان الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره ، أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار - لم يعدل - فأعطاه جميع الحسن ، ولم يبق لأحد منه نصيباً .

(٣) الخط : موضع بالجمامة تقوم فيه الرماح ، وهى الرماح الخطية . والحقى : الجماعة من الناس ينزلون بالبادية . يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء ، لأن رماح قومه تحول دون ذلك ، كما قال :

* بَعْصٌ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالْتِمَامِ *

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها إليه ليخدمته .

(٤) أذن : أقرب . والكباء : العود الذى يتبخر به ، ونشره : رائحته . قال اللحياني : ومثل للكباء الكبة ، قال : والجمع كباء ، وقد كبت ثوبه - بالتشديد أى بخره ، وتكبت واكتبت إذا تبخر بالعود ؛ قال أبو دؤاد :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبَّةِ الْمَشَى تَى وَبُلُهُ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامُ^(١)
يقول : أقرب ستوره إليك أيها الطالب الوصول إليه غبار خيول قومه ، وأبعدها

(١) أى يتبخرن الينجوج - وهو العود - وكبة الشتاء شدة ضرره . وقوله وبله أحلامهن : أراد أنهن غافلات عن الحنى والحب .

وَمَا أُسْتَفْرِبْتُ عَيْفِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلَا عَلِمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ^(١)
فَلَا يَتَّبِعُهُ فِي الْكَاشِحُونَ فَإِنِّي
رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عِلَاقُهُ^(٢)

عنك وأقربها منه - من الحبيب - دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنه في غاية النعمة وغاية النعمة . وعبرة الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده حتى صار كالعجاب بينه وبين من يطلبه ، قال : وروى « وأولها نشر الكباء » والمعنى وأول ستر دونها بما يليها ، قال : ويمكن أن يقلب هذا فيقال : أدنى ستر إليها من الستور دونه غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها فصار أدنى ستر منها دونها ، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها ، قال : وهذا أشبه بطريقة التنبي في إشار للبالغة .

(١) يريد كثرة مالمقى من صروف الدهر ، وما مقى به من فراق الأحبة حتى لا يستغرب فراقاً رآه ، ولا تريبه عينه شيئاً لم يعلمه قلبه ، وللصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع :

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالِماً
عن حرفٍ واحدٍ ليكى أزدادها^(١)
ومثله لأبى الطيب :

عرفتُ الليالى قبل ما صنعتُ بنا
فلما دَهَنَتْنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْماً
وقال الأعور الشنى :

لقد أصبحتُ لا أحتاجُ فيما
يَكُونُ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى السُّؤَالِ
وقال ابن الرومى :

وما أحدثَ المصرانِ شيئاً نَكِرْتُهُ
هما السَّالِبَانِ الْوَاهِبَانِ هُمَا
(٢) الكاشح : الذى يضر لك العداوة . والعلام : جمع علقم ، وهو الحنظل .

(١) من كفته التى يقول فى مطلعها :

عرف الديار توها فاعتادها
وفها يقول فى وصف الغلية وولدها :

تَرْجَى أَغْنٍ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ
قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادُهَا
ترجى أغن : أى تسوقه برفق ؛ والروق : القرن ، وإبرته : ما حدد من طرفه كأنه إبرة .

مُشَبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهُ (١)
وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصَّبَاً وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ (٢)

قال ابن جني : سأله - أي المتنبي - وقت القراءة عليه : ما وجه التهمة في هذا اللوح ؟ قال : أن يظنوا بي جزءاً . يقول : لا يتهمني الأعداء بالخوف من الردى والجزع من العراق ، فإنني قد ذقت المراتر حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها ، والعلم أشد الأشياء مرارة ، وهو لا يحلو لأحد ، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته ، فكأنه قد حلّاه . ولمن رعت الردى : رعت أسباب الردى من المخاوف والمهلك ، وكنت بالعلام عن المراتر ، ولهذا قال « رعت » لأن العلم بما يرعى ، يعني إنني لا أجزع من العراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادي ذلك ، كما قال الآخر :

وفارقتُ حتى ما أبالي مِنَ النَّوَى وإنَّ بَانَ جِيرَانِ عَلَى كِرَامٍ
وقال للورج السدوسي :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وبالمصائبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
وهذا المعنى ظاهر في قول الخريبي :

لقد وقرّنتني الحادِثاتُ فَاأَرَى لِنَازِلَةٍ مِنْ رَبِّهَا أَنْتَوِّجِعُ

(١) مشب : مبتدأ ؛ ومشيبه : خبره ؛ ولك أن تعكس ؛ وتوقاه : حذره ؛ والضمير في « توقيه » للباكي ، وفي « بانيه ، وهادمه » للشباب . يقول : إن الذي يحجز علي فقد الشباب إنما أشابه من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقى من الشيب لأن أمره بيد غيره . ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي :

تُضَعِّضُهُ الْأَوْقَاتُ وَفِي بَقَاؤِهِ وَتَفْتَلَهُ الْأَنْوَاتُ وَفِي لَهُ طُعْمُ

إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يُبْلِيهِ عَمْرُهُ وَيُفْنِيهِ أَنْ يَنْبَقِيَ فِي دَائِهِ عَقْمُ

(٢) العارضان : جانبا الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعا مترعرا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا يياض وسواد ؛ قال الواحدى : وغائب لون العارضين هو البياض ، والقادم هو السواد السابق إلى العارض ويجوز أن يريد بالقادم : الشيب - من قدم يقدم : إذا ورد - وبالعائب : السواد الذي غاب بقدم البياض ، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر ويياضه ، والقادم : هو لون الشعر من سواد ويياض ؛ ويجوز أن يريد

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحَهُ^(١)
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلَّهُ حَيًّا بَارِقَ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمَةٌ^(٢)
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكَمْهَا سَحَابَةٌ وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغْنِ حَامَتُهُ^(٣)

بالباق : لون جلد العارض المستر بالشعر ، وبالقادم : سواد الشعر الثابت ؛ وهذا هو
الأولى ، لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيا ثم يافعا مترعرا ثم يئيب
شعره فيكون شابا ؛ ولم يجعل الشيب من تكلمة العيش ، لأن :

مَنْ شَابَ فِي النَّاسِ مَاتَ حَيًّا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَشَى هَالِكٌ
لَوْ كَانَ مَرًّا فَتَى حِسَابًا لَكَانَ فِي شَيْبِهِ قَدَالِكُ^(١)
وبيت التنبي من قول ابن الرومي :

سَلَبْتُ سَوَادَ الْعَارِضِينَ وَقَبْلَهُ بَيَاضَهَا الْحُمُودَ إِذَا أَنَا أَمْرَدُ
(١) الفاحم : الأسود الشديد السواد . يقول : إن البياض في الشعر حسن ، فليس
يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن لأن السواد أحسن منه ؛ فالخاضب إنما يطلب
الأحسن من لوني الشعر . وعبارة ابن جني : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ،
ولكن سواد الشعر أحسن ، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزهده فيه ، فإذا
خضب ظهر للغواي أنه شاب فترغب فيه .

(٢) أراد بماء الشبية : نضارتها وحسنها . والحبا : المطر : والبارق : السحاب ذو
البرق . . والفازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من
ديباج ؛ والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول : أحسن من الشباب الذي فقدته
مطر سحاب بارق أنا أنظر إليه ، يعني سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم
نفعه ؛ وكنى بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده ، وقد جمع له في هذا البيت بين
ضروب من المدح - الحسن والجود - واستعماق التأمل .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة من أى الأشجار كانت : وتن -
يحذف إحدى التاءين - وفي رواية : لم تن ، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور
رياض وأشجار ؛ بيد أنها ليست مما أنبتة السحاب وحاحه - نسجه وصنعه - وأغصان
تلك الأشجار لا تنغي حماتها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور ليست ذات أرواح .

(١) فذلك : جمع فذلكه من قول الحاسب : فذلك كذا .

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوجَّهِ
تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَا جَ كَأَنَّهُ
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي النَّجَاحِ ذِلَّةٌ
تَقْبَلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ
فَيَلْمَا لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيْفَهُ
مِنَ الدَّرِّ سَمُطٌ لَمْ يُنْقَبْهُ نَاطِمُهُ (١)
يُحَارِبُ ضِدَّ ضِدِّهِ وَيُسَالِمُهُ (٢)
تَجُولُ مَذَاكِيهِ وَتَدَايِ ضَرَاغِهِ (٣)
لَا يُبْلِغُ لَا تَيْجَانَ إِلَّا عَمَائِمَهُ (٤)
وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُتْمُهُ وَبَرَاغُهُ (٥)
وَمَنْ بَيْنَ أَذْنَى كُلِّ قَرْيَمٍ مَوَاسِمُهُ (٦)

(١) الوجه : ذو الوجهين ؛ والسمط : السلك ، ويطلق على القلادة ؛ وأراد بسط الدر : الدوائر البيض على حواشي تلك الأثواب التي اتخذت منها الفازة . شبهها بالدر لياضها ، غير أن من نظمه لم يشبهه لأنه ليس بدر حقيقي .

(٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول : ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن دينها الفارس والتهارش ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة : صورة المحارب ، وأراد بالمسألة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل .

(٣) المذاكي : السنة من الخيل . وتداي : تختل - يقال : دأيت الصيد ودأوت له : أى ختلته - وروى بالذال المعجمة ، يقال ذأى الإبل : إذا طردها وساقها ؛ والضراغم الأسود : يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج ، وكأن الخيل التي صورت عليه جائلة ، وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدا وتطردها لتدركها .

(٤) الأبلج المشرق ، والذي قد وضع ما بين حاجبيه فلم يكن مقروء الحاجبين وهو من صفات السادة ؛ وروى : الأبلج ، وهو المتكبر العظيم في نفسه : بلغ - بالكسر - وتبلغ : أى تكبر ، فهو أبلج . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجداً ، وهو ما عناه بالذلة ، وعنى بالأبلج - أو الأبلج - سيف الدولة ، وجعله لا تاج له لأنه عربي ، وتيجان العرب : عمامها .

(٥) البراجم : مفاصل الأصابع ، واحدها رجمة . يقول : إن الملوك حين يلقونه يقولون بساطه ، ولا يلبفون أن يقبلوا كفه أو يده ؛ لأنه أعظم شأننا من ذلك (٦) قايما : مصدر لم يذكر فعله ، كأنه قال : قاموا - أى الملوك - قايما ، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالا وهيبة ؛ وكفى بالكى عن ضربه وطعنه ولذعة حربه ، وبالذاء عن غوائل الأعداء وطفانيهم ؛ يعنى أنه يرد بالطنن والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء إلى الصحة بالكى . والقرم : السيد ؛ والمواسم جمع ميسم ، وهو مايوسم به

قَبَائِلُهَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيَبَةً وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُنُفُونَ عَزَائِمُهُ^(١)
لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَاحِجُهُ^(٢)

- المسكواة - ويقال أيضاً المياسم - على لفظ الميسم - كفى بجمل مواضعه بين آذان السادات - أى فى أقفائهم - عن قهرهم وإذلالهم .

(١) القبائع : جمع قبعة ، وهو ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد . يريد قبائع سيوف الملوك . والجنفون : جمع جفن ، الغمد . يقول : قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتمظيها ثم قال : وعزائمه أنفذ وأمضى من السيوف - وهى ما فى الجنفون .

(٢) يقول : إن له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصبغه لكثرة وقائمه حتى تأكل من لحوم القتلى ، فكانت من عديد جيشه ؛ فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجاحج ، لأن عسكر الخيل يقتلهم ، وعسكر الطير يأكل لحومهم ، والضدير فى « بها » . للخيل والطير ، فلما جعلهما جماعة كفى عنهما بلفظ الجمع ، ولم يكن بالثنائية للعسكريين . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت قال : لا أدرى كيف خص الجاحج بالبقاء دون سائر العظام ؟ ولا أعرف للخيل فى هذا معنى ، بل للطير ، لأنها - أى الطير - لا تأكل عظام الموتى ، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكته العدو فأنكلم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش . . . ومن ثم قال بعض الشراح : يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون ، فكانوا يأخذون رهوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسرى ؛ فلماذا لم تبق إلا الجاحج . . . وبعد : فما أبداع قول النابغة فى هذا المعنى :

إِذَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ جَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
يُصَاحِبْنَهُمْ حَتَّى يُفَرِّقَ مُفَارِمُ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا جُلُوسَ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ
جَوَانِحُ قَدْ أُيْقِنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عُرِّضَ الْخَطَى فَوْقَ الْكَوَاتِبِ^(١)

(١) من الضاريات الخ : أى أن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى وخزراً عيونها : أى ضيقة العيون خلقة أو أنها تتخازر : أى تقبض جفونها لتحدد النظر . وقوله جلوس الشيخ فى ثياب المراتب : فالمراتب جمع مرتبى ، وهو الثوب البظن بفراء الأرناب . يقول

أَجَلَّتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ نِيَابُهُ وَمَوَظِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغُهُ (١)
فَقَدْ مَلَّ ضَوْهَ الصُّبْحِ مِمَّا تَغْيِرُهُ ، وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تَزَاحِمُهُ (٢)
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ ، وَمَلَّ جَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاحِظُهُ (٣)

(١) الأجلة - جمع جل - ما يجعل على ظهر الدابة ؛ والملاغى - ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه : جمع ملغم ، قال بعض اللغويين : الملاغى من كل شيء الفم والأنف والأشداق ، وذلك أنها تلغم بالطيب ، وفي الإبل بالزبد ، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته في الملاغى والملمم يشبه أن يكون مفعلاً من لغام البعير - وهو زبده - سمى بذلك لأنه موضع اللغام ، وقيل لأعرابي : متى السير ؟ فقال : تلغموا يوم السبت : أى اذكروه يوم السبت ؛ واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغمهم بذكره يوم السبت . يقول : إنه يسلب ثياب كل طاغٍ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لحيله ، ويوطئ حوافرها وجه كل باغٍ فيهم . قال العسكبرى : وهذا مبالغة ، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإيمان في قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم

(٢) الناء - فى « تغيره وتزاحمه » - إما للخطاب : وإما للخيل . وتغيره : أى تغير فيه ، غذف الجار ونصب الضمير - على حد قولهم : ألفت ثلاثاً ما أذوقهن طعماً : أى ما أذوق فيهن - وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الفارة : واصبحاه . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح ، قد مل الصبح منها وضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه . وهو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل . وقيل فى معنى البيت مما تغيره أى تحمله على الغيرة ؛ إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك . وقال بعضهم : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكانه ليل آخر .

(٣) القنا : الرماح ، وتدق : تكسر ؛ وصدر الرمح : أعلاه . قال الواحدى : أى ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها . وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والمجان ، فذلك ملاطمة بينهما ؛ ويجوز أن يريد للتنبي رماح جيشه

إن هذه الطير تقع على أعلى الأرض والمضاب كأنها فى ريشها ووقوفها ترقب القتل جالسة جلوس الشيوخ إذا التفتوا بأكسية المراتب يحددون النظر إلى شيء بعيد وجوانح أى مائلات للوقوع ، والخطى : القنا ؛ والكواكب : جمع كاتبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت السكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام التربوس يضع الفارس عليها رمحاً مستعرضاً .

سَحَابٌ مِّنَ الْعِقْبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ^(١)

وسيوفه ، على أن ترفع صدورهم ؛ يقول ؛ ملئت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعداءك ؛ وملت سيوفك من الشيء الذي تلامحه لكثرة وقعها عليه . هذا ؛ وقد عاب ابن وكيع قوله تلامحه ، قال : الملامحة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق « تلطم » لكان أحسن في الصناعة ، ثم قال : وأحسن من هذا قول القائل :

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدَبِّرٍ وَتَدَقُّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
وهكذا ابن وكيع تراه كثير التفتيد لأبي الطيب حتى ليبالغ في ذلك .

(١) أى هناك سحب من العقبان الخ ؛ والعقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح قوى الخالب له منقار أعقف . واستسقت : طلبت السقيا ؛ والضمير : للسحاب الأول ، وضمير صوارمه : للسحاب الثانى ، والتأنيث في الأول : على معنى الجماعة ، والتذكير في الثانى : على اللفظ . جعل العقبان التى فوق جيشه سحابا وجعل جيشه كذلك سحاباً لما فيه من بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً في الصناعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ويرحف تحتها سحب ، — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم ، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء ، فتشرب العقبان دماء القتلى ؛ وهذا المعنى — أى صلبة الطير للجيوش — كثير في كلامهم ، قال الأئفوه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثَقَّةً أَنْ سَتَمَّارُ

« أى تعطى الميرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ

« وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفاً » وقال أبو نواس :

تَقَايَا الطَّيْرُ غُدُوته ثَقَّةً بِالشَّيْءِ مِنْ جَزَرِهِ^(١)

وأيت المتن من قول أبي تمام :

وَقَدْ ظَلَمْتُ هِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضَحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدُّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرِّيَاضِ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ

(١) تأييد الشيء : تعمد آيته : أى شخصه ، وقصده ، وغدوته : غدوه ؛ والجزر

قطع اللحم .

هذا وقد أخبرنا العكبرى أن قوماً ممن هو مقصر في معرفة تدقيق المعاني قد تمتدوا على التنبي بأميرين : أولهما أن السحاب لا يسقي ما فوقه . والآخر أن الطير لا تستسقي وإنما تستطم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذي أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه وإنما أفاءه مقام السحاب لأنه طبق الأرض لكثرة تزاوجه ، وغطاها كما يغطي السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها ، ولما جعله سحاباً جعله يسسقي فيسقي مع أن الطير لا تصيب من القتل ما تصيبه وهي في الجو ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتل فالسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجاء على عادة العرب في أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيماً لقدر الماء كقول علقمة بن عبدة :

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نَدَاكَ ذنوب^(١)

وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأساً فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن ينفكه ؛ وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء ؛ وقد قال رؤبة :

يا أيها المائحُ دَلَوِي دونكا إني رأيت الناس يحمّدونكا^(٢)

وهما لم يستقيما ماء في الحقيقة ، إنما أحدهما استطلق أسيراً ؛ والآخر طلب عطاء كثيراً

(١) خطبه بخير : أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل . يخاطب ورق الشجر بصاه ليتناثر فيعلف به إبله ، والذنوب : الحظ والنصيب ، وهي في الأصل الدلو المملوءة ماء ، والبيت من كلمة لعلقة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبي ثمر جبلة بن الحارث الأعرج الفسائي ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على النذر بن ماء السماء القحطاني ملك الحيرة فقتله وقتل خلقاً كثيراً ، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة ، فأطلق له أخاه وأسرى تميم ، ومنحه مالا جزيلاً . ومطلع القصيدة :

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشباب عَصْرَ حان مَشِيبُ

(٢) الليح في الاستقاء : أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو بهذه يبيع فيها بيده ، ويميع أصحابه ، والجمع مائة ؛ فالمائح : هو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر ، والمائح : المستقي من أعلى البئر ، تقول العرب : هو أبصر من المائح بإست المائح ، تعني إن المائح فوق المائح ؛ فالمائح يرى المائح ويرى إسته .

سَدَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزَمٍ مُؤَيَّدَاتِ قَوَائِمُهُ ^(١)
 مِنْهَا لَيْتَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذَّنْبَ نَفْسُهُ ، وَلَا سَحَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهُ ^(٢)
 فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْبَحْرُ عَائِمُهُ ^(٣)
 غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِيفَاتِهِ بِلَا وَاصِفٍ وَالشَّعْرُ تَهْدِي طِمَاطِمُهُ ^(٤)

(١) صُرُوفُ الدهر : نوبه وحوادثه ، وعلى ظهر عزم : حال من فاعل لقيته .
 والمؤيد : القوى ، قال تعالى « ذا الأيد إنه أواب » أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث
 الدهر حتى لقيت سيف الدولة . يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى
 بلغ سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبه لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب ، ولما جملته
 مركوباً استعار له ظهراً وقوائم وجعلها مؤيدات : أى قويات .

(٢) القوادم : صدور ريش الجناح من الطائر ؛ والمهاك : المفاوز ؛ ونصب « مهاك »
 كأنه أبدلها من « الصرُوف » وليس نصبها على البدل ، لأنها لا تكون من صُرُوف
 الدهر فى شيء ؛ ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام ، كأنه قال : قطعت مهاك
 لو سلكها الذئب لما صحبته روحه ، لأنه يموت فيها جوعاً ، ولو سلكها الغراب لم
 تصحبه قوادمه ولم يقدر على الطيران ؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع
 البعيدة من الناس ، ولهذا يقال لها « الأصرمان » ؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهاك
 فغيرها أعجز عن قطعهما ؛ وبعبارة بعض الشراح : أراد بالمهاك — أى المفاوز —
 مسافات الخطوب التى قطعها ، وهى بدل من صُرُوف الدهر . يقول : الصرُوف التى
 قطعتها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعاً ولو سلكها الغراب لم يستطع
 قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع ، والغراب
 من أسرع الطير .

(٣) عبر البحر : شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بَدْرًا فى الصباحة
 والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه
 بحرًا فى العلم والسخاء لا يرى الساج فيه ساحله لبعده .

(٤) هذى يهذى هذياناً : تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . والطماطم :
 جمع طمطم ، يقال رجل طمطم : إذا كان فى لسانه عجمة لا يفصح ؛ قال عنترة :
 تَأْوَى لَهُ قُلُوصُ النِّعَامِ كَأَوْتِ حِرْزِ قِيَمَانِيَةِ الْأَعْجَمِ طِمْطِمِ ^(١)

(١) من معلقة عنترة . يقول : تأوى إلى هذا الظليم صغار النعام كما تأوى الإبل

وَكُنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرَيْتُ وَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمَةٌ (١)
أَقْدَسُ سَلِّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِمًا ؛ فَلَا الْمَجْدُ يُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَمَالَهُ (٢)

وكذلك يقال : رجل طمطمى وطمطامى وطمطماني ؛ وفي لسانه طمطمانية . وفي صفة قريش : ليس فيهم طمطمانية حمير . يقول : لما رأيت صفات المدوح لا واصف لها مع كثرة طمطام الشعر - يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى - غضبت لأجله ، لقصور هؤلاء الشعراء ، عن بلوغ وصفه .

(١) يمت : قصدت ؛ والسرى : سير الليل : يقول كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة سريت بالليل مشتتلاً بالظلام كأنى سر والليل يكنم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى وطئيك سرأ لو تكلف طية دجى الليل عنا لم تسمعه ضمائرهم
وقد نقله البحترى من قول قنبر بن ضمرة الغطفاني ، أحد شعراء الدولة الأموية :
سَرَيْنَا بِهِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ ظَلَامُهُ فَكَانَ لَنَا قَلْبًا وَكُنَّا لَهُ سِرًّا

وقال الصاحب بن عباد - وقد نقله من المتنبي - :

تَجَشَّمْتُهُ وَاللَّيْلُ وَخَفَّ جَنَاحُهُ كَأَنِّي سِرٌّ وَالظُّلَامُ ضَمِيرٌ (١)

(٢) قال الواحدي : يقول : هو سيف سلّه المجد ، يعنى أن الشرف ومعالي الأمور تستعمله وتحمله على قتال الأعداء ، فلا يغمده المجد ولا يثله الضرب لأنه ليس سيفاً من حديد يتثلّم بالضرب : وتقلّ العكبرى هذا الكلام وقال : إن « معلما » حال من « المجد » : أى أعلم به الناس وأظهره . وقال آخرون : معلما - بفتح اللام - وهو الذى

اليمانية إلى راع أعجم عبي لا يفصح ... شبه الظليم في سواده بهذا الراعى الحبشى وقاص النعام - أى صغارها - بإبل يمانية ، لأن السواد في إبل اليمن أكثر ، وشبه أوبها إليه بأوى الإبل إلى راعيها ، ووصفه بالى والعجبة ، لأن الظليم لا ينطق له قال الفراء : سمعت المفضل يقول : سألت رجلاً من أعلم الناس عن هذا البيت فقال : يكون باليمن من السحاب ما لا يكون لغيره من البلدان في السماء ، وربما نشأت سحابة في وسط السماء فيسمع صوت الرعد فيها كأنه في جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ، فالخرق اليمانية : تلك السحاب ؛ والأعجم الطمطم : صوت الرعد .

(١) وحف من قولهم : شعر وحف ونبات وحف ، وهو ما غزر واسود .

قَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَغْرَ نِجَادُهُ ، وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ ^(١)
تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَهِيَ عَبِيدُهُ ، وَتَدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَهِيَ غَنَائِمُهُ ^(٢)
وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالْدَّهْرُ دُونَهُ ، وَيَسْتَفْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ ^(٣)

يميز نفسه بعلامة في الحرب ؛ قالوا يعني هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللثام . ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلما ، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين .

(١) الملك : روى بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة ؛ وروى بالضم فيكون المراد الملكة . والعاتق : موضع الرداء من النكب ؛ والأغر : الأبيض الكريم - ضد اللثيم - ونجاد السيف : حمايته : وقائمه : مقبضه . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة على إحدى الروايتين - ويضرب الله به أعداءه ، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية : هو سيف على عاتق الملكة نجاده يزين به الملك فهو من الملك في أرفع مواضعه ، ومن تأييد الله بالحد الذي يحضيه فيه في أعلى مواقفه ، وإذا كان ذلك اكتشفه نصره وساعدته أقداره ؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

لَقَدْ خَابَ مَنْ أَهْدَى سَوِيْدَاءَ قَلْبِهِ لِحُدِّ سِنَانٍ فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلِهِ
وقد ذكره المتن في سيف الدولة بقوله :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ ، وَأَنْتَ لَوَاهِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

(٢) يقول : إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده ، لأنه يسبهم فيسرقهم ويملك رقابهم . ويدخرون الأموال وهي غنائم له ، لأنه يحنوها بالإغارة عليها . هذا : وعبيد جمع عبد - مثل كلب وكلب - وهو جمع عزيز ، وقد جاء في جمع عبد : أعبد وعباد ، وعبد ، مثل سقف وسقف ، وأنشد الأخفش :

أُنْسِبِ الْعَبْدَ إِلَى آبَائِهِ أَسْوَدَ الْجَمَلَةِ مِنْ قَوْمِ عُبْدُ

وفي الجمع أيضاً : عبدان - بالكسر - مثل جحشان ، وعبدان مثل تمر وعمران ، وعبدان مشددة الدال - . والعبداء والعبداء والمعبدة : أسماء الجمع . وروى بدل عبيده : عتيده - بالفاء اللثاء فوقها - والعتيد : الشيء الحاضر الملبأ ؛ والعتاد : العدة والأهبة والآلة ، يقال أخذت لشيء عتاده ؛ أى آلته .

(٣) يقول : هم يعدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم

وَإِنَّ الَّذِي سَمِيَ عَلِيًّا لَمُنْصِيفٌ ، وَإِنَّ الَّذِي سَمَاهُ سَيِّفًا لَطَّالٌ لَهُ (١)
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزَبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ (٢)

وقال يمدحه ، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَهْذَا الْهَمَامُ نَحْنُ نَنْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ (٣)

وإشقاء آخرين ، والدهر دونه . لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه ينفذ مراده في أعدائه .

(١) و (٢) على : اسم سيف الدولة ؛ والهام : الرؤوس . ولزبات الزمان : شدائده ، جمع لزبة ، وجمعها بسكون الزاي . قال الجوهري : أصابهم لزبة : أى شدة وقطع ، والجمع لزبات - بالتسكين - لأنه صفة . يقول : إن الذى سماه علياً قد أنصفه ، إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو ؛ والذى سماه سيفاً قد ظلمه ، لأن السيف وإن عظم أثره فهو جماد ، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام ، أما المدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد ، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ وبعبارة بعض الشراح : يقول عادة السيف أن يقطع الرؤوس ولا يزيد ، ولكن هذا المدوح يقطع رؤوس الأبطال بمحده : أى عزمه ، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه ، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

(٣) الإزماع : العزم على الأمر ؛ والهام : الملك العظيم . والرُبَى : جمع ربوة . يقول : أين أرمعت أن تسير أيها الملك ، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك ، وإذا فارقتنا لم نعش ؛ كنبت الربى لا بقاء له إلا بالتمام ، إذ لا شرب له إلا من ماله ، أما نبت غير الربي فيمكن أن يشرب من الماء الجارى ؛ وهذا من قول الآخر :

نَحْنُ زَهْرُ الرُّبَى وَجُودُكَ غَيْثٌ هَلْ بَسِيرُ الْغَيْوِثِ يُونِقُ زَهْرُ؟

وبعبارة المكبرى : أين أرمعت أيها الملك عنا ؛ ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا ، وهو من آتق النبات ؛ ولهذا ضرب الله تعالى به المثل في قوله ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام ، وأشدّه افتقاراً إليه ؛ لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ؛ ولهذا شبه أبو الطيب

نَحْنُ مَنْ ضَاقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الْأَيَّامُ^(١)
فِي سَبِيلِ الْعَلَى قِتَالِكَ وَالسَّلَامُ وَهَذَا الْقَامُ وَالْإِجْدَامُ^(٢)

حاله به . . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت ، قال : أول هذه القصيدة سوء أديب لسؤاله ملكا جليلا به «أين أزمعت» قال : والبيت مأخوذ من قول ابن أبي فني :

لعمرك إني وأبا علي كنت الأرض تُصلحه السماء

(١) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فخرتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك . يريد أن الزمان يحبه ويشقه ويغار على قربيه ويريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء . قال محمد بن وهب :

وحاربني فيه رَبُّ الزمان كَانَ الزمان له عاشق

وقوله ضايق الزمان له فيك : قال ابن جني : اللام في «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى «ردف لكم» أي ردفكم ، وقوله جل شأنه «إن كنتم للرؤيا تعبرون» وقول الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل^(١)

وقال ابن فورجة : يريد نحن من ضايقة الزمان ، حذف الراجع إلى الموصول ، والهاء في قوله «له» راجعة إلى الزمان . يقول : نحن الذين ضايقتهم الزمان لنفسه ولاجله فيك : أي لتكون له دونهم ، كما تقول هم الذين رضيتهم عمرو له : أي لنفسه ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً . ونصب «قربك» على أنه مفعول ثانٍ لـ «خان» ، يقال خان الزمان زيدا ملكه ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف . لأنه يضير ذما للممدوح ، وإقراراً بأن الزمان خانهم في حال اقترابهم منه .

(٢) الإجدام : الإسراع في السير ، قال طرفة بن العبد .

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت وقد خبّ آل الأعرس المتوقد^(٢)

(١) لكثير عزة وقال لقيس بن الملوح وقيل لجبل وتمثل - بحذف إحدى التاءين - أي تمثّل وتخيّل ، ونراه في قصيدة طويلة جميلة لكثير في أمالي القالي .

(٢) من معلقة طرفة ، والإحالة الإقبال هنا ، والقطيع : السوط ، والإجدام الإسراع في السير ، والآل : ما يرى شبه السراب طرفي النهار ، والسراب : ما كان

كَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَدْتَ لَكَ الْخَلِيلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْحِيَامُ^(١)
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ اخْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامٌ^(٢)

وهو أيضاً الإقلاع عن الشيء ، قال الربيع بن زياد العبسي .

وَحَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْزَمًا^(٣)

يقول . إن أفعالك كلها مقصورة على العلى : قاتلت أو سالت ؛ أقت أو سرت ،
فقصده في جميع ذلك طلب العلى .

(١) قال الواحدى . أى ليتنا معك نتحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى
سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث عني أن يكون بهيمة أو جحاشاً ، ولا يحسن
بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه ، فلا يحسن أن تقول : ليتنى امرأتك فأخدمك . قال
ابن جنى : طعن عليه قوم تمصبوا عليه فقالوا : الحيام يعلو من تحتها وقد جعله دونها ،
فأجاب عن ذلك نظماً فقال :

* لقد نسبوا الحيام إلى علاء *

« وقد تقدمت هذه الأبيات » قال ابن جنى : وتلخيص المعنى : ليتنا نفيك الأذى
وتتحمل عنك الردى .

(٢) الاحتمال : التحمل المسير ، ويروى : ارتحال . والمقام : مصدر ميمي بمعنى
الإقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد ، وذلك آية بعد الهمة ، كما قال
تأبط شراً ؟

* كثيرُ الهوى شقى النوى والمسالِكِ^(٢) *

نصف النهار ، والأُمُز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى . يقول طرفة . أقبلت
على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت فى السير فى حال خيب آل الأماكن التى اختلط
تربتها بالحجارة والحصى .

(١) قيس هو قيس بن زهير العبسي ، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد
المعجم بعد إثارة الفتن فى حرب داحس . والبيت من أبيات فى الحماسة انظرها فى
« حماسة أبى تمام » .

(٢) صدره :

قليلُ التشكى للمهم يُصيبُهُ

وقليلٌ ههنا بمعنى النفى .

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ^(١)

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير ، لأن ذلك السير لطلب المجد ،
أو لأن المجد مقيم معك حينما كنت ، كما قال أبو تمام :

كَمَا زَرَّتَهُ وَجَدْتَ لَدَيْهِ نَشَبًا ظَاعِنًا وَمَجْدًا مُقِيمًا

وكما قال الأزدى « إسماعيل بن إسحاق القاضى الأزدى »

الْمَجْدُ صَاحِبُكَ الَّذِى حَافَتَهُ أَبْدًا فَرَوْضَتُهُ الْمَرِيضَةُ مَرْتُكُ

فَإِذَا رَحَلْتَ سَرِيَتْ تَحْتَ ظِلَالِهِ وَإِذَا رَبَّتْ فِى ذُرَاهُ مَرَبَّكَ

« المريضة : الخصة . وربت : أفتت . وذراه : أعاليه ، ولك أن تقرأ ذراه : بفتح
الذال : أى كنفه » .

(١) يقول : إذا عظمت الهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها ، وذلك
أن الهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ، ولا ترضى بالمرزلة الدون ، ولا تستريح أو
تحصل على الرتب العالية ، كما قال العنابى :

وإن عليات الأمور مشوبة بمستودعات فى بطون الأساود^(١)

قال العكبرى : ويبت للتنبى من كلام أرسطوا : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان
هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . قال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من
أهل صناعته ؛ فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فَقَالُوا : أَلَا تَلْهُو لَتَذْرُكَ لَذَّةٌ ؛ فَقُلْتُ : وَكَيْفَ اللَّهْوُ وَالْهَمُّ حَاجِزُ

وَنَفْسِي تُعَانِي أَنْ تَقِيمَ مَرْوَدَنِي عَلَى غَايَتِي فِي الْمَجْدِ وَالْجَهْدِ عَاجِزُ
وَمِنْ قَوْلِ أَبِي زُرْعَةَ :

أَهْلُ مَجْدٍ لَا يَحْفِلُونَ إِذَا نَالُوا جِسْمًا أَنْ تُنْهَكَ الْأَجْسَامُ
وَمِنْ قَوْلِ الْحَصَنِ :

نَفْسِي مُوَكَّلَةٌ بِالْمَجْدِ تَطْلُبُهُ وَمَطْلَبُ الْمَجْدِ مَقْرُونٌ بِهِ التَّلَفُ
وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ جَابِرَ :

إِذَا مَا عَلَا الْمَرْءُ رَامَ الْعُلَى وَيَقْنَعُ بِالذُّونِ مَنْ كَانَ دُونَا

(١) الأساود : الحيات .

وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلُقُ الْبُحُورُ الْمِظَامُ^(١)
وَلَسَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْرِ رَوْأَنَا سِوَى نَوَاكٍ نُسَامُ^(٢)
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تَطْبُهُ حِمَامُ كَلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظِلَامُ^(٣)

ومن قول أبي تمام :

فَمَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ سِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبُ الْحَدِيدِ يورِثُ النَّفْسَ خَبَلًا وَهُمُومًا تُقْضِضُ الْحِزْمًا^(١)
وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال :

فَيَأْمَنُ يَكْدُ النَّفْسِ فِي طَلَبِ الْعُلَى إِذَا كَبُرَتْ نَفْسُ الْفَقِي طَالَ شُفْلُهُ
(١) يقول : كذا يدن البدن : يغرب تارة ويطلع تارة ، وكذا البحر بموج
ويضطرب ويتحرك ، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير يعني أنك بدر وبحر ،
فعدت عادتهما .

(٢) النوى : البعد . وسامه الأمر : جشمه إياه . يقول : لو كلنا غير فراقك .
لصبرنا صبراً جيلاً كما هي عادتنا في الصبر على المحن ، بيد أنه لا صبر لنا في بعدك ولا طاقة
لنا باحتمال نواك ، كما قال أبو تمام :

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ
(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام - اللوت - سواء ، وكل
شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس . يريد تنفس عيشه بعده ، وإظلام أيامه
بفراقه ، هذا : وقوله ما لم تكنها : على حد بيت أبي الأسود :

دَعِ الْحَمْرَ بِشَرْبِهَا الْفَوَاةُ فَإِنَّهُ رَأَيْتُ أَخَاهَا مُغْنِيًا بِمَكَانِهَا
فِيلاً يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَتَهُ أُمَهُ يَلْبَانِهَا^(٢)

(١) الحبل : الفساد ، في الأصل ، وللراد : الهم ؛ والحيزوم : الصدر . وتقضض :
تكسر وتحطم .

(٢) يخال هو أخوه بلبان أمه - بكسر اللام - ولا يقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذي
يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم . يصف أبو الأسود الزبيب ، وأطلقه على
منهجب الراقيين في الأنبة ، وحض على شربه وترك الخمر بينهما ، للاجتماع على
تخميرهما ، وجعل الزبيب أخا للخمر لأن أصلها الكرمة ؛ واستعار اللبان لما ذكر من الإخوة .
(• - المعنى ؛)

أَزَلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهْ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللَّهُامُ^(١)
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَعَى سَا كِنَ الْقَلْبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ^(٢)
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكُتَائِبَ حَتَّى تَتَلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ^(٣)
وَإِذَا حَلَّ سَاعَةٌ بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ^(٤)
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورُ ، وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ^(٥)

والأجود : تكن إياها .

(١) الخميس : الجيش . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شيء فهلكه ويذهب به .
يقول : أقم عندنا لتغنى الوحشة عنا يا من يأمن بوجوده الجيش العظيم ، لقوة الجيوش
بمكانه ، فهم وإن كثروا يأمنون بك ، ويتشجعون على لقاء الأحوال ثقة بشجاعتك .

(٢) الذى : عطف على من - فى البيت السابق - والوعى : الحرب . والذمام :
العهد : يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش ، كأن القتال عاهده
على أن لا يقتل ؛ فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام . وهذا من قول أبى تمام :
مُسْرَعِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

(٣) الكتبية : الفرقة من الجيش . والفهاق : جمع فهقة ، وهى العظم الذى يكون
على اللهاة ، وهو مركب الرأس فى العنق . والأقدام : جمع قدم . يقول : والذى يضرب
الجيوش بسيفه ، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام .

(٤) يقول : وإذا ألم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان فى ذمته ، فلا تلم به
الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جذب وقحط . وبعبارة أخرى : إن سيف الدولة
إذا نزل ببلد أجاره على الدهر ، وكف عنه صروفه وأذاه وأمن المكروه بركته .

(٥) والذى : مبتدأ ؛ وسرور : خبره ، والجملة : عطف على الشطر الثانى من
البيت السابق . يقول : والذى تنبت به بلاد ذلك المكان الذى تحمل به سرور ، والذى
تمطره سماؤها مدام - خمر - أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحمل به ،
ولعله ينظر إلى قول البحترى :

ويومر بالمطيرة أمطرتنا سماء صوب وإبلها المقار^(١)

(١) المطيرة : قرية من نواحي سامراء ، وكافت من متزهات بغداد وسامراء : قال
البلاذرى : إنها محدثة بنيت فى خلافة المأمون ، والمقار : الخمر .

كَلِمًا قِيْلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا

كِرَامًا مَا أَهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ^(١)

وَكِفَا حَا تَكْعُ عَنْهُ الْأَعَادِي وَارْتِيَا حَا يَحَارُ فِيهِ الْأَنَامُ^(٢)

إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤْمِلِ سَيْفِ الدِّ وَلَّةَ الْمَلِكِ فِي الْقُلُوبِ حُسَامُ^(٣)

فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوْقِي وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ^(٤)

* * *

وقال يمدحه أيضاً :

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ وَمِنْ ارْتِيَا حَا فِي غَمَامٍ دَائِمٍ^(٥)

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية في الكرم أبدع كراما لم يهتد إليه من قبله من الكرام ؛ وهو من قول البحترى :

طَلُوبٌ لَا تَعْنَى غَايَةٍ بَعْدَ غَايَةٍ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزِيدًا

(٢) تكع : تبحن وتضعف وتعجز ، يقال كع الرجل يكع - بكسر الكاف - فهو كع وكاع : أى لا يعضى فى عزم ولا حزم ، وهو الناكس على عقبيه ؛ وفى الأثر : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ، فلما مات اجترءوا عليه .. الكاعة : جمع كاع ، وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يبحنون عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حياة أبي طالب ، فلما مات اجترءوا عليه . والارتياح : الاهتزاز للبذل واصطناع المعروف . يقول : وأرانا قتالا يبحن عنه الأعداء ويعجزون ، واهتزازاً للجود يحار فيه الخلق .

(٣) يقول : إن هيئته فى القلوب تقوم مقام السيف ، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف ، لأنه مهيب تهابه الأعداء ، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف ، قال ابن وكيع : وهذا من قول أبي دلف :

وَيَصُولُ الْإِمَامُ فِي حَيْثُمَا صَالَ فِي صَوْلَةِ الْإِمَامِ الْجَمَامُ

(٤) يقول : إن توقاه الشجاع وحفظ نفسه منه فى الحرب فذلك منه كثير ، والبلغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته ، لأن هيئته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه .

(٥) الارتياح : الانبساط والاهتزاز للمطاء . يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهى أوصاف ذاتك ، ومكارم فعلية هى صفات فعلك ، ومن اهتزازك للمطاء فى غمام لا يقلع مطره .

- وَمِنْ احْتِقَارِكَ كُلِّ مَا تَحْبُوبُهُ ؛ فَمَا الْأَحِظُهُ بِمَعْنَى حَالِمٍ (١)
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا حَتَّى بَلَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ (٢)
 وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ، وَإِذَا تَخْتَمُ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ (٣)
 وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرَكِهِ هَلَكُوا وَصَاقَتْ كَفَّهُ بِالْقَائِمِ (٤)
 أَبْدَى سَخَاوَتَكَ عَجَزَ كُلِّ مُشْمِرٍ فِي وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرَعَ الْكَاتِمِ (٥)

- (١) محبوبه : تسخو به . و « ما » في قوله « فما الأحظه » نكرة ، وليست موصولة ، كأنه قال في شيء أحظه ، والظرف معطوف على الخبر - في البيت السابق - . يقول : إنني أستعظم احتقارك ما تعطيه وتجود به ، ومن ثم أرى نفسي كأنني لا أعينه في اليقظة وإنما أراه حلما . وبجارية أخرى : لاحتقارك ما تعطيه - على كثرته - أرى نفسي في حال كأنني أبصرها في النوم ، لأن العادة لم تجر بذلك في اليقظة .
 (٢) الهاء في « سيفها » : للدولة ، وأضمر للعلم ؛ وبلاك : اختبرك ؛ والصارم : القاطع يقول : لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك ، فكنت صارما حقيقة لا يذبو حدك ، ولا يطمع فيك عدوك ، ولا يفل عزمك .
 (٣) تتوج : لبس التاج ، وكذلك تختم : أى لبس الخاتم ؛ والخاتم : بكسر التاء وفتحها . يقول : إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر ، والخاتم بالهص . يعنى أنك أرفع ما يرفع به الخليفة .
 (٤) انتضاك : استلك ؛ وقائم السيف : مقبضه . يقول : إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجز هو عن حملك وصاقت كفه عن قائم سيف أنت حقيقة : يعنى أنه إنما يجردك بأن يدعوك للنضج عن الخلافة ، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء .
 (٥) للشمر : المجتهد . يقول : من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرة يعجز الواصف استيعابه ، كما قال :

وكل من أبدع في وصفه أصبح منسوباً إلى العي

ومن كنتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ويهلم عجزه ، فيضيق صدره لذلك .

وقال بمدحه ، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا ، وقصد ميثاقين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ، ليزور قبر والدته ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

إِذَا كَانَ مَذْحُ قَالَ النَّسِيبُ لِلْقَدَمِ أَكُلْ فَصَبِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتِمًّا (١)
لَحَبُّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْخَمُّ (٢)
أَطْعَمْتُ الْغَوَايَ قَبْلَ مَطْمَحِ نَاطِرِي إِلَى مَنْظَرٍ يَصْفُرْنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (٣)
تَعْرِضُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَمِّمُ (٤)

(١) النسيب : التشبب بالنساء . وشبب بالمرأة : قال فيها الغزل ، ولعله من تشبيب النار وتأريثها . وللتيم : الذي استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسيب في أشعارهم كلما مدحوا ، فأنكر هذه العادة وقال : أكل فصيح يقول الشعر متمم بالحلب حتى يبدأ بالنسب ؟ يعني ليس الأمر على هذا ، فلا تجارم في هذه العادة .

(٢) يقول : إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره ، فإنه إذا جرى الذكر الجليل يكون به بدؤه وختامه ، يعني لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجليل ، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحلب من النساء اللاتي ينسب بهن الشعراء .

(٣) الغواي : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسناها عن الزينة . وطمح بصره إليه : ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم : أى ويعظم عنهن ، خذف للعلم : يقول : كنت أرغب فى النساء قبل التقاى بسيف الدولة ، وتطمح عيني إلى منظره الذى حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن ، لأن هذا ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . وعبرة العكبرى : أطعت الغواي فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصبرى إلى مملكة هذا المدوح الذى يقل حسنهن عندها ، ويصغر شأنهن عند عايتها وقال ابن جني : كنت متيا بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله إلى منظر : معنى معالى الأمور العالية ، وروايته على هذا التفسير : وأعظم : أى أنا أعظم عنه ، جعل نفسه تعظم عن المعالى .

(٤) تعرض الدهر وتعرض له : أتاه عن عرض - جانب - . التطبيق : أن يصيب

فَجَازَ لَهُ فَحَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَذْرِ مَيْسَمٌ^(١)
 كَمَا أَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ؛ فَإِنْ شَاءَ حَارَ وَهًا وَإِنْ شَاءَ سَلَمُوا^(٢)
 وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَلْمِيسُ الْعَرْمَرَمُ^(٣)
 فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرِ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرِ لَهُ مَنْ لَهُ فَمٌ^(٤)

للفصل في الضرب ؛ والتصميم : أن يعض السيف في الضريبة . يقول آتى الدهر عن عرض فذله بالتطبيق والتصميم ، وإنما وصفه بهما لأنه جله سيفاً ؛ ويقال سيف مطبق وهو الذي إذا أصاب الفصل قطعه ؛ وسيف مصمم إذا كان ماضياً في الضريبة . وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر ، فلا يضر عليه ما أراد ، كما قال في البيت التالي .

(١) يقول : فحكمه جاز حتى على الشمس ، وحسنه ظاهر حتى على البذر : أي أنه أحسن منه ، فاليسم الحسن^(١) وهذا ما ذهب إليه ابن جني ، وقال العروضي : إن جاز أخذ اليسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقاً للصراع الأول . يقول : كل شيء موسوم بأن أنه له وتحت قهره وأمره ، حتى البذر ، وأشار باليسم على البذر إلى ما في وجهه من السواد الذي هو أثر الجو .

(٢) يقول : إن أعداءه من الملوك كأهم خلفاؤه ؛ حينما كانوا من الأرض ، استخلفهم على حفظ ممالكهم ، فإن شاء تركهم عليها ؛ وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا بممالكهم إليه . والمعنى : أن أعداءه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء . هذا : والخلفاء جمع خليفة ، والهاء في « خليفة » : للمبالغة ، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير . لا على اللفظ ؛ مثل طريف وظرفاء ؛ ويجمع على اللفظ خلائف - كظريفة وظرائف -

(٣) المشرفية : السيوف . والخميس : الجيش . والعرمم : الكثير . يقول : إنه لا يرسل إلى مخالفه رسلاً غير الجيوش ؛ ولا كتب له إلا السيوف : يعني أنه لا يقدره لا يعتمد في إخضاعهم إلى الملاينة ؛ ولكن إلى القتال ؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه . ولعل في هذا نظراً إلى قول أبي تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتب في حدهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
 (٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم

(١) قال عمرو بن كلثوم في معلقته .

ظلمائنَ من بني جُشَمِ بن بَكْر خلطنَ بِمَيْسَمٍ حَسَبًا وَدِينَا

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَانِهِ عُسُودٌ مِنْبَرٍ وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمٌ ^(١)
 ضَرْوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحَسَامِينَ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعِينَ مُظْلِمٌ ^(٢)
 تُبَارَى نَجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نَجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَذَقَهُمْ ^(٣)
 يَطَّانَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حِمْلَتُهُ ، وَمِنْ قِصْدِ الْمَرَّانِ مَا لَا يُقَوْمُ ^(٤)

تحت طاعته ؛ ولأن نصره نصر دين الله ؛ وكل من له فم ينطق بشكره ؛ لما شملهم من إنعامه .

(١) يقول : إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم هذا : والمنبر مرقاة الخاطب ؛ مما كذلك لارتفاعه وعلوه - من نبرت الشيء أنبره نبرا : رفعته ؛ وكل مرتفع : منتبر ؛ والدينار : فارسي معرب ؛ وأصله دينار - بالتشديد - بدليل قولهم : دناتير ودينير ؛ فقلت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تسمى على فعال كقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة - القصير - لأنه آمن الآن من الالتباس ؛ ولذلك جمع على دناتير ؛ ومثله قيراط وديياج وأصله دباح ؛ قال أبو منصور : دينار وقيراط وديياج أصلها أعجمية ؛ غير أن العرب تكلمت بها قدما فصارت عربية

(٢) يقول : إنه شجاع ذو بصير وحذق بالحرب والزال ؛ فيضرب قرنه مكافئة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفيهما ؛ وإذا ستر الغبار - غبار الحرب - نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتا ، فلا يخطئ مقلته قرنه ويجوز أن يكون معنى « وما بين الشجاعين مظلم » أنهما وقعا في أمر عظيم ؛ وتمثل الموت لهما ؛ ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا ما بيني وبين فلان : إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام

(٣) نجوم القذف : هي التي ترمى بها الشياطين ؛ قال تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » ونجوم المدوح : خيله والورد من الخيل : ما بين الكيت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة في الهواء ؛ في السرعة والشدّة ؛ وجعلها نجوما لأنها تتلألأ في الظلام ببريق الحديد ؛ ولأنها تستغرق الأرض بسيرها

استغرق الكواكب ؛ فهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء
 (٤) القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة : قصدة . والمران : جمع مارن ، مالا من الرماح ، يقول : إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ، يعني أبطال

فَهُنَّ مَعَ السَّيْدَانِ فِي الْبَرِّ عُسْلٌ وَهُنَّ مَعَ النَّيْبَانِ فِي الْمَاءِ عَوْمٌ^(١)
 وَهُنَّ مَعَ الْغَزْلَانِ فِي الْوَادِ كُنَّ وَهُنَّ مَعَ الْعُقْبَانِ فِي النَّيْقِ حَوْمٌ^(٢)
 إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيجَ فَإِنَّهُ بَيْنَ وَفِي لَبَاتَيْنِ يُحَطَّسُمُ^(٣)
 يَفْرُتُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ وَالْجَمَا وَبَذَلِ اللَّهِ وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلَمٌ^(٤)

العدو ، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التي لا يمكن تقويمها لتكسرها ، وهذا من قول
 الحصين بن الحمام للرى :

يَطْأَنُ مِنَ الْقَتْلِ وَمِنْ قِصْدِ الْقَنَا خَبَاراً فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَجْمَا
 « الجبار : الأرض الرخوة ، تتمتع فيها الدواب ، وفي المثل : من تجنب الجبار
 أمن العار » .

هذا . وقوله « من لا حملته » أراد ما حملته ، لأن « لا » لا تدخل على الماضي إلا
 مكررة ، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ .

(١) السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وعسل : جمع عاسل - من عسلان الذئب ،
 وهو الإسراع والاضطراب في الجرى - والنينان : جمع نون ، وهو الحوت ، يقول :
 إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر ، فهي تعدو مع الذئب في البر وتعم مع
 الجيمان في البحر ، حين تقصد أعاديته .

(٢) في الواد : يرد في الوادي ، فاجترأ عن البقاء بالكسرة وكمن : جمع كامن - من
 كمن : إذا اخفى - والعقبان : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والنيق : أعلى موضع
 في الجبل . والحوم : جمع حائم - من حومان الطير ، وهو دوزانها - يقول : إن خيله
 تكمن مع الغزلان في الأودية التي فيها كناسها ، يعني إذا كنت للعدو أو هبطت في
 الأودية فكنت فلم تظهر ، وتقمتم على الأعداء رءوس الجبال مع العقبان التي فيها وكورها
 والحاصل أن المدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر .
 فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يتمتع عليه موضع : وذلك لقوة عزائمه ونفاذه في مقاصده .

(٣) الوشيج : شجر الرماح . واللبات : جمع لبة ، أعلى الصدر . يقول : إذا جلب
 الناس الوشيج من منابته ليجمعوه استعداداً لما يطرأ ، يتكسر تارة بخيله - أي بأيدي
 فرسانها في الطعن - ويتكسر تارة في صدورها ، إذا طعنه الأعداء . يريد وصف وقائع
 للمدوح بالشدة والاستبسال .

(٤) يفرته : متعلق بمعلم - آخر البيت - والمراد يفرته : وجهه . والجبى : العقل .
 واللهي : العطايا ، جمع لحيمة . والعلم : الذي جعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها ،
 يقول : هو معلم بوجهه في هذه الأشياء : أي أنه معروف يعرف بوجهه ، فكانه معلم

يَقْرَأُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوْذُهُ ،

وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجَبُ^(١)

أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تَطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌّ وَجُرْهُمُ^(٢)

ضَلَالًا لِهَذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَذِيَا لِهَذَا السَّبِيلِ مَاذَا يَوْمُهُمُ^(٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَيْلُ الَّذِي رَامَ ثَنِينَا فَيُخْبِرَهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُتَلَمَّ^(٤)

به عند الحرب إذا حارب ، وعند السلم وعند العقل والسخاء . قال الواحدى : وهذا على رواية معلم - بفتح اللام - ، ومن روى بكسر اللام قال : إنه لشدة وشهرته ، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه : يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته ، والجيد رواية من روى للحرب معلم . يقول : بوجهه علامة لهذه الأشياء . أى إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء مرصوف بها ، يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ، ويسلم إذا رأى السلم خيراً من الحرب ، ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد .

(١) يقول : إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه ، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل : والفضل ما شهدت به الأعداء :
واظهار آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة .

(٢) عاد وجرم : قبيحان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجار الناس من الأيام وحفظهم منها ، فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرم - على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول - فى أن يستعظم من يدالعدم فتطالبه بردهم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الأيام .

(٣) يدعو على الريح بالضللال لأنها آذنتهم فى طريقهم كما قال :

• بَكْرُنْ ضُرّاً وَبَكْرَتْ تَنْفَعُ •

ودعا للسيل بالمهداية لأنه حكى المدحوح بالجوود . وقال ابن فورجه : أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفعه . وقوله ماذا يؤم : أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى

(٤) الويل : للطر العزيز . وثنيننا : أى صرفنا ؛ وبخبره - بالنصب - لأنه جواب الاستفهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيف التى ثلثها وقاملك أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضاً على صرفك .

وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ
تَلَقَّاهُ أَغْلَى مِنْهُ كَفَبًا وَأَكْرَمُ^(١)
فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالِمًا بِأَشَرَ الْقَنَاءِ وَبَلَّ ثِيَابًا طَالِمًا بِلَهَا الدَّمِ^(٢)
تَلَكَ وَبَعْضُ الْقَيْثِ يَنْتَبِعُ بَعْضُهُ مِنْ الشَّامِ يَتَلَوُ الْحَاذِقَ الْمُتَعَلِّمُ^(٣)
فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَلِيلُ قَبْرَهَا وَجَشَمَهُ الشُّوقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ^(٤)
وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بِهَاوُهُ عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخَى الذَّوَابَةَ مِنْهُمْ^(٥)
حَوَالِيهِ بِحَرٍّ لِلتَّجَافِيفِ مَا تُجَّ بِسِيرُهُ بِهِ طَرْدٌ مِنَ الْخَلِيلِ أَيْهِمْ^(٦)

(١) بصوبه : أى بما يفسكب منه ويقال فلان أعلى كعبا من فلان : أى أرفع منه قدراً وأصله فى المتصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب . يقول : لما استقبلك السحاب بالمطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفاً وأوسع كرماً .
(٢) باشره : تولاه بنفسه . والقنا : الرماح . يقول : إن هذا المطر باشر منك وجهاً طالماً باشر الرماح فلم تنل منه ، وبلى ثياباً طالماً بلتها دماء القتلى فلم يثنه بلها ، فكيف يهاب وقع للمطر من لا يهاب وقع الرماح ، ويغشى الماء من لم يغشى الدماء ؟
(٣) تلاك : تبعك . ومن الشام : متعلق بتلاك . يقول : تبعك القيث وأنت غيث ، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضاً ، وأنت أستاذ حاذق فى الجود ، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم لشيء يتبع من حذقه :
(٤) جشمه الشيء : كلفه إياه فتجشمه ، والذي : مفعول ثان لجشمه يقول : إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من السير نحوها : أى هو يشاقق قبرها كما تشاققه .

(٥) الذَّوَابَةُ - فى الأصل - الضفيرة من شعر الرأس ، والمراد بها هنا : ما أرسل من طرف العمامة بعد تسكويرها ، وأراد بالفارس المرخى الذَّوَابَةُ : سيف الدولة . وإرخاء الذَّوَابَةُ : كناية عن كونه معيماً ؛ لأن سائر الجيش بالمغافر . يقول : لما عرضت للجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته .

(٦) التجافيف : جمع تجفاف ، ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً . والطود : الجبل . والأيمهم : الذى لا يهتدى فيه : يقال برأيهم وفلاة يهماء . جل كثرة التجافيف حوله بجرا مأجها ، وجعل خيله التى تسير بهذه الشجافيف طوداً عظيماً ؛ يعنى أن حوله من بريق الأسلحة ولعان التجافيف ما يشبه البحر .

نَسَاوتْ بِهِ الْأَقْطَارُ حَتَّى كَانَهُ ^(١) يُجْمَعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظَمُ
وَكُلُّ فَتَى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ^(٢) مِنَ الضَّرْبِ سَطَرٌ بِالْأَسِنَّةِ مُعْجَمٌ
يَمْدُ يَدَيْهِ فِي الْمَفَاضَةِ ضَيْقَمٌ ^(٣) وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمٌ

بكثرتهم ، ويحكىه يبريق جملة يشير بذلك إلى موكب من خيله ؛ وهو تخيل بديع : جعله
التجافيف بجرأ يسير به من الحبل جبل عظيم لا يهتدى فيه .

(١) الأشتات : المتفرقة ، جمع شت . لما جعل جيشه جبلا قال : إنه حل بين الجبال
فملا فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها للمتفرقة ، ونظم بهضها إلى
بعض ؛ وعبرة ابن جني : تحيط خيله بالجبال وهي كالجبل ، فكان جيشه يؤلف بينها
لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَفِيبُ الشَّوَاهِقِ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَفِيبْ
وقال الواحدي : أى عم الأرض بكثرة خيله ، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحي
الأرض . وقال ابن الأفلي - على رواية الأقطار بدل الأقطار - : الأقطار : الفبار :
يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرتهم ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى
الرهج في السهل والوعر ، وفي الصلب والرخوة ، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير
كأنها في ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشيها من الجيش متصلة ، كقول النابغة :

جَيْشٌ يَظَلُّ بِهِ الْفُضَاءُ مُقَطَّلًا يَدْعُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارَ ^(١)
(٢) وكل فتى : عطف على قوله « بحر » : أى وحواليه كل فتى ، والأسنة : أطراف
الرماح ، والإعجام : التنقيط . يقول : وحوله فتیان على وجوههم آثار الضرب والطمع
يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله ، وأثر الطمع إعجاما لذلك
السطر ، لندور جراحته فهي كالنقطة ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبى تمام :

كُتِبَتْ أَوْجُهُهُمْ مَشَقًّا وَنَمَّةً ضَرْبًا وَطَعْنًا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفًا ^(١)
(٣) المفاضة : الدرع الواسعة ؛ والضيغم : الأسد ؛ والتركة : البيضة من الحديد ؛

(١) الإكام : جمع أكمة ؛ وهى الراية ؛ وصحار : جمع صحراء .
(٢) من قصيدة له بارعة يمدح بها أبا دلف ؛ والمشق : مداحروف ؛ والنممة : النقش
ويقات الهام : أى يجعل الهام والصلف قوتا له ؛ والهام : الرؤوس ؛ والصلف : بضمين -
جمع صليف : عرض العنق ؛ وهما صليقان من الجانبين ؛ ولا تنى : لا تزال .

كَأَجْنَاسِهَا زَايَاتُهَا وَشِمَارُهَا وَمَا لَيْسَتْهُ وَالسَّلَاحُ الْمُسَمُّ (١)
وَأَدَبُهَا طُحُولُ الْقِتَالِ قَطْرُهُ يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَقْتَهُمْ (٢)
تُجَاوِبُهُ فِعْلًا وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى وَيُسَمِّيهَا لَحْظًا وَمَا يَقْكَلُّ (٣)
تَجَانَّفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَرَقُّ لِمَيَّافَرِقِينَ وَتَرْحَمُ (٤)

تشبها بالتركة وهي : بيضة النعامة إذا انفلقت وخرج الفرخ فركت . والأرقم : الحية
الذكرة ؛ والضمير في يديه وعينه : لفتى ؛ وضيم فاعل بمد ؛ وأراد بمد يديه منه ضيم
فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانا لقيت منه الأسد . وقوله وعينه : أى ويفتح
عينه منه أرقم ؛ وهذا من باب * علفتها تبنا وماء بارداً * يقول : إن هذا الفتى في الشجاعة
كلا أسد ؛ وفي حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم ؛ فإذا مد يديه في الدرع فقد مد هماً أسد ؛
وإذا مد عينه من تحت الحوذة فقد مد هماً أرقم .

(١) الضمير في « كأجناسها » : للخيل ؛ والشعار : العلامة في الحرب . والمسم :
الذى سقى السم . يقول : إن هذه الخيل عريية وكل ما معها من الرايات وال سلاح
والملايس عرى كذلك .

(٢) الطرف : النظر ، والضمير في « طرفه » للفارس ، وإن لم يجر له ذكر
لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب . يقول : وأدب هذه الخيل طولي تمرسها
بالقتال والتغلب في شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته .
(٣) الوحى : الصوت الخفى ، وفلا ولحظا : منصوبان على نزع الخافض ، والواو
بعدها : للحال . يقول : إن هذه الخيل - لأدبها - تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع
صوته ، ويفهما مراده باللحظ من غير أن يتكلم ، وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق :

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاخَةٌ بِرِحَالِهَا لِرَوَاحِ أَهْلِ الْمَوْسِمِ
إِذْ نَحْنُ نَسْتَرْقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَكَذَلِكَ نُجَبَّرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا مَا فِي الثُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَشْكَلْ

(٤) التجانف : لليل ، وفي التنزيل : « فن اضطر في غمصة غير متجانف لإثم »
أى مائل ، وقال الأعشى :

تَجَانَّفُ عَنْ جَوِ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَاسِكَا
وَمَيَّافَرِقِينَ : بلدمن أعمال ديار بكر ، يقول : إن خيلك تميل عن مَيَّافَرِقِينَ رحمة
لها ، لأن فيها قبر والده ، وخشية أن تدوسها بحوافرها لو هى سارت بجانبها .

وَلَوْ زَحَمْتَهَا بِالْمَنَاكِيبِ زَحْمَةً دَرَّتْ أَى سُورِنَهَا الضَّعِيفُ الْمَهْدَمُ (١)
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنْ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنْ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٢)

(١) يقول : لو أن هذه الخيل زحمت ميفارقين بمناكبها ، أو لو زحمت ميفارقين الخيل بمجدها - وسماها مناكب : لأن الزحام يكون بالمناكب - يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت - علت - ميفارقين : أى السورين يكون الضعيف المهدم ؟ يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة ، فهى لو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة واستعار للخيل سورا لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما فى المزاحمة . ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سورا ، قال ابن جنى : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا - قديما - هذا : وإليك تعليقات العكبرى على هذا البيت قال : الضمير فى « زحمتها » : للبلدة ، وكذلك فى « درت » : أى درت البلدة ؛ ورفع أى بالابتداء ؛ وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره علت ضعيفا ، لأن « أيا » لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى « لنعلم أى الحزبين أحصى » ، فرفع « أى » بأحصى ، لأنه فعل ماض على قول بعضهم ، والصحيح أن « أيا » فى الآية بمعنى الذى « وأحصى » اسم ، وقد حذف صدر الصلة ؛ والتقدير : هو أحصى و « أى » : إذا كانت بمعنى الذى وتمت صلتها : أعربت ؛ وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهى منصوبة للوضع بنعلم . و « أى » فى البيت : مبتدأ ، والضعيف : خبره ؛ والمهدم : خبر ثان ؛ والجملة : فى موضع نصب بـ « درت » ؛ فهى معلقة عن العمل ؛ و « أى » فى البيت : استفهام ؛ وروى الواحدى وغيره « سورينا » فالضمير للبلدة ؛ ورواية أبى الفتح « سورينا » أى سور البناء وسور الخيل .

(٢) على كل طاو : من صلة قوله « وكل فتى » والطاوى : الخيىس الجوف : أى الضامر جوعا . يقول : كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرا به الدم وطعامه اللحم ، فهو أبدا مستमित فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم لئلا كل لحومهم ويشرب دماءهم ؛ ووجه آخر وهو : وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه أى الفرس - يسقى من دمه ويطعم من لحمه : أى لضميره كأنه ليس له غذاء ولا يشرب إلا من جسمه ، فهو يزداد كل يوم ضمرا ، هذا : وقد قال ابن وكيع . إن البيت مأخوذ من قول أبى الشيخ :

لَمَّا فِي الْوَغَى زِيَّ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَعَلِّمٌ^(١)
وَمَا ذَاكَ بُخْلًا بِالنَّفُوسِ عَلَى الْقَنَاءِ وَلَكِنْ صَدَمَ الشَّرُّ أَخْزَمَ^(٢)

أَكَلَ الْوَجِيفُ لَحْمَهَا وَلَحْمَهُمْ فَأَتَوْكَ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضٍ^(٣)

(١) الوغى : الحرب . والحصان : الدكر من الخيل . والدارع : ذو الدرع . يقول :
إن لهذه الخيل في الحرب زى فوارسها ، لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها ، فكل
فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه من الحديد .
(٢) يقول : لم يتحصنوا هم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها ، ضنا بنفوسهم أن تنالها أسنة
الرماح ، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل ، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله ، ولك
فعل الحازم اللبيب ، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا ،
روى أن كثيرا أنشد عبد الملك بن مروان :

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دَلَّاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمَسْدَى سَرْدَهَا وَأَذَاهَا
يَتَوَدُّ ضَيْلَ الْقَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِهَا وَبَسْطُضِلِ الْقَرْمِ الْأَشْمُ احْتِمَالُهَا^(٤)
فقال له عند الملك : هلا مدحتى كما مدح الأعشى صاحبه فقال :

وَإِذَا تَسْكُونُ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ خِرْسَاءُ يُفْشِي الرَّائِدُونَ نَهَايَهَا
كُنْتَ الْمَقْدَمُ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَقْتُلُ مُعَلَّمًا أَبْطَالَهَا؟^(٥)

(١) الوجيف : ضرب من السير سريع .

(٢) من قصيدة بارعة يقول فيها :

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا أَرَادَ رِجَالُ آخَرُونَ اغْتِيَالَهَا
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي غَزَا كَامِنَاتِ الْوَدِ مَنِ فَنَاهَا
تَبْلَجَ لَهَا جِثَّتْ وَاهْتَزَّ ضَاحِكَا وَبَلَّ وَسَلَاتِي إِلَيْهِ بَلَاهَا
وقوله وأذالها : أى أطلها .

(٣) ملومة : كملمة : مجتمعة ، وخرساء أى لا يسمع لدروعها صوت لينها ، ونهاها
عطاشها : أى يفشى القائدون عطاشها الأعداء وفي رواية يفشى ، وجنة - بالضم -
الدرع . وكل ما وذاك فهى جنة ؛ معلما - بكسر اللام وفتحها - من أعلم الفارس
نفسه : أى جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه . والبيتان من
قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن
الحارث الكندى .

أَتَحْسِبُ بَيْضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنْتَ مِنْهَا ؟ سَاءَ مَا تَوَهَّمُ ^(١)
 إِذَا نَحْنُ تَمَيَّنَاكَ خَلْنَا سَيُوفَنَا مِنْ التَّيِّهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ ^(٢)
 وَلَمْ نَرَ مَلَكًا قَطُّ يَدْعَى بِدُونِهِ فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ ^(٣)
 أَخَذْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ تَنْبِيَةِ مِنْ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ ^(٤)

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزامة ؛ ويريد التني بالشر الأول شر الأعداء وما جاءوا به من العدد والأسلحة ، والثاني ما عارضهم بمثله ، وسماه شرا للمقابلة ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

(١) يقول : أنظن السيوف - لأنك سميت سيفاً - أنها تشاركك في الأصل وأنتك من جملتها ، ساء هذا اليوم وهما : يعنى : أنك وإن سميت سيفاً فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأننا وأعظم أصلاً رغم جلالها ورفعها ونفاذها وهيبتها . فهي بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك . هذا : ويجوز في مضارع حسب : فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان .

(٢) يقول : إذا نحن سميناك سيفاً خلنا - حسبنا - سيوفنا تتكبر . وتعجب بأن صرت لها سمياً فهي تتبسم في أغمادها تها - كبرا وغرا - وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

تَنْبِيَةُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ إِذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الْأَمِيرُ

قال العكبرى : وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معاني الشعر وقال : قد وضع الشيء في غير موضعه حيث قال تتبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بأنفه ، وهو فعل التائه التكبر ، وإنما يكون التبسم من الريح والفرح وليس كما قالوا . والتبسم قد يكون من العجب بنفسه التائه على أقرانه ، استكثاراً لما عنده واستقلالاً لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكان السيوف تبسمت إعجاباً بنفسها لمشاركة المدوح لها في التسمية ، فخرت بذلك السلاح والرماح .

(٣) بدونه : أى بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم نر ملكاً يلقب بدون ما يستحق فيرضى بذلك وعمله فوق أن يسمى سيفاً ، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم .

(٤) الثانية : طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس

فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُنْقَسَمُ^(١)

* * *

وقال يعاتب سيف الدولة - وأنشدها في محفل من العرب - وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه ، وتقدم إليه بالتمريض له في مجلسه بما لا يجب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه :

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ يَمْنَنُ قَلْبُهُ شَيْئُومٌ وَمَنْ يَحْسِبُنِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٢)

يعيشون ، لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء ، ونحرم من تشاء لأنك ملك في يدك البسط والقبض .

(١) هذا من قول أبي العتاهية :

فَا آفَةُ الْأَجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَغَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حَبَائِكَ

(٢) الشيم : البارد . والشيم : البرد ؛ وقد شيم الماء - بالكسر - فهو شيم ، ومطر شيم ، وغداة ذات شيم ، وقيل لابنة الحس^(١) ما أطيب الأشياء ؟ قالت : لحم جزور سمنة ، في غداة شيمة ، بشفار خذمة ، في قدور هزمة . أرادت في غداة باردة ، والشفار الخذمة : القاطعة ؛ والقدور الهزمة السريعة الغليان ، والشيم : الذي يجد البرد مع الجوع ، قال حميد بن ثور :

بَعَيْنِي قُطَامِي نَمَّا فَوْقَ مِرْقَبٍ غَدَا شَيْمًا يَنْقَضُ بَيْنَ الْمَجَارِسِ^(٢)

يقول : واحر قلبي واحترقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل طي ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعانى وأقاسى فيه ، سقيم الحال لفساد اعتقاده في . هذا وقوله واحر قلباه : أصله واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء ، واستجلب هاء السكت وأثبتها في الوصل كما تثبت في الوقف ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب في ذلك أمران : منهم من حرك بالضم تشبيها بهاء الضمير ، وأنشدوا لامرئ القيس :

(١) الحس : رجل من إباد ، وابنة الحس : الإيادية التي جاءت عنها الأمثال ، واسمها

هند ؛ وكانت معروفة بالفصاحة .

(٢) القطامي - بضم القاف وفتحها - الصقر ، مأخوذ من القطم ، وهو القطن

اللحم ، والمجارس : الثعالب ؛ وقيل جميع ما تمس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع .

مَا لِي أَكْتُمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَمَمِ^(١)
 إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِفِرْتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَفْتَسِمُ^(٢)
 قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُقَمَّدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ^(٣)
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيمِ^(٤)
 فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمْتَنُّهُ ظَفَرُ فِي طَيْهِ أَسْفٌ فِي طَيْهِ نِعَمٌ^(٥)

وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْلًا يَا هَنَا وَيَمُحِكُ أَخْلَقْتَ شَرًّا بِشَرِّ^(١)

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً عند التقاء الساكنين .
 (١) براه : أعلاه وأضناه : وأكتم : مبالغة من الكتمان ، وتدعى : منصوب بأن مضمرة بعد الواو ، وسكه ضرورة ، أو طى لغة . يقول : إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلم أخفى أنا حبه الذي برح بي وأسقمى ، وأعين طى نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الفرة : الطلعة . يقول : إن كان يجمعنى وغيرى أن نكون محبين له ، أى إن حصلت الشركة فى حبه ، فليتنا نقسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيباً من غيرى ، لأنى أوفر حبا من غيرى . وقال ابن جنى : أى إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لفيرته ، فليت أنا نقسم به كما نقسم حبه .
 (٣) والسيوف دم : أى غضة بالدم . يقول : إنه خدمه فى حالى السلم والحرب .
 (٤) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخلقة والخلق . يقول إنه كان فى الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن ما فيه ، وإنما للرء خلقه .

(٥) يمتنه : قصده . والأسف : الحزن . يقول : — وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته — فوْتُ العدو الذى قصده ففاته ، بأن فرمته لاستحكام جزعه ، ظفر حيث فرمته ، فكانت ظفرت به وإن كان فى طى هذا الظفر أسف — لم تدركه فقتله ، وفى طى ذلك الأسف نعم ، إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح .

(١) قولهم ياهناه : أى يارحل ، لا يستعمل إلا فى النداء . يقول : كنا متهمين فحققت الأمر

(٦ — انتهى :)

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَلَمَتْ

لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ بِهِمْ^(١)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزِمُهَا أَنْ لَا يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ^(٢)

أَكَلَمَّا رُمْتَ جَيْشًا فَأَنْتَنِي هَرَبًا تَصَرَّفْتَ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَبَمُ^(٣)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا^(٤)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللَّمَمُ^(٥)

(١) الهم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم ، جمع بهمة ، ويقال للعبش بهمة ، ومنه قولهم : فلان فارس بهمة وليث غابة ، قال ابن جني : الهممة في الأصل مصدر وصف به ولا فعل له . وقال بعضهم : قيل للكمة بهم لأنه لا يهتدى لقتالهم : من قولهم شئ بهم . يقول : إن خوف أعدائك منك ناب عنك في شدة تأثيره فيهم ، فصنع لك ما لا تصنعه عساكرك للشجعان ، يعنى أن مهابتك في قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك .

(٢) يوارىهم : يسترهم ويكنهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك شيئاً لم يكن يلزمها ، وذلك رغبتك في أن لا يوارى أعدائك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم ، وإياؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم ، وهذا لا يلزمك لأنه يكفيك أن تكون قد هزمتهم ، أو تقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدرّكهم حيثما تواروا من الأرض ، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفيه ما يكفي غيره من الظهور عليهم .

(٣) رمت : طلبت . وانتنى : ارتد ، وهربا : حال . يقول : أكلما طلبت جيشاً فارتد هارباً منك وهزمته ، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك وهذا استفهام إنكار : أى ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم .

(٤) للمعرك : ملتحق الحرب . يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك في مجال الحرب والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالحرب إشفاقاً منك وخوفاً من لقاءك فلم نظفر بهم .

(٥) بيض الهند : السيوف . واللهم : جمع لمة ، وهى الشعر إذا ألم بالنسكب يقول ليس يحلو لك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وهمورهم .

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ^(١)
أَمِئذَهَا نَفَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ
أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمَ^(٢)
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَائِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(٣)
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌّ^(٤)

(١) يقول : أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتني فإن عدلك لا يشملني ؛ وفيك خصامي وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحامك إلى غيرك ، وإنما أستعدي عليك حكمك والخصام وقع فيك . وإذن كيف ينتصف منك ؟ قال ابن جني : هذه شكوى مفرطة لأنه قال في موضع آخر :

وَمَا يُوجِئُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ رَازِقٍ
وإذا كان عدلا في الناس كلهم إلا في معاملته فقد وصفه بأقبح الجور .

(٢) قال ابن جني : سأله - أي التثني - عن المراء « في أميذها » على أي شيء تعود ؟ فقال : على « النظرات » وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش في قوله تعالى « فإنها لا تعمي الأبصار » فقال : المراء راجعة إلى الأبصار وغيره من النعويين يقول : إنها إضمار على شريطة التفسير ، كأنه فسر المراء بالنظرات ، ونظرات - كما قال التبريزي - في موضع نصب على التمييز : أي من نظرات . يقول : إنك إذا نظرت إلى شيء ، عرفته على ما هو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شعبا . وهذا مثل ، يقول : لا تظن المتشاعر شاعرا كما يحسب الورم سمنا .

(٣) الناظر : العين . يقول : إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له في بصره ؟ يعني : يجب أن تميز بيني وبين غيري ممن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة ، لأن الفرق بيني وبين غيري ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة ، فلا ينبغي أن يستويا في عيني البصير .

(٤) يقول : إن الأعشى على فساد حاسة بصره أبصر أدنى ، وكذلك الأصم سمع شعري ، يعني : أن شعري سار في آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعشى والأصم أدبه ، فكأن الأعشى رآه لتحقيقه عنده ؛ وكان الأصم سمعه . وكان للمعري إذا أشد هذا البيت يقول : أنا الأعشى .

أَنَا مُمْلٌ جَفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
وَجَاهِلٌ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَقَمِ^(٢)

(١) الشوارد : سوارث الأَشْعَار - من قولهم شرد البعير : إذا نفر - والضمير في « شواردها » : للكلمات ؛ قال ابن جني : يحتمل أن يراد بالكلمات : جمع كلمة التي هي اللفظة الواحدة ، وهذا أشد في المبالغة . ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد ، وهم يسمون القصيدة كلمة . وماء جفوني موضع المصدر : أى أنام نوماً ملاء جفوني . ويقال : فعلت ذلك جراك ومن جرائك : أى من أجلك . وكذلك من جلالك ومن إجلالك ، ومن جلالك ، كله من أجلك قال جميل :

رَسَمَ دَارَ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَفْضَى الْعِدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ
[أى من أجله . وقيل من جلالك : من عظمك في عيني . وقوله رسم دار : قال ابن سيده : أراد رب رسم دار ، فأضمر « رب » وأعملها فيها بعدها مضمرة] وأنشد الكسائي على قولهم : فعلته من جلالك - أى من أجلك - قول كثير :

حَيَاتِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَالْخَرْقُ يَبِينُنَا وَإِكْرَامِي الْقَوْمَ الْعِدَا مِنْ جَلَالِهَا
[الخرق : البعد] ووحد الضمير في « يختصم » على لفظ الخلق ، لا معناه . يقول أنا أنام ملاء جفوني عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأنى أدركها مقى شئت بسمولة ، أما غيرى من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون . قال الواحدي : ومعنى الاختصام اجتذاب الشيء من النواحي والزوايا مأخوذ من الخصم ، وهو طرف الوعاء^(١) يقول : إنهم يجتذبون الأشعار احتيالا ويحتلبونها استكراهاً .

(٢) مده : أمهله وطول له . وأصل الفرس : دق العنق ، ومنه سمى الأسد فراساً .

(١) جاء في اللسان : الخصم - بالضم - جانب العدل وزاويته ، يقال للمتناع إذا وقع في جانب الوعاء من خرج أو جوالق أو عيبة : قد وقع في خصم الوعاء وفي زاوية الوعاء ، قال : وخصوم السعابة جوانبها . قال الأخطل يصف سحابة :

إِذَا حَطَّعَت فِيهِ الْجُنُوبُ تَحَامَلَتْ بِأَعْجَازِ جَرَّارٍ تَدَاعَى خُصُومُهَا
أى تجابو جوانبها بالرعد ، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه ، والجرار : الثقل ذو الماء ، وتحاملت بأعجازه دفعت أواخره خصومها : أى جوانبها

ظَلَرْتُ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَقُتْنِ أَنْ اللَّيْثُ مُنَبِّسٌ^(١)
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبَهَا أَذْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرُهُ حَرَمٌ^(٢)
رَجُلَاهُ فِي الرَّكْضِ رَجُلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمُ^(٣)
وَمُرْهَفٍ سِيرَتٌ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى صَرَبْتَ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ^(٤)
فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْفَرَطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٥)

يقول : رب جاهل خدعته مجاملي ، وتركه في جهله - خرقة - ضحكى منه حتى افترسته
ربطت به بعد زمان : يعنى أنه يغضى عن الجاهل ويعلم إلى أن يجازيه ويمصفه به .
(١) يقول : إذا كثرت الأسد عن نابه فليس ذلك تبسماً بل قصداً للافتراس . يريد
أنه وإن أبدى بشره وتبسّم للجاهل ، فليس ذلك رضا عنه ، وفي مثل هذا يقول :
أبو تمام :

قَدْ قَلَصْتُ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيفَتِهِ نَخِيلَ مِنْ شِدْقِ التَّمْبِيسِ مُبْتَسِمًا

(٢) المهجة : الروح . ومهجتى : مبتدأ ؛ ومن هم صاحبها : خبر ، والجملة صفة لمهجة
والهم : ما اهتممت به . والجواد . الفرس الكريم . والحرم : ما لا يحل انتهاكه يقول
رب مهجة - مهة صاحبها مهجتى أى قتلى وإهلاكى أدركت هذه المهجة بفرس من ركه أمن
من أن يلحق ، فكان ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٣) يصف جواده ، يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه فى الركض كأن رجله
رجل واحدة لأنه يرفعهما معاً ويضعهما معاً ، وكذلك يداه - ويسمى هذا الجرى النقل
والمناقلة - ثم قال : وفعله ما تريد الكف والقدم أى أن جريه يغنيك عن تحريك اليد
بالسوط والرجل بالاستحثاث ؛ وقال ابن الأفلح : وفعله فى السرعة ما تريد القدم
التي بها يستعجل وفى المؤاناة وللواقفة ما تريد الكف التي بها يستوقف .

(٤) المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل : الجيش الكثير . وروى ابن
جنى : بين الموحيتين : أراد موجى الجيشين ، لأنهما يموج بعضهما فى بعض . يقول :
ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أمواجه
وتضطرب .

(٥) البداء : الفلاة ؛ وتعرفنى : يروى تشهد لى ، ويروى بدل السيف والرمح

صَحِبَتْ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكْمُ^(١)

الضرب والطمع وروى الواحدى : والحرب والضرب . يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها . يقول : الليل يعرفنى لكثرة سرائى فيه وطول ادراعى له ، والحيل تعرفنى لتقدمى فى فروسيتهما ، والبيداء تعرفنى ل مداومتى قطعها واستسهالى صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقى فى الضرب بهما ، والقرطاس تشهد لإحاطتى بما فيها ، والقلم عالم بإبداعى فيها أقيده ، هذا : والقرطاس والقرطاس والقرطاس والقرطاس كله الصحيفة الثابتة التى يكتب فيها . وأنشد أبو زيد لخش العقيلي يصف رسوم الدار وأثارها كأنها خط زبور كتب فى قرطاس :

كَانَ بِمَيْتُ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلَهَا نَحْطَ زَبُورٍ مِنْ دَوَاوِرِ وَقِرْطَاسٍ

(١) الفلوات : القنابر ، والقور : جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء ، والقور أيضا : أصغر الجبال ؛ وأعظم الآكام - جمع أكمة - قال منظور بن مرثد الأسدى :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِأَعْلَى ذِي الْقَوْرِ قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورٍ

مَكْتَتِبِ اللَّوْنِ مَرُوحٍ مَمْطُورٍ أَزْمَانَ عَيْنَاهُ سُرُورُ الْمَسْرُورِ^(٢)

والقور : يروى القوز - بفتح القاف وبالزاي - وهو الكتيب الصغير . وجمعه أقواز وقبران . قال ذو الرمة :

إِلَى ظَمْنٍ يَقْرَضُنْ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ شَمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْقَوَارِسُ^(٣)

ويروى : القور ، وهو المظن من الأرض ، والأكم : جمع أكبة ، الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش فى الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيواناتها حتى تعجب منى نجدها وغورها لكثرة ما تلقانى وحدى .

(١) قوله بأعلى ذى القور : أى بأعلى المكان الذى بالقور . وقوله قد درست غير رماد مكفور . أى درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفراه . وقوله مكتتب اللون : يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكتيب ، ومروح أصابته الريح ؛ وممطور أصابه المطر ، وعيناء مبتدا وسرور المسرور خبره والجملة فى موضع خفض بإضافة أزمان إليها . يقول : هل تعرف الدار فى الزمان التى كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٢) قرض المكان يقرضه قرضا : عدل عنه وتكبه ، ومشرف والفوارس : موضعان يقول : نظرت إلى ظمن يحزن بين هذين الموضعين .

يَا مَنْ يَمُنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ مُنْفَارِقَهُمْ
وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(١)
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمْسَ^(٢)
إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجُزْجَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ^(٣)
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الشَّيْ ذِمَّةً^(٤)
كُمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْبًا فَيَمُجِزُكُمْ وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمَ^(٥)

(١) يقول : يا من يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدناه عدم ، يعنى لا يعنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .
(٢) ما أخلقه بكذا واقته وأجدره وأحراره وأولاده : بمعنى ، وأمم قريب يقول :
يقول : ما كان أحرانا ببركم وتكرمتكم فى الاعتقاد لنا على نحو أمرنا فى الاعتقاد لكم أى لو تقارب ما بيننا بالحلب لكرمتونا ، لأننا أهل للتكرمة .
(٣) يقول : إن سررتم بقول حاسدنا وطنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور ، فإن جرحا يرضيكم لا نجد له ألما ، لأن كل سرورنا فى سرورنا فى سروركم ورضانا فى رضاكم ، قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه .

سُرِرْتُ بِهِجْرِكَ لِمَا عَلِمْتُ أَنَّ لِقَائِكَ فِيهِ سُرُورًا
وَلَوْ لَا سُرُورُكَ مَا سَرَّنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورًا
لَأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي إِذَا كَانَ يُرْضِيكِ سَهْلًا سِيرًا

(٤) بيننا : خبر مقدم ؛ ومعرفة : مبتدأ مؤخر . وقوله لو رعيتم ذاك : اعتراض ؛ والإشارة إلى مضمون الجملة : أى لو رعيتم أن بيننا معرفة . والنهى : العقول . والذمم المهود . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعنا المعرفة وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها .
(٥) يقول : كم نحاولون أن تجدوا لى عيا تعيوننا وتتعلقون عليه وتعتذرون به فى معاملتي فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم إلا أن تنصفوني منكم وتكافئوني بالجميل . وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية .

مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَّ وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ^(١)
لَيْتَ الْهَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَائِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ^(٢) الْوَدِيمُ^(٣)
أَرَى النَّوَى تَقْتَضِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْوَخَادَةُ الرَّسْمَ^(٤)

(١) وذان : أى العيب والنقصان يقول : إن بعد ما بنيتى وبين النقصان والعيب
كبعد الثريا من الشيب والهرم ، فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحق العيب والنقصان .
(٢) الهمام : السحاب . والصوائق : جمع صاعقة ، وهى تلك النار التى تسقط أثر
الرعد الشديد . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن
الصوائق مهلكة وهى التى تسكره وتخشى من الغمام ، والديم نافعة وهى الرجوة . من
الغمام ، فهو يقول : ليت الممدوح الذى يشبه الغمام الذى تصيبني صواعقه - يعنى أذاه
وسخطه - ويصيب غيرى مطره - يعنى بره ورضاه - يزيل ذلك الأذى إلى من عنده
ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام :

فلو شاء هذا الدهر أقصر شره^(١) كما قصرت عنا لهاه^(٢) ونأله^(٣)
ومثله قول ابن الرومى :

أَعْنَدِي تَنْقُضُ الصَّوَائِقُ مِنْكَ
وَعِنْدَ ذَوِي الْكُفْرِ الْحَيَا وَالثَّرَى الْجَفْدُ^(٢)
وقوله أيضاً :

إذا كان حظ الناس سُقْيَا سَمَائِكُمْ فَحُطِّي وَمِيضَ الْبَرْقِ أَوْ زَجَلَ الرَّعْدِ
وأخذه السرى الرءاء فقال :

وَأَنَا الْفِدَاءُ لِمَنْ مَخِيلَةُ بَرْقِهِ حُطِّي وَحُظَّ سِوَايَ مِنْ أَنْوَاهِ
(٣) النوى : البعد . وتقتضي : أى تطالبني ، وقد ضمه معنى تكلفني أو تجشمني ،
ولذلك عداه إلى اثنين . والوخد والرسم : ضربان من السير ؛ والوخادة : الإبل التى
تسير سيرا سريعا . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض بأخفافها
لسيرها الشديد . يقول : أرى البعد عنكم يكلفني أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها

(١) أقصر : كف ، ومثله قصر ؛ والهمي : جمع لهوة ، العطية ؛ والنائل : العطاء .
(٢) الحيا المطر ، ونرى جمد ؛ وتراب جمد : لين ندى .

لَيْفَن تَرَكَنْ ضَمِيرًا عَنْ مَيَّامِينَا لِيَحْدُثَنَّ لِيْنِ وَدَفْعُهُمْ نَدَمٌ^(١)
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تَفَارِقَهُمْ فَالْراَحِلُونَ هُمْ^(٢)
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّهُ مَا يَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ^(٣)

الإبل المربوعة الشديدة ؛ لبعدها وعدة أهوالها . وعبرة العكبري : أرى النوى التي أربدها ، والرحلة التي اعتقدتها ، تقتضي تحشم كل مرحلة وافية لا تسبق بها الإبل لبعدها منها ، ولا تطيقها لشدة أهوالها .

(١) اللام في «ليحدثن» لام جواب القسم ؛ وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتماعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط ، وضمير «تركن» للوادة والرسم . وضمير : جبل عن عيني الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول : أني لحقت ركابي بمصر ليندم سيف الدولة على فراق . وكان كما قال .

(٢) يقول : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هم الراحلون عنك ، وإليك عبارة سائر الشراح قال الواحدى : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا إقامة عذره في فراقهم : أى أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتموني إليه وقال الإمام التبريزي إن الرجل إذا فارق أناسا ، وقد ظنوا أنه غير مفارق ، لهم أسفوا له ، فكأنهم هم الراحلون وقال ابن القطاع : رحلت عن السكان : انتقلت ورحلت غيرى : نقلته وسفرته ، وبمعناه إذا رحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك ، فالراحلون عنك هم والمعنى : أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه في رحلته قائما في ذلك عن نفسه بحجته . وقال العكبري : أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة علته بإسعاف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، وانقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه ، وأزعجوه وأخرجوه ، ثم قال : وهذا من قول الحكميم : من لم يردك لنفسه فهو البائى عنك وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع - كمادته - : هذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وَمَا الْقَفْرُ بِالْبَيْدِ الْقَوَاءِ بَلِ الَّتِي نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِتُوهَا هِيَ الْقَفْرُ^(١)
وَأَيْنَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ .

(٣) يصم : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس

(١) القواء - بفتح القاف . الخالية لا أحد بها .

وَشَرُّهُ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبَزَاةِ سَوَالًا فِيهِ وَالرَّخْمُ^(١)
بَأَى لَفْظٍ تَقُولُ الشُّعْرَ زِعْنَفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا هَجَمٌ^(٢)
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقْمَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدَّرُّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ^(٣)

* * *

بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت - مع جلالها وسعتها - لا تعادل تقصيره في حقه وإيثاره لحساده .

(١) الشهب : جمع أشهب ، وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رحمة ، طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . وعبرة اللغة : الرحمة طائر أبقع على شكل النسر حلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . والجمع رخم ورخم قالوا : وهو موصوف بالقدر والموق والقذر . يقول : شر ما قنصه الصائد وظفر به : قنص يشركه فيه البزاة الشهب مع رفعتها والرخم مع ضعتها ودنايتها ؛ وهذا مثل . يعنى شر صيده ما شاركتني فيه اللثام . يريد أن سيف الدولة يجربه في رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء : أى إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له ، فأى فضل لى عليه . ١٢

(٢) الزعنف - وجمعه زعانف - اللثام السقاط من الناس . وهو مأخوذ من زعنف الأديم - الجلد - وهو ما تساقط من زوائده ، أو من زعانف السمك - وهى أجنحته - أو من زعانف القميص وهى ما تخرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش ورذال الناس . وتجاوز من جواز درهم وهو رواجه ، وروى تخور : من خوار البقر ، وهو تصحيف ، كما قال الواحدى ، وإن كان صحيحاً فى المعنى . وهذا كما يروى أن رجلاً قرأ على حماد الراوية شعر عنتره

* إذ تستبيك بذى غروب واضح *

فأبدل من الباء فى « تستبيك » نوناً ، فضحك حماد وقال : أحسنت ، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت . يقول - مخاطباً سيف الدولة - : هؤلاء السقاط من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عرباً ؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب ، ولا كلامهم أعجمى يفهمه الأعجم : أى أنهم ليسوا شيئاً . وعبرة الواحدى : هؤلاء الحساس اللثام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب فليسوا شيئاً ؟ .

(٣) المقة : المحبة . يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى إليك إلا أنه محبة .

وقال وقد عوفى سيف الدولة مما كان به :

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَفْدَانِكَ الْأُمُّ^(١)
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَأَبْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ^(٢)
وَرَأَجَعَ الشَّمْسُ نُورُ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ^(٣)
وَلَا حَ بَرَفُكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَنْبَسِمُ^(٤)

وود ، لأن العتاب يجرى بين المحبين * ويبقى الود ما بقي العتاب * وهو در - يعنى حسن نظمه ولفظه - إلا أنه كلمات ، وعبارته العكبرى : هذا عتابك وهو وإن أمضك وأرجعك عجة خالصة ومودة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه ، وإن كان كلاماً معهوداً في ظاهر لفظه .

(١) قوله وزال الخ : إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك إلى غزومهم كما أشار إلى ذلك في البيت التالى .

(٢) انهلت : سالت . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون . كانت الغارات على بلاد الروم قد انقطعت ، فلما شفى وصح اتصلت الغارات عليها ، فكان الغارات كانت عليه بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى صادف اتصالها شفاءه :

(٣) يقول : إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه ، وكان فقد ذلك النور كان سقمها ، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ومبالغاتهم التي قد تفضى بهم إلى مثل هذا الهذيان وقال بعض الشعراء : البيت مجاز . يريد أن الشمس فقدت بهجتها فى عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم فلما شفى عاد إليها حسنها

(٤) العارضان : شقا القم ، وقيل جانباً اللحية ، وعارضاً الوجه وعروضه جانباً . يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساماً ، فلاح لى منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبسم ، فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحيها وذهب الواحدى والعكبرى إلى أن المراد بالعارض ما يلى الناب من داخل القم ، أو هو الناب ؛ قال الواحدى : ويريد بالبرق ظهور ثغره عند التبسم . يقول : لاح لى ببشرك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه . يشير إلى العطاء الذى يتلو تبسمه . يعنى أنه إذا تبسم بذل ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بمجوده .

يَسْمَى الْحَسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ^(١)
تَفَرَّدَ الْعَرَبُ فِي الدُّنْيَا بِمَخْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعَرَبُ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ^(٢)
وَأَخَاصَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نَصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آلَائِهِ الْأُمَمُ^(٣)
وَمَا أَخْصَصَكَ فِي بُرْءِ بَتْنَيْتِهِ إِذْ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا^(٤)

(١) الحسام : مفعول ثانٍ ليسمى ، والمفعول الأول : نائب الفاعل ، وهو ضمير المدح والواو في « وليست » للحال ، ومشابهة : اسم ليست ، و « من » زائدة ، وخبر « ليست » محذوف : أى وليست من مشابهة بينهما ويشبهه : يتشابه يقول : إن المدح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه ، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما ، فهو أشرف من السياف ، وإن تساويا اسما ، لأن السياف يخدمه فهو مخدوم والسياف خادم ، فكيف يتشابه المخدوم والخادم ؟

(٢) المحدث : الأصل يقول : هو عربى الأمل ، فاختصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم في إحسانه وعطائه ؛ لأن إحسانه شمل الجميع ، وفي مثل هذا يقول البحري :

غَدَا قِسْمَةٌ عَدْلًا فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وَفِي سَرِّوِ نَبْهَانِ بْنِ عَمْرٍو مَأْثَرُهُ

(٣) الآلاء : النعم يقول : إن كانت الأمم مشتركة في إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان : أى أن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم

(٤) هذا من قول أبي العتاهية :

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهُمْ مَاتَ - إِذَا مَا أَلِمْتَ - أَكْثَرُهُمْ

وقال سلوماء معنى « كل » لا على لفظها ، قال الجوهري : « كل » : لفظه واحد ؛ ومعناه جمع قال : فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا - على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى

وأنفذ شاعر إلى سيف الدولة أبياناً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها في المنام فقال أبو الطيب (*) :

قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فِي الْأَحْلَامِ وَأَنْلَنَّاكَ بَذَرَةً فِي الْمَنَامِ (١)
وَانْقَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلَا شَيْءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قُدْرَ الْكَلَامِ (٢)
كُنْتُ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمٌ الْعَيْنِ فَهَلْ كُنْتُ نَائِمٌ الْأَقْلَامِ (٣)
أَيُّهَا الْمُشْتَكِي إِذَا رَقَدَ الْإِعْدَامُ لَا رَقْدَةً مَعَ الْإِعْدَامِ (٤)
إِفْتَحِ الْجَفْنَ وَأَتْرُكِ الْقَوْلَ فِي النَّوْمِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الْأَنَامِ (٥)
الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلَا مِنْهُ هُوَ بِدِيلٌ وَلَا لِمَا رَامَ حَاجِي (٦)

* كان هذا الشاعر من بغداد ، وبسمى ابن للنجم وأبياته هي :

كَانَ رَسْمُ النَّوْمِ مِثْلَ شِعْرِ الْمَنَامِ فَأَقَى حُسْنًا كَلْوَالِي فِي نِظَامِ
لَمْ يُقَدَّرْ لِقَاؤُكَ الْيَوْمَ فَاسْتَظْهَرْتُ فِيهِ بِالْكَتَبِ وَالْأَقْلَامِ
وَلِيَ الرِّسْمِ مِنْ تَطَوُّلِكَ الْجِسْمِ وَذَلِكَ الْإِفْضَالُ وَالْإِنْعَامِ
فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقَّعْ فَإِنِّي مُوْتَقٍ الْحَالِ فِي يَدِ الْإِعْدَامِ
زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَعُـلْوًا وَسُرُورًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

(١) البذرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سميت ببذرة السخلة - جلدها -
(٢) النوال : العطاء يقول : كان مدحك لنا في الحلم ، وكذلك نحن أجزنا على
الحلم بالحلم ، فكانت الجائزة على نحو مدحك يريد تسفيه رأيه وتحقيقه إذ لم يجعل مدحه
لسيف الدولة غرضاً يقصده

(٣) كنى عن رداءة لفظه وخطه ، يقول : قد كان لفظك رديئاً لأنك قلت في
النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبتة حتى جاء الخط رديئاً أيضاً ؟

(٤) الإعدام الفقر يقول : أيها المشتكى الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر ؟

(٥) افتح الجفن : أي لا تكن غافلاً ، وفيه نكتة لا تخفى يقول : إن القول الذي قلته في النوم
لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا تخاطبه كما تخاطب سائر الناس

(٦) يقول : لا يفتي عنه أحد ولا يقوم مقامه ، لعموم فضله ولا يكون منه بدل ،
لجلالة قدره ، ولا يمنع منه أحد ما يطلبه ، لسعة قدرته

كُلُّ آبَائِهِ كَرَامٌ بَنِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمٌ الْكَرَامُ^(١)

وقال يمدحه ويذكر ببناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة^(*).

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ^(٢)
وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا وَتَصَغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْمَظَامُ^(٣)

(١) يقول : إن عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته

(*) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها ، وكان أهلها قد سلموها إلى المستق بالآمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فزحف سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله يده ، فلما كان يوم الجمعة نازله المستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ، ووقع القتال يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من أول النهار إلى العصر ، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقا كثيرا ، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ، ووضع يده آخر شرفة منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث .

(٢) العزم : الجد - عزم على الأمر عزمًا : أى أراد فعله - وقال الليث العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله والعزائم : جمع عزيمة ، وهى ما يعزم عليه من الأمر . والمكارم : جمع مكرمة ، فعل الكرم . يقول : إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم ، فمن كان كبير المهمة قوى العزم كان الأمر الذى يعزم عليه عظيما ، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها : فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم . والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال ، فإذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ، وهذا كقول عبد الله بن طاهر :

إِنَّ الْفُتُوحَ عَلَى قَدَرِ الْمُلُوكِ وَهَمَّاتِ الْوُلَاةِ وَإِقْدَامِ الْقَادِرِينَ

(٣) الضمير في « صغارها » للعزائم والمكارم . يقول : إن صغار الأمور عظيمة في عين الصغير القدر إذ تملأ ذرعه ، وعظامها صغيرة في عين العظيم القدر . لأن في همته فضلا عنها . يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة وما فعل في الواقعة التى ذكرنا من نفاذ أمره وجماله وقدره .

يَكْلَفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَهُـ

وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمُ^(١)

ويطلبُ عندَ النَّاسِ ما عندَ نفسه وذلكَ ما لا تدَّعيه الضَّرَاغِمُ^(٢)

يُفَدِّي أُنْثَى الطَّيْرِ عُمراً سِلَاحَهُ نُسُورُ الْمَلَأَ أَحْدَاثُهَا وَالْقَشَاعِمُ^(٣)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِفَيْرٍ تَحَابٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ^(٤)

(١) الهم : المهمة ، وهو ما هممت به من أمر لتفعله ، والخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير العظيم من كل شيء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات ، وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به ، لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله .

(٢) الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقداماً . وذلك شيء لا تدعيه الأسود ، فكيف تبلغه البشر ؟

(٣) نسور : بدل من أنثى الطير ، أو عطف بيان ، وأحداثها والقشاعم : بدل تفصيل من نسور ، والملا : بمعنى الفلاة . وروى الفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء . والأحداث الشابة ، جمع حدث : والقشاعم : الطويلات العمر ويقال للحرب والمنية والفلة أم قشعم وبكل أولئك فسر قول زهير :

فَشَدَّ وَلَمْ يُفْرِغْ بِيُوتَا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُ قَشْعَمٍ^(١)

وأراد بأنثى الطير : عمر النسور ، وقد بينه بالمصراع الثانى . يقول : إن النسور صفارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا ، لأنها كفتها مؤنة طلب الاقوات ، لكثرة القتلى في وقائعه .

(٤) « ما » : نفي ، أو استفهام إنكار ؛ وخلق : مصدر خلق يخلق والخاب : جمع غلب ، وهو لسباع الطير كالظفر للانسان والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف أى مقبضه . يقول . ليس يضر الأحداث من النسور - أى الفراخ - والقشاعم - أى

(١) من معلقة زهير . يقول : فحمل حصين بن ضمضم على الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يفرغ بيوتا كثيرة ؛ أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل النية ، وملقى الرجل المنزل لأن للسافر يلتقى به رحله . أراد عند منزل النية وجعله منزل المنية لحلولها لـ حصين

هَلْ اَلْحَدَثُ اَلْحَمْرَاهُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أَى السَّاقِيَيْنِ اَلْفَنَاءُ ^(١)
 سَقَتَهَا اَلْفَنَاءُ اَلْفَرْ قَبْلَ نَزْوِلِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتَهَا اَلْجَمَاجِمُ ^(٢)
 بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَفْرَعُ اَلْقَنَا رَمَوْجُ اَلْمَنَآيَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ ^(٣)
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ اَلْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثِّ اَلْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ ^(٤)

المسنة التي ضعفت عن طلب القوت - وخص هذين النوعين لعجزها عن طلب الرزق - ليس يضر هذين أن لا يكون لها محالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فإنها تقوم بكفاية قوتها ، ولك أن تقول إن المعنى : وما ضرها لو خلقت بغير محالب ؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار بيمظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلما . وعبارة العكبرى - وهي بمعنى التفسير الأول - : ما يضرها أن تخلق بغير محالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها في ذلك ما ترغبه ، وتفعل لها ما تريده . وتطلبه . هذا : وقد مر في هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء في هذا المعنى ، ومن مستحسن ما قيل في ذلك قول ابن نباتة السعدي - وقد أخذه من المتنبي - :

وَيَوْمَاكَ يَوْمٌ لِلْعَفَاةِ مُذَلَّلٌ ويوم إلى الأعداء منك عَصَبُصَبُ
 إِذَا حَوَمَتْ فَوْقَ الرِّمَاحِ نُسُورُهُ أطار إليها الفَرْبُ ما تَقَرَّبُ

(١) الحدث : قلعة معروفة بناها سيف الدولة في بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم ، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها ، فأناهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم ، يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها ؟ يعني أنه غير ما كان من لونها بالدم - وهل تعلم أى الساقيين لها هو الفَنَاءُ : أجماع الروم التي سقتها بالدم ، أم السحاب التي سقتها بالمطر ؟ يعني أن الجماع أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحاب من الماء ، فهي لا تدرى أى هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالفَنَاءُ لأنهما استويا في السقيا . وقد بين هذا المعنى في البيت التالي . وقوله أى الساقيين الفَنَاءُ : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولى تعلم .

(٢) الفناء : جمع غمامة ؟ والفر : البيض .

(٣) فأعلى : أى فأعلاها . والقنا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع ورماح الروم والجيشان يتقاتلان والنبايا تسلب الأرواح ، واستعار للنبايا موجاً متلاطماً لكثرتها : أى لكثرة القتل ، فكان النبايا بحر تتلاطم أمواجه

(٤) مثل : اسم كائن ، وهو خلف من موصوف : أى شيء مثل الجنون ؛ وأصبحت

طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقِمًا فَرَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيءِ وَانْدَهَرُ رَاغِمٌ^(١)
تَفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ وَهَنْ لَمَّا يَأْخُذُنْ مِنْكَ غَوَارِمٌ^(٢)

تامة ، والواو بعدها للحال . والتمائم : جمع تيممة ، وهى العوذة ، يتوقون بها مس الجن
جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها
فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت
الفتنة وسلم أهلها ، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها حيث أذهبت ما بها من الجنون . وهو
إسكان الفتنة ؛ قال أبو الطيب : مارد على أحد شيئا قبلته إلا سيف الدولة فإني أنشدته
ومن جيف القتلى ، فقال لى : منه ، قل : ومن جثث القتلى ، قبلت وقلت كما قال لى .
قال ابن وكيع : وقد لا ذاب أبو الطيب بقول أبي تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونَهَا إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنَفْمَةِ طَالِبٍ

(١) الطريدة : الطروذة ؛ أى ما طردته من صيد أو غيره . والخطيئ : الرماح وراغم
ذليل ؛ وأصل الرغم : أن يلتصق الأنف بالرغام - أى التراب - يقول : إن هذه القلعة
كالطريدة أمام الدهر تعقبها حوادثه إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها
ورددتها على أهل الدين ، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد .

(٢) تفيت : من الفوت ، وأفاته الشيء : حمله على فوته ، وفاعل تفيت : ضمير
المخاطب ، والليالى : مفعول أول ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة ؛ وكل شيء : مفعول
ثان . وغوارمه جمع غارمة ، وغرم الدين والغصب وغير ذلك : أداه . يقول : إذا سلبت
الليالى شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك ، وهى إذا أخذت منك شيئا غرمته
وروى أخذه - بالنون - ضمير الليالى ، فتكون الليالى فاعل « تفيت » وللمفعول الأول
عحنوف : أى من عادة الليالى إذا أخذت شيئا أن لا ترده على صاحبه فتفيتها إياه ؛ فإن
أخذت منك شيئا غرمته : يعنى أنت أقوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد
عليك ؛ وهذا من قول بعضهم :

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بَوْتَرِهِمْ وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرٍ

وقال الطرماع :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تُدْرِكُ أَخِيذَتُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَدَمَّى الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ

وقال التبريزى وابن القطيع : من رواه بالنون أقصد للننى ، قال ابن القطيع : قال
لى شيخى محمد بن البراء النيمى : قال لى صالح بن رعد : قرأت على المتنبي أخذه بالنون
(٧ - المتنبي)

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فَمُضَارِعًا
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُتْلَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ^(١)

فقال : صحفت يا أبا علي ، قلت : وكيف قلت ؟ فقال : قلت أخذته - بالتاء - لأنني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولي في آخر البيت ، وذلك أن تنفيت يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت « الليالي » فاعله ونسبت « كل شيء » لم يكن مفعولا ثانيا ففسد الإعراب ، وإذا قلت بالتاء جعلت « الليالي » مفعولا أولا و « كل شيء » ثانيا . وأما فساد المعنى فلو جعلت « الليالي » الفاعلة لجعلتها تنفيت كل شيء ولا تنفرمه ، ثم نقضته بقولي : * وهن لما يأخذن منك غوارم * وإنما المعنى تنفيت ياسيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها فلا تنفرمه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى

(١) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا ، فالضارع هنا المراد به المستقبل ، يقول : إذا نويت أن تفعل أمرا فكان ذلك فعلا مستقبلا مضى ذلك الذي نويته قبل أن يحزم ذلك الفعل ؛ وأراد بالجوازم : « لم ؛ و « لا ، ولام الأمر » أي إذا نوى أن يفعل أمرا مضى قبل أن يقال له لا تفعل ، لأنه يسبق بما يهيم به نهى الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال : ليفعل كذا وليعط فلانا ولينجز ما وعد به : أي أن ما ينوي فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهى أو طلب ، وبعبارة بعض الشراح : إذا نويت أن تفعل أمرا وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجوازم ، وخس أدوات الجزم من عوامل المضارع ، لأنها تغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو « لم » و « لا » ومنها للطلب ، وهو « لا » و « اللام » وبواقبها للشرط ، فكانه يقول : إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ، ولم فتتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء ، كأن يقال إن تفعل كذا يترتب عليه كذا لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط ، ولا يخاف وراءه عاقبة . وبعبارة العكبري : يريد : ما أسعده الله به وأظهره له من سعده في قصده ، فإذا كان ما ينويه فعلا مستقبلا - ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذي لم ينقطع وعلى المتأخر الذي لم يقع - صار ذلك الفعل ماضيا بوقوعه منه ، ومتصرفا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازم ، فتثبت فيه لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيها لم يقع ، قال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول أبي تمام :

خرقاه يلعبُ بالمَقُولِ حَبَابُهَا كتلاعب الأفعال بالأسماء^(١)

(١) من قطعة في وصف الحر .

وَكَيْفَ تَرْجَى الرُّومَ وَالرُّوسُ هَـذِمَهَا
وَذَا الطَّنُّنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمٌ^(١)
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَآيَا حَـوَاكِمٌ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ^(٢)
أَنْتُوكَ يَجْرُؤُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِحِيَادٍ مَا لَهَنَ قَوَائِمٌ^(٣)
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ نِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ^(٤)

قال العكبري : والبيت بناء على التورية .

(١) الآساس : جمع أس . قال أهل اللغة : الأس - وهو أصل البناء - يجمع على إساس مثل عس وعساس : جمع الإساس : أسس ، مثل قذال وقذل ؛ وجمع الأسس : آساس ؛ مثل سبب وأسباب . والدعائم : جمع دعامة ، وهي عماد البيت ، وكل شيء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة يقول . كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهي موثقة بطنك الذي أعملته فيهم ؟ فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين ، والنايا في الحرب حاكمة بينهما حكمت للمظلوم - وهو القلعة - بالسلامة ، فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها ، وحكمت على الظالم - وهو الروم - بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى : سير الليل ؛ والحياد : الخيل . يقول . أتوا مدججين في السلاح ، ولكثرة الحديد عليهم وطى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها : أى لا ترى ، لأنها محجبة بالتعافيف التي على الخيول .

(٤) البرق : اللعنان ؛ والبيض : السيوف . وبرقوا : يعنى الروم . يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ ونياهم الدروع ، فهم كالسيوف : فقوله نياهم من مثلها : أى من مثل السيوف ، يعنى من الحديد : قال العكبري : وأشار بهذا الوصف - أعنى كثرة سلاح هذا الجيش - إلى قوته ، وعبرة بعض الشراح : إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم ، لأن أبدانهم مغطاة بالدروع وراء وسهم بالخوذ ، وكلها من الحديد ، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها : وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعائم على الاستتارة ، لأنها تلبس في أمكنتها . قال العكبري : وصمعت بعضهم - وكان شيخنا يقرأ عليه هذا

خَيْسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبِ زَخْفٌ
وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمٌ ^(١)
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَفْهَمُ الْخُدَّاتِ إِلَّا التَّرَاجِمَ ^(٢)

الديوان - يقول : أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العاهم والعاهم للعرب وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله وقلت له : الضمير في « مثلها » إلى أين يعود ؟ أليس إلى البيض ، وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت .

(١) الخيس : الجيش العظيم . سمي بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف : التقدم ؛ وأصله التي مع تناقل . والجوزاء : نجمان معترضان في جوز السماء : أى وسطها ، وهما من البروج ؛ والزمازم : الأصوات التي لا تفهم لتداخلها ، وأصل الزمزمة : صوت الرعد ؛ وأراد الأصوات الشديدة للتداخلة . يقول : إن هذا الجيش لكثرت طبق الأرض وبلغت أصواته السماء . قال الواحدى : وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان . قال الشراح : ولم يسمع في وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبى تمام :

مَلَأَ الْمَلَأَ عُصْبًا فَكَادَ بَأْنُ يُرَى لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

(٢) اللسن : اللغة ، واللسان أيضا . والحدّات : جمع حادث ، بمعنى يتحدث ؛ ومنه قول المجنون :

أَتَيْتُ مَعَ الْخُدَّاتِ لَيْلِي فَلَمْ أَبْنِ فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَعَجَمْتُ عِنْدَ خِلَائِي
ذَهَبْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَبْنِ جَوَابًا كَلَّا الْيَوْمِينَ يَوْمُ بِلَائِي ^(١)
وقول سويد بن أبى كاهل :

يُسْمِعُ الْخُدَّاتُ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ

والتراجم : جمع ترجمان - بفتح التاء وبضمها - اتباعا لضم الجيم - يقول : اجتمع في هذا الجيش كل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات ، فإذا كلم جيل منهم من

(١) قال الزجاجى فى أماليه : أخليت : وجدتھا خالية - مثل أجبنته - أى وجدتھ جيانا ؛ فلى هذا يكون مفعول « أخليت » محذوفا : أى أخليتها . وقد أورد البيت الأول كل من الجوهري وابن منظور حكيم منسوبا إلى عتي بن مالك العقيلي ، وفو الحكم : عند خلاصنا وبلايا .

فَلَّاهِ وَقْتُ ذَوْبِ النَّشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ^(١)
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(٢)
وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٣)

ليس من أهل لفته : احتاج إلى مترجم يترجم له وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة

(١) عنى بالنش : الضعاف من الرجال والأسلحة والصارم : السيف القاطع . والضبارم : الشجاع الجريء ؛ وأصله الأسد الشديد الغليظ . يتعجب من ذلك الوقت القدي قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم يقول : ما كان عموها مغشوشاً هلك وتلاشى لرداءه كأنه ذاب بنار الحرب . ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم ، وبعبارة أخرى : إن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديئاً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٢) يقول : تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لا يقدرّون على المصادمة ومن روى « قطع » أراد الوقت ، يعنى أن الوقت كان صعباً لم يبق معه إلا التخلص من الرجال والأسلحة

(٣) الردى : الهلاك . يقول : وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه ، حتى كأنك في جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن إسماعيل القاضى يقول : سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والقى بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدرى ما وقال له كأن ينبغى أن تقول .

وقفت وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ ووجهك وضاح وثغرك باسِم
تمرُّ بك الأبطالُ كلُّى هزيمَةً كأنك في جفنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
ثم قال وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنى لم أركب جواداً لِلدَّةِ ولم أتبطن كاعباً ذاتَ خلخالٍ
ولم أشبأ الرِّقَّ الرَّوِّىَ ولم أقلْ لِحْلَبَى كُرِّى كَرَّةً بعدَ إحفالٍ

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَفَرُّكَ بِاسْمِ^(١)

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثاني ، وعجز الثاني مع الأول ، ليستقيم الكلام ، فيكون ، ركوب الحيل مع الأمر للخيال بالسكر ، ويكون سبأ الخمر مع تبطن الكاعب ؛ فقال أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك : لأن البراز يعرف جلته ، والحائك يعرف جلته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه : ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية : قلت * ووجهك وضاح وتفرك باسم * لأجمع بين التضاد في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارا من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار . قال الواحدى : ولا تطابق بين الصدر والعجز أحسن من يقيق للتنبى ، لأن قوله * كأنك في جفن الردى وهو نائم * هو معنى قوله * وقفت وما في الموت شك لواقف * فلا يعدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحقق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة الموت . وقوله « تمر بك الأبطال » هو النهاية في التطابق للمكان الذى تكلم فيه الأبطال فتكلح وتعبس . وقوله « ووجهك وضاح » لاحتقار الأمر العظيم .

(١) كلمى : جمع كلم ، بمعنى جريح . وهزيمة : أى منهزمة . وهو من باب فعمل بمعنى مفعول ، والثناء فيه للجمع ، على مذهب البصريين ، ووضاح : مشرق ، والمعنى ، ظاهر ، ولكن الإمام العكبرى أبى إلا أن يفسر البيت بعبارته المسبوعة الجميلة ، قال : أى تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عزملك ، ولا يضعف نفسك ، بل كنت حينئذ وضاحا غير متخوف ، وبساما غير متضجر ، وانقأ من الله نصره ، متيقنا بما وصلك به من جميل صنعه ، قال : وهذا كما قال مسلم بن الوليد :

يَفْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْجَرْبِ مُبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُهُ الْفَارِسُ الْبَطْلُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالْثَمَى
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(١)
صَمَّمْتَ جَنَاحَهُمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً^(٢) تَمُوتُ الْخَوَافِ تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(٣)
بِضَرْبِ أُنَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرِ غَائِبُ^(٤) وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرِ قَادِمُ^(٥)

(١) انتهى : جمع نية ، وهى العقل ، وإلى قول قوم : صلة « تجاوزت » ، وتمة البيت : مفعول القول . يقول : أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها . يعنى أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكتفى في مثله العقل والرصانة ، فكأنك قد كشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك ، فلبثت في تلك الحال وضاحا بسبما لا تسكرت لما تراه حولك من الأهوال : قال ابن جنى في تعليقاته على هذا البيت : في آخره بعض التنافر لأوله ، لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطنة : لكان أليق بعلم الغيب إلا أنه كان في ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ؛ لأنه كان قد عرف ما يصير إليه فشجع ولم يحذر للوت .

(٢) بريد بالجناحين ؛ ميحنة الجيش وميسرته ، وهما جانبى العسكر . ولما سماها جناحين ؛ جعل رجالها خوافى وقوادم ؛ والجناح : يشتمل على القوادم وهى من الريش ما فوق الخوافى ، قيل إنها عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وعليها معوله في طيرانه والخوافى : ما تحت القوادم . يقول : لففت جناحى العسكر - عسكر الروم - على القلب فأهلكك الجميع ، وقوله تموت الخوافى تحتها : أى تموت تحت مثل هذه الضمة ، ولذلك عبر بالمضارع .

(٣) بضرب : متعلق بضممت ، والهامات : الرؤوس ؛ واللبات : النحور . بريد سرعة انتصاره عليهم ، يقول : لم يك إلا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما ، فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك ، وقال ابن جنى : إذا ضربت عدوا فحصل سيفك في رأسه لم تعد ذلك نصرا ولا ظفرا : فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته ، فحينئذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه . وبعبارة ابن فورجة : - وهى في عراض ما قلناه - إنما عذ

حَفَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرُّمَحِ شَاتِمًا^(١)
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِلَافُ الصَّوَارِمُ^(٢)
نَثَرَتْهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ كُلِّهِ
كَأَنَّ نِزْتَ فَوْقَ الْمَرْوَسِ الدِّهَامِ^(٣)
تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ^(٤)

أبو الطيب سرعة وقوع النصر وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف للضروب به من الهامة إلى اللبة ، كأنه يقول : نازلت العدو والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر .
(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة بالجماعة كانت هي وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف . لاقتضائه مقارنة ما بين الفريقين في القتال ؛ لهذا عمدت إليه واخترتة ؛ ولما آرت السيف على الرمح في القتال صار كأن السيف يعير الرمح لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكانه يسبه بالضعف وقلة الغناء . وعبرة العكبري - التي لا تخرج عن هذا وإنما نوردتها لجمالها - قال : إنك طرحت الرماح واستقلت فعلها ، وعدلت إلى السيوف عالما بفضلها ، واعتمدتها لخبرتك بأمرها ، فكانها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وأهانتها تسخطاً لفعلها :

(٢) البيض : السيوف ؛ والخفاف : الرهفة ؛ والصوارم : القواطع ؛ ومفاتيحه : أي مفاتيح الفتح .

(٣) الأحيدب : جبل الحدث . ونثرتهم : فرقهم . يقول : نثر جشهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدرهم على العروس ، يعني تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تفرق مواقع الدرهم إذا نثر ، قال العكبري : وهذا من محاسن أبي الطيب ، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكم في الروم قتلاً وأسرًا ، وبشر جيشهم فوق هذا الجبل ثراءً .

(٤) وكر الطائر : موضع مبيتة ؛ والجمع : وكور ؛ والذرى : أعلى الجبال . يقول : إنك تمسهم بخيلك في ردوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تسكثر مطاعم الطير حول وكورها . وعبرة بعض الشراح : تدوس بك الخيل في آثار الروم وكور الطير في ردوس الجبال وقتن الأوعار وقد كثرت الجثث من القتل حول الوكور

تُظَنُّ فِرَاحُ الْفُتُخِ أُنْكَ زُرْتَهَا بِأَمَانَتِهَا وَفِي الْعِتَاقِ الصَّلَادِمُ^(١)
 إِذَا زَلَقْتَ مَشْيَتَهَا يَبْطُونَهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ^(٢)
 أَيْ كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدَّمِستَقِ مُقَدِّمُ قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَا تَمُ^(٣)
 أَيْنَكِرُ رِيحَ اللَّيْثِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمُ^(٤)

بكثرة من قتلته هنالك فرسانك ومن أهلكه من الروم جيشك وغلماذك ، وأشار بذلك - أى كثرة الجثث حول وكور الطير مع انزاح مواضعها وامتناع أماكنها - إلى ما كان الروم عليه من شدة الحرب . وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب . وأنهم قتلوه في رءوس الجبال ، وأدركوه في أبعد غايات الأوعار .

(١) الفتخ : جمع فتخ ، إناث العقبان ، سميت بذلك لطول جناحها ولينه في الطيران والفتخ : لين المفاصل . والأمامات : جمع أم فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمهات حملا على من يعقل : والعناق : كرام الخيل ؛ والصلادم : جمع صلدم ، وهى الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراح العقبان - لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها - أنها أمهاتها ؛ يعنى أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، كما قال :

نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَصْمَدُنَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعَقْبَانِ
 وقال ابن الأثير : تظن فراح العقبان - لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى - أنك زرتها بأمانتها فأمدها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ؛ والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول : إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال جعلتها تمشى على بطونها فى تلك المزالق مشى الحيات على بطونها فى الصعيد ، يصف صعوبة مراقبتها فى الجبال .

(٣) الدمستق . صاحب جيش الروم ، وأقدم : خلاف أدبر . وقوله قفاه - إلى آخر البيت - حال من الضمير فى « مقدم » . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلاً له : لم أقدمت حتى عرضتني للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب فى قفاه

(٤) الليث : الأسد . ويذوقه : معناه يجره ويختبره - يقال ذاق ما عند فلان : أى جربه - والضمير : لليث . يشبر إلى أن الدمستق أجهل من البهائم لأن البهائم إذا شمّت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم وهذا على طريق التمثيل ، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ، ويبلغ

وَقَدْ فَجَعْتُهُ بِابْنِهِ وَأَبْنِ صِهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْفَوَاشِمِ^(١)
مَضَى شَكْرُ الْأَصْحَابِ فِي قُوْتِهِ الظُّبَيِّ

بِمَا شَفَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ^(٢)
وَيَفْتَهُمْ صَوْتَ الْمَشْرِقِيَّةِ فِيهِمْ^(٣) حَتَّى أَنْ أَصْوَاتِ السُّيُوفِ أَعَاجِمُ^(٤)
يُسْرُهُ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جِهَالَةٍ وَلَكِنْ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ^(٥)

شجاعته ، فيأتيه مقاتلاتهم ينهزم ؛ ولو هو خام عن اللقاء وانهمز من غير قتال لكان أحزم .

(١) فجعه : رزاه بشيء يكرم عليه . وجمع فعلة : فعلات . بفتح العين في الصحيح . وإنما أسكن اليم من حملات ضرورة . والصهر : أهل بيت المرأة ؛ ولا يقال لأهل بيت الرجل إلا أختان ، وأهل بيت المرأة أصهار ، يقال صاهرت القوم : إذا تزوجت فيهم وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحمرت بهوار أو نسب أو تزوج ، وقال ابن الأعرابي الصهر : زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته . ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأسماء والأختان جميعاً ، والفواشم : التي لا تبالي من أخذت ؛ يقول : هلا اعتبر بمن رزته من هؤلاء فلا يجترأ على العود إلى الإقدام ؛ وعبرة العكبري : يريد أن حملات سيف الدولة فجعت الدمستق بآبائه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الفواشم للأقران ، الفواصب لا نفس الفرسان ، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض لهما أسلف سيف الدولة من الإيقاع ؟

(٢) الظبي : جمع ظبية ، حد السيف ، والهام : الرءوس ؛ والمعاصم : جمع معصم ؛ أطراف السواعد . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ، فكانهم وقوه السيوف برؤسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف .

(٣) المشرقية : السيوف . قال أهل اللغة : المشارف : قرى من أرض اليمن ؛ وقيل من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرقية : منسوبة إليها ، يقال سيف مشرفي ولا يقال مشارفي ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن لا يقال مهالي ولا جعافري ولا عباقرى . يقول : إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنهم تقتلهم ، فجذ في الحرب ، مع أن أصوات السيوف عجباء : أي ليست ذات لفظ يفهم والمعنى إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون .

(٤) يقول : إن الدمستق يسر بما أخذه من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ الشَّرِكُ هَازِمٌ^(١)
تَشْرَفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَيْبَةَ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ^(٢)
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ^(٣)
وَإِنِّي لَتَمْدُؤُ بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ^(٤)
حَلَّى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعِيهِ الْغَمَاجِمُ^(٥)

لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له ؛ إذ نجما هو واشتغل عسكري بها عنه ، وليس سروره جهلا بحالته ، وإن الذي انتهت أمواله ليس من شأنه أن يسر ، ولكنه حين نجما برأسه غام وإن كان مغنوم : أى لايبالي بغيره إذا نجما هو ، لأن السلوب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب . قال العكبري ؛ وهذا مثل قول بسطام ابن قيس في المثل : السلامة إحدى الغنيمتين .

(١) التوحيد : خبر أول لـ «كن» ؛ وهازم : خبر ثان . يقول : لست في هزمك الدمستق ملكا هزم ملكا مثله ، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك ، لأنك سيف الإسلام وزعيمه ، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه ، فكلما كازعيم ملته .

(٢) الضمير في «به» : للمليك : قال العكبري : ولو كان بدل الماء «كاف» لكان أجود حتى يكون غاطبا . وعدنان : أبو العرب : وريبة : بطن من عدنان ، وهى قبيلة سيف الدولة ، والعواصم : بلاد قصبتها إنطاكية . يقول : إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم ، وليس يفتخرك رهطك فقط ، وأنت غفر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا .

(٣) يريد بالدر : شعره . يقول : المعانى لك واللفظ لى ، فأنت تعطينى المعانى بأفعالك ومناقبك ، وأنا أنظمها بتقييدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى :

ودونك من أقاويل مديحاً غدا لك دُرُّهُ وَلِيَّ النظامُ

(٤) تعدو : تجرى وتسرع . والوغى : الحرب . يقول : إني أمتطى في الغزو خيلك التى أعطيتها ، فلست مذموما فى أخذها ، لأنى شاكر أياديك ناشر ذكرك ، ولست أنت نادما على ما أعطيتنى ، لقياى بحق ما أوليتنى .

(٥) «على» صلة تعدو ؛ ولك أن تجعلها من صلة «نادما» : أى لست نادما على هبتك لى كل فرس طيار ، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال : أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها برجله عوض الجناح ،

أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُقَمِّدًا وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ^(١)
هَنِيئًا لِفَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَى وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنْتَ سَالِمٌ^(٢)
وَلَمْ لَا يَبْقِ الرَّحْمَنُ حَدِيثَكَ مَا وَفَى وَتَفْلِيغُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمٌ^(٣)

يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة ، والغغام : الأصوات المختلطة هي أصوات المتحاربين ؛ وما أبدع قول ابن المعتز - ولعل بيت المتنبي ينظر إليه - :
وليلٍ ككحل العين خضتُ ظلامه بأزرقَ كساعٍ وأخضرَ صَارِمِ
وطيارةٍ بالرجل خوفًا كأنما تصافحُ رَضْرَاضَ الحصى بالجامِ
(١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد - إذ هو دائماً مجرد على أعدائه - وليس يرتاب - يشك - في هذا أحد ، ولا يعصم - لا يحمي ولا يمنع - منك - شيء لا حصن ولا حديد ، وبروى : لست وفيك ومنك .

(٢) الهام : الرئوس . والعلی : الراتب العالية . وأنت سالم : فاعل هنيئاً ، وهي حال محذوفة العامل ، والأصل : ثبت هنيئاً : غذف الفعل وقامت الحال مقامه ؛ وقد تقدم في هذا الشرح القول على هنيئاً بأوفى من هذا . يقول : لتنهأ هذه المذكورات بسلاستك لأنك قوامها ، ففرب الهام أنت أحقق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلاء أنت جامع شملها وراجى مكارمك التي لا تمطل بفضلها ، والإسلام لأنك أعزته .

(٣) لم : استفهام إنكار : وأصلها « لم » بفتح الليم فسكنها ، وهو مخصوص بالضرورة و « ما » من قوله « ما وقي » ظرفية زمانية ، وتفليغه : حال من الرحمن . يقول : لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيالاته للأشياء - أي أبداً - وأنت سيفه الذي يصول به على أعدائه ؟

وقال : وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب المهدنة ، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هَمَامُ ، وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ غَمَامُ^(١)
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ، وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ^(٢)
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيَا ، كَفَّاهَا لِمَامُ لَوْ كَفَّاهُ لِمَامُ^(٣)
فَتَى تَتَّبِعُ الْأَزْمَانَ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ
لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ^(٤)

(١) راع : أفزع وخوف ؛ والاستفهام استفهام تعجب ؛ وكذا : نائب مفعول مطلق : أى روعا كهذا الروع الذى أرى ! والهمام الملك العظيم الهمة . وسح الماء : صبه . يقول : هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم ؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالى الرسل إلى حضرته كسح الغمام ، يعنى هل أفزع ملك قبله كل الملوك فرعا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام ؟
(٢) دانت : أطاعت ، وقيام : أى قائمة - كأنه من باب صاحب وصحاب - يقول : هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له ، فأصبح جالسا لا يسى فى تحصيل مراد وقامت الأيام تسمى فى تحصيل ما يريد ؟
(٣) اللام : الزيارة القليلة ، قال جرير :

بنفسى من تَجْنِبُهُ عَزِيزٌ عَلَى وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامٌ

يقول : إذا غزام كفاهم أدنى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك ، لكنه لا يكتفى حتى يبلغ أقاصى بلادهم .

(٤) الأزمان : جمع زمن ، وزمن مقصور من زمان ، وفى الناس : صلة « تتبع » ، والخطو : نقل القدم أو الزمام : ماتقاد به الدابة يقول : إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس على مراده : فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ، حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء . يشير إلى قوة سعيه وإقبال جده .

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسُلُ أَمْنًا وَغِيْطَةً ، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ^(١)
 حِذَارًا لِمُرُورِي الْجِيَادِ فَجَاءَةً إِلَى الطُّغْنِ قَبْلًا مَا لَهْنٌ لِحِلَامٍ^(٢)
 تَعْطَفُ فِيهِ وَالْأَعْنَةُ شَعْرُهَا ، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ^(٣)
 وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلَ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ^(٤)
 إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسُلَ عَمَّا أَتَوَالَهُ كَأَنَّهُمْ فِيمَا وَهَبَتْ مَلَامُ^(٥)

(١) العبطة : حسن الحال . يقول : إنك تحسن إليهم وترعاهم ، فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم إليك يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك ، وقد بين ذلك في البيت التالي . هذا : ولناسبة « ليس » من قوله ليس تنام ، قال العكبري : « ليس » هنا تحتل أمرين : أحدهما أن يكون استعمالها استعمال « ما » : كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيوييه ، والثاني أن يكون في « ليس » ضمير ، وحذف تاء التأنيث ضرورة ، والأجود أن تكون بمعنى « ما » فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلا ماضيا فالواجب أن يقول : ليست تنام .
 (٢) حذارا : مفعول له ، وهو مصدر حاذر ، واعروري الفرس : ركه عريانا : وقوله إلى الطمن : متعلق بعروري . والقبل : جمع أقبل وقبلاء ؛ وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسا وعزة نفس ؛ وقيل معنى قبلا ههنا : مقبلة ؛ تقول أقبلت قبله : أي قصدت نحوه . يقول : هم لا ينامون حذرا من سيف الدولة الذي يركب الخيل عريا إلى الحرب : يعني لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركبها .

(٣) الضمير من « فيه » في للصراعين : للطمن المذكور في البيت السابق والأعنة . جمع عنان ، سير اللجام . والسياط : جمع سوط ، ما يضرب به الراكب . يقول : إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها اتقادت كما تنقاد بالعنان ، وإذا زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط ، قال العكبري أراد : أن يقول والأعنة معارفها ، فصارح له الوزن ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف .

(٤) القنا : الرماح . يقول : لا غناء إلا بالرجال والفرسان ؛ فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

(٥) فيما وهبت : متعلق بعلام . يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الدَّمَامَ طَوَاعَةً
وَإِنْ نَفُوسًا أَمَمْتُكَ مَنِيعةً
إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِكٍ أَجْرَتُهُ
لَهُمْ عَنْكَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ تَفَرُّقٌ
تَفَرُّ حَالَاوَاتُ النَّفُوسِ قُلُوبَهَا
وَشَرُّ الْحَمَامِينَ الزُّوَامِينَ عَيْشَةً
فَمَوْذُ الْأَعَادِي . بِالْكَرِيمِ دِمَامٌ ^(١)
وَإِنْ دِمَاءٌ أَمَلْتِكَ حَرَامٌ ^(٢)
وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجَوَارَ نُسَامٌ ^(٣)
وَحَوْلَكَ بِالْكَتَبِ اللَّطَافِ زِحَامٌ ^(٤)
فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامٌ ^(٥)
يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ ^(٦)

اللائمين لك في العطاء : أى كما أنك لا تصنى إلى ملامة لأثم في سخائك . فكذلك لا تقبل الهدنة ، وهذا هو للدح الوجه .

(١) الدمام : العهد ؛ وطواعة : حال : أى طائعاً . وعاذ به عوداً لجأ . يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهداً وصلحاً طواعة فليأذم بك يوجب لهم الدمام ، لأن من لاذ بالكريم وجبت له الدمة ، وإن كان عدواً : أى فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم . ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٢) أمتك : قصدتك . والحرام : الذى لا يستباح . يقول : إن من قصدك راجياً صار منيعاً بقصدك وحرمت إراقة دمه ؛ لأنها قد دخلت في حرمتك وراحيك لا يضيع .
(٣) الملك والمليك : واحد . وسيفك : مفعول خافوا ، والواو : للحال . ونسام : تكلف ؛ والجوار : مفعول ثان لنسام . يقول : إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم - الروم - إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجيرهم منه ، وإذا كنت تجير من غيرك فأنت بأن تجير من نفسك أولى

(٤) البيض الخفاف : السيوف ، يقول : هم لا يحاربونك بسيوفهم ، بل يتفرقون بها عنك منهزمين ، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلفنون فيها أسألتك ويتضرعون إليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته في الحرب وازدحامهم عليه في السلم .

(٥) الضمير من « قلوبها » : للنفوس ؛ والحمام : الموت . يقول : إن حلاوة النفوس مر قلوب أربابها وتقربها بحب الحياة حتى تختار عيشاً فيه ذليلاً أو تختار الحرب خوف القتل ، فمَوْذُ العيش هو الموت في الحقيقة ، بل هو شر من الموت ، كما ذكر في البيت التالى .

(٦) الزوام : العاجل ، أو السريع الوحى المجهز ، وقيل الكريه . ويضام :

فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ، وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامٌ ^(١)
وَمَنْ لِفَرَسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ بِقَبْلِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يَرَامُ ^(٢)
كَتَائِبُ جَاءُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا ،
وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ بَلَّحُمَا ^(٣)
وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خِيُولُهُمْ وَعَزُّوا وَهَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا ^(٤)
هَلَى وَجْهِكَ اللَّيْمُونَ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالِي مِنْهُمْ وَسَلَامٌ ^(٥)

يظلم : لما جعل عيش القليل موتا آخر ، قال : هو شر الموتين ؛ لما فيه من تحمل الضيم وتجرع الدل والغيظ والمهوان .

(١) اسم « كان » يعود على قوله ما أتوا له ، والغرام : الشر الدائم لللازم ومالا يستطاع أن يتفصى منه ، قال الله عز وجل « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفارسان الثغور ، لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ؛ ولكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما ، فكان ذلك ذلا لهم وعارا ملازما .

(٢) الن - هنا - : النعمة . وفارسان الثغور : يريد بهم فارسان طرسوس وأذنة والمصيصة ، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة في طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم الحرب أياما ، وذلك مالا يكادون يقدرّون على طلبه إليه بأنفسهم ، فبلغهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان المنة ، إذ بلغوهم ما لم يكونوا ليلفوه بأنفسهم ، فقوله « ومن » عطف على « ذل » ؛ ويرام : يطلب .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء : جبن ونكص على عقبيه . يقول : هؤلاء الفرسان كتائب جاءوا إليك خاضعين فأقدهوا - اجترءوا - عليك بهذا الخضوع ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يحسروا على لقاءك .

(٤) تقول هو في ذراه : أى في ظله وكنفه . يقول : إنهم تعودوا إحسانك قديما إذ كانوا في كنفك وظلك وحمايتك تحسن إليهم حتى غرقوا في برك وإحسانك .

(٥) اليمون : ذو اليمن والبركة . والغبارة : الحرب . وتوالى : تتناح والمراد بالصلاة والسلام : التمجيد . يقول : كلما سرت في غارة صلوأ عليك وسلموا إعجابا بك وتعظيما لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم ، وهذا البيت - والذي بعده - يؤكد البيت السابق .

وَكُلُّهُ أَتَانِسُ يَتَّبَعُونَ إِمَامَهُمْ ، وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْكُرُمَاتِ إِمَامٌ^(١)
وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بِمَثْنَةٍ ، وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاطِلِينَ قَتَامٌ^(٢)
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ، وَمَا فُضَّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامٌ^(٣)
حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ^(٤)

(١) يقول : إن الكوام يقتدون به لأنه إمامهم .

(٢) القتام : الغبار ؛ وأراد بالجواب : الجيش . يقول : رب جيش أفتته مقام جواب كتاب كتب به إليك ، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب . هذا : وعنوان الكتاب ما يعرف به سمى كذلك لأنه يعنى الكتاب من ناحيته - أى يعرض - وأصله عنان - كرماء - وكلما استدلت بشيء تظهر على غيره فهو عنوان له كما قال حسان بن أبي عثمان :

ضَحَّوْا بِأَمْطِ عُنْوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْيِيحًا وَقَرَأْنَا
وَالْعُنْوَانَ بِالضَّمِّ هِيَ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ ، قَالَ أَبُو دَوَادِ الرَّوَاسِي :
لَمَنْ طَلَّلْ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ بَيْطُنَ لُؤَاقٍ أَوْ بَطْنِ الذَّهَابِ^(١)
وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتَهُ كَنَبْذِكَ نَمْلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نِمَالِكَا
قَالَ اللَّيْثُ : وَالْعُنْوَانُ - لُغَةٌ فِي الْعُنْوَانِ - : غَيْرُ جَيِّدَةٍ ؛ وَقَدْ يُقَالُ عُنْوَانٌ وَعُنْيَانٌ .
(٣) الْبَيْدَاءُ الْأَرْضُ الْفَقْرَةُ الْبَعِيدَةُ . وَالنَّشْرُ : خِلَافُ الطِّيِّ . وَخِتَامُ الْكِتَابِ : الْعَطِيَّةُ
الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ . وَفُضَّ : كَسَرَهُ . يَقُولُ : تَضِيقُ الْبَيْدَاءُ هَذَا الْجَوَابَ وَلَمْ يَنْشُرْ وَلَمْ يَفُضَّ
عَنْهُ الْخِتَامَ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ جَيْشٌ كَثِيرٌ تَضِيقُ بِهِ الْأَرْضُ الْوَادِعَةَ قَبْلَ انْتِشَارِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا
انْتَشَرَ وَتَفَرَّقَ لِلْحَرْبِ وَالْفَارَةِ ؟ وَقَدْ اسْتَعَارَ الْفُضَّ وَالْخِتَامَ وَهِيَ لِلْكِتَابِ وَالْجَوَابِ لِمَا جَعَلَ
الْجَيْشَ كِتَابًا وَجَوَابًا ، وَهُوَ تَخِيلٌ بِدَيْعِ رَائِعٍ :

(٤) الْجَوَادُ : الْفَرَسُ الْكَرِيمُ . وَالرَّمَحُ الذَّابِلُ : اللَّيْنُ الْحَسَامُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ
لِمَا جَعَلَ الْجَيْشَ جَوَابًا جَعَلَ حُرُوفَ هِجَائِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ؛ أَيْ أَنَّهُ أَلْفٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
كَمَا يُؤَلَّفُ الْجَوَابُ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ .

(١) هذا هو النص المصرح لهذا البيت ولواق : أرض معروفة ،
والذهاب : موضع .

(٨ - القنبي ٤)

أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتَمَّبَتْهَا قَالَهُ سَاعَةً لِيُفَمِّدَ نَصْلُ أَوْ يُحْلَ حِزَامٌ^(١)
وَأِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهَذْنَةٍ ، فَإِنَّ الَّذِي يَفْتَمِرْنَ عِنْدَكَ عَامٌ^(٢)
وَمَا زِلْتَ تُفْنِي الشُّمْرَ وَنَحْيَ كَثِيرَةً ، وَتُفْنِي بَيْنَ الْجَيْشِ وَهُوَ لُحَامٌ^(٣)
مَتَى هَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ ، وَفِيهَا رِقَابٌ لِلشُّيُوفِ وَهَامٌ^(٤)
وَرَبُّوْا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ، وَقَدْ كَمَبَتْ بِنْتُ وَشَبٍّ غُلَامٌ^(٥)

(١) إذا الحرب : أى ياصاحب الحرب ؛ ويروى : أخوا الحرب ؛ يقال هو أخو كذا أى ملازم له معروف به . ولحق الرجل عن الشيء من باب علم اشتغل عنه وتركه . يقول لقد أتت الحرب ، أى أتت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها ، فتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتحل حزم الخيل ،

(٢) عمر الرجل يعمر - من باب فهم - : أى طال عمره . يقول : إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصاراها أن تبقى عندك عاما واحدا ، لأنك لاتهادن العدو أكثر من هذه المدة ، وعبرة العكبرى : إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزه ، لأن الانكسار يسرع إليها ، وادومتك الطعن وأمد مهادتتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيكتك ، وما ترك عادتك :

(٣) السمر : الرماح ، واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شيء . يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير الأعداء

(٤) الجالون : النازحون الذين أخرجوا من ديارهم ، والهام : الرأس ، يقول : متى عاد الروم - الذين تركوا ديارهم خوفا منك بالهدنة التى أجبتهم إليها - إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس ،

(٥) الكاعب : الذى قد بدا نديها للنهود : يقول لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم ربو أولادهم لئلا يسيهم ، وقد صارت البنت كاعبا والابن شابا أى صاروا بحيث يصلحان للسي قال العكبرى : يشير إلى أن مسألة سيف الدولة ضرب من التدبير ؛ لأنهم يباودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لسيهم : هذا : وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العقوبة إصابتك إياها ؛ على حد قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم ، نوا وحزننا » ،

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا

إِلَى النَّايَةِ الْقَضَى وَجَرَيْتَ وَقَامُوا^(١)

فَلَيْسَ لَشَمْسٍ مِثْلُ أَنْزَتِ إِنْزَارَةً ، وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مِثْلُ تَمَتَّتِ تَمَامًا^(٢)

وَال يمدحه ويودعه ، وقد خرج إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان :

أَيَا رَامِيًا يُصْنِي فُؤَادَ مَرَامِهِ تَرُبِّي عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ^(٣)

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ ، مِنْ دَارِهِ ، بِحُسَامِهِ^(٤)

(١) يقول : جارك اللوك فيما نهجته من للكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم ، وأصل هذا في الخيل تجارى ، فإذا وى بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال :

(٢) يقول : فليس لشمس منهم — من اللوك — إنارة مع ما يبدو من نورك ؛ ولا لبدر منهم تمام مع ما أعمه الله لك من الفضل : يعنى أن اللوك صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك ، وعبرة بعض الشراح : أى من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده ، فلا إنارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك :

(٣) الإصماء : إصابة للقتل فى الرمي — يقال رماه فأصماه : إذا أصاب مئذنه . والرام : المطلب . يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بموضع الظفره ، كالرامي يصيب فؤاد حرميه فيقتله لساعته . وقوله ترى الخ أى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستعين بها على إنفاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذه منهم كالريش ، وبأسه كالسهم الذى لا تنفذ إلا بالريش الذى عليها . وقال ابن جنى : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه للمدوح بسهامه : أى أن الطائر يكون فرخاً فلا يكمل حتى يتم ريشه ، فهم يربونه إلى أن يصالح أن يصاد ، والآخر أن الأعداء يربون ريشهم ليأخذوه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له ، والعرب تكفى بالريش عن حسن الحال ، راش فلان فلانا ، كأنه جعل له ريشاً ينهض به .

(٤) يقال أقطعه أرض كذا : إذا جعل له غلتها رزقاً ؛ والإقطاع : اسم لتلك الأرض ، من التسمية بالمصدر . والطرف : الفرس الكريم . والحسام : السيف القاطع يقول : إن جميع ما أنصرف فيه ويضاف إلى من أرض وثياب وخيل ومنازل وسلاح فهو له ، وصل إلى من نعمته وقد أجل النابغة هذا المعنى فى قوله :

وَمَا مَطَرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَّا وَرُومَ الْعَبْدِيِّ هَاطِلَاتُ حَمَامِهِ ^(١)
 فَتَى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقَرَى وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ ^(٢)
 وَيَجْمَلُ مَا خُوِّلَتْهُ مِنْ نَوَالِهِ جَزَاءَ لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ ^(٣)

وما أغفلتُ شكرَكَ فانتصِحنى وكيف ومن عطائك جُلُّ مالى
 وقد فصله النابعة أيضا فقال :
 وَإِنَّ تِلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِغْتِي ، ومُهرى وما ضمتُ إلى الأنايل
 حَبَاؤُكَ وَالْبَيْسُ الْمُتَاقُ كَانَهَا هِجَانُ الْمَا تَرْدِي عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ ^(١)
 وقال أبو نواس :

* وكلُّ خير عندنا من عنده *

(١) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والعبدى : العبيد ، جمع عبد . والغمام : السحاب ؛ وهاطلات : ساكنات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرتني به سحب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية : يعنى أنه وهبه العبيد بسلحها .
 (٢) الضمير فى «فرسانه وكرامه» : للإقليم . والإقليم : واحد أقاليم الأرض . قال ابن دريد : لا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهري : وأحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سمي إقليبا : لأنه مقلوم من الإقليم الذى يتاخذه : أى مقطوع .

(٣) خوله كذا : ملكه إياه . والنوال : العطاء . يقول : إنه يجازينى بنواله إذا مدحته بما أستفيد من الادب من كلامه ، وهذا أغرب من قوله أبى تمام :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

قال بعض الشراح : يشير إلى قصة الواقعة التى ذكرها فى القصيدة التى مطلعها :
 طُولِال قَنَّا تَطَاعِنَهَا قَصْبَارُ وقطرك فى ندى ووغى بحار
 وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها . يقول : أقطعتى هذه الأرض جزاء لما مدحته به فى القصيدة المذكورة ، وأنا إنما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص على من كلامه ، فالفضل فيها له ، لا لى .

(١) الشكة : ما يلبس من السلاح ، والجباء : العطاء ، والرديان : ضرب من السير بين العدو - الجرى - والثنى الشديد - وجلة عليها الرحائل : حال ؛ والرحائل : جمع رحالة ، سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد .

فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالَعَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِنَائِهِ ^(١)
وَلَا زَالَتْ تَجْتَازُ الْبَدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نَقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ ^(٢)

(١) أراد بالشمس التي في لثائه: وجهه . يقول : لا زال باقيا بقاء الشمس ، فكما طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها ، وأضاف السماء إليه مبالغة في المدح ، كما قال الفرزدق :

* لنا قراها والنجوم الطوالع *

وقال ابن جني : أضاف السماء إليه لإعزازها عليه ، كما قال الآخر :

إِذَا كَوَّكِبُ الْخُرْقَاءِ لَاحَ بِسُحْرَتِهِ سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقِرَائِبِ ^(١)
أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه .

(٢) جمع البدر لأنه أراد بدر كل شهر . وتعجب : أي تعجب . يقول : لا زال باقيا على توالي الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكأله ، ولكنها تعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاما .

(١) بعده :

وَقَالَتْ : سَمَاءُ الْبَيْتِ فَوْقَكَ مُنْهَجٌ وَلَمَّا تُبَسِّرُ أَحْبُلًا لِلرَّكَائِبِ

والخرقاء : المرأة التي لا تحسن عملا ، ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرمة ، فإنه أول ما رآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوا ، وقال أخرزها لي ، فقالت : إني خرقاء : أي لا أحسن عملا . قالوا : فأضاف الكوكب إلى الخرقاء بملابسة أنها لما فرطت في غزلها في الصيف ، ولم تستمد للشتاء استغرقت قرائها عند طلوع سهيل سحرا ، وهو زمان مجيء البرد ، فبسبب هذه الملابسة سمى سهيل كوكب الخرقاء . وسهيل : بدل أو عطف بيان لكوكب الخرقاء وأذاعت فرقت ، وجملة قالت في البيت الثاني عطف على « أذاعت » والسماء : السقف والمنهج من أنزع الثوب ، إذا أخذ في البلى وأجبل : جمع جبل ، وهو الرسن ونحوه . والركائب : الإبل التي يسار عليها : أي وقالت لزوجها : سماء البيت فوق خلقك ولما تبسّر للركائب أحبلا فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟

وأنشد سيف الدولة متمثلاً بقول النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(١)

* * *

فقال أبو الطيب مرتجلاً :

رَأَيْتُكَ تَوْسِعُ الشُّعْرَاءُ نَيْلًا حَـدِيثَهُمُ الْمَوْلَدَ وَالْقَدِيمَا^(٢)

(١) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ، ففرع الناس لحيل - جيش - لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب ، فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم ، فأنشد سيف الدولة متمثلاً ببيت النابغة الذي يأتي :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
تُخَيِّرُنَ مِنْ أَرْزَامِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرُبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

« والفلول : الثلوم ؛ والكتائب فرق الجيش . وتخيرن : أى أى السيوف . وحليمة : امرأة كانت تطعمهم إذا قاتلوا ؛ وفيها المثل للشهور : وما يوم حليمة بسر . وإلى اليوم : صلة تخيرن : وقد جربن : حال » والبيتان من قصيدته في عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان ومطلعها .

كَلَيْفَى لَهُمْ يَا أَمِيمَةً نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطْنِ الْكُوكَبِ
يمدح قومه يقول : لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلة من قراع الجيوش ، وهذا على الحقيقة فخر لهم ، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفي العيب عنهم ، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، ثم قال في البيت التالي : هى من أجود السلاح تغيرها أسلافهم والذين من بعدهم ، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، وقد جربت بكل وجه من وجوه التجارب : يعنى أنه لم يكن بها عيب ، فلما انتهت إلى نوبة المدوحين تلمت لما نالها من شدة القراع .

(٢) النيل : العطاء ؛ وأوسع العطاء ونحوه : بسطه : وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء . يقول : إليك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ، ثم بين ذلك في البيت التالي .

فَتُعْطَى مَنْ بَقِيَ مَالًا جَسِيماً وَتُعْطَى مَنْ مَضَى شَرْقاً عَظِيماً^(١)
تَمِمْتُكَ مُنْشِداً بَيْتِي زِيَادِ نَشِيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيماً^(٢)
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبِطْتُ بِذَلِكَ أَعْظَمَهُ الرَّيْجَا^(٣)

وقال يمدحه، ويذكر إيقاعه بعمر بن حابس وبنى ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة
ولم ينشده إياها :

ذِكْرُ الصَّبِيِّ وَمَرَاجِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي^(٤)

(١) بقى - بفتح القاف - هى لغة طيء ، ومنه قول زيد الخيل الطائى :
لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصَلُّكَ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِي يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا
يقول : تعطى الباقيين منهم - أى الأحياء - عطاء جزيل ، والباقيين شرفاً عظيماً
بأن تنشدا أعمارهم وتمثل بها استحساناً لها فيكون ذلك شرفاً عظيماً لهم .
(٢) زياد : اسم النابتة الديانى ؛ والنابتة : لقب غلب عليه . ونشيداً مفعول مطلق ،
وضعه موضع الإنشاد .

(٣) القبطه : أن تمنى مثل حال للقبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد ،
ورم العظم يرمز به : بلى ، فهو رميم . وقوله أعظمه الرما : وصف الأعظم - وهى
جمع - بالمفرد ، لأن فعلاً وفِعْلاً يستوى فيهما الذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى
« من يحيى العظام وهى رميم » . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل
لأن تنشده شعره لكنى غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف . هذا : ومما
يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يوماً فى
مجلسه قول المتنبي :

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفَ لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخِلَاقِ
وجعل رده استحساناً له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر
الأندلسى ، فأنشد ارتجالاً ،

لئن جاد شعرُ ابن الحسينِ فإنما بِقَدَرِ الْعَطَايَا وَاللَّهِ تَفْتَحُ اللَّهُا
تنبأ فى نَظْمِ الْقَرِيضِ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَزْوِي شَمْرَهُ لَتَأَلَّهَا

(٤) ذكر : جمع ذكرى ، كأنهم حملوه على مؤنث التاء ، فجمعه - على حد : سدره
وسدر - وهو قياس عند الفراء والصبي : بمعنى اللهو والتصابى : ومراجع - بالجر -

دِمْنٌ تَكَاثَرَتْ الُّهُومُ عَلَى فِي عَرَاصِهَا كَتَكَاثُرُ الْأَوَامِ (١)
فَكَانَ كُلُّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بَعِيْنِي عُروَةَ بَنِ حِزَامِ (٢)
وَلَطَّالَمَا أَفْنَيْتُ رِيْقَ كَمَا بِهَا فِيهَا وَأَفْنَيْتُ بِالْعِقَابِ كَلَامِي (٣)
قَدْ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ بِحَاجَةٍ وَتَجْرُ ذَيْلِي شِرْقٍ وَغُرَامِ (٤)

معطوف على الصبي ؛ و يروى بالرفع عطفاً على ذكر ؛ والمراتب : جمع مرتع ، الموضع ترتع فيه الدواب : أى ترمى كيف شاءت . و يروى مرابع : جمع مربع ، المكان الذى يربعون - يقيمون - فيه ، يريد ديار الأجرة والآرام : الظباء البيض . وأراد بهن النساء جمع رُحْم - على القلب المكاني - والحمام : الموت . يقول : إن ذكر الصبي ومراتب النساء اللاتي أهيمن بهن جلبت على حالة هي والموت سواء ، يعنى شدة وجده على فراقهن ، فكانه مات قبل موته لشدة الوجد .

(١) الدمن : جمع دمنة ، ما تليد من آثار الديار بعد رحيل القوم : ودمن خبر مبتدأ محذوف : أى تلك المراتع دمن ؛ والعراصات : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول : لما وقفت بآثار المحبوب تكاثرت همومي شوقاً إلى من كان بها كتكاثر لوامي في حبهن .

(٢) وكفت : أى قطرت ؛ وسالت : يروى وقفت ، وعروة بن حزام : هو صاحب عفرأ ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين . شبه هطلان السحاب في تلك الدمن بيبكاء عروة بن حزام على فراق صاحبه . يريد كثرة ما تجرى عليها السحب من المطر ، بدليل أنها تحت آثار تلك الديار ، ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام

كَأَنَّ السَّحَابَ الْفَرَّ غَيَّبَتْ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِعُ (١)

ومثله لحمد بن أبي زركة :

كَأَنَّ صَبَّيْنِ بَانَا طُؤُلَ لَيْلِيهِمَا بَسْتَمِطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا الْقَلَا

(٣) الكعاب : الجارية دأبها للهود . يقول : طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هي - الكعاب : أى محبوبته - عتاني حتى ألحمتني عن الكلام ، فانا أذكر من كانه بهذه الدمن وارنحل عنها فيزيد وجدى وشوق .

(٤) الحجاة : مثل الخلاعة ؛ والماجن : الذى لا يبالي بما يتكلم به ، والشرية الحدة

(١) السحاب جمع ، ولذلك وصفها بالفر ؛ وترقا : هو ترقا ، خفف ، ورقأت الدمنة . جفت وانقطعت

لَيْسَ الْقَبَابُ عَلَى الرَّكَّابِ وَلَا نَمَّا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامٍ ^(١)
 لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْخَصَى خِلْفًا فِيهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي ^(٢)
 مُتَلَاخِظِينَ نَسَحُ مَاءَ شَوْوَيْنَا حَذَرَ أَمِنْ الرُّقْبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ ^(٣)

والنشاط والبطر . والعرام : الشراسة ، وقيل الحبث ؛ قال شبيب بن البرصاء يصف إبلا سميت وحملت الشحوم :

كَأَنَّهَا مِنْ بُدْنٍ وَإِنْ بَارَزَ دَبَّتْ عَلَيْهَا عَارِمَاتُ الْأَنْبَارِ ^(١)

يقول - مخاطبا نفسه - : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدري وجد الفراق وعدته بعد ، وكنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفا ، تمرح في شرك وعرامك غير مبالي بما ستلاقيه من الشدائد .

(١) القباب : جمع قبة . والمراد بها : الهوادج واسم « ليس » ضمير الشأن ، والقباب - على الركاب - مبتدأ وخبر ؛ والجملة خبر « ليس » ؛ والركاب : الإبل ؛ وتروى القباب - بالنصب - قال العكبري : من روى القباب بالنصب : جعله خبر « ليس » ويكون المعنى : ليس الذي تعينه القباب . يقول : ليس هذا الذي تراه هودج الأحبة على الإبل ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن .

(٢) النوى : البعد ، والضمير في خفافهن : للركاب - الإبل - وأراد أخفافهن ، لأن خف البعير يجمع على أخفاف ؛ والخفاف : جمع الخف ، اللبوس ، فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزا . يقول - متعنيا - : ليت الذي خلق الفراق جعل أعضائي لأخفاف الإبل التي تحملوا عليها حصي حتى تطأني بأخفافها .

(٣) متلاخطين . ^(٢) حال من فاعل « نسح » قدمت على العامل فيها وهو نسح ؛ ونسح : نسكب . والشؤون : جمع شأن ، مجرى الدمع من الرأس . وفي الأكمام : متعلق بنسح . يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع ، يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا

(١) الأنبار جمع نبر ؛ وهو دويبة . شبيهة بالقراد إذا دبّت على البعير تورم مدها . والبدن والبدن : السمن والاكتناز ، وإيقار : مأخوذ من الشيء الوافر - وروى : وإيقار - يريد أنها قد أوقرت من الشحم . يقول : من سمنها ووفور شحمها ، كأنما لسعتها الأنبار فورمت جلودها .

(٢) متلاخطين : رواء الواحدى هكذا على التثنية ، وقد رواها العكبري على صيغة الجمع .

أَرْوَاحُنَا أَنهَمَكْتَ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا فَطَرْتَ عَلَى الْأَقْدَامِ (١)
 لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنِ كُنَّ كَصَبْرِنَا عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامٍ (٢)
 لَمْ يَنْزُ كُوَالِي صَاحِبًا إِلَّا الْأَسَى وَذَمِيلَ دِغْبِلَةَ كَفَحْلٍ نَعَامٍ (٣)
 وَتَعَذَّرُ الْأَحْرَارِ صَبْرَ ظَنَرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَى فَرْجٍ حَرَامٍ (٤)

أنظر إليها لدى الوداع ، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكاء خوفنا من الرقباء . والآكام : جمع كم ؛ والكـ : الثوب مدخل اليد ومخرجه . والذي في العكبري : الآكام بدل « الآكام » والآكام : جمع أكمة ؛ وهي التل ، والآكام أقرب .

(١) انهملت : انسكبت . يقول : ليست الدموع - التي أجريناها - بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفاذها ، وفي مثل هذا المعنى يقول القائل :

وليس الذي يجري من العين ماءها ولكنها رُوحى تَذُوبُ فَتَقْطُرُ
 (٢) سجام : غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا في اليوم الذي جرت فيه - أى يوم الرحيل - مثل صبرنا في ذلك اليوم لكانت قليلة ، لكنها كانت سجاما غزيرة ، يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا : و « كن » الثانية زائدة ، والعرب قد تجعل الكون زائدا في الكلام ، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى « كيف تكلم من كان في المهد صبيا » على زيادة « كان » وأنشد الفراء :

سراة بنى أبى بكر تَسَامَى عَلَى كَانِ الْمَسُومَةِ الْعِرَابِ (١)
 و « كان » في هذا البيت زائدة بلا خلاف .

(٣) الضمير في يتركوا : للراحلين ؛ والأسى : الحزن . والذميل : ضرب من السير سريع . والدغيلة : الناقة السريعة . وأراد بفعل النعام : الذكر . يقول : رحلوا وتركوا وحيد لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجدأ عليهم وسير ناقة كالظلم في عدوها وسرعته في الفلوات

(٤) يقول : تعذر وجود الأحرار - أى الكرام - حرم على ركوبها - أى الناقة إلا للقصد إليك ، لأنك الحر الذي يستحق أن يقصد ويزار ، فأنا أنجذب ركوبها إلا إليك كما أنجذب قُرْجاً حراماً على إتيانه - يعنى الزنا - وهذا من قول أبى نواس :

(١) المسومة : العملة بعلامة لتترك في المرعى ، أو هي من قولك : سومت فلانا :

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانِ أَهْلِهِ وَلِدْتَ مَكَارِمَهُمْ لِغَيْرِ تَعَامٍ^(١)
 أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ التَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ
 عَلِمًا عَلَى الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ^(٢)
 صَفَرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَاةٍ وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ^(٣)

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرُّجَالِ حَرَامُ
 وَأَخَذَهُ مَهْيَارُ الدَّيْلِيِّ فَقَالَ :
 يَا نَاقُ وَيْحَكَ عَجَلِي تَصِلُ هَذَا الْمَنَى فَلْيَهِنْكَ الطَّلَبُ
 فَإِذَا وَصَلْتَ بِنَا قِيَابَ قُبَا لَا مَسَّ ظَهْرَكَ بَعْدَهَا قَتَبُ
 وَهُوَ مَعْنَى قَدِيمٍ مُتَدَاوِلٍ .

- (١) الغريبة : اسم لما يستغرب ؛ والناء فيه : للاسمية - كما في عجبية ونحوها -
 وعبارة الواحدى المساء في « الغريبة » للمبالغة ، لا للتأنيث ، كما يقال راوية
 وعلامة : وقال التبريزي : أنت أعجوبة غريبة . كما تقول داهية دهباء ، ويقال ولد
 الولود لتمام ؛ وتعام : بالكسر وبالفتح . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم
 ناقصو المنكأرم وأنت تام الكرم بينهم .
- (٢) النوال : العطاء والعلم : العلامة التي يعرف بها الشيء : يقول : لم تزل يعرف
 بك الإفضال والإنعام : أى لم تزل منعمًا مفضلًا ؛ وعبارة بعض الشراح : أى أن
 الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويمتدئ إليهما بأفعالك ، فأنت كالعلامة لهما .
- (٣) يقول : إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام ، لأن أفعالك أكبر
 منها ، وكبرت عن أن تشبه بشيء ، فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ
 الحنكة بعد ، وهو أشرف لك وأمدح . وعبار بعض الشراح : أى صغرت الأفعال
 الكبيرة بأفعالك ، لأن أفعالك أكبر منها ؛ وكبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم
 تدع لأحد مزبة عليك . مع أنك إذا عدت أيامك لم تتجاوز سن الغلام . هذا :

إذا خليت وسومه . أى وما يريد ؛ والعرب التي ليس فيها عرق هجين ؛ وتسامى -
 — بحذف إحدى التامين — أى تقسامى ؛ من السمو ؛ وهو العلو . يقول : سراً هذا
 تختال على تلك الحيلول .

وَرَفَلْتَ فِي حُلْلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهْيَاةُ الْإِغْدَامِ^(١)
 عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَغَى مَا يَصْنَعُ الصَّنْصَامُ بِالصَّنْصَامِ^(٢)
 إِنْ كَانَ مِثْلَكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ فَبَرِثْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ^(٣)
 مَلِكٌ زَهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى أَفْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ^(٤)

واللام من «لكانه» : للتوكيد ، وأراد قول القائل لكانه فلان أو كانه الأسد أو البحر ، لحذف خير «كأن» لأنه أراد مطلق التشبيه ، واستغنى عن ذكر ااقول بالحكاية . وقال العكبري : وقد أدخل «لام التأكيد» على «كأن» وهو قليل جدا ، والقياس لا يمنع منه ، لأن «كاف» التشبيه تكون في صدر الكلام : وقولك كأن زيدا عمرو : مؤد عن قولك كهمر و زيد ، فجاز دخول اللام على الكاف ، كما جاز في قولك لزيد أفضل من بكر .

(١) رفل يرفل في ثيابه رفلا : إذا أطالها وجرها متبخترا فهو رافل ، ورفل رفلا ؛ فهو رفل خرق - حمق - باللباس وكل عمل ، أنشد الاصمعي :

* فِي الرَّكْبِ وَشَوَاشٌ وَفِي الْحَى رَفْلٌ *

«الوشواش : الخفيف السريع» الحلل : جمع حلة ، قالوا : ولا تكون الحلة لإثوبين . وقال ابن شميل : الحلة القميص والإزار والرداء . والإعدام : الفقر . يقول : إن عليك من الثناء حللا تبختر فيهن - يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه - ونهاية الإعدام - الفقر - هو عدم الثناء لعدم اثره ؛ وعبرة بعض اشراح : كانه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجهوده : أى أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين ، فكان بذلك هو المثرى لأن ثناءهم باق والمال يندو ويروح :

(٢) ترى : أراد أن ترى ، لحذف «أن» وقوله بسيف : أى مع سيف والوغى : الحرب . والصمصام السيف ، وهو الصارم - القاطع - الذى لا ينبو عن الضريبة ، يقول : أنت سيف في حدثك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف .

(٣) «كان» الأولى ناقصة ، والثانية تامة ، بمعنى وجد ، وهى خبر الأولى ، و«أوهو كائن» . عطف على الخبر . وقوله فبرثت الخ : قسم . يقول : لم يكن مثلك ولا يَكُونُ ، قال الواحدي : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا - إذ قال المتنبي هذه القصيدة في صباه .

(٤) يقال زهى الرجل فهو مزهو : إذا تكبر وتاه . فكان حقه أن يقول زهيت

وَتَخَالَهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلَامُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ فَهُمْ بِلَا أَحْلَامٍ^(١)
وَإِذَا أُمْتَحِنَتْ تَكْشَفَتْ عَزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِيَّ النَّقْصِ وَالْإِبْرَامِ^(٢)
وَإِذَا سَأَلَتْ بَنَانَهُ عَنْ تَنْبِيلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالْأُنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ^(٣)
مَهْلًا إِلَّا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي عَمْرٍو حَابٍ وَضَبَّةٍ الْأَغْنَامِ^(٤)

إلا أنه جاء به على لغة طيء في قولهم بقي في بقي ، كذلك قال زهى في زهى فسكن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة ، وقال ابن منظور : قال ابن سيدة : وقد زهى الرجل على لفظ مالم يسم فاعله وللمعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل زهى الرجل ، وعنى بالأمر ونتجت الشاة والناقة وأشباهها ، وحكى ابن دريد : زهازهو زهوا : أى تكبر ومنه قولهم : ما أرهاه ؟ وليس هذا من زهى ، لأن مالم يسم فاعله لا يتعجب منه ، قال الأحمر النحوى يهبو العتي والفيض ابن عبد الحميد .

لنا صاحبٌ مُولعٌ بالخِلافِ كثيرُ الخطأ قليلُ الصوابِ
ألجُ بَجَاجًا من الخُفَيْسَاءِ وأزهى إذا ما مشى من غرابِ

قال الجوهري : قلت لأعرابي من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال أعجب بنفسه ، قلت : أقول زها إذا افتخر ؟ قال : أما نحن فلا تكلم به . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن .

(١) تخاله : تظنه . والورى : الخلق ، والحلم : الأناة والعقل ، ومن حلمه : أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام - عقول - الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه .

(٢) تكشفت : ظهرت ؛ وأراد بالأوحدى : الأوحد ، فزاد الياء للمبالغة . وأصل الإبرام : قتل الجبل ونحوه ، والنقص ضده . يقول : إذا اختبرته ظهرت لك عزائمها صادرة عن رجل لا نظير له في عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه .

(٣) البنان : أطراف الأصابع . والنيل : العطاء . والذمام هنا : الحق ؛ ونصب « قضاء » : على الحال ، ويجوز أن يكون مفعول « يرض » وبالذميا : صلته . يقول : إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرض بها في قضاء حقك .

(٤) مهلا : مفعول مطلق نائب عن فعله : أى امهل مهلا : وألا : استفتاح ؛ وفي كلمة تعجب ، والقنا : الرماح وقوله في عمرو وحاب : أراد عمرو بن حابس - بطن من أسد - فزخم المضاف

إليه ؛ قال الواحدى : وذلك غير جائز ، لأن الترقيم حذف يلحق أوأخر الأسماء فى النداء تخفيفا ، والكوفيون يميزونه فى غير النداء وينشدون :

أَبَا عُرْوَةَ لَا تَبْعَدْ فُكْلُ ابْنِ حُرَّةٍ سِيدُ عُرْوَةٍ دَاعِي مَوْتِهِ فَيُجِيبُ^(١)

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أبا عرو ؛ وقال المصبرى : ذهب أصحابنا - يريد الكوفيين - إلى جواز ترقيم للضاف ، وأوقعوا الترقيم فى آخر الاسم للضاف إليه . وحجتهم : أنه قد جاء فى أشعار العرب القدماء ، كقول زهير بن أبى سلمى :

خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكرَمٍ وَأَحْفَظُوا

أَوَاصِرَنَا وَالرَّحِمُ بِالغَيْبِ تَذَكُرُ^(٢)

وقد جاء الترقيم فى قول جرير :

أَلَا أَضَحَّتْ حِبَالُكُمْ رِيَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أَمَامًا^(٣)

(١) عرو مرخم : عروة ، ولا تبعد : أى لا تهلك ؛ وهو دعاء خرج بلفظ التمس . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ فالجواب : أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولهم فى ذلك غرضان : أما أولهما فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدقون بموته . والثانى أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا ينسى ، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . وقوله : فكل ابن حرة : أراد فكل ابن امرأة .

(٢) من آيات قالها زهير لبنى سليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . والحظ : النصيب . يقول : صونوا حظكم من صلة القرابة ، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم ، وعكرم : ترقيم عكرمة وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر ، والأواصر : جمع أصرة ، وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . والرحم : موضع تكون الولد ، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرها ، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء : رحم ، فالرحم خلاف الأجنبي ، وهى مؤنثة فى اللغتين .

(٣) قال الأعم : الرمام : جمع رميم ، وهو الخلق البالى . يريد أن جبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما ، وقال غيره : الرمام جمع رمة - بالضم - وهى القطعة البالية من الجبل ، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير .

لَمَّا تَحَكَّمَتِ الْأُسْنَةُ فِيهِمْ جَارَتْ وَهْنٌ يَجْرُونَ فِي الْأَحْكَامِ (١)
فَقَرَّ كَتَمَهُمْ خَلَّالَ الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَى الْأَجْسَامِ (٢)
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومٌ يَبْضِي فِي سَمَاءٍ قَتَامٍ (٣)

فهذا ترخيم في غير النداء ، على من قال يا حار بالكسر وضبة قبيلة مشهورة والأغنام جمع غنم جمع أغتم ورجل أغتم ، وغتمى : لا يفصح شيئاً والفتمة عجمة في المنطق والغم في الأصل : قطع اللبن الثخان ، ومنه قيل للثقل الروح : غتمى ، والغم : شدة الحر والأخذ بالنفس قال الراجز يصف إبلا .

حرقها حَمْضُ بِلَادٍ فَلَّ وَغَمٌ نَجْمٌ غَيْرٌ مُسْتَقِلٌ (١)
* فَا تَكَادُ نَيْبُهَا تُولَى *

أى غير مرتفع لثبات الحر المنسوب اليه ، وإليها يشتد الحر عند طلوع الشمسى القى في الجوزاء . قال الواحدي : جل هؤلاء أغتما لأنهم كانوا جاهلين حين عصو حتى فعل ما فعل .

(١) قال العلامة العكبرى : يروى اللية بدل الأُسنة ، وليس بشيء ، والأصح الأُسنة ، ولهذا قال : وهن ؛ فجمع الضمير في اللبتدأ والخبر . ومن روى اللية أراد بها الناي ، وليس هو شيء ، إلا أنى وجدتها في بعض النسخ فذكرتها حتى لا أدخل بشيء على حسب الطاقة .

(٢) الخلل : فرجة ما بين الشيثين ، ونصبه على الظرفية . يقول : غزوتهم في عقر دراهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رؤوس كأن رؤوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها .

(٣) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة . والقَتَام : القبار . وأحجار . خبر مبتدأ محذوف : أى هناك أحجار ناس . يصف للمركة وكثرة القتلى . يقول : صارت الأرض دما وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض ، وصارت الخوذ نجوما لامعة في سماء من القبار . وبعبارة أخرى : انتشرت الجثث في ساحة الحرب كالحجارة ، منبثة على أرض من الدم ، وامتلا الهواء خوذا تلعب كالنجوم في سماء من القبار .

(١) الفل : الأرض القفرة ؛ وأفلطنا : أى صرنا - فى فل من الأرض - ومنه يقال فلان فل من الخير : أى خال من الخير .

وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فَلَانٍ كُنْيَةٌ حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْتَامِ^(١)
عَهْدِي بِمَرْكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجَمَةٌ عَنِ الْإِحْجَامِ^(٢)
يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَّاكَ رَامَ غَيْرِ مَرَامٍ^(٣)
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِّعٍ
وَسَقَى تَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامٍ^(٤)

(١) وذراع : عطف على قوله أحجار ناس ؛ وحالت : تحولت وتغيرت . يقول هناك أحجار ناس وهناك ذراع كل أبي فلان : أى ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبافلان ، فلما قتل حالت كنته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الإيتام ، لأن بنيه صاروا يتامى بهلاكه . هذا : وقد نصب كنية - كما قال الواحدى - على الحال من أى فلان وتقديره كل أب لفلان ، لأن كل إذا كان واحداً فى معنى جماعة لا يكون إلا نكرة ، كما تقول كل رجل وكل فرس ، وهذا كما يقال : رب واحد أمه لقيت ، ورب عبد بطنه ضربت ، على تقدير رب واحد لأمه ، ورب عبد لبطنه والإضافة يراد بها الانفصال . وقال ابن جنى : ويجوز نصبها بأعنى

(٢) وخيله : محجمة ، مبتدأ وخبر ، والجملة : حال صدت مسدخبر عهدي . وبروى وخيله - بالجزم - عطفاً على معركة ، ومحجمة ، بالنصب على الحال ، والنقع : الغبار ، والإحجام التأخر . يقول : لم أعهد معركته إلا على هذه الحال ، فغلبه مقدمة وبدأ تأخر عن التأخر : أى تأفف من الرجوع فلا تقدم عليه .

(٣) رام : طلب ؛ ومنالك . أى غايتك التى تنالها . يقول : من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمراً لا مطلب فيه : أى لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول فى الصحيح ؛ لم يروه الواحدى ، لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلاثمائة : لقبه به للثقى العباسى ، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

(٤) الصلاة من الله : الرحمة والبركة . وصوب الغمام : المطر . يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا . وقوله غير مودع : حال . قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلباً وإن فارقت شخصاً . ويجوز أن يكون من جهة الفأل ؛ ذكره كالا حتراس لمكان ذكر أبويه وهما قدماتا : أى وأنت حتى لا يودعك أهلك . ويجوز أن يكون المعنى : أن روحى صحبتك فأنت مشيع غير مودع .

وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقَتِكَ الْقَمَقَامِ (١)
 فَلَقَدْ رَمَى بِلَدِّ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِي رَوْقِ أَرْعَنٍ كَالْفِطَمِ لُهَاِمِ (٢)
 قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ الْمَنَآيَا فِيكُمْ فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ (٣)
 تَأَلَّهَ مَا عَلِمَ أَمْرُوهُ لَوْلَاكُمْ كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْمَاهِمِ (٤)

وقال ، وقد تُحَدَّثُ بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه
 يمارض سيف الدولة في الدرب وسأله أن ينجده ببطارقه وعدده وعُدده ، ففعل ؛
 فخاب ظنه ، أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهي آخر ما أنشده بحلب :
 عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ (٥)

(١) القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وأصله البحر ، لأنه مجتمع
 الماء ، من قولهم ققم الله عصبه : أى جمعه وقبضه ، وأراد بشقيقه : أخاه
 ناصر الدولة .

(٢) روق الجيش : أوله ومقدمته ، وأصله القرن ، فاستعاره . والأرعن :
 الجيش المضطرب لكثرة والغطم : البحر الكثير الماء ، واللاهام : الجيش الكثير
 يلتهم كل شيء . يقول : إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده ولم يكن معه من
 أهله أحد ، وهو قائد جيش يلتهم كل شيء ولا يخشى شيئا .

(٣) تفرست : تأملت . والمنايا : جمع منية : اللوت . يقول : أنتم قوم تأملتكم
 للمنايا وخبرتمكم فرأتكم في الحرب صبرا كراما ، وإذا صبروا في الحرب كانت للمنايا
 إليهم أسرع . قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم : فرأت لهم ، كما تقول
 أنتم قوم لهم وفاء ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكف كان أمدح .

(٤) الهام : الرءوس . يقول : منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولا أنتم لما عرفا .

(٥) العقى : العاقبة ؛ وطى : متعلقة يمين . يقول : من حلف على أن عاقبة
 الحرب له — أى أنه ظافر لاعمالة — كانت العاقبة الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم
 لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى تمكذيب البطريق
 الذى حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلتقى سيف الدولة في بطارقه ويجهتد في لقاءه
 (٩ — الثاني)

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَادَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِعَادِ مُتَّبِعٌ^(١)
 آتَى الْفَتَى ابْنُ شُمَشَقِيقٍ فَأَخْبَتْهُ فَتَى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ^(٢)
 وَقَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلْفٍ عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمُ^(٣)
 كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّامُ^(٤)
 لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمِلَهُ تَحْمِلْتُهُ إِلَى أَغْدَاؤِهِ الْهَيْمُ^(٥)
 أَيْنَ الْبَطَارِقُ وَالْخَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا يَمْفَرِقُ الْمَلِكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا^(٦)

بهم ففعل غيب الله ظنه ، فذكر المتنبي ذلك يرد عليه ويهجو . وكأنه يقول : لو كنت ممن إذا قال وفي لم تحتج إلى اليمين . وماذا يزيدك : يروى « ماذا يفيدك » .

(١) في اليمين : خبر مقدم عن الموصول - في الشطر الثاني - يقول : إذا حلفت على ما تعده من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين .

(٢) آتَى : حلف . وابن شمشقيق : بطريق الروم . وأخبت : الجأء إلى الحث ، وهو نقض الحلف في اليمين . والكلم : الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فق - يعني سيف الدولة - أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعد .

(٣) فاعل : عطف على قوله فق . وما اشتهى : مفعول فاعل . والفعال : جمع فعل . يقول : وأخبت رجل يفعل ما يريد لأنه ملك لا معارض له . ويغنيه عن القسم على ما يفعله حضور فعله وكرمه : أي أنه موثوق بقوله لكرمه . وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله .

(٤) الضراب : أي المضاربة ؛ والسام : الضجر ، وهو فاعل « يمسها » . يقول : كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف ، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال .

(٥) يقول : لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لساير إليهم بنفسه ، لأن همته لا تدعه يترك القتال . وقوله « حتى لا تحمله » - بحذف إحدى التائين - : أي تتحمله ، قال ابن جني : الاختيار فيه الرفع : لأنه فعل الحال من « حتى » كأنه قال : حتى هي غير متحملة له ، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله .

(٦) البطريق : القائد من الروم ؛ ومفرق الملك : يريد رأسه ؛ والملك : لغة في

وَلَّى صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمْ - فَهِنَّ أَلْسِنَةً أَفْوَاهَهَا الْقِيمُ (١)
 نَوَاطِقُ تُخَيِّرَاتٌ فِي جَمَاجِمِهِمْ - عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا (٢)
 الرَّاجِعُ الْخَيْلَ مُخَفَّاةً مُقَوَّدَةً - مِنْ كُلِّ مِثْلٍ وَبَارٍ أَهْلَهَا إِرَمُ (٣)
 كَتَلُ بِطَرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنَهَا - بَأَنَّ دَارَكَ قِنَسْرِينَ وَالْأَجَمُ (٤)

الملك : يقول : أين ذهبوا وأين يمينهم التي أقسموها برأس مليكهم أن يعارضوا سيف الدولة وما زعموا من أنهم يشتون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب .
 يعني أن كل ذلك كان كذبا .

(١) وليته الأمر تولية فتولاه : أي باشره . والصوارم : السيوف القواطع : والقيم جمع قمة ، وهي الرأس ، يقول : ولي سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال ، فكذبهم سيوفه بقطع رؤوسهم وجعلها - أي السيوف - كالألسنة تعبر عن تكذيبهم ؛ ولما جعلها ألسنة : جعل رؤوسهم كالأفواه ، لأنها - السيوف - تتحرك في تلك الرؤوس تحرك اللسان في الفم ؛ وهو تخيل بديع رائع .

(٢) نواطق : نعت ألسنة ، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم . وهذا البيت تفسير للمصرع الثاني من البيت السابق . يقول : إذا وقعت هذه السيوف في جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب ، وبما جهلوا منه ، لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة .

(٣) الراجع : بمعنى المرجع ، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة . يقول : هو - سيف الدولة - الذي يرد الخيل عن غزوانه وقد حفيت من كثرة اللقي ، يقودها فرسانها قودا راجعا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار في الخراب ، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم . وليس يريد أن « وبار » كان أهلها إرم ، وإنما يريد أن الديار التي ردها خيله كانت كوار خرابا ، وأهلها كإرم هلاكا . وبار : مدينة قديمة الخراب ؛ قيل كانت من مساكن عاد : أي من كل مدينة مثل وبار ، وإرم : جبل من الناس هلكوا في قديم الدهر يقال إنهم من عاد .

(٤) تل بطريق : بلد بالروم ؛ وقنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب ؛ ويقال لها أيضاً قنسرون : من ألزمها الياء أعربها إعراب مالا ينصرف ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم . هذا ، وقال الجوهري في ترجمة قنسر : وقنسرون بلد بالشام - بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح - وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لكرشة الضبي يرثى بنه :

وَعَلَّيْهِمْ أَنْتَ الْمَصْبَاحُ فِي حَلَبٍ إِذَا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ^(١)
وَالشَّمْسُ يَفْتَنُونَ إِلَّا أَنْتُمْ جَهْلُوا وَالْمَوْتُ يَدْعُونَ إِلَّا أَنْتُمْ وَهَمُوا^(٢)
فَلَمْ تُتِمَّ سُرُوجُ فَتَحَ نَاطِرِهَا إِلَّا وَجَيْشُكَ فِي جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ^(٣)
وَالنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرًّا أَنَا وَبَقَعَتِهَا وَالشَّمْسُ تَسْفِرُ أَحْيَانًا وَتَلْتَمِمْ^(٤)

سقى الله فتياناً ورأى تركتهم بحاضر قنسرين من سبل القطر^(١)
والأجم : مكان بقرب الفراءيس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار : يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التي اغترما كنها بأن دارك بعيدة عنه ، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة .
(١) ظنهم : معطوف على ما دخلت عليه الباء من قوله بأن دارك : أى واغتروا بظنهم وعادها : انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح فى حلب ، ومتى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة .
(٢) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه . يقول : ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التي تم كل مكان بضائها وإن كانت بعيدة ، إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا إذ لم يعرفوا أنهم بتعريكهم إياك إنما يدعون الموت الذي لا يتعذر عليه مكان
(٣) سروج : بلد قرب حران . والناظر : العين : أى كانت خافلة عن قدومك فلم تنبّه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها ؛ أو تقول : لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر .
(٤) النقع : القبار . وحران : بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج ،

(١) قال ابن برى : صواب إنشاده :

* سقى الله أجداناً ورأى تركنها *

وحاضر قنسرين : موضع الإقامة على الماء من قنسرين . وبعد البيت :

لمعري لقد وارت وضمت قبورهم أكففا شداد القبض بالأسل الشمر
يذكرُ منهم كل خير رأيت وشرّاً فما أنفك منهم على ذكر
يريد أنهم كانوا يأتون الخير ويجتنبون الشر ، فإذا رأيت من يأتى خيراً ذكرتهم ، وإذا رأيت من يأتى شراً لا ينهأ عنه أحد فذكرتهم .

سُحِبَ تَمْرُهُ بِحِصْنِ الرَّانِ مُنْسَكَةً وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَوْلَا أَنَّهَا نَقِمٌ^(١)
جَيْشُكَ كَأَنَّكَ فِي أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ فَلَا أَرْضَ لَا أَمَمٌ وَالْجَيْشُ لَا أَمَمٌ^(٢)

وبقيتها : ضبطها أبو العلاء المعري بفتح الباء ، وقال : هي مكان كالبطحاء يعرف بقيمة حران ، قال : ولا يجوز أن تضم الباء في هذا الموضع ، لان النقع - وهو الغبار - إذا أخذ حران فقد أخذ بقيتها ، فلا يحتاج إلى ذكره ، أما ابن جنى وجماعة معه فقد رويها بضم الباء ، وقد فسروها بأنها للكان الواسع من الأرض ، وتفسر : من سفور للراءة وهو أن تكشف عن وجهها . يقول : انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقيتها - وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيوش - وحق حجب ضوء الشمس فهي تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحتجب كأنها الحسنة تسفر أحيانا ثم تعود فتلتئم .

(١) سحب : خبر عن مذهب يرجع إلى الجيوش . وحسن الران : موضع من عمل سيف الدولة . ومنسكة : أى بخيلة بالمطر . شبه جيشه بالسحب لكثرة وانتشاره . يقول : تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس إمساكها هذا بخلا وإنما هو إشفاق على دياره ، وهذه السحب تقم ، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء .

(٢) التاء - في تطاوله - للأرض ، والهاء : للجيش : أى تطاول الأرض جيشك : أى تغالبه ط لا . والامم : القرب يقال : أخذت ذلك من أمم أى من قرب ودارى أمم داره : أى مقابلتها . وأصله القصد الذى هو الوسط ، والأمم - اليسير ، يقال ما سألت إلا أمما ، وقال زهير :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجِيرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ^(١)

ريد : أى جيرة كانوا لو أنهم بالقرب منى ؟ يقول : بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه ، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لا قرب فيه ، ثم بين هذا البيت التالى .

(١) قال ابن برى : ويروى :

وعبرة ما هم لو أنهم أمم *

والسليل : واد واسع غامض ، قال ابن برى : قوله سال السليل بهم : أى ساروا سيرا سريعا . يقول : احمذروا به ، فقد سال بهم . وقوله ما هم : « ما زائدة » و « هم » مبتدأ ، وعبرة خبره أى هم لى عبرة ، ومن رواه « وجيرة ما هم » فتكون « ما » استقمامية . أى أى جيرة هم

إِذَا مَضَى عِلْمٌ مِنْهَا بَدَأَ عِلْمٌ وَإِنْ مَضَى عِلْمٌ مِنْهُ بَدَأَ عِلْمٌ^(١)
وُسُزْبُ أَحْمَتِ الشُّعْرَى شَكَامَهَا وَوَسَمَتَهَا عَلَى آنَافِهَا الْحَكَمُ^(٢)
حَتَّى وَرَدَنَ بِسَمْنٍ بِحَبْرَتِهَا تَنْشُ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا الْأَجْمُ^(٣)

(١) علم الأرض : هو الجبل ؛ وعلم الجيش : الراجية . يقول : كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر ؛ وكذلك هذا الجيش : كلما مضت كتيبة منه برأيتها جاءت كتيبة أخرى ، فلا الأرض تنفي ولا الجيش يفرغ . هذا : وقد جاء في أمالي ابن الشجري ما يأتي : قال الخطيب التبريزي : لو قال - المتنبي - وإن مضى عالم لكان أحسن ؛ لأن تكرار العلم كثر في البيت ، قال ابن الشجري : ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحا في صناعة الشعر لأنه أتى بذكر العلم - الذي هو الجبل - مرتين ، فوجب أن يقابله بذكر العلم - الذي هو الراجية - مرتين : وإذا قال مضى عالم : دل على كثرة الجيش ، فكذلك ذكر العلم يدل على كثرة الجيش ، لأن العلم يكون تحت أمير معه جماعة وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل ما في التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار ببعض بحرف عطف أو شرط أو غيرها من العلاقات ، وقد جاء في الكتاب العزيز « وإن منهم لفرقا يلون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » وأيضا فيه « فاستمتعوا بخلائقهم فاستمتعتم بخلائقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلائقهم » والتكرار في هذا النحو حسن مقبول ، وإذا ورد التكرار في الكتاب العزيز علمت أن التكرار في بيت المتنبي غير معيب ، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ في بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد ،

(٢) سُزْبُ : عطف على جيش ، أو على علم - الأخير - وهي تجمع شازب : الفرس الضامر . وخيل سُزْبُ : ضوامر . والشعري الجمانية ، نجم يطلع في فصل الصيف ، فهي تعد من نجوم القيقظ ؛ لأن طلوعها حينئذ يكون مع طلوع الشمس . والشكائم : جمع شكيمة ، الحديد الممتدة في فم الفرس ؛ والحكم : جمع حكمة ، ما أحاط من اللجم بالحكم . يقول : وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ؛ يعني لشدة الحر أحمت الشمس اللجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم - السكي -

(٣) سمنين : موضع . والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلا ، يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت في الماء فسمع للجمها نشيش في أشداقها لشدة حرارة الحديد . يريد أنها كانت محماة ؛ فلما أصابها الماء نشت ، ويريد أنها - لسرعتها - وردت الماء وشربت بلجمها .

وَأَصْبَحَتْ بَقْرَى هَنْزِيَطَ جَائِلَةً تَرْعَى الظُّبَى فِي خَصِيبِ نَبْتِهِ^(١) ،
فَمَا تَرَكْنَ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَعْرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَارًا لَهُ قَدَمٌ^(٢) ،
وَلَا هِزْبًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاءَ لَهَا مِنْ شِبْهٍهَا حَشَمٌ^(٣) ،
تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ مَكَامِنَ الْأَرْضِ وَالْفَيْطَانُ وَالْأَكَمُ^(٤) .

(١) وأصبحت : أى الخيل ، وهنزيط : موضع يبلاد الروم . والظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والظبي : فاعل ترعى ، والجملة : حال من قرى . يريد فى خصيب منها . واللمم : جمع لمة ، ما ألم بالنكب من الشعر . يقول : أصبعت الخيل جائلة بقرى هذا المكان للغارة والقتل ، والسيوف ترعى منها فى مكان خصيب نبتة الشعور : يعنى رءوسهم وعبرة ابن جنى والواحدى : إن السيوف ترعى فى مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم ، يعنى أن السيوف تصل من الروس إلى مكان مثل ما يصل إليه المال الراعى - الماشية - فى البلد الحصب .

(٢) فما تركن أى الظبي - السيوف - والخلد ضرب من الفأر ليست له عيون قال ابن جنى وكذلك الواحدى : يقول : إن أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطامير والأسراب كالفأر إذا ريعت من شئ دخلت جحرها وفريقا توقلوا - صعدوا - فى الجبال واعتصموا بها كالبلابزى يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلداً ذات أعين ، ومن تحصن بالجبال بزة لها أقدام . لأنه يريد بالفريقين ناسا والمعنى ما تركت السيوف إنسانا دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبلابزى إلا أهلكته وعبرة ابن القطاع : « ما تركن من » هو فى ضعفه وخفاء مكانه كالخلد ، إلا أنه ذو بصر - يعنى إنسانا - ولا تركن من هو كالبلابزى فى ارتفاعه إلا أنه ذو قدم » يعنى إنسانا .

(٣) الهزبر الأسد ، واللبد : جمع لبدة ، كقربة وقرب ، وهى زبرة الأسد : أى ماعلى كتنفيه من الشعر . والمهاة : البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم : الخدم ، وهى حاشية الرجل العظيم . يقول : ولا تركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبدة درع ، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها : يعنى نساء من الأمراء والأشراف .

(٤) الشفرات جمع شفرة ، حد السيف . والباترات . القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والفيطان : جمع غائط ، الطمئن من الأرض ؛ والأكم : جمع أكمة ، التل . يقول : إنهم لوشك حينهم - هلاكهم - وحلول آجالهم - لم يجدم

وَجَاوَزُوا أَرْضَنَا مُعْصِمِينَ بِهِ وَكَيْفَ يَنْصِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْعَصِمُ^(١)
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرِ لَهْمٍ سَعَةً وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهْمٍ شِمَمٍ^(٢)
ضَرْبَتُهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً قَوْمًا إِذَا تَلَفُوا قَدْ مَا فَقَدْ سَلُوا^(٣)
تَجْفَلُ الْمَوْجُ عَنْ لِبَاتِ خَيْلِهِمْ كَمَا تَجْفَلُ تَحْتَ الْفَارَةِ الْقَعَمُ^(٤)
عَبَرَتْ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ سَكَّانُهُ رِمَتْ مَسْكُونَهَا حُمَمُ^(٥)

ينفعهم - الحرب ، ولم ينجمهم من القتل ، حتى كأن الموضع التي هربوا إليها من الشيطان والجبال كانت تغذف بهم وترميمهم على حدود السيف .

(١) أرسناس : نهر معروف ببلادهم ، ومعصمين : أى محتنين ؛ وأسله أن يستملك الراكب بشيء خوفاً من أن يصرعه فرسه . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك ، وكيف يعصمهم ما ليس ينصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركه بالسفن والجسور وراهم .

(٢) الطود : الجبل . والشمم : العلو والارتفاع . والبيت توکید للبيت السابق . يقول : إن سعة بحارهم لا تصدك عنها ، لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها ، لأنك تعلوها وتصعدھا .

(٣) الضمير في ضربته : للنهر - وهو أرسناس - وقدماء - أى إقداما - حال يقول : ضربته بصدر خيلك حين عبرته وهى تحمل قوما يرون التلف في الإقدام سلامة : أى لا يهابون التلف ، بل يتهافون عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

يسستعذبون منايهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلوا

(٤) تجفل - فى الصراعين بحذف إحدى التاءين - أى تتجفل ، والتجفل : الإسراع فى الذهاب . واللبات : جمع لبة . أعلى الصدر . و"نارة : الخيل الفائرة على العدو ؛ والنم : اللواشى ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل يقول : إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهى سابحة فتتابع بسرعة كما تنهزم اللواشى عند الفارة عليها فتنهزم وتجفل بسرعة .

(٥) تقدمهم أى تقدمهم ، والضمير من « فيه » للنهر والرم : العظام البالية . والحلم بوزن صرد : الرماد والفحم ، وكل ما احترق بالنار ، الواحدة حممة . وفى الأثر : إن رجلاً أوصى بنيه عند موته فقال : إذا أنامت فأحرقونى بالنار ، ثم إذا صرت حمياً فاسحقونى ، ثم ذرونى فى الريح لعل أضل الله وقال طرفة :

وَفِي أَكْثَمِهِمُ النَّارُ الَّتِي عُيِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرُّمُ^(١)
 هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَفِّرْ مَفْشَرًا صَفَّرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تَعْظُمَ مَفْشَرًا عَظُمُوا^(٢)
 قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقٍ فَكَانَ لَهَا أَنْطَلُمَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ^(٣)

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حمه

يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذي قتلت أهله فصاروا رمما ، وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما . وذلك البلد هو تل بطريق .
 (١) وفي أكثهم : أى أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكروهم في قوله حاملة قوما - وأراد بالنار : السيوف جعل السيوف نارا ، اضطراما وإهلاكا ؛ أولا فيها من البريق واللحان . يقول : إنها - السيوف - نار كانت مطاعة في كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار ، وهى نار تضطرم إلى هذا اليوم : أى تتوقد وتبرق . وقال ابن جني : يريد سيوفا كالنار في الصفاء والجواهر : وقبل المجوس : يريد أنها قديمة . وعبارة الخطيب التبريزي : يريد بالنار : السيوف ، شبهها بالنار اضطراما وإهلاكا . وعبادتهم السيوف : اشتملهم بها كما يشتمل المسلمون بالصحف والسيحيون بالصلب .
 (٢) هندية : أى هى سيوف منسوبة إلى الهند . وقال العكبري : جزم الشرط ولم يأت له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه . والأولى في الشرط والجواب إذا كانا فعلين أن يكونا مستقبلين ، ويجوز أن يكونا ماضيين : ويجوز أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا ، وبالعكس - كهذا « وهو أضعفها ، لأن الشرط إذا أثر في الشرط يريد أن يؤثر في الجواب . وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيا والجواب مضارعا جاز فيه الجزم والرفع ، وأنشد بيت زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم^(١)

وهذا قول مردود . لأن سبويه يجعل هذا ضرورة في الشعر ، والشرط معترض ويقول خبر « لا » جواب ، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض ، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : يقول ؛ ووجه التأخير أن المعنى يقول : لا غائب مالى إن أتاه خليل .

(٣) الهاء من « قاسمتها » و« لها » : للنار : أى السيوف ؛ وتل بطريق : مفعول

(١) الخليل : المحتاج للعمد والفقير المختل الحال ، والسغبة : المجاعة . وحرم .

أى ممنوع .

تَلَقَّى بِهِمْ زَبَدَ الْتِيَّارِ مُقَرَّبَةً عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْجِهِ رَثِمٌ^(١)
 دُفْمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابٌ أَبْطَنَهَا مَكْدُودَةٌ يَقُومُ لَابِهَا الْأَلَمُ^(٢)
 مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي كِدَتْ الْعَدُوُّ بِهَا وَمَا لَهَا خَلَقَ مِنْهَا وَلَا شَيْمٌ^(٣)
 يَتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ كَلَفَظَ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهَمٌ^(٤)
 وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرَبِ فِي لَجَبٍ أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمَّوْا^(٥)

ثان لقاسمتها ؛ والضمير من أبطالها : لتل بطريق . يقول : قاسمت سيوفك سكان هذه البلدة - تل بطريق - فجعلت أبطالها للسيوف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء .

(١) بهم : أى بالأطفال والحرم والزبد : رغوة اللوج . والتيار : اللوج الذى ينضح - يرش - والمقربة - فى الأصل - : الخيل المدناة من البيوت ، لسكرها وإعدادها للقارة والجحافل : جمع جفلة ، وهى لدى الحافر كالشفة للإنسان ؛ والنضح : الرش ؛ والرثم : بياض فى شفة الفرس العليا ، يريد بالمقربة : السفر ؛ جعلها كالحيل للمقربة : يعنى عبر بالسبي الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ؛ ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل ، وجعل مالمصق من زبد الماء بها كالرثم فى جحافل الخيل .

(٢) دم : أى هى - المقربة - دم ، وفوارسها : مبتدأ ؛ وركاب : خبره ؛ ومكدودة أى مجهودة بسرعة السير - خبر آخر عن ضمير « المقربة » ؛ والألم : مبتدأ خبره : يقوم يقول : هى سود - لأنها مطلية بالقار ، وفوارسها تركب بطونها ، لاظهروها ، على خلاف الخيل إذا ركبت ، وهى متعبة فى سيرها ؛ إلا أن ألم هذا للتعجب ينال من الملاحين لامنها هى لأنهم هم الذين يعملون دونها .

(٣) الجياد : الخيل ، والجار والمجورور : خبر آخر عن ضمير « المقربة » والشيم : الأخلاق ، يقول : إن هذه السفن تعد من الخيل التى جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوهك إليهم ، إلا أنه ليس لها خالقة الخيل ولاطباعها .

(٤) فى وقت : صلة تتاج ؛ وعلى هجل : بدل من الظرف قبله والمراد بالحرف هنا : الكلمة . يقول : إن هذه السفن مما أحدثه رأيك فى وقت قريب المدة كدمة فهم السامع ذى الفهم كلمة ينطق بها ناطق : أى كانت المدة فى اتخاذها كاللدة التى يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا : أى كلمة . قال الواحدى : ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم بما له معنى : ك«ع» ، من وعيت ، و«د» : من وديت .

(٥) الدرب : موضع ؛ وغداة الدرب : أى غداة اليوم الذى كانوا فيه على هذا

صَدَدْتَهُمْ بِخَيْسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَصَمَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ^(١)
فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ^(٢)
وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطَّرِيقِ خَلْفَهُمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ مِلءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمْ^(٣)
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرَبَاتُ صَاعِدَةً تَوَافَقَتْ قُلُلٌ فِي الْجَوِّ تَضْطَدِمُ^(٤)

الموضع ؛ وفي لجب : حال من فاعل « تمنوا » واللجب : الصباح واختلاط الأصوات ؛ وبكسر الجيم : نعت للجيش العظيم الذي تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك في ذلك اليوم ، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأى - أى تحيروا - أو تقول : تمنوا في ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سدت عليهم مذاهب الرأى فصاروا من شدة الحيرة كالعميان . وقال الواحدى : عموا : أى غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا .

(١) الخيس : الجيش . « والقرة » فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس ، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمهرية : الرماح ؛ والغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . جعل الجيش كأنه فرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالقفرة ، والرماح المشرعة فى أيديهم كالغمم ، لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

قَلَوْنَا أَنَا شَهْدَانَا كَمْ نُصِيرُنَا بِذِي لَجَبٍ أَرْبَ مِنَ الْعَوَالِي

(الأرب - فى الأصل الطويل الشعر الكثيرة ؛ والعوالى : الرماح . واللجب : اختلاط الأصوات ، وذو اللجب : الجيش) .

(٢) يسقطن : أى الجسوم ، والجملة حالية ، يقول : ثبتت أجسامهم أمامك ؛ لأنك لم تترك لهم سبيلا إلى الهزيمة ، فسقطت حولك وانهزمت أرواحهم .

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج - فرس كريم كان لبني هلال - وولد - فى الصراعين - حال من الضمير فى الظرف ؛ والمشرقية : السيوف ، يقول : إن الخيل كانت خلفهم مائلة الطرق لكثرتها ، وجعل السيوف ملء اليوم ، لأنها تملو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء ، فأينما كان النهار كانت السيوف . وهذا - كما قال الواحدى - مبالغة فى القول ، وإغراق فى الوصف .

(٤) الضربات - بسكون الراء - للضرورة والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء - لأن اليد ترفع للضرب - توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء : يعنى أنهم لا يضربون ضربة

وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمَشَقِيقٍ أَلَيْتَهُ^(١) أَلَا أُنْتَفَى فَهَوَ يَنْأَى وَهَى تَبَقَسِمِ^(٢)
 لَا يَأْمُلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ^(٣) فَيَسْرِقُ النَّفْسَ الْأَذْنَى وَيَفْتَنِمِ^(٤)
 تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْطَانِ سَابِقَةً^(٥) صَوَّبُ الْأَسْنَةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيمِ^(٦)
 تَخْطُ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا^(٧) كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمِ^(٨)
 فَلَا سَقَى الْغَيْثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرِ^(٩)
 لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخَصَهُ الرَّخَمِ^(١٠)

إلا قطعوا بها رأسا ، فالردوس المقطوعة على قدر تلك الضربات ، لا تخطى لهم ضربة عز
 قطع رأس .

(١) أسلم : ترك ؛ وابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم : أى قوادهم ؛ وأليته
 يمينه . وألا : أى أن لا ؛ و « أن » هنا : لتفسير ؛ ولا انتفى : حكاية اليمين ، وينأى
 يبعد . يقول : ترك يمينه التى حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك ، فانهز
 وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك .

(٢) الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى - وقد طابق بينهما - والمهجة : الروح .
 وقوله فيسرق : أراد فهو يسرق ، فرفعه . يقول : ليأسه من نفسه لا يأمل
 أن يستتم النفس البعيد - أى الطويل - فهو يغتم أنفاسه القريبة سرقة من
 أبدى الأجل .

(٣) عنه : أى عن ابن شمشقيق ، والقنا : الرماح ، والسابقة : الدرع التامة الطويلة
 والصوب : الانصباب ، والديم : جمع ديمة ، المطر الدائم فى سكون ، وفى أثنائها : أى فى
 تضاعفها ومطاوئها ، يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابقة ، وقد تلطخت بالدماء
 التى تسيل من الأسنة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسنة فى هذه الدرع كديمة
 المطر قتا بها .

(٤) العوالى : صدور الرماح ، وليس تنفذها : حال ، يقول : إن الرماح تؤثر فى
 درعه : أى تجرحها ، ولا تنفذها إلى جسمه ، حتى كأن أسنتها أقلام تخط فى القراطس
 ولا تؤثر فيه ولا تخرقه .

(٥) الغيث : المطر ، وواراه : ستره وأخفاه ؛ ومن شجر : بيان لـ « ما » . وزل عنه :
 أخطأه ، والرخم : جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة ، يشبه النسر فى الحلقة ،
 يقول : إنه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ، ولولا ذلك لقتل وألقى للطير ،

أَلْهِىَ الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرِ قَفْلَتَ بِهِ شُرْبُ الْمَدَامَةِ وَالْأَوْتَارُ وَالنِّعَمُ^(١)
مُقْلَدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبٍ لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ^(٢)
أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا
فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمٌ^(٣)
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ^(٤)
نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنِ مَحَاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحِلْمُ^(٥)

فكانت تجتمع - الطير - عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لا يسقى الماء .

(١) الممالك : أى أصحاب الممالك ، وقفلت : رجعت ، يقول : ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر - الذى كسبته فى هذه الغزوة - لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء .

(٢) مقولدا : حال ، العامل فيها : قفلت ، وذاشطب : أى سيفاً فى منته طرائق ، والضمير فى « منها » : للشكر والسيف ، يقول : جعلت الشكر شعارك ، وتقلدت فوقه سيفاً تمجده به أعداء الله ولا شيء يستديم النعم مثلهما ؛ فقلوه : لاستددام الخ استئناف ، قال العكبرى : هو استئناف وليس بوصف لشكر الله وذاشطب : لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لاتوصف بالجملة ، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، جرى مجرى قولك : مررت بزيد وجاءنى رجل عاقلان : أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة .

(٣) يقول : لكثرة ما قتلتهم منهم كأن دماءهم صارت تطيعك ، لعلها بأنها لا تمتنع منك كما أردت سحقها ، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لسات دماؤهم قبل الضرب إجابة لك .

(٤) يريد بالحادثة : ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرها . يقول : إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا خائف أنوفهم أو يهربوا من كبر السن . فيهلكون شاباً أصحاء الأبدان ؛ وبعبارة أخرى : إنك تفنهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والمهرم ؛ فما ترك منهم أحداً حتى يموت خائف أنه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم ،

(٥) على : اسم سيف الدولة ؛ والمهاجر : جمع محجر ، وهو ما حول العين - يهد جفونه - والحلم : الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لا تسكن

القائمُ المَلِكُ الهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ
 قِيَامَتُهُ وَهَدَاهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ^(١)
 ابْنُ الْمَعْقَرِ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا
 بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ^(٢)
 لَا تَطْلُبُنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَاخُتُمُوا^(٣)
 وَلَا تَبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاهِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَجِدَ الصَّمَمَ^(٤)

إلى الأحلام ولا ما تزينه من بلوغ الآمال ، لأن مثله في قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أو يحقق بنفسه وقوة إرادته مقتضى عزمته . وقال العكبري : نفى رقاذه عن عينيه كبر همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو . ويفرج : تروى يفرج - بالحاء المهملة -

(١) القائم : إما بالرفع - على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو القائم - وإما بالجر بدلا من « على » . يقول : هو القائم بالأمور يديرها ويمضيها على وجهها الهادي إلى دين الله ، الذي شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب ، وهده في الدين ؛ ولك أن تقول الهادي من هدى اللازم : أي المهتدى .

(٢) عمره : ألقاه على العفر : أي التراب ؛ وكوفان : اسم للكوفة ، وأراد بالحرم : مكة - يقول : هو ابن الذي قتل فرسان نجد وتركهم يتعرجون في التراب وملك الكوفة والحرم . قال الواحدى : يعنى حرب أبيه أي الهيجاء للقرامطة وإفناءه إياهم وولايته الكوفة وطريق مكة . قال العكبري : وأنت ضمير نجد - بقوله فوارسها - على إرادة الجهة ؛ قال : ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب ، وهو أجود من أن يعود على نجد .

(٣) يدا : تميز . يقول : متى رأيته وظفرت به فلا تطلب بعده كريما ، فلا كريم بعده ، لأنه خاتمة الكرام ؛ إذ هو أسخاهم يدا .

(٤) يريد بشاعره : نفسه ، ثم قال : قد فسد قول الشعر ، خفيق به ألا يسمع ، فالصمم حينئذ يحمى حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر .

وقال يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله
فى صباه :

كُنِّيْ أَرَانِيْ وَبِكَ لَوْمَكَ الْوَمَا هَمْ أَقَامَ عَلَى فُوَادِيْ أَنْجَمًا^(١)
وَخَيَالُ جَنَسٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنْجِلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمًا^(٢)
وَحُنُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لِهَيْبِهِ يَا جَنَّتِيْ لَظَنَنْتُ فِيهِ جَهَنَّمَ^(٣)

(١) كفى : دعى وتركى ؛ وأرانى : يريد عرفنى وأعلمنى . ووبك : أصلها وبلك ،
فحذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وهى كلمة تقال فى مقام التعجب والإنكار ؛ وهم : فاعل
أرانى ؛ والياء - فى أرانى - مفعول أول ولومك : مفعول ثان ؛ و«الوما» مفعول ثالث
وأنجم أى أطلع وذهب . قال الواحدى : يقال أنجمت السماء : إذا أطلعت عن المطر ؛
وأنجم المطر : أى أمسك ؛ ولا يقال أنجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ، ولكنه - للتنبي -
استعمله فى مقابلة أقام . يقول للعاذلة : تركى عدلى ، فقد أرانى الهم - القيم على فؤادى
الراحل الذاهب مع الحبيب - أن لومك إياى أحق بأن يلام منى . وعلى هذا يكون
«الوما» مبنيًا من اللوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذًا . وقال قوم :
«الوما» من الليم ، وهو الذى استحق اللوم . يقول لها : الهم أرانى لومك أبلغ فى
الإلامه واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى أرانى الهم
القيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب - أن لومك أبلغ تأثيرًا وأشد على وذلك
أن المحزون لا يطيق استماع اللوم ، فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة ، فكفى عنى
وفيه نظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة :

تَقُولُ وَتُظْهَرُ وَجَدًا بِنَا وَوَجْدِيْ لَوْ أَظْهَرْتَ أَوْجَدَ

وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستعنيا بنفسه: أى كفى لومك فإنى
أرانى ألوم منك : أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون «هم» مرفوعا بابتداء مضمرة .
أى هذا هم ، أو بفعل : أى أصابنى هم .

(٢) خيال : عطف على «هم» ، جعل جسمه خيالًا ليدل بذلك على دقته ونحوه ،
فإن الخيال أيسر لما يتخيل لك لا عن حقيقة . يقول . لم يترك الهوى بجسمى محلا من
لحم ودم فيعمل فيه السقام . ونصب «ينحله» لأنه جواب نفي بالفاء .

(٣) وخفوق . عطف آخر على «هم» ، والخفوق والخفقان : اضطراب القلب ،
واللهيب : ما التهب من النار ، ويريد بلهب قلبه : ما فيه من حرارة الشوق والوجد

وَإِذَا سَحَابَةٌ صَدَّ حَبًّا أُبْرِقَتْ تَرَكْتُ حَلَاوَةَ كُلِّ حَبٍّ عَلَقَمًا^(١)
يَا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الَّتِي كَوَّلَاكَ مَا
أَكَلَ الضَّنَى جَسَدِي وَرَضَّ الْأَعْظَمَا^(٢)
إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُو فَاثْنِي أَصْبَحْتُ مِنْ كِبْدِي وَمِنْهَا مُقَدِّمًا^(٣)

وعنى بالجنة : الحبيبة ، يقول : لو رأيت ما في قلبي من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم في قلبي ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة ، والتقصه واحدة ، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ، ولكن الحبيبة لا تغذل على الهوى إلا ترى إلى قول أبي حية النميري :

عَذَلْتَنِي فِي عَشَقِيهَا أَمْ عَمِرُوا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَاذِلِ لِلْمَعشُوقِ ؟
والبيت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينه في وداع محبوبته :

غَدَتُ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهِلَا وَقَلْبِي غَدَا مِنْ مُحِبَّهَا فِي جَهَنَّمِ
(١) الحب : المحبوب . وأبرقت السحابة : أظهرت برقها ، والعلقم : شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شيء مر : علقم ، استعار للصدود سحابا ، ولما استعار له سحابا استعار له برقا . يقول : إذا ظهرت غيايل الصدود ولاحت لوائحه : زالت حلاوة الحب واستحالته إلى مرارة .

(٢) قال ابن جني : داهية : اسم التي شيب بها ، وقال ابن فورجه : ليست باسم علم لها ، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجر ، لعظيم ما حل به من بلائها : أى أنها لم تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جني لترك صرفها في البيت ، ولو لم تكن علما لكان الوجه صرفها . أقول : الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه ، وإنما هو كناية عن اسم العبيبة نزلها منزلة العلم عليها ، فمنعها من الصرف لذلك . يقول لوجه الحبيبة : لولاك ما تسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض : الدق والكسر ورضاض كل شيء : دقاؤه ، فالعنى . ضعفت حتى كأنى قد كسرت عظامى .

(٣) المعدم : الفقير ؛ ذكره فى مقابلة قوله « أغناها » وسلاه وسلاعه سلوا : نسي ذكره وذهل عنه يقول : إن كان السلو قد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى ، فقد عديمها وعدمت كبدى ، لأن هواها أحرق كبدى ، فأنا معدم - فقير - منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير إليها ، وبعبارة بعض الشراح : يريد أنها قد سلبت كبده بحبها ؛ فإن كان السلو قد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كبده وحبسته .

غُصْنٌ عَلَى نَقْوَى فَلَاةٍ نَابَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلًا مُظْلِمًا^(١)
لَمْ تَجْمَعْ الْأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهِ إِلَّا لَتَجْمَعَنَّ لَنِي لِعَرْمِي مَقَمًا^(٢)
كَصِفَاتِ أَوْجَدِنَا أَبِي الْفَضْلِ الَّتِي بَهَرْتُ فَأَنْطَقَ وَأَصْفِيهِ وَأَفْحَمًا^(٣)
يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فَإِنْ أَهْجَلْتَهُ أَعْطَاكَ مُنْتَذِرًا كَنْ قَدْ أَجْرَمًا^(٤)

لأنه قد حرهما جميعا : هذا . ومعدما رواها ابن جني « مصرما » والمصرم والمعدم واحد ؛ ومثلهما : المصحق والمحاق والبلط والمسر والمقتر والمفلس ، كل أولئك : الذي لا مال له ومن كلام العرب : كلا ! تبيع له كبد المضرم ، وهو الذي لا مال له ، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعيا في هذا السكلا فأوجعته كبده .

(١) نقوى : ثنية « نقام » ، وهو الكتيب من الرمل ، يقال في الثنية : نقوان ونقيان ، وسمى الكتيب من الرمل نقالا لأن المطر إذا أصابه نقام وغسله كما ينقي الثوب بالغسل . والفلاة : المفازة . وتقل : تحمل ، يصف الحبيبة يقول : هي غصن - يعني قامتها - نابت على كتيب رملي « يعني ردفها » ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلامظما . (٢) يريد بالأضداد : ما ذكره في البيت السابق - من دقة قامتها ، وثقل ردفها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها - وهذه - على تضادها - مجموعة في شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة في شخص تماثل حسنه إلا لتجعلني هذه الأضداد غنا لعرمي : أي لما لزم من عشقها وهواها ، يعني إلا لتستعبدني وترتهن قلبي فقله « في متشابه » أراد شخصا الذي تشابهت أعضاؤه في حسن الخلق وتناسبه ، والغرم : الغرام ، وهو ما لزمه من عشقها وهواها ؛ والمغم : الغنيمه ، وهو ما يفتنمه الإنسان ؛ وأصله من مال العدو ثم صار في كل ما يصيبه الإنسان من كسب أو هبة . ويروى « لم تجمع الأضداد » على إسناد الفعل للحبيبة .

(٣) بهر الشيء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهر النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات المدح من كونه مرا على الأعداء ، حلوا للأولياء ، طلقا لدى الندى ، جهما عند اللقاء - في الحرب - وما أشبه ذلك . وقال : إن هذه الصفات غلبت وأصفيها فلم يقدروا على وصفها فأنتطق وأصفيه ، لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه : ثم أخفهم لعجزهم عن إدراكها ، والإفهام : ضد الإنطاق ، والمفحم : الذي لا يقول الشعر ، وهذا ضرب من التخلص .

(٤) يقول : إنه يبتدرك بالعطاء ، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بحرم - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال (١٠ - الثاني ٤)

وَيَرَى التَّعَظَّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا
وَيَرَى التَّوَاضُّعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمًا^(١)
ذَرَّ النَّعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمًا^(٢)
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَعْنَى جَوْهَرًا
مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أُنْمَى مِنْ سَمَاءِ^(٣)

جرم يجرم واجترم : أى كسب ، وهو يجرم لأهله ويحترم : أى يتكسب ويطلب
ويحتال ، وجريمة القوم : كاسبهم ، يقال فلان جارم أهله وجريمته : أى كاسبهم ، قال
أبو خراش الهذلي يصف عقابا شبه فرسه بها :

كَأَنِّي إِذْ غَدَوْتُ ضَمَنْتُ بُرِّي مِنْ الْعِقَابِ خَائِفَةً طُلُوبًا

جريمة ناهض فى رأس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا^(١)

(١) التَّعَظَّمَ : إظهار العظمة ؛ وضده التواضع ، وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع
التواضع موضع الضعة والحساسة ، كما وضع التعظم موضع العظمة ، يقول : يرى شرفه
وارتفاع رتبته فى تواضعه ، واتضاعها فى تكبره والمعنى : يرى العظمة فى أن يتواضع ،
ويرى الضعة فى أن يتعظم : أى فليس يتعظم

(٢) الفعال : اسم للفعل الجليل ، والمطال : الماطلة ، وهى المدافعة ، قال الواحدى :
ولو قال « المقال » : لكان أحسن ، ليكون فى مقابلة الفعال ، يقول : نصر فعله على
القول ، وعطاءه على المطل : أى يعطى ولا يعد ولا يماطل ، كأنه يظن أن السؤال حرام
على العطاء ، ولا يجوز إلى السؤال ، بل يسبق بعطائه السؤال ، قال الواحدى : وهذا
على المجاز والتوسع ، لأن العطاء لا يوصف بأنه يجرم عليه شيء ، ولكنه أراد أن
يذكر تباعده عن الإلجاء إلى السؤال .

(٣) أراد بالجواهر : الأُصل والنفس ، وذو الملكوت : هو الله سبحانه وتعالى ؛
يقول : أيها الملك الذى خلص جوهرها « أى أصلا ونفسا » من عند الله : أى أن الله تعالى

(١) غدت : أى للحرب . وبزى : أى سلاحى . وخائفة : أى منقضة . يقال
خانت العقاب : أى انقضت ، وطلوبا : صفة لخائفة ، وجريمة : بمعنى كاسبة ، والناهض :
فرخها ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ؛ والصليب : ودك العظام . يقول عن هذه
العقاب التى شبه بها فرسه : إنها تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طيرا كlette
وبقى عظامه يسيل منها الودك .

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَا هُوتِيَّةَ ، فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُفْعَلَا^(١)
وَيُهِمُّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلِّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَا^(٢)

تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى . قال الواحدى وهذا مدح يوجب الوهم . والفاظ مستكرهه فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف المدوح عن مذهبه ، حتى إذا رضى بهذا : علم أنه ردى المذهب بادعائه الألوهية ؛ وإن أنكر : علم أنه حسن الاعتقاد ، لا يرضى بدعوى الألوهية لنفسه . وأسمى من سما : صفة لدى الملكوت - أما ابن جنى فإنه يجعله للمدوح ، لأنه قال : هو منادى ، كأنه قال : يا أعلى من علا . قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعا ، كأنه قال : أنت أعلى من علا .

(١) لا هوتية : هى رواية ابن جنى ، قال : ونصبها على المصدر ، ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى « تظاهر » . قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ ، لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته ، والرواية لا هوتيه ، وتظاهر وظهر : بمعنى ، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون : أى أعان بعضه بعضا ، ولا هوتية : إلهية ، وهى لغة عبرانية ، يقولون لله تعالى : لا هوت ، وللإنسان ناسوت ، وقال ابن جنى لو كان عربيا لكان اشتقاقه من اله الذى أدخل عليه الألف واللام فصار مختصا باسم الله تعالى - فى أحد قولى سيبويه - ويكون بوزن الطاغوت ، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب ولو كان عربيا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت . يقول : قد ظهر فىك نور إلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(٢) يهم : أى النور ، وفصاحة : مفعول له ، وأن يتكلما : صلة « يهم » يقول : ويهم هذا النور الإلهى لظهوره أن يتكلم فىك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك فىك . وإليك نص كلام الواحدى : قال : قال ابن جنى : أى يهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك ، وهذا عند من يجوز زيادة « من » فى الإثبات ، وفيك - فى أول البيت - يتعلق بأن يتكلم فى آخره ، وفيك أى فى مدحك ووصفك . قال الواحدى : وليس للمعنى على ما ذكره - أى ابن جنى - من وجهين : أحدهما : أنه جعل ظهور النور فى كل عضو منه نطقا . واللفظ لا يشعر به ، إلا أن يقال : هم به ولم يفعله ، والآخر : أنه لا يكون لقوله « إذا نطقت فصاحة » فائدة ، لأن قوله * ويهم فىك كل عضو منك أن يتكلما * أفاد المعنى المراد ، فبقى ذلك الباقي لقوا ،

أَنَا مُبْعِرٌ وَأُظَنُّ أَنِّي نَائِمٌ مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمًا^(١)
كَعَبَرِ الْعِيَانِ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوْهَمًا^(٢)
يَا مَنْ لِحُجُودِ يَدَيْهِ فِي أُمُورِهِ نَقِمَ تَعَوُّدٌ عَلَى الْيَقَايِ أَنْعَمًا^(٣)

واللغى أنه جعل التطق عبارة عن الظهور ، وكان ينبغي أن يقول هم - بأن يظهر - ولكنه لم يظهر ، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الإلهي - أعني به القوة الناطقة - وكانت هو للوجوب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال : بهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم ، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقا ، والغنى : لفصاحتك بفعل النور ذلك .

(١) يقول : أنا مستيقظ ولكن أعظم ما أرى منك وغرابته أظن أني في الحلم ؛ ثم عدل عن ذلك وقال : بمن يحلم بالآله حتى أحلم بك ؟ يريد أن يثبت له الألوهية امتحانا ، وعبارة الشراح : أنا أبصرك وأظن أني أراك في النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال : أرى هذا حلما ؛ أي أن مثل هذا لا يرى في اليقظة ؛ وهذا كما قال الآخر :

أَبْطَحَاءُ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِيَانًا وَهَذَا أَنَا

قال الواحدى : استفهم متعجبا مما رأى ؛ ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائما يدل على هذا باقى البيت والغنى : لا يحلم أحد برؤية الله تعالى ؛ ولا يراه في النوم أحد حتى أراك أنا ؛ أي كما لا يرى الله تعالى في النوم : كذلك لا ترى أنت قال الواحدى : وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد ثم هو غلط في إنكار رؤية الله تعالى في النوم ، فإن الأخبار قد تواترت بذلك . وقد ذكر للعبرون حكم تلك الرؤيا في كتبهم ، وروى أن ملكا من الملوك رأى في نومه أن الله تعالى قد مات ، فقص رؤياه على اللعبرين فلم يتكلموا فيها بشيء استعظاما لما رأى ، حتى قال من كان أعلمهم : تأويل رؤياك أن الحق قد مات في بلدك لظلمك وجورك ، وذلك بأن الله هو الحق ، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب .

(٢) هذا البيت تأكيد لما ذكر في البيت السابق . يقول : قد عظم على ما عاينه من المدح وحاله حتى شككت فيها رأيت ، إذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار للعابن كالتوهم الظنون الذى لا يدرك بالعيان ، أى لا يرى .

(٣) يقول : إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه ،

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلًا ، وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا^(١)
إِذَا كَارُ مِثْلُكَ تَرَكْ إِذَا كَارِيَ لَهُ إِذَا لَا تَرِيدُ لِمَا أَرِيدُ مُتَرَجِّمًا^(٢)

• • •

غير أن تلك النعم في أموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم : قال الواحدى : ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس .
(١) ماذا - في اللصراعين « مركبة من « ما » النافية العاملة بعمل « ليس » و « ذا » الإشارية . يقول : هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ، وحتى يقول بيت المال : ليس هذا مسلماً ، لأنه فرق بيوت مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئاً ؛ ومثل هذا قول أبى نواس :

جُدْتُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى قِيلَ مَا هَذَا صَحِيحٌ

يريد أبو نواس : ما هذا صحيح العقل . وقد صرح بذلك في موضع آخر فقال :

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسَ حُمَقًا

وتبعه أبو تمام فقال ،

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ عَمَلٌ

قال الواحدى : وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فساداً ، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب الضبى :

حِرَاءُ تَأْمِكَةُ السَّامِ كَأَنهَا جَلُّ بَهْوَاجِ أَهْلِهِ مَظْمُونٌ

جَادَتْ بِهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كَلَّتَا يَدَايَ عُمَرَ الْفِدَاءَ يَمِينُ

مَا كَانَ يُعْطَى مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمٌ أَلْغِيمٌ أَوْ مَجْنُونٌ^(١)

(٢) أذكرته كذا : بمعنى ذكرته ، وللترجم : للعبر عن الشيء مثل الترجمان . يقول : إن مثلك لا يحتاج إلى إذكراك بحاجة ، لأنك تعلمها من غير تذكير ، فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك ، فيكون ترك الإذكراك إذكراك لك . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقْضَاهُ بَتَرَكَ التَّقَاضَى

(١) تملك السنام . اكتنز وتزوى ؛ وفي الصحاح : أى طال وارفع فهو تامك ، وناقة

تامك : عظيمة السنام .

وقال في صباه :

إِلَى أَى حِينٍ أَنْتَ فِي زِيِّ مُحْرِمٍ وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمْ (١)
وَالْأَتَمْتُ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا تَمْتُ وَتُقَاسِ الذِّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ (٢)
فَتَبَّ وَائْتَقًا بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَا جِئِدِ
يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمْرِ (٣)

وقال في مـصـباه :

ضَيْفُ أَلَمٍ بِرَأْمِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللَّمَمِ (٤)

(١) المحرم : من الإحرام بالحج والعمرة ، وزيه العرى ، لأنه لا يلبس الخيط .
يقول - لنفسه - : إلى متى أنت عريان شقي بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب
شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى : وهو
الوجه . هذا : و « كم » اسم مبنى على السكون وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن
الاستفهام ؛ وهو هنا استفهام ؛ وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين ، قال العكبرى : فكأنه
قال : إلى كم التواني ؟

(٢) هذا حدث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : إن لم تقتل في الحرب
كريماً غير كريم في الذل والهوان : أى فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن
تبقى ثم لا تنحو من الموت في الذل

(٣) الهيجا : من أساء الحرب . وجنى النحل : ما يجتنى من خلاياها من العسل .
يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل .

(٤) أراد بالضيف : الشيب ؛ كما قال الآخر :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِضَيْفٍ نَزَلْ وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ إِلْفًا رَحِلْ

[يريد الشيب والشباب] وألم : نزل . والمحتشم : المنقبض المستحي . واللهم : جمع
لثة ، الشعر الذى جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . يقول : إن الشيب ظهر فى رأسه
شامعاً دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة هذا هو معنى قوله « غير محتشم » ثم
فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب . كما قال البحرى :

إِبْعَدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ^(١)

وَدِدْتُ بَيَاضَ السِّيفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حُلَّ بِمَفَرِّي^(٢)
« جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى :
إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب ؛ لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان
الشعر ، ولذلك حسن تغييره بالحمرة ؛ والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم . على أن
ظاهر قوله « أحسن فعلا منه باللمع » : يوجب أن الشعر للمقطوع بالسيف أحسن من
الشعر الأبيض ؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه ؛ وإنما يكسبه حمرة إذا قطع
اللحم .

(١) يقال بعد يبعد بعداً - من باب فرح - إذا ذل وهلك قال ؛ تعالى « ألا بعداً
لمدين كما بعدت ثمود » وقوله بعدت : دعاء وبياضاً ؛ تمييز ؛ وعنى بالبياض الأول : بياض
الشيب ؛ وبالثانى : المعانى الحميدة . يريد معنى قول أبى تمام :

له منظرٌ في العين أبيض ناصعٌ ولكنه في القلب أسود أسفعٌ
وقد قال المتنبي في بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

* فكانها بياضها سوداء *

والظلم : جمع ظلمة ؛ بمعنى الظلام ؛ ويكون اسماً لثلاث ليال من آخر الشهر . يقول
إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سواداً من الظلم ؛ لما يورى به
من حلول الأجل وقطع الأمل . قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح في قوله *

* لأنت أسود في عيني من الظلم *

إلى أن هذا من الشاذ الذى أجازه الكوفيون في نحو قول الراجز :

* أبيض من أخت بنى إياض^(٢) *

(١) لقيننى : أى الفوانى المذكورة في البيت قبله وهو :

أجِدْكَ ما وصل الفوانى بِمُطْمِعٍ ولا القلب من رق الفوانى بمعتق

(٢) قيل إنه رجز لرؤبة بن المعجاج وقوله . .

لهدأتى في رمضان الماضى جارية فى دِرْعِها الفضفاض

تقطع الحديث بالإيماض أبيض من أخت بنى إياض

بِحُبٍّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبَ تَمْدِيَتِي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَارِغَ الْحُلُمِ^(١)

إذا الرجالُ شَتَّوْا واشتدَّ أكلهم فأنْتَ أبيضهم سِرْبَالُ طَبَاخٍ^(٢)
وسمعت العروضي . يقول : اسود ههنا : واحد السود ، والظلم : الليالي الثلاث في
آخر الشهر التي يقال لها ثلاث ظلم . يقول : لبياض شبيه أنت عندى واحد من تلك
الليالي الظلم . على أن ابن جني قد قال ما يقارب هذا ، فقال وقد يمكن أن يكون لأنْتَ اسود
في عيني كلاماناما ، ثم ابتداء يصفه فقال من الظلم ، كما تقول هو كريم من أحرار . وهذا
يقارب ما ذكره العروضي ، غير أنه لم يحمل الظلم : الليالي .
(١) يريد بقائلته : حبيته ، لأن حبها قتله . وبحب قاتلتى : خبر مقدم ؛ وتنديق :

وبعده .

مثلُ الغزالِ زين بالخصاض قَبَاءَ ذاتُ كفل رَضْرَاضٍ

جارية : فاعل أنى والدرع : القميص ، والفضفاض : الواسع . وأخت بنى أبيض
معروفة بالبياض ، وبنو أبيض قوم . والخصاض : نوع من الحلى والقباء . الضامرة البطن
فعلاء من القب وهو دقة الحصر . والرضراض . الكثير اللحم ، والإيماض ما يبدو
من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام ، وشبهه بوميض البرق في لمعانه وتقطع الحديث
بالإيماض أى إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن ثفرها
ويحتمل أن تكون هي المحدث وأنها تقطع حديثها بالتبسم يصفها بطلاقة الوجه وسماحة
الحلق . وقيل المعنى : أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم . أى نظرت . شغلهم حسن عيניהما
فقطعوا حديثهم

(١) من أبيات لطرفة بن العبد هجا بها ملك الحيرة عمرو بن هند . وتروى هكذا

أنت ابنُ هَندٍ فَأَخِيرُ مِنْ أَبوكَ إذا لا يصلحُ الملكُ إلا كلُّ بذاخ

إن قلت : نصر فنصر كان شرفنى قَدِمًا وأبيضهم سِرْبَالُ طَبَاخٍ

ما فى المعالى لكم ظل ولا ورق ، وفى الخازى لكم أسفاخ أسفاخ

مع أبيات آخر . قال ابن الكلبي . هذا الشعر منحول وقوله . واشتدَّ أكلهم

أراد بالأكل : القوت ، وهو مضموم الهزمة . أى غلت أسعارهم . ومن روى أكلهم

بفتح الهزمة . جعل الأكل بمعنى المأكول ، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون

الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالقوا فى الأكل . والسربال القميص .

فَمَا أَمْرُ بَرْنَمٍ لَا أَسْأَلُهُ ، وَلَا بَذَاتِ خِجَارٍ لَا تُرِيقُ دَمِي ^(١)
تَنَفَّسْتُ عَنْ وِفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِّعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِّمٍ ^(٢)
قَبْلَتْهُمَا وَدُمُوعِي مَزَجُ أَدْمُعِمَا وَقَبْلَتْنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِقَمٍ ^(٣)

مبتدأ مؤخر ، وهوأى وشيبي : قال ابن الشعري : يحتملان الرفع والجر ، فالرفع بأن يكونا مبتدأين ، و«طفلا» ، و«بالغ» حالين سداسد الخبرين ، كما تقول ضربني زيداً جالسا وتقديره : هوأى إذ كنت طفلا ، وشيبي إذ كنت بالغ الحلم . والجر على إبدالهما من الحب والشيب ، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بعناه ، والعامل في العالين على هذا القول : المصدران - هوأى وشيبي - والتقدير : تغذيق بحب قاتلتي والشيب بأن هويت طفلا وشبت بالغ الحلم . وقد بين في المصراع الثاني وقت الهبة ووقت الشيب . يقول : إن تغذيق بهذين - الحب والشيب - ثم بين ذلك بقوله . هويت وأنا طفل ، وشبت حين احتلت ، لشدة ما قاسيت من الهوى فصارا غذائي .

(١) الرسم : أثر الديار مما كان لاصقاً بالأرض ، والطلل : ما كان شاخصاً ، والخار ما غطى به المرأة رأسها . يقول : كل رسم يذكرني رسم دارها ، فأسأله تسلياً ، وكل ذات خمار تذكرنيها ، فتريق « تسيل » دمي أي تغلغلي .

(٢) المنصدع : المنشق ، والشعب : مصدر بمعنى الفراق من قولهم « شعبته إذا فرقه » والملتئم المجتمع . يقول : تنفست عند الوداع تحسراً على فراقك عن وفاء : يعني عما في قلبها من وفاء صحيح غير منشق ، وفراق غير مجتمع يريد وحزن فراق لحذف المضاف : أي أنها كانت منطقية على وفاء صحيح ، وهم فراق لا يلتئم « لا يجمع » وكان تنفسها عن هذين . والمعنى : إنا افرقنا بالأجساد « لا بالقلوب » لأنها كانت معي على الوفاء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالشعب : القبيلة ويكون المعنى : عن فراق شعب غير مجتمع ، لارتحالهم وتفرقهم في كل وجه .

(٣) يقول : بكيتنا جميعاً حتى امتزجت دموعي بدموعها في حال التقييل ؛ يعني أنهما

يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذي يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغات الأسعار واشتد القوت فسربال طبابخك نقي ، للؤمك ، ولو كنت كريماً لا سود ، لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين . ومثل هذا المعنى قول الآخر

نِيَابَ طَهَاتِكَ عِنْدَ الشِّتَا بِيضٌ تَلَالُأٌ لَا تَدْنُسُ

وَقَدْرَكَ لَمْ يَمْرَهَا طَارِقٌ وَكَابِكَ مِنْ جَعْرِ أُخْرَسُ

والأسناخ جمع سنخ : الأصل

فَذَقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقْبَلِهَا لَوْ صَابَ تَرْبَاً لَأَحْيَا سَالِفَ الْأُمِّ (١)
تَرَنُّوْا إِلَى بَيْنِ الظُّبَى مُجْهِشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ (٢)

تقارباً حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل ، ونصب « لما » على : الحال ، كقولك كلمته
فاه إلى في : أى مشافهة ؛ ومزج : قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج « ما يمزج بالشئ »
سمى به الفاعل . يقول : دموعى مازجة دموعها : أى ممزجة بها .

(١) المقبل : موضع التقبيل : أى الفم ، وصاب : أى نزل من قولهم « صاب المطر
يصوب صوباً » ويجوز أن يكون بمعنى أصاب ، يقال صابه وأصابه ، يقول : إن ريقها
عذب طيب ، فهو ماء الحياة ؛ إذا ذاقه العاشق حي به ، حتى لو وقع على الأرض لأحيا
الموتى من الأمم السالفة . وأصل هذا المعنى للأعشى ، إذ يقول :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(٢) ترنو : تنظر ؛ ومجھشة ؛ منتهية للبكاء ؛ ومراده بالطل : دموعها ؛ وهو في
الأصل المطر الخفيف . والعنم : قيل هو ضرب من الشجر ، له نور أحمر ، تشبه به
الأصابع الخضوبة ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَانَ بَنَانُهُ عِلْمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ (١)

قال الجوهري : هذا يدل على أنه نبت لادود ، قال ابن برى : وقيل العنم : ثمر
العوسج (٢) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد ، ولهذا قال النابغة : لم يعقد يريد : لم
يدرك بعد ، وقيل هو أطراف الحروب الشامى ، قال :

فَلَمْ أَسْمَعْ بِمَرْضِعَةٍ أَمَالَتْ لَهَا الطَّلَّ بِالْعَنَمِ الْمُسَوِّكِ

وعن الأعراب القدم : العنم : شجرة صغيرة خضراء لها زهرة عديدة الحمرة ، جعل
الثنى عينها ظلي لسوادها ، وأراد بالورد : خدها . وبالعنم : أطراف بناتها حمرة
بالخضاب ومعنى البيت من قول أبى نواس :

يَا قُرْأَ أَبْصَرْتُ فِي مَا تَمَّ يَنْدَبُ شَجَوًا بَيْنَ أَنْزَابِ

يبكى فيلقو الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطَمُ الْوَرْدَ بِعَنْابِ

(١) رخاصة الأنامل لينها .

(٢) العوسج : شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق .

رُوِيَ حُكْمُكَ فِينَا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ
أَبْدَيْتَ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ
إِذَا لَبَزَكَ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْفَرُهُ
لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِيٍّ
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمٍ^(١)
وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أَجْنَنْتُ مِنْ أَلَمٍ^(٢)
وَصِرْتَ مِثْلِي فِي ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمٍ^(٣)
وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمِي^(٤)

ومثله لابن الرومي :

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدَى
وَأَحْسَنَ فِيهِ الْوَأْوَاءَ الدَّمَشْقِيَّ بَقُولِهِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدًا وَعَصَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
(١) رويد : اسم فعل بمنزلة صه ومه ، يقال رويد زيدا : أى دعه وأملهه . ونصب
« حَكَمُكَ » به ، وغير منصفة : حال ، والعاقل فيه : حَكَمُكَ : أى أن تحكى غير
منصفة : أى ظالمة ؛ ويحتمل أن يكون نداء مضافا يريد « يا غير منصفة » حذف حرف النداء
ومن حكم : في موضع الحال : أى أفديك حاكمة ، أو تقول إنه في موضع نصب على التمييز
و « من » زائدة . يقول : دعى أو ألقى حَكَمُكَ علينا وأنت ظالمة لنا ، ثم قال : أفديك
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ مَنْ حَاكَمَ ؛ يعنى أنت حبيبة إلى وإن جرت على في الحكم .

(٢) الجزع : نقيض الصبر ، وأجن الشيء : ستره وكتمه . يقول : وافقتني في
ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجعه . وهذا كما يقول الناشئ :
لفظي ولفظك بالشكوى قد اختلفا ياليت شعري فقلباناً لم اختلفا
(٣) إذن قال الزجاج : تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت : يقول القائل
زيد بصير إليك ، فتقول : إذن أكرمه : أى إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه
وتأويلها هاهنا : أنه ذكر أنها لم تجن الألم كأنه قال لو أجنت من الألم ما أجنته إذن
لبزك - أى لسلبك - ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم : أى لاذهب حسنك
وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم . وإنما ثنى الثوب
لأن العادة في اللباس ثوبان ؛ إزار ورداء للعرب ، ويسمونهما الحلة ، فكانه قال :
وكساك حلة السقم كما كسافر.

(٤) التعلل : تزجية الوقت (*) بالشئ اليسير بعد الشئ . يقال فلان يتعلل بكذا :

(*) يقال زوجيت الشئ تزجية إذا دفعته برفق ، ويقال كيف تزجى الأيام ؛ أى
كيف تدافعها . وزجيت أيامي : دافعتها بقليل من القوت أجزى به وأكتفى ويقال
تزجيت بكذا : اكتفيت به .

وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنْتَرُكُنِي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طَرِقَهَا هَمِي (١)
لَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَّتِي بَرَقَةَ الْحَالِ وَأَعْذَرَنِي وَلَا تَلُمُ (٢)
أَرَى أَنَا وَمَخْصُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذِكْرُ جُودٍ وَمَخْصُولِي عَلَى الْكَلَمِ (٣)

أى يمضى به وقته ودهره . والإقلال : الفقر وقلة ذات اليد . يقول : ليس من عادتي أن
أزجى الآمال وأدافع الوقت بشيء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أقنع باليسير ، يعنى أنه
يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وَمَا طَلَبُ الْمَيْشَةِ بِالْمَنَى وَلَكِنْ أَلْتَى دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ

(١) بنات الدهر : صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه قال العكبرى : والعرب
تستعمل البنية والأخوة فىمن فعل شيئا يعرف به فيقولون : هذا ابن سفر إذا كان
معتادا للأسفار ، وهو آخر معروف وأبو الأضياف . يقول : لا أظن النوائب تدعى
حق أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى ، وذلك أن يتقوى بالمال والأضمار .
(٢) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة الذبياني :

أَضَحَّتْ خِلَاءٌ وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ (١)
والجدة : النقى ، ورقة الحال : كناية عن الفقر . يقول - لمن لأمه فى الفقر -
لا تلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى النقى .

(٣) المحصول : مصدر بمعنى الحصول ، وقد يكون المفعول مصدرا : كقولهم ليس له
مفعول أى عقل ، وقوله «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام . أى وأسمع
ذكر جود فهو من باب :

* عَلَقَتْهَا تَبْنًا وَمَاءَ بَارِدًا * (٢)

(١) من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن النذر ويعتذر إليه بما بلغه عنه وهى
التي أولها .

يَادَارَ مِيَّةً بِالْعَلِيَاءِ فَالسُّنْدُ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ
وليد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى
وفدها إلى الحرم يستسقى لها ؛ فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات صمر من
أظب عمر فى جبل وعمر لا يمسا القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر ،
فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لبداء .

(٢) وماء باردا : أى وسقيها ماء باردا . جعله العيني صدرا ؛ وأورد له عجزاً
مكذا :

وَرَبُّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مَرْوَةٍ لَمْ يُبْثِرْ مِنْهَا كَأَثَرِي مِنَ الْقَدَمِ ^(١)
 سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَيْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ ^(٢)
 لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَأَتَ مُصْطَبِرٍ فَالآنَ أَفْجِمُ حَتَّى لَأَتَ مُفْتَحِمٍ ^(٣)

يقول : أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التحصيل كالغنى لا عقل لهم ،
 وأسمع ذكر الجود ، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال . وهذا من قول
 السيد الجبري :

قد ضيع الله ما جمعتُ من أدبٍ بين الحسبِ وبين الشاءِ والبقرِ
 قال المكي : وهو من قول الحكميم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو
 بطبع البهائم . لأننا نعلم أنها متى خلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئا غير ذلك .
 (١) رب مال : معطوف على « أنا » - في البيت السابق - والمروءة . أصلها
 الحمز ، يقال امرؤ ذو مروءة ، تخفف الهمزة فيبقى واوان ، تدغم الأولى في الثانية ،
 وهي النخوة وكال الرجولية . والإثراء : الغنى . يقول : وأرى صاحب مال ليس له
 مروءة ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أثرى بعد الفقر : أى لم يكثر المروءة
 عند كثرة المال . فقوله « أثرى من العدم » هو كما يقال استغنى من الفقر ؛ وهذا المعنى من
 قول أبي تمام :

لا يحسبُ الإِفْلالَ عُدْمًا بَلْ يَرَى أَنَّ الْقُلَّ مِنَ الْمَرْوَةِ مُعْدِمٌ
 (٢) النصل : نصل السيف ؛ ومضرب السيف حده ؛ والصمة الشجاع ؛ وبه معنى
 الصمة : أبو دريد بن الصمة ؛ والصمم جمع صمة ، وينجلي : يتكشف . يقول
 سيصحب السيف منى رجلا مثل حده فى المضاء ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان ؛
 يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع ؛ أى أنه أشجع
 الشجعان .

(٣) لات : بمعنى ليس ؛ والأصل فيها « لا » فزيدت عليها التاء ، كما فى : ربت ،
 ونمت ، قال ابن جنى : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

* حتى شئت همالةً عيناها

وجمعه — له غيره عجزاً وصدره لما حططتُ الرجلَ عنها وارداً
 ولا يعرف قائله ، وقيل : إنه لندى الرمة ، وشئت : أقامت شتاء وهمالة من هملت العين
 إذا صبت دمعها .

لَا تُرْكَنَّ وَجْهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً (١) وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ (٢)
وَالطَّنُّ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّيْمِ (٣)
قَدْ كَلَمَتْهَا الْعَوَالِي فَهِيَ كَالْحِجَةِ كَأَنَّهَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللَّجْمِ (٣)

طَلَبُوا صَلَاحَنَا وَلَا تَأْوَانُ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ (١)

والمصطبر بمعنى الاصطبار؛ والمقتحم: كذلك، بمعنى الاقتحام، وهو الدخول في الشيء. يقول: تكلف الصبر حتى لم يبق اصطبار؛ فالآن أقم: أى أقم نفسك، أى أوردتها للمهلك وأوقعها في الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام. وعلى هذا فيقول «أقم» محذوف، ولك أن تقرأها أقم: أى أقم، وقد ورد قم يقم - من باب خضع - بمعنى أقم.

(١) ساهمة: متغيرة لما يلحقها من شدايد الحرب: يقال سهم وجهه يسهم سهوماً: إذا تغير وجهه والحرب أقوم الخ: حالية. يقول: لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولا تُركن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم: أى شديدة.

(٢) يحرقها: يروى يحرقها؛ والضمير: للخيل؛ والجملة: عطف على الجملة الحالية في البيت السابق - والزجر: الصياح؛ واللمم: الجنون. يقول: والطعن يعمل في الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها، والزجر - أى الصياح بها عند اقتحامها في الحرب أو في الماء - يمنمها عن التأخر، ويقلقها - أى يحركها - حتى كأن بها جنوناً. يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكانت مجنونة، إذ لا تستقر ولا تثبت.

(٣) كلمتها: من الكلم الذي هو الجرح. والعوالى: الرماح. وكلح: كشر في عبوس. والصاب: شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزل منه نزية - أى قطرة - فتقع في معين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر، قال أبو ذؤيب الهذلي: إني أرقْتُ فَيْتُ اللَّيْلِ مُشْتَجِراً كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ (٢)

(١) البيت لأبي زيد الطائي النصراني الشاعر الإسلامي من قصيدة راجعها في الجزء الرابع من الخزانة طبعة السلفية وراجع الكلام على «لات» هناك.
(٢) يروى:

* نام الخلى وبت الليل مشتجراً *

والمشتجر: الذي يضع يده تحت خنكه مذكراً لشدة همه؛ ومذبوح: أى مشقوق معصور. وأصل الذبح: الشق.

بِكُلِّ مُنْصَلَةٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي حَتَّى أَدَلَّتْ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخُدَمِ^(١)
 شَيْخٌ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ^(٢)
 وَكَلَّمَا نَطِيعَتِ تَحْتَ الْعَجَّاجِ بِهِ أَسَدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ^(٣)

يقول : هي عابسة فاتحة أفواهها لما أصابها من جراح الرماح ، فكان الصاب قد شد على لجها فهي تجد ممراته ، ومعصوب : يروى معصور ، ويروى مذكور .
 (١) بكل منصلت : متعلق بقوله لأتركن . والمنصلت : الماضي في الأمور : وأدلت له من كذا : أى أعتته عليه حتى جعلت له الدولة . يقول : لأتركن الحرب قائمة بكل رجل ماض في الأمور طالما انتظر خروجى على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الإمارة ؛ يعنى بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان .
 (٢) شيخ : إما بالجر على التبعية لمنصلت ، وإما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو شيخ . والنافلة : خلاف الفرض ، وهى ما يحسن فعله ولا يجرم تركه . يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لا يعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع : كل من فسر الديوان قال : « الشيخ » هنا : واحد الشيوخ من الناس . يقول : أقصر على أعدائى بكل شيخ ماض في أموره ، لا يبالي بالعواقب ؛ مستحل للمحارم ، مافك للدماء وهذا بالهجم أشبه ؛ وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف ، فإن الشيخ من أسماءه ، وكذلك العجوز قال أبو القدام البصرى - واسمه جساس بن قطيب - :

رُبَّ شَيْخٍ رَأَيْتُ فِي كَفِّ شَيْخٍ يُضْرِبُ الْمُعْلَمِينَ وَالْأَبْطَالَ
 وَمَجْوُزٍ رَأَيْتُ فِي فَمِّ كَلْبٍ جَمِلَ الْكَلْبُ لِلْأَمِيرِ جَالَا

سمى السيف شيخاً لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخاً لياضه تشبيها بالشيب ، وكذلك المعنى في العجوز والكلب : مسمار من ذهب أو فضة يجعل في قائم السيف . جاء في لسان العرب : قال ابن الأعرابي : الكلب مسمار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له العجوز ، وقيل : العجوز نصل السيف ، والكلب مافوق النصل من جانبيه . جديداً كان أو فضة .

(٣) العجاج : الغبار والكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . ورأته : يريد رامت عنه : أى زالت عنه ولم يزل هو عنها ، لحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر ، كما قال الأعشى :

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عُنْدِنَا فَإِنَّا بِمَخِيرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

تَنْسَى الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجُرِّ بَارِقَتِي وَتَكْنِي بِالْدِّمِ الْجَارِي عَنِ الدِّيمِ^(١)
رِدِي حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَاتْرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ^(٢)
إِنْ لَمْ أَذْرُكَ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيْتُ ابْنُ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ^(٣)

وقال الجوهري : يقال رماه يرميه ربما : أى برحه ، ويقال لازمه : أى لا تبرحه ، ثم قال : ويقال : رمت فلاناً ورميت من عند فلان ، بمعنى ، وأنشد بيت الأعشى : يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو . قال ابن جني والواحدى : والنطح إنما هو للكبش ، ولا يستعمل في الأسود ، ولو قل كلما صدمت أورميت لكان أليق ، ولكنه أراد بالنطح : القتال .

(١) بارقتى : يريد سيوفه التى لها بريق ولمعان . والدِّيم : جمع ديمة ، وهى للطر الدائم . يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحرب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أسببه من الدماء . قال العكبرى : وهذا كلام مشبع بالحماقة حتى لو قاله أحدى بويه أوفى أرتق أو بنى أيوب : لنسب إلى ذلك ، وهم ملوك الأرض وخماتها ، وأرباب المغازى وولاتها

(٢) ردى : أمر — من ورد الماء يرد ورودا — والردى : الهلاك ؛ ويأهس : يروى : حواء : أى ياحواء ؛ والحواء : النفس . والشاء : جمع شاة ؛ والنعم : الإبل خاصة يقول — لنفسه — : ردى المهلك والحروب وأتركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء : أى أنها هى التى لا تقاتل عن نفسها ولا تدافع عنها من الذل . وقال ابن القطاع : قد صف هذا البيت جماعة فرووا : حياض خوف الردى — بالحاء المهملة ، قال لى شينى : قال لى صالح بن ريشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك ؛ قلت فكيف قلت ؟ قال قلت خياض — بالحاء المعجمة — لأنى لو قلتها بالمهملة كنت قد قصت قولى : ردى حياض الموت ، فإنها هى حياض خوف الردى . وكل من ورد الماء فلا بد أن يخوضه إما يبد ، أو قم ؛ والمعنى : ردى يأنفس حياض الموت ، فلن الموت فى العز حياة ؛ وأتركى خياض خوف الردى للحيوان الذى لا يعقل ، ولو قال لتنبى : خياض غير الردى بالحاء أو قال : وأتركى ورد خوف الردى الخ : لم يحتج إلى هذا ، إلا أن مذهبه أنه يغمض معانيه حتى لا يفهمها إلا العلماء .

(٣) يقول — لنفسه — : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح — أى إن لم أحضر العرب

أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ (١)
 مَنْ لَوْ رَأَى مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَلَوْ مَثَلَتْ لَهُ فِي الْقَوْمِ لَمْ يَنْمِ (٢)
 مِيعَادُ كُلِّ رَفِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ غَدًا
 وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْمَجَمِ (٣)

حق ليسيل الدم منى على الرماح - فلا دعيت أخا المجد والكرم ؛ قال العكبرى : وهو من قول ابن أيوب .

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ السَّكَاةِ كَمَا خُبِّرْتُ قَبْلُ وَمَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
 وَإِنْ نَجُوتُ لَوْ قَتَّ غَيْرُهُ فَصَى وَكُلُّهُ نَفْسٌ إِلَى وَقْتٍ وَمَقْدَارُ
 (١) ظامئة : عطشى ، ولحم : فاعل « يملك » والوضم : الحشبة يقطع الجزار عليها اللحم ، ويضرب اللحم على الوضم مثلاً للضعيف الذى لا امتناع عنده ، ويقال للمرأة : لحم على وضم ، ومنه قول القائل :

أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يَلِمَ بِهَا فِيهِتَكَ السِّرَّ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْبَحْوَانَ فِيهِ نَوْعٌ امْتِنَاعٍ ، فَإِذَا ذَبَحَ وَوَضَعَ لَحْمَهُ عَلَى الْوَضْمِ كَانَ عَرْضُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ ، حَقِّ الطَّيُورِ وَالذَّبَابِ . وَقَوْلُهُ : أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ : اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ . يَقُولُ : لَا يَمَلِكُ لِمَلِكٍ ضَعِيفٍ ذَلِيلٍ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ كَاللَّحْمِ عَلَى الْوَضْمِ ، وَأَسْيَافُنَا عَطَاشٌ إِلَى دَمِهِ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَمْ نَشْبَعْهَا مِنْ لَحْمِهِ ، يَعْنِي أَنَّهُ يَقْتُلُ وَيُلْقِي لِلطَّيُورِ وَلَا يَمَلِكُ . قَالَ ابْنُ جَنَى : يُرِيدُ أَنَّ مُلُوكَ عَصْرِهِ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ .

(٢) من : بدل من قوله لحم على وضم . والظما : العطش ، ومثلت : اتصبت وروى عرضت ، بدل مثلت . يقول : من لو كنت ماء وكان عطشان لنعته خوفه منى أن يشرب حتى يموت عطشا ، ولو رأى فى النوم ماثلاً له ليجبر النوم خوفاً من أن يراى فى النوم ؛ وهذا ينظر إلى قول مروان بن أبى حفصة :

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتُهِ وَإِذَا غَفَى سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
 (٣) ميعاد : مبتدا ، خبره ؛ غدا ، وكل رفيق الشفرتين : أى كل سيف رفيق الشفرتين ، وهو الذى رقت شفرتاه « حداه » بكثرة الصقل . ومن عصى : أى من عصانى ، عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك تجرب لإفقاد نثار الحرب .
 (١٦ - لنتهى ٤)

فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهِمُ — وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ^(١)

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي ، على ما كان قد شاهده من
تهوره فقال (*)

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ إِنِّي خَفِي عَنْكَ فِي الْمِجْبَا مَقَامِي^(٢)
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَبِي وَأَنَا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمَسْجِ الْجَسَامِ^(٣)

(١) يقول : إن أطاعوني وأجابوني إلى ما أَدْعُوهم إليه : فلست أقصدهم بسيوفى ،
وإنما أقصدهم بها غير المطيع فأقتله بها ؛ وإن أدبروا عني ومضوا فى عصياتهم : فلا
أقتصر على قتلهم وحدهم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم
* جاء جاء فى الصبح المنير :

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب التنبى اللاذقية سنة نيف وعشرين
وثلثمائة وهو فقي ، فأكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن
الأنس بيني وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتنما لمشاهدته واقتباسا من أدبه ، قلت : والله
إنك لرجل خطير تصلح لمندمة ملك كبير ، فقال : ويحك : أندري ما تقول ؟ أنا نبي
مرسل ، فظننت أنه يمزح ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ،
فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل كما ذكرت ؟ فقلت : مرسل إلى من ؟ فقال
إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت : ماذا تفعل ؟ قال : أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا .
قلت : بماذا ؟ قال : بإدراة الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب
الأعناق لمن عصى وأبى ؟ فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ؟
وعذلت على ذلك ، فأشدد يقول بديها ، وذكر هذه الأبيات .

(٢) معاذ : مرفوع بالبدل من « أبا عبد الإله » . قال الكبرى : ولو كان عطف
بيان لكان منصوبا منونا ، لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة . والهيحاء : من
أسماء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتى فى الحرب ومقدار ما طبعته عليه من الجرأة
والبأس ، ومن ثم تلومنى على ما أنا مقدم عليه لظنك نى العجز عن بلوغه :

(٣) الجسيم : العظيم ؛ و « ما » : زائدة ، كقوله تعالى « فبأرحمه من الله » .
وكقوله الشاعر :

أَمِثْلِي تَأْخُذُ النِّكَبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ ^(١)
 وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصًا نَلْغُظْ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي ^(٢)
 وَمَا بَلَفَتْ مَشِيئَتُهَا إِلَيَّ وَلَا سَارَتْ فِي يَدِهَا زِمَامِي ^(٣)
 إِذَا امْتَلَأَتْ عُمُيُونُ الْخَلِيلِ مِنِّي فَوَيْلٌ فِي التَّيَقُظِ وَالنَّسَامِ ^(٤)

* * *

إن أمس ما شيخاً كبيراً فطالما عُحِرْتُ ولكن لا أرى العمر ينفع ^(١)
 قالوا : ويحتمل أن تكون « ما » بمعنى الذي ، أو نكرة ، فيضمر هو بعدها ،
 فإذا كانت نكرة فتقديره : جسم شيء هو طلي ، والهج : الأرواح . يقول : عاتبتني على
 محاولة الأمر العظيم وعاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة .
 (١) النكبات : الشدائد تنكب الإنسان . والجزع : تقيض الصبر ، والحمام : اللوت .
 يقول : مثلي لا تنال منه النكبات ولا تصيبه : إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه ، وإما
 لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه .

(٢) الفرق : وسط الرأس . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن الزمان
 الذي هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصاً لم برز إلى محاربا لحضب شعر راسه سيفي .
 (٣) يقول : إن الزمان لم يبلغ مراده مني ، ومن تغير حالي وتوهين أمري ، وما
 انتقدت له اتقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحري :

لعمري أبا الألام ما جارَ صرفها على ولا أعطيتها نبي مقودي

(٤) عيون الخيل : يريد عيون أصحاب الخيل . وقوله . فويل . يريد فويل لهم .
 يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحالتين لأنهم يخافونني
 أشد الخوف ، فلا يسكون لهم أمن في اليقظة ولا لذة ولا راحة في منامهم .

(١) البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام في حماسه لجميع بن هلال قال :
 غزا جميع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تميم الله ، يزيد بن سعد بن
 زيد مناة ، فلم يصب شيئا فرجع من غزاته تلك فر بماء لبني تميم عليه ناس من بني
 مجاشع فقتل فيهم وأسر فقال في ذلك . إن أمس ما شيخا . إلى آخر الأبيات . قال
 المرزوقي في قوله إن أمس ما شيخا : « ما » زائدة . يقول : إن صرت شيخا طاعنا في السن
 هدفا لسهامه فذلك حق لأن من يعيش يكبر ، ومن يكبر يهرم ، وطول العمر لا يجدي إذ
 كان مؤداه إلى الضعف وغايته اللوت .

وقال له بعض بني كلاب : أَشْرَبَ هَذِهِ الْكَأْسُ سُرُورًا بِكَ ، فقال :

إِذَا مَا شَرِبْتُ أَخْلَفَرَ صِرْفًا مُنْهًا

شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ ^(١)

أَلَا حَبْدًا قَوْمٌ نَدَامَاهُمْ الْقَنَا يُسْقَوْنَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْقَزْمُ ^(٢)

* * *

(١) صرفا : أى خالصة غير ممزوجة . والذي من مثله شرب الكرم : هو الماء . يريد أن شرا به الماء ، لا الخمر .

(٢) يقول : حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرمح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم : أى كأنها ندامام ، لأنهم لا يخلون من صحبتها ، ويسقونها ما يرونها من الدماء ، فهم سقاة رماحهم ، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء . هذا : والندامى جمع ندام ، والندام : جمع النديم ، وهو الشريب الذى ينادمه ؛ ويقال له النديمان أيضا ؛ قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر استعمله على ميسان :

فَإِنْ كُنْتُ نَدَمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقَى وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَشَلِّمُ

لِلْمَلِكِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِسُوِّهِ تَفَادُمْنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ

ولمناسبة حبذا : فقولهم حبذا الأمر : أى هو حبيب ، قال سيبويه ، جعلوا حب مع ذا بمنزلة الشيء الواحد ، وهو عنده اسم ، وما بعده مرفوع به ، ولزم ذاحب ، وجرى كالثل ، والدليل على ذلك أنهم يقولون فى اللؤث « حبذا » ولا يقولون « حبذه » ؛ ومنه قولهم : حبذا زيد ، فحب : فعل ماض لا يتصرف ، وأصله « حبب » على ما قاله الفراء — و « ذا » : فاعله ، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة ، جعل شيئا واحداً ، انفصلا بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء ؛ و « زيد » : خبره ، ولا يجوز أن يكون بدلا من « ذا » لأنك تقول : حبذا امرأة ، ولو كان بدلا : قللت حبذت امرأة قال جرير .

يَا حَبْدَا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبْدَا مَا كُنَّ الرِّيَّانُ مِنْ كَنَا

وقال وقد مدله إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها :
 وَأَخْرَجْنَا لَنَا بَعَثَ الطَّلَاقَ أَلِيَّةٌ لَا عَلَّانَ بِهِذِهِ أُخْرِطُومُ (١)
 فَعَلْتُ رَدِّي هِرْسَهُ كَفَّارَةً عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِمِ (٢)
 * * *

وقال يمدح الحسين بن إسحق التلخوي :
 مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ الشُّمِّ (٣)

وَجَبَّذَا نَفَعْتُ مِنْ بَيَانِيَةِ تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَانِ أَحْيَانًا (١)
 (١) الألية : اليمين . والتعليل : التلخيص . وقال الشراح في قوله لا علان : إنه
 من العلل ، وهو السقي مرة بعد أخرى . والخراطوم : من أسماء الحجر ، قيل لأنها إذا
 بزل الدن انصبت في صورة الخراطوم ، وقيل سميت بذلك لأنها أخذها بخرطوم شراهم - أي
 أنوفهم - كما قيل :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْحَجَرَ حَتَّى خَلَّتْهَا أَفْمَى تَكِشُّ عَلَى طَرِيقِ الْمُنْعَرِ
 « كَشِيشِ الْأَفْمَى : صوت تخرجه من فيها وقيل صوتها من جلدتها لا من فيها فإن
 ذلك من لحبها » .

(٢) العرس : الزوجة . يقول : إن هذا الأفع حلف أن أشرب وإلا فامرأته طالق
 ففعلت ردى امرأته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الحجر وشربتها غير آثم ، إذ كان
 قصدي بالشرب بقاء الزوجية بينهما .

(٣) النوى : البعد وهي مؤنثة . يقول : إن لومي المراق - في تفرقه بيننا وظلمه
 إيانا بالبعد - غاية الظلم منا فلعله يشقها كعشق إياها ، فلذلك يحترها لنفسه ويحول
 بيني وبينها . وقد حقق هذا المعنى في البيت التالي ، وهذا كما قال محمد بن وهيب :

(١) من قصيدته التي مطلعها :
 بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طَوَّعَتْ مَا بَانَ وَقَطَعُوا مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا
 وفيها يقول :

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْتُنَا ثُمَّ لَمْ يَحْيَيْنَا قَتَلَانَا

فَلَوْ لَمْ تَقَرَّ لَمْ تَزَوْ عَنِّي لِقَاءَكُمْ
وَلَوْ لَمْ تَرُدُّكُمْ لَمْ نَكُنْ فِيكُمْ خَضِي^(١)
أَمْنِيَّةً بِالْمَوَدَّةِ الطَّبِئَةِ الَّتِي بِفَيْزِ وَلِيِّكَ كَأَنَّ نَائِلَهَا الْيَوْمَنِي^(٢)

وحاربني فيه ريبُ الزمانِ كأن الزمان له عاشقٌ
وقال البعري :

قَدْ بَيْنَ الْبَيْنِ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا عِشْقُ النَّوَى لِرَيْبِ ذَاكَ الرَّبِّ
(١) زواه : نحاه وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تفار عليكم لما منعت عني لقاءكم
وطوته عني ، ولما خاصمني بسببكم . هذا : والخصم : الخصم ، يستوى فيه الجمع والواحد
والمؤنث يقول : هم خصم ، وهو خصم وهما خصم . وهي خصم .

(٢) الوسمى : أول مطر في السنة ، وأراد به : أول ما بدأت به من الوصال ،
والولي : المطر الثاني ؛ وأراد به ما بعد ذلك من الوصل . والنائل : العطاء ، وأراد به
وصالها ، يقول : إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه ، فليتها أتممت على رجوعه إلى الوصل
مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذي الرمة :

إِنِّي وَلِيَّةٌ تُمَرِّعُ جَنَابِي فَإِنِّي لِمَا نَتُّ مِنْ وَصْمِي نُعْمَاكَ شَاكِرٌ
(لنى : أمر من الولي : أى أمطرنى ولية منك : أى معروفا بعد معروف) . والعنى
من قول بشار :

قَدْ زُرْتَنِي زُورَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً ثَنِيٌّ وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيكِ^(١)
هذا : ولك أن تجعل « منعمة » خبرا مقدما ؛ والظبية مبتدأ مؤخر : أو تجعل
« الظبية » : قاعلا لمنعمة ، سدت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام .

يَعْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ وَهْنُ أَضْعَفُ خَلْقُ اللَّهِ أَرْكَانًا
والريان : أطول جبال أجاء والجمانية : رياح الجنوب .

(١) قال أبو عبيد في البخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك ؛ فإن
كان يعطى شيئا ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة كانت بيضة العقر ، وقيل
إن بيضة العقر هى بيضة الديك يبيضها في السنة مرة واحدة ، وقيل يبيضها في عمره

تَرَشَفْتُ فَأَهَا سُحْرَةً فَكَأَنِّي تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ^(١)
فَتَاةٌ نَسَاوِي عِقْدَهَا وَكَلَامَهَا وَمَيِّسِمُهَا الدَّرِّيُّ فِي الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ^(٢)

(١) الترشف : المص، والسحرة : السحر. والظم : ماء الأسنان وبريقها ؛ وإنما خص
السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك ، وإذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان أمدح
لها ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْقَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامِي وَنَشْرَ الْقَطْرِ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْبَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ
وقال الحارثي :

كَأَنَّ فِيهَا قَهْوَةً بِإِلْيَاقَةٍ بِمَاءِ سَمَاءٍ بَعْدَ وَهْنٍ مَزَاجِهَا
والعاشق إذا مص ريق معشوقه زادت نار حبه تلهيا ، لذلك - قال :

• تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ •

وفه ابن الرومي حين بسط هذا المعنى في هذه الأبيات البديعة :

أَعَانَقَهَا وَالنَّفْسُ بِمَدِّ مَشْوَقَةٍ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعَنَاقِ تَدَانٍ
وَأَلِّمْتُ فَاهَا كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي فَيَسْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ
وَمَا كَانَ مَقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفَتَانِ
كَأَنَّ قُوَادِي لَيْسَ بِشَيْ غَلِيْلِهِ سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانُ يَمْتَزِجَانِ

(٢) يقول ؛ إن كلامن قلاذتها ونطقها ونغرها الذي تبسم عنه سواء في الحسن
والنظم ، فهي درية العقد والكلام والنغر . وهذا معنى متداول ، قال البحتري :

فَمِنْ لَوْلُو تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لَوْلُو عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاْقِطُهُ
فذكر شيبين ، وقال اللؤلؤ بن أميل :

وإن نطقت دُرٌّ فَدُرُّ كَلَامُهَا وَلَمْ أَرُدُّهَا قَبْلَهَا يَنْظُمُ الدَّرَا

مرة واحدة فتضرب بيضة الديك مثلا للعطية القليلة التي لا يريها معطيها يريد تناولها ،
وقيل : إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم بيض الأنوق والأبلىق الأعقوق ، مثل
لما لا يكون .

وَنَكَمَتْهَا وَالْمَنْدَلِيَّ وَقَرَفَتْ مُعْتَقَةً صَنْبَاءَ فِي الرِّيحِ وَالطَّقَمِ^(١)

فذكر شيئاً واحداً ، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال :
وَمُفَارِقِ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَدَغْتُ صَبْرِي عَنْهُ فِي تَوْدِيمِهِ
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مِثْلَ لَوْلُو عَقْدِهِ مِنْ تَفَرُّهِ وَحَسْبِثِهِ وَدُمُوعِهِ
فزاد ذكر الدمع على التثنية .

(١) النكمة : راحة الفم ؛ والمندلي ، العود الذي يتبخر به ، نسبة إلى مندال : موضع
بالهند يجلب منه العود ، ومثله قمار ، قال : ياقوت : يفتح القاف ويروي بكسرها : موضع
يذهب إليه العود ، قال هكذا تقول العامة ، والذي ذكره أهل العرفة « قامرون » موضع
ببلاد الهند ، يجلب منه العود النهاية في الجودة ، قال ابن هرمة :

أَحِبُّ اللَّيْلِ إِنْ خِيَالِ سَلَمَى إِذَا نَمْنَا أَلَمْ يَسْأَلْ فَرَارَا

كَأَنَّ الرِّكْبَ إِذَا طَرَقَكَ بَاتُوا بِمَنْدَلٍ أَوْ بَقَارَعَتِي قَمَارَا

هذا : وقد يقع المندل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال
تبخرت بالمندل ، وهو يريد المندلي ، وبذلك على صحة ذلك دخول الألف واللام في المندل
قال عمر بن أبي ربيعة :

لَمِنْ نَارٍ قَبِيلَ الصُّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ مَا تَخْبُو

إِذَا مَا أَخَذَتْ يُبْلَقُ عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

ويروى إذا ما أوقدت ، وقال كثير :

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانٍ عِزَّةَ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

« يقال : لقيته موهنا ، أي حين يدبر الليل ، أو هو نحو من نصف الليل : أو هو
ساعة تمضي من الليل » ولما نسبة بيت كثير روي أن إحدى اللديات قالت لكثير ففس
الله فاك ، أنت القائل : بأطيب من أردان عزة .. البيت ؟ فقال : نعم ، قالت : أرايت
لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ؟ هلا قلت كما قال سيدهم
امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبْ ؟

والقرقف : من أسماء الحجر ، وكذلك الصهباء ، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل
« تساوى » - في البيت السابق يقول : استوت منها هذه الأشياء في طيب الرائحة

جَفَّتِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمَهَا وَأَطْفَنَهُمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورَةِ الدِّهَمِ (١)
يُحَاذِرُنِي حَتَّى كَأَنِّي حَتَفُهُ، وَتَذَكَّرُنِي الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي (٢)

والذوق . قال الواحدى : وإنما يستوى في الذوق شيثان : النكهة والحر ، لأن العودمر للذائق ، ولكنه جمع بينها في الريح ، وأراد في الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها رائحة الفم ، واستفهام السلام إلى ذكر الريح ، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد ، لاختلاف ما ذكره في الطعم . قال العكبرى : وليس كما ذكر - أى الواحدى - لأنه - التنبي - قال : استوت نكهتها والمندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول في الريح والطعم ، ولم يرد سوى الحر في الطعم .

(١) الشهب من الخيل : التى فى لونها بياض قد غلب على السواد ؛ والدم : السود . يقول : جفنتى بهجرها كأتى لست الأنصح الأشجع من عشيرتها ، وإنما قال هذا لأن نساء العرب يعلن إلى الشجاع الفصحى ألا ترى إلى قول العنبرى لما رآته امرأته يطحن فازدته :

تقول وصكت وجهها يمينها أتبلى هذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها لا تعجلى وتبئنى بلأنى إذا التفت على الفوارس (١)

قد ذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه غادرة ناقضة عادة أمثالها ، بجفائه ، وقوله « والشهب في صورة الدم » يريد إذا رؤيت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها ، كما قال النابغة الجعدي :

وتفكر يوم الرزع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا
(٢) الحنف : الهلاك ، ونكرته الحية : لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنا بها قيل نشطته

(١) بعد البيتين :

أست أرد القرن يركب رذعه وفيه سنان ذو غرارين يابس
إذا هاب أقوام نجشمت هول ما يهاب محيآء الألد المداعس
لعمرك أيلك الخير إني لخادم لضيبي وإنى إن ركبت لفارس

أبلى هذا - بإشارة التحقير - تعجب مما رأت ، والمتقاعس الذى يخرج صدره ويذخل ظهره ، تفيض للتحادب ؛ وبالرحى : تبين ، وبلاى : مصدر أبلى الرجل إذا اجتهد فيه حرب أو كرم ، ويركب رذعه : يريد يصرع منكوسا رأسه أسفله ، والفرار : الخدان

طَوَالَ الرَّدَيْنِيَّاتِ يَنْصِفُهَا دَمِي وَبَيْضُ الشَّرِيحِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي ^(١)
 بَرْتَنِي السَّرِي بَرَمِي الْمَدَى فَرَدَدَنِي
 أَخَفْتُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي ^(٢)

قال الوجدى : الحتف لا يتصور منه الحذر وإنما يريد أن قرنى الذى منه حتفى لو قاتلنى
 لحذرنى كأتى حتفه : أى كأتى أقتله يقينا وأغلبه ، فهو يحذرنى حذر من يقين هلاكه من
 جهة إنسان ؛ ويحتمل أن يكون هذا مجازاً ومبالغة فى وصف شجاعته وقوله : وتنكرنى
 الأفعى : أى يتعرض لى أعدى أعدائى فأهلكه ، وقد جعل أعداءه قسمين : حاذراً يحاذره ،
 ومتعرضاً له يهلكه اللتني ، ولما سمى عدوه أفعى : سمى قوة نفسه وشجاعته سما ، لشدة
 تأثيره فى عدوه .

(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . والسريحيات
 السيوف ، نسبة إلى « قين » اسمه سريح . يقول : إن الرماح تنقص قبل الوصول
 إلى إراقة دمي ، والسيوف تنقطع قبل أن تقطع لحمي . فجعل دمه يقصفاً لما كان السبب
 فى قصفها . وكذلك لحمه ؛ والفعل قد ينسب إلى من كان سيماً فيه ، وعبارة التبريزى :
 أى أنا من نفسى وعشيرتى فى منعة ، فإذا أصابنى طعن كبر الطعن فى طلب ثأرى حتى
 تنقص الرماح ، وإذا ضربت تكسر السيوف حتى يدرك ثأرى .

(٢) يرتنى : أى هزلتنى ، مأخوذ من برى السهم ، وهو نخته حتى يندق ، والسرى
 جمع سرية ، ومن ثم أنثا ، وقال برتنى وهى سير الليل ، والدى : جمع مدية ، وهى
 السكين ، وجرمى : أى جسمى ، مبتدأ مؤخر ، خبره : أخف : والجملة : حال من
 الضمير فى «رددنى» أو مفعول ثان لها . وهذا على رواية أخف — بالرفع — وتروى
 منصوبة ، فتكون حالا ، أو مفعولاً ثانياً . وجرمى : بدلا من الياء فى ، «رددنى» ،
 وإنما أبدل «جرمى» من الضمير لإثبات الوزن وإقامة القافية ، وإلا فقد تم المعنى دونه
 ولا يجوز جعله فاعلاً لـ «أخف» ، لأن أفعل التفضيل لا يرفع الظاهر إلا فى مسألة الكحل
 يقول : أذهب السرى لحمى فجعلتنى فى خفق على للركوب كنفسى الذى يخرج من فى .

وياس : يريد أنه صلب لا تأنيث فيه ، ويروى نائس من ناس ينوس إذا تهرك واضطرب
 وهاب : يروى «خام» بمعنى نكص وجبن والحما : السورة والشدة ؛ والآله : الشديد
 الحصومة ، وللداعس : للطاعن ،

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءَ جَوٍّ لَأَنْتَى إِذَا نَظَرْتَ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ^(١)
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِزْبَتِي بِهَا
كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَانَ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي^(٢)

(١) نصب « أبصر » عطفا على موضع الجملة - في البيت السابق - في رواية من رفع ، أو على لفظ « أخف » في رواية من نصب وجو : قصبة اليمامة ؛ وزرقاء : اسم امرأة من أهل « جو » حديدة البصر ، ندرك بصرها الشيء البعيد ، فضربت العرب بها المثل ، فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة ، قالوا : إنها امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم فجهز إليهم جيشا ، فلما صاروا من « جو » على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يعمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم قد أتمكم الشجر أو أتمكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ خَيْرٌ قَدْ أَخَذْتُ شَيْئًا يُجْرُ

فلم يصدقوها . فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخفض النعل ، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينها فإذا فيهما عروق سود من الإمد ، وكانت أول من اكتحل بالإمد من العرب ، وقد ذكرها الشعراء من قديم في شعرهم : مثل النابغة في قصيدته الدالية والاعشى في قصيدة هذيلة فضل المتنبي نفسه على زرقاء اليمامة فقال : إِذَا نَظَرْتَ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ أَيُّهُمَا لَا يَسْبِقَانِ عَلَيَّ فَإِذَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يَبْصُرُ عِلْمَتَهُ بَقْلِي . وروى ابن جني شأواهما على . والشأو : الأمد والغاية . يقول : إِذَا نَظَرْتَ عَيْنَايَ فَعَيْنَايَا : أَنْ تَعْرِفَ مَا عِلْمَتُهُ بَقْلِي ؛ يعني أنه عارف بأعقاب الأمور . وروى شاءهما : أَي سَبَقَهُمَا ، مَقْلُوبٌ « شَأَى » ؛ وروى أيضاً سَاوَاهُمَا عَلَيَّ ؛ والسأو : الهمة أَي همة عيني أَنْ تَرَى مَا عَرَفْتُ .

(٢) الدحور : البسط ؛ والإسكندر : هو ذو القرنين - الذي بنى السد بين يابوج وبين سائر البلاد كما جاء في القرآن الكريم ، وليس هذا موضع تبين حقيقة هذا السد - وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدوني أو خلافه ؟ يصف المتنبي كثرة أسفاره في الأرض وتقلبه في البلاد حتى عرف الأرض كلها ، وحق كونه بسطها لعلمه بها . ويذكر قوة عزمه على الأمور ؟ حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه هذا : وقد فرق أهل

لَأَلْقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ ؛ فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ (١)
وَأَسْمَعَ مِنَ الْفَاطِلَةِ اللَّثْمَةِ الَّتِي يَلْدُهُ بِهَا تَمْنَعِي وَلَوْ ضَمَنْتُ شَتْمِي (٢)
يَمِينُ بَنِي قَعَطَانَ رَأْسُ قَضَاعَةٍ ، وَعِزَّيْنَهَا بَذَرُ الثُّجُومِ بَنِي فَهْمِ (٣)
إِذَا بَيَّتَ الْأَعْدَاءُ كَانَ أَسْتِمَاعُهُمْ صَرِيرُ الْعَوَالِي قَبْلَ قَمَقَمَةِ الثُّجَمِ (٤)
مُذِلُّ الْأَعْرَاءِ الْمِزُّ وَإِنْ يَبْنُ بِهِ يَتَمَنُّهُمْ فَالْمَوْتُ الْجَابِرُ الْيَتَمِ (٥)

اللفة بين السد بالضم وبينه بالفتح فقال الزجاج : ما كان مسدوداً خلقه فهو سد - بالضم - وما كان من عمل الناس فهو سد - بالفتح .

(١) لألقى : متصلة بقوله برثني السرى ؛ وأبدع : أى جاء بالأمر البديعة للبتكرة التي لم يسبق لها مثال ، يقول : تكلفت المشاق وكابدت شدائد الأسفار لألقى للمدح المذكور الذي دق فهمه وأبدع في دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه عالم بالنيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة (٢) يلد بها : يروى يلد لها . ويقال : لذت الشيء ولذت به : أى استلذذته . وقوله ولو ضمنت : يروى « وإن ضمنت » . يقول : إنه صحيح اللفظ ، مستحلى الكلام ، ياتذ السمح بكلامه ولو كان شتاً ، لصعته وعذوبته .

(٣) قعطان : أبو قبائل اليمن ؛ وقضاعة : قبيل منه ؛ وبنو فهم : حى من قضاعة ، وهم رهط المدح ؛ والعرينين - فى الأصل - ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف . يقول إنه فى هؤلاء كاليمن من الجسد ، وفى هؤلاء كالرأس والعرينين : أى أنه رئيسهم وبه عزم ، والعرينين يجعل مثلاً فى العز ، وكذلك الأنف ، وجعله كالبدن فى « بنى فهم » الذين هم كالنجوم .

(٤) بيت الأعداء : طرقيهم ليلاً . والصرير والتقمقه : من مرادفات الصوت ؛ والعوالى الرماح : يقول : إذا وفى أعداءه ليلاً أخفى تديره ومكره وتحفظ من قبل أن يفتن له فيأخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللجم متحركة فى أحناك خيله . وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طعنهم برماحه لإسراعه ولطف تديره . وقد زلت قدم ابن جني فى تفسيره هذا البيت إذ قال : يبادر إلى أخذ الرمح : فإن لحق إسراج فرسه فذاك ، وإلا ركبه عريانا .

(٥) يبن - مضارع أن يبن - أى يحين ، وقوله : به ، أى على يديه ؛ وللموت اسم فاعل - من أيتم - يقول : هو مذل الأعراب ، ومعر الأذلاء ؛ يرفع قوماً ويضع

وَأِنْ تَمْسِ دَاءُ فِي الْقُلُوبِ قَتَاتُهُ فَمُسْكُهَا مِنْهُ الشَّفَاءُ مِنَ الدَّمِ (١)
 مُقَلَّدُ طَاغَى الشُّفَرَتَيْنِ مُحْكَمٌ عَلَى الْهَامِ إِلَّا أَنَّهُ جَائِرُ الْحُكْمِ (٢)
 تَحْرَجَ عَنْ حَقْنِ الدَّمَاءِ كَأَنَّهُ
 يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرَكَ رَأْسَ عَلَى جَنْبِ (٣)
 وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِّهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ (٤)
 مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَمَمَّ تَرْكُهُ لِأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٥)

آخرين ، ثم قال : وإن حان يتمهم - أى يتم الأعضاء - فهو الموت وهو فى الوقت عينه الجابر اليتيم : يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته .
 (١) القناة : الرمح ، ويريد بمسكها : نفسه . ومن روى فمسكها - بفتح السين أراد موضع الإمساك : وهو الكف ، مثل التدخل والخرج : ومنه : لتجريد ؛ والعدم : الفقر . يقول : إن أدوى (١) قلوب اللطونيين بقناته فإن الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه ، وقد قابل بين الداء والشفاء .
 (٢) الطاغى : الجائر الذى يتجاوز الحد ، وشفرنا السيف : حداة . والهام : الرءوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيف جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل ؛ محكما فى رءوس الأعداء ؛ جائرا فى حكمه ، لأنه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحدا .
 (٣) تخرج عن الشيء : كف عنه وأمسك تأثما وحقن الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها ، فكانه يرى ترك رأس من رءوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها : أى يتخرج من هذا كما يتخرج من ذلك .
 (٤) قال الواحدى : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده - وكان غازيا يقتل الكفار - فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتل وروى ابن جنى : كجده بالخاء وقال : أى كحد هذا السيف : أى أنه كثير القتل ولا إثم عليه ، لأنه لا يضع الشيء فى غير موضعه ، كما أن حد السيف كثير القتل ، وهو غير آثم كما قال أبو تمام :

إِنْ أَجْرَمْتَ لَمْ تَنْصَلْ مِنْ جَرَائِمِهَا وَإِنْ أَسَاءْتَ إِلَى الْأَقْوَامِ لَمْ تُلَمْ
 (٥) مع الحزم : متعلق بقوله « وجدنا » . والحزم : ضبط الإنسان أمره والأخا

(١) أدواه : أحدث به داء .

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأْخُرًا لَأَخَّرَهُ الطَّبَعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقَدَمِ^(١)
لَهُ رَحْمَةً تُحْنِي الْعِظَامَ وَغَضَبَةً

بِهَا فَضْلَةً لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ^(٢)
وَرِقَّةٌ وَجِبْهٍ لَوْ خَتَمَتْ بِنَظَرَةٍ عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْعَلَمِ^(٣)
أَذَاقَ الْغَوَايِ حُسْنَهُ مَا أَذَقْنِي ، وَعَفَّ لِحَاظَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ^(٤)

فيه بالثقة . يقول : وجدناه ملازماً للحزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازماً
لأن الحزم ملازم له ، وللعنى أنه لا ستيلاء الحزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد
ترك الحزم لم يمكنه ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

تَعَوَّدَ بَسْطُ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَّاكَاهُ لِقَبْضٍ لَمْ تَجْنِبْهُ أَنَايِلَهُ
وَلَكَّ أَنْ تَقُولَ إِنْ الْعَنَى : أَنَّهُ لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَ مَا هُوَ حَزْمٌ فِي بَادِي الرَأْيِ لَمْ يَكُنْ
تَرْكَهُ إِلَّا لَأَمْرٍ يَقْتَضِيهِ الْحَزْمُ ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ وَلَا يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي غَيْرِ
مَوَاضِعِهَا .

(١) في الحرب : عطف على « مع الحزم » ، والتقدم : التقدّم . يقول : هو صاحب
الحرب وفي الحرب أبداً ، حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدماً إذ ليس عنده إلا التقدم
وللعنى لا أخره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم .

(٢) يقول : بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تحيي العظام وهي رميم . قال الواحدى :
أى فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هي للجرم :
يعنى أنه يفتى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفتى الجرم الذى اجترمه أيضاً ، بمعنى أنه
بعد تنكيهه بالمجرم لا يجترى أحد أن يأتى مثل جرمه خوفاً من غضبه فضله يفتى المجرم وجرمه
(٣) رقة الوجه : كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه
حياء وكرماً ؛ فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم : ثم لا يذهب ذلك
الأثر ولا ينمحي .

(٤) الغوايى : جمع غانية ، وهى الشابة التى غنيت بجهاها عن الحلى ، وقيل
التي غنيت بزوجها عن الرجال ، وقيل التى غنيت ببيت أبويها فلم يقع عليها ساء .
واسكن « الغوايى » : ضرورة ، لأنها مفعول أذاق . والصرم : المجرى وللقاطعة ،
يفتح الصاد وضمتها - وقيل : الصرم المصدر ؛ والصرم : الاسم . يقول إنه لحسنه تعشقه

فَدَىٰ مَنْ قَتَلَ الْغَبْرَاءَ أَوْ لَهُمْ أَنَا هَذَا الْأَبَى الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرَمِ (١)
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ

فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعَرَبِ وَالْمَجْمِ (٢)
وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمِ (٣)

النساء ولكنه يعف عنهم ولا يواصلهم ، فكان ذلك منه جزاء لمن على مصارمتهم إياي .

(١) فدى خبر عن الوصول بعده ، والغبراء : الأرض . والآبى : بمعنى الآبى وهو الذى يأبى الدنيا . والجائد : الفاعل من جاد يهود ، والقرم : السيد ؛ وأصله : الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفدى هذا المدوح كل من على الأرض وأولهم أنا ، لأنه سيدهم .

(٢) حال : اعترض . يقول : لقد أخاف سيفي الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنسى بعد خوف الجن ، والعرب والعرب واحد ، وكذلك العجم والعجم .

(٣) أرهب : أخاف ؛ والجزع : نقاد الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر :

لو صَالَ مِنْ غَضَبٍ أَبُو دُؤْلَفٍ عَلَى بَيْضِ السِّبْوَفِ لَذُبْنَ فِي الْأَغْصَادِ
هذا : ويقال غم وغم مثل نهر ونهر ، وفي المثل : لو كنت أُنْفِخُ فِي غَمٍّ : أى لو كنت أعمل في عائدة . قال الأغلب العجلي :

هَلْ غَيْرُ غَارٍ هَذَا غَارًا فَانْهَدَمَ قَدْ قَاتَلُوا لَوْ يَنْفُخُونَ فِي فَحْمٍ
* وصبروا لو صبروا على أُمِّ *

يقول : لو كان قتالهم يغنى شيئاً ، ولكنه لا يغنى فكان كالذى ينفخ نارا ولا غم ولا حطب ، فلا تنقد النار : يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لا يجدى عليه ، والفحيم كالنجم . قال امرؤ القيس :

وَإِذْ هِيَ سَوْدَاءُ مِثْلَ الْفَحِيمِ تَغَشَّى الْمَطَانِبَ وَالْمَنْكِبَا (١)

(١) وإذ هي سوداء : يعنى اللمة ؛ وذلك دليل الشباب والفتوة ، والمطانب : جمع المطنب ، وهو جبل العاتق الممتد إلى المنكب .

وَجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ (١)
أَطْعَمَكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا ابْنَ ابْنِ يُوسُفَ
لَشَهَوْتِنَا ، وَالْحَاسِدُ لَكَ بِالرُّغْمِ (٢)

(١) غير شارب : حال . وابنة الكرم : الحمر ، يقول : جاد بالأموال فأكثر
وتغرق في الكرم ، فلولا أننا رأينا صاحبا لقنا كرم هيجه الحمر فحركته إلى
الجود وابتسمته عليه ، وقد جانس بين الكرم والكرم ، وهذا من قول
البحرئى :

صَحًا وَاهْتَزَّ لِلْمَعْرُوفِ حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

(٢) طوع الدهر : لك أن تجعل المصدر مضافا إلى الفاعل ، فيكون المعنى : أطعمتك
كما أطعمك الدهر ، ولك أن تجعله مضافا إلى المفعول ، فيكون المعنى أطعمتك غاية الطاعة
شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر — ولا ينفك أحد من طاعة الدهر — وأطعمتك
حاسدوك على الرغم منهم خوفا منك . هذا وقوله : الحاسدوك ، أراد والحاسدون ،
خذف النون ، لأنه شبهه بالفعل ، كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير ، قال
عبيد بن الأبرص :

وَلَقَدْ يَفْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْمُسْكُومُ بِأَسْبَابِ الْوِصَالِ
أَرَادَ الْمُسْكُونِ ، وَأَنْشَدَ جَمِيعَ النُّحَوِيِّينَ :

وَالْحَافِظُ عَوْرَةَ الْمَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وِرَائِنَا وَكَفْ (١)

(١) من قصيدة لعمر بن امرئ القيس الخزرجي ، وقوله :

نَحْنُ الْمَكِيثُونَ حَيْثُ نَحْمَدُ بِالْمَكْثِ وَنَحْنُ الْمَصَالْتُ الْأَنْفُ

والمكيثون : جمع مكث فعمل من المكث وهو البث — الانتظار — والمزاد هنا الصبر
والرزاة والمصالت : جمع مصلت ، وهو الماضي في الأمور لايهاب شيئا . والأنف : جمع
أنف ، من الأنفة ، وهى الحمية . والحافظو : عطف على « المصالت » والعورة :
المكان الذى يخاف منه العدو ؛ والوكف : العيب والإثم . يقول : ونحن نحفظ
عورة عشيرتنا فلا يأتهم من ورائنا شيء يهابون به من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .
« راجع القصيدة وقصتها وشرحها في الجزء ٤ ص ٢٠٥ من « الحزاة » طبعة « السلفية »

وَفَقْنَا بِأَنْ تُعْطِيَ فُلُوْا لَمْ تَجِدْ لَنَا خِلَانَكَ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ^(١)
 دُعِيتُ بِتَقْرِيطِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ، وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُوْنَا إِيَّكَ أَسْمَى^(٢)
 وَأَطْعَمْتَنِي فِي تَيْسَلٍ مَا لَا أَنَالُهُ
 بِمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أُطْعَمُ فِي النِّجَمِ^(٣)

أراد الحافظون ، ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء « والمقيم الصلاة »
 بنصب « الصلاة » وارتفع الحاسدو : بالمطف على الضمير في « أطعناك » وحسن المطف
 على الضمير المرفوع ، وإن لم يؤكد ، لطول الكلام .

(١) خِلَانُكَ : حَسْبُنَاكَ ؛ وَالْوَهْمُ : تَخِيلُ الشَّيْءِ وَتَمَثُّلُهُ كَانَ فِي الْوُجُودِ أَوَّلُ
 يَكُنْ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : وَهَمْتُ فِي الشَّيْءِ - بِالْفَتْحِ - أَمَّ وَهًا : إِذَا ذَهَبَ وَهْمُكَ
 إِلَيْهِ وَأَنْتَ تَرِيدُ غَيْرَهُ ؛ وَتَوَهَّمْتُ : أَيْ ظَنَنْتُ ؛ وَوَهْمٌ - بِكسْرِ الْهَاءِ - : غُلْطٌ
 وَسَهْوٌ . يَقُولُ : وَفَقْنَا بِأَنَّكَ تَعْطِينَا لِمَا تَحْقُقْنَاهُ مِنْ جُودِكَ فَلَوْ لَمْ تَعْطِنَا لَخَلَّانَكَ
 قَدْ أُعْطِينَا .

(٢) التَقْرِيطُ : الْمَدْحُ . وَقَوْلُهُ : الَّذِي يَدْعُو ، أَرَادَ يَدْعُونِي ، فَحَذَفَ الْمَعْمُولُ .
 يَقُولُ لِكَثْرَةِ مَدْحِي إِيَّاكَ دُعِيتُ مَادَحُكَ وَشَاعِرُكَ ، وَالَّذِي يَدْعُونِي يُظَنُّ أَنَّ اسْمِي
 ثَنَائِي عَلَيْكَ فَيَقُولُ يَامُثْنِي فَلَانٌ - يَامَادِحُ فَلَانٌ - وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى : لَقَدْ اشْتَهَرَتْ بِمَدْحِكَ
 بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى سَمَوْنِي مَادِحُ فَلَانٍ ، وَصَارَ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يَدْعُونِي ، يَنَادِينِي بِهَذَا الْاَلْفَظِ ،
 لَظْنُهُ أَنِّي مَسْمُومٌ بِهِ ؛ وَقَالَ ابْنُ جَنَى : أَنَا أَمَدَحُكَ بِالشَّعْرِ ، فَيَقُولُ النَّاسُ هَذَا شَاعِرُ
 الْأَمِيرِ ، فَاشْتَقَى لِي مِنْ مَدْحِكَ اسْمٌ ، وَهَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ النَّاسِ : مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ
 عَرَفَ بِهِ ، وَقَدْ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ كَثِيرٍ لَجَلِيلٍ قَدْ مَلَأَتْ الْبِلَادُ بِذِكْرِ بَثِينَةٍ وَصَارَ اسْمُهَا لَكَ
 نِسْبًا وَإِنِّي لِأُظَنُّهَا حَدِيدَةُ الْعُرْقُوبِ دَقِيقَةُ الظُّنُوبِ ، وَقَدْ ثَقُلَ الثَّنَاءُ هَذَا مِنْ قَوْلِ
 الْبَحْتَرِيِّ

وَمَا أَنَا إِلَّا عَبْدٌ نِعْمَتِكَ الَّتِي نُسِبْتُ إِلَيْهَا دُونَ رَهْطِي وَمَعَشَرَتِي
 (٣) يَقُولُ : قَدْ نِلْتُ بِجُودِكَ كُلِّ مَا أَرَدْتُ ، وَلَمَّا أَدْرَكْتَ ذَلِكَ طَعَمْتَ فِيمَا لَا يَنَالُ ،
 لِأَنَّ مَنْ نَالَ مَا أَرَادَ طَعِمَ فِيمَا وَرَاءَهُ بِمَا لَا يَنَالُهُ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي هَذَا الطَّعْمِ حَتَّى صِرْتُ
 أُطْعَمُ فِي إِدْرَاكِ النُّجُومِ حَتَّى أَنَالَهَا كَمَا قَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

لَمْ لَا أُمْدُ يَدِي حَتَّى أَنَالَ بِهَا زُفْرَ النُّجُومِ إِذَا مَا كُنْتُ لِي مُضْدًا
 (١٧ - الثَّنَاءُ ٤)

إذا ما ضربت القرن ثم أجزتني فكل ذهباً لي مرة منه بالكلم^(١)
 أبت لك ذمي نخوةً بمنيةً ، ونفس بها في مازق أبداً ترمي^(٢)
 فكلم قائل لو كان ذا الشخص نفسه لكان قرأه مكنن المسكر الدم^(٣)
 وقائلة والأرض أغني تعجباً على أمرؤ يمشي بوقري من الحلم^(٤)
 عظمت فلما لم تكلم مهابةً
 تواضعت وهو العظم عظمًا عن العظم^(٥)

(١) القرن : الكفء في الحرب . وأجزتني : أعطيتني جائزة ، وهي العطاء والكلم الجرح . يقول : إذا أردت أن تعطيني وقد ضربت أحد أقرانك في الوغى ، فأجعل عطائي ملء جرحه ذهباً ، فإن ذلك يكون كفيلاً لي بالغنى . يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته .

(٢) منية : تروى عربية ؛ والنخوة : الكبر ؛ يريد بها ترفعه عن الدنيا وعمها يورثه عيباً ؛ والمأزق : المضيّق ؛ والمراد به : ساحة الحرب . يقول : ترفعه عن النقائص ونفسك التي ترمي بها أبداً في مازق الحرب بإيثار ذمي لك : أي لا موضع للدم فيك ، لأنك مترفع عن كل ما يزيى بك ، لأنك كريم شجاع
 (٣) القرا : الظهر . والمكنن : الخبا . والدم : الكثير . يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاخفى وراء ظهره الجيش العظيم .

(٤) وقائلة : أي ورب قائلة . والأرض : منصوب بأعني ، وتعجباً : مفعول له ، أو حال ؛ ولك أن تجعله مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف : أي أتعجب تعجباً . وعلى أمرؤ : مبتدأ وخبر وقوله : بوقري أي بمثل وقري : أي ثقل : يصف زرائته وثقل حمله . يقول إن الأرض تقول تعجبت تعجباً يمشي على أمرؤ ثقل حمله كثقل .

(٥) الضمير من « وهو العظم » : يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت ، والجملة : معترضة ، وعظما : مصدر في موضع الحال من « التاء » في « تواضعت » وعن العظم ، متعلق بعظما . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة ، فلم يكلمك الناس مهابة لك : فلما هابوك تواضعت متعظما عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة ، لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف :

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقَدَمُ ^(١)
وَأَتَمَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُزْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ ^(٢)
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُبُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ ^(٣)
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمَمٌ تُرْعَى بَعْدَ كَانِهَا غَمَمُ ^(٤)

(١) أحق - أي أولى وأجدر - : خبر مقدم عن الهمم : والعافى : الدارس الذاهب - من غفت النيار : درست - والقدم : خلاف الحدوث . يقول : أحق عاف بأن ييكي عليه هو همم الكرام التي قد درست وذهبت : أي أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال ثم قال : إن أقدم أحدث الأشياء عهداً بها - أي بالهمم - أي أن دروسها قديم ، وإذن لا عهد لأحد بها ، قال الواحدى : لأن المحدثات تتأخر عن القدم وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد ، وهذا كما تقول أحدث الناس عهداً بها آدم ، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس وقال ابن جني : سأله - أي للتنبى - عن معنى هذا البيت فقال : أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد غفت ودرست فصار أحدثها عهداً قديماً . وعبرة التبريزى : أحق عاف بأن ييكي عليه همم الكرام لأنها قد غفت كما تغفو الربوع ، فمن أحق بدمعك من كل الدارسات ، وجعل القدم أحدث الأشياء عهداً بالهمم : أي أن دروسها قديم ، فلا همم فى الأرض (٢) يقول : إن الناس بالملوك يرتفعون ، والعرب إذا ملكهم العجم لم يملحوا ، لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطباع واللغة ، ثم بين هذا فى البيت التالى ، هذا : وقد قال أبو عبيد : أصل الفلاح البقاء ، وأنشد للأضبط بن قريع :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنْ أُمُورٍ سَعَةٌ وَالْمُسَى وَالصَبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ

يعنى ليس مع كل الليل والنهار بقاء ، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يقتبط به ؛ وفيه صلاح حال .

(٣) الحسب : ما يعسده الإنسان من مفاخر آباءه ، وقيل : الحسب الفعال الصالح ؛ والذمم : جمع ذمة ، وهى الأمان والعهد .

(٤) قوله ترعى بعد : يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس .

بَسْتَحْشِنُ الْحَزَّ حِينَ يَلْسُهُ (١) وَكَانَ يُبْدِي بَطْفُورَهُ الْقَلَمَ (٢)
إِنِّي وَإِنْ لَمْتُ حَاسِدِي فَمَا أَنْكَرُ أَنِّي عَقُوبَةُ لَهُمْ (٣)
وَكَيفَ لَا يُحْسَدُ أَمْرُو عِلْمَ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَّةٍ قَدَمَ (٤)
يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهْمَ (٥)
كَفَانِي الذَّمُّ أَنِّي رَجُلٌ أَكْرَمَ مَالٍ مَلَكَتُهُ الْكِرْمُ (٦)
يَجْنِي الْغَنَى لِلنَّامِ تَوْعَقُوا مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ (٧)

(١) الحز : ثياب تعمل من الأبريسم : أى الحرير الصوف لا يشوبها قطن ولا كتان . يقول : يرى من كبريائه الحز خشنا ، وكان قبلا رثا حافيا طويل الأظفار .
(٢) يقول : إني - وإن لمت حسادي - لا أنكر أنهم معذرون في حسدي لأنهم معاقبون بتقدمي عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلي .

(٣) العلم : الجبل : أى شهير كالعلم : والمهامة : الرأس ، وهذا تأكيد لبيان عذرهم في الحسد . يقول : لم لا يحسد من صار كالعلم في كل فضل . أى اشتهر وصار كالشار إليه ، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق المهامات : يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر في هذا إلى قول البحتري

واعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلى حسن في مثلها الحسد

(٤) أبسأ الرجال به : أى آنتهم به وآلفهم له ، يقال بسأت بالشيء : إذا أذهبت هيئته من قلبك . وتتقى : تهذر . والبهم : جمع بهمة ، البطل الذى لا يدرى من أين يؤتى من عدة بأسه . يقول : كيف لا يحسد من كان من الهية بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال ؟

(٥) كفاه الشيء : صرفه عنه ؛ وإنى : فاعل كنى . والكرم : نقيض اللؤم : يقول : منع عني الذم أنى رجل كريم أرى ما من الكرم أعز شيء أملكه وأصونه يبذل المال دونه وأبخل به بأجل غيرى بالمال .

(٦) اللثم الذى الأصل ، الشحيح النفس ، نقيض الكريم . والعدم - بفتح العين الدال ، وبضم العين وسكون الدال وبضمها - : الفقر وقلة المال . ويجنى لهم : يكسب لهم . يقول : إن غنى اللثم لو علم يحنى عليه ما لا يحنيه اللؤم ، لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولا يظهر لؤمه ، لأنه لا يقصد في حاجة ؛

هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسَنَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجَرْحُ يَلْتَمِمْ^(١)
 مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَمَلِي يَهْبُ الْأَلْفَ وَهُوَ يَنْتَقِمُ^(٢)
 وَيَطْمَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ كَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَايَا أَلَمِ^(٣)

أما الغنى فإنه يظهر لؤمه لأن الأطلاع تتصل به ، ولؤمه يمنع من تحقيقها ، فيتوجه عليه الذم .

(١) الضمير في «لسن» للأموال ، والتأم الجرح : التحم . يقول : إن الأثام مملوكون لأموالهم لأنهم يتعبون في سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهي كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها . وهم لا يملكونها ، لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها ، ولا أن يكسبوا بها محمداً في الدنيا أو أجراً ومثوبة في العقب ، فضلاء عن أنها صائرة إلى الوارث ؛ وإذن : فهم للأموال وليست لهم وبهذا يوصف الأثام الكثير ، كما قال حاتم الطائي .

إذا كان بعض المال رباً لأهله فإني بحمد الله مالى معبد
 وقال الآخر :

ذريني أكن للمال ربا ولا يكن لي المال ربا تحمدي غيبه غدا
 وقال أبو نواس :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتة فالمال لك
 وقال الخزومي :

إن رب المال آكله وهو للبخال أسكال

ثم قال : إن العار أبقي من الجرح ، لأن جرح السيف يبرأ ويلتم ؛ أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه .

(٢) الكاف من «كلى» : في موضع نصف خبر «يكن» : أى مثل على وجهه «وهو ينتقم» : في موضع الحال . وقوله يهب الألف : أى من الدنانير .

(٣) ويطمئن الخيل : أى فرسانها ؛ وكل نافذة أى كل طعنة نافذة : أى تنفذ في المطعون إلى الجانب الآخر . والوحاء : السرعة . يقول : إن مطعونه لا يحس بالمشقة ، لأنها - لسرعته - تقتله قبل أن يدرك ألامها . قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا ، وقد قال غيره في السيف

وَيَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بَعْدَ فَقْلِهِ نَدَمٌ ^(١)
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلَاحُ وَالْيَيْبُسُ لَهُ وَالْقَيْدُ وَالْحَشْمُ ^(٢)
وَالسُّطُوتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَعُهُمْ ^(٣)

تَرَى ضَرْبَاتِهِ أَبْدَأَ خِطَابًا إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ قَتِيلٌ

(١) الموقع - ههنا - مصدر بمعنى الوقوع ، يريد أن يقول : إنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه ، فإنه لا يندم على فعله ؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيفعله عن بصيرة ومعرفة ، فلا يلزم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم ، وعبرة ابن جني : إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر :

الْأَلَمِيُّ الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَ

أى هذا الممدوح لا يندم لأنه لا يفرط في الأمور ، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة ؛ وقد شرح هذا الغرض من قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصُرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

(٢) السلاح : الحيل الطوال ، جمع سلهب وسلمية ، يقال : فرس سلهب وسلمية للدكر : إذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض . السيوف والحشم : أتباع الرجل الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه . يقول : له هذه الأشياء لأنه ملك . فقوله والأمر : ابتداء ، وما بعده : عطف عليه ، والخبر : قوله : له .

(٣) السطوت : جمع سطوة ، وهي القهر بالبطش ، وسطا عليه وبه سطوا ووسطوة : صال . والقسم - بالقاف - أن ينكسر الشئ فيبين ، وأما القسم - بالفاء - فهو أن ينصدع الشئ من غير أن يبين . قال ذو الرمة يصف ظبيا قد انحى في نومه فشبهه بدمليج - مايلبس في المعصم من الحلوى - قد انفصم :

كَأَنَّهُ دُمْلِجٌ مِّنْ فِضَّةٍ نَبَتْهُ فِي مَلْعَبٍ مِّنْ عَذَارَى الْحَىِّ مَفْصُومٌ ^(١)

(١) شبه الغزال وهو نائم بدمليج فضة قد طرح ونسى ، وكل شئ سقط من إنسان لنسيه ، ولم يهتد إليه : فهو نيه ، وجعله مفصوما لتثنيه وانحنائه إذا نام ، ونبه هنا بدل من «دمليج» ويقال أصله نهبأ : أى لم يدر متى ضل . قال الأصمعي : أضلوه نهبأ لا يدرون متى ضل حتى انتبهوا له . وذهب ابن بري إلى أن النبه هنا الشئ المشهور ، قال : شبه ولد الظبية حين انمطف لما سقته أمه فروى بدمليج فضة نيه أى بدمليج أبيض نقي . كما

يُرْعِيكَ سَمْعًا فِيهِ أُسْتَمَاعٌ إِلَى الدَّاعِي وَفِيهِ عَنِ اُنْخَافًا صَمَمٌ^(١)
يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبُهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخَافُ النَّسَمُ^(٢)

يقول : وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس وتنتساع أخبارها والتي تنكاد الجبال تنصدع وتهد لها لشدها .

(١) يقال : أرعى سمعك - أى اصغ به إلى واستمع منى ؛ ومعناه اجعل سمعك الكلامي بمنزلة الموضع الذي يرعى فيه ويتصرف . والضمير من فيه في الشطرين للسمع ، والحناء : الفحش في الكلام . يقول : هو يسمع الداعي إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة ، فهو عند ذلك مسمع ، ويعرض عن الفحش كأنه به صمماً ، هذا : والداعي رواها ابن جنى بدون ياء ، وقال : أراد الداعي وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها في مواضع ، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع في قوله تعالى « أجب دعوة الداعي إذا دعان » وصلاً ؛ وحذفها وقفاً اتباعاً للمصحف ، وأثبتها البرزى وقفاً ووصلاً في قوله « يدع الداعي » في سورة القمر ؛ وأثبتها وصلاً أبو عمرو وورش ، وإلى الداعي أثبتتها في الحالين ابن كثير وفي الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقون وصلاً ووقفاً اتباعاً للمصحف .

(٢) خلقه : مصدر : أى إبداعه ، وغرائبه : منصوب به ؛ والنسم : جمع نسمة وهي : نفس الروح وذو الروح . قال الشاعر :

ما صورَ اللهُ حينَ صورَها في سائرِ الناسِ مثلها نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد ، وإبداعه من الكرام ما لم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسَم ، لأن المخلوق إذا كان قادراً على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه . وقال ابن جنى : أراك كيف يخلق الله النفوس ، يعظم قدر ما يأتيه ، كأنه شبه أفعاله بأفعاله تعالى .

كان ولد الظبية كذلك . وقال في ملعب من عذارى الحى ؛ لأن ملعب الحى قد عدل به عن الطريق المساوك ، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصيد . وقوله مفصوم ولم يقل مفصوم ، لأن الفصم الصدع والقصم : الكسر والتبرى ، إنما يريد أن الخشف - ولد الظبية - لما جمع رأسه إلى غنذه واستدار كدملج مفصوم : أى مصدوع من غير انفراج .

مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْفَسِمُ^(١)
 مِنْ بَعْدِ مَا صَيَّغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ لِمَنْ أَحْبَبَ الشُّنُوفُ وَأَعْلَمَ^(٢)
 مَا بَدَّلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ وَلَا تَهْدَى لِمَا يَقُولُ فَمُ^(٣)
 بَنُو الْعَفْرَنَى مَحْطَةُ الْأَسَدِ الْأَسَدُ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجَمُ^(٤)

(١) يخاطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إني عدلت إلى زيارة رجل لوجئنا
 بإصاحي تسألانه يكاد ينقسم بينكما ، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتاه نفسه
 وهذا مبالغة في الجود :

(٢) الشنوف : جمع شنف ، وهو ما يعلق في أعلى الأذن ؛ أما القرط : فهو ما يعلق
 في شحمة الأذن . والخدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال . وقوله من بعد : متعلق بـ «ملت»
 - في البيت السابق - يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندي حق
 صفت لمن أحبه الشنوف والخلخال من الذهب الذي أعطاني : يعني أن عطائه وصل إلى
 قبل زيارته .

(٣) تهدي : اهتدي . يقول : لم تبذل يد ما يجود به ، ولا اهتدي فم لأن يأتي بما
 يقول ، يعني أنه أجود الناس بنا وأفصحهم لسانا .

(٤) بنو العفرنى : مبتدأ ، خبره الأسد . والعفرنى : الأسد القوى ، والنون زائدة
 وأصله من العفر ، كأنه يعفر صيده لقوته ، ومحطة : اسم جد المدوح وهو في موضع
 خفض ، لأنه بدل من «العفرنى» ، إلا أنه لا ينصرف ، والأسد : صفة لمحطة - وروى
 الخوازمي محطة - بالجر - جعله من الحط ، وهو الوضع أى أنه يحط الأسد عن منزلته
 وشجاعته . والأجم : جمع أجمة ، الغاية يأوى إليها الأسد . يقول : إن بني محطة القدي
 هو أسد ، أسود مثله ، لكن غاباتهم التي يستعصمون بها ، إنما هي الرماح بدل الآجام
 التي يمتنع بها الأسود ، كما قال طي بن جبلة :

كَأَنَّهُمْ وَالرِّمَاحُ شَأْنٌ أَسَدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجَمُ
 وقال أبو تمام :

أَسَادُ مَوْتٍ مُنْخَدِرَاتٌ مَا لَهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا آجَامُ
 وقال أيضا :

أَسَدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الْمَوْتُ صَبَّحَهَا أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابَهَا الْأَسْلُ

قَوْمٌ بُلُوغُ الْفَلَاحِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكِمَاةِ لَا الْحِلْمُ^(١)
كَأَنَّمَا يُولَدُ الْفَدَى مَعَهُمْ لَا صِفَرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرِمٌ^(٢)
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَدِيقَةً كَتَمُوا^(٣)

وانتد إلى عفرني فنقول : يقال أسد عفرني ولبوة عفرني أيضا ، والنون لللاحق
بسفر جل ، وناقاة عفرناة : أى قوية قال عمر بن لجأ التيمى يصف إبلا
حملت أثقال مصماتها غلب الذفارى وعفرنياتها^(١)

(١) قوم : أى هم قوم . والنحور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة . والسكاة : جمع
كمى ، وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم : البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الفلاح عندهم
أن يحمل على الأعداء فى الحرب ويطعنهم فى نحورهم ، لأن يبلغ سن الحلم ، فذاك
هو معنى الرجولية عندهم . قال أبو دلف :

علامة القوم فى بلوغهم أن يرضعوا السيف مهبجة البطل
وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين :

خرجنا نقيم الدين بعد أعوجاجه سويا ولم نخرج لجمع الدرم
إذا أحكم التنزيل والحلم طفلنا فإن بلوغ الطفل ضرب الجماعيم

(٢) الذدى : الجود . والهرم : الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إنهم نشأوا
مع الجود وفطروا عليه ، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز ، فهم أجواد على كل حال :
وهذا من قول البحتري :

عريقون فى الإفضال يؤتشف الذدى لفاشتهم من حيث يؤتشف العمر
(٣) الصنعة : المعروف . يقول : إذا عادوا أحدا جاهرنا بعداوتهم ، لأنهم لا يخافون
عدا ؛ وإذا اصطنعوا صنعة أخفوها ولم يباهوا بها ، حياء ونبلا .

(١) الذفارى : جمع الذفرى ، والذفرى من القفا : الموضع الذى يعرق من
البعير خلف الأذن ؛ والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ . يقال غلب غلبا :
أى غلب .

تَنْظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أَغْتَدَادَهُمْ أَهْمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)
إِنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحُكْمُ^(٢)
أَوْ حَلَفُوا بِالنَّمُوسِ وَاجْتَهَدُوا فَقَوْلُهُمْ « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ^(٣)

(١) يقول : إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف ، لتناسيمهم وغفلتهم عنه ، كأنهم لم يعلموا به ، كما قال الحريري :

زاد معروفك عندي عظيماً أنه عندك مستورٌ حقيرٌ
تندأ ساء كأن لم تأتِه وهو عند الناس مشهورٌ كثيرٌ
وقال الآخر :

ومن تكرههم في المحل أنهم لا يعلم الجارُ فيهم أنه جارٌ
« المحل : الجلب »

(٢) برقوا : خوفوا وهددوا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك . يقول : إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم ، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة .

(٣) الناموس : اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم . يقول : إذا أرادوا أن يخلفوا يميناً يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هي أن يقول حالقهم « خاب سائلي إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا » لأن هذه اليمين أعظم شيء عليهم ومن أحسن ما سمع في انقسام قول الأشتر النخعي الشاعر الصعابي ومن أنصار سيدنا علي كرم الله وجهه :

بَقِيْتُ وَفَرَى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْمَلَأِ وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ
إِنْ لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةً لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ
خَيْلًا كَأَمْثَالِ السَّعَالِيِّ شُرْبًا تَعْدُو بَيِضَ فِي الْكَرْبَةِ شُوسٍ
حَتَّى الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لَمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَمَاعُ شُمُوسٍ

« السعالي : جمع سعاة ، سحرة الجن ، أو الغول . والشرب : الضوامر . يصف الخيل بالنشاط والضمور ، والبيض : يريد الفرسان يصفهم بأنهم كرام نقية أعراضهم . وفي الكربة : صلة شوس ، وشوس جمع أشوس وهو الشديد الجريء على القتال . يقول إنهم شجعان في الحرب . »

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسَرَّجَةٍ فَإِنْ أَفْخَاذَهُمْ نَهَا حُزْمٌ^(١)
 أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَا قِيحًا أَخَذُوا مِنْ مُهْجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا^(٢)
 تَشْرِيقُ أَعْرَاضُهُمْ وَأَوْجُوهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي نُفُوسِهِمْ شَيْمٌ^(٣)
 لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبَحِيرَةَ وَالْفُورُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَيْمٌ^(٤)
 وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةٌ تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطَمٌ^(٥)

(١) يقول : إذا ركبوا الخيل عربا لكثرة ما يطرقهم المستغيث فلم يمهلمهم حتى يسرجوا خيلهم صارت أخفاذهم حزما لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب .

(٢) اللاقح : الحرب الشديدة ، شبت بالناقاة إذا حملت . والمهيج : جمع مهجة دم القلب . والدارع : لابس الدرع . يقول : إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكوا في الأرواح فقتلوا من أرادوا .

(٣) الأعراض : جمع عرض ، ما يمدح به الإنسان ويذم . والشيم : الخلائق أى كأن أعراضهم خلائق تشرق في نفوسهم . يصنفهم ببقاء الأعراض والوجوه والشيم ، وهذا ينظر إلى قول أبي الطمعمان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَقَطَ الْجَزَعُ نَاقِبُهُ
 وقول الآخر :

فَإِنْ كَانَ خُطْبٌ أَوْ أَلْتْ مَلَمَةٌ كَفَى خَابِطَ الظُّلَمَاءِ فَقَدَ الْمَصَاحِرِ

(٤) يريد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والفور : منخفض بالشام ، بجوار بلد للمدوح ؛ والشيم : البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجثت بلدك الدفء الحار . وقال بعضهم : المراد بالفور : السكان المجاور طبرية ، فيكون المعنى : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء .

(٥) الموج : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ؛ ولك أن ترفع ثل وتنصب مزبدة ، على أن مثل خبر ومزبدة حال من الفحول ، ولك أن تمكس فتجعل « مثل » حالا من فاعل مزبدة ومزبدة خبر والضمير من « تهدر بها » للموج ، ومن « فيها » للبحيرة ، وهدر الفحل : إذا هاج وأخرج زبده ، والقطام : شهوة الضراب وهياج الفحل عند ذلك شبه الأمواج في اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتدت

وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسَبُهَا فُرْسَانٌ مُبَاتٍ تَخُونُهَا اللَّجْمُ^(١)
 كَانُهَا وَالرِّيَّاحُ تَضْرِبُهَا حَيْشًا وَغَىٰ هَازِمٌ وَمُنْهَزِمٌ^(٢)
 كَانُهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفٌّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظَلَمٌ^(٣)
 نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمٌ^(٤)

الضراب فرمت بالزبد من أفواهاها؟ ومعنى تهدر فيها: تصيح في البعيرة هديرًا مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

(١) الحباب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله فرسان بلق: أراد فرسان خيل بلق ، والبلق : التي فيها سواد وبياض . جعل الأمواج بلقا لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، أى تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت . يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر في كل وجه . وقال ابن جني : تخونها اللجم : فهي تكبو : يريد رفرقة الطير على الماء ثم انقباسها فيه . قال الواحدى : وليس هذا بشئ لأن الفرس إذا انقطع لجامه لم يكب ، وليست الرفرقة والانقباس مما ذكر في البيت ، وإنما بناهما على الكبو الذى ذكره .

(٢) كَانُهَا : أى الطير . والوغى : الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الريح ، بجيشين : هازم ومنهزم فالهازم يتبع للهزوم . ولك أن تقول كَانُهَا - أى الطير والموج ، لأن الريح تضربهما معا فتتتابع الطير على أثر الموج .

(٣) حف به : أحاط به ، قال الواحدى : وكان حقه أن يقول حفه ؛ كما روى في الحديث « حفت الجنة بالسكاره » والجنان : جمع جنة ، وهى البستان ، شبه ماء البعيرة فى صفائه - وقد أحاطت به البساتين فى خضرتها الضاربة إلى السواد - بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل . قال العكبرى : وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى : « مدهامتان » أى سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فعداه تعديته على حد قوله تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجنى من السجن » أى لطف بي وكقوله تعالى « فليحذر الذين يخافون عن أمره » أى يخرجون عن أمره .

(٤) قال العكبرى : لما وصف البعيرة ألغز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك : أى أن البعيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم

يُنْقَرُ عَنْهُمْ بَطْنُهَا أَبَدًا وَمَا تَشْكِي وَلَا يَسِيلُ دَمٌ^(١)
تَفَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِهَا وَجَادَتِ الرِّوَضَ حَوْلَهَا الدَّيْمُ^(٢)
فَهِيَ كَمَاوِيَةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرَّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الْأَدَمُ^(٣)
يَشِينُهَا جَزِيئُهَا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ الْأَدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ^(٤)
أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِيعْ فَمَذْحُكُمُ فِي الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلَامِ مُنْتَظِمٌ^(٥)
وَقَدْ تَوَالَى الْعِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَادَتِ الْمَطَرَةُ الَّتِي نَسِيمٌ^(٦)
أُهِيدُكُمْ مِنْ صُرُوفٍ دَهْرِكُمْ فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُتَّهِمٌ^(٧)

* * *

- (١) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بنات كفى عن استخراج ممكها وصيدا منها بالقر ، وهو شق البطن .
- (٢) جادت : من الجود - بفتح الجيم - وهو المطر ، والديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون .
- (٣) الماوية . المرأة . وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . والأدم : الجلد ، وهو بيان للقشاة . شبه البحيرة - مع ما يحقق بها من البساتين - بالمرأة وقد جردت مما تغلف به من الجلد
- (٤) يشينها : يعيبها . والأدعياء : الذين ينسبون إلى غير آبائهم والقزم : رذال الناس وسفاههم ، يستعمل للواحد وغيره ، يقال : هذا رجل قزم وناس قزم . يقول : إن عيب هذه البحيرة أنها في بلد أهلها لثام خساس .
- (٥) يقول : إن فعلكم مدحكم قبل أن ينظم في الشعر : أي أنه لحسنه يثنى عليكم ، ويروى في العقل : يعني أن الناس عقلوا مدحكم قبل أن يتكلموا به .
- (٦) العهد : جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر ؛ وقيل أمطار بعضها في أثر بعض : ومنه : أي من المدح : والمطررة التي تسم : هي الوسمي ، وهو مطر الربيع الأول ، فهو الذي يسم الأرض بالنبات . شبه مدائحهم بالأمطار المتتابعة لأنها تنبت لها أنعامهم عليه وأراد بالتي تسم : هذه القصيدة .
- (٧) يقول : إن الدهر مولع بالسكرام يأتي عليهم ويعصف بهم ، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه ، وفي هذا المعنى يقول البحترى :

وقال يمدح المغيث بن العجلي :

فَوَادٍ مَا تُسَلِّيهِ الدَّمَامُ وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ^(١)
وَدَهْرُ نَاسِهِ نَاسٌ صِفَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ مُجَثُّ ضِخَامُ^(٢)

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ الْمُتَلَى وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلْخُمُولِ

« النوافل : جمع نافلة ، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير . والفضول : الإفضال والتفضل »
وأصل المعنى لا شيء تمام :

إِنْ يَنْتَحِيلُ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْلَمَ النَّاسُ بَيْنَ الْخَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَالْمَاءَ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَغْذَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمَرُ الْآجِنِ الْأَسَنِ^(١)

(١) فؤاد : لك أن تجعله مبتداً ، محذوف الخبر : أى لى فؤاد ؛ أو خبر مبتداً محذوف
أى فؤادى فؤاد . والدما : الحمر . واللثيم : هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس
والآباء ، نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر ، إذ
لست كالناس أَرْضَى بما يَرْضُونَ به ويلهينى السكر ، ثم قال - المتنبى - : وعمر مثل ما
تهب اللثام ، وهذا تأسف منه . يقول لو كان العمر طويلاً لرجوت أن أدرك أغراضى
بطول العمر ؛ ولكن العمر قصير ومدته قليلة ، فهو كربة اللثام يسيرة حقيرة ، فما أخوفنى
أن لا أدرك طلبى بقدر ما أرجوه من العمر . قال الواحدى : وكان هذا من قول أبى
تمام :

وَكُنَّ الْأَنَامِلَ اغْتَصَرَسَهَا بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءٍ وَجْهِ الْبَخِيلِ

(٢) يقول : إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان ، كما قال حسان
ابن ثابت :

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولِ وَمِنْ قِصَرِ جِسْمِ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْمَصَافِيرِ

(١) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والأسن : الأسن ، وهو الآجن

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ^(١)
 أَرَانِبُ غَيْرِ أَنَّهُمْ مُلْكُكُ مُفْتَحَةُ عِيُونِهِمْ نِيَامُ^(٢)
 بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ^(٣)
 وَخَيْلٍ مَا يَحْرُ لَهَا طَعِينُ كَانَ قَنَا فَوَارِسَهَا ثَمَامُ^(٤)

وقال العباس بن مرداس :

فَمَا عِظَمُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

هذا : وقال أهل اللغة : الجنة : شخص الإنسان قاعداً أو نائماً ، وقيل جنة الإنسان شخصه متكناً أو مضطجعاً ، وقيل لا يقال له جنة إلا أن يكون قاعداً أو نائماً ، فأما القائم فلا يقال جنته إنما يقال قننه ، وقيل لا يقال حنة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتما . حكاه ابن دريد عن الأخفش ، قال وهذا شيء لم يسمع من غيره .

(١) الرغام : التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلى في ذلك مثل الذهب الذي معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه . هذا : والمعدن بكسر الدال - مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه ؛ ومنه معدن الذهب والفضة ، سمى كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عدن - أي ثبت - فيها .
 (٢) المعهود في مثل هذا أن يقال : هم ملوك ، إلا أنهم في طبع الأرانب ، لكنه عكس الكلام مبالغة ، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعاراً فيهم ؛ قال ابن جني : وهذا عادة له - للعتني - يختص بها . يقول هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين ، كما قال :

* وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَامُ *

وكما قال أبو تمام :

أَيَقُظْتَ هَاجِمُهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمْ سَهْرُ النَّوَاطِرِ وَالْقُلُوبِ نِيَامُ

(٣) بأجسام : أى مع أجسام . ويحر : يشتد - من قولهم حر يومنا يحرق حرارته . والاقتران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفو في الحرب . يقول : إنهم لا يحفلون إلا بالآكل ، ومن ثم يموتون بالنخمة من كثرة الأكل لا في وقائع الحروب .

(٤) خيل : معطوف على أجسام . وخر : سقط . والقنا : الرماح . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حش به وسد به خصاص البيوت ، قال الشاعر يصف ضعيف الثمام :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِلِّي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ^(١)
وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاطُ بِفَيْرٍ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عَنْقَ صَيْقَلِهِ الْحَسَامُ^(٢)
وَشِبَهُ الشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّفَامُ^(٣)

ولو أن ما أبقيت مني معلق بمودئمام ما تأود عودها
وقولهم : هو على طرف الثمام : أى أنه ممكن لا محال . يقول : إن طعنهم لا يؤثر في
المطعون لضعفهم ، فكأنهم يطعنون بالثمام .

(١) يقول لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه ، وليس من تقول هو خليلي خليلا
لك وإن كثرت تملته ، ولأن لك قوله . هذا : وكما يطلق الخليل على الصديق ، يقال للفقير
المختل الحال : خليل ، قال زهير :

وإن أناه خليل يوم مسغبة يقول : لا غائب مالى ولا حرم
« مسغبة : مجاعة ؛ وحرم : ممنوع » .

(٢) حيز : مجهول حاز : بمعنى ملك ، والحفاظ : المحافظة على الحقوق ورعى الذمام
والصقيل : الذى يعمل السيوف . والحسام : السيف القاطع يقول : لو كان فى الإمكان
أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق الصقيل
الذى صقله لا يقطعه ، يعنى أنهم لا عقول لهم ، ولذلك ليس لهم حفاظ .

(٣) الطفام : رذال الناس وغر غاؤهم ؛ قال الأزهرى : وسمعت العرب تقول للرجل
الأحمق : طفامة ودغامة ، والجمع : طفام -- كنعامة ونعام -- . وروى ابن السكيت أن
رجلا كان يتردد إلى أبى مهدية الأعرابي ، وأنه سافر ، فلما قدم قال له أبو مهدية : كيف
حال الناس ؟ أو نحو ذلك -- فقال له : وما الحال ؟ فقال أبو مهدية : ياطفامة لقد أحميتنى
فى المسألة ، وأنت لا تدري ما الحال : ولزمت ذلك الرجل الطفامة ، فقال فيه بعض
النحويين :

مَنْ كَانَ يُنْجَهُ الطَّفَامَةُ كُلُّهَا فَقَلْبُهُ مَيِّمُونًا أَبَا الضَّحَّاكِ
رَجُلًا تَجَمَّعَتِ الطَّفَامَةُ كُلُّهَا فِيهِ وَحَالَفَهَا : بَرَاكِ بَرَاكِ
« قال الجوهري : يقال فى الحرب براك براك -- كقطام -- أى ابركوا »

يقول : إن الشيء يميل إلى شبهه ، والدنيا خسيصة . فلذلك ألفت الحساس ، لأنهم
أشباهها فى اللؤم والخسة ، والشكل إلى الشكل أميل .

وَلَوْ لَمْ يَنْفُلْ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْخَطَ الْقَتَامُ^(١)
 وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا مُسْتَحِقُّ رِثَتِهِ أَسَامُهُ^(٢) الْمَسَامُ^(٣)
 وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي سَيَلَا فِي بَوَاطِنِهِ ظِلَامُ^(٤)
 إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ مِمَّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ^(٥)
 وَمَا كُلُّ بِمَمْدُورٍ بِبُخْلِ وَلَا كُلُّ عَلَى بُخْلٍ يُبْلَامُ^(٥)

(١) ذو محل : أى ذو منزلة رفيعة . والقتام . القبار . يقول : إن علومهم فى الدنيا لا يدل على علمهم واستحقاقهم ، ولو كان كذلك لما ارتفع القبار فوق الجيوش .
 (٢) رع : أى يكون راعيا ، وسامت الماشية . إذا رعت وهى سائمة ، وأسامها صاحبها . ويريد بالمسام ههنا : الرعية . والضمير فى « أسامهم » لقوله ملوك-فى أوائل القصيدة - يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق : لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ، ورعيته ملوكا يسوسونهم ، لأنهم أحق منهم بالملك وقال ابن فورجه : المسام المال المرسل فى مراعيه . يقول : هؤلاء شر من البهائم ، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم ، لأنها أشرف منهم وأعقل . وقال ابن جنى : السيم الذى يدبر أمور الناس محتاج إلى من يدره وهو مهمل بلا ناظر فى أمره ، فلو لم يل الأمر إلا من يستحقه لخلا الناس من خليفة بلى أمرهم لأنه لا يستحق أن يلى عليهم .
 (٣) الغوانى : جمع غانية ؛ وهى التى غنيت بحسنها عن التجميل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن . يريد أنهم يتعبدون من يصبوا لهم ويعطى قلبه بجهن .

(٤) الحمام : للوث . يقول : إذا كان الإنسان فى شببته كالسكران هو أو غفلة ، وفى المشيب غارقا فى بحر من الهم لضعفه واهتمامه لمسا فأت من عمره - فإن حياته هى الموت على الحقيقة : أى أن حاله وحال الميت سيات . يريد أن الحياة فى الدنيا منصفة مكدره ؛ فالإنسا لدى المشيب يفكر فيما فات من عمره وهو فى غفلة ؛ أو تقول : إذا كان الإنسان فى شببته غائبا فى سكر من اللهو والصبا ؛ وعند مشيبه غائبا فى بحر من الهم حتى لا يرمى فى عمره شيئا - فحياته أشبه بالمات .

(٥) قال الواحدى : يقول : ليس كل أحد يعذر إذا بخل ، لأن الواجد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل ؛ فإن العصر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو : أن الذى لا يعذر فى بخله من ولدته الكرام ؛

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ حَيْرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ^(١)
 بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفْوَتْهَا إِلَّا الْكَرَامُ^(٢)
 قَهْلًا كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا الْقَامُ^(٣)
 بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ صَخَرٍ وَفَخْرٍ أَنَا : ذَا الْمَغِيثُ وَذَا اللَّكَامُ^(٤)
 وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْقَمَامُ^(٥)

والذي لا يلام على بخله من كان آباؤه لثامًا بخلاء ؛ لأنه لم يتعلم غير البخل ، ولم ير في آبائه الكرم والجود ، فيكون هذا من قول أبي تمام :

لِكُلِّ مَنْ بَنَى حَوَاءً عُذْرٌ وَلَا عُذْرٌ لِبَطَائِي لَيْمٍ
 وقال ابن جني : هو من قول أبي نواس :

كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادُ مُقْتَرَدٌ عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ بَخِيلٍ

(١) مقام : مصدر ميمي ، بمعنى إقامة . يقول : لم أرمثل جيرانى في سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلى في مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو جيرانه ويلوم نفسه على الإقامة بينهم . وقوله لِمِثْلِي : خبر مقدم عن مقام ،
 والجملة : مفعول ثان لقوله « لم أر » ولك أن تقول إن مراده : أَمْثَلِي ؟ على الاستفهام التعجبى .

(٢) يقول : كل ما تشتهى وتطلب تجده في هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير موجودين فيها .

(٣) فيها : خبر « كان » ؛ ومنها : حال مقدمة عن « التمام » . يقول هلاك كان نقص أهل الأرض في الأرض ، وتمام الأرض — أى كمالها — في أهلها ؟ يعنى أن هذه الأرض كاملة في أحوالها ، وأهلها ناقصون في أخلاقهم ، فهو يتمنى أن يكون كمالها في أهلها وتقصانهم فيها لها ، إذ أن كمال الأرض مع نقص قيطانها ليس يجدى شيئاً .

(٤) أنا : أشرفاً وطالاً . والمغيث : هو الممدوح . واللكام : جبل بالشام ، يقال له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر — وهو جبل اللكام — والثانى من غر — وهو الممدوح — وقدم الصخر على الفخر صنعة وحذاقة . لما استعار للفخر جبلاً عطفه على الجبل الحقيقى .

(٥) التمام : السحاب . وإنما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول :

سَقَى اللَّهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِي بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامٌ^(١)
وَمَنْ لِحَدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا وَمَنْ لِحَدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ^(٢)
فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسَلِكِ الدَّرِّ يُخْفِيهِ النَّظَامُ^(٣)
تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعْشَقُ يَلْذُّ لَهُ الْقَرَامُ^(٤)

ليست هذه البلدة موطن المدوح ، ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه ، كما قال أبو تمام :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَّرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(١) يقولون: سقى الله فلانا ، يريدون الدعاء له بالخصب والنماء ، والمنجية : التي تلد النجباء ، وابنها : هو المدوح ، يريد أنه نجيب ، والدري : اللبن ، والمراد به عطاياه ؛ والفطام : انفصال الولد عن ثدي أمه . يريد : أنه ليس يقطع عن برة .

(٢) من : عطف على ابن منجية . والدوام : يروى الدمام ، أى العهد . يقول : إن فوائد المدوح لا تقتصر على العطايا ، فإن في التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة أجنب وما إليها ، وعطاياه لا تنحصر في الأموال ، فإن منها العمد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز . ولكن يعامله معاملة خلصائه

(٣) السلك : الخيط الذى ينظم به العقد ؛ والنظام : مصدر نظم . قال الواحدى : يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوى الدهر ، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ومن روى « بها » : عاد الضمير إلى العطايا ، والمعنى : لبس الزمان من عطاياه ما لبس السلك من الدر وقال ابن القطاع : هذا البيت على القلب . يقول : قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان ، فلا يرانا ولا نراه ، ويجوز أن يكون المعنى . استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا المدوح . وقال آخرون : إن مآثر المدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات ، كما يتواصل الدر في السلك ، فامتلا الزمان من فضائله ، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أوكرم ، وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هي الزمان ، وخفى الزمان الذى هي منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

(١) المروءة : كمال الرجولية ؛ والمراد بالفراغ هنا : العذاب اللازب . قال أهل اللغة الفراغ اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق ومالا لا يستطاع أن يتفصى منه . قال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة . قال الله عز وجل « إن عذابها

تَمَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامٌ^(١)
يَرُوعُ رَكَاةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا نَذِرِي أَشِيخَ أُمِّ غُلَامٍ^(٢)
وَتَمَلِّكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ وَأُمًّا فِي الْجِدَالِ فَلَا يَرَامُ^(٣)
وَقَبِضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبِضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامٌ^(٤)
أَقَامَتْ فِي الرَّقَابِ لَهُ أَيْادٍ هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ^(٥)

كان غراما . يقول : الروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكليف ، وهى مع هذا تملذه كالمشوق لتبذ مع ما فيه من النصب والعذاب ، كما قال المتنبي :

والمشوق كالمشوق يعذبُ قربه للمبتلى وينال من حوْبائه

(١) تملقها ، أى تملق الروءة : أى هوىها ؛ وهوى : مفعول مطلق . يقول : عشق الروءة كما عشق قيس بن الملوح الجنون لىلى العامرية ، غير أنه واصل الروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق لىلى قيسا الجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا .

(٢) يروع : يفرع ويخيف : والركاة : الرزاة والوقار ؛ والظرف : خفة الروح وذكاء القلب . يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان . هذا : وشيخ : خبر عن محذوف : أى أشيخ هو ؟ والجملة فى محل رفع سادة مسد معمولى ندرى ؛ ويورى : فما يدرى .

(٣) المسائل : المطالب ؛ والندى : الجود ؛ والجدال : معروف ، يصفه بالجود وقوة العلم والفهم . يقول : إنه يتقاد لسؤال من سأله : أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالحجة ، أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فإنه لا يطاق فيها .

(٤) النوال : العطاء ؛ والذام : المذمة والعيب . يقول : إن قبول عطائه شرف وعز لا أخذه ، أما قبول عطاء غيره من اللثام فهو عار . وهذا كقول بعضهم

عطاؤك زين لأمرىء إن أصبته بخير وما كلُّ العطاء زينُ
وليسَ بعار لأمرىء بَذْلُ وجهه إليك كما بفضُّ السؤال يشينُ
وكقول البحتري :

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبْنِي - لَوْلَا مَحَبَّتُكَ - الْفَقْرُ

(٥) الأيادى : النعم ، والحمام عند العرب : اسم جامع لذوات الأطواق من الطير

إِذَا عَدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عَجَلٌ كَمَا الْأَنْوَاءُ حِينَ تُمَدُّ عَامٌ^(١)
تَقَى جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهُمْ إِذَا بِشِفَارِهَا حَمَى اللَّطَامُ^(٢)

كالقمارى والفواخت وساق حر . يقول : إن نعمه وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمها كالأطواق لأعناق الحمام ، وهذا كما قال السرى الرفاء :

وَطَوَّقَتْ قَوْمًا فِي الرِّقَابِ صَنَائِمًا كَأَنَّهُمْ مِنْهَا الْحَمَامُ الْمَطَوَّقُ
وقبلهما يقول أبو تمام :

أُبْقَيْنَ فِي الْأَعْنَاقِ فَلَكَ جَوْهَرًا أَبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ

(١) عجل : قبيلة المدوح . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه من الشرق . يقول : إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة ، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هي العام ، فكذلك عجل هم الكرام : يعنى من أراد أن يعد الكرام في الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم ، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشتمل جميع العام . ولك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوء ، فإذا عدت تلك الأنواء فهي عام تام . والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم .

(٢) الذرى - بفتح الذال - كل ما استترت به ، تقول : أنا في ذرى فلان ، أى في كنفه وستره . والشفار : جمع شفرة - وهى حد النصل . والضمير في « شفارها » : للسيوف ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة الحال ، واللطام : المصادمة بالسيوف . يقول : إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عن استذرى بهم من الحرم والوفود ، وهو من قول الحماسى « الجريش بن هلال القرينى » :

نُعْرَضُ لِلْسَيْفِ إِذَا التَّقِينَا خَدُودًا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ

وروى :

* تَقَى جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهُمْ *

فالذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ . والمراد بما في ذراهم : السيوف لأنها تقلد في أعلى البدن . يقول : إن سيوفهم تحمى وجوههم إذا اشتدت الملاحظة بشفار السيوف

وَلَوْ يَمْتَنُّهُمْ فِي الْخَشْرِ تَجْدُو لَاغْطَوْكَ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا^(١)
فَإِنْ حَلَمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ خِفَافٌ وَالرَّمَاحُ بِهَا عُرَامٌ^(٢)
وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلَاتٍ وَشَرَرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ الْقَوَامُ^(٣)

(١) يمتنهم : قصدتهم . وتجدو : تطلب جدوام . يقول : لجودهم وكرمهم لا يردون سائلا حق لو قصدهم سائل يوم القيامة لا أعطوه سلاتهم وصياهم .
وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ قَصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَمِزْ فِي قِسْمَةِ الْعُمَرِ حِيلَةً وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ وَوَأَسَأَهُمْ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
ويقول أبو التماية :

فَمَنْ لِي بِهَذَا ؟ لَيْتَ أَنِّي أَصْبَيْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
وَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَلَوْ جَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَائِلٌ تَعَرَّيْ لَهُ عَنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

(٢) العرام : الثراسة ؛ وبها خبر : مقدم عن عرام . يقول : إن كانوا حلاء ذوى وقار فإن خيلهم خفاف في العدو - الجرى - ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء . هذا والحلم . الأناة والعقل ، يقال منه حلم - يحلم حلما فهو حلِيم ؛ أما الحلم - بمعنى الرؤيا في المنام - ففعله حلم - بالفتح - يقال حلم واحتلم إذا رآه في النوم ، أما الحلم - بالتحريك - وهو أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فيتنقب ففعله حلم - بالكسر - يقال حلم الأديم ؛ قال الوليد بن عقبة ابن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال علي عليه السلام ، ويقول له أنت تسعى في صلاح أمر قد تم فسادك ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم - الذي وقعت فيه الحلة فتقبتته وأفسدته - فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَّابِقَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
وقد تقدمت بقية الأبيات .

(٣) الجفان : القصاع ، جمع جفنة ؛ ومكَلَّلَات : حال : أى مغطاة باللحم فهو عليها كالا كاليل ، كما قال زياد بن منقذ :

نَصَرْتَهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَّاهُ وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِ السَّهَامُ^(١)
 قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعَالَى كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ الْعِظَامُ^(٢)
 قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرُ الْمَلِكِ الْمُعَامُ^(٣)
 لِنِ مَالٍ تُمَزَّقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرُكَ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ^(٤)
 وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لَأَنَّ بِصُحْبَتِهِ يَجِبُ الذَّمَامُ^(٥)

* ترى الجفان من الشيزى مكحلة^(١) *

والشرر : ما كان عن يمين وشمال ، والتوأم : جمع التوأم - على غير قياس - أى مزدوج ؛ والقياس : توأم . يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندهم الضرب المتدارك التوالى ؛
 يعنى : أنهم مطاعين مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة .

(١) صرعه : طرحه ؛ والتشديد : للتكثير ، ونبا السهم عن الهدف : لم يعمل فيه .
 يقول : إنهم رفاق الوجوه لفرط الحياء ، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم - أى قدر عليهم
 - إذ يفلهم الحياء احتشاما وكرما . أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فإنهم شجعان يردون
 السهام بأوجهم ، وفيه نظر إلى قول المعطوى^(٢)

أَهَابُ الرِّيمِ أَرْمَقُهُ وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْأَسَدِ
 وَيَمْجَرُحُنِي بِمُقْلَتِهِ وَيَنْبُو السِّيفُ عَنْ جَسَدِي

(٢) قبيل خبر عن محذوف يعود إلى المدحوحين : والقبيل : الجماعة . يقول : إن
 المعالى مشتملة عليهم احتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للأجسام ،
 (٣) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت
 أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك غفرا ، وقد أخرج حرف العطف فى قوله « وأنت »
 وهو قبيح جدا ، وهذا كما تقول قامت زيد وهند ، وأنت تريد قامت هند وزيد .

(٤ و ٥) الرغائب : جمع رغبة ، وهى كل ما كان مرغوبا فيه ؛ والأنام : ما على
 وجه الأرض من الخلق ، وقد يراد به الناس بخصوصهم ، وقوله : لأن ، فاسم « أن »

(١) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان ، قيل إنه الآبنوس ؛ وقيل
 شجر الجوز .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية .

تَحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ تَصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامٌ^(١)
إِذَا مَا الْمَالِ مُونَ عَرَوَكَ قَالُوا أَفِئْدَانَا أَيُّهَا الْحَبِيرُ الْإِمَامُ^(٢)

محذوف ضمير الشأن . والذمام : الحرمة والعهد . يقول : متمعبا ، لمن هذا المال الذي نراه عندك تفرقه عطايك وبشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص ؟ ثم قال في البيت الثاني : إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجب عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب وعبارة الشراح : لمن هذا المال الذي نراه عندك وعطايك تفرقه والخلق كلهم شركاء في رغبته، وأنت لا ترضى أن نقول هولاك وندهوك صاحبه : لأن الصحة توجب ذمامه ، وأنت لا ترضى له ذماما : أي فلن هذا المسألة ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى ، فيكون معنى البيت الأول : لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك ، حذف لدلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى بما ذكرناه ، ويرى فبرى - بالياء - أى إذا دعوناك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحة .

(١) حاد عن الشيء : مال عنه ، وحايده محايده : جانبه ، والسامرى : واحد السرامرة ، وهم طائفة من اليهود عديدة التنطس ، إليهم نسب السامرى الذى عبد المجل القدى سمع له خوار ، قال الزجاج . وهم إلى هذه الغاية بالشام . والجذام ، داء معروف . يقول أنت تحيد عن هذا المال وتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام ، فانت تأمر بتوزيعه ولا تمسه . هذا . وقد قال الواحدى ، كان حقه أن . يقول كأنك السامرى معرفا ، لأن هذا نسب له ليس باسم علم ، وهو فى القرآن معروف بأل ، إلا أن يكون أراد واحدا من قبيلته . وقال العكبرى وهذا الذى قال هو الذى أراد أبو الطيب أى كأنك رجل سامرى كما تقول هو محمدى وداودى وهارونى فتنسبه إلى نبي من الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، كقولك حنفى وشافعى .

(٢) عراء واعتراه : إذا أناه وقصده طالبا معرفته ، ومنه قول النابغة الذبياني .

أَتَيْتُكَ عَارِيَا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تَظُنُّ بِي الظُّنُونَا

والخبر - بالكسر ، ويفتح : الرجل العالم ، قال الجوهري : الخبر والخبر واحد أحباب اليهود ، وبالكسر أفصح ، وقال الفراء : إنما هو خبر بالكسر وهو أفصح ، لأنه يجمع على أفعال دون فعل ، ويقال ذلك للعالم ، كأنه من تعبير الكلام : أى تحسبته . يقول : إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون .

إِذَا مَا الْمُفْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا بِهَذَا يُفْلِمُ الْجَيْشُ اللَّهُامُ^(١)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ^(٢)
وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُفْطَ خَلْقٌ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

(١) العلم - بكسر اللام - الذى يشهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل ، يقال : أعلم الرجل نفسه ؛ ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام : الكثير الذى يلتمهم كل ما يستقبله . يقول : إذا رآك الأبطال المعلومون قالوا هذا علامة الجيش العظيم ، لأنه ليس فى الجيش أشهر منه ، فهو دليل على قوة الجيش الذى يكون فيه أى كما أن علامة الفارس تكون دليلاً على شجاعته تكون أنت دليلاً على قوة الجيش الذى تكون فيه ؛ قال الواحدى : يجوز أن يكون يعلم - بفتح اللام - من العلم : على بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم - بكسر اللام - فعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدأت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجمعة عابسة فزال بك عبوسها ، فكأنك ابتسام لها وطلاقة ، كما قال أبو تمام :

وَبَضَحَكَ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفِهِ كَانَ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمُعُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشراي وهو يومئذ

يقولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظْمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ وَتَهُمُ الْوَاشِينَ وَالْدَّمْعُ مِنْهُمْ ^(١)
وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ بَيْكُم ^(٢)
وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّوَى وَرَقِينَا غَفُولَانَ عَنَّا ظَلَّتْ أَيْكِي وَتَبْسِيم ^(٣)
فَلَمْ أَرْ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيْتًا يَتَسَكَّلُم ^(٤)
ظَلُومٌ كَمَتْنِيهَا لِيَصَبَّ كَخَصْرُهَا ضَعِيفُ الْقَوَى مِنْ قِعْلِهَا يَتَظَلُم ^(٥)

(١) البين : البعد والفراق . والواشى : التمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه ، لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبها ، ونتمم الوشا بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما في القاب من الوجد ، فهو أولى بأن تنهم بإذاعة أسرارنا . وروى ابن الشعري .

* نَرَى عِظْمًا بِالصَّدِّ وَالْبَيْنُ أَعْظَمُ *

يعنى أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره ، وإذا فارق ، حال البعد دون النظر إليه وهو معنى حسن .

(٢) اللب : العقل ، ويكنم : يروى بالعلوم والمجهول ، وأراد بكون سره في جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . يقول : إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرّك في جفحك كيف تقدر على كتمانك ؟ يريد أن قلبه أسير غيره ، وهو دائم البكاء ، فالدمع يظهر سره ويقتضحه .

(٣) النوى : البعد ؛ والواو فيه : واو الحال . وظلت : ظلت . يقول : ولما التقينا ، وكان البعد والرقب في غفلة عنا ، ظلت أَيْكِي من الوجد ، وهى تضحك تعجبا من حالى ودلالا على .

(٤) اللتان : الجانبان الأسفلان من الظهر ؛ والخصر : ما فوقهما . وتظلم الرجل : اشتكى الظلم ، جعل نفسه في الدقة تنحصرها ، وجعل ظمها إياه بتشكيله مالا يطبق حمله كظلم متنها لخصرها ، ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا : وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدى — أن يصفوا الردف : بالعظم ، والخصر : بالهيف ، ولم يسمع ذكر من اللتان وكثرة لحمه ، وإنما يصفون النصف الأعلى بالحفة والرشاقة ، وهو يقول

بَفَرَعٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيْرٌ وَوَجْهٌ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلَ مُظْلَمٌ^(٣)
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَارِئًا خَالِيًا
وَلَكِنْ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمَرَمٌ^(١)

منها يمتلئ ، يظلم خصرها بتكليفه حمله ، والصحيح في هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب .

صَبَا كَتِيبَا يَنْشَكِي الْمَوَى كَمَا اشْتَكَى خَصْرُكَ مِنْ رَدْفِكَ
(١) بفرع : متعلق بمحذوف تقديره تبدو ، أو نسي ، أو تقبل بفرع والفرع : شعر الرأس . يقول : تريك للنهار ليلاً بشعرها ، والليل نهراً بوجهها وفيه نظر إلى قول بكر بن النطاح :

بَيْنَاهُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوَ جَنْلٌ أَسْخَمُ
فَكَانَتْهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلَمٌ
« جَنْلٌ : كثيف . وأسعم : أسود » وقول أبي تمام :

بَيْنَاهُ تَبْدُو فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا وَتَسْرُبُ فِي النَّهَارِ فَيُظْلَمُ
« تسرب : تتوارى » . وقوله أيضاً .

لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمِ الْمَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَى وَقَعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
نَضَاضُوهَا صَبْغَ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى لِيَهْجَتْهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْجَزْعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى الْأَخْلَامُ نَأْمُ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرِّكْبِ يَوْشَعُ

« لحقنا بأخراهم الخ : أى قصدنا للتأخيرين منهم ، وقد جعل الموى قلوبنا نحوم حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقرهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله ثوب الظلام المجزع : جملة مجزعا لأجل النجوم ، والتجزيع في الشيء : أن يكون فيه لوان مختلفان »

(٢) العرمم : العظيم الكثير . يقول : إنها رحلت وترك دارها خالية ولكن قلبي ليس خاليا مثلها ؛ إذ أنه ملآن بالشوق إليها ، وفيه منه جيش عظيم ، فيها لارم له لا يفارقه .

أَنَافِ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجَسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمٌ^(١)
 بَلَلْتُ بِهَا رُدْنِي وَالْقَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عَبْرَتِي دَمٌ^(٢)
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا أَنَهَلَ فِي أَخْلَدٍ مِنْ دَمِي
 لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا بِسِيلٍ قَاسِمٍ^(٣)

(١) أناف : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى فيها : أو هناك أناف . والآنافى : جمع أنفية ، وهى الحجر ينصب تحت القدر . وتقدير أنفية أفمولة من ثبيت قال الأزهري : الأنفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أنافى — بالتشديد — قال : ويجوز التخفيف . والصلى : الاصطلاء بالنار ، وإذا فتحت الصاد قصرت ، وإذا كسرت مددت . والرسم : ما بقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أناف بها من الصلاء ما بفؤادى ، يعنى أن النار حرقها وأتت فيها كما أحرقت الشوق والحب قلبى ، وكأن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى ، لفراقها .

(٢) ردنا القميص : كاه ، والغيم : السحاب ؛ وأسعده : أعانه ؛ والعبرة الدمع ؛ أو تحلب الدمع ، وعبرت عينه واستعبرت : دمعت ، وعبر الرجل يعبر عبدا : إذا حزن ، وامرأة عابره وعبرى وعبرة : حزينه . قال الحارث ابن وعله الجرمى :

يَقُولُ لِي النَّهْدَى هَلْ أَنْتَ مُرْدٌ فِي وَكَيْفَ رَدَا فُ الْفَرُّ أَمَكْ عَابِر
 يُذَكِّرُنِي بِالرُّحْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ كَانَتْ فِي نَهْدٍ وَجَرَمٌ تَدَابِر
 نَجْوَتْ نَجَاءً لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ كَأَنِّي عُقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَاسِرٍ^(١)
 والصرف : الخالص . يقول ؛ وقفت على دارها والسحاب يعطرك أنه يساعدنى فى البكاء ولكن دمه كلن خالصا وكان دمعى ممزوجاً بالدم .

(٣) أنهل : سال وجرى . يقول : لو لم يكن دمعى دماً ما كان أحمر وما كنت هزات وسقمت بعد انهماله .

(١) عابره : تاكل ؛ وتدابره : تقاطع ، والنهدى : رجل من بنى نهد يقال له سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به ؛ فأبى أن يردفه ، وأدركت بنو سعد النهدي فقتلوه .

بِنَفْسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْمَةٍ وَقَوْلُهُ لِي بَعْدَنَا الْغَمُضَ تَطْعَمُ^(١)
 سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ
 لَقُلْتُ أَبُو حَنْصٍ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ^(٢)
 مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِي إِلَى بَذْلِ مَالِهِ صُبُوءًا كَمَا يَصُبُّو الْمُحِبُّ الْمُتَمِّمُ^(٣)
 وَأَقْسِمُ لَوْلَا أَنْ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ لَهُ ضَيْغَمًا قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْغَمٌ^(٤)

(١) المجعة : الرقدة . وقوله بعدنا . أى - أبعدنا بهزمة الإنكار - لحذف لضيق المقام ؛ وطعم الشيء ، ذاقه . يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتباً : أتمام بعد فراقنا ؛ وهل من فارقه أحبته ينام ؟
 (٢) سلام : من حكاية قول الخيال ؛ أى قال لى الخيال معاتباً ؛ أتمام بعد مفارقتنا ؛ سلام ، أى عليك سلام ، ويروى سلاما ؛ أى أسلم سلاما ؛ وأبو حنص ؛ كنية الممدوح يقول ؛ لولا أن هذا الخيال بخيل لا يجمود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهراً لملئى الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه الممدوح يسلم على ؛ وقال ابن جنى ؛ لولا خوفاً من مفارقه أو معاتبته على نومي ، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته ، لقلت للمسلم على الممدوح ، قال الواحدى ؛ أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للتنبي ، وأن لا حقيقة لزيارته ، وما هو كذلك لا يوصف ببخل ؛ والمرأة توصف بالبخل والجبن ، ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء ؛ قالوا : وقوله بعدنا الغمض تطعم ؛ هو من قول الصنوبرى

قال ، والنوم ممكنٌ : غرَّ غيْرِي لا تُنَوِّهْ فَلَسْتَ بِالْمُسْتَهَامِ

(٣) الصابى ؛ المشتاق . وتيمه الحب ؛ عبده وذله ، والتيم ؛ العبد ، وتيم الله منه ، كما تقول عبد الله ، وقيل التيم المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء ، لأنه يضل فيها ، ويقال تيمه الحب وتامه ، قال الأصمى ؛ تيمت فلانة فلانا نتيمة وتامته تيمه تيماً فهو متيم بالنساء ، ومتيم بهن ، وأنشد للقيط بن زرارمة :

تَامَتْ فَوَادُكَ لَوْ يَحْزُنُكَ مَا صَنَعْتُ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي ذُهْلَ بْنِ شَيْبَانَ

يقول ؛ إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفاة كما يصبو الحب إلى محبوبة .

(٤) الضيغم ؛ الأسد . يقول إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ، ولولا ذلك لفلنا إنه أسد ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

أَنْقَضَهُ مِنْ حَظِّهِ وَهُوَ زَائِدٌ وَتَبَخَّسَهُ وَالْبَخْسُ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ (١)
يَحْلُ عَنْ الْقَشْبِ لَأَنَّ الْكَفَّ لُجَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مُحْذَمٌ (٢)
وَلَا جُرْحُهُ يُؤَسَّى وَلَا غُورُهُ يُرَى وَلَا حَدُّهُ يَنْبُو وَلَا يَقْتَلَمُ (٣)
وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرَمٌ (٤)

(١) يقول : إنه زاد على الأسد شجاعة ، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حفظه وبخسناه حقه ، لأنه يستحق أكثر من ذلك . هذا : ويقال بخسه حقه ينخسه فهو باخس أى نقصه .

(٢) اللجة : معظم الماء ، والضرغام : الأسد ؛ والمحذم : السيف القاطع . يقول : هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ، ورأيه أنفذ من السيف ، وهو أشجع من الأسد .

(٣) يؤسى : يداوى - أسوت العليل آسوه أسوا - والآسى : الطبيب ؛ والغور : العمق ؛ والضمير المضاف إليه : للجرح - أى أن جرحه أوسع من أن يعالج ، لا يبرأ بالعلاج ، ولا يرى غور جرحه لعمقه . ويجوز أن يكون الضمير للممدوح ، على معنى أنه بعيد الغور فى الرأى والتدبير ، فلا يدرك غوره : وحده - على المعنى الأول - يراد به حد سيفه ، وعلى الثانى : حد عزيمته ، على تشبيهها بالسيف . وينبو : أى يكل عن الضريبة . وفى إعراب البيت يقول ابن جنى : عطف بـ «لا» فى هذا البيت على مدخول «لا» فى الذى قبله فى ظاهر اللفظ ، لا فى المعنى ، وذلك لأن قوله لا الكف لجة : أى فيها مافى البحر وزيادة عليه ، ولا هو ضرغام : أى فيه مافى الضرغام من الشجاعة وزاد عليه : ولا الرأى محذم : أى لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك . وأما قوله ولا جرحه يؤسى : فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه وكذا ولا غوره ، ولا حده وليس يريد أنه يقتل ويزيد كما أراد فى البيت فهو فى البيت الأول مثبت فى المعنى لما نفاه فى اللفظ ، وفى الثانى نفاه فى اللفظ والمعنى جميعا . قال : ألا ترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ؟

(٤) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقص ، ولا الذى نقضه مبرم : يعنى أنه لا يخالف فيما أراد ، هذا : وقد فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ، ضرورة وهو من التجوزات المكروهة ؛ قالوا : وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات ، كما قال قعنب بن أم صاحب - شاعر أموى - :

وَلَا يَرْمَحُ الْأَذْيَالَ مِنْ جَبَرِيَّةٍ
وَلَا يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَلِيَّاهُ تَخْدُمُ^(١)

مَمْلَأَ أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبَتْ مِنْ خُلُقِي
أَنْتَى أَجُودُ لَأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنَّوْا^(٢)
(١) الرمح : الرفس بالرجل ؛ ويقال للمختال : إنه ليرمح الأذيال ، وذلك إذا كان
يعطل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ، ومنه قول القحيف العقبلي :

يَقُولُ لِي الْمَغْنَى وَهَنْ عَشِيَّةً بِمَكَّةَ يَرْمَحُنَ الْمُهْدَبَةَ الشُّحْلَا
« المهدبة : الثياب التي لها هدايب ، والسحل : البيض » والجبرية : الكبر ، والجبار :
المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً ؛ يقال جبار بين الجبرية والجبرية - بكسر الجيم
والباء - والجبرية والجبروه والجبروه ، والجبروت والجبورة والجبورة مثل الفروجة ،
والجبرياء والتجبار هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر :

قول مغلس بن لقيط الأسدي يعاتب رجلاً كان والياً على أضاح ؛
فإِنَّكَ إِنْ عَادَيْتَنِي غَضِبَ الْحَصَى عَلَيْكَ وَذُو الْجُبُورَةِ الْمُتَغَطِرُفِ
« يقول ؛ إن عاديته غضب عليك الخليفة ، وما هو في العدد كالحصى وللتنعطف ؛
المتكبر » .

يقول ؛ هو على عظمته ونخامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب همياً واختيلاً ،
وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون في طلب حطامها ، وإنما الدنيا تخدمه وتسوق
إليه أرزاقها ، بما يحمل إليه من جبايات الملك .

(١) من قصيد له يقول فيها :
مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيقًا ثُمَّ لَيْسَ لَهُمْ
إِنْ يَسْمَعُوا رِيبةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا
هُمْ إِذَا سَمِعُوا خَبيراً ذُكِرَتْ بِهِ
جَهلاً حَلَّى وَجُبناً عَنْ عَدُوِّهِمْ
وَيَقُولُونَ أَدْنَتْ لَهُ : أَيْ سَمِعَتْ لَهُ .
عَهْدٌ وَلَيْسَ لَهُمْ دِينَ إِذَا اتَّعَيْنُوا
عَنِي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
وَمِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
لِبُئْسَ اتَّخَلَّتَانِ : الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

وَلَا يَشْتَهِي يَبْقَى وَتَفْنَى هَبَانُهُ وَلَا تَسْلُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلُمُ^(١)
 أَلَدُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ وَأَحْسَنُ مِنْ بَشَرٍ بَقَاءُهُ مُقَدِّمُ^(٢)
 وَأَغْرَبُ مِنْ عَنَقَاءِ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ
 وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ^(٣)
 وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الْأَيَادِي أَيَادِيًا
 مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُنْجِمُ^(٤)
 سَنِيَّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ مِنَ اللَّوْمِ آلَى أَنَّهُ لَا يَوْمُ^(٥)

(١) ولا يشتهي يبقى؛ يريد أن يبقى لحذف « أن » للضرورة . يقول ؛ لا يحب أن يبقى ولا عطاء له ؛ أى إنما يحب البقاء ليعطى ، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ، ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه . أى أنه يحب أن يقتلهم وإن كان في ذلك هلاكه .

(٢) الصهباء ؛ الحمر ؛ واليسر ؛ الغنى ؛ والمعدم ؛ الفقير . يقول ؛ إن ذكره على الألسنة ألد من الحمر قد مزجت بالماء ، وأحسن من اليسر لدى المعدم .

(٣) عنقاء مغرب ؛ طائر ، يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه ، وأعوز قال ابن جني ؛ كان الوجه أن يقول أهد إعوازا لأن ماضيه أعوز ، ولكنه جاء على حذف الزيادة ؛ والمسترفد ؛ السائل . يقول ؛ مثله في الناس أغرب من العنقاء في الطير ؛ وأشد إعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئا يحرمه ولا يعطيه ، وهو لا يحرم أحدا ، أى فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله .

(٤) الأيادى ؛ النعم ؛ وأياديا ؛ تميز ؛ ومن القطر ؛ صلة أكثر ؛ والقطر ؛ المطر ، والوبل ؛ المطر الغزير ؛ والواو قبله ؛ للحال . وأنجمت السماء ؛ دام مطرها ، أراد . هو أكثر أيادى بعد الأيادى من القطر بعد القطر ، يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تتابع من قطر المطر حين يكون كثيرا دائما المظللان .

(٥) السنى ؛ الرفيع الشريف ، واللؤم ، الحسة تقيض الكرم . وآلى ؛ أقسم . والتهويم ؛ اختلاس أدنى النوم ، وأصله النوم القليل ، كأنهم يريدون به أخذ النوم في هامة — رأس — الإنسان ، لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر في سائر الجسد . يقول ؛ لو كان النوم الذى لابد منه للإنسان لؤما ، لحلف أنه لا ينام

وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دَرَاهِمًا لَمْ أَجُذِبْهُ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دَرْهَمٌ^(١)
 وَلَوْ ضَرَّ مَرَّةً قَبْلَهُ مَا يَسْرُهُ لَا تَرَفِيضَ بَأْسُهُ وَتَهْجُومُ^(٢)
 يَرْوَى بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ يَتَأَمَّى مِنَ الْأَغْمَادِ تَنْفَى فِتْنَتِهِ^(٣)
 إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ مَرْوَجَهُ
 مَذُ الْغَزْوِ سَارٍ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُجَمَّ^(٤)

(١) يقول : إن جميع ما في أيدي الناس من المال إنما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أهجزم — وجوده

(٢) يقول : هو يرتاح إلى بأسه وكرمه ويسرهما ، فلو كان مايسر الإنسان يضره لضره الكرم والبأس . هذا ؛ وقد قال الجوهري : المرء الرجل ، تقول : هذا مرء صالح ، ومررت بمرء صالح ، ورأيت مرءاً صالحاً ، قال ؛ وضم الميم لغة ، تقول هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، وتقول : هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، معرباً من مكانين ، قال وإن صغرت أسقطت ألف الوصل ، فقلت : مرء ومريرة . وبعد ؛ فإذا أرادت التوسع في هذه المادة فمليك بـ « لسان العرب » .

(٣) بكالفرصاد : أى بدم مثل الفرصاد في حرته ، والفرصاد : ثمر الثوت الأحمر ؛ والغارة : اسم من أغار على القوم : إذا هجم عليهم في منازلهم — ويتأوى : مفعول « يروى » والظرف بعده : متعلق به . وأراد باليتأوى : السيف الذى تفارق أغمادها ، جعلها يتأوى لأنها فارقت ما كان يؤويها ويحوطها كالو الدين ، وتنضى : تسلك . وتوتم ؛ مضارع أيتم يقول : إنه يروى بدم مثل الفرصاد سيوفاً قد فارقت أغمادها فصارت مثل اليتامى . وتلك السيوف تيتم أولاد من يقتلها بها في كل غارة يغيرها على الأعداء .

(٤) قوله : مَذُ الْغَزْوِ . قال ابن جني : من رفع « الغزو » رفعه بالابتداء وخبره محذوف ، تقديره مَذُ الْغَزْوِ واقع أو كائن ومن جره أراد مَذُ زَمَنِ الْغَزْوِ ، لحذف المضاف وقال الإمام التبرزى ؛ « الغزو » مجرور بـ « مَذُ » ، لأنها بمعنى « في » ؛ كقولك أنت عندنا مَذُ الْيَوْمِ أى في اليوم ؛ وسار ؛ خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو سار — يعنى الممدوح — ومسرج ؛ يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء ، أو إلى منصوبه فيكون بكسرها ، وحكم « ملجم » كذلك . يقول — كما قال سائر الشراح — : مَذُ الْغَزْوِ إِلَى الْيَوْمِ وهو مشتغل بعمله في قداء أسارى المسلمين من أيدي الروم لم يحط هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها ، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك . قل الواحدى وليس في هذا مدح ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو ، بل يغزو ولا يمنعه (١٤ — المتن ٤)

الفداء : قال ؛ وما بعد هذا من الآيات يدل على أن اللفظ ما ذكرنا . وإليك بعد هذا ما قال العكبري النحوي الكوفي في إعراب مذ ومنذ ، ولكن بودن أن تنبسط في هذا الموضوع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو ولكننا لا نبني أن نجد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح للتبني ليس غير ، لا نعدوه ، وحسبنا شرح الشواهد التي أوردها ، وهو كل ما يعيننا في هذا الشرح الذي كررنا القول بأنه كأنه شرح للتبني وشروحه . قال العكبري : مذ ومنذ ؛ مركبان من « من وإذ » فغيرا عن حالهما في أفراد كل واحد منهما حذف الهزمة ووصلت « من » بالذال ، وضمت للهم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب ؛ والدليل على أن كلا مركب من « من وإذ » ؛ قول بعض العرب مذ ومنذ - بكسر الهمزة - فدل « على أنهما مركبان وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بعدهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن به « إذ » ، والتقدير ما رأيته « مذ » مضي يومان و« منذ » مضي شهران ، ومن خفض بهما فقد اعتبر « من » ولهذا كان الخفض عند أجود لظهور نون « من » فيها تعليل « من » ، والرفع بهما « أجود » لحذف نون « من » منها تعليلاً لإذ ، ويدل على أن أصل « مذ » « منذ » أنك لو سميت بها قلت في تصغيره « منذ » وفي تكبيره « أمناذ » ؛ فترد النون المحذوفة لأن التصغير والتكبير يردان الأشياء إلى أصولها . هذا قول أصحابنا الكوفيين ؛ وقال الفراء يرتفع الاسم بعدهما بتقدير مبتدأ محذوف وذلك أنهما مركبان من « من وذو » التي بمعنى « الذي » وهي لغة مشهورة قال سنان بن الفحل .

فإن الماء ماء أبي وجدّي وبرى ذو حقرت وذو طويت^(١)

(١) أحد آيات خمسة أوردها أبو تمام في الحماسة لسنان بن الفحل الطائي قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيء وبنو هرم بن العثراء من فزارة في ماء وهم مخلطون متجاورون ، والآيات .

وقالوا قد جنت فقلت كلاً وربى ما جنت وما انتشيت

ولكني ظلمت فكذت أنبكي من الظلم البين أو بكيت

فإن الماء ماء أبي « البيت »

وقبلك رب خصم قد تمالوا على ما هلمت ولا دعوت

ولكنني نصبت لهم جيبيني وآلة فارس حتى قرئت

بِشْقِ بِلَادِ الرُّومِ وَالنَّفْعُ أَبْلَقُ بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّفْعِ أَذْهَمُ^(١)
إِلَى الْمَلِكِ الطَّاعِي فَكَمْ مِنْ كَتِيبَةٍ تُسَايِرُ مِنْهُ حَقْفَهَا وَهِيَ تَعْلَمُ^(٢)
وَمِنْ عَاتِقِ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ أَسِيلَةٌ خَدَّ عَنْ قَرِيبٍ سَتْلَطَمُ^(٣)
صُفُوفًا لِلْيَيْثِ فِي لُيُوثٍ حُصُونُهَا مُتُونُ الْمَذَاكِي وَالْوَشِيحُ الْمَقُومُ^(٤)

وقال البصريون : هما اسمان فيرتفع ما بعدهما ، لأنه خبر عنهما ويكونان حرفي جر فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وإنما بنينا لتضمنهما معنى « من ، وإلى » في قولك : ما رأيته مذ يومان ، معناه : ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره - وبنيت « مذ » على السكون . لأنه للأصل في البناء ، و« مذ » على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ، لأن من عادتهم أن يرفعوا الضم بالضم .

(١) النفع : الغبار ، والأبلىق : ما فيه سواد وياض ؛ الأدهم : الأسود . يقول : يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه - يريد سواد الغبار ولعان السيوف - والجو من فوقه أسود بالغبار لانه ليس فيه لمعان سيوف .

(٢) إلى الملك : متعلق بـ « يشق » والراد بالملك الطاعى : ملك الروم . والكتيبة : الفرقة من الجيش ، ومنه : تجريد . والحنف : الهلاك يقول : يخترق بلاد الروم إلى الملك الطاعى ، فكلم من كتبية للروم تعارضه المدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنه حنفها (٣) العاتق ؛ الشابة البكر . ونصرانية أى نصرانية ، تأنيث نصران . وخدا سبل ناعم طويل . يقول : كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للمدوح عن سترها - لأنها سبيت - فهي تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الحد ؟

(٤) صفوفا ؛ أى برزت صفوفا ، لأن عاتق - ههنا - فى معنى الجماعة ؛ فصفوفا ؛ حال منها . والتون ؛ جمع متن ، الظهر ؛ والمذاكى ؛ الخيل للسنة ؛ والوشيح ؛ شجر

و « ذو » هنا ؛ اسم موصول بمعنى انى لأن البئر مؤنثة ، ومن ثم تقع مكان جميع اللوصولات ولا يتغير لفظها . وتمالوا ؛ بمعنى اجتمعوا وتقصبوا على ؛ وهلمت ؛ جزعت ، ولادعوت ؛ أى ما تاديت أحداً ولا استمرخت ، ولكنى كنت أرد الخصم بقوتى وجلادى . وقوله : وآلة فارس ؛ يريد بها آلة الحرب ، وقريت ؛ أى جمعت ، يعنى أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فقلبهم ، وجمع الماء فى الحوض .

تَغِيْبُ الْمَلَايَا عَنْهُمْ وَفَوَّغَائِبُ
أَجِدْكَ مَا تَنْفَكُ عَنْ تَفْكُهُ عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالُ تَقْسَمُ^(٢)

تتخذ منه الرماح : يقول ؛ برزت هذه العوائق صفوها لهذا المدوح الذى هو فى شجاعته كالأسد ، وقد قام فى جمع كالأسود قد تحصنت بالحيل والرماح .

(١) يقول : إذا غاب فلم يغزم غاب عنهم الموت ، لأنه يكف عن قتلهم ، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت .

(٢) نصب « أجدك » على المصدر ، كأنه قال ؛ أجد جذك ومعناه ؛ أجد هذا منك ، هذا أصله ، ثم صار افتتاحا للكلام . وعان ؛ أى أسير ، مبتدأ ، خبره تفكه ، وجملة « عان تفكه » خبر « تفك » . وعم ؛ ترخيم عمر ، جرى فيه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين ، لأن الاسم الثلاثى لا يجوز ترخيمه ، لأنه على أقل الأصول عددا ، فترخيمه إجحاف به قاله ابن جنى . وقال العكبرى : وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثى من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر ؛ وقال البصريون والكسائي ؛ لا يجوز وحجة . الكوفيون إذا كان سطره متحركا مناجاء من نحو « يد ، ودم » إذا الأصل فى يد « يدى » ؛ وفى دم « دمو » بدليل قول بعض العرب فى تثنيته « دموان » وقيل أصله « دى » قال الشاعر .

فلو أننا على جحرٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ^(١)

(١) قبله ؛

لمـرـك إننى وأبا زباح
ليـبـغـضـنى وأبـغـضـه وأيضاً
يرانى دونه وأراه دونى

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي ونسبها لعلى بن بدال ابن سليم . والتكاشر : يروى التجاور ، والتكاشر الباسطة ، وعلى : بمعنى مع ، والجحر بضم الجيم وبسكون الحاء الشق فى الأرض ؛ وأراد بالخبر اليقين : ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين ؛ أى لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابي ؛ معناه لم يختلط دمي ودمه من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمي بمنه ودمه بسرة قال المتلس ؛

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ يَدَا لَا تُؤْدِي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْفَمُ^(١)
 عَلَى مَهْلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرَحِّمُ^(٢)
 مَحَلَّكَ مَقْصُودٌ وَشَأْنِيكَ مُنْجَمٌ وَمِثْلَكَ مَقْصُودٌ وَتِلْكَ خِضْرَمُ^(٣)
 وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرَّجِي إِذَا عَنْ بَحْرٍ لَمْ يَجْزُ لِي التَّيَّمُّ^(٤)

فهو من ذوات الياء ، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز في مثله للتخفيف ، فوجب أن يكون جائزاً ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط كزيد ، لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد ، وذلك لا نظير له ؛ بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفاً والثلاثي في غاية الخفة . قوله : ومال تقسم ، أى تقسمه ، حذف لدلالة المقام . يقول : ما تنفك تفك أسيراً وتقسم مالا .

(١) مكافيك ؛ أصله الممزم ، ولكنه لينه للضرورة ، وهو خبر مقدم ؛ ومن أوليت ؛ مبتدأ مؤخر . وأوليت ؛ أعطيت . ولا تؤدى شكرها اليد والفم ؛ أى لا يؤدى شكرها فعل ولا قول . يقول إن مكافأتك إنما هى عند الله الذى عززت دين رسولك بقوة لا يؤدى شكرها قول ولا فعل .

(٢) يقول : ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك إياها فى الحرب ، فإن الناس يرحمونك .

(٣) الثانى ؛ المنقضى ، وأصله الممزم ، ولكن لينه للضرورة . وللهمم ؛ الـاكت القى لا يقدر على النطق ، والنيل : العطاء ؛ والخضرم ؛ الكثير . يقول : محلك مقصودية هذه العفاة وعدوك لا يستطيع أن ينطق فيك بعب لأنه لا يجد لك عيباً يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك ، وعطاؤك كثير .

(٤) التعرج ؛ تجنب الحرج ، وهو الإثم . وعن : ظهر . يقول : تحرجى من

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

« تساط » تخط و قال بعضهم ؛ المعنى ؛ لو ذبحنا على جعر لعم من الشجاع منا من الجبان يجرى دمه وجوده ، لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان لا يجرى .

فَمِنْ لَوْ فَدَىَ الْمَلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تَفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ^(١)

واجتاز بمكان يعرف بالفراويس من أرض قنشرين فسمع زبير الأسد فقال:

أَجَارِكِ يَا أَسَدَ الْفَرَائِيسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مَهَانٌ فَمَسْلَمٌ^(٢)
وَرَأَيْتِي وَقَدْ أَمِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لَيْسَ وَمِنْكَ وَمِنْهُمْ^(٣)
فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي هَلَى مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَغْلَمُ^(٤)
إِذَا لَأَنَّاكَ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَثَرْتِ بِمَا تَفْتَمِّنَ وَأَغْنَمُ^(٥)

أن أقصد غيرك من الملوك مع إمكان قصدك حملي على إيثارك بالزيارة واختصاصك بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر والملوك بالتراب ، وإذا حضر الماء بطل التيمم ، كما قال أبو تمام .

لَيْسْتُ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُمُ بِالصَّعِيدِ
هذا ؟ والباء في قوله « وزارك بي » للتعدي . تقول : زرتك بزيد ، وزرتك زيدا ، وأزرت زيدا إليك .

(١) يقول : إن المسلمين جميعا مملوكون لك ، فلو كان يقبل المملوك فداء عن ماله لم تمت مادام في الأرض مسلم واحد ، لأنهم يفدونك بأنفسهم
(٢) يقول - مخاطبا أسود هذا المكان - : هل يكون من جوارك مكرما عزيزا فتسكن نفسي إلى جوارك ، أو يكون مهانا مخذولا ؟ والفراويس موضع بالشام . وقوله : فتسكن : جواب الاستفهام ، ومن ثم نصبه بالفاء .

(٣) يقول : إنما أطلب جوارك لأمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم .

(٤) الحلفت : اسم من المحالفة ، وهي المعاهدة . يقول : هل لك رغبة في معاهدتي على ما أريده من جوارك . فإنني أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف في كسب الرزق ؟ وهذا كالترغيب لها في جواره .

(٥) الوجهة : الجهة والناحية . وأثريت : أى كثر مالك . يقول : إن رغبت في

وقال في لعبة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار :

مَا نَقَلْتُ فِي مَشِيئَةِ قَدَمَا . وَلَا أَشْتَكْتُ مِنْ دَوَارِهَا أَلَمًا^(١)
لَمْ أَرْ شَخْصًا مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْهَا . يَفْعَلُ أَعْمَالَهَا وَمَا عَزَمَا
فَلَا تُلَمُّهَا حَتَّى تَوَاقِعُهَا . أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَيْتُكَ مُبْتَسِمًا^(٢)

وخرج أبو الطيب إلى جبل حرس ، فنزل بأبي الحسين على بن أحمد المرى
الخراساني ، وكان بينهما مودة بطبرية ، فقال بمدحه :

لَا أَفْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ . مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ^(٣)

جوارى أقبل إليك الخير والرزق وكنت خذ لك المال ، مما تمنينه أنت من الصيد ،
وأكسبه أنا من المال والفضيلة .

(١) يقول : إنها لا تنقل قدما في مشيتها وإرادتها : يعنى لا قصد لها ولا إرادة في
تحركها ، ولا يأخذها في دورانها دوار فتألم به ، لأنه لا شعور لها ولا حس ، ويروى « في
مشية » تصغير مشية .

(٢) تواقعها : أى وقوعها وسقوطها . قال ابن جني : هذا البيت يناقض الأول ،
لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم ، ثم جعلها تضطرب لابتسام المدوح ، وليس
بمريب في صناعة الشعر لأنه مبنى على الحال .

(٣) يقول : لا نغر إلا لمن لا يظلم ، لاستنائه وقوته على دفع الظلم ، وهو إمامدرك
ما طلب ، أو محارب لا ينام ولا يغفل حتى يدرك مطلوبه . هذا : وكان الوجه أن يقول
لا افتخار - بفتح الراء - كما يقال : لا رجل في الدار ، وإنما يجوز الرفع مع النفي « لا »
إذا عطف عليه فيرفع وينون ، فيقال : لا رجل في الدار ولا امرأة ، ولكنه أجاز به غير
عطف ، لضرورة الشعر ، أو لأنه جعل « لا » بمعنى « ليس » كبيت الكتاب :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِزَائِنِهَا . فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ^(١)

(١) من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لسعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل
وفرساتها وشعراتها في الجاهلية وأول القصيدة :

يَا بُوَيْسَ لِلْحَرْبِ التِّي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَحُوا

وبعد البيت :

لَيْسَ عَزَمًا مَا مَرَضَ الْمَرْءُ فِيهِ لَيْسَ هُمَا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ^(١)
وَأَحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبِهِ غِذَاءُ تَضَوَّى بِهِ الْجِسَامُ^(٢)
ذَلَّ مَنْ يَنْبِطُ الدَّلِيلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ^(٣)

وجعل « من » نكرة وجر « مدرك ، أو محارب » لأنهما وصف لها ، كما يقال :
مررت بمن عاقل : أى بإنسان عاقل .

(١) مرض : قصر ؛ والهم : ما هممت به فى نفسك . يقول : لا يعد عزمًا ما قصر
الإنسان فيه ، إذ العزم على الشيء لا يقصر فيه ، ولا يدع مهمة ما حال الظلام دون طلبه ،
لأن ذا المهمة لا يحوقه دون إدراك طلبته شيء .

(٢) تضوى : تهزل . يقول : إن الصبر على الأذى ورؤية من يجنى عليك الأذى
غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الحبيثة ، يعنى يشق على الإنسان ذلك حتى
يفضى به إلى التحول والضوى .

(٣) غبط الرجل يغبطه : إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زاول نعمته ،
وإلا كان حسداً . والحمام : اللوت ، وأخف : خبر مقدم ؛ والحمام : مبتدأ مؤخر .
يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ، ومن غبطه على ذلك العيش الدليل
فهو ذليل ، لأن اللوت فى المز أخف من العيش فى الدل . قال العكبرى : وهذا من
قول الحكميم : إذا لم تتصرف النفوس فى شهواتها ومرادها ، لحياتها موت ، ووجودها
عدم ؛ ومن قول تأبط شراً :

هَما خَطْلَتَا إِمَّا إِسَارٌ وَمِئْتَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْخَرْ أَجْدَرُ^(١)

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا جِها التَّخْيِيلُ وَالْمِزَاحُ

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

وقد اختارها أبو تمام فى الحماسة . وقوله : فأنا ابن قيس : أى أنا للشهور فى النجدة
كما سمعت ، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به ، وجملة « لا براح » حال مؤكدة لقوله
أنا ابن قيس كأنه قال أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والبراح مصدر . برح الشيء من
باب تعب ، إذا زال من مكانه .

(١) من أبيات فى الحماسة يقول فيها تأبط شراً .

أَقُولُ لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفَرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيُومِي ضَيْقُ الْجَحْرِ مُعَوِّرُ

كُلُّ حِلْمٍ أَنَّى يَمْنِرُ اقْتِدَارِ حُجَّةٌ لَأَجَى، إِلَيْهَا اللُّثَامُ^(١)
 مَن يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا يُلْجِزُجِ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ^(٢)
 ضَاقَ ذُرْعًا بِأَن أُضِيقَ بِهِ دَرْ عَازَمَانِي وَأَسْتَكَرَمَتْنِي الْكِرَامُ^(٣)

(أراد خطئان ، غدق النون ، طلباً للاحقة)

(١) اللثيم ؛ الحسيس ، ضد الكريم . يقول ، إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزاً ، وهو حجة يحتاج بها اللثام ، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حملاً ، كما قال الآخر
 إِن مِّنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أُنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ
 (٢) يقول : إذا كان الإنسان هيناً في نفسه سهل عليه احتمال الهوان كاليت الذي لا يتألم بالجراحة ، قال بعضهم ؛ وهو من قول موسى بن جابر الحنفي — شاعر إسلامي ادرك بني أمية — .

إذا ما علا المرء رام المُسْلَا ويقنع بالدونِ من كان دونا
 وابن هذا من ذاك ؟

(٣) زماني ؛ فاعل ضاق ؛ والذرع ؛ الطاقة ؛ وضاق بالأمر ذرعه وذراعه ؛ أي ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً ولم يطقه ولم يقو عليه . وأصل الذرع وإنما

هنا خطئنا « البيت »
 وبعده :

وَأُخْرَى أُصَادِي النَفْسَ عَنْهَا وَإِنِهَا لَمُورِدُ حَزَمٍ إِن فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
 فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصِّفَا بِهِ جَوْجُوْ عَيْلُ وَمَوْتُ مُخَصَّرُ
 نَخَالِطُ سَهْلِ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
 فَأَبَتْ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكْ أَيْبَا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقَتْهَا وَفِي تَصْفِيرِ
 وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على نابط شراً طريق جبل وجدوه فيه يحنى عدلاً ولم يكن له طريق غيره ، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو تقتلك ، فكره أن يستأسر وصب مامعه من العسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم ، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم ، فعكس الحكاية في هذه الآيات ، وتأمل قوله « وللموت خزيان ينظر » يتجلى لك شعر الشاعر :

وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصَى قَدَرِ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصَى الْأُنَامِ^(١)
 أَقْرَارًا أَلَدَّ فَوْقَ شَرَارِ وَمَرَامًا أَبْنَى وَظَلَمِي يُرَامِ^(٢)
 دُونَ أَنْ يَشْرِقَ الْحِجَارُ وَنَجْدُ وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَاءِ وَالشَّامِ^(٣)
 شَرِقَ الْجَوُّ بِالْقُبَارِ إِذَا سَا رَ عَلَيَّ ابْنُ أَحْمَدَ الْقَنْقَامِ^(٤)
 الْأَدِيبُ الْمُتَذَبُّ الْأَصِيدُ الضَّرَبُ بَالِدٍ كَيْ الْجَفْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامِ^(٥)

هو بسط اليد ، فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله . وذرعاً — في قولهم — ضاق به ذرعاً — نصبوه ، لأنه خرج مفسراً محولاً ، لأنه كان في الأصل ؛ ضاق ذرعى به ؛ فلما حول الفعل خرج قوله « ذرعاً » مفسراً ، ومثله ؛ طبت به نفساً وقررت به عينا . يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ؛ أى لست أضيق بالزمان ذرعاً وإن كثرت ذنوبه وإساءته إلى ، ثم قال : واستكرمتى الكرام . أى وجدنى الكرام كريماً صبوراً على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم استكرمت فاربط ، أى وجدت كريماً فتمسك به .

(١) الأخص . باطن القدم ، وواقفا الأولى ، حال عن ضمير المتكلم « في البيت السابق » والثانية عن الضمير المستتر في « واقفا » الأولى . يقول : إنه قد وقف تحت أحمص همته وقدر نفسه في الحال التي وقف الناس فيها تحت أحمصه . يعنى أنه وإن بلغ هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته ، لأنها تقتضى ما هو أسمى من ذلك . وعبارة ابن جني . نفسى عالية وإن كان جسمى يرى بين الناس ، فأنا واقف تحت قدر نفسى ، والأُنَام وقوف تحت إخصى .

(٢) (٤، ٣، ٢) الهمزة . للاستفهام الإنكارى ، والشرار . ما تطاير من النار ، والمرام المطلب ، وبشرى يخص ، والعراقان : العراق العربى والعراق المعجمى ، والقنا الرماح والشام : الشام ، وأصله الهمزة ، والق مقام السيد ، يقول ، لا أستلذ « اقرار فوق شرار النار : أى لا أصبر على مقاساة الدل ، ولا أبنى مطلباً مادام ظلمى يرام ويطلب ، كأنه يقول . لا أبنى مراماً بالم أرفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصّة بالرياح كما يخص الجو بالغيار عند ركوب هذا المدوح . قال العكبرى ، ولعل هذه البلاد قد كانت لآبائه — المتنبى — فاغتصبت منهم ، فهو يحاول أن يستردها وهذا من حماقته المعروفة ولا بد له في كل قصيدة من مثل هذا .

(٥) الأصد . الملك العظيم الذى لا يلتفت كبراً . والضرب . الماضى فى الأمور

وَالَّذِي رَبُّ دَهْرِهِ مِنْ أَسَارَا ۖ وَمِنْ حَاسِدِي يَدَيْهِ الْفَمَامُ^(١)
يَتَدَاوَى مِنْ كَثَرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْلَالِ جُودًا كَأَنَّ مَالًا سَقَامُ^(٢)
حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَغْدَائِهِ أَقْبَحُ مِنْ ضَنْفِهِ رَأْتُهُ السَّوَامُ^(٣)

وأصله الخفيف اللحم ، والجعد ، الكريم ، قالوا ، وإذا ذكر الجعد مضافا لليدين فقليل
فلان جعد الدين : كان بمعنى البخيل ، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم - من
الترى الجعد ، وهو الندى - والسرى : الشريف من السرو ؛ قال الجوهري : السرو
سخاء في مروءة ، وسرا يسرو ، وسرى - بالكسر - يسرى سرواً فهما ، وسرو يسرو
سراوة : أى صار سرياً ورجل سري : من قوم أسرياء وسروء كلاهما عن اللحياني ، والسراوة
اسم للجمع ، وليس بجمع عند سيوبه ، قال ودليل ذلك قولهم سروات . قال الشاعر :
تلقى السرى من الرجال بنفسه وابن السرى إذا سرى أسراها
أى أشرفهما . وقولهم : قوم سراة جمع سرى : جاء على غير قياس أن يجمع فليل
على فصلة . والهام الذى ينفذ ما يهيم به .

(١) ريب الدهر ، صروفه ونوابه . وأساراه بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى جمع
أسير . يقول ، إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شيء
إلا ما يريد ولا يصيب أحدا إلا بإذنه ، وقد تخرق في الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى
صار الفم - السحاب - حاسدا لهما لقصوره عنهما في البذل والسخاء

(٢) الإقلال ، قلة المال وجودا ، مفعول له ، عامله « الإقلال » أو الفعل قبله ،
يقول ، كان المال لكثير سقام ، وكأن الإقلال براء ذلك السقام ، فهو يتداوى من كثرة
المال بالإقلال : أى يبذل المال حتى يصير مقلا ، فيصير ذلك دواء له من الداء الذى
هو الإكثار .

(٣) السوام ، للماشية ، وقوله حسن ، أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال ، وهو
في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون ماله الراعى لأنه ينحر إليه للأضياف فهى
تكرههم ، كما قال الآخر يصف الضيف .

حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ ۖ بَفِضٍ إِلَى الْكُومَاءِ^(١) وَالْكَلْبُ أَبْعَرُ

(١) الكوماء ، الناقة الضخمة السنام

لَوْ حَيَّ سَيِّدًا مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ لَحَمَاكَ الْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ^(١)
وَعَوَارٍ لَوَاسِعٍ دِينَهَا الْحِلُّ وَلَكِنْ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ^(٢)
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السَّلَامُ^(٣)

فقوله في عيون أعدائه ، ظرف لأقبح لا « لحسن » قدمه عليه ، كقولك زيد في الدار أحسن منك . قال ابن جني ، ويمكن أن يكون « في عيون أعدائه » ظرفا لحسن ، فالعنى هو في عيون أعدائه حسن ، إن قيل كيف يكون حسنا في عيون أعدائه وأقبح من ضيفه إذا رآته الإبل لأنه يذبحها للضياف فهي تكرههم ؟ جوابه أن أعداءه يرونه حسن الصورة قبيح الفعل بهم ، فهم يرونه حسنا وقبيحا ، وفي الأول قبيحا لاغير (١) لحماك الإجلال والإعظام ، أى لحماك من الموت إجلال الموت لك وإعظامه إياك

فلم يحسر عليك تهيئا . وقال الواحدى . يقول : لو كان سيد محيا من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إياك ، وإعظامهم ، أى أنهم يقدونك بنفوسهم من الموت لوقبل انقضاء فكنت لا تموت ؟ قال ، وقال ابن دوست ، لأنهم بها بونك فلا يقدمون عليك ، وليس المعنى في إجلال الناس إياه ما ذكر ، لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكره .

(٢) عوار ، عطف على « الإجلال » - في البيت السابق - أى ولحماك سيفوف عوار - مجردة - من الأغماد ، ديتها استجلال قتل النفوس ، فهي لا تخرج من شئ ، ولكن زيتها الإحرام أى امرئ كالحرم فى الحج ، فإنه يكون عاريا من الثياب .

(٣) يقول : كتب في صحائف المجد بسم الله - وهو افتتاح الكلام - ثم قيس - وهى قبيلة الممدوح - ثم السلام الذى يكتب فى أواخر الكتب : يعنى أن بنى قيس قد تفردوا بالمجد ، فلا يقال لغيرهم أهل مجد . هذا ومن قال : بسم - بالرفع - أجرى « الباء » ك بعض حروفها لطول صحبتها الاسم ، كما أنشد الفراء :

فلا والله لا يُبْلَغُنِي لِمَا بِي وَلَا لِلْمِائِيهِمْ أَبَدًا شِفَاءً^(١)

(١) لاسم بن معبد الوالى ، حاضر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، من قصيدة أولها :

بكت إلى وحق لها البكاء وفرقت المظالم والماء

وكان سبب هذه القصيدة أن مسلما كان غالبا ، فكتبت إليه المصدق - أى عامل الزكاة - وكان رقيقه الوالى عريفا فظن مسلم أن رقيقه هو الذى أغرى المصدق وكان مسلم ابن أخت رقيق ، ابن عمه فقال هذه الأبيات . « انظر خزنة الأدب » ج ٢ ص ٢٦٧ سلفية .

لَمَّا مَرَّةُ بْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدٍ جَمَرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ^(١)
لَيْلَهَا صُبْحُهَا مِنَ الدَّارِ وَالْإِصْبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تَمَامُ^(٢)

وأنشد الآخر:

وَكَاتِبٍ قَطَطَ أَفْلَامًا وَخَطَّ بِسْمَاءِ الْفَا وَلَا مَا

ومن قال بسم - بالخص - خفضه بالباء وأدّاد بسم الله ، وهذا قبيح جداً كما قال الواحدى ، أن يجعل ما ليس من نفس الكلمة كالجزء منه . وقوله : وبعد قيس : من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ؛ ومن نصب « قيس » ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث .

(١) الجرة : كل قبيل انضموا فصاروا جماعة واحدة ولم يحالفوا غيرهم . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة : بنو ضبة بن أد ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو نعيم ابن عامر . طفت منهم جمرتان : طفت « ضبة » لأنها حالفت الرباب ، وطفت بنو الحرث لأنها حالفت مذحج ، وبقيت نعيم لم تطفأ لأنها لم تحالف ؛ وقال الجاحظ : يقال - لعبس وضبة ونعيم - : الجمرات ، وأنشد لأبي حية النخري :

لَنَا جَمَرَاتٌ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا كَرَامٌ وَقَدْ جُرُّنَا كُلَّ التَّجَارِبِ
نَعِيمٌ وَقَبَسٌ يُتَقَى نَفْيَاتُهَا وَضَبَةٌ قَوْمٌ بِأَسْهُمٍ غَيْرُ كَذِبِ
وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وعدتهم ، وقد فضل المتنبي هذه القبيلة على سائر الجمرات ، إذ جعلها لا تشتهيها النعام ، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لا ذات جمر في الحقيقة فهي جمرات حرب - لا جمرات لعب - والنعام تشتهي جمره النار لفرط برودة في طبعها .

(٢) الإصباح : مصدر ، بمعنى الصبح . يقول : إنهم يوقدون نار القرى ليلاً ونهاراً فليلهم صبح بضوء النار التي أوقدوها للأضياف ، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس . ويجوز أن يريد أنهم يضيرون في النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغبار وهو معنى حسن ، وقد أخذه الحيص ييص فقال :

نَفَى وَاضِحَ الشَّرِيقِ عَنْ شَمْسِ أَرْضِهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ مَجَاجَةٍ قَسَطَلِ
وقوله تمام بكسر التاء . فليل التمام أطول ليالي الشتاء ، خصه لاشتداد ظلمته ؛ وأكثر ما جاء ليل التمام بالالف واللام والإضافة ، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن اللغى تم بدونه ، وإنما أتى به لإتمام القافية .

هَمَّ بَلَّغْتَكُمْ رُبَّاتٍ قَصُرَتْ عَنْ بُلُغِهَا الْأَوْهَامُ
وَنُفُوسٌ إِذَا أَنْبَرَتْ لِقِتَالٍ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدِ الْأَقْدَامُ^(١)
وَقُلُوبٌ مُوْطِنَاتٌ عَلَى الرُّوْجِ كَانَ أَفْتَحَاهُمَا أُسْتَقْلَامُ^(٢)
قَائِدُو كُلِّ شَطْبَةٍ وَحِصَانٍ قَذَرَاهَا الْأَسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ^(٣)
يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّهُوسِ كَمَا مَرَّ بِنَا آتٍ نَطَقَ بِهِ الْقَتْمَامُ^(٤)
طَالَ غَشْيَانُكَ الْكَرَاهَةِ حَتَّى قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْخُسَامُ^(٥)

(١) الانبراء التعرض للشيء ، ونفد الشيء : فنى ؛ وقبل ينفد ؛ أى قبل أن ينفد . يقول : إن نفوسهم لا تزال مقدمة في الحرب حتى تنفى وإقدامها باقى على حاله ، لأنها لم تتأخر ، فنفاذها قبل نفاذ إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيمنون وإقدامهم باقى ؛ ويجوز أيضا أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام ، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقي هو الإقدام .

(٢) توطين النفس على الشيء كالتمهيد ، قال ابن سيده : وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت : حملها عليه فتحملت وذلت له ، قال كبير :

فَقَلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وأراد بالروع : الحرب . والافتحام : الدخول في الحرب . والاستسلام : طلب السلم والصلح . يقول : كأن دخولهم في الحرب طلب للسلم لا لستراسلهم وانبساطهم .

(٣) الشطبة : الفرس الطويلة ، وبراه : هزلها وأنحلها . وأراد براهها : أى الشطبة والحصان ، فاكثنى بضمير الأول ، كافى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

(٤) يتعثرن : أى الخيل ؛ والتمتاء ، الذى يتردد لسانه بالثناء . يقول : إن خيلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمتاء بالثناء ، يريد : من كثرة القتلى لم يبق للخيل مجال إلا بين رؤوس القتلى .

(٥) غشيانك : إتيانك ؛ والكرَاهَةُ : جمع الكَرْهِيَّةِ ، والكَرْهِيَّةُ من أسماء الحرب - فعيلة فى معنى مفعولة - . والخسَام : السيف القاطع ، وهو فاعل « قال » . يقول : طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة

وَكَفَّنْتَ الصَّفَاخَ النَّاسَ حَتَّى قَدْ كَفَّنْتَ الصَّفَاخَ الْأَقْلَامَ^(١)
وَكَفَّنْتَ التَّجَارِبَ الْفِكَرَ حَتَّى قَدْ كَفَّاكَ التَّجَارِبَ الْإِلَهَامَ^(٢)
فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرِازِكَ لِلْفَخْرِ بِقَتْلِ مُعْجَلٍ لَا يُلَامَ^(٣)
نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْرُ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ إِنْغَامَ^(٤)
خَيْرٍ أَعْضَانَا الرُّمُوسُ وَلَكِنْ فَضَّلْتَهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامَ^(٥)

والإقدام . يريد بشهادة السيف مابه من الفلول الدالة على كثرة الضرب ، وجعل ذلك الانقلاص كالقول من السيف .

(١) الصفاخ . السيف العريضة . يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتج إلى قتالهم ، ثم صرت إلى أن كفنتك الأقلام السيوف لما استقرت لك من الهيبة في القلوب ، وقال ابن دوست . كفنتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنت عنهم ولم تحتج إليهم ؛ قال الواحدي : وهذا فيه ضعف ، لأن السيوف تحتاج إلى من يعملها ليحصل له الهيبة وهي بمجرد ما لا تكفيه الناس . والناس : يروى البأس .

(٢) يقول : قد جربت الأمور وعرفت ما حق لا تحتاج إلى التكرار فيها ، ثم صار الصواب بدينك حتى صرت لا نلهم سواء ، فكفأك إلهام الله التجارب قال العكبري . وهذا وما قبله من قول البحري .

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا نِكَ جُنْدًا لَا يَأْخُذُونَ عَطَاءَ
وَيُودُ الْأَعْدَاءِ لَوْ تَضَعُ الْجِدْ شَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الْأَرَاءَ

(٣) البراز . البارزة ، وهي أن يبارز الرجل قرنه . يقول : إن الفارس الذي يجعل نفسه قريباً لك ويبارزك في الحرب ينال بذلك نفراً عظيماً ، فإذا قتله كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه .

(٤) يقول : الذي ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر إليك . أي دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منه عليه ، لأنه كان سبباً لهذه النظرة .

(٥) يقول : خير أعضاء الإنسان الرأس ، لأنه مجمع الحواس ، وفيه الدماغ الذي هو محل العقل ، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرءوس ، لأنها كانت آلة للشيء إليك ، وهذا كما قال أيضاً :

قَدْ لَعَمْرِي أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْدِ أَزْدِحَامٍ وَلِلْعَطَايَا أَزْدِحَامٌ^(١)
خِفْتُ إِنْ صِرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي فِي هَيْبَتِكَ الْأَقْوَامِ^(٢)
وَمِنْ الرَّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى الْقُرْبِ ب ، عَلَى الْبُعْدِ يُعْرِفُ الْإِلْتِمَامِ^(٣)
وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْنُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعَ السُّحْبِ فِي السَّيْرِ الْجُهَامِ^(٤)
قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرِ بِنِظَامٍ وَدُهَا أَنْهَكَ بَيْنَكَ كَلَامِ^(٥)
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنَاهَاهُمَا لَمْ تَجْزُ بِكَ الْأَيَّامِ^(٦)

وإن الفِتَامَ التي حَوَّلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْوُسُ

(١) أقصر عن الشيء : تركه مع القدرة عليه . والوفد : القوم الوافدون . يقول :
لم آتتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطايك ، وتمة المعنى في البيت
التالي .

(٢) ذكر علة تأخره عنه ، وهي خوفه أن تأخذه الوفود في جملة هيباته . وهذا
إغراق في وصف كثرة عطايه حتى يخاف شاعره وزأره أن يجعله من جملة تلك الهبات
وهذا كقول البحتری :

وَمِنْ لَوْ تَرَى فِي مِلْكِكَ عُذْتَ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرْجِيهِ مُقْتَرِ
(٣) قوله على القرب : تم الكلام عنده ، ثم استأنف مابعد . والإلتمام : الزيارة .
يقول : من إصابة الرعد أفي لم أزرك وأنا قريب منك ، لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا
كانت من موضع بعيد .

(٤) البطء : اسم من الإبطاء ، وهو التأخر . والسحب : العطاء ، والجهام : السحاب
الذي لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عني - أي تأخر وصوله إلى بسبب تأخر زيارتي
إليك - يدل على كثرة ذلك العطاء ، كالسحاب ، إنما يسرع منه ما كان جهاما - لاماء
فيه - أما ما يكون فيه للماء فإنه يكون ثقيل الذي :

(٥) النظام : خيط المقد ؛ وودها : مبتدأ ؛ خبره : المصدر للتصيد مما بعده . يقول
- للمدوح - قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتعنى أن يكون كلاما لك ، لحسن نطقك
وانتظام كلماتك .

(٦) لم تجز : لم تمر . يقول : إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك ، فلو نهيتك عن المرور
بك لم يمر : أي لو أمرته أن يقف لوقف .

حَسْبُكَ اللَّهُ مَا تَضِلُّ عَنْ الْحَقِّ وَمَا يَهْتَدِي إِلَيْكَ أَثَامٌ^(١)
لَمْ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِي غَيْرِ الدُّنْيَا أَمَا عَلَيْكَ حَرَامٌ^(٢)
كَمْ حَبِيبٌ لَا عُذْرَ فِي الْيَوْمِ فِيهِ لَكَ فِيهِ مِنَ التَّقَى لُؤَامٌ^(٣)
رَفَعَتْ قَدْرَكَ الزَّاهَةُ عَنْهُ وَنَفَتْ قَلْبَكَ الْمَسَاعِي الْجِسَامُ^(٤)
إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيبِ هَذَا لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامٌ^(٥)

(١) الأثام — كلام — جزاء الإثم ، قال تعالى « يلقى أثاماً » وهو هنا الإثم يقول : كافيك الله ، أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة ، فأنت مع الحق لا تضل عنه ، ولا يجد الإثم سبيلاً إليك ؛ لأنك لا تأتى ما تأثم به لعصمة الله إليك .

(٢) الدنيا . النقاىس . و « أما عليك حرام — » وهى رواية ابن جنى — : يعنى ما بالك لا تحذر عاقبة شيء سوى الدنيا ؛ أما عليك شيء محرم تتقى عاقبته ؟ وكأن هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق ، يعنى أن المحرمات مصروفة عنه بعصمة الله له ، فلا يتبها له إتيانها ، فلم يبق عليه ما يخشى عاقبته إلا الدنيا وروى غيره : وما عليك حرام ، بأوالعاطفة وجعل « ما » موصولة معطوفة على « الدنيا » أى ما هو حرام ، قال الواحدى : يعنى أنه يقدم على المهلك وكل شيء ، لا يتفكر فى عاقبة شيء إلا ما كان من دينية أو شيء حرام فإنه لا يقدم عليه ، يريد لم تفعل ذلك ؟ قال اليازجى : وهذا يصح لولا هذا الاستفهام ، وإلا فهو تعجب فى غير محله ، وحاصله الإنكار لا للدخ ، كما يظهر بالتأمل وقال ابن القطاع . لم تلق نفسك فى المهلك ؟ أو ماتظن أن ذلك حرام ؟ يشير إلى شجاعته ، وعجاجة ابن جنى — الذى روى « أما عليك حرام ؟ » . يعنى لإفراطك فى توفى الدنيا صار كأنه لأحرام عليك غيرها . يعنى أنه لا يفكر فى عاقبة شيء سوى الدنيا ، فكأنه لم يحرم عليه شيء .

(٣) يصفه بتقوى الله وخشيته . يقول . كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لوواصلته ، اسكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله ، فكأنك قد أقتت عليك من التقوى لوأما يلومونك فيها لا يوافق مقتضاها وقدأ كد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول . زاهتك وتباعذك عن الآثام رفما قدرك عن مواصلته ، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التى تسمى فيها .

(٥) القريض . الشعر ، من قرض القىء . إذا قطعة ، كأن للمرء يقطعه من فكره ، (١٥ — التنى ٤)

مِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاءَةَ وَالْفَضْلُ وَمِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبِرْسَامُ^(١)

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك ، فأنحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحثت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفْهُهَا حِلْمًا^(٢) (١)

والتقريض : صناعة التقريض ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، الجريض . الفصص ؛ والقريض . الشعر ، وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ، قاله المنذر حين أراد قتله في يوم يؤسه فقال له : أنشدني من قولك فقال عند ذلك : حال الجريض دون القريض ؛ وقال الجوهري . القريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر أقرضه إذا قلته والشعر قريض ، قال ابن بري . وقد فرق الأغلب المجلي بين الرجز والقريض بقوله .

أَرْجَزًا تُرِيدُ أَمْ قَرِيضًا كَلِمَةً أَجِيدُ مُسْتَرِيضًا

« مستريضاً أى واسعاً ممكننا من استراض المكان أى فسح واتسع » وهذى يهذى هذاء وهذيانا : إذا قال قولاً لا طائل له . والأحكام : جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث : « إن من الشعر لحكمة » أى حكمة .

(١) منه : أى من القريض — الشعر — ما يجلبه الفضل والبراءة : أى ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق ، ومنه ما يجلبه البرسام أى ما يكون عن مرض وهذيان . فقوله ما يجلب : أى ما يجلبه . والبرسام علة معروفة يقال برسم : إذا خلط في مرضه . (٢) الأحداث : نوب الدهر ومصابه . والبطش : الأخذ بخلبة وقوة . يقول : لا أحداث ، الحوادث السارة ولا أذى الضارة ؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذنتنا لم يكن ذلك جهلاً منها ، وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حِلْمًا يعنى أن الفعل في جميع ذلك ليس لها ، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة وعجازاً .

- (٢) إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أَبْدَى وَيُكْرِى كَأَزْمَى (١)
 (٣) لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةَ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا (٢)
 (٤) أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمِثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا (٣)

(١) أبدى : هو أبدى : أى أبداه الله : أى خلقه ، فأصله الهمز ، ولينه للضرورة ؛ وأكرى الشيء : نقص . وأرمى : أرمى وزاد . يقول : إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حالته الأولى كما أبدى . وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد ؛ وإذن لا ذنب للحوادث حتى أدمها أو أحمدها . هذا : وأكرى - كما أنه بمعنى زاد - أتى بمعنى نقص ، فهو من الأضداد ، يقال أكرى الرجل : قل ماله أو نقد زاده وقد أكرى زاده : أى نقص ، قال لبيد :

كَذَى زَادِ مَتَى مَا يُكْرِ مِنْهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بِزَادٍ
 وقال آخر يصف قدراً :

يُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِيَ قَسَمَتْ فَذَلِكَ وَإِنْ أَكْرَتْ فَمَنْ أَهْلُهَا تُكْرِى
 « قسمت : عمت في القسم ، وإن أكرت : أراد وإن نقصت ، فمن أهلها تنقص : أى القدر » .

(٢) لك الله : دعاء لها ؛ و« من » - من مفعوعة - : زائدة ، ومفعوعة ، في موضع نصب على التمييز ؛ والوصم : العيب . وعنى بحبيبها : نفسه . يدعو لها ويقول : هى مفعوعة قتلت بسبب شوقها إليه ، وليس هذا الشوق بما يلحق بها عيباً ، لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) يريد بالكأس التى شربت بها : كأس الموت . ومثواها : مقامها . يعنى القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها وأحب - لأجل مقامها في التراب - التراب وما ضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون في التراب . وجه التراب : يجوز أن يكون جبالاً تدفن فيه ، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه . هذا : والكأس مؤنثة وجمعها كئوس وأكؤس . كئاس ، قال أهل اللغة : الكأس الزجاجية ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر نهى قدح ؛ قال الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين » . بيضاء لثة للشاربين « وقال ية ابن أبي الصلت :

مَا رَغِبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْمِي قَلِيلًا فَاَلْمُوتُ لَأَحْمِيهَا

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانَا كُلَّ صَاحِبِهِ قَدِمًا^(١)
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ مَضَى بِلَدٍ بَاقٍ أَجَدْتُ لَهُ صَرَمًا^(٢)

يُوشِكُ مِنْ قَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأَنَّ وَالْمَرَّةَ ذَاتُهَا^(١)
(١) الشكل : القعد . وقدا : قديما . يقول : كنت أبكى عليها في حياتها
خوفا من فقدها ، وصرب الدهر من ضرباته وفرق بيننا وتغربت عنها فذاق كل
واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت : قالوا : وفي المصراع الأول نظر إلى بيت
الحجاسة :

فِيهِ كِيَانٌ نَاوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْنَا خَوْفَ الْفِرَاقِ^(٢)

(٢) أجد : بمعنى جدد . والصرم : القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب
كما قتلها هجرى لقتل بلدها أيضا : يعني أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى
أهله من الإفضال ، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض . قال بعض الشراح
وقد نفى في هذا البيت ما أثبتته في قوله :

لَا تَحْسَبُوا رِبْعَكُمْ وَلَا طَلَّاهُ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهُ

(١) قال ابن بري : عبطة : أى شابا في طرأته ، وانتصب على الصدر : أى موت
عبطة وموت هرم ، فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتما على الحال : أى ذا عبطة وذاهرم
فحذف المضاف أيضا ، وأقام المضاف إليه مقامه .

(٢) من أبيات جميلة منها :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقُّ مِنْ حُبِّهِ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُولَ الذَّاقِ
تَرَاهُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِأَشْيَاقِ
فِيهِ كِي [البيت]

وبعده :

فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَاسُلِ وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

(٧) عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا
فَلَمَّا دَهَنَتْنِي لَمْ تَرُدْنِي بِهَا عَلِمًا^(١)
(٨) مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا
تَغَدَّى وَتَرَوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ^(٢)
(٩) أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتْ بِهَا غَمًّا^(٣)
(١٠) حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا^(٤)

(١) بقول : كنت عالماً بالليالي وتفريقها بين الأجابة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهنتني هذه اللصية لم تردني بها علماً ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها . ومن قول أبي تمام :

حَلَمْتُ زَعْمَتِي وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له في ذلك ، فقال أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره .

(٢) قال ابن فورجه : الضمير في « منافعها » للمرية : يعني أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها ، ثم جعل المصراع الثاني تفسيراً للمصراع الأول فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع وتظمأ ، لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شبعها وربها . وعلى هذا فقوله « ماضر » تقديره ماضرها ، والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل « ضر » وقال الواحدى : الضمير في « منافعها » لليالي والأحداث : يعني أن منافع الليالي في مضرة غيرها من الناس ، ثم فسر ذلك فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ربها وشعبها في جوعنا وظمئنا قال : ويروى : نجوع ونظمأ ، بالنون على ما ذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تظمأ بالتاء خبراً عن الليالي ، والمعنى غذاؤها وربها جوعها وعطشها : أى لارى لها ولاشبع ، لأنها لا تروى ولا تشبع من إهلاك الأنفس وإزهاق الأرواح وتقدير « ماضر في نفع غيرها » ما أثر في نفع غيرها بالضرر كأنه قال : منافعها في ضرر غيرها .

(٣) الترحة : الاسم من الترح ؛ وهو الحزن — يقول : اعتد حزني عليها فكأنني مت بها غماً ، وماتت هي من شدة سرورها بحياتي بعد إياسها مني .

(٤) يقول : السرور حرام على فإنني بعد موتها بالسرور أعدت سما فأتجنبه وأحرمه على نفسى .

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِي وَلَفِطَى كَأَنَّهَا تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةَ عُصْمَا^(١)
وَتَلْتَمِسُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ مُحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأُنْيَابَهَا سَحْمَا^(٢)
رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُجِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى^(٣)
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَلِئِمَّا أَشَدَّ مِنَ السَّقَمِ الَّذِي أَذْهَبَ السَّهْمَا^(٤)

(١١)

(١٢)

(١٣)

(١٤)

(١) تعجب - بحذف إحدى التاءين - أى تعجب ، والباء من قوله « بحروف » للتجريد . والأغربة : جمع غراب . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذى فى جناحه بياض والغراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : إنها كانت تعجب من كتابى - عند رؤيته - حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد ، كالغراب الأعصم ووجه تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه ، فلما نظرت إلى كتابه أكرثت النظر شغفاً به لا عجباً حقيقياً ، قال ابن جني : شبه البياض الذى بين الأسطر بالبياض فى الغراب الأعصم .

(٢) المحاجر : ما حول العينين . وسحما : سودا . يقول : لم تزل تقبل كتابى وتضعه على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودا بمداذه - جبهه - هذا : ويقال لثم فاهها - بالكسر - إذا قبلها ، وربما جاء بالفتح ، قال عمر بن أبى ربيعة - وقيل لجبل بن معمر :

قالت وعيش أبى وحرمة إخوانى لَا تَبْنِى الْحَىَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
تُخْرِجْتُ خَيْفَةَ أَهْلِهَا فَتَبَسَّمتْ فَعَلْتُ أَنْ يَمِينَهَا لَمْ تُخْرِجْ
فَلْتَمَسْتُ فَاهَا آخِذَا بِقُرُونِهَا شَرِبَ الزَّرِيفُ بِيْرِدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ^(١)

(٢) رقا الدمع والدم : انقطع ، فأصله الهمز ؛ ولكنه لينه هنا للضرورة يقول : لما ماتت انقطع ما كان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وسليت عني بعدما أدمى حبي قلبها فى حياتها .

(٤) يقول : لم يسلبها عني إلا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزءاً

(١) الزريف : المحموم الذى منع من الماء ، ونصب « شرب » على المصدر المشبه به ، لأن لما قبلها امتص ريقها ، فكأنه قال شربت ريقها كشرب الزريف للماء البارد ، والحشرج : الماء الذى يجرى على الرضراض صافياً رقيقاً ، والحشرج : كوز صغير لطيف .

(١٥) طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَفَاتَنِي وَفَاتَنِي وَقَدَّرَضَيْتُ بِي لَوَرَضَيْتُ بِهَا قِسْمًا^(١)
 (١٦) فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
 وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعْيَى وَالْقَنَا الصُّمًّا^(٢)
 (١٧) وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
 فَقَدْ صَارَتِ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْمُعْطَى^(٣)

على ، ولكن الذي أذهب ذلك السم كان أهد عليها من السم ، كما قال أبو تمام :

أقولُ وقد قالوا استراح بموتها
 مِن الْكَرْبِ رُوحَ الْمَوْتِ شَرًّا مِنَ الْكَرْبِ
 ومثله له :

أَجَارَكَ الْمَكْرُوهُ مِنْ مِثْلِهِ فَاقِرَةٌ نَجَّتْكَ مِنْ فَاقِرَةٍ^(١)

(١) يقول : إنما سافرت وفارقها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتني هي بموتها وفاتني ذلك الحظ لأنني لم أدركه وكانت قد رضيت بي حظا من الدنيا لو كنت أنا قد رضيتها حظا لي

(٢) استسقى : طلب السقيا ، والغمام : السحاب . والوعى : الحرب ، والقنا : الرماح ، والصم : الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقى الحرب والرماح دماء الأعداء صرت أستسقى السحاب قبرها فأقول : سقى الله قبرها - على عادة العرب في الدعاء للقبور بسقيا السماء - يعني تركت الحرب وجدأ بها واشتغلت بالدعاء لها : قالوا : وفيه نظر إلى قول الآخر :

وَبَرَّغَمِي أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الْوَدَّ وَأُهْدِي إِلَيْكَ صَوْبَ الْغَمَامِ

(٣) قبيل : تصغير قبل ؛ والنوى البعد . يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعني أن موتها أعظم من فراقها .

(١) الفاقرة : الداهية الكاسرة لفقار الظهر .

هَيِّبِي أَخَذْتُ الثَّارَ فِيكَ مِنَ الْمِدَا

(١٨)

فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فِيكَ مِنَ الْحُمَى^(١)

وَمَا أُنْسَدَتِ الدُّنْيَا عَلَى لِيْضِيْقِهِمَا وَلَكِنْ طَرْفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى^(٢)

(١٩)

قَوَا أَسَفًا أَنْ لَا أَكِبَ مُقَبَّلًا لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلْنَا حَزَمًا^(٣)

(٢٠)

(١) يقول : اجعليني واحسيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلوك فكيف أخذ ثأرك من العلة التي قتلتك ، وهي العدو الذي لا سبيل إليه قالوا وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان :

وَلَمْ يُفْنِ عَنْكَ الْمَوْتَ يَا حَزَرَ إِذْ أَنَى رَجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ سِيُوفٌ قَوَاضِبٌ^(١)
وأحسن فيه أبو الحسن التهامي :

لَوْ كُنْتُ تُنْمَعُ خَاضَ نَحْوُكَ فِتْيَةً مِنَّا بِحَارَ عَوَامِلٍ وَشِيفَارٍ^(٢)
(٢) يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فأنسدت عليه المسالك لذلك ، لا لأن الدنيا قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله « قوا أسفا » : للندبة ؛ وأكب على الشيء : مثل انكب : أى انحنى على وجهه . والذى : أراد اللذين ، حذف النون لطول الاسم بالصلة ، وقيل بل هى لفة فى تثنية « اللذ » وأنشدوا على ذلك قول الأخطل :

أَبْنَى كَلْبِيبٍ إِنَّ عَمَى اللَّذَا كَسَرَ الْقِيُودَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ^(٣)
وقول الأشهب بن ربيعة - شاعر غنضم أدرك الجاهلية والإسلام :

وَأَنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ^(٤)

(١) حمز : ترخيم حمزة ، وقواضب : قواطع :

(٢) عوامل : جمع عامل وعامل الرمح : صدره ، والمراد الرماح انفسها ، والشفار : جمع شفرة والشفرة ما عرض من الحديد وحده ، والمراد السيوف .

(٣) يفتخر الأخطل على جرير ، وجرير من بنى كلب ، بمن اشتهر من بنى تغلب ومنهم الأخطل ، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، وأبى حنص عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل للراير يوم الكلاب الأول .

(٤) بعده :

هُوَ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَقَى بِهِ وَمَا ضَرَّكَ كَفَّ لَا يَنْوُءُ بِسَاعِدٍ
وفلج : طريق تاخذ من طريق البصرة إلى البصرة .

وَأَنْ لَا أَلَا فِي رُوحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي (٢١)
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ (٢٢)
لَكُنْ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمِهَا (٢٣)
تَقَرَّبَ لَا مُسْتَفْظًا غَيْرَ نَفْسِهِ (٢٤)
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجَةٍ (٢٥)
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ (٢٦)

كَأَنَّ ذَكَرِي الْمُسْكُ كَانَ لَهُ جِسْمًا (١)
لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمُ كَوْنُكَ لِي أُمًّا (٢)
فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا (٣)
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِلْخَالِقِ حُكْمًا (٤)
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِلْمَكْرُمَةِ طَفْمًا (٥)
وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسْتَى (٦)

يقول : ما أشد حزني أن لا أكب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملأنا حزامه وعقلا . يتأسف لغيته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها .

(١) يقول : ووا أسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كان جسمه أى - جسم ذلك الروح - من المسك الذكى الشديد الرائحة .

(٢) الضخم : العظيم ؛ والجدة : تسمى أما ؛ يقول : لو لم يكن أبوك أكرم والد لكنت ولادتك إياى بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه : أى إذا قبل لك أم أبى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب .

(٣) لذ : طاب ؛ والشامت : الفرح بمصيبة عدوه . ويومها : أى يوم موتها . ومنى تجريد . يقول : إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم : أى ياصقها بالرغام - التراب - أى يذلهم ويقهرهم .

(٤) يقول : ولدت منى رجلا تغرب عن بلاده : أى خرج عن بلده إلى الغربة لأنه لا يستعظم غير نفسه ، فأراد أن يغادر الدين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذى خلقه

(٥) العجاجة : الغبار . يقول . ولا أسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب ، ولا أستلذ طعام شئ إلا طعام المسكارم : يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمسكارم .

(٦) ما أنت : قال بعض الشراح : أى ما أنت صانع . على حذف الخبر ، أو ما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير . وقال العكبرى . « ما » واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أى شئ أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه . يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة أسفارى : أى شئ أنت فإننا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم : إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

كَأَنَّ بَيْنَهُمْ عَالِمُونَ بِأَنِّي جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتَمَا^(١)
وَمَا أَلْجَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْقَارِ فِي يَدَيَّ بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْعَ الْجَدَّ وَالْقَهْمَا^(٢)
وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْقَشْمَا^(٣)
وَجَاهِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدُ الْبَاطِلَ الْقَرْمَا^(٤)
إِذَا قُلَّ عَزَمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدِهِ فَأَبْعُدْ شَيْءَ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزَمَا^(٥)

(٢٧)

(٢٨)

(٢٩)

(٣٠)

(٣١)

(١) اليتما : مفعول للجلوب ، والضمير في « معادنه » لليتيم . يقول : إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتيم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم : أى فهم لذلك يخضوننى .

(٢) الجد : الحظ والبخت . يقول : إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ في الدنيا ، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم : أى فيها لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحمدوى :

إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حِذْقٍ بِصَنَعَتِهِ أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مُحْرَمٌ

وقد وفينا القول على هذا المعنى في غير موضع من هذا الشرح .

(٣) بذبابه : أى بذباب السيف ، وإن لم يتقدم له ذكر ، لدلالة المقام . وذباب السيف حده ، والغشم : الظلم . يقول : لكننى إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم في كل حال ؛ يعنى أظلم أعدائى بسيفى .

(٤) القرم في الأصل : البعير الذى لا يحمل عليه وإنما يعد للفعلة ، وهو هنا السيد يقول ، وأحيى أعدائى يوم الحرب بسيفى : أى أجعله لهم بدل التحية ، كما قال عمرو بن معديكرب :

وَحِيلَ قَدْ دَلَّتُ لَهَا بِحِيلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجَمِيعٌ^(١)

(٥) قل : يروى بالفاء وبالقاف ، فبالفاء ، يرتفع « خوف » لأنه فاعل ، وبالقاف ينتصب على المفعول له ؛ وقل السيف : ثلته ، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف ،

(١) المراد بالحيل : الفرسان ؛ ودلت : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ : إذا

مشى مشيا لنا — وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنه ظرف منصرف . ووجيع بمعنى موجع ، والعرب تقول : تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا .

وَأَمَّا لِمَنْ قَوْمٌ كَأَنَّ نَفْسًا
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ^(١)
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي
وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَاهِيهَا قُدَمَا^(٢)
فَلَا عَبَرْتُ بِي سَاعَةً لَا تُعِزَّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَ^(٣)

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج بالرملة ، وكان
أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة ، فصار إليه ، فلما دخل
الرملة أكرمه أبو محمد فدحه بهذه القصيدة :

والمدى: الغاية. وأبعد شيء : مبتدأ، خبره : يمكن. يقول: إذا أضعف عزمي عن غاية خوف
بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لا ينال أيضا إذا لم يكن لدى طالبه عزم : يعنى لا يدرك
شيء ألبته إلا بالعزم عليه ، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم ،
فاعزم أيضا على البعيد لتناوله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن .

(١) الأنف : الاستكفاف من الشيء . يقول : إني من قوم ديدنهم التعرض أبدا
للحرب ليقتلوا ، فكان نفوسنا ترى السكنى في أجساد هي لحم وعظم عارا تأنف منه ،
ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار : أى تختار القتل على الحياة . قال
الواحدى ولو قال : كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ القبية ، لكنه
قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ، ولأن هذا أمدح .

(٢) الكراهية : جمع كراهية ، فضيلة بمعنى مفعولة . يقول — للدنيا — : أنا كما وصفت
نفسى لا أقبل ضيا ولا أسف لدنية فاذهبى عني إن شئت فليست بأبلى بك؛ ويأنفس زيدى
قدما — أى تقدما — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها .
قال الواحدى : وإن شئت قلت فى كراهيها — أى فى كراه أهلها — يعنى زيدى تقدما
فى الحروب ، وهى — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا ، ولذلك تسمى الحرب
الكراهية ، فيكون الكلام من باب حذف للضاف .

(٣) يقول : لا مرت بي ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتني نفس
تقل أن يظلمها أحد .

أَنَا لَا أَيْمَى إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوْائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ ^(١)
 وَلَسِكُنِّي بِمَا شُدِّهْتُ مُتَيْمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِأَيْحٍ مِثْلُ كَانِمِ ^(٢)
 وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدٍ قُلُوبِنَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ ^(٣)
 وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطَى تَرَابَهَا فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمَنَاسِمِ ^(٤)

(١) أنا لا أَيْمَى : أى أنا لائِمٌ نفسى إن كنت الخ . وأثبت ألف « أنا » : ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا فى الوقف . وقوله : رتت اللوائِم : أى وقت لوم اللوائِم . وللعالم أى معالم ديار الأُحبة ، وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والحيام . يذكر وقوفه على ديار الأُحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء . يقول : إن كنت حين تلومنى اللوائِم على فرط جزعى علمت ما بى وما الذى دهانى هناك ، فأنا لا أَيْمَى : أى فأنا لا أَيْم نفسى فى قصور محبى ، لأن ثبات علمى وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر . وقال بعض الشراح : يعنى : إن كنت حين لامتنى اللوائِم على فرط جزعى وبكاى علمت بما عرانى من ذلك فأنا لا أَيْم نفسى على تهتكى واستسلامى للوجد والعبء ، يذكر وقوفه فى ديار الأُحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انتهكت ستره ولم يعلم .

(٢) شده الرجل - كدهش - فهو مشدوه : إذا تحير ، ويروى : بما ذهلت و« ما » قبله : مصدرية ، وللتيم : الذى تيجع الحب - أى عبده وذله - يقول : ولكننى من فرط دهشنى ذهلت عن إدراك ما خاضعتنى من الوجد ، فصرت كالسالى ، وباح قلبى بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على السكتمان ، وعبرة الواحدى : ولكننى من فرط دهشنى وذهولى حتى كأننى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم ، وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالسكاتم ، لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل .

(٣) الأذواد . جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من من الإبل . يقول : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حل فى قوائِم إبلنا ، لأنها وقفت ولم تبرح .

(٤) المناسم : جمع المنسم ، وهو الخنف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الإبل تراب تلك المعالم . جعلت أطلب شفاء ما بى بلثم - تقبيل - أخفافها ، لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

دِيَارُ الْوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ بِطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّائِمِ
حَسَانُ التَّنْقِي يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلُهُ إِذَا مَسَنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النَّوَائِمِ (٢)
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقْلَدْنَ مِثْلُهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِالنَّوَائِمِ (٣)
فَمَالِي وَلِلدُّنْيَا طِلَابِي نُجُومُهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ (٤)

أَمْسَحُ الرِّبْعَ بِخَدِّي أَنْ مَشَى فِيهِ الْخَلِيلُ

(١) القنا : الرماح . والتائم : جمع تيممة ، العودة . يقول : ديارهن منبعا لا يتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرمح لا بالعود .
(٢) الوشي : النقش في الثوب وهي الثياب المنقوشة . و« مسن » تبخترن . يقول : لعمري أبدانهن ورقتهن إذا مشين متبخترات ينقش الوشي في جلودهن مثل صورته ، كما قال السري الرفاء :

رَقَّتْ عَنِ الْوَشْيِ نَعْمَةٌ فَإِذَا صَافَحَ مِنْهَا الْجُسُومَ وَشَاهَا
وفي مثل هذا يقول الآخر :

رَقَّ فَلَوْ مَرَّتْ بِهِ نَمْلَةٌ مُنْمَلَةٌ أَرْجُلُهَا بِالْحَرِيرِ
لَأَثَرَتْ فِيهِ كَمَا أَثَرَتْ مُدَامَةً فِي عَارِضٍ مُسْتَدِيرِ

« العارض : الخد »

(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام التي فوق الصدر . والباسم : جمع البسم ، الثغر . يقول : إن نعورهن في الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذي تقلدنه ، فكان تراقيهن حليت بشعورهن ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

تِلْكَ الثَّنَائِيَا مِنْ عِقْدِهَا نُظِمَتْ أَمْ نُظِمَ الْعِقْدُ مِنْ ثَنَائِيهَا

(٤) طلابي : أي مطلوبي ، مبتدأ ، خبره : نجومها . والأرقام : ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسمعه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالي وللدنيا أطلب معالي الأمور وأنا مرتبك في نوائها وخطوبها ؟ يعني أن الدنيا عكست عليه الأمر ، هو يطلب المعالي وهي تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب . وكفى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر . وبشدوق الأرقام عن الخطوب المهلكة والنوائب المفضلة .

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
 إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ ^(١)
 وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ
 فَتَسْقَى إِذَا لَمْ يُسَقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ ^(٢)
 وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
 وَبِالنَّاسِ رَوَى رُحْمَهُ غَيْرَ رَاحِمِ ^(٣)
 فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ
 وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بَأْسِمِ ^(٤)

(١) الحلم : الأناة والعقل . الجهل : هنا - نقيض الحلم . والمظالم : جمع المظلمة - بكسر اللام - وهي الظلم . يقول : إذا كان حملك داعياً إلى ظلمك ، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر ، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حليماً ، كما قال النابغة الجعدي :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بُوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا
 وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم ؛ قال العكبري : وهو من كلام الحكميم :
 ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : ولدك ، وزوجتك ، وعبدك ؛ فسبب صلاحهم التعدي عليهم .
 (٢) شطره : نصفه . يقول ومن الحلم أن ترد للماء الذي كثر القتل عليه حتى
 امتزج بدماء القتولين عليه . يعني أن نزاحم على الأمر المتنافس عليه . وبعبارة أخرى :
 من المحلم أن نزاحم من يزحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى نحار
 نصفه من دم القتلى ، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا المهجوم الذي نزاحم
 الناس . وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مَنْ قَلِبِ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ
 (٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة - كعمر فق أنا بهم - قتلهم غير
 راحم لهم ، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموه ، فإذا قتلهم - والحالة هذه - فلا
 إنم عليه ، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم . وهذا هو
 مغزى قوله : « الردى الجارى عليهم » .

إِذَا صَلُّتُمْ لَمْ أَنْزِلْكُمْ مَصَالاً لِيَصَالِي وَإِنْ قُلْتُمْ لَمْ أَنْزِلْكُمْ مَقَالاً لِعَالِمٍ ^(١)
وَلَا فَخَانَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقَفِي عَنْ ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ ضَعْفُ الْقَزَائِمِ ^(٢)
عَنِ الْمُقْتَنَى بَذَلَ التَّلَادِ تِلَادَهُ وَتُجْتَنَّبُ الْبُخْلُ أَجْقِنَابُ الْحَارِمِ ^(٣)
تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عَفَاتِهِ وَتَحْسُدُ كَفَيْهِ نِقَالُ الْفَنَائِمِ ^(٤)
وَلَا يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلَّا بِمُهْجَةٍ مُنْظَمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعِظَائِمِ ^(٥)

(١) صال عليه : وثب واستطال ، يريد أنه بلغ الغاية في الشجاعة والعلم ، فلماذا صال أو قال أو في طي الغاية وكفى غيره ، وكان اللقمة الذي لا يجارى ولا يشق له غبار .
(٢) يقول : وإن كنت كاذبا فيما قلت فلا وفاء لي القوافي - أى الشعر - حتى أعجز عن نظمها ، وضعت عزيمتى فى قصد المدح حق يعوقنى عنه ضعف عزيمتى : أى فلا أصل بقعودى عنه إلى المطلوب ، ويكون حرمانى من إنضاله كاللقوبة لى طى ذلك .

(٣) التلاد والتلبد : المال القديم الموروث ، نقيض الطارف والطريف .
يقول : عن الذى يحرص على بذل ماله التلاد كما يحرص غيره على حفظ تلاده . وعبرة الواحدى : أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام ما يقتنيه ؛ يعنى أنه يلزم البذل ملازمة المال المقتنى . وعبرة الخطيب التبريزى : أى إلى الجاعل بذل التلاد تلادا له يهب التلاد ويجعل بذله تلادا له ، هذا : وخص « التلاد » لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم ، فكيف بالحادث ؟

(٤) تمنى - محذف - إحدى التامين - أى تمنى ؛ والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والفنائم : السحائب ، وأراد بكونها ثقالا : أن مائها كثير . يقول : إن أعداءه يتمنون أن يكونوا فى مكان عفاة منه ، لأن عفاة منه فى أمان من نواب الدهر ، وهذا أقصى ما يتمناه أعداؤه . ويجوز أن يكون المعنى : أن عفاة يغيرون على أمواله ويترقبون فى نعماته ، وهذا ما يتمناه أعداؤه ، ثم قال : إن السحاب الثقيل بالماء يحسد كفيه ، لأنها أندى منه ، فلماذا يحسدهما لعجزه عن إدراكها .

(٥) المهجة : النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنيا لا تسف لأمر دنى ، وهى مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التى لا تسفى إلا بمثلها .

وَذِي لَبِّ لَأَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُثَارُ بِسَالِمٍ^(١)
تَمَرُهُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تَطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ^(٢)
إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ^(٣)

(١) وذى لب : عطف على مهجة ، أى ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذى لب الخ .
واللجب : اختلاط الأصوات . والثار : الذى أثاره الخوف من مكمنه . قال ابن فورجه :
المعنى عندى أن هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبزاة والكلاب ، فلا الطائر
يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله « الثار » ، فإن الجيش الكثير يشتر
ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الرب :

بِجَيْشٍ لُهُامٍ يَشْعَلُ الْأَرْضَ جَمْعُهُ عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدَنَّ مَنَازِلًا
وقال التبريزى . إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش ، وأن
ثار وحش أخذ ، وقال ابن جنى : الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايه :

* ثِقَّةٌ بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ *

فتخطف الطير أمامه ؛ قال ابن فورجه - ناقدًا - : صيد الطير بالنبل والسهم مستمر
معتاد ، فلم ينسبه إلى العقبان ولا مدح فى ذلك من فعلها ، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب
جيش المدوح .

(٢) القشاعم : النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضعيفة من شدة
غبارها أو من كثرة عقبانها التى تخيم عليه وتتبعه ، ولا ينفذ ضؤؤها إليه إلا من خلال
ريش النسور ، وهو ما ذكره فى البيت التالى .

(٣) الفرجة - بضم الفاء - الحلل بين الشيتين : أى الانفراج ، أما بفتح الفاء فهى
التفصى من الهم ونحوه ، قال أمية بن أبى الصلت :

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُنْ شَفُّ عَمَاوُهَا بَغِيرِ احْتِيَالٍ
رُبَّمَا تَكْرَهُ الثُّفُوسُ مِنْ الْأَمْرِ مِرْلَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ
والبيض : جمع بيضة ؛ وهى الخوذة ، شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة
الطير بالدراهم ، وشبهه فى موضع آخر بالدنانير ، وهو قوله :

وَأَلْتِ الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفَرُّ مِنَ الْبَنَانِ
يريد هنا أنه لكثرة اشبائك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من
منافذ ضيقة فيقع مستديرًا .

- وَيَخْنِي عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ^(١) مِّنَ اللَّعْنِ فِي حَافَاتِهِ وَالْهَمَامِ^(٢)
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَبَرْقَةٍ^(٣) ضِرَابًا يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَاهِمِ^(٤)
وَطَمَنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ^(٥) عَرَفْنَ الرَّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَامِ
جَمْتُهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
- سُيُوفُ بَنِي طَنْجِجِ بْنِ جُفِّ الْقَمَاقِمِ^(٦)
هُمْ الْمُحْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوُغَى وَأَخْسَنُ مِنْهُمْ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٧)

(١) حافاته : جوانبه . والهمام : جمع مهمة . وهو صوت يتردد في الصدر لا يفهم يقول : لكثرة ما في ذلك الجيش من برق الأسلحة ولعائها يخنق عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لظلمة ضوئها عليه ، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدها يخنق عليك الرعد .

(٢) الفرات : النهر المعروف ؛ وبرقة : قرية في العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرؤوس حتى تطأها الخيل فتمشي فوق جماجم القتلى .

(٣) طمن : عطف على « ضرابا » . والغطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة من العرب كانت تقوم الرماح ، والمعاصم : جمع معصم . وهو موضع السوار من الساعد . يصف قوم المدوح يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم : أي في طفولتهم .

(٤) الضمير في « جمته » : عائد على « ما بين الفرات وبرقة » . وطنجج بن جف : جد المدوح — قال ابن جني : والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لا لتقاء الساكنين . وطنجج — في الأصل — بضم النين ، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأصمى اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقاقم : جمع ققام ، وهو السيد العظيم ؛ وأصله البحر ، وكان حق الجمع « قاقم » . ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حامي على الأعداء فلا يحومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طنجج — من القوة والشجاعة .

(٥) الكر : الرجوع على العدو بعد الفر ، للجولان في الحرب ، وحومة كل شيء معظمه والوغى : الحرب . يقول : إنهم يكرون في الحرب على أعدائهم ، وكذلك يعددون (١٦ — النبي)

وَمَنْ يُحْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ وَيَحْتَمِلُونَ الْفُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ (١)
 حَيِّونَ إِلَّا أَنْهُمْ فِي نَزَالِهِمْ أَقْلٌ حَيَاءٌ مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ (٢)
 وَلَوْلَا اخْتِفَارُ الْأُسْدِ شَبَهَتْهَا بِهِمْ وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ (٣)
 سَرَى النُّومُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي صَنَائِمُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمٍ (٤)
 إِلَى مُطْلِقِ الْأَسْرَى وَتُخْتَرِمُ الْعِيدَا وَمُشْكِي ذَوِي الشُّكْوَى وَرَغْمِ الْمُرَاغِمِ (٥)

في للكارم فيضاعفونها ، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون في الأمرين على مرة واحدة .

(١) الفرم : ما يلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك ؛ والرجل غارم : أي لزمه ما يفرم عنه .

(٢) الشفار : جمع شفرة ، وهي حد السيف ، والصوارم السيوف القواطع : يقول هم حيون إلا في وقت الحرب ، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلينون لأقراهم . وهذا من قول بكر بن النطاح :

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِهِ حَيًّا وَصَدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِهِ وَقَاجِ (٣)
 قال العكبري يقول: الأسد - وهي جمع أسد - معدودة من البهائم ، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ، فأقول الأسد مثلهم ، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها . وهو على الظاهر بين ، وإنما أغرب أبو الطيب .

(٤) السرى : السير ليلا . والصنائع : جمع صنعة ، وهي المعروف . يقول: ذهب النوم عني في مسيرى إليه - المدوح - وهو الذي تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده . فضلا عما يقصده . هذا : ويقال : سريت سرى ومسرى وأسريت - بمعنى - إذا سرت ليلا ، بالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً ، قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » وقال سبحانه « والليل إذا يسر » ؛ وقال حسان بن ثابت .

حَيِّ النُّصَيْرَةِ رَبَّةَ الْخِذْرِ أَسْرَتْ لِيْلِكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي (٥)
 اخترمهم الدهر : أهلكهم واستأصلهم . ومشكى - من أشكى الرجل : إذا

- كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ كَأَنَّهُمْ مَاجِفٌ مِّنْ زَادٍ قَادِمٍ^(١)
وَكَادَ سُرُورِي لَا يَنِي بِنَدَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمُرِي الْمُتَقَادِمِ^(٢)
وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَتُرْبَةً بِهَا عَلَوِيَّ جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ^(٣)
بَلَى اللَّهُ حُسَادَ الْأَمِيرِ بِحِلْمِهِ وَأَجَلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَامِمِ^(٤)
فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً وَإِنَّ لَهُمْ فِي اللَّبِثِ حَزَّ الْفَلَاحِمِ^(٥)

أزلت شكواه - والهمزة فيه للسلب ، مثلها في قولهم : أعتبت الرجل : أى أزلت عتبه - أى أرضيته - والرغم : القهر والإذلال ؛ والمراغم : اللغاضب ؛ والمراغمة : اللغاضبة تقول : راغم أهله : أى نبذهم وتعمد عليهم وعاداهم . يقول : لأنه بمن على الأسرى فيطلقهم من الإيسار ، ويختطف الأعداء في الحرب بسيوفه وأسنته ، ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم - بذل - للمراغم : أى الذى راغمه وبغاضبه .

(١) يقول : نفضت الناس لما بلغت نفص القادم حثالة زاده لاستغفائة عنها بعد القدوم وكذلك أنا : استغفيت به عن غيره .

(٢) يقول : لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا ينى بذلك الندم . قالوا : وهذا الملقى مثل قول أبى فراس :

أَيَّامُ عَزْمِي وَنَفَازِ أَمْرِي هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا مِنْ عُمُرِي
(٣) شر الأرض : قال ابن جنى : هى طبرية ، وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم أنا فى وعيد الأعداء « البيت »

وتربة : عطف على « شر الأرض » . وجمله « بها علوى » : نعت لتربة . يقول : لما اتصلت به فارقت أرضاً أهلها شر الأهل ، وتربة رجل يدهى نسبه إلى على وليس من ولده ، فليس بشريف .

(٤) يقول : ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم ، ورفعهم فوقهم حتى يكون منهم مكان عمامهم ؛ وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت ، لأنهم يعيشون في ذلة وخوف كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٥) الغلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع النأتى فى الحلق ، وقيل اللحم الذى بين الرأس والحنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم ، لأن فى عيشهم وبقائهم سوتا يتجدد على مر اللحظات .

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ عَنَّا وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تَقَاوِمِ^(١)

* * *

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجالاً :

حَيِّتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدَى الْمُقْسِمَ أَمْسَى الْأَنَامُ لَهُ مُجَلَّدٌ مُنْظَمٌ^(٢)
وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الْأَعْرَمَا^(٣)

* * *

وحدث أبو محمد عن مسيرم في الليل لكبس بادية وأن المطر
أصابهم فقال :

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ فَلَمِنْ ذَا الْحَدِيثِ وَالْإِعْلَامُ
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ يَمْنَحِ اللَّيْلُ مَهْمَهُ وَالْقَمَامُ^(٤)

* * *

(١) جاودنى : غالبنى فى الجود لجودته . أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا
تعريض بالذين يبارون المدوح فى الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الإنسان
الذى تباريه فى الجود ويظهر عليك جوده ، كأنك ما جاودته ، لأن الفضل والظلبة له
عليك ، وكأنك لم تقاوم فى الحرب ، لأن من غلبك فى الحرب لم تنفك
محاربتك إياه . والمعنى أن مفاخرتهم - أى حساده - إياه - المدوح - لا تنفعهم إذ كانت
بالظلبة له .

(٢) الخطاب فى « حيت » : للقسم ؛ ومن قسم : فى محل نصب على التمييز « من »
زائدة . وقوله أمسى الأنام له : فى موضع الحال من اللقسم ؛ ولك أن تجعلها فى موضع
حذف على الصفة للقسم ، فيكون الضمير فى « له » عائداً على القسم ، لا للقسم .
(٣) يقول : إن شربها حرام ؛ وعصيان الأمير حرام ، لكن عصيانه أحرم من
شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرَم .

(٤) هم : ما بهم به .

وقال وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخور والحجر أمه :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَفْنَحْ بِمَا دُونَ الْجُومِ^(١)
فَطَّعْ الْمَوْتَ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ كَطَّعِ الْمَوْتَ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ^(٢)
سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمَهْرِي صَفَّاحُ دَمْعِهَا مَاءُ الْجُسُومِ^(٣)
قَرَبْنِ النَّارِ ثُمَّ نَشَانَ فِيهَا كَمَا نَشَأَ الْعَذَارَى فِي النِّعَمِ^(٤)

(١) الغامرة : الدخول في الهالك ؛ والنمرات : الشدائد . وفي شرف : أى في طلب شرف . ومروم : مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخاطرت بنفسك في سبيل الحصول عليه فلا تفنح بما دون أعلاه ؛ ولا ترض باليسير منه .

(٢) يقول : إن طعم الموت في الأمر المحين كطعمه في الأمر الشديد الصعب ، وإذن فلا سبيل للخاص إلا أن يقصد أسمى الأمور .

(٣) صفائح : فاعل « تبكى » وفرسى مفعول ، والشجو : الحزن ، وهو مصدر وضع موضع الحال ، على تقدير مشجوة شجوها ؛ ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه ، على حد قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » والضمير : للصفائح أيضاً ؛ والصفائح جمع ؛ صفيحة ، السيف العريض . وماء الجسوم كناية عن الدم يقول : سبكي حزناتى فرسى ومهرى سيوف دمعا الدماء ؛ يشير إلى أنه سيقتل من قتلها فتكون دماء قتلاه التى تقطر من سيوفه دموا تبكى بها سيوفه . وكل هذا مجاز واستعارة - كما ترى - والمعنى : أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره .

(٤) قرين - من قولهم قربت الإبل الماء : إذا وردته صبيحة ليلها - قال الواحدى : يريد أن السيوف وردت النار . وهذا قلب للمعهود ، لأن القرب إنما يستعمل في ورود الماء ، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذى ترده الشاربة ، والنار تهلك وتقنى ، وقد أتمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى ، يريد أنها تخلصت من الحبث وحسنت صنعها بحسن تأثير النار في تخليصها ، وإنما طبعت وصارت سيوفاً - بعد أن كانت زبراً - قطعاً - بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى في النعيم ، وقرين : هى رواية ابن جنى وتروى قرين - من القرى - : ما يقرى به الضيف - أى جعلت النار قرى لها فنشأن بحسن القرى ؛ وتروى : قرين النار - بالبناء للعلوم - جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الحبث قارية لها . وكان حكم النماء أن يكون للقرى - لاللقارى - فحس موجب القرى بأن جعل النشاء - النشاء - للقارى .

- وَفَارَقَنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلَصَاتٍ وَأَبْدِيَهَا كَثِيرَاتُ السُّكُومِ^(١)
 يَرَى الْجَبْنَاهُ أَنَّ الْمَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيدَةُ الطَّنْبِجِ اللَّثِيمِ^(٢)
 وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ^(٣)
 وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَنَمِ السَّقِيمِ^(٤)
 وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَابُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْمُؤَمِّمِ^(٥)

- (١) الصياقل : جمع صيقل ، وهو القين الذي يصنع السيوف . ومخلصات : أى خالصات من الخبث . والسكوم : الجراح : جمع كلم . يقول : إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها ، فأبدى الصياقل جراح منها .
 (٢) الجبان : نقيض الشجاع . يقول : إن لؤم طبع الجبان يره العجز عن افتحام العظام في صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء وصغر همته .
 (٣) تغنى : من الغناء : يقول : إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغنى صاحبها وتكفيه مؤنة الحسف والعار ، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم ، فتكون أبعد عن الفشل ، يريد أن العقل لا يغنى عن الشجاعة وهى تغنى كيفما كانت فتستغنى عن العقل ، ولكن إذا اجتماعا تعززت الشجاعة بالعقل هذا : ومثل - من قوله ولا مثل - اسم لا ، وإن كان مضافا إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التى لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف ، والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة .

- (٤) الآفة : العاهة ؛ والضمير في آفته : للعقول ، وهذا المعنى من قول أبى تمام - وقد قال له أبو سعيد الضيرير : يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال له : يا أبا سعيد : لم لا تفهم ما يقال ؟

- (٥) القرية - في الأصل - : أول ما يخرج من البرحجين تحفر ؛ وقرية الإنسان : طبيعته التى جبل عليها ، لأنها أول خلقته ، ويقال لفلان قرية جيدة ، يراد إستنباط العلم بمجودة الطبع . يقول : إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قرية صاحبها وعلمه : يعنى أن الغبي الجاهل إذا سمع شيئا لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه ، فإذا عاب إنسان قولا صحيحا فذلك لأنه لم يفهمه ، وإنما آتى من سقم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية في سنة ست وثلاثين ، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعمور بن كيفلغ ؛ وكان جاهلا ، وكان يحالسه ثلاثة نفر من بني حيدرة ، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة ، فقالوا له : أنحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يفرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج عليه بيمين لحفته لا يمدح أحداً إلى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ؛ ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوماً ؛ فهجاه أبو الطيب ، وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق ، فأتبعه ابن كيفلغ خيلاً ورجلاً ، فأعجزهم ، وظهرت القصيدة وهي :

لَهْوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ ^(١)
يَا أُخْتُ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لَأَخُوكَ نِمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ ^(٢)
يَرْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ ^(٣)

قريحته . هذا معنى رائع بديع ، وهو كثير ، قال جل شأنه : « وإذ لم يهتدوا به فيقولون هذا إفك قديم » ، وقال أبو العلاء المعري :

والنجمُ تستصغرُ الأبصارُ صُورَتَهُ والذَّئِبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّفَرِ

(١) لهوى النفوس : يروى لهوى القلوب . والسريرة السر : وعرضا أى جفأة واعتراضاً عن غير قصد ، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق : أى نظرت نظراً عرضاً ، فيكون صفة مصدر محذوف : وخلت : حسبت . يقول : إن سر الهوى لا يعرف ولا يدري من أين يأتي ويتسرب إلى قلب العاشق ، كما قال :

إِنْ الْحُبَّةَ أَمْرُهَا عَجَبُ تُلْقَى عَلَيْكَ وَمَا لَهَا سَبَبُ

ثم قال : إني نظرت إليها عن غير قصد - يعنى إلى المحبوبة - فعشقتها وكنت أظن أني أسلم من هواها .

(٢) و (٣) معتنق الفوارس : وصف للشجاع ؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوعى : الحرب وثم : هناك . ورنأ إليه يرنو : أدام النظر . وقد اضطررت كلمة

الشراح في هذين البيتين ، قال ابن جني : يرميه بأخته وبالأبنة وثم إشارة إلى المكان الذي يحلو فيه للحال المكروهة ، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب ، يصفه بالجن ؛ وقال العروضي : شيب بامرأة أخوها مبارز فتاك ؛ فقال لها : أخوك على قساوة قلبه وإراقة الدماء أرحم منك ؛ وكيف يرميه بالأبنة وبأخته وهو يقول ينو إليك مع العفاف ؛ وهذه العفة من جهة الإسلام ، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن المجوس أصابوا في حكمهم . قال : وقد روى أن بشاراً كان في جماعة من نساء يداعبن ، فقلن له : ليتنا بتاك ، فقال : وأنا على دين كسرى . . . وقال ابن فورجه : عجب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد ، كما قال في أخرى :

مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَحَفُّوكَ بَغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
وكقوله أيضاً :

دِيَارُ اللّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِ الْقَدَا يُحَفِّظَنَّ لَا بِالْتِمَامِ
وكقوله

* تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ *

ثم قال لحبيبتة : أنت قاسية القلب ، وأخوك — على بسالته — إذا لقي العدو كان أرحم منك لي وأرق منك علي ، ثم أراد المبالغة في ذكر حسنها فقال : أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك ؛ ومن الدليل على النهاية في الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ، ولهذا قال أبو بكر الخوارزمي .

* تَخْشَى عَلَيْهَا أُمُّهَا أَبَاهَا *

وقال أبو تمام في مثل هذا :

يَا بَنِي مَنْ إِذَا رَأَاهَا أَبُوهَا قَالَ حُبًّا : يَا لَيْتَ أَنَا بَجُوسُ

ومثله لعبد الصمد بن العذل في جارية كان سميها بنته .

أَحِبُّ بُنْيَتِي حُبًّا أَرَاهُ يَزِيدُ عَلَى مَحَبَّاتِ الْبَنَاتِ

أَرَانِي مِنْكَ أَهْوَى قَرَصَ خَدِّ وَرَشَفَا لِلشَّنَايَا وَاللَّثَاتِ

وَالصَّاقَا بَبْطِنٍ مِنْكَ بَطْنِي وَضَمًّا لِلْقُرُونِ الْوَارِدَاتِ

وَشَيْئًا لَسْتُ أَذْكَرُهُ مَلِيحًا بِهِ يَخْطَى الْفَتَى عِنْدَ الْفَتَاةِ
أَرَى حُكْمَ الْمَجُوسِ إِذَا التَّقِينَا يَكُونُ أَحَلَّ مِنْ مَاءِ الْفَرَاتِ

هذا وقد قال أبو علي الفارسي : المجوس واليهود إنما عرفا على حد يهودي ويهود ومجوسي ومجوس ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما ، لأنهما معرفتان مؤنثتان مجريا في كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلهما كالحيين في باب الصرف ، وأنشد :

أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِيرُ اسْتَعَارًا^(١)

(١) قال ابن بري : صدر البيت لامرؤ القيس ، وعجزه للتوأم اليشكري . روى أن امرأ القيس - وكان معنا عريضا - يتعرض للناس بالشر - ينازع كل من قال إنه شاعر - فأنى قتادة بن التوأم اليشكري وأخويه الحارث وأبشرج ؛ فقال لابن التوأم : إن كنت شاعرا فليط أنصاف ما أقول وأجزها فقال : نعم فقال امرؤ القيس :

* أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا *

فقال ابن التوأم

* كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِيرُ اسْتَعَارًا *

فقال امرؤ القيس

* أَرَقْتُ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحَ *

فقال ابن التوأم

* إِذَا قُلْتُ قَدْ هَذَا اسْتَطَارَا *

فقال امرؤ القيس

* كَأَنَّ هَزْزَهُ بُورَاءَ غَيْبَ *

فقال ابن التوأم

* عِشَارُ وَلَهُ لَاقَتْ عِشَارَا *

رَاعَتِكَ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأُسْحَمُ^(١)

(١) رائعة البياض : الشعرة البيضاء التي تروع الناظر ، ورواها ابن جني : راعية البياض ، قال : والراحية من الشعر : أول شعرة تطلع من الشيب ، وجمعها رواع ، وأنشد :

أَهْلًا بِرَاعِيَةِ الشَّيْبِ وَاحِدَةً تَدْعِي الشَّبَابَ وَتَنْهَانَا عَنِ الْفَزَلِ
وَالْأُسْحَمِ : الأسود ، والعارض : صفحة الحد ، يقول : راعك - أفزعك - شيب
ولو كان أول لون الشعر بياضا ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى - إذن -
بالبياض لأنه كالسواد .

فقال امرؤ القيس

* فَلَمَّا أَنْ عَلَا كُنْفِي أَضَاخ *

فقال ابن التوأم

* وَهَتْ أَعْجَازُ رَيْقِهِ لِحَارَا *

فقال امرؤ القيس

* فَلَمْ يَتْرِكْ بِذَاتِ السَّرِّ ظَلِيْمَا *

فقال ابن التوأم

* وَلَمْ يَتْرِكْ بِجَلْمَتِهِمَا حِمَارَا *

« هب وهنا : فالوهن بعد هده من الليل ، وتصغير بريقا تصغير التعظيم ، كقولهم دويبة ؛ وخص نار الجوس لأنهم يعبدونها . وقوله : أُرقت له : أى سهرت من أجله مرتقباً له لأعلم أين مصاب مائه ، واستطار : انتشر ، وهززه : صوت رعده ، وقوله بوراء غيب : أى بحيث أسمع ولا أراه . وقوله عشار وله : أى فاقدة أولادها فهي تسكر الحنين ، ولا سيما إذا رأت عشاراً مثلها ، فإنه يزداد حنينها . شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق . وأضاخ : اسم موضع ، وكنفاه : جانباه . وقوله : وهت أعجاز ريقه : أى استرخت أعجاز هذا السحاب ، وهى مآخيره كما تسيل القربة الحلق إذا استرخت ، وريق اللطال أوله ، وذات السر . موضع كثير الطباء والحمر ، فلم يبق هذا المطر ظليما به ولا حمارا إلا وهو هارب أو غريق . والجملة ما استقبلت من الوادى إذا وافته . »

لَوْ كَانَ مُمَكِّنِي سَفَرْتُ عَنِ الصَّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَمُّ (١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ (٢)
وَالْهَمُّ يُخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحْمَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ (٣)
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَاهِلَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ (٤)

(١) سفرت -- من سفور المرأة -- أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكننى أن أظهر صباى لكشفت عنه فإنى حدث السن ، ولكن الشيب جار على عاجلا فسترشباى فكأنه تلم ما تلم بستر ما تحته من السواد . يعنى أن على شبايه لثاما من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته .

(٢) اليقق : الأبيض ؛ ويعصم يحفظ . يقول : ليس يياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سراده وأقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد .

(٣) ترم : يمتطع ويستأصل ؛ والجسيم : العظيم الجسم . والنحافة : الهزال ؛ ونصبه على التمييز . والناصية : شعر مقدم الرأس . يقول : إن الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم أسد وهزله حتى يأتى عليه من الهزال ، ويشيب الناصى قبل الأوان حتى يصير كالمهرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مثليه ، وأن المهم هو الذى أهابه ، كما قال أبو نواس :

وَمَا إِنْ شَبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنْ لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا أَشَابَا
(٤) يقول : إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ؛ قال البحتري :

أَرَى الْحَلْمَ بُوْسًا فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ
وقال أبو نصر بن نباتة :

مَنْ لِي بِعَيْشِ الْأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ
وقال ابن المعتز :

وَحَالَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا
وقال ابن مكيال :

الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ الْمَطَالِبِ عَقْلَةٌ عَجَبًا لِأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الَّذِي يُؤَلَى وَعَافٍ يَنْدَمُ^(١)
لَا يَخْذَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ^(٢)
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^(٣)
يُوْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللَّثَامِ بِطَبْعِهِ مَنْ لَا يَقْلُ كَمَا يَقْلُ وَيَلُومُ^(٤)

وَأَخُو الدَّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتَعَبٌ وَالْمَيْشُ عَيْشُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُولِ
(١) نبذ الشيء : ألقاه وطرحه ؛ والحفاظ : المحافظة على الحقوق والعهود ؛
وأولاه كذا : أنعم به عليه . وعاف : من العفو عن الإساءة . يقول : إن الناس
لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة - جمع ذمة : الحرمة والحق - ويتركون
عرفان النعم ، فمطلق من الإساءة ينسى إحسان مطلقه ، وعاف عن مسيء يندم لما يرى
من كفران صنيعته وعدم شكرها . قال ابن جني : الندم على كل حال غير مستحسن :
قال الخطيئة .

مَنْ يَقْلُ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(١)
(٢) يقول : لا تنخدع بىكاء عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فإنك إن
رحمته وأقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك .

(٣) يقول لا يسلم للشريف شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساد
وأعداءه ، فإذا أراق - سفك - دماءهم سلم شرفه ، لأنه يصير مهيبا فلا يتعرض له ،
قاله ابن جني : أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن
يتقدم عليهم ، قال العكبري : وهو منقول من كلام الحكميم : الصبر على مضض الرياسة
ينالك به شرف النفاسة .

(٤) القليل - هنا ليس قليل العدد وإنما هو الخسيس الحقير ؛ واللثام جمع لثيم ،
ضد الكريم . وضيم الفعلين الأخيرين : للقليل يقول : إن اللثيم مطبوع على أذى
الكريم لعدم المشاكلة بينهما

« شوقي » إن الكرام مشاغل السفهاء

(١) قال ابن جني : ظاهره أن « جوازيه » جمع جاز . أى لا يعدم جزاء عليه
وجاز أن يكون جمع جزاء - لمشابهة اسم الفاعل للمصدر - فلما جمع « سيل » على
سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء .

الظلمُ مِنْ شِمِّ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلَمِلَّةٌ لَا يَظْلِمُ^(١)
يَحْمِي ابْنَ كَيْفَلَعِ الطَّرِيقَ وَعِرْسُهُ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ^(٢)

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
« الطرماح بن حكيم »

(١) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخلقة والطبيعة ، ومن شيم النفوس : يروى فى خلق النفوس . يقول . إن الناس جبلوا على الظلم ، فإذا رأيت عفيفا لا يظلم فأما تركه الظلم لمة كالخوف والعجز ونحوهما ؛ قال العكبرى : وهو من كلام الحكميم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين . إما علة دينية ؛ أو علة سياسية ، كخوف الانتقام منها

(٢) قال الواحدى : إنما قال هذا لأنه - ابن كيفلغ - كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرّب . ، ومعنى البيت من قول الفرزدق :
وَأُنَحْتَ أُمِّكَ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا لِلنَّاسِ بَارِكَةٌ طَرِيقُ مُعَمَّلٍ
وقد أبدع ابن الرومى فى مثل هذا إذ يقول فى امرأة ابن المعلم :

وَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُدَابِرٍ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبَلٍ وَلْمُدْبِرِ
كَأَجْبَرِي الْمِنْشَارَ يَغْتَوِرَانِهِ مُتَنَازِعِيهِ فِي فَلِجٍ صَنَوْبِرِ
وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمَلِمُ بِسَاحَةِ إِنْ شِئْتَ فِي أَسْتِي فَأَتْنِي أَوْ فِي حَرِي
أَنَا كَمَبَةُ النَّيْكِ الَّتِي خُلِقَتْ لَهُ فَعَلَقَ مِنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَكَبُرِ
أَنَا زَوْجَةُ الْأَنْعَمَى الْمُبَاحِ حَرِيمُهُ

أَنَا عِرْسُ ذِي الْقَرْنَيْنِ لِأَيُّ الْإِسْمِ كَفَدَرِ
قَالَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِهَا تَدْعُوا عَدِمْتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الْأَعْوَرِ
فَإِذَا أَضَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًا لَمْ يَوْتِرِ
مَا زَالَ دَبْدَنَهَا وَذَلِكَ دَبْدَنِي حَتَّى بَدَأَ عِلْمُ الصَّبَاحِ الْأَزْهَرِ
أَزِي مَشِيمَتَهَا بِرَأْسِ مُلْكِهِ رِيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ أَعْجَبِ

أَقِمِ السَّالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سَكِينَةٍ إِنَّ الْمَنِيَّ بِمَلَقَتَيْهَا خِضْرِمُ^(١)
وَأَرْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ وَاسْتَرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ^(٢)
وَعِثَاكَ مَسْئَلَةٌ وَطَبِشُكَ نَفْخَةٌ وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ^(٣)
وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرُّجَالِ فَإِنَّمَا تَقْوَى عَلَى كَثَرِ الْعَبِيدِ وَتُقَدِّمُ^(٤)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غِيٍّ وَخِطَابٍ مَنْ لَا يَفْهَمُ^(٥)
يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَغْفَايِهِ تَحْتَ الْمُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجَمُ^(٦)

عَبَلٌ إِذَا قَلَقَ النَّسَاءَ بِحَدِّهِ نِلْنِ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَعْمَرِ

(١) السَّالِحُ : اللواضع يعلق عليها السلاح ؛ والشفر، والشافران : حرفا فرج المرأة .
ويريد بملاقته : الفرج والرحم : والحضرم : البحر الكثير الماء ؛ شبه المني -
لكثرته في رحمها - بالبحر .

(٢) وارفق بنفسك : يريد لا تتحكمك بالشعراء كي لا يذكروا خلقك الناقص -
لأنه أعور قصير - وأصلك ذنء لثيم .

(٣) يقول : أنت مكذوب فيكون غناك في مسألة الناس ، وليس وراء طيشك حقيقة ،
وإنما ذلك نفخة نفخت فيك ، ورضاك أن ترى ذا فيشلة - ذكر - من عبد أو ممن مائل
العبد : وربك الذي تعبد به درهم يعني أنه بخيل .

(٤) المناواة : للمعادة ، وأصله المناواة ، لأنه من النوء وهو النهوض ؛ والسكر
جمع ككرة ، وهي رأس الذكر ، يقول : لاتعاد الرجال فإنك لاتقدر عليهم ولا لك بهم
طاقة : وإنما قدرتك وإقدامك على « أيور العبيد » يصفه بالأبنة .

(٥) العذل : اللوم ؛ ويرعوى : يكف ويقطع ، وعن غيه : فالنفي نفيض الرد ،
ويروى : عن جهله .

(٦) الملوج : جمع عليج ، وهو في الأصل : حمار الوحش ، لاستعلاج خلقه وغلظه ،
ويقال للرجل القوى الضخم من كفار المعجم - غير العرب - عليج وهو المراد هنا .
يقول : يمشي القهقري حبا للاستدخال ، أي أن الملوج كانت تركبه فيمشي إلى خلفه على
غير العادة ، فإن من عادة الركوب أن يمشي إلى قدام ، وهو بخلاف الركوب لأنه يلجم من
وراءه هذا : وقوله بأربعة كان القياس أن يقول بأربع . لأنه يريد اليدين
والرجلين ، لكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على اللغى على حد قول الأغشى :

أَرَى نَارَ جَلَا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشَعِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا^(١)
وقد أثتوا المذكور على المعنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يمانية يقول :
فلان لغوب - أى أحق - جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابي ؟ فقال :
أليس بصحيفة ؟ ومن تأنيث المذكور على المعنى تأنيث الأمثال في قوله تعالى « فله عشر
أمثالها » لأن الأمثال في المعنى حسنات . فالتقدير عشر حسنات أمثالها ؛ وإذا أنت
المذكر فتذكير المؤنث أسهل : لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل
على الفرع ؛ وقوله على أعقابها : قال العكبري : جمع في موضع التثنية ، وحقه أن يقول
على عقبه - كما جاء في التنزيل : « نكص على عقبيه - » ولكنهم جمعوا في
موضع الإفراد فقالوا :

شابت مفارقة ؛ وقال الشاعر :

والزعفرانُ على ترائبها شَرِقٌ بِهِ اللَّبَاتُ وَالنَّحْرُ^(٢)

فجمع الترية واللبة بما حولهما ، وإذا كان هذا جائزا في موضع الواحد فالجمع في
موضع التثنية أجوز ، ثم قال العكبري في إعراب « من وراء » : حذف المضاف إليه ،
والظروف إذا حذفت منهم المضافات بنيت على الضم ، كقبل وبعد وفوق وتحت ،
وإنما بنيت لان المضاف إليه مقدر عندهم حق إنها متعرفة به محذوفا ، فلما اقتصروا على
المضاف جمלוه نهاية فصار كقبض الاسم وبعض الاسم لا يعرب ، فإن نكروا شيئا
منها أعربوه ، فقالوا : جئت قبلا ، ومن قبل وبعدا ومن بعد قال الشاعر :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ^(٣)

وقرى من قبل ومن بعد ، فأعرب لنية التذكير : فقوله « من وراء » على نية التنكير :
كأنه قال : من جهة تخالف وجهه .

(١) الأسيف : الغضبان . بقول : كأن يده قطعت فاخضبت بدنها ، وقال المبرد
أسيفا من التأسف لقطع يده ، وقيل هو أسير قد غلت يده ، فخرج الغل - القيد - يده .

(٢) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، واحدها تريبة .

(٣) ويروى هذا البيت : « أكاد أغص بالماء الحميم » .

وروى « أغص بنقطة الماء الحميم » من أبيات لبزید بن الصمق

انظر « الحزانة » ج ١ ص ٣٨٤ « سلفية »

وَجَفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوقَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حَصْرِمٌ^(١)
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ قَرَدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ^(٢)

(١) طرفت عينه : إذا أصيبت بشيء فدمعت . والحصرم : العنب الأخضر ، وهو معروف أنه حامض . قال الواحدى : يقول : إنه أبدا يحرك جفونه يستدعى العلاج ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحصرم ، لأنها لا تفرعن التحريك : هذا : وقال المبركى فى إعراب فت : عطف « فت » على مطروقة وليس من حق الفعل أن يعطف على الاسم ولا الاسم على الفعل ، ولكن ساغ ذلك فى اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق وللعنى ولذلك عملا فيه . وقد عطف الفعل على الاسم فى القرآن الكريم — فى قوله تعالى « صافات ويقبضن » وقوله « والمصدقين والمصدقات وأقرضوا الله » وقال الراجز :

* تَبَيْتُ لَا تَأْوِي وَلَا نُفَاشًا^(١) *

أى لا تأوى ولا تنفش ، وكذلك صافات وقابضات والذين تصدقوا وأقرضوا .
(٢) يريد : قبح وجهه وكثرة تشنجه ، وجعل حديثه كضحك القرد ، حيث إنه الكنى عي لا يفسح ، ولهذا جعله مشيرا ، لأنه لا يقدر على الكلام فيشير ، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت ، قال الإمام ابن الشجرى فى أماليه : عيب على أبى الطيب قوله هذا ، وقالوا لامعنى لتشبيهه الحديث بالطم ، وإنما كان حقه أن يضع فى موضع تلطم تولول أو تبكى أو نحوها ، لكن لما شبه صوت حديثه بهقهية القرد ، وهى صوت ، شبهه بلطم عجوز ، ولطم النساء لابد أن يصحبه صوت فلما اضطرتة القافية إلى ذكر الطم الدال على الولولة والنوح اكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه . و « أو » للإباحة ؛ أى إن شئت شبهت حديثه بهقهية قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم . وقول ثان : وهو أنه شبه شيئين بشيئين ، شبه حديثه بهقهية القرد وشبه إشارته فى أثناء حديثه بلطم العجوز ، لأنه من عيه لا يفهم ، وجعله مشيرا بيديه لأنه لا يقدر على الإفصاح ، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار بأقل لما عجزوا عن الجواب وقد مر بقوم ومعه ظبي قد اشتراه بأحد عشر درهما ، وهو متأبطه ، فقالوا له بكم اشتريته ؟ فد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ؛ يريد بأصابعه عشرة

(١) نفشت الإبل والغنم تنفش نفشا ونفوشا : انتشرت ليلا فرعت بلاراع وخص بعضهم به دخول الغنم فى الزرع ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم »

يَقْلِي مُفَارَقَةً إِلَّا كَفَّ قَذَالَهُ حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَتَعَمَّمُ^(١)

وبلسانه درهما ، فشرد الظي ، وفي هذا التشبيه معنى آخر . وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه ، فهو في القبح كوجه القرد ، وفي التشنج كوجه العجوز . فإن قيل : كيف شبه عيشين بشيئين ، وعطف بـ «أو» وهي لأحد الشيئين ، وحقه أن يعطف بالواو ؟ قلنا : إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو . . أقول : ومن عجيبها معنى الواو قوله حميد بن ثور :

قَوْمٌ إِذَا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرٍ أَوْ صَافِعٍ^(٢)
وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن النذر :

وَأَحْكُمُ كَحُكْمِ فِتْنَاءِ الْحَى إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَنَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدْ
فَحَسَبُونَهُ فَالْفَوْهُ كَمَا ذَكَرْتُ سَيِّئًا وَسَيِّئِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ^(٣)
ومنه قوله تعالى « إلى مائة ألف أو يزيدون » أي ويزيدون .

(١) قلاه يقليه قلى وقلاه وقليه يقلاه : لغة طى . ، والقلى : البغض . وقال ابن سيدهم : قلته قلى وقلاه ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ؛ وحكى سيبويه قلى يقلى وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمز ، وحكى ابن جني : قلاه وقليه ، قال . وأرى يقلى . إنما هو على قلى ؛ وحكى ابن الأعرابي قلته في المجرى قلى ، مكسور ومقصور ، وحكى في البغض قلته — بالكسر — أقلاه على القياس . والقذال . جماع

(١) الصريخ : أى للحرب ، والسافع : أخذ الناصية بلالجام .
(٢) واحكم يريد تبصر في الأمر وكن حكيماً معنى ولا تقبل بمن سعى إلى إليك وكن كفتاة الحى إذ وصفت فأصابت ، وفتاة الحى : هى زرقاء اليمامة ، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام ؛ فربها سرب من القطا ، فقالت :

لَيْتَ الْحَمَامَ لَيْتَهُ إِلَى حَمَامَتِيهِ أَوْ نِصْفُهُ قَدْرِيهِ تَمَّ الْحَمَامُ مِيَهُ
فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسعا وتسعين فبحمامتها تكمل للمائة ، وسراع : سريع الطيران ، والثمد — بفتح تين — الماء القليل لامادة له ، وحسبوه ، عدوه .

وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا وَيَكُونُ أَكْذَبُ مَا يَكُونُ وَيُقَسِّمُ^(١)
وَالذَّلُّ يُظْهِرُ فِي الدَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوْدٌ مِنْهُ لِمَنْ يَوْدُ الْأَرْقَمُ^(٢)

مؤخر الرأس ، وهو فاعل يقلى ؛ ويجوز أن يكون مفعول المفارقة — وفاعل يقلى ضمير المهجو ، أى أن قفاه يكره مفارقة الأَكْف ، لأنه قد ألف صحبتها في الصنع فيكاد يتعمم على إحدى يديه ، لئلا يخلو قفاه من كف . يريد أنه صنعان تعود أن يصنع فيكاد يتعمم على يده لتصفعه يده أيضا .

(١) يقول . تراه أحقر ما يكون حين ينطق ، لأن عي فلا يكاد يبين ، أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب ما يكون إذا خلف — أى حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر .

فَلَا تَحْلِفْ فَإِنَّكَ غَيْرُ بَرٍّ وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْتَ

وقوله ويقسم . يريد وهو يقسم . هذا . وقد قال ابن الشجري في أماليه . فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، « وأصغر » نصب على المصدر لأنه أضيف إلى « ما » المصدرية . و « ناطقا » نصب على الحال ، وأفضل المضاف إلى المفضل عليه إنما هو بعض ما يضاف إليه ، فصار كقولك : سرت أشد السير ، و « أكذب » حكاه في ذلك حكم « أصغر » ونصب « ناطقا » ترى الأول من الرؤية ، وانتصابه على الحال ، وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك إياه ، فالتعقير تناول الرؤية في اللفظ ، والمراد تحقير المرئى ؛ والمعنى : تراه ناطقا أحقر منه إذا رأيته ساكنا ؛ ويكون كلاما بمعنى يوجد ؛ وإن جعلت « يكون » الأول ناقصا وخبره « أكذب » لم يحز ، لما ذكرته من انتصاب « أكذب » على المصدر لإضافته إلى المصدر ، والمضمر في « يكون » عائد على المهجو ؛ وخبر « كان » إذا كان مفردا فهو واسمها عبارة عن شئ واحد بطل أن يجعل « يكون » ناقصا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث ، والواو في قوله « ويقسم » واو الحال ؛ والجملة بعده حال عمل فيها « يكون » الأول ، وهى جملة ابتداء ، والابتداء محذوف ، والتقدير وهو يقسم لحذف هو ، وقال اليازجى : الأظهر أن « أفعل » في الموضعين مرفوع على الابتداء . وسدت الحال بعده مسد الخبر ، والجملة فى محل نصب بالناسخ ، لأنها فى الأصل خبر ابتداء ، كما فى قولك : هند أحسن ماتراها . أحسن ما تكون سافرة ، فلما دخل الناسخ عمل فى المبتدأ الأول لفظا ، وفى جملة الخبر محذوف ، كما تقول رأيت هنداً ، أو كانت هنداً أحسن ما تكون سافرة . فتأمل .

(٢) أود : خبر مقدم عن الأرقم ، والأرقم : ص . ب من الحيات فيه سواد تويياض

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ ^(١)
 أُرْسِلْتَ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً صَفَرَاهُ أَضَيَّقَ مِنْكَ مَاذَا أَرْغُمُ ^(٢)
 أُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكْشِبُهَا يَا ابْنَ الْأَعْيَرِ وَهِيَ فِيكَ تَكْرُمُ ^(٣)
 فَلَسَدٌ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا وَلَشَدٌّ مَا قَرَّبَتْ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ ^(٤)

وفاعل « يود » ضمير الدليل ، والعاثد محذوف أى لمن يوده : أى لمن يظهر له وده .
 يقول : إن الدليل يظهر المودة - المحبة - لمن أذله ، إذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع
 عنده فيتودد إليه ، على أن الحلية أقرب إلى المصافاة من الدليل إذا أظهر الود لمن يوده
 وهذا من قول سديف :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ الْمَوَدَّةَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ اللَّوَامِي ^(١)
 (١) قال ابن جني : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه فتتفع - يريد لا تضمر -
 وصدافته تدل على مناسبتها فتضمر ، قال الواحدى : وهو من قول صالح بن عبد
 القدوس :

هَدُوكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقِ لَكَ الْوَاقِعِ الْأَخْقِ
 « الواقى : الحب » . وعبارة بعض الشراح : أراد بالنفع - هنا - ما هو أعم منه
 يعنى انتفاء الضرر والبيت مبنى على الذى قبله : أى أن عداوة الدليل الذى يطوى كشهجه
 على البغض تظهر ما أضمر من الحب فتتفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه
 وبمكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل بها إلى أذاه ، لأنه يسارته العداوة ويترتب
 به نهزة للعدو .

(٢) صفراء : اسم أمه : يقول : هى - على سمعها - أضيق منك ، فكيف يتجه لى
 مدحك ؟

(٣) أعير : تصغير أعور ، قال الواحدى : وكان أبوه - واسمه إبراهيم - أعور .
 يقول : إن القيادة فى غيرك كسب وأنت تتكرم بها : أى تحسبها كرماً .

(٤) لشد : بمعنى ما أشد ، واللام قبلها : للتوكيد ؛ و « ما » : مصدرية . يقول :
 ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى اللديح ! وما أشد ما قربت الانجم عندك فطمعت
 فى نيلها ! وأرادت بالانجم : أبيات شعره .

(١) من أبيات يحرض فيها سديف بن ميمون بن العباس على بني أمية .

وَأَرَغْتَ مَا لِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصًا إِنَّ الثَّغَاءَ لَمِنْ يُرَارَ قَيْنِمِمْ^(١)
وَلَمِنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِيَابِهِ تَذْنُو فَيُوجِبُ أَخْذَكَ وَتُنْهَمُ^(٢)
وَلَمِنْ يَهِينُ الْمَالِ وَهُوَ مُكْرَمٌ وَلَمِنْ يَجْرُ الْجَيْشَ وَهُوَ عَرْمَرَمٌ^(٣)
وَلَمِنْ إِذَا أَلْتَقَتِ الْكِمَاةُ بِمَازِقِ فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِ، الْمَمْلُ^(٤)

(١) الإراغة : الطلب ؛ تقول أرغت الصيد وفلان بريغ كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويدبره ، قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يَذِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيقُهُ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمِ^(١)

« يدروني : كيربوني ، ويقال فلان يربني أو يدبرني على أمر وعن أمر : أى يرادني ويطلبه مني » . يقول : طلبت من اللديج ما هو خالص لأبي العشائر ؛ لأنه الذي ينعم على زواره وقصاده ، فقلوه « خالصا » حال ، أى الذي ثبت لأبي العشائر خالصا لا ينازع فيه .

(٢) ولمن : عطف على « لمن يرار » والأخذعان : عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا ، ويقال لأقيمنا أخذعيك : أى لأذهبن كبرك . والوجه : الكسر والضرب ، ومراده بوجه أخذعيه : صفعه . والنهم . الزجر الشديد . يقول : والثناء لمن تزلفت إليه فأقت يبابه ذليلا تصفع هزوا واستخفا ، ثم تزجر مطرودا ، والبيت من قول جرير :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نُفِيتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

(٣) وهو مكرم : أى والمال مكرم يضمن بمثله ، فالضمير عائد على المال ، ولك أن ترجمه للمدح : أى يهين المال ويكرم عند الناس . والعرمم . الكثير العظيم .
(٤) الكماة . جمع كمي ، وهو البطل للشملة بالسلاح . والمأزق : الضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقا . والعلم : الذي وسم نفسه بسماء الحرب . وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ النَّابِ مِمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(١) قال الجوهري : يقال للجلدة التي بين العين والأنف « سالم » وأورد هذا البيت ، قال : وهذا المعنى الذي أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج : إنه عندي كسالم والسلام ، قال ابن بري : هذا وهم قبيح — أى جعله سالما اسما للجلدة التي بين العين والأنف ، وإنما سالم ابن عمر فجعله لهبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنه

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاطَةَ بِفَارِسٍ وَتَنَى فَقْوَمَهَا بِأَنْعَرَ مِنْهُمْ^(١)
وَالْوَجْهَ أَزْهَرُ وَالْفَوَادُ مُشِيعٌ^(٢) وَالرُّمَحُ أُنَمَرُ وَالْحَسَامُ مَصْمَمٌ^(٣)
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَرِيمَةً وَفَعَالُ مَنْ تَلِدُ الْأَعَاجِمُ أُعْجَمٌ^(٤)

واجتاز ببعلبك نخلع عليه على بن عسكر ، وسأله أن يقيم عنده . وكان يريد
السفر إلى إنطاكية ، فقال يستأذنه :
رَوِينَا يَا أَبْنَى هَسْكَرِ الْمَمَامَا وَلَمْ يَثْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُبَامَا^(١)

(١) أطره : عطفه وثناه ولواه ؛ وتاطر الرمح : ثنى . يقول : إذا اعوجت قناته
في مطعون طعن بها آخر فتقفها بذلك ، يريد شدة طعنه وقامه
(٢) « ال » هنا نالبة عن ضمير المدوح : أى ووجهه وفؤاده ؛ وهلم جرا ، والواو
أول البيت : للحال . يقول : إذا التقى هو والسكاة فى مأزق : فوجهه أزهر - نير مشرق
أبيض - وفؤاده مشيع - أى جرى - ورعحه يطعن به ، وسيفه مصمم : أى يطبق
المفصل ويصيب الهز ، فلا ينبو عن الضريبة .
(٣) الفعال هنا الفعل . يقول : إن الفعل يشابه النسب والأصل ، فمن كرمت مناسبه
كرمت أفعاله ، ومن كان لثيم النسب كان لثيم الفعل والأعاجم عند العرب لثام ، ولذلك
جعل الأعاجم فى مقابلة الكرام ، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان روميا . وم
يسمون من لم يتكلم بلغتهم أجم من أى جيل كان ، قال الراجز :
سَلُومُ لَوْ أَصْبَحْتَ وَسَطَ الْأَعْجَمِ^(١) فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِي الدَّيْلَمِ
إِذَا لَزُزْنَاكَ وَلَوْ يَسْلَمُ

وقال حميد بن ثور :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ شَاقَةِ صَوْتٍ مِثْلَهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أُعْجَمٍ

فإنه عنى بالأعجم : حمامة سمع صوتها .

(٤) الممام : العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى والهيام : أشد العطش .

(١) يقال رجل أعجم وقوم أجم

وَصَارَ أَحَبَّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا لِنَغْفِرَ قَلِيَّ وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَ^(١)
وَلَمْ تَمَلَنَّ تَفْقُدَكَ الْمَوَالِي وَلَمْ تَذُمَّمْ أَبَا دِيكَ الْجَسَامَ^(٢)
وَلَكِنَّ الْقُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ بِأَرْضٍ مُسَافِرٍ كَرَّةَ الْمَقَامِ^(٣)

يقول : نزلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا . هذا : وقد قلنا إن « الهيام » هنا أشد العطش وأنشد ابن بري .

يَهِيمُ وليس الله شافٍ هَيَامُهُ بِفِرَاءٍ مَاغْفَى الْحَمَامُ وَانْجَدَا^(١)
والهيام أيضا . كالجنون من العشق ، وقد هيمه الحب ، والهيام أيضا ؛ داء يأخذ الإبل فتهم في الأرض لا ترمي ، يقال ؛ ناقة هيام ، قال كثير عزة .

فَلَا يَحْسَبُ الْوَاشُونَ أَنَّ صَبَابَتِي بِمَرَّةٍ كَانَتْ تَغْمَرَةً فَتَجَلَّتْ
وَأُنِّي قَدْ أَبْلَتْ مِنْ دَنَفٍ بِهَا كَا أَذْنَقْتُ هَيَامَهُ ثُمَّ اسْتَبَلْتُ^(٢)

(١) القلى ؛ البغض ؛ ولغير قلى ؛ احتراس جميل . يقول ؛ قد استغنيينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك وإن لم عليك .

(٢) الموالى - بفتح الميم - جمع مولى ، وهو هنا العبد ، ورواها العكبري ؛ الموالى - بضم الميم - أى الذى يلى بمضه بعضا . والأيدى ؛ النعم . والجسام ؛ العظام . يقول ؛ لسنا نرتحل عنك لأننا مللنا تفقدك إيانا بالإحسان ولا لأننا ذمنا نعمك العظيمة .

(٣) توالى ؛ تتابعت ؛ والقام : السحاب ؛ وهذا تتمه لما ذكر فى البيت السابق . يقول إن المسافر إذا كثرت عليه المطر مل مقامه - إقامته - واحتباسه لأجل المطر ، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ، ولولا أنى على سفر لم أملل نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر ؛ وكرهه المقام ؛ رواها بعض الشراح ؛ كره القمام ، وقال ؛ المعنى ؛ إنما غفنا الزيادة من إحسانك ، لأنه يعيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر ، فهو كالطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه ، فيكرهه لذلك ، لأنه مكروه من نفسه .

(١) شاف : فى موضع نصب خبر « ليس » ؛ وإن شئت جعلته خبر « الله » ، وفى « ليس » ضمير الشأن

(٢) أبل واعتبل : برا من مرضه

وكان مع أبي العشاء ليلا على انشراح ، فكلما أراد النهوض وهب له شيئا ، حتى وهب له ثيابا وجارية ومهرا فقال :

أَعَنْ إِذْنِي تَهَبُ الرِّيحُ رَهْوًا وَيَسْرِي كَلِمًا شَيْتُ الْقَمَامِ ^(١)
وَلَكِنَّ الْقَمَامَ لَهُ طِبَاعٌ تَبَجَّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكَرَامِ ^(٢)

وقال يمدح كافورا ، وقد أهدى إليه مهرا آدم في شهر ربيع الآخر

سنة ٣٤٧ هـ :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمُتُ خَيْرُ مُيَمَّمٍ ^(٣)
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزَلٍ إِذَا لَمْ أُبْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمٍ ^(٤)
سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً مِنَ الْغَيْمِ مَرَمِيًّا بِهَا كُلُّ مُخْرَمٍ ^(٥)

(١) هذا استفهام معناه الإنكار . والرهو : السير السهل . يقول : الريح لا تهب ساكنة سهلة بإذني ، وكذا القمام لا يسرى بمشيئتي ؛ ويريد بالريح والقمام : المدح على تشبيهه بهما في سرعة العطاء وكثرته . يعني أن الذي يفعله ليس يفعله بإذني ومشيتي إنما يفعله طبعا طبع عليه . كما بين في البيت التالي .

(٢) تبجسه : مبتدأ ؛ وبها : خبره ؛ والتبجس : التفرج .

(٣) فراق مبتدأ ، محذوف الخبر ؛ أي لي فراق ؛ وقال العكبري : فراق خبر لمبتدأ محذوف ، ويجوز رفعه بإضمار فعل أي حدث فراق . وأم : أي قصد ؛ ويمت : قصدت يقول - عند ارتحاله - : هذه الحالة التي أنا فيها فراق ، والذي أفارقه - يعني سيف الدولة - غير مذموم - وهذا الفراق هو في الوقت عينه قصد لإنسان آخر - يعني كافورا - وهو خير مقصود .

(٤) عنده ؛ أي فيه ، يقول : لا أقم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن بكرما معظما . لأنه مع الذل لا يطيب لي

(٥) مليحة ، مشفقة خائفة ، يقال : ألح من الأمر ؛ إذا أشفق منه . والمخرم الطريق في الجبل . يقول : هذا الفراق أو هذا الذي أذكره من أنفق والاحتفاظ بكرامتي سجية - طبيعة - نفس التي هي أبدا خائفة من أن تظلم ويخس حقها من الإكرام ، وأنا أرمي بها كل طريق هاربا عن الضيم والذل .

رَحَلْتُ فَكَمَّ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنِ
وَمَا رَجَبُهُ الْقَرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ
عَلَى وَكَمَّ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَنِيمِ
بَأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمُصَمِّمِ
هَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعِ
هَوَى كَاسِرٍ كَفَى وَقَوْمِي وَأُسْهُمِي
رَحَى وَاتَّقَى رَمْسِي وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى
إِذَا سَاءَ فَعَلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَصَدَقَ مَا يَتَقَادُهُ مِنْ تَوْهُمِ

(١) الشادن : ولد الفزال ؛ والضنييم : الأسد . يقول : فكم من رجال ونساء بكوا على فراقى وجزعوا لا رتحيالى عنهم ا قالباكي بجنن الشادن : المرأة المليحة الحسناء ، والباكي بأجفان الضنييم : الرجل الشجاع الكريم : قال ابن جني . بأجفان ضنييم : يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله :

* لِيُحْدِثَنَّ لِيَنَّ فَارَقْتُهُ نَدَمٌ

(٢) القرط : الذى يطلق فى شحمة الأذن . ومكانه : فاهل المليح ؛ والحسام : السيف القاطع ، والمصمم : الذى يطبق للفواصل ؛ ولك أن تجعله صفة لرب . يقول : لم تكن للمرأة بأجزع على فراقى من الرجل .

(٣) يقول : لو كان الذى أشكوه من الضدربى كان من امرأة عذرتها ، لأن شيمة النساء الضدر ، ولكنه من رجل فلا أعذره . فكفى بالحبيب للفتق : من المرأة ؛ وبالحبيب للمعم : عن الرجل .

(٤) قال الواحدى : هذا مثل يقول : لم يحسن إلى - أى سيف الدولة - ولم أحبه لحبى إياه ، فضرب المثل لإساءته إليه بالرسمى ، ولأنه من المكافأة - المجازاة - بالهجر بالانتقاء ، بحب يكسر كفه وقومه وسهامه إن أراد أن يرميه ؛ والحفى أن حبى إياه منعى عن مكافأته بالإساءة ، فكان كرام يرمى وهو وراء جنة - ستره - من حبى تمنعنى من أن أرميه .

(٥) يتقاده : ينتابه ؛ ومن توم : بيان له « ما » . يقول : إذا كان فعل المرء سيئا قبيحاً ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه ، وإذا توم فى أحذية أسرع إلى تصديق ما توممه لما يجد من مثل ذلك فى نفسه . وعبرة الواحدى : للسى يسى الظن ، لأنه لا يأمن من أحماء إليه . وما يخطر بقلبه من التوم على إساءة غيره يصدق ذلك ، قكلما سمع عن شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر :

وَمَا فَسَدْتُ لِي بِشَهِدِ اللَّهِ نِيَّةً عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتُ نِيَّةً فَاتَّهَمْتَنِي

وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ هَدَانِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٌ^(١)
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفَهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ^(٢)
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزَاهُ حَلَّتْ عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ^(٣)

(١) يقول : ولسوء ظنه يعادى الذين يحبونه بوشاية أعدائه . فلا يميز صديقه من عدوه ؛ إذ يشك في كل أحد ويصبح في كل أموره حائراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه .

(٢) يريد بالنفس : المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية التي تستشف من الإنسان بذكر لطف حسه ودقة علمه ، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولاً ، ويستدل عليها بكلامه وفعله ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : الاتفاق بالجواهر قبل الاتفاق بالأجسام .

(٣) يقول : وأصغح عن خليلي علماً بأنني متى جازيته على سفيه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله ، فاعتذر إلى واعتبني - أرضاني - ورجع إلى مرادى ، وهذا من قول سالم ابن واجة :

وَنَزِيبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لِحْيٍ وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ^(١)
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقِيدًا مِنْهُ وَقَلَّتْ أَظْفَارًا يَلَا جَلَمَ^(٢)
بِالْحَزْمِ وَالْخَبْرِ أَسْدِيهِ وَالْحِمَةُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَالٌ يَرْخَعُ مِنْ رَحِمِ
فَأَصْبَحَتْ قُوَّتُهُ دُونِي مُوْتَرَةً تَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مَكْتُمِ
إِنْ فِي الْحِلْمِ ذُلٌّ أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ
وَمَنْ رَوَى

وأحلم عن خلي وأعلم أنني متى أجْزَاهُ يوماً على الجهل أندم
يكون المعنى ؛ متى جهلت عليه كما جهلت على نعمت على ذلك ، لأن السفه والجهل ليسا من أخلاق في شيء

(١) رجل نزيب : وذو نيزب : ذوشر ونميعة ؛ والقمر : شدة الشهوة إلى اللحم
(٢) القمر ؛ الحقد والغل . والجلم : أحد شقي القراض ، وإنما هما جلمان

وَأَنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ
وَأَهْوَى مِنْ الْفَتَيَانِ كُلِّ تَمَيِّذٍ
خَطَّتْ تَحْتَهُ الْعَيْسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ
وَلَا عَفْةً فِي سَنَفِهِ وَسِنَانِهِ
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
فَدَى لِأَبِي الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا
(١) جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ
(٢) نَجِيبٌ كَصَدْرِ السَّمْعَرِيِّ الْقَوِّمِ
(٣) بِهِ الْخَلِيلُ كَبَاتِ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرَمِ
(٤) وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ
(٥) وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
(٦) سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَذْهَمِ

(١) يقول : إني لا آخذ من الإنسان الصلة - العطية - حتى يكون معها بشرو وبشاشة وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بجود التارك ؛ ولا معنى للتارك ، وإنما هو الباذل ، ومعناه ؛ وإن بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكافته .

(٢) السميع ، والسميع ؛ السيد الكريم الجليل الجسم الموطأ الأكناف وقيل هو الشجاع . والنجيب . الفاضل الكريم - ضد اللثيم - والسمرى ؛ الرمح القوى الصاب وصدره ؛ مقدمه مما يلي السنان . يقول : أحب من الفتيان كل سيد يفتى الناس بيته للضيافة ، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم .

(٣) خطت ؛ جابت وقطعت ؛ والضمير من تحته ؛ للسميع . والعيس ؛ الإبل البيض والسكة ؛ الحلة فى الحرب - من قولهم كبه لوجهه ؛ إذا ألقاه - قال بعض العرب ؛ طعته فى السكة ؛ طعنه فى السبة ، فأخرجتها من اللبة ، فقيل له كيف طعته فى السبة ؟ هى حلقة الدبر - فقال إن رمحى كان قد سقط من يده فأكب لياأخذه فطعته ، والخميس الجليل من خمس فرق . والعرمم ؛ الكثير . يقول : قد سافر كثير وأقطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها ، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها .

(٤) يقول : ليس بعفيف السيف والرمح ، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دماهم ، وإنما عفته فى كفه ، لا يأخذ من مال أحد شيئاً ، وفى فرجه لا يقرب الرنا ، وفى فمه ، فهو يمسك لسانه عن كل مالا يحل ولا يأكل إلا من حل .

(٥) يقول : ليس كل من أحب الأمر الجليل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه
(٦) فدى : خبر مقدم ؛ والكرام : مبتدأ مؤخر والأدم : الأسود . جعل الكرام

أَغْرَ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَّضَ وَرَاءَهُ إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلَقَ مُطَهَّمٍ (١)
 إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا فَقَفْ وَقَفَّةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمُ (٢)
 يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَأَاهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى ضَمِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ الْفُكْرُمِ (٣)
 وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا اخْتَلِيلُ أَحْجَمَتْ وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدُمِي (٤)
 شَدِيدُ ثَبَاتِ الطَّرْفِ وَالنَّقْعُ وَاصِلٌ إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثَّمِ (٥)

كخيل سوابق ، وجعله كأهم يتقدم تلك السوابق وهن يحجرين على أنزه . يعنى أنه
 إمام الكرام وسابقهم .

(١) أغر : أى يأدم أغر ، فهو نعت لأدم ؛ وبمعنى : متعلق بأغر ، ومخضن
 رفمن أبصارهن ، والرحب ؛ الواسع ومطهمن تام . يقول : إن هذا الأدهم أغر غير أن
 غرته المجد لا البياض ، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأغر تنظر منه إلى
 خلق واسع وخلق تام الجمال .

(٢) يقول : إذا لم تحسن السياسة فوقفه واحدة فى مجلسه - وهو يتعاطى سياسة -
 الأمور - تكفيك لأن تتعلم منه السياسة .

(٣) راءه : مقولوب « رآه » ؛ والعذر : فاعل يضيق . والمساعي : جمع مسعاة .
 وهى السعى فى طلب المجد . يقول : من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذرى أن يكون ضميم
 المساعى ، قليل الكرم ؛ يعنى منه تتعلم هذه الأشياء ، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير
 معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى الهجاء على معنى لم أر مثله فى خسته ولؤم أصله
 إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر :

لَا تَبْأَسَنَّ مِنَ الْإِمَارَةِ بَعْدَمَا خَفَقَ اللَّوَاهُ عَلَى عِمَامَةِ جَرُولِ

(٤) يقول : من مثله إذا أحجمت الكنتية - تأخرت - وقل من يحنها على ورود
 المعركة ؟ أى أنه يحث الجيش عند الإحجام ويشجعه على لقاء العدو . قال الواحدى :
 والرواية أقدمى - بضم الدال - أى تقدمى : من قدم يقدم إذا تقدم ؛ ومن روى
 أقدمى - بفتح الدال - فمعناه ردى الحرب - من الورد - من قدم يقدم قدوما .

(٥) الطرف : الفرس ؛ والنقع : الغبار ؛ واللهوات : جمع لهاء ، وهى الأحمة المتندلية
 فى أقصى الحلق ، وكأنه جمعها على إرادة اللهات واللوزتين . من باب التغليب . يقول : إذا
 سطع الغبار وثار حق وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواء والغبار ،

أَبَا الْمِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا وَآمَلُ هَذَا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْقَدَمِ^(١)
 وَيَوْمًا يَنْفِظُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً أَقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنْعَمِ^(٢)
 وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَلِكَ وَمَنْ يُرِذْ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يَنْظِمُ^(٣)
 فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِصْرَ مَا مِيرَتْ نَحْوَهَا
 بِقَلْبِ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ الْمُتَمِّمِ^(٤)
 وَلَا تَبَعَتْ خَيْلِي كَلَابُ قَبَائِلِ كَأَنَّ بِهَا فِي اللَّيْلِ خَلَاتِ دَيْلَمِ^(٥)

فهو حينئذ ثابت في المركة لا يحجم ولا يتأخر ولا يقرب إليه الفزع . ومن روى
 الطرف — بفتح الطاء — أى العين ، فمعناه أن عينه لا تبرى (١) ولا يتداخله
 الفزع .

(١) أبا الميسك : أى يا أبا الميسك ؛ والبيض : السيف . يقول : أرجو منك أن
 تصرنى على أعدائى بحسن رأيك وتؤتىنى عزا أتمكن به منهم وأخضب سيفى بدمائهم
 (٢) يقول : أرجو أن أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التمتع أى أشقى فى
 حرب الأعداء فأنتعم بهذا الشقاء ؛ ويجوز أن يكون المعنى ؛ أنى أبادل تنعم الأعداء بالشقاء
 لما أوجب لهم من الحسد لعمق والغيظ لمكانى فيشقون بى .

(٣) يقول : أنت أهل لأن يرجى لديك ما رجوته ، ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه
 كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشئ فى غير محله حين
 رجوت للطر من غير موضعه .

(٤) المستهام : الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتمم : الذى ملك عليه
 الحب أمره واستعبده .

(٥) الديلم ؛ جيل من الترك ، كانت بينهم وبين العرب عداوة ؛ فصار اسمهم عبارة
 عن الأعداء ، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء ، قال عنترة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّخْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفِرٍ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ^(٢)

(١) برق البصر يبرق ، من باب طرب : إذا تحير فلم يطرف .

(٢) قيل إن الديلم فى بيت عنترة ، رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة

وَلَا اتَّبَعْتُ آثَارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إِلَّا حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمٍ^(١)
وَمِنْهَا بِهَا الْبَيْدَاءُ حَتَّى تَفْغَرَّتْ مِنْ النَّيْلِ وَاسْتَذَرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ^(٢)

وقال ابن جني ؛ سأل أبا الطيب بعض من حضر فقال ، أريد بالديلم الأعداء أم هذا الجبل من العجم ؟ فقال ؛ من العجم . وحملت جمع حملة ، وأمكنه ضرورة . يقول إنه كان يمر بالليل في طريقه إلى مصر على القبائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها .
(١) القائف : الذي يفتق الآثار - يتبعها - والنسم . خف البعير . يقول :
إن الذي اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن السير إليك لم ير إلا آثار الإبل والحيل . أى لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويحبوا الحيل ، فلذلك قال إلا حافراً فوق منسم . أى إلا أثر حافر فوق أثر خف ومن هذا قول مقاس العائذى (١) .

أولى فأولى يا امرأة القيس بعدما
[يقال خصفت الإبل الحيل : تبعها]

(٢) تغمرت : أى شربت قليلاً من النعم ، وهو القدح الصغير ؛ واستندرت . نزلت في ذراه : أى في كنفه وناحيته ؛ وللمقطم : الجبل المعروف بمصر . يقول : ومننا البيداء بآثار خيلنا وركابنا — يعنى سرنا في أرض غفل لا أثر بها لسالك فصار آثار الحيل والإبل كالسمة لها — أى العلامة — حتى وردت النيل — نيل مصر — فغمرت منه دون الرى ، وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقل شربها ، ومنه قول طفيل النضوى :

وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز ، فقام بأمر أبيه وحوض الحياض ، وحى الأحماء ؛ ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أو حشنت داره وبقيت آثاره ، فقال عنترة فى ذلك ما قال ، والدهم خان همدان حرض ووسع — ما آن قد حرض لآل الزبرقان بن بدر ووسع لبني أنف الناقة وقيل أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال .

جاموا يَجْرُؤُونَ البرود جراً صُهِبَ السَّيَالُ يَبْتَغُونَ شراً

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب ، والروم صهب السبال ، وألوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلاً .

(١) مسهر بن النعمان من بني عائذة ، شاعر مقل مجيد ، وهذا البيت من أبيات نجدها فى « الفضليات »

وَأَبْلَحَ بِمَعَى بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِي وَلَوْحِي (١)
 فَسَأَى إِلَى الْعُرْفِ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسَعَتْ إِلَيْهِ الشُّكْرُ غَيْرَ مُجْمَعَمٍ (٢)
 قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْتُ لَهُمْ بِنَا
 حَدِيثًا وَقَدْ حَكَمْتُ رَأْيَكَ فَاخْتَرْتُكُمْ (٣)
 فَأَحْسَنُ وَجْهِهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفِّهِ فِيهِمْ كَفٌّ مُنْعِمٍ (٤)

أُنَحْنَا فُسْمَنَاهَا النُّطَافَ فَشَارِبٌ قَلِيلًا وَآبٍ صَدٌّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
 « النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي - قل أوكثر - » وسامه الأمر سوما :
 كلفه إياه أو عرضه عليه .

(١) الأبلح : العظيم في نفسه ، وهو من صفات الملوك ، ويروى بالجيم ، فهو الجليل
 الوجه ، وهو عطف على « المقطم » . وقوله بقصدي : أي بقصدي إياه . يقول :
 واستدريت بطل أبلح يعصى من يشير عليه بتركي بأن يختصني دون غيري ، كما أني
 عصيت من أشار على بترك المسير إليه . قال الواحدى : يقال إنه أراد بهذا ابن حنزابه -
 جعفر بن الفرات - وزير الأسود ولم يكن للثني مدحه قال ابن جني : هو مما يجوز
 نقله إلى الهجاء . وابن جني يحاول دائماً أن يوجه مدائح للثني في كافور إلى الهجاء ،
 ولعل له عذراً في ذلك ، وهو أدرى بدهاء الثني ومكانة كافور لديه .

(٢) العرف : المعروف ، والمجمع : من قولهم جمعهم كلامه ؛ إذا عماء وستره
 ولم يأت به على الوجه الذي يهتدى إليه . يقول ؛ لم يكدر إحسانه إلى بالين ولم ينفضه
 بالأذى ، فكان شكره صريحاً خالصاً غير مشوب . قال ابن جني ؛ هذا الثني يشهد
 بمادكرته من قلب المدح إلى الهجاء .

(٣) قوله اخترتك الأملاك ؛ يريد اخترتك من الأملاك - الملوك - نخذف « من »
 وأوصل الفعل ، كما في قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » . يقول ؛
 اخترتك من بين ملوك الدنيا ، وآثرتك بقصدي إياك دونهم ، فاخترتهم بنا حديثاً من
 مدح أو هجاء ، بمنع أو جرمان ؛ أي أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا ، فاخترنا تريد ؛
 من ثناء وإطراء بالبر والإعسان أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان ، فأثت الحكم
 فيما تختار ؛ يعني إن أحسنت مكافأتى صوبوا رأيي في قصدك ومدحك وإلا شتموا
 بي وذموك .

(٤) أيمن : من اليمن ، وهو البركة . قال الواحدى : هذا البيت يورى عن هجاء

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وَأَكْبَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمٍ ^(١)
 لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْزَ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ ^(٢)
 وَقَدْ وَصَلَ الْمَهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ مِنْ أَسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُقْوَ وَمِقْصَمٍ ^(٣)
 لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّأْسُ الْخَلِيلَ كُلَّهُ وَلَئِنْ كَانَ بِالنَّيِّرَانِ غَيْرَ مُوسِمٍ ^(٤)

بقبح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها ، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجوه ويده أيمن الأيدي بالإنعام ، وكذلك البيت الذي بعده .

(١) معظم؛ أى أمر عظيم . قال الواحدي : يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد — قديم موروث — فإن لم يستحدث لنفسه شرفا بعلو همة وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها .

(٢) لمن : استفهام إنكار . يقول : إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس ، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟

(٣) للمصم : موضع السوار من الزند ، يريد أن «المهر» الذى أهداه إليه كان موسوما باسمه ليعلم أنه من خيله ، وأن ذلك غير خاص بالخيول ، فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك يعنى أنه يملك جميع الأحياء ، فكأنهم موسومون باسمه ، وإن لم يوصموا حقيقة — كما كشف عن ذلك في البيت التالى — هذا : وللمهر هو الصغير السن من الخيل ، و«الأبق» مهرة وجمع المذكر : أمهار ومهار . ومهارة ؛ وجمع للوث : مهر ومهرات . قال الريح بن زياد العبسى يهرض قومه في طلب دم مالك بن زهير العبسى ، وكانت فزارة قتله لما قتل حذيفة بن بدر الفزارى :

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
 مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِنَوَى الْحَجَى إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
 وَحُجَبَاتٍ مَا يَذْفُقْنَ عَذُوقَةً يَقْدِرْنَ بِالمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ ^(١)
 (٤) أراد بالحيوان الراكب الخيل : الإنسان ؛ والموسم : للعلم . يقول : لك الخيل

(١) الحنجات : الخيل تنجب إلى الإبل ويقال ماذا عذوقا ولا عذوفة — بالذال والذال — أى ماذا شيئا .

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي كُمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَيَّرْتُ نُفْسَهَا أَنْتِظَارَكَ فَأَعْلَمَ^(١)
وَلَسَكِنْ مَا يَمْنَعِي مِنَ الْعُمْرِ فَأَنْتُ فَجُدْ لِي بِحِطِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ^(٢)
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمَسْلَمِ^(٣)
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فَوَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَنْكَلَمْ^(٤)

وقال يذكر حُمَّى كانت تشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر ، وذلك
في ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

مَلُومُكُمْ يَحِيلُ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ^(٥)

ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت خير معلة ، ومراده بالحيل ما هو أعم منها من الحيوان
وإنما خصها بالذكر لكان ذكر اللهم .

(١) هذا استبطاء لما يرجوه منه ، يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقاى في الدنيا
لجملت ثلثي ذلك المقدار مدة انتظار عطايتك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِثْقَالُ يُمْلِكُنَا إِلَى الْأَشْيِبِ أَنْتَظَرْنَا سَلَوَةَ الْكَبِيرِ

(٢) البادر : السريع ؛ والمتغنىم : الذى يغتنم الشيء . يقول : ما فات من العمر
لا يعود : أى أن ما بقى من الحياة غير طويل ، فإن الماضى غير مستدرك ، فجدلى بحظ من
يستعجل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان .

(٣) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه
فأنا أَرْضَى بِهِ أَيْضاً مَحَبَّةً لَكَ ، وانجذاباً إلى هوائك وموافقة لرغبتك لأنى قدت نفسى إليك
قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

(٤) يقول : مثلك فى كرمك وسماحتك يكون فؤاده وسيطا بينه وبينى فيكلمه عنى
ولا يحوجنى إلى الكلام .

(٥) الفعال : بمعنى الفعل . يقول - لصاحبيه اللذين يلومانه على تحشم الأسفار
وإخطاره بنفسه فى طلب العالى - : ملومكما - يعنى نفسه - أجل من أن يلام ، لأن
فعله يجوز طرق القول ، فلا يدرك فعله بالوصف والقول ، ولا أنه لا مطمع للآثم فيه بأن
يطيعه أو يخذعه هو بلومه ، وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام : بمعنى الجراحات ، قال

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامٍ^(١)
 فَأَنِّي اسْتَرَيْحُ بِذِي هَذَا وَأَنْتَعِبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمَقَامِ^(٢)
 عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حَرَّتْ عَيْنِي وَكُلُّهُ بُغَامٍ رَازِحَةٌ بُغَايِي^(٣)
 فَقَدْ أَرِدُ الْمَيَاةَ بِخَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدُوِّ لَهَا بَرَقَ النِّغَامِ^(٤)

الغنى ملوم كما يحل من لو مكا ووقع فقال لوم كما فوق الكلام : أى الجراحات ، والكلام بكسر الكاف - جمع كلم -

(١) ذراني : دعاني واتركاني . والفلاة : الصحراء . ونصب الفلاة والهجير لأنهما مفعولان معهما . ووجهي : عطف على «الياء» من ذراني ، والهجير حر نصف النهار يقول : دعاني مع الفلاة أسلكها بغير دليل لاهتدائي فيها وخبرني بمسالكها ، ودعاني مع الهجير أسير فيه بغير لثام يقي وجهي ، لأنني قد اعتدت ذلك .

(٢) الإناخة : النزول ؛ والمقام : مصدر ميمي ، بمعنى الإقامة . وقوله بذى وهذا معنى بالفلاة والهجير . يقول : راحني فهما وتعني في النزول والإقامة .

(٣) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة وبغام الناقة : صوت لا تفصح به ويغتمت الناقة تبغم بغاما : قطعت الحنين ولم تعده ورزحت الناقة : سقطت من الإعياء . قال الواحدى قال ابن جني : معناه أن حارت عيني ، فانا بهيمة مثل رواحلي ، وعيني عينها وصوتي صوتها ، كما تقول : إن فعلت كذا فأنت حمار ، وأنت بلا حاسة ، وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال : يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم في الليل ، فيقول إن تحيرت في المفازة فعيني البصرة عين راحلي ، ومنطلق الفصح : بغامها ، وقال التبريزي : عيون رواحلي تنوب عني إذا ضللت أهتدى بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتي ، وإنما قال « بغامى » على الاستعارة .

(٤) يقول : لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل يدلني سوى أن أعد برقي النمام ، وأستدل بذلك على المطر فأتابع موقعه ، على عادة العرب في عدها بروق النمام ، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة ، وقيل مائة ، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ما طر ، فرحلوا يطلبون موضع الغيث . قال قائلهم :

سَقَى اللَّهُ جِيرَانًا حَدَثَ جِوَارِمٍ كَرَامًا إِذَا عُدُّوْا وَفَوْقَ كِرَامٍ
 يَمُدُّونَ بَرَقَ الْمُزْنِ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ فَمَا رَزَقُهُمْ إِلَّا بُرُوقُ غَمَامٍ

(١٨ - المتنبي ٤)

يَذِمُّ لِمُحَجَّتِي رَبِّي وَسَيِّفِي إِذَا احتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الدَّمَامِ (١)
وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قَرَى سِوَى مُخِ الدَّمَامِ (٢)
فَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَيْبًا جَزَيْتُ عَلَى ابْنِسَامٍ بِابْنِسَامِ (٣)
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ (٤)
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ (٥)

(١) يقال أذم له : أى أعطاه الذمة ، وهى العهد والحفازة ، والمهجة : الروح ، يقول من احتاج فى سفره إلى ذمة ليا من بذلك ، فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سبى يعنى : لا استصعب أحداً فى سفرى لآمن بصحبته .

(٢) وليس قرى : أى وليس لى قرى . فخير « ليس » محذوف ، والجملة : حال . يقول : لا أسمى ضيفاً للبخل وإن لم يكن لى طعام البتة - لأنه لا مخ للنعام - ويجوز أن يريد بهذا أن البخل لا قرى عنده ، ويروى مع - بالحاء المهملة - وهو صفة البيض وقيل ما فى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مع . والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض النعام شربته ولم آت بخيلا .

(٣) الحب ، الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعاً يبشون بوجوههم وكشعهم منطوق على الحب عاملتهم بمثل ما يعاملونى به ؛ فهم يكاشروننى وأنا أكاشرم أى ابتسمت إليهم كما يتسمون إلى .

(٤) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفت - اخترت - أحداً لمودنى لم أكن على ثقة من مودته لعلمى أنه من جملة الخلق . حكى عن المتنبي أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشدته يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدها فى وجهى إلى أن تفرقنا . فعجبت من فطنته وذكائه .

(٥) الوسام والوسامة : حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما . فمن أصفى له الود أحبه ، أما الجاهل الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال - الحق - لأنه ليس كل جميل النظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رافق اللون وبى المذاق .

(١) أصل الدمن : ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها وأبقارها - أى تلبده فى مرابضها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة ، فذلك النبات هو خضراء الدمن وفى الحديث « إياكم وخضراء الدمن » قيل : وما ذاك يارسول الله قال : المرأة الحسناء

وَأَتَفُّ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكَرَامِ^(١)
أَرَى الْأَجْدَادَ تَفْلِحُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ اخْلَاقُ اللَّثَامِ^(٢)
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأْسٌ أَعَزَّى إِلَى جَدِّ هُمَامِ^(٣)
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْرٌ وَحْدٌ وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقِصَمِ الْكِهَامِ^(٤)
وَمَنْ يَحْدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْعَالِي فَلَا يَذَرُ الْمَطَى بِلَا سَنَامِ^(٥)
وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْقَنَامِ^(٦)

(١) آتف : أى استنكف . وقوله لأبى وأمى : حال ؛ أى مولودا لهما - يعنى الأخ الشقيق -

(٢) يقول . إذا لؤمت الاخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لثما وإن كان من أصل كريم ، كما قال آخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبٍ
وقال آخر :

لئن فخرتَ بآباءٍ لهم شرف لقد صدقتَ ولكن بشس ماولدوا

(٣) أعزى : أنسب . والهمام : السيد الشجاع السخى . يقول : لا أقنع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يغنى عنى فضل جدى

(٤) القد : القامة ، وحد : أى حد السيف . يريد بمن له قد وحد : انشاب الذى لم يهدم الحرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته ، وبنا السيف : كل عن الضريبة ، والقضم السيف الذى فيه خلل ؛ والكهام : الذى لا يقطع . يقول : عجب لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الأمور ولا يكون ماضيا .

(٥) الملى : الإبل ؛ والسنام : ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد الطريق إلى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها ، ولا يتعب مطاياة فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٦) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل : فى الثبت السوء « شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من السكلا له غضارة وهو وبى المرعى متى الأصل .

أَقَمْتُ بِأَرْضٍ مِصْرَ فَلَا وَرَأَى تَحَبُّ بِىَ اللَّطِىُّ وَلَا أُمَامِ^(١)
وَمَلَنِى الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنبِى يَمَلُّ لِقِصَآءُهُ فِى كُلِّ عَامٍ^(٢)
قَلِيلٌ عَائِدِى سَقَمٌ فَوَادِى كَثِيرٌ حَاصِدِى صَنْبٌ مَرَامِ^(٣)
عَلِيلُ الْجَنَمِ مُتَمَنِّعُ الْقِيَامِ شَدِيدُ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ^(٤)
وَزَارَتْنِى كَأَنَّ بِهَآ حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِى الظَّلَامِ^(٥)
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَتْنِى وَبَاتَتْ فِى غِلَظِى^(٦)
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِى وَعَنْهَا فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّعَامِ^(٧)
إِذَا مَا فَارَقْتَنِى غَسَّ لَفْنِى كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ^(٨)

أى لا عذر له فى ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه ، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الايات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .
(١) الحجب : ضرب من السير ؛ والركاب : الإبل . يقول : أقمت بمصر لا تسير إلى الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لا يريم .

(٢) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه فى العام مرة واحدة ، لأنه أبداً كان يكون على سفر .

(٣) يقول : إني بمصر غريب فليس يعودنى بها إلى القليل من الناس ، وفوآدى سقيم لتراكم الأحزان على ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى - مطلبى - صعب لأنى أطلب الملك .

(٤) قوله من غير اللدام : أى أنى سكران من غير خمر ، وإنما من الضعف والهموم
(٥) وزارتنى : أى ورب زائرة لى - يريد الحمى وكانت تأنيه ليلاً - يقول : كأنها حية إذا كانت لا تزورنى إلا فى دجنات الظلام .

(٦) المطارف : جمع مطرف ، وهورداء من خز فى جنبه علمان . والحشايَا : جمع حشية ، وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعاقبتها : كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة - يعنى الحمى - لا تنبت فى الفراش ، وإنما تنبت فى عظامى .

(٧) يقول : جلدى لا يسمعها ولا يسمع أنفاسى للصعداء ، والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما تورده على من أنواع السقام .

(٨) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عند فراقها ، فكأنها تغسله لعكوفها على ما يوجب

كَانَ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِهَا بَارِبَةً سِجَامَ (١)
 أَرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ (٢)
 وَيَصْدُقُ وَغَدَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكُرْبِ الْعِظَامِ (٣)
 أَبْنَتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتَ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ (٤)
 جَرَحْتَ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلشُّيُوفِ وَلَا السَّهَامِ (٥)
 أَلَا يَأْلَيْتَ شَمَرَ يَدِي أُنْمِسِي تَهَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ (٦)

الفصل ، وإنما خص الحرام للقافية ، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الفصل. وقال ابن الشجري: وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة .

(١) سجم الدمع : سال انسكب : أى بأربعة أدمع . يقول : إنها تفارقه عند الصبح ، فكان الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكي بأربعة أدمع . يريد كثرة الرضاء وهو عرق الحمى ، والدمع يجرى من الموقين ، فإذا غلب وكثر جرى من المحاطين أيضا . والموق . طرف العين مما يلي الأنف ؛ والمحاط : طرفها مما يلي الصدغ .

(٢) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا
 (٣) يقول : إنها صادقة الوعد في الورود - لأنها لا تتخلف عن ميعاتها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع ، كمن أوعدهم صدق في وعده .

(٤) يريد بينت الدهر : الحمى ؛ وبنات الدهر . هدامه . يقول : للحمى - : عندي كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر :

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ قَلَمُ أَخْلَصُ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
 (٥) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهام .

(٦) يقولون ليت شعري ما حال فلان ؟ أى ليتنى أشعر ؛ وخبر « ليت » محذوف : أى ليت شعري حاصل ونحوه ؛ والعنان : سبيل اللجام ، والزمام : للقدود . يقول : ليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا في عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت : هل أصح وأبرا فاسافر على الخيل والإبل ؟

وَهَلْ أَزْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتِ مُحَلَّاتٍ الْمُقَاوِدِ بِاللَّغَامِ^(١)
 فَرُبَّمَا شَنَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَفَاةٍ أَوْ حُسَامِ^(٢)
 وَضَاقَتْ خُطَّةٌ تَخَلَّصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ^(٣)
 وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ^(٤)

(١) هواى : يعنى ما يهواه ويطلبه ، وراقصات : أى يابل تسير الرقص ، وهو ضرب من الحب ، يقال رقص البعير رقصا إذا خب ؛ ومحلاة : من الحلية ؛ واللغام : زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد يابل تسير الرقص وقد حمد الزبد على مقاوده وانصار عليها مثل الحلى الفضية ؟ وهذا كما قال منصور النخري :

وَيَقْطَعُ الْبَيْدَ مِنْهَا كُلُّ يَعْطَلَةٍ خُرْطُومُهَا بِاللَّغَامِ الْجَعْدِ مُلْتَفِعُ^(١)

(٢) الغليل : العطش ، ويراد به كل ما حز في الصدر ، والقفاة : الرمح . والحسام : السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صعبا كان يسافر ويقاتل فيشفى غليله بالسيف إلى ما يهواه ، وبالسيف والرمح .

(٣) الخطوة : الأمر والقصة ، والفدام : ما يجعل على فم الإبريق ونحوه ليصفي به ما فيه . يقول : ربما ضاق أمر على غلصت منه كما تخلص الحمر من النسيج الذى تشد به أفواه الأبريق .

(٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لمبلى ؛ يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه .

(١) لغام جعد : متراكب مجتمع ، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة ، يقال : جعد اللغام ، قال ذو الرمة :

تَنْجُوا إِذَا جَعَلَتْ تَذْمَى أَخَشَتَهَا وَاغْتَمَّ بِالزَّبْدِ الْجَعْدُ الْخُرَاطِيمُ
 « تنجو : تسرع السير ، والنجاء : السرعة ، وأخشتها جمع خشاش ، وهى حلقة تكون فى أنف البعير » .

يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ^(١)
وَمَا فِي طَبْعِهِ أَتَى جَوَادُ أَضَرَ بِجَسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ^(٢)
تَعَوَّدَ أَنْ يُفْتَرَّ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ^(٣)
فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَزْعَى وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ^(٤)
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرَضَ اضْطَبَّارِي وَإِنْ أُنْحَمَ فَمَا حَمَّ اعْتَزَامِي^(٥)
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَنْبَى وَلَسِكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ^(٦)

(١) و (٢) الجمام : الراحة . يقول : إن الطبيب يظن أن سيب دأى الأكل والشرب فيقول : أكلت كذا وكذا مما يضر ، وليس في طبعه أن الذي أضرب بجسمي طول لبني وقعودي عن الأسفار ، كالفرس الجواد ، يضر بجسمه طول قيامه في اللرابط ، فيفتر وبني .

(٣) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش تسرى إلى العدو ؛ والقنام : الغبار وأراد بدخول القنام : حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد - يعنى نفسه أن يثير الغبار في الجيوش ويخرج من حرب فيدخل في غيرها .

(٤) فأمسك : أى الجواد . ولا يطال له : أى لا يرخى طوله ، وهو جبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى . يقول : أمسك هذا الجواد لا يرخى له الطول فيرعى فيه ولا هو في السفر فيعتف من الخلة - التى تعلق على رأسه - وليس هو في الاجام . وهذا مثل ضربه لنفسه ، وأنه حليف الفرائس ، ممنوع عن الحركة ، وجائز أن يكون هذا الثلث قد ضربه لحالته مع كافور .

(٥) أحمم : من الحمى . يقول : إن كنت قد مرضت في بدني فإن صبرى وعزى باقيا على ما كانا عليه لم يمرض بمرض جسمي .

(٦) الحمام : الموت . يقول : وإن سلمت من الحمى لم أبق خالدا ، ولسكنى أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوِيلِ الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ^(١)

(١) الطويل : الجبل الطويل جدا ، أو جبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترحى .

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلْ كَرْمِي تَحْتَ الرَّجَامِ^(١)
قَابُ لَثَائِثِ الْحَالَتَيْنِ مَتْنِي سِوَى مَتْنِي انْتِبَاهِكَ وَالْمَقَامِ^(٢)

وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَمِيَةِ الطَّرْقِ يَأْنِي تَحْوِكَ الْكَرْمُ أَيْنَ الْحَاجِمِ يَا كَافُورُ وَالْجَلْمُ^(٣)
جَازَ الْأُلَى مَلَكَتْ كَفَاكَ قَدَرَهُمْ فَمَرُّوْا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمْ^(٤)

ومن قول الآخر

إِذَا بَلَّ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجَاوَيْهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ^(١)

(١) السهاد . السهر والكرى . يريد به النوم ، والرجام . القبور - واحده رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ، ومنه قول عبد الله بن مغفل : لا ترجوا قبوري أى لا تجعلوا عليه الرجم - أى لا تسنموه بل سووه بالأرض . يقول : مادمت حيا فتمتع من حالي السهر والنوم ولا ترج النوم في القبر : وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعَ بِالرُقَادِ عَلَى شِمَالٍ فَنَوْمُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى الْيَمِينِ

(٢) يريد بثالث الحالتين . الموت . يقول : إن الموت حال غير حالي السهر والنوم

فلا يتمتع فيه بشئ .

(٣) المحاجم . جمع الحجمة ، وهى القارووة يحجم بها الجلد . والجلم . أحشى المقرض وهما جلدان . يقول . لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه فى شئ ، إنما أنت أهل لأن تكون حجما - مزينا - فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلى أن الذى اشتراه قديما كان حجما .

(٤) الألى . أى الدين ؛ وقدرهم ؛ مفعول « جاز » . يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والظن . فلذلك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعنا من قدرهم ، حين ملكهم كلب .

(١) بل : برا وصح . والداء الذى هو قاتله : الهرم .

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ خُلِّ لَهُ ذَكَرٌ تَقُودُهُ أُمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمٌ ^(١)
 سَادَاتُ كُلِّ أَنْاسٍ مِنْ نَفُوسِهِمْ وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ ^(٢)
 أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُخْفُوا شَوَارِبَكُمْ يَا أُمَّةَ ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ ^(٣)
 أَلَا فَتَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمًا تَزُولُ شُكُوكُ النَّاسِ وَالْتِهَمُ ^(٤)
 فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤَذِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالْقَمْعُ طِيلُ وَالْقَدَمُ ^(٥)
 مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الدِّي زَعْمًا ^(٦)

(١) قال الواحدى . يريد بالفحل ذى الذكر . رجال هسكرو ، وبالأمة التى لارحم لها . الاسود - كافورا - يوغهم بانقيادهم له ، يقول : لاشيء اقبح فى الدنيا من رجل ينقاد لأمة حق تقوده إلى ماتريد ؟ وقال ابن فورجه ؛ يريد أن ابن طنجى فحل له ذكر وكافورا خصى ، فهو كالأمة من حيث إنه خصى لكنه قد خالفها بكونه لارحم له ، فكأنه أنقص من أمة ، فهذا إغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمة فى العجز ودناءة القدر ؟

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم ؛ يستوى فيه الذكر والمؤنث والواحد والجمع ، وروى ابن جنى : القزم - بضمتين - وهو جمع ، مثل أسد وأسد . وهذا إغراء لأهل مملكته به . يقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لثام ؟

(٣) أحفى شاربه : استأصله . يقول - لأهل مصر - : لاشيء عندكم من الدين إلا إحقاء الشوارب حتى ضحكتم منكم الأمم ، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره فى المملكة .

(٤) الهندي : السيف ، نسبة إلى الهند ، والهامة : الرأس ؛ يحرض على قتله ، يقول ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تملك مثله يشكك العاقل فى حكمة البارى - جل شأنه - حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم .

(٥) يقول : إن الدهرى يقول لو كان للعالم مدير وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم : لما ملك هذا العبد .

(٦) ولا يصدق قوما : أى لا يجعلهم صادقين . يقول - كما قال الواحدى - : إن الله

وقال يهجوهُ أيضاً :

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهُمُومُ^(١)
 أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمَقِيمُ^(٢)
 تَشَابَهَتْ الْبَهَائِمُ وَالْعَبِيدُ عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ^(٣)
 وَمَا أَدْرَى أَذَا دَاءٍ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَلَالَةٌ قَدِيمُ^(٤)
 حَصَلَتْ بِأَرْضٍ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الْحُرَّ بَيْنَهُمْ يَنِيمُ^(٥)
 كَأَنَّ الْأَشْوَدَ اللَّابِي فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبُومُ^(٦)

تعالى قادر على إخراج الخليفة بأن يملك عليهم اثماً ساقطاً من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدم الدهر . يشير إلى أن تأمير مثله إخراج الناس ، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملاحدة ، وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزي الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه - على كافور - من يقتله ويبطل حججهم .

(١) يشكو خلو الدنيا من الكرام يقول : أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم ؟

(٢) يقول : إن كل الأمكنة التي وصل إليها قد عمها الأؤم والأذى ، أليس في الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بحوارهم ؟

(٣) العبدى : العبيد ، جمع عبد ، والمراد بهم هنا : العباد - أى الناس - وللموالى جمع مولى ، المملوك ، والصميم : الصريح النسب الخالص . يقول : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله - حق التبسوا علينا بالبهائم ؛ إذ أشبهوها في الجهل ، وملاك المملوكون فالتبس الصميم - الأحرار - بالموالى - أى الذين كانوا عبيداً أرقاء - وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر . والإمارة إذا صارت إلى اللثام : التبسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك إنما يستحقه الكرام ، فإذا صار إلى اللثام ظنوا كراماً (٤) يقول : لست أدري أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللثام : عليهم حدث الآن ، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم ؟

(٥) يعنى : أن الحربينهم محفو مهان كاليتيم .

(٦) اللابى : نسبة إلى اللاب ، بلد بالنوبة ، ويقال أسود لوبى ونوبى : نسبة إلى

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهَوًا مَقَالِي لِلْأَخْيَمِيقِ يَاحْلِيمُ^(١)
وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيَا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَآ لَثِيمُ^(٢)
فَقُلْ مِنْ عَازِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا قَدْ فُوعَ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمِ^(٣)
إِذَا أَنْتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ لَثِيمٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمُسِيءُ قَبْلَ الْيَوْمِ^(٤)

ودخل عليه صديق له بالكوفة وبيده تفاحة نذر عليها اسم فاتك ، وكانت مما
أهداه له ، فاستحسنها الرجل ، فقال المتنبي :
يَذَكِّرُنِي فَاتِكَ حِلْمُهُ وَثَنِي مِنْ النَّدْبِ فِيهِ اسْمُهُ^(٥)

اللوبة والنوبة ، وهما في الأصل : الأرض التي قد ألبستها حجارة سود . والبوم : الطائر
المعروف الذي يسكن الخراب ، وبه يضرب المثل في الشؤم والرخم : طائر من الجوارح
الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . شبه الأسود بالفراب — وهو طير خسيس كثير الصيوب
وشبه أصحابه أيضا بخساس حول الفراب .

(١) أخذت : رواها الواحدى بصيغة المجهول . قال : أى أكرهت ، وتروى أخذت
بصيغة المعلوم — أى شرعت ؛ و« لهوًا » مفعول ثان مقدم ؛ ومقالى : مفعول أول .
يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاهيا . أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما
ليس فيه .

(٢) ولما أن هجرت : أى ولما هجوت : ف « أن » زائدة . والى : ضد الفصاحة :
عبي في منطقه عيا : إذا لم يوفق إلى التعبير عما في نفسه — وابن آوى : ضرب من
الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم ؛ كان نسبى
إياه إلى اللؤم عيا ، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان عى ، ومن قال لابن آوى — وهو
من الأم السباع وأخسها — بالثيم ، كان متكلما .

(٣) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى فى مدحه وهجائه — فإنى كنت مضطراً
لم يكن لى فيهما اختيار ، كالتسم بطراً على السقيم من غير اختياره ؟
(٤) يعتذر من تسكفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضع لثيم ولم أوجه اللوم إليه
فإلى من أوجه ؟ وهذا من قول أبى تمام :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَنَرَاتِ دَهْرٍ أُصِيتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَمَنْ أَلُومُ^(٥)
(٥) الند : عود يتبخر به ؛ والضمير فى « اسمه » : لفاتك .

وَأَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنِّي يُجَدُّ لِي رِيحُهُ شِمَهُ (١)
 وَأَيُّ فَتَى سَلَبَنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَذِرْ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ (٢)
 وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمْتَ هَالِكًا ضَمُّهُ (٣)
 بِمَصْرَ مُلُوكٍ لَمْ مَالَهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَمْ هُمُ (٤)
 فَأَجُودُ مِنْ جُودِهِمْ بِخُلَّةٍ وَأَحْمَدُ مِنْ تَحْدِهِمْ ذَمُّهُ (٥)
 وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِمْ عُدْمُهُ (٦)
 وَإِنْ مَنِيَّتُهُ عِنْدَهُ لَكَائِظٌ سَقِيًّا كَرَمُهُ (٧)

(١) الضمير في « ريحه » : لفاتك ؛ وفي « شمه » : لند .

(٢) المنون : الموت ؛ وأمه : تنازعه كل من « تدر » و « ولدت » أي لم تدر أمه ما ولدت .

(٣) هالكا : أفزعها . يقول : لو علمت أمه التي كانت تضمه إلى صدرها في صغره أنه شجاع فأتاك قتال : لفزعت منه ولهاها ضم ذلك الولد إلى صدرها .

(٤) قوله بمصر ملوك : يعرض بكافور ، وهمه — أي همته — يقول : إن لم مالا كثيرا مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علو همته ، وهذا من قول أشجع السلمي :
 وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْفَنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
 وقول الآخر :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتَيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَوْسَعَهُمْ ذِرَاعًا

(٥) يقول : إذا بخل كان أجود منهم ، وإذا ذم كان أحمدهم . وقال العكبري :
 للحنى أنه لا يبخل بشيء تمتد يده إليه ، فإذا لم يجد شيئا يهبه كان يعدمه من نفسه بخلا .
 قال : وقوله أحمد من أحمدهم : أي لا يذم إلا بالإسراف في الجود والمخاطرة بنفسه في الإقدام ، وهذا أحمد من حمدهم .

(٦) الوجد : الفنى ؛ والعدم : الفقر . يقول : إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو في حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء ؛ لأنه كان يجود بما يجد ، وهم يبخلون مع الوجد والفنى ؟

(٧) اللية : الموت ؛ والحجر : تذكر وتؤنث ، فن ذكرها ذهب بها إلى النبذ . يقول :
 إن اللية كانت منه تنبث في الناس ثم عادت عليه فأهلكته ؛ وبصارة أخرى : إنه كان

فَذَاكَ الَّذِي عَبَّه مَأْوَاهُ وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَمَنَهُ^(١)
وَمَنْ ضَاغَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرَى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمَهُ^(٢)

وقال يذكر مسيره من معمر و برثى فانسكا ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون
من شعبان سنة ٣٥٢ :

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلْمِ وَمَا سُرَاهُ حَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ^(٣)

يسقى المنية لأعدائه ، فلما مات سقيها ، فكانت في ذلك كالحجر التي أصلها الكرم ومنه
خرجت . ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه .

(١) عبه : جرحه وشربه ، قال ابن جني : يعني أن الزمان آتى من موته بمغافيه تقض
العادة ، وذلك أن الماء مشروب لا شارب ، والطعم مذوق لا ذائق ، فموته كاتقلاب الأمر
وهو أن يحب الماء مع كونه مشروباً ، ويذوق الطعم مع كونه مذوقاً . وقال ابن فورجه
عند ابن جني أن الضمير في « عبه » لفاتك ، وكذلك الماء في « ذاقه » — على ما ذكر
في تفسيره — وليس كذلك ، لأنه قد قال في البيت الذي قبله : إن اللوت الذي أصابه هو
بمنزلة الحجر سقيها الكرم : أي كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شراباً له ، ثم
قال : فذاك الذي عبه — يعني الحجر — هو ماء الكرم فعبه ، وذاك الذي ذاقه هو اللوت
وهو طعم نفسه الذي كان يموت به الخلق ؛ قال الواحدي : والمعنى على ما قاله ابن فورجه
لكنه لم يبينه بياناً شافياً ، والمعنى أن هذا مثل ، وهو أن الكرم إذا سقى الحجر فشربه فقد
شرب ماء نفسه ، والذي ذاقه من طعم الحجر هو طعم الكرم : كذلك موت « فاتك »
لما أهلكه . فشرب شراب اللوت وذاق طعمه ، فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم
نفسه .

(٢) حرى : أي خليق وجدير . يقول : إن من ضاغت الأرض عن همته لخليق
أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ، وإذا لم يسعها ولم يطق احتلالها هلك ، لعظم ما يطلبه
كما قال الآخر :

* كَلَى النُّفُوسِ جَنَائِبَاتٍ مِنَ الْمِمْمِ *

(٣) حَتَّام : هي « حق » و « ما » ، حذف الف « ما » لامتزاجها بـ « حق » — وكثرة

وَلَا يُحْسُ بِأَجْفَانٍ يُحْسُ بِهِنَّ
تَسْوُدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلَا تَسْوَدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللَّعْمِ
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ أَحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكْمِ
وَتَنَزُّكُ الْمَاءِ لَا يَنْفَكُ مِنْ سَفَرٍ مَسَارٍ فِي الْقَيْمِ مِنْهُ سَارٍ فِي الْأَدَمِ
لَا أَبْغِضُ الْعَيْسَ لِكُنِّي وَقَعْتُ بِهِنَّ
قَلْبِي مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ

استعملها ، ويجوز إثباتها على الأصل . ونسارى : تفاعل — من السرى وهو السير
ليلا — والنجم : اسم جنس — أى النجوم — قال تعالى « وبالنجم هم يهتدون » ، والواو
من « وما سراه » — حالية ، والخف للبعير : بمنزلة الحافر للدابة . يقول : إلى مق نسرى
مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هى على خف — كالإبل — ولا على قدم كالناس
أى أن النجوم لا يصيبها السكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا .

(١) فاعل « يحس » الأولى ؛ يعود على « الفجم » ، وفاعل « يحس » الثانية :
غريب . يقول : إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد على أهله بات
يسرى ساهراً : يعنى نفسه .

(٢) العذر : جمع عذار ، وأصلها ، عذر « بنم الذال » ولكنه أسكنها هاء على لغة
والعذار : جانب اللحية « أى الشعر الذى يحاذى الأذن » واللحم : جمع لمة ، وهو الشعر
المجاور شحمة الأذن والذى يلم بالنكيب . يقول : إن الشمس تغير ألواننا فتسود ووجوهنا
البیض ؛ ولمكنها لا تؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البیض ، وهذا من قول أبى تمام :

تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُ فِيهَا وَمَا أَخْلَقْنَا فِيهَا بِسُودِ

« القسما — بفتح السين وكسرها — الوجوه »

(٣) الحكم : الحاكم ؛ واحتكنا : تحاكنا . يقول : لو احتكنا إلى حاكم من حكام
الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر ، ولكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود
الوجه ولا تسود الشعر ، ومن ثم لا تجرى فى شأنها على أحكام الناس .

(٤) الأدم — بفتحين وبضمين — جمع أديم وهو الجلد المدبوغ . يقول : ونحمل
الماء لا يزال مسافراً : إما فى السحاب ، وإما فى قربنا ، لأننا نعرفه من السحاب فتودعه
رواينا .

(٥) العيس : الإبل . يقول . ليست الإبل يغيضة إلى ، فليس إتعاى إياها فى السفر

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقَنَ بَنًا مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ^(١)
تَبْرَى لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً تَعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرَخَّاةَ بِاللُّجُمِ^(٢)

بعضا لها منى ، ولكنى أسافر عليها لأقى قلبى من الحزن أو جسر من السقم ، وذلك أن السقيم إذا غبر الهواء والماء وسافر صح جسمه ، وكذلك المهزون : يتنسم بروح الهواء أو يصير إلى مكان يسرفيه بالإكرام .

(١) أيديها وأرجلها : أى العيس ، وأسكن الباء فى « أيديها » ضرورة كقول الراجز يصف إبلا بالسرعة :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدَى نِسَاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقَ^(١)
ومرقن : أى خرجن . من مرق السهم من الرمية : إذا خرج من الجانب الآخر وجوش والعلم : مكانان يقول : حدثتها على السير وأعجلتها حتى كأن أرجلها طاردة لأيديها ، كما قال بعض العرب :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاوُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجْلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِ^(٢)
وذلك أن اليد أمام الرجل كالطروء يكون أمام الطارد . شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال : « مرقن » .
(٢) تبرى ؛ تعارض - يقال برى له وانبرى له . إذا عارضه - قال أبو النجم :

* يَبْرَى لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأُشْمَلِ^(٣) *

والدو : الفلاة ؛ وأراد بنعام الدو : الحيل ، جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الحيل . والجدل . جمع جديل ، وهو جبل من آدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تبرى الحيل للعيس وتعارض أزمتها باجمها وأعنتها ؛ أى تبارها فى السير ؛ وكأن هذا من قلب التشبيه . أراد أن هذه الإبل تبارى الحيل وتعارض أعنتها بالزمام ، فقلب الكلام تفننا ومبالغة فى وجه الشبه فى المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به . وقال ابن جنى يقول - المتنبي - : الحيل - لهو أعناقها وإشرافها - تبارى أعناق الإبل : فتكون الاعم فى أعناقها كالجدل - الأزمة - فى أعناق الإبل .

(١) قاع قرق : مستو وقد شرحنا هذا البيت فى موضع آخر من هذا الشرح .

(٢) النجاء : السرعة .

(٣) يبرى : روى يأتى ؛ يصف ظلما ونعامة يقول : كلما أسرعت إلى أديها - وهو مبيضا - عرض لها يمينا وشمالا ، مزعجا لها .

فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بِمَا لَقِينَا رِضًا الْأَيْسَارَ بِالزَّلْمِ (١)
 نَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عِمَامَتَهُمْ عَمَائِمٌ خَلَقَتْ سُودًا بِلَا لُثْمٍ (٢)
 بِيضُ الْعَوَارِضِ طَقَانُونَ مَنْ لَحَقُوا مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَالُونَ لِلنَّعْمِ (٣)
 قَدْ بَلَّغُوا بِقِنَاتِهِمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهَمَمِ (٤)
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ طَيْبِينَ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ (٥)

(١) غلثة : جمع غلام . وأخطروا أرواحهم : أى خاطروا بها ولقينا : أى الأرواح والأيسار : جمع يسر ، وهم الذين يتقاسرون ويجمعون على اليسر . والزلم : السهم من سهام اليسر . يقول : سرت من مصر في غلثة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق ، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة ، كما يرضى القامرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٢) اللثم : جمع لثم ، ما يلقي على الوجه من طرف العمامة . يقول : إن هؤلاء الغلثة كلما ألغوا عمامتهم التي على رؤوسهم ظهر من شعورهم على رؤوسهم عمامة سود ليس لها لثم ، وذلك أن العرب تجعل العمامة بعضها لثماً على الوجه وبعضها على الرأس ، فهو يقول إن شعورهم على رؤوسهم كالعمائم وليس فيها شيء على وجوههم : يعنى أنهم مردلم متصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس - كما بين ذلك في البيت التالى .

(٣) العوارض : جمع عارض ، صفعة الحد ، وشلالون : طرادون . والنعم : بالماشية وغلب على الإبل . يقول : إنهم مرد صعاليك (١) قتالون للفوارس طرادون للنعم ، يغيرون عليها أينما وجدوها .

(٤) بلغوا - بالتشديد - مبالغة في بلغوا - بالتخفيف - ورواها بعض الشراح بلغوا - بالتخفيف - وقال في تعليقه : وجه الكلام أن يقال بلغوا - بتخفيف اللام - والباء بعده للتعدي ، فيكون الجزء مطويا والقنا : يذكر ويؤنث ، وفوق هنا اسم متعكن مفعول « بلغوا » يقول : قد استخرجوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية مهمهم :

(٥) الضمير في « به » للقنا . يقول : هم - أبداً - في القتال والغارة ، كفعل أهل الجاهلية ، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه ، فكأنهم في الأشهر الحرم أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون في الأشهر الحرم ، لأن القتال يترك فيها ،

(١) لصوص ، قطاع طريق ، وصعاليك العرب : ذؤبانها ولصوصها .

نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ قَتَلُوهَا صِيَّاحَ الطَّيْرِ فِي الْبَهْمِ (١)
تَحْدَى الرُّكَّابُ بِنَا بَيْضًا مَشَا فَرُهَا خُضْرًا فَرَّاسِنَهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَتِيمِ (٢)
مَكْمُومَةٌ بِسَيَّاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا
عَنْ مَنبِتِ الْعُشْبِ نَبْنِي مَنبِتِ الْكَرَمِ (٣)

وعبارة ابن القطاع : للبنى أنهم لتمرهم في الحرب والقنل في مثل أحوال الجاهلية ، إلا أن أنفسم غير خائفة من الحرب ، اشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم ، فكأنهم في الأشهر الحرم ، هذا : والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وهى ذو القعدة ، وذو الحجة والمهرم ، وواحد فرد وهو رجب .

(١) ناشو : تناولوا- والبهمة : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى يقول : تناولوا الرماح وكانت جمادا لا تنطق فأسمعو الناس صريرها في طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ، وهذا من قول هلال المازنى (١) .

تصيح الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَّاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوهَا
ومثله قول بعض العرب .

زُرُقُ تَصَابِحْنَ فِي الْمَتُونِ كَمَا هَاجَ دَجَاجَ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ
(٢) خدت الناقة تحدى . أى أسرع مثل وخذت وخودت قال الراعى .

حَتَّى غَدَتْ فِي بِيَاضِ الصُّبْحِ طَيِّبَةً رِيحَ الْمَبَاةِ تَحْدَى وَالتَّرَى عِمْدُ (٣)
والركاب ، الإبل ، والمشافر . جمع المشفر ، وهو للبعير بمنزلة الشفة للإنسان .
والفراسن . جمع فرسن ، لحم خف البعير . والرغل واليتم : فبتان . يقول : تسير الإبل بنا وهى بيض المشافر باللغام - زيد أفواه الإبل - وقال ابن جنى : لأنها لا تترك ترى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها . خضر الفراسن لكثرة وطئها
هذين الثنتين

(٣) كم البعير : شد فمه كيلا يعض أو يأكل ، ومثله : عكم . يقول : إن السباط

(١) شاعر إسلامي

(٢) ضمير « غدت » بكرة وحشية تقدم ذكرها ، ومباعتها : مكنتها ، وعمد شديد الابتلال ، وإنما نصب ريح للباءة لما نون طيبة ، وكان حتما الإضافة ، فصارح قولهم : هو ضارب زيدا .

(١٩ - التنبيه ٤)

وَأَيْنَ مَنبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنبِتِهِ أَبِي شُجَاعٍ قَرِيعَ الرُّمْبِ وَالْعَجَمِ ^(١)
لَا فَاتِكَ آخَرَ فِي مِصْرَ تَقْصِيدُهُ وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ ^(٢)
مَنْ لَا نُشَابِيَهُ الْأَحْيَاءُ فِي شَيْءٍ أَمْسَى نُشَابِيَهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرَّمَمِ ^(٣)

كانت تمنعها من الرعى ، فكأما قد شدت أفواهاها ؛ وهذا من قول ذى الرمة :

* يَهْمَاهُ خَابِطُهَا بِالْخُوفِ مَكْمُومٌ *

[أى لا يتكلم فيها خوفاً ، فكأن الخوف قد كتم فمه] وكنا نضربها عن الرعى في منبت العشب لأننا نبغى منبت الكرم . والبيت من قول الأعدى :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا مِنَ الطَّلَحِ تَبْنِي مَنبِتَ الزَّرْجُونِ
« الزرجون : الكرم ، ويعنى بمنبت الزرجون : الشام ، لأنها أكثر البلاد عنباً » .

(١) القرية : السيد وأصله : الفحل المختار للفحلة ، وسمى قريباً لذلك ، ولأنه يقرع الناقة ، قال ذو الرمة :

وَقَدْ عَارَضَ الشَّعْرَى سُهَيْلٌ كَأَنَّهُ قَرِيعٌ هِجَانٍ عَارَضَ الشُّولَ جَافِرٌ ^(١)
يقول : أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل الذى كان منبت الكرم وكان سيد العرب والعجم ! وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره في البيت السابق .

(٢) يقول : ليس لنا في مصر رجل آخر مثله في جوده وتقصده ، وليس له خلف مثله كرمًا وشجاعة ، فقله : لا فاتك : كأنه يقول لا رجل آخر مثل « فاتك » ومن ثم نعتة بنكرة .

(٣) الشيم : الخلائق ، جمع شيمة ، والرَّمَم : العظام البالية . يقول : من لم يكن له شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه في العظام البالية : أى مات فأشبهه الأموات وأشبهوه .

(١) يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع : قد جهر فهو جافر وفى الأثر أن علياً كرم الله وجهه رأى رجلاً فى الشمس فقال : قم عنها فإنها جفيرة : أى تذهب شهوة النكاح ، وعارضها : أى جانبها وهدل عنها .

عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ^(١)
مَا زِلْتُ أَضْحِكُ إِبْلِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بَدَمِ^(٢)
أَسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ^(٣)
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلِي أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ أَلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ^(٤)

(١) يقول : لكثرة أسفاري وترددى فى الدنيا كفى أطلب له نظيرا ، ولكنى لا أحصل إلا على العدم : أى لا أجد مثله بعده .

(٢) إبل - بسكون الباء - تخفيف إبل - بكسرهما - يقول : مازلت أسافر على إبل إلى من لا يستحق القصد إليه ، فلو أنها بما يضحك لضحكت إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم استخفافا به ، وفى الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره : إلى من اختضبت أخفافها بدم فى قصده أو فى المسير إليه : قال العكبرى : وفيه تعريض ببعض أهل بغداد .

(٣) أسار دابته : كسرها ، وروى أسيرها - مضارع سرت - أى أسير عليها .
وعنى بالأصنام : قوما يطاعون ويعظمون ، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للعبود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال : ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفصائح والقبائح ، وهؤلاء لا يعفون عن منكرو ولا قبيح .

(٤) يقول : حتى عدت إلى وطنى وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم ، لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ، ولا يدرك من معانى المجد والشرف ما يدركه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكِتَابِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

هذا : وقال العلامة العكبرى : قطع - المتن ألف الوصل فى أول النصف الثانى ، وقد ذكره سيبويه فى الضرورات - أى الضرورات الشعرية - وأنشد للأعشى

إِذْ سَأَمَهُ خَطَّتِي خَفِّفَ فَقَالَ لَهُ إِغْرِضْهُمَا هَكَذَا أَسْمَعْهُمَا حَارَ

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل . قال ، ولقطع ألف الوصل أربع مراتب : الأولى أن تكون فى أول البيت ، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامى :

الضَّارِبُونَ عُمَيْرًا عَنْ بِيوتِهِمْ بِالْمُغْبِلِ يَوْمَ مُحْمِرٍ ظَالَمٍ هَادٍ

والثانية : هكذا لأبى الطيب ، والثالثة أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل :

أَكْتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ (١)
فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْطُّلُومِ (٢)
أَتَمَّتْ بِنِي وَدَوَاتِي مَا أَشْرَتِ بِهِ (٣)
مَنْ اقْتَضَى بِسُورَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ يَلْمُ (٤)

أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْئَةً
وَكَقُولِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ يَنْتُ وَتَكْتَبِرُ الْحَدِيثُ قَمِينَ (١)
والرابعة — وهي أقبح الضرورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك
كقول الراجز :

* وكلُّ اثنين إلى افتراق *

قال : ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنين وقال الخليل للتخلص من الضرورة وكذلك
الراجز وقد قيل إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة .
(١) الكتاب : مصدر كالكتابة وهذا من حكاية قول الأقدام . يقول : قالت لي
الأقدام أخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم اكتب بنا ما ضلت بالسيف وما تقول من
الشعر في ذلك ، فإن القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا
من قول البحترى :

تَعْنُو لَهُ وَزَرَّاهُ الْمُلْكُ خَاصِمَةً
وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَعْذِمَ الْقَلَمُ
(٢) هذا جواب منه للأقدام ، يقول — لها — : أسمعني قولك ، والذي أشرت
به على هو الدواء الذي يشفي ما بي ، فإن تركت مشورتك ولم أظن لها صار داءى هو
قلة الفهم ، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياي .
(٣) هذا : تأكيد لما أشارت به الأقدام عليه من استعمال السيف ، يقول من طلب
حاجته بغير الهندي — السيف — أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله

(١) حدثان الدهر : ما يحدث فيه من النوائب والنوازل ، وجل — بضم الجيم
وسكون الليم — اسم امرأة .
(٢) نث الحديث ينثته ثا : أفشاء : وقين : أى جدير ، وبنث متعلق به ، وتكثير
حظ على « بنث » . وبعده

وإن ضيغ الإخوان سراً فإننى كقوم لأسرار المشير أمين

نَوَهَمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التَّهَمِ (١)
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرَّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ (٢)

لم أدرك، أولم أصل أو لم أظفر، ونحو ذلك. قال القاضي أبو الحسن طي بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه : كان الواجب أن يقول : عن هل بلا . لأن الطالب بغير السيف يقول : هل تبرع لي بهذا المال؟ فيقول المسئول : لا ، فأقام «لم» مقام «لا» لأنهما حرفا نفي : قال الواحدى : وهذا ظلم منه — من القاضي — للمتنبي ، وقلة فهم من القاضي ، ولو أراد ذلك الذى ظنه لقال أجيب عن كل سؤال بـ «هل» بـ «لا» ، لأن للمتنبى عجب ليس هو الحبيب ، والذى أراد المتنبي أن الناس يسألونه : هل أدركت حاجتك ؟ هل وصلت إلى بغيتك ؟ فيجيب ويقول لم أدرك ، لم أبلغ لم أظفر ، لم أصل إلى ما أطلب هذا ، وأعرب هل ولم وهما حرفان لأنهما قد صارا علمين على لفظهما ، وقال ابن جني : جعل «هل» و «لم» اسمين فجربا و «هل» حرف استفهام و «لم» حرف نفي ، قال : ويجوز أن تكون الكسرة فى «لم» كسرة الساكن إذ احتسج إلى تحريكه للقافية . كقول النابغة * وكان قد (١) * وحكى الخليل قال قلت . لأبى الدقيش — الأعرابي — هل لك فى ثريدة كان ودكها عيون الضياون ؟ فقال أسد الجواب لهل أوحاه — أسرعه (٢)

(١) يقول : إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم ثم قال : ولهم الحق فى أن يتوهموا ذلك ، لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة ، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزا محتاجا إليه .

(٢) الإنصاف : إعطاء الحق . قال ابن الأعرابي : أنصف إذا أخذ الحق وأعطى ، قال : وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف ، أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك ،

(١) قطعة من بيت هو :

أَزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

(٢) قال الأزهري : أبو الدقيش كنية واسمه الدقيش قال يونس سألت أبا الدقيش ما الدقيش ؟ فقال : لا أدري قلت : ما الدقيش ؟ فقال ولا هذا قلت فاكتنيت بما لا تعرف ما هو ؟ قال : إنما الكنى والأسماء علامات ، وقال أبو زيد . دخلت على أبى الدقيش الأعرابي وهو مريض فقلت له كيف تجدك يا أبا الدقيش ؟ قال أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجد وأنا فى زمان سوء ، زمان من وجد لم يجد ، ومن جاد لم يجد . والضياون جمع ضيون : السنور الذكر أو دويبة تشبهه .

فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمْ أَيْدٍ نَشَأَ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخِذْمِ^(١)
 مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالْمَوْتِ شَفَرَتُهُ مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمٍ^(٢)
 صُنَا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
 مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكَزَمِ^(٣)
 هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَعُ الْعَيْنُ كَالْحِلْمِ^(٤)

والرحم : القرابة . يقول : إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب
 فما الظن بمن لا قرابة بينهم . يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه
 في قصده لهم . وهذا من قول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَمْعِلُ
 (١) الخدم : جمع خذوم : أى القاطع : يعنى السيوف ، وأيد فاعل تزورهم يقول :
 فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت فى صجة السيوف ، يعنى إذا لم
 ينصفوا فإنى لا أزورهم إلا محاربا .

(٢) من كل . بيان للمصقولة الخدم ، وشفرته : أى حده فاعل قاضية : يقول : من
 كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين ، الظالم والمظلوم :

(٣) قوائمها : مقابضها ؛ واللؤم : خسة الأصل ضد الكرم ، والكزم : قصر اليد ،
 وناقة كزماه : قصر خطاها ، يقول : صنا قوائم السيوف فما وقعت إلا فى أيدينا التى
 لا لؤم فيها ولا قصر : يعنى أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا
 معها ، والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فنتقع فى أيديهم التى هى مواقع اللؤم والقصر عن
 بلوغ الحاجة ،

(٤) ما شق منظره : ماصعبت رؤيته . يقول : هون على العين ما شق عليها النظر
 إليه مما تراه من المكاره ، وهبك تراه فى الحلم . لأن ماتراه فى اليقظة شبيه بما تراه فى
 المنام ، لأنهما يمكنان قليلا ثم يزولان ، فكأنهما لم يكونا . وروى منظره — بفتح الراء
 فيكون المراد الشئ الذى يشق البصر ويفتحه باقتضائه النظر إليه ؛ والضمير على هذا :
 للبصر ، وعلى الرواية الأولى لـ « ما » . قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى شيئا من هذا وقال
 يقال شق بصر الميت شقوقا ، الفعل للبصر ، قال : ومعنى البيت : هون على بصرك
 شقوقه ومقاساة النزع . . . وهذا كلام — كما تراه — فى غاية الفساده والبعد عن الصواب
 وقال ابن القطاع : قول ابن جنى هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزع والحشرجة

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِتَهُ
 شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْفَرَبَانِ وَالرَّخَمِ^(١)
 وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَشْتَرُهُ^(٢) وَلَا يَفْرُكَ مِنْهُمْ نَفَرٌ مُبْتَسِمِ
 غَاظَ الْوَفَاءِ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ^(٣) وَأَعُوزَ الصَّدَقِ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ
 سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَدَتْهَا^(٤) فِيهَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ
 الدَّهْرُ يَنْجَبُ مِنْ حَمْلِي نَوَائِبُهُ^(٥) وَصَبْرُ جِسْمِي عَلَى أَحْدَانِهِ الْخَطْمِ
 وَقْتُ يَضِيعُ وَغَمْرُ لَيْتَ مُدَّتَهُ^(٦) فِي غَيْرِ أَمْتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأَمَمِ

صحيح ، فإن الحياة كالحلم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : كروا الأيام أحلام ،
 وغداؤها أسقام وآلام

(١) يقول : لا تشك إلى أحد ما ينزل بساحتك من ضرر وعدة فتشتمه بشكواك ،
 فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله ، وعجالة التبريزي
 الناس بعضهم أعداء بعض ، فمن شكاه حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير
 لتأكل لحمه ؛ فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة ، لأن الفرغان - جمع غراب - والرخم
 جمع رحمة - طائر من الجوارح الخسيسة - إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلوا لحمه .

(٢) يقول : احذر الناس واستر حذرهم ولا تقربا بتسامهم إليك ، فإنهم يضمرون
 في قلوبهم مالا يريدون لك من القدر والحداء . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم
 الحيوان كله متغلب وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض

(٣) غاض : قل ونقص ، وأعوز الشيء : عز فلا يكاد يوجد يقول : لا ترى الوفاء
 في عدة : أي إذا وعدك أحد بشيء لم يف به ، ولا يوجد الصدق في إخبار ولا قسم : أي
 إذا أخبرك أحد بشيء لم يصدق فيه ، وإذا حلف لم يصدق .

(٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته في جوب المفاوز والتمرس بالمهاالك واقترانها
 وهو غاية ألم النفوس . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى
 الموت بقاء لدركها أما كن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركوبها .

(٥) الخطم - بالضم - جمع حطوم ، وبفتح الطاء . جمع الحطمة : أي التي تحطم
 من ألت به . وصبر جسمي : يروي : وصبر نفسي .

(٦) وقت : أي لى وقت ، فهو مبتدأ محذوف الخبر ، أو تقول : إن التقدير : هو
 وقت فيكون « وقت » خبر مبتدأ محذوف . يقول : لى وقت أو هو وقت يضيع في مخالطة

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبَابِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ^(١)

وقال يمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه :

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَمَا أَنْكَ صَيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمًا^(٢)
كَأَنَّمَا مَائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ بِحَرٍّ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ عَنَمًا^(٣)

أهل هذا الدهر ومصاحبهم ، لأنهم سفلت أنذال يضيع الوقت بصحبهم؛ ولت مدة عمرى كانت في أمة أخرى من الأمم السالفة التى تقدر الرجل حق قدره . يشكون أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم .

(١) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حدثان الدهر وجدته فى هرم وأتاهم بما يفرحون ، ونحن أتيناهم وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البسى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال :

لَا غَرَوْا إِنْ لَمْ نَجِدْ فِي الدَّهْرِ مُحَرَفًا فَقَدْ أَتَيْنَاهُ بِمَدِّ الشَّبَابِ وَالْخُرُوفِ
وقد نظر المتن فى بيته إلى قول من قال :

وَنَحْنُ فِي عَدَمٍ إِذْ دَهَرْنَا جَذَعٌ فَالآنَ أَمْسَى وَقَدْ أَوْدَى بِهِ الْخُرُوفُ

(٢) نثره . أى منثوره - أى ما نثر منه - والديم : جمع الديعة ، وهى المطر الدائم فى سكون ، يريد أن الورد لسكرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم : قد صيرنى الأمير مطرا . يقول : قد صدق الورد فيما قاله ، لأننا نراه كذلك .

(٣) مائج : يروى مازج ، والغم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها الينان المخضوب ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبِ رَخْصِ الْيَنَانِ كَأَنَّهُ عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ^(١)

يقول : كأن الهواء - وهو مائج بهذا الورد عند نثره بجر من الغم ، يريد كثرة الورد فى الهواء ، حتى صار كأنه بجر قد حوى الغم مثل مائه كثرة .

(١) لم يعقد : يريد لم يدرك بعد .

نَائِرُهُ نَائِرُ السُّيُوفِ دَمًا وَكُلُّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكْمًا^(١)
وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَلَ الصِّيَاحَ بِهَا وَالنِّعَمَ السَّابِقَاتِ وَالنِّقْمَ^(٢)
فَلِيرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلَامًا^(٣)
وَقُلْ لَهُ لَسْتُ خَيْرَ مَا نَثَرْتُ وَإِنَّمَا عَوَّذْتُ بِكَ الْكَرَمًا^(٤)

(١) يقول : إن الذي نثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف : أى يفرقها في أعدائه وهى دم - أى متطلحة بالدم - فكانها دم ، وينثر كل قول يقوله وهو حكم : أى إذا قال قولاً قال حكمة . هذا : ومن نصب « كل » فعلى أنه معطوف على المعنى ، كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، ومنه قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً والشمس » يريد في قراءة الحرمين ، وأبى عمرو وابن عامر . على معنى : وجعل الشمس .

(٢) الخيل : عطف على ما قبله . قال الواحدي : والسابقات : التامات ، ويقال فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الخرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شيء آخر ، هذا هو الأصل في تفصيل العقود ، ثم يسمى نظم العقد تفصيلاً ، فيقال عقد مفصل : إذا كان منظوماً ؛ ومنه قول امرئ القيس :

* تَعَرَّضَ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ^(١) *

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيل : أى تمكن من جمعها بالخيل وجعل جمعها تفصيلاً . لأنها أنواع ، فجعل ذلك كتفصيل العقد . يقول : إنه ينثر الخيل - أى يفرقها في الغارة - ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التي ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه انتهى كلام الواحدي ، ويؤخذ من كلامه أن « النعم » عنده - عطف على « الخيل » ، ولكن الأوجه جعلها عطفاً على « السيوف » أى والذي ينثر الخيل - أى يفرقها - في الصياع فينظمها بها ، والذي ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٣) أحسن منه : مفعول ثانٍ لـ « ليرنا » ، والضمير في « منه » للورد . يقول : إن يده تنثر ما هو أحسن من الورد - يريد الدنانير والدرهم - فإن كان الورد يشكو يده - لأنها نثرته - فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جود يده .

(٤) عوذه : رقا رقية تدفع عنه السوء . يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت

(١) من معلقته ، وصدره :

* إِذَا مَا الثَّرَى فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ *

خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى^(١)

يد هذا الملك ، وإنما خشيت أن تصيبه عين الناس حين يرون سعة بذله بذلك . فنترك وقاية لكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(١) خوفا : مفعول له عامله عوذت ، وبها يصاب : رواها ابن جنى « بها يعان » من قولهم عين الرجل فهو معين ومعينون : إذا أصابته العين - وقوله أصاب عينا إلى آخره دعاء ؛ وعمى : فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها .

قال الواحدى : وهذه الأبيات فى نثر الورد غير مليحة ، وليس التنبيه من أهل الأوصاف ، قال العبرى : إنما التنبيه من يحسن الأوصاف فى كل فن ، وإنما هذا الذى يأتى له فى البديهة والارتجال - أو فى وقت يكون على شراب أو غيره فلا يعتد به . ولو كان أبو الفتح ابن جنى عمل صوابا لكان أسقطه من شعره .

قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنْبوس سنة أربعين وثمانئة وبلغه أن
المدو في أربعين ألفا ، فتهيبتهم أصحابه ، فأنشد أبو الطيب بحضرة الجيش :

تَزُورُ دِيَارًا مَا نَحِبُهُ لَمَّا مَغْنَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِينَهَا الْإِذْنَ^(١)
نَقُودُ إِلَيْهَا الْآخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى عَلَيْهَا السَّكَاةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّ^(٢)
وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهُوَى
وَنُرْضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلَآهَ وَلَا يُسَكَّنَى^(٣)

(١) المغنى : المنزل الذى كان به أهله فغنى بهم . لما قال تزور والزيارة تقتضى المحبة
نفى أن يكون محبا لتلك الديار ، لأنها ديار أعداء . يقول : تزور هذه الديار على غير محبة
لغنى من مغانيها لأنها ديار عدو ، وإذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن فى ذلك من غير
ساكنها أى استأذنا فى الإسراع إليها والتشعب فيها للاغارة : سيف الدولة ، لأصحابها
الروم .

(٢) المدى : الغاية . والسكاة : جمع كى ، وهو البطل المستقر فى السلاح . يقول :
نقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التى نراى إليها ونحز لنا قصب السبق ،
عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها .

(٣) نصفى : نحص . وأراد بالذى يكنى أبا الحسن : سيف الدولة ، لأن اسمه على ،
والذى : مفعول أول لنصفى ؛ مفعول ثان . وقوله يسمى الإله ولا يكنى : أى أنه
سبحانه لا كنية له ، وتعالى عن الولد حتى يكنى به يقول : ونصفى سيف الدين مودتنا
فنتقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب . هذا ويقال كنيت
فلانا ، إذا دعوته بكنيته تعظيما له أن تدعوه باسمه . والعرب - كما قال العكبرى - كانت
تكنى أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله
عليها وسلم كان يدخل بيت أبى طلحة الأنصارى وكان له ولد صغير من أم سليم - وهى
أم أنس بن مالك - فكان يقول له - أى لولده - « يا أبا عمير : ما فعل النغير (١) » .

(١) النغير تصغير النغر ، وهو فرخ الصفور أو طائر يشبه الصفور أو من صغار
المصاير تراه أبدا صغيرا ضاويا ، وكان لهذا الولد نغر .

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّنَا إِذَا مَاتَرَ كُنَّا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدُنَا^(١)
وَأَنَا إِذَا مَا أَلَمْتُ صَرَحَ فِي الْوَغَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الْعَرْبَ وَالطَّعْنَ^(٢)
قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا وَقُلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمْنَا^(٣)
وَحَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الْأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكْدُسُنْ مِنَّا عَلَيْنَا وَمِنْ هُنَا^(٤)

(١) يقول : إذا أبنا من أرضهم عدنا إليها : أي فلا نكف عن قتالهم .

(٢) صرح : برز وظفر ؛ والوغى : الحرب . يقول : إذا صار للوت صريحاً في الحرب بارزاً ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرمح والضرب بالسيوف : أي اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه .

(٣) لقاءه مرفوع بـ « حبيت » : أي المحبوب لقاءه يقول : قصدنا الموت كما يقصد ما يحب لقاءه وقلنا للسيوف هلمى إلينا أدخل على « هلمى » نون التوكيد ، وحذف الياء لالتقاء الساكنين ، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا . ومن ضم « اليم » خاطب السيوف مخاطبة من يعقل ، كقوله تعالى « ادخلوا مساكنكم » ثم أسقط الواو من « هلموا » لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة ولأئمة النحو في هلم كلام كثير ولعل أوجه ما قاله الخليل ابن أحمد قال : أصله لم من قولهم : لم الله شعثه أي جمعه ، كأنه قال : لم نفسك إلينا . أي اقرب و « ها » للتنبية ، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعل اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير في لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » وأهل نجد يصرفونها فيقولون للثنين : هلمنا ، وللجمع : هلموا ، والمرأة : هلمى ، وللنساء : هلمن . والأول أفصح ، وقد توصل باللام فيقال : هلم لك ، وهلم لسا ، كقولهم : هيت لك ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت هلمن يارجل ، والمرأة هلمن - بكسر اليم - وفي التثنية : هلمان للمذكر والمؤنث جميعا ، وهلمن يارجل ، وهلمنان يانسوة . وإذا قيل لك هلم إلى كذا : قلت : إلام أهلم - بفتح الألف والماء - كأنك قلت : إلام « ألم » وتركك الماء على ما كانت عليه ، وإذا قال لك هلم كذا وكذا : قلت : لا أهله ، أي لا أعطيه .

(٤) يريد بالخيـل : خيل العدو ، وحشوناها الأسنة : أي جعلنا الأسنة حشوا لها بأن طعناها بها . وتكدسن : أي الخيل - أي خيل العدو - أي اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . و « هنا » بمعنى ههنا ، ومنه قول العجاج :

* هُنَا وَهَنَا وَهَلَى الْمَسْجُوحِ *

ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِرِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَا^(١)
تَمَدُّ الْقُرَى وَالْمُسُ بِنَا الْجَلِيشَ لَمَسَةً نُبَارُ إِلَى مَا تَشْتَهِي بِذِكِّ الْيُمْنِ^(٢)
فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنَاسٌ تُنْبِغُ الْبَارِدَ الشَّخْنَا^(٣)

« يصفه بالعطاء : أى يعطى يمينا وشمالا ؛ وعلى حجيته : أى طبيعته . وقد أخذ
المتنى قوله حشوناها الأسفة من قول الوليد بن المغيرة :

وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ الْجَدُّ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَآخَرَ يَهْوِي قَدْ حَشُونَاهُ ثَمَلِبَا
« يقال للقتيل ركب رده : إذا خر لوجهه على دمه ، وأصل الردع : التلطع
بالزعفران ، والثعلب . طرف الرمح الداخل في جبة السنان »

(١) قال ابن جنى : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا سيف الدولة فظنوم روما ،
فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين ، ولهذا قال « جهالة » ووصل
ضربنا بـ « إلى » و « عن » فقال ضربن إلينا ، و « عنا » على تضمينه معنى
« حشن » ونحوه .

(٢) تعد : تجاوز ؛ ونبار : نسابق . وروى نبادر : من المبادرة وهى الإسماع
يقول - لسيف الدولة - : تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيش الروم وأدنا . منهم
دنو اللامس من الملموس نسابق يدك اليمنى إلى تبليغك ما تريد من الظفر بهم : أى أن
الظفر يكون أسرع إليك مما لوتناولته بيدك ، هذا : وقد قال العكبرى في تفسيره
الغريب من هذا البيت : المباراة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر ، وباراه إذا جربه
واختبره ، وكذا الابتيار ، وأنشد للكيت .

قَبِيحٌ بِمَثَلِ نَمَتْ الْفَتَاةِ إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا
ولكن أهل اللغة يقولون : إن الذى بمعنى الاختبار هو البور . قال الأصمى : بار يبور
بورا إذا جرب ، قالوا : ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه إنه جرب بها ، فإن كان
كاذبا فقد ابترها ، وإن كان صادقا فهو الابتيار ، أفعال - من برت الشيء أبوره :
إذا خبرته - وأنشدوا بيت الكيت هذا ، وقول الكيت « إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا » أى
إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا بالصدق لاستخراج ما عندها .

(٣) اللقان موضع بالروم . يقول . تقادم عهدنا بسفك دماؤهم وقد برد ماسفكتنا
وعادتنا أن تنبع البارد من دماء الأعداء السخن منها ، يعنى لانفك من سفك دماؤهم
فإذا برد ماسفكتنا أتبعضه دما طرياحارا .

وَأِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَضْبَ فِيهِمْ
 فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضَّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا^(١)
 فَمَنْهُ الْإِلَى لَا نَأْتِي لَكَ نُصْرَةٌ وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَخَدَهُ أَغْنَى^(٢)
 يَفِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْمَلَا وَمَنْ قَالَ لَا أَرْضِي مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَذْنَى^(٣)
 فَلَوْلَاكَ لَمْ تَجْرِ الدَّمَاءُ وَلَا اللَّهُا وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا مَعْنَى^(٤)
 وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنًا^(٥)

(١) العضب : القاطع ؛ والقنا : الرماح ؛ واللدن : اللينة . ويقال رمح لدن - بفتح اللام - ورماح لدن - بضمها - يقول : إن كنت فيهم سيفاً قاطعاً فدعنا تقدم إليهم تقدم الرماح ، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيوف . قتل إن سيف الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة « سمندو » وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفاً ، فتهب جيشه للسير إليهم ، فلما أنشد هذا البيت ، قاله سيف الدولة قل لهؤلاء - وأغار بيده إلى من حوله من العرب والعجم - يقولوا كما تقول حتى لا ننثني عن الجيش ، فما تجعل أحد منهم بكلمة .

(٢) الألى : الدين ؛ ولا نأتى : لا نقصر ، ونصرة : تمييز . يقول : نحن الذين لا نقصر في نصرتك ، وأنت لو اكتفيت بنفسك في قتال الأعداء لاستغنيت عنا .

(٣) الردى : الموت ، والأذنى : الدون : يعنى بهذا نفسه ، لأنه يطلب بخدمته العلى ولا يرضى عنده بالعيش الأدنى ، فكأنه يقول أفيك بنفسى .

(٤) اللهيا : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : لولاك لم تكن شجاعة ولا جود ، لأن الدماء إنما تجري بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجري بجودك ، ولولاك لم يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى .

(٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة ، وذلك أنه أراغهم على الذهاب إلى الروم ، فخافوا خوفاً منهم على أنفسهم . يقول : الخوف على الحقيقة ما يراه الإنسان خوفاً ، فإن خاف شيئاً غير مخوف فقد صار خوفاً ، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن ؛ وهذا من قول دعبل :

مِى النَّفْسِ مَا حَسَنَتْهُ فَمَحَسَنَ لَهَا وَمَا قَبَحَتْهُ فَمَقَبَحَ

وخال يمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج ورحا وفرساً ممها مهرها ، وكان
المهر أحسن :

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حَيَاتَهَا إِذَا نَشِرتْ كَانَ الْهَبَاتُ صِيَوَانَهَا^(١)
تَرِينًا صِنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكُهَا وَتَجَلُّوْا عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا^(٢)
وَلَمْ يَكُنْهَا تَصْوِيرُهَا الْخَلِيلَ وَحَدَهَا فَصَوَّرَتِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا زَمَانَهَا^(٣)
وَمَا أَذْخَرَتْهَا قُدْرَةً فِي مُصَوِّرٍ سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا^(٤)
وَتَتَمَرَاهُ بَسْتَقْوَى الْفَوَارِسِ قَدْهَا وَيَذْكُرُهَا رَأْيَهَا وَطِعَانَهَا^(٥)

(١) ثياب - بالرفع - على أنه مبتدأ محذوف الخبر ، أو فاعل للفعل محذوف : أى
هندى ثياب كريم . أو أنتهى ثياب كريم . والصوان : التخت ، وهو ما يصون الثياب
ويحفظها . يقول : أنتهى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، وإنما يهبها ، فليس لها
صوان غير الهبات : أى أنه لا يصونها فى الصوان وإنما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله
« كان الهبات صوانها » : أن ما يصونها من لفاف ومنديل كان هبة أيضاً ، كما قال
فى موضع آخر :

• أَوَّلُ مَحْمُولٍ سَبِيهِ الْحَمَلَةِ •

(٢) الصنّاع : المرأة الحاذقة بالعمل . والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية . يقول :
إن ناسجتنا من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم ، فمى ترينا إيام فيها ،
وترينا كذلك صورة نفسها وجواربها .

(٣) يقول : لم تكنف بتصوير الخيل وحدها ، بل صورت الأجسام وما يمكن
تصويره فلم تترك شيئاً إلا صورته ما عدا الزمان ، لأنه لا صورة له ، فذلك لم تصوره .

(٤) يقول : إن هذه الصنّاع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئاً هو فى وسع المصور
إلا بذلته ، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان ، فهذا فقط هو الذى لم
تستطعه . هذا : وقوله « ادخرتها » لا يتعدى إلى مفعولين لكنه ضمير فعلا فى معناه
يتعدى إلى مفعولين ، كأنه قال : وما حرمتها قدرة .

(٥) سمراء : عطف على قوله ثياب كريم — فى البيت الأول . - وقد كانت فى
جملة الهبات . يريد قناة سمراء ، واستنواء قدها الفوارس إطاعه إيام بطوله وملات
وشرائط كاله فى تصريفه واستعماله ، وإظهار مجزّم عنه إذا باشروا ذلك ، وتذكيرهم
السكر والطمع .

رُدِّيْنِيْةٌ تَمَّتْ فَسْكَادَ نَبَاتُهَا يُرْكَبُ فِيهَا رُجُهَا وَسِفَانُهَا^(١)
وَأُمُّ عَتِيْقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مِنْ أَعْجَبَتِهِ فَقَانَهَا^(٢)
إِذَا سَايَرَتْهُ بَايَنْتُهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا^(٣)
فَأَيْنَ الَّتِي لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى وَلَا تُعْطَى سِوَاىَ أَمَانَهَا^(٤)
وَأَيْنَ الَّتِي لَا تَرْجِعُ الرُّمَحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى بَدَى عِنَانَهَا^(٥)
وَمَالَى ثَنَاءً لَا أَرَاكَ مَسْكَاةً قَهْلَ لَكَ نَعْمَى لَا تَرَانِي مَكَانَهَا^(٦)

(١) ردينية : أى أنها مما عملته ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح ، والزج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان : الذى يحمل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها - الذى أنبته الله - كاد نباتها يجعلها ذات زج وسان .

(٢) أم عتيق : عطف أيضا على ثياب . والعتيق : الكريم من الخيل . وهانها : أصابها بعينه . يقول : وفرس أنى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الشرف دون عمه ؛ يعنى أن أباه كان أكرم من أمه ، لأن العم والأب أخوان كما أن الحال والأم أخوان ، فإذا كان العم أكرم من الحال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى خلقها الخ . يقول : كأنها مصابة بالعين لقبح خلقها . يريد أن الفرس كانت قبيحة ، أما المهر فكان جميلا .

(٣) شانتة : عابته وقوله فى عين البصير : لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه يقول : إذا سايَرَت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيتة عليها ، لأن للمهر أكرم من الأم وأجمل فهي تشين للمهر بقبحها ، ولأنها أمه ، وللمهر يزينا بحسنه ، ولأنه ابنها .

(٤) يقول : هلا أهديت إلى فرسا إذا ركبها خافت الفرسان شرها وشري ، ولا يحسن ركوبها غيرى ؟ أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب ؟

(٥) السنان : سير اللجام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا إذا طاعت عليها وقرطت عنانها (*) يبدى اليسرى : يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا : ويقال رجه رجه وأرجعه يرجعه فى لغة هذيل .

(٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له أنى عليك به ، قهل لك نعمى - نعمة - لا تعرفنى أهلا لها فتدخرها عنى .

(*) قرط الفارس عنان فرسه : مديده بالعنان لجملة على قذاز فرسه ، وهى تخضر تجرى - والمراد : أرخى العنان

ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة ، وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ الماء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا :
 حَجَبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارِ دُونَهُ يَذْمُهَا النَّاسُ وَيَحْمَدُونَهُ^(١)
 يَا مَاهُ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِنَهُ أَمْ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ^(٢)
 أَمْ انْتَجَبْتَ لِلْفِي يَمِينَهُ أَمْ زُرْتَهُ مُكْتَرَأَ قَطِينَهُ^(٣)
 أَمْ جِئْتَهُ مُحْنَدِقًا حُصُونَهُ إِنْ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ^(٤)
 يَا رَبِّ لُجَّ جُمِلَتْ سَفِينُهُ وَعَازِبِ الرُّوضِ تَوَفَّتْ عُونُهُ^(٥)

(١) يريد بالبحر : سيف الدولة ؛ وبالبحار : أمواه ذلك النهر ، ثم قال : هي دونه في الشرف والنفع ، وأنها قامت له مقام الحاجب : فثمنت الناس من زيارته ، فهي لذلك مذمومة وهو محمود ، قال العكبري : يقال إن سيف الدولة رأى في المنام أن حية طوقت داره ، فعظم ذلك عليه ، ففسر ذلك أنه ماء ، فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان بمحضر رجل ضرير من أهل العلم يفسر للنامات ، فدخل على سيف الدولة ، فقال له كلاما معناه : إن الروم تحتوى على دارك . فأمر به فأخرج بصنف ، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب ، واحتلوا على دار سيف الدولة ، فدخل عليه الضرير بعد ذلك ، فقال : هذا ما كان من المنام ، فأعطاه شيئا .

(٢) للمعين : الماء الذي يخرج من الأرض ، من عين ونحوها . يقول هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه ، أم أردت أن تكون مثله في الندى فزخرت وزدت .

(٣) أصل الانتجاع : طلب للرعى ، ويقال انتجعه : أى قصده يطلب معروفه .
 والقطين : الجماعة يسكنون مكانا ، والمراد : حشمه وأتباعه وأهل منزله قال :

نَهْتُهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ الْقَهْقَى عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا شَجَاهَا قَطِينُهَا

يقول : أم جثته تطلب معروفه لتصير غنيا ، أم أتيت زائرا لتكثير من عنده في مجلسه ؟

(٤) الخندق : معروف ، وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم جثته لتعفر خندقا لحصونه نمنا للعدو ؟ لاجابة به إلى الخندق ، لأن جياده - خيله - ورماحه تمنعه وتغنيه عن الخنادق والحصون .

(٥) اللج : جمع لجة ، ولجة البحر : معظمه ؛ والسفين : جمع سفينة ؛ والعاذب :

(٢٠ — التنبي ٤)

وَذِي جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُفُونَهُ وَشَرَبَ كَأْسَ الْكَفَرَةِ رَيْنَهُ (١)
وَأَبْدَلَتْ غَنَاءَهُ أَيْنَهُ وَضَمَّتْ أَوَّلَهَا عَرِينَهُ (٢)
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا جَبِينَهُ يَقُودُهَا مَسْمُوداً جُفُونَهُ (٣)
مُبَاشِراً بِنَفْسِهِ شُشُونَهُ مُشْرِقاً بِطَفْنِهِ طَمِينَهُ (٤)
• عَفِيفَ مَا فِي تَوْبِهِ مَأْمُونَهُ (٥) •

البعيد والعون : جمع غانة ، وهي القطعة من حمر الوحش . وتوقفا : أخذتها وافية ،
وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فمكّن له كالسفين ، ورب
روض بعيد الراعى أهلكته خيله حمرة . وجميع ما فيه من أنواع الوحش فصادتها
بجملتها .

(١) وذی جنون : أي ورب ذی جنون - یعنی عاصيا متمردا مغرورا بهمه -
أذهبت الخيل جنونه : أي أذلته حتى انقاد وأطاع ، ثم قال : ورب شرب - اسم جمع
بمعنى الشاربين - أي رب قوم لاهين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل
حتى كثرت رنينهم - أي صياحهم وبكاؤهم - على قتلاهم ، هذا : ويجمع « الشرب » على
« شروب » ، قال الأعشى :

هو الواهبُ السَّمْعَاتِ الشُّرُوبَ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَبَيْنَ الْكَتَنِ (١)

(٢) الضمير في « غنائه ، وأينته » للشرب ؛ والضميم : الأسد ، والعرب :
مأوى الأسد . يقول : وأبدلت الخيل غناء الشرب وطريه أيننا ، لما ألم به من
قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطنتها
وأخذت بلاده .

(٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطنت خيله جبينه وهويقودها
إليه لا يعطى جفنه حظا من النوم لسرعة السير واتصاله .

(٤) طمينه : مطمونه . يقول : إذا طمن إنسانا شرفه بطمعه إياه ، لأنه رآه أهلا
للمبارزة والمحاربة .

(٥) يقول : إنه عفيف الفرج مأمونة لا يقرب الزنا .

(١) الكتن : الكتان ، حذف الألف « الألف » من الكتان وصماه الكتن للضرورة
قال ابن : لم أسمع الكتن في الكتان إلا في شعر الأعشى ، وللمسمعات : اللغنيات
جمع مسمعة .

أَبْيَضَ مَا فِي تَاجِهِ مَيِّمُونَهُ^(١) بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ^(٢)
 * شَمْسٌ تَمْتَحِي الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَهُ^(٣) *

إِنْ تَدْعُ بِأَسِيفٍ لِنَسْتَعِينَهُ يُجِبُكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سَيْفَهُ^(٤)
 أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمَكِينَهُ مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ^(٥)

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلثمائة وأنشده
 إياها بآمد :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَفَى الْمَحَلِّ الثَّانِي^(٦)
 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرْقٍ بَلَفَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(٧)

(١) يقول : إنه أبيض الوجه مباركه .

(٢) النون : الحوت . يقول : هو بحر — أى كثير المطاء — يصغر كل ملك
 بالإضافة إليه .

(٣) يقول : إن الشمس تمتحى أن تكونه ، لأنه أشرف منها وأكثر مناقب ، وذكر
 الضمير في «تكونه» لأنه عنى بالشمس الأولى المدحوح .

(٤) يقول : إن تدعه أيها المخاطب فقلت ياسيف — مستعينا — أجابك قبل إتمام سبيل
 السيف . يريد سرعة إجابته للداعى .

(٥) من صان : فاعل أدام ، وهذا دعاء يقول : أدام الله — الذى صان هذا المدحوح
 وصان دينه من أعدائه — تمكينه منهم — من أعدائه — فالضمير في « نفسه » للمدحوح ،
 وفي « دينه » لله سبحانه وتعالى .

(٦) الرأى : مبتدأ ، خبره : الظرف بعده : وقوله هو أول الخ : استئناف . يقول :
 إن العقل مقدم على الشجاعة ، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها
 وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة ، وإنما هي خرق . والحاصل أن العقل — في
 ترتيب للنائب — هو الأول ، والشجاعة ثان له .

(٧) ها : فاعل المحذوف يفسره المذكور ، والأصل : إذا اجتماعا اجتماعا ، حذف الفعل
 الأول وانفصل ضميره ، والظرة — بكسر الميم — القوة والشدة ، والمراد الإباء وهزة
 النفس ، وأصل المرة لإحكام القتل . يقال أمر الحبل إمراراً ، وتروى حرة بدل مرة .

وَلَرَبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ^(١)
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَعِيفٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ^(٢)
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النَّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الْكِمَاءِ عَوَالِي الْمُرَانِ^(٣)
لَوْلَا سَيْفُ سَيُوفِهِ وَمَضَاوُهُ لَمَّا سُلِّنَ لَكِنْ كَالْأَجْفَانِ^(٤)
خَاضَ الْحِمَامَ بَيْنَ حَتَّى مَا دُرِيَ أَمِنْ احْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِشْيَانٍ^(٥)

وتروى مرة - بضم الميم - من المارة : يقول : إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى
الذل والضم ولا تلين قناتها للأعداء : بلغت أعلى البالغ من العلى .
(١) الأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفء في الحرب ، يؤكد
تفضيل العقل ، يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالكيدة ولطف التدبير ودقة الرأي قبل
أن يصرح بالقتال .

(٢) و(٣) الضيفم : الأسد ، والمراد بأدنى ضيفم : أدون ؛ فأدنى : أخس وأدون .
وأدنى إلى شرف : أى أقرب . والكأمة : جمع كمى ، وهو البطل للشملة بالسلاح .
والعوالى : صدور الرماح . والمران : الرماح اللينة . يقول : إنما تتفاضل نفوس الحيوان
بالعقل ، فالأدنى أفضل من البهيمة بعقله ، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضاً ، كما قال
الأمون : الأجسام أبضاع ولحوم ، وإنما تتفاضل بالعقول ، فإنه لا لحم أطيب من لحم .
وقوله ودبرت : أى ولما دبرت أى إنما توصلوا إلى استعمال الرماح في الحرب بالعقل ،
ولولا العقل ما عرفت الأيدى تدبير الطعان بالرماح . يريد أن الشجاعة إنما تستعمل
بالعقل . قال الخطيب التبريزي : غزت «تميم» حنيفة فاستأقت أموالاً ورجالا ، فبانت
حنيفة ثلاثاً ، ثم تبعوهم ، فقبل لعلام منهم : كيف صنع قومك بهوافر الخيل حتى
لحقوهم بعد ثلاث ؟ قال : جعلوا المران أرضية للموت ؛ فاستبقوا بها
أرواحهم .

(٤) سمى سيوفه : يعنى سيف الدولة . والأجفان : جمع جفن ، وهو غمد
السيف . يقول : لولا سيف الدولة ما أغنت السيوف شيئاً ، ولكانت في قلة الغناء
كالأجفان ، لأن السيف إنما يعمل بالضارب ، وهذا مثل قول عمرو بن معد يكرب
الزبيدي أحد فرسان العرب ، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال :
إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٥) يقول : خاض الحمام الموت - بسيوفه حتى لم يعلم ذلك الخوض من احتقار الموت أم

وَسَمَى فَقَصَرَ عَنْ مَدَاهُ فِي اللَّغَى أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ^(١)
تَحَذُّوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنْ الشَّرُوحَ بِمَجَالِسِ الْفُقَيَّانِ^(٢)
وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى وَالطَّعْنَ فِي الْمَهْجَاءِ غَيْرِ الطَّعْنِ فِي الْمِيدَانِ^(٣)
قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَقْضِ إِلَّا إِلَى الْمَعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ^(٤)
كُلُّهُ ابْنُ سَابِقَةٍ يُغَيِّرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْإِحْزَانِ^(٥)
إِنْ خُلِيتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى فَدَعَاوَهَا يُغْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ^(٦)

نسيان للموت وغفلة عنه ؟ ودرى : مجهول « درى » لغة طيء . وثانى مفعولى « درى » محذوف سد مسده جملة الاستفهام .

(١) اللدى : الغاية ؛ وأهل الزمان : أصحاب أهل الزمان الحاضر : فـ « أل » فيه للمهد الحضورى : أى قصر عن بلوغ ما بلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره .

(٢) تحذوا واتخذوا : بمعنى . يقول : إن أهل الزمان مجالسهم فى البيوت ، أما هو فإنه يرى أن الفتى لا يليق به أن يتخذ البيوت مجالس ، وإنما سروج الخيل يقضى أياه عليها فى الغارة على أعدائه .

(٣) الوغى والمهجاء : من أسماء الحرب . وقوله والطعن إلى آخره : كلام مستأنف يقول : وظنوا أن الحرب لعب : أى إذا لعبوا فى الميدان فطاعنوا بالرمح ظنوا أن ذلك هو الحرب ، والطعن فى اللعب غير الطعن فى الحرب ، لأن طعن اللعب طعن مع إبقاء ولا إبقاء فى الحرب . يريد أن أهل زمانه لاهون ، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى .

(٤) يقول : إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال فى الحرب ، فقد قادها إلى ما هو عادة له وإلى وطنه ، لأنه من للمركة فى وطن .

(٥) كل : إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد ، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد ، وابن سابقه : أى كل فرس ولدته سابقة من الخيل . يقول : كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه .

(٦) الوغى : من أسماء الحرب ؛ والأرسان : جمع رسن ، ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف . يقول إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تفرج من مكانها

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غِبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْعِرُنَ بِالْأَذَانِ^(١)
يَزِمِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانَ^(٢)
فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتَرْبَةٍ مَنِيَجٍ يَطْرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ^(٣)
حَتَّى عَبَزْنَ بِأَرْسَنَاسٍ سَوَاحِمًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ^(٤)
يَقْمُضْنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الْفُحُولَ وَهْنٌ كَالْخُصْيَانِ^(٥)

فكانها مربوطة ، وإذا دعوتها أتتك ، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن ؛ قال ابن جني : وهذا كقوله .

تَمَطَّطُ فِيهِ وَالْأَعْفَى شَعْرُهَا وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسَّيَاطُ كَلَامُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم . وفي جحفل : حال من الجياد . يقول : قاد خيله في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون ؛ فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسة نظرها ؛ ولا سكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها ، فكانها تبصر بآذانها ، وهذا من بديع التخيل ، وفيه نظر إلى قول البحرى :

وَمُقَدِّمُ الْأُذُنَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ بِهِمَا رَأَى الشَّخْصَ الَّذِي لِأَمَامِهِ

(٢) يريد بالمظفر : سيف الدولة . يقول : إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر ؛ فلا يبعد عليه شيء ، فالبعيد في نظره كالقريب في نظر غيره . لعزمه على الأمور .

(٣) منبج : بلد بالشام : — على مرحلتين من حلب — وحصن الران : من بلاد الروم . يريد سعة خطورها في العدو — الجرى — يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعد مواقع أيديها من أرجلها ، أى كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة . قال ابن جني : وبين « منبج » و « حصن الران » مسيرة خمس ليال .

(٤) أرسناس : نهر بالروم ، بارد للماء جداً ، يريد — لسرعته في السباحة — تنتشر عمايم فرسانها .

(٥) يقمضن : يثبن . والمضى : جمع مدية — السكين . يقول : إن الخيل تثب في هذا النهر الذي هو كالمدى — السكاكين — لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدى من ماء بارد يذر — يدع — الفحل كالخصى لتقلص . خصيته لشدة برده .

وَالْمَاءَ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ ^(١)
 رَكْضَ الْأَمِيرِ وَكَالْعَجِينِ حَبَابُهُ وَتَفَى الْأَعْنَةُ وَهُوَ كَالْعَقِيَانِ ^(٢)
 فَتَلَ الْجِبَالَ مِنَ الْفَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ ^(٣)
 وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِفَسْرِ قَوَائِمِ عُقْمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ ^(٤)
 تَأْتِي بِمَا سَبَتْ الْخَيُْولُ كَانَهَا تَحْتَ الْحَسَانِ مَرَايِضُ الْغِزْلَانِ ^(٥)

(١) المعجاجة : الغبرة . يقول : إن الجيوش صار فريقين في عبور هذا النهر : فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولكل واحد منهما عجاج - غبار - والماء بينهما ، فالمعجاجتان تفترقان بالماء وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما ؛ وقال ابن جني : يعنى معجاجة المسلمين ومعجاجة الروم قال الواحدى : وليس بما ذكر ، لأنهم عند عبور النهر ما كانوا قاتلوا الروم بعد . ولكن البيت التالى يؤيد ما ذهب إليه ابن جني . قال ابن جني : ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقنا ، وقلما تنور المعجاجة في الشتاء ؛ قال : وسألته : أى المتن - عند القراءة عن هذا ، فذكر أنه شاهده ، قال ؛ وكان في حزيران - وقال هو من أبرد المياه في كل وقت ، لأنه يذوب من الثلج .

(٢) اللجين : الفضة ؛ والحباب : الفقاقيع التى تملو الماء ؛ والأعنة : جمع عنان ، ما يصكون في رأس الفرس ؛ والعقيان : الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والماء أبيض كالفضة ، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب

(٣) الفدائر : جمع غديرة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والسفين : جمع سفينة . يقول : اتخذ جبال سفنه من ذوائب سبائك من نسايمهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معابدهم ، وذلك لكثرة ما غنم وسبى .

(٤) حشاه : فعل ماض ، والضمر للماء . وعادية : أى راكضة ، من العدو - الركض - وعقم : جمع عقيم ، وهو الذى لا يلد ؛ والحوالك : الشديدة السواد : يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها ، وهى عقم لا تلد ، وألوانها سوداء لأنها مقيرة - مطلية بالقار - شبه السفن بالحيل العادية والحيل لها قوائم ، ومن عاداتها أن تنتج ، فبين أنه أراد السفن .

(٥) يقول : إن هذه السفن تحمل النساء التى سبتهن الفوارس وكانهن غزلان والسفن

رَرَّ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَمَلَوَارِقِ الْحَدَثَانِ^(١)
 قَتَرَتْ كُتْبَهُ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى رَاعَاكَ وَاسْتَنْقَى بَنِي حَمْدَانَ^(٢)
 الْمُخْفَرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ صَارِمٍ ذِمَمَ الدُّرُوعَ عَلَى ذَوَى التَّيْجَانِ^(٣)
 مُتَصَلِّكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ^(٤)
 يَتَقَيَّلُونَ غِلَالًا كُلُّ مُطَهَّمٍ أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ^(٥)

مرايض لها ، هذا : والمرريض جمع مريض ، وهو ماوى الغنم والوحش ويجمع مريض على مرايض وأرباض ، قال المعجاج يصف الثور الوحشى ؛

واعتاد أرباضا لها آرى^(١) مِنْ مَعْدِنِ الصَّيْرِانِ عُدْمِي^(٢)
 (١) و(٢) بحر أى هو — النهر — بحر الح . وأذم له من فلان . أجاره منه .
 والحدثان : حوادث الدهر ونوابه . وقوله وإذا أذم ، جملة حالية : والورى : الخلق .
 وبنو حمدان : عشرة سيف الدولة . يقول : هذا النهر الذى عبره سيف الدولة بحر تعود
 أن يجبر أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ، ولكن لما عبرته
 أنت تركته يجبر أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك لا يقدر على
 عبوره .

(٣) المخفرين : نعمت بنى حمدان ، أو منصوب على اللدح . ويقال : خفرت الرجل :
 إذا أجرته وأخفرتة : إذا نقضت عهده . والأبيض : السيف . والصارم : القاطع . والقدم
 جمع ذمة : يقول : إن بنى حمدان هم الذين ينقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيوفهم
 لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لأنهم تحصنوا بها وهى وقاء لهم ، فكأنهم فى خفارتها
 جعل سيوف بنى حمدان تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم .

(٤) التصعلك . التشبه بالصعاليك ، وهم المتلصصون الذين لا مال لهم وعلى كثافة
 ملكهم : أى مع عظمة ملكهم وخفاته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك .
 لتعرضهم للغارات وشدايد الأسفار . وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرماء ولينا
 (٥) الثقيل : النوم فى القائلة ، وهى نصف النهار . والمطهم : الحسن التام الخلق
 من الحيل . والأجل وقت الشيء الذى يحل فيه ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم ؛

(١) اعتادها : أتاها ورجع إليها ، وقوله لها آرى : أى لها آخية من مكانى البقر
 لا تزول ، ولها أصل ثابت فى سكون الوحش ، بها قال ابن السكيت . وقد تسمى الآخية
 آريا ، وهو جبل تشد به الدابة فى محبسها ، والعدلى : القديم

خَضَعَتْ لِمَنْصُلِكَ الْمَاصِلُ عَنُودَ وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الْأَدِيَانِ^(١)
وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ وَالسَّيْرُ مُتَمَتِّعٌ مِنَ الْإِمْكَانِ^(٢)
وَالطَّرِيقُ ضَيْقَةٌ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا وَالْكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيمَانِ^(٣)
نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَضَعَدْنَ بَيْنَ مَنَاقِبِ الْعِقْبَانِ^(٤)

والظلم الذكر من النعام . والريقة : العروة من جبل يشد بها والسرطان : القذبة .
يقول : إذا خرجوا في الغارات استظلوا عند اعتداد الحر بظل خيولهم ، يعني أنهم مثل
البدو لا ظل لهم ، فإذا قالوا - من القيلة - لجأوا إلى ظلال خيلهم .
ومعنى قوله :

* أجل الظلم وريقة السرطان *

أنها - الخيل - إذا طردت النعام والذئاب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو .
وهذا من قول امرئ القيس :

بُمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلُ

وامرؤ القيس : هو أول من قال « قيد الأوابد » ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومي في الغزل :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوَ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُعْلَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمَحَدَّثُ أَنَهَا لَمْ تُوجَزِ
شَرُّ الْعُقُولِ وَتُرْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطَمِّنِّ وَعَقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرِ

ورواية يتقيلون : هي رواية ابن جني ، وذهب في معناها مذهبا غير الذي أسلفنا ،
قال يتقيلون من قولهم فلان يقيل أباه ؛ إذا كان يتبعه ، والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين
في الشرف والسبق إليه كالفرس المظم . وقال ابن فورجه وابن القطائع : إنما الراوية
يتفياون ، يعني أنهم يستظلون في شدة الحر بأفياء خيلهم يصفهم بالغرب والتبدي - أي
القشبة بأهل البادية .

(١) المنصل : السيف ؛ وعنود : أي قهرا .

(٢) (٣) و(٤) على الدروب : صلة نظروا في البيت الثالث - أو حال من ضميره ؛

والدروب : المداخل إلى الروم . والغضاضة : الغلة والعار - أي ما يغض منه الإنسان ؛
والقنا : الرماح . والمراد بالكفر والإيمان . أصحابهما والزبر : جمع زبرة ؛ وهي القطعة
من الحديد والبراد : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، الطائر المعروف . يقول : حين

وَفَوَارِسُ يُخَيِّمُ الْجَمَامُ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ^(١)
مَا زِلْتَ تُضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذَّرَى ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ^(٢)
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانٍ^(٣)

كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تصذر علينا الانصراف والرجوع ، لما في ذلك من العار والغضاضة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أماننا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واشتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم - في هذه الأحوال وفي هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع في الهواء - عند رفع الأبطال إياها للضرب - كأنها تصعد يا منكب العقبان ، فلا يرونها إلا فوق رؤوسهم أو تقول : في هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون في الحديد ، حتى كأنهم قطع الحديد ، لاشتباهه عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان في خفتها وسرعتها .

(١) فوارس : عطف على « زبر الحديد » . والحمام : الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا في الحرب حيوا : أي يرون حياتهم في قتلهم في الحرب ، وكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان لا يحيى بهلاكه ، يعني أنهم غزاة مجاهدون في سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حياً مرزوقاً عند الله ، كما قال سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَسْتَعِذُّونَ مِنِّي يَا هُمُ كَأَنَّهُمْ لَا يَيَاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقال ابن القطاع : هو مأخوذ من قول زهير ثقله نقلا :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تَمَطِّيه الذِّى أَنْتَ سَائِلُهُ

وهو من الأخذ الخفي ، لأن زهيراً جعل الممدوح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل المتنبي هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل في الحرب حتى كأنه حياة .

(٢) الدراك : للتأبعية . والذرى جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ . يقول : مازلت تضربهم ضرباً متتابعاً في أعالي أبدانهم ، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين ، من السرعة ، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضاً ، فكأنه سيفان . وقال ابن جني : يريد أنك سيف ومعك سيف ، فالضرب ضرب سيفين .

(٣) الضمير في « خص » يعود على الضرب والجمام : جمع جمعة ، وهى عظم الرأس الشتمل على الدماغ . يقول : إن هذا الضرب لا يقع إلا في وجه أو في رأس ، لأنه

فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَذْبَرُوا يَبْغِشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً حُرْمُوا الَّذِي أُمِلُوا وَأَذْرَكَ مِنْهُمْ وَإِذَا الرِّمَاحُ شَفَلْنَ مُهْجَةً نَائِرٍ يَطْوُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانَ^(١) يُمْتَقِفُ وَمُهَنْتِدٍ وَسِنَانَ^(٢) أَمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحَرَمَانِ^(٣) شَفَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنْ الْإِخْوَانِ^(٤)

أوحى قتلا ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكان أجسامهم أمت إليك بأمان ، ومن ثم لا تعرض لها .

(١) الحنية : القوس . والمرنان : التي يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التي كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مدبرين يطوان في هزيمتهم تلك القسي . التي رموك بها .

(٢) مفصلاً : من تفصيل القلادة ، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة وللتقف : المقوم ، يعني الرمح . والمهند : السيف الهندي . والسنان : الزج الذي في أسفل الرمح يقول : كان وقع السلاح كوقع المطرياتي دفعة دفعة ؛ وأراد بالسحاب : الجيش ؛ وبالطر الوقعات التي تقع بهم من السيوف والرماح ؛ وهي تقع بهم مفصلة ، لأنهم يضربون تارة بالرمح وتارة بالسيوف .

(٣) يقول : حرموا ما أملوا من الظفر بك ، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرماني بعد نفسه مدركا أملة ، لأنه نجا بنفسه ، « عاد » يروى عاذ — بالذال للمعجمة — من عذت بالشئ : امتنعت به ، وعلى هذه الرواية يكون المعنى : أدرك أملة منهم من لجأ إلى الرضى بالحرماني فترك الحرب وسلم بنفسه . هذا : ويقال أملت الشئ : تأملا ، وأملته أملة أملا .

(٤) المهجة : الروح . والثائر : طالب الدم . يقول إذا تناوشت الرماح صاحب ثار شغلته سيانة روحه عن إدراك ثار إخوانه . يعني أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن إدراك ثار قتلاهم وهنا زلت قدم ابن القطاع ، فذهب في تفسير البيت إلى غير الذي ذكرنا وخبط خبط عشواء ، قال : هذا البيت من معانيه الغامضة . وذلك أنه في مدح سيف الدولة ، وظاهره مجاء محض ، لأنه يقول : شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ؛ وهذا غاية المجور ، لأن العرب يمدحت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم ، وقد قال : إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان ، فحذف الجار ، وقد قيل فيه : إن معناه : إذا الرماح شغلن مهجة ثائر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة ، بالدفاع عن الإخوان ، فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة ،

هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبُ كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَّ الْعَانِي (١)
وَمَهْذَبُ أَمْرِ النَّبَايَا فِيهِمْ قَاطَمُنُهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ (٢)
قَدْ سَوَدَّتْ شَجَرَةُ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ فَكَأَنَّ فِيهِ مُسْفَةَ الْغُرَبَانِ (٣)
وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ (٤)
إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجُمُعَانِ (٥)

والثاني يكون « شغلته » صفة لثأر ، وهذا إن سلم من المجيء صح به المعنى ، فإن الكلام يحتمل في الحذف مالا يحتمله ، والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله « عن » بمعنى الباء ، فيكون المعنى شغلت سيف الدولة مهجته بإخوانه ؛ وهو مثل قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » أى بالهوى .

(١) العواد : للعاودة ، مصدر عاود ، بمعنى عاد . والقواضب : السيوف ؛ والعاني : الأسير . يقول : بعد ما أملاوا من العود إلى القتال فقد طاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتل منهم وقل من يفرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب : عطف على « قواضب » : يقول : يعوقهم عن العودة مهذب — يعنى سيف الدولة — أطاعته للنبايا في إهلاكهم — أى الروم — وهذه الطاعة : أى طاعة النبايا له هى طاعة لله سبحانه ، لأنه جهاد فى سبيل الله .

(٣) للسفة : من قولهم أسف الطائر : إذا دنا من الأرض فى طيرانه . والضمير فى قوله « فيه » للشجر . يقول : كثرت قتلام حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكأن الغربان وقعت عليها . شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغربان السود .

(٤) النجيع : الدم . والقاني : الشديد الحرارة . وأصله الهمز فلينه لتصرير . والنارنج : معروف . يقول : لما بعثر شعورهم على الأشجار اسودت ، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر ، فصار لحرته كأنه النارنج فى الأغصان .

(٥) يقول : إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لا يفرعون فى الحرب ، كما لا تفزع هى ولا ذكر قلوبهم استعار لها — للسيوف — قلوباً ؛ وهذا من قول البحترى :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا بَرْغَادٍ لَزِيْفَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السِّيفِ حَامِلُهُ
قال ابن جنى : قوله إن السيوف مع : يدل على معنى النصر والمهونة ، كما تقول : الله معنا : أى معين وناصر ، وليست فى معنى الصلبة ، لأنها لو كانت كذلك لم يكن لها

تَلَقَى الْحَسَامَ عَلَى جَرَاءَةٍ حَدٍّ مِثْلَ الْجَبَانِ يَكْفُ كُلُّ جَبَانٍ ^(١)
 رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النَّيِّرَانِ ^(٢)
 أَنْسَابُ فَخْرِهِمْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْسَابُ أَصْلِهِمْ إِلَى عَدْنَانٍ ^(٣)
 يَا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحَتْ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ ^(٤)
 فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونِكَ نَاطِرِي وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فَيْكِ إِسَانِي

وقال في صباه في المکتب :

أَبْلَى الْهَوَى أَسْفَا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ ^(٥)

نفع ، والمراد أن السيف تنصر القدين قلوبهم كقلوبها ، وإنما يريد إذا كانوا ماضين في الحرب كانت السيف قاطعة ماضية .

(١) تلقى : أى أيها المخاطب . والحسام : السيف القاطع . وعلى جراءة حده : أى مع جراءة حده : يريد مع مضائه في الضريبة ، فعبّر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول : إن السيف الماضى إذا كان في يد الجبان لم يغن في يده شيئاً ، كما لا يغنى الجبان ، لأن الفعل للضارب .

(٢) العِمَاد : الأبنية الرفيعة ، يذكر ويؤنث : الواحدة عمادة ، ويقال : فلان رفيع العِمَاد : إذا كان في قومه شريفاً ، فهم يعنون عماد بيت الشرف ، والعرب تضع البيت موضع الشرف في النسب والحسب ؛ وانقمم : جمع قمة وهى أعلا الرأس ؛ وللواقد : جمع موقد . يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رؤوسهم نار الحرب ، ولك أن تقول : قاتلوا الملوك فقطعوا رؤوسهم وجعلوا جماجمهم أئناً في ، احتقاراً لهم .

(٣) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان ، ولكنهم في الفخر والشرف ينتسبون إليك .

(٤) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك : أى لا يمتنع منك قتل من أردت ، لكنك أحسنت إلى وغمرتني بإحسانك حتى قتلني : أى استعبدتني بالمنة والإحسان .

(٥) يقال : بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاه غيره يبله إبلاء . والآنسف : شدة الحزن ؛ ونصب « أسفا » على المصدر ، وعامله محذوف دل عليه ما تقدمه ، لأن « إبلاء

رُوحٌ تَوَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبِينِ^(١)

الهوى بدنه « يدل على أسفه ، كأنه قال أسفت أسفا : ويوم النوى : ظرف له «أبلى» ويجوز أن يكون معمول المصدر الذى هو قوله « أسفا » ، والنوى : البعد ؛ والوسن : النوم . ومنى لإبلاء الهوى البدن : إذ هابه طمه وقوته بما يورد عليه من شدائده ؛ وخص يوم النوى ، لأن برح الهوى إنما يشتد عند العراق . والهوى عذب مع الوصال ، سم مع الفراق ، كما قال السرى الرفاء :

وَأَرَى الصَّبَابَةَ أُرْيَةَ مَا لَمْ يَشُبْ يَوْمًا حَلَاوَتَهَا الْفِرَاقُ بِصَابِهِ
« أُرْيَةَ : فعلة من الأرى ، وهو العسل » . يقول : أفضى الهوى ييدنى إلى الأسف والمزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفنى والنوم ، أى لم أجد بعده نوما .
(١) روح : مبتدا ، محذوف الخبر : أى لى روح . والروح : يذكر ويؤنث ؛ ومن ثم لك أن تجعل « تردد » فعلا ماضيا - على تذكير الروح - وأن تجعله مضارعا - على تأنيها - وأصله تردد - بتاءين - فحذفت إحداها للتخفيف . والخلال : هو ذلك العود الدقيق الذى تخلل به الأسنان . يقول : لى روح تذهب وتجيء فى بدن مثل الخلال فى النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته : أى إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر . ويجوز أن يكون معنى « لم يبين » لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لحفته . قال الواحدى : وأقرأنى أبو الفضل العروضى فى مثل الخيال ، قال - العروضى - : أقرأنى أبو بكر الشمرانى خادم المتنبي : الخيال ، قال ولم أسمع الخلال إلا بالرى فما دونه ؛ يدل على صحة هذا أن الواواء الدمشقى سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وَمَا أَتَبَقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مِنِّى سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ
خَفِيتُ عَلَى النَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِ كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّى فِي مَحَالِ
وهذا المعنى - كما قال الواحدى والمكبرى - كثير قد ألت به الشعراء القدامى والمحدثون ، وأحسن ما قيل فيه قول بعضهم :

بَرَانِ الْهَوَى بَرَى الْمُدَى وَأَذَابِنِ صُدُودُكَ حَتَّى صِرتُ أُنْجَمٍ
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ الذَّرِّ فِي أَتَقِ الشَّمْسِ
وقول الآخر :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنِّي رَجُلٌ نَوَلًا مُحَاطِبِي إِيَّاكَ لَمْ تَرِنِي^(١)

(١) الباء في « بجسمي » : زائدة ؛ وجسمي : مفعول « كفى » ونحوها : تمييز ؛ وأنني رجل : في تأويل مصدر ، فاعل « كفى » . يقول — صاحبه — : كفاني فعل النحول بي أنني رجل لو لم أنسلكم لم يقع على البصر : أي إنما يستدل على بصوتي ، كما قال أبو بكر الصنوبري :

ذُبْتُ حَتَّى مَا يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنِّي حَيٌّ إِلَّا بِبَعْضِ كَلَامِي
وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةُ الْبَحْرِ
وزولا على حكم خطتنا في هذا الشرح نورد ما ذكره ابن الشجري في تطبيقه النحوية على هذا البيت قال فيه سؤال في الإعراب يعي « كفى بجسمي نحولا » وبين « كفى باقه » و « أن » المفتوحة تسكن مع مدخولها في تأويل المصدر كقولك : بلغني أنك ذاهب ، أي ذهابك ، فبأي مصدر تتقدر ؟ وجملة « لولا مخاطبتي » وصف لرجل ، و « رجل » من قبيل الغيبة ، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم ؟ وكان الوجه أن يقال : لولا مخاطبته إياك لم تره ؟ الجواب : إن « كفى » بمعاملت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله ، وتارة مع مفعوله : ودخولها على مفعوله قليل ، فزيادتها مع الفاعل مثل : كفى بالله . والمعنى : كفى الله ، والذي يدل على أنها مزيدة في « كفى بالله » قول سحيم :

* كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلرَّءِ نَاهِيَا *

وأما زيادتها مع المفعول ، ففي مثل قول حسان :

* وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرُنَا^(١) *

وكفى بجسمي ، لأن فاعل كفى : « أن » وما بعدها ، وأسبك لك من ذلك فاعلا بما دل الكلام عليه من النفي بـ « لم » ، وامتناع الشيء لوجود غيره بـ « لولا » ، والتقدير : كفى بجسمي نحولا انتفاء رؤيتي لولا وجود مخاطبتي ، و « نحولا » نصب على التفسير ، والتفسير في هذا النحو للفاعل دون المفعول ، وقوله : « كفى بالله وكيفا » فوكيلا لتفسير

(١) تقدم أن « من » زائدة بين « على » ومجرورها وهو « غيرنا » وعجزه :

* حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا *

لاسم الله ، ونحوها : تفسير لاتتفاء الرؤية ، كما أن « فضلا » في بيت حسان تفسير لحب النبي صلى الله عليه وسلم بإمام ، فهذا فرق في الإعراب بين « كفى بالله » وبين « كفى بحمى » من حيث كان بالله فاعلا ووكيلا ، و« بحمى » مفعولا ، وإنما زيدت الباء في نحو كفى على معناه إذ كان معناه اكتف بالله ، ونظيره : حسبك زيد ، وأما قوله : « أنى رجل » فغير موطن ، والخبر في الحقيقة هو الجملة التي وصف بها رجل ، والخبر الموطئ هو الذي لا يفيد بانفراده عما بعده ، كالحال الموطئة في نحو : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » ألا ترى أنك لو اقتصرنا هنا على رجل ، لم تحصل به فائدة ؟ وإنما الفائدة مقرونة بصفته ، فالخبر كالزيادة في الكلام ، فلذلك عاد الضميران المذنان هما « الياءان » في « مخاطبى » و « ترى » إلى الياء في « أنى » ولم يعودا على رجل ، لأن الجملة في الحقيقة خبر عن « الياء » في « أنى » وإن كانت بحكم اللفظ صفة « لرجل » ولو قلت « إن رجل » لما كان هو الياء التي في « أنى » من حيث وقع خبراً عما عاد الضميران إليه على المعنى كان قولاً ؛ ونظيره عود الياء إلى « الذى » في قول على عليه السلام :

* أَنَا الَّذِي سَمِعْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ * (١)

لما كان في المعنى « أنا » وليس هذا مما يحمل على الضرورة ، لأنه قد جاء مثله في القرآن « بل أنتم قوم تجهلون » فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم ، وقوم من قبيل الغيبة ، كما ترى ، ولم يأت بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذي هو « أتم » في الخطاب ولو قيل : « بل أنتم قوم » لم تحصل بهذا الخبر فائدة ، ومما جاء في الشعر بغير ضرورة قوله :

أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فَتَبَتْنِي بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَسْرَأَ لَا أُطِيعُهَا

(١) قال أبو العباس ثعلب : لم تختلف الرواة في أن هذه الأبيات لعلى بن أبي طالب رضوان الله عليه :

أَنَا الَّذِي سَمِعْتَنِي أُمِّي الْحَيْدَرَهُ كَلَيْتَ غَابَاتِ غَلِيظِ الْقَصْرَةِ

* أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّفْدَرَةِ *

الحيدرة : الأسد ؛ والقصرة : أصل العنق ؛ والسندرة : مكبال كبير ، وقيل اسم امرأة كانت تمكيل كيلا واقيا .

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك :

قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّي الْفَتَى الَّذِي إِذْ خَرْتُ إِعْرِوْفِ الزَّمَانِ^(١)
وَتَجِدُنِي بِدُلِّ بَنِي خَنْدِفٍ عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانٍ^(٢)

أعاد من « أطيعها » ضمير متكلم ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرئى ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل .

(١) قضاعة : بطن من حمير ، وهى قبيلة التنوخى . والفتى : أصله الكريم الشجاع القوى . يقول : قبيلتى تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد رأى . وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن .

(٢) خندف : امرأة إلياس بن مضر ، ينسب إليها أحد نخذى مضر . يقول : إن شرفى يدهم على أن كل كريم يعنى - أى من قبائل اليمن - لأنى منهم . ولنعُد إلى خندف قال الأخباريون : خندف هى بنت عمران بن الحاف بن قضاة ، وهى امرأة إلياس بن مضر ، ولدت له مدركة . وطابخة وقعة ، وكان اسم مدركة « عامرا » واسم طابخة « عمرا » ، قيل إنهم كانوا فى إبل لهم يرعونها فصاد عامر وعمرو صيدا ، فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمر : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل ، فجاء بها ، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : إنك مدركة ، وقال عمرو : أنت طابخة ، فجاءت أمهما تمنى فقال لها : أنت خندف^(١) وأما قعة فيقال إن خزاعة من ولده ، ومن ولد عمرو بن لحي الذى هو ابن قعة ابن إلياس ، وهو عمرو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت يجر قصبه فى النار »^(٢) .

وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازى فى أول كتابه : ولد معد بن عدنان أربعة : نزار بن معد وقضاة بن معد - وكان قضاة بكر معد ، وكان به يكنى - وقنص ابن معد ، فأما قضاة فيمت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ « عبد شمس » ، وإنما

(١) الخندفة : مشية كالهرولة ، فسميت خندف لأنها خندفت فى أمر ابنها : أى أسرع ، وأما « قعة » فسمى كذلك لأنه انقمع فى البيت .

(٢) القصب : الأمعاء .

أَنَا ابْنُ اللَّفَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ^(١)
 أَنَا ابْنُ الْفَيَافِ أَنَا ابْنُ الْقَوَافِ أَنَا ابْنُ الشَّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرَّعَانِ^(٢)
 طَوِيلُ النُّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ طَوِيلُ الْفَنَاءِ طَوِيلُ السَّنَانِ^(٣)

سمى سبأ ، لأنه أول من سبي في العرب ، واليمن تقول : قضاة ابن مالك ، وأنشد
 عمرو بن مرة الجهمي :

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْمُهْجَانِ الْأَزْهَرِ^(١) قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ
 * النَّسَبِ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُنْكَرِ *

وأما «نص» فهلكت ، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن المنذر ؛ وقوله «كل
 كريم يمان» يريد : من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبأ ، وقد جاء في مدح اليمن ما فيه
 كفاية ؛ ويكفيهم نفرا قوله عليه الصلاة والسلام : «الإيمان يمان ؛ وأجد ريح الرحمن
 من قبل اليمن ، والحكمة يمانية ، وأهل اليمن ألين قلوبا»

(١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئا أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء :
 ابن الماء . واللقاء : ملاقة الاقتران في الحرب ، والضراب : مصدر ضارب يضارب
 ضرابا ، وهو من ضرب السيف . والطعان : كذلك ، مصدر طاعن يطاعن طعانا ، وهو
 من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا افارقها .

(٢) الفيافي : جمع فيفاء ، وهي الفلاة ؛ والقوافي : جمع قافية ، وهي في الأصل
 آخر البيت ، وقد يقولون للقصيدة قافية . والرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل
 الشاخص منه . يقول : أنا صاحب الفلوات لكثرة جوبى إياها وصاحب القصائد أجدها
 وأبداع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكي طرقها .

(٣) النجاد : حمالة السيف ، وطولها دليل على طول القامة ، والطول مما تتمدح
 به العرب .

* وَإِنْ أَعَزَّاءَ الرِّجَالِ طِيْلَاهُمَا *

والعماد : عمود الخيمة الذي تقوم عليه ، وذلك مما يمدح به ، لأنه يدل على كثرة

(١) المهجان : الكريم ؛ والمهجان من كل شيء : الخالص ، مأخوذ من المهجان ،
 وهو الأبيض .

حَدِيدُ اللَّحَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ حَدِيدُ الْحَمَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ^(١)
يُسَابِقُ سِنِي مَنَآيَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانٍ^(٢)

غاشيته وزواره . وطول القناة - الرمح - يدل على قوة حاملها لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوى .

(١) اللحات : طرف العين مما يلي الصدغ . يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه في الحروب . والحفاظ : المحافظة على ما يجب حفظه . والحمام : السيف القاطع . والجنان : القلب . يقول : هذه الأشياء مني حديدة - قوية -

(٢) الناي : جمع منية ، وهي الموت . والرهان : السباق . يقول : سيني يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال صخرة :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا وَالطَّمَنُ مِنِّي سَابِقُ الْآجَالِ

ومثله قول أبي تمام :

يَكَادُ حِينَ يُبْلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَفَقٍ قَبْلَ السِّفَانِ قَلَى حَوْبَانِهِ يَرْدُ^(١)

هذا : والرهان من قولهم راهنت فلانا على كذا - أى خاطرته - وهو الرهن الذي كانوا يرهنون في سباق الخيل ، وقد جاء رهته وأرهته بمعنى ، وأشدوا لهم بن مرة وفي الصحاح لعبد الله بن همام السلولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالَكَا

غَرِيبًا مُقِيمًا بَدَارِ الْمَوَا نَ أَهْوَنَ عَلَى بِي هَالَكَا

وَأَحْضَرْتُ عُذْرِي عَلَيْهِ الشُّهُوَ دَمَانٌ هَازِرًا لِي وَإِنْ تَارَكَا

وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ عِنْدَ الْإِمَا مَ أَنِّي عَدُوٌّ لِأَعْدَائِكَا

قال أبو العباس ثعلب : كل الرواة قالوا وأرهنتهم ، إلا الأصمعي فإنه رواه وأرهنهم عطفا لفعل مستقبل على فعل ماض وشبهه بقولهم : قت وأصك وجهه ، لأن الواو واو الحال . فيجعل « أصك » حالا للفعل ، وقد تاب الأخفش قراءة ابن كثير وابن العلاء فرهن مقبوضة وقال : هي قبيحة ؛ لأنه لا يجمع فعل على فعل إلا شاذًا ، إلا أن يكون رهن جمع رهان مثل ثمر وثمار ، ورهان جمع رهن ؛ وغاب عن الأخفش

(١) الحوباء : النفس .

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي^(١)
سَاجِدُهُ حَكَمًا فِي النَّفْسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي^(٢)

وقال أيضا في صباه :

كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ مُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي^(٣)

جمعهم سقفا على سقف ، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع وابن عامر « وليونهم سقفا من فضة » وهذا جمع سقف ، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفا على سقف « راجع لسان العرب والعكبري »

(١) الضمير في « حده » للسيف ، والهبوة : الغبار . وغامضات القلوب : الغامضة في الأبدان ، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة ، لأنها مقاتل بلا شك . يقول : يرى حد سيني قلوب الأعداء فيتهدى إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه ؛ وهذا من قول زيد الحلي :

وَأَتَمَّرَ مَرْفُوعٌ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بِصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ
[يريد إذا هيأته نحو العدو ؛ وبالمقاتل : صلة بصير] . وقال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَارٍ بِلَا نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدُ

هذا : قوله : لا أراي قال الواحدى : لا يجوز أراي بمعنى أرى نفسى ، وإنما يجوز ذلك فى أفعال معدودة نحو ظننى وحسبته وباهما ؛ وقد جاء شاذاً : فقدتني وعدمتي ، ولا يقال ضربتني ولا رأيتني ولا أكرمتني ، وإنما يقال ضربت نفسى وأكرمت نفسى فكان الواجب أن يقول : لا أرى نفسى ، وقد جاء رأيتني ، فعمله على هذا .

(٢) الحكم : بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أعدائى من شئت ولسانى كسيفي فى الحدة ، فلو جعلت لسانى مكان سيني لا كتفيت به ، لأنى أبلغ من التأثير فى أعدائى بلسانى ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : ولو ناب اللسان عن السيف — بأن يطيعوا أمرى — لم أستعمل فيهم السيف .

(٣) يقول : تكلمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا — ويجوز أن يكون معنى

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي فَصَارَ سَقَمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَتْمَانِي^(١)

* * *

ودخل على علي بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود ، فقال ارتجالاً :

إِذَا مَا الْكَأْسُ أُرْعِشَتِ الْيَدَيْنِ صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي^(٢)

تكريمة : إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء ، يعني لم ينفع الإسرار وصار كالإعلان ؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان .

(١) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه ؛ ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا زاد على ملء الإناء ، وصار سقمي بالحب في جسم الكتمان : أي سقم كتمانِي وضعف ، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان . وعبرة ابن الشجري في أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفيض ثم قال — المتنبي — فصار سقمي لما أفرط حبي في الزيادة وصار كالشيء الفاض — صار سقمي قويا به وانتقل إلى جسم كتمانِي فأذا به وأضعفه . فلما ضعف الكتمان ظهر الحب لضعف محبيه . قال : وقال أبو الفتح — ابن جني — دل الكتمان على ، قال وهذا في بدائمه ، وفي هذا القول اختلال في الإعراب وفساد في المعنى وتناقض في اللفظ ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التي بعده إلى الكتمان ، فيصير التقدير : كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمي به — أي بالكتمان — في جسم كتمانِي ؛ ففي هذا اختلال في الإعراب كما ترى وقد جعل الكتمان هو الذي أسقمه ، مع أن الحب هو المسقم له .

(٢) أرعشت : من الرعشة ، وهي الرعدة : أي حركت اليدين لسكر شاربها وقوله بيني وبين أي بيني وبين عقلي . يقول : غيري يشرب الخمر حتى ترعش يدها سكرا ، أما أنا فإني أبقي على صحوى : أي لا أشربها حتى لا تهول الكأس بيني وبين عقلي ، قال ابن جني . وجاء به من طرز كلام الصوفية ، كقول قائلهم :

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمِنِّي أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي
أَقْنَيْتَنِي بِمَقَامٍ خَلَفْتُ أَنْكَ أَنْتِي

هَجَرْتُ أَنْظَمَرَ كَالذَّهَبِ الْمَصْنَى فَخَعَرَى مَاءَ مُزْنٍ كَالْحَبِينِ^(١)
 أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِيَ تَجْرَى عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ^(٢)
 كَانَ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدَقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ^(٣)
 أَتَيْنَاهُ نَطْلِبُ بِهِ رِفْدٍ يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ^(٤)

(١) الزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء ؛ واللجين : الفضة . وقوله كالذهب المصنى : حال من « الحجر » وقد قابل بين الفضة وبين الذهب . يقول : لا اشرب الحجر وحسبي الماء .

(٢) هذا من قول أبي تمام :

أَغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ خَافَةٌ أَنْ يُلَامِسَهُ الْقَمِيصُ
 ومن قول الجيز أرى :

مِنْ لُطْفٍ لِإِشْفَاقٍ وَدِقَّةٍ غَيْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكِيكَ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لِفُظِّكَ غَيْرَةً أَنِّي أَرَاهُ مُقَبَّلًا شَفَتَيْكَ

وقال الواحدى : ولقد أساء أبو الطيب ، لأن الأمراء لا ينفار على شفاهم : ويقول من يعذره - التنبي - إنما ينفار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والحجر ، لأنهما - أى شفتيه - للأمر والنهى والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة . ويجوز أن الزجاجاة نالت ما لم ينله أحد ، فهو ينفار حيث لا تستحق الزجاجاة ذلك

(٣) الضمير فى « يياضها » للزجاجاة ، والراح . الحجر ؛ وأحدق به : أحاط به ، يقول : كأن الزجاجاة البيضاء - وفيها هذه الحجر السوداء - يياض محدق بسواد عين .

(٤) الرfid : العطاء . يقول : إن الرfid الذى سألتناه إياه عده هو ديننا على نفسه واجب الأداء لمكانه من الكرم والأريحية ، كما قال أبو تمام :

غَرِيمٌ لِلْمَلِّ بِهِ وَحَاشَا نَدَاهُ مِنْ مُعَاظَلَةِ الْغَرِيمِ

وقال أيضا :

إِلَّا نَدَى كَالَّذِينَ حَلَّ قَضَاؤُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لِمُتَغَفِيهِ غَرِيمٌ

وقال يمدح بدر بن عمار وقد صار إلى الساحل ، ثم عاد إلى طبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه ، فقال يعتذر إليه :

أَلْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ أَلَلْسُنَا وَأَلَدُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَغْلَنَّا^(١)

(١) ما - في الشطرين موصولة بمعنى « الذي » خبر عن الرفع قبلها . يقول : حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما في قلبه منه كما قال المهنون :

وَلَمَّا شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي فَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْحَشَا وَتَخْرُسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمُنَادِيَا
وكما قال قيس بن ذريح :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبَيْتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أَجِيبُ
قال الواحدى : والظاهر أن « ما » - في قوله ما منع - نفي ، لأن الصراع الثانى
حدث على إعلان العشق ، وإنما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس :

فَبُيْعَ بِأَسْمٍ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِرُّ

ويقول على بن الجهم :

تَهْتِكُ وَيُحُ بِالْمَشْقِ جَهْرًا فَقَلَّمَا يَطِيبُ الْهَوَى إِلَّا لِمُنْهَتِكَ السِّرِّ
ويقول السرى الرفاء :

ظَهَرَ الْهَوَى وَتَهْتَكُ أَسْتَارُهُ وَالْحُبُّ خَيْرُ سَبِيلِهِ إِظْهَارُهُ
أَعْصَى الْعَوَازِلَ فِي هَوَاهُ جَهَارَةً فَأَلَدُّ عَيْشِ الْمُسْتَهَامِ جِهَارُهُ

ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون « ما » نفيًا ؛ هو ما يظهر من التناقض
فى البيت إذا جعلت « ما » موصولة ، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما
شرحناه للتفصى من هذا التناقض . فقد وقع الحب فى بلاء بين هذين أى بين كون حق
الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألد الشكوى : الإعلان . هذا : و« الألسنا » يروى
بفتح السين - أى الذلق اللسان ؛ وبضمها : جمع لسان ؛ واللسان : الجارحة ، واللفظة
أيضا . وقد يؤنث ويذكر ، قال أعشى باهلة :

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِ هَجَرَ الْكَرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَأَصْلِي صِلَةَ الضَّنَا^(١)
 بَنًا فَلَوْ حَلَيْتُنَا لَمْ تَذَرِ مَا أَلَوَانُنَا جَمًّا امْتَقِنَ تَلَوْنَا^(٢)
 وَتَوَقَّدَتْ أَنْفُسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَازِلُ بَيْنَنَا^(٣)

لَمْنِي أَتَقْنَى لِسَانُ لَا أَسْرُهُ بِهَا مِنْ عُلُوٍّ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(١)
 وإذا ذكر : كان على معنى الكلام ، قال الخطيئة :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي فَلَيْتَ بَأْتُهُ فِي جَوْفِ عَيْكُم^(٢)
 ومن آتته : قال في جمعه السن ؛ كذراع وأذرع ؛ ومن ذكره : قال في جمعه السنة
 كحمار وأحمرة ، وهذا قياس ما جاء على فعال من للذكر وللؤنث ، وقد تقدم ذلك في
 هذا الشرح مستوفى .

(١) هجر وصلة : مفعولان مطلقان ؛ وواصل : خبر « لیت » ؛ والكرى : النوم ؛
 والجرم : الذنب ؛ والضي : المرض والهزال . يقول : ليت العبيب الذي هجرني من غير
 ذنب كهجر النوم لأجفاني يواصلني كواصل الضي الجسمي من أجل صده وبعده عني ؛
 يعني أن الضي ملازم له ، فتمنى أن يكون وصل العبيب ملازما له ملازمة
 الضي جسده .

(٢) بنا : افترقنا ، ويروى « بتنا ولوحيتنا » و« بتنا » تامة ؛ والواو بعدها حالية ،
 و« امتقن » يروى سفعن : وهو بمعنى امتقن ؛ وحليتنا : وصفت حليتنا ؛ وهي هيئة الشخص
 وما يتميز به ، وامتقن لونه : تغير حياء أو خيفة ؛ وتلونا : مفعول له . يقول : فارقنا
 أحبابنا ولعظم مانالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ما قدرت لتغير ألواننا ، فكنت
 لا بدري بأن لون تصفنا .

(٣) أشفقت : خفت . وقوله تحترق : أراد أن تحترق ، لحذف « أن » وبقي الفعل
 مرفوعا ، وقد مررت له نظائر . والعوازل : جمع العاذلة - اللأمة - يقول : لشدة حرارة
 الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت على العوازل أن يحترقن فيما بيننا ، قال
 الواحدى : وإنما خاف ذلك لأنه كان يتم على ما في قلوبهم من حرارة الهوى . وقال

(١) مطلع قصيدته التي يرثي بها المنتشرين وهب الباهلي .
 (٢) فليت بأنه : يروى فليت بياؤه : ويروى وددت بأنه ؛ والمعكم : داخل الجنب ،
 على المثل بالعكم الذي هو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .

أَفْدَى الْمَوَدَّعَةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا نَظَرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتٍ ثَمًا^(١)
 أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا^(٢)
 وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحَ وَرَكَابِي فِيهَا وَوَقَّتِي الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا^(٣)

الحطيب التبريزي : وجه الإشفاق أن ينم إحراقهم على ما كانوا فيه من حر أنفاسهم .
 هذا : وقد قلنا أشفقت : أى خفت ، وزيد هنا أن الشفقة الحيفة والحبّة ، وهى الاسم
 من الإشفاق ، وكذلك الشفق قال الشاعر إسحاق ابن خلف ، وقيل هو
 لابن المعلّى :

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
 وَأَشْفَقْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مَشْفُقٌ وَشَفِيقٌ ، وإذا قلت أشفقت منه فإيما تعنى حذرته ،
 وأسلمها واحد ، ولا يقال شفت ، وقال ابن دريد : شفت وأشفقت بمعنى ، وأنكره
 أهل اللغة .

(١) فرادى : اسم جمع لفرد ؛ والزفرات : جمع زفرة ، وهى النفس العار ،
 وسكن « فاء » ضرورة . و« ثنا » — من قولهم جاء القوم ثناء — أى اثنين ، وإنما
 قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هذه المحبوبة التى قد ودعتنى ، فكلما
 نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين ، لشدة ما فى صدرى من
 حرارة الوجد .

(٢) الديدن : العادة ، تقول : مازال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه
 وهجره وهجيراه .

يقول . أنكرت حوادث الدهر أول ما طرقتى وقلت ليست تقصدنى وإنما أخطأت
 فى قصدى ، ثم لما كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتيني ، فصارت عادة لى لا
 تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر :

رُوِّعْتُ بِالْأَثْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وَبِالْحَوَادِثِ فِي أَهْلِ وَجِيرَانِي

(٣) الفلا : جمع فلاة ، المفاضة البعيدة . والركائب : جمع ركاب ، وهى الإبل ؛
 والوهن : نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده فى الدنيا حتى قطع الفلوات
 بالمسير ، وقطع المركوب أيضا بكثرة الإتعاب ، وقطع الليل والثمار بقطع المسافات ، يعنى
 أنه قطع ملكان والزمان والمركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره : هذا : وقد قال
 صاحب الصحاح : الضحى مقصورة تؤنث وتذكر ؛ فمن أنت ذهب إلى أنها جمع ضحوة ،

وَوَقَفْتُ مِنْهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَفْتُ مِنْ بَذْرِ بْنِ عَمَّارٍ الْمُنَا^(١)

ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتقر (١) ، وهو ظرف غير متمكن ؛ مثل سحر ، يقول لقيته ضحى وضحى ، إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه ، قال ابن بري : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهري : ثم بعد الضحى : الضحاء ، محدود مذكر ، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، تقول منه أقمت بالمكان حتى أضحيت ، كما تقول من الصباح أصبحت ، ومنه قول عمر رضى الله عنه : أضحوا بصلاة الضحى : أى صلوا لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحى ، ويقال أضحيث بصلاة الضحى : أى صليتها في ذلك الوقت ؛ وقد أسلفنا القول على « الضحى » في هذا الشرح بأن وفى من ذلك .

(١) منها : أى من الدنيا ؛ وبرى : فيها . ويقال وقفت ووقفتى زيد ووقفت دابق ووقفت وقفا للسالكين ، فقوله أوقفنى الندى : معناه عرضنى للوقوف ، قال أبو عمرو بن العلاء : لو قال رجل فلان أوقفنى - أى عرضنى للوقوف - لم أر بذلك بأساً ؛ وأوقفته : لغة عند بعضهم : والمنى : جمع منية ، وهى الشئ الذى يتمناه . يقول : وقفت من الدنيا حيث حبسنى الجود - يريد عند المدوح - أى لما انتهى إليه انقطع عن السفر ، لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه ، وهذا من الخالص الحسنة . هذا : وحذف التنوين من « عمار » - كما قال الشراح وكما أسلفنا فى هذا الشرح على نظائر لذلك - لالتقاء السالكين كقوله تعالى « وآتينا نهمود الناقة » ، قال المكي : قرأه القراء كلهم بغير تنوين ، وكلهم صرف « نهمود » إلا حمزة وحفصا وواقفهما أبو بكر فى آخر سورة النجم ، وصرف الكسائى فى موضع الجر فى هود عند قوله تعالى « لنهمود » ، قال : وقد يجوز عندنا - وهو كوفى - إسقاط التنوين فى النهمر ، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم حللن للنبي صلى الله عليه وسلم :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعٍ^(١)

فكلهم رووه مرداس - من غير تنوين .

(١) الصرد : طائر ضخم الرأس ، أبيض البطن ، أخضر الظهر ، يصطاد صغار الطير ، الجمع صردان ، والنعر : طائر يشبه العصفور ، تراه صغيراً ضاوياً ، وتصغيره نعر ، وجمعه نعران .

(١) تقدم القول على هذا البيت فى غير موضع من هذا الشرح .

لِأَبِي الْحُسَيْنِ جَدِّي يَضِيقُ وَعَاوُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الْأَزْمُنَا^(١)
وَشَجَاعَةً أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا^(٢)
نِيطَتْ حِمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مَحْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا أُنْثَى^(٣)
فَكَأَنَّهُ وَالطَّمَنُ مِنْ قَدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطَقْنَا^(٤)
نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذَهَبِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيَقُّنًا^(٥)

(١) الجدا : العطاء - أى ماعطيه مجتديك - يقول : إن عطاء لايسعه وعاء ولو كان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه ، وإذا ضاقت الدهور عن شيء فحسبك به عظم .

(٢) شجاعة : عطف على « جدى » - فى البيت السابق - يقول : إن ذكر شجاعته واشتارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها ، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان ، لأنه يسمع ما يتكرر فيترك حينئذ الجبن .

(٣) نيطت : علفت . والحائل : علائق السيف والعاتق : ما بين النكب والعنق . والمحرب : صاحب الحرب المارس لها ، ويعنى به : الممدوح - على جهة التجريد - وكر عليه فى الحرب : عطف ؛ واثنى : رجع . يقول : علفت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ، ماكر قط ، لأن الكر يكون بعد الفر ، وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره ، فكيف يكر ؟ وهذا منقول من قول الآخر .

اللَّهُ يَفْلَمْ إِنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ وَكَيْفَ أَذْكُرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

قله لمن جنى الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قديصنون الكرم بعد الأعيان ، لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراد والطرده - إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لا ينثنى .

(٤) يقول : أشدة إقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه ، فهو أبدا مقدم ؛ فكأنه يخاف طعننا من خلفه ، فهو يتقدم خوفا مما وراءه ، كما قال بكر بن النطاح :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّمَنِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ

(٥) التوهم : خلاف التيقن . وهذا كأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه فقال : إن فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها بقينا ، لا وهما

يَتَفَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَفْتَاتِهِ فَيَظَلُّ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّفًا^(١)
أَمَضَى إِرَادَتُهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌّ وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى قَمًّا لَهُ هُنَا^(٢)
يَجِدُ الْحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةٍ جِلْدِهِ ثَوْبًا أَخَفَّ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْيَنَّا^(٣)
وَأَمْرُهُ مِنْ قَدِّ الْأَحِجَّةِ عِنْدَهُ فَقَدُّ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الْأَجْفُنَا^(٤)

(١) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبفتاته، جمع بفته، وهو ما يفعل فجأة؛ والتكفف: لابس الكفن. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بفته ويهجم عليه من حيث لا يدري فيظل لابس كفنه توقعًا لبفته وتأهبًا للموت. ومتكفنا؛ قال الواحدى: يروى متلفنا؛ والتلفن: التندم على ما فات؛ يعنى أنه يندم على معاداته.

(٢) سوف: الاستقبال؛ وقد: لما مضى ومقاربة الحال؛ والأقصى: الأبعد. وثم: للمكان البعيد المتراخى؛ وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضى الإرادة، فما يقال فيه سوف يكون: يقول عنه قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه ثم — هنالك — يقال هو هنا، يعنى أن ما يكون من العزائم مستقبلا عند غيره بعده ماضيا لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، وما يكون من المطالب بعيدا على غيره بعده حاصلًا بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا وقد استعمل هذه الكلمات — سوف وقد وهنا — استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(٣) البضاضة: مثل الغضاضة، يقال غض بض: أى طرى لين، يقول: إنه تعود لبس الدروع فى الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونومته، وفى هذا نظر إلى قول البحرى:

مُلُوكٌ يَمْدُودُونَ الرَّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَغَزَعُوهَا وَالدَّرُوعَ غَلَاثِلًا^(١)

(٤) أمر: خبر مقدم؛ وفقد السيوف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن، غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضاً. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبيب، فإذا فقد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — أغمادها — لأنها أبدأ مستعملة فى الحروب.

(١) المخاصر: جمع محصرة، ما يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك والغلائل: جمع غلالة، شعار يلبس تحت الثوب.

لَا يَسْتَكِنُ الرَّغْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنًا^(١)
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَانَ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونًَا^(٢)

(١) استكن : من الكن ، أى توارى وخفى . والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشيء إذا حذقته وعلمته ؛ والإحسان الثانى : ضد الإساءة ، والإحسان : فى موضع نصب ، لأنه مفعول المصدر — الذى هو الإحسان — ولو قال ولا إحسان أن لا يحسنا : كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان المعنى سواء — فإن قولك أعجبنى ضرب زيد : أقرب إلى الفهم من قولك أعجبنى الضرب زيداً . يقول : إن الرغب — الخوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبداً لأنه شجاع لا يخشى مخلوقاً ، ثم قال : وهو لا يحسن أن لا يحسن : أى لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر :

يُحْسِنُ أَنْ يُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رَامَ سَوَى الْإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه : الإحسان ضد الإساءة . يقول : لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أى لا يثبت حق بفعله — وعلى هذا الإحسان : المهم به . يقول : إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله ، وقال ابن الشعري : الإحسان : ضد الإساءة ، يتعدى بحرف الجر — بالباء ، وإلى — قال كثير عزة :

أَسِيدِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِبَةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(١)

والثانى : يكون بمعنى إجادة العمل إذا كان حاذقاً فى فعله ، وفعله يتعدى بنفسه ، قال الله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ زَعَمْتَ بَسْبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنْتَى كَبِزْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ اللَّهُ أَمْثَالِي

(٢) الاستنباط : الاستخراج : وأصله من استنباط الماء ؛ ونبط الماء : نبع ؛ وأنبط الحفار : بلغ الماء . والضمير من « فيه » لعلمه . ودون الشيء : جمعه فى ديوان — أى فى كتاب — . يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل ، فكان ما سيكون

قد كتب فى علمه . والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، وروى من يومه : يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه .

(١) تقلى الشيء : تبغض ؛ وقد خاطبها ثم غاب ،

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالْدُّنَا^(١)
 مَنْ لَيْسَ مِنْ قِتْلَاهُ مِنْ طَلْقَائِهِ مَنْ لَيْسَ يَمُنُّ دَانَ يَمُنُّ حِينًا^(٢)
 لَمَّا قَفَلْتَ مِنَ السَّوَاخِلِ نَحْوَنَا قَفَلْتَ إِلَيْهَا وَخَشَّةٌ مِنْ عِنْدِنَا^(٣)
 أَرْجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَزْتَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّدَا مُسْقَوِطًا^(٤)

(١) الدنيا : جمع دنيا - مثل كبر وصغر ، في جمع كبرى وصغرى - . يقول : إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا المدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالأرضين ، فإن أحداً لا يعرف ما وراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهي من الأعلى والأسفل . قوله «مثل» بالنصب - صفة لمصدر محذوف : أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك القدي الخ . ورواها بعضهم مثل - بالرفع - على أنها خبر مبتدأ محذوف : أى فهو مثل القدي الخ . وقال العكبرى : قال أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل - بالرفع - ويكون التقدير هو مثل ؛ يعنى أن الأفهام تتقاصر عن هذا المدوح في معرفة حقيقته ، فهو مثل علم الله تعالى ؛ ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثيرين يخل حذفه بالمعنى ، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى هذا : وقد قال ابن جنى : لقد أفرط - المتنبي - جداً ، لأن الذى فيه الأفلاك والدنا : هو علم الله تعالى وتقدس .

(٢) الطليق : الذى أطلق من القتل ؛ أو الأسير أطلق عنه إيساره ، الجمع : طلقاء . ودان : خضع وأطاع ؛ وحينا - بضم الحاء - أى أهلك ؛ وروى بفتح الحاء على المعلوم : أى ممن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه ومن عليه بالعفو ومن لم يطعمه وليس من أهل طاعته فهو من المالكين .

(٣) قفل : رجع . والسواحل : بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا ، لك وحشة فلما رجعت ذهبت إلينا تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذى انصرفت منه إلينا :

(٤) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا : إذا فاح ؛ والأرج والأريج : توهج ريح الطيب : قال أبو ذؤيب الهذلى :

كَأَنَّ عَلَيْهَا بَالَةً لَطَمِيَّةً لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّائِتَيْنِ أَرْجٌ^(١)

(١) أراد بالبالة الرائحة والشممة ، مأخوذ من بلوته ، أى شمته وأصلها بلوة قدم

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحْيِيَةً إِلَيْكَ الْأَغْصَانُ^(١)
سَلَكَتْ تَمَائِيلَ الْقَبَابِ الْجَنُّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَذْرَنَ فِيكَ الْأَغْصَانُ^(٢)

والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة، قال المعبر السلوى، وقيل لمعرو بن الأطنابة :
إذا ما مَشَتْ نَادَى بِمَا فِي ثِيَابِهَا ذِكْرُ الشَّذَا وَالْمَنْدَلِ الطَّيْرِ^(١)
يقول : طاب الطريق الذى سلكته ففاحت رائحته ، فامررت بطريق إلصارت
الرائحة الطيبة مقبلة فيه لا تريم .

(١) محيية : حال من فاعل « مدت » : والأغصنا : مفعول مدت ؛ وإليك : متعلق
بـ « مدت » ، وهذا المعنى كثير ؛ قال الفرزدق :

يَكَادُ يُسَكُّهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وقال البعترى :

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ^(٢)
(٢) القباب : جمع قبة ، وهى الخيمة . أو البيت المستدير من بيوت العرب .
والمراد بالتأويل : الصور المنقوشة على القباب . يقول : إن الصور التى فيها تكاد من
صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخلصتها — شوقاً إليك فأدارت — الصور
— أعينها ، قال ابن جنى : كان بدر قد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب ،
ثم قال : ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا . وقال الواحدى :
المعنى : اشتاقت الجن إليك فتوارت بتأويل القباب للنظر إليك : وتمايل القباب : هى
القباب فيكون فاعل « أدرن » الجن ؛ يعنى أن الجن من الشوق الذى بها إلى رؤيتك
دخلت فى الصور المنقوشة على القباب التى فوقك لتراك .

الواو وصيرها ألفا ، واللطيمة واللطمية العبرة التى لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت
رائحتها والداية : فغار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين .

(١) إذا مامشت : يروى إذا انتكأت : وقيل الشذا فى هذا البيت له الملهك ،
والمندلى : العود الهندى ، منسوب إلى « مندلى » بلد بالهند يجلب منه العود والطير ،
قال ابن جنى : هو العود ، وإذا كان كذلك كان بدلا من المندلى ، وقيل ضرب من
صنعه ، وقيل الطير المشقق المكسر .

طَرَبْتُ مَرَاكِبُنَا فَخَلْنَا أَنَّهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِمَا رَقَصَتْ بِنَا^(١)
أَقْبَلْتُ تَبَسُّمُ وَالْجِيَادُ عَوَابِسُ يَحْجُبُنَ بِالْحَلْقِ الْمُضَاعَفِ وَالْقَنَا^(٢)
عَقَدْتُ سَنَابِكَهَا عَلَيْهَا عَنَابِرًا لَوْ تَبَتَّنِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا^(٣)
وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوَافِقُ فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمَوْتِ^(٤)
فَمَجَّبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا^(٥)

(١) المراكب : جمع مركب ، بمعنى مركوب ، يعنى الخيل . يقول : لسرورها
بقدمك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا : يعنى أن السرور بقدمك غلب
حتى ظهر في البهجة التي لا تعقل .

(٢) قوله تبسم : في موضع الحال - أى باسم - والجياد : الخيل ، جمع جواد - على
غير قياس - والعوايس : جمع عابس ، وهو المكح الوجه والحب : ضرب من
العدو . الحلق المضاعف : الدروع - والحلق : جمع حلقة ؛ والمضاعف : الكثير ،
والقنا : الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وجيادك عوايس لطول سيرها وإثقالها بالدروع
والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب .

(٣) السنايك : جمع سنك ، وهو طرف مقدم الحافر . والعشير : الغبار . والعنق :
ضرب من السير عليه سريع . يقول : عقدت سنايك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطلب
السير عليه لأمكن من كثافته ، وهذا المعنى من قول العتابي :

تَبَتَّنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوَاسِهِمْ سَقَفًا كَوَاكِبُ الْبَيْضِ الْبَوَاتِيرُ
وأخذه العتابي من قول الأول :

وَأَرْوَعَنَ فِيهِ السَّوَابِغَ لُجَّةً وَسَقَفُ سَمَاءٍ أَنْشَأَتْهُ الْخَوَافِرُ
[الأرعن : الجيش ؛ والسابغ : الدروع] .

(٤) خوافق : مضطربة ؛ والمنية : الموت ؛ والمنى : جمع منية ، ما يتمناه الإنسان
من الخير . يقول : أمرك مطاع حتى في حال الحرب حيث اضطراب القلوب ، والناس
بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ، ومقتول قذلقى منيته ، وقاتل قد
أدرك أمنيته : أى فإن كنت في هذه الحال مطاعا فما ظنك بغيرها ؟

(٥) الظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد : السيف نفسه ؛ والسنا : الضوء .
يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من

إِنِّي أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَرًا فِي عَسْكَرٍ وَمِنَ الْعَمَالَى مَعْدِنًا^(١)
 فَظَنَ الْفُؤَادُ لِمَا أُتَيْتُ عَلَى النَّوَى وَلِمَا تَرَكْتُ خَافَةً أَنْ تَفْطِنَا^(٢)
 أَضْحَى فِرَاقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّئًا^(٣)
 فَاغْفِرْ فِدَايَ لَكَ وَاحْبُبْنِي مِنْ بَعْدِهَا لِيَخْصُنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا^(٤)
 وَأَنْتَ الْمَشِيرَ عَلَيْهِ فِي بِضَلَّةٍ فَالْحُرُّ مُتَمَحِّنٌ بِأَوْلَادِ الزَّوَانَا^(٥)

كثرة السيوف في ذلك اليوم حتى ذهلت فعبزت عن العجب ، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظري ؛ فرجع وهو حسير ، فلم أتمكن من الرؤية . قلوا : وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

حَتَّى أَنَّهُا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلَّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١) يقول إني أراك عسكراً في عسكر من الكارم : أي أنت في نفسك عسكراً وحولك عسكراً آخر من الكارم ، وأراك معدناً من المعالي : أي أصلها ، فهي تؤخذ منك .

(٢) فظن للشئ — بكسر الطاء وفتحها — يقول — كما قال الواحدى — : إن قلبك يعرف ما فعلته في حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفاً من أن تعلم فتعاتبني عليه : أي فليست في حاجة إلى وشاية الواشين . وكان قدوشى به إليه ، وكأنه قد اعترف بتقصيره — كما يدل على ذلك سياق الأبيات — وقال البيهقي : إن فؤادي لم يغفل عما فعلته في حال بعدك من التقصير في خدمتك وما أهملته من السير معك ، لاني كنت خائفاً أن تظنن له فتعاتبني عليه : يعني أني لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد المتنبي ، وليس بشيء .

(٣) عليه : أي على ما فعلته . والضمير في « منه » يعود على الفراق . يقول : صار فراقك عقوبة لي على ما فعلته مما كرهته ، أي خسبي هذا عقوبة .

(٤) فاغفر : أي فاغفر لي — أي ذنبي أو تقصيري — وفدى : خبر عن محذوف . أي أنا فدى لك . وحباه : أعطاه . والحباء — بكسر الحاء — العطاء ومن بعدها : أي من بعد هذه المرة ، أو من بعد المغفرة ؛ ومنها : خبر مقدم عن الضمير بعده ، والجملة : صفة لعطية . يقول فاغفر لي هذا الذنب الذي فرطت في فدى لك خنسي ، وأعطني بعد المغفرة لأكون مخصوصاً بعطية منها تنسى : يعني إذا عفوت عني وأعطيتني كنت قد خصصتني بعطاء أنا من جلته لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

(٥) الضلة : الضلال ؛ قال الواحدى : كان الأعور بن كروس قد وشى به ابن بدر

(٢٢) — المتنبي ٢٢٤

وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرَّضًا فِي تَجَالِسِ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذَعْنَا^(١)
وَمَكَائِدُ الشُّفَهَاءِ وَاقِعَةً بِهِمْ وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِنَسِ الْمَقْتَنَى^(٢)
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّثِيمِ فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يَجْرُ مِنْ النَّدَامَةِ ضَيْفًا^(٣)

ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي . يقول : أشار عليك بهجراني وحرمانى ، وهذا ضلال ، لأننى لا أستحق ذلك ، وقال ابن جنى : ضلة : أى إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فى ضلالت ، يهدده بالهجاء ، وعنى بالحر : نفسه ، وبأولاد الزنا : الوشاة وهذا تعريض بابن كروس . هذا : والأصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة : مَا ضَرَفَنِي حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ
وقال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ مُجْدِدَ ابْنِ يُوسُفَ

وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلَّعَ

(١) اللذعنا : يريد الذى عناء ، يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا ، وقد فهم هذا التعريض من عناء به ، فهو يأخذه لنفسه .

(٢) السفية : الذى لا عقل له ولا رأى ، وأصله الذى لا يعرف أن يدبر أمره ، والأصل فيه الخفة ، وتسفيت الريح الفصون : حركتها واستخففتها قال ذو الرمة :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهُتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ الْنَوَاسِمِ
وتسفيت الريح الشجر : أى مالت به ، وناقاة سفية الزمام إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذى الرمة يصف سيفاً :

وَأَبْيَضَ مَوْشَى الْقَمِيصِ نَصَبَتْهُ عَلَى ظَهْرِ مِقْلَاتِ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

[يعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها ، والمقلاات التى تلد واحداً ثم تقلت رحمها فلا تحمل] . وتسفيت فلانا عن ماله : إذا خدعته عنه : وعنى بالسفهاء : السعاة ، والوشاة : الذين وشوا به . يقول : كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال : وإذا عودى الشاعر الحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر . وهذا تهديد بالهجاء

(٣) الضيفن : الذى يتبع الضيف ، ونونه زائدة ، وهو فعلن ، إذا أخذ من الضياقة ، وإن أخذ من الضفن — وهو الثقيل الكثير اللحم — فوزنه فعل قال الشاعر :

غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِيًا رُزُّهُ أَخَفُّ عَلَىَّ مِنْ أَنْ يُوزَنًا^(١)
أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مِنْ غَيْرِنَا مَعَنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنًا^(٢)
خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَا اللَّهُ كَيْ لَا تَحْزَنًا^(٣)

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفٌ فَأَوْدَى بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضَّيْفَ مِنْ
الضيافين : فاعل أودى ؛ وبما تقرى الضيوف : أى بما تقراء الضيوف .
يقول : إن مخالطة اللئيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة ، فهى كضيف
يليه ضيف من الندامة ؛ والأصل فى هذا ما جاء فى بعض الآثار : « الجليس السوء
كصاحب الكبر — أى الحداد — إن لم يصبك من شره أصابك من دخائه ، والجليس
الصالح كالدارى — يعنى العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه » .
(١) الرزء : اللصية . يقول : إذا كنت راضيا عنى لم أكرث بعد ذلك لغضب
الحسود ، لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن
لم يستحق أن يوزن لحفنة ،

(٢) من غيرنا : حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا : متعلق ، بمؤمنا ؛
ومؤمنا : خبر أمسى — الأولى — يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا
بفضلك : أى أن من يخالفنا فى الإيمان بالله يوافقنا فى الإقرار بفضلك .

(٣) الغزالة : اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها
عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا . هذا : وقد قال ابن جنى : إن سيوبه لا يجيز
تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك ما فعل الرجل الذى أعطاهك
زيد — على معنى الذى أعطاه إياك — فتأتى بالضمير المنفصل وتدع المتصل ، وأبو العباس
يجيزه ، فالصواب عند سيوبه : فأعاضها إياك ، ولكن الشعر موقف ضرورة ، فيجوز
فيه ما لا يجوز فى غيره قاله العكبرى : والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب
والغائب فالواحب تقديم ضمير المخاطب ، فكان الواجب : فأعاضها الله : ويقال عاضه
وأعاضه وعوضه

وقال وقد سأله الجلوس :

يَا بَدْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شَجُونُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثَالِهِ تَكْوِينُ^(١)
لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جِبْرِينُ^(٢)
بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيَا فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونِ^(٣)

(١) قوله والحديث شجون : جملة معترضة بين اسم « إن » وخبرها كقول القائل :
وَقَدْ أَدْرَكْتَنِي وَالْحَوَادِثُ جَعَةً أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافَ وَلَا عَزْلَ^(١)
وقولهم الحديث شجون : مثل ، معناه الحديث ذو شجون : أى ذو فنون وطرائق
مشتبكة مختلطة . يقول : إنك الرجل الذى لم يكون الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى :
وأشار بقوله « والحديث شجون » إلى أن تحت قوله « من لم يكن لمثاله تكوين »
معانى كثيرة لا تحصى .

(٢) اللام فى « لعظمت » رابطة لقسم مضمرة ، على تقدير « قد » بعدها : أى
لقد عظمت وجبرين : لغة فى جبريل ، كما يقال فى إسماعيل : اسمعين ، وفى إسرائيل :
إسرائيلين . يقول : لو كنت أمانة لكأت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن بتأديتها
جبريل الأمين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه . قال الواحدى : وهذا إفراط وتجاوز
حد يدل على قوة دين وسخافة عقل

(٣) البرية : الخلق ؛ وخاليا : حال . وقد أجرى « فوق ، ودون » مجرى الأسماء ،
فأعربهما إعرابها . يقول : إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها
بعضا ، فإذا حضرت بينهم استووا كلمهم فى التفسير عنك وصار أشرفهم وأعلام دونك .

(١) من أبيات لرجل من بنى دارم أسرته بنو عجل فلما أنشداه إياها أطلقوه ، وقبله :
وَقَائِلُهُ مَا بِالْبُلْهِ لَا يَزُورُنَا وَقَدْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعد :
لَعَلَّهُمْ أَنْ يُمَطَّرُونِي بِفِعْمَةٍ كَمَا صَابَ مَاءُ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْمَخْلِ
فَقَدْ يُنْعِشُ اللَّهُ الْفَقِيَّ بِمَدِّ عَثَرَةٍ وَتَصْطَلِحُ الْحُسْنَى سَرَاةُ بَنِي عَجَلٍ

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الحصببي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية :

أَفْاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَامٌ مِنَ الْفِطَنِ (١)
وَلَمَّا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْخُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٢)
حَوْلَى بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خِلْقٌ تُخْطِئُ إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنْ (٣)

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف يرمى بالسهم ؛ والضمير في « أخلام » للناس يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالحن ، فلا يزالون محزونين لبعدهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بما دق وجل من عبر الدهر وصروفه فكأنهم هم المقصودون بها وإنما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة . وحاصل المعنى أن الزمان إنما يقصد بشره الأفاضل ، قال حكيم : على قدر الهم تكون الهموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور فلا يزال مهجوما ، وأما الجاهل فلا يفكر في شيء من هذا . وفي هذا المعنى يقول الجاهلي ذو الأصبع العدوانى :

أَطَافَ بِنَارِيبِ الزَّمَانِ فَدَاسْنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بِصِيرُ
ويقول البحتري :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ

(٢) الجبل : ضرب من الناس . وسواسية : يعنى متساوين في الشر والأوأم ، ولا يقال في الخير ؛ وشر تفضيل بمعنى أشر ، والمراد بالخر هنا : الكريم — ضد اللئيم — يقول : نحن في جيل من الناس قد تساوا في الشر دون الخير ، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه .

(٣) خلق : جمع خلقه ، وهى الصورة التى يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح والأشخاص . ويروى : خلق — بالحاء — جمع حلقة ، وهى القوم يجتمعون مستديرين . وهو معلوم أن « من » يستفهم بها عن يعقل ، و « ما » عما لا يعقل ، تقول للجماعة من الناس : من أنتم ؟ وتقول : ماهذه القطعة أغتم هى أم إبل أم خيل ؟ . يقول : حولى من هؤلاء الناس جماعة كالبهاائم ، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل : ما أنتم ، ولا تقل : من أنتم ، وإلا عدوت الصواب : قالوا — وفى البيت — نظر إلى قوله تعالى « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

لَا أَفْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمُرُّ بِمَخْلُقٍ غَيْرِ مُضْطَفِّنٍ ^(١)
وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أُمَّلَاكِهِمْ أَحَدًا إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ ^(٢)
إِنِّي لَأَعْذِرُهُمْ بِمَا أَعْتَفُ عَنْهُمْ حَتَّى أَعْتَفُ نَفْسِي فِيهِمْ وَإِنِّي ^(٣)
فَقَرُّ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلِ إِلَى أَدَبٍ فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ ^(٤)

(١) تقول : قروت البلاد واستقريتها : إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد. والغرر : الاسم - من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلاكه - ومضطفن : ذو ضفن وحقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسي من الحساد والأعداء . ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ؛ يعنى أنهم جهال أعداء لدوى الفضل والعلم ، فلجهلهم وفصلى يعادونى .

(٢) الأملاك : جمع ملك . كجمل وأجمال والوثن : الصنم . يقول : لا أخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل . مثله مثل الصنم الذى لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الإنسان . ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال يقول هو أحق بالإذلال من الصنم ؛ وإنما خص الصنم لأنه أراد أنهم - أى الملوك - صور لا معنى وراءها . كالأصنام التى يفتن بها أقوام يعبدونها وهى تماثيل لا معنى وراءها .

(٣) التعنيف : التعبير واللوم ؛ والعائد على الموصول : محذوف : أى مما أعتفهم عليه و « حتى » ابتدائية ، وأنى : بمعنى أفتى ، قال تعالى : « ولا تنيا فى ذكرى » ومنه : الأثناة من النساء ، وهى التى فيها فتور عند القيام وتأن ، قال أبو حية النخري :

رَمَتْهُ أَثَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ نَوُومُ الضُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَى مَأْتَمٍ ^(١)
يقول : إنى أجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللوم حتى أعود على نفسى باللوم وأنى - أى أقصر - فى لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال ، والجاهل لا يلام على ترك المسكارم والرغبة عن المعالى ، وقد بين هذا فى البيت التالى .
(٤) الجهول : الكثير الجهل - والجهل : ضد العقل ؛ والرسن : الحبل الذى تقاد به الدابة ، قال ابن مقبل :

(١) قال الجوهري : المأتم عند العرب : النساء يجتمعن فى الخير والخير ، وأنشد هذا البيت ثم قال : فهذا لا محالة مقام فرح .

وَمُذْقِعِينَ بِسُبُوتِ صَحْبَتِهِمْ^(١) عَارِينَ مِنْ حُلَلِ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ^(٢)
خَرَابٍ بَادِيَةٍ غَرْنِي بَطُونَهُمْ^(٣) مَكْنُ الضَّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَا أَمْنٍ^(٤)
يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمْ خَبْرِي وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظَّنِّ^(٥)
وَحَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَقِيهِ بِهَا كَيْمَا يُرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ^(٦)

هَرَيْتُ قَصِيرُ عِذَارِ اللَّجَامِ أَسِيلُ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ^(١)
يقول : إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له؛ وأول ما يحتاج إليه الإنسان :
العقل الذي به يعقل ، ثم يتأدب بعد ذلك ، فإذا لم يكن عاقلاً لم يحتج إلى أدب ، كالبحار
ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن .
(١) الواو : واو « رب » ؛ وللدفع : الذي لا شيء له ، من دفع - بالكسر - إذا
لصق بالتراب ، والدفعاء : التراب ، وفيه معنى الخضوع . والسبوت : الأرض لا نبات
فيها ، ومنها سمى الرجل المعدم : سبوت . ويقال للقبر : سبوت من ثم . والحلل : جمع
حلة ، وقالوا : الحلة رداء وقيص ، وتماها : العمامة . والدرن : الوسخ والقذر . يقول :
رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ
والقذر صحبتهم .

(٢) خراب : جمع خراب وهو الذي يسرق الإبل خاصة ، ثم سمى به كل أص
وغرنى : جمع غرثان ، وهو الجوعان ؛ وغرنى : خبر مقدم ؛ وبطونهم : مبتدأ مؤخر
ومكن الضباب : بيضاها ، جمع مكنة ، والضباب : جمع ضب ، الدويبة المعروفة . يقول :
هم لأصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب ، يحصلون
عليه بلائمن .

(٣) طاش السهم : خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن : جمع ظنة ، وهي
ما تظنه بالإنسان من سوء . يقول : يسألونى عن خبرى فلا أخبرهم وأكتمهم
أمرى وهم لا تخطئ ظنونهم بأنى أنا المتنبي الذى ممعوا به ، ولكنى أكتم خبرى عنهم
خوفاً من غائلتهم .

(٤) أتقيه : رواها بعضهم « أتقيه » . والحلة : الحصلة المحمودة والذمومة ، ويرى

(١) هريت واسع الشدقين ، ومنه يقال للخطيب من الرجال : أهرت الشقةشة ،
وقصير عذار اللجام : يريد أن مشق شديقه مستطيل ، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام ،
ولم يصفه بقصر الحد وإنما وصفه بطوله ، بدليل قوله : طويل عذار الرسن :

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أَعْرَبُهَا فَيُهْتَدَى لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ^(١)
 قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَكِنَّ الْقَرْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْخَشِينِ^(٢)
 كَمْ مَخْلَصٍ وَعَلَا فِي خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ وَقَتْلَةٍ قَرَنْتُ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ^(٣)
 لَا يُفْجِئُنَّ مَضِيًّا حُسْنُ بَرِّهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الْكَفَنِ^(٤)

يظن والوهن : الضعف . يقول : رب خصلة في جليس لي أستقبله بمثلها من نفسى -
 أى أتخلق بمثلها - حتى يظننى مثله في ضعف الرأى ، كما قال الآخر :

أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَهَاقِلَةً

يريد المتنبي أنه يخفى نفسه وفضله خوفا من الحسد .

(١) خفت أعربها أى خفت أن أعربها ، وقد تقدم لذلك نظائر . وأصل الإعراب التبيين ،
 ومنه الأثر « والثيب : تعرب عن نفسها » وأصل معنى اللحن : العدول عن الظاهر إما خطأ
 وإما إلغازا وفطنة . ويسمى الفطن لحنًا ، ومنه الحديث « ولعل بعظم اللحن بحجته » أى
 أفطن لها ، والمراد هنا : الخطأ . يقول : رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى
 إلى ولا يطلع على أنى المتنبي فلم أقدر على ذلك . يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر
 أن يحيد عنها إلى اللحن .

(٢) النازلة : الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان . ومراده بالمركب الخشن
 ما يركبه من الأمور الشاقة يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساقي سهلة هينة ، وعزى
 ألان المركب الخشن . يريد لا أشتكى النوازل ، بل أصبر عليها ، ولا أستخشن الخطوب
 الصعبة لقوة عزى إذا عزمت .

(٣) العلى : جمع العليا ، وهى فى الأصل اسم للسكان العالى ، ثم استعملت بمعنى
 الرفعة والشرف والقتلة : المرة من القتل يقول : كم من خلاص وعولمن خاض المهالك
 وكم من قتل مع القدم للعبان ؟ يعنى أنه كثيرا ما يتخلص خائض المهالك للقدم عليها مع
 ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من المذمة والعار .

(٤) المضمين : المظالم ؛ والبزة : اللباس ، وراقه الشئ : أعجبه ، والدفين : المدفون
 وأراد بحسن البزة : اليسر وسعة الرزق .

يقول : لا ينبغي للمظلوم أن يسر بسعة رزقه - التى من آثارها حسن البزة - مع ما هو
 فيه من الذل ، فإنه مثل الميت الذى دفن ، والميت لا يسر بحسن كفنه . شبه المظلوم
 الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه الحسن كالكفن .

للهِ حالٌ أرَجَّيْها وَتُخْلِفي وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمِطُّنِي ^(١)
 مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِنْاثِ الْخَيْلِ وَالْحَصَنِ ^(٢)
 تَحْتَ الْعِجَاجِ قَوَافِيهَا مُضْمَرَةٌ إِذَا نُنْشِدُنْ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنٍ ^(٣)
 فَلَا أَحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُذْرِ وَلَا أَصَالِحُ مَمْرُورًا عَلَى دَخَنِ ^(٤)
 نُخَيْمٍ الْجَمْعِ بِالْبَيْتِ دَاءٌ يَصْهَرُهُ حَرُّ الْمَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ ^(٥)

(١) يقال عند التعجب من شيء : لله هو : والإخلاف : ضد الإنجاز وأقتضى : أطلب ، وكونها - أي حصولها - مفعول ثان لأقتضى ؛ ودهرى : مفعول أول : أى أطلب دهرى بمحصلها . ومطله حقه : سوفه ولم يقضه . يقول : إنه يرجى أن يصل إلى حالٍ يرضيه ، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ، ويطلب دهره بمحصلها فباطله في تبليغه إياها : وعبارة الواحدى : المعنى ههنا أن القادر على تمكينى من هذه الحال التى أرجو بلوغها وهى تخلفنى : أى لا تصل إلى ولا تنجز وعدى وأسأل دهرى بمحصلها وهو يعطى - هو الله تعالى .

(٢) الحصن جمع حصان ، وهو الذكر الفعل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون اللدح - لشحهم وجهلهم - ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور . جعل الخيل قصائد بدل القصائد التى مدحهم بها .

(٣) تحت العجاج : خبر مقدم ، وقوافيها : مبتدأ مؤخر ؛ ومضمرة : حال ، والعجاج الفبار . والمضمرة من الخيل : المعدة للسباق ، يقول : قوافى هذه القصائد خيل مضمرة تحت العجاج ، وليست من القوافى التى إذا أنشدت دخلت الآذان . قال العكبرى : وصفها بالتضمين وهو مدح للخيل ، وكذلك القوافى فى الشعر إذا جادت جاد الشعر ، قال ابن الأعرابى : استعبدوا القوافى فإنها حوافر الشعر .

(٤) مدفوعا . حال ، وكذلك ممرورا . والجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ؛ والدخن الفساد والغش والعداوة فى القلب ، ومنه الحديث « هدنة على دخن » ومثله الدخل . يقول : لست ممن يعتصم فى الحرب بالأبنية والجدر ، ولا أصالح أعدائى إذا غرونى وناقونى أى لا أصالحهم إلا على بذل الرضا ، و « مدفوعا » : رواه ابن جنى : مرفوعا ؛ أى يرفع إلى الجدر فيخارب عليها .

(٥) نخيم : خبر عن محذوف : أى أنا ؟ والجمع : الجيش ، وهو فاعل التخييم فى المعنى . والبيداء : الصحراء وصهرت الشمس دماغه : أذا به والمواجر : جمع هاجرة

أَلْقَى الْكَرَامُ الْأَلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى الْخَصِيْبِيِّ عِنْدَ الْفَرَضِ وَالسَّنَنِ^(١)
فَهَنَ فِي الْحَجَرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمَنَنِ^(٢)
قَاضٍ إِذَا التَّبَسَّ الْأَمْرَانِ عَنْ لَهُ رَأَى يُخْلَصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّيْنِ^(٣)
غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدُ فَجَرُ كَيْلَتِهِ مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ^(٤)

وهى منتصف النهار . والصم : الشداد . وهذا البيت تأكيد لما ذكره في البيت السابق يقول : إن عساكره قد نصبوا خيامهم في الصحراء يذيبهم حر الهواجر في قنن صم — شديدة — قال الواحدى : ويجوز أن تقول في قنن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التى لا تحبب الراقى .

(١) الألى : الدين ؛ وبادوا . هلكوا ؛ والخصيبى : هو المدوح ، نسبة إلى جده . يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا المدوح : أى ورثوه بإيها وفوضوها إلى عهده ، فهى عنده بجانب فروض الدين وسننه ، يحافظ عليها كما يحافظ على هذه . وعبرة الواحدى : فهو يستعملها — أى المكارم — عند ما يلزمه كالفريضة ، وعند ما لا يلزمه كالسنة ، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه .

(٢) الحجر — فى الأصل — المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف ، وفلان فى حجر فلان : أى فى كنفه ، وبدا — ملين من المهور — أى بدأ . والمنن جمع منة وهى النعمة . يقول : لما ورث المكارم بعد هلاك ذويها جعلها فى حجره يربها ويكفلهم فى جملة اليتامى الذين يكفلهم ، فكان كما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن — التى هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم ، قال الواحدى : وإنما ذكر اليتامى لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورجه فى معنى هذا البيت والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا ، قال : يعنى : أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء ، فلما هلكوا كملوها هذا المدوح ، لأنه قاض ، والقضاة تكفل اليتامى ، فكمّلوه كفلها ، فهو يربها مع سائر الأيتام ، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الأيتام . وهذا معنى قوله « كلما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمنن » أراد بدأ بالمكارم ، فأقام « المجد والمنن » مقامها ؛ لأنهما فى معناها .

(٣) عن : ظهر . يقول : هو قاض ذكى فطن ألمى إذا التبس الأمران واشتبه بعضهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا متميزين امتزاج الماء باللبن :

(٤) شباب غص : أى ناعم ناضر ، والوسن : النوم . قال الواحدى : « قوله بعيد فجريلته » فيه وجهان : أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيها يعكسبه من الدين والعلم ،

شَرَابُهُ النَّشْعُ لَا لِلرَّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَافُهُ لِقَوَامِ الْجَنَسِ لَا السَّمَنِ ^(١)
 أَلْفَايِلُ الصَّدَقِ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السَّرِّ وَالْعَلَنِ ^(٢)
 أَلْفَايِلُ الْحُكْمِ عَنِ الْأَوَّلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقِّ لِلْسَّاهِي عَلَى الذَّهْنِ ^(٣)
 أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا
 جَدَى الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ ^(٤)

وليس هو ممن يقصر ليلته باللذات . والثاني : أنه أراد بالفجر : يياض الشيب ؛ وبالليل سواد الشباب ، والمعنى أن يياض الشيب بعيد عنه ، لأنه شاب غض الشباب وقوله « عجائب العين للفحشاء والوسن » : أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل ، وعن النوم أيضا لطول سهره .

(١) نشع الشارب نشعا : إذا شرب شربا قليلا دون الرى . (*) قال ذو الرمة يصف الوحش :

فَانْصَاعَتْ الْحَقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فَلَارِيَّ وَلَا هِيمُ
 (الحقب : الدهر وقيل السفة . وانصاعت : فرت ؛ وقصع العطشان : غلته بالماء إذا سكنها ؛ والصرائر : جمع صارة ؛ أى العطش ، وهذا الجمع نادر ؛ والهيم : الإبل العطاش : أى ولا هى هيم) والطعم : الطعام : يقول : لا ينال من الطعام والشراب إلا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرئ ولا يأكل للسمن ، شأنه فى ذلك شأن الحكماء الزهاد ؛ قال حكيم : الناس يحبون الحياة لياكلوا ، وأنا آكل لأحيا .

(٢) لك أن تنصب « الصدق » على المفعولية ، وأن تجرّه على الإضافة تشبيها بالحسن الوجه ؛ والضمير من « فيه » للصدق . والسر : ما يسره الإنسان ؛ والعلن ضده يقول هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه ، ولا يضر خلاف ما يظهر رياء الناس وإنما سره وعلنه سواء .

(٣) فصل الحكم : قضاء وقطع به ؛ وعيى بالأمر : إذا عجز عنه ؛ والساهى : الغافل ؛ والذهن : الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون ، ويظهر حق الخصم الذى على الخصم الذكى .

(٤) جدى الخصيب : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ، و « عرفنا » : جواب

(*) أول الشرب : النشع ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتجيب ثم اليغر وهو عطش يأخذ الإبل فنشرب فلا تروى وتمرض وتموت .

الْعَارِضُ الْمَتْنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْمَتْنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْمَتْنِ (١)
 قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا أَبَاوَهُ مِنْ مُغَارِ الْعِلْمِ فِي قَرْنٍ (٢)
 كَانَتْهُمْ وَلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وَلِدُوا أَوْ كَانَ قَتْلُهُمْ أَيَّامَ لَمْ يَكُنْ (٣)

« لو » . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب ؛ حتى لو لم يقل
 جدى فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه ، كما يستدل بالنسب على الأصل ، وهذا
 المعنى من قول بعضهم :

وَإِذَا جَهَلْتَ مِنْ أَمْرِهِ أَغْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 ومثله قول أبي تمام :

فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا شَهِدَتْ بِهَا عَلَى طَيْبِ الْأُرُومِ
 (رَفِ النَّبَاتِ : اهْتَزْاضُهُ ؛ وَالْأُرُومُ - بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ - الْأَصْلُ ، وَبِضْمِ الْهَمْزَةِ :
 ع)

(١) العارض ؛ السحاب المعترض في الأفق . والمتن : الكثير الصب ، مثل المطل
 يقول : هو جواد ابن آباء أجواد . هذا : وقد عيب لفظ « متن » على المتنبي لأنه يقال
 سحاب متن ولا يقال متن ، ولكن جاء به قياساً على « هطل » وهو من النوادر .
 وقال العكبري : وقد عاب قوم أيضاً هذا البيت على المتنبي وقالوا : من إلى تكرار
 اللفظ ، قال : فسمعت شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : إن كان هذا
 عيباً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أصله فقد قال صلوات الله عليه : « يوسف الكريم
 ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » وإنما تكرر اللفظ لشرف الآباء .

(٢) الغار : الحبل المحكم القتل ؛ والقرن : الحبل يقرن به البعيران . ومن مغار :
 في موضع خال من قرن مقدمة ، وفي قرن : في موضع المفعول الثاني لصيرت . مدحهم
 بكثرة التجارب والعلم بالدنيا ، يقول : إن آباءه قد أحاطوا علماً بأحوال الدنيا —
 ماضيها وغابرها — حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها . وقال ابن جني : هذا مثل ضربة ،
 يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا : أول
 أحكام الدنيا : أى الأحكام التى تكون في الدنيا وتجري فيها . والمعنى أن آباءه كانوا
 علماء ، وقال ابن فورجه : مدحهم برواية الحديث ، يعنى أنها ضابطون للأيام عارفون
 بالأخبار ؛ وما ذكرناه أولاً هو الأظهر ، يدل عليه البيت التالى .

(٣) هذا تأكيد لما في البيت السابق ؛ و« كان » هنا تامة ؛ بمعنى الحدوث والوقوع ،

الْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَدًا مِنْ الْحَمَامِدِ فِي أَوْقٍ مِنَ الْجَنِّ (١)
لِلنَّاطِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ يُزِيلُ مَا يَجِبَاهُ الْقَوْمُ مِنْ غَضَنِ (٢)
كَأَنَّ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُغْتَرَفٌ مِنْ رَاحَتِيهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ (٣)
لَمْ تَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَتَقِي وَلَا مِنَ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالشُّقْنِ (٤)
وَلَا مِنَ اللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ (٥)

ومن ثم تكتفى بالفاعل . يقول : إنهم — لعلهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شؤون الأزمنة القديمة ، كأنهم وجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه ، أو كأن فهمهم كان موجودا في الأيام التي لم يكن موجودا فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الأيام .

(١) يقال خطر الرجل يخطر : إذا مشى متبخترا . والجن : جمع جنة ، وهي كل ما استقرت به من سلاح ونحوه . يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من الهامد ما يبق أعراضهم من الدم أكثر مما يبق السلاح . هذا : ونصب « الخاطرين » بضمير : أى أذكر ، أو أمدح ، ونحو ذلك .

(٢) الغض : تكسر الجله . يقول : إنه يقبل على الزائرين إقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبتس وجوههم ، والسرور يكون بشأ طلقا ، والمزور يكون منزوى جلدة الوجه .

(٣) يقول : إن عطاياه عمت القريب والبعيد فهي تسافر وتصل إلى من نأى عنه ، فكأنها تؤخذ من راحته في أرض الروم واليمن كما تؤخذ في داره . والحاصل : أن ماله يقرب من القاصى قربه من الدانى ؛ قال الشراح : وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد ، فإقليم الروم هو القريب منه واليمن هو البعيد عنه ، ليطابق بين القريب والبعد ، وإن عطاءه يعم القريب والبعيد .

(٤) اللزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء أو ذات الماء . واللق : الوحل الذى يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب . يقول : لم تفقد بوجودك من السحاب سوى الوحل الذى يكون من مائه ، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لمواصف الرياح ، يعنى أن الممدوح سحاب وبحر ، ولكن نغمه خالص لا يشوبه ما يكرهه ؛ قال المعبرى : وقوله : بك بمعنى « فيك » ؛ وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض .
(٥) يقول : ولم تفقد بوجودك من الاسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره ولا

مُنْذُ أَحْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ أَغْتَدَلْتُ حَتَّى كَأَنَّ ذَوِي الْأَوْتَارِ فِي هُذَن^(١)
وَمُنْذُ مَرَرْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرَعْتَ مِنَ الشُّجُودِ فَلَا تَنْبُتُ عَلَى الْقَنْنِ^(٢)
أَخْلَتِ مَوَاهِبُكَ الْأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْمِهْنِ^(٣)

من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن : يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك ،
وجميع القايح منفية عنك .

(١) الاحتباء : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بهائل سيفه أو نحو ذلك ،
وقد يحتجب بيديه ، والاسم الحبوة ، والحبوة ، والثوب الذى يحتجب به ، وجمعها
حبى - مكسور الأول - وحى ، قال ابن السكيت فى إصلاحه وروى بيت الفرزدق :
وَمَا حُلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبِّ حُلُمَانِنَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْتَفُ
بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان مثل سدره وسدر ، ومن ضم فمثل عرفة وغرف ،
وتحجب مثل اختبى ، قال ساعدة بن جؤية :

أَرَى الْجَوَارِسَ فِي ذُوَابَةِ مُشْرِفٍ فِيهِ النَّسُورُ كَمَا تَحْبَى الْمَوَكِبُ^(١)
والأوتار : جمع وتر ، وهو الثُّرْدُ . والهدن : جمع هدنة ، وهى السكون بين
المتحاربين . يقول : مذجلست محتبياً للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حق كأن
أصحاب الأحقاد قد تصالحوا وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم ، وذلك بعدلك
وحسن سيرتك فيهم .

(٢) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل ، وقرعت : من قرع الرأس ، وهو ذهاب
شعره ؛ و « لا » عاملة عمل « ليس » ؛ والقنن : جمع قنة ، وهى أعلى موضع فى الجبل .
يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلماً - مع بعدها
من التمييز - خفضت هيئة لك ، وجعل الخضوع شجوداً لما بينهما من الملاسة ؛
وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس ، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها
من الثبت فصارت قرعاء .

(٣) الصنع : الصانع الحاذق . والمهن : جمع مهنة ، وهى الخدمة والتبذل فى التصرف

(١) الأرى : العسل ، وجرست النحل الشجر للعسل : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل :
جوارس ، وفيه النسور الخ . يقول : استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون وفى
ذؤابة مشرف : أى فى أعلى الجبل .

ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ وَزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنٍ ^(١)
وَهَذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُؤْتَهَا بَشَرٌ وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِي الْمُنَى ^(٢)
فَمُرْ وَأَوْمِرْ تَطْعُ قُدْسَتْ مِنْ جَبَلٍ تَبَارَكَ اللَّهُ يُجْرِي الرُّوحَ فِي حَضَنِ ^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله ابن الحسن الأنطاكي :
قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَالْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا ^(٤)

يقول : خلت الأسواق من الصناعات عطلوها استغناء بعبائك عما كانوا يعملون، يعني أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس .

(١) يقول : هذا الجود الذي نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للأحداث . ، فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بعمارتها وجمع المال لها .

(٢) هيبة : تروى : همة . والمُنَى : جمع منة - بضم الميم - وهي القوة . يقول : لك هيبة وعظمة في قلوب الناس لم يؤتها أحد ، ولك قوة منطق ليس هناك مثلها .

(٣) أوم : أصلها أومى ؛ حذفت الهمزة ، وتروى : وأومى ، ويصح بها الوزن ؛ و « قدست » دعاء ؛ وجبل : تمييز ، و « من » زائدة ؛ وحضن : جبل بنجد ؛ ومنه المثل : أتجد من رأى حضنا - يقال للذي يبلغ حاجته وإن كان في غير بلاد تجدد ولا قريبا منها - يقول : مر من حدثت وأومى - أشر - فإنك مطاع كجبل ذي روح في ثباته ووقاره ورزاقته .

(٤) البين ، البعد والفراق ، ومنا : حال من « الأجفان » مقدمة عليها ؛ والبين : مفعول ثان « لعلم » مقدم ؛ وأجفانا : مفعول أول ، وتدمى : صفة لـ « أجفانا » كأنه قال : أجفانا دامية ، وقال التبريزي : أراد أن تدمى ، « لحذف » أن يقول : إن فراق الاحبة علم أجفانا الدامية - من طول البكاء - أن يبتعد بعضها عن بعض - كفى به عن ادامة السهر - كما قال .

* وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ *

وجمل الفراق يؤلف الحزن إغرابا في الصنعة ، مثله :

أُمْتُ سَاعَةٍ سَارُوا كَشَفَ مِغْصِمَهَا لِيَلْبَثَ الْحَيُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانًا^(١)
وَلَوْ بَدَتْ لَأَنَاهُنْهُمْ فَحَجَّجَهَا صَوْنٌ عَقُولَهُمْ مِنْ لَحْظِهَا صَانًا^(٢)
بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٌ يَبْظُلُ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخِذْرِ حَشِيَانًا^(٣)

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتَنِي فَمَا تَلَقَّتِي إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي
(١) ضمير « ساروا » للأحبة ، وإن لم يتقدم لهم ذكر ، لدلالة المقام ؛ والمعصم : موضع السوار ؛ ولبث : يقيم ؛ والحي : القوم النازلون والظاعنون . يقول : رجوت وتمنيت عند حيل الأحبة أن تكشف معصمها - أي تظهره - عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن السير فأزود من إقامتها .

(٢) تاه بيقه ويتوه : ضل وتغيره ، وأناهه غيره : أضله وحيره . والصون : الحفظ وعقولهم : مفعول « صان » . يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها ، يعني أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ولحظ : مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أي لو لحظوها لطارت عقولهم ، أو لحظتهم لأخذت عقولهم .

(٣) الباء : للتعدي ، والواخيدات : السرعات . يريد : الإبل . وأصل الوخذ : للنعام واستعمل في سير الإبل . وخد البعير يخذو وخدا ووخذانا : وهو أن يرى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادي : الذي يسوق الإبل بالغناء . والخذر : خدر المرأة ، ما يكنها ويسترها . وخشيانا : خائفا . يقول : يفدى بالإبل الواخدة - السرعة - في السفر ومحاديها وبنفسى قمر يظل في خدره خائفا مذعورا من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا : يروى « حشيانا » - من الحشى ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشاعر :

تُلَاعِبُنِي إِذَا مَا شِئْتُ خَوْدُ^(١) عَلَى الْأَنْمَاطِ ذَاتُ حَشَى قَطِيعِ
(أي ذات نفس متقطع من منها ؛ وقطيع : نعت لحشى . والأنمات : جمع نمط ،

(١) خبد : نعت لبهكنة في قوله .

وَلَوْ أَنِّي أَشَاهُ كَفَنْتُ نَفْسِي إِلَى بَيْضَاءَ بَهْكَنَةِ شَمْعٍ
والبهكنة : التارة الغضة ، والشموع : اللعوب الضحكوك .

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَقَرَّرَى مِنْ... مَحَاسِنِهِ إِذَا نَضَّاهَا وَيَكْتَسِي الْحُسْنَ عُرْيَانًا^(١)
يَصْنَعُهُ الْمِسْكُ صَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانًا^(٢)
قَدْ كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيرٍ بِمَدَّ كَلِّمِ هَانَا^(٣)

ضرب من البسط له خمل رقيق () : وفي حديث عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع ، فتبعته - تظن أنه دخل بهن حجر نسائه فلما أحس سوادها قصد قصدتها ، فعدت ؛ فمدا على أثرها ، فلم يدركها إلا وهى فى جوف حجرتها ، فدنا منها - وقد وقع عليها البهر والربو - فقال لها : ماى أراك حشيا رابية ؟ » أى مالك قد وقع عليك الحنى ؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيته والحدت فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره . يقول للتنبي : إن وخدها يزعبه لعدة رفة فيتتابع نفسه . قال العكبرى : وأنكر بعض من لا يعرف اللغة على أبى الطيب لفظة « حشيان » ، وقال لم اسمها ، وكأنه لم يسمع قول الآخر - هو أبو جندب الهذلى - :

فَنَهْنَتْ أُولَى الْقَوْمِ عَنْهُمْ بِضَرْبَةٍ تَنْفَسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانٍ مُحْجَرٍ
(١) نضا عنه الثوب : خلعه وألقاه ؛ ويكسى : بمعنى يكتسى ، يقال كسوته ثوبا أكسوه وكسى يكسى فهو كاس : إذا اكتسى . يقول : إذا خلع الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه ، وإذا عرى عن الثوب كان مكسوا بالحسن .
(٢) الأعكان : الأطواء فى بطن الجارية ، من السمن ، وهى جمع عكن ، جمع عكنة ، وتمكن بطن الجارية . يقول : إن للمسك يحبه كالمستهام به ويلذف عليه حتى يصير للمسك أعكانا على أعكان بطنه .

(٣) يقول . كنت أشفق - أخاف - على عيني من البكاء ، أما وقد افترقنا فقد هان على كل عزيز لبعدهم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ، وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين :

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كُنْتُ السَّوَادَ لِلنَّاطِرِ قَمَلَيْكَ يَبْكِي النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بِمَدَّكَ فَلَيْمْتُ قَمَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذَرُ

(٢٣ التنبي - ٤)

تَهْدِي الْبَوَارِقُ أَخْلَافَ الْمِيَاهِ لَكُمْ
إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيْعِي
أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالشَّوْءِ يَذْكُرُنِي
وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي
مُحْسَدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي
وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانًا^(١)
قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلَاكُمْ خَانًا^(٢)
وَلَا أَعَايِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا^(٣)
إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْنَمَا كَانَ^(٤)
أَلْقَى الْكَيْمَ وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَ^(٥)

(١) البوارق: السحاب ذوات البرق . والأخلاف: الضروع ، واستعار للمياه
أخلافاً لأنها تغزو النبات كما تغزو الأم بالإرضاع ولدها . يقول: إذا برقت السحاب
بشرتك بالفطر - المطر - فهي تهدي إليكم الماء وتنت لكم الكلال وتهدي للمحب نيرانا
أي تذكي نيران شوق - لأنها تلمع من جانبكم الذي ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوق ،
(٢) قدمت - بفتح الدال - تخدمت ، وبكسر ها : وردت . وشيئني: تبعني؛ وأسلامكم
مثل أسلوكم : يقول: قلبي يتبعني ويطيعني في كل هول إلا على السلو ، فإنه لا يطيعني
وإنما يخونني ؛ وفيه نظر إلى قول البحرى:
أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فَوَادِي لَوْعَةٍ وَأَصْدُ عَنْكَ وَوَجْهٌ وَدِّي مُقْبِلُ
وَإِذَا طَلَبْتُ وَصَالَ غَيْرِكَ رَدِّي وَلَهُ عَلَيْكَ وَشَافِعُ لَكَ أَوَّلُ
(٣) الصنع: الإعراض . والإهوان: الإهانة - أخرجه على الأصل للضرورة ،
كما قال الآخر :

صَدَدْتُ فَأَطُولُ الصَّدُودَ وَقَلَمًا وَصَالَ حَتَّى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ
(يريد: فأطلت فجاء به على الأصل) . يقول: إذا ظهرت لمن يذكركني بالسوء في
غيبق عظمي وخضع لي ، وأنا أعرض عن عتابه إعراضاً عنه واحتقاراً له ، لأنه لا يقدر
أن ينظر إلى في حضرتي .

(٤) يقول: وكنت وأنا في وطني وبين أهلي غريباً قليل المرافق والمساعد ، ثم قال
وكذلك النفيس العزيز: غريب حيث كان ، ولو في وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة
إنما هي لفقد النظير ، لا لفقد النسيب ؛ قال أبو تمام:

غَرَبَتْهُ الْعَلَى عَلَى كَثَرَةِ الْأَهْلِ لِي فَأَضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبَا
فَلَيْطُلُ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرٍّ وَمُقِيمًا بِهَا لَمَاتَ غَرِيبًا
(٥) محسد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا محسد الفضل؛ والمحسد: من يحسد كثيراً

لَا أَشْرَبُ إِلَى مَا لَمْ يَفْتُ طَمَعًا وَلَا أُبَيِّتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانًا^(١)
 وَلَا أُسْرِ بِمَا غَبَرِيَ الْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَلَّتْ إِلَى الدَّهْرِ مَلَانًا^(٢)
 لَا يَجْذِبُنِي رِكَابِي نَحْوَهُ أَحَدٌ مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلَقُنِي كِبَرَانًا^(٣)
 لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانًا^(٤)

والكمي : البطل المستتر بسلاحه . وحان حينه : قرب أجله . يقول أنا محسود الفضل في كل مكان ويكذب على إذا قت وخرجت من مشهد وجمع والشجاع إذا حان حينه لقبي في المعركة ؛ فقله مكذوب على أترى : أي يكذب على أعدائي على أترى وخلقى ووقت خروجي من محفل ، وهو من قول البرج التغلبي :

يَمْتَكِبُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَاَقَيْنَا اقْشَعَرُ
 وقال سويد بن أبي كاهل :

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ

(١) أشرب إلى الشيء : تطلع نحوه ؛ ومن كلمة لعائشة رضى الله عنها : « أشرب النفاق وارتدت العرب » ، قال أبو الوليد : أشرب ارتفع وعلاوكل رافع رأسه مفرج وأنشد لذي الرمة يصف الظبية ورفمها رأسها :

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أُمَامَ الْمَطَايَا تَشْرَبُ وَتَسْنَحُ

وحسران : فعلان من الحسرة : يقول : لا أنطلع إلى ما لم يفت من الدنيا ، ولا أنحسر على ما فات : أي لا أبالي بالدنيا ، فلا أنطلع إلى شيء ، ولا أنحسر على شيء ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

إِنَّ الْفَنَى الَّذِي يَرْضَى بِمِيشَتِهِ لَا مَنْ يَظَالُ عَلَى مَا فَاتَ مُكْتَنِبًا

(٢) الحميد : الحمود . يقول : لا أسر بالشيء الذي آخذ من غيري ، لأنه هو الحمود على إعطائه ، ونفسى تأبى ذلك ، ولو ملأت الدهر لي عطايا :

(٣) الركاب : الإبل . وقلقلني : حركني . والكيران : جمع كور ، وهو رحل الجمل يقول : لا أقصد أحدا ما حييت وما حركت ركابي أكوارها ، يعني ليس هناك من يستحق أن أقصده وأتبع إليه . قال العكبري : هذا قوله وقد قصد بعد هذا جماعة ، بل يشهد له آخر الشعر ...

(٤) بعرانا : جمع بعير ، وهو حال من « الناس » . يريد بالناس : جماعة بأعيانهم

فَالْعَيْسُ أَهْقَلُ مِنْ قَوْمِ رَأَيْتُهُمْ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُيْمَانًا^(١)
 ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قُلَّ الْجَوَادُ لَهُ ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانًا^(٢)
 ذَاكَ الْمُمِدُّ الَّذِي تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا فَلَوْ أَصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَانًا^(٣)

كما يدل على ذلك البيت التالي . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ما وراء
 ظواهرهم من للعاني البهيمية وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب ،
 وإنما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال صاحب ابن عباد ينقد المتنبي : أراد أن
 يزيد على الشعراء فى ذكر اللطايا ، فأنى بأخزى الحزايا ، قال : ومن الناس أمه ، فهل
 ينشط لركوبها ؟ وللممدوح أيضا عصة لا يجب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس
 الأمر على ما قال . لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيرا من الناس
 كما قال السرى الرفاء :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا

أَسِيرَ تَقْيِفٍ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ

لم يفضل السرى أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت . وإن
 كان قد أكد بقوله حياً وميتاً . على أن المتنبي خصص فى البيت التالي .

(١) العيس : الإبل البيض . وعما : متعلق بعيماناً ؛ و « عيماناً » مفعول ثانٍ لرأيت
 وفاعل يراه : ضمير الممدوح . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه
 هذا الممدوح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتنطقى من
 الناس اللثام الذين عموا عن طريق الإحسان ، فلم يروا منه ما رآه الممدوح .

(٢) الجواد : السخى الذى يجود بماله ، والأقران : جمع قرن . بكسر القاف . وهو
 الكف فى الحرب . يقول : لا يمكننا أن نصفه فى جوده بصفة فوق الجواد وإن كان
 لفظ الجواد قليلا عليه ، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قربنا بمن يقال لهم شجعان
 يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع ، وإن قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع
 إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره .

(٣) الممد : المهيء الشيء لوقت الحاجة . وتقنو : أى تقنى — يقال قنوت الشيء
 أقنوه قنوا — وعزيت الرجل : سلبته عن حزنه . يقول : إن ما يجمعه من المال ويقتنيه
 إنما يقتنيه للشعراء والوافدين ، فلو أصيب بشيء من ذلك للمال عزاناً ، لأن ذلك المال لنا
 وإن كان فى يده .

خَفَ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أَمَلِهِ حَتَّى تَوَهَّمَنَ لِلْأَزْمَانِ أَرْمَانًا^(١)
يَبْلُغُ الْوَعَى وَالْفَنَاءَ وَالنَّازِلَاتِ بِهِ

وَالسَّيْفِ وَالضَّيْفِ رَحْبَ الْبَاعِ جَذَلَانًا^(٢)
تَحَاَلَهُ مِنْ ذَكَاءِ الْقَلْبِ مُحْتَبِيًا وَمِنْ تَكْرُمِهِ وَالْبَشْرِ نَشْوَانًا^(٣)
وَتَسَحَبُ الْحَبْرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِي جُودِهِ وَتَجَرُّ الْخَفِيلُ أَرْسَانًا^(٤)
يُعْطَى الْمُبَشِّرُ بِالْقَصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانًا^(٥)
جَزَتْ بَنِي الْحَسَنِ الْحُسْنَى قَانَهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلَهُمْ فِي الْغَرِّ عَدْنَانًا^(٦)

(١) الأمل : أطراف الأصابع . يقول : إن الزمان في يده ونحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته ، فكأن أمانه أزمان للأزمان لتقليبها إياها ، والزمان يقلب الأحوال وأمانه تقلب الزمان ، فكأنها زمان للزمان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ والقنا : الراح ؛ والنازلات : حوادث الدهر تنزل بالإنسان ورحب الباع : واسع الصدر ، وجذلانا : فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقى الأمور الصعاب فرحاً مسروراً .

(٣) محتبياً : متوقداً شديد الحرارة ، والبسر : طلاقة الوجه وتهله والنشوان : السكران . يقول : لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران .

(٤) الحبر : جمع حبرة — بكسر ففتح — وهي ثياب تعمل في اليمن ، والقينات : جمع قينة وهي الجارية للغنية ، ورفل في ثيابه يرفل . إذا أطالها وجراها متبخترا .

والأرسان : جمع رسن ، وهو الحبل . يقول : إن جميع ما تنفقه هو من ماله ، فماتلبسه الجوارى وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده ، وكذلك ما تجر خيلنا من الأرسان

(٥) عطشاناً : حال من « الماء » في يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والعفاة

قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، معنى : أنه يعطى القصاد ويعطى الذى بشرهم من قبلهم أيضاً لشدة كرمه وارتياحه للبذل ؛ ولعله ينظر إلى قول أبي تمام :

يُبَشِّرُهُ خَدَامُهُ بِمِفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظَّمْآنَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهُ

« وشل الماء وشلا فهو واشل : سال أو قطر ؛ وجبل واشل : يقطر منه الماء ؛

والوشل : الماء القليل والماء الكثير ، فهو من الأضداد :

(٦) الضمير في « مثلهم » عائد على القوم . والغر : جمع الأغر ، وهو السيد الشريف .

مَا شَهِدَ اللَّهُ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ إِلَّا وَتَمَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمْ. (١)
 إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وَجِدُوا فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانًا (٢)
 كَأَنَّ أَلْسِنَهُمْ فِي النَّطْقِ قَدْ جُمِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خِرْصَانًا (٣)
 كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظُلْمٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِ رِيحَانًا (٤)

وعدنانا : بدل من الفر . قال ابن جني : كان للمدوح من ولد الحسن بن علي عليها السلام . والحسنى : ضد السواى . وقالوا : المراد بها الجنة يقول : كانت الحسنى جزاء لهم ، فإنهم في قومهم مثل قومهم في عدنان الفر ؛ يعنى أنهم خير قومهم ، وقومهم خير عدنان ، وهذا من قوله تعالى « فله جزاء الحسنى » .

(١) يقول إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئا منه فهو فهمهم الآن كما كان قديما . وأصل التشديد والإشادة إحكام البناء ورفعها ، فاستعير لرفع الصوت ؛ يقال أشاد بذكره : أى رفع من قدره وأشاعه ، أفرد به الجوهري الخير ، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان في الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعوا والسالف : واحد السلف ، وهم الذين مضوا .

(٢) قال الواحدى : هذا تفصيل ما أجمله في البيت الذى قبله : يعنى أنهم كتاب فضلاء شجعان كآبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب ، وليس يريد بقوله لقوا ملاقاته الاقتران في القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده ، إنما يريد ملاقاته الاقتران في الخطابة والمكاملة .

(٣) الخرصان : جمع خرص ، وهو حلقة السنان ، والمراد بها هنا : الأُسنة نفسها . يقول : إن أُسنتهم ماضية نافذة مضاء ألسنتهم في النطق . فكأن ألسنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة ، فمكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة في مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأُسنة تشبه بها هذا منقول من قول البحتري :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ أَلْ مَصْقُولُ خِلَتْ لِسَانُهُ مِنْ عَضْبِهِ
 (٤) الظمأ : العطش ؛ وينشقون : يشمون ؛ والخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط ، موضع بالجمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واسترواحهم إليها صار الموت عندهم قديذا كالماء للظمآن ؛ وصارت الرماح شبيهة كالريحان الذى يشم وهذا بسبيل من قول البحتري :

الْكَاثِبِينَ لِمَنْ أُنْبِئِي عَدَاوَتَهُ أَعْدَى الْعَدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانًا^(١)
خَلَائِقُ لَوْ حَوَّاهَا الزَّنْجُ لَا نَقْلِبُوا ظَمَى الشَّفَاءِ حَمَادَ الشَّعْرِ غُرًّا^(٢)
وَأَنْفُسُ يَلْعَبِيَّاتٌ تُحِـمُّهُمُ لَهَا اضْطِرَارًا وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَفَانَا^(٣)

يَتَزَاخَمُونَ عَلَى الْقِتَالِ لَدَى الْوَعَى كَتَزَاخَمَ الْإِبِلِ الْعِطَاشُ بِمَوْرِدِ
(١) نصب « الكاثنين » على « المدح » كأنه قال: أمدح ، أو أعنى . وأعدى العدى
خبر الكاثنين . وهذا مثل قول البحترى :

أَخْ لِي لَا يَذْنِي الَّذِي أَنَا مُبْعِدٌ لَشَيْءٍ وَلَا يَرْضَى الَّذِي أَنَا سَاخِطُهُ
(١) خلائق : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه خلائق ؛ والخلائق : جمع خليفة ،
وهى السجية ؛ والزنج : جيل من السودان وظمى الشفاء : دقاق الشفاء مع سمرة
كأنها لم ترنو فتغلظ ؛ والزنجى يوصف بغلظ الشفاء حتى شبهوها بمسافر الإبل ،
قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيًّا عَرَفْتَ قَرَابِي وَلَكِنْ زَنْجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ^(١)
وغران : جمع أغر . وهو الأبيض المشرق ؛ والجعد من الشعر : خلاف للسترسل .
يقول : إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لو حواها الزنج على قبج صورهم لفظت
هذا القبج وصاروا عند الناس كمن خلقهم خلقة حسنة ، وصاروا مع سوادهم كأنهم
بيض ، ومع غلظ مشافرهم كأنهم ظمى الشفاء . وعبرة بعض الشراح : هذه الخلائق
الشريفة لا تعرف إلا فى كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على ما يعرفون به من
الحسة والهمجية لصيرتهم كراما يبيض الجلود حسان الصور ، قال ابن القطاع : قد أخذ
عليه فى هذا البيت قوله « جماد الشعر » إذ كأنه قال : لا تقبلوا من الجعودة إلى
الجعودة ، لأن شعور الزنج جماد ، قال : والمعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال لأن
شعور الزنج زائدة الجعودة .

(٣) أنفس : معطوف على « خلائق » واليلمى : الألمى الحاد الفطنة . وقوله لها :
أى لأجلها ؛ وأقصوك : أبعدوك ؛ والشنآن : البغض ، يحرك ويسكن . يقول : ولهم

(١) هجا الفرزدق رجلا من ضبة ففناه ونسبه إلى الزنج ، وأصل للشعر
للبيعر . واستعاره للانسان لما قصد من تشنيع الخلق ، والقرابة التى بين ضبة وبينه أنه
من تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وضبة هو أبو أد بن طابخة .

الْوَضِيعِينَ أَبْوَاتٍ وَأُجْبِنَةَ وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَابًا وَأَذْهَانًا^(١)
يَا صَائِدَ الْجَحْفَلِ لِلرَّهْوَ بِجَانِبِهِ إِنَّ الْيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَحْدَانًا^(٢)
وَوَاهِبًا كُلُّ وَقْتٍ وَقْتٍ نَائِلِهِ وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوَهَابُ أَحْيَانًا^(٣)
أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الْأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَالَ خَزَانًا^(٤)
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيَتْ مُرْتَقِبٌ لَمْ تَأْتِ فِي السَّرِّ مَالَمَ تَأْتِ إِعْلَانًا^(٥)

أنفس ذكية فطنة تحبهم - أيها المخاطب - لأجلها ضرورة ، ولو أبعدوك بفضالك ؛
يعنى أن من عادوه يحبهم ، لما فيهم من الفطانة ، فحبهم ضرورة .

(١) الواضحين : نصب على الدح : أى اذكر ، أو أعنى ، ونحوها . والأبوة :
مصدر الأب ، يريد الآباء ؛ والأجينة : جمع جبين ؛ والألباب : جمع لب ، العقل ،
يقول : هم معروفو الآباء ، وأنسابهم طاهرة ، ووجوههم حسنة جميلة - أو متهلة -
كرما ، مشرقو العقول والأذهان . يقال فلان واضح الجبين : إذا كان حسن النظر
بها ، كما قال ابن غنمة :

• كَانَ جَبِينُهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ •

(٢) الجحفل : الجيش العظيم . وأحدانا : جمع واحد ، وأصله وحدان . يقول :
أنت تصيد الجيش كله واليـث يصيد الناس واحداً واحداً ، فأنت أشد بطشاً من اليـث .
(٣) كل وقت : مبتدأ خبره وقت نائله والجملة صفة لواهباً ؛ والنائل : العطاء .
الوهاب : جمع واهب ، وقد روى بفتح الواو ، صيغة مبالغة . يقول : إن الأجواد
يجودون الحين بعد الحين ، وأنت جواد تجود كل الأوقات .

(٤) السبك : الإذابة والإفراغ ؛ ومكرمة : مفعول ثان لسبك - على تضمينه معنى
حول - وللمكرمة فعل السكرم : يقول : إنه سبك أمواله وأحاطها مكارم ثم جعلها فى أيدى
العفاة فكانه اتخذهم خزاناً لأمواله . وعبارة الواحدى : سبك الأموال - أى جمعها
وصفها واستخلصها - ثم اتخذ السؤال خزاناً مكرمة ، أى سلمها إليهم كما يسلم المال إلى
الخازن ، وهذا من قول البحرى :

جُلِّ مِنْ مَلَى يَشْكُكُنْ فِي الْقَوِّ مِ أَمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خَزَانُهُ^(١)
(٥) أخليت : يروى بالبناء المجعول - أى وجدت خالياً - ويروى بفتح المحزة :

(١) الأبا : جمع لهوة ، العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزلها .

لَا أُسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ أَنَا الَّذِي نَأَمَّ إِنَّ نَبَّهْتُ يَنْظُرَانَا^(١)
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيْتُ السَّكْرَامَ بِهِ وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الْإِيَّامِ رِضْوَانَا^(٢)
وَأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا وَكِبْرُهُمْ قَدَّرَا وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا^(٣)

أى صادفت مكانا خاليا ، كما يقال أ كذبت به : أى صادفته كذابا ، وأجيبته : صادفته جيانا والمرتبب : الرقيب . يقول : لست تفعل فى الخلا ما لا تفعله فى الملا ، وفى السر ما لا تفعله فى العلن ؛ فلك من نفسك رقيب عليك ؛ وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأَمَّا لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّما عَلَى بَظْهِرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) يقول : لقد بلغت الغاية فى السكرم . فلو أنى استزدتك كرما كنت جاهلا بحملك من السكرم . وكنت كمن به يعظان واليعظان لا ينبه ، كذلك أنت لاستزداد كرما ، قال العكبرى : إنما قال نام ولم يقل نمت ، لأنه لما كان فى الضمير ذم لم يردده إلى نفسه ، وهذا من أدق ما فى شعره وأدله على حكمه واستيلائه على نصب السبق فى شعره ، ولولا تأملت شعره لوجدت فيه كثيرا من هذا ، وإذا كان فى الضمير مدح أعاده إلى نفسه ، ألا ترى إلى قوله :

* وَأَمَّا لِيَنَّ قَوْمٌ كَأَنَّ نَفُوسَنَا *

فأعاد الضمير إليه ولم يقل « نفوسهم » ؛ وهذا من البلاغة والحدق .
(٢) باهيت : فاخرت ؛ والسخط : ضد الرضى . ورضوانا مصدر ، يقال بكسر الراء وضمها . يقول : مثلك من أواخر السكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ، ومثلك يرد الساخط على الأيام راضيا ، بإحسانك وإنعامك .

(٣) قال ابن جنى : لا يعجبنى قوله سواك لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ولو قال أنشاك أو نحوه لكان أليق . قال العروضى : سبحانه الله : أنليق هذه اللفظة بشرف القرآن ولا تليق بلفظ للتنبي ؛ قال الله تعالى : « الذى خلق فسوى » وقال « بشرا سويا » وقال « فسواك فعدلك » وقال « ثم سواك رجلا » . قال ابن فورجه : قرأت على أبى العلاء للمعرى ومزنته فى الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلمة : ما ضرابا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لى عوار الكلمة التى ظففتها ثم قال لى : لا تظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فحرب إن كنت مرتابا ، وها أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان أليق بمكانها ؛ وليجرب من لم يصدق بحمد الأمر على ما أقول :

وقال في مجلس أبي محمد بن طنج وفد أقبل الليل وهما في بستان :

رَالِ النَّهَارُ وَنُورٌ مِنْكَ يُوهِمُنَا أَنْ لَمْ يَزَلْ وَلِجْنَحِ اللَّيْلِ لِمَجْنَانٍ^(١)
فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمَسِّكُنَا فَرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانٍ^(٢)

وقال في بطيخة من الند في غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها
هند قد أدير حولها كانت في يد أبي العشائر^(*) :

مَا أَنَا وَالتَّمَرُ وَبَطِيخَةٌ سَوْدَاهُ فِي قِشْرِ مِنَ الْخَيْزُرَانِ^(٣)

(١) جنح الليل — بضم الجيم وكسرها — طائفة منه ؛ وجنوح الليل : إقباله
وجنه الليل وأجنه : ستره . يقول : إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل،
مع أن الليل قد أظلم .

(٢) يقول : إن كنا إنما نبقى في هذا البستان رغبة في البستان فسر منه ، فكل
مكان كنت فيه فهو بستان بك .

(*) قد تقدمت قطع أخرى في هذه البطيخة .

(٣) من رفع « الحجر » عطفه على « أنا » ومن نصب : جعل الواو بمعنى « مع »
وإعراب بطيخة : إعراب الحجر ، وأنشدوا :

يَا زَبْرَقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَيَبَ أَيْكَ وَالْفَخْرُ^(١)
وقال المذلي :

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَتَافٍ يُبْرِحُ بِالذِّكْرِ الضَّابِطِ^(٢)

(١) للمخبل السعدي ، وبعده :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا فِي بَنِي خَافٍ كَالِإِسْكَتَيْنِ عَلَاهُمَا الْبُظْرُ

ومعنى ويب أليك : التصغير له والتحقير ، وبنو خاف : رهط الزبرقان بن بدر .
يقول : من ساد مثل قومك فلا غر له في سيادتهم ، وشبههم إذا اجتمعوا حوله
بالظرتين الإسكتين والإسكتان — بكسر الهمزة — جانباً الفرج ، والشاهد رفع الفخر .

(٢) المتلف : اللقاة ، والتبرج : للشقة ، وأراد بالذك جلا . لأن الذك أقوى
من الناقة ، والضابط القوى . يقول : مالى أعجم للشاق بالسير في الفلوات للثقة ، والشاهد
نصب السير « أنظر شرح ابن يعيش للمفصل باب المفعول معه » .

يَشْفُلْنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوَطِّئِي النَّفْسَ لِيَوْمِ الطَّعْمَانِ^(١)
وَكُلُّهُ نَجْلَاءٌ لَهَا صَائِكَ يَنْخَضُ مَا بَيْنَ يَدَيِ وَالسَّيَّانِ^(٢)

* * *

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نموه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر :
يَمَّ التَّعْتَلُّ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ^(٣)

وقد جعل غلاف البطيخة قفراً لها ، والخيزران قال ابن سيده : نبات لين
القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم ، ولذلك
قال النابغة الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادُهُمْ بِلَادُ الْخَيْرَانِ
وذلك أنه كان بالبادية ، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر ، وقيل أراد
أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم ، وقيل هو شجر وهو عروق القناة . والخيزران :
الرياح لتثنيها ولينها . قال العكبري : والعرب تجعل العرق خيزرانة قال شاعرهم
يصف حمامة :

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى عَلَى خَيْرَانَةٍ يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِيْنِهَا
هتفت الحمامة : ناحت ؛ وحمامة هتوف : كثيرة الهتاف .

(١) وطن نفسه للأمر : ذلها ومهدا . يقول : مالي ولهذه البطيخة : إني مشغول
عنها وعن غيرها بتوطين نفسي للضرب والاطمئن يوم الطعن .

(٢) كل - بالرفع - عطف على توطئتي ؛ ومن خفضه عطفه على الطعمان ؛ والنجلاء
الواسعة ، وصائك : لازق - صاك به الطيب بصيك : إذا لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلُكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَابِ وَصَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلَادِهَا

« أجداد الإنسان وتجايله : جسمه وبدنه ، لأن الجلد يحيط بهما ، وجمع الأجداد :
أجداد ، وهي الأجسام والأشخاص » . يقول : ويشغلني كل طعنة واسعة يسيل منها دم
يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدي إلى السنان .

(٣) بم : أي بماذا ، حذف « ما » لدخول الجار عليها ، وقد سبق أن بسطنا القول
في مثل ذلك . وتعلل بالشيء تلهم به . والسكن : الصاحب ، وكل ما تسكن إليه أما
السكن - بسكون الكاف - فأهل الدار اسم لجمع ما كن كشارب وشرب ، أنشد
الجوهري لذي الرمة :

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ^(١)
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ^(٢)
فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ^(٣)

فَيَا كَرَمَ السَّكَنِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا عَنْ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ^(١)
يشكو الزمان يقول : بأى شيء أعلل نفسي وأنا بعيد عن أهلى ووطنى ، وليس لى
شيء أهربه ولا أحد أسكن إليه . قال العبرى : وكتب رجل إلى امرأته من مصر ، وهى
يغداد مستشهدا بهذا البيت ، فكتبت إليه : لست كما قلت ، وإنما أنت كما قال صاحب
هذه القصيدة :

سَهَرْتُ بَمَدِّ رَحِيلِي وَخَشَّةَ لَكُمُ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَازَعَوَى الْوَسَنُ^(٢)
(١) يقول : إن همته أظى من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتعنى
على الزمان أن يبلغه همته . قالوا . ويجوز أن يكون المعنى : أطلب من الزمان استقامة
الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه لا يثبت على حال ، ويجوز أن يريد أنه
يطلب الزمان بأن يخليه من الأضداد ، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه ، فإن الليل
والنهار كالتضادين ، ويجوز أن يريد : إنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه
البقاء ، فيكون قد ألم بقول البحرى :

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَذْمُرُ فِي تَعَرُّفِهِ الزَّمَانُ^(١)
(٢) يقول : مادمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه ، فإنها تزول ولا تبقى ،
واقضى لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط .

(٣) هذا تأكيد للذى قبله . يقول : لا تبال بما يحدثه لك الدهر ، فإن للفروح به
لا يدوم فرحه ، لأنه لا يدوم ، والحزن على الغائب لا يردده إليك هذه رواية الواحدى ،
وتبعه العبرى ، وعلى هذا فسرور : مضاف إلى ما بعده ، قال بعضهم : وهو من التجوزات
للاستقبة فى الوزن ، ومن ثم قال ولعل الأظهر :

* فَمَا يَدِيمُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

(١) قوله فى كرم : يتعجب من كرمهم ، والاستخفاف للتبدل : قال ابن برى أى
صار خلفا وبدلا للظباء والبقر .
(٢) انظر هذا البيت فى هذه القصيدة .

يَمَّا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا^(١)
تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَنَمًا وَأَنفُسُهُمْ فِي لَأَرٍ كُلِّ قَبِيحٍ وَجِبْهُ حَسَنٍ^(٢)
تَحَمَّلُوا حَمَلَتِكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمِنٌ^(٣)
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُنْجَى عَوْضٍ إِنْ مُتْ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَمَّا تَمْنٍ^(٤)
يَا مَنْ نَفِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَمِنٌ^(٥)

قال : وهو ما يقتضيه التطابق بين شطري البيت . يقول : المتنبي سرورك بالشئ لا يديمه عليك ؛ لأن كل شئ زائل ، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يرد ، لأن ما فات لا يعود .

(١) يقول : بما أضرب بالحسين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبع وطبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاظة ، ولو هم فطنوا لذلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : العشق ضرورة داخلة على النفس ، والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى : يعنى بأهل العشق الذين يعيشون الدنيا : تخصيص لا معنى له ، وتعميمه أنسب .
(٢) دمعاً مفعول لأجله ، وأنفسهم مبتدأ خبره ما بعده ، والجملة حال . يقول ليكون حقى تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن في الظاهر قبيح عند الاختيار .
قال الواحدى - وتبعه العكبري - : يريد بذلك الدنيا ومتاعها ، قال العكبري : وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَذُوفِي ثِيَابِ صَدِيقِ
(٣) تحملوا : أى ارتحلوا . والناجية : الناقة للسرعة . والدين : البعد والافراق وعلى : متعلق بمؤمن . قال ابن جني : هذا تشبيب من يضر في نفسه عتياً وموجدة يقول : - لمن شبب بهم بعد القى ذكره من حال العاشق وللعشوق : ارتحلوا عني فإن الافراق اليوم - أى بعد اختباري لأحوال الدنيا وأهلها - مؤتمن على ، أى أَرْضَى بِحُكْمِهِ وَلَا تَضُرُّنِي غَائِلَتُهُ ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد ، وفي الكلام تعريض لا يخفى .

(٤) الهودج : مركب النساء . واللجة : الروح . يقول لستم أهلاً لأن تمذل فيكم الأرواح شوقاً إليكم ومحبة لكم . فليست تعرضوننى روحاً غيرها إذا ألفتها :
(٥) الناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدِمْتُ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَرَأَى الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ^(١)
قَدْ كَانَ شَاهِدًا دَفَنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا^(٢)
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفُنُ^(٣)

مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجعل يسير ويقول نعاء فلانا أى انعه ،
أى أظهر خبر وفاته ، قال الكمي :

نَعَاءُ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّهَائِمِ وَالْأَصْلِ^(١)

يقول : إني قد نعت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتين بالموت لا بد له منه فلا يفرح
أحد بنى أحد .

(١) يقول : كم قد أخبرتم بموتى وتحقق ذلك عنكم ، ثم بان الأمر بخلاف ذلك
فكأننى كنت ميتا ثم خرجت من القبر ؟

(٢) قوله قبل قولهم : أى قبل قول الناعين . يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا
أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل المتحنى ، أى فقد بان كذبهم فيما ادعوا .

(٣) يقول : إن أعدائى يمتنون موتى ولكنهم لا يدركون ما يمتنون ، ثم ضرب
لذلك مثل السفن قال : إن السفن — يعنى أهلها — تشهى الرياح الموافقة لسيورها ،
ولكن الرياح كثيرا ما تجرى على غير ما تشهى . هذا : ويجوز فى كل — كما قال
العسكري — الرفع والنصب ، فالنصب بفعل مضمر ، يريد ما يدرك المرء كل ما يمتنى ،
فلما أخبر الفعل فسر به بقوله يدركه كقولك ما زيدا ضربته فيختار النصب لأجل النفي
ومضارعة ، وهذا فى لغة تميم ، لأن « ما » عندهم غير عاملة ، فتجربى مجرى « لا »
فى نحو قول زهير :

(١) يقول الكمي هذا منكراً على جذام انتسابها إلى عدى بن عمرو بن سبأ
ومؤاخذتها للحم بن عدى بن عمرو والسكيت من أمد بن خزيمه بن مدركه ، وكان
متعصباً لمضر وهاجياً لليمن ، وجذام فيما يزعم بعض النسابين قبيلة من ولد أمد بن
خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم فقال الكمي محققاً لذلك : انع جذاما غير ميتين ولا
مقتولين ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنسبين إلى غيرهم من اليمن

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمْ اللَّيْنُ ^(١)
جَزَاهُ كُلُّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمْ ضَغْنٌ ^(٢)
وَتَفْضُونُ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِلْنُ ^(٣)

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدِي الْأَنْيْسُ وَلَا بِالْدارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمٌ ^(١)
أنشده سيدييه بنصب الدار لأجل حرف النني ، وأما أهل الحجاز فيرفعون « كل »
بداء ، لأنها عاملة عندهم كليس ، ويكون الخبر « يدركه » ، ومثله ما أنشده سيدييه
لمزاعم العقيلي :

وَقَالُوا تَعْرِفُهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مَنِيَّ وَمَا كُلُّ مَنْ وَافَى مِنِّي أَنَا عَارِفٌ ^(٢)
أنشده بالرفع على إرادة الهاء ، وبنو تميم ينصبون « كل » على ما تقدم ؛ والقرآن
قد جاء بالحجازية في قوله تعالى « ما هذا بشرا » وفي قراءة السبعة « ما هن أمهاتهم »
بكسر التاء .

(١) العرض : ما يمدح به الرجل ويذم ، وقيل الحسب ، وقيل النفس . يقول :
من جاوركم لا يقدر على صون عرضه ، لأنه يشتم عندهم فلا تكثرثون لثتمه ولا تحامون
عنه ، وإذا رعت النعم في أرضكم لم يدربنها على مراعاة لوخامته . وهذا مثل ، يريد :
أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنا أخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تعريض
لسيف الدولة وهجاء مر له .

(٢) الضغن والضغن : الحقد يقول : من قرب منكم مللتموه وأبغضتموه ومن
أحبكم حقدتم عليه ، أي لستم تجازون الحب ولا القريب بما يستحقانه .

(٣) الرfid : المعطاء . والميلن : جمع منة اسم من امتن عليه إذا عدله صنائعه يقول :

(١) وصف زهير داراً خلّت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها ، فيغيروا ماعهد من
آثارها ورسومها . ويروى بعد الأنيس : أي هي باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد
من عهدت من الأنيس فيها . والأنيس : من يؤنس به من الناس ، ثم قال : وقفت
بها فسألتها وناديتها بمقدار ما أسمعها لو أجابت ولكنها لم تجب فكأن بها صمما .

(٢) يقول : إنه اجتمع بمحبوبته في الحج فجعل يتفقداه فليل له تعرفها بالنازل من
منى - وهي حيث ينزلون أيام رمي الجمار فزعم أنه لا يعرف كل من وافى منى حتى تسأله
عنها لأنه لا يسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها .

فَقَادَرَ الْمَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ بَهْمَاءَ تَكْذِبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ^(١)
تَحْبُو الرِّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَاءِهَا الثَّنِينَ^(٢)
إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنٌ^(٣)

لا يخلو عطاؤكم من اللن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتنقيص ما أخذه ، وهذا كله تعريض - كما أسلفنا - بسيف الدولة .

(١) البهاء : الأرض التي لا يهتدى فيها ، يقال برأيهم وفلاة بهاء ، يذكر شدة إبعاده في الرحيل أنفة من الحال التي ذكرها . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، لكثرة ما يخيل فيها من المخاوف : وقال سائر الشراح : يدعو بالبعد بينهم وبينه . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك للفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات .
ومن هذا قول ذي الرمة :

إِذَا قَالَ حَادِيْنَا لِيَسْمَعَ نَبَأَهُ صَوِّمَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا دَوِيَّ الْمَسَامِيعُ
« النبأ الصوت ليس بالشديد »

(٢) حبا يحبو : مشى على بطنه ويديه ، والرواسم : الإبل التي سيرها الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع والثفن : جمع ثفنة ، مثل كلم وكلة وهي مامس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والكركرة - الزور - وإنما سميت ثفنات ، لأنها تغلظ في الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك ومنه ثفنت يده : إذا غلظت من العمل . يقول : لطول السير في هذه البهاء ومتابته تبرى الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفنتها بعد أن كانت تسير الرسيم ، وتقول الثفنات للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى انتقل السير عليها - على الثفنات - بعد أن كان على الأخفاف ؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته : أي لو قدرت على السؤال لسألت .

(٣) يقول : أحلم عمن يؤذيني مادام حلمي يعد كرمًا ، فإذا كان يعد جبنًا لا أحلم قال الفند الزماني :

وبعضُ الحلمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

وَلَا أَقْسِمُ عَلَى مَالِ أَذِلَّةٍ بِهِ
سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلٍ وَخَشَّةٍ لَكُمْ
وَأَنْ يُبْلِغْتُ بُودَةً مِنْ مِثْلِ وَدَّكُمْ
أَبْلَى الْأَجَلَةِ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ
عِنْدَ الْهُمَامِ أَيْ الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ
فِي جُودِهِ مُضَرُّ الْحَمَرَاءِ وَالْيَمَنِ (٥)

(١) الدرن : الوسخ ، يقول : لا آخذ للال بالذل وكل مال يحصل لي بذل تركته ، ولا أستطيب شيئاً يلطخ عرضي بأخذه .

(٢) أصل الميرير : الحبل الشديد القتل ، ويقال استمر مريره على كذا إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . وارعوى : انزجر وارتدع . والوسن : النعاس . يقول : لما فارقتم استوحشت افراقكم حتى امتنع رقادى ، أى لأنى إياكم على جفائكم ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت .

(٣) بفراق مثله : أى بفراق مثل رحيل عنكم . وقن : خليق وجدير . يقول : إن كنت فى قوم آخرين فعاملونى معاملتكم فارقتم كما فارقتم ، وهذا تعريض بكافور ، يعنى إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارقه كما فارقتم . قل الواحدى : ومثل هذه الآيات مانسده المبرد :

لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ بِامْتِنَانٍ وَلَا تَرُدِّ عُرْفَ ذِي امْتِنَانٍ
وَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنَهُ فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
أَشَدُّ مِنْ فَاقَةٍ وَجُوعٍ إَغْضَاءِ مُحَرٍّ عَلَى هَوَانٍ
فَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِقَوْمٍ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

(٤) الجبل : واحد الجبال ، وجمع الجمع : الأجلة ، وهو ما يتجمل به الفرس . والمذر : جمع عذار ، وهو ما كان على خد الفرس من اللجام . والفسطاط : نداسم للهمز . والرسن : الحبل . يقول : طال مقامى بمصر لا كرام مثواى هناك حتى بايت جلال فرسى وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها . عبر عن طول اللقام ببلى هذه الأشياء .

(٥) الهمام : العظيم الهمة . ومضر الحمراء - بالإضافة - هو مضر بن نزار وإنما قيل له ذلك لأن نزاراً لما مات تهاكم أولاده - ربيعة ومضر وإياد وأنمار - إلى جرم فى (٢٤ - التنبى ٤)

وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ^(١)
هُوَ الْوَفِيُّ وَلَيْسَ كُنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مَوْدَّةَ فُتُوٍّ يَبْلُوْهَا وَيَمْتَحِنُ^(٢)

قال بمصر ولم ينشدها كافورا :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا^(٣)
وَتَوَلَّوْا بِفَضَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا^(٤)

قسم ميراثه ، فأعطى ربيعة الخيل ، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس ،
قال القائل :

قُولُوا لِقَطَطَانٍ مِنْ ذَوِي يَمَنِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَيْبَةَ الْفَرَسِ
وَأَعْطَى إِيَادَ الْإِبِلِ وَالغَنَمِ ، فسموا إِيَادَ النعم ، وإِيَادَ الشمط قالوا :
إِذَا مَا إِيَادُ الشَّمَطِ يَوْمًا تَجَشَّمَتْ ظَلَنْتَ لَهَا صُمَّ الْجِبَالِ تَمِيدُ
وَأَعْطَى مُضَرَ الذَّهَبَ وَقَبَةَ حَمْرَاءَ فسموا بذلك ، قال قائلهم :

إِذَا مُضَرُ الْحَمْرَاءِ عَبَّ عُجَابُهَا فَمَنْ يَقْصِدُ مَوْجَهَا حِينَ تَزْخَرُ
وَأَعْطَى أَمَّارَ الْحِمَارِ وَالْأَرْضَ وَمَا شَا كُلُّهَا فَسَمِيَتْ أَمَّارُ الْحِمَارِ وَأَنْشَدُوا :

فَلَوْ أَنَّ أَمَّارَ الْحِمَارِ تَفَاصَرَتْ لَكَانَ لَهُامِنْ بَيْنِ فَيْدٍ إِلَى هَجَرَ

« فيد : منزل بطريق مكة ؛ وهجر : بلد بالبحرين » ، واليمن ليسوا من أولاد مضر
يقول : إن كافورا عم جوده العرب جميعا .

(١) تأخر - بحذف إحدى التائين - أى تتأخر . وبعض موعده : يروى بعض نائله
وتهن : تضعف : يريد أن عداته زائدة على آماله . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر
عني ما آله ولا يضعف رجائي عنده وإن تأخر بعض موعده ، يشير إلى ما وعده به من
خطة الولاية ، ثم ذكر عذر تأخره في البيت التالي .

(٢) الابتلاء ، والامتحان : الاختبار . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر
له من المودة والمحبة ، فلماذا يتأخر عني ما وعدني به

(٣) عناء الأمر : أهمه ، ومنه الحديث : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه »
أى لا يهيمه . يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كأنهم نحن .

(٤) تولوا : ذهبوا . والغصة : ما غصت به من هم وحزن ونحوهما ، وأصلها الشجاة

رُبَّمَا تَحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَاكِلِيهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَ^(١)
وَكُنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا رِيبَ الدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا^(٢)
كَلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاقَةً رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاقَةِ سِنَانًا^(٣)

ينص به في الحرقة ، تقول غصصت باللقمة وبالماء ، يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمه فوات بنصته وإن سر في بعض الأحيان .

(١) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فما يعطى ، ويحسن ولكنه لا يتم الإحسان ، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينقصه ، كما قال الآخر :

الدَّهْرُ أَخِذْ مَا أُعْطِيَ مُكَدِّرُ مَا أَصْنَقِي وَمُفْسِدُ مَا أَهْدَى لَهُ بِيَدِ

(٢) قال ابن جني : في « يرض » ضمير هو فاعل يرض ، يفسره « من أعانا » وأضمره .

قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع . وروى لم يرض - بالثاء - والضمير لليالي . يقول : هذا الذي أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبني من محنة حق أعانه على ، كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرَكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلْتُهُ بِي كَافِيًا^(١)

قال ابن جني : هذا البيت — والذي قبله — أحسن ما قيل في الزمان وأن طباعه الشر ، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء ، فالزمان لا يفعل شيئاً ، وإنما يفعل فيه ، وكذا قولهم : يوم سعيد . فالיום لا يوصف بسعد ، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(٣) القنقة : عود الرمح والسنان زجه الذي يطمن به . يقول : إذا انتدب الزمان

للاساءة بما جبل عليه صارت عداوة للمعادي مدداً لقصده نحوك ، فجعل « القنقة » مثلاً لما في طبع الزمان ، وجعل « السنان » مثلاً للمداوة . وعبارة ابن جني سوتقلها الخطيب

(١) البرك : كل شكل البعير وصدرة الذي يدوك به الشيء تحت . يقال حكه يركه ،

ومن المجاز حكمت الحرب بركها بهم ، قال القائل يصف الحرب وشدها :

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرَكُهَا بِهِمْ وَأَعْطَتْ النَّهْبَ هَيَّانَ بَنِي بَيَّانٍ

وحك الدهر بركه بهم ، ووضع عليهم بركه ، قال الجعدي :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرَكُهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُفَادِرْ غَيْرَ فَلَّ

وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَضْفَرُ مِنْ أَنْ نَتَمَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى ^(١)
 غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُبْلِقِ الْمَنَآيَا كَالْحَاتٍ وَلَا يُبْلِقِ الْهَوَانَا ^(٢)
 وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَسَّقَى لِحَى لَمَدَدْنَا أَضْلَلْنَا الشَّجَعَانَا ^(٣)
 وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدْءٌ فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا ^(٤)
 كَمَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا ^(٥)

التبريزي - : الزمان إذا عجزت قناة إنما ينبتها بالطبع ولا يشعر لأي شيء تصلح. فيتكلف بنو آدم اتخاذ القناة توصلا إلى هلاك النفوس ، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به .
 (١) هذا نهى عن المعادة والتعاسد لأجل مراد النفوس ، فإن ما تريده النفوس من جاء الدنيا وحطامها أقل وأحق من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله .
 (٢) كالحات : عابسات يقول : إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلا وهوانا .

(٣) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذي يتعرض للقتل أضل الناس ، يعني أن الحياة لا تبقى . وإن جبن الإنسان ولزم عقرب داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالي .

(٤) يقول : إذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينبع منه شجاع ولا جبان ، فإن الجبن إذن - من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : في جسدي مائة طعنة وضربة ، وها أنا قد مت حتف أنفي ، فلا أقر الله أعين الجبناء ،

(٥) كل : مبتدأ ، ومن الصعب : خبرها ، وسهل : خبر ثان ، ويكون : تامة ، وكذا « كانا » - آخر البيت - . يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه ، فإذا وقع سهل وهان ، كما قال البحري :

لَتَمُرَّكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتَقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
 والأصل في هذا قول أعشى باهلة :

لَا يَصْغُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ

وبعد : فقد وفق المتنبي في هذه القطعة كل التوفيق ، ولعل شيطانه بمن كانوا يسترقون السمع ، فتلقي هذه الآيات من ذات الرجوع - السماء - فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت :

وقال يذكر خروج شبيب العقيلي على الأستاذ كافر وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ ^(١)
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُصَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْمِدَاخِرِ مِنَ الْهَذْيَانِ ^(٢)
أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وَضُوحَ بَيَانٍ ^(٣)
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْمَدْرَ يُبْتَلَى بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانٍ ^(٤)
بِرِغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَضْطَحِبَانِ ^(٥)

وَقَافِيَةٌ عَجَتْ بِلَيْلٍ رَزِيئَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا
فَقَدْ دَرَهُ .

(١) القمران : الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهاته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصارامذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما . قال ابن جني : هذا المدح يعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط ، والساقط لا يضاويه إلا مثله ، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران .

(٢) الهذيان : التكلم بغير معقول ؛ قال ابن جني : هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهري ولا ابن فارس في جملة . يقول : لله سبحانه سر فيها أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ماهو ، وما يخوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد . قال الواحدى : وهذا إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران ، وإن كان ساقطا باتفاق من القضاء .
(٣) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على سيادتك ، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد القدى رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا في البيت التالى :

(٤) يقول : رأى الأعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمرك خلافا غدرت به حياته ؛ فهلك قبل أن ينال منك مأربا ؛ أو غدر به الدهر فهلك بأفة تصيبه .

(٥) شبيب هذا : هو شبيب بن جرير العقيلي ، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة ، وولى شبيب مرة النعمان دهر أطويلا ، واجتمع إليه جماعة من العرب

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانُ (١)
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَافَا غَايَةَ الْحَيَوَانِ (٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا الْفَارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانٍ دُخَانِ (٣)
فَنَالَ حَيَاةَ يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يَشْهَى الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ (٤)
نَفَى وَقَعَ أَطْرَافِ الرَّمَايحِ بِرُغْمِهِ وَلَمْ يَحْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالذَّبْرَانِ (٥)

فوق عشرة آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق لحاصرها ، فيقال إن امرأة ألفت عليه رحي فصهرته فانهزم من كان معه بعد أن هلك ، ويقال إنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذته أهل دمشق فقتلوه . يقول : إنه هلك بفارقه سيفه كفه ، وكانا لا يفترقان على العلات — أى على كل حال —

(١) قيس : من عدنان ، واليمن : من قحطان ، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما . وقالت لسيفه إن شيبيا الذى يصاحبك « قيسى » وأنت « يمنى » — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل .

(٢) يقول : إن يك شبيب قد هلك ومات ، فإن الموت غاية كل شئ فلا عار عليه من ذلك .

(٣) النار : خبر كان ، وتشير : حال من « النار » ، أو نعت لها على أن « أل » الجنسية لا تفيد تعريفا . يقول : كان شبيب فى كل موطن يلم به كالنار فى إيقاد الفتنة والشر ، غير أنه يشير بدل الدخان غبار الحرب ، قالوا : وهذا من قول الآخر :

مَآوِيَّ يَا رَبُّنَا غَارَةٌ شَعْوَاءُ كَالَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ
« غارة شعواء : فاشية متفرقة ؛ والميسم : للكواة ، أو الشئ الذى يؤسم به الدواب »

(٤) يقول : فنال حياة حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ، ثم مات موتاً يشهى الموت إلى الجبناء ، لأنه كان موتاً فى عافية لم يتقدمه ألم ولا مرض . هذا : ويشهى لا يتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر ، وقد حذفه وهو ريد ، فكأنه قال : يشهى الموت إلى كل جبان .

(٥) أراد بالنجم : الثريا ، وأراد : وقع قضاء النجم ، حذف ؛ والذبران : قال الجوهري خمسة كواكب من الثور — والثور : برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر

وَلَمْ يَذَرْ أَنْ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحِ مُحْسِنِ الطَّيْرَانِ^(١)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذْلٍ مَكَانٍ^(٢)
أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيقٍ خَفِيفَةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعِيَانٍ^(٣)

وسمى كذلك لأنه يدبر الثريا ، أى يتبعه . يقول : نفى عن نفسه الرماح برعحه ، يعنى أنه كان شجاعا يلقى نفسه برعحه ولكنه لم يحرق في حساباته مناحس النجوم — والدبران من النحوس في حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التى قضت بحلول أجله ، قالوا : وهذا خلاف قول لبيد في أخيه أربد : أَخَشَى عَلَى أَرْبَدَ الْخُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ^(١)

(١) الشواة : جلدة الرأس ، وفوق شواته : خير « أن » ؛ ومعار : خبر ثان وروى معار ومحسن : على أنهما حالان . يقول : ولم يدر أن الموت فوق رأسه كيفما توجه حق لكنأنه أعير جناحا يحوم به فوقه يقع عليه وعبرة الواحدى : ولم يدر أن الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيها يقال : إن امرأة أدات على رأسه رعى من سور دمشق .

(٢) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء في الحرب . قال الواحدى : ذكر في قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته ، فمشى خطوات ، فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شيء وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع في تلك الساعة فانهمزم أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم . فهو قوله : حتى قتلته بأضعف قرن في أذل مكان ، يعنى في غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى : لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافر قال كافر : لا والله إلا بأشد قرن في أعز مكان ، فرواه الناس كقول كافر .

(٣) يقول : إنه مات فجأة من غير أن يستدل أحد على موته بمرتى أو مسموع ، كما قال يزيد الملهي :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِجَةً هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَالْقَنَا قِصْدُ

« قصد : أى قطع ، جمع قصدة ، وهى الكسرة ؛ وتقصدت الرماح : تنكسرت »

(١) انظر الكلام على « الأنواء » في لسان العرب — مادة « نوا » والسماء : نجم معزوف ، وهما سماكان رامج وأعزل ، والكلام على ذلك مبسوط في مواضعه .

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَسَاعِ جَنَانٍ^(١)
تَقْصِدُهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِجَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ^(٢)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ التَّفَافُهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ^(٣)
وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْمَكْنَانِ^(٤)
أَتَمْسِكَ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتَمْسِكَ فِي كُفْرَانِهِ بَعِينَانِ^(٥)

(١) سلكت : أى النايا . والجنان : القلب . يقول : لو أته للنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسمة صدره ، يعنى أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لا يغالب .

(٢) تقصده : إما بمعنى قصده ، وإما بمعنى أقصده : أى قتله . وللقدر : واليراد : القضاء . والطرفان بعده : حالان من الماء . يقول : قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت .

(٣) التفافه : فاعل الكثير ؛ وعلى غير : متعلق به ، والاتفاف : الاجتماع يقال التف عليه الناس : إذا ازدحموا حوله ؛ والاستفهام : للانكار . يقول : إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معاناً بتأييده كما لم ينفع شبيهاً كثرة أصحابه .

(٤) ودى : من الدية ، أى أعطى الدية ، وهى ثمن الدم . والميت : اسم زمان يعنى الليل : والجامل : اسم لجماعة الجمال : كالباقر : اسم لجماعة البقر . والمكنان : الإبل الكثيرة العظيمة ونعم عكنان وعكنان : أى كثيرة ، قال أبو نخيلة السعدى :

هَلْ بِاللَّوَى مِنْ عَكْرٍ عَكْنَانٍ أَمْ هَلْ تَرَى بِأَخْلٍ مِنْ أَظْمَانٍ^(١)
يقول : أذى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالإبل يريد : أنه بهلاكه كأنه اقتص منه ، فكانت نفسه دية عن الذين قتلهم .

(٥) أوليته : أعطيته ، والضمير لشبيب ، والمائد إلى «ما» محذوف : أى أوليته إياه . وقوله وتمسك : لك أن تعطيه على تمسك قفرقه ، ولك أن تقول أن الواو للمصاحبة والفعل منصوب بإضمار « أن » ومثله ويركب - فى عجز البيت التالى - والضمير من « كفرانه »

(١) المكر . القطيع الضخم من الإبل ، والحل : الطريق النافذ بين الرمال المتركة .

وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتُهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهَرَ حِصَانٍ^(١)
 تَفَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَهَا وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانٍ^(٢)
 وَعِنْدَ مَنْ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ شَيْبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانٍ^(٣)
 قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوَّلُ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانٍ^(٤)

للموصول - في صدر البيت - والبنان : سير اللجام . يقول : هل يمكك عاقل مثل النعمة التي أنعمت بها على شبيب ثم يمكك عنان فرسه في كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه ؟ والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ أي لا يفعل ذلك عاقل ، لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام ، وعبرة الواحدى . إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك العنان في الكفران ، لأن من كان عاقلاً لم يكفر نعمة للنعم عليه ، وهذا إشارة إلى أن « شيبيا » كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك وقال ابن جني ، يقول : إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عنانه فهاذلا وحيرة .

(١) البيت عطف على ما قبله ، فهو في معناه . يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التي أركبتها شيبياً ثم يركب حسانه لعصيان من أكرمه ؟ أي لا يجتمع لأحد إكرامك ومصيتك .

(٢) تفي يده : ردها ، والبنان : أطراف الأصابع ، قال ابن جني : ملك يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لما قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على اللوهور فأرسلته ؛ وقال الواحدى : إحسانك إليه رديده عما امتدت فيه حتى كأنها وهي مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان لأن القبض يحصل بالبنان فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض ، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط . ومن روى قبضت - بإسناد الفعل إلى اليد - كان المعنى أن يده - وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له - صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة .

(٣) عند من : استفهام معناه الإنكار ، وهو خبر مقدم ، والوفاء : مبتدأ مؤخر : أي ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشبيب : مبتدأ ، وأوفى عطف عليه ؛ وإخوان : خبر . يقول : ليس من يفي لصاحبه اليوم ؛ أي لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى من ترى من الناس غادر كـشبيب ، فهما في ذلك أخوان في الغدر .

(٤) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك ، يقول : قضى الله أنك أول

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسَىٰ وَإِنَّمَا
عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانِ ^(١)
وَمَا لَكَ تُعْتَنِي بِالْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا ^(٢)
وَلِمَ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نَجَادُهُ ^(٣)
وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحُدُثَانِ ^(٤)
أَرَدَلِي جَمِيلًا جَذَتْ أَوْ لَمْ تَجْذُبْ بِهِ ^(٥)
لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارَ أَبْغَضْتَ سَعْيِيهِ ^(٥)
لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ ^(٥)

في السكارم والمعالى ولم يسبقك أحد إلى ما سبقت إليه ولم يقض أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك .

(١) القسى : جمع قوس ؛ والثقلان : الإنس والجن ، أنكر عليه اختيار القسى لرمى أعدائه بها ، يقول : لا حاجة لك باستجادة القسى لرمى بها أعداءك فإن أعداءك - أكانوا من الإنس أم من الجن - يرمون عن قوس سعادتك : أى أن قسى سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم ، وإذن لا تحتاج إلى اتخاذ السلاح .

(٢) عني بالشيء - بصيغة المجهول - اهتم به ، والأسنة : جمع سنان ؛ والقنا : الرماح والجد : الحظ . والبيت في معنى البيت الأول ، يقول : لم تعتنى بادخار الأسنة والرماح وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان .

(٣) لم أى لماذا ؛ وإسكان للميم خاص بالشعر والنجد : حمالة السيف ونجاده : فاعل الطويل ، وإذا وصف النجد بالطول دل على طول حامله . والحديثان : حوادث الدهر ونوائبه ، يقول : أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف في قتل أعدائك ، يشير في هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه ، دون أن يكون هلاكه بشيء من السلاح .

(٤) يقول : إن المقدار جار بحكمك . فإذا أردت شيئاً كان ، وإذا أردت أن تعطى شيئاً وصل إلى وإن لم تجد به ، يعنى أن القدر موافق لإرادته ، فإذا أراد به خيراً أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه ، وهذا من قول أبى تمام :

* فالدهرُ يفعلُ صاغراً ما نأمرُهُ *

(٥) الفلك : يروى بالنصب والرفع ، والنصب أجود ، وهو منصوب بفعل محذوف بعد « لو » يؤخذ من لازم الفعل المذكور : أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة في قوة

سعدته ومؤاناة الاقدار لمزاده ، وهو المعنى الذى تخور إليه أكثر هذه الآيات ، قال الواحدى ؛ هذه الآيات ليس فى معناها مثل لها هذا : وطردا لهذا الشرح على وتيرة واحدة ونزولا على حكم خطتنا فيه - أن نورد كل ما أورده الشراح - نذكر هنا ما قاله العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب الفلك وإن كان يعنى عنه ما قلناه آنفا ، على أن أهم ما نقصد إليه من إيراد هذه المقاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهى مزية تفرد بها شرحنا هذا ، قال العكبرى : يروى الفلك (بالرفع والنصب) ، والنصب أجود ، لأن « لو » تقتضى الفعل فيجب أن تضم له فعلا ينصبه ، ويكون الفعل الذى نصب سعى للضاف إلى الضمير ، وهو « أبغض » تفسيرا للضمير كقولك ؛ لو أخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه ، وتقدير الفعل الناصب للفلك لو كرهت الفلك : أى دورانه لأنك تقول : أنا أكره زيدا وأنت تريد فعله « وأبغضت » مفسر فلا موضع له من الإعراب ، كقوله تعالى فى قراءة الكوفيين وابن عامر « والقمر » - بالنصب - قدرناه « فقدرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب ، تقديره : قدرنا القمر . ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضم له فعل يرفعه فى معنى الظاهر ، والظاهر تفسير له كأنه قال : لو خالفك الفلك لعوقه شئ ، وصار « أبغضت » تفسيره ودليلا عليه كقول ذى الرمة :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالٌ بَلَفَتْهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أَذُنَيْكَ جَاوِزٌ^(١)

(١) أذنك يروى عينك ويروى وصليك مثنى وصل وهو كل عظيمين يلتقيان ، وبلال هو ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى ، وكان ذو الرمة كثير اللدح لبلال هذا ، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ : فى عرابة الأوسى يخاطب ناقته :

إِذَا بَلَفْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَأُشْرِقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
وجاء بعدهما أبو نواس ، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد ابن الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَفَنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ
والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية للأسورة بمكة وقد كانت نجحت على ناقته رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما وصلت إليه قالت له يا رسول الله : إني نذرت إن

ونظر يوما إلى كافر فقال :

لَوْ كَانَ ذَا الْآكُلِ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانًا^(١)

أى إذا بلغ ابن أبى موسى ؛ ثم فسر به بيلغته ، وهذافيه خلاف بيننا وبين البصريين ، فإن أصحابنا يقولون فى الاسم الرفع بعد « إن وإذا » الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والفعل المظهر تفسير له ، وحببتنا أن « إن » هى الأصل فى باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم الرفع معها فيرتفع بالعايد ، لأن المكسب للرفع فى الفعل : الاسم الاول ، فيبنى أن يكون مرفوعا به كما قالوا : جاءنى الطريف زيد ، وإذا كان مرفوعا به لم يفتقر إلى تقدير فعل ؛ وقال البصريون : إنه لا يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملا فيه ، لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ، فلم يقدّر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع : وذلك لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل ؛ وقال الأخفش من البصريين : هو الرفع بالابتداء .

(١) الأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر . وقوله لاوسعناه إحسانا : قال بعض الشراح : الأصل لاوسعناه الإحسان : فمدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانا على التمييز . يقول : هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفا لى لاكثر من الإحسان إليه : أى لو أنانى وقصدنى ضيفا لأحسننت إليه ، وهذا كما قال أيضا :

* جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي *

قال الواحدى : ولاكل زاده وجهان : أحدهما أن التنبى أناه بهدايا والطف ولم يكافئه عنها ، والآخر أن التنبى يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه مما حمله ، وهو يمنعه من الارتحال ، فكانه يأكل زاده ، حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ؛

نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بشس ماجزيتها . . ومعنى الأبيات الثلاثة . إنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيقتى وأغنيقتى إلا أن الشماع وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى المدوح .

لَكِنَّا فِي الْمَنِّ أَضْيَافُهُ يُوسِفُ زُورًا وَبُهْتَانًا^(١)
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا سُبُلَنَا أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَانًا^(٢)

* * *

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزاعي في 'بليس' يطلب منه دليلا
فأنفذه إليه :

جَزَى عَرَبًا أُمْسَتْ بِبُلَيْسَ رَبِّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقَرَّرَ بِذَلِكَ هُمُومُهَا^(٣)

وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئا .
(١) يقول : نحن في الظاهر أضيافه لأننا أتينا ، غير أنه لا يعطيا قرى غير الزور
والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٢) يقول متمنيا : ليت أطلقنا ! ثم قال : أعانته الله على تخليط طرفنا وإطلاقنا ؛ وأعاننا
الله على الذهاب والرحيل من عنده . هذا : والسبل جمع سبل ؛ والسبل : الطريق ،
يذكر ويؤنث ؛ وفي التنزيل العزيز : « وإن يروا سبل النقي يتخذوه سبيلا » فذكر ،
وفيه « قل ، هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة » فأنت .

(٣) بليس : هو ذلك البلد الذي بمصر ؛ والسعاة : السكرمة والملاة في أنواع المجد
والجود ، والعرب تسمى مأثر أهل الشرف والفضل : مساعي ، لسمهم فيها كأنها
مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم ؛ وسى : إذا عمل وكسب ، وكل من ولى
شيئا فهو ساع ، ومنه السعاة ، وهم ولاة الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء
وبردونها في الفقراء ؛ وسى عليها : أى عمل عليها . قال عمرو بن العداء السكابي في
عمرو بن عتبة بن أبي سفيان - وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم - :

سَمَى عِقَالًا فَلَمْ يَنْزُكْ لَنَا سَدًّا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَمَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ
لَأَضْبَحَ الْحَيَّ أَوْ بَادَا وَلَمْ يَحْدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جَمَالَيْنِ^(١)

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، ونصب « عقالا » على الظرف أراد
مدة عقال ، والسبد : الوبر ؛ وقيل : الشعر ، والعرب تقول ماله سبد ولا لبد : أى
ماله ذو وبر ولا صوف متلب ، يكنى بهما عن الإبل والغنم ، والأوباد : جمع وبذ ، ورجل
وبذ فقير سئ الحال . وقوله جمالين : يريد قطيعين من الجمال ، وأراد جمالا ههنا
وجمالا ههنا ، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور .

كَرَّاكَرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْمَلَا وَجُفُونَهَا^(١)

وتقرر جواب الدعاء ، وقال العكبري : أراد لتقرر ، على الأمر ، فحذف اللام ، كبيت الكتاب :

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا^(٢)
وكقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبُؤْسَةِ فَأَخْشَى

لَكَ الْوَيْلُ حَرُّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكُ مِنْ بَسْكَ^(٣)

وقرت عنه تقرر : هذه هي اللغة الأمل ، أعني فعات تفعل وزان طربت تطرب ، ومعناها : بردت وانقطع بكاؤها واستحارها بالدمع ، وذلك كناية عن السرور ؛ لأن دمة السرور باردة ، ودمة الحزن حارة . يقول : جرى رب العرب التي أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عيونها بذلك الجزاء .

(١) كراكر : بدل من عرب ؛ والكراكر : الجماعات ، الواحد : كركرة - بكسر الكاف - وهي الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان : قبيلة . وساهرا : نعت سبيي لكراكر : وجفون ظبها فاعل ساهر ، والظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والراد السيوف أنفسهم ؛ وجفون : جمع جفن وهو الغمد : يقول : هؤلاء العرب جماعات من قيس لا تزال جفونهم ساهرة في طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصالها ، لأن سيوفهم لا تزال مسلولة ، قال ابن جني : لما وصف جفونهم بالسر في طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسر لتجانس القول ، يريد أنها قد فقدت نصولها ، فكانها

(١) التبال : سوء العاقبة . وهو بمعنى الوبال ، فكان التاء بدل من الواو : أي إذا خفت وبال أمر أعددت له . وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت ؛ وقيل لأبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل للأعشى ، وقيل قائله مجهول ، وعبارة سيبويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بـ «أن» إذا عملت مضمرة ، وأنشد هذا البيت والذي بعده ، قال الأعلم وهذا من أقبح الضرورات لأن الجازم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضم

(٢) البيت لثمن بن نويرة ، والبعوضة هنا موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحذف على البكاء عليهم ، ومعنى أخشى : الطمى : وقطى ، وبابه ضرب ونصر ، وحر الوجه مفعول أخشى ، وهو ما بدا من الوجه ، أراد : لييك ، فحذف اللام .

وَحَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفٍ فَمَا هُوَ إِلَّا غَنِيهَا وَمَعِينُهَا^(١)
فَتَى زَانَ فِي غَنَى أَنْصَى قَبِيلِهِ وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لَا يَزِينُهَا^(٢)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس ، وأبا دلف ويذكر طريقه
بشعب بؤان :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَعَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ^(٣)

ساهرة مع جفون عيونهم في طلب المعالي والفخار ، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون
العين ؛ وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال :

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرِيهَا وَجَفْنِ سَتْنِي غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسْنُ
(١) الضمير في « به » يعود على الجزاء ؛ والغيت : اللطر ؛ وللعين : الماء الجاري .
يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذي هو أفضلهم وسيدهم ، فهو بينهم كالغيت
وكالعين ، لأحياة لهم بدونه . وغيتها : رواها العكبري « عنها » قال : والعين من الشيء
خيره وأفضله .

(٢) القبيل : الجماعة ؛ والحلة : الجماعة يحلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته
ورحطه وإن تباعدوا عنه في النسب : أى أنه زين عشيرته - القريب منها والبعيد -
أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة .

(٣) المعاني : جمع معنى والغنى : للزل الذى غنى - أقام - به أهله ثم ظعنوا عنه
والشعب : المنعرج بين جبلين ، والمراد هنا : شعب بوان ، وهو موضع عند شيراز ،
كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، قال أبو بكر الخوارزمي : متزهات الدنيا
أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند ، وطيبيا :
تميز . يقول : منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمته ، يعنى أنها تفضل
سائر الأماكن طيباً كما يفضل الربيع سائر الأزمته . هذا : وقد قال ابن جني في إعراب
« طيباً » : الشاميون ينصبون طيباً بإضمار فعل : أى تزيد طيباً ، أو تطيب طيباً ،
كقولك : زيد سيراً ؛ أى يسير سيراً ، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه ،
أو من نصبه فعل التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوباً ،

وَلَكِنْ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ^(١)
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانٍ^(٢)

كقول الآخر:

أَتَهْجُرُ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ
قال: ووجه الرفع أن اللغز: مبتدأ؛ وطيب: خبره.

(١) معنى بالفتى العربى: نفسه. يقول: إني بها غريب الوجه في عيون أهلها، إذ يعرفني أحد هناك، أو لأنه أسمر اللون، إذ غالب ألوان العرب السمرة، وأهل السبب شقر الوجوه، وغريب اليد: أى لا ملك له في هذه البقعة، فیده أجنيبه فيها، أو لأن سلاحه الرمح وبده تستعمل الرمح، أما أسلحة أهل الشعب التى يستعملونها بأيديهم فهى الرايات والمزاريق، أو لأنه يكتسب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية، وغريب اللسان: لأن لفتى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون.

(٢) الجنة: الجن. وترجمان — بفتح التاء وضمها — قال الواحدى: جعل الشعب — لطيه وطوب أهله — ملاعب، وجعل أهله جنة — جنة — لشجاعتهم في الحرب؛ والعرب إذا بلغت في مدح شيء نسبتته إلى الجن، كقول الشاعر:

• يَخِيلُ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَقْبَرِيَّةٌ •

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاها لاحتاج إلى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحسكل^(١)
هذا: والترجمان — وهو الذى يفسر كلام غيره بلسانه — بفتح التاء وضمها؛ والجمع: وترجم، مثل زعفران وزعافر، وصحصحان وصحاصح، قال نقادة الأسدي:

(١) الحسكل من الحيوان: ما لا يسمع له صوت كالقدر والنخل، قال:

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُسْكَلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْهَمْ سِوَادَهَا

وقيل الحسكل: العجم من الطيور والبهائم قال رؤبة بن العجاج — وكان قد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة: ماسنك مامالك ما كذا؟ فأنشأ يقول

لَمَّا أَزْدَرْتُ نَقْدَى وَقَلْتُ لِمِثْلِي تَسْأَلُنِي عَنِ السِّدِّينِ كَمْ لِي
فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ عُمرَ الْحِجْلِ أَوْ عُمرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفَطْحِ

طَبْتُ فُرْسَانَنَا وَالتَّحِيلَ حَتَّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرَّمَنَ مِنَ الْحِرَانِ ^(١)

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ الْقَطَا

لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدَّتْهُ فُرْطَا

إِلَّا الْحَمَامَ الْوُزُقِ وَالْقَطَا

فَهُنَّ يُلْغِظُنَّ بِهِ الْفَطَا

* كَالْتَرُجْمَانِ لِقَى الْأَنْبَا ^(٢) *

(١) طباه يطبوه وبطبيه طبيا وطبوا : إذا دعا . قال ذو الرمة :

لِيَالِي اللَّهُوْ يَطْبِيئِي فَأَتْبَعُهُ

إِنِّي ضَارِبٌ فِي عَمْرَةٍ لَعِبُ

[أى يدعوني اللهو فأتبعه] ويقال أطباء على افتعله فقبلت التاء طاء وأدغمت ، وفي

حديث ابن الزبير : أن مصعبا أطبى القلوب حتى ماتعدل به : أى تحجب إلى قلوب الناس وقربها منه . وقال كثير :

لَهُ نَعْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا

وَأِنْ وُضِعَتْ وَسَطَ الْمَجَالِسِ شُمْتُ ^(٣)

والحران فى الدواب : أن تقف ولا تفرح للكان . يقول : إن هذه المغاني استملت

قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحران وأن تقف

بها فلا تفرح ميلا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لا يعرفوها هذا الداء — داء

الحران —

وَالصَّخْرُ مُبْتَلًى كَطِينِ الْوَحْلِ أَوْ أَتْنَى أَوْ تَيْتُ عِلْمِ الْحَسَنِ

عِلْمِ سُلَيْمَانَ كَلَامِ النَّمْلِ كُنْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلٍ

[السواء : السرار ، يقال منه ساودته مساودة وسوادا إذا ساررتة : والحسل :

ولد الضب ، وسئل رؤبة عن قوله زمن الفطحل فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا ،

قال أهل اللغة : الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد]

(١) يقال وردت الماء والشيء التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ولم تحسبه ، وفراط القطا :

متقدماتها إلى الوادى والماء ، والغطاط : ضرب من القطا . ولغط القطا والحمام بصوته

والنط وأصل اللغظ : الصوت للمهم الذى لا يفهم والأنباط جبل يزلون سواد العراق :

(٢) حرك حرف الحلق من نمل لا فتتاح ماقبله ، ففتحتها ليس بلغة ، والنمل مؤنثة

وهى الحذاء وقد سبق شرح هذا البيت .

(٢٥ — التنى ٤)

عَدَوْنَا تَنْفُصُ الْأَغْصَانُ فِيهَا عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجَمَانِ^(١)
 فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِبَنَ مِنَ الضِّيَاءِ بَمَا كَفَانِي^(٢)
 وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ^(٣)
 لَهَا تَمَرُّ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفَنَ بِلا أَوَانِي^(٤)

(١) تنفص الأغصان إلى آخره : حال ؛ وأعرافها : جمع عرف ، وهو الشعر الذى على ناصية الفرس . والجمان : حب من فضة يشبه اللؤلؤ ، يقول : سرنا بين أشجار هذه المغاني صباحا وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان ، فكان الأغصان تنفصه على أعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى — ويدل عليه البيت التالى — أن الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى .

(٢) الضمير من حجبين : الأغصان ؛ يقول : إنه كان يسير فى ظل الأغصان وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء ما يكفيه . وقال ابن جني : يريد أن الجمان الذى يقع على الخيل هو ما يقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس .

(٣) الشرق : المشرق ، وهو أيضا الضوء والشمس ، يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق ، وهو المراد هنا . والبنان : أطراف الأصابع . يقول كما قال النبريزى : إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضاء الشمس يدخل مؤخره فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك وهو معنى لم يسبق إليه . وعبرة بعض الشراح : يريد بالدنانير ما يتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرا ، يقول : لما طلعت الشمس من المشرق ألقى الشراب بطولها دنانير لا تمسك باليد . فالشرق بمعنى المشرق .

(٤) أوانى : جمع آنية ، جمع إناء . يقول : إن ثمار هذه الأغصان رقيقة القش فى تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء ، لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى الماء فى الزجاج ، يعنى أن هذه الثمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليس لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البحترى :

يُخْفَى الرُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ .

وَأَمْوَاهُ تَصِلُ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الْحَلِي فِي أَيْدِي الْقَوَانِي^(١)
وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقُ ثَنَى عِنَانِي لَبِيقُ الثَّرْدِ صِينِي الْجَفَانِ^(٢)
يَلَنْجُوجِي مَارُفَعَتِ لِضَيْفٍ بِهِ النَّيْرَانُ نَدَى الدُّخَانِ^(٣)

(١) تصل : تصوت ؛ وحصاها : فاعل تصل ؛ وبها : أى بتلك الأمواه ، يعنى مجريها وروى ابن جني لها : أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى : ما يلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والقواني : جمع غانية ، المرأة التي غنيت بحسنها شبه الأمواه ، في اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان ، وما يصل بها من الحصى بالحلى الذي يلبس في المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار .

(٢) يقال ثنى عنانه : إذا رده عن عزمه . والعنان — في الأصل — سير العجاء . واللبيق : الحاذق الرقيق بما يعمل كالبقي . والثرد : جمع ثريد ، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق . وروى ابن جني بفتح الثاء على المصدر ، قال يريد به الثريد . والجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة وصيني الجفان : أى أن جفانه صينية . يقول : لو كانت هذه المغاني الطيبة دمشق — أى لو كنت في غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عناني إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية ؛ يعنى لأضافي هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان ، لأنها — دمشق — من بلاد العرب ، وشعب بوان من بلاد المعجم . وقال ابن جني — لو كانت هذه المغاني كغوطة دمشق في الطيب لرغبت عنها ، وملت إلى هذا الممدوح الذي ثرده لبيق وجفانه صينية ، لأنه ملك ، وليس هو من أهل البادية . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال — أى ابن جني — لأن البيت ليس بمخلص ، ولم يذكر الممدوح بعد . والمعنى : أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان ، وخص دمشق من سائر البلدان لأن شعب بوان مضاء لغوطة دمشق في الطيب وكثرة المياه والأشجار .

(٣) يلنجوجى : نسبة إلى اليلنجوج ، وهو العود الذي يتبخر به ؛ و«ما» موصولة ورفعت النار : شبت ؛ وبه : متعلق برفعت ، والضمير : ل«ما» . وندى : نسبة إلى الند ، وهو ضرب من الطيب يدخن به : قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للنعير : الند ، وقال غيره : هو ضرب من الدخنة . يقول : إن هذا الرجل يوقد النيران للضيف بالعود اليلنجوجى ، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند :

تَحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبِ شُجَاعٍ وَتَرَحَّلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبِ جَبَانٍ^(١)
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ بِشَيْءٍ مَعْنَى إِلَى الْفَوْزِ بِنَدَجَانٍ^(٢)
إِذَا غَفَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِيُ الْقِيَانِ^(٣)

(١) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت ، ولعل أحسنها ماذهب إليه الواحدى ، قال : تحل به أنت - أيها الرجل - أى تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم - على قاب شجاع جرى على الإطعام والقرى غير بخيل - لأن البخل جبن - وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى : يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور ، فإذا ارتحلوا عنه اغتم ، فضعفت نفسه ، فالقلبان - على هذا وعلى ماذهب إليه الواحدى - قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه : كأنه - أى ابن جنى - يظن أنها قلبا عضد الدولة ؛ ولو أراد - المتنبي - ما قال لقال تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم ، فأما الشجاعة والجبن فلمهما معنى غير ماذهب إليه - أى ابن جنى - وإنما يريد - المتنبي - أنك إذا حطت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لا تبالي بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك ، ومثله قوله :

* وَإِنْ نَفُوسًا أَمْتَكْ نَمِيعةٌ *

فالقلبان في البيت : قلبا من يحل ويرحل - أى قلبا المضيف .

(٢) نوبندجان : بلد بفارس ؛ ويشعنى : يتبعنى . قال الواحدى : يريد أنه : يرى دمشق فى النوم وهو بفارس ، خيال منازل دمشق يقبعه ، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى التى فى لونها بياض إلى سواد ويقال للرماد : أورق ؛ وللحامة والذئبة : ورقاء : قال رؤبة :

فَلَا تَكُونِى يَا ابْنَةَ الْأَثَمِ وَرَقَاءَ دَمَى ذُنْبَهَا الْمَدَى^(١)

(١) الذئباب إذا رأت ذنبا قد عقر وظهر دمه أكتبت عليه قطعته وأثناء معها وقيل الذئب إذا دى أكلته أثناء فيقول هذا الرجل لامرأته : لا تكونى إذا رأيت الناس قد ظلمونى معهم على فتكونى كذئبة السوء .

وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ إِذَا غَفَى وَنَاحَ إِلَى النَّيَّانِ^(١)
 وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاهِدَانِ^(٢)
 يَقُولُ بِشُعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي أَعَنْ هَذَا يُسَارُ إِلَى الطَّعْمَانِ^(٣)
 أَبُو كُمْ آدَمُ سَنَ الْمَعَاصِي وَعَلَّكُمْ مُفَارَقَةَ الْجِنَانِ^(٤)
 قُلْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ^(٥)

والقيان : جمع قينة ، وهي الجارية اللينة . يريد لطيفها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يحاوب بعضها بعضا .

(١) يقول : إن أهل الشعب - شعب بوان - وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه في غنائه ونوحه ، لأنهم أحاجم لايان لهم وإفضاحه ، فلا يفهم العرب كلامهم ؛ قال اليازجي : يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لمشق على شعب بوان . هذا : وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالنساء لأنه يطرب ، ومرة بالنوح لأنه يشجي ، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران في أشعارهم .

(٢) يقول : إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب ، والوصوف بها مختلف ، لأن الإنسان غير الحمام ، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام ، ولكن وصفهما في الاستعجاب وعدم الإفصاح متقارب .

(٣) يقول : إن فرسي يقول لي حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به - منكرًا على السير منه إلى الحرب - أعن هذا المكان يسار إلى الطعمان والزال ؟ والاستفهام معناه هنا الإنكار ، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك .

(٤) يقول : إنما تفعلون ذلك اقتداءً بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة ، فهو الذي سن لكم ركوب المعاصي ومفارقة موطن النعيم بسببها . قال الواحدى : وإنما ذكر هذا لكي يتخلص إلى ذكر المدح فيقول : هذا المكان وإن طاب فإنى لم أخرج به عما كان سبيلي إليه .

(٥) أبو شجاع : كنية عضد الدولة . يقول - مجيبًا فرسه - : إنما أغادر هذا المكان لأنى أقصد أبا شجاع الذى مقى رأيتة نسيت الناس طرا ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده ما يسلى عن كل شيء .

فَإِنَّ النَّاسَ وَالْدُّنْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَالُهُ فِي النَّاسِ ثَانٍ^(١)
لَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَمْتُ لِي لِمِ الْطَرَادِ بِلَا سِنَانٍ^(٢)
بِعَضِّ الدَّوْلَةِ امْتَنَعْتُ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ لَغَيْرِ ذِي عَضِّ يَدَانِ^(٣)
وَلَا قَبْضُ عَلَى الْبَيْضِ الْمَوَاضِي وَلَا حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللَّدَّانِ^(٤)
دَعَهُ بِمَفْزَعِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا أَيَّوْمَ الْحَرْبِ بِكَرٍ أَوْ عَوَانٍ^(٥)

(١) يقول : إن الناس كلهم - والدنيا بأجمعها - طريق إليه لا يمكنني شيء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٢) الطراد : أن يحمل بعض الفرسان على بعض في الحرب ، والسنان : نصل الرمح . يقول : علمت نفسي القول في الناس بالشعر في مدائحهم قبله كما يتعلم الطعان أولاً بغير سنان ليصير المتعلم ماهراً بالطعان بالسنان ، كذلك أنا تعلمت الشعر في مدح الناس لا تدرج إلى مدحه وخدمته . وعبارة بعض الشعراء : يريد أنه لم يكن يقصد الجد في مدح غيره ، وإنما كان يمرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حق المدح متى انتهى إليه وقوله لقد علمت : يروى له علمت - أى لأجله - وذلك أظهر في المعنى .

(٣) قال الواحدى : أى أن الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يدلن لأعضده ولا يدفع عن نفسه من لا يد له ، والمعنى أنه للدولة يد وعضد ؛ به تدفع عن نفسها ، وعلى هذا يكون الضمير في قوله « امتنعت » عائداً على المضاف إليه من قوله « بعضد الدولة » فهو على حد قولك : بعلام هند مرت : أى مرت هند بعلامها ، وهو كما تراه ، قال ابن جني : يعرض بدولة غيره من الملوك التي لا يذب عنها ولا يحميها ، وأودع كلامه رمزاً خفياً وتعريضاً بجميع من لا عضد له دولة كان أو إنساناً بقوله « وليس لغير ذي عضد يدان » هذا : وعضد - بسكون الضاد - تخفيف عضد - بضمها -

(٤) البيض : السيوف . والمواضي : القواطع . والسمر : الرماح . واللدان : جمع لدن ، وهو اللين اللين . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يطمئن بالرمح لأنه لا يتأتى له ذلك ؛ يعنى أن غيره لا يقوم مقامه في الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يد له ، ومن لا يد له لم يضارب ولم يطاعن . هذا : وقوله « ولا حظ » يروى ولا حظ - بالطاء المهملة - وهو خفض الرماح بالطمعن .

(٥) قوله بكر : صفة لموصوف محذوف ، كأنه قال : ليوم الحرب حرب بكر أو عوان

فَا يُسَمِّي كَفَنًا خُسْرَ مُسَمٍّ وَلَا يُكْنِي كَفَنًا خُسْرَ كَانِي^(١)
وَلَا تُحْصِي فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ وَلَا الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا الْعِيَانِ^(٢)
أَرُوضُ النَّاسِ مِنْ تَرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانٍ^(٣)

والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ، كأنهم جعلوا الأولى بكرة . وقوله بمفرع الأعضاء رواها ابن جني : بموضع الأعضاء ، وقال أي دعته السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لأنها مواضع الأعضاء منها ، وحيث يمسك الطاعن والضارب ؛ قال : ويحتمل أن يريد دعته الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح . أي اجتذبه واسمائه ؛ قال ابن فورجه هذا ما ذهب إليه ابن جني - مسخ للشعر لا شرح له وما قال الشاعر إلا بمفرع الأعضاء يعني دعته الدولة عضدا ؛ والعضد : مفزع - ملجأ - الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ؛ قال الواحدى : وهو على ما قل - ابن فورجه - يريد أن الدولة سمته عضدا وهي - العضد - مفزع الأعضاء ، لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد ، والعضد هي الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء ؛ وحاصل المعنى أن الدولة دعته بعضدها وهو ملجؤها الذي تدخره لأيام الحروب .

(١) أسماء وسماه : بمعنى . يقول : إنه لا نظير له ، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله أو تقول : إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثلة أحد . فالمسمى : الداعي بالاسم ؛ والسكاني : الداعي بالكنية .

(٢) يقول : إن فضائله لا يحيط بها الظن - على اتساعه - ولا تستوفى الأخبار ، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها . وقوله عنه : قال الواحدى كان حقه أن يقول « عنها » لكنه علقه به لإقامة الوزن . أراد : ولا الإخبار عنه بها .

(٣) أروض : جمع أرض ، قالوا : وهذا الجمع قياس - لاسماع - فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد في جمع أرض : أروض . والمراد بالناس ههنا : الملوك . يقول إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معا ، لأن الخوف ملازم لها لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى « خالق الإنسان من عجل » لما كان في أكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة - وأرض المدح كأنها مخلوقة من الأمان ، للزوم الأمان لها ، والمعنى أن أحدا لا يبعث في نواحي مملكته هيبة له وخوفاً منه .

تَذِمُّ عَلَى الْأُصُوصِ لِكُلِّ تَجَرٍّ وَتَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلِّ جَانِيٍّ^(١)
إِذَا طَلَبَتْ وَدَائِمُهُمْ نِقَاتٍ دُفِنَ إِلَى الْحَانِي وَالرَّعَانِ^(٢)
فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صَحَابٍ نَصِيحُ بَمَنْ يَمُرُّ : أَمَا تَرَانِي^(٣)
رُفَاهُ كُلُّ أَبْيَضٍ مَشْرِفِي لِكُلِّ أَصَمٍّ صِلَ أَفْعُوَانِ^(٤)

(١) تَذِمُ : أى الأرض . وفى رواية يَذِمُ : أى الممدوح ، وأذم له أعطاه التمام وهو العهد والجوار . والتجر : جماعة التجار كالشرب ، لكن التنبي أجرى التجار مجرى الواحد ذهاباً إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر :

* نُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلِّ رَكَبِ *

يقول : إن أرض هذا للمدوح تحير كل تاجر من الاصوص فلا يخافون الاصوص ، إذ لا يستطيعون العدوان على أحد ، هبة وخوفاً من المدوح ، وهى تضمن لسيوف المدوح كل من يخشى جناية أن يكون طعمة لها إذ لا ينبو من يده .

(٢) النقات : الذين يوثق بهم . والحاني : جمع حنية ، منعطف الوادى . والرعان : جمع رعن ، أنف الجبل ، والضمير فى « ودائهم » : للتجر . يقول : إن ودائع التجار إذا تركت فى محافى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند نقات أمناء ؛ يعنى إذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحدًا . لأن هبة المدوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد .

(٣) يقول : باتت بضائع التجار فوق الحاني والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها : أَمَا تَرَانِي ؟ لأنه يعرض عنها فلا يحسر أن يمد يده إليها يعنى أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يحسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحدًا . قال البازجى : وكان الوجه أن يقول « ألا تَرَانَا » لأنه حكاية قول الودائع ولكنه لما استعمل لهن ضمير الواحدة فى قوله نصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل النية .

(٤) الرقى : جمع الرقية ؛ والأبيض : السيف . والمشرقى نسبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل : ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهياً نكراً فيقال : إن فلانا لصل أصلال . والأفعوان ذكر الأفعى . جعل الاصوص كالأفاعى وجعل سيوفه رقى لتلك الأفاعى ، فكأن الحية يدفع أذاها بالرقية : كذلك هو يدفع عادية الاصوص بسيوفه .

وَمَا تُرْقَى لَهُمَا مِنْ نَدَاهُ وَلَا الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهَوَانِ^(١)
 حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ ثَمَرِيَّ يَحْضُرُ عَلَى التَّبَاقِي بِالتَّفَاقِي^(٢)
 بِضَرْبِ هَاجِ أَطْرَابِ الْمَنَافَا سِوَى ضَرْبِ الْمَنَافَا وَالتَّفَاقِي^(٣)
 كَأَنَّ دَمَ الْجَاجِمِ فِي الْعَنَاصِي كَسَا الْبُلْدَانَ رِيَشَ الْحَيَقُطَانِ^(٤)

(١) اللهم : جمع لاهية ، وهي العطية . يقول : مع أنه يرقى أموال التجار من أفاعى
 الأصوص فإن عطاياه لا ترقى من جوده وبذله أى لا تحمى منه ، ولا ماله الكريم يرقى
 من هوانه ، لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل في أيدي الناس .

(٢) ثمرى : جاد مشيع في الأمور ، كثير التشمير والانكماش فيها . وأراد بالتباقي
 البقاء ؛ وبالتفاني : الفناء . يقول : إن الممدوح رجل ثمرى حمى بلاد فارس بمضائه .
 يقول لأصحابه أفنوا أنفسكم في الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون ببقائه ، وقال العروضى
 إن للمنى : حمى فارس بقتل الأصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل
 فبقوا ، يعنى أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان في ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثا
 لهم على اغتنام التباقي ، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى « ولكم في القصص حياة »
 ولكن يدل على للمنى الأول : البيت التالى .

(٣) بضرب : متعلق بحمى . والأطراب : جمع طرب ، والثالث والثاني : من أوتار
 العود ، جمع مثلث ومثنى ، وهما الوتر الثالث والثاني . يقول : حمى أطراف فارس بضرب
 يطرب المنايا فيحركها ، لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه
 أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه بضرب بالسيوف ولا يميل إلى ضرب العود
 وما إليه .

(٤) العناصى : جمع عنصوة ، وزان ترقوة ، وهى الشعر المتفرق فى الرأس
 قال أبو النجم :

إِنْ يُمِسْ رَأْسِي أَشْمَطَ الْعَنَاصِي كَأَنَّمَا فَرَقَهُ مُنَاصِ

عَنْ هَامَةَ كَالْحَجَرِ الرَّبَاصِ

[مناص : لعله من أناص الشيء عن موضعه : أى حركه وأداره عنه لينزعه .
 والرباض : البراق] والحيقطان : ذكر الدراج ، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه
 أرقط بسواد وبياض قصير المنقار . يقول : إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه

فَلَمْ تُطْرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَّا خَافَتْ مِنْ الْخَدَقِ الْحَسَنِ (١)
وَلَمْ أَرْ قَبْلَهُ شَيْئًا هَزَبَ كَشِبْلِيهِ وَلَا مُهْرِي رِهَانِ (٢)
أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ وَأَشْبَهَ مَنَظَرًا بِأَبِ هِجَانِ (٣)
وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا فَلَانٌ دَقَّ رُحْمًا فِي فَلَانِ (٤)
وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ رَأْيَا الْمَعَالِي فَقَدْ عَلِقًا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ (٥)

كانت تطير وشعورها المتلطفة بالدماء تنتثر على وجه البلدان ، فكان دماهم قد كست
البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان .

(١) قلوب العشق : أى قلوب أهل العشق . يقول : إن الأمن عم بلاد فارس حتى
لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب :
(٢) الشبل . ولد الأسد ؛ والهزبر : من أساء الأسد ؛ وللمهر : الحدث من الحيل .
والرهان : السباق . يقول : لم أر في الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد في الشجاعة
ومهرى رهان في المسابقة إلى غاية الكرم .

(٣) أعد : صفة لمهرى رهان . والهجان : الخالص الكريم . يقول : لم أرقبهما
ولدين أشد تنازعا — أى تجاذبا — لأصل كريم ، يعنى أن كل واحد منهما ينزع إلى
أصله نزوعا شديداً حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه ، بأن يكون
حظه أوفر من حظ صاحبه في الكرم . ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص
النسب .

(٤) الضمير في « مجالسه » : يعود إلى أب . وجملة « فلان دق رحما في فلان » :
حكاية ، وهى مفعول الاستماع . يقول : ولم أر ولدين أكثر منهما استماعا في مجالس أبيهما
مثل هذه العبارة ، وهى فلان دق — كسر — رحما في فلان : يعنى أنه لا يجرى في مجلس
أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك .

(٥) راية : فلة من الرأى ؛ ورأيا : صفة لرأية ، والعائد محذوف : أى رأياها .
والمعالى : خبر أول . وعلقا بها : عشقاها . يقول : أول شئ رأياه هو للمعالى ، فقد
عشقها قبل أوان العشق ، وروى ابن جنى . وأول داية ، والداية : الظئر — التى ترضع
للولود — فيكون المعنى : إن المعالى توات تربيتهما فهما يميلان إليهما ويحبانها . حب
الصبي من رباه .

وَأَوَّلُ أَفْقَافٍ فَمَهْمَا وَقَالَ إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانٍ^(١)
وَكُنْتُ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا الْفَنَانُ^(٢)
فَعَاثَا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بِضَوْنَهُمَا وَلَا يَتَحَاثَدَانِ^(٣)
وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرَثًا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ^(٤)
وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأْمَى حُرُوفٍ أَنْيْسِيَانِ^(٥)
دُعَاءَ كَالشَّاهِ بِلَا رِثَاءِ يُؤَدِّيهِ الْجَفَانُ إِلَى الْجَفَانِ^(٦)

(١) الصارخ : المستغيث ، وإغاثته : نصرته ، والعانى : الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه ، و« لفاعة » : تروى كلمة .

(٢) تبهر : أى الشمس ، وبهره : غلبه وقوله فكيف الخ : أى فكيف تصنع مثلا يقول : كنت شمسا تبهر العيون بهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولدك فمسان آخران ؟

(٣) يدعو لها بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر ، يحيا الناس بضوئهما ، وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف .

(٤) هذا دعاء لا يبيها بالحياة يقول : لا ملكا ملكك بل ملك الأعادى ، ولا وراثك إنما ورثا من يقتلانه من الأعداء .

(٥) كأثره : فآخراه بالكثرة ويأى . خبر « كان » ، وأنيسيان : مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير ؛ وإنسان : خمسة أحرف ، وهو مكبر ، فإذا صغرته وقلت « أنيسيان » زاد عدد حروفه وصغر معناه ، والبيت دعاء أيضا . يقول : عدوك الذى له ابنان وكأثرك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه ونفخه بأن يكونا ساقطين خسيسين كياء أنيسيان : يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى إذا فآخرا — أى ابنا المدحوح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك ، فليكن ابنا ذلك العدو : أى العدد الذى يقابلهما — عنده بمنزلة الياءين فى أنيسيان : أى آيلين إلى نقصه وخسته وإن زادا فى عدده ، وهذا المعنى الثانى أنسب وأقرب والسبق يدل عليه .

(٦) دعاء : أى هذا دعاء . والرثاء : التظاهر بغير مافى الباطن . والجنان القلب يقول . وهذا الذى ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لا رثاء فيه ، لأنه إخلاص من القلب

فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْهُ فِي فِرْنَدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يَمَانٍ^(١)
وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانِي^(٢)

إلى القلب يخرج من قلبي فتفهجه بقلبك ، وتعلم أنه إخلاص لا يشوبه رثاء .
(١) فرند السيف : جوهره ووشيه : والعضب : الحيف القاطع . واليماني : نسبة إلى اليمن ، شبه الممدوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف : أى أن شعره زينة للممدوح ؛ كالفرند للسيف ، لأنه نوه بمناقبه ومحامده ، وقد نزل منه في منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليماني وهو أجود السيوف .
(٢) في الناس : خبر كونكم : والمراء : الساقط من الكلام ، قال ذو الرمة .

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَاهُرَاءَ وَلَا تَزُرُ^(١)
يقول : بكم صار للناس معنى ، ولولاكم لكان الناس كالغف من الكلام الذى لا معنى له ، وهذا كقوله :

* وَالْأَهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَفْنَاءُ *

(١) ويحتمل أن يكون المراء — في البيت — بمعنى المنطق الكثير ، والتزر القليل التافه ، قال ابن منظور : يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد المذر والإكثار ، وذاهب في التخفيف والاختصار ، فإن قال قائل وقد قال ولا تزر فلستنا ندفع أن الحفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال لأنه على كل حال لا يكون ما يجري منه وإن خف وتزر أقل من الجمل التي هي قواعد الحديث الذى يشوق موقعه وبروق مسمعه .

قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جدّ أبي العشار وأباه فقال :

أَغْلَبُ الْحِيزَيْنِ مَا كُنْتُ فِيهِ وَوَلِيَّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ^(١)
ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ دِنْيَةٌ دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ^(٢)

(١) الحيز : السكان الذى يحوز الشيء ، والمراد : حيز النسب ؛ والولى . هنا :
الصاحب . وتنميه : ترفعه ، وكل شيء رفعتة فقد نمتته ومنه قول النابغة .

فَمَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِمَاجَ لَهُ وَأَنْتُمْ الْقُتُودُ عَلَى عَيْرَانَةِ أُجْدٍ^(١)

يقول : الجانب الذى أنت فيه هو أغلب الجانبين ، يعنى أن عشيرة تنسب إليها تكون
منها يغلبون بك غيرهم لدى الساماة ، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم فى زيادة ورفعة . هذا
ولنعد إلى الحيز ، فنقول : قاله العكبرى . الحيز فيعمل من حاز يحوز وهو السكان ،
وسيويوه يجمعهم حيايز ، والأخفش حياوز قال : وتحيز تحيزاً ، قال سيديويه : هو تفعل
من حزت الشيء ، يريد أن وزن تحيز تفعل ، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم
قال القطامي :

تَحْيِيزُ مِنِّي خَشْيَةً أَنْ أُضِيفَهَا كَمَا انْحَازَتْ الْأَفْنَى بِخَافَةٍ ضَارِبِ^(٢)

(٢) يقال هو ابن عمى دنية ودنيا — بالتثنية — أى أدنى — أقرب — بنى
العم إلى . يقول : هذا الذى أنت جده وأبوه — يعنى أبا العشار — يعنى أنه
ريبب نعمتك وغذى دولتك فأنت إذن جده وأبوه دنية لا اللذان ولداه ، .
يقول : اتصاله بك فى القرابة يغنيه عن ذكر الجد والأب ، فهو بك
يفتخر لاهما .

(١) القتود : جمع قَد — بالتحريك — اسم لأداة الرحل . العيرانة : الناقة الناجية
فى نشاط ، أوهى القى شبهت بالعر — حمار الوحش — فى سرعتها ونشاطها ، وناقة
لُجْد موقنة الخلق .

(٢) يقول : تنحى هذه العجوز وتتأخر خوفاً أن أنزل عليها ضيفاً .

وأجل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال :

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُهُ تَأْتِي الْفَدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ^(١)
وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِي عَارِضًا أُيَقِّنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَنْبِغِي نَصْرَهُ^(٢)

وقال بمدح أبا العشائر ويودعه وقد أراد سفرًا :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالْدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَقْنَاهُ^(٣)
وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ^(٤)

(١) الوشاة : جمع واش ، وهو النمام . يقول : أنت تجود على الناس وتسخر ونهب طى ذلك ، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل ، فإذا ذكرت بك بالجوّد كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر .

(٢) العرض : ما يمدح ويذم من الإنسان . وعارضا : أى معترضا ، حال لأن رؤية العين لا تعدى إلا إلى مفعول واحد يقول : إذا رأيتك تدفع عن عرضي وتحمى دونه علمت يقينا أن الله يريد نصر ذلك الذى تذود عنه - يعنى للثبتي بهذا نفسه ، لأن سيف الدولة أجل ذكره ، يريد أن الله سبحانه ينصرف على حسادى وأعدائى إذا جعلك تمدحني وتحسن القول فى - هذا : والروى - فى هذين البيتين - هو الهاء - لا الراء - وإن اتفقت القافيتان الأخيرتان فى التزامها - أى الراء - وقول من قال إن هاء الإضمار إذا تحرك ما قبلها لا تكون إلا وصلا مقيد بما إذا تكررت ، لكلا يكون من قبيل الإبطاء ، فإن لم تتكرر كما فى البيتين كانت كغيرها من الحروف .

(٣) يقول : الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض ، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم ، كما قال :

بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرَتْ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونَا

ثم قال : وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسىء ، وهذا منقول من قول ابن دريد .

وَاللَّهُ يَمْلِكُ وَالرَّاضِي وَشِيمَتُهُ أَنْ الْوِزَارَةَ لَفْظٌ أَيْتَ مَقَامٌ

(٤) ناظر العين : إنسانها والبأس : الشجاعة . والباع : قدر مد البدين ؛ وباع

أَفْدَى الَّذِي كُلُّ مَأْزِقٍ حَرَجٍ أَغْبَرَ فُرْسَانَهُ تَحَامَاهُ^(١)
أَعْلَى قَنَاةِ الْحَسَنِ أَوْسَطَهَا فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رَجُلَاهُ^(٢)

الحبل يبوعه بوعا : مد يديه معه حتى صار باعا ، كما تقول شبرته - من الشبر - وربما عبر
بالباع عن الشرف والكرم ، قال المعجاج :

إِذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرُ تَقَضَّى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ^(٣)
وقال حنبل بن خالد أحد بني قيس بن ثعلبة :

نُدْهِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالْفَدَى وَبِمَضْمُومٍ تَغْلِي بِذَمٍّ مَنَاقِبُهُ
« الدهدقة : دوران البضع الكثير في القدر إذا غلت تراها تعلو مرة وتسفل
أخرى ؛ والمناقع : القدور الصغار ، واحدها منقع ومنفعة » . يقول المتنبي : أنت من
الجلود بمنزلة الناظر من العين ، ومن البأس بمنزلة اليمين من الباع ، وهذا من قول
علي بن جبلة :

وَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَى فَتَجَزَأَتْ لَكَ الْيَمِينُ وَالْأُذُنَانِ

(١) المأزق : الضيق ، راد به ساحة الحرب ؛ والحرج : الضيق ؛ وكل :
مبتدأ ؛ خبره : جملة « فُرْسَانَهُ تَحَامَاهُ » ، والضمير في فرسانه : يعود على للمأزق ؛
وفي تحاماه ؛ يعود على الذي ؛ وأغبر : أى كثير الغبار ، صفة للمأزق ؛ وتحاماه
— بحذف إحدى التاءين — أى تتحاماه . يقول : أفدى الذى تتحاماه الا بطل فى الحرب
لأنها تكره ملاقاته لشجاعته .

(٢) فيه : أى فى ذلك المأزق ؛ والكمى : البطل المغطى بسلاحه . يقول : أفدى
هذا المددوح الذى يشهد كل مأزق ضيق تتأطر فيه — تنثنى وتهوج — قنائة ربحه
لأنها حين يحمل قرنه بربحه فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمى منكسا ، كما
قال امرؤ القيس :

* أَرُجْلُهُمْ كَالْخَشَبِ الشَّائِلِ *

قال ابن جني : سألته — المتنبي — عن معنى هذا البيت ، فقال هو مثل
البيت الآخر :

(١) كسر اللطائر : ضم حناحيه حتى ينقض بريد الوقوع ، وتقضى البازي انقض وأصله
تقضض ، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء .

نَشِيدُ أَنْوَابِنَا مَدَامَحُهُ بِالْأَسْنِ مَالَهُنْ أَفْوَاهُ^(١)
 إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصْمِ بِهَا أَغْنَمَهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ^(٢)
 سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِأَلْ بُغْدِ وَلَوْ نَانَ كُنْ جَدْوَاهُ^(٣)
 لَوْ كَانَ ضَوْوهُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ لَصَاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ^(٤)

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاقَةَ بِفَارِسٍ وَتَنَى فَقَوَّامَهَا بِآخِرَ مِهْمُ
 (١) هنا زلت قدم ابن جني وتبلد حماره ولج به عثاره إذ قال : يخلع عليهم نيايا تشد
 مدائحهم فيه بألسن مالهن أفواه تقعع لجدها والأصم يستغنى برؤيتها عن صونها . قال
 العروضي : هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ولم يرو الكثير منه ، وكنت أربأ
 بأبي الفتح عن مثل هذا القول ، ألم يسمع قول نصيب .

فَعَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
 ولم يكن للحقائب جمعجة . إنما أراد أنهم يرونها عتمة ، كذلك أراد المتنبي أنا نلبس
 خلمه وأنوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه ، فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت
 مدائحه بألسن لا تتحرك في أفواه لأنها لا تنطق في الحقيقة إنما يستدل بها على جوده ،
 فكأنها أخبرت ونطقت .

(٢) المسمع : الأذن . والبيت تأكيد للذي قبله . يقول : إذا مررنا على الأصم
 — الذي لا يسمع — وهذه الأنواب علينا علم أن المدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن
 أن تخبره بعطائه .

(٣) خار الله له كذا وبكذا : إذا اختار له ذلك ؛ ونلن : أى كن مما ينال ويحرز .
 قال العكبري : وهى بالكسر — أى كسر النون — أفصح من الضم وقال الواحدى :
 نلن : وزنه فعلن — بضم الفاء — مثل بعن ، يستوى فيه فعلن وفعلن ، ومنهم من
 يجعلها بين الضم والكسر — مثل قيل — لثلا يلبس فعان وفعلن — أى المعلوم
 بالجهول — والجدوى : العطية . يقول : سبحان الله الذى اختار للكواكب البعد لأنها
 لونيأت وأحرزت لفرقها المدوح في جملة عطايه .

(٤) صاعه : فرقه ، يقال صاع الشجاع أقرانه : أى حمل عليهم ففرق جمعهم ،
 وصاع الراعى ماشيته : أى فرقها في المرعى وجمع الشمس على تقدير أن ليكل
 يوم شمسا .

يَا رَاحِلًا كُلُّ مَنْ يُودَّعُهُ مُودَّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ^(١)
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ فَيْكَ مَزِيدٌ فَرَادَكَ اللَّهُ^(٢)

* * *

وقال قوم لم يكنك أبو الطيب يا أبا العشائر وأنت تعرف بكنييتك فقال :
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَمْ أَكُنْ ذَلِكَ عِثًّا إِذَا وَصَفْنَاهُ^(٣)
لَا يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ لَبْسٍ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ^(٤)

(١) قال الواحدى : يريد أنه لا دين إلا به ؛ لأنه يحفظه على الناس ، ولا دنيا إلا معه ، لأنه ملك ، فمن ودعه فقد ودعهما :

(٢) فيك : متعلق بـ «نراه» ؛ ومزيد : اسم «كان» . يقول : لا مزيد على كرمك ، لأنه قد بلغ الغاية ، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه .

(٣) كناه : دعاه بكنيته . والعى : ضد الإفصاح . يقول : إنا إذا وصفناه كان ذكر كنيته عيا منا ، لأن وصفه ينفي عن كنيته بكونه لا يصلح إلا له فقد عرف بذلك ، وإن لم يكن . هذا : ولابن جنى والواحدى هنا نقد دقيق ، قالوا إن الاستفهام إذا دخل على النفي رده إلى التقرير ، كقوله تعالى « أليس في جهنم مثوى للكافرين » أى فيها مثوى لهم ، وكقول جرير .

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بَطُونٍ رَاحٍ
أى أأنتم خير من ركب المطايا الخ . فعلى هذا يكون قوله « ألم تكنه » معناه كنيته والقوم — الذين لا حظوا على المتنبي — لم يريدوا هذا ، إنما أرادوا نفي السكنية ، فكان من حقه أن يقول — المتنبي — قالوا ولم تكنه ، ولا يأتى بحرف الاستفهام وابن فورجه يقول فى هذا إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير ، كأن واحدا من القوم سأل أبا الطيب فقال : ألم تكنه ، أى هل كنيته ؟ هذا قوله — قول ابن فورجه — والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي لأنك إذا استفهمت أحدا : هل فعل شيئا قلت : أفعات كذا . أو لم تفعل ؟ ألم تفعله ؟

(٤) اللبس : الالتباس . يقول : لا يحذر ولا يخشى أن تلبس معاني الورى بمعناه . أى أن تخلط صفاته ومعاني مدحه بصفات غيره ومعانيه — لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره ، وإذن لا يحتاج فى مدحه إلى ذكر كنيته (٢٦ المتنبي : ٤)

أَفْرَسُ مَنْ تَسْبَحُ الْجِيَادُ بِهِ وَلَيْسَ إِلَّا الْحَدِيدَ أَمْوَاهُ^(١)

وكان الأسود قد عمر داراً وانتقل إليها فأتاه فيها خمسون غلاماً، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى، فقال وأنشده إياها في شهر الحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُسَمَّى مُبَارَكَةً دَارُ مُبَارَكَةِ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهَا^(٢)
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أَنْ تُنْقَى بِسَاكِنِهَا دَارُ غَدَا النَّاسِ يُسْتَنْقُونَ أَهْلِيهَا^(٣)
هَذِي مَنَازِلَكَ الْآخَرَى نَهْنُهَا فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الْأُولَى يُسَلِّمَهَا^(٤)

ولا يتوقى: رواها الواحدى: لا يتوفى، قال؛ ومعناه لا يستوفى هذه الكنية، وهذا اللفظ رجلاً يزيد معناه على معانى الورى كلهم، لأن فيه من معنى الكرم وللدح مالىس فيهم، وليست هذه الرواية بشيء.

(١) أفرس: أى هو أفرس؛ وأفرس من الفروسية. والجياد: الخيل وسبحها: عدوها — جريها — حق كأنها تسبح في بحر. ونصب «الحديد» على أنه استثناء مقدم، واسم «لبس» أمواه، وخبرها محذوف، والتقدير: وليس في الأرض أمواه إلا الحديد. يقول: هو أفرس من تجرى به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها — تسبح الخيل فيه، لما ذكر سبج الجياد جعل الحديد أمواها.

(٢) الملك: تخفيف الملك. يقول: أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذى فيها مبارك، يعنى إذا كان صاحب الدار مباركا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة.

(٣) استسقاء: سأله السقيا. يقول: أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس، يعنى إذا كان سكان الدار يسقون الناس وينفعونهم فتلحق الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشعلها بركاتهم ومبراتهم.

(٤) يقول: هذه التى انتقلت إليها وعدت نهنّها بعودك إليها، فمن الذى يأتى الدار التى فارقتها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفرافك إياها؟

إِذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ جَمَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تَبِيهَا^(١)
لَا يُنْكِرُ الْعَقْلُ مِنْ دَارَتِكَوْنُهَا فَإِنْ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَفَاتِيحِهَا^(٢)
أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَاكَ أَوَّلَهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا^(٣)

ونزل أبو الطيب في أرض حسنى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي فاستغوى
وردان عبيد أبي الطيب : فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك
ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم —
وقال بهجو وردان :

لَيْتَنُ تَكُ طَيِّبٌ كَانَتْ لِيَأَمَّا فَأَلَامُهَا رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ^(٤)
وَلِنْ تَكُ طَيِّبٌ كَانَتْ كِرَامًا فَوَرْدَانُ لِيَمِيرِهِمْ أَبُوهُ^(٥)

(١) تاه فلان تبها إذا تكبر وافتخر . يقول : إذا نزلت مكانا بعد أن ارتحلت
عن مكان آخر تاه الثانى — الذى حللته — على الأول — الذى فارقت — وافتخر عليه
بنزولك إياه .

(٢) لا ينكر العقل يروى « لا ينكر الحس » والمعنى جمع معنى وهو النزول والسكن
يقول : لا ينكر على الدار التى تحلها أن تكون ذات شعور تفرح بسكنائك وتحزن
بمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٣) يدعو له . ولقائك : يروى أعطاك .

(٤) و (٥) لئن تك يروى ، أن تك ، فيكون فيه خرم . وربيعه هو أبو وردان ،
و« أو » من قوله أو بنوه : لك أن تبقىها على معناها ولك أن تحلها بمعنى الواو . يقول : إن
كانوا لثاماً فألأمهم أبوه وبنو أبيه ، وإن كانوا كراماً فأبو وردان ليس منهم ، أى هودعى
فيهم ، وقال العكبرى : تعليقا على « وردان » . وردان مشتق من الورد ، ولوميت رجلا
بوردان تشبه ورد : جاز لك فيه وجهان : أحدهما أن تجريه مجرى مروان فتعربه كما عرابه
ولا تصرفه ؛ والثانى أن تلفظ التشبيه ، تقول فى رفعه : جاءنى وردان ، وفى نصبه رأيت
وردن ، وفى جره مررت بوردين .

مَرَزْنَا مِنْهُ فِي حِسْتَى بِمَبْدٍ بِمَجُّ اللَّوْمِ مَنخِرُهُ وَفُوهُ^(١)
أَشَدُّ بِعِزِّهِ عَنِّي عَيْدِي فَأَتَلَفْتَهُمْ وَمَالِي أَتَلَفُوهُ^(٢)
فَإِنْ شَقِيتُ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي لَقَدْ شَقِيتُ بِمَنْصِلِي الْوُجُوهُ^(٣)

وقال بمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَّا خُسْرَوْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ :
أَوْهٍ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرُهَا^(٤)

(١) مررنا منه بعدد : تجريد ، وحسمى موضع ، وقد مر . ومع الشراب والشيء من فيه يمج به مجا ومع به : رماه ولفظه ، وقد يستعمل في الأعراض ، كما قال القائل :
لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كُلَّ لَدَّةٍ فَمَجَّوْا النَّصِيحَ ثُمَّ ثَنَوْا فَنَاءُوا
(الد : في الأصل أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق) يقول : مررنا في هذا المكان من وردان بيد قد أقسم لؤما حتى إن أنفاسه لؤم ، أى لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه .
(٢) شد العبد : إذا هرب وأغذه غيره : هربه وأقصاه ، والعرس امرأة ، الرجل .
يقول : فرق عني عبيدي بسبب امرأته ، يعنى أغرامهم بالفجور بها ودعاهم إلى ذلك فأتلغهم لأنه حملهم على الفجور ، وهم أتلغوا مالى لأنهم أتلغوه على امرأته .
(٣) الجياد : الخيل ، وللمنصل : السيف . وقوله : لقد شقيت أراد فلقد شقيت .
يقول : إن كانت خيلي قد شقيت بأخدم إياها فقد شقي وجهه الآخذ بسيفي ، يشير إلى العبد الذى ضربه بسيفه فأصاب وجهه ، وذلك أن عبيد له ركبا فرسين من خيله وأخذ أحدهما سيفاً لأبى الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا . فأحس أبو الطيب بذلك ، فلحق أحد العبيد قتلته ونجا الآخر ، وقد تقدم ذلك في قافية الفاء .
(٤) أوه : كلمة تعجب قل :

فَأَوْهٍ لَدَكْرَاهَا إِذَا مَا ذَكَّرْتَهَا وَمِنْ بَعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءٍ
وَوَاهَا : كلمة تعجب واستطابة ، قال أبو النجم .
وَاهَا لَرِيَاءُ ثُمَّ وََاهَا وَاهَا

أَوْهٍ لِّمَنْ لَا أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَضْلُ وَأَهَا وَأَوْهٍ مَرَّآهَا^(١)
شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَظَرِي مُحَيَّاها^(٢)
فَقَبَّلْتُ نَظَرِي ثَمَّاطُنِي وَإِنَّمَا قَبَّلْتُ بِهِ فَأَهَا^(٣)
فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا^(٤)

ونأت : فارتقت وبعدت . يقول : كنت أتعجب من وصلها — الحبيبة — وأستطيب قريبا فصرت الآن أتوجع لفراقها ، فصار التأوه بديلا من التعجب والاستطابة ، وصار ذكرى إياها بديلا منها لى بعد أن فارقتنى ، ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكرها : أن هذا البديل الذى هو التوجع ذكرى لها أى كلما ذكرتها توجعت وقلت أوه ، فقوله لمن نأت : أى لأجل من نأت .

(١) يقول : أتوجع لأننى لا أرى محاسنها ولولم أرها لم أستطع قريبا ولم أتوجع لفراقها ، أى إنما أتانى هذان بسبب رؤيتها .

(٢) الناظر : العين أو إنسانها والحق الوجه . قال الواحدى : هذا يحتمل معنيين أحدهما : أنه يريد فرط قريبا منه ، حق أنها منه بحيث ترى وجهها فى نظره ، وهذا عبارة عن غاية القرب ، والآخر : أنه أراد حبها إياه ففى انتظار إلى وجهه وتدنو منه لحبه حتى ترى وجهها فى نظره .

(٣) قال ابن جنى : معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابلته شيء أدى صورته ، فهو يقول : أوهمتنى أنها قبلت عيني وإنما قبلت فأها الذى رأته فى ناظرى ، ألا تراه قال تبصر فى ناظرى محياها ؟

(٤) يقول : ليت ناظرى مأواها أبدا ، وليتها لا تزال تأوى إلى ناظرى . يريد أنه يتمنى دوام قريبا الذى ذكره . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها . يقول : لو أوت إلى ناظرى فاتخذته مأوى لما كان ذلك منأى . هذا : وقوله « آوية » رواها ابن جنى آوية واحتج للتذكير بأنه أراد لا تزال شخصا آوية ، كما قل الآخر .

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ
أى تركتنى شخصا ذا غربة .

كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجَى سَلَامَتُهُ إِلَّا فُؤَادًا دَهَنَهُ عَيْنَاهَا^(١)
تَبِلُ خَدَى كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَهُ ثَنَائِيهَا^(٢)
مَا نَفَضْتُ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا جَعَلَتْهُ فِي الدَّامِ أَفْوَاهَا^(٣)
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ عَلَى حِسَانٍ وَلَشَنَ أَشْبَاهَا^(٤)

(١) دهنه : أصابته ، و يروى رمنه . يقول : من أصابته بينها فئيمته لم ترج سلامته .

(٢) الثنايا : جمع ثنية ، وهي السن في مقدم الفم . وهنا عثر ابن جني عثرة يرحم لها ، قال : دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه ، قال ابن فورجه أيقظنا وقتت عليه تبكى حتى سال دمعها عليه ؟ ومعنى البيت أن دموعى كالطر تبلى خدى ، كلما ابتسمت بكيت ، فكان دمعى مطر برقه بريق ثناياها إذا كان بكائى فى حال ابتسامها كقوله :

* ظَلَّتْ أَبْكِي وَتَبَسُّم *

وكقول غيره :

أَبْكِي وَيَضْحَكُ مِنْ بَكَائِي وَلَنْ تَرَى
هَجِيئًا كَحَاضِرِ ضِحْكِ وَبُكَائِي
ونحو هذا قول أبى بكر الخوارزمى :

عَذِيرِي مِنْ ضِحْكِ غَدَا سَبَبَ الْبُكَاءِ وَمِنْ جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعْتُ فِي جَهَنَّمِ
(٣) الغدائر : الضفائر ، وهي الذوائب من الشعر ؛ وللدام الحز . والأفواه أخلاط الطيب ، واحدها فوه — بضم الفاء — يقول : إن غداؤها لكثرة ما ضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب ، وإذا نفضت غداؤها الطيب فى يدى طيبت به اللدام .

(٤) فى بلد : هذه المحبوبة فى بلد الخ . والحجال : جمع حجلة ، بيت كالقبة يزىن بالثياب والأسرة والستور ، ويكون له أزرار كبار وهى حجلة المروس . يقول : هى فى بلد فيه حسان كثيرات مخدرات لكنهن لا يشهنها فى الجمال ، أى أنها تفضلهن فى الحسن والجمال . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لا يشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهم بعضا .

لَقِينَا وَالْحُمُولُ سَارِيَةٌ وَهْنٌ دُرٌّ فَذُبْنَ أُمَوَاهَا^(١)
 كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُقْلَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهَا^(٢)
 فِيهِنَّ مَنْ تَقْطُرُ السُّيُوفُ دَمًا إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَّاهَا^(٣)
 أَحِبُّ خِصَمًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ نَحْيَاهَا^(٤)
 حَيْثُ التَّقَى خَدُّهَا وَتُفَاحَ لُبِّ نَانَ وَتَغْرَى عَلَى حُمَيَّاهَا^(٥)
 وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ شَتَوْتُ بِالصَّخْصَحَانِ مَشْتَاهَا^(٦)

(١) الحمول : الإبل عليها الهودج أكان فيها نساء أم لم يكن ، وأمواها : حال يقول : إن هؤلاء الحسان لقيننا وقد سارت الركاب بين وهن كالدر حسنا ونقاء وصيانة فصرن سرايا لما بعدن عنا ، وقال ابن جني معنى : « فذبن أمواها » أجبرين دموعهن أسفا علينا ، وبعبارة : بكنين لفراقنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهن قد ذابت وسالت دموعا . وقال الواحدي : يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد ، والذوب يسيله ، وقال غيرها : إن المعنى نزلن في الوادي سائرات فاستجبن منا فذبن أمواها .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينها . يقول : كل امرأة كأنها مهاة وكأن مقْلَتها تقول للناظرين إليها احذروا أن تصيدكم وتسيبكم ، يعنى أنها مهابة صائدة لاصيدة .

(٣) فهن : أى فى كل مهاة . يقول : فهن من هى منبعة لا يجرو العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دما ، لكثرة من يمنعه ويغار عليها ويحفظها بسيفه أى إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء .

(٤) حمص وخنصرة : بلدان بالشام . وعجياها : موطن حيانها . يقول : أحب حمص وما يلها إلى خنصرة لأنها موضع نشأتى وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت .

(٥) الثغر : مقدم الفم . والحميا : الحمر أو سورتها . يقول : أحب هذين الموضعين حيث اجتمعت لى هذه الطيبات خد الحبيب وتغرى وتُفَاح الشام — وهو أحمر — وشرب الدمام .

(٦) صفت : أقت الصيف . وشتوت : أقت الشتاء والصخصحان : الأرض

إِنْ أَغْشَبَتْ رَوْضَةً رَعَيْنَاهَا أَوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا^(١)
 أَوْ عَرَضَتْ عَانَةً مُقَزَّعَةً صَدْنَا بِأُخْرَى الْجِيَادِ أَوْلَاهَا^(٢)
 أَوْ عَبَّرَتْ هَجْمَةً بِنَا تُرِكْتَ تَكُوسُ بَيْنَ الشَّرُوبِ عَقْرَاهَا^(٣)
 وَالْخَيْلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ تَجْرُ طُولَى الْقَنَا وَقُصْرَاهَا^(٤)

المستوية الواسعة ، أو موضع . يقول : وأقيمت بها صيفا كصيف أهل البادية ، وأقيمت بالصحرى في شتاء كشتاء أهل البادية : أى على رسم أهل البادية وعاداتهم في الصيد والغزو ونحوها مما ذكره في الأبيات التالية .

(١) الروضة : الأرض فيها جبل وعشب ؛ والحلة : اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان وهذا البيت كالتفسير للذي قبله . يقول : إذا أعشب مكان رعيناه ذلك المكان كعادة أهل البادية في تتبع مساقط الغيث ، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم وأغرنا عليهم .

(٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . ومقزعة : خفيفة مفرقة كالقزع ، وهى قطع السحاب ، ورواها ابن جني مقزعة : يعنى أنها قد فزعت ، فهو أخف لها وأشد على قانسها . يقول : إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بآخر خيلنا أولاهها ، يعنى أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع ، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو — الجرى —

(٣) الهجمة : القطعة من الإبل من أربعين فما فوق ، وكأس البعير يكوس : إذا مشى على ثلاث قوائم ، والشروب جمع شرب ، جمع غارب ، يريد الذين يشربون الخمر ، وعقراها جمع عقير — أى معقور — أى البعير الذى قطعت إحدى قوائمه لينحر ، يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر ، يقول : إذا مررنا بقطيع من الإبل سطونا عليه فعفرناه يمشى بين الشاربين معرقبا .

(٤) يقول : والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح ، فبعض خيلهم مطرود ، وبعضها طارد ، وهى تجر الطويل من الرماح والقصير منها ، هذا : والطولى : تأنيث الأطول ، والقصرى : تأنيث الأقصر ، قالوا : وفعلى إذا كانت تأنيث أفعل ، مثل طولى وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف ، وإن كان قد قرئ « ووقلوا للناس حسنى » بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة : أى حسنى القول ، وكذلك آتى في شعر أبى نواس :

يُنَجِّبُهَا قَتْلَهَا الْكِمَاةَ وَلَا يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا^(١)
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوَلَاهَا^(٢)

كَأَنَّ صُفْرِي وَكُبْرِي مِنْ فَقَاقِمِهَا حَصْبَاهُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
أراد صُفْرِي وكُبْرِي فقاقمها ، على إسقاط حرف الجر .

(١) الكِمَاة : جمع كَمَى ، وهو البطل النعطى بسلاحه ؛ وينظرها : يملها ، أضاف
القتل إلى الخيل ، وهو يريد أصحابها ، يقول : يجب فرسان الخيل قتلهم الكِمَاة : أى
يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بدم لكثرة المغاورة وفشو الحرب وطلب
الثَّأر : وقال ابن جنى : يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل - لا عن أصحابها -
أى يجب علينا قتل الكِمَاة ، إلا تراه يقول فى موضع آخر :

تَحْمَى الشُّوْفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَمَّةُ كَأَنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ
فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمى فالحيران الذى يعرف كثيرا من أغراض صاحبه
أحرى ، لأنه معلم مؤدب ، قال ابن جنى : أما قوله « وَلَا يَنْظُرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا »
فالمعنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه ، قال زياد الأحمم :

وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ لَهُ كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرَفِ سَابِجٍ^(١)
ورد ابن فورجة على ابن جنى قال : ليس هذا بشئ لأنه يريد بقتلها من قتلته وقتله
أصحابها ، فهو يريد خيل القاتلين لاختيل المقتولين ، والمعنى : أن أصحابها يهلكونها
بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلهم فلا بقاء لها بدمهم . وبعد : فالمعنى على هذا أن
فرسانها يقتلون الكِمَاة عليها ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضا لأنهم يهلكونها
بكثرة الركض فى الفارات أو لأنهم ينحرونها للأضياف .

(٢) قَاطِبَةٌ : أى جميعا حال ، قال المعرى : إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما
بلغ إلى هذا البيت قال : ترى هل نحن فى الجملة ؟

(١) بغير أ كَوْمَ وناقة كوماه : عظيمة السنام عاليه ، والهجان : الإبل البيض
الكرام ، يستوى فيه الذكر وللؤث والجمع ، يقال بغير هجان وناقة هجان
والطرف ، الفرس الكريم الأطراف ، يعنى الآباء والأُمهات ، والسابج : السريع فى
مشبه كأنه يسبح .

وَمَنْ مَنَّا يَأْمُرُ بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا^(١)
 أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَصَدَ الـ دَوْلَةَ فَنَاشَرُوا شَهْنَشَاهَا^(٢)
 أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا^(٣)
 تَقُودُ مُسْتَحْسِنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقُودُ السَّحَابَ عَظْمَاهَا^(٤)
 هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ أَنْفُسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا^(٥)

(١) يقول : ومن منا يأمُر بكفه يصرفها فيهم كيف شاء ، فهو يحى من شاء منهم
 - من الملوك - أى يبقى عليه ، ويميت من شاء .

(٢) أباشجاع : بدلا من قوله مولاها ، وشهنشاه : أى ملك الملوك ، وهو لقب بنى بويه
 قال ابن جنى : هذا البيت طى أنه قصير الوزن قد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه
 ونعته وسماء بملك الملوك وهو من أحسن الجمع واللدح .

(٣) الأسماء جمع الأسماء جمع الاسم ونصب أساميا بإظهار فعل كأنه قل ذكرت
 أساميا دل عليه قوله ذكرناها . يقول : هذه الأسماء التى ذكرت لها لم تزد معرفته فوق شهرته
 فهو مستغن عن التعريف وإنما ذكرت لها استلذاذا بلفظها وصاحبها : قال ابن جنى : وهذا
 كلام النحويين فى أحد ضربى الوصف تناوله منشورا فنظمه ، وذلك أنهم يقولون إنما
 يذكر الوصف للاسم إما للإيضاح كى يتميز عن غيره كقولك مررت بأبى محمد الكاتب
 وإما للإطناب والثناء كقولنا بسم الله الرحمن الرحيم ، فالوصف هنا لم يحىء للإيضاح
 لأن اسم الله تعالى لا يشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف ، وإنما ذكر للإطناب فى الثناء
 وكذلك قوله أساميا لأنه قال وسرت حق رأيت مولاها ، فقد علم أنه لا معنى إلا أباشجاع
 فإنما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لانه مجهول ، وإنما هو كما قال ذكرته استلذاذا
 للثناء عليه .

(٤) السحاب : اسم جمع ، يذكر ويؤنث . وعظماها : أى معظمها . يقول : إذا
 ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام فى مدح صاحبها ، كما تقود السحابة العظمى
 سائر السحاب ، يريد أنها مشتملة على جل المعانى التى يثنى بها عليه ؛ لما فيها من الدلالة
 على شجاعة مسماها وشرف منزلته ، وعبرة الواحدى : هذه الأسماء محمولة على المعانى
 فهم ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها ؛ ويجوز أن يريد بقودها
 مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكرفى مقدمة معان أذكرها بعد وأصلها به ، كما
 نود معظم السحاب سائرهم - باقية -

(٥) كل شيء له قدر وخطر فهو نفيس : أى يتنافس فيه ويرغب ، وأسناها : أرفعها

لَوْ فَطِنْتَ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا^(١)
لَا تَجِدُ الْخُمْرُ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا أَنْتَشَى خَلَّةً تَلَاَفَاها^(٢)
تُصَاحِبُ الرِّاحُ أَرْيَحِيَّتَهُ فَتَسْقُطُ الرِّاحُ دُونَ أَذْنَاهَا^(٣)

وأشرفها ، يقول : إنه يهب أفضل أمواله . قال ابن جني : قال بعض خزان عضد الدولة إنه كان قد أمر له بألف دينار عدداً ، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال .

(١) يقول : لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها أن يرضاه للمدح وأن تعجبه لأنه إذا رضىها وأعجبته وهبها لزمه مادام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه وهي لا ترضى أن تتبدل به غيره .

(٢) انتشى : سكر . والخلّة : الحصة والثلمة ؛ وملافاها - بحذف إحدى التاءين - أى تلتافها : أى تتداركها . يقول : هو قبل الشرب جواد فلا يزيد الخمر جوداً ؛ وليس في مكارمه خلّة تلتافها الخمر ، وأول هذا المعنى لعنقرة :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَأَ حَلَّتِ شِمَائِلِي وَتَكْرُمِي
وقريب من هذا قول زهير :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
وقول أبي نواس :

فَتَى لَا تَلُوكُ الْخُمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَيَادٍ عُودٌ وَبَوَادِي^(١)
وقول البحتري :

تَكْرُمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكُثُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَمَنَّ أَنْ يُحْدِثَ فِيكَ تَكْرُمًا
والمصابي بيت المتن في بعض محاوراته فقال : ولقد آن الله في اقتبال العمر جوامع الفضل وسوغه في عنفوان الشباب بحامد الاستكمال ؛ فلا نجد الكهولة خلّة تلتافها بتطاول المدة وثلمة يسدها بمزايا الحنكة .

(٣) الرّاح : الخمر . والأريحية : الاهتزاز للمكرم والنشاط للجود . يقول : إذا اجتمعت الرّاح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء ما لا تجلبه الرّاح ، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الرّاح ، فلا تطبق الرّاح أن تسامى أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها .

(١) لا تلوك : تروى « لا تذيب » ولا كه يلوكه : مضغه .

تَسْرُ طَرَبَاتُهُ كَرَائِنُهُ ثُمَّ تَزِيلُ الشُّرُورَ عُنُقَهَا (١)
 بِكُلِّ مَوْهُوبَةٍ مُوَلَّوَةٍ قَاطِعَةٍ زِيَرَهَا وَمَشَاهَا (٢)
 تَعُومُ عَوَمَ الْقَذَاةِ فِي زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الْأَمِيرِ يَفْشَاهَا (٣)
 تُشْرِقُ تَيْجَانُهُ بِفَرْثِهِ إِشْرَاقَ الْفَاظِهِ بِمَعْنَاهَا (٤)
 دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا وَنَفْسُهُ تَسْتَقِيلُ دُنْيَاهَا (٥)

(١) طرباته : جمع طربة ، وهي الربة من الطرب ، وسكن راءها ضرورة ؛
 والكرائن : جمع كرينة ، وهي الجارية اللغية . وقال ابن جني : الكرائن :
 الأعواد . يقول : إذا طرب عند الشرب سر طربه جواريه اللغيات بما يفيض عليهن من
 الأموال والعطايا ؛ ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن ، لأن أريحية الجود لا تزال
 به حق حب الجوارى أيضاً فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك لأنهن
 لا يرضين فراقه .

(٢) بكل : متعلق بـ «تزيل» . وللولة : الداعية بالويل من شكل أو غيره والزر :
 الوتر الدقيق من أوتار العود . ولثنى : الوتر الثاني بعده يقول : يزيل سرورهن بكل
 جارية منهن يهبها وهي تولول جزناً على فراقه وتقطع أوتار العود غضباً وأسفاً
 لزوال ملكه عنها .

(٣) تعوم : تسبح . والقذاة : واحدة القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تينة
 ونحوها . والزبد : الرغوة تطفو على وجه الماء . ويفشاه : يملوها . يقول : هذه الجارية
 التي وهبها تعد في جملة عطاياها الجملة بمنزلة القذاة العائمة في بحر مزبد يملوها ويغلبها
 سائر مواهبها كما يعلو الزبد القذاة ، وروى ابن جني زبد - بكسر الباء - وهو الكثير
 الزبد لكثرة ماله .

(٤) غرته : وجهه . يقول : إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما
 تشرق ألفاظه بمعانيها .

(٥) دان له : خضع وأطاع . والضميران في شرقها ومغربها : يعودان على
 الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرينة ، يقول : أطاعه أهل الشرق والغرب
 ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا ، قال الواحدي : وكذا كان يقول عضد الدولة :
 سيفان في غمد محال ، يعني أن الدنيا يكنى فيها ملك واحد وكان يقصد أن يستولى على
 جميع الدنيا .

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ مَمَمٌ مِلَّهِ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا^(١)
فَإِنْ أَنَّى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا^(٢)
وَصَارَتْ الْفَيْلَقَانِ وَاحِدَةً تَفَرُّ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا^(٣)
وَدَارَتْ النَّصِيرَاتُ فِي فَلَكَ تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لِأَبْنَاهَا^(٤)

(١) يقول : قد اجتمع في فؤاده هم لعظمها تملأ الزمان إحداها ، وإذا كان الزمان مع سعة - لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقي همه ، إلا أن يقع اتفاق ، كما ذكر في البيت التالي ، هذا : والهمم جمع همه ، وأصل الهممة من الهميم ، وهو الديب ، وهمت الهوام ، طى وجه الأرض : إذا دبت ، فالهم بهم في القلب أى يدب ، قال ساعدة بن جؤية الهذلي يصف سيفا :

تَرَى أَثَرَهُ فِي صَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ مَدَارِجُ شَيْثَانٍ لِمَنْ مِمِ
[الشيطان جمع شيطان ، وهو الضكبوت]

(٢) يقول : فإن أنى حظ همه بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم ، يعنى أن همه يضيق عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذى نحن فيه أبداها في تلك الأزمنة ، وقال ابن جنى : الضمير في « حظها » للدنيا أى أن الدنيا إن كان لها حظ فأناها زمان أوسع من زمانها الذى هو فيه : أظهر هذا للمدوح همه .

(٣) الفيلق : الجيش ، وأنته باعتبار الكتبية والجماعة ، قال ابن جنى : أى شن الغارة في جميع الأرض - عند إظهار تلك الهمم - غلظت الجيش ، فصارا - لاختلاطهما - كالجيش الواحد ، وتعتز الأحياء منهما بالموتى ، قال ابن فورجه يرد على ابن جنى - ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها في شيء ، وإنما هو يقول قبل هذا البيت في فؤاده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان ، فهو لا يديها ، لأنه لا يجد زمانا يسعها ، فإن قضى لها وجاء حظها وبغتها بأزمنة أوسع من هذا حينئذ يظهر تلك الهمم ويجتمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة ، ويصيران شيئا واحداً وتضيق الأرض بهم حتى يستر جيهم بعتهم للزحمة وكثرة الناس ، ومثل هذا في ذكر الزحمة وقوله أيضاً :

سُيِّفْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنِغْنَا بِهَا مِنْ جَيْشَةٍ وَذُهُوبِ

(٤) قال الواحدي : أراد بالنيرات والأقمار : ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا في زمان

الْفَارِسُ الْمُتَّقِي السَّلَاحُ بِهِ الْمُنَى عَلَيْهِ الْوَعَى وَخَيْلَاهَا^(١)
لَوْ أَنْكَرْتَ مِنْ حَيَاتِهَا يَدَهُ فِي الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا^(٢)
وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سَيَاهَا^(٣)
الرَّاسِعُ الْمَذِيرُ أَنْ يَتِيَهُ عَلَى الدُّنْيَا وَأَنْبَاهُهَا وَمَاتَاهَا^(٤)

واحد ، وأراد بأبهاها عضد الدولة ، ومعنى سجود الأقمار : خضوع الملوك له ، فحينئذ
يبدى همه ، وعبارة ابن جني : شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه
نجومه ، وشبه ملوك الجيوش بالأقمار ، وشبه عضد الدولة بالشمس ، لأنه أشرفهم وأشهرهم
وتسجد : تذل وتخضع والضمير في أبهاها يعود على النيرات .

(١) السلاح : نائب فاعل للمتنق ؛ والوعى : الحرب ، وهى فاعل للثنى وخيلاها :
تثنية خيل . يقول : هو الفارس الذى يتقى به السلاح ، أى يتوقى به جيشه سلاح
الأعداء ، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء ، ويدفع السلاح عنهم كما يروى عن طي قال :
كنا إذا احمر البأس اتقينا برحول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أقربنا من العدو .
وتثنى عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه ، وأراد بقوله خيلاها — أى خيل
الوعى — : خيله وخيل العدو ، يعنى أن العدو أيضا يثنى عليه لأنه يرى من
شجاعته وإقدامه ما لا يسمعه إنكاره ، وقال ابن فورجه : يتقى به السلاح أى
لا يعمل معه شيئا .

(٢) يقول — كما قال الواحدى — لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار
يده لأن غيره لا يقدر على مثلها — يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته —
والمراد باليد صاحبها ، لأن اليد لا توصف بالإنكار ولا بالجاء .

(٣) قال الواحدى : المراد بالزيادة — هنا — السوط ، وهو مأخوذ من قول
المرار الفقىسى .

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرِ أَيْدٍ زِيَادَتُهُنَّ سَوِّطُ أَوْ جَدِيلُ

والناقع من الملوت الكثير ، والناقع الثابت . يقال سم ناقع : إذا كان ثابتا فى نفس
شاربه حتى يقتله . وسماها علامتها . يقول : كيف تخفى اليد التى سوطها يقتل به فكيف
سيلمها ؟ يعنى كيف تخفى آثار يد سوطها والملوت به موت علاماتها ، أى أن من
ضربه بسوطه قتله .

(٤) أى يتيها : أى فى أن يتيه ، وتاه : يتيه تكبر وتعظم . يقول : لو أنه تاه على

لَوْ كَفَرَ الْمَالُونَ نَفَعْتَهُ لِمَا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا^(١)
 كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَدِي بِمَا صَنَعَتْ مَنَفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا^(٢)
 وَلِ السَّلَاطِينِ مَنْ تَوَلَّاهَا وَانْجَأَ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا^(٣)
 وَلَا تَقْرُنْكَ الْإِمَارَةُ فِي غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ يَهَا بَاهِي^(٤)
 فَإِنَّمَا الْمَلِكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ قَدْ فَتَمَ الْخَافِقِينَ سَرِيَّاهَا^(٥)

الدنيا وتكبر على أهلها لسكان له العذر الواسع لظهور مزيته عليهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

وَمَا تَزِدْ هِينَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزَارًا

(١) كفر : جحد . وعدت : تجاوزت : والسجاي : الطبايع والأخلاق يقول : لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا تركت نفسه ما جبلت عليه من السجاي الكريمة لأنه لا يجود للشكر حتى إذا لم يشكر قطع المطاء وإنما يجود بطبعه كما قال بشار

لَيْسَ يُفْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْفِ وَلَكِنْ يَلْذُ طَمَعُ التَّطَاءِ

(٢) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تعود ومنها تحصل ثم هي لا تبتنى - لا تطلب - بصنعها منفعة عند الناس ولا جأها وذلك أنها مسخرة لتلك للنافع . كذلك هو - للمدوح - مطبوع على الجود والكرم

(٣) حدياها معارضاتها وهو في الأصل اسم من تحدها إذا باراه ونازعه الغلبة ويقال أنا حدياك في هذا الأمر أى ابرزلى فيه وحدك وجارنى قال عمرو بن كلثوم :

حُدَيَّا النَّاسِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَيْنِهِمْ عَنْ بَيْنِنَا

يقول : كل أمر الملوك إلى من يتولاهم ، أى لا تخدمهم ودعمهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم والجار إلى المدحوك . وهذا من قول بعض الواعظين : يا عبدا لله صانع وجهها واحداً تقبل عليك الوجوه كلها .

(٤) «غير أمير حالد من الإمارة ، و«إن» وصليبة ؛ والجملة حال من «غير» وباهى فاخر . يقول : لا يفرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمر حقيقي وإن فاخر بها ، أى فهو الأمير على الحقيقة ، أما من عدها فهو أمير مجازا .

(٥) الملك : بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، ويقال فعمته الراححة إذا ملأت

مُنْتَسِمٌ وَالْوُجُوهُ عَابِسَةٌ سَلِمَ الْمَدَى عِزَّهُ كَهَيْجَاهَا^(١)
النَّاسُ كَالْعَابِدِينَ أَلَمَ وَعَبْدُهُ كَالْمَوْحِدِ^(٢) اللَّهُ

خياشيمه والخافقان : أفقا للشرق والغرب ، والربا الریح الطيبة يقول : إن الملك على الحقيقة هو الذى ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقا وغربا ، وشاع الثناء عليه فيها ، مثل المدوح ، وفهم : يروى فهم أى ملأ ، ويقال أفهم المسك البيت أى ملأه بريحه ، وفهمت للمرأة فصامة وفصومة وهى فصمة : استوى خطها وغلظ ساقها ، وساعد فهم ، ومخلخل فهم قال :

فَمَنْ تَخَلَّعَهَا وَفَتْ مُؤَزَّرُهَا عَذْبٌ مُقْبِلُهَا طَعْمُ السِّدَا فُوهَا^(١)
وأفهمت الرجل : ملأته غضبا .

(١) كهيجاه : كعربها ، يقول : لشجاعته وثقته بقوته يحقر أعداءه ، ولا يكثر لهول الحرب وشدتها ، فإذا كانت الوجوه عابسة لشدة الحال وضيق الأمر كان هو مبتسما ضاحكا ، وصلح الأعداء وحربهم عنده سواء

(٢) يعنى بعبد : نفسه . يقول : الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من اللووك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به ، وعبرة ابن جنى : الناس الذين فى طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة ، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم للوحدون لله لا يفركون به فلا يرجون سواء ومن يخدم سواء لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة .

(١) الوعث : اللين ، والسدا ههنا : البلع الأخضر ، واحدته : سداة وقيل هو الصل من قولهم سدت النحل تسدو سدا .

قافية الياء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخطى له كافور داراً وخلع عليه وحمل إليه آلافاً من الدراهم ، فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

كَفَى بِكَ دَاءَ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا^(١)
تَمْنِيَّتَهَا لَمَّا تَمْنَيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا^(٢)
إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَّنْ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا^(٣)

(١) كفى بك : معناه كفاك ؛ والباء زيدت ههنا في للفعول كما زاد في الفاعل نحو كفى بالله : وداء : تمييز . وأن ترى : فاعل كفى ، والأمانى : جمع أمنية ، الذى القى تمناء ، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة ، يقول مخاطباً نفسه -- : كفاك داء رؤيتك للموت شافياً ، أى إذا أفضت بك الحال إلى أن تمنى الموتى -- الموت -- فذلك غاية الشدة وإن داء شفاؤه للموت أقسى الأدوية ، والنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية ، وفارقة الخطوب ، والمعنى كفاك من أذية الزمان ما تمنى معه الموت :

(٢) تمنيتها : أى المنايا . وأعياء الأمر : أعجزه . والمداجى : المدارى السائر للمداوة واشتقاقه من الدجى : أى الظلمة . يقول : تمنيت النية -- الموت -- لما حاولت الظفر بصديق مصاف فأعجزك أو عدو مداج فلم تظفر به ، وعند عدم الصديق المصافى والعدو المداجى يتمنى المراءى المنية لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء . قال الواحدى : هذا تفسير الداء المذكور فى البيت الأول

(٣) استعده : حاول أن يتخذ عدة له ؛ والحسام : السيف القاطع . والجمانى المنسوب إلى اليمن . يقول -- : مخاطباً نفسه -- إنما يتخذ السيف ليرفع به القل ؛ فإذا رضيت أن تعيش ذليلاً فما تصنع بالسيف الجمانى تعده ؟ قال ابن جنى : استعمل انتهى موضع الاستفهام الذى استعمله غيره فى قوله :

فَلَمْ طَالَ حَمْلِي جَفَنَهُ وَبِحَادَهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا
(٢٧ - الننى ٤)

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِفَارَقِهِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِثَاقَ الْمَذَاكِيَا^(١)
فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوْىِ وَلَا تُتَقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا^(٢)
حَبَبُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا^(٣)

(١) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد، والعِثَاق: الخيل الكريمة والمذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها. يقول: ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام، أي إذا رضيت أن تعيش ذليلا، لأن هذه إنما تتخذ لنفي الذل.

(٢) الطوى: الجوع. وتتقى: تحذر، وضرى الكلب بالصيد: تعوده ولهج به ولم يكذبصر عنه وروى عن عمر: إن للحم ضراوة كضراوة الخمر أراد أن له - للحم - عادة طلاقة لأكله كعادة الخمر مع شاربها وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف، في النفقة حرصا على شربها وكذلك من اعتاد اللحم لم يكذبصر عنه فدخل في باب الإسرف في نفقته وقد نهى الله عن الإسراف. وهذا البيت حث على الوقاحة والتجلبيع^(١) وقد ضرب المثل بالأسد يقول: إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجد حياؤه وبقي جائعا غير مهيب وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريا مفترسا حريصا على الصيد.

(٣) قلبى: منادى، وفأى: بعد. يقول - لقلبه - : أحبتك قبل أن تحب أنت هذا الذى بعد عنا - يمرض بسيف الدولة - وقد كان غدارا فلا تغدر بى أنت، أى لا تكن مشتاقا إليه ولا محبا له، أى فإنك إن أحبت الغدار لم تف لى، وقال ابن جني يعاتب قلبه على حنينه إلى من فارقه: « هذا » و « حبيت » لفة فى أحبيت، يقال حبه يحبه - بالكسر - فهو محبوب قال الجوهري وهذا غاذ لأنه لا يأتى فى المضاعف تفعل - بالكسر - إلا ويشركه يفعل بالضم إذا كان متمديا ما عدا هذا الحرف، وأنكر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح، وهو قول غيلان بن شعاع النهشلى:

أَحَبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْزَقُ
فَأَقْسِمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمَشْرِقُ^(٢)

(١) التجلبيع: الإقدام الشديد، والتصميم فى الأمر والمضي.

(٢) وكان عياض منه أدنى ومشرق: هى رواية أبى العباس البرد وقد رواه غيره.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ بِشَيْئِكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فَوَّادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِياً^(١)
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذِرَتْ بِرَبِّهَا إِذَا كُنَّ لِأَثَرِ الْعَادِيَيْنِ جَوَارِياً^(٢)
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصَيْنِ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا أَمَالُ بَاقِياً^(٣)

« وبعد » فإن الأثر أكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس وقد قيل محب على القياس قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذاً في الشعر قال عنتره :

وَلَقَدْ زَلْتُ فَلَا تَطْلُبْ غَيْرَهُ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

(١) البين : البعد ، وأشكيت فلانا : إذا فعلت به فعلاً يحوجه إلى الشكوى ، وأشكيت به أيضاً : إذا اعتبته وأزات شكواه ، فهو من الأضداد قال الراجز يصف إبلا قد أنعمها السير فهي تلوى أعناقها تارة وتمدها أخرى وتشكى إلينا فلا نشكها ، وشكواها غلبها من سوء الحال والمزال فيقوم ذلك مقام كلامها ، قال :

تَمُدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَنْفِيهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّكَ نُشْكِيهَا
* مَسَّ حَوَايَا قَلَمًا نَجْفِيهَا *^(١)

والمراد هنا الأول . يقول - لقلبه - : اعلم أنك تشكو فراقه لإفك إياه . ثم هدهه فقال : إن شكوت فراقه تبرأت منك .

(٢) غدر : جمع غدور ؛ وأصله بضم الدال وإسكانها لغة ؛ وربها : صاحبها وإثر : أى فى إثر ، نصبه على الظرفية ، والغادرين : يروى الظاعنين . يقول : إذا جرت الدموع على فراق الغادرين كانت غادرة ربها - أى صاحبها - لأنه ليس من حق الغادر أن يسكى على فراقه ، فإذا جرت الدموع فى إثره وفاءه كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع ، يريد لا ينبغي أن تنفى لغادر .

(٣) يقول : إذا لم يتخلص الجود من اللين به - وهو المراد بالأذى - لم يحصل الحمد

* ولا كان أدنى من عبید ومُشْرِق *

فيكون فيه إقواء

(١) الحوايا جمع حوية وهي كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب . وقلما نجفها أى قلما نرفع الحوية عن ظهرها يقال جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيتها إذا رفعته عنه

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَقَى أَكَانَ سَخَاءَ مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيًا^(١)
أَقْلَ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا رَأَيْتُكَ تُصْنِي الْوُدَّ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا^(٢)

ولم يبق للمال ، لأن المال يذهب به الجود والاذى - أى اللئ - يطل الحمد ، فالمان بما يعطى غير محمود ولا مأجور ، وكان هذا للفقى ينظر إلى قوله تعالى « لا تبطلوا صدقاتكم باللئى والاذى » و« لا » فى البيت عاملة عمل « ليس » ومن ثم نصب خبرها كما فى بيت سعد بن مالك :

من صدّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا برّاح^(١)

(١) التساخى : تكلف السخاء : وقوله أكان سخاء الخ : يدل اشتغال من الفقى ، وكان الوجه أن يقول : أسخاء كان ، على ما هو من حكم الاستفهام بالهمزة ، فقدم وأخر لضرورة الوزن . والسخاء وكذا السخاوة : الجود ، قال الأحيانى : يقال : سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى سخاء وسخوة قال الجوهري : وقول عمرو بن كلثوم : مُشْفَعَةً كَأَنَّ الْخُمْسَ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِيًا^(٢)

أى جدنا بأموالنا . يقول : إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع ، قال ابن جني : جميع عما فى قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : تغير الأفعال التى تأتى غير مطبوعة أشد انقلابا من الريح المبوب .

(٢) تصفى : تخلص . يقول - لقلبه - : لا تشتق إلى من فارقت ، فإنك تحب من ليس بمجازيك بالحب ، كما قال البعترى :

لَقَدْ حَبَوْتُ صَفَاءَ الْوُدِّ صَائِنَهُ قَنَى وَأَقْرَضْتُهُ مِنْ لَا يُجَازِيَنِ

فقوله أقل اشتياقا وإن كان أمرا من الإقلال إلا أنه أراد به النهى عن الاشتياق : لا تقليله . هذا : ويجوز فى أقل فتح اللام وكسرهما : فالفتح طلبا للخفة مع التضعيف ، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة .

(١) سعد بن مالك شاعر جاهلى والبيت من أبيات مذكورة فى الحماسة وقد تقدمت فى هذا الشرح مع تفسيرها

(٢) وقيل سخينا من السخونة ، نصب على الحال ، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه .

خُلِقْتُ أُلُوفًا لَوَزَحْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبَى مُوجِعِ الْقَلْبِ بَاكِيًا^(١)
وَلَكِنْ بِالْفُسْطَاطِ بِحَرًّا أَزْرَتُهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَايَا^(٢)
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنِ خِفَافًا يَتْنِغْنَ الْعَوَالِيَا^(٣)

(١) رحلت : رواها بعضهم رجعت . قال الواحدى : هذا البيت رأس فى صفة الإلف ، وذلك أن كل أحد يسمي مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقت شيبى إلى الصبا لبكيت عليه لإلفى إياه إذ خلقت أُلُوفًا : قال ابن جنى : هذا شرح لما قبله ودليل على أنه فارق ذاما لأنه جعله كالشيب : أى لو فارقت الشيب القديم برحيل إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعا لقلبي مبكيا لعينى .

(٢) الفسطاط : اسم مدينة مصر قديما ، وأصله البيت من الشعر وفيه لغات فسطاط وفستاط وفستاط وكسر الفاء لغة فيهن : وأزرتة : تعدية زار والهاء مفعول ثان مقدم وحياتى مفعول أول . ونصحي : إخلاصى . والقوايى القصائد يقول : ولكن فى الفسطاط بحرا - يعنى كافورا - قد هون على فراق إلفى لما فيه من المحامد التى تنسى من فارقتها ، فزرتة بخياتى : أى لقضاء باقى أيامى عنده وحملت إليه نصحى ومودتى وشعرى ، وعبارة الواحدى : ذكر فى البيت الأول أنه أُلُوف لما يصحبه فى أى حال وإن كانت مكروهة ثم استثنى فقال لكننى على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواى والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر .

(٣) جردا : عطف على حياتى ، يريد : خيلا ، قصار الشعر وهو مما يمدح فى الخيل والقنا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلى السنان يقول : وأزرتة خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فبانت تتبع عوالى الرماح فى سيرها ، كما قالت ليلى الأُخيلية :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبَارِي بِأَلْحُدُودِ شَبَا الْعَوَالِي^(١)

(١) الأقبل الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ، وهذا البيت قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل وبعده :

نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ
الأرب الكثير شعر الدراعين والحاجبين والعينين ولا يكون الأرب إلا نفورا لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر .

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِيَا^(١)
وَتَنْظُرُ مِنْ سُودِ صَوَادِقٍ فِي الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَأَهْيَا^(٢)
وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخْلَنَ مُفَاجَأَةً الضَّمِيرُ تَفَادِيَا^(٣)
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعْنَةً كَانَ عَلَى الْأَفْنَانِ مِنْهَا أَفَاعِيَا^(٤)

(١) تماشى - بحذف إحدى التامين - أى تماشى . والصفاء : الصخر . والبراة : جمع باز ؛ وحوافيا : حال ، جمع حاف . يقول : إن هذه الجرد تمشى بأيد إذا وطئت الحجارة أثرت فيها مثل صدور البراة ، وجعلها حوافى مبالغة فى وصف حوافرها بالشدة والصلابة ، يعنى أنها بلا نعال تؤثر فى الصخور بحوافرها ، وهذا منقول من قول الراجز :

يَرْقَعْنَ فِي الرَّكْضِ أُمَامَ الشُّبْقِ حَوَافِرًا كَأَلْمَنْبَرِ الْمُفَلَقِ

* يَنْقُشْنَ فِي الصَّخْرِ صُدُورَ الزُّرْقِ *

[الزرق : البازى ، وقيل طائر بين البازى والباحق] .

(٢) وتنظر : تروى وينظرن . ومن سود : أى من عيون سود ، وصوادق : تربها الأشياء على حقيقتها ، والدجى : جمع دجبة ، وهى ظلمة الليل يقول : إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هى - لصدق نظرها - فى ظلمة الليل ، والحيل توصف بحدة النظر ، ولذلك قالوا : أبصر من فرس فى غلس . وعبرة الشراخ : وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فما تنظره فى ظلمة الليل ترى الشخص البعيد كبيتته من القرب وذلك بخلاف العادة ، لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئاً صغر فى عينه .

(٣) الجرس : الصوت الخفى . وسوامعاً : أى آذاناً ، جمع سامعة . ويخلن : يحسبن . وللنجاة : السرار والحديث الخفى . والتنادى : أن ينادى بعض القوم بعضاً . يصفها بحدة السمع كما وصفها فى البيت السابق بحدة النظر . يقول : ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفى فتصيب له آذاناً - كماداتها إذا أحست بشيء - تكاد تلك الآذان تسمع ما ينادى به الإنسان ضميره ، فكأنه عندها كالتناداة ، لحدة حس آذانها .

(٤) يريد بفرسان الصباح : فرسان الغارة ، وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أغفل ما يكون الناس فصار الصباح اسماً للغارة . والأعنة : جمع عنان سير العجاء ، وهى

بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجَنْسُ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجَنْسِ مَاشِيًا^(١)
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا^(٢)

مفعول ثان لـ «تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعتبها ثم شبه أعتبها في طولها وامتدادها بالحيات وهذا منقول من قول ذي الرمة يصف ناقة.

رَجِيْعَةُ أَصْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجَاعٌ لَدَى بُسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مُطْرِقٌ^(١)
(١) بعزم متعلق بمحذوف: أى سرنا بعزم ونحو ذلك ؛ وبه : أى بالعزم يقول : سرنا بعزم قوى كأن الجسم وهو مقيم في السرج يسبق السرج وكان القلب وهو مقيم في الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير وعبارة ابن جني : لقوة العزم يكاد القلب يتحرك عن موضعه ، ولو تحرك في الحقيقة لمات صاحبه ، وفي معناه لأبى تمام :

مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ كَمَا رَأَوْكَ تُمَشِّي نَحْوَهُمْ قَدَمًا
وطريق أبي تمام أسلم ، لأنه ذكر تحرك القلب في موضع الشدة المهلكة ؛ ألا تراهم يقولون : انخلع قلبه فمات ؛ والمعنى : لقوة عزمنا إذا سار الفارس في سرجه سار قلبه في جسمه ؛ يعنى ذكائه وتيقظ فؤاده ، فكأن قلبه ماش في جسده .

(٢) قواصد : حال من الجرد ، والسواقي : جمع ساقية ؛ وهى النهر الصغير يقول قصدا بها كافورا وتركنا غيره من الملوك ؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية ، وهذا من قول البحرى :

وَلَمْ أَرَ فِي رَنْقِ الصَّرَى لِي مَوْزِدًا فَحَاوَلْتُ وَرَدَ الْفِيلَ عِنْدَ احْتِفَالِهِ
« الصرى : نهر » روى أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبي هذا قال : له الويل ! جعلنى ساقية وجعل الأسود بحرا . قال العكبرى : وإذا كان للتنبي قصد هذا فلقد أبان عن نقض عهد وقلة مروءة ؛ لأنه مدح خلقاً فلم يعطه أحدا ما أعطاه على بن حمدان - سيف الدولة - ولا كان فيهم من له شرفه وفضله لأنه عربى من سادات

(١) الرجعية والرجيع من الإبل : مارجته من سفر إلى سفر وهو آلكال والشجاع : الأفعى .

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِي زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَا قِيَاً^(١)
نَجُوزَ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي تَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَيَادِيَاً^(٢)

تغلب عالم بالشمس ، ولم يمدح مثله في الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفي الحسنى .

(١) إنسان العين : ناظرها . وهو المثال الذى يرى في السواد . والمآقى جمع مآق والمآق والموق : طرف العين مائل الأنف ، والملاحظ طر : فيها مائل الأذن ؛ قال الواحدى جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبنائه وأن من سواء فضول لاحاجة بأحد إليهم فإن البصر في سواد العين وما حوله جفون ومآق لامعنى فيها ، وعبرة التبريزى : حبه الناس بياض العين لأنه لا ينتفع به في النظر وجعل كافوراً إنسان العين لأن الخاصية فيه . قال ابن جنى : وهذا البيت في معناه قول ابن الرومى :

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَهَا صُيِفَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ^(١)
ولأن الشئ يذكر بالشئ فمن بدع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس :

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهِيَ بَيَضَاءُ مَتْنَى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مِثْلَ حَبِّ التَّمْيُونِ يَحْسِبُهُ النَّاسُ ظِرُّ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ
هذا : وإذا أردت التوسع في الكلام على اللوق وما فيه من اللغات وتعميقه فارجع إلى لسان العرب .

(٢) نجوز : نتخطى ، وعليها : أى الحيل ؛ والأيدى : النعم ؛ ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . يقول : هذه الحيل تتخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذى

(١) من أبيات جيدة لابن الرومى فى وصف سوداء حسناء يقول فيها :

سَوْدَاءُ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الشَّ قَرَّ وَلَا كَلْفَةٍ وَلَا بَهَقِ
لَيْسَتْ مِنَ الْعَبَسِ الْأَكْفِ وَلَا لَفٍ لَحِ الشِّفَاءِ الْخَبَائِثِ الْعَرَقِ
بَلْ مِنْ بَنَاتِ الْمَلُوكِ نَاعِمَةٍ تَنْشُرُ بِاللَّذْلِ مَيِّتَ الشُّبَقِ
إلى آخر الأبيات :

فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا تُرَجَّى التَّلَاقِيَا^(١)
تَرْفَعُ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا^(٢)
يُبِيدُ عَادَاوَاتِ الْبَغَاةِ بِلُطْفِهِ فَإِنْ لَمْ تَبْدُ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا^(٣)

يحسن إليهم وينعم عليهم ، يعنى كافورا ، يريد أنه فوقهم ، ومثل هذا مما يؤخذ على المتنبي إذ يدل على عدم وفائه فضلا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان ، وقال بعضهم : إنما أراد تتخطى عليها أناسا في ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه - خلعه وعطايه - ولو أنه قال :

• نرى عنده إحسانهم والأأيادي •

على معنى تتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذى نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، أى نرى عنده إحسان الجميع : أى لأن إحسانه هو وحده ينفى غناء إحسانهم مجتمعين - لكان عسى أن يكون مقبولا ولكان فى باب الشعر معسولا .

(١) السرى هنا : السير مطلقاً ، وزجى ؛ فى موضع الحال : تقديره مرجين ، فسرفه إلى الاستقبال . قال الواحدى : يريد أنه كان يرجو لقاءه منذ قديم ، حين كان ينتقل فى أصلاب آبائه ، وقال بعضهم : مراده بالجدود : الحظوظ واستعار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض ، أو أخذاً من ظهر الدابة كأنه يقول ما قطعنا مسافات حظوظنا للماضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن نرجو أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقاً إليه . هذا ؛ و « قى » قال العكبرى : يجوز أن يكون فى موضع جر بدل من قوله إلى الذى ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع بتقدير « هو الذى » ويجوز أن يكون فى موضع نصب بدل من قوله : إنسان عين زمانه ؛ أو تقصد قى .

(٢) العون : جمع عون ، وهى خلاف البكر ، وهى التى بين السنين فوق البكر ودون الفارض ؛ والفعلات : جمع فعلة ، المرة من الفعل وسكن عينها للضرورة . والعذارى : جمع عذراء ، البكر التى لم يمسه رجل . يقول : هو أجل قدراً من أن يفعل فى المعكرات فعلا قد سبق إليه وإنما أتى بالمكارم ابتداءً واختراعاً كما قال أيضاً يَمْشِي الْكَرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتَى وَتَبْتَدِعُ

(٣) البغاة : جمع باغ ، وهو العتدى ؛ يقول . يسل سخائم الأعداء برقعه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أحتادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم .

أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِعًا^(١)
لَقِيتُ الْمُرُورَى وَالشَّخَايِبَ دُونَهُ وَجِئْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيًا^(٢)
أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَخَذَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَخَصَّ الْفَوَادِيَا^(٣)
يَدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلِّ فَأَخِيرَ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا^(٤)

(١) أبو المسك : كنية كافور لسواده . وذا - في الشطرين - إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده ، وتاق إليه : نزع واشتاق . يقول : وجهك الذي أراه هو الوجه الذي كنت أشتاق إليه ، وهذا الوقت الذي أنا فيه هو الوقت الذي كنت أرجو إدراكه ؛ يعنى وقت لقائه .

(٢) المرورى : جمع الرورة ، وهى الفلاة الواسعة ، والشخايب : جمع شخوب وشخاب ، وهى ناحية الجبل المشرفة ، وفيها حجارة ناتئة ، وقال الجوهري : شخايب الجبل : رؤوسه ، وجبت : قطعت ، والهجير : حر نصف النهار والصادى : العطشان ، يذكر ما لقي من التعب فى الطريق إليه ، وما قاسى من حر الهواجر التى تيسس الماء ، والماء لا يكون صاديا لكنه مبالغة ، وإذا عطش الماء فحسبك به ، قال ابن جنى : هذا مما ينقلب هجاء ، لأن دونه ودون هذا الوجه ما ذكر من الشدة ، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها ، ووجهه وقبحه كقولك لئن لقيت فلانا لثقتين دونه الأسد : أى مثل الأسد ، ويؤكدده قوله لما هجاء « وأسود مشفره . . . البيت » وقلما يسلم له شعر من هذا .

(٣) كل سحاب : عطف على «أبا» أى ويا كل سحاب ؛ ولا أن تجره عطفًا على كل الأول : أى ويا أبا كل سحاب ، والفوادى جمع غادية وهى السحابة التى تنتشر صباحا .

(٤) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالا ودلالا ودالة ، أى يجترى عليك ، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجهالها . يقول : كل ذى غفر إنما يفخر بمنقبة واحدة ، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر ، كما قال أبو نواس :

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

قال ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكك وضحك المتنبي وعرف غرضي

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطَى فِي نَدَاكَ الْمَالِيَاً^(١)
وَعَبْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَرْوَرَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلَكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالْيَا^(٢)
فَقَدْ تَهَبُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِيَاً لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَاً^(٣)
وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرِبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَاً^(٤)

(١) يقول : إنما يجود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود ، وأنت تعلى من تعطيه وتشرفه بمطاعتك فالأخذ منك يكسب الأخذ شرفاً ويعلى عمله ، كما قال أبو تمام :

مَا زِلْتُ مُنْتَظَرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ يَجْتَنِي شَرْفًا
قال الواحدى : ويجوز أن يريد بقوله « تعطى المعالي » أنه يب الواليات والأمر الذى يشرف بها الناس فالمعالي من عطاياها كما قال البحرى :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعَلَى فِي تَبْلِهِ الْمَوْهُوبِ
وقال ابن جنى - وكان يسيئ الظن بدائع التنبى فى كافور ، ويحاول أن يحيلها هجاءً : المعنى : عطاؤك يعلى عمل آخذه ، وهذا مما يمكن قلبه ، يريد : إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها . لأنك لا تحسن تديرها ، فكانك قد سلمتها إلى من يحسن تديرها ، فهى تقيم عنده .

(٢) غير كثير : خبر مقدم عن الصدر المتأول بعده ؛ والراجل : الماشى على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، والعراقان : الكوفة والبصرة ، وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم ، قال ابن جنى : هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالى وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص - وقد صرت إلى هذا العلو - ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغت وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب للكارم ، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا ، وهكذا يأبى ابن جنى إلا أن يجعل لظاهر شعر التنبى - الذى يمدح به كافورا باطنا وأن يحيل المدح هجاء ، وليس يبعد على مثل أبى الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده وابن جنى أدرك الناس به وبمراميه .

(٣) العافى : السائل واحد العفاة . يقول : إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أذاك يسألك ، يصفه بالشجاعة والجود .

(٤) المجرب : - بالكسر - الذى قد جرب الأمور وعرفها وبالفتح الذى جربته

الأُمور وأحكمته ، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح ، وفانيا : مفعول ثانٍ ليرى . يقول أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرفها وعلم أن جميع ما فيها ينفى ولا يبقى ولذلك نهىها ؛ ولا تدخرها ، وقوله وحاشاك : استثناء مما ينفى ، ذكر هذا الاستثناء تحسينا للسلام واستعلا للأدب في مخاطبة الملوك ؛ قال العكبري : « وحاشاك » من أحسن ما خوطب به في هذا الموضع والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر ، ومثلها في الحشوات قول عوف بن عجم :

إِنَّ الثَّانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أُخَوِّجَتْ تَمِي إِلَى تَرْجُحَانِ^(١)

(١) من أبياته التي يقال إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فلم يسم عليه عبد الله فلم يسمع وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات :

يَا ابْنَ الذِّى دَانَ لَهُ الْمَشْرِفَانُ طَرًّا وَقَدْ دَانَ لَهُ الْمَغْرِبَانُ
وبعده : البيت وبعده :

وبدلتني بالشطاطِ انحنًا	وكنتُ كالصَّمْدَةِ تحت السنانِ
وبدلتني من زجاجِ الفتى	وهمتي همَّ الجبانِ الهدانِ
وقاربتُ مني خطًا لم تكن	مُقَارِبَاتٍ وثقتُ من عنانِ
وأنشأت بيني وبين الورى	عِنانَةً مِنْ غيرِ نسجِ العنانِ
ولم تدعْ في المنستمعِ	إلا لِسَانِي وبِحَسْبِي لِسَانِ
أدعُو به الله وأئني به	على الأميرِ المصمبيِّ الهيجانِ
فقرَّباني بِأبي أنتمَا	مِنْ وَطْئِي قَبْلَ اصْفَرَارِ البنانِ
وقبلَ منمأى إلى نسوة	أوطأهُنَّ حرَّانُ والرَّقَّتَانِ

« الشطاط : حسن القوام ، والصمدة : القناة المستوية ، والزجاج : المضاء في الأمر والهدان : الوخم الثقيل في الحرب ، والعنان : السحاب واحده عنانة يشير إلى ضعف بصره مكانه يرى من وراء سحابة . والهيجان : الكبريم واصفرار البنان : كناية عن الموت » .

وَمَا كُنْتَ بِمَنْ أَدْرَكَ الْمَلِكَ بِالْمَنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامِ أَشْهَنِ النَّوَاصِيَا^(١)
عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا^(٢)
لَبِستَ لَهَا كُدْرَ الْمَجَاجِ كَأَنْتَمَا

تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا^(٣)
وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلُّ أَجْرَدٍ سَاجٍ يُؤْذِيكَ غَضْبَانَا وَيَنْزِيكَ رَاضِيَا^(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهى ما يتمنى . والنواصى : جمع ناصية شعر مقدم الرأس . والمراد بالأيام : الوقائع ومنه قول تعالى « وذكركم بأيام الله » قال المفسرون : يريد وقائع الله فى الأمم الخالية . يقول : لم تدرك الملك بالتمنى والاتفاق ، ولكن بالسمى والجهد والوقائع الشديدة التى تشيب نواصى الأعداء وهذا من قول البحترى :

فَتَى هَرَّ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءَ بِهَا لَا بِالْأَحَاطِلِ وَالْجُدُودِ
ومثله قول يزيد الهلبلى :

سَعَيْتُمْ فَأَذْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَفِيكُمِ وَأَذْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ
وله أيضاً :

إِذَا قَدَّمَ الشَّاطِرَانُ قَوْمًا عَلَى الْهَوَى فَإِنَّكُمْ قُدُمْتُمْ بِالْمَنَاقِبِ
(٢) الضمير فى « تراها » للأيام . والمراقى جمع مرقة وهى الدرج التى تكون فى السلم . قال ابن جنى : أى تعتقد فى المعالي أضعاف اعتقاد الناس فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها ، قال الواحدى : والمعنى — على ما قال ابن جنى — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعى فى الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقي فى السماء ، لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد .

(٣) المجاج جمع عجاجة : وهى الغبرة . وكدر : جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . يقول : لبست للحروب والوقائع عجاجا — غبارا — مظلمة كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار ، أى أنت أبدا تثير غبار الحرب ، وكأنك إذا رأيت الجو صافيا رأيت غير صفى لكراحتك لصفائه من الغبار .

(٤) كل . أجرد : أى كل فرس أجرد — أى قصير الشعر — والساج السريع العدو كأنه يسبح فى جريه . ويثنيك : يصرفك ويردك . يقول : وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يورثك الحرب وأنت مغيظ محقق على العدو غضبان ويصدرك راضيا بما أدركت من المطلوب بظفرك بأعدائك .

وَنُحْطِرَطِ مَاضٍ يُطِيعُكَ أَمِراً

وَيَفْعَى إِذَا اسْتَنْذَنْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيَا^(١)

وَأَمَرَ ذِي عَشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارداً وَيَرْضَاكَ فِي إِمْرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا^(٢)

كُتَابٍ مَا أَنْفَكْتَ نَجُوسُ عَمَائِرَا مِنْ الْأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيَا^(٣)

(١) محترط : عطف على أجرد . وأراد بالمحترط السيف المنتضى المسلول وأمر : حال من المخاطب . يقول : وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فمضى في الضريبة وإن نهيته واستنذنت أحدا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكف حتى يأتي عليهم بسرعة نفاذه في الضريبة .

(٢) وأمر : يريد رعا أمر ذا عشرين كعباً أو ذراعاً . ووارداً : حال من الهاء في ترضاه وقوله في إمراده الخيل . أى في إمرادك إياه الخيل . يقول : وكل رمح إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه وارداً لدماهم ويرضاك ساقياً له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن تورده إياها . فكل منكراً راض عن صاحبه . والمراد بالخيل فرسانها ، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر في السيف :

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضَاهُ فِي الرُّوْعِ صَاحِبَاً وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنْتِي أَنَا صَاحِبُهُ
أى هو يرضى بى أيضاً صاحباً فوق الرضا

(٣) كتاب : إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتاب ، أو ما أنفكت لك كتاب وإما بالنصب على أنها بدل من قوله كل أجرد وما يليه لأن الكتاب تكون فيها هذه الأشياء . والكتاب : جمع كنية القطعة من الجيش . ونجوس تتخلل وتدوس . والعائر : جمع عمارة والعمارة أصغر من القبيلة ، وقيل الحى العظيم الذى يقوم بنفسه ينفرد بظلمتها وإقامتها ونجستها ، وهى من الإنسان الصدر مسمى الحى العظيم عمارة بعمارة الصدر قال الأخنسى بن شهاب التغلبى :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعَدَّةِ عَمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبُ^(١)

(١) عمارة بدل من أناس ، والعروض الناحية ، يقال : أخذ فلان فى عروض ما يعينى أى فى طريق وناحية ، يقول : لكل حى حرز إلا بنى تغلب فإن حرزهم السيوف ومن رواء عروض - بضم العين - جملة جمع عرض وهو الجبل .

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرْتَ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَعَانِيَا^(١)
وَأَنْتَ الَّذِي تَنْفُشِي الْأَسِنَّةَ أَوَّلًا وَتَأْنِفُ أَنْ تَنْفُشِي الْأَسِنَّةَ ثَانِيًا^(٢)
إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِيْ كَرِيهَةٍ فَسَتَيْفُكَ فِيْ كَفِّ تَزِيلِ النَّسَاوِيَا^(٣)
وَمِنْ قَوْلِ سَامَ لَوْ رَأَاكَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابْنِ أَخِيْ نَسْلِيْ وَنَفْسِيْ وَمَالِيَا^(٤)
مَدَى بَلَّغَ الْأُسْتَازَ أَفْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا^(٥)

ومن الأرض : لك أن تجعلها حالاً مقدمة عن فيافيا . والفيافي : المفاوز والفلوات
يقول : إن لك كتاب أو قدت كتاب لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن
قطعت إليها الفلوات البعيدة ، يعنى أن كتابه لا تزال تأتى الأعداء للغارة عليهم .

(١) بها : أى بالكتاب . والسنايك : أطراف الحوافر . والهامات : الرؤوس .
والمعاني : جمع مغنى وهو المنزل يغنى - يقيم - به أهله . يقول : غزوت بهذه الكتاب
ديار الملوك حتى قتلهم ؛ فوطئت خيلك رؤوسهم وديارهم ، ودور الملوك يروى : دون
الملوك ، فيكون الضمير فى هاماتهم للعائر ويكون المعنى : غزوت العائر دون الملوك لأن
الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك .

(٢) تنفشي : تأتى ، والأسنة : نصال الرماح ، وأنف من الشيء : استنكف واستكبر
يقول : إنه أول من يأتى الحرب وأول من يبارز فيأتى الطعان سابقاً ، ويأنف أن
يأتيه ثانياً لأول سبقه .

(٣) الكريهة : الشدة فى الحرب . يقول : إذا طبعت — صنعت — الهند سيفين
جعلتهما سواء فى الحدة والمضاء فالسيف الذى يصاحبك ويكون فى كفك يكون أمضى
لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب .

(٤) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه
حام ، ومن قول خبر مقدم وفدى ابن أخى الخ . مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ،
ولنسله صلة القول . يقول : لو رأاك سام بن نوح من لكان قوله لنسله فدى ابن أخى ولدى
ونفسى ومالى ، أى أنه لنجابته وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم
فدى له .

(٥) المدى : الغاية . وهو خبر محذوف . يريد ما ذكره من محامده ، والأستاذ
الرئيس . قال الجواليقي : واصطلحت العامة إذا عظموا الحصى أن يخاطبوه بالأستاذ
وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع - وقد حرفت فى مصر إلى الأستاذى -

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْمَلَأَ وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا^(١)
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكْرُمُ نَائِيًا^(٢)

* * *

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة وابتنس إليه الأسود ونهض فلبس
نملا فرأى أبو الطيب شقوقاً برجليه وقبحاً ، فقال يهجو :

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخَفَّتِ النَّفْسُ خَافِيًا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيًا^(٣)
أَمِينًا وَإِخْلَاقًا وَغَدْرًا وَخِصَّةً وَجُبْنًا أَشْخَصًا لَحْتُ لِي أُمُّ مَخَازِيَا^(٤)

لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ في حسن الأدب . وأقصاه : أبعد ،
ونفس : عطف على ربه . يقول : إن الذي ذكرته من مناقبه مدى بطفه الله غايته
ونفسه التي تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته .

(١) دَعَتْهُ : أى النفس ، و « إلى » متعلق بدعته أو لبأها على طريق التمازج . ودل
دعته نفسه إلى المجد فللبأها وأجابها ، أما غيره . فإذا دعته نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها ؛
لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أنها
هو ، فقيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه .

(٢) نَائِيًا : أى بعيداً مفعول ثان ليرونه . يقول : إنه أصبح فوق الناس فهم يرونه
بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكبره يقربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوءها فقريب .

(٣) الخافي : ضد الظاهر . يقول : لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك
الرضى ، أى لو قدرت على إخفاء ما في نفسي من البغض لك والكراهة لقصدك لكدت
أريك ارضى ولكنى لست براض عن نفسي في قصدى إليك ، ولا عنك أيضاً لتقصيرك
في حقى .

(٤) اللين : الكذب . والإخلاف : خاف الوعد ، وهذه المصادر كلها منصوبة .
بموامل من لفظها محذوفة وجوباً ، أى آمين مينا وتختلف إخلافاً وتغدر غدرًا ، وهلم
جرا ، والمخازى : جمع مخزية : وهى الفعلة القبيحة يخزى صاحبها : أى يذل ، يقال :
خزى الرجل يخزى خزيًا : إذا وقع فى بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان ، ويقال فى
الحياء : خزى يخزى خزاية وخزيت فلانا إذا امتحيت منه ، ورجل خزيان وامرأة
خزيا ، وهو الذى عمل قبيحا فاشتد لذلك حياؤه وخزايته ، قال تأبط شراً :

تَنْظُنْ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغَيْطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا^(١)
وَتَعْجِبْنِي رِجْلَاكَ فِي النَّعْلِ إِنِّي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا^(٢)
وَأَنَّكَ لَا تَذْهَبُ أَلْوَنُكَ أَسْوَدُ مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا^(٣)
وَيَذْكُرُنِي تَخْيِيطُ كَعَمِيكَ شَقَّةُ وَمَشِيكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا^(٤)

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزَيَانُ يَنْظَرُ^(١)
يقول : أجمع بين هذه المخازي ؟ كما تقول العرب أحشفا وسوء كيلة : أى أجمع
بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف ؟ ثم قال : أنت شخص ظهرت لى أم محاز ؟ أى
كانك محاز ومقابع لاجتماعها فيك وحصولها منك .
(١) الغبطة : السرة وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت ظننت ابتسامي رجاء لك
وغبطة بقربك . وإنما أنا أضحك من رجائي لشك ومثلك لا يرجى .

(٢) يقول : إني أعجب منك إذا كنت ناعلا لأنني أراك إذا كنت حافيا ذا نعل
لناظ جلد رجلحك ، وقوله تعجبني : احتحسان تهكم ، فهو من التعجب يريد أنك تلبس
النعال تشبها بالترفين كأنك تتأذى من المشى بدونها مع أن لك من جلد رجلحك نعالا ،
وإنه : إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأنني .

(٣) يقول : بعد أحرزت الملك لا تدرى لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرف
أو صار أبيض ، أى ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض في اللون كما توهمت أنك
أشبهتهم في الترف .

(٤) يقول : كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرني الشقوق التي كانت به وقت ما كنت
مجلوبا ، وذكرني الأيام التي كنت فيها تمشى عاريا ، وقوله في ثوب من الزيت :
فقد ذكروا أن مولاه كان زياتا وأن الأسود كان يحمل الزيت عاريا ويمشى متلطحاً به
فكانه في ثوب من الزيت ؛ وقال ابن فورجه : يعنى أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون
الزيت وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع البواد زيتيا ، أى أنت في حال كونك
عاريا في ثوب من الزيت لأنك حبشى . هذا : وقد اعتسف الشراح في إعراب هذا
البيت اعتسافا أشفقنا عليهم منه ، وهو من الوضوح بحيث ترى ففاعل يذكر تخييط
وشقه : مفعول ثانٍ ليدكر ، ومشيك عطف عليه .

(١) من أبيات ، أنظرها في حاشية أبى تمام .

وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيًا^(١)
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيًا^(٢)
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْرًا أَفَدْتَ فَإِنِّي أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلَاهِيَا^(٣)
وَمِثْلَكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِ يَا^(٤)

(١) الفضول : تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أهجوك في سري وإن مدحتك ظاهراً ؛ فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك وقلت إنى أمدحك به فكنت لا تنمطن لذلك ولا تفرق بين المدح والهجاء ، ولكن الناس فيهم فضول فهم كانوا يقولون هذا الذى أتاك به هجاء لأمديح .
(٢) هذا تفریع على البيت الذى قبله . يقول : كنت تسر بإنشادى هجاءك إذ تظنه مديحاً وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد ، أى أن الإنشاد كثير عليك لأنك أقل قدراً من أن تهجم وينشد هجاءوك .

(٣) مشفريك : أى شفتيك الشبیهتين بمشفرى البعير فى اللفظ ، وأفدت فى الصراع الثانى : إما بمعنى استفدت ، وإما على معنى أفدت نفسى فىكون المفعول الأول مقدراً . ولحظى : أى رؤيتى . يقول : إن كنت لم تغدنى خيراً فى مقامى عندك ولم تحسن إلى فإننى استفدت لللاهی برؤيتى شفتيك أو أفدت نفسى لللاهی بلحظى مشفريك ، وقوله لا خيراً أفدت : أى لا أفدت خيراً ، أدخل «لا» على الماضى من غير تكرار وهو مسموع فى الشذوذ .

(٤) ربات الحداد : أى الثالكات اللابسات الحداد — وهى ثياب سود يلبسها النساء الثالكات — حزناً ، وروى الواحدى : ربات الحجال . والحجال الستور . يقول إنك عجب من رآه ضحك ، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليتعجب من غرابة منظره ، وتغلبى به النساء الثالكات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلمهن بذلك عن الحزن والأتى ، والبيت كما ترى يقرر به ما ذكره فى الآيات قبله . قال ابن جنى : وقد صرح فى هذا البيت بجميع ما كان أخفاء فى مدحه بقوله فى إحدى مدائحه السكافورية :
وَمَا طَرَبَى لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَاةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَاطْرَبُ

تم الديوان والشرح بمون الله وتوفيقه

المسح

فهرس الجزء الرابع

من شرح ديوان المتنبي

تابع قافية اللام
مطلع القصيدة :

الصفحة

٣	كدعواك كل يدعى صحة العقل جهل
١٥	إثنت فإنا أيها الطلل الإبل
٢٧	ما أجدر الأيام واليالي ومالي

قافية لليم

٤٣	وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه
٦١	أين أزمعت أيهذا الحمام
٦٧	أنا منك بين فضائل ومكارم
٦٩	إذا كان مدح فالنسب المقدم
٨٠	واحر قلباه ممن قلبه شبح
٩١	المجد عوفى إذ عوفيت والكرم
٩٣	قد سمعنا ما قلت في الأحلام
٩٤	على قدر أهل العزم تأتي العزائم
١٠٩	أراع كذا كل للوك هام
١١٥	أيا راميا بسمى فؤاد مرامه
١١٨	رأيتك توسع الشعراء نيلا
١١٩	ذكر الصبا ومراتع الآرام
١٢٩	عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم
١٤٣	كفى أرانى وبك لومك ألوما
١٥٠	إلى أى حين أنت فى زى عرم

مطلع القصيدة :

الصفحة

١٥٠	باللحم	ضيف ألم برأسى غير محتمم
١٦٢	مقامى	أيا عبد الإله معاذ إنى
١٦٤	السكرم	إذا ما شربت الخمر صرفاً منها
١٦٥	الخرطوم	وأخ لنا بعث الطلاق ألية
١٦٥	السقم	ملاى النوى فى ظلها غاية الظلم
١٧٩	القدم	أحق عاف بدمعك الهمم
١٩٠	اللاثام	فؤاد ما تسليه المدام
٢٠٢	منهم	زرى عظمها بالبين والصد أعظم
٢١٤	فسلم	أجارك يا أسد الفردائس مكرم
٢١٥	ألسا	ما نقلت فى مشية قدما
٢١٥	لاينام	لا افتخار إلا لمن لا يضام
٢٢٦	حلمنا	ألا لا أرى الأحداث حذراً ولا ذماً
٢٣٦	المعالم	أنا لأئى إن كنت وقت اللوائم
٢٤٤	معظما	حييت من قسم وأفدى المقسم
٢٤٤	والإعلام	غير مستنكر لك الإقدام
٢٤٥	النجوم	إذا غامرت فى شرف مروم
٢٤٧	أسلم	لهوى النفوس سريرة لاتعلم
٢٦١	هيناما	روينا يا ابن عسكر الهاما
٢٦٣	الغمام	أعن إذنى تهب الريح رهواً
٢٦٣	ميمم	فراق ومن فارقت غير مذمم
٢٧٢	الكلام	ملومكما يحل عن الملام
٢٨٠	والجلم	من أية الطرق يأتى نحوك السكرم
٢٨٢	الهموم	أما فى هذه الدنيا ككرم
٢٨٣	اسمه	يذكرنى فانك حله
٢٨٥	قدم	حتام نحن نساوى النجم فى الظلم
٢٩٦	ديما	قد صدق الورد فى الذى زعما

قافية النون

٢٩٩	الإذنا	نزور دياراً مانحاً لها منفى
٣٠٣	صوانها	ثياب كريم ما يصون حسانها
٣٠٥	ومحمدونه	حجب ذا البحر بحار دونه
٣٠٧	الثاني	الرأى قبل شجاعة الشجعان
٣١٧	والوسن	أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
٣٢١	الزمان	قضاة تعلم أنى الفتى الذى
٣٢٤	وإعلاني	كتمت حبك حتى منك تكرمه
٣٢٥	وبيني	إذا ما الكأس أرعشت البدن
٣٢٧	ما اعلنا	الحب ما منع الكلام الألسنا
٣٤٠	تكوين	يابدر إنك والحديث شجون
٣٤١	الفطن	أفاضل الناس أغراض لنا الزمن
٣٥١	أحزاننا	قد علم البين منا البين أجفانا
٣٦٢	إجنان	زال النهار ونور منك يوهنا
٦٦٢	الحيزران	ما أنا والخمر وبطيخة
٣٦٣	سكن	بم التطل لا أهل ولا وطن
٣٧٠	عنانا	صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
٣٧٣	القمران	عدوك مذموم بكل لسان
٣٨٠	إحسانا	لو كان ذا الآكل أزوادنا
٣٨١	عيونها	جزى عرباً أمست بيليس ربها
٣٨٣	الزمان	مغاني الشعب طيباً فى المغاني

قافية الهاء

٣٩٧	تنميته	أغلب الحيزين ما كنت فيه
٣٩٨	فكره	أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه
٣٨٩	معناه	الناس ما لم يروك أشباه

مطلع القصيدة :

الصفحة

٤٠١	قالوا ألم تكنه فقلت لهم وصفناه
٤٠٢	أحق دار بأن يسمى مباركة فيها
٤٠٣	لئن تك طيء كانت لثاماً بثوه
٤٠٤	أوه بديل في قولتي وأها ذكرها

قافية الياء

٤٠٧	كفى بك داء أن ترى الموت شافيا أمانيا
٤٣٢	أريك الرضالوأخفت النفس خافيا راضيا

استدراكات وتصحيحات

وهذه تصحيحات واستدراكات وزيادات بدت
لنا بعد الفراغ من هذا الشرح

جاء في صفحة ١٤٣ ج أول هذا البيت لدى الرمة:
جَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرٌ مُشْبَرٌ
وهنا سقطت هذه الكلمة التي يجب أن توضع عقب هذا البيت بين قوسين هكذا
« مشبرق : ممزق »

وجاء في صفحة ١٣٩ ج أول:
مَا زِلْتُ أَسْمَى مَعَهُمْ وَأَخْتَلَطُ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ اخْتَلَطُ
* جَاءُوا بِضَمٍّ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطُ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا الرجز بما يأتي :
هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله وقيل هو للمعاج وقد رواه البرد في
الكامل على هذا الوجه :

بَنَيْنَا بِحَسَانٍ وَمِعْزَاهُ تَخَطُّ مَا زِلْتُ أَسْمَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَلَطُ
حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَأَخْتَلَطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطُ
وروي بعضهم بعد قوله بنينا بحسان ومعزاه تشط هذا البيت :

تَلَحَّسُ أَذْنَاهُ وَحِينًا تَتَمَخَّطُ فِي سَمَنِ مِنْهُ كَثِيرٌ وَأَقِطُ
وحسان : اسم رجل ، والمعزى : من الغنم : خلاف الضأن ، والضمير فيه لحسان
وتشط : مضارع أط أى صوت جوفه من الجوع ، ويقال امتخط وتمخط أى استنثر ،
وفي ممن : متعلق بقوله تتمخط ، والسمن بسكون الليم وفتحها هنا للضرورة والاقط :
البن الخفيض يطبخ ثم يترك حتى يوصل ، والضمير في بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته ،
وأسمى بينهم : أى أردد إليهم ، وأخبط : أى أسأل معروفهم من غير وسيلة وهذا يدل
على كمال شعهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعرفهم ، أما التبط في

الرواية الأخرى فعناه أعدو يقال التبط البعير إذا ضرب بقوائمه الأرض ، وسره حتى « إذا جن الظلام واختط » غاية لقوله أسمى وألتبط ؛ يريدستر الظلام كل شيء ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف وبالغ في أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعدسى ، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء .

* * *

وجاء في صفحة ١٧٣ ج أول هذا البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وصحة البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابي قالها في الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها :

لَأَسْمَاءَ رَسَمَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا
« رحرحان : موضع أو جبل قريب من عكاظ ، وراكس : واد » واختار منها أبو تمام في الحماسة أربعة أبيات وهي :

فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصْبِحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقْيِيفَا فَوَارِسَا
أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
إِذَا مَا حَمَلْنَا خَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحَ الدَّاعِسَا
إِذَا التَّخْلِيلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيرِ نَكْرُهَا عَلَيْهِمْ فَأَيَّ بَرَجَعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

قال أبو عبيدة في كتابه أيام العرب : غزت بنو سليم - ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقوا بثلاث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل من كبار مرادسة ، وقتل من بني سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السنين وهي إحدى النصفات ... وقوله فلم أر مثل الحي الخ أراد بالحي المصبح بنو زيد بن مراد قال المرزوقي : أي لم أر مغاراً عليه كالذين صبحناهم ولا مقبراً مثلنا يوم لقيناهم قسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه ، وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم ، وانتصب حياً مصباحاً على التمييز ، وكذلك فوارسا ، ويجوز أن يكونا في موضع الحال . وقوله أكر وأحمى الخ فالمرع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زيد والثاني إلى عشيرته

وأصحابه ، والراد : لم أر أحسن كرا وأبلغ حاية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس
بالسيوف منا ، والقونس أعلى البيضة ، وأكر : من كر عليه إذا صال عليه وأحمى : من
الحماية وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار . قال ابن العاجب
قوله أكر وأحمى الخ تبين لما ادعاء فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما
تقدم لثلاث يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تميزا ، ويجوز أن يكون
صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة ، وإذا جعلها غير تمييز كأنه قال جاءني زيد وعمرو العاقل
والعالم وذلك جائز ، فأكر وأحمى صفة لهما مصبعا وأضرب منا صفة للموارسا وقوله :
إذا ما حملنا الخ يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح
والرماح للعدة للطن فالمراد بالمداعس الرماح الطائفة ، وفرس مذك : تم سنه ومكات قوته
وقوله إذا الخيل جالت الخ أي إذا الخيل دارت عن مصروع منا كرنا عليهم لنصرع
مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع ، منهم لا يقننا ذلك
منهم بل نكرها عليهم لثله وإن كرهت السكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالج .

وجاء في صفحة ٢٦٣ جزء أول من السطر الثاني هكذا :

قَطُّ لَا يُدْفَعُ عَنْ سَبْقِ عِرَاب

وصوابها :

غَيْرُ مُدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ

وقد سقط من شرح هذا البيت بحث نحوي طريف يجب أن يوضع بعد تمام شرح
البيت وهذا هو : هذا : وقد قال أبو حيان في تذكرته إن هذا البيت في الإعراب نظير
بيت أبي نواس :

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقَضِي بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ

قال ابن حيان : فد «العرب» مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصير
التقدير ، العرب غير مدفوع عن السبق ، والعرب جمع فلا أقل من أن يقول غير
مدفوعة لأن خبر المبتدأ لا يغير تذكيره وتأنيته بتقديمه وتأخير . وإليك آراء النحاة
في إعراب غير ، قال ابن هشام في المغني : فيه ثلاثة أوجه أحدها أن غير مبتدأ لا خبر له
بل لما أضيف إليه ^(١) مرفوع يعني عن الخبر ، وذلك لأنه في معنى النفي ، والوصف بعده

(١) لما : بكسر اللام وتخفيف الميم ، أي بل للاسم الذي أضيف إليه غير مرفوع
وهو على زمن لأنه نائب فاعل مأسوف والمضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد

مغفوض لفظاً وهو في قوة المرفوع بالابتداء فكأنه قيل مأسوف على زمن ينقضي مصاحباً
للمهم والحزن ، فهو نظير مأمزروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف قاله ابن السجري
وتبعه ابن مالك ، والثاني : أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقضي بالهم والحزن غير
مأسوف عليه ثم قدمت غير وما بعدها ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور
بعلی على غير مذکور فأني بالاسم الظاهر مكانه ، قاله ابن جني وتبعه ابن الحاجب ؛ فإن
قيل فيه حذف الموصوف مع أن الصفة غير مفردة وهو في مثل هذا ممتنع ، قلنا : في النثر
هذا شعر فيجوز فيه كقولہ * أما ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا ابن رجل جلا الأمور
وقوله .

* تَرَمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ *

أي بكفي رجل كان والثالث : أنه خبر لمحدوف ، ومأسوف مصدر جاء على مفعول
كالسور واليسور والمراد به اسم الفاعل والمعنى : أنا غير آسف على زمن هذه صفته ،
قاله ابن الجشاب ، وهو ظاهر التعسف .

وجاء في صفحة ٣٦٧ ج أول هذا البيت :

لَمْ يَكُ الْخَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرَرِ
جاء في شرحه أنه للحسن بن عرفة وصوابه أنه لحسيل بن عرفة وجاء في شرحه
أيضاً هذا البيت هكذا :

بَآيَةَ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَّابَ وَبَيْنَ الْحُجُونَ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وصوابه هكذا :

بَآيَةَ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَّابَ بَيْنَ الْحُجُونَ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وإذن يجب أن ما يذكر في شرح البيت هو هذا : وبعده :

غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ عِرْفَانِهِ خُرْقُ الرِّيحِ وَطُوقَانُ الْمَطَرِ
والبيتان لشاعر جاهلي يسمى حسيل بن عرفة والمراد بالحق هنا الوجود بحسب
مقتضى الحكمة ، أي ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الدائر ، وهاج هنا متعب
بمعنى أثار ، والهأاء مفعول مقدم ضمير العاشق في بيت قبل هذين وهو على حذف مضاف
أي هاج حزنه ووجده ، ورسم فاعل هاج وتعنى مبالغة عفا أي دثرودرس ، والسرر
موضع والجدة : مصدر جد الشيء يجد جدة خلاف القديم ، والمرقان للفرقة ، وخرق

فاعل غير جمع خريق وهي الريح التي تتخرق في الجبال، وطوفان انظر كثرته . يقول
غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجددناه من معرفتنا لهذا الرسم .

وجاء في صفحة ١٩ ج ثاني هذا البيت :

وقد أدركتني والحوادثُ جَمَّةً أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عُزْلَ
وقد قاتنا التعليق عليه كوكدنا في مثله ، وهذا هو التعليق الذي يحمل أن يوضع في
موضعه من هامش هاتيك الصفحة : « من أبيات قال ابن الأعرابي في أوراقه إنها لرجل
من بني دارم أسرته بنو عجل ، فلما أنشدتم إياها أطفقوه وقبله » :

وقائلة ما باله لا يَزُورُنَا وقد كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزَّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعد .

لعلهم أن يُمَطَّرُونِي بِنِعْمَةٍ كما صابَ ماءَ المِزْنِ فِي البَلَدِ الحَلِ
فقد يُنْعِمِشُ اللَّهُ الْفَتَى بَعْدَ عَنَرَةٍ وَتَصْطَنِعُ الحُسْنَى سَرَاةً بَنِي مِجَلِ

وجاء في صفحة ١٠٠ ج ثان هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة بدون شرح :
قلت إذ أَقْبَلْتُ وَزُهرُ تِهَادَى كِفِجَاعِ الفَلا تَعْتَفَنَ رَمَلًا
وهذا هو شرحه الذي يجب أن يوضع على هامشه : « من كلمة له يقولها في حميدة
جارية ابن ماجة ومطلعا :

حَمَلِ القَلْبُ مِنْ حَمِيدَةٍ ثِقَلَا إِنْ فِي ذَاكَ لِلْفَوَادِ لَشَفَلَا
وبعد بيت الشاهد :

قد تَنَقَّبَنَ بِالْحَرِيرِ وَأَبْدَيْنَ عِيُونَا حُورَ المَدَامِجِ نَجَلَا
والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء المشرقة ، وتهادى : أى يمشين مشيا رويداً
بسكون ، والنعاج : بقر الوحش ، شبه النساء بها في سكون المشى في الرمل ، وتعتفن :
ركبن ، وإذا مشت في الرمل كان أسكن لمشيتها لصعوبة المشى فيه والفلا : تروى « الملا »
هي الفلاة الواسعة .

وجاء في صفحة ٣٦٥ ج ثان هذا البيت :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخا على كرسية معمما
واليك شرحه الذى فانتا أن نضعه في مكانه حتى إذا قدر لهذا الديوان : أن يعادطبعه
وضع هذا الشرح في مكانه من هامش شرح الديوان : هذا البيت من قصيدة مرجزة
أوردها أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب - كما ذكره البغدادي في الخزانة - وأولها :
عَبْسِيَّةٌ لَمْ تَزَعْ قَفًّا أَدْرَمًا وَلَمْ تُعْجَمْ عُرْفُطًا مُعْجَمًا
كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكْفِ الْحَالِيَيْنِ كَلَمًا
شَدَّ عَلَيْنِ الْبَنَانِ الْحُكْمَا سَحِيفُ أَفْعَى فِي خَشَى أَغْشَمَا
وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قِيَمًا مَثْنَى الْوِطَابِ وَالْوِطَابِ الزُّمَّا
وَقَمًا يَكْسَى مُمَالًا قَشَمًا يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَالَمَ يَعْلَمًا
شَيْخًا طَلَى كُرْسِيَهُ مُعَمًّا لَوْ أَنَّهُ أَبَانَ أَوْ تَكَلَّمَ
لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أَعْجَبَا إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ

عبسية : أى لنا إبل عبسية : أى منسوبة إلى عبس أبى القبيصة ، ولم ترع ، من الرعي
والقف : ما ارتفع من الأرض وغلط ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وقفا : مفعول ترع ،
والأدرم الذى لا نبات فيه ، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تخضع والعرفط كقنفذ شجر من
أشجار البادية والمعجم المعضض ، وقوله كأن صوت شخبها الخ يصف حلب الناقة وشبه صوت
درتها بصوت أفاع في خشى ، والشخب مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج
من الضرع ، وهى : سال ، وشد أى غنى وفاعله ضمير الشخب والبنان مفعوله على
تقدير اللام وضمير عليهن للأكف ، وسحيف أنمى : خبر كأن والسحيف الصوت
والأففى : الحية ، والخشى : اليابس والأعشم : الشجر اليابس ، وقيل جمع قائمة والقياس
قوم ، ومثنى الوطاب مفعول حلبن على حذف مضاف أى مل مثنى الوطاب والمثنى هنا
بمعنى المكرره كقولهم مثنى الأيادى أى يعيد معروفه مرتين وثلاثا والوطاب جمع وطب
وهو سقاء اللبن خاصة . والزهم جمع زام من زم القرية ملاءها . والقمع آلة تجمل في
فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه ، والثمال الرغبة ، وكل شئ يكون ضحفا فهو
قشعم . وقوله يحسبه أى يحسب الثمال ، وما مصدرية ظرفية ، ويعلم بمعنى يعرف ويعوله
محذوف ضمير الثمال وشيخا مفعول ثان ليحسبه وما بعده صفتان له ، شبه الرغبة التى
تملأ القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وهو تشبيه ظريف ، ولم يصب الأعلام الشنتمري

شارح شواهد سيديه في قوله : وصف جبلا قد عمه الحصب وحفه النبات وعلاه فجعله
كشيخ مزمل في ثيابه معصب بعمامته الخ ، فكأنه لم يقف على هذه الأبيات وقوله لو أنه
أبان أي لو أن ذلك الثمال الذي يشبه الشيخ أبان أي أفصح عما في نفسه لكان إياه
أي لكان الثمال ذلك الشيخ « انظر خزائن الأدب للبغدادي ج ٤ ص ٥٦٩ ط
أميرية » .

وجاء في صفحة ٢٨٧ ج ثان هذا البيت المشهور :

بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّغْرِ مِثْلَاتُ زَوْرٍ
وقد قلنا فائنا شرحه لشهرته . وهذا هو شرحه الذي يجعل أن يوضع في موضعه
« البغاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقال ابن سيده : بغاث الطير وبغاثها :
الائتمها وشرارها وما لا يصيد منها ، وقيل الأضعيف من الطير والمقلات : التي لا يعيش
لها ولد ، وقيل هي التي تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك . يقال : أقلت المرأة إقلاتافى
مقلات ومقلات والاسم القلت ، وكذلك كل أنثى إذا لم يبق لها ولد ، والزور : القليلة
الولد »

وجاء في صفحة ٢٩٥ ج ٢ ما يأتي :

« وأنشد الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

أَتَوْا نَارِي قُلْتُ مَنُونُ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجِنُّ قُلْتُ عِمَّوْا ظِلَامَا

..... إلى آخر الأبيات

وصواب اسم قائل هذه الأبيات « سمير بن الحارث الضبي » لا « شمر » ويوضع

في الشرح ما يأتي :

« وقيل قائل هذه الأبيات تأبط شرأ ، وقيل للفرزدق وقيل شمر النساني وأول

هذه الأبيات :

وَنَارٍ قَدْ حَضَّتْ بِعَيْدٍ وَهْنٍ بَدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا

سَوَى تَرْجِيلٍ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَاثِمُهَا مَخَافَةٌ أَنْ تَنَامَا

أَتَوْا نَارِي الأبيات

وبعدها :

أَمِطْ عَنَّا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ لَأَكْلَهُ النَّقَاصَةَ وَالسَّقَامَا
يصف قائلها نفسه بالجرأة واقتحام المهالك . يقول : رب نار قد حضأتها — أى
أوقدتها وسعرتها — وبعيد تصغير بعد ، والوهن والموهن : نحو من نصف الليل — أى أوقدتها
في جوف الليل في مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر ولأجل
عين أكلها — أى أحافظها — فأنا أحفظها من النوم وهى تحفظني من العدو ،
ومنون أنتم : استفهام وكان حقه من أنتم ، وعموا ظلاما : أى تنعموا في وقت الظلام ،
وإلى الطعام : أى هلموا أو أقبلوا إليه ، وفينا : أى علينا ، وأمط عنا : أى أزله عنا ،
والنقاسة : مصدر كالنقص . وهذا كله من أكاذيب العرب .

وجاء في صفحة ٣٣٤ ج ثان هذا المصراع :

* لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا المصراع بما يأتي : « هذا للمصراع من آيات نسبت إلى
سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه » وهى :

مَجِيئُ الْجَارِعِ بَاكِ مُصَابٍ بِأَهْلِ أَوْ حَبِيبِ ذِي الْكِتَابِ
شَقِيقِ الْيَتِيمِ دَاعِي الْوَيْلِ جَهْلًا كَأَنَّ الْمَوْتَ كَالشَّيْءِ الْمُعْجَابِ
وَسَوَّى اللَّهُ فِيهِ الْخَلْقَ حَتَّى نَبَى اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُحَابِ
لَهُ مَلَكٌ يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ
ريحاب أى يحابى . يقال حبابه : أى خصه . قال البغدادى : ورأيت أيضاً في جمهرة
أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب : قد روى أن بعض اللائكة قال :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ بِصِيرٍ إِلَى ذَهَابِ

وجاء في صفحة ٣٦٢ ج ثالث هذا البيت هكذا :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدَى نِسَاءِ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ
وصحة البيت :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدَى جَوَارِ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ

ويزاد في شرحه مايلي : « وجوار : جمع جارية ، ويتعاطين : أى يناول بعضهم بعضا ، والورق : الدرهم ، وقال الشريف المرتضى في أماليه : القرق الحسن الذى فيه الحصى ، وشبهه حذف مناسمهم له بحذف جوار يلعبن بدرهم ، وخص الجوارى — الوليدات — لأنهن أخف يدا من النساء ، وقال آخرون : القرق هنا : للمستوى من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أبدي الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمد لها وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها والبيتان قال ابن رشيق إنهما لرؤية بن العجاج قال البغدادى : ولم أرهما فى ديوانه .
